



سلسلة الكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

المجلد الثالث عشر:
(130 - 121)

أهل السنة في البحرين:
عناصر القوة والضعف

السياحة والفن والإعلام..
إيران والحرب الناعمة

المد الشيوعي في جزر القمر...
دلالات وأبعاد

رصد الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الرائد العدد ١٢١ رجب ١٤٣٤ هـ



كيف نجتاز المحن؟



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢١)

رجب - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

❁ كيف نجتاز المحن؟ ٢

فرق ومذاهب

❁ من رموز الإصلاح (١٢) علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

❁ الخميني يعزل نائبه منتظري هيثم الكسواني ١٠

دراسات

- ❁ منهجية العلمانية العالمية في قضايا المرأة فاطمة عبد الرؤوف ١٢
- ❁ تداعيات الأوضاع في العراق بعد مجزرة الحويجة صباح العجاج ١٤
- ❁ ثورة السنة في العراق سلمية "تموت والبندقية تنتفض" معتز بالله محمد ١٧
- ❁ الإنتاج الفكري العراقي في مواجهة التشيع (٢) سعيد بن حازم السويدي ٢٠
- ❁ السياحة والفن والإعلام.. إيران والحرب الناعمة أسامة الهتمي ٢٣
- ❁ وسائل الشيعة في تحقيق مشروعهم د. أيمن هاروش ٢٩
- ❁ من يغزو الآخر: إيران أم مصر؟! د. مصطفى محمدي ٣٤
- ❁ حزب الله: الوثيقة السياسية والثورة السورية بوزيدي يحيى ٣٦
- ❁ الثورة السورية بين علماء السلطان وسلاطين العلم عمار الشرفي ٤١
- ❁ المد الشيعي في جزر القمر.. دلالات وأبعاد بخاري مردابي موسى ٤٣

كتاب الشهر

- ❁ مصر والشيعة بين صراع الماضي وخطر المستقبل أسامة شحادة ٥٢
- ❁ المد الشيعي في مصر.. آليات التغلغل وطرائق المدافعة ٥٤

قالوا

..... ٥٥

جولة الصحافة

- ❁ مفارقات مؤتمر بغداد للحوار والتقريب!! أسامة شحادة ٥٧
- ❁ السياحة الدينية الشيعية / الإيرانية بين محمد القضاة وبسام العموش أسامة شحادة ٥٨
- ❁ أهل السنة في البحرين: عناصر القوة والضعف مدونة عمر خليفة راشد ٦٠
- ❁ تحركات حوثية لاستعادة السيطرة على صعدة واقصاء الآخرين عرفات مدايش ٦٢
- ❁ السودان ودعوات مواجهة التشيع مركز التأصيل للدراسات والبحوث ٦٣
- ❁ إلى الحبيب الجفري: رسالة محب إلى مغرض؟! عصام تليمة ٦٦
- ❁ مغربي "يفضح" أسرار وهويات وعلاقات "قاديانيين" مع الخارج حسن الأشرف ٦٩
- ❁ "مقاومة" و"ممانعة" في خدمة "مشروع الشرق الأوسط الجديد" إياد أبوشقرا ٧١

والمقامرين في تجاراتهم النجسة بالأعراض والمحرمات والممليات، من الذين استعبدوا الشعوب عبر التجارة والاستهلاك والموضة والصراعات وصناعة السينما ومافيات المخدرات والدعارة، والإسلام بحقه وعدله وقسطه هو الذي سيبتل زيف الثقافة المادية والإلحادية التي يروج لها شياطين الجن والإنس.

أما على صعيد الجبهة الداخلية فإن الأمة تعاني من عملاء وأتباع الغرب والشرق وإسرائيل على كافة المستويات، وتعاني من مكائد ومخططات الفرق الضالة؛ كالشيعة والقاديانية والبهائية، التي تكيد للأمة في دينها وأخلاقها، وتمارس أبشع أنواع الإجرام ضد المسلمين في بلاد كثيرة؛ كإيران والعراق وسوريا واليمن والبحرين وغيرها.

وتعاني أمتنا من حالة فساد عريض في دولها وحكوماتها، جعلت بعض الشعوب تشور على طغاتها، فزال بعضهم، وبعضهم لا يزال يمارس طغيانه فيقتل عشرات الآلاف ويدمر البلد على رؤوس الناس، ويهلك الحرث والنسل.

كما تعاني أمتنا من عجز الإسلاميين الذين وصلوا للحكم في بعض الدول عن تقديم ما كان ينتظره المسلمون منهم من العدل والرحمة والإنجاز، ومرد ذلك إلى تخبط في الأداء وقصور في القدرة والرؤية من جهة أخرى، وبسبب كيد أعدائهم بزرع الفخاخ في طريق مسيرتهم.

وتعاني أمتنا من صراعات واعتداءات متكررة في مناطق مختلفة، فالأقصى يُستباح، وغزة تُقصف، وفي

كيف نجتاز المحن؟

تمرُّ الأمة الإسلامية اليوم بمرحلة هامة من تاريخها ستكون ذات تأثير بالغ على حاضرتنا ومستقبلنا، وسيسجل التاريخ مواقفنا وأعمالنا في هذه المرحلة، ونحن وحدنا المسئولون عن هذه الأعمال والمواقف ولا ندري هل ستكون في صحائف الكرامة والبطولة والإيجابية؟ أم - لا قدر الله - تُسجل علينا في صحائف التقصير والخور وقلة الحيلة والتدبير؟!

ففي هذه المرحلة يواجه الإسلام والمسلمون والإسلاميون تحديات جمّة ومن مصادر متعددة ومتنوعة، داخلية وخارجية، فالغرب والشرق وإسرائيل متفقون على حرب الإسلام والمسلمين والإسلاميين؛ ولأسباب دينية وسياسية واقتصادية وثقافية، فالإسلام هو الخصم الحقيقي لهذه الجهات، فالإسلام بعقيدته الحقّة والحية هو من زعزع أركان اليهودية المحرّفة، والنصرانية الضالة، والعلمانية الجائرة، والشيوعية المجرمة، ف عقيدة التوحيد الصافية إذا دبّت في النفوس لم يقف أمامها شيء، والإسلام هو الذي سيقضي على سياسات الظلم والانحياز وسرقة الثروات، بعدله ورحمته التي وسعت البشرية بأجمعها قرونا عديدة، لأن الإسلام جاء ليخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، كما قال رباعي بن عامر رضي الله عنه.

والإسلام هو الذي سيفسد على المفسدين إفسادهم، فهو حرب على المحتكرين والغشاشين

بورما يذبح إخوتنا، وفي الصومال ومالي حروب ومآس، وغيرها كثير.

ومع كل هذه التحديات فإنّ على المسلم الصادق

أن لا ييأس ولا يفتر، بل تبقى جذوة الأمل فيه وقادة وإن في طيات هذه المحن والفتن منح كثيرة، منها:

- عودة المسلمين للدين وامتلاء المساجد هو منحة، فيروى كبار السن في مكة أن حضور صلاة التراويح في الحرم قبل ٣٥ سنة لم يكن يتجاوز ٣ صفوف!!
- ارتفاع صيحات التكبير والتهليل كشعار للناس، وما أجمل أن يتعلم أطفال المسلمين في العالم صيحة: ما إلنا غيرك يا الله، بعد أن كان المسلمون في عصور سابقة حين يدهمهم الأعداء يلجؤون للأولياء والقبور!!
- انتشار روح الجهاد بين المسلمين اليوم - مع رفضنا لتطرف بعضهم - هو من علامات الصحة والعافية وهذا باكورة بإذن الله لتجاوز مرحلة الذلة كما قال رسولنا الكريم «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا».

- انكشاف خطر التشيع والرافضة وكذب ودجل حزب الله اللبناني ورئيسه هو منحة ربانية ورحمة إلهية.
- حرية الدعوة الإسلامية والاعتزاز بالشعائر الربانية في بلاد كانت الصلاة والحجاب واللمحية والدعوة تعد فيها جريمة يعاقب فاعلها، وما تركيا وتونس وليبيا ومصر وسوريا إلا مصداق لذلك.

مما يجب معرفته أن هذه المحن والفتن هي من سنن الله الكونية التي لا بد من التعامل معها بالواجب الشرعي: الصبر والمدافعة بالأسباب الصحيحة وأولها العلم بالشرع والعلم بالواقع.

والمسلم الصادق يجب عليه أن يحافظ على بوصلته لتشير إلى الاتجاه الصحيح في خضم هذه التحديات والمحن والفتن، وهو نُصرة الإسلام والمسلمين دوماً، وذلك عبر النقاط التالية:

- ١- يجب دوماً تحقيق المستطاع من الأمر الشرعي في كل قضية قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿١٦﴾ [التغابن: ١٦] ورسولنا الكريم يقول: «ما أمرتكم به فاتبعوه ما استطعتم».

٢- ليس هناك أولوية مطلقة لكل الأمة، بل لكل منطقة أو جماعة أو هيئة أولويتها الخاصة بحسب المصلحة الشرعية، بشرط أن لا تعطل المصالح الشرعية للآخرين، فمثلاً: من كانت أولويته الشرعية العلم والدعوة، لا يجوز له أن يبطل أو يعطل جهد من أولويته الشرعية الجهاد والقتال، وهكذا.

٣- سيكون هناك قصور عند جميع الأطراف والفصائل والأفراد، فعالج الخطأ بأن تتصح أو تصحح أو تدع - بحسب المصلحة الشرعية - ولا تهدم الحق الذي عندهم، مثلاً: جماعة الإخوان في الحكم تخطئ حين تناور - في أحسن الاحتمالات - بورقة الشيعة وإيران، فيجب التصدي لهذا الخطأ بقوة وعلانية، ولكن بدون أن نهدم حكم الإخوان لمصلحة خصوم الإسلام والمسلمين، فالحرية الدعوية في ظل الإخوان - بشرط قوتنا - أفضل من قمع الدعوة الإسلامية مع لجم التشيع سياسياً.

٤- معالجة الخطر القريب من منافقين وعملاء وباطنية لا تغفلنا عن التصدي للخطر الخارجي بمستوياته العسكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية.

٥- ارتفاع الإسلاميين لمستوى النموذج الإسلامي ضرورة لازمة للنجاة أمام الله عز وجل أولاً، وللحفاظ على الدعوة الإسلامية.

٦- العمل على بث وزيادة الوعي والعلم والفكر الصحيح هو الضمانة من انحراف المسيرة الإسلامية الإصلاحية: من شهوات الحكم والسلطة والمال، وشبهات الخصوم الرافضين للمشروع الإسلامي.

٧- يجب مضاعفة جهود العلماء وطلبة العلم ليتقدموا الصفوف ويقودوا المسلمين، وإلا تحملوا الوزر أمام الله عز وجل بالتقصير عن هداية الخلق وإرشادهم.

٨- كل فرد منا مسؤول أمام الله عز وجل عن المشاركة في رد التحديات ف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

عبدالرحمن السعدي... حتى إذا جاء عام ١٤١٨ هـ كان لي شرف المراجعة الأخيرة لكتاب: (التفسير الميسر)... فوجدت أن هذا التفسير يعتمد كثيراً تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، وتفسير ابن سعدي - رحمه الله تعالى - فحصل لي من تفسير ابن سعدي نوع ارتواء، وصار لي به فضل اعتناء.

... فنرجو أن يكون لهذا العلامة المفسر نصيب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «وأما (العلم اللدني) فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين، وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح لغيرهم ... وأحسب أن الشيخ ابن سعدي ممن فيه هذا الأمر، فتفجرت أنهار المعاني بين يديه وذلك من فضل الله عليه».

فالشيخ بكر لم يدرك حقيقة قيمة الشيخ السعدي إلا بعد ٢٨ سنة من سماعه به وهو في بلده!!



مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التيمي سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م في بلدة عنيزة من بلدات منطقة القصيم، بالسعودية. وقد ولد في مرحلة مضطربة غلبت عليها الصراعات بين القبائل والعشائر حتى استتب

١٣- علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي (١٣٠٧/١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧/١٨٨٩ م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالرائد

تمهيد:

اشتهر الشيخ السعدي خارج السعودية في السنوات الأخيرة بسبب انتشار تفسيره القيم «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن الكريم» بين الناس، لكن سيرة الشيخ السعدي ودوره الإصلاحية لم يتح لهما لأن أن يصلح للناس بشكل صحيح ليتخذ منهما قدوة ومثالاً معاصراً برغم تعدد الرسائل الجامعية حول منهجه التربوي والدعوي والعلمي. ولعل مما يؤكد وجود الفجوة بين حقيقة الشيخ وبين ما يعرفه الناس وكثير من طلبة العلم عن سيرة الشيخ مطالعة ما كتبه الشيخ العلامة بكر أبو زيد في مقدمته لإحدى طبعات تفسير السعدي حيث قال: «في عام ١٣٨٠ هـ تقريباً سمعت من بعض الصالحين الوصية بتفسير الشيخ

(*) كاتب أردني.

الأمر لعبد العزيز بن سعود في عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٧م ودخلت بريدة وعنيزة في حكمه، وكان عمر السعدي عندها ١٩ عاماً تقريباً، ولذلك فإن علاقات السعدي بالملك وعلماء الرياض بقيت ضعيفة.

وقد نشأ السعدي يتيماً حيث توفيت أمه وله أربع سنوات، ثم توفي والده وله سبع سنوات، لكن كفله زوجته أبيه وأحسن إليه جداً، ولما شب صار في بيت أخيه الأكبر غير الشقيق حمد بن ناصر السعدي الذي رعاه وكفله ليتفرغ لطلب العلم.

وكانت أمه لما حملت به رأت رؤيا في المنام كأنها تبول في محراب المسجد الجامع، ففزعت لذلك، فقصت رؤياها على زوجها، وكان معروفاً بالعلم والفضل وعنده طرف من علم التعبير، فقال لها: إن صدقت رؤياك فستلدين غلاماً يكون إماماً في محراب المسجد الجامع.

وقد كان والده وأخوه الأكبر حمد من أهل العلم والفضل، فنشأ نشأة صالحة وحفظ القرآن الكريم وعمره إحدى عشرة سنة، وأخذ العلم من علماء البلدة، ومن قدم إليها من العلماء.

شيوخه واجتهاده:

اقتصر السعدي في طلب العلم على علماء عنيزة ومن جاء إليها، فدرس على الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، والشيخ عبد بن عائض، والشيخ إبراهيم بن جاسر، والشيخ صعب التويجري، والشيخ علي بن محمد السناني، والشيخ صالح بن عثمان القاضي، ومما تميز به هؤلاء العلماء أنهم كانوا سافروا لطلب العلم خارج عنيزة، للحجاز والشام والعراق ومصر والهند وغيرها من البلاد، والتقوا بالكثير من علماء الإصلاح كالشيخ جمال الدين القاسمي والعلامة حسن صديق حسن خان والشيخ محمود شكري الألوسي، فاستفادوا علوماً ومعارف كثيرة وجديدة، وتخصص كل منهم بفن من الفنون، فتلقاها السعدي عنهم فأفادته ووسعت مداركه وجعلته رغم عدم مبارحته عنيزة مدركاً لأشياء ومعارف لا يعرفها من حوله حتى من

العلماء!!

ومما عزز هذه السعة في المعرفة احتكاكه بمن جاء إلى عنيزة من خارجها كالعلامة الموريتاني الشيخ محمد الشنقيطي - والذي لم تنقطع صلته به حتى بعد رحيله، فقد بقي بينهما رسائل عبر المتنقلين بين عنيزة والزبير من طلاب الطرفين-

والشنقيطي كان له دور إصلاحي كبير في منطقة الزبير والكويت وله مشاركة اجتماعية وسياسية مؤثرة، فلما سكن عنيزة لمدة ٤ سنوات درس عليه السعدي علوم اللغة وتأثر به في مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم واكتسب منه طريقته في التدريس والتي تخالف الطريقة النجدية التقليدية القائمة على التلقين.

كما أنه استفاد من المدرسين الأزهريين الذين جاؤوا عنيزة أو احتك بهم في مواسم الحج كالشيخ حامد الفقي وعبدالرزاق عفيفي وعبدالرزاق حمزة وغيرهم.

وكان لموقع عنيزة على طريق التجارة للعراق والهند ومصر دور في اكتساب السعدي بعض المعارف عن العالم من خلال أقربائه التجار والمسافرين.

هذا كله جعل من شخصية السعدي شخصية علمية متفتحة تعشق الجد والاجتهاد ولذلك سرعان ما تفوق السعدي على غيره من أقرانه، فأصبح مدرساً لهم وعمره ٢٣ عاماً، ومن ثم «خرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط، إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، حيث فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدقه التعليق...» كما يصف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام شيخه السعدي.

ولم يكن هذا التطور لرتبة الاجتهاد دفعة واحدة بل مر بعدة مراحل حتى بلغ درجة التحرر من المذهب الحنبلي والتقييد بالدليل على طريقة شيخ

الإسلام بعد سن الأربعين، كما يتضح ذلك من تواريخ كتبه التي أصبح يقرر فيها مقتضى الدليل، وفي هذه المرحلة ألف غالب كتبه.

ويمكن أن نفضل الدور الإصلاحي للسعدي

في المحاور التالية:

١- تفرغه للتعليم:

لقد قضى الشيخ السعدي أكثر من ٥٠ سنة في التعليم والتدريس محتسباً لا يتقاضى على ذلك أجراً، ورفض أكثر من مرة ما عرض عليه من رواتب للتدريس والإمامة والخطابة، وفي آخر حياته قيل أن يتقاضى راتب الإمامة ولكن كان يضعه في مصالح المسجد ولا يأخذ منه شيئاً، وكان طيلة هذه السنوات يعتاش من عائد ما ورثه عن والده ووالد زوجته وما يرسله له ولدهاء بعدما كبرا وأصبحا يعملان، وكان زاهداً في الدنيا فكان هذا الدخل البسيط يكفيه.

بدأ السعدي التدريس وعمره ٢٣ سنة وهو يطلب العلم على مشايخه، ومنذ عام ١٣٥٠هـ أصبح مرجع الفتوى والتدريس ببلده، وبدأ يطور في طريقة التدريس بحسب ما استفاد من أساتذته الذين جابوا البلاد، فكان يجمع الطلاب على دراسة كتاب محدد، ودرّس كتباً جديدة لم يكن من المعتاد تدريسها في نجد، وكان يشاور طلابه في اختيار الكتب التي يدرّسها، ويطرح الأسئلة عليهم ويعقد بينهم المناظرات، ويقدم له الجوائز التشجيعية، وكان منظماً في وقته يجلس للتدريس يومياً أربعة أوقات: بعد الفجر حتى الشروق، وقبل الظهر حتى الصلاة، وبعد العصر، وبين المغرب والعشاء، وقد واصل الشيخ ابن عثيمين طريقة شيخه السعدي في التدريس ونجده يقول: «إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس، وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني».

وقد كان السعدي يهتم بطلابه وتلاميذه ويتابع دراستهم وتحصيلهم خاصة إذا توسم فيهم النباهة والجد والاجتهاد، ومن ذلك أنه طلب من والد الشيخ ابن عثيمين أن يبقيه لطلب العلم عنده ولا يرحل به.

وقد بلغ طلابه أكثر من ١٥٠ طالباً أصبحوا من العلماء والمفتين والقضاة والكتاب والمدرسين، في كافة أنحاء المملكة وامتد أثر بعضهم لخارج السعودية كالشيخ ابن عثيمين والشيخ البسام الشيخ عبد الله العقيل وغيرهم من الفضلاء، وقد كان السعدي قدوة لهم وترك في قلوبهم أثراً كبيراً بحسن خلقه وإخلاصه وسعة علمه وحسن تربيته وتعليمه.

يقول الشيخ البسام في ترجمة شيخه السعدي: «وطلاب الشيخ الذين علمهم في المسجد الذين تولوا التدريس في المدارس والمعاهد التي فتحتها الدولة، فكان الشيخ يكتب بيده شهادة يقول فيها: إن فلانا درس علوم كذا كذا في كتب كذا كذا، وهو يصلح لتدريس هذه المواد في المستوى الابتدائي أو المتوسط أو الثانوي، وتأخذ الدولة بشهادات الشيخ التي أثبتت التجربة فيما بعد أنها معبرة عن الحقيقة أصدق تعبير».

وتولى السعدي الإشراف على المعهد العلمي بغيره وكان له درس كل ثلاثاء فيه بالإضافة لدروسه في المسجد، كما كان للامة نصيب كبير من دروسه، فدرسه بعد العصر كان قصيراً وموجهاً لكل المصلين في المسجد، كما كان يتحولهم بالمواسم والمناسبات، فضلاً عن خطبة الجمعة، كما أنه كان يشارك العامة في كثير من جلساتهم ويستغلها لتعليمهم وإرشادهم. كما كان يخصص للنساء وقتاً خاصاً للسؤال والفتوى في داره بحضور زوجته.

وهذا الاهتمام من السعدي بالتعليم ينطلق من رؤية فكرية واضحة لحاجة الأمة للعلم وأنه الأساس الذي عليه تقوم النهضة وبداية طريق العزة والكرامة، يقول السعدي: «ومن أعظم الجهاد سلوك طريق التعلم والتعليم»، ويقول: «الجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم، وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه وعليه يتأسس

نظرة طلابه له:

وصف الشيخ محمد القاضي شيخه السعدي بقوله: «كان واسع الاطلاع في فنون عديدة، ففي كل فن يخوض فيه تقول هذا فنه المختص به، وهذه مؤلفاته أكبر شاهد على ما ذكرته».

ويقول الشيخ ابن عثيمين عنه: «إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه، حيث كان يعامل كلاً من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان صبوراً على ما يلزم به من أذى الناس، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة ويوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا».

ويقول الشيخ عبدالله البسام: «لقد كان للشيخ عبد الرحمن السعدي أثر كبير، ودور بارز، في تخريج أفواج كثيرة من طلبة العلم».

٢- انشغاله بالتأليف:

برغم أن العلماء في بلده وعصره لم يكونوا يهتمون بالتأليف إلا أنه لما أدام مطالعة الكتب عرف قيمة التأليف وأنه فائده لا تقتصر على بلد أو زمان بل هي فائدة تمتد بعيداً في البلدان وطويلاً في الزمان يقول السعدي: «فكم من علماء هداة ماتوا من مئات السنين، وكتبهم مستعملة، وتلاميذهم قد تسلسل خيرهم وذلك فضل الله»، وبفضل الله أن مؤلفات السعدي اليوم يقبل عليها طلبة العلم وينهلون منها علماً صافياً مباركاً.

ولذلك رغم انشغالاته الكثيرة إلا أنه أنجز مؤلفات كثيرة زادت عن ٤٠ مؤلفاً أهمها تفسيره للقرآن الكريم، وقد تنوعت مواضيع مؤلفاته بين فنون متعددة: التفسير والعقيدة والحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها، وهي تمتاز باللغة السهلة والواضحة، وإيراد الحجج والأدلة النقلية والعقلية وتنويع طريقة العرض بين السرد والمناظرة والسؤال والجواب، واعتنى بتلخيص بعض الكتب الهامة بجمع قواعدها وأصولها، كما أنه اعتنى بالقضايا

العصرية والنوازل العامة فكتب فيها وعرض رأيه حولها، ومن نظر في قائمة كتب الشيخ سيجد منها:

الجهاد في سبيل الله، وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني، الدلائل القرآنية في أن العلوم النافعة العصرية داخلية في الدين الإسلامي، الدين الصحيح يحل جميع المشكلات، الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول المنحرفين، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.

وهو في كتبه هذه لم يكن يتاجر أو ينتظر منها عائداً بل كانت توزع مجاناً على العلماء وطلبة العلم، وكان يساهم معه في طباعتها بعض طلابه كما في مراسلاته مع تلميذه عبدالله العقيل.

٣- إقامة المؤسسات العامة وخدمة الناس:

حرص الشيخ على إقامة مكتبة عامة في عنيزة لتعم الفائدة فتشاور مع الطلبة وكتبوا لوزير المالية يطلبون منه الدعم لتوفير المراجع لطبة العلم، فوافق الوزير وأرسل لهم منشورات الحكومة وما وجد في مكتبات مكة وخزائن الكتب، وحين وصلت لم تكن الغرفة المتوفرة تتسع لكل ذلك، وعندها كاتب الشيخ أهل عنيزة في الداخل والخارج للتبرع لبناء مكتبة وفعلاً جاءت التبرعات من المملكة ومن البحرين والعراق والهند، وافتتحت في ١٣٥٩هـ عند مدخل الجامع الكبير بعنيزة ثم أصبحت بناية مستقلة بعد تجديد الجامع، وعين لها الشيخ ناظراً ووضع له نظاماً يسير عليه، وأصبحت مقر دروس الشيخ لطلابه ومقر مراجعتهم وبحوثهم، ووضعت لوحة عليها آداب التعامل مع كتب المكتبة، نظمها أحد الطلبة وهو الشيخ عبد العزيز المحمد سلمان بقوله:

تأمل شروط الكتب من قبل أخذها

وحافظ عليها فهو عون بقائها

فأولها رفق بها عند أخذها

وتقليبها مع ردها في مكانها

وحين رأي الشيخ عند أحد أبنائه خارطة كبيرة لدول العالم وخطوط سير السفن طلبها منه ووضعها في المكتبة، وفيما بعد أهداه ابنه مجسماً للكرة الأرضية، فكان الشيخ يطالعه زمن الحرب العالمية ويشرح للناس مسار الحرب ويفند لهم بعض المخاوف من وصول الحرب إليهم.

كما أن الشيخ قام بحث الناس على التبرع لتوسعة وإضافة مقدمة للمسجد الجامع بعنيزة عام ١٣٦٣هـ، وفي عام ١٣٧٣هـ حثهم على توسعة المسجد من الخلف.

وكان الشيخ هو كاتب الأنكحة والوصايا وغيرها للناس دون مقابل وفي أي وقت، وكان هو القاضي بين الناس فعلياً لكنه رفض أن يتولاه رسمياً، وكان الشيخ يتولى نظارة بعض الأوقاف، فإذا جاء وقت الثمار وزعها من فوره على الفقراء والمحتاجين ولم يدخر شيئاً عنده.

لطائف من سيرة السعدي:

❖ لقد كان السعدي رجل عامة يكثر مخالطة الناس لنفعهم ومن يطالع كتاب ولده وحفيده «مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي» يجد مثلاً معاصراً للقدوة، في التعامل مع الزوجة والأبناء والأقارب والجيران والمجتمع.

❖ تعرض السعدي لعدد من الوشايات لدى الملك عبدالعزيز بدافع الحسد أو الجهالة بسبب رأيه في قوم يأجوج ومأجوج، لكن الملك والعلماء عرفوا حقيقة الأمر وأنه عالم مجتهد، ومع ذلك لم يعاتب من وشي به ولا أساء له.

❖ كان السعدي متابعاً للصحف والإذاعات وله مقالات في مجلة المنار التي أنشأها العلامة رشيد رضا، ومجلة المنهل السعودية، وله مراسلات مع عدد كبير من العلماء والدعاة، بل ذكر بعض

الباحثين أن في مكتبة حسن البنا بعض كتب السعدي عليها إهداء بخطه للبنا.

❖ نظر الشيخ إلى المخترعات الحديثة نظرة إيجابية بعكس كثير من أهل عصره، وقامت نظرتة على أنها من العلوم التي علمنا إياها الله عز وجل وهو خالق هذه المخترعات وفيها دلالة على قدرته على البعث والنشور، يقول السعدي في فتاويه: «أفليس الذي علم الإنسان ما كان ناقصاً في علمه، ناقصاً في إرادته وقدرته وعلمه وجميع أحواله، أليس الذي علمه هذه الأمور التي لم تكن تخطر ببال أحد من البشر بقادر على أن يحيي الموتى، وأن يجمع الأولين والآخرين بنفخة واحدة»، وألف لذلك كتاباً عن المخترعات الحديثة.

❖ كان السعدي أول من أدخل مكبرات الصوت للمساجد في نجد، وحين اعترض عليه بعضهم وكان يلبس النظارة، نزعها عنه وقال له: ماذا تصنع هذه؟ فقال له: تقرب لي البعيد، فقال له: والمكبر يوصل الصوت للبعيد!

❖ حين زار السعدي بيروت للعلاج سنة ١٣٧٣هـ أهداه ابنه محمد كتاباً بعنوان «دع القلق وأبدأ الحياة» للمؤلف الأمريكي «ديل كارنيجي»، فقرأ الكتاب كاملاً وأعجب به وقال عن مؤلف: إنه رجل منصف.

وكان له صديق يعالج في بيروت من مرض نفسي وله سنين ولم يتحسن، فأهداه السعدي كتاب «دع القلق وأبدأ الحياة»، وقال له: أقرأ الكتاب فهو مفيد جداً، وفعلاً تحسنت حالته، وطلب الشيخ من ابنه شراء نسخة ثانية للمكتبة العامة بعنيزة، وكان هذا الكتاب سبب تأليف الشيخ رسالته الماتعة «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة».

❖ كان الشيخ مدركاً لمخططات الأعداء ومكرهم السياسي والتعليمي ولذلك حذر من تدريس الأولاد في المدارس العصرية التي أقامها الاستعمار، ولم يكتف بتتبع ذلك بل اقترح عدداً من الوسائل للعلاج والدفع، يقول السعدي في كتابه المسمى وجوب التعاون بين المسلمين: «وقد علم من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو

واجب، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد، ولا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشروورها إلا بالوقوف على مقاصدهم، ودرس أحوالهم وسياساتهم، وخصوصاً السياسة الموجهة منهم للمسلمين، فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع، وعدم الوفاء، واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد». وهذا يدل على سعة أفق الشيخ وبصيرته النافذة التي لم يستفد منها الكثيرون لليوم مع الأسف.

❖ كانت خطبته تعالج كل ما يهم المسلمين، من أمور دينهم ودنياهم، ويروي أحد المدرسين المصريين في المعهد العلمي بعنيزة أن الشيخ السعدي خطب الجمعة عن العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م وبيّن للناس حقيقة الموقف الشرعي من هجوم الكفار.

❖ تصدى الشيخ للشبهات الجديدة على مجتمعه من قبل العلمانيين والملاحدة، وألف في ذلك عدة كتب منها: الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول المنحرفين، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، وانتصار الحق.

❖ رفض الشيخ إقصاء الشريعة عن حكم بلاد الإسلام فقال في كتابه الرياض الناضرة: «أما عقائد هذا الدين وأخلاقه وآدابه ومعاملاته، فقد بلغت من الكمال والحسن والنفع والصلاح، الذي لا سبيل إلى الإصلاح بغيره... وكذلك أحكامه السياسية ونظمه الحكمية والمالية مع أهله ومع غيرهم فإنها في نهاية الكمال والإحكام والسير في صلاح البشر كلهم... وليس مستمداً من نظم الخلق وقوانينهم الناقصة الضئيلة، وبهذا وشبهه نعرف غلط من يريد نصر الإسلام بتقريب نظمته إلى النظم التي جرت عليها الحكومات ذات القوانين والنظم المقصورة... وقد ابتلي بهذا كثير من العصريين بنية صالحة، ولكنهم مغرورون مغترون بزخارف المدنية الغربية التي بنيت على تحكيم المادة وفصلها عن الدين فعادت إلى ضد مقصودها فذهب الدين ولم تصلح لهم الدنيا».

وفاته رحمه الله:

توفي الشيخ السعدي سنة ١٣٧٦هـ في بيته وذلك

بعد أن أصيب بمرض ضغط الدم، وعمره ٦٩ عاماً، وصلي عليه في مسجده حيث اجتمع الناس من عنيزة وما حولها من القرى، وسمع أحدهم عجوزاً تقول عن الشيخ: نجم هوى!

قال فيه العلامة محمد حامد الفقي الذي طبع له بعض كتبه والتقاه بالحج عدة مرات: «لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من أكثر من عشرين سنة، فعرفت فيه العالم السلفي المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق، فيمشي وراءه لا يلوي على شيء... عرفت فيه العلم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة القويمة الكريمة النقية...».

ورثاه الشاعر عبدالله العثيمين فقال:

كتب الفناء على الأنام جميعهم
سيان فيها فاجر ومظهر
لكن من اتخذ الصلاح شعاره
تفنى الخليفة وهو حي يذكر
ما مات من نشر الفضيلة والتقى
وأقام صرحاً أسة لا يكسر
ما مات من غمر الأنام بعلمه
الكتب تشهد والصحافة تخبر
يا ناصر الإسلام ضد خصومه
لك في الجهاد مواقف لا تحصر
قد كنت للدين الحنيف معضداً
وبشرعه الهادي القويم تعبر

مراجع للتوسع:

- مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي، محمد السعدي ومساعد السعدي.
- الفكر التربوي عند الشيخ السعدي، د. عبدالعزيز السعدي.
- الجهود الدعوية والعلمية للشيخ عبدالرحمن السعدي، عبدالله الرميان.
- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبدالله الطيار.

الخميني يعزل نائبه منتظري

هيثم الكسواني^(١) - خاص به «الراصد»

لنظام الشاه، وفي نفس الوقت هو من أبرز رجال الدين الشيعة في إيران حتى لُقّب بـ «الفقيه الأعظم». وبعد نجاح الثورة كان منتظري إلى جانب الخميني، الذي سرعان ما عينه نائباً له، وخليفة من بعده^(١)، فقد كان الخميني يحب منتظري حباً كبيراً ويصفه بأنه زهرة عمره.

لكن هذه المودة لم تدم، وتحول منتظري فجأة من نائب للخميني (زهرة عمره) إلى شخص فاسد وخائن وساذج، ومتستر على الفاسدين والخائنين، فقد وجّه له الخميني رسالة قاسية جداً في شهر مارس/ آذار من سنة ١٩٨٩م (نفس العام الذي توفّي فيه الخميني) يُعلمه فيها بعزله، ومما جاء في الرسالة:

«ولا يسعني هنا إلا أن أقول بأنك ستسلم البلاد والثورة الإسلامية من بعدي للجناح الليبرالي ومن خلالهم للمنافقين. لقد فقدت صلاحية وشرعية قيادة النظام مستقبلاً. إنك تعتقد ومن خلال تصريحاتك ومواقفك بضرورة حكم البلاد من قبل الجناح الليبرالي والنفاق. ولا أراك

كـ «القطعة التي تأكل أبناءها»، هكذا

يمكن وصف حال الثورة الإيرانية التي قادها المرجع الشيعي روح الله الخميني للإطاحة بنظام الشاه محمد رضا بهلوي في سنة ١٩٧٩م، فبعد أن استتبّ الأمر للخميني، ورسخ أقدامه في السلطة، انتهى الأمر بالكثير من شركائه في الثورة، بل وحتى بعض أتباعه ومساعديه، إلى القتل والعزل والمنايا والسجون والإيذاء.

وبعد رجل الدين حسين منتظري أحد هؤلاء

الذين أكلتهم الثورة وضحّى بهم الخميني، لكنه في الوقت نفسه ليس كأحد هؤلاء، فلقد كان منتظري على بُعد خطوة واحدة من أن يصبح زعيم إيران وحاكمها الأعلى ومرشد ثورتها، إذ كان نائباً لمرشد الثورة، روح الله الخميني، وخليفته المنتظر، لكن السحر انقلب على الساحر، فبين عشية وضحاها عزل الخميني نائبه وخليفته، الذي أصبح مطروداً منبوذاً.

وُلد المرجع الشيعي الإيراني حسين علي

منتظري في سنة ١٩٢٢م، وكان من المعارضين

(١) يلتفت الدكتور موسى الموسوي في كتابه (الثورة البائسة) إلى أن الخميني باتخاذ منتظري ولياً للعهد من بعده فإنه صنع مثل ما صنع الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من تولية ابنه يزيد ولياً لعهد المسلمين من بعده (ص ١٦٤). ومعلوم أن الشيعة تشبّع على معاوية صنيعة هذا، وتعتبره سبب انحراف نظام الحكم في الإسلام، في حين أن معظم الدول الشيعية التي قامت في القديم والحديث كالدولة البويهية والصفوية والقاجارية تبنت النظام الملكي الوراثي وولاية العهد.

تكلّمتَ إلا بما أملاه عليك المنافقون الذين لا أعتقد بجدوى الرد عليهم...».

وفي موضع آخر يقول الخميني لمنتظري: «من

الآن فصاعداً لستَ خليفتي، وسأعفيك حتى من المسائل المالية التي يرجع فيها الطلاب إليك... وفي الختام أسأل الله أن يمنح شيخكم العجوز الصبر والعفو، وأن يتوفاني قبل أن ألس خيانة أصحابي...».

وفي تحليل الأسباب التي دفعت الخميني

لعزل منتظري يمكن أن نورد ما يلي:

١- أن الخميني عُرف عنه الغدر والتكرار لمن ساندوه في الثورة، والبطش بمن يخالف رأيه، أو يختلف معه، لذلك سيق الكثير من هؤلاء إلى المشانق والسجون والمنايا.

٢- الصراع الذي نشأ على السلطة في إيران، إذ دخل منتظري في صراعات مع جماعات وأشخاص أقوياء وخاصة علي خامنئي، الذي أصبح مرشداً للثورة بعد الخميني، وهاشمي رفسنجاني، الرئيس الأسبق، ما جلب عليه غضب الخميني.

٣- انتقاد منتظري للانتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان التي كانت تجري في إيران بأمر الخميني ومباركته، وفي رسالة الخميني سألته الذكر انتقاد شديد لمنتظري لمطالبته بوقف هذه الانتهاكات والإعدامات الجائرة، فقد اعتبر الخميني هذه المطالبة دفاعاً عن المنافقين والمفسدين. يقول الخميني في رسالته: «لقد دافعتُ بشكل مستميت عن بعض المنافقين الذين شهروا أسلحتهم ضد النظام ليُحكموا بالإعدام، ثم أسديتُ للاستكبار خدمات عملاقة بما كشفتُ من أسرار وهوّلتُ أعدادهم لتجعلهم ألوفا مؤلفة...».

٤- انتقاد منتظري أيضاً لنظرية ولاية الفقيه^(١) التي بنى عليها النظام الإيراني بعد الثورة

(١) نظرية سياسية شيعية حديثة أفسحت المجال لتولي رجال الدين الشيعة

شرعيته، رغم إيمانه بها، لكنه كان يخالف الخميني في بعض جزئياتها، فالخميني كان يعتقد أن ولاية الفقهاء على الناس ولاية دينية إلهية، جعلها الله لهم كما جعلها للرسول ﷺ وللأئمة المعصومين، أما منتظري فكان يعتقد أن ولاية الفقهاء يجب أن تتم بالانتخاب، إلى غير ذلك.

للاستزادة:

- ١- الراصد نت.
- ٢- تطور الفكر السياسي الشيعي - أحمد الكاتب.
- ٣- الثورة البائسة - د. موسى الموسوي
- ٤- صحف ومواقع إلكترونية (الجزيرة نت، الشرق الأوسط، ويكيبيديا).

الحكم في إيران، وعالجت موضوع غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية، حيث استقر الفقه الشيعي منذ غيبة المهدي المنتظر المزعوم في سنة ٢٦٠ هـ على أنه لا شرعية لأية دولة تقوم قبل ظهور المهدي، ولا شرعية لحاكمها، باعتبار أن الدولة والقيادة هي من صلاحيات المهدي.

والخميني هو أول من جسّد (ولاية الفقيه) عملياً، حيث نقل صلاحيات المهدي المنتظر إلى فقهاء الشيعة، معتبراً أنه لا يجوز أن يظل الشيعة في انتظار، لا سيما وأن غيبة المهدي مضى عليها قرون طويلة، وقد تمر قرون أخرى قبل أن يظهر. وبناء عليه فإن فقهاء الشيعة يستطيعون ممارسة صلاحيات المهدي في غيبته (انظر: هيثم الكسواني، مصطلحات الشيعة الإثني عشرية، الراصد نت، العدد ١١٣، على الرابط):

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5849

في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» سنة ١٩٣٨م حيث قال: (العقل الشرقي هو عقل يوناني وإن القرآن لم يُغير من يونانية عقلنا الشرقي كما أن الإنجيل لم يغير من يونانية العقل الأوروبي وأن القرآن مثل الإنجيل وأننا قد قبلنا الحضارة الأوروبية قديماً ومن ثمَّ فعلينا أن نقبلها الآن بخيرها وشرها حلوها ومُرَّها ما يُحب منها وما يُكره ما يُحمد منها وما يُعاب وأننا لا بد أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم ونذهب مذهبهم في الحكم والإدارة والتشريع).

وها هي رائدة من أهم رواد الحركة النسوية في مصر «منيرة ثابت» وهذه المرأة كانت أشد تطرفاً من هدى شعراوي وإن كانت أقل شهرة وهي لا تخجل من الاشتمَّاز من بلدها وأرضها القاحلة التي تثبت رجالاً قساة غلاظاً لا بد من إرسالهم إلى أوروبا عسى أن يمسمهم حظ من التقدم والرقى والمدنية، تقول: (تربة مصر كلها تربة جافة لا تنتج إلا رجالاً قساة القلوب جامدين! فليت شعري أيَّ وسعنا أن نجندهم ونرسلهم في بعثة إلى شمال أوروبا)^(١).

العامل الثاني: الاستمرار والمثابرة على تحقيق

الأهداف

وهناك استراتيجيات كثيرة لتحقيقه فقد يكون الهدف واضحاً ومحددًا في مؤسسات صنع القرار ولكنه غير معلن بالنسبة لعامة الناس بل وعامة المثقفين والمهتمين، وعدم تسليط أضواء الإعلام عليه أمر مقصود طبعاً. وقد يتم التعبير عنه بلغة غامضة مطاطية كما حدث

(١) منيرة ثابت .. ثورة في البرج العاجي، ص ٥٩.

منهجية العلمانية العالمية في قضايا المرأة

فاطمة عبد الرؤوف^(٥) - خاص بالرائد

تعدّ القضايا المتعلقة بالنساء في الوقت الراهن من أكثر وأهم القضايا المطروحة والمثيرة للجدل إعلامياً ودولياً ولا يتعلق ذلك بالقيمة العددية للنساء، أي كونهن نصف الطاقة البشرية فحسب وإنما يتعلق الأمر بالصورة المنهجية للحياة بترابطها العضوي .. بالنظرية التي تحكم والواقع القائم وصورة الغد المنظور.. لذلك فإن قضايا النساء أصبحت ضلعاً أساسياً في الصراع الذي تعيشه البشرية.

وبما أن الغلبة تبدو حتى هذه اللحظة لصالح المشروع الغربي الذي يقوم على العلمانية بمختلف نكهاتها الصليبية والاشتراكية والإلحادية فإننا محاصرون في خندق الدفاع والذود عن أفكارنا وقيمنا. يخطئ من يتصور أن المشروع الغربي تحققت له هذه الغلبة لمجرد تفوقه المادي والتقني أو لضغطه الاقتصادي علينا وإن كانت هذه أدوات أحسن استغلالها.

نستطيع القول إن هناك عاملين أساسيين في هذه الغلبة للمشروع الغربي هما:

العامل الأول: الاستقطاب الفكري

أي خلق عناصر موالية للفكر الغربي مؤمنة به أشد الإيمان كالدكتور طه حسين الذي عبر عن ذلك بوضوح

(٥) كاتبة مصرية.

مع الوثائق الأممية المتعلقة بالمرأة كاستخدام مصطلح الجندر والصحة الإنجابية.

وقد يكون المصطلح معروفا في حد ذاته ولكنه يحمل بمعان جديدة ليس لها علاقة بالمصطلح الأساسي كما فعلوا مع مصطلح العنف في الوثيقة الأخيرة.

ففي كل عام وفي شهر مارس تحديدا لا بد من الاجتماع وإصدار وثيقة جديدة لتوضيح وثيقة بكين فتكشف جزءا مما خفي أو تؤكد بالإضافة لتقييم ما تم إنجازه بالفعل وسبل الضغط على الحكومات والمجتمعات للتقدم خطوات أخرى.

مخططات وآليات

وليكن حديثنا منصبا على العامل الأول، أي هؤلاء المفتونين بالفكر الغربي ومخططاتهم المتنوعة للوصول لهدفهم الاستراتيجي الذي عبر عنه الدكتور طه حسين بكل وضوح، فما هي الآليات التي يتعاطون معها لتحقيق المشروع العلماني العالمي؟

الآلية الأولى: الإعلان عن احترام الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية وأن ما يتم الدعوة إليه هو قلب ولبّ الدين

تقول منيرة ثابت: (وقد كان الدين الإسلامي أول سابق إلى هذه المساواة فأعطى المرأة حرية التقاضي بدون إذن من زوجها وحرية المعاملات جميعها من بيع وشراء ورهن وارتهان وإيجار واستئجار وهبة وغير ذلك.

وجرت التقاليد على هذه السنة حتى اعترف الفقهاء للمرأة بتولي القضاء متى توفرت فيها الشروط اللازمة لذلك وليس يخفى أن منصب القضاء هو أرفع المناصب وأجلها شأنًا في الإسلام.

واعترف الفقهاء للمرأة أيضا بحق الحكم وإدارة شؤون الرعية فتولى الحكم كثير من النساء في الممالك الإسلامية، أخص بالذكر منهن الملكة المصرية شجرة الدر التي اشتهرت بالعدل والحكمة والتي نالت مصر على يدها ما لم تتل مثله إلا على يد كبار الملوك، إذن شريعتنا الإسلامية وتقاليدها الشرقية سبقت المدنية الغربية في الاعتراف بحقوق المرأة السياسية^(١).

(١) السابق ص ٢١، ٣٢.

ومن الملاحظ على هذا الخطاب مزج التقاليد بالدين بالتجربة التاريخية وهو خلط مقصود لإثارة طبقة من الغبار الكثيف على وجه الحقائق الناصعة.

وهو نفس الخطاب الذي تستخدمه مرفت التلاوي عند حديثها عن اتفاقيتي سيداو وبكين والوثيقة الأخيرة (إلغاء ومنع كافة أشكال العنف ضد النساء والفتيات) لأنها تعتبرها تمثل روح الشريعة لذلك فقد أرسلت نسخة منها لهيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف - معتمدة على غموض ومطاطية المصطلحات - لتظهر للرأي العام مدى الثقة التي تتمتع بها ومدى تطابق الوثيقة مع روح الشريعة، وفي نفس السياق أكدت التلاوي أن الإسلام «دلل المرأة» ومنحها حقوقاً لم ترد في القوانين الوضعية للدول المتقدمة، وقالت «لن نسمح بتشويه صورة الإسلام.. ولا نريد أكثر من الشرع»^(٢).

الآلية الثانية: تشويه صورة الرجل واعتباره ليس شريكا للمرأة في الحياة الإنسانية وأخا لها إنما عدو

يناصبها العداء ويسعى لتحقيرها وتهميشها

تقول منيرة ثابت: (ومن الطبيعي أن يعترض الرجل ولا يسلم بهذا الحق (تقصد حق الترشح والانتخاب) إذ يخشى منه منافسة المرأة له في ميدان العمل والسياسة الذي يريد الاستئثار به)^(٣).

بل ويصل الحال للرغبة في ممارسة العنف إزاء الرجل الكريه الذي سلب المرأة حقوقها ومكتسباتها (والآن ماذا نحن فاعلات بكم أيها الرجال؟؟ أنشور عليكم ونأخذكم بالعنف كما فعلت نساء الإنجليز فنسترد منكم حقوقنا بالقوة؟ أظن أن هذا هو الذي سيكون بيننا وبينكم)^(٤).

رجل التيار الإسلامي: لكن وفي خطوة تصعيدية جديدة أصبح التشويه منصبا على الرجل ذي التوجه الإسلامي تحديدا، بل الرجل والمرأة اللذين يحملان رؤية إسلامية واعتبار هذه الرؤية تخريبية مدمرة والجهر بذلك واعتبار العلمانية هي الأصل، تقول نوال السعداوي حول

(٢) هذه الكلمة ألقيت في ندوة للمجلس بالمنيا ونقلتها الصحف المحلية.

(٣) منيرة ثابت .. مصدر سابق ص ٥٢.

(٤) السابق ص ٩.

تداعيات الأوضاع في العراق بعد مجزرة الحويجة

صباح العجاج (*) - خاص بالرائد

أُلفت أحداث الحويجة ومذبحتها (٢٣/٤/٢٠١٣)

بظلالها على حراك العراقيين السُّنة، منذ أن بدأ قبل أكثر من أربعة شهور، وتحول الحراك من المنحى السلمي إلى وضع مفتوح بعدة خيارات، هذه المجزرة التي ذهب ضحيتها ٦٠ شخصا، كلهم من أهل السنة مع ١٥٠ جريحا، ونفذت بطريقة تشبه إلى حد كبير ما تقوم به القوات السورية وشبيحتها من مجازر للشعب السوري، ويؤيد ذلك ما رواه بعض الناجين من المذبحة أنهم سمعوا أصواتا قبيل الهجوم ترطن باللهجة الفارسية^(٢) يشتمون أبا بكر وعمر وعائشة، سبق المذبحة حصار دام أربعة أيام وتهديدات، وتبين أن العملية نفذتها قوات سوات (القوات القذرة) مع مليشيات شيعية بمشاركة قوات إيرانية ترتدي زي الجيش العراقي.

الأسباب الرئيسية لهذه المجزرة تلتخص بأمرين:

الأول: أنها كانت تمهيداً لعملية عسكرية أكبر وأوسع يجري التحضير لها، مع اقتراب معارك الحسم في سوريا وفك الحصار عن حمص وتحرير حماه وحلب، الغرض منها إخضاع السُّنة العرب في محافظتي الأنبار ونيوى على الحدود مع سوريا.

الثاني: أن إيران، وبالتحديد الحرس الثوري الإيراني، رأى أن المالكى مُتردد في إقامة حكم طائفي قوي في العراق، وأنه بدا ضعيفاً مهزوزاً أمام الضغوط الأمريكية والمحلية، وقدّم لذلك بعض التنازلات للسنة، خاصة في ملف البعثيين، لذلك كان لابد من عمل يثبت المالكى به ولاءه للإيرانيين فكانت مذبحة ومجزرة الحويجة.

وبعد المجزرة انقسمت مواقف القوى الشيعية بين ترويج الأكاذيب كـ (هادي العامري) لتبرير الحدث

(*) كاتب عراقي.

(٢) نقلت صحيفة «أخبار روز» الإيرانية أن القوات الإيرانية شاركت العراقيين في عملية أمنية، جاء هذا على لسان أحد جنرالات الحرس الثوري ناصر شعباني. وغايات التصريح هي إرسال رسالة إلى أمريكا أن إيران هي الحاضرة في العراق، وأن شؤون العراق بيدها سواء التهديد والتفجير.

سياسة تجفيف منابع: (العلاج ليس فقط إصدار قرار بمنع النقاب والحجاب في المدارس، سواء على التلميذات أو المعلمات، ولكن بفصل الدين عن التعليم والدستور والثقافة والفنون والقوانين العامة في الدولة، والقوانين الخاصة في الأسرة لابد من إصدار قانون يعاقب الأم أو الأب الذي يفرض الحجاب على ابنته في مرحلة الطفولة أو بعدها)^(١)، فسعداوي ترى أن التبرج هو الأصل وأن من تتجاوز هذا الأصل وتريد أن ترتدي الحجاب أو النقاب فليس لها الحق في هذه الحرية ويجب منعها بقوة السلطة.

وفي خطوة تدعو للسخرية المزوجة بالشفقة من

العقول المريضة التي تتسج بخيالها العفن مسوغات

جديدة لتشويه الرجل الملتزم بدينه تأتي تصريحات مها

أبو بكر القيادية الشابة بجهة الإنقاذ الوطني، حيث تقول: (إن النظام الحاكم وجماعة الإخوان المسلمين، يمتلكون ميليشيات لتعذيب وخطف الشباب، وأخرى للاعتداء والتحرش بالمتظاهرات.

وشددت على أن الهدف الرئيسي من هذه العمليات

ليس الإيذاء البدني للسيدات بل الإيذاء النفسي

وكسر النفس، حتى لا يخرجن في مظاهرات بالميادين

مرة أخرى، وتشويه صورة المشاركات بالمسيرات، قائلة: (قد لا يكون منفذو التحرش من أعضاء الجماعة، لكنهم في النهاية ينتمون لها).

هذه التصريحات السخيفة وجدت صدى ضخما في

وسائل الإعلام التي كانت لهم فيها الغلبة دون أن

يسألوا أنفسهم سؤالاً بسيطاً وهو: كيف يتشدد هؤلاء

الإسلاميون كما يعتقدون من النظر والاقتراب من المرأة

ثم يحرضون على التحرش بها؟! ولكن الصورة الشيطانية

التي قرروا رسمها للإسلاميين مباح فيها الكذب لأقصى

درجاته ثم بالتكرار والإلحاح على عقل المشاهد يطمحون

لتحقيق الهدف.. هؤلاء هم العامل الأهم في نشر الفكر

العلماني العالمي ورؤيته المتعلقة بالمرأة والأسرة والذي

ينبغي أن تكون مقاومته لهم على رأس أولوياتنا.

(١) نوال السعداوي .. ماذا يحدث للنساء تحت اسم الإسلام؟ .. مقال منشور في موقع المرأة الجديدة.

كالعادة، وبين الصمت كما فعلت مرجعية السيستاني، وأما إمام جمعة النجف فلم يكثر للدم المسال في الحويجة وإنما استنكر التصريحات الطائفية بزعمه! وأما مقتدى الصدر وتياره فقد وصف ما جرى بأنه مجزرة واتهم الحكومة بأنها فتحت باباً للعنف وطالب بتشكيل لجنة برلمانية، ويبدو أن الصراع السياسي بين مقتدى والمالكي هو سبب هذا النقد الحاد وليس وطنية أو غير إسلامية، وإلا فهو أكثر إجرأاً بحق السنة من غيره!

أما شيوخ عشائر الجنوب (إخوة العروبة) فلم تتحرك نخوتهم تجاه إخوتهم عشائر الحويجة، سوى ما كان من بيان «التجمع الوطني الموحد لعشائر الجنوب والفرات الأوسط» وهو تجمع ليس له تأثير أو نفوذ في الوسط الشيعي.

أما حكومة المالكي فقد بلغ خبثها ومكرها أن استغلت مقتل خمسة جنود عراقيين قرب مدينة الفلوجة بعد أربعة أيام من المجزرة، لتقيم لهم مناحة تغطي بها على مجزرة الحويجة التي ذهب ضحيتها قرابة ٢٠٠ شخص بين جريح وقتيل، ولتبرز الحكومة على طاولة الإعلام قصة الجنود الخمسة، وحتى تسحب الحكومة بساط مجزرة الحويجة شرعت بالتهديد والحشد العسكري والطائفي، فأغلقت عشر قنوات فضائية عربية وعراقية، وأغلقت الحدود بين الأردن والأنبار، ومن حشد الجيش تمهيدا لهجوم مرتقب.

هذه الحوادث السالفة غيرت مجرى مطالب الحراك السلمية إلى سيناريو أشبه ما يكون بالتحشيد العسكري، والسنة لا يريدون الدخول في الخيار العسكري إلا إذا فرض عليهم؛ لأنّ جاهزيتهم غير كاملة، كما أن حادثة الحويجة كشفت عن الضعف الواضح في الصف السني، هذا الضعف الذي لم يكن وليد الحراك بل إن الحراك جاء لينقذ السنة من هذا الضعف والخضوع للمالكي وشراء ذممهم بالمال والسلطة.

مخطط حكومة المالكي لشراء ذمم السنة

العرب:

لا بد من الرجوع إلى الوراء قليلاً لمعرفة مخططات الشيعة والمالكي تحديداً، فلقد عمل الشيعة منذ سنة

٢٠٠٨ تقريباً على مشروع شاركت به المخابرات السورية (تبعاً للمخابرات الإيرانية) لشراء ذمم شيوخ عشائر الأنبار وغيرهم، وكان عزت الشانندر^(١) القائم بهذا الدور في سوريا؛ وذلك بعد انفضاح زيارات بعض رؤساء العشائر لإيران سنة ٢٠١٠، ومسلسل شراء ذمم السنة، بدءاً من شيوخ العشائر وصولاً إلى شيوخ التيار السلفي الجهادي أمثال مهدي الصميدعي، وشراء ذمم قيادات من الصحوات ومستشاريها، فضلاً عن صلات عميقة مع الحزب الإسلامي.

كما برزت فكرة تشطير المناطق السنية وإيجاد كاتنونات شيعية فيها على غرار ما يفعله اليهود في فلسطين بزرعها بالمستوطنات، فقد كان مقررًا ضم منطقة النخيب لمحافظة كربلاء، وفصل محيط بغداد عن بغداد لأنه محيط سني، وتقسيم محافظة نينوى إلى محافظات منها محافظة شيعية، وإيجاد محافظة سامراء المقدسة الشيعية، كما أن المناطق السنية شهدت زرع مراكز ومقرات لحزب الدعوة، وتم شراء ذمم العديد من قيادات القائمة العراقية.

كل هذه الأمور كانت تسير بهدوء مخطط له، فجاء الحراك فقلب الطاولة وأفشل هذه المخططات؛ لذلك فإن في داخل التيار السني وداخل الحراك شخصيات سنية كثيرة تم شراء ذممها تنتظر الإشارة في أي لحظة لمساندة المالكي، وإن كانوا في الظاهر يؤيدون الحراك، وينادون بسقوط المالكي.

تداعيات مجزرة الحويجة:

كشفت مجزرة الحويجة عن أشياء كثيرة للتيار السني، فقد كشفت جزءاً من تحركات هذا التيار

(١) عزت حسن علي الشانندر من مواليد ١٩٥٠، سياسي عراقي شيعي، يصنف على أنه من شيعة أميركا، وزعيم حركة المسلمين العقائديين التي اتحدت بعد انشقاقها عن حزب الدعوة عام ١٩٧٥، وكان من أكبر اهتماماتهم رصد أخطاء وممارسات حزب الدعوة وفضحها والتشهير بزعامات الحزب، في الثمانينات دعمته المخابرات الليبية، تنقل بين سوريا والأردن وإيران، ترأس جريدة (البديل الإسلامي) الناطقة باسم جند الإمام في سوريا. كان ضمن المجموعة التي التقت - في حزيران ١٩٩١ في واشنطن بـ (جيمس بيكر) وزير الخارجية الأمريكي و(جون كيلي) مسؤول ملف العراق في الخارجية الأمريكية، والتي قدمت وثيقة مظلومية الشيعة وأن شيعة العراق يختلفون عن شيعة إيران، برفضهم لولاية الفقيه، والوثيقة تؤسس لتحالف شيعي أمريكي مهدت لغزو العراق واحتلاله.

المتواطئ مع المالكى؛ إذ بدأ هذا التيار بالمناداة برفع خيم المعتصمين ومفاوضة المالكى، وفض الاعتصامات، فبعد يوم من المجزرة أصبحت ساحات الموصل خاوية من المواطنين، مما يعني أن الحراك في الموصل يقف على أرضية هشة مهزوزة يجب إعادة النظر بها.

كما ظهر تصدّع في مواقف بعض العشائر في الأنبار وصالح الدين بل حتى في كركوك (الحويجة) وأخذ بعضها يميل إلى التفاوض وفض الاعتصامات وأصبحت أصواته تملأ هنا وهناك.

وتبين أنه ليس هناك إجماع عشائري له رغبة بالمواجهة، بل يوجد شخصيات أو عوائل في داخل تلك العشائر هي من لها الرغبة في المواجهة؛ لأن العشيرة لم تعد تملك أبناءها كما كانت الأمور قبل عشرات السنين.

وبرز في هذه الأزمة دور جماعة الطريقة النقشبندية والبعثية وهو دور سلبي غير جيد، فقد توسعت تحركاتهم العسكرية بعد مجزرة الحويجة بطريقة القاعدة القديمة؛ يوم أن كانت تتبنى الهجوم على مناطق شيعية وتنجح في إيقاع خسائر كبيرة بالشيعية، ثم حين تغادر القاعدة المناطق السنية وتتركها ساحات مفتوحة أمام الشيعة للقتل والحبس والتككيل ومن ثم السيطرة عليها من قبل الشيعة، هكذا فعلوا بعد مجزرة الحويجة في عدة مناطق.

وأهداف هؤلاء هي أهداف حزب البعث (إن لم يكن الفصل تابعا للحزب أصلاً) وهو الرجوع بالأمور في العراق إلى الصفر (المعادلة الصفرية)؛ يريدون إسقاط العملية السياسية الموجودة والرجوع إلى المربع الأول بالعراق وهذا حلم جميل لو كان هناك قدرة على تطبيقه، إذ ليس للعراقيين السنة قدرة على ذلك ولكنها أحلام البعثيين التي يشاركونهم فيها هيئة علماء المسلمين، وبعض الوطنيين وبعض من تسنّم منزلة الإفتاء في العراق وهو لا يفقه من الواقع إلا القليل.

تطورات الجمع بعد مجزرة الحويجة:

في ٢٠١٣/٤/٢٦ كانت (جمعة حرق المطالب) كرد فعل على مجزرة الحويجة، لكن يوم السبت ٢٠١٣/٤/٢٧ وقع مقتل الجنود الخمسة قرب الفلوجة، ليستعيد المالكى وزبانيته زمام المبادرة ليغطي بها على الجريمة

الأولى ألا وهي مجزرة الحويجة.

وبدا الموقف الأمريكي باردا تجاه مذبحة الحويجة وحامياً تجاه مقتل الجنود، فقد أصدرت وزارة الخارجية تصريحاً جاء فيه: «نحن نأسف للأرواح التي أزهقت في العراق خلال الأسبوع الماضي، كما ندين الهجوم البشع الذي وقع على خمسة من الجنود العراقيين العزل في مدينة الرمادي في وقت سابق من أمس السبت»، معتبرة «عدم وجود مبررات لارتكاب مثل هذه الجريمة» وأبدت السفارة الأمريكية ترحيبها بـ«الدعوات التي ينادي بها الزعماء في محافظة الأنبار لتقديم مرتكبي هذه الجريمة إلى العدالة في أقرب وقت ممكن»، مشددة على وقوفها بـ«حزم إلى جانب الشعب العراقي الذي يسعى إلى العيش في سلام بعد عقود عديدة من الحرب».

وسبب هذا الموقف هو أن سياسة أمريكا (أوباما) لا تريد التدخل في هذه المرحلة لا في سوريا ولا في العراق ولا في غيرها من البلاد، بينما تريد إيران جرّ أمريكا إلى معركة أخرى للتخفيف عن معركة سوريا، وللدخل في المفاوضات معها كورقة لصالح إيران، بل حتى الموقف الأمريكي الأخير من الموافقة الأولية لتزويد المعارضة السورية بالسلاح يجب أن يفهم في هذا السياق إذ سببه تحقيق موقف على الأرض لصالح الثوار السوريين حتى تحصل أمريكا على أوراق ضد روسيا في المفاوضات المرتقبة بين الرئيسين بوتين وأوباما في شهر حزيران/يونيو القادم.

في ذات الوقت صعد المالكى من لهجة التصعيد فقد أمر بتحشيد جيوش كبيرة في الأنبار، قسم منها هي ميليشيات جيش المهدي وعصائب أهل الحق وجيش المختار (واثق البطاط) الذين ارتدوا زي الجيش والشرطة للتحضير لهجوم على المعتصمين في الأنبار، مع تحريك عدة قطعات للجيش الحقيقي داخل الأنبار في مناطق (صحراء النخيب) إلى مناطق كبيسة والرطبة، كما تم تحريك قطعات للجيش متمركزة داخل الأنبار في منطقة البغدادي، مع قرار إغلاق الحدود مع الأردن يوم الأربعاء ٢٠١٣/٥/١ والذي سبقه بأيام (٢٠١٣/٤/٢٨) إغلاق عشر قنوات فضائية ووصفها بالطائفية مع حملة دعائية إعلانية ورصد آلاف الدولارات لمن يلقي القبض على مرتكبي جريمة قتل الجنود الخمسة. وجرى اتهام مجموعة من قيادات الحراك بهذه

الجريمة مثل سعيد لايف وقصي الزين وغيرهما، وتسريب أخبار عن محاولات لقتل قيادات في الحراك مثل أحمد أبو ريشة وعلي الحاتم والدكتور النائب أحمد العلواني وغيرهم، كل ذلك كان مقصوداً لإدخال الرعب بالشائعات تمهيداً لمعركة مهمة تنهي جميع الاعتصامات السنوية في العراق، وكانت طبول المعركة تدق، إلا أن شيئاً لم يحدث؛ بينما بدأ المالكي بالتنازل الواضح لمطالب الأكراد بعد أن شعر أن مواجهته مع السنة العرب لا بد لنجاحها من تحييد الأكراد، وفعل ما كان قد رفضه عدة مرات وشكّل خطأً أحمرًا بالنسبة له.

في يوم الجمعة ٢٠١٣/٥/٢ كان رهان الحكومة على جمعة ضعيفة مهزوزة إلا أن الواقع كان مخالفاً لذلك فقد كانت من أسخن الجمع وسميت (جمعة الخيارات المفتوحة) وكسب محتجو العرب السنة رهان إدانة الزخم الشعبي عندما تمكنوا من حشد مئات الآلاف في بغداد وخمس محافظات سنوية أخرى متحدّين حكومة نوري المالكي التي عوّلت، من خلال إجراءات التضييق والقمع والحرب النفسية، على إضعاف الحراك السلمي للاحتجاجات المستمرة منذ أكثر من أربعة أشهر.

ومع أن قادة الاعتصامات تركوا الباب موارباً أمام الحكومة لحل أو تسوية تتيح تنفيذ المطالب السنوية، إلا أنهم وضعوا المالكي ومن خلفه التحالف الشيعي الحاكم، أمام أربعة خيارات:

الأول: استبدال المالكي لأن الاعتقاد بوجود أمل في المالكي هو ضياع وقت وهلاك.

الثاني: أن نحكم أنفسنا بأنفسنا وهو ما يدعى بالأقاليم وهذا مما يحافظ على وحدة العراق.

الثالث: تقسيم العراق وهذا مرفوض من الجميع.

الرابع: المواجهة المسلحة بين السنة والشيعية (الحكومة).

والخياران الأخيران مرفوضان وإنما طرحا للتعجيز، وكأن هذه الخيارات طُرحت من أجل اختيار الخيار الثاني وهو الفيدرالية مما أعاد الصراع القديم الجديد حول الفيدرالية يقود الرافضين لها البعثيون وهيئة علماء المسلمين وبعض رؤساء العشائر، هذا الصراع الذي حرص المعتصمون (أهل السنة) على عدم إثارته لأربعة شهور، لكنه اليوم يطرح كخيار لجمع من أهل السنة

لأنهم لا يجدون أفقا أو ضوءاً في آخر النفق.

وقد كان السنة تلقوا وعوداً معسولة من قبل الأكراد بالدعم، بعد عدة اجتماعات بين فصائل مسلحة والإخوان المسلمين وبعض الوطنيين والأكراد لتشكيل مرجعية سنوية تنادي بالفيدرالية لمناطق السنة العرب، وكان الأكراد قد طالبوا العرب السنة بتقديم عدة تنازلات مقابل دعمهم، ولم ينته الأمر إلى شيء.

تحليل الوضع في العراق:

الوضع في العراق محكوم بالدرجة الأولى بوضع المنطقة، فالكيانات الشيعية موجّهة ومسيطر عليها من قبل إيران، وهي قد أخذت النصيب الأكبر من السيطرة على العراق عقب الانسحاب الأمريكي منه، والثورة في سوريا أول تأثير لها كان هو تأجيج الحراك في العراق وهو أمر حصل بشكل عفوي.

القوى الدولية ومنها أمريكا لا تريد إثارة إيران في العراق ولا تريد فتح الملف العراقي إلا بعد نهاية الملف السوري، وقد وافقها على هذا الرأي الدول العربية، لا سيما دول الخليج. لذلك لم تتفاعل الدول العربية بقوة مع الحراك العراقي خلال الشهور الأربعة السالفة، ولم تستغلّه، وكما ضيعوا صدام حسين سابقاً يضيعون الآن قوة بشرية قوية داخل العراق إلا وهي القوة السنوية التي بكل ما أوتيت من طاقات تصبّ في صالحهم، وربما كانت تركيا أكثر وعياً لدور العراق في أمنها القومي التركي.

الصراعات داخل المكونات السنوية متعددة؛ منها صراع مصالح ومنها صراع أفكار، ولا توجد جهة مرشحة لجمع أهل السنة على مشتركات الحد الأدنى لهم.

ويبدو أن الأمور مقبلة عاجلاً أم آجلاً إلى صراع مسلح، ولابد لأهل السنة من إعداد العدة العسكرية الحقيقية، ويبدو أن الفصائل المسلحة التي واجهت الأمريكان ليس لها القدرة السابقة ولا البيئة ولا الحاضنة السنوية العربية مهيئة الآن مثل أيام الاحتلال الأمريكي. والجهات المتطرفة أكثر جهوزية وأخشى ما نخشاه أن تكون الجهات المتطرفة هي الخيار الأكثر حضوراً من خيار المقاومة المعتدلة، وكما قيل: إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً

فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وفي ذات الوقت فإن التيارات الدينية كالإخوان والسلفيين، لا يزالون على حالهم، فالأول يتبع مصالح حزبه؛ شأنه شأن حزب البعث مع الأسف، والثاني غارق في تشرذمه، والتيار العلمائي موجّه من قبل الهيئة وحزب البعث، والفصائل المسلحة في تركيا تخطط وتغرد خارج السرب بحثاً عن استحقاقاتهم الخاصة (وهي ثمرات قتال الأمريكان) والقائمة العراقية مشرذمة.

مع كل ذلك فإن الحراك أبرز شخصيات سنية جيدة، وهناك وعي جيد لمصالح السنة، والسنة في نظر عدوهم الشيعة وإيران، لا يزالون يمثلون ثقلًا ورقماً صعباً وما تنازل المالكي للأكراد إلا دليل على ما نقول، ولابد لأهل السنة من الاستعداد العسكري وإبراز جانب القوة؛ ولا نقصد القوة العسكرية ولكن قوة الاتحاد ولو بالظاهر وعدم الاختلاف المعلن وكشف تيارات النفاق، والتوجه وعدم اليأس من الدول العربية والإسلامية لطرح القضية العراقية وعدم تخوين بعضهم البعض. وعدم اليأس كذلك من الأكراد فإن كسب الأكراد مطلوب على كل عيوبهم، وطرحهم من المعادلة خطأ، كما أن استغلال ما يجري في سوريا أمر مهم.

ثورة السنة في العراق..

سلمية "تموت" والبندقية تنتفض

معترز بالله محمد^(٥) - خاص بالراصد

مثلت المذبحة التي ارتكبتها جيش المالكي في ساحة اعتصام الحويجة بمحافظة كركوك العراقية، نقطة تحول في تاريخ الكفاح السني ضد الحكم الطائفي الذي يحكم قبضته على البلاد منذ مجيء الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣.

فتلك المذبحة التي أوقعت أكثر من ٦٠ متظاهراً سلمياً عراقياً وعشرات المصابين، لم تأت اعتباطاً أو كخطأ استراتيجي من قبل قادة جيش المالكي، بل تم الترتيب لها جيداً، بعد أن اشتعلت المحافظات السنية

(٥) كاتب مصري.

بالمظاهرات المطالبة برحيل رئيس الوزراء نوري المالكي والكف عن تهميش السنة وإقصائهم تحت مزاعم اجتثاث البعث ومكافحة الإرهاب.

فجاء اقتحام ساحة الاعتصام بنفس طائفي بحت،

ويظهر فيديو تم تسريبه حديثاً ذلك الوجه المقيت لطائفية جنود المالكي، وهم يركلون وجه أحد المعتصمين السنة بعدما أردوه قتيلاً.

اعتراف وتهديد

وللحديث عن تبعات تلك المذبحة يجب تتبع مسارها وتحديد كافة الأطراف الضالعة في تنفيذها، ففي البداية تحدثت مصادر سنية عراقية عن مشاركة فيلق القدس الإيراني في أحداث الحويجة، الأمر الذي نفتته حكومة المالكي جملة وتفصيلاً، فجاء اعتراف إيران بالمشاركة في أول عملية للحرس الثوري الإيراني في منطقة كركوك بالعراق، ونقلت صحيفة «أخبار روز» الإيرانية عن العميد ناصر شعباني «أن الحرس الثوري الإيراني نفذ في الأسبوع الماضي أول عملية أمنية له في العراق بالاشتراك مع الجيش العراقي منذ إعلان الثورة الإسلامية والإطاحة بنظام الشاه في إيران»، مهدداً بأن هذه العملية لن تكون الأخيرة، بل إنها قد تكون بداية لتعاون أمني عسكري إيراني عراقي.

مضيفاً «أن العملية الأمنية التي استهدفت ساحة يتجمع فيها المئات من المتمردين الوهابيين في إحدى مدن كركوك نجحت في القضاء على إحدى أهم نقاط قوة المتمردين».

ويحمل هذا الاعتراف في طياته تهديداً إيرانياً خطيراً، فكما أن «حزب الله» اللبناني لم يعد يجد غضاضة في الاعتراف بالمشاركة في المعارك الدائرة بحمص السورية، فإن طهران هي الأخرى أرادت توجيه رسالة مهمة للسنة من خلال الاعتراف الوقح والذي قد يثير دهشة البعض بالضلوع في قتل العراقيين.

رسالة إيرانية

الرسالة مفادها أن حكم الملالي في طهران لن يسمح بأي حال بالقضاء على مشروعه الطائفي في العراق ولن يسمح بخسارة مكتسبات المشروع الشيعي، وصعود الشيعة إلى سدة الحكم، واتخاذ العراق منطلقاً للتمدد نحو باقي الأقطار العربية.

سيناريو التقسيم

لذلك سوف تدفع إيران بمليشياتها من جيش المهدي وأخواته، أو تتدخل بشكل مباشر كما حدث في الحويجة لإبادة أهل السنة وإعادة أجواء الحرب الطائفية التي شهدتها البلاد بين عامي 2006-2007م، وسوف يتم ذلك من خلال ارتكاب مجازر جديدة ضد المعتصمين في ساحات الاعتصام بست محافظات عراقية ينتفض فيها أهل السنة، وكذلك من خلال استهداف مساجد السنة، وهو ما يحدث حالياً، أو إعادة عمليات القتل على الهوية واختطاف العراقيين السنة وتعذيبهم وظهور ألف مجرم طائفي على شاكلة «أبو درع».

وتخطط إيران لتكون الحرب الطائفية مقدمة نحو تقسيم العراق وإقامة دولة شيعية كبيرة تضم محافظات النجف وكربلاء وميسان وذي قار والديوانية وواسط والبصرة وبابل والقادسية وقسم الرصافة من العاصمة بغداد بعد سقوط الأسد في سوريا، وهو ما كشفه مصدر رفيع في حزب «العدالة والتنمية» الإسلامي التركي، في حديث لصحيفة «السياسة» الكويتية، حيث أكد أن عددا من القيادات الإيرانية اقترحت على التحالف الشيعي، الذي يقود الحكومة العراقية برئاسة المالكي، إقامة تلك الدولة، وذلك لقناعة طهران والمالكي معا أن سقوط الأسد سيؤدي إلى قيام تحالف إقليمي قوي، يضم تركيا ومصر ودول الخليج العربي والأردن، والحكم الجديد في سوريا، لدعم السنة في العراق والعمل على إعادة ترتيب الأوراق بعد الإطاحة بالحكم الشيعي في بغداد.

وأكد المصدر التركي أن «المارشدة الأعلى» الإيرانية علي خامنئي وقيادات إيرانية رفيعة، تعتقد أن قيام دولة شيعية قوية في العراق أفضل بكثير من حكم شيعي ضعيف على كل العراق، سرعان ما يسقط هو الآخر بعد سقوط الأسد، وأنه من الأجدي إنشاء دولة قوية للشيعية، تحصل على ما يتجاوز الـ ٧٠٪ من الثروة النفطية في العراق.

كذلك باتت طهران على قناعة تامة بأنها مضطرة لتحسين نفسها مما باتت تسميه بـ «المد الإسلامي السني» في المنطقة، والذي رسخ له ربيع الثورات العربية.

وفي حين يرى محللون أن إيران التي تحارب قواؤها إلى جانب قوات الأسد في سوريا، قد تضحي بحليفها في دمشق ذات يوم، فإنهم يؤكدون أنه من المستحيل أن تقبل بسقوط حلفائها الشيعة في العراق، وذلك انطلاقاً من عدة أسباب، على رأسها الأهمية الاستراتيجية التي توليها طهران للعراق، باعتبارها قاعدة انطلاق نحو التهام بقية منطقة الخليج، فطهران لم تستطع تركيع بغداد بالقوة العسكرية، خلال حرب الثماني سنوات ١٩٨٠-١٩٨٨م، ووقفت بلاد الرافدين حجر عثرة أمام ما يعرف بتصدير الثورة الإيرانية، إلى أن تمكنت إيران من تحقيق أطماعها الاستعمارية عبر الاحتلال الأمريكي للعراق فقدمت الدعم اللازم لواشنطن وهو ما اعترف به من قبل الرئيس الإيراني أحمددي نجاد، ورئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام هاشمي رفسنجاني، ونائب رئيس إيران السابق محمد علي أبطحي .

وتدرك طهران كذلك أن بفقدانها المؤكد لحليفها السوري، ستكون قد خسرت أحد أهم ركائز مشروعها في المنطقة، وانقطعت همزة الوصل بينها وبين حزب الله اللبناني، الذي يعتبر الإيرانيون وجوده انتصار للثورة الخمينية في الخارج، ومن ثم، فإن التضحية بنظام الأسد ستمثل زلزالاً قوياً في طهران، وانتكاسة شديدة للمشروع الشيعي، الأمر الذي يجعل من خسارة العراق أيضاً أمراً غير مقبول بالمرّة بالنسبة لإيران، التي استطاعت بعد قرون طويلة من التربص والأحقاد التاريخية للعراقيين والعرب، الذين قضوا على الامبراطورية الفارسية المجوسية، أن تأخذ العراق على طبق من ذهب.

الأحواز

وبخلاف ذلك فإن نجاح الثورة العراقية سوف يتبعه بالتأكيد وصول هذا المد الثوري إلى داخل إيران نفسها، في مناطق الأحواز العربية التي تحتلها الدولة الصفوية والتي تقطنها غالبية من العرب السنة.

وما يؤكد تلك الفرضية ما لاقته الثورة العراقية من ترحيب من قبل الحركة الوطنية الأحوازية التي فقدت عمقها الاستراتيجي المتمثل بالعراق، بعد هيمنة إيران على بلاد الرافدين، وملاحقة المخابرات الإيرانية للنشطاء الأحوازيين داخل العراق، وقتلهم بأبشع الطرق وإلقاء جثثهم في نهر دجلة.

ضروس بين السنة وأجهزة المالكي ومليشياته الأمنية، وسط تأكيدات على أن الإطاحة برئيس الوزراء بات مطلباً لا يمكن التراجع عنه بالنسبة للمعتصمين من أهل السنة، في وقت تلتزم فيه المراجع الشيعية وعلى رأسها «علي السيستاني» الصمت، باستثناء دعوات تطلق على استحياء منادية بضرورة الحوار، ونبذ ما يسميه الشيعة عنف المعتصمين

الإنتاج الفكري العراقي في مواجهة التشيع (٢)

سعيد بن حازم السويدي^(١) - خاص بالرائد

تتاولنا في الجزء الأول أهمية الموضوع لاسيما في هذه الفترة ثم افتتحنا البحث بآثار ومؤلفات علامة العراق أبي المعالي الألويسي وتلميذه الأستاذ الأثري، واليوم نتوقف عند عَلمين من أعلام الموصل لننظر في مساهماتهم:

٣- محمود الملاح ... العلامة اللغوي والشاعر الأديب

ولد في الموصل سنة ١٨٩١م، ولازم شيخه العلامة عبد الله النعمة، أبرز علماء السلفية في العراق، والملاح من الأعلام البارزين في العراق، وإنما أحببنا تسليط بعض الضوء على إنتاجه المتميز ودوره الفريد وجهاده الفكري المستمر حتى وفاته عام ١٩٦٩م رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة، فبرغم مكانته المتميزة بين الأدباء والشعراء وأهل اللغة، لكن الناظر في مؤلفاته المطبوعة يجد أنه تفوق أيضاً على كثير من علماء الدين وأهل الاختصاص بالمعارف الشرعية لاسيما في مجال التصدي للتشيع والفرق المنحرفة كالقاديانية والبهائية.

قومية الملاح: كان الملاح من رموز الاتجاه العربي الذي يجمع بين الدين والقومية، غير أنه نبذ طريقة القوميين التقليديين في جمع الأمة وتوحيد صفوفها دون أي اعتبار لخطر الوجود الشيعي بخرافاته وجهالاته وخياناته، لذا رأى الملاح أنه لا بد من محاربة الأفكار الدخيلة والغزو الثقافي والدس في كتب الاعتقاد والتاريخ

(♦) كاتب عراقي.

ولم يكن من الممكن بحال أن يقف السنة مكتوفي الأيدي إزاء تلك التطورات الخطيرة منتظرين الذبح تحت المقاصل الصفوية، فكان أن بدأت العشائر في المحافظات السنية الثائرة تشكيل جيش لمواجهة وحوش الطائفية، حيث أعلن قادة المعتصمين في خمس محافظات عراقية بينها الأنبار وصلاح الدين ونيوى عن تشكيل جيش أطلقوا عليه تسمية (جيش العزة والكرامة) للدفاع عن النفس والوقوف أمام أي «اعتداء» من الجيش النظامي.

وقد أعلن عن تشكيل النواة الأولى لهذا الجيش في محافظة الأنبار غرب العراق، وأوضح الشيخ سعيد اللالفي، أحد المتحدثين باسم ساحة الاعتصام في الأنبار، أن السنة قرروا تشكيل «جيش العزة والكرامة» للحفاظ على أمنهم، وقال: إن «الجيش مكون من ١٠٠ فرد من كل عشيرة للدفاع عن الأنبار... وملاذ آمن لأهل السنة من أي مكروه»، داعياً أفراد الشرطة والجيش من السنة، إلى الانضمام لصفوف جيش العزة والكرامة، فيما هنا الشيخ عبد الملك السعدي أبرز علماء العراق «المجاهدين»، بإعلان تشكيل الجيش.

المقاومة حاضرة

وفي حين أعلنت فصائل المقاومة الإسلامية في السابق، قبل أربعة شهور، إثر اندلاع الاحتجاجات في المحافظات السنية، أنها مع سلمية الثورة العراقية، وأن دورها سوف ينحصر في حماية ساحات الاعتصام، والتصدي لأية محاولة لاقتحامها من قبل جيش المالكي، تؤكد المصادر أن فصائل المقاومة - التي كانت تقاتل المحتل الأمريكي - تقوم حالياً بتجهيز الجيش الجديد، والتخطيط لعملياته، بعدما لفظت «سلمية» الثورة العراقية أنفاسها الأخيرة، بعد مذبحه الحويجة.

انفجار وشيك

وتبقى الأمور مرشحة للانفجار خلال الأيام القليلة القادمة، حيث بات من المرجح أن المالكي - الذي استغل هذه الأحداث لتزوير انتخابات مجالس المحافظات لصالح الأحزاب الشيعية - سوف يقدم على ارتكاب حماقة جديدة بتعليمات من طهران، ستكون بلا شك حماقته الأخيرة، قبل أن يتحول العراق إلى كتلة لهب، وحرب

والأدب حتى يسلم للعرب تاريخهم وتراثهم بعيداً عن الدس الشعوبي والتدليس الشيعي، يقول الملاح: (إن اجتماع الأمة على ثقافة واحدة هو جُلّ مطلوبي وإن فاتتها السياسة الواحدة (والتي عليها مدار دندنة القوميين) لأن الأمة إذا حملت روحاً واحدة لا يضرها أن يحمل ساستها أرواحاً مختلفة، والوحدة إنما تتحقق بفهم الحقائق على وجهها، ومهما وقفت العوائق في سبيل الحقائق فسوف يكب العوائق على وجهها إيراد الحقائق على وجهها. وإيراد الحقائق على وجهها موقوف على الجرأة والصراحة والتجرد من العصبية الحمقاء والتخلي عن المطالع والتضحية ببعض المنافع^(١)).

من هنا تميز الإنتاج الفكري للأستاذ الملاح حيث كان قلمه سيفاً فريداً ووحيداً في مواجهة التشيع، لأن التيار الديني في العراق والعالم الإسلامي كان في غالبه يسير في اتجاه (التقريب والتقارب مع الشيعة)، بحجة التصدي لأفكار الإلحاد والشيوعية، وهو ما دعاهم بشكل أو بآخر إلى التقارب مع الشيعة^(٢) بغية توحيد الصف وحماية المجتمع من الغزو الفكري الهدام. وكان رحمه الله واسع الاطلاع على كتب الشيعة، شديد المتابعة لكل ما يصدر عنهم من رسائل ومؤلفات وأخبار وتحركات ونشاطات، وفي الوقت ذاته كان متابعاً لما يصدر عن السنة المتساهلين الذين نعتهم بـ(المائعين)، فهو يرصد الغزو الشيعي من جهة، والتراجع والتخاذل السني من جهة أخرى، وهذا مما دفعه للوقوف بحزم والمربطة على هذا الثغر لإيقاظ الغافلين وتببيه الجاهلين من أبناء وطنه وأمته، ومن أهم مؤلفاته في هذا الشأن:

- ١- الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد.
- ٢- الرزية في القصيدة الأزرية.
- ٣- تحذير المسلمين من المتلاعبين بالدين.
- ٤- حجة الخالصي: مناقشة الخالصي في بعض

(١) الوجيز، ص ٤.

(٢) يراجع ما كتب عن نشاط الإخوان المسلمين في تلك الفترة: الإخوان المسلمون في العراق لمحسن عبد الحميد، الإخوان المسلمون في العراق لإيمان عبد الحميد الدباغ، صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق لمحمد محمود الصواف، أمجد الزهاوي: عالم العالم الإسلامي لكاظم أحمد المشايخي.

آرائه.

- ٥- تعليقات وحواشي على كتاب ابن سينا.
 - ٦- تشريح شرح نهج البلاغة.
 - ٧- حقائق ودقائق في مقدمة ابن خلدون.
 - ٨- البابية والبهائية.
 - ٩- الآراء الصريحة لبناء قومية صحيحة.
 - ١٠- تاريخنا القومي بين السلب والإيجاب.
 - ١١- المجيز على الوجيز.
 - ١٢- نظرة ثانية على مقدمة ابن خلدون.
- وللملاح رسائل لم تنشر بعد، بالإضافة إلى مقالاته في صحيفة السجل، وصحيفة الفتح، فضلاً عن رسائله وتعليقاته التي عزم على إخراجها ولم تصلنا.
- منهجه:** يلاحظ على آثار الملاح ومؤلفاته ما يلي:
- ١- قوة العبارة ومتانة الألفاظ وجودتها، فهي اللاتئة به كأديب وشاعر ومحقق لغوي، وباحث واسع الاطلاع والنظر.
 - ٢- اللغة والتعبير الساخرة التي يعتمد عليها للنيل من خصمه وفضحه والتعريض بمخازيه وتناقضه وتهافت حُججه وسقوط شبهاته، فالقارئ للملاح لا بد له من إلمام جيد بموضوع الخلاف بين المسلمين والشيعة حتى يتسنى له فهم مراد الملاح ومقصده من بعض المفردات والمفاهيم التي تختزل علماً كثيراً وخبرة واسعة.
 - ٣- شمولية الطرح: فردود الملاح تحيط بالموضوع من كافه جوانبه النظرية والواقعية، الدينية والسياسية والتاريخية.
 - ٤- سعة الاطلاع: فمن يطالع فيما دونه الملاح يجد بين يديه مكتبة من المؤلفات والرسائل الشيعية والسنية (القديمة والمعاصرة) التي نظر فيها الملاح ونقل منها أو علّق على بعض ما فيها أو نقد شيئاً من أفكارها.
- فالملاح ليس مجرد مثقف عروبي جرّد قلمه للدفاع عن دينه وتراث أمته، وإنما هو بحاثه محقق وخبير مدقق لا يقل شأنه عن ذوي الاختصاص والمعرفة بعلوم الشريعة ومسائل الدين ومباحثه الدقيقة، وعباراته تدل على خبرته وعمق معرفته بمكائد الشيعة ودهاليزهم في الالتفاف والخداع والدس والتسلل.

يقول الملاح: (إن العالم الشيعي مهما كَبُر لا يخرج عن دائرة الروزخون في تفكيره)^(١)، والروزخون: هو خطيب ما يعرف بالمنبر الحسيني الذي يقرأ رواية مقتل الحسين ويستعرض المظالم المزعومة التي تعرض لها أهل البيت ليهيج عاطفة الجبهة العوام.

ويقول أيضاً: (كنت أظن ابن مطهر على شيء من دقة النظر لما بلغني أنه كان يصارع ابن تيمية في ميدان المناظرة فلما وقفت على طرز كتابه هذا (إثبات الوصية) تبين لي أن بعض الحجا مقتطع من الحجارة (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء).. ولا عجب من شيعي أن يكون أديباً وشاعراً لأن الأدب والشعر سمة للشيعية لترجيحهم جانب العاطفة في التشئة الأولى)^(٢).

الملاح ومقاومة الغزو الفكري الشيعي

تكشف جهود الملاح المتميزة عن بُعد نظر وحسن إدراك ووعي للمشكلة، لكنه وعي جاء متأخراً، حيث يقول: «وجدنا ذلك (يعني سب الصحابة والتعريض بدمهم) في جريدة كانت تصدر في العراق قبل عشر سنين لشيعي أبوه مجتهد كبير، ومن هنا تعلم إن «التحرش» (يعني الهجوم الشيعي) قديم ولم ننتبه له إلا بعد أن طمي السيل»^(٣).

كان الملاح يتابع كل خبر أو مقال أو كتاب يصدر حول الفرق والنحل لاسيما التشيع فيرصد ما يكتبه الفريقان (السنة والشيعية) ثم يدون تعليقه إما بمقال أو مصنف صغير أو رد وافي، وكانت جريدة السجل لصاحبها الأستاذ الفاضل طه الفياض العاني رحمه الله هي الساحة الأولى التي يستعرض فيها الملاح إبداعه الفكري وتميزه ودقة نظره وعمق تجربته.

حرص الملاح على إيصال رسالته إلى كافة مكونات المجتمع الإسلامي على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية، كالأزهريين والصوفيين والعلمانيين؛ فقد أورد مناقشة جرت بينه وبين أحد الصوفية في كتابه «المجيز على الوجيز»، كما حذر من خطورة «دار التقريب» في القاهرة محذراً الأزهريين وعلماء مصر من عواقب بقائها.

(١) المجيز على الوجيز، ص ١٠٥، هامش.

(٢) الرزية في القصيدة الأزرية ص ٧٩.

(٣) المجيز على الوجيز، ص ٨٤ هامش ١.

كما كتب مخاطباً حكام تركيا العلمانيين قائلاً: (ولا يزال في تركيا اليوم رواسب باطنية برغم الانقلاب الكمالي، ونسمع عن بعضهم أشياء ربما كانت الحكومة التركية غافلة عنها باعتبارها علمانية! ونرى من مصلحة الحكومة التركية أن تفتح أعينها برغم علمانياتها، وأن تتوطد التهذيب الديني بعلماء مدركين كيلا يكون لتسويات الباطنية منافذ في الشعب التركي العزيز، فقد بلغنا أن في تركيا اليوم مشعوذاً معلوماً يروج بين الطبقة الغافلة (صاف دل) سلع الباطنية البائرة، ستكون رأس رمح في المستقبل، ولا يفر الحكومة مبدأ (حرية العقيدة) إذ ليست كل عقيدة تستحق الحرية، لاسيما إذا كانت غطاء لأغراض باطنية فهي بمنزلة جمعية سرية تغذيها جمعيات سرية من قريب أو بعيد)^(٤).

التصدي لمكر التقريب المزيف

حرص الملاح في كثير من مؤلفاته على فضح محاولات التقريب التي يقوم بها الشيعة، والتي كان يرى فيها محاولات للتخدير بغية نشر الفكر الشيعي وتشويه الحقائق وطمسها.

وكان يتوجه بالنداء المحذر والنفير المتكرر إلى أعلام الأزهريين، يقول الملاح: (متى يدرك المغفلون أن هذه النجاسات (بعد أن سرد نماذج من غلو الروايات الشيعية) لا يشتغل بها قلب طاهر؟ ومتى يقنع أدعياء «الوحدة الإسلامية» أن مخازينهم قد افتضحت فلا سبيل إلى تصديق دعاويهم ولا الاستماع إلى دعاويهم؟ والإشكال ليس هنا، بل الإشكال في العمائم المتدحرجة إلى دار التخريب

قلو أن دائي من حبيب مقنع

عُذرت، ولكن من حبيب معمم فأرشدكم الله يا أمثال أبي زهرة ومحمد عرفة، فقد أصبحت عناوينكم ماركة معارة لترويج بضاعة (المغارة) فمتى تستيقظون)^(٥).

ويقول أيضاً: (من هذا الباب (يعني التقيّة) فتك (فحل التقريب) - ولعله يقصد الخالصي - في فحول أهل مصر! فمنهم من قضى نحبه كالشيخ عبد المجيد سليم

(٤) المصدر السابق، ص ١١٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٨ - ٧٩.

وعلي علوبة باشا والقلبي ومنهم من ينتظر كبعض كبار العلماء ، وسوف أتعتقبهم حتى يعلنوا براءتهم من دار التقريب^(١).

ويركز الملاح على محاولات المرجع محمد مهدي الخالصي الذي تظاهر برفض بعض البدع الشيعية وأظهر الترضي عن الشيخين ودعا إلى الوحدة والاجتماع، واغتر به بعض أهل السنة، فكان الملاح له بالمرصاد لاسيما في كتابه «الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد».

وفي بعض مؤلفاته كان الملاح ينعت الخالصي بـ (دجال مدينة الجهل)، يعني بذلك مدرسة «مدينة العلم» التي كان يرأسها في الكاظمية ببغداد، كما نعتة في بعض المواضع بـ (ابن مطهر عصره) باعتباره داعية إلى التشيع كحال ابن المطهر الحلي صاحب كتاب «منهاج الكرامة» الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم (منهاج السنة).

الملاح وتهمة «الطائفية»: عانى الملاح مما يعاني منه المتصدون للتشيع في زماننا من الاتهام بالطائفية وإثارة النعرات المفرقة، ولذلك كتب موضحاً ومبيناً: (إنما يهمننا أمر الطوائف التي لها بيننا دعاة كالاثنا عشرية والبهائية والأحمدية المنتمية إلى غلام أحمد القادياني، ولهؤلاء وسائل مأكرة قولية وعملية وتحريرية، ولذلك لا ينبغي حمل عملنا على التحرش ولا وصمنا بالطائفية؛ لأننا مدافعون والدفاع حق شريف)^(٢).

تغيب الملاح: يقول الأستاذ أحمد دهش النعيمي: (لقد غُيب الملاح كآخرين مثله نالهم ما ناله من التغيب عن الساحة الأدبية والفكرية في حياته وبعد مماته والتي وسَّعت لكثير من العراقيين، وكذلك للكثير من القادمين من المهول وكبروا باسم العراق ونالوا مباركتهم بشتى الوسائل و«ملاحنا» كان بعيداً عن كل الوسائل سوى وسيلة الصدق بالحق التي لا تروق للكثيرين فهو بعلمه ملاح سفينة قد سافر في عبابه والآخرون يجدفون في زوارق لا يتعدون المياة الضحلة قرب الساحل وشتان، وقد قيل قديماً: إن البغاث في أرضنا

يستتسر^(٣).

٤- عبد المنعم الغلامي النسابة والمؤرخ الموصلي

ولد في الموصل عام ١٨٩٩م، في أسرة عرفت بالعلم والأدب، فوالده العلامة محمد سعيد الغلامي، وأخوه الأكبر «محمد رؤوف الغلامي» من مثقفي الحركة الوطنية المناهضة للإنكليز.

كان الغلامي وأخوه «محمد رؤوف» من رموز التيار السلفي المعروف آنذاك بالإصلاحي (الذي يجمع بين الاتجاه الديني والقومي)، وقد تبنى هذا الاتجاه عدد من أعلام الموصل منهم (قاسم الشعار ومحمود الملاح ودؤد آل زيادة ونشأت المفتي وفاضل الصيدلي وضياء يونس وحسين النعلبند ورؤف الشهباني وغيرهم)^(٤). من مؤلفاته في هذا الباب: بقايا الفرق الباطنية في الموصل.

السياحة والفن والإعلام.. إيران والحرب الناعمة

أسامة الهتمي^(٥) - خاص بالرائد

على الرغم من أن قادة الدولة الإيرانية الشيعية لم يستبعدوا مطلقاً استخدام القوة الخشنة في تصدير مبادئ ثورتهم الخمينية التي وقعت عام ١٩٧٩م إلى بعض البلدان العربية والإسلامية المجاورة للدولة الإيرانية سواء كان ذلك بدعم بعض الحركات الموالية لهم أو المتعاطفة مع مبادئ هذه الثورة إلا أنه بقي أن شعار هؤلاء القادة هو «ما لا يمكن أن تحققه بالقوة يمكن أن تحققه بغيرها» فبدأ أن هذا هو النهج الأصلي والثابت لديهم خاصة وأن كل نماذج استخدام القوة الخشنة أثبتت عدم جدواها بل على العكس كان لها آثارها السلبية على إيران وما تريد أن تصدره.

فالحرب الإيرانية العراقية التي استمرت لثمانين سنوات متتالية (١٩٨٠ - ١٩٨٨م) كانت سبباً في

(٣) ديوان الملاح، جمعه: أحمد دهش النعيمي ص ١٩.

(٤) موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين للأستاذ عمر الطالب.

(٥) كاتب مصري.

(١) المصدر السابق، ص ٩٩ هامش ١.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

والعقائدي الذي ليس إلا وسيلة لتحقيق فكرة الولاء والتبعية لقيادات قم.

وتحركت الدولة الإيرانية الشيعية على مستويات عدة في حربها الناعمة للنفاذ إلى عقل وقلب المواطن العربي المسلم السني حيث حددت المستوى الذي تتحرك بشأنه وفق الظروف والملابسات السياسية التي تمر بها المنطقة فضلا عن التطورات التكنولوجية الحادثة في المعمورة فما أن حدثت ثورة الاتصالات الهائلة وأصبح بإمكان أية دولة في العالم أن تبث قنوات فضائية ناطقة بأية لغة حتى سارعت إيران إلى أن تبث عددا من القنوات الفضائية الناطقة باللغة العربية والتي تحتوي مضمونا فكريا وثقافيا ومعلوماتيا موجها للمواطن العربي وفق الرؤية والنظرة الإيرانية.

ولم تكتف إيران بذلك بل إنها أوعزت أيضا إلى الأحزاب الشيعية في بعض البلدان العربية وخاصة العراق لكي تبث قنوات فضائية تعبر عنها لنشر أفكارها التي تصب في نفس الاتجاه الذي تريده إيران.

والحقيقة أن إيران نجحت إلى حد كبير في خطتها حيث تمكنت من استقطاب قطاع عريض من المشاهدين العرب الذين وجدوا في بعض القنوات الشيعية ما لم يجدوه في غيرها من القنوات العربية التي وبكل أسف التزمت في شكلها ومضمونها وحتى سنوات قريبة بالتقاليد الغربية للإعلام فحزمت المشاهد العربي من وجود وسائل إعلامية تتوافق مع ثقافته ورؤاه إذ كان يصعب مثلا أن تشاهد مذيعة محجبة في إحدى هذه القنوات العربية.

وكان هذا النهج بمثابة دس السم في العسل حيث كانت هذه القنوات بشكلها المقبول إسلاميا أداة للنفاذ والاختراق وإثارة القضايا الكلامية والعقائدية لإفساد عقائد أهل السنة فضلا عن الترويج والدعاية للمواقف السياسية الشيعية ما كان له نتائج السيئة بعد أن ساهمت هذه القنوات في نشر التشيع في عدد من البلدان السنية ومن ذلك مثلا المملكة المغربية.

كما كان لهذه القنوات أثرها في تبني العديدين لنفس الرؤية السياسية الإيرانية فاتسعت دائرة المدافعين عن القيادة الإيرانية بعد أن أشاعت أنها النموذج الممانع الأفضل للإمبريالية الغربية وبعد أن أوهمت الجميع

اصطفاف عربي إسلامي ضد إيران بغض النظر عن صاحب الحق في القضية التي اندلعت بسببها الحرب إذ استشعر العرب أن إيران ساعية إلى إثارة التوتر والقلق في المنطقة وأن حربها مع العراق ليس إلا بداية لسلسلة من نزاعات إقليمية تنوي أن تشنها لتحقيق طموحاتها الشعبوية التوسعية والتي تستخدم فيها الإسلام ستارا لتحقيق مآربها وهو التفسير الذي أيدته سياسات إيران سواء فيما يتعلق بالجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى) أو في البحرين.

كذلك فقد كانت تجربتها الأخيرة في اليمن نموذجا يؤكد لها أن القوة ليست هي الحل وليست السبيل الأمثل لتحقيق ما تريد ، فعلى الرغم من حالة الاستياء التي سادت الشعب اليمني ضد قيادته آنذاك المتمثلة في الرئيس علي عبد الله صالح وعلى الرغم أيضا من عدم القبول التام لصالح لدى الشعوب العربية والإسلامية إلا أن الرئيس اليمني لاقى كل الدعم من شعبه ومن الشعوب العربية والإسلامية في مواجهة التمرد الحوثي عندما استشعر الجميع خطر نجاح هذا التمرد الذي لم يكن إلا شوكة أرادت إيران أن تضغط بها على بلدان الخليج عامة والمملكة العربية السعودية خاصة.

في هذا السياق فقد أدركت طهران أن القوة الناعمة هي الطريق الأفضل الذي يجب أن تسلكه ، فالقوة الناعمة ووفق التعريف الاصطلاحي لها تعني (أن يكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق ومن خلال الدعم في مجالات حقوق الإنسان والبنية التحتية والثقافة والفن مما يؤدي بالآخرين إلى احترام هذا الأسلوب والإعجاب به ثم اتباع مصادره كما يطلق هذا المصطلح على وسائل الإعلام الموجهة أو ما يسمى بالإعلام الموجه لخدمة فكر ما) ، وتعتبر القوة الناعمة من أفضل الأسلحة السياسية العسكرية إذ أنك تستطيع السيطرة على الآخرين وأن تجعلهم يتضامنون معك دون أن تفقد قدراتك العسكرية. ومن ثم فإن سلوك هذا الطريق سيوفر على إيران الكثير من التضحيات التي تقدمها في حال استخدمت القوة الخشنة ، وفي ذات الوقت فإن النتائج المتحققة جراءها ستكون أفضل بكل تأكيد سواء على المستوى السياسي وهو ربما الأهم أو على المستوى الفكري

بأنها الحصن الحصين المدافع عن المقدسات الإسلامية وخاصة المسجد الأقصى الذي يزرع تحت نير الاحتلال الصهيوني منذ عقود.

وقد أحسنت الدولة الإيرانية استغلالها لأزماتها مع الغرب بشأن برنامجها النووي فضخمت إعلاميا تدهور علاقاتها بالغرب وأنها مستهدفة كونها تقف بالمرصاد ضد الهيمنة الغربية وهو ما لمس أوتار مشاعر العرب السنة الذين يطمحون إلى قوة تقودهم لتحقيق الاستقلال خاصة وأن القوى السنية في غيبة تامة عن تحقيق مثل هذه المواجهة غير أن هذه القنوات تناسلت أو ربما تجاهلت ازدواجية السلوك السياسي لإيران في التعامل مع قضايا العرب والمسلمين ففي الوقت الذي تزعم ما تزعمه من أنها القوة الممانعة إلا أنها تتحالف مع أمريكا في غزو العراق وأفغانستان، وفي الوقت ذاته تواصل احتلالها للجزر الإماراتية وتدعي حقها في البحرين وتثير القلاقل في اليمن وتدعم الرئيس السوري بشار الأسد في قتل وذبح أبناء الشعب السوري وتدعم الميليشيات الشيعية في العراق وغير ذلك الكثير وهو ما يعني أن هذه القنوات تقوم بدور التزييف للحقائق واللعب بالعقول.

ومن بين أساليب الحرب الناعمة التي لم تتردد إيران في استخدامها هو استغلال تفوقها في مجالي السينما والدراما في الوقت الذي يشهد فيه هذان المجالان تراجعاً شديداً في البلدان العربية بعدما أصبح تحقيق المكسب المادي السريع هو المحرك الأساسي للقائمين عليه ما كان سبباً في إنتاج ضعيف للغاية لا يهتم لا بالمضمون ولا بالشكل وهو ما أوجد حالة من إحجام المواطن العربي عن متابعة ما ينتج عربياً والبحث عن منتج آخر أكثر جودة.

ويفسر ذلك انتشار ظاهرة دبلجة المسلسلات المكسيكية ومن بعدها التركية وأخيراً المسلسلات الإيرانية التي وجدت قبولا ليس بالمستغرب في ظل ما ذكرناه لدى المشاهد العربي الذي ملّ من سذاجة وتهافت المنتج العربي.

وبالطبع ليس من المنطق أن يكون جلّ انتقادنا وإبداء تخوفاتنا من دبلجة المسلسلات الإيرانية، بل إن

الموضوعية تقتضي أن نحذر ونعرب عن هواجسنا من نقل ثقافة الآخرين دون رقابة حقيقية وجادة على ما ينقل خاصة إذا كانت هذه الثقافات وما تتضمنه من أفكار وقيم مخالفا ومتعارضا مع القيم الإسلامية الثابتة الأمر الذي يهدد الأمن المجتمعي العربي ويحقق من حيث لا ندري حالة من الضعف والتفكك داخل هذه المجتمعات.

فالواجب يدفعنا ويدفع كل المخلصين للتحذير من هذه النوعية من الأفلام والمسلسلات (الأجنبية – التركية – الإيرانية) على السواء والتي يتم دبلجتها باللغة العربية أو بلهجات بعض البلدان العربية لتقديمها سهلة ميسرة للمشاهد العربي، وقد احتوت ما احتوت عليه من كوارث أخلاقية وسقطات فكرية يتشربها المشاهد وخاصة الشباب والأطفال بلا وعي ليكون المحذور مباحاً أو على الأقل يقابل بما لا يليق به من الاستياء والاستهجان والرفض.

والخطورة التي تمثلها الأعمال الفنية الإيرانية لم تعد أمراً خافياً على المواطن العربي خاصة وأن الكثيرين قدّ لهم أن يطلعوا على بعض هذه الأعمال وما تخللتها من إشكاليات تتعلق بالطائفية ونشر أفكار التشيع عبر موضوعات وقصص ترتبط بالأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام أو ببعض الصحابة رضوان الله عليهم.

ولا يقلل من خطورة هذا قول القائلين بأن مثل هذه الأفكار الشيعية احتلت مساحة صغيرة داخل هذه الأعمال وهو قول مردود عليه إذ أن هذا النهج هو عين الحرب الناعمة التي لا تستهدف إحداث صدمة قوية، ما يوجد حالة من رد الفعل القوي لمواجهتها وإنما ما يراد هو الاختراق البطيء الذي يتحسس خطواته فلا يثير رد فعل يصعب من المهمة بل ويعقدها.

كما أن من الواضح أن الخطة الإيرانية تستهدف الأجيال الشابة التي بدا أن حالة الانبطاح التي تعيشها أغلبية البلدان السنية فضلا عن حالة الحراك السياسي التي تشهدها بلدانهم جعلتهم يتطلعون لنماذج أكثر راديكالية ومن ثم فإن إيران تقدم نفسها باعتبارها هذا النموذج، فهي التي تدعم الأحزاب والجماعات المنتفضة ضد الفساد والاستبداد، وهي التي تقف ضد أمريكا

وأوروبا، وهي التي تتحدث عن نهاية الكيان الصهيوني وتحرير المسجد الأقصى، وهي التي تحاول أن تقدم فنا راقيا يعكس القيم والأخلاقيات الإسلامية والذي استطاع نظرا لتقنيته العالية وإخراجه المتميز أن يكون منافسا قويا لصناعة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها.

لم يكن إذن من السهل أن تحجب المشاهد العربي عن متابعة ما تقدمه إيران من أعمال سينمائية أو درامية فهو الشر الذي أصبح مفروضا على المشاهد العربي وهو ما جعل إيران تتمسك بالمسألة تمسكا شديدا للغاية حتى اعتبرت أن التعاون الفني بينها وبين بعض البلدان العربية أقصى طموحاتها وهو ما يفسر الزيارات الأخيرة التي قامت بها وفود فنية عربية خاصة من مصر لزيارة إيران وبحث سبل التعاون بين البلدين بالتزامن مع الضجة السياسية والإعلامية التي أثارت مؤخرا حول قضية فتح الباب للسائحين الإيرانيين في مصر ومدى ما يمثل هذا من خطورة على مصر وهو ما يؤكد أن إيران غير آبهة بما يحدث، فهي عازمة على الاستمرار في طريقها وطرق أبواب كل أساليب الحرب الناعمة بل والسير في كل الطرق في خطوط متوازية لا يشغلها أن تفشل أو تنجح في أحدها، المهم أن تحقق ما تريد.

وبالطبع لم تكن إيران لتنجح وتخطو خطوات ثابتة في ذلك لولا أنها تلقى دعما ومساعدة من أطراف سياسية وفكرية استغفل بعضها واستدرج لأن يكون مجرد أدوات مساعدة لتحقيق الطموح الإيراني التوسعي فيما كان يتحرك البعض الآخر عن وعي وإدارك بحقيقة ما يتم وقد وقعوا في براثن الإيمان بهذا المشروع.

فما تشهده بلدان الربيع العربي في المرحلة الحالية من محاولات للانقلاب على السياسات السابقة الخاصة بقيادات هذه البلدان هو الفرصة السانحة أمام طهران إذ هي واحدة من القوى المستفيدة حيث كان الموقف المصري مثلا زمن المخلوع حسني مبارك من طهران موقفا غير منسجم مع تطوير علاقات البلدين وهو ما كان مرضيا لقطاعات شعبية في حين رفضته أخرى كونه ليس نابعا من منطلق المصلحة المصرية العليا بقدر

ما كان استرضاء للولايات المتحدة في إطار سياسات التبعية التي كانت تعيشها القاهرة في عهد مبارك ومن ثم فقد حرصت وما زالت بعض القوى السياسية على أن تغير من نهج التعاطي مع الدولة الإيرانية بما يعمل على التقريب بين البلدين وهو نهج بالحسابات السياسية صحيح مائة في المائة إذا كان قائما على أسس تبادل المصلحة المادية وأن يعمل كل بلد على حماية نفسه ضد محاولات أي طرف من الأطراف يسعى لإحداث تغييرات تضر بصالح البلاد والمواطنين. ومن ثم فإن مثل هذه الملفات يفترض أن توكل إلى من هم حريصون ولا أقول متطرفون في الحرص على المصالح العليا للبلاد وأن لا يترك لمن يعرف عنه تساهله أو ميله بعيدا عن هذه المصالح وهو ما يدفعنا إلى إبداء التساؤل بل والاستكثار عن قيام وفد صوفي مصري بقيادة المستشار محمد الدمرداش العقالي - الشيعي - مستشار وزير الإعلام بزيارة إلى طهران والذي كان من بين ما ناقشه هو موضوع «دبلجة» المسلسلات والأفلام الإيرانية باللهجة المصرية وعرضها على شاشات التلفزيون المصري دون وضع أية اعتبارات أو معايير تراعي مصالح المصريين.

وهنا يجب أن نشير إلى أن الحديث الذي طالما تطرق إلى فكرة التقريب بين السنة والشيعية أو بين البلدان العربية وإيران ركز وباستمرار على قبول المسلمين السنة بما هو عليه الشيعة أو أن يرحب العرب السنة بالنهج السياسي لإيران وأن يقبلوا بكل ما تتحدث فيه وعنه دون نقاش أو انتقاد حتى لو كان كل ذلك على حساب المصالح العربية أو على حساب المسلمين السنة بمعنى أن السنة يجب أن يقبلوا بالمشروع الطائفي في العراق، وأن يقبل السنة في لبنان بمشروع بقاء حزب الله دولة مع الدولة، وأن يقبل العرب باحتلال الجزر الإماراتية وأن يقبلوا بفكرة أن البحرين المحافظة رقم ٢٨ لإيران، وأن يقبلوا بالتدخلات الإيرانية في المملكة العربية السعودية واليمن وغيرها.

إذا كان هؤلاء موضوعيين فعلا في ما يدعون إلى تحقيقه من تقارب فإن الأصل أن يتم طرح كل الأوراق للنقاش وأن يكون الحديث بمنتهى الشفافية والإنصاف وأن ترفع إيران يديها عن التدخل في الشؤون العربية وشئون المسلمين السنة وأن تتوقف عن تكرار

تاريخ الدول الشيعية التي كانت لا تعدو عن كونها شوكة في حلق الدول السنية حيث كان توسعها دائماً على حساب أهل السنة وما ذكر لنا التاريخ أبداً أن دولة شيعية قامت بعمل توسعات أو فتوحات إسلامية تجاه بلدان غير إسلامية. وفي الدولتين الصفوية التي دخلت في حروب متعددة مع الدولة العثمانية ومن قبلها الدولة الفاطمية التي دخلت في حروب مع الدولة العباسية دليلاً يؤكدان على ذلك.

ولا يمكننا أن نتغاضى في هذا السياق عن نقطة طالما أثارت الكثير من الجدل ترتبط بمدى خطورة الأعمال الفنية الإيرانية التي تحاول كما أشرنا أن تحدث حالة اختراق للذهنية السنية وتقفز فوق الكثير من المحرمات التي يجب أن لا يتم الاقتراب منها وفق منهج السنة الذين تفرض عليهم عقيدتهم إبداء الإجلال والتوقير لأنبياء الله تعالى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام وتبدي أيضاً توقيراً شديداً لصحابة الرسول ﷺ وهو ما ارتبط بقضية تجسيد الأنبياء والمبشرين بالجنة والخلفاء الراشدين.

ويستفزنا في هذا المقام تلك التصريحات التي أدلى بها الطاهر الهاشمي الأمين العام للطريقة الهاشمية وعضو الوفد الصوفي الذي زار طهران حيث أكد أن القصص القرآني بتجسيد حياة الأنبياء والرسول يؤكد جواز العرض التجسدي لهم في التمثيل الدرامي مضيفاً أن الوصف الإلهي لما حدث لنبي الله يوسف عليه السلام من حوار ونقاش بينه وبين أخوته وبين أخوته وأبيهم ومسيرته إلى مصر هو جانب تجسدي يجعل تصويره درامياً مقبولاً وجائزاً.

ولا أعرف على أي أساس استند الهاشمي في فتواه بجواز هذا التجسيد على الرغم من أن رأي الأغلبية من علماء السنة إن لم يكن جلهم هو القول بمنع وتحريم هذا التجسيد إذ ووفق العشرات من الفتاوى الصادرة عن علماء لأهل السنة فإن مثل هذا التجسيد يعد فعلاً محرماً لا يجب الاقتراب منه.

ومن ذلك ما أصدره الشيخ محمد بن عبد الله الإمام الذي قال إن من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الله فضل الأنبياء والرسول على سائر عباده

المؤمنين وأوليائه المقربين بالبعثة والرسالة إلى أقوامهم وأيدهم بالمعجزات وعصمهم من الكبائر والمنكرات وجعل المساس بهم بأي أذى أعظم من المساس باتباعهم وخلفائهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧] فحكم سبحانه على مؤذي رسولنا باللعن في الدنيا والآخرة، وتوعده بالعذاب المهين والجزاء من جنس العمل، فإن المؤذي لنبينا مستهين به ومستخف به، فكان العذاب المهين جزاء هذا العمل وهكذا الحكم في سائر الأنبياء والرسول لأن حرمتهم مثل حرمة نبينا.

وقال الرسول ﷺ: «إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري ومسلم، وهكذا من كذب على سائر الأنبياء والرسول.

ألا وإن من المؤاذاة للأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام تمثيلهم، لأن التمثيل لهم يناه في تعظيمهم وتوقيرهم وإجلالهم، قال الله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتُعِزُّوهُ وَتُقَرِّبُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ١﴾ [الفتح: ٩] وهكذا يجب تعظيم سائر الأنبياء، فإن تعظيمهم من تعظيم الله، وحقهم تابع لحق الله، وتمثيل الأنبياء ظهر في عصرنا على أيدي شرذمة من اليهود والنصارى، ومعلوم أن اليهود والنصارى قد أساءوا إلى أنبياء الله ورسله بإساءات كثيرة، قديماً وحديثاً، إساءات اليهود أكثر وأقدم وأمكن، وحصل مؤخراً أن تلقف تمثيل الأنبياء والرسول شذاً من المنتسبين إلى الإسلام فحاولوا القيام بذلك، فما أن علم أهل العلم بهذا إلا وقاموا بما أوجب الله عليهم من بيان الحكم الشرعي على التمثيل المذكور، ومن ذلك:

أنه لما تم توقيع عقد بين الشركة العربية للإنتاج السينمائي العالمي وممثلي بعض الحكومات العربية على إخراج فيلم بعنوان (محمد رسول الله) تصدى لذلك هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، فأصدروا قراراً بتحريم إظهار هذا الفيلم، مع بيان بعض المفاصد في ذلك، كما أفتت بحرمة هذا العمل للجنة

❖ ومنها أن التمثيل هذا فيه تنقص للأنبياء والرسول واستخفاف بهم، حيث يظهرهم الممثلون بمظاهر لا تليق بهم: من اختلاطهم بالنساء غير المحارم وسيرهم على عادات وتقاليد الناس في الزواج غير ذلك كما ظهر ذلك جلياً في مسلسل (يوسف الصديق) في قناة الكوثر الإيرانية.

فلما كان التمثيل مشتملاً على الاستخفاف والتنقص للأنبياء والرسول لم يكن صادراً إلا من كفار، أو ممن يتشبه بهم، ويقلدهم من منافقي المسلمين وسقطهم، فكيف لو كان هؤلاء السقط أجراء لجهات حاكمة على الأنبياء والرسول كالماسونية وغيرها! وكيف إذا كانوا متاجرين بهذا التمثيل! أيتاجر بأنبياء الله ورسله!! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

❖ ومنها أن التمثيل المذكور يفتح أبواباً من الطعن في الأنبياء عند بعض المشاهدين والسخرية منهم وبعضهم يتندر بهم على جهة الجد أو المزاح واللعب، وكل هذا منذر بشر عظيم، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْنِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

فلم يعذر الله من وقع في شيء من الخوض في حق نبيه بطريق المزاح واللعب، فالممثلون لا يخرجون عن أن يكونوا في تمثيلهم للأنبياء والرسول ما بين جاد ولاعب، وهكذا بعض المشاهدين فليتببه الممثلون والمشاهدون لعواقب فعلهم هذا.

❖ حصول الغلو في بعض الأنبياء والرسول، كتمثيل بعض الممثلين لعيسى بن مريم لغرض الغلو فيه بإظهاره بمظهر الربوبية، ومعلوم أن الإسلام حرم تصوير الأنبياء والصالحين حتى لا يتخذوا آلهة يُعبدون من دون الله، إلى غير ذلك من المفاصد!!

ومن المعلوم أن القاعدة الشرعية في التحريم عند أهل العلم أن الشريعة لم تحرم شيئاً إلا لما فيه من الضرر المحض، أو لما فيه من الضرر الغالب.

وقد بان بهذا الإيضاح عظيم الضرر والفساد في العقيدة والعبادة وفي الدين والدنيا بسبب هذا التمثيل.

وقبل فتوى هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة أفتى مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة بعدم جواز ذلك، كما قام المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بتحريم العمل المذكور، وصدر أيضاً قرار من المنظمات العالمية الإسلامية يستنكر استنكاراً شديداً محاولة إخراج هذا الفيلم.

فهذا إجماع من علماء المسلمين على تحريم تمثيل رسولنا عليه الصلاة والسلام، وهو شامل لتحريم تمثيل الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام، فإن وُجد من يخالف هذا فلا عبرة بقوله، ولا مجال لقبوله.

وكل من ذكرنا فتواهم وقراراتهم أنفاً ينصون فيها على تحريم تمثيل الصحابة، وبعضهم يزيد قرابة الأنبياء والرسول، فيكون تمثيل الصحابة وآل بيت النبوة أمراً مجمعاً على تحريمه، فليعلم هذا.

ومبنى هذا التحريم على ما علم من المفاصد في التمثيل المذكور، فإنه يشتمل على مفاصد كثيرة ومنها:

❖ المخالفة لحكمة الله في منع شياطين الجن من التمثيل بالرسول عليه الصلاة والسلام، فقد جاء في الحديث المتواتر أن الرسول ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي» فالحكمة في هذا المنع صيانة شخصية رسولنا عليه الصلاة والسلام من أن تكون محل عبث ولعب وغير ذلك. فالممثلون له منتهكون لهذه الحكمة العظيمة.

❖ أن التمثيل للأنبياء والرسول كذب عليهم في شخصياتهم وأفعالهم وأقوالهم، لأن الممثل تقمص شخصية النبي الكريم، وقام بحركات قولية وفعلية زاعماً أنها حركات للنبي الممثل به وهذا كذب لأن الشخصية والحركات هي للممثل، وإذا كان الرسول ﷺ قد نهى عن محاكاة الشخص (وهي الفعل مثل فعله والقول مثل قوله) كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذهبت أحكي امرأة أو رجلاً عند رسول الله ﷺ. فقال: (ما أحب أني حكيت أحداً وأن لي كذا وكذا أعظم ذلك).

فكيف بمن يتقمص شخصية النبي بحيث يرى المشاهدون أن هذا هو النبي الفلاني، ألا ساء ما

ألا وليعلم المسلمون أن انتهاك حرمة الأنبياء والرسول انتهاك لحرمة أتباعهم وخلفائهم لأن المنتهك لحرمتهم يسهل عليه الطعن في أتباعهم بقوله: (أنتم تعظمون الأنبياء وتحذرون من المساس بهم وتتبعونهم وفيهم وفيهم من أمور التنقص والعيب) فعلى الأمة الإسلامية كافة أن تقوم بواجبها الشرعي في الذب عن الأنبياء والمحافظة على مكانتهم والوقوف ضد من يتعرض لهم بشيء من الإيذاء خصوصاً في هذا العصر الذي ظهر فيه الإلحاد واستطار شره في عالم المسلمين، وانتشاره في بعض وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وغيرها، فإن تساهل الأمة فيما ذكرنا يسبب ازدياد القدح والطعن فيهم، وليس للأمة أن تتنازل عن موطن الدفاع عن جميع الأنبياء والمرسلين، كل حسب قدرته واستطاعته.

وعلى حكام المسلمين الواجب الأكبر في الدفاع عن الأنبياء والرسول، وعن الصحابة والقراة، وعليهم أن يحيا الدفاع التي كان عليها ولاة الأمر من أسلافهم.

وعلى ما سبق بيانه في ذكر مفاصد تمثيل الأنبياء والرسول، وذكر إجماع أهل العلم على تحريمه يتحتم على المسلمين سد أبواب الذرائع الموصلة إلى الإعانة للممثلين والقبول لتمثيلهم، أو السكوت عنهم، فما هو حاصل الآن في قناة الكوثر الإيرانية من عرض تمثيل النبيين يوسف ويعقوب عليهما السلام وتمثيل جبريل عليه السلام أمر لا يقره شرع ولا عقل. فالواجب على المسلمين مناصرة هذه القنوات والتحذير منها ودعوة القائمين عليها إلى التوبة إلى الله، بإلغاء هذه الأفلام وما كان على شاكلتها من أفلام تمثيل الصحابة وغيرهم.

وسائل الشيعة في تحقيق مشروعهم

د. أيمن هاروش^(١) - خاص بالراصد

فإن الدول التي تقوم على عقيدة دينية، والتي تسمى بالمصطلح السياسي (ثيوقراطية)، تكون دولاً ذات مشروع توسعي عقائدي، وتصنع جوانب حياتها

بصبغتها العقيدية، وتجعل عقيدتها منطلقاً وحكماً في كل علاقاتها مع الدول الأخرى، وقريباً منها الدول العقائدية وإن لم تكن دينية كالدول الشيوعية، وأزعم أنه اليوم لا يوجد في العالم سوى دولتين اثنتين ثيوقراطيتين، تبنيان أسسهما على عقيدة دينية، وهي محور تحركاتهما، وهما إسرائيل وإيران.

ولذا فإن إيران تحمل رسالة ومشروعاً، تريد من خلاله أن تحقق أكبر مد شيوعي في العالم، ولكنها تعلم أن المد الشيوعي يبدأ من حرب السنة والقضاء عليها، لأنها العائق والخطر الأكبر في طريقها، ولهذا نجد الشيعة عبر التاريخ ما حاربوا إلا أهل السنة، وكانوا عوناً لكل من حارب السنة وقتلهم.

جذور العداوة

بعد أن من الله تعالى على المسلمين بالفتوحات التي شملت الكثير من البلاد، وامتد سلطان الإسلام عليها، لكن كان من أهل تلك البلاد وتحديدًا فارس من قد دخل الإسلام بغير قناعة، ونظروا لأنفسهم على أنهم وقعوا تحت احتلال العرب، وهم أعلى شأنًا وشرفًا من العرب، فامتلات قلوبهم غيظًا وحقدًا على الإسلام والمسلمين، فبدؤوا يكيدون له ولكن من الداخل، أي بالتظاهر بالإسلام مع الكيد له، فنشأت الشعبية، وهي حركة تنتمي لشعب معين وليس للإسلام، وتريد القضاء على الحكم الإسلامي، وترى نفسها خيرًا من العرب، وبداية نشأتها في بلاد فارس ثم امتدت إلى غيرها^(١).

ومن البديهي أن الحركة التي تريد القضاء على الحكم تذهب إلى صفوف المعارضة وتتبنى أطروحاتها لتتقوى بها على تقويض سلطان الحكم، وكانت المعارضة آنذاك تتمثل في تيار يزعم حب ونصرة آل البيت رضي الله عنهم، حيث كانت حركاتهم ضد الأمويين والعباسيين، فدخلوا معهم وتستروا بهم وأظهروا الولاء لهم، وبقيت الشعبية إلى مرحلة الغيبة الكبرى، ويمكن أن يلاحظ أنه في هذه المرحلة كانت الشعبية عبارة عن قوة تستتر بمنصرة آل البيت، ولم تتبلور لها عقائد

(١) من مقال (أصول الشيعة) للدكتور راغب السرجاني على موقع قصة الإسلام.

(♦) كاتب سوري.

واضحة، إلا بعض الأفكار كإنكارهم خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسبهما، ولذا رفضوا إمامة زيد بن علي لأنه يقول بخلافتهما ويترضى عنهما، وكقولهم بولاية الابن الأكبر للإمام، ولهذا وقع الخلاف حول إسماعيل بن جعفر، وهذه الفكرة مأخوذة من الفارسية بوراثية الابن الأكبر للملك الحكم عن أبيه ومثلها قضية العصمة، لأن الفرس كانت تؤله الحاكم، ويبدو لي أنها كانت عقائد مستورة أو لم تأخذ شكل المذهب الواضح كما صارت فيما بعد.

لكن بعد زمن الغيبة وهو ما يسمى بفترة الحيرة، لحيرة الشعوبية في الجانب الفكري الذي تبني عليه سيرها السياسي، فقد اختفى الإمام حسب زعمهم، فما مصير الإمامة، وانقسموا هنا فرقا كثيرة، وظهرت عقائدهم متبلورة بيّنة وصارت كأنها دين مستقل، ولعلي أخص بالذكر ثلاث فرق لأنها التي كانت حاضرة بقوة في التاريخ:

١- الإمامية الاثنا عشرية: وهم الذين قالوا بإمامة اثني عشر إماما، أولهم علي ثم الحسن بن علي ثم الحسين بن علي ثم أبناؤه علي بن الحسين (زين العابدين) ثم محمد بن علي (الباقر) ثم جعفر بن محمد (الصادق) ثم موسى بن جعفر (الكاظم) ثم علي بن موسى (الرضا) ثم محمد بن علي (الجواد) ثم محمد بن علي (الهادي) ثم الحسن بن محمد (العسكري) ثم محمد بن الحسن (المهدي المنتظر).

٢- الإمامية الإسماعيلية: والذين ساروا مع الاثني عشرية إلى جعفر الصادق لكنهم قالوا بأن الإمامة بعده لابنه إسماعيل وليس لموسى، لأن إسماعيل هو الابن الأكبر لجعفر الصادق، لكنه مات في حياة أبيه، فانتقلت الإمامة لأبنائه بعد جدهم جعفر، أما الاثنا عشرية فيرون أنها انتقلت لأخيه موسى الكاظم، حسب عقيدة البدء عندهم.

٣- النصيرية: وساروا مع الاثني عشرية إلى المهدي المنتظر لكنهم زعموا أن بين الأئمة وبين الناس باباً وأن محمد بن نصير هو الباب، فالبابوية والمرجعية انتقلت إليه وهو وارث علم الإمام، وغلا ابن نصير في الأئمة ونسبهم للألوهية، فرفضته الاثنا عشرية وخلفه في دعوته محمد بن جندب ثم محمد بن عبد الله الجنبلائي الفارسي ثم حسن بن علي الخصبي المصري والذي استقر في سوريا

واستقرت الدعوة هناك في جبال اللاذقية^(١). هذه الفرق الثلاث السابقة كان لها دو بارز في حرب أهل السنة وقتالهم، واتخذوا لذلك أساليب متعددة، هي محور الحديث.

السيطرة على الحكم وإقامة دول لهم:

هذه هي الوسيلة الأولى والأهم والأخطر للشيعية لكي يحققوا مشروعهم، وقد حاول أصحاب الفرق الثلاث أن يؤسسوا حكومات تدين بمذاهبهم بل بأديانهم فسارع ميمون القداح وهو يهودي حاقد تستر بالإسلام وسمى أولاده بأسماء آل البيت وادعى أنه من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق، ونشط بدعوته في سلمية بسوريا ثم هرب أحد أولاده إلى المغرب وشكل أتباعه له شوكة فاستولى على المغرب وأسس هناك الدولة الفاطمية التي استولت على مصر والشام والحجاز.

ورحل آخر من أنصار دعوة ميمون إلى العراق والتقى بحسين الأهوازي وحمدان بن قمرط وأسسوا دولة القرامطة بالبحرين (المنطقة الشرقية من السعودية الآن) التي أذاقت أهل السنة الويلات فقطعوا الطريق على الحجيج ونهبوهم واستباحوا مكة وقتلوا الحجيج فيها وسرقوا الحجر الأسود وبقي في عاصمتهم هجر مدة ٢٢ سنة.

أما الاثنا عشرية فقد كانت الدولة الصفوية في إيران تابعة لهم وهي التي قامت على القتل والإرهاب. وأما النصيرية فلم تقم لهم دولة إلا في العصر الحديث في سوريا.

والقاسم المشترك في هذه الدول أنها مارست أبشع أنواع الاضطهاد لأهل السنة، فالفاطميون حاربوا علماء السنة وأجبروا الناس على التشيع ومنعوا خطباء السنة من صعود المنابر، والقضاة من المحاكم، أما الصفويون فقد هدم إسماعيل الصفوي مساجد السنة حتى قال السفير البرتغالي في الصين بيريس تومي وقد زار إيران الصفوية: إن الشاه إسماعيل يرمم كنائسنا ويدمر مساجد السنة وقتل الملايين من السنة، وأمر بلعن الصحابة وشتم الخلفاء على المنابر وأعدم مناوئيه السنة بعنف وأمر

(١) اقرا عنهم في الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، وما كتبه ابن تيمية في فتاواه عنهم، وانظر بحث (ماذا تعرف عن النصيرية) في شبكة أنا المسلم.

بتدريس المساجد السننية وهدمها^(١)، وأما القرامطة فسبق بيان ما فعلوا وكل ما فعله الشيعة عبر التاريخ في كفة وإجرام النصيرية المعاصر في كفة ترجع على الأولى، فكل ما يتحدث به عن مجازر وإجرام لإسرائيل مع الفلسطينيين من عام ١٩٤٨ إلى الآن لا تساوي مجزرة حماة عام ١٩٨٢، بل من قتلهم نظام النصيرية في سوريا من الفلسطينيين في مجازر لبنان وغيرها أكثر ممن قتلهم إسرائيل، فضلا عن السجل الحافل بالإجرام من عام ١٩٦٤ إلى اليوم، وجاءت الثورة السورية لتزيل القناع عن إجرامهم أمام من كان مغرورا بهم.

لذلك هم في كل أن يريدون الوصول للحكم وبناء دولة لهم، ومن هنا نجد الاستماتة والتفاني في دفاع إيران وحزب اللات عن نظام بشار الأسد لأنهم لا يريدون التفريط بدولة تعادي السنة ولو كلفهم ذلك دماءهم وأموالهم، وكذلك استماتة شيعة البحرين خاصة والخليج عامة في السعي للوصول إلى الحكم.

تولي المناصب

وهي الوسيلة الثانية فإذا لم تتحقق الأولى بإقامة دولة يلجؤون لتولي مناصب بالدولة، ولا يكاد يتحقق لهم هذا حتى يستعملوا نفوذهم في منصبهم لتقويض دولة الإسلام ودمارها، والتاريخ يشهد بذلك، فالمستعصم بالله العباسي عندما استوز ابن العلقمي الرافضي لم يأل ابن العلقمي جهدا في نخر عظم الدولة فقلل عدد الجيش من مائة ألف إلى عشرة آلاف جندي، وقلل رواتب وعطايا الجنود، ليضعف الدولة العباسية، واتصل بهولاكو زعيم التتار يغريه بغزو العراق حتى تم الأمر، يقول ابن كثير: «وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط أسهمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل .. فلم يزل يجتهد في تقليصهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ثم كاتب التتار، وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال»^(٢).

ودخل هولاكو بغداد وقتل المستعصم ومئات من خيرة علماء وقضاة الدولة العباسية في حيلة خبيثة ولعينة من الرافضي الخبيث ابن العلقمي: «فقد نهى (ابن العلقمي) العامة عن قتالهم وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه، والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصف للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبع مائة راكب من القضاة والفقهاء والأمراء والأعيان .. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتار، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الدين الطوسي، وكان نصير عند هولاكو قد استصحب في خدمته لما فتح قلاع الموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية»^(٣).

واستباح التتار بغداد، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ولم ينج منهم سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي^(٤)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف إنسان أو أكثر أو أقل»^(٥)، ولم يرفع الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسلمين بالتتار، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكون مالياً لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين»^(٦).

ولقد اعتبر الخميني ابن العلقمي والنصير الطوسي من عظماء الأمة الذين قدموا لها التضحيات والخدمات الجسام، يقول عليه من الله ما يستحق: «ويشعر الناس

(٣) المرجع السابق، وانظر منهاج السنة: ٣٨/٣.

(٤) البداية والنهاية المرجع السابق.

(٥) يعني عشرات الملايين، فتأمل!!!

(٦) منهاج السنة المرجع السابق.

(١) تحويل الصفويين لإيران من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) ابن كثير- البداية والنهاية: ٢٠١/١٣ - ٢٠٢.

(يعنى شيعته) بالخسارة .. بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأضرابه ممن قدم خدمات جلية للإسلام^(١). وعندما حاصر الصليبيون أنطاكية بوابة الشام من الشمال مكثوا سبعة شهور محاصرين لها ولم يستطيعوا دخولها إلا عندما فتح لهم أحد كلابهم (وهو النصيري فيروز) الباب الذي كان يحرسه فدخلوا وعاثوا في البلاد فسادا ودمارا، وكذلك تيمور لنك التتري النصيري عندما جاء بلاد الشمال وساعده والي حلب - وكان نصيريا - فسمح له بعد اتصال به بدخولها، فدخلها تيمورلنك وذبح من أهلها ما يشيب له الرأس حتى قيل إنهم جعلوا من جماجم أهلها تلالا، ثم سار إلى دمشق واستباحها تسعة أيام يقتل شيوخها وأطفالها ويغتصب نساءها، حتى قُتل نصيري خطأ فأوقف القتل^(٢).

وكذلك الفرنسيون في العهد الحديث مما مكن لهم في سوريا خيانة النصيريين وتعاملهم معهم وقد كافؤوهم بقيام دولة علوية لهم لكنها زالت بعد الاستقلال بفضل رفض السوريين للتقسيم، والكتاب الذي قدمه بعض النصيريين ومنهم جد المقبور حافظ الأسد الذي يطالب فرنسا بعدم الجلاء عن سوريا والبقاء فيها حتى لا يمكن للسنّة في سوريا، ما يزال محفوظا في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية إلى اليوم، وما تزال خيانة الأسد شاهدة على عداوة هذه الملة للسنّة عندما باع الجولان وسلمها لإسرائيل، وأعلن سقوطها قبل وقوعها بساعات يوم كان وزيرا للدفاع في حرب ١٩٦٧م، كما يفصل الجنرال خليل مصطفى صاحب كتاب (سقوط الجولان)، وكذلك تأمره في لبنان وعلى السنّة ولا سيما الفلسطينيين، وكذلك ما فعلته حركة أمل في سنّة لبنان، وأخيرا إيران المعاصرة التي مهدت وسهلت لغزو أفغانستان ولولا إيران لما استطاعت أمريكا دخول أفغانستان، وكذلك دورها في العراق لا ينسى.

لذلك فإن توليهم لأي منصب في الدنيا خطر عظيم، ويجب أن نفقه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ١٢٨.

(٢) موسوعة فرق الشيعة للشيخ ممدوح الحربي، وراجع الرابط السابق.

الْآيَةِ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ [آل عمران ١١٨]، وليس قوم يصدق عليهم هذا الوصف كما يصدق على الشيعة.

تنظيم أنفسهم

وإذا لم تتوفر لهم الوسيلتان السابقتان فسرعان ما يسعون إلى تنظيم صفوفهم في تكتل واحد، يشكل ثقلا في البلد الذي هم فيه ليفرض صوته ورأيه، ويلعب بأوراق البلد بالشكل الذي يخدم مصالحهم وهذا ظهر واضحا بعد قيام الجمهورية الإيرانية حيث سارعت الشيعة في البلاد الأخرى إلى تنظيم نفسها وإعلان ولائها لنظام ولاية الفقيه في إيران فكان حزب الله في لبنان وحزب الدعوة في العراق وجمعية الوفاق البحرانية وحركة الحوثيين في اليمن الذين تحولوا من زيدية إلى اثني عشرية، ولا حاجة لها إلى حزب في سوريا لأن النظام تابع لها، وسعت لتفعل ذلك في السعودية لكن ظروف البلد لا تسمح إلا بأن تستقطب بعض شبابها وتقوم بتدريبهم عسكريا وإعدادهم لمرحلة قادمة حسب تخطيطهم.

وأخطر ما في هذه الكيانات السياسية أن لها أجنحة عسكرية مقاتلة كما في حزب الله وحزب الدعوة والحوثيين، وهو مؤشر خطير ينذر بتخطيط خبيث يسعى له الشيعة والواقع يشهد بذلك وما اجتياح بيروت من قبل حزب الله منذ سنوات، ومن قبله حركات ونشاطات حزب الدعوة العراقي إلا دليل على ذلك، ولعل اختيار الصعيد في مصر لأنه البيئة الأنسب لظهور هذه التكتلات السياسية العسكرية، فضلا عن كونه الأنسب لنشر الفكر الشيعي.

التقرب من الأنظمة

وإذا لم يكن لهم أتباع في البلد المستهدف فيتقربون من الأنظمة بثوب التقية حتى يضمنوا تسلي دعائهم ومبشرهم لهذا البلد ويقوموا بتحويل من يستطيعون من أبنائه ليكونوا في المستقبل قوة منظمة ضاربة، ومن أجل هذه الغاية يعرضون تقديم الخدمات الكبيرة للبلد المستهدف من أموال ودعم عسكري وخبرات فنية صناعية وعلمية وفتح علاقات تجارية وسياحية كبيرة وغالبا ما تتخذ هذه الخطة مع البلاد التي تكون تحت الحاجة كحال مصر اليوم.

لكنها لا تقدم هذه الخدمات إلا بطريقة تحقق لهم مشروعهم وتخدم مصالحهم فهي ذات رسالة ومشروع،

وكما نقل الدكتور عبدالله النفيسي عن مسؤول مصري رفيع المستوى أن وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي لما زار مصر عرض على الرئيس مرسي أن يقدموا لمصر ثلاثين مليون دولار مقابل فتح سفارة لهم في مصر وأنهم يضمنون لهم خمسة ملايين سائح إيراني سنويا يزورون مصر، ويقدمون له فنيين لصيانة المعامل المتعطلة مقابل أن يضعوا أيديهم على المساجد الفاطمية فيعيدوا ترميمها ويتسلموا إدارتها، وترسل لهم مصر كل سنة عشرين ألف طالب يدرسون في قم وتكون لهم جريدتان رسميتان في مصر، أي فتح الباب لكل سبل التسلسل الناعم لمفاصل التأثير في المجتمع المصري.

تقديم المغريات

والمغريات هذه وسيلة لاستمالة قلوب البسطاء والضعفاء وتتركز المغريات في ثلاثة أمور:

١- المال: وذلك بتقديم رواتب شهرية ومعونات مالية لكل من يتشيع كما كان حدث عندنا في سوريا، وكذلك رواتب لمن ينتسب لمعاهدهم فقد كانت كلية الشيعة التي افتتحت في إدلب في سوريا تقدم ستة آلاف ليرة سورية لكل طالب يدرس، وتقدم الحوزة في السيدة زينب أكثر من ذلك، فيلجأ لها الجهلة وعباد المال فيدلا من أن يكون الطالب مستهلكا وعبثا على أهله يصبح منتجا ومساعدة لأهله، وهذا أمر يعجب الكثير ممن يظنون الشيعة مذهبا خامسا، وأن الخلاف تاريخي كما يروج جهلة علماء السنة.

٢- النساء: وذلك عن طريق نشر زواج المتعة فقد كانت المناطق السياحية الشيعية في سوريا أماكن عهر بشكل علني، فقوافل السائحين الشيعة من لبنان وإيران وغيرها تأتي وبصحبتها شابات فائتات ويتم الترويج للمتعة فيقع الشباب الضعيف في شركها وربما تشيع وغير دينه لذلك والعياذ بالله، بحجة أنه دين يقدم حلا لإشباع حاجة الشباب بالحلال ليس كالمذهب السني المتحجر كما يروجون ويشيعون.

٣- التقرب من السلطة: وذلك في البلاد التي تكون فيها الأنظمة موالية لهم كسوريا حيث يصبح الذي يتشيع مقربا من السلطة وتُحل أموره كلها في الدولة، بل كان القنصل الإيراني يأتي بنفسه لزيارة من يتشيع في بيته ولو كان شخصا فردا ويتفقد أحواله ويطمئن عليه ويقدم له

المساعدات ويوصي به، كما رأيت ذلك بعيني في سوريا، وذات مرة أرسلت إيران إلى شيوخ العشائر في سوريا وأخذتهم برحلة سياحية إلى إيران وبعد جولة لعدة أيام في المعالم السياحية في إيران اجتمع بهم مسؤول إيراني وطلب منهم مساعدتهم في نشر التشيع في قبائلهم ووعدهم بأن كل أمورهم في سوريا عند السلطة ستكون ممتازة، هكذا حدثني أحد أعضاء وفد العشائر، ويستغلون انتماء بعض العشائر لآل البيت نسبيا، كالبقارة والنعميم والبوسرابا، فيقولون لهم إنكم كنتم شيعة وحوّلكم النواصب للسنة فيجب أن تعودوا لأصلكم، والعجيب أن هذه السخافات تجد أذنا جاهلة فارغة تصدق.

أخيرا: التقرب منهم جريمة سياسية ودينية

هذه أهم الوسائل التي يتبعها الشيعة للسيطرة على العالم السني ونشر مذهبهم الخبيث، ليكتمل مشروعهم في هدم دول السنة والسيطرة عليها وإعادة الحجاز والشام ومصر والمغرب شيعية كما كانت في عهد الفاطميين.

لهذا فإن دعوى التقريب بينهم فضلا عن أنها جهل وحمق ممن ينادي بها، لأنها تشعر بأنه لا يعرف شيئا عن دينهم وعقائدهم، أو يعرف ثم يصر على المناداة بها وعندها فهي خيانة، فضلا عن ذلك فإن التقارب منهم جريمة دينية وسياسية، دينية لأنها تميع للدين وترويج للشرك والضلال وتدلّيس على العوام بأنهم على شيء من الحق، وخلاف لمنهج القرآن في التبزي ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وجريمة سياسية لأنها تقارب من دولة عدوة محتلة، فإذا كان التقارب مع إسرائيل جريمة لأنها تحتل بلادا عربية وتقتل من الفلسطينيين، فأيران أشد جرما لأنها تحتل بلادا عربية أكثر وتقتل وتذبح من السنة أكثر من إسرائيل أضعافا مضاعفة في الكم والكيف.

وهل يستطيع العلماء الذين يتصدرون الشاشات التلفزيونية ويسخرون ويتهجمون على السلفيين في مصر لمحاربة مشروع التقارب بين مصر وإيران، هل يستطيعون أن يقولوا بجواز التقارب مع إسرائيل وبناء علاقات سياسية معها؟ لئن قالوا: لا، فمع إيران يجب أن تكون لأوهم أشد، وإن قالوا نعم فعندها قل حسبي الله ونعم الوكيل وكبرّ عليهم أربعا، وقل: يا لضيعة الإسلام على أيدي بعض دعاة حملة ونصرته.

من يغزو الآخر؛ إيران أم مصر؟!

د. مصطفى محمدي^(*) - أستاذ جامعي إيراني

بالتعاون مع موقع سني نيوز

أخذت الثلوج تذوب بين إيران ومصر شيئاً فشيئاً...

لا يعني إن كانت الحكومة المصرية أُجبرت

على هذا القرار الذي اعتبره كثير من المصريين علقماً مرّاً بسبب دعم الأنظمة الغربية والعربية لفلول النظام السابق وإدارة الفتن في البلد، أم بسبب الضغوط الاقتصادية التي لم يتعاطف معها العالم العربي بل زاد الطين بلة بضرب حصار اقتصادي على مصر وسحب أرصده منها...

ما يعني كموطن إيراني أن الباب الذي ظللنا

طوال أكثر من ثلاثة عقود من الزمن نظرقه أملين أن

يفتح في وجوهنا أخذ في الفتح ولله الحمد والمنة...

كنت أتصور أن المؤسسات الدينية والجماعات الإسلامية التي انخدعت بعضها في فترات من تاريخها بالشعارات الإيرانية الرنانة ثم رزقت توبة نصوحا ستفرح بهذا القرار وتحاول أن تكفر عن ماضيها بسطور جديدة ترتب حروفها وكلماتها لتعود جملة التوحيد فعلية في إيران!

إيران والإخوان

تمنت إيران مثل غيرها من الأنظمة الديكتاتورية في المنطقة أن يموت جنين الثورة المصرية في رحم الشعب وأن تحسف الأرض جميع ثورات الربيع العربي، لكن الشعب أراد الحياة فاستجاب له القدر!..

لم تكن الصلات الإيرانية الإخوانية قد أكملت شهر العسل في بداية ثورة الخميني ١٩٧٩م وإذا بإيران تقلب ظهر المجن في وجه جماعة الإخوان باغتيال أبرز قياداتها في إيران - الشيخ ناصر سبحاني وأحمد مفتي زاده - والضرب على نشاطاتها بيد من حديد لكنها ظلت تحتفظ بصلات دبلوماسية مع الجماعة في الخارج لحاجتها الإعلامية والاستراتيجية في استغلال القضية

(*) كاتب إيراني.

الفلسطينية التي تمثل حماس رأس الحربة فيها، ولتتخذ حسن صلاتها مع الإخوان وغيرها من الجماعات والشخصيات الإسلامية قنطرة للوصول إلى المجتمعات السنية.

دخول إيران إلى العراق على دبابات أمريكية وإدارتها للمجازر الطائفية كانت القشة التي قصمت ظهر البعير وفجرت في وجهها الموقف الإخواني الرافض بكل قوة على لسان الشيخ يوسف القرضاوي، لكن ظل «حماس» التائه بين أهله بحاجة إلى تهدئة الموقف حفاظاً على بعض المكتسبات السياسية والعسكرية، حتى انفجرت الثورة السورية بعد أن تبسمت تركيا في وجه حماس وانتصرت ثورة مصر فكان الطلاق الإخواني البائن لإيران..

لم تعد إيران إلى مصر من موطن اليد العليا وإنما اليد السفلى، ولم تأت بها إلا الحاجة!

فالخطر على إيران من مصر وليس العكس كما يتوهم بعض الناس!

الغزو الشيعي

تتم إدارة التبشير بالشيعة الصفوي من خلال المؤسسة المذهبية والمؤسسة السياسية؛ تخوض المؤسسة السياسية أو النظام هذا الميدان تحت لافتة «تصدير الثورة» ويهدف إلى صناعة عملاء وأجنحة عسكرية لأهداف سياسية بحتة ليس المذهب فيها إلا أداة تخدم الهدف.

تدعم المؤسسة الإعلامية الضخمة التي تدير قنوات فضائية عملاقة والإذاعات والجرائد والمجلات والمطبوعات التبشير السياسي للشيعة الصفوي بشكل قوي، وتستغل العمل الإغاثي والإنساني للوصول إلى مآربها. التبشير الحكومي يركز على الشعوب المضطهدة والبيئات الفقيرة التي يكثر فيها الجهل والامية. كما أنه يحاول أن يشتري بسخاء كبير ذمم أصحاب الأقلام والإعلاميين والسياسيين وأصحاب النفوذ في المجتمع المدني من الذين يتصفون بقلّة الالتزام الأخلاقي وممن ليست لهم جذور دينية عميقة.

كما أنها تقيم صلات ضعيفة تتراوح بين المجاملات والوعود والشعارات مع الأحزاب والجماعات الإسلامية والحركات العلمانية، وتسعى لتوظيفها في الميدان السياسي. (الصلات الإيرانية بالجماعات التكفيرية والجهادية في دول المغرب العربي قبل عقدين من الزمن، وصلاتها الخفية ببعض المنظمات الجهادية في أفغانستان،

وصلاتها برموز العلمنة في السعودية والخليج لم تعد خافية على أحد).

إن كان النظام الإيراني يتخذ المذهب الشيعي أداة لأهداف سياسية، فالمؤسسة المذهبية - أو المراجع - تنظر إليه كورقة اقتصادية.

يعتبر كل مرجع شيعي دولة مصغرة في النظام الحاكم ويتحرك في استغلالية تامة بما يملك من الرصيد الاقتصادي المهول، وهناك حرب صامتة شرسة بين النظام الحاكم والمرجعية المذهبية في تقسيم التركة - الخمس أو نذورات القبور - !

وقد استطاع آية الله الخامنئي بقوة الحرس الثوري القضاء على المراجع الذين لم يكونوا يهتفون له، واستطاع أن يحدث نوعاً من الاستقرار المبطن بالغضب الناتج الذي يموج تحت الرماد، وسرعان ما يظهر للعيان أول ما تغيب شمس الخامنئي!

يحاول كل مرجع شيعي أن ينشر مذهبه في أي مجتمع إنساني يملك مالا. عيون المرجع الشيعي لا ترى في المذهب إلا «الخمسة» الذي يختطفه الشيعي من عرق جبينه ليقدمه قربانا للمرجع!

تتفق المؤسسة السياسية والمذهبية على أن الأقليات الشيعية في العالم لا بد وأن تعيش حالة من الذعر المبرمج والشعور بالخوف من المجتمع الكبير ليظهر بعده الإعلام الإيراني بوجه الناصح الأمين يدافع عن حقوقها فيحدث شرخ عميق في هويتها الوطنية وولاء الشيعة لبناني قومهم وتوجه أموالهم قبل قلوبهم إلى إيران حيث القبلة الآمنة.

عم تبحث إيران في مصر؟

كان الاتفاق الإيراني الغربي أن تلعب إيران دور الذئب الذي يخوف به النعاج، فتصدر شعارات جوفاء كتصدير الثورة والقضاء على الخليج العربي في لمحة بصر أو أقل من ذلك، فيهرع العرب إلى الحزن الغربي ويبدأ الآخر في سلب ثرواتهم ومقدرات شعوبهم ومسح حضارتهم. وقد كان!...

لكن إيران تدرك تماماً أن الغرب لن يسمح لها بأن تكون دولة قوية لها سياستها، ويسعى لتفتيتها إلى دويلات إن لم يكن اليوم فغداً. فحاولت أن تجد لها كبش فداء ليوم الملحمة، إذا ما انتهت الصفقة بينها وبين الغرب. فكانت حرب «حزب الله» ضد إسرائيل حافظاً

للوحة الوطنية الإيرانية وكانت سوريا الطريق والمأوى. والآن وقد حان وقت أفول شمس بشار الأسد تسعى إيران لإحداث بديل آخر عن «حزب الله» في مصر. وجود حزب عسكري موال لإيران في مصر وشراء ذمم أفراد من السنة والمسيحيين وأصحاب القرار السياسي والإعلامي كفيلاً بكسر الوحدة الوطنية وإرجاع مصر إلى دوامة لبنان. فمن يحكم لبنان لا مناص له إلا التجاوب مع السياسات الإيرانية مهما كانت الظروف، فمفتاح الأمن اللبناني في إيران وليس في بيروت!..

لكن ينبغي ألا ننسى أن ما تطمح إليه إيران في مصر ليس أكثر من أحلام وآمال، وهي ليست وليدة اليوم، فمنذ ثلاثة عقود وإيران تسعى للحصول على هذه الأمانى ولم تستطع إنجاز شيء منها يوم أن كان الشارع المصري يطرب بالشعارات الإيرانية الرنانة للدفاع عن فلسطين والوحدة الإسلامية، فماذا عساها أن تتجزه اليوم بعد أن انكشفت عورتها في الشارع المصري؟!

مصر في إيران

المجتمع الإيراني كحلفائه من الروس والصينيين يشبه الإناء الفارغ الذي مَجَّ الثقافة الموروثة وأوصلته ضغوط الديكتاتور الحاكم إلى حالة من الثورة على كل ممتلكاته الثقافية وتراثه الديني.

يعاني المجتمع الإيراني هروبا من الدين؛ لا يرتاد الحسينيات إلا عجائز لا تتحملهم البيوت، ولا يشارك في البكائيات والطقوس المذهبية إلا من يجبر مرغماً إليها بسلاسل القانون الحديدي من موظفي الدولة.

أصبح رجل الدين منبوذاً يطرد من الأبواب وتهال عليه الشتائم والأحذية والبيض الفاسد من نوافذ البيوت! لا تقف سيارات الأجرة لرجل عليه ملامح الدين إلا إذا أراد السائق المشاغب حمله من الظل ليتركه مهاناً على الشمس!

يتحدث أصحاب الفكر في إيران عن هذه الظاهرة المرضية بالهروب من الدين، في حين أن كاتب هذه السطور يراه هروبا من المذهب ونتاجاً طبيعياً وردة فعل على فرض المذهب بقوة السلاح على الشعب المقهور الناقم الذي يعيش ازدواجية في جميع معانيها ويسمع النفاق يصرخ به في خطابات رجال المذهب والسياسة، ويرى بأم عينيه كيف تنهب ثروات البلد ومقدراته.

ويعتقدون الإسلام السني من الحجاج والمعتمرين الإيرانيين مع كل ما يتخذ النظام من المحاذير! بل أكثر من ذلك تشكو المؤسسة المذهبية في قم من ارتفاع نسب المهتدين في صفوف السياح الإيرانيين إلى تركيا وسوريا!

هل يليق بإخواننا في مصر أن يستقبلوا أهاليها من السياح بالأهرامات والفول والكركيه المصري ولا يقدموا لهم شراباً عذبا من التوحيد الصافي؟! وختاماً أدعو إخواني الدعاة في مصر بكل اتجاهاتهم الفكرية أن يضموا إيران إلى صدورهم ببث الدعوة فيها وإحداث قنوات فضائية ومواقع الكترونية باللغة الفارسية.

وأتساءل: لماذا مواقع المراجع الإيرانيين على الإنترنت تخرج مترجمة بعشرات اللغات منها العربية ومواقع دعاة السنة لا تخرج إلا بالعربية - هذا لمن كان له موقع!!... لماذا تدير المؤسسة المذهبية في قم عدداً من القنوات الفضائية بالعربية ولا يكون للأزهر الشريف قناة فارسية؟!

ولماذا تكتظ الجامعات المذهبية والعلمية في قم ومشهد بالطلاب العرب ولا تكاد تجد طالبا إيرانيا في الجامعات الإسلامية والعلمية في العالم العربي وعلى رأسها جامعة الأزهر الشريف؟!

ودعوني أقول بملء في: لا خطر من إيران على العالم الإسلامي، وذلك لأن التشيع - على الأقل في وجهه الصفوي الإيراني- يكتظ بما يناطح العقل ويعارض الفطرة ولا يتماشى مع صريح القرآن الكريم، وإنما العالم الإسلامي فخطره من نفسه؛ حيث الجهل والفقر والاستبداد وضياع الشخصية وفقدان الهوية...

حزب الله: الوثيقة السياسية والثورة السورية

بوزيدي يحيى^(*)

اعتقد حزب الله أن الثورات الشعبية التي بدأت من تونس ثم مصر وأسقطت نظامين خاضعين للولايات المتحدة، وبشكل خاص نظام حسني مبارك

(*) كاتب مصري.

إذا كان هناك نسب ضئيلة من الشباب ضلت الطريق نحو المجوسية والشذوذ الفكري فالمجتمع الإيراني الملتزم بطبعه يشهد حركة واسعة النطاق للعودة إلى منهج أهل السنة بين رجال الدين والمثقفين - وينسب أعلى بين الأقلية العربية - اشتدت مع العولمة الثقافية ولاسيما بعد ظهور المواقع والقنوات السنية باللغة الفارسية.

الصلات الإيرانية المصرية تفتح الأبواب على مصراعها للمجتمع المدني الإصلاحي في مصر المتمثل في الأزهر الشريف والحركات والجماعات الإسلامية من جماعة التبليغ إلى السلفيين وإلى الإخوان المسلمين، أن ينزلوا ضيوفاً كراماً على إخوانهم السنة في إيران ويساهموا في إعادة المياه إلى مجاريها، فالصفوية ليست أصلاً في هذا البلد، وإنما هي سحابة صيف لا بد وأن تتجلى.

وهم الغزو الشيعي:

استغربت كثيراً ممن يهين المصريين من خلال تضخيم الغزو الشيعي لمصر! ولا أريد أن أكون ممن يستهين بخطر عدوه فيقع فريسة سهلة في مخالفه، ولكنني أريد أن أقرأ الواقع بحنكة وموضوعية:

ثلاثة وثلاثون عاماً والنظام الصفوي يحاول بكل ما أوتي من القوة والدهاء مع سنة إيران ولم يفلح حتى اليوم من تغيير دين واحد منهم، بل هناك الألوف من الشيعة عادوا إلى التوحيد!

منذ قرون وإيران تواجد قوي في دول الخليج العربي؛ اقتصادياً وثقافياً ومذهبياً، وبما أن أكثرنا يعتقد بأن المستوى الثقافي للمواطن المصري أرفع من نظيره الخليجي وأن نسبة الجهل في هذه الدويلات أكبر بكثير من مصر، لم نسمع يوماً أن إيران استطاعت أن تشيع أناساً في هذه الدول؟! وكذلك الحال في باكستان وأفغانستان وإندونيسيا وغيرها من الدول..

أجل!...

اشترت إيران ذمماً ووظفتها لسياساتها.. ساهمت في إفساد أخلاق بعض التائهين بفتنة بنات المتعة.. لكنها لم تفلح في كسب شيعة لها، بل خسرت كثيراً من عقلاء الشيعة ومفكريهم في تلك الدول بما أدارت من الفتن والاعتقالات في صفوفهم!

ترتفع يوماً نسب من يعودون إلى التوحيد والرشد

(والمعروفة مواقفه من المقاومة) حلقة من حلقات تراجع المشروع الأمريكي وإخفاقه التاريخي في مقابل صعود محور المقاومة والممانعة، بل وحتى اختصار مسافات الصراع بينهما، كما نصت عليه الوثيقة السياسية الثانية للحزب التي صدرت قبل سنة من بداية الحركات الاحتجاجية الشعبية (نوفمبر ٢٠٠٩). واندفع الحزب وإيران وراء الذراع الشيعي البحريني في استغلال التحولات لتثبيت أتباعها في المملكة والتضييق على خاصرة الأمن القومي الخليجي، غير أن الثورة السورية خلطت الحسابات الأمريكية والإيرانية على حد سواء.

وإذا كان موضوع الانعكاسات الدولية والإقليمية شائك ومعقد تناولته الكثير من الدراسات التي ناقشت مستقبل النظام الإقليمي، فإن ما يعنينا في هذا المقام هو إلقاء مزيد من الضوء على وثيقة حزب الله السياسية الثانية، وما تضمنته من أفكار انطلاقاً من المستجدات على الساحة السورية وسلوكه نحوها. وأهمية مناقشة الوثيقة السياسية للحزب على هذا الأساس تكمن في أننا أمام أول اختبار عملي لما أعتبر تطوراً في الفكر السياسي للحزب، لأن القراءات السابقة التي رأت في الوثيقة مجرد «خدعة تقيوية» من طرفه اتهمت بالتعامل عليه والعمالة، وغير ذلك مما هو مألوف في الأسطوانة المشروخة لطابور الولي الفقيه.

النهاية الأخلاقية

نصت الوثيقة على «أن معايير الاختلاف والنزاع والصراع في رؤية حزب الله ومنهجه إنما تقوم على أساس سياسي - أخلاقي بالدرجة الأولى، بين مستكبر ومستضعف، وبين متسلط ومقهور، وبين متجبر محتل وطالب حرية واستقلال». هذه الهالة الأخلاقية التي أحاط بها الحزب نفسه كمضج بالغالي والنفيس من أجل الأمة وآخر قلاعها وحصونها في وجه الهيمنة الغربية، والتي اغتربها كثيرون، كانت أهم مصادر قوته، وقد استطاع من خلال الآلة الإعلامية الإيرانية وملاحقتها العربية التعتيم على كل ممارساته الداخلية والخارجية المتناقضة، وتوظيفها لصالحه.

هذا الرصيد الأخلاقي الظاهري الذي كان يستثمر فيه الحزب خدمة للمشروع الإيراني بدأ بالتآكل سريعاً

مع الثورة السورية حيث وجد الحزب نفسه في مأزق التوفيق بين الرأي العام الشيعي والعربي في تبرير انخراطه إلى جانب النظام النصيري في سفك دماء الشعب السوري. وأبرز تجليات هذا المأزق وعلامات الانهيار الأخلاقي الغياب القسري لأمينه العام حسن نصر الله فضلاً عن مضمون خطابه، ففي المرحلة الأخيرة لوحظ غياب كبير لنصر الله، وهو الذي كثر خروجه الإعلامي في بدايات الثورة السورية، وعلى عكس ما يفترضه التحليل المنطقي من أن يصبح حضوره الإعلامي أكثر بحكم التطورات والمستجدات الميدانية وخطورتها إلا أنه أثر الصمت وأسند توضيح الانخراط العلني في معارك القصير وتواتر الأنباء عن وجود عشرات الآلاف من مقاتليه في جميع أرجاء سورية - وهو رقم تدلل عليه جوائز القتلى - لرجال الصف الثاني من القيادات.

وخطابه الأخير الذي صرح فيه بالدعم المباشر للنظام السوري مختلف كلياً عن خطابه المعهود إذ اتسم بكونه خطاباً دفاعياً أكثر منه هجومياً، فرغم أن الموضوع لم يكن يتعلق بمجرد صراع سياسي داخلي وإنما مرتبط بمسألة مصيرية لما يسمى بمحور الممانعة والمقاومة إلا أنه غابت عنه روح المبادرة، وهو أمر مختلف تماماً عن خطاب نصر الله في معاركه ضد إسرائيل.

وبكل تأكيد فإنه بعد مرور سنتين لم يعد أي مجال لأكاذيب نصر الله التي حاول فيها تغطية الحقائق ونفي الوقائع ظناً منه أن الأمور ستحسم في وقت قصير كما كان يردد بشار الأسد يومها، حيث خرج نصر الله على وسائل الإعلام نافياً ما تقوم به قوات النظام من تدمير لمدينة حمص مثلاً، حاصراً الأمور من خلال «مصادره هناك» في إطلاق نار بسيط فقط، كما أن جرائم النظام لم يعد مجدياً أن تبرر بنظرية المؤامرة ولذلك فإن خروج نصر الله بشكل متكرر كما في السابق، الذي فاق قيادات النظام السوري نفسه سيكون حديثاً فجاً ينهي ما تبقى للحزب من شبه مصداقية في عقول بعض الحمقى والمغفلين.

وقد كان نصر الله يردد عبارة «أننا لا نخجل بقتلانا لأننا نعتبرهم شهداء» في محاولة نفيه تواجد مقاتلي الحزب في سورية، وحاول أن يؤكد ذلك بحديثه عن الجوائز التي تقام لشهداءه، ولكنه استمر في لعبة النفي

بشكل مباشر في الفصل الثالث أو من خلال الإشارة إليها في سياق المحاور الأخرى لدرجة يمكن القول إن شرعية الحزب مستمدة بدرجة أولى من موقفه من القضية الفلسطينية، كما أن موقف إيران منها يمثل عربونا يستوجب على كل الدول العربية في مقابله السكوت عن كل ما تقوم به طهران على حساب مصالحها وأمنها القومي، وفي سياق متصل حاول حزب الله توثيق علاقته بفلسطين من خلال تأكيده بشكل قاطع وجازم مساندته وتأييده ودعمه للشعب الفلسطيني وحركات المقاومة الفلسطينية ونضالها في مواجهة المشروع الإسرائيلي، واستغل هذا البعد لتجاوز الإطار الطائفي الذي كان ينعت به من خلال حديثه عن دور المقاومات وذكر بالاسم المقاومة العراقية وحركة طالبان.

وقد بدا أن هدف حزب الله من هذا الربط سد خلل واضح في نظريته إلى مفهوم «المقاومة»، والتي كانت مأخذاً للآخرين عليه ودلالة على «مصلحية» دور المقاومة لديه و«ضرورة» ارتباطها بإيران حتى يتم تصنيفها على أنها «مقاومة». وكان هدفه من ذلك سد هذه الثغرة وكسب الجماهير وإعادة الترويج لحزب الله «بشكل جديد» خاصة بعد الانتكاسات التي ضربت شعبيته في العالم العربي والإسلامي وخاصة بعد العام ٢٠٠٦. وبدل الرجوع إلى الأرشيف لتأكيد الفرضية كما فعل الباحث علي باكير^(١)، فإن مواقف الحزب في هاتين السنتين بعد صدور الوثيقة تثبتت بما لا يدع أي مجال للشك.

فالواقف المتناقضة بين حركة حماس وحزب الله من الثورة السورية وخروج قياداتها من دمشق، فضلاً عما يتعرض له مخيم اليرموك للاجئين في العاصمة من تدمير وانتهاكات من طرف النظام كان بمثابة القطيعة شبه النهائية بين الطرفين، فالنظام السوري لم يرضَ بأن تلتزم حماس الحياد أو الصمت في المعركة وإنما أراد أن تتخبط معه وتبرر أعماله، والمرتزة من اليساريين ممثلون في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين برئاسة أحمد جبريل اختاروا صف النظام طبعاً ليس لمواجهة الإمبريالية

بتقليله عدد القتلى ووصف الأرقام المتداولة في الإعلام بالمبالغ فيها، وبغض النظر عن كل ذلك فإن الواقع يثبت أن الحزب في هذه المعركة لا يدير الحرب الإعلامية بنفس الصيغة التي كان يديرها خلال حربه مع إسرائيل، فغالبا ما تكون البيانات رد فعل على ما يكشفه الجيش الحر والإعلام من عمليات للحزب أو قتلى في المعارك، ينكرها الحزب في البداية ثم يعود ليؤكد ما جزئياً، والتصريح بالدور القتالي لم يكن مباشراً وصريحاً على غرار معاركه مع إسرائيل، إذ انتظر كل هذا الوقت ليقر بأن ما كان يجري بشكل غير علني أصبح يجري على العلن، وسبب التأخر في الإعلان هو إدراك ردة الفعل منها، بعدما انتزعت عنها كل الأغذية الأخلاقية، وحتى مجالس العزاء التي تقام تفرضها ضرورة الاعتبارات الداخلية لعلاقة الحزب بحاضنته الاجتماعية الشيعية.

وهو لا يصور معاركه وبطولاته في سورية، بل على العكس يحاول في سياق الحشد الطائفي لجمهوره أن يصور نفسه في موقع الضحية كما تشهد عليه التغطية لما جرى في بلدة الهرمل. وإعلامه يتحدث فقط عن إنجازات الجيش النظامي وليس بطولات حزب الله. وحتى المدافعين عن النظام ونصر الله عبر الفضائيات يجدون صعوبة كبيرة جداً في تبرير مواقف حزب الله والأسئلة المرحجة التي تطرح على غرار الدفاع عن مقام السيدة زينب.

كل هذا يبين إدراك الحزب لحقيقة وحجم الفارق بين الماضي والحاضر، ولا يستطيع أبداً أن يحتفي بما يتصوره من إنجازاته في سورية للرأي العام العربي كما كان يفعل سابقاً، وفي كل الأحوال مهما فعل الحزب فإنه لن ينظم عنه بيت شعر أو قصيدة تتغنى ببطولاته، والأحرى بمن فعل ذلك أيام حرب ٢٠٠٦ أن ينظم قصائد أخرى تهجوه.

ولكن في اتجاه آخر وفي ظل حديث نصر الله بصيغة «لن» التي تفيد الاستقبال وما تدل عليه من قرار نهائي لحزب الله أو بتعبير أدق لطهران في المضي إلى جانب النظام حتى النهاية فإننا لا نستغرب أن يخرج حسن نصر الله ليتحدث ليس عن حيفا وما بعد حيفا وما بعد حيفا، وإنما عن القصير وما بعد القصير وما بعد القصير.

المقاومات: القطيعة النهائية

أعطت الوثيقة حيزاً كبيراً للقضية الفلسطينية

(١) لتفاصيل أكثر أنظر: علي حسن باكير، ملاحظات أولية على وثيقة حزب الله السياسية ٢/٢، مجلة الراصد، العدد ٨٠، صفر ١٤٣١، على الرابط:

http://alrased.org/main/articles.aspx?selected_article_no=4119

وإنما بفعل النزوات والمصالح الشخصية التي جعلت من القضية الفلسطينية غطاء لإبادة شعب يتطلع للحرية. أما حزب الله فبدل أن يرفد خيار النأي بالنفس الداخلي بالحياد محاكاة لحركة حماس، أدار ظهره هو الآخر لها خاصة بعد حديث نصر الله في خطابه الأخير عن الأصدقاء الحقيقيين لسورية الذين لن يسمحوا بسقوطها، وبمفهوم المخالفة فإن هناك أصدقاء آخرين غير حقيقيين وصادقين، ولا شك أن حماس تأتي في مقدمة هؤلاء في ظل الحملات الإعلامية ضد الإخوان المسلمين عموماً وحماس خصوصاً التي يشنها الإعلام الممانعاتي.

وأي تقارب جديد بين حركة حماس وحزب الله سيعني بالضرورة تباعد بينها وبين النظام الجديد في سورية الذي سيكون الإخوان المسلمون لاعبا مؤثرا فيه، وفي مقابل إمكانية دخول النظام الجديد في حرب مفتوحة مع حزب الله إذا ما ذهب الحزب بعيدا في تورطه مع النظام لتقسيم سورية، وهذا سيناريو محتمل نظرا لاستحالة تفريط طهران في موقع قدم لها في سورية مهما كان شكله، ولربما قد يجد نوعا من الدعم الغربي تحت ظل حماية الأقليات. كما أن النظام الجديد سيتيح للمقاومة الفلسطينية متنفس آخر للنشاط والعمل ربما بأضعاف ما كانت عليه في السابق، وهذا ما قد يرسخ القطيعة النهائية بين حماس وحزب الله.

الاندماج واللبننة

اعتبر البعض أن وثيقة حزب الله السياسية لعام ٢٠٠٩ تعكس الاندماج الفعلي للحزب في السياسة اللبنانية منذ تم انتخاب ممثلين له في مجلس النواب لأول مرة عام ١٩٩٢، ومنذ بدأ في عام ٢٠٠٥ المشاركة في تأليف الحكومات اللبنانية المتعاقبة^(١)، وأنها خطت خطوة مهمة نحو «اللبننة» عكست انخراط الحزب في الحياة السياسية الداخلية أسوة بالأحزاب والتيارات السياسية الأخرى^(٢)، ولكن الواقع أثبت أن الحزب مندمج في

النظام السوري أكثر منه في النظام اللبناني بحيث تحول إلى جهاز أمني مساند في بعض المناطق ومتقدم في مناطق أخرى مثل القصير التي ملأ فيها الفراغ الذي تركه انسحاب جيش الأسد.

ونظرا للعلاقات التاريخية بين سورية ولبنان ناهيك عن التحالفات والاصطفافات بين القوى السياسية من مختلف القضايا الإقليمية اعتبر كثيرون شعار «النأي بالنفس» خيارا صعب التحقيق لحد الاستحالة، وهذا ما أثبتته الوقائع لاحقا، إذ في حين انحاز حزب الله إلى جانب النظام، أيدت قوى ١٤ آذار الثورة، ولكن مع فرق شاسع، فبينما توقف تيار المستقبل وحلفاؤه عند حدود الدعم السياسي فإن حزب الله انخرط في القتال إلى جانب النظام من اليوم الأول في الخفاء ثم أصبح الأمر معلنا والكلام لنصر الله نفسه، أما الدعم العسكري السني فقد جاء من الشيخ أحمد الأسير وغيره من العلماء اللبنانيين ولكن كرد فعل عن جهر حزب الله بقتاله في سورية، وتجدر الإشارة هنا إلى عدم المقارنة بين مليشيات حزب الله المدربة والمؤهلة، وبين متطوعين مدنيين من الطرف الآخر.

سبق ذلك أشكال مختلفة من الصراع كالمظاهرات المؤيدة لهذا الطرف أو ذاك، إلى الاشتباكات بين باب التبانة وجبل محسن، مروراً بالاغتيالات التي كان أبرزها اغتيال اللواء وسام الحسن المرشح المحتمل لخلافة اللواء أشرف ريفي في مديرية قوى الأمن، والشيخين السنيين، والمحاولة الفاشلة للوزير السابق ميشال سماحة الموالي لسورية، حيث خطط للقيام بتفجيرات واغتيالات في لبنان بالتنسيق مع مسئول الأمن السوري.

ورغم كل هذا فإن خيار «النأي بالنفس» كان الخيار الوحيد الذي يفترض أن يضمن أمن واستقرار لبنان وعدم انزلاقه إلى منحدر خطير من الاحتراب الداخلي أو الحرب الأهلية التي عانى منها البلد في سبعينات وثمانينات القرن الماضي.

والذي يتحمل مسؤولية فشل هذا الخيار هو حزب الله

(١) جمال عبد الجواد، وثيقة حزب الله السياسية. ما الجديد؟، الأهرام اليومي، ٢٠٠٩/٠٩/١١، على الرابط:

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=18068&eid=184>

(٢) أحمد الزعبي، قراءة في وثيقة حزب الله: حدود التلاقي والافتراق بين

=

الانتماء الوطني والنزعة الإيديولوجية، جريدة المستقبل، العدد ٣٥٠٠، ٢٠٠٩/١٢/٠٣، على الرابط:
<http://www.almustaqbal.com/storiesv4.aspx?storyid=381575>

لأنه هو من سخر الحكومة التي كان يسيطر عليها خدمة للأوامر التي تأتيه من طهران دون مراعاة أي اعتبار داخلي، ولما استنفدت مهامها استقالت عندما أصبح وجودها لا يستقيم مع تحول الحزب إلى التصريح بدوره في سورية كون رئيسها هو صاحب فكرة النأي بالنفس، التي كان بإمكان الحزب أن يجسدها، ولا يمكنه أن يدعي أنه في المعارضة وأن الحكومة تخدم المشروع الأمريكي كما دأب عليه في وقت سابق.

والأسوأ من ذلك أن الحزب لم يكتفِ بتبرير مواقفه على المستوى الإقليمي والدولي، وإنما جعل من تدخله في سورية واجبا وطنيا، فالدفاع عن الشيعة في القرى السورية واجب وطني، وهذه المحاولة هي الأخرى لسد الثغرة الأخلاقية لتهذيب الخطاب أو عدم التصريح بحقيقة البعد الطائفي لأن الحزب هو ديني أولا وأخيرا.

وحتى الواجب الوطني هو جزء من الواجب الديني وبالتالي فإن الحديث عن لبنان في الوثيقة الثانية للحزب لا يخرج عن هذا الإطار إطلاقا، وحتى إذا سلمنا جدلا بأن حماية اللبنانيين في سورية واجب وطني بعدما تولى جيش الدولة السورية عنهم فهل حماية مقام السيدة زينب واجب وطني أيضا؟ والملفت للنظر أن النظام السوري لم يتحدث عن المقاتلين اللبنانيين الذين يدخلون من الحدود، ولم يتحدث عن السيادة السورية المنتهكة من قبلهم وعن دوره الوحيد في حماية الشعب السوري.

الطائفية والوجهة الثالثة لسلاح الحزب

النقطة التي كانت محل جدل بين النخب اللبنانية هي موضوع سلاح حزب الله الذي يتناقض مع حديثه عن دولة قوية، لأن أبسط أبجديات تعريف الدولة في العلوم القانونية والسياسية هي احتكارها للقوة وفرضها القانون، وقيامها بدور حماية المواطن من المخاطر الخارجية والداخلية، وسلاح حزب الله يتناقض مع هذا، ولتجاوز هذه الإشكالية كان الحزب يبرر امتلاكه للسلاح بأنه سلاح مقاومة ضد العدو الإسرائيلي، وأنه دفاعي لن يوجه للداخل، وبعد تصريح حزب الله بدور الحزب في سورية فإنه أضاف مهمة جديدة أو وجهة ثالثة لسلاحه وهي حماية بلد آخر له سيادته أو يفترض ذلك، فمنذ حرب ٢٠٠٦ أغلقت الجبهة الإسرائيلية بشكل نهائي - حتى الآن على الأقل - بين حزب الله وإسرائيل، وفي سنة ٢٠٠٨ فتح الحزب الجبهة الداخلية،

والآن انتقل إلى الجبهة السورية مخليا الجبهة الإسرائيلية. والجديد في هذه الجبهة أنه انتقل من «المقاومة» والدفاع لحماية لبنان إلى الهجوم أو توسيع دوائر الدفاع على أسس شيعية وليست لبنانية رغم أنها مغلفة بهذا الغطاء، هذا إذا سلمنا جدلا بأنه يقاتل فقط في القرى الحدودية في القصير، ولكن هذه الحقيقة التي كان ينفيها الحزب في بدايات الثورة سرعان ما عاد ليؤكددها مؤخرا، ولن يكون غريبا أن يعود ويقر في وقت لاحق بتواجد الحزب في كل جبهات القتال، كما أقر بحماية مقام السيدة زينب.

وهذا يثبت طائفية الحزب التي حاول البعض نفيها عنه، بدليل مشاركته في النظام الطائفي اللبناني ولكن في إطار المقاومة ذلك لأنه لا يمكن أن تكون المقاومة طائفية. فهي في الجوهر مقاومة وطنية وفي السياق ذاته هي مقاومة قومية تتخطى الأصول الطائفية^(١)، ولكن وكيل الولي الفقيه بدل أن يعمل على إلغائها في النظام اللبناني يريد في الحقيقة تعميمها في المنطقة كلها.

وكما بقراره تلطيخ يديه بالدم السوري وجرائمه في حق السوريين دق آخر مسمار في نعش اللبنة، فإن الحزب بتغييره وجهة البندقية من الصهاينة إلى السوريين ينسف أيضا كل ما جاء في الوثيقة الثانية من مساحيق تجميلية لأيدلوجيته الشيعية الطائفية، فالحزب ينطلق من أسس عقدية يستحيل النظر له من نافذة مغايرة لها، كما أثبت مدى تبعية النظامين السوري والعراقي للولي الفقيه الإيراني، وأكثر من ذلك فمشروع حزب الله ليس شرخا سنيا شيعيا وإنما محاولة لخدقة كل الأقليات في وجه عموم الأمة السنية، فالغاء الطائفية من خلال الأقلية، في إطار تحالف الأقليات.

خلاصة

في وثيقته الأولى «من نحن وما هي هويتنا» عرّف فيها الحزب نفسه قائلا «إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم، نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، كل واحد منا

(١) مروان فارس، قراءة قومية في وثيقة «حزب الله»، على الرابط: <http://ssnp.net/content/view/13490>

يتولى مهمته في المعركة وفقاً لتكليفه الشرعي في إطار العمل بولاية الفقيه القائد، نحن في لبنان نعتبر أنفسنا - وندعو الله أن نصبح جزءاً من الجيش الذي يرغب في تشكيله الإمام من أجل تحرير القدس الشريف».

هذا النص من الوثيقة الأولى أو الرسالة المفتوحة للحزب هو القراءة الحقيقية لحزب الله وفكره، والتي أثبتتها مواقفه وأعماله ضد الثورة السورية، يومها كان هامش التقية بفتوى من الخميني قليلاً جداً للفتوة والحماسة التي طبعت نظام الملالي حينها، عندما ظن أتباع ولاية الفقيه أنهم سيكتسحون العالم، وأن هذا زمنهم وزمن حضور مهديهم، ولكن الحرب الأهلية والتطورات التي شهدتها المنطقة وإيران نفسها، والمساءلة السياسية للحزب والتطور في وسائل الإعلام الذي عرّف عموم أهل السنة بحقيقة حزب الله والمعتقدات الشيعية دفعت الحزب إلى العودة إلى لحاف التقية والمناورة مرة أخرى.

وربما كتب لهذه الخطوة النجاح النسبي، غير أن الفاصل الزمني القصير بين الإعلان عن الوثيقة وحركات الاحتجاج التي انتهت إلى ثورات شعبية سرعان ما انتقلت إلى سورية كشفت حقيقة الحزب مرة أخرى، ولكن السؤال الذي يطرح: ماذا بعد هذا؟ هل هي نهاية حزب الله أم أنه سينجح مرة أخرى في خداع الأمة؟

الثورة السورية بين علماء السلطان وسلاطين العلم

عمار الشرفي^(١)

(هذا مقال قديم لكن لأهميته نعيد نشره. الراصد)

جرت العادة أن لكل سلطان حاشيته من علماء الدين، يسوقون ويزوقون، يسوغون ويهللون، ويضفون على قرارات الحاكم لبوس الدين وقدسسية الشرع، ومباركة السماء!

وبالمقابل هناك علماء يخالفون وينتقدون، ينكرون ويذمون، وإلى التغيير والإصلاح يهدفون.

(♦) كاتب يمّني.

وهذا أمر غير مستغرب، فأفهام الناس متباينة، ومصالحهم مختلفة، كما عبر عن ذلك البيان الرباني ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمُ** (١١٩) لهود: ١١٨ - ١١٩.

ولا أدلّ على هذه الحالة من موقف علماء ودعاة الإسلام السوريين من الأحداث التي تشهدها بلدهم إذ وقفوا صفيين متباينين:

صف إلى جانب السلطان في وجه الشعب الثائر، الذي برأيهم لا يعرف مصلحته، ولا يدرك ما يراد له، ولا أين يتجه به، لذا فكروا بدلاً منه، وقرروا نيابة عنه، وباسمه بايعوا «ولي الأمر» على السمع والطاعة، حتى وإن سجن وعذب، ومنع الإسلام من الحياة العامة بكل الأشكال. وانبروا ينظرون ويحذرون ويخونون.

ينظرون للواقع المريع وفوائده، فالديكتاتورية عندهم خير من الديمقراطية التي برأيهم لا تأتي إلاّ بشر في الدين والدنيا، وهي عبارة عن استعمار عن بعد من الغرب!

ويحذرون من المخطط الخارجي، وكيد الآخر، وعدوانه، مما يجعل قانون الطوارئ مطلباً دينياً وقومياً، لأنه حاجة ملحة، لأن البيئة السورية حالة خاصة، ولا يمكن مقارنتها بالحالة التونسية أو المصرية، رغم أن دولة الاحتلال الصهيوني رغم كل ما يحيط بها لم تفرض حالة الطوارئ.

وعلى الشعب أن يختار بين الديكتاتورية وتبعاتها، أو الاقتتال الطائفي، وليس هناك فهم ثالث. وكل من سولت له نفسه غير هذا فهو عميل متآمر، وخائن مأجور، ومخرب مغرض، ومخرب مندرس!

ووفق هذه الرؤية تحشد النصوص الشرعية في سياق وفي غير سياق، تجتزأ من هنا ومن هناك، تقدم فتوى لأنها تلبّي المصلحة، وتؤخر أخرى لأنها لا تتوافق مع الواقع العام، بل وفي هذه المرحلة «الحرّة» على الآراء أن تتحد تحت سقف الوطن، والمقصود بالوطن حزب البعث الحاكم من عشرات السنين.

والكلام عن سلب الحقوق، والاعتداء على الحريات، والقبضة الأمنية التي تحكم البلد، ونهب

خيرات وثروات الوطن ليس الوقت مناسباً للكلام عنها في هذا الظرف الراهن!

بهذه النظرة كان تعاطي الشيوخ الموالين للنظام السوري مع الأحداث التي تشهدها البلد، بدءاً بالدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الذي قال عن الشباب الشائرين بأنهم نتاج مؤامرة خارجية، وبأن وجوههم ليست وجوه مصلين، ولا تتم المطالبة للحقوق إلا بـ«الحوار» مع النظام الحاكم حقناً للدماء، وعلى هذا المنوال جرى من بعده كالدكتور مصطفى البغا.

أمّا الشيوخ الرسميون كالمفتي العام أحمد حسون الذي وصف الشباب الشائرين بالمخربين، والدكتور محمد الحبش عضو مجلس الشعب، وعبد السلام راجح عضو مجلس الشعب أيضاً، ومفتي الحنفية في دمشق «الدكتور» عبد الفتاح البزم، و«الدكتور» حسام الدين الفرفور، والدكتور محمد شريف الصواف الرئيس العام لمجمع كفتارو، وعلماء الشيعة في سورية، فكلهم هتفوا بصوت النظام، وذكروا روايته، ولم يزدوا على ما قاله سوى أنهم حشدوا ما صح وما لم يصح من النصوص الشرعية لدعم توجه النظام في وجه «المتأمرين، والمندسين، الذين ينفذون مخططات تأمرية خارجية»!

وأضحى ظهور هؤلاء الشيوخ على وسائل الإعلام السورية مسلسلاً يومياً، بعد أن كان الإسلام ممنوعاً منعاً شاملاً من الظهور في وسائل الإعلام، اللهم إلا من وجه أو وجهين «بعثيين أكثر من حزب البعث».

يتحدثون عن الفتنة والمؤامرة التي تحاك ضد سورية في الظلام، والوحدة السورية، والقيادة الحكيمة للرئيس الأسد، وأنه المجدد المرجو كما قال ذلك الدكتور محمد الحبش، وعن حرمة الخروج عن ولي الأمر، وعن «الحكمة» في طلب الحقوق، والحوار، و... **وأجمعوا على كيل التهم للعلامة القرضاوي الذي بزعمهم هو داعية فتنة، وعالم سوء مأجور، وحزبي تابع، و...**

وما تعرضوا للدماء التي سالت على أيدي قوات الأمن تجاه الشباب الأبرياء المسلمين، بل أكثر من ذلك أنهم ذهبوا مذهب النظام في تفسير ثورة الشباب من أنهم مخربون ومندسون!

علماء ودعاة في صف الثورة

وفي الوقت الذي التزم فيه بعض الشيوخ الصمت كالدكتور الفقيه وهبة الزحيلي والداعية المعروف محمد راتب النابلسي الذي اتبع منهج «إن لم تستطع أن تقول حقاً، فلا تقل باطلاً»، اصطف علماء ودعاة وشيوخ آخرون إلى جانب ثورة الشباب كالعالم الجليل الشيخ أسامة عبد الكريم الرفاعي خطيب جامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي بدمشق، والذي شهد مسجده مظاهرات عارمة تطالب بالإصلاح، ويمكن القول من أنه أصبح لسان حال شباب الثورة السورية ضد النظام الحاكم. وهو من وقف بكل إباء يتحدث عن الظلم الذي يمارسه النظام، وعن حتمية رفع قانون الطوارئ الجاثم على صدور السوريين من نصف قرن من الزمن، وعن حقوق الإنسان في البلد، وعن المعتقلين، والحريات، والحياة السياسية في البلد.

وتبعاً للشيخ، سار من يسمون في سورية بـ«جماعة زيد» كالشيخ سارية الرفاعي، والشيخ نعيم العرقسوسي، ولو أنهم لم يزدوا على القول اللين في النصح للنظام الحاكم.

وانضم إلى هؤلاء الشيخ نعيم الحريري، الذي سقط قريبون له شهداء في الأحداث، والشيخ معاذ الخطيب خطيب الجامع الأموي سابقاً، والممنوع من الخطابة، والدكتور عماد الدين الرشيد نائب عميد كلية الشريعة الذي تم اعتقاله من الأمن هذا الأسبوع. وأيضاً انضم إليهم الشيخ محمد كريم راجح شيخ قراء دمشق الذي ورغم عدم وقوفه مع أهل درعا، إلا أنه عاد من جديد ليدعم الشباب المطالبين بالإصلاح العام في خطبته الأخيرة، دون نسيان الشيخ أحمد صياصنة خطيب الجامع العمري بدرعا، وكل خطباء درعا.

أمّا الشيوخ المغتربون عن الموطن كرها كالدكتور محمد علي الصابوني، والشيخ العرعور، فقد وقفوا بجانب شباب الثورة، وأيدوها ببيانات، وتصريحات.

وهؤلاء الشيوخ غيب صوتهم، ومنعوا من الظهور الإعلامي، والتجمعات، وروقت حركاتهم، وضيق عليهم في كل مناحي الحياة.

وبين هؤلاء وأولئك، ووسط سقوط عشرات الضحايا المدنيين، وجرح المئات منهم، تمضي الثورة السورية إلى مصير لا يعلمه إلا الله.

تاريخ التشيع في جزر القمر:

أول بروز علني للشيعة في جزر القمر كان قبل ست سنوات، خلال الاحتفال بذكرى عاشوراء، بشكل مفاجئ في ٢٩ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧ والذي يسميه الشيعة في جزر القمر (يوم التبليغ للشيعة)، حيث خرجت مجموعة من المتشيعين إلى شوارع مدينة مروني العاصمة في صورة لا تختلف عن احتفالات الشيعة بهذا اليوم، سواء في إيران أو العراق أو جنوب لبنان. وقبل ذلك كانت هناك خلايا شيعية تنشط بالخصوص في مدينة متسامود عاصمة جزيرة هنزوان.

وتعتبر جزيرة هنزوان وعاصمتها متسامود مسقط رئيس عبد الله سامبي، المعقل الرئيسي لحركة التشيع في جزر القمر، وكذلك في بعض المدن والقرى في جزيرتي القمر الكبرى وهنزوان إلا أن تاريخ التشيع في جزر القمر يعود إلى الثمانينات من القرن المنصرم، بعد أن رجع الرئيس السابق الملقب بآية الله سامبي من دراسته في إيران ونشط نشاطاً مبهراً في المجال الدعوي من خلال الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها، ليس في جزيرته فقط وإنما في جميع الجزر بما فيها جزيرة ماووري المحتلة من قبل فرنسا، وأصبح من الدعاة المشهورين الذين يدعون في المناسبات الدينية والاجتماعية من قبل العامة والخاصة فأصبح معروفاً لديهم وقريباً من قلوبهم بسبب عاطفة الشعب الدينية وحبهم للدعاة وأهل الصلاح.

وقد أنشأ عبد الله سامبي في وقت مبكر في جزيرة هنزوان جماعة سماها (أنصار الإسلام)، كما أنشأ المتشيع رقم (٢) المدعو محمد ملجاو جمعية في جزيرة القمر الكبرى تسمى (جمعية الثقلين)، وكانت بمثابة خلايا سرية لحركة التشيع في جزر القمر... ويقدر عدد المتشيعين في جزر القمر حسب المصادر الشيعية العالمية بـ ٦٠٠٠ متشيع تقريباً، أما المصادر الشيعية المحلية فيقدرونهم بألف متشيع تقريباً، وأياً كان العدد الصحيح، فهو عدد كبير نسبياً إذا ما قورن بالفترة الزمنية وبعدد السكان في جزر القمر البالغ ٨٠٠ ألف نسمة.

عوامل سعى ويسعى الشيعة لاستغلالها لنشر

دعوتهم:

لا شك أن التغلغل الإيراني في جزر القمر وسعيها

المد الشيوعي في جزر القمر... دلالات وأبعاد

بخاري مردابي موسى^(١)

تمهيد:

تشهد جزر القمر في السنوات الست الأخيرة تصاعدا ملحوظا للنفوذ الإيراني وللتمدد الشيوعي وبصورة متسارعة وملفتة، شأنه في ذلك شأن سائر حركات التشيع والحملات الصفوية المنتشرة في الدول الإسلامية بصفة عامة، وفي القارة الإفريقية بصفة خاصة.

فمنذ انطلاقة الثورة الإيرانية وهي تحاول مد النفوذ الشيوعي خارج أراضيها وإن تغيرت أساليبها لتحقيق ذلك، من الشكل الصريح لنموذج تصدير الثورة، إلى التغلغل في صورة منظمات خيرية، ومؤسسات اجتماعية، مروراً بالكتب والمنشورات، حيث شرعت إيران في السعي لتحقيق العديد من الأهداف، وفي مجالات متعددة، وهذا ما يجري في جزر القمر، فحركة التشيع في الجزر قد بدأت تأخذ زخماً متزايداً خلال الفترة الأخيرة.

ومنذ تولي عبد الله سامبي (المتهم بالتشيع منذ أن كان طالباً في إيران) رئاسة الجمهورية في عام ٢٠٠٦ أخذ التوجه نحو التشيع لدى أبناء جزر القمر في التنامي بصورة مرحلية وممنهجة، بل ومؤسسية، وعبر آليات ووسائل متنوعة ومتعددة تحت ما يسمى بتصدير الثورة، مما شكل نقطة مفصلية في تاريخ جزر القمر وفي تاريخ الدعوة الإسلامية، وهذا ما يستدعي من الجميع - وأولهم العلماء والدعاة - تحمل المسؤولية وأخذ الحذر وبذل الجهود الممكنة للتصدي لهذا الخطر، واستئصال بذرة الفتنة قبل أن تكبر، لأن منبت الفتنة هو تعدد الطائفة وتعدد الفئات في البلد الواحد، ولهذا تأتي هذه الدراسة بإلقاء الضوء على تأثير هذه الحركة السرطانية ومحاولة لكشف المستور تجاه القضية، للوصول إلى حلول عاجلة وآليات ومشاريع عملية تكون صدا منيعاً وحصناً حصيناً لمجتمعنا القمري بإذن الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز.

(♦) كاتب إيراني.

الحديث لتشجيع مواطنيها قد حقق نجاحات لا بأس بها نسبيا وذلك يرجع إلى عدة عوامل، من أهمها:

١- الطلاب القمريون الذين يدرسون في مدغشقر وكينيا حيث يتم تشجيعهم من قبل السفارات الإيرانية ومراكزهم الثقافية الموجودة في هذين البلدين وذلك من خلال استغلال خيبث لظروف الطلاب المعيشية وظروف الغربية، وقد ثبت من خلال المتابعة والرصد أن معظم المتشيعين في جزر القمر تشيعوا في مدغشقر، حيث يوجد فيها وفي كينيا مراكز وهيئات إيرانية لأجل تشجيع شرق إفريقيا والقرن الإفريقي.

٢- المنح الإيرانية الدراسية المجانية للجنسين التي فتحت على مصراعيها في الدولة الصفوية أو بمراكزها التعليمية في كينيا حيث (معهد الرسول الأكرم) الذي أسسه الإيرانيون، أو غيره من المراكز الأخرى في بعض الدول الإفريقية ليعودوا غداً على نهج الرئيس السابق، وهناك خلايا تنشط في استقطاب الطلاب لهذا الغرض، ويوجد في إيران حالياً المئات من الطلاب معظمهم من هنزوان يواصلون دراستهم في جامعة قم الإيرانية.

٣- تولي الرئيس سامبي - المتشيع والموالي لإيران - منصب الرئاسة في بلاده، فقد حرص على تقوية علاقات بلاده بإيران، ففي (يونيو/ حزيران ٢٠٠٨) زار سامبي إيران على رأس وفد اقتصادي - سياسي رفيع المستوى، وأكد على ضرورة الاستفادة من تجارب الخبراء الإيرانيين في تنمية بلاده، حيث تم استثمار هذا الحدث من قبل إيران والشيعة في تحقيق وجودهم في جزر القمر سواء من خلال تكثيف نشاطاتهم الدعوية والتبشيرية بصورة ملفتة كمأ ونوعاً، أو من خلال الزيارات التي تتم وبصورة ملفتة كذلك من قبل إيران والشيعة في العالم والذي أدى إلى تطور العلاقة الدبلوماسية والثقافية بين جزر القمر وإيران ولأول مرة، بصورة غير عادية، كما تم تسجيل زيارات لشخصيات شيعية من السعودية والسودان ولبنان والبحرين وسوريا وغيرها.

٤- مشكلتا الفقر والجهل التي يعاني منها معظم مواطني جزر القمر حيث تعد جزر القمر من أفقر ثلاث دول في العالم، فميزانيتها السنوية حوالي (٧٠) مليون دولار، و ٨٠٪ من القمريين فقراء أو تحت حد الفقر، أما الجهل بالدين فهو نتيجة طبيعية للمنهج التربوي والتعليمي

المعتمد من قبل الدولة والذي لا يدرس فيه الإسلام ولا اللغة العربية، وبهذا تسلل الشيعة عبر جمعيات الإغاثة والمنظمات الخيرية وقد تم تسجيل أكثر من ثماني مؤسسات خيرية إيرانية تعمل في جزر القمر كلها دخلت في عهد سامبي ولها فروع في الجزر الأخرى.

٥- الغياب العربي عن جزر القمر، وأزماتها، واحتياجاتها (باستثناء بعض المساعدات المالية الخليجية وبعثات طلابية في جامعات مصر والسودان والسعودية)، فالدولة العربية أو الإسلامية الوحيدة التي تمتلك سفارة لها في موروني هي ليبيا، ثم السودان التي فتحت سفارة لها قبل سنتين تقريبا.

٦- قلة المؤسسات الخيرية الإسلامية العاملة في جزر القمر وضعف المؤسسات الخيرية المحلية، ما خلق فراغا واضحا في الساحة تملؤه إيران والشيعة، والغريب أن علاقة جزر القمر مع الدول العربية سبقت العلاقة القمرية الإيرانية بثلاثين سنة. ولكن اللافت أن حضور إيران في الساحة القمرية أكبر وأقوى بكثير من الوجود العربي.

٧- استغلال الصوفيين، وحب القمريين لأهل البيت واحترامهم من الأبواب التي استغلها الشيعة في نشر فكرهم والتبشير بدينهم.

٨- محاولة استثمار بعض الآثار التاريخية الدينية في جزر القمر وبعض الطقوس الدينية والبدع المنتشرة لإثبات أن القمريين شيعة بالفطرة، والزعم بأن الشيعة هم الذين أدخلوا الإسلام لجزر القمر وأن الأجداد الأوائل كانوا يعتقدون المذهب الشيعي، وهذا بالتأكيد لا يُثبت تشيع جزر القمر فالبدع والخرافات العقدية المنتشرة في جزر القمر، هي بسبب تفشي الجهل وغياب الوعي الديني.

٩- البعد الجغرافي لجزر القمر عن العالمين العربي والإسلامي وفي المقابل فموقعها الجيوسياسي الهام يجعلها عرضة للاستهداف الشيعي والإيراني ضمن خطة الدولة الإيرانية في الاهتمام بالقارة الإفريقية لتحقيق بعض الأهداف الثقافية والسياسية والاقتصادية.

١٠- غياب أو ضعف آليات الدعوة الإسلامية والتوعية الدينية في جزر القمر فالدولة القمرية ليس لها أي دور إيجابي تجاه الإسلام، فكل المجهودات الدعوية والتعليمية الإسلامية يقوم عليها متطوعون بجهود فردية ومعظمها ليس على مستوى التحدي، ولا على درجة قوة التيار الإيراني، فعندما تقاوم شخصا أو فئة أو جماعة

فكرياً فلا بد عليك حينئذ أن يكون لك علم بوسائله وطرقه.

١١- عدم وجود رقابة جادة للدولة تجاه المنظمات الأجنبية العاملة في البلد، سواء في أنشطتها أو في ميزانيتها أو في مدى تحقيق أهدافها التي جاءت من أجلها وغيرها من الأمور التي من الطبيعي أن تكون على علم من الدولة، فاستغلت المنظمات الإيرانية هذا الفراغ لنشر التشيع.

العلاقات القمرية الإيرانية وأثرها على نشر التشيع:

إن المتابع للشأن القمري ولشأن العلاقات بين الدول يلاحظ تطوراً غير طبيعي أو غير عادي فيما يخص العلاقات القمرية الإيرانية، فقبل تولي الرئيس السابق (عبدالله سامبي) رئاسة الجمهورية القمرية المتحدة في سنة ٢٠٠٦ لم تكن هناك علاقة بين جزر القمر وإيران ولم يكن لإيران أي وجود فيها، وبعد تولي سامبي بدأت العلاقة بين البلدين وأخذت تتطور بشكل ملحوظ وحيث، توجت بعدة اتفاقيات ومذكرات تفاهم سرعان ما خرجت إلى حيز التنفيذ، وفيما يلي أهم المحطات والإنجازات التي مرت عليها العلاقة القمرية الإيرانية:

١- وقّع البلدان ثلاث مذكرات تفاهم للتعاون في مجالات التعليم المهني، والتشجيع المتبادل للاستثمارات، وتقديم إيران مساعدات لجزر القمر.

٢- وفي (شباط / فبراير ٢٠٠٩) زار الرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد جزر القمر، ضمن جولة أفريقية شملت أيضاً كينيا وجيبوتي، ورأى سامبي أن إيران تعدّ نموذجاً ومصدر فخر للشعوب المستضعفة.. ويعتبر نجاد ثاني رئيس دولة زار جزر القمر منذ الاستقلال بعد الرئيس الفرنسي الهالك (فرانسوا ميتران) سنة ١٩٩٤.

٣- زار الرئيس عبد الله سامبي إيران مرتين في فترة حكمه التي امتدت خمس سنوات، وزارها نائبه إكليل ظنين (الرئيس الحالي) ثلاث مرات تقريباً.

٤- فتحت السفارة القمرية لدى طهران بتمويل كامل من إيران.

٥- تبادل أكثر من عشرة وزراء الزيارات بين البلدين في مدة ثلاث سنوات فقط.

٦- منذ ٢٠٠٨ زار حسين أنواري رئيس ما يسمى

(لجنة إمداد الإمام الخميني) الإيرانية جزر القمر أكثر من سبع مرات للوقوف على سير الأعمال والمشاريع الإيرانية الموجودة.

٧- زار البلاد وفد مكون من ١٠ خبراء إيرانيين في مختلف التخصصات لإجراء مسوحات للكشف ووضع خريطة جيولوجية للمعادن الموجودة في جزر القمر.

٨- مُنح الإيرانيون قطعة أرض ببلدة بنداماج، الهدف منها بناء سوق كبير لبيع المنتجات والصناعات الإيرانية بعد بنائها، إضافة إلى منحهم أراض في كل من جزيرتي أنجوان وموهيلي.

أهم المشاريع والأنشطة الإيرانية والشيوعية في جزر القمر:

إن نشر التشيع أو ما يسمى (مشروع تصدير الثورة) جزء لا يتجزأ من سياسة إيران الخارجية، فبعد أن أصبحت إيران قوة حاضرة في المشهد القمري، استطاعت أن تقيم عدداً من الهيئات والمؤسسات الخيرية والاجتماعية والثقافية استغللتها لنشر التشيع في البلاد والعباد، وفرضت عبر هذه المؤسسات والمشاريع أمراً واقعاً في الساحة القمرية، ومن أهم هذه المؤسسات والأنشطة:

١- مركز طبي تابع للهلال الأحمر الإيراني، ومكانه في العاصمة بجوار السفارة الليبية وأمام فندق (لو موروني).

٢- مركز (التيان الثقافي) بوسط المدينة، تابع للسفارة الإيرانية في تنزانيا، يقيم دورات للغة الفارسية.

٣- معهد الحقوق والعلوم الإسلامية التابع لمركز التبيان ويمنح دبلوماً في تخصصات (الحديث، والقرآن، والقانون الإسلامي، والمحاسبة، وغيرها)، وقد تخرجت من المعهد حتى الآن دفعتان، والدفعة الحالية يوجد فيها ما يقارب ١٧٠ طالباً ويقدم لهم التعليم مجاناً.

٤- مركز للمساعدات الإنسانية (لجنة إمداد الإمام الخميني في جزر القمر المتحدة) ومقره على الطريق الرئيس المؤدي لمطار العاصمة، ويقوم بأنشطة مختلفة أهمها: تنظيم دورات تدريبية مدتها ٣ شهور لتعليم الشباب القمري الحرف المختلفة (نجارة، كهرباء، خياطة) ودورات تدريبية للكمبيوتر، وقد قام المركز منذ إنشائه حتى الآن بتنظيم ما يقارب ١٠ دورات بمعدل ٢٠٠ مشارك في كل دورة، ومن أنشطة اللجنة رعاية

الأسر الفقيرة وتقديم الدعم المادي والعيني لهم، ويبلغ عدد الأسر المستفيدة من المساعدات التي تقدم كل شهرين ٨٠٠ أسرة قمرية.

٥- شركات مقاولات إيرانية يعمل فيها دعاة شيعة.

٦- إقامة ما يسمى بـ «الحسينيات» في المراكز

الإيرانية بجزر القمر.

٧- منحت الحكومة القمرية مقر وزارة الشؤون الإسلامية والعدل سابقاً لوفد من جامعة قم لافتتاح جامعة فيه أطلق عليها «جامعة المدينة»، والغالب أنها جامعة «مدينة قم».

٨- إلحاق (١٥) متدرباً قمرياً بالمعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية الإيرانية؛ لأجل التدريب المكثف على العمل الدبلوماسي في المنظمات الدولية والإقليمية لمدة أربعة أسابيع؛ لتكوينهم كدبلوماسيين متخصصين.

٩- عرض فيلم «رب ارجعون»، على أكثر من قناة تلفزيونية: مثل «جبل تي في»، و«آر تي إل» و«إم تي في» وهو من إنتاج شيعة القطيف بالسعودية، وقد أرسله إلى جزر القمر المرجع الشيعي السعودي حسن الصفار.

١٠- فتح معرض للكتاب الاسلامي برعاية السفارة الإيرانية تحت إشراف وتنفيذ معهد الحقوق والعلوم القرآن والحديث، التابع لمركز التبيان العلمي والثقافي الإيراني بالعاصمة مروني في ٢٠/٢/٢٠١٢م الموافق ٢٨/٣/١٤٣٣هـ وهو أول معرض للكتاب في جزر القمر.

١١- كفالة ٢٥٦ طالباً قمرياً في مدغشقر من حيث السكن والإعاشة وبعض الخدمات الاجتماعية الأخرى في ٦ مدن كبيرة يوجد فيها بعثات طلابية قمرية (يوجد في مدغشقر ما يقارب ثلاثة آلاف طالب وطالبة قمرين) ومدغشقر تعتبر المركز الرئيس لاستقطاب القمريين نحو التشيع ومعظم القمريين المتشيعين هم من خريجي مدغشقر.

١٢- هناك مشروع لإنشاء (مركز فاطمة الزهراء) في مدينة حاحاي التي يقع فيها المطار الدولي لجزر القمر وتبعد ١٠ كيلو مترات عن العاصمة مروني.

أهم النشاطات التي قام بها متشيعو الداخل:

إن التحدي الأكبر الذي يواجه جزر القمر حول قضية التشيع هو جرأة القمريين المتشيعين في إبراز وجودهم ومحاولة كسر حاجز الخوف من خلال ممارسة الطقوس

الشيعية بشكل علني وبصورة لا يمكن وصفها إلا باستفزاز مشاعر القمريين الذين يتبعون للمذهب الشافعي، ويدينون بحبهم للصحابة وأمّهات المؤمنين وبآل البيت أجمعين. لقد كان تولي سامبي رئاسة الجمهورية إيذاناً لمرحلة جديدة للمتشيعين في جزر القمر فقد نقلوا نشاطاتهم التي كانت سرية إلى العلن، ومن أهم هذه النشاطات:

١- الاحتفال بذكرى عاشوراء عام ٢٠٠٧ وكان هذا أول ظهور علني للشيعة، لهذا سمى المتشيع محمود عبد الله إبراهيم هذا اليوم (يوم التبليغ للتشيع) وذلك حينما خرج بعض الشباب وهم يحتفلون بذكرى عاشوراء وفق الطقوس الشيعية في عدة حسينيات في جزيرة أنجازيجا وفي جزيرة هنزوان من جزر القمر. وجميع المشاركين في هذه الطقوس هم شباب درسوا في مدغشقر أو في جزر القمر وهو دليل واضح أنه كانت هناك حركة سرية تعمل في نشر التشيع.

٢- مركز الثقلين وهو مركز تعليمي ثقافي يدرس الأطفال فيما بين الخامسة والعاشرة، وفيه جناح للشباب لتعليم العلوم التقنية والحاسوب إضافة إلى تدريس فقه المذهب الشيعي الإثني عشري.

٣- أنصار الثقلين، وهي جمعية مسجلة في الدولة سنة ٢٠٠٤ أسسها مجموعة من المتشيعين في جزيرة القمر الكبرى على رأسهم المتشيع محمد ملجاء، هدفها الأساسي: الدفاع عن القرآن وعن أهل البيت وقد اتخذوها ستاراً لنشر التشيع واستقطاب الشباب والأطفال لهذا الغرض، ومركز الثقلين يتبع لها.

٤- حسينية في مدينة ازيوا التي تم بناؤها في ٢٠٠٩ من قبل محمد ملجاء بتمويل من (لجنة الإمداد للإمام الخميني)، ولكن الحسينية تم هدمها من قبل أهالي المدينة، وقد لجأ محمد ملجاء إلى المحكمة ضد أهالي مدينة اوزيوا ولكن المحكمة قضت لصالح الأهالي وحُكم على محمد ملجاء بالسجن ثلاثة أشهر وغرامة مالية قدرها (٥٠ ألف فرنك قمرى = ١٠٠ يورو).

٥- حسينية في هنزوان في مدينة متسامود مسقط رأس سامبي، وتم توقيف (١٩) شخصاً وهم يصلون على الطريقة الشيعية، من قبل الشرطة وحوكموا بالسجن والغرامة.

٦- محاولة بناء حسينية كبيرة في مدينة متسامود

في جزيرة هنزوان لتكون منطلقاً لنشاطاتهم وتحركاتهم التبشيرية.

مقاومة التشيع في جزر القمر:

على الرغم من أن نشر التشيع في جزر القمر تم على أعلى المستويات ممثلة بالرئيس السابق، وعلى الرغم من الخدمات الجبارة التي تقدمها المنظمات الشيعية في جزر القمر إلا أنه يجد مقاومة ورفضاً من قبل المواطنين الذين يرون فيه خطراً على التماسك الديني والاجتماعي في البلد، وفكراً دخليلاً عليهم. كما يجد التشيع رفضاً من قبل بعض دوائر ومؤسسات الدولة التي تجاهد وترفض التشيع، ومن مظاهر رفض ومقاومة التشيع في جزر القمر:

١- عقد اجتماع في شباط/ فبراير ٢٠٠٧ حضره ستون من علماء السنة على رأسهم قاضي قضاة العاصمة «سعيد محمد جيلاني» في العاصمة موروني، ودعوا إلى حظر ممارسة الطقوس الشيعية في الجزر، وذلك بعد أيام من إحياء بعض القمريين - للمرة الأولى في جزر القمر - ذكرى مقتل الحسين بن علي في يوم عاشوراء بشكل علني. وطالب هؤلاء العلماء، الذين تجمعوا في مدرسة قرآنية، بطرد الأجانب الذين يساعدون على نشر المذهب الشيعي في جزر القمر، وطالبوا الرئيس سامبي بحماية الشعائر السنية.

٢- عقد اتحاد الطرق الصوفية في جزيرة هنزوان مجلسه السنوي السادس عام ٢٠٠٨، رداً على نشاطات المراكز الإيرانية التي بدأت في الجزيرة^(١) عقب الإطاحة بالكولونيل محمد بكر- والي جزيرة هنزوان- الذي كان يحظر نشاطات الشيعة في الجزيرة، قبل أن يأتي الوالي الجديد الموالي للرئيس سامبي، وقد اتفق الحاضرون في المجلس على خطورة المد الشيعي في الجزيرة ودعوا الحكومة والعلماء إلى ضرورة وضع حد لهذا المد قبل أن يستفحل الأمر، وقد أكد الشيخ يوسف شافع أحد الدعاة في الجزيرة في هذه الجلسة على وجود ظاهرة جديدة في الأوساط الدعوية، وهي ظاهرة تفسير معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة خلاف ما

(١) نشاطات الشيعة ظهرت في جزيرة هنزوان قبل جزيرتي القمر الكبرى وموهيلي.

اعتاد عليه القمريون.

٣- مطالبة وزير التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي بجزر القمر كمال الدين أفرتان شيخ الأزهر الراحل محمد سيد طنطاوي بإنشاء معهد أزهر في بلاده، وزيادة أعداد أبنائها الدارسين في الأزهر الذي يبلغ عددهم اليوم أكثر من ١٢٠٠ طالب وطالبة؛ من أجل مواجهة المد الشيعي. وقد وافق طنطاوي على الطلب، مؤكداً على إمدادهم بالمدرسين والكتب والمناهج الدراسية بعد الانتهاء من بناء المعهد الأزهر.

٤- عقد العلماء والأعيان والخطباء في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ اجتماعاً بدعوة من وزير العدل والشؤون الإسلامية بحكومة القمر الكبرى يوسف محمد بوانا؛ لتدارس النشاط الشيعي في البلاد، والسبل المتاحة لوقف هذا الخطر المحدق.

٥- رفضت بلدة اسيفوا الواقعة في شمال العاصمة الاتحادية (موروني) في ١٢ نوفمبر ٢٠١٢ استقبال رئيس لجنة إمداد الخميني (حسين أنواري) الذي قام بزيارة لجزر القمر استغرقت أربعة أيام، وفي ذلك الاحتفال تم تسليم فتاة يتيمة منزلاً بنته لجنة الإمداد ووهبته للفتاة المذكورة، مما اضطرهم إلى إقامة حفل تسليم مفاتيح المنزل للفتاة في مقر قصر حاكم ابجيجا.

٦- قام البرلمان القمري سنة ٢٠٠٨ بوضع قانون باسم (قانون تنظيم الممارسات الدينية في جزر القمر) وجاء في نص هذا القانون: (إن مذهب أهل السنة والجماعة وتحت المذهب الشافعي هو المرجع الديني الرسمي والوحيد الذي يعتبر من قبل الدولة، ويحظر جميع الممارسات الدينية التي تخالف مذهب أهل السنة والجماعة)، وقد تم تصديق هذا القانون من قبل رئيس الجمهورية في ٢٠١٣/١/٨.

وهناك مواقف كثيرة شعبية ورسمية تدل على رفض المجتمع القمري لتشيع جزر القمر.

أبرز المتشيعين في جزر القمر:

١- أحمد عبد الله محمد سامبي باعلوي، الرئيس السابق للجمهورية، من مواليد ١٩٥٨م، انتخب عضواً في البرلمان سنة ١٩٩٦م وتولى رئاسة جمهورية القمر المتحدة سنة ٢٠٠٦، وقد تنامي المد الشيعي في جزر القمر بعد توليه الرئاسة وفتح البلد على مصراعيه للإيرانيين

وللشيعة في كل العالم وأسس في هنزوان في مسقط رأسه جمعية باسم: (جمعية أنصار الإسلام) وهي جماعة سرية للتبشير بالشيعة، وهو منسق حركة التشيع في شرق إفريقيا وجزر القمر.

٢- محمد ملجاو ممادي مدرس اللغتين الفرنسية والعربية في المدارس الإعدادية في جزر القمر وخريج مدرسة إعداد المعلمين، وهو أحد أبرز القمريين المساندين لأنشطة الرئيس سامبي الرامية لنشر التشيع بجزر القمر، وقد تشيع من خلال بعض المجلات الشيعية باللغة الفرنسية والتي كانت تباع في جزر القمر ثم بعد ذلك كان الاتصال بسامبي ليتبنى رسمياً الفكر الشيعي، وقد ذكرنا بعض نشاطاته سابقاً.

٣- آتوماني محمد من مواليد سنة ١٩٦١م، وتعود بداية احتكاكه بالشيعة ومذهبهم إلى ذهابه إلى أحد مساجدهم في دولة مدغشقر؛ وهو مسجد خاص بالهنود والباكستانيين الذين يدعون بالخوجة. يقول آتوماني عن المرحلة التي أعقبت تشيعه: «كان استبصاري (يقصد تشيعه) عام ١٩٩٥م في مدينة مدغشقر، واتجهت بعدها للعمل التوجيهي، فأصبحت داعية في سبيل العقيدة، ثم تكفلت رئاسة منظمة الشباب الطلابية الإسلامية في مدغشقر، ولا زلت أبذل قصارى جهدي لأبني الحقائق للناس؛ ولا سيما الشباب المثقف الذي يهتم بدينه وعقيدته». يدافع آتوماني عن الشهادة الثالثة في الأذان (إضافة عبارة أشهد أن علياً ولي الله بعد الشهادتين)؛ رغم إقراره بأن هذه الزيادة لم تكن على زمن النبي ﷺ، ويقول: «وهذا الموقف اتخذته الشيعة لإيضاح أحقية أمر الخلافة بعد رسول الله، وتوظيفه لتبيين الحقيقة».

٤- عبد السلام عبده، وينحدر من مدينة موتسامود مسقط رأس الرئيس سامبي ويتهم الرجل بالتشيع منذ أن كان طالباً بكلية الطب بمدغشقر، عمل عبد السلام وزيراً محلياً في حكومة موسى طيب في ٢٠٠٨م، ثم استقال منها كي يصبح نائباً برلمانياً عن الدائرة الثانية (بموتسامود)، في الانتخابات التشريعية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩م، وهو الشخص الثاني الذي يتهم بالتشيع ودخل البرلمان بعد الرئيس سامبي.

٥- محمود عبد الله إبراهيم، من مواليد جزيرة هنزوان، مدينة متسامود، درس في الكويت والسعودية

وخريج كلية الدعوة، ومن علماء هنزوان. تشيع على يد سامبي سنة ٢٠٠٤ وهو الآن من المبشرين الأساسيين للشيعة في جزر القمر وعضو في جمعية آل البيت في إفريقيا ويسافر إلى إيران باستمرار، ويعد منسق حركة التشيع في شرق إفريقيا وجزر القمر بعد تولي سامبي الرئاسة.

أبعاد نشر التشيع في جزر القمر:

البعد الجغرافي: يمكن النظر إلى اهتمام إيران بجزر القمر كجزء من الاهتمام الإيراني المتنامي بقارة أفريقيا، وغيرها من مناطق العالم؛ وتكتسب جزر القمر أهميتها الاستراتيجية من كونها دولة تطل على المحيط الهندي من ناحية، وتتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر حيث قناة موزمبيق من ناحية أخرى، ومن ثم فإنها دولة تتحكم في طريق التجارة العالمي؛ خاصة تجارة النفط القادمة من دول الخليج والمتوجهة إلى أوروبا وأمريكا، حيث يمر في هذه المنطقة ثلثا السفن الحاملة للنفط.

البعد الديني والثقافي: ويمثل البعد الديني والأيدولوجي أحد الأهداف الأساسية التي توجه السياسة الخارجية الإيرانية فيما يسمى بمهمة (تصدير الثورة الإسلامية) من خلال المؤسسات الإيرانية أو المراكز الثقافية التي تنشر الفكر الشيعي، وتعزيز نفوذها من خلال نشر جهودها في البلاد الإسلامية والمجتمعات الإسلامية التي تعيش في أفريقيا.

البعد السياسي: ترسيخ نفوذها السياسي كجزء من المحور المعادي للغرب الذي تسعى إلى إنشائه في دول العالم الثالث وذلك عبر محاولة بناء تحالفات إقليمية ودولية تستطيع من خلالها مقاومة العزلة والعقوبات الدولية المفروضة عليها وتخفيف الضغوطات الغربية عليها بسبب برنامجها النووي، فجزر القمر كدولة في شرق أفريقيا وتقع في منطقة جيو- استراتيجية هامة في أفريقيا تحاول إيران ترسيخ وجودها فيها لتقلل من النفوذ الغربي وبخاصة الأمريكي، وقد ذكرت صحيفة «المساء» المصرية أن نجاد يضع القارة الإفريقية على رأس قائمة أولويات سياسته الخارجية من أجل ترسيخ الوجود الإيراني هناك، وذكرت أن إيران تسعى للحصول على موطن قدم لها في منطقة القرن الإفريقي وشرق إفريقيا في محاولة لتأمين الطرق التقليدية لحركة التجارة

البعد الاقتصادي: بما أن السياسة لا يمكن فصلها عن الاقتصاد، فلإيران رغبة في الانفتاح الاقتصادي، والتتسيق لاستكشاف الموارد الاقتصادية، في ظل احتفاظ جزر القمر باحتياطيات من المواد الخام الطبيعية، وكذلك فتح السوق القمري لتسويق المنتجات الإيرانية، وقد حصل فعلاً كل ما سبق، فهناك مجموعة من الخبراء الإيرانيين قامت بمسح جغرافي لاكتشاف الموارد الطبيعية الممكنة في جزر القمر، وقد أكدت نتائج المسح وجود معادن مختلفة في جزر القمر منها النفط والغاز والذهب وجملة من الأحجار الثمينة وغيرها، كما أنه تم منح الإيرانيين قطعة أرض ببلدة بنداماج، الهدف منها بناء سوق كبير لبيع المنتجات والصناعات الإيرانية مستقبلاً، إضافة إلى منحهم أراض في كل من جزيرتي أنجوان وموهيلي.

البعد الأمني والاستراتيجي: ذهب العديد من الباحثين إلى القول بأن الدول العربية تتعرض لمؤامرة دولية تحت شعار الهلال الشيعي والذي لا يهدف إلى محاربة إسرائيل والمشروع الصهيوني في المنطقة وإنما إلى مساعدة إيران وواشنطن في تنفيذ مخططاتهما التوسعية. وهناك من يتهم أميركا بالتواطؤ مع إيران في خلق تهديد جديد للمنطقة بدل التهديد الشيعي.

وفيما يخص جزر القمر فالأمر أخطر من ذلك، فقد ذهب كثير من المواقع الإعلامية ومن المحللين في المنطقة إلى القول بصراحة: (إن إيران تسعى لإيجاد جنوب لبنان جديد في المحيط الهندي وهو جزر القمر، على أن تكون جزيرة ماوري المحتلة بمثابة فلسطين المحتلة وفرنسا بمثابة الشيطان الأكبر (إسرائيل وأمريكا) ... ويؤكد هذه المعلومة، وجود بعض المعلومات التي تفيد بوجود إيرانيين يقدمون تدريبات عسكرية لبعض الشباب القمريين، حسب موقع (comores-roinaka.skyrock.com) (web) كما أن جزر القمر في منطقة تعد ممراً مهماً لأي تحركات عسكرية قادمة من أوروبا أو الولايات المتحدة تجاه منطقة الخليج. وهذه الأهمية الاستراتيجية حوّلتها إلى منطقة نفوذ غربي فرنسي حيث يوجد أهم مركز فرنسي للتصت.

كلمة أخيرة: في ضوء مجمل العرض السابق يتأكد

لنا أن خطر الشيعة على جزر القمر هو خطر ديني وسياسي واجتماعي وأمني كبير جداً، والتعايش بين الشيعة والسنة أمر مستحيل وغير وارد، بدليل ما حصل في العراق ولبنان وسورية والبحرين ونيجيريا وغير ذلك. وخطر الشيعة يأتي من عدة أسباب:

١- الفرق بين السنة والشيعة فرق كبير وعميق، فالشيعة تخالف المذاهب الأربعة السنية في الأصول والعقائد وليس في المسائل الفقهية فقط، فمثلاً: تجمع المذاهب الأربعة على أركان الإيمان الستة المعروفة في حين أن الشيعة يجعلون الإمامة لب الإيمان، ولهذا قال ابن المطهر الحلي: (إن مسألة الإمامة «إمامة الإثنى عشر» هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن)، بذلك تكون المذاهب الأربعة بأصحابها وأتباعها - حسب المفهوم الشيعي - خالدة في النار حائرة على غضب الرحمن، فطائفة هكذا مفاهيمها بالتأكيد ستكون سبباً للنزاعات وصراعات عقدية واجتماعية تؤدي إلى أزمات اجتماعية ومشاكل أمنية وسياسية قد تصل إلى مواجهات عسكرية لا تحمد عقابها، ففقيدة الشيعي توجب عليه تكفير أهل السنة ووجوب قتلهم وسلب أموالهم متى قدروا على ذلك.

٢- إن الشيعة يدينون بـ (التقية) التي حقيقتها النفاق، وهو إظهار قبول الحق مع الكفر به باطناً، قال الشيخ المفيد أحد كبار مراجع الشيعة: (التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرر الدين أو الدنيا)، ومعلوم أن المنافقين أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح وقد حصر الله تعالى العداوة فيهم، وأنزل فيهم سورة كاملة فقال تعالى في سورة المنافقين ﴿هُرَّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

٣- إن تجربة التجمعات الشيعية تبين تبعيتها الكاملة لإيران وأجندتها التوسعية والسياسية مما يشكل خطورة كبيرة على استقرار البلد، فالعارفون بطبيعة التشيع يعرفون أنه يقوم على فصل المتشيع عن محيطه الذي نشأ وترعرع فيه إلى وسط آخر، فالمتشيع يكون ولاؤه طبعياً للدولة الإيرانية، فهو يكون مستعداً لخراب بلده لمصلحة إيران، وهناك وقائع عديدة أثبتت

ارتباط كثير من هؤلاء المتشيعين بالأجهزة الأمنية الإيرانية، قال نائب الأمين العام لحزب الله اللبناني نعيم قاسم: (إن الولي الفقيه (الخامنئي) هو الذي يملك صلاحية قرار الحرب أو السلم). أما الأمين العام لـ (حزب الله- إيران) محمد باقر فقد أعلن هدف إيران من دعم بعض القوى الفلسطينية بقوله: (قدمنا لكم كل أشكال الدعم لقوى التحرر الإسلامية، ولكن ما الذي حصلت عليه إيران؟ وإذا كنا نقدم اليوم الدعم لفلسطين فيجب على فلسطين أن تسير في طريق أهل بيت النبوة، وإذا لم يحصل ذلك فما هو الفرق بينها وبين إسرائيل؟؟؟).

٤- محاولات الشيعة الإيرانيين والمتشيعين في جزر القمر تزوير التاريخ الإسلامي في جزر القمر من خلال نشر بعض الإشاعات والتصريحات في أن الشيعة هم من أدخلوا الإسلام في جزر القمر وأن الشيعة سبقت السنة، وهذا كذب وافتراء، وهو طبيعي لأن الشيعة لا يتورعون عن الكذب وعن تزوير الحقائق فالكذب بالنسبة للشيعة عقدة متأصلة وليس خصلة طارئة، ويمارسه على أنه فضيلة دينية يؤجر عليها، قال الأستاذ علاء الدين البصير: (التشيع ليس سوء فهم وإنما هو سوء قصد) ولهذا لا يستبعد محاولات الشيعة في تزوير التاريخ الإسلامي في جزر القمر، والصحيح أن التشيع دخل جزر القمر في القرن الثاني عشر الهجري في حين أن الإسلام دخلها في القرن الأول الهجري.

٥- اتخاذ جزر القمر ميدان صراع بين الدول الكبرى وإيران، وهذا لن يكون لصالح البلد بل سيشكل مهددا استراتيجيا ليس فقط للأمن القمري بل مهددا للوحدة القمرية الهشة وسينجح الشيعة وإيران فيما فشلت فرنسا في تحقيقه منذ أعوام مديدة بتقسيم البلاد أو فصل جزيرة هنزوان عن الجزيرتين الأخريين لقطع السبيل من أي مسئول قمري من أن يسأل عن الجزيرة القمرية المحتلة من قبل فرنسا في المستقبل، فلا يستبعد أن يكون هناك تواطؤا فرنسيا في ذلك، أو توزيع أدوار ما بين فرنسا وإيران وخاصة وأن فرنسا تلتزم بالتغاضي عما يجري في جزر القمر حتى الآن.

٦- صعوبة اندماج الشيعة مع السني، ولذلك يحاول الشيعة دائما تكوين هيئات ومؤسسات خاصة بهم ويستحيل عليهم العمل مع غيرهم في مؤسسة أو هيئة موحدة إلا إذا تأكدوا من إمكانية تحقيق بعض أجنداتهم فيها، وهذا واضح بجلاء في شخصية عبد الله

سامبي الذي لم يستطع العمل مع جبهة العدالة الوطنية «الحركة الإسلامية القمرية» على الرغم من أنه من المؤسسين للجبهة، ولم يلتزم يوما ما لقرار أو نظام الجبهة، والمشكلة ليست في سامبي وإنما في الشخصية الشيعية.

ما العمل؟؟

بعد هذا العرض الموجز حول خطورة المد الشيعة وترويج المعتقدات الشيعية في جزر القمر، وما فيه من دلالات وأبعاد وتحديات، بقي السؤال المهم: ماذا يجب علينا أن نعمل؟

- ١- (الوحدة .. الوحدة) على العلماء والدعاة في جزر القمر أن يضعوا اختلافاتهم جانبا وإعادة النظر في علاقة بعضهم مع بعض، والعمل على تجاوز الخلافات الوهمية أو القائمة على سوء الفهم، والاجتماع على كلمة سواء ونصرة بعضهم البعض ولتوحيد الجهود والتسيق بينهم والتعاون لدرء هذا الخطر وغيره من المخاطر التي تهدد هوية البلاد، فلا يمكن مواجهة هذه التحديات بجهود فردية.
- ٢- انشاء هيئة خاصة باسم (الهيئة القمرية لنصرة الصحابة وأهل البيت) تهدف إلى توعية المجتمع والتعريف بالصحابة ونشر فضائلهم ومحبتهم، وتأهيل دعاة متخصصين في هذا المجال والعمل على تفرغهم لأجل الصد عن التشيع وللدعوة إلى الله.
- ٣- رصد ومتابعة تحركات الشيعة ومخططاتهم وتجمعاتهم وبيان ذلك للآخرين وخاصة لمن بيده القرار، وذلك باستخدام كل السبل الممكنة لأجل ذلك.
- ٤- الاستفادة من الوسائل الإعلامية الموجودة وتطويرها لنشر الدعوة الإسلامية وبيان خطر التشيع والمد الإيراني في المجتمع، ولرفع مستوى الوعي الديني.
- ٥- ايجاد مركز أو معهد خاص لتدريب الدعاة والمعلمين وإعدادهم، ليتصدرو لخطر التشيع وليقوموا ببيان خطره على المجتمع بالوسائل الصحيحة.
- ٦- تكثيف الدورات العلمية، في بيان عقائد الشيعة وخطرها والتعريف بالصحابة وفضائلهم.
- ٧- ترجمة الكتب باللغة الفرنسية واللغة القمرية (بلهجاتها الثلاث) التي تبين بطلان عقائد الشيعة وتوضح حياة الصحابة وفضائلهم، وتوزيعها مجانا.
- ٨- تنظيم القوافل الدعوية بين الجزر وفي القرى

التي لا يوجد فيها دعاة لنشر الوعي الإسلامي وبيان خطورة التشيع، ويا حبذا لو صاحب هذه القوافل أطباء يقومون بتقديم خدمات علاجية مجانية في المناطق التي ينزلون فيها.

٩- توفير الخدمات الإنسانية الضرورية للمحتاجين لما له من التأثير في نفوس البشر.

١٠- تنظيم المسابقات العلمية (في فضائل الصحابة وسيرهم) وتقديم الجوائز التي ترغب الناس للمشاركة فيها.

١١- أن يتفرغ بعض العلماء المتخصصين لمحاورة هؤلاء المتشيعين ومناظرتهم.

١٢- عدم التغافل عن التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية في جزر القمر والتي لا تقل خطراً عن التشيع، كالتصير والانحرافات السلوكية والأخلاقية المنتشرة في المجتمع، بل لا بد من مواجهتها كلها إضافة إلى المنظمات والهيئات التي تهدد هويتنا.

١٣- لا بد على العلماء والدعاة في جزر القمر أن يراجعوا موقفهم من المشاركة في العملية السياسية أو إنشاء التجمعات السياسية، فهناك أهمية أكثر من أي وقت مضى لأن يكون هناك كيانات سياسية أو تشجيع وتفعيل الكيان الموجود، فلا يمكن للعلماء والدعاة والمخلصين أن يتركوا البلد لأهل الأهواء والشهوات يفعلون بها ما يريدون، فما داهمتنا هذه الكارثة إلا عبر بوابة السياسة والسلطة، ولا يمكن إخمادها نهائياً إلا من خلال البوابة نفسها.

١٤- تفعيل دور المؤسسات التعليمية والتربوية الإسلامية وتطوير أداء التعليم الشرعي لرفع الوعي الإسلامي، ووضع مقرر خاص يتناول سيرة الصحابة وفضائلهم، ويبين خطر الشيعة وفساد عقائدهم.

١٥- التواصل مع جمهور الناس وإقامة جسور التعاون على البر والتقوى مع شرائح المجتمع المتعددة والاعتناء بهم، كالخطباء ومعلمي الكتاتيب، والأعيان، والسياسيين، والفرق الرياضية، ومراكز الشباب، ومنظمات المجتمع المدني وجمعيات المرأة ونقابات المهن المختلفة، وأن يكون هناك تواصل وتعاون بينهم وبين العلماء في هذه القضية وفي القضايا الأخرى التي تحتاج إلى تضافر أبناء الشعب، لرفع الوعي الإسلامي فيهم وإبراز مسئوليتهم.

١٦- تنظيم مؤتمر دعوي سنوي يهدف إلى مناقشة مسيرة الدعوة في البلد ويتم من خلاله مناقشة القضايا الدعوية وكل المستجدات التي تطرأ على الساحة من الناحية الشرعية.

١٧- لا بد من إيجاد أوقاف استثمارية خاصة كمصدر أساسي للمشاريع الدعوية في جزر القمر أو خارجها لتمويل البرامج الدعوية وأنشطتها، فلا يمكن أبداً أن تعتمد الأنشطة الدعوية في جزر القمر كلها على الدعم الخارجي غير المضمون، وبدون مصادر ثابتة، ولهذا فأنا أدعو جميع المنظمات والخيرين الذين يهتمون بالشأن الدعوي في جزر القمر أن يعلموا الدعاة في جزر القمر الصيد لا أن يعطوهم السمك.

١٨- على الحركة الإسلامية في جزر القمر وحزبها السياسي أن يقوموا بدورهما الطبيعي والشرعي، وأن يتقدما الصفوف وأن يقدموا المبادرات لمواجهة هذا الخطر الذي يهدد العقيدة والهوية الإسلامية في البلد، وأن ينفيا عملياً التهم التي توجه إليهما في موقفهما مع التشيع.

١٩- لا بد من مواصلة الضغوط بكل أشكالها من خلال الإعلام أو المظاهرات والاعتصامات وغيرها لإغلاق المؤسسات الإيرانية في البلد أو مراقبة أنشطتها، ومحاولة إيجاد بدائل عملية لسد ثغراتها في حين تم إغلاقها أو مزاحمتها في مجالات عملها.

٢٠- على كل علماء المسلمين، وعلى كل المنظمات والهيئات الإسلامية، وعلى كل الخيرين والمحسنين في كل البلاد العربية والإسلامية أن تساعد جزر القمر مادياً ومعنوياً للخروج من هذه المشكلة التي تهدد دينها وهويتها، وعلى رأسها إنشاء قناة إسلامية باللغة القمرية.

وختاماً: إن العمل للحد من خطر التشيع وغيره من الحركات التي تستهدف هويتنا الإسلامية هو من مسئولية الدعاة والعلماء - قبل كل أحد - وعليهم أن يقوموا بدورهم الطبيعي والشرعي الذي أنيط بهم فالوضع جد خطير وفي ظل بقاء هذه المعطيات فسيكون الأمر أخطر، فالشيعة والدولة الإيرانية قد جهزوا كل الامكانيات لإنجاح مشروعهم، وهم يعملون بخطة مدروسة، ولكن الإسلام لم ولن يضيع إلا بسبب أبنائه إما بتقاعسهم عن أداء دورهم، وإما باختلافاتهم وبتشرذمهم، فيا علماء الأمة ويا دعاة الإسلام: أنقذوا الإسلام في جزر القمر (ولا ينقص الدين وأنتم أحياء).

فهو قد تناول الجوانب العقدية والفقهية والتاريخية والسياسية للموضوع وما يرتبط به بلغة سلسة، وربط تجربة مصر بتجارب الدول الأخرى حتى تكتمل الصورة وتتضح الرؤية، مما يساعد على استشراف المستقبل ومعرفة القادم في علاقة مصر بالتشيع.

تأتي أهمية الكتاب من عدة جوانب، أولها: كونه حدث الساعة اليوم في مصر والعالم العربي، فالجميع ينتظر مآل المحاولات الإيرانية لاختراق مصر عبر حكم الإخوان المسلمين، وثانيها: مؤلفه المتخصص والذي جمع شتات الموضوع وقدم شيئاً جديداً فيه بخلاف الكثير من الكتب السطحية والمكررة، وثالثها: كمية الحقائق والمعلومات الجديدة مع حسن ربطها وتوظيفها، مما جعل من مطالعة الكتاب حاجة لازمة لكل مهتم وباحث في هذا المجال.

في الباب الأول طاف بنا المؤلف في أربعة فصول أو محطات رئيسية هي:

١- مصر وأهلها عند الشيعة: استعرض فيه روايات الشيعة تجاه مصر وهي روايات مكذوبة على أئمة آل البيت تزدري مصر وأهلها من منطلقات عصبية وعرقية

مصر والشيعة

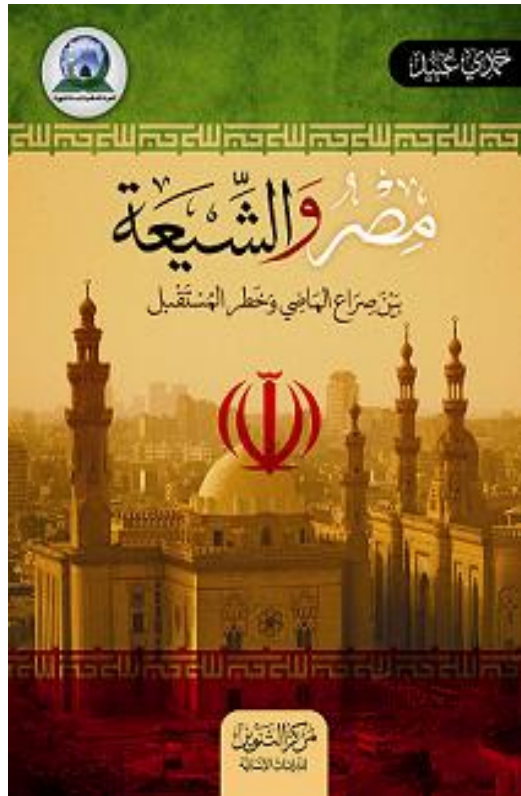
بين صراع الماضي وخطر المستقبل

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب مؤخراً بالقاهرة عن مركز التنوير للدراسات الإنسانية للدكتور حمدي عبيد

أحد المتخصصين بالشؤون الإيرانية والفرق الشيعية، ولعل هذا هو كتابه الأول الذي يطرح للجمهور برغم أنه أعد عددا من الدراسات القيمة والمهمة في هذا الباب ولكنها لم تطبع بعد.

جاء هذا الكتاب في ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير في تمهيد سريع حول مصر في الإسلام مكانة وعطاء، وبابين: الباب الأول استعرض فيه مسار مصر مع التشيع في الماضي، وكان الباب الثاني حول مصر والتشيع في المستقبل. الكتاب يكاد يكون موسوعة متنوعة في موضوعه



(*) كاتب أردني.

يبتزّه آل البيت عنها.

ثم تناول بعض مواقف الشيعة من علماء مصر المعاصرين بما يكشف عن نفاق الشيعة بادعائهم الحرص على الوحدة والتقارب مع الأزهر والسنة، فكشف عن اتهامات الشيعة لعلماء مصر والأزهر بتحريف الكتب السنية كالبخاري وغيرها خوفاً من انتشار التشيع!!

وفضح تهجمهم على الشيخ محمد أبو زهرة لكونه فند مزاعمهم وأكاذيبهم على أئمة آل البيت بروايات تحريف القرآن وربوبية الأئمة وغيرها. وبين المؤلف دناءة الشيعة وخسّتهم حين تهجموا على العلامة الشعراوي واتهموه بما سبق أن اتهموا الفاروق عمر به رضي الله عنه من كونهما والعياذ بالله يتعالجان بماء الرجال!!

وكذلك استعرض مواقف الشيعة الإيرانيين والمتشيعين المصريين من جماعة الإخوان المسلمين الذين كالوا لهم الاتهامات ووصفهم بانهم إخوان الشياطين وأنهم خونة وعملاء وأنهم أصحاب فكر التكفير وهكذا. وأيضاً اتهمهم للشيخ القرضاوى بأنه ماسوني عميل للصهيونية!!

وتناول في مبحث خاص علاقة آل البيت بمصر فكشف عن العلاقة الوطيدة لآل البيت بمصر، فقد توجه كثير من آل البيت بعد نكبة الحسين رضي الله عنه إلى مصر هرباً من خيانة شيعة العراق وابتعاداً عن الشام وسطوة يزيد، وكانوا محل التكريم والحفاوة، وبعد هذا كيف نصدق روايات الشيعة بدم مصر وأهلها؟ ولكنها العصبية الطائفية والقومية الفارسية البغيضة.

٢- موقف الشيعة من الأئمة الأربعة والمنتسبين لهم: استعرض فيها تكفير الشيعة للأئمة الأربعة وتلاميذهم وكذلك تهجم وتكفير الشيعة للأشاعرة والصوفية وعموم أهل السنة.

٣- عندما حكم الشيعة مصر: فبين ما قامت به الدولة الفاطمية من انحرافات وجرائم ومظالم تجاه المصريين، وبين أنهم اعتمدوا على استغلال الفكر والقضاء وصبغ الحياة بمظاهرهم.

وفصل في عقائد الدولة الفاطمية الإسماعيلية والتي يجهلها كثير من الباحثين فضلاً عن العامة.

٤- مواقف المصريين العلمية والعملية لمقاومة الفاطميين: وهذا من أمتع فصول الكتاب وهو جديد في باب، ويحتاج إلى مزيد من التطوير والتوسع في كتاب مستقل، حيث استعرض جهود علماء مصر في صد التشيع، وجهود المصريين من العامة بالأشعار والنكات لمقاومة التشيع والفاطميين.

أما الباب الثاني والذي يعالج قضية خطر التشيع على مصر بالمستقبل فقد تناول فيه المحاور التالية:

١- خطر التشيع على العقيدة والشرعية الإسلامية بتحريف العقائد وتبديل الشرائع وذكر نماذج عديدة.

٢- خطر التشيع على نسيج الأمة الاجتماعي، وتناول فيه أثر التشيع على قضايا الزواج والمتعة والتقية في تفتيت المجتمع وشطره من جهة، وقضايا الفتن والحروب الأهلية التي يتورط فيها التشيع دوماً نتيجة لهذه العقائد والشعائر والسلوكيات الطائفية، واستعرض مسيرة الشيعة قديماً وحديثاً في الفتن والحروب الأهلية والطائفية والخيانة للأمة بالتعاون مع أعدائها ضدها.

٣- استعرض تفصيلاً محاولة الفاطميين قديماً لطمس الهوية السنية لمصر.

٤- كشف عن معالم استراتيجية الشيعة اليوم للتغلغل في مصر.

وبالختام أكرر النصيحة للمهتمين لقراءة هذا الكتاب لما فيه من ربط الحاضر بالماضي وربط السياسة بالعقيدة مما ينير الرؤية ويوضح العقدة الخفية في سياسات إيران، لمن أراد أن يفهم الحقيقة على حقيقتها ويتعامل مع الشيعة على نور وبصيرة.

العديد من الأسر المصرية دون أن تشعر.

يتحدث الباحث في كتابه بكثير من الاستفاضة البحثية عن ثغرة الفضائيات الشيعية في البيوت السنية من حيث عددها وهويتها وفلسفتها وتحليل محتوي أطروحاتها وبخاصة فضائيات الأطفال الشيعية، ويقدم أطراً من الحلول التي يمكن توظيفها في عملية مواجهتها. **وفي ذات الإطار يتحدث الباحث عن ثغرة الدراما الشيعية وما قد تحدثه من خلخلة لعقيدة المصريين** ليحلل محتوى بعض المواد الدرامية الشيعية لإثبات خطورتها على الهوية والعقيدة ويقدم حلولاً عملية لمواجهتها.

الكتاب يلقي الضوء أيضاً على الكثير من القضايا

الشائكة في مسألة المد الشيعي

مثل قضية الصحابة رضوان الله عليهم وكيف يمكن تقويض الشيعة من ملاعبة مصر بهذه الورقة الخطيرة، وثغرة زواج المتعة المهلكة وكيف أنها والخمس رفقاء للمد الشيعي. ليقف الباحث بطريقة مركزة مع التمويل الشيعي والطابور الخامس في الجدار المصري.

ويلقي الكتاب بظلاله على

الدفاع الأممي عما يدعونه حقوقاً

مسلوبة للشيعة في مصر، وكيف تورط بعض أبناء الداخل في هذا الدفاع الباطل. ليختتم الباحث كتابه بتبيان موقف كبار دعاة التقريب مع الشيعة وكيف تبدل

موقفهم من الشيعة بعد أن لمسوا بأيديهم ورأوا بأعينهم محاولات المد الشيعي للتغلغل في المجتمع المصري فأطلقوا صيحات النذير حتى لا تراق الدماء الطائفية في مصر على غرار العراق واليمن وسوريا.

الكتاب دراسة بحثية موضوعية متعمقة يقع في ١٠٤

صفحة من القطع الكبير، ويكشف ثغرات تغفل المد الشيعي في مصر، ويضع الحلول العملية الاستراتيجية لمواجهتها على المستويين الرسمي والشعبي.

المد الشيعي في مصر...

آليات التغلغل وطرائق المدافعة

صدر منذ أيام عن «مركز الاستقامة للدراسات الاستراتيجية» كتاب «المد الشيعي في مصر... آليات التغلغل وطرائق المدافعة» للكاتب والباحث الهيثم زعفان، حيث يأتي هذا الكتاب في توقيت زادت فيه المخاوف من التغلغل الشيعي في المجتمع المصري بعد ثورة يناير وما صاحبها من تداعيات سياسية، ومحاولة فتح الباب للتطبيع مع الكيان الفارسي الراعي لهذا المذهب الفاسد من قبل بعض الأصوات السياسية المصرية، مؤكداً في ذات الوقت على أن الحديث عن المد الشيعي واللعبة الإيرانية ينبغي ألا يكون من باب التهويل؛ فتعطي الشيعة أكبر من حجمهم، ولا من باب التهوين فتموت معه سنة الدفع، ولكن ينبغي أن يكون موضوعاً مركزاً في صد آليات اختراقه للمجتمعات السنية، ومحاولات فتحه للثغرات في جدرانها، وفي ضوء ذلك يلقي الكتاب الضوء على بعض الثغرات التي يحاول الشيعة النفاذ منها إلى قلب المجتمع المصري السني ومنها مسألة السياحة الدينية وزيارة الأضرحة حيث يفجر الكتاب الكثير من المفاجآت في علاجه



لتلك الثغرة من خلال الإثبات البحثي لوهمية كثير من الأضرحة التي يدعي الشيعة أنهم بنوها في مصر ليتناول بحثياً أكذوبتي دفن رأس الحسين والسيدة زينب رضي الله عنهما في مصر.

ليختم هذه الجزئية بإطالة على أبرز مكان سياحي ديني يمكن أن يزوره المصريون في إيران حال التبادل السياحي وهو ضريح الهالك أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث يبين الكتاب تفصيلاً كيف يحتفي الشيعة بهذا المزار السياحي الهام عندهم في إيران.

يتناول الكتاب تفصيلاً أيضاً ثغرة زواج الشيعة

العرب من المصريين وكيفية سد هذه الثغرة التي تقع فيها

سبيل الطاغوت».

الشيخ يوسف القرضاوي،

مفكرة الإسلام ٢٠١٣/٥/٣

سفير يحلل راتبه!

قالوا: وفد عشائري ضم ٢٠ شيخاً من وجهاء مدينة معان (جنوب الأردن) مع عدد من رجال الأعمال التقوا السفير الإيراني مصلح زادة، وأنّ «البحث تركّز حول توسط بلاده لدى العراق لإطلاق المعتقلين الأردنيين الـ ١٧ المتواجدين في السجون العراقية، وعلى رأسهم المعتقل إبراهيم سليمان السعودي». ووجه السفير لهم دعوة لزيارة طهران.

البيان الإماراتية ٢٠١٣/٤/١٨

سؤال وجيه

قالوا: لماذا هبّ المجتمع الدولي ضد «جبهة النصرة» في سوريا بينما لم يفعلوا الأمر نفسه تجاه «جبهة» حسن نصر الله، الوجه الآخر لـ «القاعدة»، حيث يعرّب رجاله بسوريا، ويا لها من مفارقة فهي السلطات الكندية تعلن إحباط عملية إرهابية كانت تستهدف قطارا للمسافرين يقف خلفها تنظيم القاعدة، وبإشارة ممّن؟ الأراضي الإيرانية! والعجيب، والمحير، أن الشرطة الكندية تقول: إن المتهمين بالتآمر على شن هجوم إرهابي كان يستهدف قطارا للمسافرين بين مدينة تورينكو الكندية ونيويورك تلقيا مساندة ودعمًا من عناصر لـ «القاعدة» في إيران، لكنها، أي السلطات الكندية، لم تجد دليلاً على تورط النظام الإيراني

الحوار على الطريقة الشيعية

قالوا: فريق جمعيات المعارضة السياسية فريق معطل على طاولة الحوار «لا يريد التقدم ولا يريد الدخول في جدول الأعمال... لا بد من حسم المهزلة التي تتكرر على مدى ١٦ جلسة ومن لديه نقاط فليدخل فيها مباشرة».

الشيخ خالد آل خليفة

وزير العدل البحريني -

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٥/٩

جنس إسلامي!

قالوا: انتشار أقراص إيرانية مدمجة لتعليم الجنس على الطريقة الإسلامية، في شارع الجمهورية وسط بغداد.

مواقع الإنترنت ٢٠١٣/٤/١٨

سبقك بها ابن جبرين!

قالوا: «هو (نصرالله) يتهمني بأنني أدعو لقتل المدنيين، أنا لا يمكن أن أدعو لذلك بل أدعو لقتال من يقتل المدنيين.. هناك مدنيون يتخفون بثياب مدنية، هؤلاء هم الشبيحة وهم يجب أن يقتلوا، نرفض قتل المدنيين وإذا قتل بعضهم فهذا من ضروريات الحرب ونحتسبهم من الشهداء».

واعتبر أنه ما من مكان في حزب الله للخير والدين والله لأنه يقاتل في سبيل الطاغوت بسوريا، ووصفه بأنه حزب الشيطان حزب الشر حزب الطغيان، مضيفاً أن نصر الله «وقف بياهي بأنه سيبيح الآلاف من جنوده ليقاتلوا في سوريا.. سيهزمه الله ويأخذه أخذ عزيز مقتدر لأنه يقاتل في

الحقيقة التي يخشونها

قالوا: إن أكثر من ثلاثة أرباع المسلمين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب آسيا وجنوب شرق آسيا يريدون محاكم الشريعة للبت في قضايا قانون الأسرة مثل الطلاق ونزاعات الملكية.

ويقول ٧٥ بالمئة إن الإجهاض خطأ أخلاقيا ورفض ٨٠ بالمئة أو أكثر المثلية الجنسية وممارسة الجنس خارج إطار الزواج.

وتتباين وجهات النظر بشدة حول ما إذا كانت المرأة يجب أن تقرر بنفسها ارتداء الحجاب إذ يوافق على ذلك ٨٩ بالمئة في تونس و٧٩ بالمئة في إندونيسيا بينما يرفضه ٤٥ بالمئة في العراق و٣٠ بالمئة في أفغانستان.

وقالت أغلبية - من ٧٤ بالمئة في لبنان إلى ٩٦ بالمئة في ماليزيا - إن الزوجات عليهن طاعة أزواجهن دائما.

ورأت أقلية أن التوترات بين السنة والشيعة مشكلة كبيرة جدا وقد بلغت النسبة ٣٨ بالمئة في لبنان و٣٤ بالمئة في باكستان و٢٣ بالمئة في العراق و١٤ بالمئة في تركيا.

مركز بيو - المصريون ٢٠١٣/٥/١

وعى ناضج

قالوا: ٨١٪ من المصريين يرفضون التطبيع مع إيران.

جريدة الوادي الجديد ٢٠١٣/٤/٨

من تنزانيا

قالوا: التشيع خطر داهم، لا يقل خطورة عن التنصير في تهديده للوجود الإسلامي في تنزانيا، ولا يقل عنه في الإمكانيات الضخمة التي يدعم بها وجوده، ولكنه في زنجبار ليس قويا، وقليل من الشباب من يتشيع، ولديهم مراكز كبيرة، ومذاهبهم المنتشرة هي «الجعفرية» وإذا مررت في شوارع تنزانيا تلاحظ بيوتا مكتوبا عليها «يا حسين»، فالمسلمون إذن يقعون بين سندان التشيع ومطرقة التنصير.

الشيخ مبوانا أراي، مسؤول الدعوة بهيئة علماء المسلمين في تنزانيا

مجلة المجتمع ٢٠١٣/٥/٤

نفسه! وهذا يدفع المتابع للتساؤل: متى يفيق الغرب من هذه السطحية في التعامل مع إيران وعلاقتها بـ«القاعدة»؟ فهل يعتقد الغرب، سواء أميركا أو كندا، أن أعضاء تنظيم القاعدة يقيمون في إيران بضيافة سنة إيرانيين، مثلا، بعيدا عن أعين النظام؟ هراء!

طارق الحميد -

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٤/٢٤

لا تعليق!

قالوا: يجد رجال الدين والعمال والمثاليون الذين تقدموا لخوض الانتخابات الباكستانية يوم السبت لأول مرة أنفسهم ينافسون مرشحين ينتمون لفئة المتحولين جنسيا في بلد شديد المحافظة.

إيلاف ٢٠١٣/٥/٩

من يتعظ؟

قالوا: من أراد أن يشاهد مصر بعد عشرين عاما من الآن، ومن أراد أن يعرف الثمرة المستقبلية لتقشير العرب اقتصاديا مع مصر والخطأ الجسيم الذي ارتكبه الرئيس المصرية في التقارب مع إيران فلينظر إلى ما يفعله الشيعة في السودان، فما هي إلا نفس الظروف الاقتصادية بنفس المنهج الشيعي في اللعب على وتر الشهوات وفتح الأبواب للدراسات العليا في جامعات طهران، فبنفس المقدمات ستحدث دوما نفس النتائج.

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

٢٠١٣/٥/٦

أذنان بشار في غزة

قالوا: حشدت الجبهة الشعبية بالتحالف مع الحزب الشيوعي عشرات الأشخاص في خان يونس بغزة البالغ تعدادها أربعمئة ألف شخص، عشرات الأشخاص رفعوا صورة بشار الأسد، واحتتموا بشعارات تحرير فلسطين، ولولا تدخل الشرطة الفلسطينية السريع، لتم تمزيق أنصار بشار الأسد من قبل الناس.

موقع الحقيقة ٢٠١٣/٥/٩

الأزهر في إصدار فتاوى لتجريم سب الصحابة»، أما الشيخ حسن الشافعي، مستشار شيخ الأزهر، فقال: «الأزهر باعتباره قلب العالم السني وضع شروطاً للتعامل مع العراق، منها وقف المد الشيوعي في البلدان السنية، وكذلك إصدار فتاوى تجرم سب الصحابة وتتصف أهل السنة».

*تبين أيضاً أن السعودية وقطر قاطعتا المؤتمر.
*وتبين أن اتحاد علماء المسلمين برئاسة الشيخ يوسف القرضاوي لم يحضر المؤتمر.

*غالب الجماعات الإسلامية وخاصة جماعة الإخوان المسلمين لم تشارك في فعاليات هذا المؤتمر، ومنها كذلك الحزب الإسلامي العراقي.

ويبقى السؤال: من شارك إذا في هذا المؤتمر من السنة؟ ومع من كان الحوار؟ والتقريب بين من ومن؟

الذي عرفته من مشاركة السنة في المؤتمر: وزيرنا للأوقاف بالأردن د. محمد نوح القضاة، ومفتي بشار الأسد أحمد حسون، ومن العراق خالد الملا أحد أعلام نوري المالكي من السنة، وعبد الغفور السامرائي رئيس الوقف السني التابع لحكومة المالكي!!

الطريف في هذا المؤتمر أنه بعد فشل مؤتمرات التقريب التي كانت ترعاها إيران جاء الدور على بغداد أو نظام المالكي في بغداد ليحمل هذه الراية التي أعلن وفاتها منذ عدة سنوات الشيخ القرضاوي، وكشف أنها تحولت إلى أداة للتغلغل الإيراني بين شعوب الدول العربية السنية.

مفارقات مؤتمر بغداد للحوار والتقريب!!

أسامة شحادة - العدد ٢٠١٣/٥/٣

انتهت فعاليات المؤتمر الدولي للحوار والتقريب في بغداد مؤخراً، هذا المؤتمر الذي لم يفهم أحد من الجهة التي نظمته، ولا من حضره وشارك فيه، ولا السبب الداعي له!! فبرغم البحث المتكرر على شبكة الإنترنت لم أجد للمؤتمر صفحة خاصة به، ولم أجد تقريراً يوضح الجهة الداعية له في العراق، ولم أجد أيضاً أسماء المشاركين فيه!!

فكل الذي وجدته معلومات ضبابية على غرار أنه تم برعاية رئاسة الجمهورية، وأن نوري المالكي رئيس الوزراء ألقى فيه كلمة، وأنه حضره ٣٠٠ شخصية من ٤٠ دولة، هكذا دون تفصيل.

ومع مزيد من البحث تبين ما يلي :

*قاطع المؤتمر السنة العرب العراقيون مثل رئيس البرلمان أسامة النجيفي، ونائب رئيس الوزراء صالح المطلك والنواب السنة وعلمائهم وقادة العشائر.

*الأزهر أيضاً قاطع هذا المؤتمر وصدر عنه بيان يوضح الأسباب جاء فيه: «إن شيخ الأزهر، لم يشارك في المؤتمر الدولي للحوار الإسلامي والتقريب اعتراضاً على ما يتعرض له أهل السنة في العراق»، وبسبب «عدم ظهور أي استجابة لمطالب

وتخلل هذا المؤتمر عدد من المفارقات الغريبة، منها:

- أن سنة العراق منذ أربعة أشهر وهم في الشارع والمالكي يرفض أن يحاورهم بشكل جدي!

- قبل المؤتمر بأيام تعرض المعتصمون والمحتجون السنة لحوار بالرشاشات والطائرات في الحويجة، من قبل قوات إيرانية بزي عراقي كما جاء في بيانات وتصريحات قادة الحراك العراقي.

- في ليلة المؤتمر تم الاستيلاء على مسجد فرج علي الصالح ببغداد وهو أحد مساجد السنة من قبل القوات الخاصة «سوات» وتم تسليمه للوقف الشيعي!!

- عقب المؤتمر بيومين تم إغلاق ١٠ قنوات فضائية بحجة نشرها للطائفية، في تجسيد حي لمفهوم الحوار والتقريب المطلوب.

أما ما تم طرحه في المؤتمر والتوصيات التي خرج بها فهي من المضحك المبكي في نفس الوقت، فبحسب التقارير الصادرة عن المؤتمر فإنهم دعوا إلى الحوار والبحث عن المشتركات للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مؤكدين ضرورة تشكيل لجنة لتنفيذ ومتابعة توصيات المؤتمر لجمع شمل الأمة العربية بصورة علمية وواقعية.

وكان هذا المطلب جديد أو اكتشاف عظيم، أين ذهبت مقررات مؤتمرات التقريب السابقة؟ ولماذا لم تحقق المطلوب؟ هل يمكن أن يجيبنا أحد؟

عن أي مشتركات نتحدثون ونحن نشاهد اصطفاً شيعياً لا يتخلف عنه هيئة شيعية لها ثقل حقيقي في أي مكان خلف المرشد الإيراني لدعم المجرم بشار الأسد؟!

كيف نتحدثون معنا عن المشتركات وأيديكم ملوثة بدماء السوريين والعراقيين والفلسطينيين واللبنانيين وغيرهم؟!

أليس غريباً أن يتم الحديث عن الحوار

والتقريب وسط أصوات المدافع وهدير الطائرات وانفجار الصواريخ!! أليس أعجب من هذا دعوة وزير الأردن للأوقاف لفتح المجال للسياحة الدينية الشيعية في مدينة الكرك بخلاف رغبة الأهالي هناك، أين الحوار يا معاليك؟

والأعجب من هذا أن معاليه يبشرنا في حوار مع موقع (خبرني) أنه توصل لاتفاق بين الشيعة والسنة، وهو يعلم أن ما رددته في حوارته ثبت بطلانه على أرض الواقع والتجربة من قبل علماء كثيرين وأكبر منه كالشيخ القرضاوي وشيخ الأزهر والدكتور محمد عمارة والدكتور عبد الله النفيسي وهؤلاء ليس فيهم وهابي أو سلفي متعصب ضد الشيعة.

وختاماً أوجه لمعاليه سؤالاً أرجو أن يجيبه عن إجابته: لقد قام والدكم عندما كان سفيراً في طهران بوضع تظليل لزجاج سيارة السفارة التي كان يتنقل بها، فهل لك أن تجيبنا عن السبب الذي دعاك لهذا؟ حتى لا تسير في طريق مسدود فتضيع وقتك ولا يحمد فعملك.

السياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية بين محمد القضاة وبسام العموش

أسامة شحادة - العدد ١٠/٥/٢٠١٣

أثارت زيارة الدكتور محمد القضاة وزير الأوقاف الأردني لمؤتمر الحوار والتقريب ببغداد وكلمته ونشاطاته هناك عاصفة من الجدل زادها بتوضيحاته ومقابلاته عند عودته لعمان، فقد أصدر حزب الوسط الإسلامي بياناً انتقد فيه القضاة ومما جاء في البيان: «نظر حزب الوسط الإسلامي باستغراب إلى تحركات وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية محمد نوح القضاة باتجاه التطبيع مع الطائفة الشيعية، خاصة بعد زيارته لأضرحة أئمتهم في جنوب العراق وكذلك زيارته لمرجع الشيعة آية الله السيستاني وترحيبه بتفعيل السياحة الدينية الشيعية إلى ضريح الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

إننا ونحن ننظر بكل استهجان لمثل هذه

الزيارات والتصريحات نتساءل: ألا يعلم معاليه ما يعانيه إخواننا في سوريا من قتل وحشي من قبل النظام السوري بمباركة من مرجعيات الشيعة في النجف وكربلاء وقم، ونعلم كذلك جهود الدولة الصفوية في إيران في تشييع المنطقة بكل الأساليب الترغيبية والترهيبية، عدا عن الدعم العسكري والبشري الذي لا يخلون من المجاهرة به للنظام الوحشي.

لقد كان بوجدنا أن يعبر وزير الأوقاف عن

ضمير الشعب الأردني فيرفض التطبيع مع غلاة الشيعة وأن يشترط عليهم أن يوقفوا مدّهم ودعمهم للنظام المجرم في سوريا، ويوقفوا كذلك المد الصفوي الذي يريد السيطرة على العالم الإسلامي من خلال التشيع والتمسح بحب آل البيت الكرام».

أما القضية فردّ على ذلك بتحذير حزب

الوسط - الذي كانت تتردد معلومات عن نية القضية بأن يكون أحد مرشحيه للانتخابات الماضية - من السقوط فريسة الصراعات الإعلامية!!

ويهمنا هنا التركيز على تبني وتشجيع

القضاة للسياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية، وهو الأمر الذي أكد على تبنيه في لقاءه على قناة الحقيقة الدولية ومع برنامج الوكيل مما أثار جدلاً كبيراً.

وموضوع السياحة الدينية له بعد ديني

وسياسي، فالبعد الديني يشمل حقيقة الخلاف بين السنة والشيعة وحجمه، وهل هذه فعلاً سياحة دينية مشروعة؟ وهل تتصادم هذه السياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية مع عقائدنا وشعائنا أم لا؟ وعلى كل هذا سجال لا نريد أن نخوض فيه الآن، ولنقصر حديثنا على البعد السياسي من السياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية، ونجمله في النقاط التالية:

١- لماذا تجعل إيران/ الشيعة السياحة الدينية

على رأس أجندتها بالتعاون مع الدول السنية مثل الأردن، مصر، العراق، سوريا... لماذا الحرص على إغراق هذه الدول بطوفان من السياح الإيرانيين/ الشيعة يصل للملايين؟

٢- لماذا بالمقابل لا تعد إيران بلداً سياحياً؟ لماذا تنعدم حرية المواطن الإيراني فضلاً عن السائح في إيران، بينما يطلب منا الحرية المطلقة لملايين الإيرانيين في بلادنا؟

٣- هل فعلاً أن الشعب الإيراني قادر على السياحة ويرغب بها، بينما المعروف أنه غير قادر على توفير مستلزمات الحياة! وقد سمعنا عن أزمة الدجاج في طهران قبل مدة والغلاء والتضخم والبطالة التي يعاني منها المواطنون هناك، فمن الذي يحرك هؤلاء السياح ويدفع نفقاتهم ويختارهم؟

٤- ألم تظهر آثار سلبية للسياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية على الدول التي قبلت هذه السياحة، ففي العراق وجدنا أنهم بحجة السياحة قاموا بتوطين مئات الآلاف من الإيرانيين في النجف وكربلاء، ومن ثم تحولت لشبه قطعة من إيران، ومن ثم تم السماح لشركات إيرانية خاصة بحماية السياح الإيرانيين في العراق، في شرعنة واضحة للسلاح الإيراني على أرض العراق!

ألم يحدث هذا في سوريا في منطقة السيدة زينب التي أصبحت وكأنها مستوطنة إيرانية فارسية في قلب دمشق العروبة والإسلام؟ ومؤخراً صدر بالقاهرة كتابين يرصدان السياحة الدينية الشيعية/ الإيرانية هما: (مصر والشيعة بين صراع الماضي وخطر المستقبل) عن مركز التنوير للدراسات الإنسانية للدكتور حمدي عبيد، و(المدّ الشيعي في مصر.. آليات التغلغل وطرائق المدّفة) عن مركز الاستقامة للدراسات الاستراتيجية للكاتب والباحث الهيثم زعفان.

٥- أليس قد ثبت أن الإيرانيين والبنانيين الشيعة شاركوا في قتل الشعب السوري الشاثر تحت غطاء السياحة الدينية الشيعية لسوريا، وقد ألقى القبض عليهم من قبل الجيش الحر؟

٦- أليس باسم حماية المزارات السياحية الدينية الشيعية قام شيعة العراق (لواء اليوم الموعود - لواء أبي الفضل العباس)، وشيعة لبنان (حزب الله ورئيسه) بالتدخل العسكري العلني بحجة حماية هذه المزارات لدعم إجرام قوات الأسد ضد الشعب السوري؟

هذه أسئلة أوجهها للدكتور القضاء وأنتظر

إجابتها منه، هل نحن أمام سياحة دينية بريئة أم نحن نواجه غزو عسكري سافر لا يعترف بسيادة وطنية أو علاقات طبيعية متبادلة؟ بدلاً من حديثه المرسل في العموميات و(الينبغيات) وهو يتعمى في ذات اللحظة عن أنهار الدماء وأكوام الجثث والأشلاء التي تتكاثر بمرور الأيام بسبب تقاعس أمثاله من الدعاة من الصراحة والوضوح مع المجرم الذي يغتصب ويذبح ويفجر بدون رحمة ثم يدعونا للحوار والتقريب تحت المكيفات وفي فنادق الخمس نجوم!!

وأختم هذه المقالة برؤية الدكتور بسام

العموش للسياحة الدينية الشيعية الإيرانية وميزة هذه الرؤية أنها تصدر من شخص شغل منصب السفير الأردني في طهران وعُرضت عليه قضية السياحة، وقد عرض العموش هذه الرؤية في حوار على قناة العباسية ومنشور في موقع اليوتيوب قال فيه: «طلب الإيرانيون تشجيع السياحة الدينية، يعني يريدون إقامة مطار في الكرك من أجل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكل يوم يأتي ألف زائر، وكل الناس يعرفون أن الحاج الإيراني يأتي ويذهب لدمشق بـ ٥٠ دولاراً، يعني مجاناً على حساب الدولة».

وهذا ماكانوا ينوون عمله هنا، كل يوم ألف

سائح يعني حركة فنادق ومطاعم، إغراءات اقتصادية كبيرة جداً.

كان جوابي أنا لا أملك هذا القرار لكن أنا

أشجعه، لكن أنتم كنتم تذهبون للحج وتحولون الحج لمظاهرات فاصطدمتم بالسعودية ودفعتم الكلفة: ٤٠٠ إنسان قتلوا، ولكن بعد توقيع الاتفاقية الأمنية مع السعودية أصبحتم تحجوا عادي

وتعودوا عادي وانتهى الأمر.

إذا أردتم علاقة مع الأردن تفضلوا وقموا اتفاقية مع الجهات الأمنية». وأترك القارئ يقارن بين رؤيتي القضاء والعموش لقضية السياحة الدينية ويقرر موقفه بناء على قناعاته الذاتية.

أهل السنة في البحرين: عناصر القوة والضعف

مدونة عمر خليفة راشد - ٢٠١٣/٤/٢١

ليس من الحتمي إضفاء صفة (قوة) أو (ضعف) على عنصر ما بصفة قطعية مستمرة، بمعنى أن عنصراً ما قد يتأرجح بين القوة والضعف، حسب الظروف المكانية والزمانية، وحسب قابلية الطرف الموصوف، من حيث قدرته على إبقاء عنصر القوة فعالاً بحيث لا يتحول إلى عالة عليه!

أولاً: عناصر القوة

الكثافة العددية، نسبة أهل السنة والجماعة تبلغ حوالي نصف السكان من المواطنين. الانتماء إلى الأمة، أهل السنة ليسوا طائفة من الطوائف، ولا يجوز استعمال عبارة (الطائفة السنية) لوصف أهل السنة في أي بلد كان. نحن أمة الإسلام وورثته، والشيعية هم طائفة من الطوائف والفرق والنحل. نحن لنا جذور تمتد عبر التاريخ إلى يوم نزول الوحي على قلب رسول الله ﷺ، ولنا امتداد عبر الجغرافيا من إندونيسيا إلى موريتانيا! الانتماء إلى الكيان الخليجي العربي، الذي بالرغم من ضعفه - كما سنذكر لاحقاً - إلا أنه لعب دوراً حاسماً في القضاء على فتنة ١٤ فبراير ٢٠١١م الصفوية. وقد كان دخول قوات درع الجزيرة إلى البحرين يوم عيد بالنسبة لأهل السنة، وصدمة وكرامة بالنسبة لأتباع الولي السفيه! السلطة السياسية، المتمثلة في الأسرة الخليفية الحاكمة، وقدرة هذه الأسرة على البقاء في الحكم خلال القرنين الماضيين. المؤسسة العسكرية، من خلال قوة دفاع البحرين بفروعها الثلاثة، الجيش والبحرية

بهذا الدور الوطني الشريف، ومنهم من ترك تقاعده ورجع إلى ميدان البذل والعطاء ليسد النقص الحاصل بفعل العصيان. لقد جرّد هذا الحدث الشيعة من سلاح العصيان المدني، الذي كانوا يلوحون به من حين لآخر.

تناسست الجمعيات السياسية السنية المتناحرة خلافاتها، خاصة جمعيتي المنبر الإخوانية، والأصالة السلفية، لتقف صفاً واحداً في وجه المشروع الصفوي الحاقدي، فأصبحت كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً.

ثانياً: عناصر الضعف

الدولة الرخوة. يشتكي أهل السنة في البحرين مرّ الشكوى من تخاذل الدولة وميوعتها، وأتباعها لسياسة التراجعات بلا مقابل! من تجليات هذه السياسة:

العفو المستمر عن الجناة والمجرمين من خلال ما يُعرف عندنا بـ (المكرمات الملكية)، التي أصبحت مادة للتندر عند أهل السنة. وكذلك تخفيف الأحكام الصادرة ضد الإرهابيين ليتساوى أمام القضاء قاذف المولوتوف مع سارق علبة شكولاته!!

إرجاع المتآمرين الذين فصلوا من أعمالهم بعد الأحداث الأخيرة إلى وظائفهم معززين مكرمين!

غض الطرف عن بعض كبار المتآمرين من أمثال الشيخ عيسى قاسم (رأس الفتنة)، والشيخ علي سلمان رئيس جمعية الوفاق، بينما جرى القبض على بعض قادة الصف الثاني ممن هم أقل خطورة!

نظن أن أتباع هذه السياسة الرخوة ناتج عن عاملين: الاستجابة المفرطة للضغط الأمريكي، ووجود قناعة فكرية خاطئة لدى بعض مراكز القرار بشأن إمكانية إرضاء الشيعة بالرغم مما فعلوه طوال الثلاثين سنة الماضية!

سياسة هدم الذات. لم تتعظ السلطة السياسية في البلد مما جرى! ما زال الفساد متمكناً من مفاصل الدولة، ويزداد شراسة يوماً بعد يوم. وما زالت بعض أجهزة الدولة تتبع سياسة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها سياسة (هدم الذات). فوزارة

والطيران، بالإضافة إلى الحرس الوطني، والقوات شبه العسكرية كالشرطة وخفر السواحل. إن المؤسسة العسكرية تمثل الحصن الحصين وخط الدفاع الأخير للسنة، لذلك يستبسل الشيعة - منذ عقود - للحصول على موطاً قدم لهم في هذه المؤسسة، ولنا مخاوف من أن تتصاع بعض مراكز القرار في الدولة لهم بفعل الضغوط الأمريكية!

قابلية أهل السنة للاستجابة للتحدي. قبل الفتنة الأخيرة، كان الغالب على أهل السنة الغفلة والإهمال والانشغال بسفاسف الأمور، وترك المواجهة للدولة فقط، ولما اندلعت الفتنة رأينا العجب العجيب، والحمد لله أولاً وأخيراً، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

لقد أسدى إلينا الشيعة - من حيث لا يشعرون - خدمة عظيمة، والأمر يستحق أن نرسل برقية إلى سرداب سامراء، نشكر فيها المهدي المنتظر، على الخدمة الجليلة التي قدمها لنا المواليين من أتباعه، بجعلهم أهل السنة يستيقظون من سباتهم العميق!

تجلت الصحوة السنية من خلال أحداث غير مسبوقه في تاريخ أهل السنة في البحرين، أهمها:

تجمع الفاتح العظيم، والذي قدرته وسائل الإعلام بحوالي ثلث مليون، غالبيتهم العظمى من أهل السنة، وهذا هو أكبر حشد شعبي في تاريخ البحرين على الإطلاق. لقد جرّد هذا الحدث الشيعة من استعمال سلاح (الأغلبية) المزعومة.

نقاط التفتيش التي أقامها شباب أهل السنة في مداخل الأحياء السنية لحماية المواطنين والمقيمين من إرهاب العصابات الصفوية في وقت اختفت فيه قوات الجيش والشرطة من الميدان بقرار من (القيادة الرشيدة)! لقد وضع هذا الحدث حداً لاحتكار شباب الشيعة للميدان منذ ثلاثة عقود.

حركة المتطوعين رداً على دعوة الشيعة للعصيان العام والإضراب عن العمل. لقد ملأ المتطوعون من أهل السنة - رجالاً ونساءً - الأماكن التي شغرت في المدارس والمرافق الحيوية الأخرى، ومنهم من طلب إجازة من رب العمل ليقوم

تحركات حوثية لاستعادة السيطرة على صعدة وإقصاء الآخرين

عرفات مدابش - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٥/١١

تشهد مناطق شرق وشمال اليمن تطورات أمنية وعسكرية متواترة وصلت إلى حد المواجهات المسلحة، في وقت أقدم فيه الحوثيون في شمال اليمن على السيطرة على مساجد مدينة صعدة عبر عناصر وميليشيات مسلحة، في حين جرح عدد من الأشخاص في هجوم مسلح على حافلة بمدينة عدن.

وقالت مصادر محلية في صعدة لـ«الشرق الأوسط» إن جماعة الحوثي المتمردة في شمال اليمن قامت بتطويق عدد من المساجد في مدينة صعدة، في إطار المساعي للسيطرة على مساجد المدينة ذات التوجه السلفي. وأضافت المصادر التي رفضت الكشف عن هويتها، أن «جماعة الحوثي تعد لمرحلة جديدة في صعدة التي باتت تحت سيطرتها أمنياً وعسكرياً وتسعى إلى الحكم المباشر في المحافظة وإعلانها إقليماً حوثياً يتبع ما يسمى (أنصار الله)، وهي التسمية التي دخل بها الحوثيون مؤتمر الحوار الوطني». وأشارت المصادر إلى أن «جماعة الحوثي تحاول افتعال المشكلات من أجل إيجاد مبرر للانسحاب من مؤتمر الحوار الوطني الشامل، بعد أن بدت لهم مؤشرات بفشل مساعيهم لانتزاع قرارات مهمة تضمن لهم إقليماً خاصاً بهم يشمل محافظات: صعدة، حجة، الجوف وبعض المناطق من محافظة عمران، وبما في ذلك إيجاد منفذ على البحر الأحمر عبر ميناء ميدي قرب الحدود اليمنية - السعودية».

ويبسط الحوثيون سيطرتهم على محافظة صعدة بصورة تامة وعلى أجزاء من محافظة الجوف المجاورة، وحسب مصادر خاصة فإنهم يقومون بصورة يومية بتجنيد عشرات الشباب من المحافظات التي يسيطرون عليها وأيضاً من بعض المحافظات الجنوبية، خاصة بعد العلاقات الوثيقة

الثقافة مثلاً، ما زالت تقيم فعاليتها السنوية (ربيع الثقافة)، التي تتعارض مع كل قيم المجتمع وهوية الشعب وثقافته. وما زالت إدارة الأوقاف تحاصر الأئمة والمؤذنين السنة وتتعامل معهم بكل عنجهية، وتحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة، بينما تغض الطرف عن العمائم الصفوية التي تمارس التحريض على التخريب والإرهاب من فوق منابر المساجد .

ضعف المنظومة الخليجية. بالرغم من بعض النجاحات التي حققها مجلس التعاون الخليجي في عدة مجالات، إلا أن الأمر يستدعي الانتقال من مرحلة (التعاون) إلى مرحلة (الاتحاد)، كما أعلن ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في مؤتمر القمة الخليجية بالرياض في ديسمبر ٢٠١١م. ليس للدول الخليجية خيار غير الاتحاد القوي الفعال، وهذا هو الحل المنطقي الوحيد للوقوف أمام إيران وأطماعها التوسعية التاريخية. إن أهل السنة في البحرين - وقد رأوا تأثير قوات درع الجزيرة - هم أكثر الناس رغبة في هذا الاتحاد.

فشل محاولة الوحدة العامة للسنة، إذ أن تجمع الفاتح أثبت من خلال الحشد الهائل يوم ٢١ فبراير ٢٠١١م استعداده للتصدي للمشروع الطائفي، لكن (الشلة الفاشلة) من المشايخ والسياسيين الذين استولوا على مقدرات تجمع الفاتح حولوا مساره من تيار عام جارف يضم كل القوى السنية، إلى مجرد جمعية لا تسمن ولا تغني من جوع، أسموها (جمعية تجمع الوحدة الوطنية). وأصبحت هذه الجمعية مجرد عضو في ائتلاف فضفاض من تسعة جمعيات سنية، تتفق أحياناً وتختلف أحياناً أخرى. وما زال حكماء السنة مطالبون بالعودة إلى الوضع الوحدوي الأمثل الذي ساد أثناء الأزمة.

هذه أهم عناصر القوة والضعف لدى أهل السنة، وقد تعرضنا في مقال سابق لأهم عناصر القوة والضعف لدى شيعة البحرين.

إن طبيعة المعركة وخطورتها تفرض علينا أن نعمل قدر الإمكان على تنمية عناصر القوة لدينا، والعمل على تحجيم عناصر القوة لدى العدو.

التي ربطتهم بشخصيات من عدد من المحافظات اليمنية الجنوبية وتعز وفي الوقت الراهن يسعون إلى السيطرة على «الحراك التهامي» في غرب البلاد، ويمولون تحركاتهم هذه بأموال باهظة، في حين ترفض المصادر الحوثية التعليق على هذه المعلومات بعد اتصالات كثيرة أجرتها «الشرق الأوسط» مع بعض الشخصيات.

وجاءت هذه التحركات الحوثية في صعدة من قبل الحوثيين مع معلومات عن قرب استقبالهم لجثمان حسين بدر الدين الحوثي الذي سيأتي إلى اليمن قادما من ألمانيا، حيث جرت هناك عملية فحص الحامض النووي للجثة والتأكد من هوية صاحبها. وتشير مصادر محلية إلى أن الحوثيين يعدون لإعداد جنازة كبيرة وضريح لحسين الحوثي وجعله مزارا في المستقبل القريب.

من جانبه، يقول الدكتور العزي شريم، عضو مؤتمر الحوار الوطني الشامل باليمن، عضو فريق قضية صعدة لـ«الشرق الأوسط» حول المحاور التي سيبحثها فريق صعدة إبان النزول الميداني وفي داخل المؤتمر نفسه، إنها «أربعة محاور رئيسية هي: جذور قضية صعدة، المحتوى والمظاهر، الحلول المقترحة والمحور الأخير هو ضمان عدم تكرار ما حدث من أحداث عنف وحروب خلال السنوات الماضية»، وفي ما يتعلق بجذور قضية صعدة «هناك لجنة مصغرة مهمتها تحديد توصيف الجذور للقضية ووفقا لرؤى المكونات التي قدمت والوثائق المطلوبة من المكونات أو الجهات ذات العلاقة». وبشأن التطورات الحالية على الميدان في صعدة والاستيلاء على مساجد قال إنه «إذا صحت هذه المعلومات، فإنه سيكون لها تأثير كبير على مجريات الحوار الوطني عموما، وعلى أداء فريق صعدة بشكل خاص، في محاولته لحل قضية اليمن وقضية صعدة خصوصا، وخاصة أننا مقبلون على مرحلة النزول الميداني التي أقرها رئيس الجمهورية، رئيس مؤتمر الحوار».

من ناحية أخرى، وجهت اللجنة العسكرية الخاصة بإعادة الأمن والاستقرار إلى اليمن برفع

اللواء ٣ الذي كان يتبع الحرس الجمهوري سابقا، والذي كان يقوده نجل الرئيس السابق العميد أحمد علي عبد الله صالح، وجاءت هذه التوجيهات بعد اشتباكات مسلحة بين قوات اللواء المشار إليه وقوات الشرطة العسكرية لعدة أيام، أسفرت عن سقوط جرحى من الجانبين.

في موضوع آخر، جرح ٩ أشخاص في انفجار وقع في حافلة بمدينة عدن، كبرى مدن جنوب البلاد، وذلك أثناء قيام شخص مجهول بإلقاء القنبلة على الحافلة في مديرية «الشيخ عثمان».

السودان ودعوات مواجهة التشيع

مركز التأصيل للدراسات والبحوث - ٢٠١٣/٥/٦

تاريخ طويل من الغفلة والإهمال تعرض له المجتمع السوداني المسلم، وأدى به إلى أن يصل لهذه الحال، فما بين واقع اقتصادي شديد الفقر وكثير الأزمات وبين واقع سياسي لا يحسن الاختيار بين العدو والصديق وبين أفكار عقائدية وضعتها العديد من الطرق الصوفية التي تضرب أطنابها على كل زاوية من زواياه وصبغت عقيدته بهذه الأفكار البعيدة كثيرا عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، وبين أعداء متربصين من النصارى المدعومين أفريقيًا من إثيوبيا معقل النصرانية وعالميا من الولايات المتحدة ودول أوروبا، وبين يهود يحاولون دوما تخریب كل ما هو مثمر أو منتج في السودان ليظل ضعيفا فقيرا محروما من إمكانياته الكبيرة ويستهيون بكرامته السياسية فيدخلون ويخرجون بطائراتهم ويضربون المصانع السودانية في العمق، وبين عدو داخلي اقتطع جزء غالبا من الجسد السوداني بتكوين دولة الجنوب السوداني بزعماء نصارى، هذه الأزمات كلها بينما لا يلتفت العرب والمسلمون للسودان بتقديم يد العون لها ويتركونها نهبا لكل ذي مطمع.

وبالرغم من كثرة هذه التحديات وبالرغم من اجتماع كل هؤلاء الأعداء الداخليين

مسيحية فنصرها حمادة الديانة النصرانية .

وأيضاً لليهود دولة تدافع عن كل يهودي في مشارق الأرض ومغاربها ومستعدة لتقييم الحروب وتحرك الأساطيل والطائرات من أجل يهودي واحد حيا كان أو ميتا ، ولعباد بوذا دولة ولعباد البقر دولة .

وبالنسبة للمذهب الشيعي فله أيضا دولة تدافع عنه وتخرج من أموالها ومن المبالغ التي تحصل عليها من النفط وتأخذ من حق الإيرانيين لتتفق على نشر المذهب الشيعي ولا تدخر في ذلك جهدا ولا مالا ، أما المسلمون السنة فلا بواقي لهم .

فأي دولة إسلامية تحرك نفوذها السياسي لصالح مسلمين مضطهدين في أي مكان ؟ وأي دولة إسلامية سنية تتفق مواردها - ولو حتى جزء يسيرا - النفطية وغيرها لنشر المذهب السني في مواجهة المذهب الشيعي ؟ وهل نفضل نحن سوى الكلام والتأسف والترحم فقط بعد فقدنا لدول تتجه للتشيع ؟ وهل يمكن أن تستطيع الجهود السنية الفردية العشوائية الضئيلة أن تواجه ما ينفق من اقتصاديات دولة نفطية مثل إيران بإنفاقها على التشيع ؟ .

وتحركات الأفعى الشيعية باتجاه السودان منذ اللحظة التي بدأت فيها وصول طائفة الخميني لطهران ، فتسللت للسودان على غفلة - لا من الحكومة السودانية - ولكن من العالم الإسلامي ، فالحكومة السودانية بفقرها وضعفها وتقصيرها وتقاعسها فتحت الأبواب للشيعية للعبث بعقيدة أهلها وكانت تعلم بكل تحركاتهم ولم تستشعر للان خطورتهم إلا على استحياء ، ولا أظنها ستفيق إلا بعد أن يكون الشيعة جيشا مثل حزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن ويهاجموا القرى السنة كما يفعلون في كل مكان حلوا فيه وفرقوا بين أهله .

فالآن وبعد تأخر طويل عقد مؤتمر نظمته جماعة أنصار السنة السلفية لمناقشة كيفية محاربة المد الشيعي في السودان وحضر فيه - بالإضافة لرئيس جماعة أنصار السنة الداعية

والخارجين أفريقيا ودوليا إلا أن هناك خطر آخر تسلل إليهم تسلل القطا في خفة ومكر وخداع ، حتى ثبت أقدامه فيها وغرس أنيابه ، حتى خشي الجميع أن يقال أن السودان كانت دولة سنية مثلما كانت الخشبية من الكارثة التي وقعت ويقال الآن إننا شهدنا يوما كانت السودان فيه دولة واحدة وكانت اكبر دولة في أفريقيا .

وهذا العدو الذي استغل كل الإمكانيات المتاحة لم يكن دعاة التشيع الذين مرحوا في السودان بطولها وعرضها ونشروا فيها مذهبهم الخبيث بطرق ووسائل لا تختلف سمثا عن جوهر مذهبهم وحقيقته من الخبث والخسة والدناءة .

وأتعجب أن لكل ديانة أو مذهب في العالم دولة ترعاه وتدافع عنه وتبذل الأموال من أجل نشره والدفاع عن أهله إلا المسلمين عامة وأهل السنة بصفة خاصة ، فالنصرانية لها أكثر من دولة ترعاها وتشرها وتتفق عليها من أموالها بالبعثات التبشيرية المنتشرة في كل أنحاء العالم بميزانياتها الضخمة ، والدول مثل الولايات المتحدة وغالب دول أوروبا ، فما من مشكلة يتعرض لها نصارى إلا وتجدهم يتحركون في أقصى سرعة ممكنة لحل المشكلة واحتوائها وتقديم المساعدات.

ولعل العالم يتذكر حرب الثلاثة أيام التي جريت بين روسيا وجورجيا في عام ٢٠٠٨ وكيف نصرت الدول النصرانية دولة منهم في مواجهة الدب الروسي فلم تستمر الحرب سوى أيام ثلاثة بالرغم من امتداد حروب مع مسلمين لعشرات الأعوام دون أن يحرك مجلس الأمن ساكنا .

فجورجيا دولة ديانتها الرئيسية النصرانية ، والكنيسة الجورجية الرسولية الأرثوذكسية هي إحدى أقدم الكنائس المسيحية في العالم ، فلهذا وبعد بدء الحرب بمجرد دقائق اجتمع مجلس الأمن ، ووصل وزير الخارجية الفرنسي لوقف إطلاق النار فوراً ، وقدم خطة يدعمها الاتحاد الأوروبي تقضي باحترام وحدة وسيادة أراضي جورجيا ووقف فوري للعمليات العدائية من روسيا ، هذا لكونها دولة

للمؤتمر - الدكتور عصام البشير رئيس مجمع الفقه الإسلامي في السودان وحضر أيضا قيادات سلفية من خارج السودان منهم نائب رئيس الدعوة السلفية في مصر الدكتور ياسر برهامي .

وفيه طالب البشير السلطات السودانية بإغلاق الحسينيات الشيعية في السودان وتصفية المراكز الثقافية التابعة للسفارة الإيرانية وتجفيف معهد الإمام جعفر الصادق في الخرطوم وكذلك بمراجعة مناهج بعض المدارس والمراكز التي يعتقد صلتها بالشيعة ، متسائلا عن دور الدولة في تدفق ٨ ملايين كتاب يروج للفكر الشيعي في السودان ، وأعرب عن أسفه لغياب مجلس المصنفات في حظر الكتب الشيعية .

وعلى نفس الاتجاهات سارت الكلمات التي قيلت في المؤتمر والتي لم تخرج عن كونها مناشدات ومطالبات ، وهذا أقصى ما يمكن فعله في مثل هذه المؤتمرات التي لا ينتج عنها غالبا إلا البيانات الختامية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وهنا عدة ملاحظات على عقد مثل هذه المؤتمرات وعلى نتائجها وثمراتها :

- التحول السني داخل البلاد السنية من الفعل إلى رد الفعل، إن أسوأ ما في المؤتمر من فكرة هو أقامته تحت اسم وهدف «محاربة المد الشيعي في السودان»، فغالبا صاحب رد الفعل مهزوم، والأصل أن ندعو الناس للتوحيد الخالص والعقيدة السليمة ولا يكون عقد المؤتمر أو غيره لمحاربة الشيعة، فهذا إضعاف للمؤتمر وإضعاف للموقف السني برمته، وهذا مما يسعد به الشيعة أنفسهم أن يتحول المسلمون السنة في السودان من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع وهو في ذاته إقرار بأنهم في موقف ضعف أمام خصمهم.

- المؤتمر جاء متأخرا جدا عن الموعد الواجب عقده فيه، فما كان بالأمس نبأ ضعيفا صار له اتباع يتكاثرون بمضي الوقت، وما كان غريبا مستهجنا بالأمس ووافدا صار له اتباع من أبناء البلاد الأصليين، وخرج من خرج للدراسة في قم

وطهران وتبريز وغيرها وعادوا يحملون الشهادات العليا فالأمر صار غير الأمر وتأخرت المواجهة كثيرا، ولكن الوقت لم يفت بالكلية حتى الآن ولكنه صار أصعب بكثير عن ذي قبل.

- الحضور غير رسمي على الرغم من عظم المشكلة التي تتعرض لها السودان من هذا الغزو الشيعي وللمساحة الكبيرة التي يخترقها إلا أنه لم يكن هناك تمثيل رسمي سوداني أو عربي وإسلامي، فكل من حضر للمؤتمر كجماعة أو أفراد لا ترقى جهودهم أبدا للمقاومة المطلوبة لهذا المد الشيعي، وهذا يجب أن يعقد له مؤتمر ترعاه الدولة ومعها عدة دول إسلامية أخرى ليكون الحضور والقرارات على نفس مستوى انعقاده.

- والمؤتمر لن يسفر عن نتائج يخرج سوى بتوصيات لن تجد طريقا للتنفيذ إلا على مستوى الجهود الفردية، والجهود الفردية دائما ضعيفة جدا وتتعرض لعقبات شديدة تعرقلها وتحتاج لقوانين وتشريعات حكومية تغلق الأبواب المفتوحة لتسلل الشيعة.

- تحدث في المؤتمر الدكتور عصام البشير الذي كان يشغل منصب وزير الإرشاد والأوقاف السوداني السابق وهو أيضا عضو البرلمان السوداني من عام ١٩٩٢ إلى عام ٢٠٠٦، وهو الآن على رتبة مستشار رئيس الجمهورية، ومع تقديرنا لمكانته العلمية والأدبية إلا أنه تحدث عن الخطر الشيعي الحالي وقد كان في موقع المسؤولية الحكومية في الدعوة والإرشاد في بلاده، فما كان يستطيع فعله بسياسات الحكومة وإمكاناتها أكبر بكثير مما عليه الآن حيث سينتهي المؤتمر فقط إلى عدة مطالبات ومناشدات .

- اهتم المؤتمر بمعالجة أمر الشيعة واعتبرهم المشكلة الأكبر والحق أن المشكلة التي لم ينظر إليها هي مشكلة الصوفية المتعمقة في الداخل السوداني، فهي المعين الرافد الذي يحرق الأرض ويذر بذور المفاهيم الشركية ثم يرويها ويمهدا ليقدّم أبناء السودان لقمة سائغة يسيرة للتشيع، فالاهتمام بالطرق الصوفية هو الأساس الذي يجب

البدء به والاهتمام به من قبل ظهور الشيعة واستفحال شرهم .

- وأخيرا ، من أراد أن يشاهد مصر بعد عشرين عاما من الآن ، ومن أراد أن يعرف الثمرة المستقبلية لتقشير العرب اقتصاديا مع مصر والخطأ الجسيم الذي ارتكبه الرئاسة المصرية في التقارب مع إيران فليتنظر إلى ما يفعله الشيعة في السودان ، فما هي إلا نفس الظروف الاقتصادية بنفس المنهج الشيعي في اللعب على وتر الشهوات وفتح الأبواب للدراسات العليا في جامعات طهران ، فبنفس المقدمات ستحدث دوما نفس النتائج .

إلى الحبيب الجفري: رسالة محب أم مغرض!!

عصام تليمة - المصريون ٢٠١٣/٥/٦

لم أفاجأ بمقالك الداعية المنشور على جريدة (الوطن) المصرية يوم الأحد: ٢١ إبريل ٢٠١٣م، والتي عنونتها لها: برسالة محب، رحلت تسوق نصوصا فيها ثم تحتكم في تأويلها لهواك العلمي، مما جعل الرسالة تخرج عن إطار الحب كم زعمت، إلى إطار الغرض، فرحت تسوق نصوصا توحى بأن طلب الإسلاميين للترشح لنيل الحكم جريمة دينية، عاقبته الخسران في الدنيا، والهلاك والعذاب في الآخرة، وهي:

١- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحدهما: يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: إنا لا نولي على هذا العمل أحدا سألته، ولا أحدا حرص عليه». وفي رواية: «لا نستعمل على عملنا من أراد».

٢- وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله: ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها».

٣- وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول

الله ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها».

٤- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرزعة، وبئست الفاطمة».

٥- وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة».

وهذه الأحاديث التي وردت في ذم طلب الإمارة والحرص عليها، لها توجيه، وليست موضع إجماع في الأخذ بظاهر عباراتها، والتي تقيّد منع الترشح، أو طلب السلطة، وحتى إن أخذت مجردة لا يوجد فيها ما يفيد التحريم، وإنما تحمل على الكراهة كما ذهب البخاري ومسلم رواة هذه الأحاديث، حيث وضعوا مثل هذه الأحاديث تحت عنوان: (كراهة الإمارة بغير ضرورة) و(ما يكره من الحرص على الإمارة). ومن وجه آخر: فربما كان ذلك تشريعا خاصا بمجتمع المدينة ودولتها، فرعيّتها معروفة للرسول ﷺ، وباستطاعته وكبار الصحابة أن يختاروا أكفأ العناصر للمناصب العامة، دون ترشيح.

كما وجد في القرآن الكريم نصوص دلت على جواز ترشيح النفس في أي عمل يتفي به الإنسان صالح المجتمع، وخدمة دينه، فمن ذلك:

١- قوله تعالى بعد أن فسر نبي الله يوسف الرؤيا لملك مصر، ووضع لهم خطة اقتصادية تحميهم من مخاطر المجاعة المتوقعة: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٥ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥]. والتي رحلت تأولها حسب هواك، ناسيا ما ذكره العلماء في طلب نبي الله يوسف عليه السلام ومنها قول العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير: (وهذه الآية أصل لجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة، إذا علم أنه لا يصلح له غيره، لأن ذلك من النصح للأمة، وخاصة إذا لم يكن ممن يتهم على إثارة منفعة نفسه على مصلحة الأمة. ومن هذه الآية أخذ فقهاء المذهب جواز طلب القضاء لمن يعلم

أَنَّهُ أَهْلٌ وَأَنَّهُ إِن لَّمْ يُؤَلَّ ضَاعَتِ الْحَقُوقُ).

٢. وقول سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي

مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]، فنبى الله

سليمان هنا: طلب الملك، وتشوف إليه، ودعا الله أن يهبه الملك، وليس أي ملك طلب، بل طلب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وهذا دليل قوي من القرآن الكريم، في سيرة نبي من أنبياء الله، جمع بين النبوة والملك، في الدلالة على جواز الترشح، وطلب المنصب؛ شريطة: أن يهدف من وراء ذلك طاعة الله، والعدل، وليس مصلحة شخصية.

٣. وعندما أراد نبي الله سليمان أن يري ملكة سبأ ما آتاه الله من قوة، وما توافر لديه في دولته وأفرادها من علم ومُكنة، أراد أن يأتي له من بلاطه وجنوده من يأتيه بعرشها قبل أن تأتيه مسلمة، فقال: ﴿قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَكُ أَيُّكُمْ

يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [٢٨] قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ [٣٩] قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكُفِّرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ [٤٠] [النمل: ٤٤.٣٨]

فهنا أعلن نبي الله سليمان عن مهمة، يحتاج

إلى من يرشح نفسه لها، أو يرشح غيره، فتبارى عفریت من الجن ذاكرة مؤهلاته، وقام له الذي عنده علم من الكتاب فاستحق الترشح للمهمة.

بل هناك نصوص صريحة في طلب الترشح

والتوجه إليه في مواقف لكبار الصحابة رضوان الله عليهم، أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ففي يوم خيبر قال ﷺ:

«لأدفعن الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله،

ويحب الله ورسوله، ثم يفتح الله على يديه، قال عمر: فما أحببت الإمارة قط إلا يومئذ، وتناولت إليها، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي فدفع إليه اللواء».

وفي رواية أخرى: « فلما كان الغد: تبادر لها

أبو بكر، وعمر، فدعا عليا وهو أرمد، فتفل في عينيه، وأعطاه اللواء».

وفي رواية ثالثة: فغدا الناس على رسول الله ﷺ

كلهم يرجون أن يعطيه الراية فقال: «أين علي؟».

وفي رواية رابعة: «فتناول لها ناس».

بل وردت رواية فيها تمنى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه الإمارة يومها صراحة، فعندما

قال ﷺ: «لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله

ورسوله، ويحب الله ورسوله» قال عمر رضي الله عنه: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، بمعنى: تناولت، وفي الرواية الأخرى: أي حرصت على ذلك حتى أظهرت وجهي، وتصديت لذلك؛ ليتذكر مكاني فأعطاها، كما قال: (رجاء أن أدعى لها).

كما أن هناك سابقة تاريخية تدل على جواز

الترشح، والتمسك بترشيح النفس، وعدم التنازل

عن الترشح لصالح مرشح آخر، فقد ذكر ابن كثير في قصة انتخاب عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم، فكثرت القول وعلت الأصوات، وقال أبو طلحة: إنني كنت أظن أن تدافعوها، ولم أكن أظن أن تنافسوها، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك، إلى ثلاثة، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي، وفوض سعد ما له في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفضوا الأمر إليه، والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين، فسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبد الرحمن: إنني أترك حقي من ذلك، والله علي والإسلام أن أجتهد فأولي أولكما بالحق، فقالا: نعم.

فسكوت علي وعثمان رضي الله عنهما

دلالة ضمنية، ولكنها صريحة وواضحة على

ترشيح نفسيهما لمنصب الخلافة. وهذا الترشيح منهما في الحقيقة هو من قبيل الدلالة على ما ينفع المسلمين؛ لما يحسنه كل منهما من نفسه من كفاءة

وقدرة على خدمة المسلمين، عن طريق تولي منصب الخلافة، بانتخاب المسلمين له.

فمن يجد في نفسه كفاءة وكان قد

استوفى الشروط المتطلبة في المنصب، أو في

عضوية مجلس الشورى أو غيره، فله أن يرشح نفسه ما دام يبغي المصلحة العامة، ويبتعد عن التكالب، ويجتنب الافتئات على من هو أولى منه، ويؤيد هذا الاتجاه الإمام الماوردي في الترشيح للإمامة فيقول: (وليس طلب الإمامة مكروها، فقد تنازع فيها أهل الشورى، فما رد عنها طالب، ولا منع منها راغب، واختلف الفقهاء فيما يقطع به تنازعهما مع تكافؤ أحوالهما، فقالت طائفة: يقرع بينهما، ويقدم من قرع بينهما).

ثم كانت الطامة في رسالتك التي تزعم فيها

الحب، أنك تشق عن قلوب الإسلاميين، فحكمت بأن وصولهم للسلطة بصناديق اقتراع، وشورى صحيحة، هي رغبات وشهوات نفس، ليس لها نصيب من التقرب إلى الله بذلك.

وكانت الطامة الأكبر في جزمك بأنهم

كم مرة كذبوا، وكم مرة وعدوا فأخلفوا، وكم مرة عاهدوا فنكثوا، وكم من بريء اتهموه؟ وكم من كفاء تم إقصاؤه، وكم من دم بريء من شباب الإسلاميين وخصومهم سفكه الإسلاميون؟ ما هذا يا رجل، وكأنك وصلت إلى ما لم يصل له القضاء المصري، دون تحقيق أو تثبت؟ وكأن الله كشف لك الحجب - بحكم صوفيتك - فرأيت ما لم يره أحد، تحتكم إلى نصوص تؤولها بهواك، ثم تهمل نصوصا تدمغك بالهوى وكيال الاتهامات بالباطل للبراء، أو على الأقل ما لم تثبت إدانتهم بعد، والقرآن الكريم يقول: (قل هاتوا برهانكم) والنبي ﷺ يقول: «على مثل الشمس فاشهد» فماذا رأيت بأمر عينك مما افتريت واتهمت به من خاطبتهم برسالتك، حتى تسلم بأن ما افتريته حقائق لا افتراءات أملاها عليك من أملاها.

ثم إنك بناء على منهجك الذي اتخذته في

مقالك وفي مسالكك الدعوي، كان عليك أن

تكون رسالتك لمعارضى الإسلاميين، فمنهجك

يقضي بأن الإسلاميين أولي أمر في بلادهم الآن، وواجب على المعارضة - بحكم منهجك الذي لا أؤيده - أن يسمعو ويطيعوا، ولا يشقوا عصا الطاعة للحاكم، وأن معارضتهم خروج على الحاكم الشرعي، ويحرم الخروج على الحاكم، بنصوص كنت أتمنى أن تسردها جنبا إلى جنب مع النصوص التي سردتها مع لي أعناقها. ومع ذلك فأنا أؤيد المعارضة ضد الإسلاميين، حتى لو أدت إلى إسقاطهم سلميا باحتجاجات سلمية، أو بصناديق الاقتراع.

لو كنت صادق النصح، فكان أولى من

تنصح حكام الدولة التي تقيم فيها، وقد اقتادوا نساء ظلما، ورجالا لفقت لهم التهم، وسحبت منهم الجنسية، وهو أمر مخالف للشرع، ومخالف للقانون الدولي. ولكن نصحك يشتم فيه رائحة الغرض، فلذا وجهته حيث تهوى، لو كانت بوصلتك يا مولانا هي الحب والنصح لله، فابدأ بأقرب محيط لك تعيش فيه. ولو كانت صادق النصح، لنصحت من تقيم بين ظهرانهم بتسليم لصوص سرقوا مال الشعب المصري، وآووا من أذوهم في مالههم وأنفسهم.

فكما أنك تخشى أن يقف الإسلاميون بين

يدي الله، فخشيتنا عليك أن تقف أنت أيضا بين

يدي الله أكثر يا شيخ حبيب، والرسول ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله»، أليس من نصرة المسلم، ألا تخذل مسلمين مظلومين في بلد تحيا فيه، هائثا وادعا، أدام الله عليك الهناء والوداعة، والأمن والأمان، أليس من الإنصاف أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وينعم إخوانك مثلك بحقهم أن يكونوا بشرا، لهم ما لغيرهم من البشر، بل لهم ما لغيرهم من غير أهل البلد من غير المسلمين، وغير العرب، من حرية الاعتقاد، وحرية الفكر، وحرية الحركة والتنقل؟ أم أن هذه نقرة وهذه نقرة يا مولانا؟!!

مغربي «يفضح» أسرار وهويات وعلاقات قاديانيين مع الخارج

حسن الأشرف - هسبريس ٢٠١٣/٣/١

هل يوجد قاديانيون مغاربة ينشرون «دين» القاديانية أو الأحمدية في البلاد؟.. هل يمكن اعتبارهم أقلية دينية في المغرب؟.. كم هو عددهم؟ وما المناطق التي يكثرون فيها، وكيف يتواصلون فيما بينهم؟.. ولماذا غيروا دينهم الإسلامي إلى اعتناق القاديانية؟.. وهل لديهم علاقات مع أطراف خارجية تدعمهم؟..

كانت هذه بضعة أسئلة حملتها جريدة هسبريس الإلكترونية إلى شاب مغربي، أصر على عدم الإفصاح عن اسمه، وفضل أن يُلقَّب بـ «مُحب الرسول»، حيث إنه له تجربة في دحض شبهات القاديانيين المغاربة، كاشفاً عن هوياتهم وصورهم وأسمائهم وهواتفهم أيضاً، فقد تملَّكته - بعد أن عرف العديد من الحقائق عن القاديانيين المغاربة - الرغبة في فضحهم، وإبراز حقيقتهم عارية أمام الرأي العام الوطني والمسؤولين في الحكومة.

أنشطة القاديانيين المغاربة

القاديانية فرقة ظهرت بإيعاز من الاستعمار البريطاني في الهند، أسسها الميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩ - ١٩٠٨)، ونمت الحركة واتسعت بسبب تسهيلات بريطانيا واليهود لهم، والقاديانيون لم يظهروا في المغرب إلا في السنوات القليلة الأخيرة. ويُعزى انتشار القاديانية في بلدان العالم خاصة في صفوف الشباب إلى عاملين رئيسيين: التواصل اليسير عبر الشبكة العنكبوتية، وأيضا قناتهم الفضائية المعروفة «MTA».

وقال كاشف حقيقة القاديانيين «الأحمديين» المغاربة، عبر سجلاته مع العديد منهم في المنتديات والغرف الصوتية في الانترنت، إن عدد القاديانيين حسبما هو ظاهر يفوق المائتين شخصا ينشطون في غرفتهم الصوتية على الانترنت.

واسترسل المصدر بأن «هناك تزايد في عدد القاديانيين بالمغرب، لكن ذلك لا يشكل حالياً تهديداً، رغم أن ارتداد شخص واحد عن دينه هو خسارة للشعب المغربي كله»، مضيفاً بأن «الدولة لا تقوم بواجبها فلو شجعت العلماء والدعاة على مناقشة هؤلاء، لما تجرأ أحدهم على الظهور خوفاً من العار».

وأردف المتحدث بأن للقاديانيين المغاربة رغم كل ما سبق دور كبير يقومون به، والدليل على ذلك نشاطهم في غرفتهم الصوتية إذ أن الذي سُجلت باسمه مغربي، واسمه الحقيقي جمال أغزول: Albayyina، كما أن بعض المشرفين في تلك الغرفة مغاربة، ولديهم «أميرهم» في المغرب يدعى «عصام الخامس مراكشي»، وهو مُكلف بأن يسجل أسماء الذين اعتنقوا القاديانية، ويبعث اللائحة إليهم في لندن مقر هذه الجماعة.

الانتشار والاستقطاب

وبخصوص المناطق أو المدن التي يتواجد فيها القاديانيون المغاربة بكثرة، أجاب «مُحب الرسول» بأنه وفق معلوماته وحواراته معهم، فإن بعضهم يتواجدون في مدينة الدار البيضاء، وبعضهم الآخر في المحمدية وأكادير وتارودانت وشمال البلاد أيضاً، وتأثيرهم يظل محدوداً من حيث الاتساع والانتشار.

وتابع المتحدث قائلًا: «حسب تجربتي المتواضعة فإن القاديانيين المغاربة لا يناقشون الناس علنياً، ولكن تأثيرهم خفي مثل نفث بعض الأساتذة أفكار هذه الجماعة في أذهان التلاميذ، أو في مقررات العمل، من قبيل قصة شاب في مدينة تارودانت كان أحد القاديانيين «يستعرض» عليه أفكاره، ولكن بعد مناظرة لي مع القاديانيين في شخص مشرف لهم في غرفتهم اسمه «أبو عمر»، abo_3omar، استطاع هذا الشاب الذي اطلع على المناظرة أن يدحض شبهات القادياني الذي أراد استقطابه».

«القاديانيون لا يحبون أن يطلق عليهم اسم القاديانيين، وإن كانوا هم أنفسهم يسمون

المنشقين عنهم بـ«اللاهوريين»، فينسبونهم إلى مدينة لاهور، وأسماء أخرى من قبيل أهل بيغام، ويطلقون عليهم أيضا «غير المبايعين» لأنهم لم يبايعوا الخليفة الثاني ومن جاء بعده، واللاهوريون يسمون طائفة قاديان بالقاديانيين، وإذن فلا مسوغ لغضبهم وامتناعهم من هذا الاسم» يورد كاشف أسرار القاديانيين بالمغرب.

أسباب اعتناق القاديانية

وحول رأيه في العوامل التي تدفع بعض الشباب المغربي إلى تغيير عقيدته نحو القاديانية، قال المصدر ذاته «إن الإنسان لا يغير معتقده هكذا جزافا، فالأمر يرتبط بأمور منها: ضعف الجانب العقدي، فلا يمكن لمسلم رسخ الإيمان في قلبه أن يدع دين العزة ليدين بدين الذل وإطراء الحكومة البريطانية».

واستدل المتحدث بمقولة للميرزا غلام أحمد: «إن مذهبي وعقيدتي التي أكررها أن الإسلام جزءان؛ الجزء الأول: إطاعة الله، والجزء الثاني: إطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وأوتت في ظلها من الظالمين، وهي الحكومة البريطانية؛ لروحاني خزائن المجلد ٦ شهادة القرآن الصفحة: ١٣٨٠.

والعامل الرئيس الثاني، وفق «محب الرسول»، يتمثل في الجهل أو المستوى التعليمي المتدني حيث إن أكثر من حاورهم لا يتجاوز مستواهم التعليمي الباكلوريا، أما السبب الثالث فيمكن في «انضمام السببين السابقين إلى الخواء الروحي وفساد السيرة والطوية إلى الجوع المادي والطمع في مكاسب دنيوية».

ويشرح المتحدث قائلا: «يبقى الجشع من الناس مستعدا ليتصل من دينه، وينسلخ منه انسلاخ الحية من جلدها، والغريب في الأمر أن بعضا منهم لم يتأثروا بالقاديانية، ولم يتغير منه شيء، وحتى معارفهم ضحلة، ولا يناقشون إلا من محفوظ نقلوه من موقع جماعتهم على الويب».

العلاقات مع الخارج

وكشف «فاضح القاديانيين المغاربة» بأن هؤلاء

لهم علاقات وروابط مع جهات خارجية، حيث إنهم يرتبطون بإمامهم وخليفته الموجود في لندن، ومن هناك تصدر لهم الأوامر بما يجب أن يقوموا به، كما أن الشبكة العنكبوتية تضمن الاتصالات فيما بينهم سواء على الفيسبوك أو على البالتوك أو على المواقع والمنديات.

وزاد المتحدث بأنه بدون شك لليهود علاقة جلية بهؤلاء القاديانيين، بدليل أن لهم مناطق في فلسطين المحتلة، وزعيم الكبايير محمد شريف القادياني سبق له أن أفطر مع رئيس الكيان الصهيوني شمعون بيريز، وفق تعبير «الملقب بـ«محب الرسول».

لكن كيف يمكن تفسير عدم تعرضهم لمضايقات أو لمتابعات أمنية مثلا على غرار المنصرين بالمغرب؟.. تسأل هسبريس ليجيب المتحدث بأن «القاديانيين لا يرتبط نشاطهم بالكنائس على غرار المرتدين المتصرين، ولا يرتبط تحركهم باتصال أطراف خارجية لأن رؤساءهم الكبار لا يجدون أعداءا للتحرك في المغرب لتعارض المبادئ».

وزاد شارحا بالقول: «القاديانيون في البلدان الأخرى يحظون بملاقاة خليفته الميرزا مسرور، حفيد المتبئ الدجال «ميرزا»، الذي زار بلدانا من إفريقيا، ولهم فيها مشاريع. أما في المغرب فهم يتحركون فيما بينهم، ولا دليل على قاديانيتهم حتى لو أوقفوا، ولم نسمع لهم بأنشطة كعقد ندوات أو محاضرات أو مهرجانات، وهم كالشيعة ينشطون في المنازل، فالشيعة يؤسسون حسينيات، والقاديانيون يؤسسون «مرزائيات»، بحسب تعبير المتحدث.

وأعلن «محب الرسول» من خلال جريدة هسبريس الإلكترونية تحديه لهؤلاء «الأحمديين» بأن يجري معهم مناظرة فكرية، موضوعها «صفات الميرزا الخلقية و الخلقية»، مردفا بأنه «يرجو أن يتشجعوا ويقبلوا المناظرة إن كانوا على حق».

المشاركة في مقاتلة «الجماعات المسلحة». وأضاف أن «تحرير» القصير خطوة على الطريق لـ«تحرير» حمص.

كلام الأسد واضح إذن. وموقفه قاطع من أي مبادرة سلمية دولية، فهو منشغل بواجب «تحرير» مدن سوريا - من سكانها على الأرجح - بعدما تعذر عليه تحرير فلسطين.

عودة إلى الشيخ قاووق...

الشيخ قال بالأمس: «المقاومة تمثل اليوم ضرورة وطنية استراتيجية لمواجهة أي محاولة إسرائيلية لاستثمار الأزمة في سوريا (كذا)، كما أن الواجب الوطني يفرض علينا أن نحصن الوطن وإنجازات المقاومة من أي محاولة إسرائيلية... الواجب الوطني يفرض علينا أيضا أن لا نسمح لأميركا وإسرائيل بتحقيق أي مكاسب على حساب قوة لبنان. قوة لبنان هي في معادلة الجيش والشعب والمقاومة». ثم استطرد: «كما انتصرنا على إسرائيل عسكريا نحن نتصر على أميركا سياسيا، إن بتشكيل الحكومة وإن بالانتخابات النيابية، ولن تحصد أميركا غير الخيبة على الرغم من كل السموم الأميركية التي تبثها في الواقع اللبناني».

ما أتذكره، كمراقب، ويتذكره جيدا

اللبنانيون أن حزب الله وافق على قرار مجلس الأمن الدولي ١٧٠١ الذي يمنع وجوده العسكري - أو «المقاوم» - جنوب نهر الليطاني. وهذه الموافقة ساعدت «الحزب» على توجيه سلاحه.. أولا إلى الداخل اللبناني اعتبارا من ٢٠٠٨، ثم خلال العامين الماضيين إلى الداخل السوري. وهذا يعني أن الجبهة الوحيدة الهادئة حاليا بالنسبة لـ«المقاومة» هي الجبهة الجنوبية التي قامت «المقاومة» أصلا من أجلها، أي تحرير جنوب لبنان.. ومن ثم فلسطين.

كيف تحولت «المقاومة» من الجنوب إلى

«مقاومة» و«ممانعة».. في خدمة

«مشروع الشرق الأوسط الجديد»

إياد أبو شقرا - الشرق الأوسط ٢٤/٤/٢٠١٤

الشيخ نبيل قاووق، نائب رئيس المجلس التنفيذي لحزب الله وأحد أبرز قاداته في جنوب لبنان، اعتاد اللبنانيون على خطبه الصريحة في المناسبات الاحتفالية، بمختلف أحجامها وأنواعها، غير أن اللازمة الدائمة التي لا تحول ولا تزول في خطب الشيخ قاووق هي الإصرار على ثابتة «المقاومة».

في قاموس الشيخ «المقاومة» كلمة تختصر كل شيء. إنها ثابتة في الزمان والمكان. فوق مستوى التعريف والشرح والتحليل. «المقاومة» هنا فلسفة وجود وعصب حياة... التشكيك فيها جريمة والتساؤل حولها خطيئة.

بالأمس، كان جمهور جنوب لبنان على موعد مع خطاب آخر للشيخ قاووق، تطرق فيه - طبعا - إلى «المقاومة». والجديد المثير في الخطاب أنه جاء على خلفية التقارير الميدانية من الريف المحيط بمدينة القصير الحدودية السورية. في ريف القصير يمارس شباب «الحزب» نوعا مختلفا من «المقاومة»... هي مقاومة قيام سوريا حرة يحكمها شعبها، بدلا من طغمة أمنية - طائفية «احتلت» منذ أكثر من أربعة عقود من الزمن.

وما يضع الأمور في إطارها الصحيح كلام الرئيس السوري بشار الأسد لدى استقباله وفدا عرمرميا من جماعات «٨ آذار» المؤمنة بطروحاته «القومية» و«إصراره» على تحرير فلسطين، إذ قال ما معناه إنه لا يجوز للبنان أن ينأى بنفسه عن الوضع في سوريا، بل يجب عليه

الشمال؟ وكيف تنتظر إسرائيل وينظر داعموها في الولايات المتحدة إلى هذا التحول؟ ما سر الارتياح الإسرائيلي لما يجري في سوريا منذ أكثر من سنتين... ثم ما سر الإصرار الأميركي على ترك سوريا تتمزق من الداخل؟.. مع أنه ثبت بالأرقام والأحداث أن الانهيار البطيء حول أراضيها إلى وجهة مثالية للأصوليين الجهاديين يأتونها من مختلف أنحاء العالم.. وإذا كان لنا تصديق السيد الأخضر الإبراهيمي، الموفد الدولي - العربي، يقاتل في سوريا اليوم نحو ٤٠ ألف مقاتل أجنبي.

باعترادي الإجابة على السؤال الأول بسيطة، وهي أنه ما عادت هناك «مقاومة»، بل هي التزام بمشروع إقليمي تكشف الأيام أن تفاصيله قيد المساومة دوليا. «المقاومة» اليوم هي المسمى المذهب للدور الموكل لحزب الله في تنفيذ تفاصيل مشروع «سايكس - بيكو» جديد، باسم إيران وبمباركة إسرائيل، تحت رعاية روسية - أميركية.

إسرائيل، من جانبها، مرتاحة للحقد الفئوي المضاد الذي يثيره قمع دموي يمارسه نظام فئوي، مدعوما بمقاتلي تنظيم فئوي، في ساحتين لتأخمتين لهما هما سوريا ولبنان. ومن المستبعد جدا أن يكون حزب الله، ومن خلفه الحكم الإيراني، قد فوجئ.. أولا برد الفعل المتشدد في الشارع السني في سوريا ولبنان، وثانيا بزحف الجماعات الجهادية على الداخل السوري من كل فج عميق.

قبل سنوات بدأنا نسمع عما سمي بـ«مشروع الشرق الأوسط الجديد». ويومذاك قيل لنا إن وراء تيارات غربية - صهيونية على رأسها «المحافظون الجدد» في الولايات المتحدة. وبعد نشر خرائط تقسيمية للمنطقة مدعومة بتوصيات لبعض مراكز الأبحاث، هب كثيرون مطلقين دعوات حارة للتصدي للمشروع. لكن أحدا، ولا سيما

أصحاب الحناجر القوية، لم يشرح للناس آلية تنفيذ مخطط من هذا النوع، بل يظهر أن هؤلاء توهموا أن معدي «مشروع الشرق الأوسط الجديد» سينجزونه بقرار سياسي معلن. لكن ما أثبتته مرور الزمن أن أولئك الذي كانوا أشرس مهاجميه لفظيا... كانوا على رأس المساهمين في تنفيذ بنوده فعليا.

اليوم يقود حزب الله ونظام بشار الأسد، اللذان يجسدان - كما قيل لنا - زبدة «المقاومة» و«الممانعة»، عبر تدمير سوريا ولبنان وتمزيق نسيج مجتمعيهما، عملية التنفيذ الفعلي لـ«مشروع الشرق الأوسط الجديد».

أن يقدم مسلحون جهاديون من خارج سوريا، بالأمس، على خطف أسقفين قرب حلب - أحدهما كان مرشحا للبطيركية قبل أن ينتخب شقيقه للمنصب - وأن يتسارع إيقاع التهجير والفرز الطائفي والنهوض بـ«الواجب الاستشهادي» في أراضي المحافظات السورية، أمام تواطؤ عنيد من المجتمع الدولي، فهذا دليل قاطع على التنفيذ الدقيق لـ«مشروع الشرق الأوسط الجديد». «مقاومة» و«ممانعة» من هذا النحو مكونان ضروريان لإنجازه.

مسلمو نيجيريا..
من مخالب الفقر إلى أنياب التشيع

عسكرة الطائفة:
منهج أم استثناء؟

صورة أهل السنة
في الكتب المدرسية الإيرانية

رصد الرصد

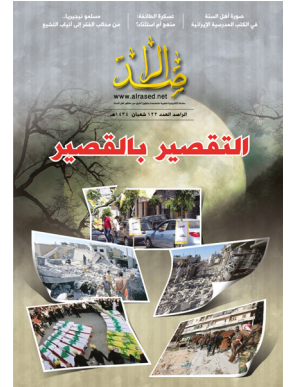
www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١٢٢ شعبان ١٤٣٤ هـ

التقصير بالقصير





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٢)

شعبان - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

٢ التقصير بالتقصير

فرق ومذاهب

٤ من رموز الإصلاح (١٤) رجل الأمة العلامة عبد العزيز بن باز..... أسامة شحادة

سطور من الذاكرة

١٣ المماليك ينتصرون لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما..... هيثم الكسواني

دراسات

١٥ الشريعة والمرأة.. دليل الحيران..... فاطمة عبد الرعوف

١٨ المشكلة العراقية: الأقاليم هي الحل..... الدكتور عدنان الدليمي

٢٣ خندق بحر الخليج.. مصداق مذهب على تصدعات سياسية (١)..... د. عادل علي العبد الله

٣٢ عسكرة الطائفة: منهج أم استثناء؟..... بوزيدي يحيى

٣٧ لقاء مع السيد طالب المذخور..... زياد الحراسيس

٤٥ نحو الهدف.. إيران ومحاولات اختراق الإعلام المصري..... أسامة الهيثمي

٥٠ الإنتاج الفكري العراقي في مواجهة التشيع (٣)..... سعيد بن حازم السويدي

٥٤ مسلمو نيجيريا.. من مخالف الفقر إلى أنياب التشيع..... معتز بالله محمد

كتاب الشهر

٥٨ صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية..... أسامة شحادة

قالوا

٦١

جولة الصحافة

٦٢ اعتذر الشيطا القرضاوي.. فأين البقية؟!..... مدونة عمر خليفة راشد

٦٣ السلفيون والعمل السياسي بين مصر وتونس..... عبد المنعم الشحات

٦٦ الشيعة يجمعون ١٠٠ ألف توقيع لسحب الثقة من مرسى..... الدويهي فولي ومحمد منيس الخميس

٦٧ حول القرضاوي والثورة السورية..... أسامة شحادة

٦٩ صراعة هوية وليس صراع أشجار..... محمد أعصام هسبريس

٧٠ عقوبات الخليج ضد حزب الله..... عبد الرحمن الراشد

٧١ أميركا.. وشرعنة الإرهاب الشيعي..... عبد العزيز بن عثمان بن صقر

التقصير في القصير لا يستثني أحداً:

❖ فالحكومات كلها وحتى الإسلامية منها أحد قسمين: إما أنها تبارك قتل القصير وأهلها وجيرانها، وإما أنها كارهة لبشار لكن ليس بالقدر الذي يمنعها من القبول ولو على مضض من تأديب الشعب السوري بالقتل والتفجير والاغتصاب والتهجير حتى يتعلم آداب التعامل مع النظام الدولي وموازينه!! وهذه الحكومات الغبية متى ستتعلم أنها الضحية التالية في أجندة الولي الفقيه وأذنايه، وأنها الثور الأبيض الذي خان شقيقه الأسود والأحمر من قبل!؟

❖ أما الحركات والجماعات الإسلامية، فهي برغم أن غالبيتها مؤيدة للثورة السورية وللشعب السوري المظلوم إلا أنها لا تزال متشاكسة مع بعضها البعض وربما في داخل الجماعة الواحدة نفسها أحياناً لتفوز بالنفوذ الأكبر ولو تضررت الثورة، وتحاول أن تريح من الدعم للثورة أكثر من أهل الثورة أنفسهم، فهي تتسابق على شراء الولاءات، وتفرض تصوراتها من تحت المكيفات على الثوار في الخنادق، وكأن تجربة أفغانستان لم تمر بنا ولم نتعلم من مآسيها شيئاً.

وبعض الجماعات كجماعة الجهاد الفلسطينية رهنّت نفسها بيد إيران لحد الثمالة ضد الثورة السورية فبئساً لها وبئساً لمن يدافع عنها، أما جماعة الإخوان في مصر والأردن فبرغم أنهار الدماء التي تجرى بسببهم في الشام وغيرها إلا أنها لا تزال تلعب سياسة (قذرة) بمسك العصا من الوسط حيث لم تقطع الأمل في علاقات بناءة وإيجابية مع هؤلاء

التقصير بالقصير

تمر الأيام والأسابيع والقصير تمطرها

القذائف والصواريخ، والعالم يتفرج ويسمع دون أي حركة مفيدة أو نجدة صادقة، وفي المقابل تتواصل مواكب البواخر الروسية والإيرانية والصينية تحمل الموت والقتل للقصير وأهلها وجيرانها، ولعلها تمر من قناة السويس اختصاراً للوقت ودعماً للاقتصاد المصري!

أما مرتزقة الشيعة فهم يتقاطرون علناً من اليمن والبحرين والسعودية والعراق ولبنان وإيران، بينما تقام المحاكمات والسجون لمن سعى لنصرة المظلومين في القصير وما حولها!!

أن يعلن حزب الله وهو الحزب العسكري (الإسلامي) غزو بلد مجاور هو سوريا لا يستدعي اجتماع مجلس الأمن لكن أن يتحرك أبناء مالي من الجهاديين أو القاعدة هنا يضطرب العالم وتنشط حركة الطائرات العسكرية في سماء مالي فتضيء بقنابلها وكأن موسم العيد جاء مبكراً يحمل لهم الصواريخ بدل الهدايا.

هذه هي الحقيقة .. أهل السنة يذبجون ولا نصير .. وسيبجون يذبجون حتى (يرضى عنك اليهود والنصارى)، ومعهم طبعاً الشيوعية والبوذية لأن العدو الحقيقي لهم هو أهل السنة = الإسلام، وسيبقى الشيعة يتاجرون بشعارات المقاومة والممانعة طالما بقي أغبياء يصفقون لهم من السنة والحركات السنية.

المجرمين الطائفيين القتلة، وذلك كله بسبب طمعها بدعم من نوعا ما في مواجهاتها السياسية الخاصة في بلدانهم، فتباً لسياسة تتلحف بالإسلام وقد تقبل بالصلح مع هؤلاء المجرمين الطائفيين الذين استباحوا حرمة الدين والمسلمين.

❖ أما العلماء والدعاة الذين يعرفون حقيقة الإجرام الشيعي عقيدة وسلوكاً منذ عشرات السنين، بآرك الله في علمكم، لكن هل علمكم هذا عطل المشروع الشيعي الإيراني؟ وهل خف خطر هذا المشروع المجرم؟ وهل استطاع أن يحاصره؟ أم هو الذي يحاصرنا ويهددنا ويقتلنا؟

يا مشايخنا الكرام: العلم بالتشيع عقيدة وسلوكاً وتاريخاً لن يقاوم المشروع الشيعي الطائفي المجرم إلا إذا تحول لمشروع عملي لمقاومة للتشيع، مشروع يقوم على العلم ويسنده العمل ويدعمه الصبر، مشروع عملي يخاطب الجميع، الحاكم والمحكوم، الكبير والصغير، المؤيد والرافض، المثقف والجاهل، الإعلامي والسياسي.

وهو مشروع يحتاج إلى صبر وتصبر كبير فإننا نعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبه ديناً لا يرون الحق غيره، كما قال عمر بن عبد العزيز.

مشروع صريح وواضح مقنع ومعقول، له خطوات وأدوات ومراحل ومهمات، مشروع يدعمه الجميع وينخرط فيه العلماء والمفكرون والإعلاميون والتجار والساسة.

أما الظن أن خطبة جمعة أو مطوية أو موقع إلكتروني أو حتى قناة فضائية ستقضي على المشروع الشيعي الذي له دولة أو دول تحميه وتفديه، ونظام دولي يرفع بقاءه لا يتضخم أكبر من اللازم ولا يفنى بالكلية، فهذا نوع من الوهم، نعم هذه الجهود مباركة ومطلوبة وتتفع في بقاء جذوة الرفض للتشيع موجودة، لكنها لن تقضي على المشروع الشيعي حتى تتحول إلى مشروع عملي حقيقي.

❖ وختاماً يبقى الحديث عن تقصير الثوار، وقد يكون من الصعب الحديث عن يبذلون أرواحهم ودماءهم، ولكن القرآن الكريم علمنا أن المقصر قد يكون من المجاهدين بل وحتى من المجاهدين مع النبي ﷺ، فكلنا بشر معرضون للتقصير ولا حول ولا قوة إلا

بالله، قال تعالى: ﴿أُولَٰمَّا أَصَبْتَكُمْ مَّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْ لَّيْسَ مِنِّي مَن قَتَلَ هَؤُلَاءَ هُوَ مِن عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

إلى متى سيبقى صف الثوار مشتتاً؟ وإلى متى سيبقى هناك تضارب في المواقف والتوجهات؟ وإلى متى سيبقى هناك من يخرج على الصف بمفاجآت قد تكون طامات؟ والله سبحانه قد حذرنا في آية محكمة واضحة: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنفُسَكُمُ وَأَنفُسُكُمُ وَأَصِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ثم ماذا يستفيد الثوار من إعلان الولاء للقاعدة؟ ولماذا القاعدة تحصر على البروز الإعلامي الضار في حين يفترض بهم الإخلاص والتفاني؟ وما هي فوائد ومضار تصريحات الظواهر التي يصدرها من مخبئه؟ ولماذا لا يهاجم إيران وروسيا والصين الذين يمارسون القتل جهاراً نهاراً، ولماذا تسلم هذه الدول من ضربات القاعدة عبر التاريخ وهي التي في الحقيقة قتلت الملايين من المسلمين؟

ألم يعلمنا النبي ﷺ «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»، أليس تكرار اللدغ من نفس الجحر دليلاً على التقصير ولو من ثائر أو عالم أو مفكر أو قائد أو حاكم؟!!

وقد كان الشيخ ابن باز ضمن أبرز علماء القرن العشرين بحسب استطلاع مجلة الإهرام العربي المصرية سنة ١٩٩٩م.

والكثير من شباب السنة اليوم يعظمون الشيخ ابن باز ولكنهم لا يعرفون حقيقة سيرته ودوره وأدواره التي قام بها وكيف صار له هذا القبول بين الناس بفضل الله عز وجل.

باز يصيد ولا يصاد له الذرى فوق الوهاد
باز يجنح في القلوب سكنت يا باز الفؤاد
باز ولا يدمي الجراح إذا هوى شيئاً أجاد

مولده وأسرته:

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ولد عام ١٣٣٠ هـ في الرياض لعائلة عريقة في العلم، فمن علماء العائلة الشيخ عبد المحسن بن أحمد آل باز المتوفى سنة ١٩٢٣م الذي تولى القضاء بالحوطة ثم الإرشاد في هجرة الأرطاوية. والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز والشيخ حسين بن عثمان بن باز، وقد تولوا القضاء في عدد من مناطق المملكة.

وهناك خلاف في أصل عائلة ابن باز، ولم يجزم

الشيخ عبدالعزيز بشيء مما يتردد من أن أصلهم من المدينة أو اليمن.

١٤- رجل الأمة العلامة عبد العزيز بن باز

(١٣٣٠/١٤٢٠ هـ - ١٩١١/١٩٩٩ م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالراصد

تمهيد:

لعل كلمة الناس في عصرنا لم تجتمع بالثناء والمدح على رجل كما اجتمعت على العلامة ابن باز، فقد كان له من المحبة والتعظيم والاحترام في قلوب الجميع من العامة والعلماء والأمراء والحكام، الموافق والمخالف، فالكل كان يرى فيه مثال القدوة والنموذج وكأنه قادم إلينا من عصر الصحابة والتابعين، رفع الله قدره وأنزله منازل الصديقين والشهداء.

وهو لم يصل لهذه المكانة إلا بفضل الله عز وجل أولاً ثم بهمة عالية ومبادرة إيجابية وانفتاح على الجميع مع صدق في النصيحة لهم، وهو ما سنفصل الحديث فيه لاحقاً.



اللهم اجعل ابنسأمنه رفبقة فب الجنة

(*) كاتب أردني.

نشأته وتعلمه:

نشأ ابن باز يتيمًا في كفالة والدته لأن والده توفي وهو صغير، وقد رعته مع أخيه محمد وأخيه غير الشقيق إبراهيم، وشجعتة على التعلم فحفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ، ثم طلب علوم الشريعة واللغة على العلماء في الرياض، فدرس على الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وعلى الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، ودرس على الشيخ سعد بن وقاص البخاري - من علماء مكة المكرمة - وأخذ عنه علم التجويد في عام ١٢٥٥ هـ، وبعد ذلك لازم أبرز شيوخه وهو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. والذي لازمه نحواً من عشر سنوات، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية وكان يكي إذا جاءت سيرته.

وفي سن السادسة عشرة عام ١٢٤٦ هـ مرض في عينيه فضعف بصره وحاول علاجه، وفي عام ١٢٥٠ هـ حين بلغ قريباً من سن العشرين فقد بصره واختار الله عز وجل له أن يأخذ منه حبيبتيه، وعوضه خيراً منهما في الدنيا والآخرة إن شاء الله، ويروى أن إحدى صديقات والدته الشيخ نصحتها بالوضوء وصلاة ركعتين والدعاء لعبد العزيز بأن يرزقه الله علماً ينفعه وينفع المسلمين، ويبدو أن الله عز وجل قد استجاب لدعاء والدته الشيخ.

وبقي ابن باز يطلب العلم حتى وفاته من خلال القراءة والبحث ومن خلال استماعه واستفصاله الدقيق للخبراء في ندوات وجلسات المجامع الفقهية التي كان يشارك فيها أو يرأسها.

بداية مشواره العملي والدعوي:

١- تولي القضاء بالخرج:

يروى الشيخ ابن باز في إحدى مقابلاته أنه وهو

صغير مارس بيع وشراء الملابس والبشوت في الأسواق الشعبية (الحراج) مع أخيه، ولكن الله عز وجل اختار للشيخ مساراً آخر ولعل إصابته بالعمى تكون سبباً لترك البيع والشراء والتفرغ للعلم والنبوغ فيه!

ففي سنة ١٣٥٧ هـ وكان عمره آنذاك ٢٧ عاماً كلفه شيخه محمد بن إبراهيم بولاية القضاء في مدينة الدلم بمحافظة الخرج، فقبل مكرها، ومكث في ذلك ١٤ عاماً حتى سنة ١٣٧١ هـ، وقد ترك خلفه في الدلم ذكريات عطرة وقدوة عملية لطلبة العلم والدعاة.

ولم يقتصر دوره هناك على القضاء الذي طوره ونظمه، ولا على التعليم الذي لم ينقطع عنه، بل كان للشيخ أدوار إصلحية متعددة أخرى.

كان ابن باز في البداية يجلس في بيته للقضاء والفصل بين الناس من الضحى حتى صلاة الظهر وربما جلس أحياناً للقضاء بعد صلاة العصر، ثم اشترى بيتاً وجعله مقراً للمحكمة وجعل فيه حجرة للرجال وحجرة للنساء لها نافذة على مجلسه يسمع منها شكواهن، وحجرة صغيرة خلف مجلسه للكاتب جعل فيها طاقة لسمع الكاتب توجيهاته.

وكان رحمه الله أول من أنشأ سجلات للأوقاف والتركات في الدلم، وقد أصبح كتبة الشيخ في المحكمة من كبار طلابه. وكان الشيخ متفانياً في عمله حريصاً على خدمة الناس ومساعدتهم، ويروي أحد مساعدي الشيخ قصة مؤثرة تكشف لنا أسباب مكانة الشيخ ابن باز في قلوب الناس ومدى تأثيره على المجتمع، يقول الشيخ سعيد بن عياش الغامدي رئيس محاكم خميس مشيط: كنت كاتباً عند الشيخ عبدالعزيز في الدلم وكان الشيخ دائماً لا يخرج حتى ينتهي آخر مراجع ويؤخرنا كثيراً وفي ذات يوم أغلقنا السجلات وهممت بالخروج، فدخل بدوي فقال الشيخ: اجلس نسمع ما يريد، فقلت: يا شيخ الدوام

أنتهى، قال: نسمع من الرجل، فقلت: الساعة ثلاثة، فقال: نسمع ما يريد لعله قدم من مكان بعيد، ففضبت لذلك غضباً شديداً وضربت الشيخ على رأسه بدفتر السجلات، ثم هربت، وبعد عدة أيام رجعت للشيخ واعتذرت منه فقبل اعتذاري وكأن شيئاً لم يكن، وطلبت العلم ودرست حتى دخلت القضاء وصرت رئيس محكمة خميس مشيط.

وتعلمت من الشيخ أموراً منها: الصبر على المراجعين وتحمل أذاهم، وفي ذات يوم دخل مراجع بعد نهاية الدوام وقد أغلق الكاتب السجلات فطلبت منه فتح السجل وسماع ما عند الرجل فغضب الكاتب، وقال: الدوام انتهى، فقلت له: نسمع من الرجل لعله قدم من مكان بعيد، فما شعرت وإلا والكاتب يضربني على رأسي بدفتر السجلات، فتذكرت موقفي مع الشيخ رحمه الله وهرب الرجل من المحكمة وبعد أيام أرسلت في طلبه وأخبرت الرسول أنني قد عفوت عنه.

هكذا كان تأثير الشيخ ابن باز وهكذا ملك قلوب الناس، فليكن لطلاب الشيخ اليوم به قدوة بالصبر على الناس ومخالطتهم.

وحين جاء الدلم لم يكن بها هيئة حكومية فقام بكل مهمات الدولة، فتولى الشيخ شق الطرق التي تسهل حياة الناس بوصول السيارات لبيوتهم وبساتينهم. وحين جاءت الفيضانات سنة ١٣٦٠هـ تولى مهمة قيادة الناس وإيجاد الحلول، فأمر أن توجه السيول إلى الآبار التي قرب المساجد والأوقاف وتهدم الأسوار حولها، وأمر بفتح بعض الشوارع على بعض لتخفيف حدة السيل ومعاقبية من يرفض بالسجن، وقد خرج الشيخ بنفسه يشجع الناس وأخذ معه دلات القهوة والتمر لينشطهم على العمل.

ولما هاجم الجراد المنطقة سنة ١٣٦٤هـ خرج الشيخ مع الأهالي لمكافحته وقتله بجريد النخل. وكان في مواسم الحصاد يخرج للفلاحين يشجعهم

على الزراعة ويوجههم ويساعدهم في إحضار الماكينات لتسهيل الزراعة.

وأيضاً تولى صيانة مساجد المنطقة وترميمها، وبعضها أمر بهدمه وإعادة بنائه، وكان يهتم بأعضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشجعهم على الجولات، ويقول لهم: «لو كنت مبصراً لسعيت معكم».

وعندما توفي أمير الدلم سنة ١٣٦٧هـ بادر الشيخ لجمع وجهاء الأهالي لاختيار أمير لهم كما كان العرف، وفعلاً اتفقوا على أمير، وكتب الشيخ للملك يعلمه باختيار الأهالي وأقر الملك اختيارهم.

وتولى في الدلم أيضاً الإمامة والخطابة والتدريس، فيدرس بعد الفجر أولاً حلقة للصغار، ثم حلقة للمتقدمين إلى وقت الضحى، فيعود للمنزل يرتاح قليلاً ثم يباشر القضاء إلى صلاة الظهر، وبعد العصر له درس، ثم يخرج لبعض البساتين فتقرأ عليه الصحف والمجلات والمعاملات حتى قبيل المغرب، وبين العشاءين له درس، وفي هذه الدروس كان يتابع أدق شؤون الطلبة ويرعاهم كأبنائه.

وسعى الشيخ لأن تفتح الدولة عدداً من المدارس النظامية في المنطقة، وتم ذلك سنة ١٣٦٧هـ وعهد للشيخ ابن باز أن يرشح لها المدير والمعلمين، وقام الشيخ ببحث الناس على إلحاق أبنائهم بالمدارس لمحاربة الأمية والجهل ونشر العلم والمعرفة، وتشجيعاً للطلاب خرج الشيخ معهم في رحلة على حسابه الشخصي.

وكان يخرج للسوق يومي الاثنين والخميس حيث يحضر للسوق الحضر والبدو والرجال والنساء فيجلس يدرسهم ويرشدهم وينصحبهم ويحل مشاكلهم.

وهذا الدور الإصلاحي المبكر للشيخ ابن باز جعل من دروسه قبلة لطلبة العلم، فأصبح الطلبة يتوافدون على دروس الشيخ من الدلم وخارج الدلم ومن جنسيات مختلفة كاليمن ومصر وفلسطين

عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، فقال: لما التحقتُ بالمعهد العالي للقضاء كنت ذا هيئة غير هيئة الطلبة ... وكان أهل الخير يوصلون ذلك لسماحته، فلا يرد عليهم بغير الدعاء لي بالهداية، وفي الأسئلة التحريرية النهائية كانت أجوبتي مخزية في مادة الحديث التي يُدرّسها، وكنت أغطي جهلي بالتقعر والتفلسف، ونجحت في المادة نجاحاً على غير ما ينبغي .. وعلم من أهل الخير أن تلك أجوبتي، فاشتد حزنه وتقريعه، ولم يرتح إلي إلا منذ عام ١٤٠٦ هـ تقريباً عندما أقلعت عن خزعلات الفن، وأذن لي بخطاب رسمي بتدريس «صحيح البخاري» في مسجد سلطنة، وإنما أراد رحمه الله جري إلى الحديث وعلومه.

والشيخ معروف بالكرم وحبه للبذل، وقد يظن البعض أن هذا حصل بعد أن وسع الله عليه وتولى المناصب، ولكن معاصريه يقولون إن هذا شيء قديم في الشيخ مذ كان طالباً فكان يدعو زملاءه للأكل معه، ويروي أحد علماء أرتيريا موقفاً له مع الشيخ، فيقول: وصلت الرياض الثالثة فجراً في ليلة شاتية ولم يكن عندي مال لأنزل في فندق فترددت أن أذهب لبيت ابن باز، ثم ذهبت ووقفت عند منزله الطيني ولمست الباب فسمعتني أحد الضيوف النائمين ففتح لي، فسلمت همساً حتى لا أزعج أحداً، فما هي إلا لحظة حتى أقبل الشيخ بنفسه نازلاً من الدرج معه طعام تقوده امرأته من خلفه، فسلم وقال: أظنك لم تأكل هذه الليلة، فوالله ما طرق النوم عيني من البكاء على هذا الموقف النبيل.

وإبان رئاسته للجامعة الإسلامية كان راتبه خمسة آلاف ريال وكان يصرف جلّه على الفقراء وذوي الحاجات قبل نهاية الشهر، بل كان الشيخ يستدين راتبه مقدماً لعدة أشهر، ومرة كانت زوجة الشيخ مسافرة فطلب الشيخ من مساعده شراء طعام لضيوف عنده، فأخبره بعدم وجود مال عند الشيخ، فقال: اقترض من أحد المطاعم القريبة ثم

والعراق وغيرها، فسعى الشيخ مبكراً لرعاية طلبته، وكتب لولي العهد آنذاك الأمير سعود بن عبد العزيز بتأمين سكن لهم وتخصيص مكافآت مالية شهرية لهم لتشجيعهم على مواصلة الدراسة، وهو الأمر الذي أصبح سياسة عامة للدولة السعودية لليوم برعاية الطلبة في الجامعات والمعاهد.

وحين تتأمل خطاب الشيخ لولي العهد تجده ينطلق من رؤية إصلاحية عالمية تدرك واقع المسلمين وأزمته الحضارية، يقول ابن باز: «معلومكم ما أصيب به المسلمون من قلة حملة العلم الشرعي وقلة طلابه الحقيقيين لأسباب كثيرة، منها:

ضعف الداعي القلبي الإيماني إلى طلبه، ومنها قلة المساعدة المادية لمن قد يوجد فيه رغبة في الطلب في غالب البلدان التي يوجد فيها معلم، ومنها قلة المشجع والمُرغب في الطلب باللسان والمال»، وهذا الخطاب كتبه الشيخ في سنة ١٣٦٨ هـ، أي قبل ٦٥ سنة!!

٢- العودة للرياض والتدريس بالمعهد العلمي:

في عام ١٢٧٢ هـ أمره الشيخ ابن إبراهيم بالعودة للرياض والتدريس بالمعهد العلمي فيها، ثم بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٢٧٣ هـ، وبقي هناك ٩ سنوات حتى سنة ١٣٨٠ هـ.

وفي هذه المرحلة درّس على يد الشيخ الكثير من علماء السعودية اليوم، حيث درّس العقيدة والحديث والفقه والنحو، وكان متميزاً في طريقة شرحه السهلة والغنية، ومتميزاً بسعة علمه وقوة ذاكرته، وكان قريباً من طلبته يرعاهم ويوجههم، ومن هنا تجد عظم محبة الشيخ في قلوب طلابه وتلاميذه واستشعارهم لأبوته لهم.

وبعد دوام الكلية كانت له دروس ولقاءات سجل بعض مواقفها الشيخ عمر الأشقر في كتابه «حياتي» رحم الله الجميع.

ومن قصص حسن تعامله مع طلبته حتى المشاكسين وأثر ذلك عليهم، ما رواه أبو

نسدده له، فقال له: كل المطاعم القريبة اقترضنا منها! فقال: اذهب والله ييسر لك، فذهب ويسر الله لهم طعاما تلك الليلة.

وحاول الملك فيصل مساعدة الشيخ على سداد ديونه لأنها من جراء صدقاته ومساعدة الآخرين فأمر وزير المالية أن يرسل للشيخ شيكا قدره مائة ألف ريال، لكن الشيخ رفض بشدة قبول المبلغ إلا على شرط أن يكون ديناً عليه يخصم من راتبه بمعدل ألفي ريال شهرياً، فأرسل الوزير للملك فقبل بذلك فأخذ الشيخ المبلغ.

٣- الانتقال للمدينة المنورة

في سنة ١٣٨١هـ سنة افتتحت الجامعة الإسلامية وعُين الشيخ ابن باز نائباً لرئيس الجامعة الشيخ محمد بن إبراهيم، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٣٩٠هـ حيث تولى رئاسة الجامعة وبقي حتى عام ١٣٩٥هـ.

وتعد هذه الفترة من أخصب فترات حياة الشيخ لأنها نشرت علمه وفضله في العالم كله، من خلال الطلبة الذين تعلموا على يديه من مختلف أنحاء العالم، ومن خلال المدرسين المتميزين والمتنوعين الذين استدعتهم الجامعة، ومن خلال ضيوف المدينة المنورة من وجهاء العالم الإسلامي وأعلامه.

ومع عنايته بالطلبة في دروسه بالجامعة وخارج الجامعة إلا أنه كان أيضاً يتفقد أداء المدرسين فيزور الفصول ويستمع لتدريس المعلمين ويوجههم، ويتفقد أحوالهم ويساعدهم ويحثهم على بذل المزيد من الجهد في التعليم والتربية، وكان يطلب من المدرسين تقديم الاقتراحات لتطوير الجامعة وتحسين أدائها، وكان يتابع بنفسه المحاضرات العامة الأسبوعية التي تعقد بالجامعة للمدرسين بها أو لبعض الضيوف.

وكان يهتم بأوائل الطلبة فيجعلهم دعاة متفرغين في بلدانهم، وحرص على توفير ميزانية كبيرة لنشر الكتب والمراجع بين الطلبة، وكان

الشيخ يرفع نشاطات الطلبة الدعوية الأسبوعية في التجول للدعوة على مساجد المدينة المنورة، ويشارك معهم في الرحلة الشهرية للمدن بين المدينة ومكة حيث ينصب مخيم كبير تقام فيه الدروس والمحاضرات، ويشارك في هذه الرحلات كثير من طلبة الجامعة وموظفيها وأساتذة الجامعة كالشيخ الألباني والشيخ عطية سالم، وقد كان هذا المخيم تدريباً عملياً للطلبة للخطابة والتدريس والوعظ بإشراف المشايخ وخاصة ابن باز الذي كان يوجه الطلبة ويصحح لهم أسلوب ومضمون الدعوة والعلم والموعظة، كما ذكر ذلك الشيخان الأشقر وعبد الرحمن عبد الخالق.

وكانت للشيخ دروس غير منتظمة في المسجد النبوي في صحيحي البخاري ومسلم، وكان يدرس في مسجد الجامعة، وكذلك في بيته، ولكن أعظم مجالسه تلك التي كانت ندوات علمية يشارك فيها ابن باز والألباني والشنقيطي، فقد كانت مجالس نادرة، ويعلق الشيخ الأشقر فيقول: وقد حضرت بعض المجالس التي جمعت المشايخ الثلاثة، ودار فيها حوار حول بعض المسائل العلمية أو الكونية، فكنت ترى من كل واحد من العلم والاستدلال ما يبهر العقول ويضطرب النفوس، وكم تمنيت أن تكون تلك اللقاءات سجلت أو دونت.

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق عن هذه الندوات: وكانت هناك جلسة في دار الحديث لهؤلاء المشايخ للنقاش والمناظرة تستمر من بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل أحياناً، وكان يأتي كثير من طلاب العلم في هذه الجلسات، ... وكان النقاش علمياً بين المشايخ بأدلته، وأحياناً نحتاج لإنزال الكتب عن الرفوف والرجوع إليها، فكانت هذه المناظرات والمناقشات حلقات علمية بالمعنى الكامل لحلقات العلم. أهـ

وهذه اللقاءات كشفت عن علو كعب الشيخ ابن باز في علم الحديث، وهذا أمر شهد له حتى

الشيخ الألباني، فيروى الشيخ محمد لقمان السلفي مرافق الشيخ أن ابن باز حضر محاضرة للشيخ الألباني ثم علق عليها وأبدى ملاحظات علمية دقيقة في علوم الحديث سنداً وامتناً، وبعدها شكره الشيخ الألباني واعترف له بغزارة العلم؛ وفي حادثة أخرى كان الشيخ الألباني يقرأ حديثاً بحضور ابن باز فذكر أحد شيوخ الراوي الذي يقرأ له، فصوبه الشيخ ابن باز من حفظه، ولما سئل عن ذلك، قال: هذا الذي قرأه الشيخ ناصر خطأ، وفلان الذي ذكره ليس من شيوخ ذلك الراوي.

وكان نتاج هذا كله أن أصبح للشيخ ابن باز وإخوانه من العلماء السلفيين سفراء في كل العالم ينشرون علمه وفضله ومنهجه السلفي الرائق، والذين كانوا ركائز أساسية للصحة السلفية التي نعيشها اليوم.

ولذلك كان وقع خبر انتقال الشيخ للرياض كالصاعقة على نفوس الطلبة والمعلمين، وقد وصف الشيخ محمد المجذوب اجتماع الناس على الشيخ لوداعه بوصف مؤثر، اكتفي منه ببيتين قالهما في هذه المناسبة:

بكينا وفاء لامرئ قل أن يرى

له في الدعاة العاملين نظير

فخلوا ملامي إن ألح بي البكا

فإن فراق الصالحين عسير

٤- العودة للرياض ورئاسة إدارة البحوث

العلمية ثم منصب المفتي العام وهيئة كبار العلماء:

عاد الشيخ للرياض سنة ١٣٩٥هـ وتولى رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، وفي سنة ١٤١٤هـ عين مفتياً عاماً للمملكة مع رئاسته لهيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة ١٤٢٠هـ.

ومع تميز الشيخ العلمي إلا أن الجميع يشهد له أيضاً بأنه كان إدارياً ناجحاً، يتابع أدق التفاصيل، ولا تتراكم عنده الملفات بل الإنجاز هو صفته،

وكان موفقاً في إدارة وقته واستغلاله على أكبر قدر ممكن، فقد كان يستغل حتى ركوبه في السيارة لقراءة بعض المعاملات أو كتب العلم، بل حتى مشيه للمسجد أو المكتب أو حتى للوضوء كان يستغله في إنجاز شيء نافع ومطلوب!

وبرغم كل هذه المناصب إلا أن الشيخ بقي محافظاً على طلبه للعلم وتدريسه له، فقد كان له دروس يومية وأسبوعية مستمرة، بخلاف الندوات والمؤتمرات والمحاضرات.

وكان برنامجه يبدأ قبل صلاة الفجر وينتهي بعد العشاء على النحو التالي:

يبدأ برنامجه بالتهجد قبل صلاة الفجر، وغالباً ما يكون عنده درس بعد الفجر إلى طلوع الشمس، ثم يعود للبيت فيفطر وربما ارتاح قليلاً؛ ثم يذهب إلى مكتبه من التاسعة حتى الثانية والنصف، فيعود للبيت للغداء مع ضيوفه وهذه عادته من عشرات السنين، وبعد صلاة العصر ربما ألقى كلمة وأحياناً يستريح قليلاً، وبعد المغرب تُعرض عليه المعاملات ويستقبل الاتصالات والزوار ويُقرأ عليه بعض الكتب العلمية، إلى ما بعد العشاء، ولا يخلد للنوم إلا قرابة الثانية عشرة.

وكان الشيخ يحب مخالطة المساكين، ولذلك كان إذا طُلب منه إبعاد المساكين عنه في الغداء وتخصيص مكان للشيخ وكبار الضيوف للغداء، وللمساكين من العمال المغتربين والعامة مكان آخر، يغضب ويقول: مسكين مسكين صاحب هذا الرأي، هذا لم يتلذذ بالجلوس مع المساكين والأكل مع الفقراء، أنا سأستمر على هذا وليس عندي خصوصيات، والذي يستطيع أن يجلس معي أنا وهؤلاء الفقراء والمساكين يجلس، والذي لا يعجبه وتأبى نفسه فليس بمجبور على ذلك.

وفي مرة من المرات على الغداء وكان عنده أحد العلماء سأل الشيخ عن أحد الخدم عنده هل جاء للغداء فقليل له لم يأت بعد، فأخذ الشيخ يناديه

حتى جاء، فسأل الضيف: هذا ولد الشيخ؟ فقبل له: هذا الخادم الذي يغسل الأطباق، فبكى من تواضع الشيخ وزهده.

وقد جاء أستاذ في العلوم السياسية من جامعة كوينز بكندا وهو مسلم من أصل باكستاني للسعودية لدراسة النهضة الإسلامية وطلب زيارة الشيخ ابن باز، وحين سئل عن انطباعاته عن زيارته قال: السياسة في جذورها وفروعها وأركانها كانت موجودة في مكتب الشيخ، فصوت رنين الهواتف العديدة لا ينقطع ما دام الشيخ موجودا، والمتصلون من العامة والمسؤولون، رجالا ونساء، من الداخل والخارج، وأن في هذا دليلا على قوة الإسلام وتمتعته بقوة اجتماعية قادرة على اختراق قاعدة المجتمع بالكامل وأن الناس كانت تنتظر التوجيه من الشيخ ليس في الدين فحسب بل في كل معاملاتهم وعلاقاتهم. وهذه شهادة من عالم في السياسة والاجتماع عن حقيقة الدور الذي يجب أن يقوم به العلماء وهو ما وفق الله عز وجل ابن باز له.

وقد كان ابن باز مع كل هذه الإنشغالات عضوا ورئيساً فاعلاً لعدد من المؤسسات الدعوية مثل:

رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

رئيس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة.

عضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

عضو الهيئة العليا للدعوة الإسلامية.

عضو المجلس الاستشاري للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

عضو الصندوق الدائم للتنمية الشبابية.

طلاب الشيخ:

لا يمكن إحصاء طلاب الشيخ من داخل المملكة وخارجها لكثرتهم، فمن المملكة:

الشيخ محمد بن عثيمين والشيخ عبد الله بن جبرين والشيخ عبد العزيز الراجحي والشيخ عبد العزيز السدحان والشيخ عبد الله بن قعود والشيخ سعد بن تركي الخثلان والشيخ عبد الله العتيبي والشيخ عبد العزيز المشعل والشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي والشيخ صالح الأطرم والشيخ عبد الرحمن البراك والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الشثري والشيخ عبد العزيز آل سليمان والشيخ بدر بن ناصر البدر والشيخ الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد والشيخ عبد الله العبود والشيخ الدكتور عبد الله الشثوي والشيخ علي أبا الخيل والشيخ علي المري.

ومن خارج المملكة:

الشيخ عطية محمد سالم والشيخ أبو بكر الجزائري والشيخ محمد أمان الجامي والشيخ محمد المجذوب والشيخ محمد لقمان السلفي والشيخ عدنان العرعور والشيخ عمر الأشقر والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق والشيخ محمد المغراوي.

وفاته رحمه الله:

بقي الشيخ إلى يومه الأخير بل ساعاته الأخيرة يعمل على خدمة الناس وقضاء حوائجهم، فبرغم بلوغه سن التسعين ومرضه في أيامه الأخيرة، إلا أنه كان حتى في المستشفى يطلب قراءة المعاملات عليه!

بل لما خرج من المستشفى رفض العودة للبيت وذهب للمكتب وعاد في وقت الغداء وتغدى مع الضيوف من المساكين والزوار، واستقبل الناس بعد المغرب فشجع لبعض الناس وأفتى لأحدهم في قضية طلاق، وصدر بيان من اللجنة الدائمة بخصوص قضايا المرأة في ٢٥ محرم ١٤٢٠هـ.

وفي ليلة وفاة الشيخ قام بنفسه قبل الفجر فتوضأ وصلى ثم اضطجع، ثم جلس وتبسم وسألته زوجته: هل تريد شيئاً؟ فلم يجبها، واضطجع مرة أخرى ولكن كان صوت نفسه في صدره

مسموعاً، فنادت ولدها أحمد، فجاء وكلم الشيخ فلم يرد عليه، فنقله للمستشفى لكن الشيخ كان قد أسلم الروح لربه،

فتوفي في ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ.

وكانت جنازته رحمه الله جنازة مهيبة لعله لم يُر في العصر الحديث مثيلاً لها، وهذا من المبشرات للشيخ وقد رؤيت فيه منامات صالحة كثيرة، وصلي عليه في الحرم المكي يوم الجمعة ٢٨ محرم.

محطات متفرقة من حياة الشيخ:

❖ يتميز الشيخ بخصال كثيرة لكن من أهمها:

١- حرصه على خدمة المسلمين حتى آخر لحظة في حياته.

٢- مبادرته دوماً لتقديم حل للمشاكل التي تعرض عليه، فيبادر بالكتابة للمسؤولين، أو توجيه النصيحة لصاحب الشأن أو البذل والعطاء من ماله.

٣- انفتاحه على كل المسلمين وتواصله معهم مع النصح لهم فيما يرى أنهم مخطئون فيه، ومساعدتهم وعونهم والتعاون معهم في جوانب الخير.

❖ للشيخ عناية زائدة بقضية تحكيم الشريعة فكان يخاطب الرؤساء والملوك دوماً في مناسبات عامة وخاصة ويطلب منهم تحكيم الشريعة، مثل نصيحته لعموم الحكام والعلماء بتطبيق الشريعة، ورسالته للملك الحسين حين عدل عن إقامة تمثال له في ميدان عام سنة ١٤١٧هـ، فكتب إليه ابن باز: «بلغني ... أن جلالكم قد منع إقامة تمثال لكم في عمان، فسرني ذلك كثيراً، وشكرت لجلالكم هذا العمل، ورأيت الكتابة إلى جلالكم في ذلك شاكراً وراجياً من جلالكم إصدار الأمر الكريم بتحكيم الشريعة المطهرة في المملكة الأردنية الهاشمية في جميع الشئون، كما حكم بها جدكم أفضل الخلق محمد ﷺ...».

وكذلك رسالته للرئيس الباكستاني ضياء

الحق بهنيه فيها على قرار تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان.

❖ من قصص بذله في سبيل الله، أنه كان يستدين لينفق على بعض أوجه الخير ورعاية الفقراء والدعاة، وفي مرة جاء أحد قادة المجاهدين الأفغان لطلب المساعدة في شراء غرض مهم للجهاد، فقام الشيخ ببيع غرض مهم من أغراضه الخاصة وقدم له المال.

❖ كان للشيخ عناية بقضايا المسلمين كفلسطين، وغزو أفغانستان، والصومال، والأكراد، والبوسنة والهرسك وكوسوفا، وأفريقيا، وهدم المسجد البابري بالهند، والشيخان، وكان يتابع أخبارهم ويدعمهم بالمال والشفاعة وغيرها، وألف كتابه (الجهاد) للدفاع عن قضايا المسلمين وضرورة الجهاد.

❖ كان للشيخ عناية بإقامة المؤسسات الدعوية في العالم وحتى الغرب من وقت مبكر، فهو من سعى لتوفير الدعم لمسجد مركز إسلامي بباريس ومسجد لندن سنة ١٩٨٤م. وحين مُنح الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية وهي جائزة مالية ضخمة قبلها ومنحها لدار الحديث الخيرية بمكة، وقد اعتنى الشيخ بدار الحديث من ناحية المباني والمدرسين والميزانية حتى أصبحت شهادتها تعادل الشهادة الجامعية.

❖ كان الشيخ مناصراً دائماً للعلماء، فما أن يبلغه حاجة واحد منهم أو تعرضه لموقف يحتاج فيه إلى إعانة إلا وكتب للمسؤولين في إعانته وورفع الحرج عنه، فهو قد طلب إيقاف ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز في منتصف الليل لإيقاف إعدام عدد من المشايخ والدعاة في الصومال، وكتب للملك الحسين بخصوص عدم ترحيل العلامة الألباني من الأردن، وكتب لأمير الكويت بخصوص قبول عودة الشيخ محمد الأشقر والشيخ عمر الأشقر للكويت بعد تحريرها، وله شفاعات

كثيرة في هذا الشأن.

❖ كان الشيخ على علاقة ومعرفة بكثير من علماء العصر ورموز الحركة الإسلامية مثل أبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي ومحمد الغزالي ومحمد متولي الشعراوي ومحمود الصواف.

❖ كانت للشيخ مراسلات كثيرة مع ملوك ورؤساء عصره بخصوص القضايا الإسلامية: الملك فيصل، ضياء الحق، صدام حسين، معمر القذافي، بو رقيبة، الملك حسين.

❖ اهتمام الشيخ بقضايا الإعلام، فكثيراً ما كتب ونصح وحذر من التجاوزات الإعلامية في المملكة وخارجها، وكان حريصاً على وجود منابر إعلامية شريفة ونزيهة ومحافظة.

❖ كان الشيخ يتصدى لأية مخالفة للشريعة خاصة إذا كانت تسن كقانون ولو خارج المملكة، ولذلك كتب منبهاً على خطأ مشروع قانون الأحوال الشخصية في الإمارات والذي حاول تحديد سن الزواج بـ ١٨ سنة للزوج و١٦ سنة للزوجة، وذلك قبل ٣٠ سنة، والأمة لليوم لا تزال تتعرض للضغط الغربية واليسارية والعلمانية للعبث بقوانين الأحوال الشخصية، مما يدلنا على الوعي المبكر للشيخ تجاه المؤامرات التي تحاك للأمة الإسلامية والأسرة المسلمة والتي هي عماد الأمة.

❖ كان الشيخ ابن باز حائط صد متقدماً لكثير من المخططات التغريبية للمجتمع السعودي والأمة بعامة، فهي هـو في سنة ١٣٩٩هـ يحذر من دعوات بعض المؤسسات الأمريكية للشباب السعودي للسفر لأوروبا وأمريكا والمكسيك في رحلات صيفية، وقد ظهرت خطورة مثل هذه الرحلات على الشباب المسلم بما نراه من ضياع كثير من المبتعثين للدراسة أو الذين يسافرون للسياحة بدون رقيب ولا حسيب.

❖ ومن هذا الدور المبكر للشيخ في حماية المجتمعات الإسلامية من الغزو الفكري والسلوكي، تصدياً لدعوة العلمانيين للمرأة بالعمل

والاختلاط في كل الميادين، بتحريم هذا العمل والاختلاط والذي أصبحت نتائجه المدمرة على الأسرة والمجتمع والشباب والشابات ظاهرة اليوم.

❖ كان للشيخ مواقف مشهودة في التصدي لموجة المد القومي والناصري، فتصدى لها في خطبه ودروسه وألف كتابه (نقد القومية العربية).

❖ كان الشيخ ابن باز مستشاراً لكثير من الدعاة والقادة في الجماعات الإسلامية في ما يواجههم من تحديات، يقول المستشار عبدالله العقيل عن نصائح ابن باز للدعاة: أما زياراتي الخاصة له في بيته ومكتبه والاستعانة به في طرق العلاج لما يواجه المسلمون من مشكلات خاصة وعامة في أقطارهم ومع حكاهم للأخذ بالحلول الحكيمة الناجحة في علاج المشكلات فهي أكثر من أن تحصر.

مراجع للتوسع:

- موسوعة إمام المسلمين في القرن العشرين سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع عبدالعزيز أسعد، مؤسسة الريان والمكتبة الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٧.
- الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر، عبدالعزيز السدحان، الدار الأثرية، مصر، ط ١، ٢٠١١.
- الشيخ ابن باز، كتيب مجلة العربية رقم ٢٧، ١٩٩٩م.
- صفحات من حياتي، د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، ط ١، ٢٠١٠.
- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية، المستشار عبد الله العقيل، ط ٧، ٢٠٠٨.
- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، ط ٤، ١٩٩٢م.

الثامن الهجري، الذين تجرؤوا على سب الصحابة، ليس في أوساط شيعتهم، بل بين المسلمين من أهل السنة، وفي واحد من أكبر المساجد في الإسلام وهو المسجد الأموي في دمشق، غير أبهين بما قد ينالونه من عقاب الحاكم أو غضب الناس.

ودمشق حينذاك تحت حكم دولة المماليك الذين حاربوا التتار وكسروهم في موقعة عين جالوت، وتصدوا للصليبيين، ودافعوا عن ديار المسلمين، وقد أضافوا إلى مآثر دولتهم تلك مآثرة أخرى بدفاع سلاطينهم وولاتهم وقضاتهم عن الصحابة، ومعاينة من تجرأ على سبهم ولعنهم.

يقول ابن كثير في أحداث سنة ٧٥٥هـ:

«في يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق بعد صلاة الظهر، وهو يسب أول من ظلم آل محمد، يكرر ذلك لا يفتر، ولم يصل مع الناس، ولا صلى على الجنازة الحاضرة، بل الناس في الصلاة وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به، فلما فرغنا من الصلاة نبهت عليه الناس فأخذوه، وإذا قاضى القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس فجئت إليه، واستنطقته: من الذي ظلم آل محمد، فقال: أبو بكر الصديق، ثم قال جهره والناس يسمعون: لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد. فأعاد ذلك مرتين، فأمر به الحاكم إلى السجن، ثم استحضره المالكى وجلده بالسياط، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي.

واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير، قبحه الله وأخزاه، ثم لما كان يوم الخميس تاسع عشره عُقد له مجلس بدار السعادة،

المماليك ينتصرون لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

هيثم الكسواني^(١) - خاص به «الراصد»

لا يكاد يخفى على أحد من المسلمين أن سب الشيعة لأصحاب النبي ﷺ هو من صلب عقيدتهم، ومن أساسيات مذهبهم، يتوارثونها جيلا بعد جيل، ومن المنكرات المنتشرة بين علمائهم وعوامهم على حد سواء. وإننا لا نأتي بجديد عندما نقول إن الشيعة يسبون الصحابة رضي الله عنهم وأمّهات المؤمنين والصالحين من هذه الأمة، وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فإن سبهم ولعنهم للصحابة منشور ومنتشر الآن في الكتب ووسائل الإعلام مثل القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية، ولن يبذل المرء كثير جهد ليراه ويسمعه.

لكننا في هذه السطور التاريخية نسلط الضوء على ردة فعل الأمة قديما تجاه هذا المنكر، ووقفها الحازمة تجاهه، ومعاينة من يقترفه، كي لا يتجرأ الشيعة الروافض على سب الصحابة وسلف الأمة، وهو ما بتنا نفتقده في الوقت الحاضر، أو كدنا نفتقده، إذ صرنا على الدوام نسمع من يدافع عن الشيعة ويبرئهم من تهمة سب الصحابة، أو الادعاء بأن هذا المنكر يصدر عن بعض جهلتهم فقط، وأنه لا دخل لعلمائهم به، إلى غير ذلك من التبريرات والتأويلات.

وفي كتابه القيم (البداية والنهاية) يورد الحافظ ابن كثير رحمه الله قصص بعض الشيعة في القرن

(♦) كاتب أردني.

فالتهمه العامة فأوسعوه ضرباً مبرحاً، بحيث كاد يهلك، فجعل القاضي يستكفهم عنه، فلم يستطع ذلك، فجعل الرافضى يسب ويلعن الصحابة، وقال: كانوا على الضلال، فعند ذلك حُمِلَ إلى نائب السلطنة، وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة، فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه، فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه، وأحرقت العامة قبّحه الله.

وكان ممن يقرأ بمدرسة أبى عمر، ثم ظهر عليه الرفض فسجنه الحنبلى أربعين يوماً فلم ينفع ذلك، وما زال يصرح في كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه في الجامع، وكان سبب قتله قبّحه الله كما قبّح من كان قبله، وقُتِلَ كقتله في سنة خمس وخمسين^(٢).

للاستزادة:

❖ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.



وحضر القضاة الأربعة، وطلب إلى هنالك فقدّر الله أن حكم نائب المالكي بقتله فأخذ سريعاً فضربت عنقه تحت القلعة، وحرقه العامة، وطافوا برأسه البلد، ونادوا عليه: هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ﷺ^(١).

وهكذا تقف الأمة بالمرصاد لأمثال هؤلاء

الذين نزعوا عنهم ثوب التقية، وجهرُوا بمنكرهم وباطلهم. وما هي إلا سنوات قليلة حتى يقف شقى آخر في المسجد ليسب الصحابة، فيقف المسلمون في وجهه وقفة واحدة: السلطان والقاضي وعوام الناس، كلهم يعرفون للصحابة قدرهم، وكلهم يعرفون ما عند الشيعة من أباطيل، وعليه فإنهم لا يسمحون لهذا الباطل بأن يسري بينهم.

ويقول ابن كثير في أحداث سنة ٧٦٦هـ:

«وفي يوم الخميس ثامن عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموى اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازى، وهو يسب الشيخين، ويصرّح بلغتهم، فرفع إلى القاضي المالكي قاضى القضاة جمال الدين المسلاتى فاستتابه عن ذلك، وأحضر الضراب، فأول ضربة قال (لا إله إلا الله، على ولى الله)، ولما ضرب الثانية لعن أبا بكر وعمر،



(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣١٢٢.

(١) البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٠٨٤.

محاولة لتقديم المشورة للمصريين بأي حال من الأحوال بشأن الخيارات التي ينحازون إليها أو لدفع بعض التفسيرات أو المقاربات بوصفها مفضلة على ما سواها من تفسيرات ومقاربات).

إننا إذن بالفعل تحت مرصد الرقابة الغربية والأمريكية تحديدًا بحيث يكون ما تناقشه ونفكر فيه ونطرحه معروف مسبقًا ومن ثم فلا مجال للمفاجأة بحال.

والرقابة لا بد أن يتبعها التدخل لتعديل المسار وفقًا لإرادة الرقيب.. هذا التدخل له مسارات مختلفة متنوعة وهذه الدراسة وإن كانت تعني بالدرجة الأولى تقديم رؤية تفصيلية دقيقة لصانع القرار الغربي فإن الهدف الثاني من هذه الدراسة هو تقديم نصائح ضمنية ورسائل للعلمانيين المصريين باعتبارهم الممثلين الطبيعيين لمبادئ الغرب والامتداد الحيوي له.

التفكيك الناعم

والأمر اللافت للنظر أن الدراسة على الرغم من محاولاتها التظاهر بالموضوعية فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية إلا أنها تحاول تفكيكها بطرق ناعمة أو منح مفاتيح التفكيك للعلمانيين ودعاة حقوق المرأة عن طريق ما تطلق عليه ثغرات كبيرة (مثل ما حدث في عام الرمادة مثلاً) يتضح هذا الانحياز ضد الشريعة والرغبة في تفكيكها في هذه الفقرة التي نتحدث عن المادة الثانية من الدستور المصري والتي تنص على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع (والواقع أن قلة عدد التغييرات

الشريعة والمرأة.. دليل الحيران

فاطمة عبد الرؤوف^(٥) - خاص بالراصد

تعد دراسة «مصر والشريعة الإسلامية: دليل

الحيران» للباحث ناثن ج. براون والتي أعدها لمركز كارينجي أثناء النقاشات الحادة في مصر عند صياغة الدستور نموذجًا لما تقوم به دوائر صنع القرار في الغرب والتي لا تتحرك إلا وفقًا لدراسات وأبحاث دقيقة ومتأنية للداخل الإسلامي حتى أن بعض الباحثين من ذوي التوجه الإسلامي علقوا على هذه الدراسة بقولهم إنهم يعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا ..

بالطبع لا أوافق على هذا التعليق ليس بسبب

ما يتضمنه من مبالغة فحسب وإنما لما يحمله من مفهوم سلبي عن الذات الحضارية وتضخيم للآخر وما يتبع ذلك من استعداد للهزيمة والاستلاب .. إنما يمكن القول إن دراسة براون هي دراسة جادة للتعرف على ما يدور في عقولنا من أفكار حول الهوية والذات الحضارية ومدى ارتباط ذلك بالشريعة الإسلامية وهي محاولة لفهم ما يعتبره الباحث قضايا وأمورًا غامضة والهدف من ذلك بالطبع ليس مجرد المعرفة وإنما هو الرقابة كما يصرح الكاتب نفسه (تشكل إجاباتي دليل عمل على ما يتعين على المراقبين مراقبته، أكثر منها

(٥) كاتبة مصرية.

التي اقترحت على هذه المادة أمر مثير للدهشة. فقد يقترح أحدهم أحياناً بتواضع أن يتم إسقاط «التعريف» (أضيفت في تعديل العام ١٩٧٩)، بحيث تصبح مبادئ الشريعة الإسلامية مجرد مصدر من مصادر التشريع بدل أن تكون مصدر التشريع).

من الرسائل الضمنية التي توجهها هذه الدراسة للعلمانيين وهي رسالة بالغة الأهمية والخطورة وهي إرشادهم لاستخدام آليات الديمقراطية لتفكيك الشريعة من الداخل عن طريق تحديد الجهة المخولة بتفسير أحكام الشريعة كما سيتم التوضيح لاحقاً.

المرأة في المقدمة

ومن الأمور التي ينبغي التوقف أمامها طويلاً لأهميتها البالغة أن القضايا المتعلقة بالمرأة والأسرة احتلت حيزاً كبيراً من الدراسة فعند الحديث عن أحكام الشريعة لم يتناول غير قضيتين اثنتين هما المرأة وغير المسلمين.

واحتل الحديث عن قوانين الأحوال الشخصية جزءاً كبيراً من الدراسة (لكن، حتى لو كان من المفترض أن تكون قوانين الأحوال الشخصية متجذرة في الشريعة الإسلامية، فليس من الواضح ما هو تفسير الشريعة الذي ينبغي أن تقوم عليه تلك القوانين. فقد أقيمت مسؤولية المهمة على عاتق البرلمان، حيث لا يزال قانون الأحوال الشخصية الحالي في مصر يُسنّ، حتى ولو كان مُستمداً من المصادر الإسلامية، من جانب هيئة منتخبة شعبياً. وهنا يدور معظم النقاش: ما هي أجزاء التراث القانوني الإسلامي التي ينبغي تدوينها وتنسيقها من خلال التشريعات البرلمانية؟ وما التفسيرات الأكثر ملاءمة لمصر الآن؟) ونلاحظ هنا استخدام آليات الديمقراطية والبرلمان الشعبي المنتخب لعملية انتقاء برجماتية للأحكام الشرعية خاصة ما يتعلق بالمرأة والأسرة.

ما الذي تقوله الشريعة الإسلامية عن حقوق

المرأة؟

تحت هذا العنوان جاءت فقرة طويلة في دراسة

براون وهي فقرة بالغة الأهمية وتأتي أهميتها من أنها لم تنسق للصورة التقليدية النمطية المشوهة للمرأة والأسرة في ظلال الإسلام والشائعة في الغرب .. ربما لأن هذه الدراسة مقدمة لصانع القرار الغربي وبالتالي فهي تتحرى الدقة بالقدر الذي يفهمه الباحث لأن رؤيته وإن كانت أفضل من الرؤية المشوهة التقليدية إلا أنها ناقصة ومبتسرة إلى حد بعيد (على العموم، الشريعة الإسلامية ليست محايدة بشأن الإشارة إلى الجنوسة (ذكر - أنثى) في مسائل الأحوال الشخصية، ولكنها تضع بدل ذلك شبكة متميزة من الحقوق والواجبات على الزوج والزوجة والأبناء والبنات. وعموماً، يُتوقع من الأزواج توفير دعم مادي وبيئتي منزلية صحية (الفشل في تقديم الدعم أو الإساءة يمكن أن يكون أساساً لأن تطلب المرأة الطلاق). ويُتوقع من الزوجات قبول سلطة أزواجهن. يمكن للزوج تطليق زوجته من جانب واحد؛ ولا يمكن للزوجة أن تفعل ذلك (في النظام القانوني المصري القائم على الشريعة)، لكن يمكنها تقديم التماس إلى المحكمة كي تأمر بطلاقها في الحالات التي يفشل فيها الزوج في الوفاء بالتزاماته. ويأتي العرف على رأس قائمة القانون القائم على الشريعة. على سبيل المثال، يمكن توقع أن يتعهد عريس مُرتقب بدفع مبلغ كبير من المال مستحق لخطيبته إذا طلقها، ما يجعل ممارسة حقوق طلاقه، أحياناً، مكلفة للغاية).

ومن الواضح أن الدراسة مستاءة من مسألة موقف الشريعة من الجنوسة أو الجندر كما جاء في الوثائق الأممية ومن المؤكد أن الدراسة اختزلت قضية الحقوق والواجبات بشكل مخل ومنحت قضية الطلاق مساحة ضخمة جداً وكأنها هي مشكلة المرأة المسلمة الأولى.

ليس ذلك فحسب وإنما هناك توجيه من الدراسة للعلمانيين ودعاة حقوق المرأة للمطالبة بقانون مدني للأحوال الشخصية وينتقد العلمانيين لموقفهم المتخاذل من إقرار مثل هذا القانون (بدل التصريح عن أسباب تأييدهم لإقرار قانون مدني أو قانون

(مفتي الجمهورية، مسؤول عن تقديم تفسيرات الشريعة الإسلامية)؟

• ما الأولوية التي يجب أن تُعطى لإصلاح القانون الجنائي (بشأن هذه المسألة، من الصعب تجنب أحكام الشريعة الإسلامية وهي مستقطبة للغاية)؟

• ما الذي ينبغي أن يكون عليه وضع الوثائق الدولية المختلفة لحقوق الإنسان التي وقّعت عليها مصر؟ ومن يجب أن يكون مسؤولاً عن تفسير التحفظات القائمة على تلك الوثائق؟ (على سبيل المثال، تصديق مصر على لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة يشمل التحفظ التالي في ما يتعلق بالمادة الثانية من الوثيقة: «إن جمهورية مصر العربية على استعداد للامتثال إلى مضمون هذه المادة، شريطة ألا يخالف هذا الامتثال أحكام الشريعة الإسلامية»).

هذه الأمور التي ينبغي مراقبتها هي ذاتها خطة العمل التي ينبغي على العلمانيين أن يتحركوا وفقاً لها:

– فقانون الأحوال الشخصية لا بد من بدء الدعوة للمطالبة بقانون مدني يحل بديلاً عنه وهذا القانون لابد أن يشمل مساواة كاملة بين الجنسين.

– أن تكون للمحكمة الدستورية العليا القول الفصل فيما يتعلق بأحكام الشريعة وبالطبع يجب أن تكون هذه المحكمة متوافقة فكرياً مع هؤلاء العلمانيين وبالتالي يسهل تفكيك الشريعة داخلياً وفي المقدمة من ذلك ما يتعلق بحقوق المرأة والأسرة .

– تقليص نفوذ الأزهر الاجتماعي وتحديد صلاحياته.

– إعادة هيكلة المؤسسات الدينية المختلفة للعمل بشكل متناغم لتقديم تفسيرات مرنة لأحكام الشريعة خاصة ما يتعلق بالأحكام الجنائية.

– العمل الدؤوب على التصديق على اتفاقية سيداو وإلغاء التحفظات السابقة عليها.

محاييد تماماً بشأن موضوع الجنوسة (ذكر- أنثى)، ركّز دعاة حقوق المرأة – على مزيج من المعتقادات الدينية الحقيقية، وقبل الواقع السياسي، وإدراك أن المساواة القانونية في مجتمع لا يحقق المساواة يمكن أن تُضعف في الواقع الأطراف الثانوية (معظم اهتمامهم على تعبئة الدوائر الانتخابية دعماً لتفسيرات للشريعة الإسلامية تمنح المرأة وضعاً أقوى). على سبيل المثال، هم ضغطوا بنجاح لإدخال تعديل على قانون الأحوال الشخصية يسمح للمرأة بتقديم التماس للمحكمة للحصول على الطلاق إذا كانت على استعداد للتخلي عن معظم حقوقها المادية ومطالباتها في التسوية. فأمكنهم بذلك دعوة بعض علماء الدين إلى دعم موقفهم.

خطة العمل

تأتي الفقرة الأخيرة من الدراسة بعنوان بالغ الاستفزاز وهو (ما الذي ينبغي على الغرب مراقبته في مصر) ولن يكون من المستغرب أن تكون قضايا المرأة والأسرة على رأس الأمور التي ينبغي مراقبتها عن طريق مراقبة ما الذي سيحدث في قانون الأحوال الشخصية ومصير الاتفاقيات الدولية خاصة اتفاقية سيداو ومصير التحفظات التي وضعتها مصر على الوثيقة ألا وهي توافيقها مع الشريعة الإسلامية ومراقبة الجهة التي سيعهد إليها تفسير الشريعة الإسلامية وهذه هي العناصر التي اقترح الباحث مراقبتها:

• ما العناصر التي ينبغي تعديلها في قانون الأحوال الشخصية المصري الحالي، وما الذي يجب أن نقوله؟

• ما الذي ينبغي أن يكون عليه هيكل المحكمة الدستورية العليا حيث من المرجح أن تكون لها سلطة تفسير أي اصطلاحات دستورية بشأن الإسلام؟

• كيف يجب أن يُنظّم الأزهر؟ وما الذي ينبغي أن تكون عليه طبيعة دوره في الدولة المصرية ومدى نفوذه الاجتماعي؟

• كيف يجب أن يكون هيكل مؤسسات الدولة الدينية الأخرى، مثل دار الإفتاء المصرية

والمشمولين بالاجتثاث والإقصاء من الضباط وكبار الموظفين العاملين بأجهزة الدولة السابقة.

فهذه العوامل الإيجابية، إضافة لمواد الدستور التي تتبنى إقامة إدارة البلاد على اللامركزية وذلك بجواز إعطاء الحكم الفدرالي للمحافظات، وفق شروط نظمها المادة (١١٩) من الدستور العراقي الذي بموجبه تأسست الجمهورية العراقية التي أعقبت الاحتلال الأمريكي، فهذه العوامل مجتمعة دفعت نخبة فاعلة في المناطق السنية بالمطالبة بإقامة أقاليم خاصة بهم، فتحركت محافظة ديالى ذات الأغلبية السنية فطالب مجلس محافظتها بهذا الحق الدستوري، فتصدت لهذا المطلب الدستوري الميليشيات الشيعية المؤيدة من قبل الحكومة المركزية فحاصرت مقر المحافظ السني ومجلس المحافظة مما اضطر المحافظ إلى أن يخرج من مركز المحافظة بمدينة بعقوبة ويلوذ بالمنطقة المسيطر عليها من الكرد، ومن ثم يستقيل. وجرت اعتقالات نالت قسماً من مجلس المحافظة ونشطاء السنة ووقعت أعمال إرهابية ضد أبناء السنة المتنفذين في ديالى من علماء ورؤساء عشائر وأعضاء في مجلس المحافظة الذي هو بمثابة برلمان المحافظة لأنه منتخب من قبل شعب المحافظة.

ثم تحركت القوى السياسية الفاعلة في محافظة صلاح الدين فطالبت بإقامة إقليم في المحافظة وهو حق دستوري، وجرت خطوات ناجحة في ذلك ولكن الحكومة المركزية وأدتها، وما زال قادة المحافظة من سياسيين وعشائري ونواب يواصلون مساعيهم الحثيثة لإقامة هذا الإقليم، وقاموا بخطوات دستورية فاعلة، وإلى الآن لم يتحقق هذا الأمل الذي يراود جمهور أبناء المحافظة، وأنا لا أزعم أنه ليس هناك من يرفض الدعوة لإقامة الأقاليم (الفدرالية) في المناطق السنية، وأصحاب هذا الميل يخلطون بين قضية إقامة الأقاليم والتقسيم، فأبناء السنة حريصون على وحدة العراق شعباً وأرضاً ودولة.

وهذه الشبهة (شبهة التقسيم) دفعت علماء

المشكلة العراقية: الأقاليم هي الحل

الدكتور عدنان الدليمي^(١) - رئيس جبهة التوافق العراقية سابقاً

ينص الدستور العراقي على أن العراق دولة اتحادية برلمانية، واستناداً لهذا النص تشكل إقليم كردستان الذي يشمل ثلاث محافظات متكاملة جغرافياً وسكانياً وعرقياً، وهي: السليمانية وأربيل ودهوك الواقعة في المنطقة الشمالية من العراق، والتي تمتد حدودها إلى الجارة الشرقية إيران والجارة الشمالية تركيا ويحد جزء منها سورية من المغرب، وتلاصق أربع محافظات غالبية سكانها سنة، وهي: نينوى وكركوك وصلاح الدين وديالى.

والكرد كلهم سنة ويتمذهبون بالمذهب الشافعي، والكرد يهتمون بضم بعض المناطق إليهم، من المحافظات السنية، وقد أطلق عليها في الدستور العراقي مناطق متنازع عليها، والتي تتضمن المادة (١٤٠) من الدستور طرق حلها دستورياً، وما زالت هذه المادة محل نزاع بين الحكومة المركزية وحكومة إقليم كردستان، ويمكن حل هذه المشاكل بالتفاهم بين الأطراف المعنية.

والعرب السنة ينظرون إلى تجربة إقليم كردستان، وازدهاره بسبب حكمهم الحر لهذا الإقليم ونجاحهم في إدارته وتقدمه في كل المجالات السياسية والعمرانية والاقتصادية والأمنية على أنها النموذج الفريد للحكم الذاتي ويتطلعون إلى الاحتذاء بهذه التجربة الرائدة، ومما أكسب هذه التجربة رضا وإعجاب أبناء السنة أنها أصبحت ملاذاً ومأوى لقطاعات كبيرة من أبناء السنة العرب المتلهفين للعيش بأمان واستقرار ورفاهية، فاستقطب إقليم كردستان أعداداً كبيرة من الأطباء والأكاديميين والتجار ورجال الأعمال

(♦) كاتب عراقي.

محترمين لإصدار فتاوى تحرم الدعوى للأقاليم،

فقبلت هذه الفتاوى بردة فعل من علماء آخرين استهجنوا هذه الفتاوى غير المدروسة والتي لا تستند على حقائق الشرع والمصلحة العامة لجمهور أبناء السنة، فالنظر إلى مصالح الأمة هو المقصد الأساسي للشريعة الإسلامية، وإقامة الأقاليم تضمن تحقيق تمسك الأمة بهويتها الإسلامية السنية.

والأقاليم ليست بدعة من البدع، فالدولة

الإسلامية منذ تأسيسها كانت قائمة على فكرة الأقاليم، فالإمارات والولايات الإسلامية هي ما يعبر عنه الآن بالأقاليم، ولكن إمارة أو ولاية حدود وعامل يقوم بإدارتها ويرتبط بالمركز سواء أكان المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد والآن كثير من الدول الحكم فيها فيدرالياً كأمريكا وأوروبا وآسيا، وخاصة الدول التي فيها مشاكل عرقية أو دينية أو مذهبية.

ويبدو لي أن الذين يعارضون إقامة

الفيدرالية في العراق لم يقرؤوا الدستور العراقي

أو لم يفهموا مضمونه إذ أن الدستور يحتوي على نصوص صريحة تُقر الأقاليم الفيدرالية وأرى أن حل المشكلة العراقية لا يمكن حلها إلا بالتوافق على إقامة الأقاليم، والحراك القائم في المحافظات السنية سينتهي عاجلاً أو آجلاً إلى قرار يمنح المحافظات السنية تشكيل الأقاليم لأن الحكومة المركزية لن توافق على مطالب هذه المحافظات وأنها سوف تسوّف وتراوغ وتسعى بكل ما تستطيع من وسائل لإفشال هذه الاعتصامات، وأبناء السنة المظلومين لن ينهوا اعتصاماتهم إلا إذا تحققت مطالبهم، فالوضع العراقي شائك والفجوة كبيرة بين الحكومة والمعتصمين وحل المشكلة سيكون بطريقة من ثلاثة طرق:

١- التقسيم، وهذا ما ذكره رئيس الوزراء

قبل أيام، وأبناء السنة من أحرص العراقيين على وحدة العراق.

٢- المجابهة المسلحة أو ما يسمى بالحرب الطائفية وهذا ما أشار إليه رئيس الوزراء في خطاب سابق، وهذه كارثة مدمرة ليس فيها رابح، فالكل سيخسر.

٣- الإقرار بتشكيل الأقاليم ومنح المحافظات السنية هذا الحق الدستوري، وهذا هو الحل الذي يضمن حقوق المحافظات السنية، ويضمن وحدة العراق ويحافظ على هذه الوحدة، ويبقى السنة ضمن العراق الموحد، وذلك لوجود أربع ضمانات هي:

❖ الدستور الذي يخضع له جميع العراقيين على مختلف أعراقهم ومذاهبهم ودياناتهم.

❖ والجيش الموحد بشرط أن يطبق التجنيد الإلزامي الذي كان سائداً منذ تأسيس الدولة العراقية.

❖ الميزانية الموحدة الموزعة على المحافظات بحسب النسب السكانية، كما كان معمولاً به منذ تأسيس الدولة العراقية.

❖ تمثيل العراق في الدول الأخرى، وقد أباح الدستور للأقاليم بأن يكون لها ممثلون في كل السفارات.

وأعتقد جازماً أن المعتصمين في نهاية الأمر

سيدعون إلى إقامة أقاليم لمحافظاتهم،

وستضطر الحكومة الحالية أو القادمة التي ستشكل سنة ٢٠١٤م إلى الاستجابة لهذا المطلب الدستوري، وعند ذلك سيستقر العراق ويبدأ مرحلة جديدة يسودها الأمن والتقدم والإخاء والمساواة والعدل والمحافظة على هوية جميع مكونات الشعب العراقي.

وبعد هذه التوطئة المطولة أحب أن أعالج

أمريين، الأول: فوائد إقامة إقليم أهل السنة، وإن شئت سمّه (إقليم وسط العراق)، والثاني: إزالة الشبهات العالقة في أذهان جمهور من أبناء السنة الذين يعارضون إقامة هذا الإقليم السني أو إقليم وسط العراق.

تتصدى له.

ولا بد من الوقوف في وجه دعاة الطائفية
المرتبطتين بأجندات خارجية مناهضة لتاريخ الأمة
وتراثها الممتد إلى مئات السنين.

وهناك من أبناء السنة من يتخوف من قطع
الحصص المالية المخصصة للإقليم من قبل
المركز، لأن الميزانية العامة محصورة بيده بموجب
الدستور العراقي، والعراق بلد نصف موارده المالية
في أغلبها محصورة بالموارد النفطية، والمركز إن
فعل هذا سيخالف الدستور الذي ينص على أن
موارد النفط والغاز والمعادن المكتشفة هي ملك
لجميع العراقيين، فالمركز إن ارتكب هذا الأمر
المخالف للدستور فعلى الإقليم أن يقف بوجهه،
ويتبع كل الأساليب المشروعة لإرغامه على دفع
المستحقات المالية للإقليم، ويمكن الاستعانة بالأمم
المتحدة والجهات المعنية بحقوق الإنسان والجامعة
العربية وكل المنظمات الدولية لتحقيق العدل
ولإرغام الحكومة المركزية على الاستجابة لهذا
المطلب الدستوري الذي يوجب على المركز دفع
المستحقات المالية للإقليم.

ولنا أسوة حسنة بإقليم كردستان، فالمركز
على الرغم من خلافه مع الإقليم، لم يستطع أن
يقطع الموارد المالية المخصصة له في الميزانية العامة،
وهناك وسائل ضغط مشروعة يمكن أن يقوم بها
الإقليم، فالموارد المائية تأتي عبر المحافظات
السنية، فدرجة والفرات يدخلان عبر هذه
المحافظات، والسدود المائية كلها في المحافظات
السنية، فسد الموصل وسد سامراء والثرثار وبحيرة
الحبانية وسد الورار وسد حديثة كلها في
المحافظات السنية، فضلاً عن أن مناجم الكبريت
والفوسفات والزجاج والغاز كلها في هذه
المحافظات، والمنافذ الحدودية مع تركيا وسوريا
والأردن والسعودية تمر من خلال أراضي هذه
المحافظات السنية.

وتمتاز محافظة الأنبار بوجود حقول نفطية
غير مكتشفة، والدراسات عنها محفوظة وجاهرة

ونحن دعاة الأقاليم أخشى ما نخشاه إذا بقي
الحكم المركزي ذو النهج الطائفي المشدود
بقوة إلى تحويل الهوية العراقية من هوية سنية
إلى هوية شيعية بموجب الأكاذوبة التي روج لها
الأمريكان وإيران ودعاة الطائفية أن السنة أقلية
وأن إسناد الحكم للشيعية أمر تفرضه الديمقراطية
المزيفة التي أراد الأمريكان أن يفرضوها على
العراق، فإقامة الإقليم السني ستعمل على المحافظة
على الهوية السنية لمحافظاتنا، بما يقرره الدستور
من صلاحيات تشريعية وتنفيذية وقضائية لهذا
الإقليم، ويأتي في مقدمتها الحفاظ على المناهج
الدراسية في التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي في
الدراسات الأولية والعليا.

والمحافظة على الهوية الإسلامية العربية
السنية من أهم مقاصد هذا الإقليم، ونحن
نلاحظ الآن هجمة طائفية شرسة على تاريخ أمتنا
الإسلامية، والطعن برموزنا التاريخية ابتداءً بأبي
بكر الصديق وعمر وعثمان وعائشة أم المؤمنين
ومعاوية وبنو أمية وسائر الصحابة وعظماء الأمة،
فجميع هذه الرموز التاريخية عرضة للطعن والسب
والازدراء، فتشويه التاريخ الإسلامي مقصد مهم
عند المرجعيات والأحزاب الشيعية، بل حتى عند
عامة الشيعة المنقادين لمرجعياتهم وأحزابهم.

وهناك هجمة واسعة يقودها وزير التعليم
العالي الشيعي الحالي تهدف إلى تغيير المناهج
الدراسية بالاستعانة بالجارة إيران لطبع آلاف
الكتب التي تتبنى نظرة التطرف الشيعي، وإحلالها
محل الكتب الدراسية المعمول بها منذ تأسيس
الدولة العراقية في المدارس والجامعات في بغداد
وسائر المحافظات، وإن تم ذلك وهو سيتم حتماً
سيحدث تغييراً أيديولوجياً في ذهن الطلبة عامة من
الابتدائية والثانوية والجامعية، وهذه كارثة يجب
التصدي لها، وإن إقامة الإقليم السني هو جزء مهم
من هذا التصدي، فالحفاظ على الهوية السنية في
جميع مراحل التعليم أمر ضروري وواجب ينبغي على
قيادات أهل السنة الدينية والسياسية والعشائرية أن

وهذه المحافظة غنية بالمعادن غير المكتشفة، وإذا تحقق الإقليم السني وإن شئت سمه بإقليم وسط العراق سيكون ملاذاً لجميع العراقيين المشردين والمهمشين والمبدعين في دول الجوار والدول الأخرى وفيهم خبرات عسكرية وأكاديمية وطبية ورجال أعمال وأصحاب رؤوس أموال ضخمة سيرفدون الإقليم السني، إن تحقق بقوة بشرية متميزة وسيحدثون نهضة عمرانية وعلمية، وهذا سيعم فضله على كافة أرجاء العراق، وليس على الإقليم السني وحده.

وهناك تخوف يبيده كثير من العقلاء من أن يحدث صراع بين المكونات العشائرية في الإقليم ولا سيما في محافظة الأنبار، وهذا التخوف لا مسوغ له إطلاقاً فالعشائر الأنبارية متأخية وترتبط بروابط التعايش الأخوي ولم يحدث بينها أي نزاع قبلي منذ تأسيس الحكم الوطني في أوائل القرن الماضي، قد يحدث تنازع سياسي يقوده بعض المنتفعين، ولكن الوعي السياسي والثقافي سيؤد أي انزلاق نحو الصراع القبلي أو الحزبي، وصناديق الاقتراع هي الحكم الفصل فيمن سيصل إلى إدارة الإقليم، إن تحقق، ولا بد من نشر الثقافة والتوعية لهذا الإقليم بنشر المطويات والنشرات والبيانات التي توضح أهمية هذا المشروع الفصلي وتدعو له، والإفادة من الفضائيات المعتبرة لنشر ثقافة عامة بين أبناء السنة المؤيدين والرافضين له على حد سواء ولا بد من تشكيل مجموعة عمل لدراسة هذا المشروع والعمل له، والتشاور مع العلماء الشرعيين لإزالة الشبهات العالقة في أذهانهم بصدد هذا المشروع الذي هو في حصيلته سينقذ ما تبقى في العراق من أبناء السنة المهددين بالتطرف الشيعي.

وإن لم يتدارك أبناء السنة في العراق وضعهم الأساوي سيكون مصيرهم مثل مصير سنة إيران الذين ذابوا من سنوات بعيدة تحت مطرقة التشيع

الزاحف والمدعوم من قبل إيران وأموال إيران الساعية إلى نشر المذهب بكل الوسائل وخاصة المال والدعاية النشطة مقابل غفلة البلدان السنية المشغولة بمشااكلها الداخلية والخائفة من الحركات الشعبية المتأججة في بلدانها، ولا بد من صرخة قوية توقظ الحكام المسلمين من أبناء السنة تدفعهم للتعاون والوقوف في وجه هذه الهجمة الشرسة على أهل السنة.

ويشير قسم من الإخوان السنة المخلصين المشاركين في العملية السياسية أو الرافضين لها من أنه إذا قامت الأقاليم سيتعرض أبناء السنة في بغداد ومحيطها لمخاطر جمة، وستنفرد بهم الميليشيات الشيعية والأحزاب الشيعية والحكومة في المركز لمضايقات قد تصل إلى الإبادة، ولهذا فليس من مصلحة السنة أن تقام الأقاليم فهذه الحجة واردة، وإنني على كثرة صلتي بأهل بغداد لم أجد أحداً منهم أبدى أي اعتراض، بل أغلبهم إن لم أقل كلهم يرحبون بإقامة إقليم لهم، وعلى أقل تقدير إقليم الأنبار الذي هو امتداد لبغداد، وأحب أن أقول لهؤلاء المشككين إن السنة العرب مشاركون في العملية السياسية ولهم نواب في البرلمان العراقي ولهم وزراء في الحكومة العراقية وهم أقوياء ويناضلون من أجل الدفاع عن السنة بكل قوة وجسارة، وفيهم من تعرض للإقصاء والتهميش بل الملاحقة القانونية وصدرت أحكام متعسفة ضدهم.

والسجون والمعتقلات تغص بعشرات الآلاف من أبناء السنة بل مئات الألوف، ولكننا في الوقت نفسه لم نسمع أن كردياً واحداً قد اتهم بجريمة سياسية، ولم يلق القبض على أي كردي بتهمة المادة أربعة إرهاب، فما الفرق بين الحالتين، والكرد والعرب متساوون في المشاركة السياسية فلماذا التعسف والكيد كله موجه للعرب السنة

ولم ينل شيء من ذلك الأخوة الكرد مع أن خلافهم مع المركز أعنف من خلاف العرب السنة.

هذا الفرق في التعامل آتٍ من أن للكرد إقليماً يدافع عن إخوانهم في بغداد وغيرها داخل الإقليم وخارجها، فلو أن السنة إقليماً يملك قوة إرادة وقوة عسكرية وحكومة منضبطة متماسكة تدافع عن أبناء السنة داخل الإقليم وخارجها، لكان من الممكن والمستطاع المحافظة عليهم باعتبارهم مواطنين منتمين إلى العراق ولما وقع الظلم عليهم ولما تحكم بهم الحكام الجائرون المستبدون ولتمكنوا من المحافظة على هويتهم العربية الإسلامية السنية. وربما يحدث خلل أو صراع في بدء تشكيل الإقليم، صراع تنافس سياسي أو حزبي لكن لن يصل في أي حال من الأحوال إلى صراع دموي كما حدث لإخواننا الكرد في تسعينيات القرن الماضي ولكن على الرغم من ذلك توحد الكرد وزال الخلاف بينهم.

وإذا تم للعرب السنة إقامة إقليم لهم فمن المرجح أن تجري توافقات سياسية أو اقتصادية أو علمية وتبادل منافع أو تجارب مع إخوانهم الكرد الذين يشاركونهم في مشتركات كثيرة على رأسها الأخوة الإسلامية والمذهبية والتاريخ المشترك.

وهناك عقبة كبيرة تقف في وجه الإقليم السني، أو إقليم وسط العراق أو غرب العراق هو تعسف الحكومة المركزية فستمنع الحكومة المركزية وتراوغ في إعطاء هذا الحق الدستوري لأبناء السنة وهذا يمكن التغلب عليه أولاً، بالإصرار عليه، ورفع الصوت عالياً للمطالبة به، ويقع جانب كبير منه على ممثلي السنة في مجلس النواب والمشاركين في الحكومة.

ثانياً: يمكن الاستعانة بالأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الدول الإسلامية وجمعيات حقوق الإنسان في العالم للمطالبة بالضغط على الحكومة العراقية لتستجيب لهذا المطلب الدستوري

بعد أن يستنفد أبناء السنة كل الطرق المشروعة للحصول على هذا الحق الدستوري الديمقراطي.

وهناك تخوف بيديه قسم من النشطاء السياسيين من أن الحكومة المركزية قد تسعى إلى ضم قسم من المحافظات السنية إلى حكومة المركز مثل مدينة سامراء بحجة وجود مرقد علي الهادي والحسن العسكري فيها، وهذه الحجة باطلة فمدينة سامراء مدينة سنية، والمرقدان منذ وجودهما في عهدة أبناء السنة من أسر سامراء، يتوارثونهما منذ مئات السنين وقد حافظوا على رمزيتهما ولم يحولوا بين أبناء الشيعة من العراقيين وغيرهم من زيارتهما، ويجدون من أهل سامراء كل ترحيب ورعاية.

وسامراء ضمن محافظة صلاح الدين وأي تغيير في الحدود الإدارية غير ممكن، وأهل سامراء سيدافعون عن ارتباطهم بمركز محافظة صلاح الدين بكل ما يستطيعون من قوة سياسية وعشائرية، ولم تستطع الحكومة أن تفعل ما يخالف إرادة العشائر السامرائية القوية الثابتة المدافعة عن هويتها الإسلامية السنية، والحراك السلمي في المحافظات السنية.

وبعد تسويق الحكومة ومراوغتها وعدم استجابتها لتحقيق مطالب المعتصمين الدستورية، ستعمل اللجان الشعبية والتنسيقية المشتركة بإعلان إقامة هذا الإقليم الذي هو حق دستوري وديمقراطي. وعلى أبناء السنة أن يوحدوا صفوفهم ويبقوا متمسكين بمطالبهم المشروعة وأن يكون تحركهم سلمياً وأن يبعدوا المندسين من صفوفهم والداعين للمواجهات التي لا تخدمهم ولا تخدم العراقيين كافة، والله يثبتهم على الأمن والإيمان ويحقق على أيديهم كل الأهداف السامية التي يدعون لها. والله أسأل أن يطهر العراق من المستبدين والمفسدين والحمد لله رب العالمين.

خندق بحر الخليج..

مصدّات مذهبية على تصدّعات سياسية (١)

د. عادل علي العبد الله^(٢)

تحاول هذه الورقة^(١) الاطلاع على جانب من جدلية العلاقة الجيوسياسية على ضفتي بحر الخليج العربي بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومنظومة مجلس التعاون الخليجي، في ظروف التغيرات الإستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط، ومحاولة الولايات المتحدة إعادة هندسة سياستها تجاه هذه المنطقة من العالم منذ عام ٢٠١٠، وبروز حالة التّفوّّل الإيراني بعد هيمنتها الواضحة على العراق وسوريا ولبنان، وتحوّلها إلى قلق مستفز لحكومات وشعوب المنطقة.

مدخل

تحتاج جدلية العلاقة الجيوسياسية على ضفتي بحر الخليج العربي بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومنظومة مجلس التعاون الخليجي إلى بيانات وتوضيحات وتعليقات متواصلة لكون العلاقة متحفزة وغير مستقرة منذ إعلان الثورة عام ١٩٧٩م، فالأولى (إيران) إيجابية متحفزة والثانية (الخليج) سلبية ساكنة، ومع صعوبة الإمام - توصيفا وتحليلا - بجميع الزوايا الحادة في تلك العلاقة المضطربة طيلة ثلاثين عاما من عمر الجغرافيتين التي يتم تسليط الضوء عليها بشكل كبير في هذه الفترة الحرجة من تاريخ منطقة ما يُعرف بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا (MENA).

والإجابة على التساؤل الحرج: كيف نتعامل مع طبوغرافيا السياسة الإيرانية، على أساس أن ضفتي الخليج من المفترض أن تكون من أهدأ

(♦) كاتب وباحث بحريني.

(١) أصل الفكرة ورقة قدمت في ورشة حول «المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية»، بالقاهرة في ١٤ - ١٥ أكتوبر ٢٠١٢ بدعوة من مركز أمية للدراسات الإستراتيجية.

مناطق العالم وأكثرها ازدهارا بالنظر إلى حاجة العالم الملحة لتدفق الطاقة المكنوزة تحتها دون تقلبات أو صراعات قد تصعد بتكلفة استخراج برميل النفط، وتؤدي إلى تضخم اقتصادي في الغرب يتبعه انهيار حكومات واضطرابات اجتماعية وتقلبات سياسية غير محمودة أو متوقعة النتائج، وهي نظرية عملت بها الولايات المتحدة الأمريكية منذ أن أعلن الرئيس أيزنهاور مبدأ الدعامتين (Twin Pillar) عام ١٩٥٧، لتأمين حدود الاصطفاف العالمي ثنائي القطبية ضد الاتحاد السوفييتي.

لكن فرض الانهيار الاقتصادي نهاية ٢٠٠٨ مجموعة مُغايرة من التحديات الخطرة أمام دوائر التفكير وصناعة القرار في العقلية الحاكمة على زمام أمور العالم المعاصر، فشهدت منطقة الشرق الأوسط تغييرا على المستوى الجيوسراتيجي، وبمحاولة الولايات المتحدة إعادة هندسة سياستها تجاه هذه المنطقة من العالم منذ عام ٢٠١٠ على أساس أنه:

● لم تعد مصر والأردن الدول الرئيسة لصياغة السياسات الإقليمية، بل سرعان ما سيخرجان من النظام الجديد الذي يتولّد حديثا في الشرق الأوسط.

● وتحولت المملكة العربية السعودية إلى عبء أكثر من كونها رصيда بالنسبة للولايات المتحدة، بسبب الهوية الوهابية التي هي سبب ضعفها، في حين يبقى أمنها واستقرارها على قمة الأولويات.

● ما زالت إسرائيل القوة الإقليمية الأبرز، رغم ضعفها النسبي، بسبب ظهور بيئة إستراتيجية غير متكافئة في المنطقة.

● كانت إيران نائمة نسبيا من ١٩٧٩ إلى ٢٠٠٤، لكنها منذ ٢٠٠٥ أخذت تلعب دورا إقليميا لا يُستهان به، ومشاريع نفوذها في جميع أنحاء الشرق الأوسط وآسيا الوسطى ومناطق أخرى من العالم.

وتركيا وإيران، وهذه الورقة معنيّة بالأخيرة (=إيران) وعلاقتها بالشريك المقابل على الجهة الغربية من بحر الخليج، الذي لم يهدأ منذ قيام الثورة المذهبية، ولعلها السبب الأرجح لميلاد منظومة التعاون الخليجية على الصيغة التي ولد عليها، وربما بصورة نسبية - سببا منطقيا لتغليب الصفة الأمنية على التنمية لتلك المنظومة.

التاريخ كمقدمة

لم يشهد الخليج العربي حالة استقرار تنموي مستمرة بسبب موقعه الإستراتيجي وموارده الطبيعية، التي كانت مجالا للتنافس والصراع عبر تاريخه الطويل، وفي كل تلك المراحل كانت إيران حاضرة في مشهد «الصراع» وليس «الاستقرار»، وبخاصة في التاريخ الحديث منذ مجيء المستعمرين البرتغاليين بعد الكشوفات الجغرافية، وصراعمهم مع الأتراك والقوى المحلية، ثم توجه الإمبراطورية الصفوية إلى المنطقة ودخول القوى الأوروبية بعد الثورة الصناعية، كالبرتغاليين والهولنديين ومن ثم انفراد بريطانيا بالهيمنة على بحر الخليج وجزره وموانئه.

سجلت الأحداث التي كانت تجري على مياه الخليج وشواطئه صعودا وهبوطا وتقدما وتأخرا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، وفي كل صورة من صورته توجد «نافذة إيرانية» تُطلُّ من هنا أو هناك بسبب الجوار الجيوسياسي، وتُفحص أحداث الماضي وتجاربه يعكس مدى تأثيرها في الحاضر، وهي دروس لا بد منها للمستقبل^(٢).

ففي الجانب الاقتصادي لعب التجار المحليون دورا مهما في نقل التجارة قبل النفط عبر بحر الخليج العربي، الذي يعد مجالا حيويا للنشاط التجاري، وأحد ذراعي المحيط الهندي، الذي حملت مياهه موارد البلاد العربية وشرق أفريقيا وشبه القارة الهندية إلى العالم والعكس، فكانت فترة

كانت تركيا طيلة عقود العلمانية تُيمم وجهتها إلى أوروبا (مع كونها حليفا قويا لإسرائيل)، إلا أنها غيّرت وجهتها في السنوات الأخيرة إستراتيجيا بالتركيز على منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى بدلا من أوروبا، كما أنها استعادت هويتها الإسلامية وجعلتها أساسا لإستراتيجيتها الجديدة للأمن القومي، وبرهنت على أنها لاعب إقليمي جديد فاعل ومستقل.

توثيق العلاقات الإيرانية التركية سرعان ما يجعل من البلدين مفتاح صناعة الرأي العام والقوة للمسلمين (شيعة وسنة) في المنطقة.

• للصين طموحات عالية، وقد تصبح القوة العظمى على المدى البعيد بحيث تنافس الولايات المتحدة بطرق لم يتمكن الاتحاد السوفييتي من بلوغها في ذروة مجده، وهي تسعى بقوة لتأمين اتفاقيات النفط والغاز في منطقة الشرق الأوسط التي يسيطر عليها المسلمون إضافة إلى وسط آسيا^(١).

إن الولايات المتحدة الأمريكية مقتنعة أن وجودها العسكري المكثف في منطقة الشرق الأوسط لا بد له من نهاية قبل مرحلة الاستنزاف، كما أن بروز قوى إقليمية كإيران وتركيا إلى جانب إسرائيل، وتغيّر معادلات التوازن الإقليمية بسبب الثورات العربية نهاية عام ٢٠١٠، كان المسمار الأخير في نعيش «الشرق الأوسط القديم»، وبدء مخاض ولادة «الشرق الأوسط الجديد»، ما يعني أن عرّاب السياسة الدولية سيفعل كل ما في إمكانه للحفاظ على مصالحه الحيوية والإستراتيجية في المنطقة.

على هذا تتحصر برامج مستقبل «الشرق الأوسط الجديد» بين دوائر نفوذ ثلاث هي: إسرائيل

(١) لخصت مجموعة الاتصال الدولية [www.capcomgroup.com] في مقالين النظرة الأمريكية وطريقة تفكيرها تجاه القضايا المفصلية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أولهما بعنوان: The Real New Middle East Order، وثانيهما بعنوان: Oil Security at Risk - بقلم أكرم إلياس، أكتوبر ٢٠١٠.

(٢) يراجع: عبدالمالك التميمي: النهوض والهبوط في تاريخ منطقة الخليج العربي، مجلة العربي (العدد ٤٥٨، مايو ٢٠١٠).

صعود ونهوض عندما لعب قطاع مهم من سكان المنطقة دورا في التجارة العالمية آنذاك.

ومع وصول الشركات الأوروبية التجارية، وعملها على منافسة واحتكار أنشطة المنطقة أدى إلى تهميش دور التجار، فأخذ دورهم في التدهور بفعل تخلف الوسائل ومحدودية التمويل مقارنةً بمنتجات الثورة الصناعية على وسائل النقل البحري والرساميل الأوروبية للمتطفل الجديد، إلى جانب مصادرتها - تحت حماية البارجات الحربية -

لدورهم، فكانت المحطة الأولى لتمرکز تلك القوى الأجنبية جزر الإمبراطورية الصفوية على باب مضيق هرمز، التي منحها «عباس شاه» الامتيازات التجارية، ومكّن لها التحكم في المضائق والممرات المائية في بحر الخليج؛ تدعيما لوضعه السياسي، وقطعا لطريق الأسطول العثماني في بحر الخليج، لكن التحركات الصفوية أثرت على الصناعات الحرفية المحلية أمام المنتجات الصناعية للدول المتقدمة، فسجلت هبوطا لم يقابله نهوض في مجالات اقتصادية أخرى، فتحوّل سكان الخليج إلى سوق استهلاكية مفتوحة لمنتجات الآخرين الصناعية.

أما العصر النفطي فقد شهد نهوضا وهبوطا اقتصاديا في آن واحد؛ كان النهوض في استخدام جزء من عائدات النفط في البنية التحتية والمدنية، وارتفاع مستوى معيشة الفرد، وبروز صناعات لمشتقات النفط، لكن الضريبة كانت اتساع الهوة بين ثلاث طبقات مجتمعية: الأغنياء والوسطى والفقراء، مع تدني جودة الصناعات الوطنية وعدم حمايتها، إلى جانب هدر الثروات الوطنية والموارد الطبيعية، وعدم وجود إستراتيجية اقتصادية على مستوى البلد الواحد وعلى مستوى المنطقة، والدور الثانوي لطبقة التجار في عجلة الاقتصاد الذي لا يتعدى دورهم كوكلاء للشركات والمصنوعات المستوردة، فضلا عن حلم السوق الخليجية المشتركة الذي لم يتحقق طيلة ثلاثة عقود بعد قيام تعاونية الخليج، وأيضا كانت «إيران الشاه»

حاضرة في المشهد بمنافستها النفطية الشديدة، ومحاولة عرقلة قيام اتحاد سوق نفطي لدول الخليج، عبر استخدام نفوذها كشرطي للخليج آنذاك، والممثل للرأسمالية الأمريكية، ومحاولة إقصاء المملكة العربية السعودية - التي دخلت بقوة وثقل - لتكون هي شريكا للشاه للمصالح الأمريكية في المنطقة.

أما الجانب السياسي فقد تعرضت منطقة الخليج العربي عبر تاريخها إلى موجات استعمارية استهدفت ثرواتها وموقعها الإستراتيجي، فجاء الأوروبيون ليتنافسوا ويتصارعوا على مياهه وأرضه منذ القرن السادس عشر بدءا بالبرتغاليين ومرورا باحتكار الإنجليز - وهذه كلها كانت تنطلق من مقر المعتمد / الوكيل التجاري المقيم في بوشهر أو بندر عباس - وانتهاء بالأمريكان الذين فضّلوا الساحل الغربي من الخليج بعد المرحلة البهلوية.

فعلى المستوى السياسي كانت تلك الفترات مراحل تدهور وهبوط في أوضاعهم السياسية، بيد أن القوى المحلية من ياربية وبوسعيدين والقواسم والخليفة قد لعبوا دورا في مواجهة تلك القوى، وكانت فترات المقاومة العربية في المنطقة فترات نهوض وصعود مثلتها تلك المقاومة، على الرغم من إمكاناتها المحدودة وغير المتكافئة مع إمكانات القوى الاستعمارية.

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك النهوض والصعود قد شابه الكثير من النكوص والتشويه عندما قام الصراع بين تلك القوى المحلية؛ مما فتح الباب لتسلل القوى الأجنبية واستغلالها للأوضاع وتأليب طرف ضد الآخر، وكان لـ «نادر شاه» نصيب الأسد في تلك الفترة من الهجمات بالسفن الهولندية على الجزر وشبه الجزر العربية بقصد الاحتلال والهيمنة، ومن ثم الانتداب والهيمنة الإنجليزية على ضفتي الخليج، أعقبها تدخلات الحماية الأمريكية، ودخول المنطقة بأسرها مرحلة «الفوضى الخلاقة».

وبدخول العصر النفطي في الربع الأول من القرن العشرين تهيأت لها الظروف لتتحول المشيخات

الكلاسيكية إلى دول عصرية، ومن مقومات الكيان السياسي السيطرة على مصادر الثروة في كل بلد من بلدان المنطقة، وتوجيه عائداتها نحو التنمية، وأن ذلك قد شهد أيضا نموا وهبوطا، فقد ظلت العقلية العشائرية تسحب نفسها على الأوضاع بعد قيام الدول، لكن المنطقة شهدت تفاعلا سياسيا إيجابيا فيما بعد قيام الدولة والاستقلال بالانتقال من الإمارة إلى الدولة، ومن المجتمع القبلي التقليدي إلى المجتمع المدني المعاصر القائم على المؤسسات، وشهدت هذه الدول الناشئة في المنطقة صعودا وهبوطا في نهجها وممارستها السياسية.

لقد كانت إيران في عمق المشهد السياسي في المنطقة بعد مرحلة الثورة الخمينية، فقد عاشت القوى السياسية الخليجية مشكلات فكرية وأيديولوجية شكلت ترددات هبوط مزمن، بل لم تتضج بعد إلى الحد الذي يمكنها من أن تساهم في التطور السياسي في المنطقة، ودون أن ننفي الوعي السياسي الشعبي الذي يمثل ظاهرة إيجابية، فقد عملت القوى السياسية اليسارية التي يغلب عليها التوجه الماركسي أو التشيع على الاندغام والتواء مع حركة الثورة الخمينية بداية، فعملت على نشر الفتنة في نسيج المجتمعات الخليجية باسم المذهبية والطائفية، والمظلومية التقليدية للعقل الجمعي الشيعي.

وأما الجانب الاجتماعي، فأساسه في منطقة الخليج العربي - عبر التاريخ - «القبيلة» وأدواتها السياسية، وهي مؤسسة اجتماعية لعبت دورا محوريا في المحافظة على كيانها ومصالحتها، لكن منطق الواقع المتبدل فرض عليها التحول المتناقل من «مبدأ القبيلة» والحكم العشائري إلى «مبدأ الدولة» ومؤسساتها القانونية، والابتعاد التدريجي عن كثير من القيم والعادات والسلوك القبلي على أساس فردي (العصبية القبلية، والفكر القبلي التقليدي)، حتى قبيل مرحلة النفط، فكانت تتجه نحو المجتمع المدني المؤسسي الحديث في مجال التجارة البحرية والبرية، والعمل

الجماعي التطوعي في مواجهة الأزمات والكوارث، كما كانت النخب المتعلمة المثقفة في هذا المجتمع تؤطر نفسها في مؤسسات أهلية تطوعية، مثل المدارس والجمعيات والنوادي، إلى أن جاءت عائدات النفط الوفيرة لتتحمل الحكومات مسؤولية الإنفاق على مجالات البنية التحتية، فنشأت المؤسسات الحكومية أو الأهلية المدعومة من الحكومة، ومرة أخرى كانت النافذة الإيرانية مفتوحة على النسيج المجتمعي، من خلال المحاضن الدينية والتربوية، والأعمال الخيرية والتطوعية، فحضر خطباء ووكلاء «ولاية الفقيه» الخندق الطائفي في جسد المجتمع الواحد، فلم تُعد البحرين والكويت وشرقية العربية السعودية، فضلا عن العراق، ينعّم بالانسجام المجتمعي الذي كان واقعا ملموسا قبيل الثورة الخمينية نهاية سبعينيات القرن الماضي، وأخذت الجامعات الشيعية تفصل نفسها عن المجتمع السني بمؤسسات مجتمع مدني خاصة بها، في عملية «إحلال» رابطة الطائفة محل رابطة الوطن، و«إبدال» رابطة المذهب مكان رابطة الأمة أو القبيلة.

جاءت عملية «الإحلال والإبدال» في وقت تواجه الوحدة المجتمعية الخليجية خلا ديموغرافيا أفرزته حقبة النفط، فالخليج يواجه انفجارا في السكان الوافدين من غير العرب؛ إذ الأصل أن التكوين السكاني لمنطقة الخليج العربي معظمه من المهاجرين من المناطق المجاورة عبر فترات زمنية متفاوتة وطويلة نسبيا، أحدث اندماجا سكاني فرضته ظروف الحياة التي عاشتها شعوب المنطقة، وقد كان عدد السكان قبل النفط مناسباً في حدود الموارد المتاحة حينها، والمعتمدة على بيئتي البحر والصحراء.

أما في العصر النفطي فالأمر اختلف بعد أن شهدت المنطقة نهضة شمولية؛ إذ قفز حجم السكان إلى أرقام مرعبة، بسبب فائض العمالة الرخيصة مؤهلة كانت أو غير مؤهلة، حتى زاد عدد الوافدين على المواطنين، وأصبحت المشكلة

السريع إلى مجتمع استهلاكي مُترهل، وتوافر ثروة وكماليات شغلت الجيل الناشئ عن التأصيل الثقافي، وجعلت اهتمامه يتركز على مادية الحياة واللذة العاجلة، مع تسطيح ثقافي وضعف معرفي أسهمت فيه الحكومات الخليجية نفسها، ومن ثم تهميش لدور الثقافة في تنمية الفرد، ماعدا قلة من المثقفين الذين استطاعوا أن يحضروا طريقهم - وفي الأغلب بجهودهم الذاتية - ليكونوا مثقفين حقيقيين، يبذلون جهودا غير عادية في التثوير وسط واقع لا يعي أهمية الثقافة وخطورتها في بناء المجتمعات وتطورها.

لقد نجحت إيران فعلا في خلق ثقافة موازية جديرة بالتبني من الشباب المنتمي إلى التشيع الولاياتي (=من الولاية): لأنها جعلت من الثقافة ترسًا أصيلا في عملية النهضة الشيعية الشاملة، تحت مظلة الولي الفقيه وقيادته، فكانت الثقافة طريق إعادة صياغة الشباب الخليجي الشيعي، وكانت صناعة «الهوية الشيعية» هي القضية التي يحيا عليها الشباب ويموت، فسقطت بهذا «الهوية القومية» ومعها «الهوية الوطنية» التي كابدت حكومات الخليج لزرعها في النشء منذ استقلالها مطلع السبعينيات.

دفع قهري لا اختياري

عند فحص حركات التعاون والتسسيق الخليجي يُكتشف أن المحرك الفعلي لمختلف مستوياته (تسيسي، تعاوني، تكاملي، اتحادي) يصدر عن تهديد أمني وجودي مُوجّه ضد الأنظمة الحاكمة وليس تنمويًا متمركزًا على المواطن الخليجي، وهذه حقيقة لا بد من جعلها نُصب العين لتصحيح القراءات الوصفية أو التحليلية المنتقدة لمسيرة التعاون الخليجي، وهي الخلاصة التي يخرج بها كل متابع لمسطرة تاريخ قيام دول مجلس التعاون الخليجي.

ففي ٢٦ مايو ١٩٨١ أعلن د. عبدالله بشارة للمجتمع الدولي من أبوظبي عن ولادة منظومة تعاونية جديدة في منطقة الشرق الأوسط عُرفت

السكانية تؤرق صناع القرار السياسي والاجتماعي في المنطقة، ولم تنس إيران هذه المشكلة التي كان لها ضلع في توجيهها واستثمار الأقليات الإيرانية الشيعية - أو الزُردشيتية المستترة بالتشيع - التي استوطنت الخليج لأغراض تجارية ومعيشية صرفة، فعمدت إلى تحويلها إلى جماعات يتم توظيفها لصالح مشاريع شعبية إبّان البهلوية الشاهنشاهية أو مذهبية مرحلة تصدير الثورة الخمينية، إلى جانب الموالين الشيعة من عرب الخليج، الذين تعتبرهم إيران من الطبقة الثانية في التصنيف العرقي والطبقي.

أما على المستوى الثقافي فقد تأثر بعوامل داخلية وخارجية مباشرة وغير مباشرة، ففي مجتمع الخليج العربي حدثت تطورات مهمة طيلة القرن العشرين والحادي والعشرين، كان لها تأثيرها الثائ في هذا المجتمع، ففي بداية النهضة في المنطقة التي صاحبت دخول التعليم الحديث، ومع تصدير النفط كان المتعلمون يمثلون النخبة المثقفة في المجتمع، وكانت طموحاتهم في تطوير مجتمعهم كبيرة، ربما فاقت إمكاناتهم، وتفوق حتى إمكان تحقيق حدها الأدنى، وهي بحكم طبيعة المرحلة وفكرها وظروفها كانت تطمح للنهوض والتطور لاختصار الزمن، وتعويض فترات التأخر.

والتقويم الموضوعي لمستوى الثقافة ودورها في نهضة مجتمع الخليج العربي يفرض علينا أن نقف على إيجابيات وسلبيات هذه القضية وهي مهمة وأساسية في نهضة الشعوب، وكانت النافذة الإيرانية المطلة على المشهد الثقافي تعتمد إلى ترسيخ مفهوم آخر خارج عن أسوار المواطنة أو الهوية العربية، بفرض أيديولوجيا التشيع بنسختها الصفوية، وإحلال ثقافة التمايز والمُغايرة الشاملة لأتباع الولي الفقيه عن غيرهم، واصطناع نماذج ثقافية لم تكن معروفة قبل الثورة الخمينية بين شرائح المثقفين العرب.

ولابد من الاعتراف بأن التحرك الثقافي الإيراني قد ملأ فراغا مُميتا أحدثه تحول المجتمع الخليجي

باسم (دول مجلس التعاون الخليجي)، والهدف المعلن لهذا المشروع هو «تطوير التعاون بين هذه الدول، وتنمية علاقاتها، وتحقيق التنسيق والتكامل والترابط، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات، وإنشاء المشاريع المشتركة، ووضع أنظمة متماثلة في جميع الميادين الاقتصادية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والتشريعية، بما يخدم مصالحها ويُقوي قدرتها على التمسك بعقيدتها وقيمها»، ولم يكن خافيا في البيان التاريخي آنذاك الهاجس الأمني جراء الوضع الإقليمي المتفجر بحُزْم من المفاجآت على ضفتي الجزيرة العربية.

فعلى ضفاف البحر الأحمر غربا تفجرت الخلافات مع جمهورية مصر العربية - زعيمة الأيديولوجية القومية - إثر اتفاقية كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل (١٧ سبتمبر ١٩٧٨) وما أفرزته الاتفاقية من تصدُّع الجبهة العربية بتعليق عضوية مصر من الجامعة العربية لعشر سنوات (١٩٧٩ - ١٩٨٩)، ومن ثم اغتيال الرئيس المصري أنور السادات بعد فترة وجيزة من إعلان مجلس التعاون الخليجي، وعلى ضفاف بحر الخليج شرقا في الفترة نفسها تهاوت المملكة الإيرانية بثورة شعبية أدت إلى الإطاحة بالشاه محمد رضا بهلوي وإعلان قيام دولة ثيوقراطية بزعامة مُلّا يميني هو روح الله الخميني (٢٤ أكتوبر ١٩٧٩)^(١)، ومن ثم اشتعال الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات (سبتمبر ١٩٨٠ - أغسطس ١٩٨٨).

فالعامل الأمني الإقليمي والمحلي هو المحرك الفعلي للعقلية الجماعية الحاكمة لتلك الدول الست، والتي تحولت اليوم إلى منظومة شبه أمنية، وغاب عنها - إلى حد كبير - أي شكل آخر من أشكال الاستقرار السياسي على الرغم من الحاجة

الدولية المتزايدة لاستمرار واستقرار تدفق نفط الخليج (أداة استقرار الدولار الأمريكي وهيمنته السوقية) ودعمه المالي الذي يفوق الخمسة تريليونات دولار عن طريق صناديقه السيادية في دول المركز (أمريكا وغرب أوروبا/ بريطانيا وفرنسا وألمانيا) إلى جانب صفقات الأسلحة الضخمة التي تبقى مصانع الأسلحة الغربية عاملة ومتفوقة.

الواقع أن منظومة دول مجلس التعاون الخليجي محكومة بوعاء زمني ممتد لأكثر من ثلاثة عقود، في ظروف إقليمية معقدة ومرتبكة، هيمنت عليها سياسة التطويق والتصدُّع من الشرق والغرب، حيث اندلعت الحرب العراقية الإيرانية شرقا، والاحتياح الإسرائيلي للبنان بعد تحييد مصر غربا، وقد استمرت الحرب العراقية الإيرانية ثماني سنوات، تبتعتها مباشرة صدمة اجتياح النظام العراقي لدولة الكويت (٢ أغسطس ١٩٩٠) والتدخل العسكري الأمريكي المباشر في الخليج لأول مرة في التاريخ في عملية عاصفة الصحراء (١٦ يناير ١٩٩١)، وكان إفرازا عمليا لنتائج تصدع وانهيار جدار برلين الذي أنهى عمليا مرحلة الحرب الباردة بين قطبي القوى العالمية (أمريكا -

السوفييت) ونقل العالم إلى مرحلة القرن الأمريكي الجديد المعروف دوليا بالنظام العالمي الجديد (New World Order) وتغيُّر موازين القوى لصالح أمريكا ودخول منطقة الخليج الغنية بالطاقة الحيوية للعالم تحت الوصاية الأمريكية الشاملة تحت ما يُعرف بدبلوماسية البوارج (Gunboat diplomacy).

وقد استمرت السيادة العسكرية الأمريكية على الخليج في ابتزاز القرار السيادي واستنزاف ميزانياته عبر حزمة عقود التسليح العسكرية طويلة الأجل، إلى جانب الضغط باتجاه الاندغام الاقتصادي التام عبر اتفاقية التجارة الحرة التي أعادت إنتاج المنظومة القانونية الخليجية لتتماشى والقوانين الأمريكية، فاختلفت الرغبة الخليجية للتكامل الاقتصادي فيما بينها لتغير الأولويات بين

(١) يؤرخ له الإيرانيون بثلاثة تواريخ: الهجري الشمسي ١٢ فروردين ١٣٥٨، والهجري القمري ٣ من ذي الحجة ١٣٩٩، إضافة للميلادي المشار إليه.

أحاد الدول الخليجية، وانسحب هذا على المنظومة الأمنية والقضائية والتعليمية والإعلامية، وما أن انتصف عقد التسعينيات حتى انفجر الفضاء الإعلامي بتقنيات البث الفضائي الحي وولادة العالم الافتراضي عبر الشبكة العالمية العنكبوتية، وتحول وسائل الاتصال والإعلام الخليجية إلى الفضاء الخلفي للإعلام والاتصال الأمريكي.

وما إن انتهت الألفية حتى صدمت المنطقة - كباقي العالم - بحادثة برجي التجارة العالمية (١١ سبتمبر ٢٠٠١)، وأصبح الخليج العربي - والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص - مسرحا متفردا لمحاربة ما عُرف في الإعلام السياسي والعلاقات والقانون الدولي بـ«الإرهاب»، الذي تحول فيما بعد إلى إسلاموفوبيا (=رهاب الإسلام) فافْتُتِحَت الألفية بالهجوم على أفغانستان طالبان بذريعة ضرب القاعدة (٧ أكتوبر ٢٠٠١)، تبعه الإجهاز على النظام العراقي بقيادة صدام حسين (٢٠ مارس ٢٠٠٣)، وكان للخليج العربي إضافة إلى إيران دورٌ مساندٌ ومُدارٍ للأمريكان في عملياتهم العسكرية على بلد إسلامي وآخر عربي من أعضاء الجامعة العربية، وهي الحادثة الأولى التي تبتعتها تصدّعات وانهيارات في بنية وفلسفة وجود الجامعة العربية ودورها القومي.

وما إن تحطّم السُورُ العراقي بقيادة صدام حسين حتى افتُتِحَ فصلٌ جديدٌ من المخاوف الأمنية الحقيقية على حاضر ومستقبل منظومة دول مجلس التعاون، لكن هذه المرّة لم تكن إسرائيل هي نقطة الارتكاز فقد تراجعت إلى الدرجة الثانية بعد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيادة اليمين الإيراني المتطرف الذي يُمثله التيار المحافظ المقرب من المرشد الأعلى (الإمام) علي خامنئي.

ومع اشتعال الشرارات الأولى لما يُعرف بالربيع العربي/ الثورات العربية التي انطلقت نهاية العقد الأول من الألفية الجديدة، جاءت كلمة وزير الخارجية الكويتي السابق د. محمد بن سالم

الصباح أمام ورشة الإعداد لمنتدى وحدة الخليج الجزيرة العربية (٢٤ يناير ٢٠١١) في العاصمة الكويتية، كإعلان موقف وتعبير واضح عن قناعة صُنّاع القرار في المنظومة الخليجية حول المتغيرات الهيكلية والعملية لمفاعيل وآليات التأثير على واقع ومستقبل منظومة الخليج العربي، حيث صرّح دونما تحفظ بأن قيادات الخليج تُعترف أن عالم اليوم يواجه تحديات كبرى غيرت طريقة صناعة القرار الدولي، وعبرَ عن ذلك بتأكيد أنه حكام الخليج يعلمون المتغيرات الكونية الأهم، وهي ثلاثة كبرى تؤثر على واقع ومستقبل الخليج العربي وعلاقاته الجيوسياسية، ولم تكن موجودة وقت ولادة المنظومة الخليجية قبل ثلاثة عقود خلت:

أولها: تغيّر محورية القوى الدولية من أحادية القطبية (يعني التفرد الأمريكي بالقرار) إلى تعددية المراكز.

وثانيها: تغيّر مفهوم الأمن القومي والخطر الوجودي.

وثالثها: التغير الديموغرافي والخطر على الهوية والانتماء.

لقد هيمنت السياسة الإيرانية المتحفزة للعب دور إقليمي بارز في منطقة الشرق الأوسط على أجندة التحركات الخليجية منذ تأسيس المنظومة التعاونية عام ١٩٨١، فبقراءة سريعة لـ ٣٢ بيان قمة خليجية، وعدة مئات من بيانات الدبلوماسية والأمن الخليجية على موقع الأمانة العامة لدول مجلس التعاون، سيلاحظ أن إيران كانت عاملاً مُقلّقا، بل مستفزا للسلطات الحاكمة في الجزيرة العربية، وتحولت العلاقات إلى «حرب باردة» وتُخَنَّدُ فعلياً تعزز رسمياً وشعبياً بالخطاب الطائفي المتكرر من جميع الأجهزة الإيرانية الدينية والسياسية وأذرعها الإعلامية، برصيد مشاهد القتل على الهوية في عراق ما بعد صدام حسين على يد ميليشيات محسوبة على إيران انتساباً مذهبياً وتمويلًا لوجستياً وغطاءً سياسياً يتعدى الجغرافيا العراقية إلى الجارة إيران.

وقد انكشفت المنظومة الخليجية أمام إيران مرارا وتكرارا بسبب اختلاف وجهات النظر والتطبيقات السياسية بين قيادات دول المجلس لطبيعة العلاقة مع إيران بين ممانع (السعودية والإمارات والبحرين) ومُساير (قطر والكويت وعمان)، فكانت قطر بدبلوماسيةيتها المثيرة للجدل تتصدر تيار المسايمة علناً بتبنيها الإعلامي عبر قناة الجزيرة لقضايا اعتُبرت «دوائر رمادية» لا يجوز اقترابها دون اتفاق إيطاري خليجي، كقضايا دعم حزب الله إعلاميا وتطوير علاقات التعاون مع إيران استخباراتيا إلى جانب تطوير أدوات التقارب والتفاهم مع الخليج والعالم العربي (كاحتضان جامعة قطر لمؤتمر مركز دراسات الوحدة العربية عام ١٩٩٥ للتقارب مع إيران)^(١)، ودعوة الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد إلى قمة مجلس التعاون في الدوحة في ديسمبر ٢٠٠٧، والذي أظهرت دعوته وجود اختلافات في وجهات النظر في التعامل مع إيران، فيما يوصف بأنه «إستراتيجية التوتر الإيجابي»، كما أن إيران كشف بدورها عن نفسها مرارا وتكرارا بإضاعتها فرصا ثمينة لإعادة تأسيس علاقات عربية إيرانية وفق منطلقات جديدة، على اعتبار أن منظومة الخليج البوابة العربية الأمثل لاندغام إيران وتطبيع علاقاتها

(١) عقد مركز دراسات الوحدة العربية الندوة في الجامعة القطرية تحت عنوان: العلاقات العربية- الإيرانية: الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل، قُدِّمَتْ فيها ٢٧ ورقة مناقشة بين باحثين إيرانيين وعرب، شملت مختلف القضايا العالقة عُرِضَتْ في ١٣ محورا توزعت على قسمين هما: الإرث التاريخي للعلاقات الثنائية، والأوضاع الراهنة وآفاق المستقبل، كما علّق على أطروحات الورقات ٣١ معلقا إيرانيا وعربيا، وصدرت وثيقة ضخمة عن مركز دراسات الوحدة العربية في ١٠٠٦ صفحات، وطُبعت مرتين: الأولى في يوليو ١٩٩٦، والثانية: أغسطس ٢٠٠١.. والحقيقة أن هذا المؤتمر يعد الأول من نوعه والأخير في سلسلة المحاولات الأهلية للتقارب والتعاون، ولا أعتبر مشروع التقارب المذهبي الذي قاده الشيخ القرضاوى مناصفة مع الشيخ التسخيري محاولة مثمرة أو ناجحة بحكم أن نتائجها كانت محدودة في الفترة الخاتمية، ومن ثم انكشاف الأهداف الإيرانية من وراء مشروع التقارب المذهبي التي انتهت بإعلان الشيخ القرضاوى نفسه أن الجانب الإيراني لم يكن جادا في عملية التقارب، وهو ما جعل القرضاوى محط تنذر وهجوم شخصي من قبل الشيخ التسخيري نفسه ومن لف لفة من الإيرانيين والمتأثرين.

المتوترة مع العالم العربي.

هذه الخلافات الخليجية الخليجية، وبروز حالة من التملل بين شعوب الخليج، وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية إلى درجة متشابكة خطيرة، جعل البعض يعتقد أن منظومة الخليج التعاونية أصبحت في حكم الماضي بالنظر إلى أنها تعاني شيخوخة في حكامها وأمراضا هيكلية مزمنة في أحاد المنظومة، ومتلازمة الأعراض السلبية للنقط والاستهلاكية، لكن هؤلاء يغفلون عن غريزة البقاء والحساسية المفرطة لمُشِيخَات الخليج التي يزيد عمر بعضها على مائتين وخمسين عاما في الحكم، فأحدثها سِنًا هم آل ثاني^(٢)، فهي تملك قابلية للصراع من أجل البقاء أكثر من غيرها الشعبية المؤدّجة (=إيران) أو الاستعلائية الطفيلية (=إسرائيل)، ولعلها المحرك الحقيقي لدعوة العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبدالعزيز في القمة الخليجية الثانية والثلاثين (١٩ ديسمبر ٢٠١١) إلى الانتقال بالمنظومة التعاونية الخليجية من مرحلة التعاون إلى مرحلة الاتحاد، وهو الحدث الأبرز منذ الربيع العربي نهاية ٢٠١٠.

يأتي هذا الإعلان بعد ثلاثة عقود من قيام مجلس التعاون الخليجي، الذي لم تنجح قياداته وأجهزته التنفيذية في تحقيق الأهداف الأساسية التي صيغت حين قيام المجلس، إذ تنص المادة الرابعة من النظام الأساسي لدول المجلس أنه شُكِّل «لتحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولا إلى وحدتها، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات، مع وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشؤون الاقتصادية والمالية، والشؤون التجارية والجمارك والمواصلات، والشؤون التعليمية

(٢) تواريخ ظهور مشيخات الخليج على المسرح السياسي، دون الخوض في التفاصيل: لأبوظبي آل نهيان ١٧٢٩م، للدرعية آل سعود ١٧٤٤م، للكويت آل صباح ١٧٥٢م، للبحرين آل خليفة ١٧٦٥م، لعمان آل بوسعيد ١٧٨٢م، لقطر آل ثاني ١٨٤٨م.

والثقافية، والشؤون الاجتماعية والصحية، والشؤون الإعلامية والسياسية، والشؤون التشريعية والإدارية، مع دفع عجلة التقدم العلمي والتقني في مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية، وإنشاء مراكز بحوث علمية، وإقامة مشاريع مشتركة، وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوبها».

فعلى الرغم من وضوح الأهداف وتوافر القرار السياسي على أعلى المستويات لكن الإخفاقات المتلاحقة في البنية الإدارية الخليجية، وسيورة اتخاذ القرار كانت الخلطة الجيدة لإفساد طموح المشيخات وتكسر آمال الشعوب على واقع عدم الكفاءة الإدارية وتفشي الفساد المالي والإداري بين الإدارة الوسطى، وتحالف إقليمي بين طبقتي التنفيذيين الإداريين والتجار، مما انعكس على أداء الأمانة العامة لدول المجلس التي تحولت تلقائياً إلى سكرتارية تنفيذية ومراسل برتبة وظيفية عالية، بلا تفويض تنفيذي قادر على إحداث إضافة نوعية لا للقرار السيادي الأعلى لقيادات المجلس ولا لتمرير القرارات في صيغة آليات عمل تنفذ بشكل سيروري سلس منذ اليوم الأول لاعتماد قيادات الخليج للتوصيات السيادية العليا في القمم الخليجية.

هذا في البيت الخليجي من الناحية السياسية والإدارية للمجلس، في وقت تغير فيه إيقاع العالم اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، وطرأت متغيرات أعادت صياغة العقلية الخليجية التي ترعرعت على الاستهلاكية والاعتماد شبه الكلي على صيغة دولة الرفاهية (welfare state)، التي أحالت المجتمع الخليجي إلى شعوب استهلاكية اتكالية مُترهلة، تعيش على هامش الفعل السياسي، تاركة القرار والتصرف برؤيته للمشايخات لتقرر عنها وتتصرف في كل ما يتصل بحاضرها ومستقبلها، إلا أن الأحداث المتلاحقة على العالم العربي والإسلامي، وخاصة صدماتي الحرب الأمريكية على الإرهاب ومشاركة حكومات الخليج فيها محلياً ودولياً،

وسقوط صدام حسين وما تبعه من تفول إيراني ظهر في شكل مذابح جماعية وتهجير قسري وقتل على الهوية في العراق، واستعداد متحفز للمجتمع السني على طول الشريط النفطي (= الكويت، المنطقة الشرقية للسعودية، البحرين) وفي غرب الجزيرة العربية (= المدينة المنورة)، وجنوبها (= الحوثيين في اليمن)، بمقابل ما يعتبره الخليجيون ركوداً أمنياً مستفزاً، وازدواجية معايير حين تكون المعالجة الأمنية مختلفة بين تعامل أجهزة الأمن مع التيارات الإسلامية السنية ومثيلاتها الشيعية، حيث اتضح أن الضغط الأمريكي عبر أجهزة الاستخبارات (CIA) والدبلوماسية الأمريكية (السفارات/ الخارجية) تتدخل بشكل سافر في القرار السيادي والأمني لتشديد العقوبة والإجراءات الاحترازية ضد من يوصفون بالمتشددين الإسلاميين، في الوقت الذي تتغير شدة القبضة الأمريكية فيما يتعلق بمتشددين شيعة.

وتحولت هذه الازدواجية إلى معول تصدع غير مسبوق بين مشيخات الخليج وشعوبها (تستثى إلى حد ما السياسة القطرية والكويتية لأسباب العقلية الحاكمة) على مستوى الثقة باستقلالية القرار السيادي للخليج بعيداً عن الإرادة الأمريكية وتدخلاتها المكشوفة؛ لقد تغير الوعاء الزمني وتماشت الشعوب مع هذا التغيير وتبدلت قناعاتها، لكن آليات الفعل والعمل في حكومات المشيخات لم تحدث تغييراً يُذكر لترميم تصدعات الثقة في استقلالية المشيخات التي بدأت تتسع يوماً بعد يوم منذ دخول القواعد الأمريكية بحر الخليج، وتطبيق دبلوماسية البوارج بالتراضي بين الأمريكان والمشايخات الحاكمة مطلع تسعينيات القرن الماضي.

من جهة يُحسب هذا التراضي للرغبة الأمريكية في الحد من طموحات أو أطماع إيران فيما يخص الأقطار العربية الحليفة لأمريكا، أو هكذا يرغب طرفاً الاقتراع، إلا أن أطرافاً أخرى تربط بين ما يجري على الساحة بهذا الخصوص وبين مخططات طويلة الأمد تُعدّها واشنطن لإبقاء البلبلة الموجهة في المنطقة والتحضير لنزاع مسلح تقع في بؤرته حتماً

الزماني أدى إلى اختلاف نوعية التهديدات التي وصلت إلى التهديد الوجودي لمنظومة التعاون الخليجي.

عسكرة الطائفة: منهج أم استثناء؟

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالرائد

تشكلت خلال ثمانينيات القرن الماضي العديد من أحزاب الله الشيعية، متأثرة بالثورة الإيرانية التي قامت سنة ١٩٧٩، وأهم ما ميزها هو انتهاج خيار العنف والسلاح لتحقيق هدفها المتمثل في إسقاط الأنظمة في أوطانها وتأسيس أنظمة أخرى تابعة للولي الفقيه الإيراني. وقد عرفت هذه التنظيمات مسارات مختلفة فبينما اندمجت بعض قيادات حزب الله البحريني في العملية السياسية، أعلن حزب الله - الحجاز تبذه لخيار العنف وتبنى نهج المطالبة السياسية، واستمر فقط حزب الله اللبناني الذي كان يرفع شعار المقاومة. كما برز الحوثيون في اليمن والذين إن اختلفوا في الأسماء فإنهم لم يختلفوا في المحصلة الأخيرة في أهدافهم عن تنظيمات حزب الله الأخرى، فضلا عن العلاقة الوطيدة مع المرشد الأعلى الإيراني وما تبعها من تنسيق مع/ بين فروعها كلها من خلال الحرس الثوري الإيراني.

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣، برزت تشكيلات شيعية جديدة، حيث تحولت من المعارضة المسلحة لنظام صدام حسين إلى التربع على السلطة بدعم من الولايات المتحدة، وإضافة إلى حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية اللذين شكلا مليشيات تابعة لهما على غرار «منظمة بدر»، فقد برز على الساحة أيضا التيار الصدري الذي أسس بدوره «جيش المهدي» كمليشيا قامت بأكبر عملية قتل طائفي في العراق بين سنتي ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧.

(♦) كاتب جزائري.

إيران وجيرانها العرب، بحسب مقتضيات الفلسفة العسكرية الأمريكية بإدارة الصراعات منخفضة الحدة (Low intensity conflict)^(١).

لقد عبر وزير الدبلوماسية السعودية سعود الفيصل عن الحاجة الملحة والظرف القاهرة الذي يحتم على دول الخليج أن تتكفل في صيغة اتحاديه، تقفز فوق مرحلة التكامل في مصفوفة النظام الأساسي (التعاون - التكامل - الاتحاد)، وأن «جلّ اهتمام القادة وصناع القرار والمفكرين هو البحث في كيفية مواجهة التحديات الراهنة والمستجدات على الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتأثيراتها على دولنا وشعوبنا..»، ووضح أن إيران في المشهد مرة أخرى فـ «تصعيد المواجهة بين إيران والمجتمع الدولي حول برنامجها النووي، واستفزازها المستمر لدول مجلس التعاون على نحو خاص، واستمرار معاناة الشعب الفلسطيني، إضافة إلى تداعيات ما تمر فيه العديد من دول المنطقة من تغييرات سياسية واسعة في إطار ما أصبح يعرف بالربيع العربي، كل هذه المستجدات تستدعي منا وقفة للتأمل وإرادة صلبة للتعامل معها حفاظا على مصلحة دول مجلس التعاون الخليجي، ووحدة أراضيتها وسلامتها الإقليمية، والسلم المدني واستقرارها ونموها..».

وربما من الملفت في كلمته استخدام تعبير «وحدة أراضيه» التي لم يسبق لمسؤول خليجي رفيع المستوى تطرق إليها من قبل، لكن بالعودة إلى تصريح وزير الخارجية الكويتي السالفة نفهم التعبير في سياقه الذي يهيمن على العقلية الجمعية للأنظمة الخليجية، وقناعتهم أن اختلاف الوعاء

(١) بحسب موقع GlobalSecurity.org يعرف دليل العمليات العسكرية الأمريكية (Field Manual 100-20: Military Operations) الصراع منخفض الحدة بأنه مواجهة سياسية وعسكرية بين دول متنازعة أو مجموعات تتحارب حربا تقليدية أو غير تقليدية (حرب باردة)، وتتطوى في كثير من الأحيان على صراعات طويلة بين المبادئ والأيدولوجيات المتنافسة، وتتراوح أدوات الصراع منخفض الحدة من التخريب إلى استخدام القوات المسلحة، والتدخل بمجموعة من الوسائل، وتوظيف الأدوات السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية، لتأمين الآثار الأمنية الإقليمية والعالمية. ننصح بمراجعة مقال على مجلة الدفاع الأمريكية تحت عنوان Blood Borders- 2006

بالنسبة للدولة الفاطمية والتي وجد مؤسسها أبو عبد الله الشيعي في سماحة المغرب الإسلامي فرصة لنشر معتقداته وتأسيس دولته، فقد بدأت مسارها بالدعوة للتشيع، حتى أصبح لها عدد كبير من الأنصار ليؤسس أبو عبد الله الشيعي جيشا خاض به حربا ضد الدولة الأغلبية، وبعد أن استتبت لهم الأمور وبسطوا نفوذهم على جزء كبير من المغرب الإسلامي بقيادة عبيد الله الشيعي، اتجه العبيديون نحو مصر حيث سيطروا عليها ونقلوا مقر الحكم إلى هناك والذي دام حوالي قرنين ونصف.

بدورها بدأت الدولة البويهية من بلاد فارس وتجدر بنا الإشارة في الأول إلى انتمائها للدائرة الإسلامية على غرار المغرب الإسلامي بالنسبة للدولة الفاطمية، وتوسع ملوكها شيئا فشيئا مع ازدياد قوتهم، وبعد سيطرتهم عليها فكما اتجه العبيديون نحو مصر اتجه البويهيون صوب عاصمة الخلافة العباسية بغداد التي كانت تعاني من ضعف ووهن شديدين في تلك المرحلة مما جعل البويهيين الحكام الفعليين، وبقي دور الخليفة شكليا فقط، وبلغت سياسية معاصرة فإن التمكين السياسي أو الحقوق السياسية للبويهيين التي منحها لهم الخليفة العباسي أو فرضوها عليه بدل أن تجعلهم يساهمون في تجاوز الخلافات وما نتج عنها من فتن، على العكس فإن كل ما فعلوه هو تعميقها من خلال سياساتهم الشيعية، إذ كان نشر التشيع أحد أهم أعمالهم في بغداد التي كانت حينها سنية^(٢).

أما الدولة الصفوية والتي جاءت نشأتها بتحول مؤسسها من طريقة صوفية إلى التشيع الإثني عشري وفرضه قسرا على الإيرانيين^(٣)، هي الأخرى

(٢) راغب السرجاني، الدولة البويهية، موقع قصة الإسلام، ٢٠٠٨/٠٧/١٥، على الرابط:

http://islamstory.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D9%8A%D9%87%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D9%8A%D8%A9

(٣) علي الوردي، الدولة الصفوية والتشيع: مجموعة من الباحثين، الصفوية: التاريخ والصراع والرواسب، مركز المسبار للدراسات

وبعد الثورة السورية ظهرت إلى جانب الانخراط المباشر والعلني لحزب الله في الحرب ضد الشعب السوري تشكيلات عسكرية شيعية جديدة من أبرزها لواء «أبو الفضل العباس»، وهو تنظيم عراقي تابع لعصائب أهل الحق المنشقة عن التيار الصدري يقاتل إلى جانب النظام السوري، وقد اتخذ من حماية مقام السيدة زينب في دمشق مبررا لأعماله. تزامنا مع هذا وبداية الحركة الاحتجاجية العراقية لم تكتف حكومة المالكي بالأجهزة الأمنية والجيش التي أصبحت وظائفها ميليشيوية بعد جرهما في مواجهة مع المواطنين، بل أسست أيضا ميليشيا طائفية جديدة هي «جيش المختار» لدعم حكومة المالكي في قمع المظاهرات^(١).

هذا التوالد للمليشيات العسكرية والسلوك

العنيف والواسع للقوى الشيعية، والذي كان كبيرا في مرحلة الثمانينيات، ليتراجع نسبيا في مرحلة التسعينيات، ثم يعود بقوة كبيرة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، ليلبغ أوجه مع الثورة السورية يدفع لطرح الإشكالية التالية:

هل السلوك الطائفي العنفي من طرف القوى الشيعية استثنائي نتيجة للتمهيش الذي مورس ضدهم من جهة والاستغلال الخارجي لتلك التناقضات، فضلا على كونه محدودا من طرف جزء من المكون الشيعي وليس حالة عامة، أم أنه سلوك متأصل في الحالة الشيعية؟

التجارب الشيعية السابقة

بالعودة إلى تاريخ التجارب الشيعية السابقة والتي استطاع فيها الشيعة تأسيس كيانات سياسية فإن أهم المحطات التاريخية للدول الشيعية هي الدولة الفاطمية والدولة البويهية والدولة الصفوية.

(١) أسامة شحادة، جيش المختار عنوان طائفي جديد في العراق، جريدة المصريون، ٢٠١٣/٠٣/١٧، على الرابط:

<http://almesryoon.com/permalink/109316.html>

في سلوكها الإستراتيجي لم تختلف عن الدولتين الفاطمية والبويهية، فخلال تاريخها الممتد بين سنتي (١٥٠٧ - ١٧٣٥م) كان توسعها نحو الغرب لمد نفوذها والسيطرة على العراق حيث احتلت بغداد أكثر من مرة والعامل الوحيد الذي حال دون تقدمها أكثر في العمق الإسلامي هو وجود الخلافة العثمانية التي خاضت معها العديد من الحروب حتى سقوطها.

هذه النماذج التاريخية تكشف الدور الهدام للمشاريع الشيعية في الأمة وكيف أنها انطلقت من أهداف تنحصر في السيطرة على السلطة في أقاليم إسلامية إلى التوسع والنفوذ دائماً باتجاه مركز الأمة، مستتدة في ذلك على نشر التشيع الذي كان مرتكزا وهدفا في نفس الوقت، وأن العدو الخارجي لم يكن ضمن أولوياتها، كما أنها كانت تسعى بشكل مستمر لنشر التشيع، وحيثما تمكنت من الحكم أكثر تكون المشاكل والقلقل أكبر، كما أن آثار البدع والمحدثات في الدين التي رعوها لا زالت بادية حتى الآن، إذ أن بدعة «عاشوراء» ظهرت في زمن البويهيين، والمجتمعات التي حكمها الشيعة أصبحت مهياة لكل صنوف البدع، وكلما طالت فترة الحكم كان حجم أضرارها أيضا أكبر، ولعل أبرز الأمثلة هو الأرضية التي يجدها التشيع في مصر والتي تلعب الحقة الفاطمية - وما سادها هي الأخرى من بدع - دورا في القابلية للتشيع هناك.

الخمينة: النسخة الطائفية المعاصرة

تمثل جمهورية الولي الفقيه الخمينية النسخة الثانية من المشروع الصفوي، وهي الأخرى لم تخرج محاولات مد نفوذها عن الدائرة الإسلامية والاتجاه نحو المركز، وكما سبق الإشارة في مقدمة البحث استطاعت في سبيل ذلك تجنيد القوى الشيعية في العالم العربي لتحقيق أهدافها في السيطرة ومدّ النفوذ، فالقوى الشيعية العربية المعاصرة، بمختلف

تشكيلاتها، تلقتي جلها في ولائها للولي الفقيه، فكل الطرق تؤدي إلى طهران. وإن كانت استعانة قوى «التمرد» في الدول الإسلامية بقوى معينة في إيران ليست أمرا جديدا، مما يعني أن تمركز بعض الحركات السياسية العربية المعاصرة في إيران أو التحالف معها ليس أمرا مبتدعا في تاريخ المنطقة^(١)، فإن الاختلاف في هذه المرحلة أن إيران لا تعين قوى التمرد وإنما توظفها لتحقيق مصالحها، لدرجة أنه بلغ حد إخضاع عاصمتين هامتين في تاريخ الأمة «دمشق» و«بغداد» لها، وأصبحت ثلاث دول عربية: سوريا والعراق ولبنان محافظات إيرانية عمليا، ولم تتوقف أطماع إيران عند هذا الحد إذ سعت إلى الاستفادة من التحولات الجارية بإحكام السيطرة على البحرين التي كانت في مقدمة أهدافها نظرا لصغر حجمها ووجود نسبة من الشيعة فيها هي الأكبر بالنسبة لعدد السكان مقارنة بالدول الأخرى، فحيثما تكون هناك أقلية شيعية فإن أصابع إيران لا تتوانى في العبث بالمجتمعات والدفع باتباعها ومؤيديها لقلب الأنظمة بمختلف الوسائل أو على الأقل الحصول على مكاسب سياسية توظفها في سياقات مختلفة.

الاندماج الأفقي: المجتمعي والسياسي في الحالة الشيعية

أهم زاوية مثيرة للجدل وتحدث التباسا عند بحث موضوع الطائفية الشيعية في المنطقة، هو ذلك التعايش المجتمعي الممتد عبر قرون طويلة، وهنا فإن هذا إضافة إلى أنه إن دل على شيء فإنما يدل على سماحة الأمة (أهل السنة والجماعة)، وكيف استطاعت احتواء هذه الأقليات، إلا أن هذه الزاوية المجتمعية - المجتمعية عموما لا تصلح كمقاربة للموضوع، ويمكن أن نصفها بالزاوية الأفقية، لذا الأصح هو المقاربة الاجتماعية - السياسية، أو

(١) وليد عبد الحي، إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠، الطبعة الأولى، الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، ٢٠١٠، ص ٢٨.

والبحوث، ط ٣، دبي: أغسطس ٢٠١١، ص ١٤.

الزاوية العمودية التي تنظر للعلاقة من خلال المرجعيات العلمية وتأثيرها على القيادات السياسية خصوصا ، والمجتمع عموما .

فمن هذا المنطلق نجد أنه رغم التداخل في المجتمع العراقي الذي أدى إلى التعايش بين السنة والشيعية عبر العديد من القرون إلا أن العقل الفقهي الشيعي لم يتغير تبعا لذلك التعايش، ولا زالت مواقفه من السنة تتهل من تراثه الفقهي الطائفي الإقصائي، وهذا ما ينعكس في الأزمات حيث يصطف الشيعة وراء مرجعياتهم سواء عسكريا من خلال المليشيات المسلحة التي أنشئت بعد الاحتلال الأمريكي والتي استهدفت السنة ومحاولة تهجيرهم وجعل بعض المناطق شيعية خالصة، أو سياسيا من خلال الأحزاب السياسية الشيعية المدعومة من المرجعيات على غرار حزب الدعوة والتيار الصدري والمجلس الأعلى بزعامة الحكيم.

هذا في العراق أما في الدول الأخرى فإن القوى الشيعية المؤمنة بولاية الفقيه لا زالت تسبح في فلك السياسة الإيرانية، والعامل الطائفي هو المحدد الأساسي لمواقفها، ورغم كل محاولاتها العزف على وتر المواطنة فإن ذلك كان بقصد جلب مكاسب سياسية تصنف ضمن دائرة الحقوق، أما وتر الوطنية والذي يعبر عنه بالواجبات تجاه الوطن فإن ذلك مما ينعدم في الحالة الشيعية، ولعل حزب الله اللبناني أفضل نموذج عن هذه التناقضات. فالحالة اللبنانية ربما تكون أكثر تعبيراً عن مستوى التطور في الفكر الشيعي وما ينتظر منه، فحزب الله الذي انخرط في العملية السياسية وكان يدعي أن له خطا واحدا هو المقاومة، سرعان ما انغمس في المستنقع السوري، وإذا كانت البيئة اللبنانية بانفتاحها وتعددتها لم تشن حزب الله عن الانكفاء الدولتي والوطني فما هو المتوقع والمنتظر من بيئات اجتماعية أخرى^(١)؟

(١) لتفاصيل أكثر انظر: بوزيدي يحيى، حزب الله: الوثيقة السياسية والثورة السورية، مجلة الراصد، العدد ١٢١، على الرابط:

بدورها لما تمكنت مجموعة من الطائفة العلوية من السيطرة على السلطة في سوريا ورغم تبنيها لأيدولوجية علمانية فإن البعد الطائفي كان محددًا أساسيا في سلوكها السياسي من خلال التغلغل داخل مؤسسات الدولة وتطبيقاتها وبشكل خاص المؤسسة العسكرية التي أصبحت جل قياداتها من هذه الطائفة، وعلى المستوى الخارجي فإن التحالف الإيراني - السوري لم يكن خافيا عليه البعد الديني الطائفي، وهو ما انكشف خلال الثورة السورية حيث تبين حجم ومدى عمق العلاقة الطائفية بين الطرفين، وهو ما حاول البعض استبعاده ردحا من الزمن وكانوا يجدون في ذلك مبالغة، كما لا يزالون يصرون على وسم حزب الله بالمقاومة، رغم أن سنتين من الثورة السورية ومعارك القصير أصبح معها الحديث عن مقاومة حزب الله مهزلة ومدعاة للضحك.

إذا الثقافة السياسية الشيعية لا زالت مستلهمة ومستمدة ومحصورة في إطارها الطائفي ولم تخرج عنه إطلاقا، فحتى المجتمعات الشيعية الخليجية عموما والأحزاب السياسية خصوصا مواقفها على مر العقود الأخيرة لم تخرج عن الإطار الإيراني، وكما لم تكن هناك مواقف معتبرة من المرجعيات الشيعية الكبرى، فإن بعض الأصوات الدينية الشيعية المنددة بموقف حزب الله لم تلق أي استجابة شعبية.

المنحنى الطائفي

والمسألة ليست مسألة حقوق سياسية لإخماد البعد الطائفي الشيعي، بل المشكلة أن التمكين السياسي الطائفي ليس النهاية فهو مرحلة أولى فقط، ولا يتوقف عند حدود الدولة وإنما يسعى للتوسع أكثر، فالقوى الشيعية تتطلق من فكرة عالمية بالدرجة الأولى وهي الدولة المهدوية، وحتى النظام النصيري (العلماني) في سورية فإنه اندمج

http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6162

بسرعة في المشروع الطائفي الإيراني، وبعد التمكين السياسي فإن أي تراجع لهذا المشروع لا يفهم على المستوى الطائفي أنه يدخل في إطار التنافس السياسي (الديمقراطي) بين القوى المجتمعية، وإنما يعتبر في ذهن الطائفة استهدافا ذاتيا وتهديدا وجوديا، لذلك ردة الفعل هي متطرفة في العنف، وما يؤكد اعتباره استهدافا وجوديا هو ذلك التضامن بين الشتات الطائفي والتسييق والتلاحم الميداني والوجداني في كل الأصقاع بما في ذلك العلويين الأتراك.

والمشاريع الشيعية السابقة لم تنثن عن أهدافها مطلقا، ولم تحاول التنازل والتراجع لأجل أهداف أسمى وأعلى، وفي سبيل استمراريتها لم تجد مانعا في التحالف مع أعداء الأمة، والمشروع الطائفي الحالي لا يتوقع منه مراجعة أهدافه وتكييفها، ومجريات الأحداث في سورية تؤكد هذا، فايران لم تتراجع عن دعمها للنظام النصيري بل رمت بكل ثقلها خلفه، وأكثر من ذلك حشدت له الميليشيات الشيعية في المنطقة.

ومعارك القصير والمجازر التي وقعت في محافظة حمص أكدت صواب التحليلات السابقة التي ذهبت إلى سيناريو ومشروع الجيب العلوي الذي سيكون آخر حل بالنسبة لإيران والقوى الشيعية، حيث تتمركز معظم الأقلية العلوية في تلك المنطقة.

هذه الأخيرة حتى الآن لم تصدر عنها أي سلوكات تعبر عن التضامن الوطني باعتبارها مكونا من مكونات الشعب السوري، إذ لا زالت تشكل القرى والتجمعات العلوية حاضنة للنظام، ومنطلقا للقيام بعملياته ضد القرى الأخرى ذات الغالبية السنية، هذا الواقع يؤكد حقيقة بغض النظر عن الموقف منها وهي تأثير المعتقد الديني على الموقف السياسي، وهو ما تجلى أيضا في مفاخرة نصر الله بدفع بعض العائلات الشيعية بابنهم الوحيد للجهاد في سورية، هذه الحقيقة التي حاول البعض تجاوزها أو التغاضي عنها، ليصطدموا بها في النهاية ولكن بعدما أصبحت التكلفة كبيرة

جدا.

الخلاصة

برر حسن نصر الله في خطابه الأخير انخراطه في الجبهة السورية بما سماه مرحلة جديدة هي تحصين المقاومة وحماية ظهرها، من هذا المنطلق فإن هذا الموضوع الذي نطرقه والمتعلق بدور الطائفة الشيعية وسلوكها العنفي يدخل في إطار تبیین مكانم الخلل لظهر الأمة أيضا.

فالمشهد الحالي الذي نعيشه ونرى فيه اصطفاف القوى الشيعية إلى جانب بعضها البعض وتكتلها، وكل ما تلحقه بالأمة من أضرار ليس استثناء وإنما منهج كثيرا ما تكرر في التاريخ بل وارتبط بها، والمقصود هنا الشيعة ليس في حالة الكمون وإنما في حالة الحركية والنشاط، أي مقارنة سياسية لحركية المجتمعات الشيعية، أو بتعبير آخر منظور من زاوية عمودية وليس أفقية.

وحجم الخطر على هذا الأساس يقدر بحجم وقوة الطائفة، فكلما امتلكت إمكانات وقدرات أكثر كان خطرها أكبر، والتراجع لا يحدث إلا بعد فقدان القوة، لتدخل في مرحلة كمون وخمول، وتعاود النشاط مرة أخرى، إذا امتلكت قدرات جديدة.

ومواقف المتشيعين في غالبهم الأعم المنسجمة مع باقي القوى الشيعية والتي كانت ولا زالت مؤيدة للعنف الذي يمارسه النظام السوري وحزب الله، هي مؤشر على ما يمكن أن يقوم به هؤلاء في المستقبل، إذا ما استمرت الظاهرة في التطور فليس من المستبعد أن نشهد كانتونات شيعية في مصر والدول المغاربية على المستوى البعيد، تساهم في مضاعفة الشروخ المجتمعية ويصبح ما نشهده في المشرق واقعا معاشا في المغرب.

لقاء مع السيد طالب المذخور مسؤول المكتب السياسي للمنظمة الوطنية لتحرير الأحواز (حزم)

أجرى اللقاء: زياد الحراسيس^(١) - خاص بالرائد

١- ما هي العوامل التي ساعدت الدولة الإيرانية في إقصاء القضية الأحوازية طوال هذه العقود في المحافل الدولية والعربية والإسلامية؟

هناك عدة عوامل الأول منها أن ما يسمى بالدولة الإيرانية اليوم هي إحدى مخططات ونتائج اتفاقية سايكس بيكو التي أسست لمشروع الدولة اليهودية في فلسطين، وكانت بريطانيا تبحث عن دولة قوية ومترامية الأطراف تكون حائلا بين الاتحاد السوفيتي والهند، فسميت الدولة الجديدة عام ١٩٣٦م باسم «إيران» بعد أن كان اسمها (بلاد فارس) بعد نصيحة من ألمانيا لكي يدرج الاسم الجديد في مؤسسات عصبة الأمم، وتم ذلك بعد احتلال الأحواز بثرواته الهائلة في عام ١٩٢٥م بمساعدة بريطانيا، والتي أبدل الشاه رضا بهلوي اسمها من عربستان إلى خوزستان عام ١٩٣٦م بعد اغتيال الشيخ خزعل الكعبي ممثل الشرعية الأحوازية بغية نكران وجود شعب عربي ودولة على هذه الأرض.

ولم يكن الأحوازيون في تلك الفترة يمتلكون أي وسيلة من وسائل التأثير على المخططات والمصالح الاستعمارية العالمية آنذاك، وفي نفس الوقت كانت جميع الدول العربية محتلة من قبل قوات أجنبية، وكان هذا من أهم العوامل التي شرعت احتلال الفرس للأحواز وباعتراف دولي من قبل عصبة الأمم.

والعامل الثاني الذي كرس واقع الاحتلال هو تقسيم الدول العربية بين عدة احتلالات أجنبية،

(♦) كاتب

وجرى تأسيس وتسييس تلك الدول على ما يضمن المصالح الاستعمارية الاستراتيجية في المنطقة، حينما أسست حكومات عربية بعد انتهاء حقبة الاستعمار، فإن المناورات السياسية للدول العربية كانت ولا تزال تُختزل في كيفية الحفاظ على كيان النظام القائم وليس هناك أي سياسات ممنهجة للحفاظ على ما يسمى (الأمن القومي العربي)، وعلى هذا الأساس فإن دعم القضية الأحوازية سياسيا أو ماديا يعتبر من وجهة نظر الأنظمة العربية تهديد مباشر للمصالح الدولية وبالتالي تهديد مباشر لبقاء النظام الحاكم للدولة الداعمة للقضية الأحوازية.

العامل الثالث هو العلاقات المتميزة بين شاه إيران محمد رضا بهلوي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والتي انعكست أيضا على العلاقات المتميزة بين إيران والدول العربية في الخليج العربي مما ساهم في جعل القضية الأحوازية كملف (سري للغاية).

العامل الرابع هو الثروة الأحوازية الهائلة من النفط والغاز والأراضي الخصبة ووفرة المياه جميعها وفرت لإيران وسائل عديدة للسيطرة على الأحواز على مستوى الداخل والخارج، ففي داخل الأحواز انتهجوا سياسة (التفريس) وبناء المستوطنات لتغيير هوية المنطقة بالتوازي مع إفقار العرب غير المتعاونين معهم. وعلى مستوى الخارج بتأسيس جيش قوي وأجهزة أمنية عديدة قادرة على قمع أي ثورة أحوازية أو صد أي هجوم خارجي على الأحواز..

والعامل الخامس يتعلق باعتبار أن الأحواز لا تتسجم مع مكونات الدولة الإيرانية من الناحية الإثنية والجغرافية، وباعتبارها تشكل الشريان الرئيس للقوة الاقتصادية والعسكرية لإيران، فإن هذه الحقائق شكلت حاجسا مستمرا للفرس منذ احتلال الأحواز إلى يومنا هذا ألا وهو (الخوف من ضياع الأحواز) كنتيجة محتملة في حال تغيرت سياسات الدول العربية، مما دفعهم لانتهاج سياسة مؤثرة في دول الجوار العربي (العراق، دول الخليج

العربي) عن طريق صناعة قوى محلية فاعلة في الدول العربية تستطيع أن تؤثر على القرار السياسي في تلك الدول سميت في نظرية أم القرى (الدفاع الإيجابي)، والتي كان يُعمل بهذه السياسة في زمن الشاهات أيضا.

ولذلك فإن الفرس سعوا لدعم المقيمين من أصول فارسية في دول الخليج العربي والعراق، وسعوا لتشكيل أحزاب سياسية على أساس طائفي في تلك الدول سواء بشكل سري أو علني كحزب الدعوة في العراق منذ ستينيات القرن الماضي، ومارس الفرس ضغوطاً سياسية لتوطين الفرس في بعض الدول العربية كالبحرين والكويت والإمارات في زمن الشاه محمد رضا بهلوي، وصولاً إلى حكم الملالي في طهران حيث تبنا نظرية قيادة المذهب الشيعي في العالم. ولذلك نجد اليوم أن أغلبية الشيعة العرب ينتمون ويدافعون عن المصالح الإيرانية ولو على حساب الحق العربي في الأحواز التي يشكل الشيعة أغلبية شعبها.

وكل هذه العوامل مشتركة ساعدت الفرس لحد كبير في إقصاء القضية الأحوازية عن الواجهة من خلال ممارسة ضغوط دولية على الدول العربية ومن خلال ضغوط إيرانية على قوى محلية فارسية وعربية شيعية في الدول العربية المجاورة للأحواز.

٢ - هل ترى أن الخطاب القومي والسياسي العربي أصبح بالياً في ظل معطيات التحولات الدولية بعد انهيار المعسكر الشرقي وتنامي العداء العلني للإسلام في الغرب والشرق؟

الخطاب السياسي القومي العربي يشبه جسد إنسان مقطوع الرأس، فهو خطاب ميت، لكنه الخطاب الوحيد القادر على أن يجعل لتلك الأنظمة وخصوصاً الثورية منها مشروعية تستمر فيها بالحكم من خلال اجترار مشروع الوحدة العربية والقضية الفلسطينية.

وهذا الخطاب القومي العلماني كان ينسجم وتطلعات الغرب وذلك لسببين هامين:

الأول - يتمحور حول إنهاء إرث ومخلفات الدولة

العثمانية العقائدية كدولة إسلامية وفيها أمة العرب مجتمعين في تلك الدولة، فعمل الخطاب القومي المعلمن والقطري على تعميق وترسيخ فصل الدين عن الدولة وكان هذا مطلب المسيحيين في الدول العربية الذين أغلب مفكري القومية العربية منهم، وبرغم أن رواد الفكر القومي العربي كانوا خريجي جامعة السوربون في فرنسا، فقد طرحوا مفهوم الأمة على أساس اللغة المشتركة والتاريخ والمصالح المشتركة وليس على أساس رابطة الدم وهذا منافٍ تماماً لمفهوم الأمة التاريخية التي لا تقوم إلا على أساس رابطة الدم أو العقيدة، وما تحدثوا عنه وعرفه الدكتور عزمي بشارة حديثاً من أن (القومية العربية ليست رابطة دم ولا عرق، بل هي جماعة متخيلة بأدوات اللغة ووسائل الاتصال الحديثة تسعى إلى أن تصبح أمة ذات سيادة).

وأعتقد أن هذا التعريف بلا ريب هو تعريف لمفهوم الوطن وحق المواطنة وليس تعريفاً لمفهوم (الأمة التاريخية)، وإن المثل الأمريكي لمفهوم الأمة لا يمكن أن يطبق على أمم لها جذور عميقة في التاريخ تمتد إلى أكثر من ستة آلاف سنة، ولا يمكن تجاهل أكثر من ١٠٠٠ عام من التاريخ الإسلامي ومحوه في عملية اختزال المفاهيم، والأمة الأمريكية هي (أمة سياسية) بلا تاريخ وتختلف جذريا عن تعريف الأمة العربية أو الأمة الإسلامية. وهذا موضوع يطول الحديث فيه.

ولذلك رغم تحدثنا نحن الأحوازيين باللغة الفارسية منذ قرابة ٨٨ عاماً وننتمي لنفس المذهب الشيعي الذي ينتمي له الفرس إلا أننا نجد أنفسنا كشعب ننتمي إلى الشعب العربي وأكثر قرباً من الشعب العراقي والشعب العربي في دول الخليج العربي ولا ننتمي لما يسمى بالشعب الإيراني. وهذا ما حدث مع الشعب الجزائري أيضاً.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الخطاب القومي العربي كان يكرس مفهوم القطرية ومحاوله هيمنة قطر على آخر، وجعل المسألة القطرية فوق أي اعتبار آخر لأنها متصلة بالسلطة

والحكم، ولو أن هذا لم يكن من ضمن النوايا ولا السياسات، ولكن النتائج التي وصلنا إليها تثبت هذه الحقيقة. وبالمقابل فإن الأحزاب الإسلامية التي ناصبت الأنظمة القومية العداء فإنها أيضا دفعت باتجاه تفتيت قدرات الأمة العربية بنفس الدرجة.

الثاني - أن الخطاب القومي العربي كان أهون الشرين على الغرب والشرق وإسرائيل، وهو يخدم مصالحهم ويخدم الكيان الصهيوني على المستوى الإستراتيجي فهو أقل خطرا على كيان إسرائيل من الخطاب الديني القومي.

٣ - إلى أي مدى نجحت إيران في جعل القضية الأحوازية قضية قطرية وإخراجها من بعدها الإسلامي والقومي؟

كما ذكرت سابقا أن إيران استطاعت لحد الآن أن تجعل من القضية الأحوازية قضية ذات طابع وشأن داخلي على صعيد السياسة الدولية وذكرت العوامل، ولكنها فشلت في ترسيخ هذا المفهوم السياسي في ما يسمى بدولة إيران، فهناك شرح عميق وعداء كامن في النفوس بين العرب الأحوازيين من جهة والفرس من جهة أخرى، فحسب نتائج الدراسة التي قام بها مكتب بحوث ودراسات في جامعة طهران قبل عدة سنوات حول الشعوب غير الفارسية ومدى اندماجها في الدولة الإيرانية، كان مفادها أن الشعوب غير الفارسية تتسجم مع الدولة الفارسية كلما تعلمت وثقفت أكثر، بمعنى أن المتعلمين تعليما جيدا والمتقنين من أبناء الشعوب هم أكثر اندماجا مع الدولة الإيرانية من أبناء نفس الشعوب غير المتعلمين.

وهذه القاعدة تنطبق على الشعوب غير الفارسية ما عدا الشعب العربي الأحوازي، فلقد ذكر البحث أن العرب كلما تعلموا وثقفوا كلما ازدادت عندهم النزعة (الانفصالية) كما ورد في البحث، وهذه حقيقة نجدها من خلال أن أغلب الذين تم إعدامهم من قبل المحكمة الثورية العسكرية للاحتلال الفارسي كانوا من حملة

الشهادات الجامعية. وأول تنظيم سياسي أحوازي في نهاية الخمسينات (جبهة تحرير عربستان) كانت قيادته من نخبة المتعلمين في المدرسة العراقية في مدينة المحمرة (خرمشهر بعد التفرس).

ولذلك فإن نجاحها على المستوى الدولي مرتبط بخارطة المصالح الدولية وهذه مصالح تتغير مع تغير الإرادات الشعبية.

٤ - ما هي المؤهلات التي جعلت الإعلام الإيراني يخترق العقل الإسلامي ويقدم إيران بصورة جميلة عبر وسطائه في المنطقة؟

لا يمكن فصل الإعلام عن السياسة فهو تعبير صريح عن سياسة الدولة أو عن مشروعها. والدولة الإيرانية هي نتاج عقل فارسي يحمل إرثا عنصريا ضد العرب بشكل خاص، وعقل إستخباراتي أمريكي، وعقل إعلامي بريطاني، هذه هي الدولة الإيرانية باختصار.

فأول جهاز للقوات الأمنية في إيران أسسه الضابط الأمريكي هيربرت شوارزكوف، والد نورمان شوارزكوف قائد قوات التحالف في حرب الخليج العربي الثانية. وبعد ذلك في عام ١٩٧٧م أسست المخابرات الأمريكية بالتعاون مع المخابرات الإسرائيلية جهاز السافاك الإيراني، والذي لم تتغير قواعد إدارته بعد استلام المعممين للسلطة في طهران وليومنا هذا.

ومن الجهة الإعلامية فإن الإعلام في إيران تتلمذ على يد المخابرات البريطانية، وبالتالي فإن النهج المتبع في الإعلام الإيراني اليوم هو نتاج المدرسة البريطانية، وبالتالي فإن كل ما يرتبط بالإعلام الإيراني الموجه للعرب يعتمد على أساس دقيق من المعرفة بميول الشارع العربي السياسية وظروفه الاجتماعية والاقتصادية، وهو إعلام خطير لأنه ممنهج بأسلوب علمي قادر على استخدام الوسائل التي تجعل من العقل العربي الجماهيري البسيط أن ينخرط في مشروع يخدم المصالح الإيرانية الإستراتيجية دون وعي وإدراك منه على أن الانجرار

القضية الأحوازية قانونياً وعلى الصعيد

السياسي المعلن رسمياً؟

في عام ١٩٨٨ وقبيل انتهاء الحرب الإيرانية - العراقية، كان الجيش الإيراني قد هزم تماماً خصوصاً في الجبهة التي كانت في الأحواز، وكان الشعب الأحوازي على استعداد تام لاستقبال الجيش العراقي في المدن الأحوازية، ولكننا فوجئنا بموافقة العراق على وقف إطلاق النار بعد أن تجرع الخميني كأس السم ووافق على إنهاء الحرب.

ومن خلال مصادر من أعضاء القيادة العسكرية العراقية في الفيلق السابع، قالوا لنا إن وزير الدفاع عدنان خير الله طلفاح لم يكن موافقاً على وقف إطلاق النار وقال لصدام إن الأحواز أمامي تنتظر، ثم إن قائد الفيلق السابع ماهر عبد الرشيد قال بالحرف الواحد (لا أستطيع التوقف وأنا أرى المحمرة أمامي).

فموقف العسكريين كان مبدئياً بينما كان للسياسيين موقف مختلف لأنهم مرتبطون بأجندة دولية هي الضامن الوحيد لبقائهم في السلطة، فمن المؤكد أن المواقف العربية الرسمية من القضية الأحوازية تدرك أن التورط في هذه القضية هو خط أحمر أمريكي غربي وروسي وإسرائيلي بنفس الوقت قبل أن يكون إيرانياً، ومن خلال ما تسرب إلينا فإن الولايات المتحدة ترى أن مصالحها الإستراتيجية مرتبطة بتغيير بنية النظام في إيران وليس المساس بالخارطة الجغرافية السياسية الإيرانية، فالمواقف الدولية تحدد مصالح الدول أو الأنظمة وليس الشعوب غير القادرة على النهوض.

أما من الناحية القانونية، فإن ما حدث للأحواز هو احتلال عسكري في زمن استعماري، ويستطيع الأحوازيون بدعم من إخوانهم العرب تفعيل الجانب القانوني والشرعي للقضية الأحوازية، خصوصاً وأن الشعب العربي الأحوازي لم يشرعن وجود الاحتلال وقاومه منذ عام ١٩٢٥م ولا زالت المقاومة قائمة، ولذا فإن حق تقرير المصير للشعب العربي الأحوازي مكفول حسب القانون الدولي.

وراء المشروع الفارسي سيؤدي إلى كوارث يدفع ثمنها المواطن العربي ذاته، سواء للذين مع المشروع أو الذين يحاربون المشروع بنفس الأسلوب الطائفي.

وتتبع وزارة الإعلام وزارة استخبارات الولي الفقيه مباشرة، وإن ميزانية كل وزارة تفوق الميزانيات السنوية الكاملة لأغلب الدول العربية، وليس هناك قنوات فضائية مستقلة في إيران، إنما جميعها تنفذ سياسات وتعليمات أجهزة الاستخبارات (الحرس الثوري).

وإيران كانت على علم مسبق أنها لا تستطيع تجيير كل العرب لصالح مشروعها، وأنها لن تستطيع اختراق العقل الإسلامي، ولكنها تستطيع أن تدفعهم باتجاه الهاوية عن طريق افتعال حرب طائفية في المنطقة باعتبار أنها تستطيع كسب الشيعة العرب انطلاقاً من نظرية قيادة المذهب الشيعي في العالم، وسيكون الرابح الوحيد فيها إيران وإسرائيل.

أما من ناحية القضية الفلسطينية ودعم المقاومة فهذا موضوع يتعلق بالاستقطاب الطائفي بالدرجة الأساسية وسياسة صناعة أدوات الصراع، والقضية الفلسطينية مبرر معقول ومقبول لتشكيل كيانات قوية في الدولة العربية موالية لإيران، ولنفترض أن حزب الله اللبناني لم يطرح مشروع المقاومة ضد إسرائيل فكيف كان يمكن لإيران تزويده بشكل مشروع بالسلاح حتى بات دولة داخل لبنان أقوى من الدولة اللبنانية ذاتها. ومن ناحية بعض الكتاب والصحفيين العرب فهم لا يختلفون في مهنتهم عن مهنة الشاعر الذي كان يمدح بأجر، ونحن كأحوازيين رصدنا عدداً من الصحفيين العرب كانوا يستهدفون إيران يومياً، وكنا على علم أنهم ينتظرون من إيران المال السخي لكي يغيروا اتجاه أعلامهم وهذا ما حدث فعلاً، فالقلم ليس بالضرورة أن يكون وسيلة فكرية شريفة، إنما هو في حالات كثيرة وسيلة من وسائل العيش والارتزاق.

٥ - ما هو الموقف الدولي الحقيقي من

٦ - هل هنالك مؤشرات لتغيير المعادلة الدولية

من القضية الأحوازية في المستقبل المنظور؟

المعادلة الدولية تتغير في حالتين فقط، أولاً في حالة ظهور قوى جديدة منافسة على المصالح الاستراتيجية، وقد تؤدي إلى نشوب نزاع مسلح وعلى ضوء نتائج تتغير معادلة المصالح الدولية، وفي الحالة الثانية عندما تستطيع الشعوب فرض إرادتها على المجتمع الدولي.

وفي السنوات الأخيرة ونتيجة ثورة الاتصالات فإن الأحوازيين في المنافي استطاعوا بجهود فردية وجماعية من طرح القضية الأحوازية على المجتمع العربي والدولي، وساعدت التقنيات الحديثة على نقل الأحداث التي جرت وتجرى في الأحواز للعالم بالصوت والصورة خصوصاً بعد انتفاضة ١٥ نيسان ٢٠٠٥م. ونستطيع القول إن الأحوازيين تمكنوا من كسر طوق العزلة الذي فرضته إيران عليهم خلال عقود عديدة وibat المواطن العربي ولو بنسبة قليلة من الشعوب العربية على اطلاع على قضية عربية مغيبة لفترات طويلة من الزمن.

ومن الطبيعي فإن كثيراً من الأنظمة العربية تدرك أن المشروع الإيراني يهدد كيان دولها من خلال تمزيق اللحمة الاجتماعية بين أبناء الشعب الواحد، فبدأت بعض الجهات غير الرسمية محاولات خجولة جداً وغير مدروسة لدعم القضية الأحوازية، ومع هذا فإن هذا التصرف يعتبر مؤشراً جيداً باتجاه فرض واقع دولي جديد على إيران والمنطقة والمجتمع الدولي، ونعتقد جازمين أن المستقبل سيكون للشعوب وليس للاستبداد وسيكون الشعب العربي الأحوازي أول من يحقق إنجازات على مستوى المنطقة برمتها.

٧ - هل قدمت الدول العربية الحد الأدنى من

الرعاية والدعم للقضية الأحوازية سياسياً ومادياً؟

في نهاية الخمسينات دعم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر القضية الأحوازية، ولكنه كان دعماً

بسيطاً من الناحية العسكرية نتيجة لقلّة إمكانيات الدولة المصرية، ودعماً إعلامياً وسياسياً جيداً أدى إلى توصية من مؤتمر المحامين العرب الذي عقد في مدينة الإسكندرية عام ١٩٦٨م إلى جامعة الدول العربية لتخصيص مقعد في الجامعة العربية للقضية الأحوازية أسوة بالقضية الفلسطينية، ولكن العراق رفض التوصية بحجة أن الأحواز والكويت هي قضايا ذات شأن داخلي عراقي، وهدد بعض الدول العربية في حال اعترافها بالقضية الأحوازية، وبهذا استطاع النظام العراقي أن يعتبر القضية الأحوازية ورقة سياسية للمساومة مع الدولة الإيرانية مقابل القضية الكردية في العراق والتي كانت إيران تقدم لهم (للأكراد) دعماً غير محدود، ففي أثناء الحرب الإيرانية العراقية، أسس العراق جيش تحرير الأحواز وفتح مكاتب للجبهة العربية لتحرير الأحواز في عدة محافظات عراقية، ومع انتهاء الحرب انتهى دور القضية الأحوازية من وجهة نظر النظام العراقي.

ونجزم أن الأنظمة العربية تتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية التاريخية فيما يتعلق بالقضية الأحوازية وفيما يتعلق بمصير الشعوب العربية أيضاً، لأنها ساهمت في ترك إيران تستفيد من الثروة الأحوازية للوصول إلى ما وصلت إليه، فلو أن العرب اعترفوا بالقضية الأحوازية كقضية شعب عربي تحت احتلال أجنبي منذ الخمسينات، لما استطاعت إيران التمتع بالثروة الأحوازية وضرب العرب بها حتى يومنا هذا. ولما استطاعت أن تكسب بعض العرب والشيعية العرب بحجة المذهبية ودعم القضية الفلسطينية لأنها كانت ستكون بنظر الشعوب العربية دولة أجنبية تحتل دولة عربية وشأنها في التعامل كما هو شأن إسرائيل.

٨ - ما هي تداعيات الانتخابات الرئاسية

القادمة في إيران على مستقبل القضية الأحوازية والوضع الداخلي الإيراني وعلاقات إيران الإقليمية؟

إن الدولة الإيرانية هي دولة مبنية على أساس

عنصري ولكنها دولة مؤسسات لا تتأثر بطبيعة النظام الحاكم إلا بالدرجة التي يستطيع فيها النظام خدمة المشروع الفارسي أو فشله في ذلك، ولا يمكن تطبيق أي نظام ديمقراطي في إيران لأنه سيؤدي إلى تفتيت الدولة، ونتيجة لهذه الحقيقة فإن ظهور تيار إصلاحي مقابل تيار محافظ لا يعني أن الطرفين يختلفان من حيث المبدأ والهدف ولكنهما يختلفان من حيث الكيفية أو الوسائل التي تحقق الهدف.

فالإصلاحيون يرون أن ما كان يصلح قبل عشرين عاما لا يصلح للحاضر ولا للمستقبل، وإن وعي الشعوب غير الفارسية يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، وأن أفضل وسيلة للحفاظ على ما يسمى (الأمن الوطني الإيراني) هي بإعطاء الشعوب غير الفارسية بعض الحقوق بمقابل التغيير الديمغرافي السريع للأقاليم خصوصا الأحواز العربية، وبالمقابل فإن المحافظين يرون أن القوة العسكرية والسلاح النووي وأسلوب (الدفاع الإيجابي) الذي يكفل وجود أوراق ضغط قوية في المنطقة العربية كفيلة بالمحافظة على (الأمن الوطني الإيراني) لأن إعطاء بعض الحقوق وخصوصا للعرب سوف يعجل من وقوع الأزمة ويزيدها تعقيدا.

ولذلك فإن الانتخابات في إيران مسألة قد تهم الفرس لمجرد إرضاء الغرور أو لامتناس نعمة الشباب، وتهم فئة انتهازية تحقق امتيازات فردية وهذه فئة موجودة في كل دول العالم.

وعلى مستوى السياسة الخارجية فإن رئيس الجمهورية لا يمتلك صلاحيات تحديد السياسة الخارجية والإعلام ووزارة الاستخبارات والدفاع والداخلية والمالية، فكل الحقائق السيادية بيد الولي الفقيه، والفرس يجيدون فن تبادل الأدوار، وإن تعويل الدول العربية على رفسنجاني أو غيره كمن يستجير من الرمضاء بالنار. وبالنسبة للقضية الأحوازية فهي كأختها القضية الفلسطينية، فماذا يعني للفلسطينيين إن كان الليكود يحكم في إسرائيل أو حزب العمل. وتغيير رئيس الجمهورية في

إيران أو حتى الولي الفقيه أو سقوط النظام برمته لا يغير من واقع الاحتلال الفارسي للأحواز شيئا.

٩ - كيف ينظر الأحوازيون للاختراق الإيراني للدول العربية والإسلامية عبر ما يسمى بالسياحة الدينية والدعاية المجانية للدولة الإيرانية؟

نعتقد أن أغلب الدول العربية لا تمتلك معلومات دقيقة حول بنية الدولة الإيرانية ومدى حساسيتها من خارطتها السياسية المعقدة في الداخل، فليس من السهل على دولة تحكم فيها قومية فارسية خمس قوميات أخرى أن تستمر إلى الأبد، فليس هناك ما يسمى بالسياحة في إيران ولو الدينية إلا إلى الدول التي تستطيع فيها الأجهزة الأمنية من ممارسة مهامها الأمنية كما تمارسها في إيران مثل (سوريا، لبنان، العراق، الكويت، البحرين، تركيا وإلى حد ما الإمارات واليمن).

وبالنسبة لدولة مثل مصر فلن يدخلها سائح إلا من أفراد الحرس الثوري وعوائلهم وهؤلاء جزء أصيل من النظام في إيران، والفرس أصحاب نفس طويل في السياسة ودولة تمتلك مشروعا لأجيال، ولا يتعجلون في حصد نتائجهم، ولكن على سبيل المثال في مصر، سنجد أن الإيرانيين وعن طريق العرب العرب سوف يستهدفون أولا القرى النائية والفقيرة جدا، وسوف تنشأ مدارس ومستشفيات وجمعيات خيرية لمساعدة الأسر الفقيرة وسوف يصول الإعلام الإيراني ويجول في مصر، وهذا في ظاهره عمل إنساني لا تجد الحكومة المصرية مبررا لرفضه.

والأمة العربية بشكل عام تعاني من عدم نضوج في الفكر السياسي الحزبي، وإلا فإن الحزب الحاكم لا يمتلك صلاحية المغامرة في الأمن الوطني والذي ينعكس ضرره على الأمن القومي العربي بشكل عام. فالعلاقات الدولية علاقات ندية وتبادل مصالح على جميع المستويات، وإذا كانت الحكومة المصرية تجد أن لديها مصلحة اقتصادية مقابل موطن قدم للمشروع الإيراني في

سوريا ولبنان والعراق واليمن وسينقل إلى الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية متى ما شاءت إيران.

وأعتقد أن المنقذ الوحيد من حرب طائفية في الوطن العربي هي القضية الأحوازية، وإن طرحها وتدويلها سوف يحفظ للأمة العربية دماء أبنائها وبنائها التحتية وأموالها وذلك لأسباب موضوعية منها:

١- أن الاعتراف بالقضية الأحوازية سوف يعجل في سقوط النظام السوري وحزب الله اللبناني معا فهو يسحب الورقة الطائفية التي يجيشون فيها السوري على السوري واللبناني على اللبناني، ولو تبته لذلك إخوتنا الثوار في سوريا لطالبوا إيران بالإفراج عن أسرى أحوازيين شيعة حكم عليهم بالإعدام مقابل الإفراج عن الأسرى الإيرانيين الذين قايضهم الثوار بالإفراج عن معتقلين سوريين لدى النظام، فالنظام إن أفرج عن ألف معتقل فسوف يزعج بألفين في الأسبوع التالي.

٢- أن غالبية الشعب الأحوازي من الشيعة، وطرح معاناة الشعب الأحوازي بشكل واسع سوف يكشف زيف ادعاء الفرس بحماية المذهب الشيعي وأتباعه، مما سيحيد كثيرا من العرب الشيعة في الدخول في حرب طائفية لمصلحة دولة تضطهد الشيعة.

٣- أن اعتراف الدول العربية بالقضية الأحوازية وبشعبها الشيعي سيكون دليلا قاطعا على أن الدول العربية ليست دول طائفية سنية أو شيعية كما تروج إيران وأتباعها لتمزيق وحدة المجتمعات الوطنية العربية. وهذا الاعتراف سيوطد العلاقة بين أبناء الشعب الواحد خصوصا في سوريا والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت واليمن وحتى تركيا.

٤- أن الاعتراف بالقضية الأحوازية كقضية احتلال أجنبي سيجعل كثيرا من العرب المواليين لإيران يراجعون مواقفهم، وسيكشف زيف ادعاءات البعض خصوصا وأننا سوف نثبت للعرب

عاصمة الدولة الفاطمية، فالأحواز بحاجة ماسة إلى فتح فرع أو مكتب للأزهر الشريف فيها، فإن رفضت إيران هذا الطلب المصري، فعلى مصر أيضا أن لا تسمح للحرس الثوري بتدنيس أراضيها.

١٠ - ما هو البعد الاستراتيجي لربط القضية الأحوازية بمجريات الثورة السورية وتداعياتها إقليمياً ودولياً؟

إن الثورة في سوريا تعني لإيران أنها ستفقد مئات المليارات من الدولارات صرفتها لكي تسيطر على سوريا ولبنان، وحصيلة عمل سياسي واستخباراتي لما يزيد عن أربعين عاما، واختراقا مخيفا يهدد مشروعها بالسقوط. ويكفي أن نذكر بقول محمد طائب (المسؤول عن مكافحة الحرب الناعمة الموجهة ضد إيران) حين قال: «لو خسرتنا سوريا لن نحفظ بطهران، ولو خسرتنا خوزستان (الأحواز) سوف نستعيدها ما دام النظام السوري موجودا»، وهذا شاهد من أهلها يربط الثورة السورية بالأحواز وهو رجل استراتيجي لا يقول الكلام جازفا. ونحن كأحوازيين نعي ونفهم تماما ما قال طائب وربما مر تصريحه على كثير من إخوتنا العرب مرور الكرام بما فيهم بعض إخوتنا السوريين، فإيران ترى أن نجاح الثورة في سوريا سيكون سببا مباشرا للاعتراف بالقضية الأحوازية وتدويلها.

ومن المؤسف أن لا يدرك العرب ماذا تعني لهم الأحواز وماذا تعني لإيران، فإيران تجد نفسها محتلة لسوريا ولبنان بالنيابة كما تحتل العراق وتسعى لاحتلال اليمن أو تقسيمه ثم دول الخليج العربي، وإن تحرير سوريا من الاحتلال الفارسي سيؤدي إلى تحرير لبنان ثم تحرير الأحواز فالسوريون لن يغفروا جرائم الفرس في سوريا، ولكي تحافظ إيران على الأحواز فإنها سوف تحرق المنطقة العربية برمتها للمحافظة على النظام السوري دون أن تستخدم قواتها العسكرية، بل سوف تستخدم العرب لقتال العرب عن طريق تشبيب الحرب الطائفية، والكل يعي ما يحدث في

شيعية وسنة وبالوثائق الملموسة أن ممارسات الفرس ضد الشعب العربي الأحوازي لا تقل عن ممارسات إسرائيل ضد إخوتنا الفلسطينيين، وأن الفرس ينتهجون نفس سياسات الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين. بل إن الإيرانيين مارسوا سياسة التفرس بينما لم تمارس إسرائيل سياسة التهويد.

٥ - أن تدويل القضية الأحوازية سوف يجعل إيران تفقد كل أوراقها في الدول العربية ولن تعود قادرة على تهديد أحد أو التدخل بشؤون الدول العربية.

٦ - أن تدويل القضية الأحوازية سيوطد الأمن الوطني والقومي للدول العربية ولا يتطلب من العرب الدخول في حرب ضد إيران، فإسرائيل تحتل فلسطين ولم يقاتلها أحد منذ عام ١٩٧٣م، ولكن الشعب الفلسطيني استمر في المقاومة، وهكذا نحن الأحوازيين لن نكلف أحدا من إخوتنا العرب قطرة دم واحدة وسنكون قادرين على توريط الفرس مع المجتمع الدولي.

٧ - أن الاعتراف بالقضية الأحوازية سوف ينهي ادعاء إيران بفارسية الخليج العربي وإلى قيام الساعة.

١١ - هل تمتلك القضية الأحوازية مقومات تفرض نفسها كقضية إقليمية وإسلامية وقومية؟ وكيف ستفرض هذه الأبعاد؟

نحن الأحوازيين لا نمتلك مقومات قضية فقط بل نمتلك مقومات دولة قوية إقليمية وإسلامية وعربية، فلدينا الحق التاريخي بأرضنا التي نعرف حدودها الجغرافية جيدا، ولدينا شعب لم يرضخ ولم يشرعن وجود الاحتلال الفارسي على أرضه ليومنا هذا، والشعب الأحوازي شعب عربي في غالبيته العظمى، ومسلم ويرتبط بأمتة العربية ارتباطا وثيقا، فكل القبائل العربية في الأحواز لها امتداد في أغلب الدول العربية.

والأحواز عائمة على بحر من البترول والغاز الطبيعي، ثم إن وجود شعوب غير فارسية تحيط بالدولة الإيرانية من جهاتها الأربع وتطالب بالانعتاق

والتححرر يمد القضية الأحوازية بمقوم هام للغاية يدعم مقاومة الشعب الأحوازي، وكل هذه مقومات للقضية الأحوازية، وكل ما تحتاجه القضية هو الدعم المادي المدروس بشكل جيد وهو الدعم الذي يربط ولا يحل والذي يجمع ولا يشتت.

أما كيفية فرض هذه الأبعاد فهذا أمر يتعلق بالفكر السياسي الاستراتيجي الأحوازي، والأحوازيون يمتلكون وسائلهم الكفيلة بفرض قضيتهم العادلة على المجتمع الدولي من باب القانون الدولي والحفاظ على السلم والأمن الدوليين، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ومن باب المصالح الاستراتيجية للدول التي تعتبر أن البترول بالنسبة لها مسألة حيوية تتعلق بأمنها القومي.

١٢ - هل الربيع العربي ألقى بظلاله على الداخل الإيراني وما مدى تأثير الشعوب غير الفارسية بمجريات الأحداث في المنطقة؟

إن الطبيعة العنصرية للشعب الفارسي ونظرتهم الفوقية للشعوب الأخرى خصوصا الشعوب العربية سوف يجعلهم يهربون للخلف فنحن عاشرنا هؤلاء القوم وخير من يفهم تصرفاتهم، أما بالنسبة للشعوب غير الفارسية فهي لم تتوقف منذ عقود عن مقاومة الاحتلال الفارسي، ولكن الدولة الإيرانية تكونت بقرار يرتبط بمصالح دول عظمى، وكما استطاع الفرس فرض هيمنتهم على القضية الأحوازية فإنهم فرضوا نفس الهيمنة على الشعوب الأخرى.

والشعب المعني أكثر بالربيع العربي هو الشعب الأحوازي ولذا فهو يتطلع إلى شعوب عربية قادرة على اتخاذ قرارات مصيرية حاسمة، ولكنني أعتقد أن الربيع العربي لن يحقق أي أهداف تذكر طالما الفكر السياسي العربي الذي أنتج الأحزاب السياسية المعارضة هو نفس الفكر الذي أنتج أحزاب السلطة، فالحزب في منطقتنا العربية ينشأ بمشروع سياسي يمثل توجهات الحزب، ويسعى للوصول للسلطة لكي يفرض مشروعه على

الشعب، وحتى الانتخابات النزيهة لا تغير من واقع الأمر شيئاً إلا إذا تغير الفكر السياسي.

وتغيير الفكر السياسي يتطلب نشوء أحزاب جديدة تسعى للمشاركة في السلطة لبناء مؤسسات الدولة ويكون جل أهدافها المحافظة على سيادة القانون والدستور في الدولة، وهذا أيضاً لن يكون مجدياً إن لم يتغير مفهوم الوطنية عند الشعوب كمقياس، من (حب الوطن) إلى (حب المواطن)، فكل المستبدين كانوا يحبون أوطانهم ولكنهم لا يحبون الشعوب، وعلى مستوى الجماهير، فعندما تكون الوطنية عند المصري على سبيل المثال هي (حب مصر) فهذه الوطنية كمقياس غير قادرة على جعل السياسي يعمل على أساس مصلحة الشعب وإن عارض موقفه موقف النظام، وغير قادرة على كبح جماح رجل الأمن في إهانة مواطن مصري، وغير قادرة على جعل المواطن يحترم رجل الأمن ويحافظ على أمن بلده ومصالحه، وغير قادرة على منع المواطن الغني من أن ينظر للفقير نظرة احتقار وتكبر ويبقى مع ذلك إنساناً وطنياً لأنه يحب الوطن، وغير قادرة على جعل موظف الدولة يؤدي واجبه تجاه المواطن دون رشوة أو مئة، وغير قادرة على صناعة فكر يؤدي إلى احترام حقوق المواطنة.

نحن العرب استوردنا قشور الحزبية من الدول الغربية، فساهمنا أنظمة ومعارضة في تخلف بلداننا، وكفي بهذا الصدد أن نذكر بقول رسول الله صلى عليه وآله وصحبه أجمعين (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وهذا أسمى معاني الوطنية والانتماء للمجتمع.

فحين يحب العربي العربي في وطنه الصغير والكبير فسوف تتحرر فلسطين والأحواز وتعود هذه الأمة عزيزة على أهلها ومُهابة أمام المجتمع الدولي، وحينها سيكون الربيع ربيعاً .

نحو الهدف..

إيران ومحاولات اختراق الإعلام المصري

بقلم: أسامة الهتمي^(*)

بات التساؤل عن حقيقة المحاولات الإيرانية

لاختراق البلدان السنية، وخاصة مصر، تساؤلات ساذجة يعكس إلى أي مدى يعاني أصحابه من التعامي عن الحقائق الواضحة وضوح الشمس والتي تتكشف يوماً بعد يوم في ظل الزخم المعلوماتي عن التحركات الإيرانية على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي ترفع شعارات زائفة عن التقارب والوحدة الإسلامية مع البلدان العربية والإسلامية إذ هي لا تعدو عن كونها الوجه الجميل لمخطط يستهدف بالأساس إنفاذ المشروع الإيراني الشيعي التوسعي في المنطقة والذي رأت إيران أن تحقيقه لن يتم إلا بإحداث شق في الصف السني يضعف من مقاومته ويخفف من حدة مواجهته لها ولمخططاتها.

وإن كان لنا من حق لتقييم محاولات

الاختراق الإيراني الشيعي لمصر فإننا نستطيع أن

نقول إن هذه المحاولات نجحت وإلى حد كبير

في تحقيق خطوات مهمة وخطيرة، فهي على المستوى السياسي استطاعت أن تستقطب عدداً لا بأس به من الرموز السياسية الذين كان من بينهم من خاض معركة المنافسة على كرسي الرئاسة المصرية وسط معلومات كثيرة تناقلتها الأوساط الإعلامية والسياسية عن تلقيهم لأموال إيرانية لدعم حملاتهم الانتخابية التي كلفت الملايين من الجنيهات.

كما استمالت إيران عدداً من الأحزاب

والقوى السياسية التي أعلن بعضها صراحة أنها

(*) كاتب مصري.

أحزاب شيعية يقوم على تأسيسها وقيادتها شخصيات شيعية في حين تبنى بعضها الآخر موقف الدفاع عن إيران والتبرير لسلوكها.

كذلك تمكنت الدولة الإيرانية من أن تقنع القائمين على اتخاذ القرار المصري بأهمية التقدم نحو ما يسمى بالتقارب معها وتجاوز مرحلة الخلاف بين البلدين بدعوى أنها كانت نتاج سياسات النظام المصري السابق بقيادة المخلوع حسني مبارك والذي كان في جُلّ سياسته وتحركاته رهينة للضغوط والإملاءات الأمريكية.

أما على المستوى الاقتصادي فقد استطاعت طهران أيضا أن توهم الإدارة المصرية الجديدة بأنها يمكن أن تكون خير عوض وبديل للوقوف بجانبها ودعمها بعد أن تخلت عنها بعض القوى العربية والإقليمية التي لم يكن يسرها إسقاط النظام المصري وتولي الإسلاميين للحكم فسارعت إلى اقتراح فتح الباب أمام السياحة الإيرانية لمصر بعد أن استفاضت في الحديث عن مدى ما يمكن أن تساهم به السياحة الإيرانية في إنعاش الاقتصاد المصري وزيادة دخول العملات الصعبة فضلا عن أنها ستكون التعبير الجيد عن مدى شوق الشعب الإيراني للتعرف على مصر وحضارتها وتوثيق علاقة الشعبين بعضهما ببعض وهي مسألة لم يعد خافيا على أي مراقب أو عاقل مدى خطورتها باعتبارها الطريق الأسهل لنشر المذهب الشيعي بين المصريين.

وحتى تكتمل منظومة الاختراق الإيراني لمصر فإنها وانطلاقا من إدراكها لأهمية الإعلام في تكوين الرأي العام وتسهيل عملية الاختراق الإجمالية حرصت على أن تكون المؤسسات الإعلامية في مرمى الاستهداف فجاهدت في أن تستقطب عددا من الإعلاميين العاملين في الوسائل الإعلامية المتعددة (فضائيات - صحف - مواقع إنترنت) وذلك لدعم الموقف السياسي الإيراني الذي وكما أكدنا مرارا وتكرارا في مقالات سابقة عدة هو الأهم لدى طهران.

واستغلت إيران كالعديد من البلدان-

الاصدقاء والأعداء - حالة السيولة السياسية والأمنية أو بالأحرى حالة الفوضى التي تعيشها البلاد منذ اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير في أن تكشف من التواصل مع فئة الإعلاميين من مختلف التيارات والانتماءات السياسية والفكرية، فما يشغلها بالأساس هو إيجاد طابور إعلامي داعم لها بغض النظر عن وجهات نظر هؤلاء الإعلاميين ورؤاهم حول الإسلام بمعناه السياسي والحضاري إذ الكثير منهم أصلا من العلمانيين المتطرفين الذين يرفضون إقامة حكم إسلامي.

استخلاص المواقف الداعمة لإيران

وفي هذا الصدد يقول محمد محسن أبو النور الباحث المصري في العلاقات المصرية- الإيرانية إنه ومنذ نجاح ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م في إسقاط مبارك، والدولة الإيرانية تسعى إلى توثيق علاقتها بعدد من الإعلاميين المصريين البارزين وذلك بهدف استخلاص مواقف داعمة ومؤيدة للتحركات الإيرانية بل ومدافعة أحيانا عن سياساتها التي غالبا ما تثير لغطا وحساسيات لدى الأنظمة والشعوب العربية.

وأضاف أبو النور أن من بين هؤلاء الإعلاميين المصريين الكاتب الصحفي والإعلامي وأهل الإبراشي، رئيس تحرير صحيفة الصباح، وصاحب برنامج العاشرة مساء على قناة دريم ٢، والمقدم السابق لبرنامج الحقيقة، الذي كان يذاع على قناة دريم ٢ أيضا، مشيرا إلى أنه كان من المعلوم لدى المتابعين لبرامج الإبراشي الحالية والسابقة ذلك الانحياز في مواقفه للدولة الإيرانية وسياساتها.

وأوضح أبو النور أن الإبراشي هو من قدم تلك الحلقة الخاصة من برنامج الحقيقة عن زواج «ملك اليمين» التي أثارت جدلا كبيرا في الشارع المصري والتي قدم فيها الإبراشي بطلها المدعو المهندس عبد الرؤوف عون باعتباره داعية ومفكرا إسلاميا وأنه واحد من آل بيت النبي محمد ﷺ.

أما برنامج العاشرة مساء فالشواهد التي تؤكد انحياز الإبراشي لإيران خلاله أكبر من أن تحصى

لكن لا يمكن غض الطرف عن تلك الحلقة التي خصصها الإبراشي للدفاع عن إيران وتبرئة ساحتها من محاولة اغتيال السفير السعودي في الولايات المتحدة الأمريكية «عادل الجبير» وهو الأمر الذي يؤكد صحة ما ذهبنا إليه خاصة وأن محكمة أمريكية في منهاتن بنيويورك أصدرت مؤخرا حكما بالسجن لمدة ٢٥ عاما على الأمريكي منصور أرباب سيار الإيراني الأصل بعد إدانته بالتآمر لتنفيذ العملية بالتعاون مع المخابرات الإيرانية.

ويقول أبو النور إن إيران حرصت أيضا على أن توثق علاقتها وتتواصل مع ما يسمى بوكالات وشركات البث المباشر والتي تقوم بإعداد وتقديم مواد تلفزيونية كخدمة إعلامية لبعض القنوات الفضائية التي ليس لها مكاتب خاصة في القاهرة، وكان من أبرز هذه الشركات «الشركة المصرية للإعلام» التي يقع مكتبها وسط العاصمة المصرية القاهرة وبجوار مسجد الدكتور مصطفى محمود بحي المهندسين مشيرا إلى أن هذه الشركة تعود ملكيتها للإعلامي خالد السيوفي وهو نجل الكاتب والصحفي المصري أحمد السيوفي مدير مكتب قناة العالم الإيرانية في مصر.

وأضاف أبو النور أن المخابرات المصرية قامت العام الماضي باعتقال خالد السيوفي مدير الشركة بتهمة بث برامج على الهواء بدون ترخيص حيث أمدت الشركة عشرات القنوات الشيعية في الخليج بمواد تلفزيونية دون أن تحصل على إذن من الهيئات المختصة ببث هذه المواد.

وأوضح أن من بين الشركات أيضا شركة «فيديو كايرو سات» وهي شركة بارزة تعود ملكيتها إلى المهندس محمد جوهر صاحب قناة ٢٥ وقد تم استقطابها عن طريق إرسال تعاقدات بينها وبين قنوات شيعية في العراق من بينها مثلا قناتي (الاتجاه والزوراء) وهي قنوات تقدم مبالغ مالية كبيرة في مقابل الخدمات الإعلامية التي تقدمها الشركة والتي من بينها مظاهر دعائية لهذه

القنوات كأن تشارك الشركة في المؤتمرات الصحفية التي يعقدها المسئولون المصريون سواء من السلطة أو من المعارضة حيث تظهر العشرات من «مايكات» هذه القنوات أمام المسئولين.

ويكشف الباحث المصري أبو النور عن أنه وفي أعقاب ثورة يناير انتشر ما عرف بـ «موسم الحج إلى طهران» حيث يتم تنظيم رحلات سفر لنحو ٣٠ أو ٤٠ إعلاميا مصرية وإعلامية إلى طهران كل أسبوع أو أسبوعين حيث تقوم هيئات إيرانية بتنظيم برنامج خاص لهؤلاء الإعلاميين للتعرف على إيران خلال فترة الزيارة.

ويلفت أبو النور إلى أن خطورة هذه الرحلات تتمثل في أنها محاولات لاستخلاص مواقف متضامنة مع إيران إذ أن الإعلاميين والصحفيين بشكل لا إرادي يتعاطفون مع الدولة الإيرانية نتيجة حالة الإبهار التي تتأهبهم مما يشاهدونه حيث لا يرون إلا كل ما هو جميل ومنظم في إيران وهو بالطبع أمر متعمد فليس للإعلامي أو للصحفي حق التنقل بحرية كاملة، وفي حال رغب في التنقل بمفرده يكون في صحبته أحد رجال الاستخبارات الإيرانية.

وقال أبو النور: «إن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل إن بعضا من الإعلاميين الذين سافروا إلى إيران عاد وقد تشبع وهم عدد ليس بالقليل»، مشيرا إلى أن هؤلاء المتشعنين لا يعلنون عن تشيعهم إلا في أوساط ضيقة انطلاقا من مبدأ التقية مؤكدا أنه يعرف بعضهم غير أن الإفصاح عن أسمائهم ربما يؤثر في علاقته بهم.

وأورد أبو النور بعض أسماء الشخصيات والهيئات القائمة على تنظيم رحلات الإعلاميين لطهران فذكر منهم الكاتب والصحفي طارق السنوسي الذي اعتبره الأبرز في هذه المسألة وهو رئيس القسم الدبلوماسي بصحيفة الأهرام المسائي الصادرة عن مؤسسات الأهرام للطباعة والنشر ومنهم أيضا الباحث المصري أحمد عبد الرحمن والدبلوماسي الإيراني توفيق حمدي الذي قام

بتسويق آخر وفد إعلامي سافر لطهران.

وأضاف أبو النور أن الإعلاميين والصحفيين المشاركين في هذه الوفود ينتمون إلى صحف وفصائيات متنوعة وليست محصورة في اتجاه بعينه مشيراً إلى أن المستغرب في الأمر أن أغلب المشاركين هم من يتصلون بالمنسقين لهذه الرحلات لإدراج أسمائهم ضمن الوفود.

وأوضح أن هناك عدة معايير لمشاركة الإعلاميين في السفر ومنها أن لا يكون هذا الإعلامي ضد تطور العلاقات المصرية - الإيرانية وأن لا يكونوا صحفيين ذوي شخصية فكرية قوية وهو المعيار الذي يشددون عليه منذ أن قامت إحدى المشاركات وهي الصحفية والإعلامية نشوى الحوي في بانتقاد الرئيس أحمدى نجاد علناً في شهر مايو ٢٠١١م وهو ما أزعجهم بشدة ودفعهم للتشديد على معايير الاختيار.

وقال أبو النور إن من الاحتياطات الأمنية التي تجريها السفارة الإيرانية في سفر الوفود الإعلامية هو الاتصال بالإعلامي المشارك قبل سفره بيوم أو بيومين لإعداد نفسه للسفر حيث يتجمع المسافرون أمام مقر السفارة أو مقر القائم بأعمال السفير في القاهرة للانطلاق بعد ذلك للمطار لاستقبال الطائرة التي إما أنها تتوجه إلى دبي أو مسقط أو أنقرة ثم إلى طهران.

وحول الجانب المادي في الرحلة يؤكد أبو النور أن المشارك لا يتكفل بأي شيء في رحلته فالرحلة يتحمل نفقاتها بالكامل الدولة الإيرانية وذلك عن طريق ما يسمى بدار التقريب بين المذاهب، الأمر الذي يحمل معنى ومغزى بعينه.

ويوضح أبو النور أن أغلب الوفود تقيم في فندق آزادي (الحرية) في طهران وهو فندق تحيطه حراسة مشددة تمنع المشاركين من التنقل بمفردهم دون مصاحبة إحدى الشخصيات الأمنية فالهدف هو تكوين انطباع لدى المشارك أن إيران بلد الحرية والانفتاح الحضاري والتقدم العلمي.

وكشف أبو النور عن أن عدد الإعلاميين الذين

سافروا لإيران منذ الثورة وحتى الآن بلغوا تقريبا نحو ٥٠٠ إعلامي لم يتم التحقيق أمنياً مع أحدهم على الرغم من أنه وقبل الثورة كان يقوم جهاز أمن الدولة ووحدة مكافحة التجسس بالتحقيق مع كل من يسافر إلى إيران قبل سفره وبعد عودته.

استقطاب الأحزاب والشخصيات الإعلامية

كذلك فقد كان من خطط إيران اختراق الأحزاب السياسية التي ادعى بعضها أن يستند إلى مرجعية إسلامية في حين كان لبعضها الآخر توجهات فكرية وسياسية مخالفة لذلك وكان في هذا الاستقطاب المتنوع مخطط إيراني لضرب عصفورين بحجر واحد فالهدف الأول هو تكوين رأي عام سياسي يتضامن مع التحركات الإيرانية ويبرر أمام الجماهير المصرية بعض سياساتها المتعارضة مع المصلحة الوطنية والعربية والإسلامية فيما الهدف الثاني هو اختراق الصحف التي تصدرها هذه الأحزاب حيث لبعضها تأثير بالفعل في التوجيه السياسي الذي إن لم يكن على المستوى العام فسيكون على أقل تقدير على مستوى المنتمين والمناصرين لهذا الحزب أو ذاك.

وقد وضع هذا الدور الإيراني جلياً في كل من حزبي العمل - جناح مجدي أحمد حسين - والحزب الناصري فكلاهما وعلى الرغم من إعلانهما تبنيهما للفكر القومي إلا أن موقف الحزبين لم يخرج عن دائرة دعم إيران والدفاع عنها على الرغم من تعارض الكثير من هذه السياسات مع قضايا عربية وإسلامية بحتة.

وقد كان لهذه المواقف الداعمة - ربما - بعض القبول لدى قطاعات شعبية انطلقاً من كون إيران تمثل لهم قائدة ما يسمى بمحور الممانعة الذي يناهض الإمبريالية الأمريكية والصهيونية فضلاً عن كونها الداعم المالي والسياسي لحزب الله اللبناني الذي نجح في خداع الكثيرين بادعائه أنه رمز للمقاومة وحائط الصد ضد الأطماع الصهيونية.

لكن وقد تكشف الوجه الحقيقي لإيران بعد التدخل السافر لها ولعناصرها ضد ثورة الشعب

السوري وقيامها بالمشاركة مع قوات وشبيحة نظام بشار الأسد في قتل وطرد السوريين، وبعد أن افتح الوجه الحقيقي لحزب الله وقائده حسن نصر الله حيث حول الحزب المقاوم سلاحه إلى صدور السوريين فلم يعد هناك من يمكن له أن يتعاطف مع هذه التوجهات أو أن يرى لها ما يبررها وهو ما أضعف - بفضل الله - حجة هؤلاء وموقفهم وباتوا يعرف بعضهم أنهم رجال إيران.

ويكفي في هذا السياق أن نشير إلى تلك الحملة الصحفية التي قادتها جريدة الشعب الجديد - لسان حال حزب العمل الجديد والتي دافعت فيها باستماتة عن فتح باب السياحة الإيرانية في مصر حيث ركزت على الجوانب الاقتصادية الإيجابية التي يمكن أن تعود على البلاد من جرائها فيما غضت الطرف عن كل السلبيات التي حذر منها خبراء السياسة وعلماء الدين فضلا عن تحذيرات الاقتصاديين أيضا.

وعلى نفس المستوى كان تحرك إيران على بعض الشخصيات الإعلامية التي يبدو أنها انبهرت بالنموذج الإيراني في البناء والتنمية رغم المشكلات والعقبات التي تواجهها باعتبارها بلدا يعيش حالة من الصراع مع الغرب على المصالح ومد النفوذ وهو ما جسده بوضوح الكاتب الصحفي فهمي هويدي والذي بدا للجميع من خلال كل ما كتبه عن إيران أنه متعاطف معها لأقصى درجة.

ويكفي هنا مثلا أن نورد موقف هويدي من المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس الإيراني أحمد نجاد خلال زيارته لمقر مشيخة الأزهر الشريف إذ أعرب هويدي عن استيائه من تعرض نجاد للعديد من الأسئلة حول عدد من القضايا التي رآها هويدي أنها محرجة للرجل.

وقال هويدي بالحرف الواحد: «ربما كانت بعض تلك الأسئلة صحيحة وواجبة الطرح، لكنها وجهت إلى الرجل غير المناسب وبأسلوب غير مناسب، وفي المكان غير المناسب، ذلك أنه لم يكن من حسن التقدير أن تلقى كلها في وجه

الرجل، الذي لم يقل أحد إنه مرجع دين يتحدث في شأن الصحابة وعملية التشييع».

وأضاف: «وإذا كانت هناك ملاحظات أو تحفظات على سياسة دولة الضيف فإنها تقال في الاجتماعات والحوارات بين الطرفين، ولا تبث هكذا على الهواء، وهو موقف لا يعبر عن مؤدّة أو رغبة في التواصل ومد الجسور، وقد بدا أن إشهارها بتلك الطريقة ليس مقصودا به حل أي مشكلة، وإنما الهدف منه هو تسجيل المواقف وإحراج الرجل والتعريض به وبدولته ... من جانبي استهجن المشهد، وقلت إن الأسئلة التي طرحت لا تعبر فقط عن هواجس وقلق من جانب مؤسسة الأزهر أو حتى من جانب السلفيين. ولكنها تعبر أيضا عن موقف سياسي ينطلق من التقاطع وليس التوافق. وكان ذلك أوضح ما يكون فيما أثير حول عرب الأهواز (أغلبهم من الشيعة)، الذين إذا افترضنا أن لهم مشكلات مع حكومة طهران، فإن ذلك لا يبرر تدخل الأزهر في الموضوع».

وواضح جدا من كلمات هويدي أن أمر إحراج نجاد بمحاصرته ببعض الأسئلة التي قرر هو نفسه بأن بعضها صحيح قد أصابه بالضيق وأن الأصل في المسألة أننا كان يجب أو بالأحرى كان يجب على الصحفيين الذين شاركوا في المؤتمر الصحفي أن يعبروا عن ودهم وترحيبهم بالرجل.

والحقيقة أن موقف هويدي هو الذي يثير الالتماع إذ كيف كان يمكن تمرير زيارة نجاد للأزهر الشريف دون أن تطرح عليه هذه القضايا وأن تصله رسالة قوية مفادها أنه يشارك في مأساة ومعاناة المسلمين الذين يدعي وهو وبلاده أنهم منحازون لقضاياهم ومدافعون عنها.

كُتَاب الاتجاه القومي

لم يكن التصدي للفرق المبتدعة من اهتمامات التيار القومي إذ أنه أسقط من حساباته أي اعتبار للاختلافات والفوارق الدينية، وجعل ذلك سبباً لتجنب السجلات المذهبية والفتن الطائفية، وقدّم الفكرة القومية كمشروع للوحدة، ووصّفه لجمع الصف وتوحيد الشعوب العربية على اختلاف طوائفها وانتماءاتها الدينية والمذهبية.

والفكرة القومية الهشة لم تستند إلى أدلة علمية ولم تخرج من رحم الواقع والضرورة، وإنما صاغت أذهان معادية للإسلام والعروبة، وأنعشت أجواء الهزيمة التي أفسحت المجال لأي وصفة للإنقاذ وانتشال العرب من ذل الهزيمة والتبعية.

ولذلك لم تصمد الفكرة القومية في ميدان المواجهة مع الفكرة الدينية، وانتصرت الأقليات الدينية (النصرانية والشيعية والدرزية والعلوية) في معاركها مع الجمهور السني الذي يحمل قاداته الفكرة القومية، فسقطت الأرض العربية بيد الأقليات وأصبحت مرتعاً للمليشياتهم وتحالفاتهم الإقليمية والدولية على حساب الدين والوطن والشعب.

وقد شهد العراق خلال القرن الماضي واحداً من أعنف الصراعات والمواجهات بين أنصار الفكرة القومية (حزب البعث) والفكرة الدينية (التشيع بقيادة الخميني) حينها وجد البعثيون أنفسهم أمام واقع يُبطل نظرياتهم ومبادئهم الفكرية، ورأوا أنه لا بد من مواجهة مع الفكر الشيوعي العدواني، فاتخذوا لذلك منهجاً يتناسب مع أصولهم الفكرية.

لقد عبث القوميون بمشهد الصراع بين الإسلام والتشيع فصوروه بأنه معركة بين العرب والفرس

(*) كاتب عراقي.

(على الصعيد السياسي) وبين العروبة والشعبوية (على الصعيد الثقافي الحضاري) وبين الإسلام وحركات الزندقة الباطنية (على المستوى الديني)، وبهذا تجنب القوميون أي صدام مع الشيعة الإمامية وعقائدهم التي كانت المحرك الأول لعدوان الخميني على العراق.

ولعل هذا التصوير المشوه، والعبث التضليلي أبقى عقائد التشيع بمنأى عن النقد والذم والفضح؛ فبقيت عورة الشيعة المتمثلة بمذهبهم مستورة عن شعوب المنطقة حتى احتلال العراق عام ٢٠٠٣.

لقد أشاع البعثيون القول بأن العدوان الخميني كان محض «أطماع سياسية وأحلام تاريخية ونزعة توسعية عند حكام إيران»، وهو تحريف للحقيقة بكتّم الجزء الأكبر منها وحجب الجانب المؤثر فيها وهو البعد الديني العقائدي.

احتفى القوميون البعثيون بآراء وتحليلات - مدفوعة ومرفوضة ومردودة عقلاً ونقلًا وواقعاً - ، من أجل تفسير العدوان الشيوعي، منها القول بالتفريق بين التشيع العلوي العربي والتشيع الصفوي الفارسي، وهو فرق محدث مبتدع ترده الثوابت الدينية والحقائق التاريخية والمعطيات الواقعية.

ساهم البعثيون في إنقاذ سمعة التشيع، وجعلوه في موقع «الضحية لأطماع الفرس والشعوبيين» بدلاً من تحميله مسؤولية الحرب على شعب العراق.

لم يُسلّم الفكر القومي بحقائق الحرب الدينية التي يشنها الخميني على «العراق العربي السني» فأخذ يلوي عنق الواقع ويطويعه وفقاً لنظرياته فاخترل التشيع ببعض فرقته الغالية كالقرامطة والنصيرية والإسماعيلية، كما أفرط في الحديث عن الشعبوية على حساب العقائد الشيعية، كما بالغ في تضخيم الأطماع القومية الساسانية وأغفل ذكر الأطماع التوسعية للديانة الشيعية.

تحفل المكتبة العراقية بالعديد من المؤلفات المنتمة لهذا الاتجاه، نذكر منها:

١- مؤلفات المؤرخ فاروق عمر فوزي

وهو من مواليد الموصل عام ١٩٣٨، حصل على الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٦٧، وأصبح رئيساً لقسم التاريخ في جامعة بغداد (١٩٧٨-١٩٨٠)، وله العديد من الأبحاث والدراسات التاريخية، ومن مؤلفاته:

١- «الخمينية وصلتها بحركات الغلو الفارسي والإرث الباطني»، المؤتمر الإسلامي الشعبي، بغداد ١٩٨٨.

٢- «حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر العباسي»، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٨.

٣- الفكر العربي في مجابهة الشعوبية: عصر الخلافة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٨.

٤- العراق والتحدي الفارسي، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧.

٢- مؤلفات الدكتور عبد الله سلوم السامرائي

مثقّف متحمس لنشر أفكار حزب البعث، أرسى قواعد الحزب في مدينة «حديثة» ثم انتقل إلى «الرمادي» ثم إلى «سامراء»، عُيّن وزيراً للإرشاد والثقافة في أول حكومة تشكلت بعد الانقلاب على عبد الكريم قاسم، اختلف مع صدام حسين فسُجن ثم عُفي عنه، وفي أيامه الأخيرة تحول إلى باحث إسلامي فألف جملة كتب أشهرها (الشعوبية)، توفّي في بغداد عام ١٩٩٣^(١)، ومن مؤلفاته:

١- الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة

(١) مذكرات عدنان الدليمي (آخر المطاف)، ص ٦٣ هامش (١)، دار المأمون، الأردن.

العربية، بغداد ١٩٨٤.

٢- القاديانية والاستعمار الإنكليزي، دار واسط، بغداد.

٣- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط، بغداد ١٩٩٠.

ومن المؤلفات التي تناولت التشيع من وجهة نظر قومية، أو عروبية (قومية إسلامية):

١- أضواء على حركات التسلسل الشعبي لأحمد محمد المختار (مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٥).

٢- المدارس اليهودية والإيرانية في العراق، فاضل البراك.

٣- التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، لمحمد البُنْداري، وهو اسم مستعار للدكتور بشار عواد معروف.

ومن الدراسات التي تعرضت للشعوبية والحركة الباطنية عرضاً ونقداً:

١- الجذور التاريخية للشعوبية، عبد العزيز الدوري.

٢- «في الظاهرة الخمينية» جاسم العربي، دار القادسية بغداد، ١٩٨٣.

٣- الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، حسن حميد الغريباوي^(٢)، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٣.

٤- التسلسل الباطني في العراق في القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري، مكي خليل حمود.

٥- المقاومة العربية للتسلط البويهّي في العراق والجزيرة الفراتية، طالب جاسم حسن.

٦- النهج المعتزلي في الرد على الشعوبية:

(٢) للأستاذ الغريباوي دراسة نقدية لمذهب الشيعة في العصمة تعرض لها في كتابه (العصمة في الفكر الإسلامي)، المنشور في دمشق ١٤٢٨ هـ.

الوسائل والأساليب، ميعاد إسماعيل هادي.

وتجدر الإشارة إلى أنه خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية شهدت بغداد عدة ندوات فكرية لمواجهة الخطر الشيعي منها:

- مخاطر الخمينية على الأمة وعقيدتها، ٢٨ أيار ١٩٨٨.

- «النصيرية حركة هدمية»، كلية الشريعة في جامعة بغداد ٢٣- ١٩٨٥/١٢/٢٤.

- «الخمينية حركة معادية للإسلام والعروبة» عام ١٩٨٨.

- الندوة القومية لمواجهة الدس الشعبي، كانون أول ١٩٨٩.

الجهود العلمية للإسلاميين المعاصرين

لن نبالغ إذا قررنا أن الباحثين الإسلاميين في العراق لاسيما خلال العقود الأخيرة (١٩٨٠- ٢٠١٣)، تمكنوا من إنشاء مكتبة متكاملة في التشيع: حقيقته العقيدية والرد على شبهاته ومزاعمه، وبعضها اعتنى بدراسة الواقع الشيعي المعاصر، وبعضها عالج أفكار وآراء خاطئة سادت وشاعت وساهمت في حجب الصورة الحقيقية للتشيع، وقد اقتضت الظروف الأمنية أن يتخذ بعض الباحثين أسماء مستعارة.

ولم يكن هذا الإنتاج الغزير على حساب الكفاءة والجودة العلمية، بل إن ما كتبه العراقيون في هذا الشأن يعد في القوة والمتانة بمثابة مؤلفات المغاربة في علم مقاصد الشريعة، فهم أعرف الناس وأخبرهم بالتشيع، فما صدر عنهم خرج عن علم ودراية وتجربة، تعززت بالحاجة والضرورة والقيام بالواجب الشرعي في جهاد المبتدعة والدفاع عن ثوابت الدين، ومن هؤلاء الفرسان:

١- الدكتور طه حامد الدليمي، من الأسماء البارزة في ميدان الرد على الشيعة، والعناية بالقضية السنية العراقية، وهو متخصص بنقد ونقض أصول

المذهب الجعفري وفهم نفسية الفرد الشيعي، ومن أبرز آثاره المطبوعة:

- المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل.

- التشيع عقيدة دينية أم عقدة نفسية؟

- أسطورة المذهب الجعفري.

- إمامة الصديق

- التوحيد والشرك في ضوء القرآن الكريم.

- الإمامة في منظور القرآن الكريم.

- العصمة في منظور القرآن الكريم.

- عصمة الأنبياء عليهم السلام.

- الصحابة بين ميزانين.

- القرآن وعليّ والصحابة.

- آية الولاية وعلاقتها بالإمامة.

- آية المودة وعلاقتها بالإمامة.

- آية ابتلاء إبراهيم (عليه السلام) وعلاقتها بالإمامة.

- آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة.

ومن جهوده المتعلقة بقضية أهل السنة في العراق وتوثيق محنتهم:

- هذه هي الحقيقة: الأعداد والنسب السكانية لأهل السنة والشيعة في العراق.

- البادئون بالعدوان.

- يوميات قضية

- غربان الخراب في وادي الرافدين

أما ردوده على كتب الشيعة، فنذكر منها:

- هذا هو «الكافي».

- نظرة في «نهج البلاغة».

- العلوي وكتابه «عمر والتشيع».

٢- الأستاذ علاء الدين البصير، أحد الباحثين المتميزين بسعة الاطلاع على كتب

الشيعة، من مؤلفاته:

- ابن سبأ: الشبح المخيف للفكر الجعفري ومرتضى العسكري.

٥- أبو مريم بن محمد الأعظمي، له رد نفيس على كتاب المراجعات للموسوي، باسم بد(الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات)، والذي يعد من أقوى الردود العلمية على كتاب الموسوي.

٦- عبد العزيز بن صالح المحمود، باحث ومحقق متخصص في التراث، تميزت مساهماته بطابع علمي توعوي يهدف إلى إحياء تراث الأمة وبيان جهود الأئمة في التصدي للتشيع، من أبحاثه ومؤلفاته:

- «جهود علماء العراق في الرد على الشيعة».
- «عودة الصفويين»، والذي فضح فيه الهجمة الشيعة المعاصرة باعتبارها تكراراً لحروب الصفويين على الشعوب الإسلامية.
- وله جهود في العناية بتراث العلماء وخاصة من العراق في الرد على الشيعة، نشر منها:
- النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة، للعلامة البغدادي إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري.
- الرد على الرافضة، للعلامة اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي.
- الأجوبة البنديجية على الأسئلة اللاهوتية، لأبي الهدى البنديجي.
- سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين، للعلامة الهندي عبد العزيز الدهلوي، بترجمة وعناية العلامة الألوسي.
- الروض الرائض في عدم صحة نكاح أهل السنة للروافض، لمفتي الشام علي المرادي.
- الاعتقاد في الصحابة وبيان فرق الشيعة ومشابهمهم لليهود، للإمام الزاهد عبد القادر الجيلاني البغدادي.
- وقد نشرت له مجلة الراصد عدة مقالات فكرية منها:
- جهود المحقق حمدي السلفي في مقاومة

- الشهادة الثالثة في الأذان حقيقة أم افتراء.
- أسطورة الخطبة الشقشقية.
- الرد الكافي على نجاح الشافعي في كتابه (صاحب الغار: أبو بكر أم رجل آخر).
- جعفر السبحاني، كذاب مخرب أم محقق مقرب.
- أسطورة النص الجلي على إمامة علي.
- ٣- الأستاذ عبد الملك الشافعي، باحث له العديد من المشاركات والمساهمات الحميدة في هذا الشأن، لا سيما نقد فكرة التقريب وتسليط الضوء على الفكر التكفيري عند الإمامية، من مؤلفاته:
- إمامة الشيعة توجب الإعتقاد بالتحريف.
- إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة.
- هذا هو التشيع بلسان الخوئي.
- الفكر التكفيري عند الشيعة.. حقيقة أم افتراء؟
- موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين.
- طهارة المسلمين عند الشيعة بين إشراقة الظاهر وبشاعة الباطن.
- زيف دعاوى الشيعة للتقريب .. جعفر السبحاني أنموذجاً.
- التشيع مذهب إسلامي أم تنظيم سياسي؟
- ٤- الدكتور مجيد الخليفة، ومن أهم الكتب التي حققها:
- السيوف السيوف المشرقة، مختصر الصوابع المحرقة لأبي المعالي الألوسي.
- شم العوارض في ذم الروافض، لملا علي القاري.
- المنحة الإلهية، تلخيص ترجمة التحفة الإثني عشرية للألوسي.
- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة، لأبي الثناء الألوسي صاحب التفسير.

- صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية للتشيع في العراق.

- حصار العراق وغزة .. بوابة للتشيع.

- تنوع أعداء الأمة وتعدد الجبهات .. إيران والتشيع نموذجاً.

- التصوف والتشيع، عبد القادر الجيلاني نموذجاً.

- ما لا يسع المسلم جهله في قضية الاعتداء على الصديقة عائشة.

- نسب السنة والشيعة في العراق بين افتراءات اليهود والانكليز.

٧- وليد بن عبد الكريم الأعظمي، الشاعر الإسلامي المعروف بشاعر الإخوان في العراق، وله في هذا الميدان:

- الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والأفكار الفاسدة، دار عمار، عمان ١٩٨٨.

- السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب «الأغاني»، كشف فيه شعبية أبي الفرج الأصفهاني.

٨- جلال الدين الحنفي البغدادي، العلامة الموسوعي والمحقق المتخصص بالتراث، وله:

- الزواج الدائم: رد على كتاب منافع الزواج المؤقت، بغداد ١٩٦٧م.

- وله مساجلات مع الشيخ الخالصي نشرت في بغداد عام ١٩٥٣م، ولعل أصلها مقالات في «جريدة السجل» لصاحبها طه الفياض العاني رحمه الله.

٩- ناصح عبد الرحمن أمين، ولا نعرف شيئاً عنه سوى أنه أحد ضحايا فيلق بدر، وقد ذكر أن الشيعة اغتالوا باحثاً سلفياً متخصصاً في الرد على الشيعة يدعى محمد عودة، بعد الاحتلال بفترة وجيزة، لم يصلنا من آثار هذا الباحث المغدور سوى كتابه «إسراء مع الإمام الثاني عشر»، نشرت دار الرضوان المصرية عام ٢٠٠٥.

١٠- محمد أحمد الراشد، وهو الاسم

المستعار للمفكر عبد المنعم صالح العزي أحد قيادات الإخوان في العراق، وكتابه «دفاعاً عن أبي هريرة» شاهد على قوته العلمية.

١١- الدكتور سعدي مهدي صالح الهاشمي، أستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، أشرف على كثير من الرسائل الجامعية المتعلقة بالعقائد الشيعية، وله:

- الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، نُشر عام ١٩٨٩.

- دراسة بعنوان «ابن سبأ: حقيقة لا خيال» نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية العدد (٦٠).

١٢- الدكتور يوسف طارق السامرائي، له دراسة «الإيهام: قراءة في منهجية (الأغاني) و(مروج الذهب)».

١٣- عبد الرحمن الدولة، باحث من الموصل له (هذه هي المتعة فاحذروها).

مسلمو نيجيريا.. من مخالب الفقر

إلى أنياب التشيع

معتز بالله محمد^(*) - خاص بالرائد

أثرت عوامل عدة في نشر التشيع في القارة السمراء، فبعد عام ١٩٧٩ الذي شهد نجاح الثورة الخمينية في إيران عمدت طهران إلى استغلال الظروف الخاصة للقارة في نشر التشيع مستفيدة من حقيقة أن الشخصية الإفريقية السمراء تربة خصبة لنشر أية أفكار، فهي شخصية سهلة الانقياد، تقبل أي فكرة طالما كان هناك من يدعو لها.

وتعد نيجيريا من أكثر الدول الإفريقية التي غزاها الزحف الشيعي ونجح في ظل غياب دور

(*) كاتبة مصرية.

إسلامي سني فعال في كسب قطاع واسع من السنة المالكية إلى التشيع.

لكن من الخطأ تحميل الشخصية الإفريقية وحدها المسؤولية عن انتشار التشيع في بلدان

القارة، حيث يفسح الفقر والجهل اللذان تعاني منهما إفريقيا المجال أمام النشاط الدعوي الشيعي القائم على منظومة متكاملة من العمل (الخيري) الطبي، والتعليمي.

«بوكو حرام»

وبالنسبة لنيجيريا أكبر دول القارة سكانا وعدداً للمسلمين، فقد لعب نشاط حركة «بوكو حرام» السنية المتشددة دوراً كبيراً في انتشار التشيع، سواء من خلال صرف نظر الدولة عن النشاطات الشيعية في ظل انشغال السلطات بقتال الجماعة السنية ومداهمة معاقلها، وهو ما أعطى حركة التشيع مساحة أكبر من الحرية لإدارة نشاطاتها، أو عبر استغلال القيادات الشيعية التفجيرات التي تنفذها الجماعة والحرب الأهلية بين المسلمين والمسيحيين في تنفير المسلمين من المذهب السني، وهو ما أكدته إبراهيم الزاكزاكي أحد أبرز الرموز الشيعية في نيجيريا في حوار مع صحيفة «الدار» الكويتية، حيث قال إن «إحدى الحركات المتطرفة خدمت الشيعة وساهمت في انتشار التشيع في نيجيريا أكثر من خدمة علماء الشيعة» وذلك في إشارة إلى «بوكو حرام».

وفي هذا الشأن يقول مراسل هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» في نيجيريا: في السنوات الأخيرة، زاد حجم عضوية الحركة الشيعية واتسع نطاقها بعد أن كانت حركة صغيرة ومحدودة، وذلك في الوقت الذي تحول الاهتمام فيه إلى حركة بوكو حرام، وهي حركة إسلامية سنية تحارب

من أجل إقامة دولة إسلامية في نيجيريا.

الجهل والصوفية

وبخلاف ما سقناه من أسباب لانتشار التشيع وبروز المكون الشيعي على حساب المالكية فإن ثمة ظروفًا معينة ساعدت على ذلك، من بينها انتشار الجهل الشديد بتعاليم الدين الإسلامي، بين الأميين أو حاملي الشهادات العليا على حد سواء مما جعل من السهل التأثير على المسلمين، إضافة إلى انتشار الصوفية وخاصة فرقتي التيجانية والقادرية، حيث وجدت إيران وحلفاؤها في الصوفية في نيجيريا تربة خصبة لنشر مذهبها، نظراً لما هو معروف من قواسم مشتركة بينهما من التبرك بالأولياء والصالحين وتعظيمهم وزيارة الأضرحة والاحتفال بموالد أوليائهم، واعتماد الأوراد التي لم ترد في القرآن والسنة الصحيحة.

وفي حقيقة الأمر فعند بدء نشر المذهب الشيعي في الثمانينات لم يكن هناك حائط صد فكري لمواجهة المذهب الشيعي، في ظل غياب أية مؤسسات عربية تعمل في المجال الدعوي أو الإغاثي باستثناء أعداد قليلة جداً من الدعاة غير المؤهلين بشكل كافٍ للقيام بدورهم الدعوي أرسلهم الأزهر لنيجيريا وغيرها من البلدان الأفريقية.

كما منح تركيز الغالبية العظمى من المسلمين في الولايات الشمالية البالغ عددها ١٩ ولاية، القادة الشيعة ميزة خاصة ساهمت بشكل كبير في سهولة تحركهم لنشر مذهبهم.

الزكزاكي غلام طهران

وقد بدأت أولى خطوات التشيع في نيجيريا التي يصل عدد سكانها إلى ١٦٠ مليون نسمة يمثل المسلمون منهم ما بين ٦٥ إلى ٧٥٪ في ثمانينات القرن الماضي بعد أن ظلت الدولة لقرون مالكية المذهب منذ أن دخلها الإسلام في القرن الثامن

تامة لدرجة أنهم يجاهرون الآن بسب الصحابة في مساجدهم دون خوف.

مدارس ومؤسسات وإعلام

وقد شهدت العلاقة بين الحكومة المسيحية والشيعة منعطفات كثيرة بدأت بتوترات في الماضي، ثم ما لبثت السلطات أن سمحت لهم بتأسيس المدارس، وفتحت المجال أمامهم لممارسة نشاطهم «الدعوي» بشكل كبير، ففتح الشيعة أبواب مدارسهم على مصراعيها مجاناً أمام أطفال المسلمين، ولم تتردد الأسر الفقيرة في إرسال أبنائهم للتعليم الذي يغرس في عقول الصغار المذهب الشيعي، ويتم تعليمهم في عدد من المدارس اللغة الفارسية، وقد قام الملحق الثقافي الإيراني في مايو عام ٢٠٠٩ بعقد مؤتمر في جامعة لاجوس بعنوان «ما هي التحديات في تعلم اللغة الفارسية وثقافتها في المجتمع النيجيري»، كذلك يتم اختيار بعض الطلاب المتفوقين لإرسالهم إلى إيران لتلقي علوم المذهب هناك والعودة لنشره في البلاد، والعمل كمعلمين في هذه المدارس.

وتقوم السفارة الإيرانية في العاصمة أبوجا بطباعة الكتب الشيعية باللغة المحلية «الهوسا»، فيما تنتشر المواقع على الإنترنت للترويج للمذهب. وهناك أيضاً جريدة «الميزان» اليومية والتي تصدر بلغة الهوسا منذ نحو عقدين، والتي تعتبر القوة الإعلامية الضاربة للشيعة حيث تنشر فيها مقالات علماء الشيعة وعلى رأسهم الزكزاكي، وتتبع نشاطاتهم داخل وخارج البلاد وتهتم بنشر الأخبار التي تخص إيران، إضافة إلى جريدة «المجاهد» الصادرة بالإنجليزية، بل نجحوا أيضاً في ظل شهر العسل بينهم وبين الحكومة في شراء ساعات بث في الإذاعة والتلفزيون ليبثوا من خلالها برامجهم التي تحمل أفكارهم.

كما يلعب ما يسمى «الاتحاد الإسلامي للطلبة

الهجري، وكانت البداية مع الشاب إبراهيم الزكزاكي الحاصل على بكالوريوس الاقتصاد من جامعة أحمد بن بللو، حيث اعتنق المذهب الشيعي وبدأ في نشره داخل البلاد، وقرأ الترجمات الإنجليزية للكتب الشيعية التي كانت توزعها سفارة إيران مجاناً، وحافظ الزكزاكي على قاعدة التقية في عدم إظهار مذهبه لحوالي ١٥ عاماً، حتى ظهرت في عام ١٩٩٥ حقيقة تشيعه عندما أجرت معه إحدى الصحف الإيرانية حواراً قدح خلاله في سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، ما دفع الكثير من أنصاره إلى الانشقاق عنه بعدما أعلن تشيعه علناً ولأول مرة.

انقسامات وجبهات

ومع تمدد المذهب الشيعي بدأت خلافات جوهرية في الظهور أدت إلى انقسام الشيعة إلى قسمين، أحدهما يمثل الزكزاكي الذي يعادي الدولة ويصفها بالطاغوت، وقد خاض أنصاره العديد من الصدامات العنيفة مع السلطة عبر عقود من الزمن، وهناك حالياً نحو ١٢٠ معتقلاً من أتباعه في سجون الدولة.

فيما يمثل القسم الثاني اثنان من أهم أتباعه وهما: حمزة الأول وصالح زاريا، وكلاهما تلقى علوم التشيع في إيران وقد انشقا عن الزكزاكي، بعدما اعتبراه جاهلاً بالعلوم الشرعية، وعلى العكس تماماً أبدىا رغبة في الانخراط في مؤسسات الدولة المختلفة، وانتشر نشاطهما بين الشباب في الجامعات، وهو ما حدا بالمراقبين إلى اعتبارهما رأس الحربة القادمة في نشر المذهب الشيعي في نيجيريا.

ويتركز المسلمون بشكل عام في ولايات الشمال، فيما ينتشر الشيعة في ولاية زاريا، عاصمة كادونا الشمالية وكذلك لهم أتباع في ولاية كانو وسوكوتو، وكانو، ويمارسون نشاطاتهم في حرية

الأفارقة في إيران» دورا كبيرا في استقطاب الشباب الإفريقي بشكل عام، والنيجيري على وجه الخصوص، وتسفيرهم إلى إيران، تقول صفحة «الاتحاد على الفيسبوك» ليلبغ الشاهد منكم الغائب حول هذه الغرفة، وهي تتعلق بكل الأفارقة المتخرجين والمشغولين بالدراسة في الجمهورية الإسلامية في إيران».

كذلك تدعم طهران الكثير من المؤسسات لنشر الفكر الشيعي في نيجيريا ومن أهمها مؤسسة «حيدر - نيجيريا» والتي تقول عن نفسها على موقع التواصل الاجتماعي: «مؤسسة حيدر - نيجيريا: من المؤسسات المهمة في تاريخ الاستبصار في نيجيريا، ولها دور كبير جدا في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في نيجيريا، وما زالت المحاولة في التوعية والتثقيف وتوحيد صفوف المسلمين جميعا. وفي فيسبوك Haidar Center وصفحة: مؤسسة حيدر - نيجيريا (بالعربية). والمؤسس هو سماحة الشيخ حافظ محمد سعيد، وقد مرت بمراحل من سنة ١٩٩٤ إلى يومنا هذا بأسماء مختلفة والتي سيأتي التفاصيل عنها وعن نشاطاتها بالتدريج».

الموقف من إيران

وكغيرهم من الشيعة في العالم، لا يجد شيعة نيجيريا غضاظة في الاعتراف بتبعية غير المحدودة للدولة الصفوية، فبالرغم من نفيه تلقي أي تمويل من إيران، إلا أن الزكزاكي البالغ من العمر ٥٧ عاماً يحرص على تعليق صورة لزعيم الثورة الإيرانية الخميني، كما يحرص هو وأتباعه أيضاً على متابعة الأحداث الجارية في إيران، ويعارض زعيم الشيعة في نيجيريا القيام بأي عمل عسكري ضد إيران ويقول إن ذلك لن يكون له تأثير فقط على نيجيريا ولكن على جميع أنحاء العالم.

مليشيا عسكرية ونفوذ تجاري

وتؤكد تقارير صحفية قيام الزكزاكي بتكوين مليشيا عسكرية يقوم أعضاؤها طوال الوقت بالتدريب على القتال، وهو ما كشفه المحلل السياسي النيجيري محمد كبير عيسى لأحد المواقع الإخبارية، لافتا إلى أن الحركة الشيعية باتت «دولة داخل الدولة»، وإنه يعلم أنها تقوم بإجراء تدريبات عسكرية لأعضائها، مما يكشف عن تدبير الشيعة لعمل ما في المستقبل.

كما حذر من إمكانية نشر المذهب الشيعي في دول إفريقية أخرى انطلاقا من نيجيريا والتي يأتي إليها الكثير من التجار، في ظل اشتغال الشيعة بالتجارة وتأسيسهم منتدى التجارة لتعزيز نفوذهم الاقتصادي لتسهيل عملية نشر مذهبهم بين التجار الوافدين.

الخاتمة

وفي النهاية تبقى الإشارة إلى أن انتشار التشيع في نيجيريا بات يدق ناقوس الخطر، ويتطلب تدخلا عربيا إسلاميا سريعا على المستوى الدعوي، لإنقاذ البلاد من براثن إيران وطموحاتها التوسعية لالتهام القارة، في ظل تقارير تشير إلى قيام طهران بإرسال مدربين عسكريين إلى البلاد لتعليم الشيعة النيجيريين فنون القتال، ولعل اعتقال السلطات لخلية تابعة لحزب الله مؤخرا في منزل استخدم لتخزين السلاح خير دليل على ذلك.

على الشعب من خلال طلابه، وللتخلص من تنوع الأفكار والتصورات.

ولذلك يرى الراوي أن إيران الخميني قامت بفرض أيديولوجية شيعية على كافة مكونات الشعب وتطويق ومحاصرة بقية المدارس والمذاهب في إيران، وهذا كله عبر عدة مستويات: قانونية وعرقية منهجية وعقدية.

أما المؤلف د. العتوم فبين في مقدمته أن إيران تسعى من خلال التعليم ومناهجه إلى إعداد كوادر رسالية مستقبلية تحمل فكر فقيه الثورة الخميني، ومن هنا تتبع خطورة المناهج التي يخضع لها هذا الجيل.

ولذلك حدد مشكلة البحث في: التعرف على حقيقة صورة أهل السنة التي تتكون عند الطلاب من خلال الكتب المدرسية، ومدى توافق هذه الصورة مع أهداف الثورة المعلنة والتي تطبل وتزمر للوحدة الإسلامية.

وقد قامت الدراسة على جمع الكتب

المدرسية للمراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم قراءتها، ومن ثم ترجمة النصوص

صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب المهم عن مركز العصر للدراسات الإستراتيجية والمستقبلية في عام ٢٠١٢ وهو من إعداد د. نبيل العتوم، وتقديم د. عبدالستار الراوي، ويقع في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير.

موضوع الكتاب في غاية الأهمية ولعله

المحاولة العربية الأولى في هذا الباب، وقد بين المقدم د. الراوي مركزية التعليم والمدرسة في المشروع الخميني للسيطرة على المجتمع الإيراني المتنوع العرقيات واللغات والمذاهب، وأن القيادة الخمينية سعت من خلال فرض أحادية التعليم على كافة العرقيات والأقليات إلى الوصول إلى هيمنة فكر أحادي



(*) كاتب أردني.

المتعلقة بالدراسة، ثم تبويبها موضوعياً مع التحليل والنقد.

وقد نهجت الدراسة مسار تاريخ الإسلام في

عرض صورة أهل السنة من خلال بيان محتوى المناهج الإيرانية لصورة أهل السنة من ظهور الإسلام وحتى العصر الحاضر، وكانت النتيجة الكبرى التي توصلت إليها الدراسة هي أن المناهج الإيرانية تتبع استراتيجيتين تجاه أهل السنة هما: استراتيجية الإغفال المتعمد والتي تغفل وجود أهل السنة/ الصحابة من تاريخ الإسلام! فمثلاً في حادثة الهجرة هناك شخصيتان فقط هما: النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أما أبو بكر الصديق وابنته أسماء وعبد الله بن أريقط وعامر بن فهيرة فهؤلاء لا وجود لهم في المناهج الإيرانية تبعاً للعقيدة الشيعية التي تنفي أن يكون الصديق رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ في الغار!!

والإستراتيجية الثانية هي التوكيد السلبي،

حيث لا تذكرهم إلا في صورة سلبية ومشوهة لترسخ في الشعب الإيراني كراهية أهل السنة، مما يسهل على الدولة الإيرانية تجيش الشعب الإيراني ضد الأمة الإسلامية كما نشاهد ونعاني اليوم في سوريا وغيرها من مشاركة الإيرانيين وأتباعهم في قتل أهل السنة في سوريا ولبنان والعراق والبحرين واليمن.

أما عن تفاصيل الصورة السنية التي تتبلور

في ذهن الطالب الإيراني فهي تتكون من النقاط التالية:

- السنة لم يحملوا لواء الإسلام الحقيقي، بل يتحملون وزر التآمر على الشيعة عبر التاريخ.
- وأن السنة/ الصحابة يحملون أمراضاً أخلاقية كالحسد والأنانية وتغليب المصالح الشخصية على مصالح الأمة.

- السنة/ الصحابة ليسوا بمؤمنين ولا مسلمين.

- وهم عندما فتحوا بلاد فارس كانوا همجيّين متوحشين، هدفهم المال والغنائم.

هذا مجمل ما قدمته هذه الدراسة المهمة

والفريدة، ولكن كان يمكن لهذه الدراسة أن تكون أكثر فائدة ومنفعة لو أنها كانت أكثر اتقاناً وترتيباً، فمما أخذ على هذه الدراسة النقاط التالية:

١- لم يوضح الباحث/ فريق العمل (الذي لم يذكر ولم يشكر، وهذه آفة سيئة)، عدد الكتب المدرسية التي استند إليها من مجموع الكتب المدرسية التي جمعها ودرسها، لأنني لاحظت قلة الكتب التي نقدها مع اتساع نطاق الدراسة (كل المراحل الدراسية)، ولم يحدد المرحلة الدراسية ولا المادة التي يختص بها الكتاب الذي استند إليه، واكتفى بالعزو إليه بطريقة غير مفيدة، كالتالي: تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر هاي درسي إيران، جاب يزهم، ١٣٨٩، ص ٩٩. وأنا أتساءل: هل استفدت شيئاً من هذا العزو؟

ولا أعرف هنا هل تعتمد إيران شركات لتأليف الكتب المدرسية على غرار الغرب؟ أم هناك كتب مقررّة من الحكومة ووزارة التربية؟

٢- عند ترجمة النصوص من الفارسية لم يلتزم الباحث/ فريق العمل بمراجعة النص العربي الأصلي والتزامه، فمثلاً: يقول الباحث ص ١٩٦: "عندما وصل رأس الحسين عليه السلام والأسرى عند يزيد، قال أمام الحضور قراء شعر هذا مضمونه (ليت آباءنا الذين قتلوا في معركة بدر كانوا حاضرين وشاهدوا أننا وانتقمنا لهم قتلنا اليوم البطل الشجاع (الإمام الحسين)، ويزيد

وباستمراره في إنكار النبوة قال: لعب بنو هاشم بالحكومة ولم يبعث رسول ولا نزل وحي".

وفضلاً عن ركاكة الترجمة أو الخلل في الطباعة والمراجعة، فإن هذه أبيات شعر لابن الزبيري، فقد كذبوا على يزيد أنه استشهد بها وهي:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم

وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء ولا وحي نزل!!

وهناك عدة نصوص وقع فيها مثل هذه الترجمة

المشوهة، وهذا ما يجب تداركه في الطبعة الثانية.

٣- الكتاب فيه طول زائد كثير (٧٠٠

صفحة) بحجة التحليل والنقد، ولو جرد الكتاب

من الأبحاث الطويلة في الرد والتي لا يحتاجها

الباحث المتخصص والذي يفترض فيه أنه المستهدف

بهذه الدراسة لكانت فائدة الدراسة أكبر

وانتشارها أوسع، لأن القيمة الحقيقية للدراسة هي

جرد المناهج الإيرانية وإبراز النصوص المعادية لأهل

السنة وليس في الرد المكرر على شبهات الشيعة!!

٥- القارئ للكتاب لا يحصل على صورة

تفصيلية واضحة لسلبيات أهل السنة في المناهج

الإيرانية بسبب سوء ترتيب الكتاب وعدم وضع

فصول أو أبواب له والطول المرهق للقارئ وعدم

وضع الخلاصات بشكل واضح، مما يجعلك تظن

أن الكتاب بهذه الصورة لم يكن جاهزاً للنشر بل

كان لا يزال مسودة في مراحل التحرير والحذف

والتعديل، ولكن بصورة ما طبع على هذه الحال!!

٦- لم تتعرض الدراسة لنقد أكاذيب بعض

الشيعة الذين يزعمون أن المناهج الإيرانية تقدم

صورة إيجابية عن السنة بخلاف الكتب السننية

التي تشوه صورة الشيعة على غرار أكاذيب د.

طلال عترسي في كتابه (الجمهورية الصعبة).

٧- لو زود الباحث/ فريق العمل الدراسة

بصور من أغلفة الكتب ومواطن الاستشهاد لكان

أفضل.

ختاماً: هذا الكتاب محاولة يُشكر أصحابها،

وخطوة في الاتجاه الصحيح للبحث والدراسة للعدو

الشيوعي الإيراني، ولكن نحتاج فيها وفي مثيلاتها

من الدراسات إلى المزيد من الإلتقان والجدية حتى

نثبت حقنا القوي بالحجة القوية.



حتى في روسيا.. أيقظوا الصوفية

قالوا: نظمت يوم ٤ يونيو/حزيران، في موسكو طاولة مستديرة، مكرسة لانبعاث التقاليد الصوفية في الفضاء السوفيتي السابق. ويعتقد العديد من ممثلي المجتمع الروسي ورجال الدين بأن الصوفية في الوقت الحاضر هي خير طريق للنهضة الروحية ومواجهة مخاطر التطرف. لقد نظمت هذه الطاولة الإدارة الدينية لمسلمي مدينة موسكو والمنطقة الوسطى لروسيا بالاشتراك مع مركز الإدارة الدينية لمسلمي روسيا.

إن هذا اللقاء لرجال الدين والشخصيات الاجتماعية والعلماء، هو أول محاولة لمسلمي روسيا في التوجه نحو العقيدة الصوفية المعاصرة المتصفة بالتسامح والشفافية. إضافة لذلك تذكر ممثلو المؤسسات التعليمية الدينية من تاتارستان وداغستان وبشكيريا ومناطق أخرى من روسيا لحظات من تاريخ التصوف في الامبراطورية الروسية. وكانت قراءة القرآن الكريم من قبل سيدة مسنة من تاتارستان بطريقة خاصة مفاجأة سارة للحضور، حيث قرأت سور الكتاب المقدس بلغة عربية جيدة ولكن بنبرة خاصة بالشعوب الناطقة بالتركية.

ولم يكتف هؤلاء بتذكر الماضي: فألبير كوغانوف مفتي موسكو والمنطقة الوسطى، الذي دعا إلى هذه الطاولة المستديرة، اقترح عقد مؤتمر دولي يُكرس لانبعاث التقاليد الصوفية في الفضاء السوفيتي السابق. إن هذه الفعالية غير الاعتيادية بعض الشيء لروسيا، مثل مناقشة آفاق الصوفية، مكرسة لمرور ١٨٠ سنة على ميلاد الناشط الديني زين الله رسولوف.

إن هذا الناشط الديني من أنصار الأفكار الصوفية بالطريقة النقشبندية أسس في مدينة ترويتسك الواقعة جنوب الأورال مدرسة «الرسولية» التي أصبحت فيما بعد من أضخم المدارس الدينية الإسلامية في ذلك الوقت. وتجدر الإشارة، إلى أن الإسلام دخل إلى أغلب مناطق الامبراطورية الروسية بشكله الصوفي. وكان النشاط الديني خلال العهد السوفيتي محظورا، وتعرض الصوفيون إلى الاضطهاد والملاحقة، مما أدى إلى ضياع تقاليد الصوفية في روسيا.

موقع روسيا اليوم - ٢٠١٣/٦/٤

على بلاطة

قالوا: بالمنطق العسكري، انتقال عناصر وكتائب «حزب الله» إلى سورية يعني إفراغ جبهات وخطوط قتالية بكاملها، الجبهة اللبنانية مع إسرائيل طويلة، كما يعني إجراء مناقشات لمجاميع عسكرية بعدتها وعتادها، فيما المنطقة ترزح تحت مراقبة كاميرات الأقمار الصناعية الإسرائيلية، والمنطق يقول إن إجراء هذه العملية اللوجستية الضخمة لا بد أنه يستدعي حصول تفاهات إقليمية معينة كضمانة لسلامة سير العملية، إذ لا يمكن لجهة عسكرية يفترض أنها في حالة حرب القيام بهذا التحرك الواسع والمكشوف بدون أخذ ضمانات معينة بعدم استهداف هذه العملية.

غازي دمعان - إيلاف ٢٠١٣/٥/٢٢

الشيعة يكذبون وفي حماس ينفون!

قالوا: نفت كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، أن تكون أدلت بأي تصريحات حول الشأن السوري، معلنة التزامها بموقف القيادة السياسية للحركة. ونفى أبو عبيدة ما أورده صحيفة القدس العربي نقلا عن مصادر مجهولة، تحدثت عن موقف كتائب القسام مما يجري في سوريا، يخالف موقف القيادة السياسية، وإرسالها رسالة للمكتب السياسي للحركة بهذا الخصوص.

مفكرة الإسلام ٢٠١٣/٦/٦

الإسلام قادم

قالوا: ذكرت صحيفة «الديلي تليجراف» أن الديانة المسيحية في بريطانيا تواجه انهيارا كارثيا وتضمحل بشكل غير مسبوق، حيث أن واحدا من كل عشرة بريطانيين ممن هم تحت سن الـ ٢٥ هو مسلم.

وأشارت الصحيفة البريطانية في تقرير لها في ١٨ مايو إلى تحليل جديد لإحصاء أجري عام ٢٠١١ أظهر أن عقدا من الهجرة الجماعية ساعد في تدني الانتساب إلى المسيحية بين السكان البريطانيين، بينما كانت هناك زيادة كبيرة في اعتناق الإسلام، خاصة بين الشباب، وهذا يعني لأول مرة أن أقلية من البريطانيين سيصفون أنفسهم بأنهم مسيحيون خلال العقد القادم.

وطن نيوز ٢٠١٣/٥/١٩

داعياً لنصرة حزب الله، لكن مشايخ السعودية كانوا أنضج مني وأبصر مني؛ لأنهم عرفوا هؤلاء على حقيقتهم»..

«الشيعية يعدّون العدة وينفقون المال من أجل تنفيذ مجازر في سوريا للفتك بأهل السنة»..

«لا أرضية مشتركة بين الجانبين لأن الإيرانيين، خصوصاً المحافظين منهم يريدون أكل أهل السنة».

لقد أعلن الشيخ القرضاوي، وبكل شجاعة وإخلاص، تخليه عن مواقفه القديمة تجاه الشيعة وإيران وحزب اللات. ولكن ماذا عن البقية من قادة وعلماء ومفكرين وكتّاب وساسة.. أولئك الذين مارسوا -بقصد أم بغير قصد- تزيف الوعي وتزوير الحقائق لسنوات طويلة!

ماذا عن الأستاذ الكبير، والداعية الصابر محمد مهدي عاكف، الذي كان يقود أكبر جماعة إسلامية في الوطن العربي، والذي صرح باستعداده لإرسال عشرة آلاف متطوع لمساعدة حزب اللات خلال حرب لبنان عام ٢٠٠٦م! بينما سكت تماماً عن مذابح المسلمين في العراق على يد المليشيات الشيعية المجرمة..

ماذا عن رجل الأعمال العصامي الأستاذ يوسف ندا، الذي يكتب (من أعماق أوروبا) المقال تلو المقال في (تبييض) صفحة الشيعة ونفي كل الرذائل عنهم..

اعتذر الشيخ القرضاوي.. فأين البقية؟!

مدونة عمر خليفة راشد

عندما اندلعت حرب لبنان المفتعلة في يوليو ٢٠٠٦م بين اليهود والمجوس، كتبنا سطوراً تنبه فيها إلى خطورة حزب اللات الشيعي، وأن للأمر ما بعده، والمؤامرة قادمة لا محالة ضد أهل السنة في لبنان وغير لبنان. وأذكر أن (بعض الأصحاب) قد لامونا على هذا الرأي، باعتباره مخالفاً لرأي الأمة في دعمها للحزب في معركته الجهادية ضد الصهاينة! بعد سنتين، وعندما قام الحزب في مايو ٢٠٠٨م بـ (غزو) ديار السنة في بيروت الغربية، قيل لنا: «كنت على حق»! هكذا دائماً يأتي الوعي متأخراً.

أما اليوم، فقد دخل على خط الاعتذار الفقيه الكبير الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، وذلك في موقف يدل على الشجاعة وطلب الحق، وإن جاء متأخراً عشرات السنين! نقل موقع (العربية نت) بتاريخ ٢ يونيو ٢٠١٣م عن فضيلته:

«إن الثورة السورية أجّلت الحقيقة وبيّنت

حقيقة حزب الله وشيعته الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله»..

«وقفتُ ضد المشايخ الكبار في السعودية

السلفيون والعمل السياسي بين مصر وتونس

عبد المنعم الشحات - موقع الإسلاميون ٢٠١٣/٦/٧

فقد نشر موقع «اليوم السابع» ملخص محاضرة ألقاها الشيخ «راشد الغنوشي» في العاصمة الأمريكية واشنطن:

<http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=1092903>.

وقد وجدتُ في هذه التصريحات إجابة على الطرح الذي يطرحه الكثيرون من أنه كان من الأفضل ألا يدخل السلفيون في مصر العمل السياسي؛ اكتفاءً بوجود تيارات إسلامية أخرى تهتم بالقدر المطلوب في هذه المرحلة وهو تثبيت مرجعية الشريعة!

وذلك أن هذا الطرح من الشيخ «راشد الغنوشي» قد أثبت أنه وصف إسلامي صار من الاتساع بحيث يشمل أفراداً أو اتجاهات تميل إلى المزج بين الإسلام وبين غيره من الأطروحات مع عدم الدفاع عن مرجعية الشريعة كلفظ جامع مانع، ولكن الإحالة لهذا المزيج الذي اختاروه.

وإذا استصحبنا أن التيارات الإسلامية التي خاضت غمار العمل السياسي قبل الثورة قد دل التاريخ والواقع أنها تجنح في كثير من الأحيان ناحية هذه الأطروحات؛ علمنا أهمية وجود عمل سياسي سلفي طالما غلب على الظن أن المناخ يتيح للقوى السياسية أن تؤثر في مؤسسات الدولة، وقبل ذلك شكلها الدستوري؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تصريحات الشيخ «راشد الغنوشي» تضمنت الكثير من القضايا التي تستحق التنبيه.

وإليك ما ذكرته الصحيفة عن الشيخ «راشد الغنوشي»، ثم نعلق عليه بعد ذلك:

ماذا عن تلك الحركة المجاهدة التي بعثت برسالة تعزية إلى حزب اللات بمناسبة هلاك المجرم (عماد مغنية)، قالت فيه: «رحم الله الشهيد رحمة واسعة، سائلين المولى عزّ وجلّ له الفردوس الأعلى»! أهذه مكانة الفردوس الأعلى حتى يدخله هذا الزنديق؟!

ماذا عن ذلك العالم الأزهري ورئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر الشريف الشيخ جمال قطب، والذي عندما سُئل عن الفرق بين السنة والشيعة قال: «كالفرق بين الأهلي والزمالك»! أما هذا الاستهتار بعقائد المسلمين يا فضيلة الشيخ؟

وماذا عن المفكر المعروف والمستشار الكبير طارق البشري، الذي وصف الشيخ القرضاوي بـ (الفاشية)، لمجرد أن الشيخ حذر من المد الشيوعي في تصريحه المشهور عام ٢٠٠٨م..

وماذا عن الشيخ اللبناني الصيداوي ماهر حمود، الذي يدافع في كل مناسبة عن حزب اللات بطريقة يحسده عليها حتى حسن نصر اللات نفسه..

وماذا عن المفكر الإسلامي (الوسطي) الكبير أحمد كمال أبو المجد، الذي (آله) أن تصدر تصريحات عن الشيخ القرضاوي بشأن المد الشيوعي، ولم نره يتألم يوماً بسبب مجازر الشيعة بحق أهل السنة في إيران والعراق ولبنان واليمن وغيرها!

والأستاذ فهمي هويدي، الذي تكلمنا عن بعض طاماته في مقال سابق..

وقبله الدكتور محمد سليم العوا..

وكذلك الدكتور كمال الهلباوي..

وغيرهم كثير.

أقترح على هؤلاء الأفاضل أن يجتمعوا معا ويصدروا (بيان اعتذار جماعي) للأمة عن مواقفهم

في الوصول إلى السلطة لا يعني أن من حقهم الهيمنة على كل شيء وإقصاء العلمانيين، ولكن يعني «أنهم الأكثر شعبية».

مضيفاً: «الإسلاميون الآن تحت الاختبار، وإذا لم ينجحوا سيتم انتخاب غيرهم»، مؤكداً على أهمية احترام نتيجة الانتخابات، وأنه سيحترمها حتى لو انتخب الشعب «الحزب الشيوعي».

ولنا على هذا الكلام عدة وقفات:

الوقفة الأولى: «قوله إن الدستور لم يحتو على مصطلح الشريعة»:

فيجب أن يُعلم أن الشريعة ليست مصطلحاً محدثاً مما يُقال فيه: «لا مشاح في الاصطلاح»، بل هو مصطلح شرعي؛ قال الله - تعالى - : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

فإذا تفاضت عن هذه الجزئية لوجدت أن مشكلة المخالفين أيضاً ليست اصطلاحية، بل موضوعية، وأنهم يريدون حريات بلا ضوابط «في مقابل تحريم بعض ما أحل الله: كتعدد الأزواج، والطلاق، وغيرها...!» ومتى وجد من ينسب لهم هذه القضايا إلى الشريعة فلن يكون لهم حينئذ مشكلة مع مصطلح الشريعة.

الوقفة الثانية: إن الشيخ «راشد الغنوشي» حينما حاول أن يستدرك من أنه وضع قيم الشريعة في الدستور لم تطاوعه نفسه حتى قال: «ممزوجة بالمبادئ الغربية!».

و«الغنوشي» هنا يصرح بمسلكين خطيرين تتبعهما المدرسة العقلانية، والتي تنتمي إليها معظم التيارات التي تعمل في العمل السياسي على أرضية غير سلفية (لاحظ أن حتى الجماعات التي يوجد في داخلها أكثر من تيار فإنها تحافظ على أن يتصدر المشهد السياسي رموز من التيار العقلاني، مثل: الدكتور عصام العريان، والدكتور حلمي الجزار في مصر).

وهذان المسلكان هما:

الأول: استخدام مسميات كثيرة من مبادئ الشريعة

(قال راشد الغنوشي رئيس حزب النهضة التونسي: إن الجمعية التأسيسية للدستور أوشكت على الانتهاء من كتابة مسودة دستور تونس الجديد، مؤكداً على أنها خالية من «مصطلح الشريعة».

وأضاف خلال جلسة نقاشية شارك بها اليوم

في العاصمة الأمريكية «واشنطن» أنه تم الاتفاق على عدم ذكر الشريعة في أول دستور لتونس بعد الثورة حتى يكون معبراً عن جميع أطراف الشعب التونسي سواء الأغلبية أو الأقلية، لكنه أكد أيضاً على أن مسودة الدستور الجديد تعبر عن قيم الإسلام الممزوجة بالقيم الديمقراطية الحديثة.

ووجه «الغنوشي» انتقادات حادة للتيار

السلفي ببلاده قائلاً: «حاولوا فرض آرائهم بالقوة وبمخالفة القانون، وأنا أقول لهم: «لا تظنوا أن الديمقراطية ضعيفة»، منتقداً أيضاً تصرفات بعض التيارات اليسارية المتشددة، داعياً السلفيين ببلاده إلى الانخراط في الحياة السياسية من خلال تشكيل الأحزاب كما فعل السلفيون في مصر.

ووصف السلفيين بأنهم «ثمار نظام ابن علي

وليس الثورة»، معتبراً السلفيين المتشددين «ظاهرة معقدة لا تظهر سوى في المناطق الفقيرة!»؛ مؤكداً على أن تونس «لن تتحول من «الربيع العربي» إلى «الشتاء الأصولي» معتبراً أنه يمكن التعاون مع العلمانيين المعتدلين، لكن التحالف مع الإسلاميين المتشددين، وقال مازحاً: «هؤلاء لا يلتقون إلا ليتقاتلوا!».

وشدد «الغنوشي» على أهمية التحالف ما بين

الإسلاميين المعتدلين والعلمانيين الوسطيين

لتجنب حالة الاستقطاب السياسي التي حذر منها قائلاً: «حاولنا قدر المستطاع تجنب الاستقطاب؛ لأننا رأينا في الدول الأخرى تحول إلى عقبة للانتقال للديمقراطية»، معتبراً أن نجاح الإسلاميين

إلى مقاصد الشريعة إلى قيم الشريعة، وهذه المسميات كلها «وصفها الحقيقي الذي وصفها الله به هو الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض».

بل إن القيم العامة والمبادئ العامة يمكن أن تكتشف أنها هي القيم والمبادئ التي تدعي كل المناهج في الشرق والغرب أنها تسعى إلى تحقيقها من الحرية والعدالة القانونية والاجتماعية والإنسانية، ولو اعتبرنا بالعناوين فقط: لاستوت الديمقراطية مع الشمولية، ولتطابقت الرأسمالية مع الاشتراكية.

ومن ثمّ فقول الشيخ «راشد الغنوشي» هنا أنه مزج قيم الإسلام مع قيم الحضارة الغربية، فإن حقيقة ما فعله هو «أخذ قيم هذه الحضارة».

وهذا هو المسلك الثاني «وهو المزج بين الإسلام وغيره»: والإسلام الذي عنوانه: «لا إله إلا الله»، وإن الحكم إلا لله» يأبى هذا المزج، وفي الحديث القدسي: (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْنُهُ وَشُرَكَاهُ) (رواه مسلم).

وهنا لا بد لنا من التنبيه على أمرين:

الأول: أن هذا المزج الممنوع بين القيم لا ينبغي أن تنقل عن الغير فيما أحالك الشرع فيه على «تجاربك الإنسانية»، ومن ثمّ فمن حقلك أن تنقل تجربة غيرك ما دام كان ذلك في دائرة المباح، وليست في دائرة الأمور المطلوب فعلها أو المطلوب تركها، وهي التي تمثّل القيم. الثاني: القيم الغربية يجب أن تُعرض على الشرع فيقبل منها ما يوافقه ويرد ما يخالفه، وهذا ليس مزجاً بين القيم، ولكنه في هذه الحالة يكون إعلاءً لشأن الشريعة وجعلها المرجعية العليا لكل ما ورائها.

الوقفه الثالثة: ادعاه أن السلفيين حاولوا فرض آرائهم بالقوة هو نوع من الظلم للسلفيين في «تونس»، وكأن قَدَر السلفيين أن يكونوا ضحية للاستبداد العلماني والإسلامي على حد سواء!

ومن المعلوم أن هناك تيارات ترى فرض آرائها بالقوة، وأن لهم أسماء قد يكون منها مصطلح: «السلفية الجهادية»، ومع ذلك فلا يخفى على الشيخ «راشد الغنوشي» أن مصطلح «السلفية» عند الإطلاق يدل على

هؤلاء الذين يعلنون من شأن الشريعة، ولكنهم لا يفرضون آرائهم بالقوة.

الوقفه الرابعة: دعوى «أن السلفية ليسوا من صنيعة الثورة، ولكنهم من صنيعة النظام القديم»: دعوى غريبة تحتاج منه أن يشرح لنا ماذا يعني بذلك؟ مع الأخذ في الاعتبار أن الأمر الذي يستند إليه البعض في وصف السلفيين بهذه التهمة في بلادنا هو وجود شيء من الحرية الدعوية للسلفيين في ظل النظام السابق - «مع أنها كانت منتزعة بفضل الله - عز وجل - بانتشار الدعوة وكثرة أتباعها، وصبر دعائها» - ، ولكن هذا لم يكن موجوداً في «تونس» بحال من الأحوال، بل كانت اللحية أو الحجاب سبباً مباشراً لكي يفصل صاحبها أو صاحبتها من العمل مباشرة؛ مما يدل أن هذه التهم هي تهم مُعلّبة «عابرة للبلاد والقارات».

الوقفه الخامسة: قوله بالترحيب بأي حزب يختاره الشعب ولو كان الحزب الشيوعي! يوضح الفرق بين من يؤمن بالديمقراطية ولكن بنكهة إسلامية، وبين من يقبل بحكم الواقع بآليات الديمقراطية من انتخابات، وفصل بين السلطات، وغيرها... شريطة التزام الجميع بأحكام الشريعة عن طريق وضع نص دستوري ملزم لكل السلطات بعدم مخالفة الشريعة.

وأخيراً أقول: إن الدعوة السلفية وحزب النور، قد تمكنا بفضل الله - عز وجل - من وضع المواد رقم: (٤) و(١١) و(٨١) و(٢١٩) بالإضافة إلى المادة الثانية.

ولك أن تتصور ماذا كان سيكون الحال لو انفردت التيارات الإسلامية التي يدخل ضمن مكوناتها الرئيسية «تيار العقلانية المعاصر» الذي ظهر لك بعض أصوله في كلام الشيخ «الغنوشي»؟!

الوقفه السادسة: دعوة الشيخ «راشد الغنوشي» للتحالف بين من يمثلون الإسلام الوسطي - «من وجهة نظره هم هؤلاء الذين امتنعوا من ذكر مصطلح الشريعة!» - مع العلمانيين في مواجهة المتطرفين السلفيين، وهو حلف نشأ عدة مرات في بلاد إسلامية وبأسماء كثيرة، وتحت مبررات شرعية، من أشهرها:

«حلف الفضول»؛ متتاسين أن الحلف بين هؤلاء الإسلاميين والعلمانيين لا يتضمن فقط ما اتفقوا عليه من الحفاظ على حقوق الناس - والتي يبدو من كلام الغنوشي ومن تصرفات غيره أن السلفيين مستثون منها- ، ولكن هذه الأحلاف فرضت عليه وعلى غيره ألا يذكر الشريعة، وألا يرجع إلى قيمها خالصة حتى وإن لم يذكرها، وإنما لا يرجع إلى قيمها إلا ملفقة مع غيرها من القيم الغربية.

الشيعية يجمعون ١٠٠ ألف توقيع

ل سحب الثقة من مرسى..

والصوفية تنسق مع «الإنقاذ» والكنائس

الدويني فولي ومحمد منيس الخميس- المصريون ٢٠١٣/٦/٦

قال بهاء أنور محمد، المتحدث باسم الشيعية

المصريين، إنه تم جمع ما يقرب من ١٠٠ ألف توقيع من التشيعيين في مصر على استمارة «تمرد» لسحب الثقة من الرئيس محمد مرسى والمطالبة بانتخابات رئاسية جديدة. وأضاف، أن هذه الاستثمارات سيتم تسليمها إلى منسقي حملة «تمرد»، مؤكداً رفضه للحكم الديني بنوعيه، حكم ولاية الفقيه السنية المتمثل في «الإخوان المسلمين»، أو حكم ولاية الفقيه الشيعية، المتمثل في دولة المالكي بإيران، حسب قوله. فيما اعتبر الدكتور أحمد هلال، القيادي الشيعي، أن «الإخوان لم يستفيدوا من تجربة الثورة الإيرانية التي تخلصت من التبعية للولايات المتحدة والكيان الصهيوني»، متهمًا الجماعة بأنها تعامل المصريين وكأنها «الوكيل الحصري للإسلام»، وأنها تسير على نفس نهج الرئيس السابق حسني مبارك من تصفية للمعارضين، والسعي للسيطرة والتمكين والهيمنة على كل مفاصل الدولة. وأكد مشاركة الشيعة في تظاهرات يوم ٣٠ من الشهر الجاري، داعيًا كل طوائف الشعب المصري للنزول والمشاركة للتخلص من هذا النظام «الفاشل» إداريًا واقتصاديًا. ووصف المؤتمر الأخير للرئاسة مع رؤساء الأحزاب بأنه «يمثل أكبر خطر على الأمن القومي».

مشددًا على ضرورة إسقاط النظام للحفاظ على الثورة المصرية. من جانبها، أعلنت الطرق الصوفية، سعيها للتنسيق مع جميع الائتلافات الثورية والسياسية، وعلى رأسها جبهة الإنقاذ الوطني للحشد في تظاهرات ٣٠ يونيو القادم للمطالبة بإسقاط الرئيس محمد مرسى وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة. وقال إبراهيم زايد، منسق ائتلاف الطرق الصوفية، إن الائتلاف سيدعو إلى مسيرة حاشدة لم يتم تحديد مكان انطلاقها، حيث من الممكن أن تتجه من مسجد الحسين إلى قصر الاتحادية بمصر الجديدة، مشيرًا إلى التنسيق مع اتحاد ماسبيرو واتحاد الكنائس. وقلل من إعلان الإخوان الحشد في تظاهرات ٣٠ يونيو للاحتفال بذكرى مرور عام على وصول الرئيس إلى السلطة، قائلًا إن ذلك «لن يرهب المعارضة المصرية، وإن القوى الثورية استوعبت الدرس ولن تسمح بأي اعتداءات عليها، كما حدث سابقًا في موقعة الاتحادية واعتداء الإخوان على المتظاهرين السلميين»، مشيرًا إلى أن الأمر إذا استدعى استخدام القوة للدفاع عن أنفسهم سيفعلون. وقال عبد الله الناصر حلمي، أمين عام اتحاد القوى الصوفية وآل البيت، إن الاتحاد سيشارك في مظاهرات إسقاط الرئيس، مطالبًا الرئيس محمد مرسى بأن يحقن دماء المصريين ويعلمن التتحى قبل ٣٠ يونيو، وأن يتم تشكيل مجلس رئاسي مدني يتكون من كل الأطياف السياسية، ومنها الصوفية التي يتم تهميشها بأسلوب متعمد من جماعة الإخوان المسلمين على أن يتولى المجلس الرئاسي الحكم لمدة ٦ شهور إلى حين وضع دستور للبلاد، وإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية. وقال عصام محيي، الأمين العام لحزب التحرير المصري، إن الحزب سيعقد عدة لقاءات مع تكتل القوى الثورية الذي يضم معظم الائتلافات الثورية والسياسية، للتنسيق في مظاهرات ٣٠ يونيو، مشيرًا إلى أن الصوفية تتعاون مع حركة تمرد لجمع ١٥ مليون توقيع للمطالبة بتنحي الرئيس محمد مرسى وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة بعد فشل هذا النظام في إدارة شؤون البلاد، وتردى الأوضاع السياسية والاقتصادية، وهو الأمر الذي يهدد مصر بالخطر.

حول القرضاوي والثورة السورية

أسامة شحادة - العدد ٢٠١٣/٦/٧

أثارت تصريحات الشيخ يوسف القرضاوي ضد إيران «الشيعة» وزعيم حزب الله اللبناني حسن نصر الله، ووصفه «بنصر الطاغوت» كما وصف حزبه بـ«حزب الشيطان» بسبب تدخلهما عسكرياً في سورية إلى جانب الرئيس بشار الأسد. واعترف القرضاوي أنه كان مخطئاً عندما ساند في وقت سابق الشيخ حسن نصر الله، وقال «دافعت عن من يسمى حسن نصر الله وحزبه حزب الطاغوت وحزب الشيطان، ووقفت أمام مشايخ السعودية أدافع عنهم ويبدو أن مشايخ السعودية كانوا أنضج مني».

وقال الشيخ يوسف القرضاوي في الدوحة في مهرجان تضامني مع الشعب السوري أقامه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يرأسه إن «زعيم حزب الشيطان يأتي ليقاتل أهل السنة (...) هكذا يأتي نصر الطاغوت والظلم ليقتل المسلمين من أهل السنة» [الغد ٢٠١٣/٦/٢]، ردود فعل واسعة، فأتباع بشار الأسد وخامنئي رأوا فيها نكوصاً وانهزامية وعمالة وظلامية، أما مؤيدو الثورة السورية فرأوا فيها توبة وصدقا وإنكاراً للذات وجراً وقوة بالصدع بالحق والاعتراف العلني بالخطأ.

وبين الفريقين سجالات ونقاشات لن تنتهي، ولكن أعتقد أن هناك بعض الحقائق لابد من بيانها في خضم هذه الحوارات الصاخبة والنقاشات الساخنة، ومنها:

١- من هو الطائفي؟ هل هو القرضاوي الذي سبّح ضد التيار وضد جماعته وأغلبيته السنية سنين عديدة ثم صُدم بإصرار الآخرين على ترويج عقيدتهم وطائفيتهم في أوساط السنة بكل وسيلة حتى وصل بهم التطرف للقتل والحرب الأهلية كما حدث في البحرين والعراق ولبنان واليمن واليوم في سوريا وكل ذلك تحت شعارات علنية:

مظلومية الشيعة، نصرة الشيعة، الدفاع عن مرقد الشيعة، الدفاع عن المحافظة الخامسة والثلاثين الإيرانية في سوريا.

هل الطائفي هو القرضاوي الذي يدافع عن الشعب السوري الذي تقصفه الطائرات والمدفعية السورية التي بذل دمه وعرقه في شرائها بدلاً من قصف إسرائيل! أم الطائفي هو الذي يحشد ويصدر أتباعه بخطابات طائفية وشعارات فتوية من كل الجنسيات للقتال في سوريا للقضاء على الثورة السورية التي قامت في وجه الظلم والطغيان والعمالة.

٢- من هو الممانع والمقاوم؟ ومن هو العميل أهو القرضاوي حين يؤيد ثورة الشعب السوري التي يتآمر عليها العالم كله اليوم حفاظاً على أمن إسرائيل؟ هذه الثورة التي تعتبرها إسرائيل مهددة لوجودها نفسه وليس لأمنها فقط، أم العميل هو النظام الأسدي الذي تبذل إسرائيل في سبيل بقائه الغالي والنفيس؟

أين هي المقاومة والممانعة وجبهة الجولان جثة هامة من أكثر من ٤٠ سنة؟ أين هي الممانعة والمقاومة وإسرائيل تعربد في سوريا ولا أحد يحرك ساكناً ثم يخرج علينا ناصر قنديل ليقول بأن عدم رد بشار الأسد على عدوان إسرائيل على دمشق هو قمة العبقرية الإستراتيجية، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا إذا كنتم تخونون الأنظمة العربية طيلة السنوات الماضية؟

٣- من هو الحريص على الوحدة والتعاون؟ هل هو القرضاوي الذي يدعم المستضعفين وينصرهم على عدوهم الظالم والقاتل والذي لم يقدم لشعبه لا أمناً ولا أماناً ولا تقدماً ولا حرية ولا عدالة، أم هو حسن نصر الله الذي يقتل السوريين سواء بدافع مناصرة بشار المجرم الذي سهل له مصادرة لبنان في السنين الماضية أو بدافع حماية أضرحة الشيعة المزعومة في سوريا، والتي في سبيلها لا قيمة لدماء السوريين ولا كرامتهم ولا شرفهم!

٤- من الذي ينفذ على الأرض مشاريع التقسيم الغربية والصهيونية؟ هل هو القرضاوي الذي يناصر الشعب السوري بجميع مكوناته على نيل حريته واستعادة كرامته، أم خصومه الشيعة من إيران وحزب الله الذين

قسموا اليمن والعراق ولبنان فعلياً على الأرض ويعملون على تنفيذ ذلك في سوريا من خلال دويلة علوية نصيرية.

أليست الدولة اليمنية تقف عاجزة أمام دولة الحوثيين غير المعلنة، فشحنات الأسلحة الإيرانية التي تتدفق عليهم هل ستكون لمعركة ممانعة ومقاومة مع إسرائيل! وفي البحرين نتساءل: هل يفكر أتباع الولي الفقيه في طهران بجعل المنامة جبهة حرب ومواجهة مع إسرائيل ولذلك يكبدون السلاح فيها؟ وفي لبنان لم نجد حزب الله يخرق خط الهدنة أو الحدود مع إسرائيل لكنه خرق حرمة السرايا الحكومية في بيروت التي اجتاحتها، ونجد الضاحية الجنوبية لا تُطبّق عليها القوانين اللبنانية سواء على المستوى الأمني أو الخدماتي البلدياتي، كما أن حزب الله لم يتورع عن خرق الحدود لقتال الشعب السوري الشقيق. وفي العراق هل يمكن لأحد أن يجد دوراً حقيقياً للميليشيات الطائفية الشيعية في مقاومة الاحتلال الأمريكي مقارنة مع جرائمها البشعة بحق إخوانهم العراقيين السنة؟

٥- أمريكا من تحارب حقيقة في المنطقة؟ وهل فعلاً أمريكا تقوم بمحاربة إيران وأذرعها؟

نحن نسمع بشكل دائم عن ضربات للطائرات الأمريكية بطيار وبدون طيار ضد تنظيم القاعدة في اليمن، لكن أمريكا لم تضرب الحوثيين هناك برغم تمردهم المتكرر على الدولة وتسليحهم، وعدوانهم على السعودية؟

في الأسبوع الماضي في البحرين توجه موفد الرئيس الأمريكي أوباما من المطار لمقابلة الزعيم الشيعي عيسى قاسم والاطمئنان عليه وتفهم مطالبه، بينما لم يكلف نفسه بمقابلة الطرف السني، لا الشعبي ولا الحكومي، ثم يتشدق شيعة البحرين بشعارات المظلومية ومحاربة أمريكا.

أما في العراق فأهل السنة في الشارع منذ خمسة شهور ولا أحد يهتم بهم لا من العرب ولا من أمريكا ولا من غيرهم، ويتم تفجيرهم واغتيالهم دون أن يكثر العالم، ومهما طال انتظارهم فلن يأتي مبعوث أوباما إليهم!

وفي الوقت الذي يحاصر فيه شبيحة حزب الله القصير ويقصفونها ليل نهار ويستتجد أهلها الدعم والإغاثة، ينشغل الأميركيان بحرب جبهة النصرة وأخواتها في سوريا دون اكتراث بدماء السوريين بحسب تصريحات قادة الجيش الحر الذين يؤسوا من الدعم الدولي ونفضوا أيديهم منه!

وفي الوقت الذي تتابع فيه أمريكا كل التحركات السنية في مصر وتونس وليبيا وسوريا وتعرض وتطالب الأنظمة بالتدخل ضدها، بينما حزب الله بكل جرائمه في سوريا والعالم - كما تكشف مؤخراً نشاطاته الإرهابية في أمريكا اللاتينية - ما زالت أوروبا تدرس هل يصنف كمنظمة إرهابية أم لا، أما دول الخليج فبالأمر فقط اعتبرته إرهابياً وهي التي اكتوت بناره منذ نشأته في الثمانينات!!

٦- ديمقراطية التشبيح! كم كانت سمجة نصيحة الشبيح بشار المجرم للزعيم التركي الشريف والوطني الطيب أردغان بالاستجابة لمطالب شعبه والتتحي عن رئاسة الوزراء، لأن العقل والمنطق يقتضيان أنه إذا كان يحق لمعارض أردغان من الشيوعيين المطالبة برحيله برغم كل الإنجازات التي حققها، فإنه يحق للشعب السوري لا أن يطالب بتتحي الأسد بل يحق لهم (فرم) آل الأسد كلهم الأحياء منهم والأموات على جرائمهم البشعة بحق الشعب السوري.

ولكن إيران وأذرعها تحارب الديمقراطية في أرضها وتحكم بالحديد والنار، ولكنها تستغل الديمقراطية عند خصومها حتى آخر قطرة، ومن هنا رأينا جرأة السفارة العراقية على عقد مهرجان بدون إذن رسمي، وبعد ذلك ضرب مواطنين أردنيين دون أن يرف لهم جفن أو تهتز لهم شعرة، وسبقهم في ذلك كبير الشبيحة في عمان بهجت سليمان الذي يشغل منصب سفير في الأردن !

صراعة هوية وليس صراع أشجار

محمد أعصام هسبريس - ٢٠١٣/٦/٥

بعد البيان الذي نشرته الجمعية المغربية لحقوق

الإنسان حول زيارة أردوغان، إضافة إلى صورة لأحد المناضلين الجدد وهو يرفع لافتة يصفه بالمجرم، رأيت لزاما علي أن أوضح ما يجري في تركيا من منطلق أنني مقيم فيها، ومتتبع للأحداث منذ بدايتها، أولا أود أن أفند شائعة ذكرها بيان الجمعية حيث أنه لم تتم أي حالة وفاة أبدا، وهنا أود أن أعرف هل صارت الجمعية تقوم بالمعارضة بالوكالة فمرة تساند الانفصاليين ومرة تساند بشار وهي الآن تتدخل في الشأن التركي الداخلي.

وكما لا يخفى على أحد أن العالم العربي المضلل

إعلاميا قد تفاجأ بحجم المظاهرات التي شهدتها مدينة اسطنبول وباقي مدن تركيا، وفسرت هاته المظاهرات على أنها بداية لبيع تركي، فصدق الإعلام العربي هذه الأكاذيب، وصار يروج صورة أردوغان الدكتاتور الذي يقمع شعبه بعنف لرفضهم إزالة منتزه وبناء منتزه آخر فوقه، لتتدخل أمريكا وروسيا والنظام الأسدي مطالبين أردوغان الانصات لشعبه.

لكن التضليل الاعلامي لم يقتصر فقط على

الإعلام العربي، فإعلام المعارضة بتركيا روح لمجموعة من الأكاذيب والمغالطات إضافة إلى صفحات الفايسبوك والتويتر حيث تم نشر صور لتدخلات عنيفة لشرطة في قمع المتظاهرين على أنها بتركيا، لكن الحقيقة أنها أحداث وقعت في مصر وأوروبا الشرقية لكن الخطير هذه المرة هو انخراط قيادات المعارضة على أعلى مستوى في ترويج هذه الأكاذيب وكان آخرها أنه في برنامج متلفز لقناة معروفة بدعمها لبشار وللمعارضة العلمانية، فبعد انتهاء الحلقة نسي المقدم إغلاق الميكروفون وهو يحاور ضيوفه حيث قال أنه كان يتمنى لو قتل بعض المتظاهرين حتى تتأزم الأوضاع.

الاحداث بدأت مع إقرار بلدية اسطنبول مشروعا

ضخما قبل سنة لإعادة هيكلة منتزه «غازي» الواقع في ميدان «تقسيم» أشهر ساحة في اسطنبول لكن بعض جمعيات حماية البيئة عارضت المشروع لأنه سوف يكون على حساب إزالة العشرات من الأشجار بالمنتزه، وبدؤوا باحتجاجات رمزية وجد محدودة، لكن لما بدء قطع بعض الأشجار نظم عدد من المعارضين إعتصاماً داخل المنتزه مما أدى بالشرطة إلى فض الاعتصام بالقوة مستعملة قنابل الغاز وخراطيم المياه لتفريقهم، غير أن التدخل العنيف للشرطة خلق تعاطفا كبيرا مع المتظاهرين لتستغل قيادة الحزب الجمهوري الذي أسسه مصطفى كمال اتاتورك وبعض قيادة اليسار المتطرف الفرصة ليطلبوا من أنصارهم النزول إلى الساحات مطالبين باسقاط أردوغان وحكومته بعد عجزهم عن إسقاطه في صناديق الانتخابات، لكن غالبية الأتراك استغربوا من موقف المعارضة لأنه معروف أن اعضائهم قد صوتوا لصالح المشروع أثناء مناقشته بالبلدية.

الصراع الشرس بين الحكومة والمعارضة بدأ منذ

أن فاز حزب العدالة والتنمية برئاسة الوزراء، فخلال حكمهم شهدت تركيا نمو اقتصاديا كبيرا واستقرارا اجتماعيا إضافة إلى تصالح الأتراك مع ماضيهم، إضافة الى اتساع الحريات الدينية بشكل كبير مما جعل الحزب الحاكم يكتسح جميع الانتخابات المقامة في تركيا منذ أكثر من عشر سنوات، إضافة إلى أنه ومنذ أكثر من ٣٠ سنة من الصراع مع الأكراد تمكنت الحكومة من حل القضية الكردية ودخلت في مفاوضات مع الحزب العمال الكردستاني مما أدى ازدياد شعبيته وتراجع عدد منتقديه، وهنا اود ان اضيف ان الحكومة قد بدأت في اشغال ٢١ مشروع ضخم على اساس اتمامه في ٢٠٢٣ في ذكرى تأسيس الجمهورية. وميزانية هذه المشاريع حسب المسؤولين الاتراك تفوق ميزانية ١٣٠ دولة مجتمعة. وأمام هذه الانجازات بدأت المعارضة باتهام الحكومة بمحاولة أسلمة الدولة، وبأن الحكومة تحاول التدخل في الحياة الخاصة للمواطنين،

حيث أنه ليلة الأحداث البرلمان التركي قانون

يفرض قيود أكثر صرامة على مبيعات الخمر حيث

سوف يمنع بيعه في محيط ١٠٠ متر للمؤسسات التعليمية ودور العبادة، إضافة إلى سن قانون يشجع الأسر التركية على الانجاب حيث ستخصص سنتين من سن التقاعد للأمم مقابل كل ولد تتجبه، وكما يعرف الجميع حساسية مواضيع كثيرة النسل بالنسبة للعلمانيين.

لكن الأزمة الحقيقية هي أن تركيا مقبلة على

انتخابات محلية لذلك فالمعارضة تستغل الأحداث

لزيادة شعبيتها فتركيا الآن تعيش نقاشا حادا حول مواد الدستور المزمع عرضه على الشعب التركي للتصويت، والذي يطمح من خلاله أردوغان إلى تحويل نظام البلاد من نظام برلماني إلى نظام جمهوري ليتمكن أردوغان ورفاقه الممنوعون قانونيا من الترشح لمرّة ثالثة من الاستمرار في السلطة عن طريق الترشح لرئاسة الدولة.

وخلاصة القول أن ما يقع في تركيا هو صراع

العلمانيين والإسلاميين على هوية تركية، هل تظل دولة علمانية كما أرادها أتاتورك أم ستعود دولة إسلامية؟.

عقوبات الخليج ضد حزب الله

عبد الرحمن الراشد - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/٤

مصالح حزب الله في المنطقة العربية،

وتحديداً دول الخليج العربية، ليست بالصغيرة. الحزب، الذي أصبح مبعوضاً، ربما أكثر من إسرائيل، له صلات عريقة وعميقة في المنطقة من خلال تعاملات شركات تعمل له هناك تحت أغطية مختلفة. وقد أظهرت عمليات الملاحقة له في الولايات المتحدة، تعدد تجارة حزب الله هناك، من تهريب السجائر إلى تحويل الأموال، مع شبكات معقدة من الأفراد الذين يستخدمون لأغراض اقتصادية وبعضها سياسية.

ودول الخليج الست ليست متشابهة في درجة

تعاملاتها مع حزب الله؛ هناك السعودية والإمارات والبحرين أكثر تشدداً، ورقابة للتعاملات. أما الكويت أكثر دول الخليج تساهلاً مع حزب الله،

ولها شركات ومجموعات اقتصادية تنشط تجارياً وإنشائياً في مناطق حزب الله في لبنان. وليس لقطر شركات تجارية كما هو الحال في الدول الخليجية بمعناها المتعدد والكبير، لكن قطر كانت أكثر الدول الخليجية دعماً مادياً وسياسياً لحزب الله عقداً كاملاً، هذا كان قبل الثورة السورية ومن المستبعد أن يكون قد بقي شيء من هذه العلاقة الخاصة. سلطنة عمان أكثر الدول الست حذراً بشكل عام مع كل الدول المشتبه فيها دولياً.

ومع أن حزب الله متورط في أعمال إرهابية

ضد الكويت والسعودية والبحرين منذ عقود إلا

أن هذه الدول لم تفعل شيئاً ضده. حزب الله تورط بشكل كامل في محاولة اغتيال أمير الكويت بـتفجير سيارة مفخخة عام ١٩٨٥. المدان الرئيس في تلك الجريمة مصطفى بدر الدين، هو الفاعل وهو أيضاً المطلوب للمحكمة الدولية في اغتيال رفيق الحريري. المفارقة أن صدام حسين أطلق سراحه بعد اجتياحه الكويت لخمس سنوات لاحقة! أيضاً، قام فريق من حزب الله بخطف طائرة كويتية في مسقط وقتل راكبين كويتيين. وتم ضبط مخططات إرهابية لحزب الله في أعمال إرهاب في السعودية والبحرين، وكلها ذهبت بلا عقوبات. فقط الولايات المتحدة التي صنفت حزب الله منظمة إرهابية مبكراً، وذلك في عام ١٩٩٥ ووضعت على لائحة العقوبات. دول الخليج اختارت السكوت عن جرائم الحزب ضد حكوماتها ومواطنيها لأنه كان يصنف منظمة مقاومة ويحظى بشعبية في الشارع العربي، في حين كان دائماً ذراعاً للحرس الثوري الإيراني. أيضاً، رغبت هذه الدول في الحفاظ على التوازن بين القوى في لبنان، وأبقت على علاقة تمثل الحد الأدنى مع حزب الله دعماً للسلم الأهلي هناك.

أخيراً، قررت دول الخليج تصنيف حزب الله

منظمة إرهابية بعد أن أصبح طرفاً رئيساً في قتل آلاف المدنيين في سوريا، يحارب إلى جانب نظام بشار الأسد. ومع أنها خطوة متأخرة إلا أنني أشك

أنه سيتم تطبيقها حقا على مستويات مختلفة،
وستبقى قرارا سياسيا.

أميركا.. وشرعنة الإرهاب الشيعي

عبد العزيز بن عثمان بن صقر - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٦/١٠

بداية، لماذا سارعت الأنظمة السياسية، والأجهزة الأمنية الغربية إلى وصف «جبهة النصرة لأهل الشام» من دون تردد أو تأخير بأنها منظمة إرهابية، وعدم تسمية ميليشيات حزب الله اللبناني التي ارتكبت عدوانا فاضحا بعبور الحدود الدولية وذبح الشعب السوري على أرضه بشكل علني بأنها ميليشيات إرهابية؟! هذا التساؤل لم يصدر عن رغبة في إعادة الاعتبار إلى جبهة النصرة، أو إلى أي مجموعة متطرفة أخرى، بل جاء في سياق تساؤل حول ازدواجية المعايير التي تتحكم في المواقف الأميركية والغربية في تصنيف الإرهاب.

المثير للدهشة والاستغراب أن الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند طالب مؤخرا من الاتحاد الأوروبي وضع «الجناح العسكري» لحزب الله على لائحة المنظمات الإرهابية في فصل واضح ومتعمد بين الحزب وميليشياته المسلحة، فهل هناك وجود أصلا لحزب الله بمعزل عن سلاحه وميليشياته العسكرية؟ ولماذا هذا التخاذل الغربي، والمراوغة وطمس الحقائق؟

نعلم أن هناك خيطا رفيعا جدا في تصنيف الغرب لأي منظمة أو مجموعة بأنها إرهابية وأخرى بأنها منظمة مقاومة مشروعة، وهذا الأمر يعود إلى مصالح وأهداف من يقوم بالتصنيف، وإلا كيف لا يعد عبور ميليشيات مدججة بكل أنواع الأسلحة والذخائر الحدود الدولية، والاعتداء على الشعب السوري، وقتل وترويع الآلاف من المدنيين العزل في بيوتهم وقراهم داخل وطنهم إرهابا؟

المؤكد أن حزب الله هو ذراع إيران في الإرهاب والابتزاز والترويع بعد أن سقطت عنه ورقة التوت التي كان يستتر بها ويدعي أنه حركة مقاومة للاحتلال الإسرائيلي في لبنان، هذا الادعاء الذي ساندته ووقفت معه في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي دول مجلس التعاون الخليجي انطلاقا من حسن النيات، فقد عارضت هذه الدول جميع المحاولات لوصم حزب الله بالإرهاب ووقفت في ذلك معها معظم الدول العربية والإسلامية، ولذلك تفاضت عن ارتباطه العضوي بأجهزة المخابرات الإيرانية، وعن سعي قيادة الحزب لتأسيس دولة داخل الدولة اللبنانية، أو حتى فوقها، ولكن تدخل الحزب في الصراع الدائر على الأرض السورية، هو فعل إجرامي فاق جميع التصورات ويمثل نقطة تحول جوهريّة في طبيعة الحزب من منظمة مقاومة إلى منظمة إرهابية.

إذا كان تنظيم القاعدة قد شكل دولة في أفغانستان ما قبل اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فإن حزب الله الذي يشكل دولة داخل الدولة اللبنانية لا يهدد فقط أمن واستقرار لبنان فحسب بل جميع دول المنطقة، وإذا كان تنظيم القاعدة يمتلك أسلحة بسيطة، فإن حزب الله يمتلك الآلاف من الصواريخ والقذائف وأحدث ما أنتجته التكنولوجيا العسكرية، وإذا كان تنظيم القاعدة يجند بعض شباب أهل السنة هنا وهناك، فإن حزب الله يجند من الشباب الشيعي في جميع الأرجاء التي تنتشر فيها المجتمعات الشيعية سواء في لبنان، أو العراق، أو البحرين، وغيرها، بل من جميع دول العالم التي تحتضن طائفة شيعية مثل دول شرق أفريقيا، وأميركا اللاتينية، وأوروبا، وإذا كان تنظيم القاعدة يقوم بعمليات غسيل عقول الشباب وزرع نزعة التطرف داخلهم، فإن حزب الله يزود الشباب الشيعي بجوازات سفر إلى الجنة على حد

الحرابي الإيراني ضد وطنه العراق. إن التردد الأوروبي في تصنيف حزب الله بأنه منظمة إرهابية ليس مرده قلة المعلومات التي تؤكد طبيعته الإرهابية، بل الخوف من الغضب الإيراني، فهو موقف مصالح وليس موقف مبادئ، ويخلو تماماً من المنطق والعقلانية، والعدالة. فمنذ ظهور تنظيم القاعدة في منتصف التسعينات، وخصوصاً بعد تنفيذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، أمسى مصطلح الإرهاب في قواميس الغرب ملازماً لأهل السنة وحكراً عليهم، ونحن مع إدراج جميع المنظمات الإرهابية على قائمة الإرهاب ومحاربتها دون هوادة، لأننا نطلق من مبدأ أن الإرهاب عمل إجرامي لا دين ولا طائفة له، لكننا ضد الانتقائية، وأن تكون المصالح، وليس الحقائق هي المعيار، ومن الغريب أن موقف الدول الغربية اليوم يتبع أسس تفكير القاعدة في تقسيم الإرهاب إلى إرهاب «محمود»، وإرهاب «مذموم»، وأن الإرهاب الذي يمارسه من يدعون الانتماء لمذهب أهل السنة هو إرهاب خطير ويعد «تهديداً للأمن والاستقرار الدولي»، وإرهاب الجماعات الشيعية المتطرفة هو «تصرفات خاطئة» تستحق الإدانة وليس العقاب!

ما نشاهده اليوم في السياسة الأميركية، والغربية يؤكد الاستقواء على «الإرهاب السني» والتخاذل أمام «الإرهاب الشيعي»، والكيل بمكيالين وتبني المواقف المزدوجة.

زعمه لضمان تجنيدهم في صفوفه، وإذا كانت أذرع تنظيم القاعدة تمتد إلى دول متعددة، فإن حزب الله لا يقف بعيداً عن هذه الممارسة وإذا كان مصدر الحكم الغربي السلبي على تنظيم القاعدة مرده أن التنظيم استهل نشاطه الإرهابي بمهاجمة سفارات أميركا في نيروبي ودار السلام، فإن حزب الله بدأ نشاطه الإرهابي بمهاجمة السفارات الأميركية والفرنسية في بيروت إلى جانب مقر قيادة قوات مشاة البحرية، وله يد مباشرة في مهاجمة مقر القيادة الأميركية في مدينة الخبر السعودية.

إن تنظيم القاعدة لا تحتضنه أي دولة ولا يوجد من يوفر له الغطاء، بل تحاربه جميع دول المنطقة، وعلى رأسها دول الخليج العربي، وعناصره تملأ سجون المنطقة والعالم، في حين أن حزب الله، وبفضل الدعم الإيراني يتمتع ببحر من الامتيازات بما لا تتمتع به دول، وميزانيته المالية تفوق ميزانيات عدد من الدول الأفريقية، وسلاحه يفوق قدرات عدة دول ومنها دولته لبنان، وإعلامه يصدح عالياً دون رقيب، وصناع القرار في العالم يستقبلون قياداته باعتبارهم قيادات شرعية.

عند العودة إلى الموقف الأميركي - الغربي

المتساهل مع الإرهاب الشيعي نجد أنه لا يتوقف عند التعامل بهذا الشكل مع حزب الله اللبناني فقط، فالعالم الغربي يتغاضى متعمداً عن الأحزاب العراقية الشيعية التي مارست الإرهاب علانية، وكانت تفتخر بأنه يمثل جزءاً من «تاريخها النضالي»، فحزب الدعوة الإسلامية الحاكم في بغداد تحت الحماية الأميركية مارس الإرهاب بأمر قياداته الإرهابية التي تتولى اليوم زمام السلطة في بغداد، وحتى يوم وصول الحزب إلى سدة الحكم على ظهر الدبابات الأميركية كان موقع الحزب الإلكتروني يضم قائمة طويلة من الأعمال الإرهابية التي نفذها الحزب ضد أهداف عراقية وعربية خلال الحرب العراقية - الإيرانية دعماً للمجهود

مرصد الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١٢٣ رمضان ١٤٣٤ هـ



الإنقلاب في مصر.. دروس وعبر



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد

(١٢٢)

رمضان - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

٢ * الانقلاب في مصر.. دروس وعبر

فرق ومذاهب

٤ * من رموز الإصلاح (١٥) العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين..... أسامة شحادة

سطور من الذاكرة

١٢ * شيخ الإسلام ابن تيمية يواجه التتار وشيعة كسروان..... هيثم الكسواني

دراسات

١٥ * من يقتل أهل العراق؟ من يصنع الفتنة؟..... صباح العجاج

١٧ * شبهات عملاء التشيع..... سعيد بن حازم السويدي

٢٠ * إخوان الجزائر واعترافات القرضاوي..... بوزيدي يحيى

٢٤ * جهود الشيخ المحدث صبحي السامرائي رحمه الله..... عبد العزيز المحمود وعبد الله الكرخي

٢٨ * وثيقة الأزهر للمرأة.. قراءة نقدية..... فاطمة عبد الرؤوف

٣٣ * حزب الله في سوريا الخسارة والدوافع والمستقبل..... أسامة الهيثمي

كتاب الشهر

٣٨ * الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما على الأمة..... أسامة شحادة

قالوا

٤٠ *

جولة الصحافة

٤٢ * تعامل الإسلاميين في الخليج مع حزب الله..... عبد الله الرشيد

٤٨ * كيف تعمل الاستخبارات الإيرانية في تركيا؟..... علي حسين باكير

٥٣ * وثيقة الأزهر الشريف لحقوق المرأة.....

٥٥ * رفاق دريد لحام يكشفون أسرارهم..... علي محمد طه

٥٧ * من خفايا شريف شحادة وآخرين..... ثائر الزعزوع

٥٨ * الملف الأسود للشبيخ غسان بن جدو..... محمد أمين

٦٠ * أبشروا بالتطرف!!..... أسامة شحادة

٦٢ * انتقالية أم انتقامية؟..... وائل قنديل

٦٣ * لم يعد هلالا شيعيا..... جمال خاشقجي

٦٥ * الديمقراطية اسم لا حقيقة له..... أ.د جعفر الشيخ إدريس

٦٩ * زيف التوافق القومي الإسلامي..... د. مصطفى اللداوي

٧٠ * سكان أحياء بصنعاء يرفعون الكرت الأحمر..... يمن برس

٧١ * هذا ما فعله حزب الله في معركة صيدا..... فادي شامية

تكون خلافة على منهاج النبوة).

الدرس الأول: عدم إدارة الخلاف والانقسام

في الصف الإسلامي بشكل إيجابي

الخلاف أمر واقع في العمل الإسلامي ولا يمكن تجاوزه وهذا من القدر الكوني الذي لا يمكن دفعه، إلا أن التعامل معه هو من القدر الشرعي الواجب حسن إدارته «لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك»، وقد أمر النبي ﷺ بعض أصحابه فقال: «تطاوعا ولا تختلفا»، ولذلك يجب التركيز على إدارة الخلافات والصراعات الداخلية لتصب في الصالح العام للتيار الإسلامي بدلاً من أن تعمل على هدم واستنزاف الطاقات من خلال التخوين والإقصاء وهدر جهود الآخرين.

وها نحن اليوم في سوريا وليبيا وتونس وكأننا نعيد مشهد الخلاف الدامي في أفغانستان بين فصائل المجاهدين، ولذلك نحتاج إلى جهود مركزة نظرية وعملية مكثفة في وضع قواعد وأسس للتعاون والخلاف والعتاب والمصالحة بين فصائل العمل الإسلامي، ويجب أن يكون هناك حالة من الشفافية العالية في نقد أي ممارسات تذكى الخلاف وتعمق الشقاق حتى يرتعد المعتدي ونقلص المسافة بين الفرقاء الإسلاميين.

الدرس الثاني: ضرورة تقوية الإعلام

الإسلامي ورفع مستواه المهني

كانت أول خطوة قام بها الانقلابيون على مرسى مصادرة بعض الفضائيات الإسلامية وخفض السقف للبعض الآخر، ثم مهاجمة قناة الجزيرة في مصر والتي تقف في صف الرئيس مرسى، مع فتح

الانقلاب في مصر.. دروس وعبر

أدخل الانقلاب على الرئيس المنتخب محمد مرسى مصر وكثيراً من الدول في مخاض كبير لا يعرف أحداً أبعاده أو إلى أين ستصل آثاره، وهل يمكن احتواء الأخطار بتنازل الجميع والوصول لاتفاق أو ستتفاقم الأزمة حتى تتفجر وتخرج عن السيطرة لا قدر الله، أوليس عجيباً أن بشار يبقى بإجرامه ومرسى يرحل بطيبته وشرعية انتخابه!

ومما يزيد المخاوف من تفجر الأوضاع:

الممارسات التي تمت بعد الانقلاب من مصادرة الحريات الإعلامية الإسلامية، واعتقال بعض القيادات الإسلامية، والاعتداء على المحتجين المؤيدين للرئيس مرسى كما تجلى في مجزرة فجر الاثنين أمام الحرس الجمهوري، ومحاولة فرض البرادعي كرئيس للحكومة، وحل مجلس الشورى، والإعلان الدستوري المخالف لاتفاق حزب النور مع الجيش حول خارطة الطريق.

هذه الأحداث السيئة تتكرر - للأسف -

كل مدة مع التيار الإسلامي بصورة أو أخرى، ولذلك نحتاج إلى أن نحرص على رفع سقف الوعي حتى نتجنب الوقوع في نفس الأخطاء والمطبات، والذكاء في التعامل مع المستجدات والمؤامرات، وهذا كله حتى يتمكن التيار الإسلامي من الحفاظ على مكتسباته والمراكمه عليها عبر مسيرته الدائمة للوصول لوعده النبي الصادق «ثم

المجال كلياً للقنوات المؤيدة للانقلاب.

وذلك لأنهم بمكرهم يعرفون أهمية ومركزية الإعلام في إحباط الانقلاب فلجؤوا إلى هذه الخطوة برغم دعوتهم لميثاق شرف إعلامي! ولولا الخطوة الذكية بتفعيل القنوات الإخوانية في الخارج لبثت فعاليات اعتصام مؤيدي مرسى لمر الانقلاب دون ضجيج كثير، سبق لأربكان أن اعترف بعجزه الإعلامي حين قال: لقد خضنا المعركة وليس معنا سلاح المدفعية وقصد الإعلام.

وهذا الأمر يفتح الباب لمراجعة سياسة مرسى وحكومة قنديل وخاصة وزير الإعلام صلاح عبد المقصود مع تعدييات الإعلام العلماني طيلة حكم مرسى وهل كانت ضعيفة أكثر من اللازم؟ وهل كان يمكن ردعها ومنعها من التعدي على الآخرين عبر القنوات القانونية؟

ومن جهة أخرى وجدنا أن هناك نقصاً في عدد الإعلاميين والكتاب الإسلاميين القادرين على تقديم المشروع الإسلامي وإقناع الجماهير به، وأن هناك ضعفاً في لغة الخطاب السياسي الإعلامي بحيث تقدم مشروعاتها بقوة وموضوعية وتتقد السياسات والمواقف المخالفة بذكاء ودهاء دون الوقوع في فخاخ قانونية أو شعارات يمكن تأويلها وتشويهها واعتبارها تحريضا وتكفيرا وطائفية، ولعل النموذج الذي قدمه حزب الوسط وخاصة الأستاذ عصام سلطان نموذج يجب تعميمه وتطويره في الوسط الإعلامي الإسلامي.

وللوصول لذلك نحتاج إلى التركيز الآن على دعم شركات إنتاج إعلامي أكثر من فتح قنوات جديدة، ونحتاج إلى رعاية الدراسات والندوات والدورات والكفاءات الإعلامية وتوفير الموارد المالية الكافية لتطويرها، خاصة أن برنامجاً مميزاً أو مذبذباً ألعيا عبر الفضائيات أو وسائل الاتصال الجديدة تفوق في تأثيرها كثيراً من الكتب أو الأشرطة أو خطب الجمعة.

الدرس الثالث: الاهتمام بتوفير الحلول

للمشاكل

استغل خصوم الرئيس مرسى عجزه وعجز

حكومته عن تقديم حلول لبعض المشاكل التي يعاني منها المجتمع المصري فجري تضخيمها وجعلها رأس الحربة في تحشيد الناس ضده.

وللدكتور عبدالله النيسبي كلمة جميلة تعبر عن هذه المشكلة، فيقول: الإسلاميون يمكنهم ذلك حصون خصومهم وهدمها والاستيلاء على مواقعهم، لكنهم يفتقدون لسلح الهندسة الذي يمكنه من بناء الموقع من جديد بحسب الرؤية الإسلامية.

وهذا الخلل واضح مشترك بين الإسلاميين والعلمانيين، ولكن الإسلاميين يعانون من الهجوم الإعلامي العلماني لتضخيم هذا العجز فتتضاعف المشكلة.

وقد كان تقديم الحلول للواقع البائس هو حجر الأساس في نجاح تجربتي ماليزيا وتركيا، وعلى الإسلاميين الاستفادة من هذه التجربة بالتركيز على تبني الحلول لمشاكل مجتمعاتهم وتحشيد الشارع مع الحلول بالتواصل الدائم معهم بوسائل ذكية، والتيقظ الدائم للقصص الإعلامي المعادي وتفنيدها شبهاته مباشرة وعدم التهاون معها.

الدرس الرابع: غدر الشيعة لا يتوقف لأهل

السنة

لا يعلم كثير من الناس أن مؤسس حركة تمرد محمود بدر هو أحد المتشيعين في مصر، وكانت نقطة البداية من مركز مصر الفاطمية لحقوق الإنسان، وهو إحدى مؤسسات الشيعة بمصر وقد أعلن كافة قيادات الشيعة تأييدهم للانقلاب على مرسى.

فهل يعلم الإخوان الدرس بأن إيران والشيعة لا يقبلون بالإخوان شركاء أو منافسين، بل إما أن يكونوا أتباعاً لهم بالكلية أو العمل على تحطيمهم وهذا ما تقوم به إيران اليوم تجاه حركة حماس وتركيا أردغان وحكم مرسى بمصر، فإيران تريد الإخوان مطاردين يحتاجونها ولا تريد لهم أقوياء ينافسونها، ولذلك لم تجد إيران غضاضة في تمرير الانقلاب على مرسى بما يخدم مصالح الخليج، طالما أنها مستفيدة من تحجيم القوة السنية.

تركز على المرحلة الأخيرة من حياته رحمه الله بعدما برز واشتهر.

فهو تعلم القرآن الكريم على جده لأمه الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الدامغ، ثم التحق بمدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ فتعلم الكتابة، وشيئاً من الحساب، والنصوص الأدبية، وبعد ذلك التحق بمدرسة الشيخ علي بن عبد الله الشحيتان حيث أتم حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

وأخبر الشيخ ابن عثيمين أحد أولاد الشيخ عبد الله القرعاوي داعية الجنوب ومصلحه أنه تعلم الوضوء من أبيه القرعاوي.

وكان لوالد الشيخ ابن عثيمين دور في توجيهه لطلب العلم الشرعي على يد شيخ عيزة وإمامها - آنذاك - العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - والذي كان يدرس علوم الشريعة واللغة العربية في الجامع الكبير بعيزة، وكان للشيخ السعدي ترتيب دقيق في التعليم فقد خصص اثنين من طلبته الكبار (الشيخ علي الصالحي والشيخ محمد بن عبد العزيز) لتدريس الطلبة المبتدئين، فانضم ابن عثيمين لحلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز ودرس عليه التوحيد والفقه والنحو.

ثم ترقى لحضور حلقة العلامة السعدي، فدرس عليه في التفسير والحديث والسيرة النبوية والتوحيد



١٥- العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧/١٤٢١ هـ - ١٩٢٧/٢٠٠١ م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالرائد

تمهيد:

يعد العلامة ابن عثيمين رحمه الله من أفذاذ العلماء المعاصرين الذين شاهد الناس منهم الدور الحقيقي للعالم، فهو بين تدريس ومشاركة وإفتاء وإصلاح وتوجيه مع مخالطة عجيبة للناس بكافة مستوياتهم رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً.

وقد وفق الله الشيخ لأن يكون له مدرسة فكرية تحمل عنه علمه ومنهجه وطريقته في المملكة وخارجها، فرحم الله شيخنا وتغمده برحمته.

مولده:

ولد شيخنا في منطقة عيزة بالقصيم في العشر الأخير وبالتحديد في ٢٧ رمضان ١٣٤٧ هـ، ويعود نسبه لبني تميم.

نشأته العلمية:

للأسف فإن المصادر المتوفرة عن الشيخ لا تقدم معلومات كافية عن نشأته وحياته الأولى، وإنما

(*) كاتب أردني.

والفقه والأصول والفرائض والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم، وقد ظهر نبوغ ابن عثيمين مبكراً في حلقة السعدي، ولذلك حين قرر والد ابن عثيمين السفر من عنيزة بحثاً عن الرزق طلب منه الشيخ السعدي إبقاء محمد في الحلقة بعنيزة لتمييزه وذكائه.

ومرة أخرى نجد السعدي يخصّ ابن عثيمين بعنايته ودعمه ورعايته فيكافئه بالتدريس في الجامع الكبير بعنيزة وهو ما زال طالباً عنده، فبدأ التدريس عام ١٢٧٠هـ وعمره ٢٣ سنة، فانظر لحكمة السعدي وحنكته كيف صنعت لنا عالماً فريداً في علمه وعطاءه حين شجعه على الاستقلال، وقدمه للمجتمع كأحد الطاقات الشبابية الواعدة في اقتفاء لمنهج السيرة النبوية في منح الشباب مراكز القيادة والصدارة التي يستحقونها: فهو ﷺ من أرسل مصعب بن عمير ليكون رسوله في المدينة المنورة، وعين أسامة بن زيد قائداً للجيش.

وكان من زملاء ابن عثيمين في طلب العلم عند الشيخ السعدي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، عضو هيئة كبار العلماء، الذي يقول: كنا نحفظ المتون ونقرأ القرآن بعد صلاة العصر وفي أول الليل وبقينا على ذلك عشر سنوات.

ودرس أيضاً ابن عثيمين الفرائض على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان، قاضي عنيزة، وقرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي في النحو والبلاغة حين كان مدرساً بعنيزة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض عام ١٢٧٢هـ أشار عليه الشيخ علي بن حمد الصالحي أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فأذن له، والتحق بالمعهد سنتين (١٢٧٢ - ١٢٧٣هـ)، وهناك التقى بكوكبة من العلماء على رأسهم:

العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي،

والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي - رحمهم الله تعالى - .

ولكن الفائدة الكبرى كانت باللقاء والتلمذ على يد الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ، فقرأ عليه في صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به بعد الشيخ السعدي.

وفي المعهد ظهر تميزه أيضاً، حيث رفعه المشرفون للسنة الثانية مباشرة، يقول الشيخ عن دراسته فيه: «كان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين: خاص وعام. فكنت في القسم الخاص، ومن نظام المعهد في ذلك الوقت أنه من أراد أن يقفز - بمعنى أن يدرس السنة المستقبلية في أثناء الإجازة ثم يختبر في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها - فله ذلك، وبهذا اختصرت الزمن، ثم التحقت بكلية الشريعة في الرياض انتساباً لأكسب ملازمة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى وأنظم في دروسه، وتخرجت من كلية الشريعة عام ١٣٧٧هـ».

وبقي ابن عثيمين يدرس على شيخه السعدي حتى وفاته سنة ١٣٧٦هـ، وهنا تحولت حياة ابن عثيمين من كونه طالباً عند الشيخ السعدي لكونه خليفته.

وقد كان لهؤلاء العلماء أثر كبير على شخصية ابن عثيمين، فمن السعدي أخذ الصبر على التعليم وتقريب العلوم والمعاني والرفق بالناس حيث كان يمازح الصغير ويضحك مع الكبير وتأثر بأخلاقه كثيراً، ومن الشيخ ابن باز أخذ العناية بالحديث وبسط نفسه للناس، وتأثر بالشنقيطي في علمه

مكتبة مسجد عنيزة التي أسسها عام ١٣٥٩هـ، وكان عدد الطلاب عند الشيخ ابن عثيمين قليلاً جداً في البداية قد لا يتجاوز العشرة طلاب، وكان الشيخ لا يستتشف أن يدرس من حضر ولو كان طالباً واحداً، وبقي الشيخ مواظباً على التدريس على هذه الحال قرابة عشرين سنة، حتى فتح الله عليه وأصبحت الطلبة تتوافد عليه من كل مكان.

ولما كثر الطلبة صارت المكتبة لا تكفيهم؛ فبدأ يدرس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى بلغوا المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وكان الشيخ يقدم عدة دروس يومياً سوى اللقاءات الخاصة أو ما يشرح للطلبة أثناء ذهابه للمسجد مشياً، فكم من كتب شرحها الشيخ وهو ماشٍ للمسجد لبعض الطلبة، وكم من أسئلة أجاب عليها في تلك الحال!! وكان منزل الشيخ يبعد حوالي ١٠٠٠ متر عن المسجد، وبقي طيلة ٤٠ سنة يذهب مشياً صيفاً وشتاءً، وفي مرة من المرات حين رجع لمنزله وجد الشرطة تمنع الناس من الوصول لبيته الطيني لأن الملك فهد في المنزل يزور الشيخ، وقد رفض الشرطة في البداية السماح له بدخول المنزل إلا بعد وقت حين عرفوا أنه الشيخ ابن عثيمين!!

ويروى الشيخ وليد الحسين - من العراق، رئيس تحرير مجلة الحكمة - وأحد أبرز تلاميذ الشيخ أنه التحق بدروس الشيخ في عام ١٤٠٢هـ ولم يكن عدد الطلبة يتجاوز العشرة، وكان لهم سكن بجوار مسجد الشيخ المبني من الطين من زمن الشيخ السعدي، وهذا السكن بناية من ثلاثة أدوار فيها تسع شقق، تبرع بها الملك خالد لتلاميذ الشيخ، وكان الشيخ يهتم بطلبته وربما أحضر الطعام من بيته للسكن وأكل معهم.

ويقول الحسين إنه بعد عام ١٤٠٦هـ بدأت وفود

أما كتب ابن تيمية وابن القيم فلهما أثر بالغ على ابن عثيمين ومنهجه العلمي الرصين المدعوم بالحجة مع الأسلوب الواضح، وذكر الشيخ في آخر حوار له مع مجلة الدعوة أنه تأثر بالعلامة رشيد رضا في تحقيق المسائل، وهذا يدل على سعة اطلاع الشيخ ومتابعته لمجلة المنار الشهيرة.

جوانب الإصلاح في حياة الشيخ ابن عثيمين:

١- تدريسه وإمامته بعد السعدي:

مر معنا أن الشيخ السعدي في حياته كان قد أمر ابن عثيمين بالتدريس وعمره ٢٣ عاماً، وبعد تخرجه من المعهد العلمي بالرياض، عُين مدرساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ وبقي مدرساً فيه حتى عام ١٣٩٥هـ، وكان في نفس الوقت يدرس على شيخه السعدي، ويتابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة بالرياض.

فلما تولى السعدي، قام الشيخ محمد بن عبدالعزيز، قاضي عنيزة وأحد أقدم طلاب السعدي، بترشيح ابن عثيمين خلفاً للسعدي في الإمامة والتدريس والخطابة، ورضي بذلك أمير عنيزة عبد الله الخالد السليم والأمير خالد بن عبد العزيز آل سليم والشيخ محمد الزامل وعدد من الوجهاء، فتولى ابن عثيمين الإمامة والتدريس والخطابة في المسجد الجامع بعنيزة خلفاً للشيخ السعدي وعمره ٢٩ عاماً، وذلك سنة ١٣٧٦هـ وحتى وفاته سنة ١٤٢١هـ أي ٤٥ سنة متواصلة استفاد منها آلاف الطلبة، تقبل الله منه.

فواصل ابن عثيمين التدريس مكان شيخه السعدي حتى وفاته رحمه الله، وأيضاً درس ابن عثيمين في جامع الضليعة ١٦ عاماً (١٣٩٠ - ١٤٠٦هـ)، حيث درس فيه عدداً من كتب الفقه بعد المغرب من يومي الأحد والثلاثاء.

بدأ الشيخ دروسه على عادة الشيخ السعدي في

الطلاب تهل، فربما وصل عدد حضور الدروس العلمية إلى ٦٠٠ طالب على تنوع أعمارهم وتحصيلهم، فتجد الطالب بالجامعة وتجد المحاضر بها وقد تجد عميد كلية من بين الحضور، فضلاً عن الأطباء والمهندسين وغيرها من التخصصات، وغالبهم من السعوديين.

وبعد عام ١٤١٠هـ توافد الطلبة من خارج المملكة، فأصبح السكن يضم طلبة متزوجين وعزابا، فعين الشيخ أحد طلابه وهو الشيخ عبد الوهاب الزباني من البحرين مشرفاً على السكن، وكان الشيخ يتابع بنفسه أيضاً شؤون السكن واحتياجاته.

ونقلت له مكتبة الشيخ السعدي وأضيف لها الكثير من المراجع والكتب والأشرطة، وخصص لها قاعتين واحدة للكتب وواحدة للمطالعة.

وتم إنشاء مطعم داخلي للسكن ووضع نظام إداري له، وضاق السكن بالطلبة إذ وصل عدد الطلبة العزاب إلى ٥٠، فكان البعض يسكن في شقق للشيخ عبد الله السبيعي مجاناً، ويستفيدون من مطعم السكن، وكان الشيخ يكفل الطلبة ويقدم لهم معونات مالية.

ثم تبرع أحد المحسنين ببناء سكن كبير للطلبة وجعله قسمين: قسماً للطلبة المتزوجين وقسماً للطلبة العزاب، وفيه مطعم.

وكان الشيخ يتعاهد طلبته بالتعليم، والتوجيه في قضاياهم العامة إذا لاحظ خللاً عاماً، وأيضاً يتابع المشاكل الخاصة للطلبة، وكان يوفر لهم سبل العيش للتفرغ لطلب العلم كتوفير السكن أو بدل الإيجار، وقضاء ديونهم، وصرف رواتب شهرية لهم، وتوفير المراجع اللازمة لهم سواء في المكتبة العامة، أو من خلال إهدائهم الكتب وتزويدهم بها، وتعويدهم على البحث والكتابة والإلقاء بفتح المجال للمناقشات والمناظرات وطلب البحوث منهم.

ومنذ عام ١٤٠٢هـ كان الشيخ في العطلة الصيفية يقيم دورات صباحية مكثفة للطلبة الذين لا يتمكنون من القدوم في الأوقات الأخرى من الساعة ٨-١٢، مع بقاء برنامجه العام مستمراً!

واحتوت هذه الدورات على عدة دروس يومية في الصباح يدرسهم فيها الشيخ مباحث متنوعة ومحددة في عدد من العلوم الشرعية، مع توفير الإقامة والطعام لهم، وقد استفاد من هذه الدورات الكثير من الطلبة في الداخل والخارج وخاصة طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقد تميز الشيخ بمنهج فريد في التدريس يشد انتباه الطلاب بتنوع الأساليب مع التركيز على حفظ المتن، وطرح الأسئلة وضرب الأمثلة، وتبسيط العلوم ووضعها على شكل نقاط يسهل فهمها وحفظها، وإجراء مراجعة عند نهاية كل فصل أو باب، وفتح الباب للأسئلة، كما أنه كان يكلف الطلبة المتقدمين بتدريس بعض المباحث للمستجدين، وكان لهم أيضاً دروس في مسجده وقد أصبحوا الآن من الدعاة والعلماء المعروفين، لقد تميز الشيخ بأنه يعلم طلابه صيد السمك وليس أكله فقط!

وكان تأثير دروس الشيخ يصل إلى آفاق الدنيا وذلك من خلال ما يلي:

١- الطلبة: والذين تتنوع جنسياتهم فينقلون علم الشيخ إلى أهاليهم، وكذلك بحسب وظائفهم حيث منهم المدرس والإمام والواعظ فينقلون علم الشيخ لدوائر كبيرة، فمثلاً كان الطلبة السودانيون في الإجازة الصيفية يقيمون الدورات العلمية في كافة أنحاء السودان فينشرون علم الشيخ ومنهجه.

٢- نقل الدروس مباشرة عبر الهاتف: حيث كانت بعض دروس الشيخ تنقل عبر الهاتف إلى دول أخرى عربية وأوروبية، وفي إحدى المرات استمع

للشيخ ١٠٠ مركز إسلامي بأمريكا عبر الهاتف دفعة واحدة، وهذا قبل الفضائيات والإنترنت.

٣- أشرطة الدروس: كان الشيخ يحرص على تسجيل الدروس ونشرها بين الناس في داخل المملكة وخارجها، وفي مرة من المرات حضر خطبة الجمعة عنده ضيف من دولة مجاورة، وقال له أثناء تناول طعام الغداء: يا شيخ هذه الخطبة لو سُجلت لنفعت زملائي في العمل، فما كان من الشيخ إلا أن أدار جهاز التسجيل وأعاد الخطبة كما هي، وهو واقف، ثم سلمه الشريط. ولذلك يمتاز الشيخ بكثرة الأشرطة المسجلة له، وقد كان أول من انتظم في تسجيل دروس الشيخ الأخ غانم بن مرزوق الحربي في عام ١٤٠٤هـ تقريباً حيث سجل ١٠٠٠ شريط للشيخ، وأول شركة تسجيلات اهتمت بدروس الشيخ هي تسجيلات الهدي، ثم تبعتها تسجيلات التقوى عام ١٤٠٦هـ والتي خصصت موظفا لهذه المهمة من طلبة الشيخ هو الأخ عبدالرحمن رستم من لبنان، ثم تبعتها تسجيلات الاستقامة عام ١٤٠٨هـ فعينت الأخ موسى الهادي من السودان لهذه المهمة فلازم الشيخ حوالي ١٥ سنة وحتى وفاته.

٤- دروس الشيخ في الحرم المكي: حيث كان للشيخ دروس في الحرم المكي في شهر رمضان وموسم الحج على السطح لمدة تزيد عن ٢٥ عاماً، يحضرها المعتمرون من مختلف البلاد فيحملون علمه إلى من خلفهم، وهذا ساهم في انتشار أشرطة الشيخ وكتبه في العالم، وقد بقي حريصاً على هذه الدروس، فمرة ألقى الدرس وعليه لباس الإحرام حتى لا يضيع الدرس على الناس إذا ذهب للسكن لتبديل ملابسه! وحتى في أشد حالات مرضه بالسرطان، ففي رمضان عام ١٤٢١هـ تفشى المرض في جسمه ولكنه أصر وألح على الذهاب للحرم والتدريس فنقل بطائرة طبية مع فريق طبي وخصصت له غرفة مجهزة بكافة المستلزمات

الصحية، وفي اليوم التاسع والعشرين اشتد عليه المرض ونقل لجدة وأدخل العناية المركزة، وبعد خمس ساعات أفاق وأصر على العودة للحرم، وألقى درسه بعد صلاة التراويح وهو في حالة صعبة جداً وكمامة الأوكسجين على أنفه، وأخبر الناس أن هذا الدرس لعله يكون الأخير.

كما أن الشيخ كان له في الحج العديد من الدروس في مخيمات منى، وفعلًا كان الشيخ شيخ العامة وعالمهم، كما كان يقول علماً أننا مدحاً: فلان رجل عامة.

ومن تأمل هذا الجهد الكبير للشيخ في التدريس والتعليم طيلة هذه السنين، يفهم كيف حدثت الصحوة السلفية العلمية في العالم وكيف انتشر المنهج في مختلف الأقطار، ويفهم ويدرك لماذا نشعر اليوم بحالة من الفتور والفراغ العلمي، فقد كان العلماء الكبار كابن باز والألباني وابن عثيمين بمثابة ماكنة بث ضخمة للعلم والدعوة تعمل دون ضجيج وإثارة، ولم يدرك الكثير حقيقة دورهم العلمي في الصحوة والإصلاح إلا حين غابوا عن دنيانا، وشعرنا بالفراغ الهائل برحيلهم!

وكنّت بساحة التعليم شيخاً

إلى أفيائه تفد الوفود

تقيم أواصر الإحسان حتى

تحققت العوائد والوعود

وعمّ الخير أهل العلم حيا

وأكراماً وفائدة تعود

فقرت مقلة وانسرق قلب

يضمهم إليه ويستزید

ويمضي السائرون على الطريق

وراءك والطريق هو السديد

٢- التدريس الأكاديمي:

قلنا إن الشيخ بقي مدرّساً في المعهد العلمي بعنيزة من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٥هـ، وكان

أستحق ما صرف!!

٥- الدور الدعوي العام:

بالإضافة إلى هذه الدروس في الجامع بعنيزة والمعهد والكلية، والحرم ومكة، فإنه كان دائم التنقل لإلقاء المحاضرات في كافة مناطق المملكة. وقد عين الشيخ عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويناصح ولاية الأمر، فحين علم أن بعض النساء ينوين التظاهر لقيادة السيارات في الرياض إبان أزمة الخليج، بادر بالاتصال على أمير الرياض الأمير سلمان، فقليل له: هو نائم، فقال: أيقظوه، قولوا له ابن عثيمين يريد التحدث معك الآن لأمر ضروري، فأيقظوه وأوصاه الشيخ بوضع حد لذلك! ساهم الشيخ في تأسيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن سنة ١٤٠٥هـ، وتبرع لها عند التأسيس بـ ٢٥ ألف ريال، وتولى رئاستها منذ تأسيسها وحتى وفاته وتابع اجتماعات الإدارة والمهرجانات واللقاءات التي تقيمها الجمعية، وساهم بتوفير أوقاف لها لتبقى مستمرة.

كما دعم الشيخ طلب تأسيس مكتب رعاية الجاليات بالقصيم سنة ١٤٠٧هـ وقبل أن يكون مشرفاً عليه بحسب اشتراط الشيخ ابن باز رحمه الله للسماح به، وكان الشيخ يشرف على نشاطاته والتي دخل المئات في الإسلام بسببه.

ومشاركة الشيخ في الإذاعة كانت مشاركة فاعلة في برنامج نور على الدرب وبرنامج فتوى على الهاتف وبرنامج منار الإسلام وغيرها من البرامج النافعة.

وكان الشيخ مهتماً بمتابعة نشاطات الدعوة في الغرب، ومن ذلك أنه زود بعض القائمين على مراكز إسلامية بأمريكا بهاتفه الخاص للحالات

مشرفاً على جمعية الدعوة الإسلامية في المعهد التي ترعى نشاطات الطلبة عام ١٣٩٤هـ، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذاً فيها حتى وفاته - رحمه الله تعالى - .

٣- المجالس الخاصة:

كان للشيخ عدد من المجالس الخاصة بفئات محددة من الناس، مثل:

- مجلس أسبوعي خاص بقضاة منطقة القصيم يتدارسون فيه بعض الكتب الشرعية (١٤٠٧ - ١٤٢١).

- مجلس أسبوعي خاص لكبار طلبة الشيخ (١٤١٣ - ١٤١٢).

- مجلس شهري خاص بأعضاء قسم العقيدة بجامعة الإمام فرع القصيم (١٤٠٩ - ١٤٢١).

- مجلس خاص للدعاة ببريدة ولكن بعد المسافة منع استمراره (١٤١٤ - ١٤١٧).

- مجلس نصف شهري لعدد من المشايخ (١٤١٦هـ - ١٤٢١).

- مجلس شهري لخطباء عنيزة (١٤١٨ - ١٤٢١).

- مجلس شهري لأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٤١٢ - ١٤٢١).

٤- تكليفه بوضع المناهج:

فرغت إدارة معهد عنيزة العلمي الشيخ لوضع عدد من الكتب والمناهج للطلبة في المعهد، وذلك لما للشيخ من قدرة على تبسيط المعلومة وتوصيلها للطلاب مع الدقة البالغة والعلم الواسع، ومن قصص ورع الشيخ أنه حين صُرفت له مكافأة على تقديم بعض المحاضرات في كلية الشريعة ردها وقال: وقت هذه المحاضرات اقتطعته من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد، وبذلك لا

الطارئة والتي تحتاج تدخل الشيخ لمنع الخلافات والفتن بين المسلمين هناك.

كما كان الشيخ يحرص على طباعة الكتب ونشرها مجاناً سواء كانت له أو لغيره، وكان يكلف عدداً من المؤسسات الدعوية بالقيام بذلك داخل المملكة وخارجها، ففي عام ١٤١٦هـ كان الشيخ في مطار جدة بين الحجاج القادمين يوجههم ويعلمهم، فجاء فوج من حجاج إحدى الجمهوريات الإسلامية في روسيا، ورغب الشيخ أن يتحدث معهم فطلب من يترجم كلامه فجاء مشرف الحملة وبدأ بالترجمة للشيخ، ولما انتهى سأل: من الشيخ؟ فقبل له الشيخ ابن عثيمين، فاحتضن الشيخ يقبله ويبكي ثم قال للحجاج بلغتهم: إن هذا هو الشيخ ابن عثيمين، فبكوا جميعاً وأقبلوا يقبلون الشيخ، وأخبر المترجم الشيخ أن هؤلاء هم من طلابك كانوا يدرسون كتبك في الأقبية تحت الأرض خلال الحكم الشيوعي.

هذا هو تأثير الشيخ ابن عثيمين ودوره في نشر العلم والمنهج والذي يجهله الكثيرون وهو الجهد الذي نشر الدعوة في ربوع العالم، وهو الجهد الذي نحتاج اليوم أن نفتدي به إن كنا على منهجه وطريقته حقاً.

٦- الدور الخيري والإغاثي:

لا يقتصر دور الشيخ في هذا المجال على مساعدة الفقراء والمعوزين، بل كان الشيخ يهتم لأمر المسلمين ونكباتهم العامة فيرتب في مسجده حملة لجمع التبرعات للقضايا الكبرى مثل: فلسطين وأرتيريا والبوسنة والهرسك وكوسوفا والشيستان، وربما أرسل بعض الطلبة لإيصالها إلى هناك.

وكان الشيخ متعاوناً مع عدد من المؤسسات والجمعيات الإغاثية والدعوية والتي لها نشاط خارج المملكة مثل مؤسسة الحرمين وهيئة الإغاثة

الإسلامية العالمية.

وشجع الشيخ ودعم فكرة إنشاء صندوق خيري للزواج في عنيزة في عام ١٤٠٧هـ مما كان له بالغ الأثر في نجاح الصندوق واستفادة الشباب والفتيات من خدماته.

٧- دوره في دعم الجهاد:

اهتم الشيخ بدعم الجهاد والمجاهدين في عدد من البلاد الإسلامية وكان يستقبل وفودهم ويفتي بجواز دفع الزكاة للمجاهدين، فقد كان يجمع التبرعات في مسجده لصالح الجهاد الأفغاني ويرسل مندوباً عنه يتفقد الأمور هناك ويوافيه بما يحتاجونه وأخبارهم.

كما كان له دور بارز في دعم الجهاد الشيشاني، فقد كان الشيخ هو مرجع المحاكم الإسلامية في الشيشان إذا أشكل عليهم شيء، وقد زودهم برقمه الخاص وسمح لهم بالاتصال به في أي وقت بسبب وضعهم الجهادي، وكان يتعاهدكم بالسؤال والاستفسار عن أحوالهم وسير معاركهم.

٨- مؤلفات الشيخ:

ظهرت للشيخ خلال أكثر من خمسين عاماً الكثير من المؤلفات زادت على ١٠٠ مؤلف، إلا أن أغلبها لم يتفرغ لتأليفها الشيخ وإنما فرغت من أشرطته ومحاضراته وخاصة الكتب الكبيرة كالشرح المتمتع وشرح رياض الصالحين وأمثالها، وإنما تفرغ الشيخ لبعض الرسائل الصغيرة وبعض الكتب المخصصة للمعاهد العلمية.

وقد تخصص بعض طلبة العلم بإخراج علم الشيخ ومحاضراته على شكل مؤلفات من أبرزهم: ❖ د. عبدالله الطيار، والذي بدأ منذ عام ١٤٠٣هـ بإخراج سلسلة الباب المفتوح، وهو توثيق لمجالس الشيخ كل يوم خميس لعامة الناس قبل صلاة الظهر بساعة، وسلسلة اللقاء الشهري، وسلسلة برنامج منار الإسلام.

كما أخرج عدة كتب للشيخ منها فقه العبادات، وشرح مقدمة التفسير، وشرح رياض الصالحين، وتفسير سورة البقرة.

❖ الشيخ فهد السليمان، وهو قد عرض على الشيخ ابن باز جمع فتاوى ورسائل ابن عثيمين فشجعه الشيخ ابن باز وقال له «الشيخ محمد العثيمين رجل عالم ورجل صالح فبادر وأبشر بخير»، وفعلًا بدأ في عام ١٤٠٧هـ بجمع فتاوى الشيخ حتى وفاته وأخرج المجلد الأول من فتاوى ابن عثيمين عام ١٤١٠هـ وبقي متواصلًا مع الشيخ حتى وفاته يجمع له الفتاوى ويصححها الشيخ بنفسه حتى صدر منها ١٥ مجلدًا.

❖ وهناك اللجنة العلمية التي أشرفت على كتاب الشرح الممتع وتضم: د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح، واللذين اعتمدا على مذكرات سبق جمعها من وليد الحسين وعدد من طلبة الشيخ، ثم بعد الطبعة الأولى تكونت لجنة بإشراف الشيخ لمراجعة الأخطاء المطبعية، ثم تمت الاستفادة من جهد الشيخ عمر الحفيان في خدمة الكتاب بمعرفة الشيخ وتوجيهه.

والآن أصبحت مؤسسة الشيخ محمد الصالح ابن عثيمين هي المشرفة والقائمة على نشر تراث الشيخ وتدقيقه.

٩- منحه جائزة الملك فيصل:

مُنح الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي:

أولاً: تحليله بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورعاية الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

ثانياً: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريساً وإفتاءً وتأليفاً.

ثالثاً: إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في

مختلف مناطق المملكة.

رابعاً: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.

خامساً: اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح؛ فكراً وسلوكاً.

وفاته:

توفي رحمه الله بجدّة في الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعه الآلاف من المصلين إلى مقبرة العدل في مكة المكرمة ودفن بجوار شيخه الشيخ ابن باز رحمه الله.

مراجع للتوسع:

- ١- الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، وليد أحمد الحسين، منشورات مجلة الحكمة، ط ١، ٢٠٠٢.
- ٢- ابن عثيمين الإمام الزاهد، د ناصر الزهراني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ٢٠٠١.
- ٣- محمد صالح العثيمين العالم القدوة، إبراهيم العلي وإبراهيم باجس، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠١٠.
- ٤- صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين، د. عبد الله الطيار، منشورات المجلة العربية، ٢٠٠١.

٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)، كان النصر فيها - بحمد الله - للمسلمين.

وعلى الرغم من أن (عين جالوت) قصمت ظهر التتار، وأعادتهم إلى الورا، إلا أنها لم تنه طموحاتهم باحتلال الشام ومصر، والانتقام من المماليك، وظلت بلاد الشام مسرحاً لاعتداءاتهم، خاصة مع انتشار الخلافات في صفوف المماليك، وجُبن بعض سلاطينهم، الذين كانوا يتوجهون للإقامة في مصر، تاركين بلاد الشام دون حماية تذكر، ما جعلها فريسة سهلة للتتار.

وبالرغم من أن المسلمين عموماً كانوا يتصدون للتتار وإفسادهم، إلا أن تطوراً مهماً أدى إلى إضعاف معنويات المسلمين، والتباس الأمر عليهم، وترددتهم بمحاربة التتار، هذا التطور تمثل بدعوى إسلام ملك التتار قازان (ويُقال له أيضاً: غازان)، وإسلام قومه، فصار كثير من المسلمين يرون أنه لا داعي لمقاومة التتار ما داموا قد أصبحوا مسلمين، وبأنه لا فرق بين التبعية للمماليك أو التتار.

يقول الإمام ابن كثير في أحداث سنة ٦٩٤ هـ: «وفيها أسلم ملك التتر قازان بن أرغون ... فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز، رحمه الله تعالى، ودخلت التتر أو أكثرهم في الإسلام، ونشر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم

شيخ الإسلام ابن تيمية يواجه التتار وشيعة كسروان هينم الكسواني^(١) - خاص به «الراصد»

عانى المسلمون من التتار معاناة عظيمة، بل لعلهم لم يعانون من قوم كما عانوا من التتار^(١)، ففي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بدأ التتار الوثنيون يحتلون البلاد الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، ويعيشون فيها فساداً، ويرتكبون فيها المجازر المرؤعة التي لا يمكن وصفها، ووصلت ذروة إجرامهم باحتلال بغداد، عاصمة دولة الخلافة العباسية، واستباحتها، وتدمير حضارتها، وإبادة معظم أهلها في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

وبعدما تمكن التتار من إسقاط الدولة العباسية، واحتلال العراق وأجزاء واسعة من العالم الإسلامي، توجهت أنظارهم صوب بلاد الشام ومصر، وكان هذان البلدان - آنذاك - تحت حكم دولة المماليك الذين صمموا على صدّ عدوان التتار، والانتصار للمسلمين، فأعلنوا الجهاد، والتقوا مع التتار في معركة فاصلة حاسمة هي معركة عين جالوت بقيادة السلطان قطز في سنة

(١) كاتب أردني.
(١) يطلق عليهم أيضاً: المغول والمنغول والمغل والتتر.

إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية، وردّ مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السُّبح والهاكل مع التتر، والحمد لله وحده».

وترى الباحثة مريم محمد أن إسلام قازان لم يكن سوى حيلة لتشتيت معسكر المسلمين وإضعافه، وتقول: «... وكان (أي قازان) سياسياً محنكاً وقائداً مجرباً أخذ يراجع حساباته ويقلب الأمور في أسباب الهزائم المتكررة التي لحقت بالتتر، فمنذ موقعة عين جالوت إلى موقعة حمص والتتر في هزائم متكررة، فرأى أنه يحكم شعباً مسلماً يدين بالإسلام، وينظر إلى حكامه المغول الوثنيين نظرة ريب وتشكك، فلا يتعاونون معهم في حروبهم ضد إخوانهم المسلمين، لذلك رأى أن أفضل طريقة يستطيع بها أن يكسب شعبه إلى صفه والوقوف إلى جانبه في حروبه ضد المماليك هي أن يدخل في دين شعبه ويعلن إسلامه ...

ولكي يزيد من التقاف شعبه حوله أظهر الفرح والسرور بذلك فنثر الذهب والفضة عليهم، وشهد الجمعة وصام رمضان، للإمعان في تضليل المسلمين تسمى باسم رسول الله ﷺ فأطلق على نفسه اسم محمود غازان، وقام بالانتصاف للمسلمين من المسيحيين بعد ما نالهم الأذى والاضطهاد في عهد سلفه فتجحت خططه كما سنرى فيما بعد في موقعة وادي الخازندار إن شاء الله إذ لم يقتصر الأمر على كسبه لشعبه فقط بل تعداه إلى جيش الشام ومصر الذي ألقى السلاح حين علم أثناء المعركة بإسلام غازان لحرمة دم المسلمين، ولعلم المسلمين بحديث الرسول ﷺ: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)».

وتنقل الباحثة عدة شواهد على أن إسلام قازان وقومه كان خدعة، منها أنه حين أراد التزوج بإحدى زوجات أبيه، وشريعتهم لا تحرم ذلك، أعلمه أحد العلماء بتحريم ذلك في الإسلام ففكر أن يرتد عنه لكي ينال بغيته، وكذلك ما مارسه التتار من قتل وسرقة ونهب وانتهاك لحرمة بيوت الله، فيقول المؤرخ المقرئ: «واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه..».

وعلى كل حال، فقد انطلت هذه الحيلة على قسم من المسلمين، واستطاع قازان أن يلحق الهزيمة بجيش المسلمين في موقعة الخازندار (وتسمى أيضاً: موقعة قازان) في ربيع الأول من سنة ٦٩٩هـ، وخطب لقازان على منابر المساجد، ودُعي له بعد الصلاة، ودخل عدد من المسلمين وأعيانهم في خدمة التتار.

لكن الله قيض للمسلمين عالماً ربانياً يرشدهم ويزيل ما التبس عليهم من أمر التتار وإسلامهم، هذا العالم هو شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، الذي كان يدعو الناس باستمرار لقتالهم والصبر على ذلك، يقول ابن كثير: «وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو، فإنهم يُظهرون الإسلام وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه.

فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة، فتفطن العلماء والناس لذلك.

وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك

في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله».

للاستزادة:

❖ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

❖ مريم محمد عوض، دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الإيلخانيين (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي)، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلونني، فتشجع الناس في قتال التتروقيت قلوبهم ونياتهم، والله الحمد».

كان من نتائج جهود ابن تيمية وجهاده ونظرته الثاقبة أن ثبت الله المسلمين للقتال،

فاستجمعوا قواهم وخاضوا ضد التتار موقعة (شقحب) في سنة ٧٠٢هـ، وفيها كتب الله النصر للمسلمين، ولم تقم للتتار قائمة بعدها في بلاد الشام.

وخلال تلك المعارك لم يفت ابن تيمية أن يقاتل طائفة أخرى اعتدت على المسلمين أثناء انسحابهم بعد هزيمتهم من التتار في موقعة

الخازندار، هذه الطائفة هي شيعة كسروان المعروفين بالكسروانيين، حيث دأب الشيعة والفرق المنحرفة أن يقفوا في صف أعداء الأمة ضد المسلمين، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٦٩٩هـ: «وفي يوم الجمعة العشرين من شوال ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومعه خلق كثير من المطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتروهيروا؛ حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيراً منهم.

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤسائهم إلى

الشيخ تقي الدين ابن تيمية فاستتابهم، وبين كثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالاً كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأُقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون

القاعدة هو الذي قام بتنفيذ هذه الجريمة التي أدت إلى إشعال الفتنة الطائفية في البلاد للسنوات ٢٠٠٦ - ٢٠٠٨، وأضاف المسؤول الأمني أن من نفذ العملية تمّ اعتقاله، وقد اعترفت المجموعة التي ينتمي إليها بكاملها، وهي نفسها التي اغتالت الصحافية العراقية أطوار بهجت في اليوم التالي، واستغرب المسؤول من شهادة كيسي الآن ولماذا لم يعلن ذلك في وقته! وكذا نفت السفارة الإيرانية في العراق حدوث ذلك.

هذا الخبر المثير أثار قراءات عدة لا بد أن

نقف عندها:

إنّ الحُذاق من أهل السنة في العراق وخارجه تنبهوا إلى تورط الشيعة وإيران بذلك التفجير، وكتبوا ذلك، فقد كتب الشيخ حامد العلي (من الكويت) مقالا بعنوان (سبعة أدلة على تورط إيران بتفجيرات سامراء) وكثيرا من العراقيين تنبهوا لذلك كان على رأسهم الصحفية أطوار بهجت رحمها الله، والتي كشفت هذا ميدانيا، فقتلتها نفس اليد المنفذة للتفجير؛ ولأنه في علم الجريمة ابحت دائما عن المستفيد من الحدث، فإيران والمليشيات الشيعية هم المستفيد الأول من الحدث، والسنة هم المتضررون الأوائل منه. لكن الجديد في الحدث أن الساكت أو المشارك بالجريمة (أمريكا) هي من تعترف بذلك والاعتراف سيد الأدلة، وفي هذا شهادة مصداقية لتحليلات كل الشرفاء من أهل السنة.

بل إن هناك تفاصيل دقيقة عن تلك الجريمة عرفها أهل السنة منها: أن الذي أدار عملية التفجير

من يقتل أهل العراق؟ من يصنع الفتنة؟! قراءة في تصريحات الجنرال جورج كيسي الأخيرة

صباح العجاج^(١) - خاص بالرائد

كشف الجنرال «جورج كيسي» رئيس قيادة أركان قوات الاحتلال الأمريكية السابق في العراق، النقاب عن أن إيران هي المسؤول عن تفجير المرقدين العسكريين في قضاء سامراء بمحافظة صلاح الدين في ٢٢ شباط ٢٠٠٦، فقد ذكرت وكالات الأنباء العالمية وحتى العراقية أن جورج كيسي قال في كلمة ألقاها خلال مؤتمر عقدته المعارضة الإيرانية في باريس بحضور ٦٠٠ شخصية سياسية وبرلمانية من ٤٧ دولة بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٣: (إن نظام الملالي في طهران مسؤول مسؤولية مباشرة عن مقتل الآلاف من العراقيين) .. مؤكداً أن إيران فجّرت المرقدين العسكريين بهدف إشعال الفتنة الطائفية بين أبناء الشعب العراقي وإضعاف العراق وتخريبه لإنهاء كدولة، وأنه أبلغ رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي بتورط طهران في الهجوم الذي استهدف مرقدي الإمامين العسكريين.

لكنّ مسؤولاً أمنياً عراقياً رفيع المستوى طلب عدم الكشف عن هويته أكد لصحيفة «الشرق الأوسط» أنّ الثابت لديهم أن تنظيم

(♦) كاتب عراقي.

إن الاتهامات وزعت منذ اللحظات الأولى للحدث، فصرّح وزير الداخلية صولاج جبرانّ عشرين شخصاً وراء هذه العملية التي استغرق إعدادها عشر ساعات، وسارعت الحكومة باتهام القاعدة؛ وهو أمر تماهى مع رؤية الأمريكيان وقتها، وأصبح فيما بعد اتهام السنة والقاعدة عرفاً جارياً وتهمة جاهزة للسنة جميعاً، فهم من يفجر ويقتل ويهجر، ولهم تم تفصيل قانون ٤ إرهاب.

تنظيم القاعدة في وقتها أنكر تبني العملية وهو من عادته عدم إنكار مثل هذه التفجيرات بل يفتخر بها، واتهم عبدالله الجبوري نائب محافظ صلاح الدين في تصريح إلى صحيفة «الحياة» الاستخبارات الإيرانية بالضلوع في تفجيرات سامراء، وأشار إلى أن (عشور قوات الأمن المحلية على أدلة تؤكد ارتباط مسلحي «القاعدة» في سامراء بهذه الاستخبارات، وقال: (سبق أن ضبطنا وثائق وأسلحة إيرانية ومبالغ نقدية إيرانية في أوكار هذه الجماعات)، مؤكداً وجود اتصالات ولقاءات بين قيادات القاعدة وضباط إيرانيين داخل العراق وخارجه. وهذا يؤكد الرأي أن القاعدة في العراق هي قاعدات وليس قاعدة واحدة. فقسم يعمل لأهدافه وآخر مرتبط بإيران وقيل هناك قسم مرتبط بأمريكا.

يزعم الشيعة أن علاقتهم بقبور الأئمة علاقة مقدسة عند عوامهم ونخبهم، ويتخذون من الاعتداء عليها ذريعة للهجوم على السنة، فقد هاجموا السلفيين يوم أن هدمت القباب على قبور الصحابة في البقيع، أما هذه الحادثة فقد كشفت أنه ليس هناك شيء مقدس أو محترم عند الشيعة حتى ولو كان المهدي المنتظر، فهم بهذا العمل المشترك بين شيعة إيران والعراق فجّروا أضرحة ثلاثة من أئمتهم فهل يعني عوام الشيعة ذلك!

وهو ذات الفعل الذي فعله اليهود من قبل إذ قتلوا بتفجيرات في بغداد في الأربعينيات من القرن العشرين بعض اليهود حتى يحملونهم على ترك العراق والهجرة إلى أرض فلسطين قبل تأسيس

هو شخص إيراني يدعى (منصور حقيقة بور) وهو من أخطر قادة ما يسمى بالحرس الثوري الإيراني بالعراق وقد ظهر اسمه بعد حادثة تفجير سامراء حيث نسبت له واستناداً إلى مصادر موثوقة في النجف عملية تخطيط وتنفيذ تفجير مرقد الإمامين في سامراء، حيث كان يعتمد على نخبة من رجال الميليشيات بعد اجتماع حضره قيادات من فيلق بدر وجيش المهدي ممثلين لأكثر من ٣٢ ميليشيا.

صمت الحكومة العراقية (المالكي) وكذا

آياتهم ومراجعهم

وكالعادة يمارس الشيعة تكذيب الخبر بحجج واهية فقد وصف نائب من ائتلاف دولة القانون الذي يرأسه المالكي تصريحات جورج كيسي بالكذب معللاً أنّ ولاء الإيرانيين لأهل البيت (قد يصل إلى حد الإلحاد). وقال القيادي في الائتلاف خالد الأسدي في تصريح صحفي له: إنه يستحيل أن يفعلوا ذلك وأضاف الأسدي أن (القضاء العراقي قال قولته بحق من أدينوا بهذا العمل، والشيء المهم هو أن العداء الأمريكي - الإيراني ينبغي أن يكون بعيداً عن الساحة العراقية). وتابع الأسدي قوله (نحن غير معنيين بهذه المعلومات كون هناك قضاء يحكم بهكذا مسائل، وما أعلن لا يتعدى محاولة لخلط الأوراق). بينما استبعد مقتدى الصدر أن تكون إيران وراء الجريمة، قائلاً: (لا أرى من داع بأن تكون الجمهورية الإسلامية (الإيرانية) شماعة تعلق أمريكا أفعالها المشينة عليها)، وأضاف مدافعاً عن إيران ومستبعداً ضلوعها بالتفجير فقال: (لا يدل قول كيسي الفاسق إلا على فشل أمريكا في إدارة العراق أثناء احتلاله البغيض).

لكن جورج كيسي أشار إلى دليله وهو بقايا المتفجرات الإيرانية، أما الشيعة فلم يقولوا سوى أن هذا الفعل لا يمكن أن عمله إيران!! ولو أنهم طالبوا بتحقيق جديد لأنصفوا لكن أتى لهم الإنصاف وهم جراب الكذب.

والمطلوب فعل أكثر وأكبر إعلامياً؛ والاستمرار في اتهام إيران وطلب مواقف من المسؤولين العرب وغيرهم تجاه هذه التصريحات، بل إحراج الجانب الأمريكي أكثر، على الأقل إعلامياً.

شبهات عملاء التشيع

سعيد بن هازم السويدي^(١) - خاص بالراصد

لعلها أصبحت ظاهرة ملحوظة للمتابعين والمراقبين أنه كلما تعرض التشيع لأزمة نتيجة لصدامه مع الوسط الإسلامي السني، خرج من بين السنة من يسعى لإنقاذ سمعة التشيع والدفاع عنه وتشويه الحقائق الظاهرة عبر بث جملة من الآراء والافتراضات التي تدرأ عن التشيع صفة الفتنة والفساد والقتل، وبـل وتجعل منه عنصراً أساسياً لحصول الاجتماع الإسلامي والتوافق الداخلي لمواجهة العدو الخارجي والنهضة بالأمة المستضعفة!

واليوم تخوض الأمة فصلاً جديداً من فصول الصراع مع التشيع على أرض الشام، وكالعادة فقد برز المدافعون السنة بأقلامهم وألسنتهم محاولين الإبقاء على هذا المذهب حياً وإنعاشه قدر المستطاع.

وقد رأينا أن مدار هذه الحملات الدفاعية على الشبهات والدعاوى الركيكة حيث يتذرع بها أصحابها للدفاع عن مصالح موهمة من جهة وللمشاركة في نصرة التشيع من جهة أخرى فهم لا يظهرون إلى الساحة بهذه المقالات والآراء إلا في مراحل دفاع السنة عن أنفسهم من أخطار التشيع الطائفي، أما في أيام التمادي والطغيان الشيعي فلا يُسمع لهم همساً!

١- التطرف لا يمثل الأغلبية الشيعية الصامته

ومن ذلك قولهم: إن حزب الله لا يمثل الطائفة

(❖) كاتب عراقي.

ومن يفعل هكذا بمقدساته وقبور أئمتيه فمن باب أولى أن يقتل عوامهم ويفجر مناطق سكناتهم وأسواقهم!! وهذا ما يفعلونه اليوم يفجرون مناطق السنة ومناطق الشيعة لخلق الفتنة من جديد، والغاية من كل ذلك هو تهيج عوام الشيعة ضد أهل السنة، وصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وصف شيعته أنهم (أتباع كل ناعق).

لأبد من التذكير أن هذه الحادثة هي التي أبرزت جيش المهدي على الساحة العراقية ضد أهل السنة قتلاً وذبحاً وتشريداً بشكل واضح، بعد أن ظل جيش المهدي في الظاهر بعيداً عن مواجهة أهل السنة، وكان وقتها ضعيف التسليح إلا من السلاح الفردي الخاص، إذ أن إيران رفضت أن تعطيه شيئاً حتى يذعن لها، فكانت الفرصة قبيل تفجير سامراء حيث تم الاتفاق بينهما؛ فقد أخذت بعض ميليشيات جيش المهدي ونزعت سيطرة مقتدى عليها، وأخذت هذه الميليشيات تتوسع مدعومة من الدولة وأحزاب شيعية أخرى وإيران حتى أضحت قادرة على كسب المقاتلين الشيعة لها؛ مُستفيدة من تسهيلات قدمتها أجهزة الدولة الأمنية، واليوم يحاول زعماء التيار الصدري (مقتدى الصدر) اتهام هذه الميليشيات بالاشتراك في الحرب الطائفية ضد أهل السنة! منها عصائب أهل الحق وغيرها من الفصائل التي انفصلت اليوم عن مقتدى الصدر انفصالاً تاماً، بل وقاتلت أتباعه وحاولت اغتيال بعضهم.

المطلوب من أهل السنة أن لا تمر هذه الحادثة بسلام كخبر عابر، بل يجب الوقوف عندها والتعامل معها بجدية، وحسناً فعل البعض من المطالبة بطرد السفير الإيراني من العراق، ومقاطعة البضائع الإيرانية، وطالب خطيب جمعة الرمادي الشيخ صباح العاني في خطبته بمحاكمة الحكومة الإيرانية دولياً، ويتدخل أممي لوقف انتهاكات إيران وتدخلها في شئون العراق والدول المجاورة.

الشيعة في لبنان رغم أنه كان يمثلها أيام المقاومة!! أو القول بأن هناك تياراً في المقاومة يرفض الدخول في معركة سوريا!

وهذا من الكذب المعلوم البين، فقوة المليشيات مستمدة من دعم الطائفة، لأنها لم تتشكل إلا للدفاع ولحماية الكيان والهوية الطائفية، فالسلوك العدواني للمليشيات الطوائف (العلوية والشيعة والمسيحية) يعتبر سلوكاً طبيعياً ضرورياً بالنسبة لها فهو دفاع عن الوجود والبقاء.

كما أن هذا الافتراض الذي يكذبه الواقع لم يستند إلى وقائع ومعطيات تشهد له وتؤيده، وتصدق زعمه بأن الطائفة الشيعية لا ترضى بالعمل الطائفي، فالعكس هو الصحيح، فلولا الأقليات لما وجدت المليشيات.

٢- تفريق صف الأمة

كقولهم إن الأزمة السورية عمّقت الشرخ الطائفي وأن على العقلاء تدارك الأمر، وهذه شبهة داحضة استخدمها المشركون ضد الأنبياء، ورموهم بالإحداث والابتداع والإتيان بما لا يعرف مما يفرق الجماعة ويخلخل الصفوف.

والصواب أن يقال: إنها محنة تميز الحق عن الباطل، وتتيقن الأمة وتطهيرها من شرور المعتقدات الباطلة والأهواء الفاسدة والمذاهب المنحرفة.

كما أن الأقليات - وفي مقدمتها الأقلية الشيعية - هي السبب الرئيس في اختلاق المشاكل والأزمات والحروب الداخلية، ولولا أطماعها وعدوانها على محيطها الإسلامي السني لما عرفت الأمة هذا النوع من الصراعات.

فسبب التفريق ومادة الاختلاف تكمن في الأقليات التي شذت بأفكارها وسلوكها عن مجتمعها فسارت باتجاه معاكس لمسار الأمة فاضطررنا لمواجهتها دفعا للعدوان وحفظاً للدين والكيان والهوية.

٣- التحذير من تقسيم البلدان، وتكوين

دويلات وكيانات طائفية

وقد كثر الحديث حول هذا الوهم المسمى

«خطر وشبح التقسيم» بعد احتلال العراق وصعود الشيعة، وتجدد ثانية بعد الثورة السورية، لذا لابد من توضيح لحقيقة ما يثار من مخاوف وهواجس لا أساس لها:

- إن مشروع التقسيم لا يسعى إليه إلا الأقليات، كضمانة لأمنها وحفظاً لهويتها ومستقبل أبنائها، أما السني فلا يشعر بالغربة في وطنه ولا تدفعه أي حاجة للاستقلال والانفصال، وتاريخنا المعاصر شاهد على هذه الحقيقة، فلم تنشأ الدويلات ولم يظهر التقسيم إلا حفظاً لمصالح الأقليات الدينية، كاليهود في فلسطين، والموارنة في لبنان، و الدروز في جنوب سوريا، والعلويين في الساحل، وكذلك شيعة العراق فإنهم طالبوا بالفدرالية في البداية وأدرجوا ذلك في دستور عام ٢٠٠٥، فلما أحكموا قبضتهم واستقام لهم الأمر، منعوا السنة من نيل شيء من حقوقهم عبر المطالبة بالإقليم!

- إن التقسيم لا يمكن أن يأتي بمجرد الاقتتال والنزاع الأهلي، ولابد من قوة خارجية تفرضه وتدعمه وتضمن بقاءه كما فعل الفرنسيون في لبنان وسوريا، فلا يمكن لأي مليشيا أو تنظيم مسلح أن ينعزل بإقليم أو مساحة من الأرض ويقيم عليه دولته ونظامه ما لم يحصل على دعم خارجي (سياسي وعسكري) وهذا غير متاح إلا للأقليات.

- إن موضوع التقسيم لم تقم أي أدلة مادية معتبرة تدعم المخاوف المحذرة منه، ولم يعد إلا مجرد هواجس وأوهام وتضخيم لمؤامرات لا يُعلم حقيقتها أو مصدرها جرياً على عادة الشرقيين في المبالغة والتهويل.

- إن التحذير من التقسيم أصبح يخدم إيران وشيعتها لأنهم باتوا يسيطرون على معظم المنطقة سيطرة مباشرة وغير مباشرة، فأى انفصال وتمرد على الوضع الراهن يعني تهديد النفوذ الإيراني، فالدعوة إلى الوحدة والتماسك والتلاحم تحت الوضع الراهن يرسخ الخطر الإيراني المتعاضم وهيمته.

فتحذير السنة من التقسيم يعني مساومتهم على دينهم وأمنهم وكرامتهم على النحو التالي: إما القبول بالهيمنة الإيرانية أو الانزلاق إلى الحرب الأهلية والتقسيم، فمفردة «التحذير من التقسيم» أصبحت بمثابة التحذير من أي تمرد ومقاومة للتوسع الشيعي والهيمنة الإيرانية.

٤- التفريق بين الديني والسياسي

كالقول بأن الصراع في سوريا مجرد صراع سياسي ليس له أبعاد دينية طائفية، وبهذا يتبرأ المذهب وأتباعه من تهمة الفتنة وينحصر الاتهام في نفر محدود ممن طوعوا المذهب لخدمة أطماعهم! إن السلوك السياسي عند الشيعة (والأقليات) قائم على العقيدة ومستمد منها لأنها عنصر البقاء والاستمرار المادي والسياسي وليس الروحي الكهنوتي فقط، لا فرق في ذلك بين العلمانيين والمتدينين، بل إن علمانيين الأقليات أمثال (كنعان مكية، أحمد الجلبي، حسن العلوي، نبيه بري، العلويين البعثيين) أنشط في خدمة طوائفهم من رجال الدين.

فالدين في خدمة السياسة، والسياسة في خدمة الدين، ولا يمكننا أن تصور أقلية في عالمنا العربي لا تحمل أجندة سياسية طائفية أو مليشيا مسلحة، كما لا يمكننا تخيل سياسة للأقليات منعقة من العُقد والهواجس الطائفية.

٥- التفريق بين المعتدل والمتطرف

للجوء لمقولة إن الشيعة (أو أي أقلية أخرى) ليسوا على منهج وطريقة واحدة، وليس من الإنصاف تجاهل المعتدلين وأخذهم بجريرة المتطرفين.

وفي حالتنا اليوم مع الشيعة فإن هذا افتراض وزعم تكذبه الحقائق والشواهد التاريخية والسياسية المعاصرة، بل الواقع يقرر: أن الاعتدال الشيعي أخطر من التطرف، لأنه يوفر البيئة المناسبة لعمله، ويحميه ويدافع عنه، ويحافظ على استمرار نشاطه العدواني مع وقاية سمعة المذهب من

الثُهم.

فكل رموز التطرف في الجانب الشيعي أمثال: الخميني، حسن نصر الله، حافظ الأسد وابنه، التيار الصدري ومليشياته، مدعومة ومحمية من رموز الاعتدال: محمد حسين فضل الله، جواد الخالصي، موسى الصدر، محمد مهدي شمس الدين.

٦- استفادة الإسرائيلي من الصراع السني

الشيعي

وهذه الشبهة المشتهرة على الألسنة عليها عدة ملاحظات:

- أن الصراع السني الشيعي سبق وجود إسرائيل وأي تهديد خارجي للأمة الإسلامية، لأنه صراع بين الحق والباطل، فهو يأتي ضمناً في سياق المواجهة والمعركة مع العدو الخارجي، وينبغي تشبيه الصراع السني الشيعي بحروب أبي بكر الصديق في جزيرة العرب، أو بإحباط محاولة الانقلاب على الإسلام (عقيدة وفكراً وثقافةً وسياسةً).

- أن جبهة العداء للإسلام واسعة، والانشغال بقتال فئة معينة لا يعني موالاة فئة أخرى أو إسقاطها من حسابات المواجهة، وإنما هو عمل تقتضيه الحاجة والمصلحة وفقاً لأحكام الحرب والسياسة.

- إن العدو الخارجي (العرب وإسرائيل) شديد الحاجة إلى الأقليات لأنها تنفذ سياسته دون الحاجة إلى شن الحروب وتحريك الجيوش، فضرب هذه الأقليات وتأديبها يعني ضربة مباشرة لمطامع القوى الكبرى، فهذه القوى تتلاعب وتحرك الأقليات لحاجتها للدعم.

٧- التحذير من الفتنة

والفتنة كما هو معلوم أشد وأكبر من القتل فإذا اقترنت الفتنة بالقتل فإنها تصبح الشر المحض الذي لا يتردد عاقل في وجوب دفعه ومقاومته. وهذا هو حال الشيعة وسائر الأقليات، فإن فتنتهم متعددة الأوجه:

- فمجرد اعتقادهم والدعوة لمذهبهم فتنة تصد الناس عن الصراط المستقيم.

- كما أن توددهم إلى المسلمين والتقرب منهم تحت شتى الواجهات والمسميات والوسائل والأساليب يعد فتنة لضعاف العقول والدين من المسلمين، ممن يغتر بالظاهر ويغفل عن الدوافع والأسباب الكامنة وراء السلوك الحضاري الناعم.

- كما أن حربهم الفكرية ضد المبادئ والعقيدة الإسلامية فتنة.

- وحملهم لسلح ضد للمسلمين فتنة.

والفتنة الحقيقة هي ترك المواجهة، والإعراض عنها بحجج واهية وشبه ضعيفة يلجأ إليها أصحابها لتبرير سلبيتهم وانكفائهم وجهلهم وعجزهم.

فالقتال في الإسلام شرع لدفع الفتنة، وليس لإحداثها وإشعالها، والسعي في نشرها كما زعم كفار قريش بأن النبي ﷺ فتن الناس عن آلهتهم وملة آبائهم، وفرّق بين الابن وأبيه وحرّضه على قتاله!

- إن مفردة (الفتنة) عند الشيعة وحلفائهم، كمفردة (الإرهاب) عند الأمريكان والغربيين، فهي وصفة مطورة لحرب إعلامية ضد أي مقاومة وصحوة سنية.

إخوان الجزائر واعترافات القرضاوي

بوزيدي يحيى^(٥) - خاص بالراصد

أثارت مواقف الشيخ يوسف القرضاوي من حزب الله، والشيعة عموماً، الكثير من الجدل في السنوات الأخيرة، حيث بدأ التحول في مواقفه وآرائه من الشيعة وإيران منذ سنة ٢٠٠٨ عندما اتهم طهران بالوقوف وراء محاولات تشييع السنة في الدول العربية، وحينها لم تلتفت جل القيادات الإخوانية لكلامه، بل ذهب البعض منها لانتقاده

(٥) كاتب جزائري.

في غمرة خطاب المقاومة والممانعة وبهرجته.

ولكن مواقفه الأخيرة - بعد تورط حزب الله في سوريا - جاءت مترافقة مع مواقف الكثير من الإخوان في عديد الدول العربية التي استتكرت تدخل الحزب في سوريا، خاصة بعد تأزم العلاقة بين حركة حماس وإيران وحزب الله، والتي شكلت وتشكل المحدد الرئيسي لمواقف الإخوان المسلمين من جل القضايا.

والسؤال الذي يطرح في هذا السياق هو عن انعكاسات المواقف الأخيرة للشيخ يوسف القرضاوي على تصورات الإخوان المسلمين في الجزائر لحزب الله وإيران؟ وهل ستدفعهم لإعادة النظر في موضوع التشيع خاصة؟

بعد القرضاوي

تعدّ مشاركة حزب الله في الحرب إلى جانب قوات الأسد، إضافة إلى الدعم الروسي والإيراني، سبباً مباشراً حال دون سقوط نظامه. كما ساهمت في تأزم الأوضاع أكثر ومضاعفة معاناة الشعب السوري نظراً لحجم الجرائم التي ارتكبت بحقه بعد مرور أكثر من سنتين على ثورته، والتي راح ضحيتها أكثر من مائة ألف سوري، وهو رقم مرشح للارتفاع في ظل المعطيات الحالية والتي لا تؤثر لحسم قريب للحرب، فضلاً عن الدمار الهائل الذي لحق بجل المدن السورية.

هذه المواقف كان من الطبيعي أن تُحدث تحولا في مواقف الشيخ يوسف القرضاوي ويصبح الحزب الذي كان يدافع وينافح عنه في وقت سابق حزب الشيطان وزعيمه نصر الطاغوت، والمقاومة كذبة والتقريب خدعة وأضحكة.

وباعترافه أن «مشايخ السعودية كانوا أنضج منه وأبصر منه؛ لأنهم عرفوا الشيعة وتحديدا حزب الله على حقيقتهم» فإنه أعاد للأذهان موقف المرجعية الإخوانية ومواقف الكثير من الرموز الإخوانية التي وقفت في وجه الشيخ على غرار المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف والذي صرح باستعداده لإرسال

العربية وجعلها منتجا خمينيا، إذ شارك الرئيس السابق لحركة مجتمع السلم أبو جرة سلطاني في مؤتمر الصحوة الإسلامية الذي عقد في طهران بتاريخ: ١٧ و ١٨ سبتمبر/ أيلول ٢٠١١ وحينها كال المدح لإيران والخميني ولم ينتبه لحقيقة الغرض من ذلك المؤتمر أو أنه تغافل عن ذلك، وكلا الأمرين يعكسان قصر النظر السياسي لزعيم (حمس) ولربما مرشدها الحالي^(٣).

ولكن بعد تورط حزب الله في سورية بشكل مباشر خاصة في القصير بدأنا نشهد تحولا في مواقف إخوان الجزائر من حزب الله وإيران حيث أعلن رئيس حركة مجتمع السلم عبد الرزاق مقري عن رفض الحركة وإدانتها لتدخل حزب الله في سوريا ومشاركته في قمع الثورة، حيث أكد أن التدخل الأجنبي موجود بأشكال متعددة، ولكن التدخل المباشر والواضح البين هو تدخل حزب الله وإيران، والقتل الفظيع الممارس على الأطفال والنساء، ودعم النظام الظالم والمجرم^(٤).

وعلى عكس الفترة السابقة التي كان يفاخر فيها إخوان الجزائر باستضافة قيادات حزب الله في مؤتمراتهم السياسية الكبرى والتي لم تكن تخلو من الترويج والإشادة بحزب الله، ومن خلاله الشيعة، دون أن يعي هؤلاء خطورة ذلك بل كانوا ينظرون إلى من يثيرونه بكثير من الاحتقار والاستهزاء وحتى التشكيك في نواياهم وإخلاصهم، واتهامهم بالعمالة للمشروع الصهيوني-أمريكي^(٥).

لكن المؤتمر الأخير لحركة مجتمع السلم الذي عقد في بداية شهر مايو/ أيار ٢٠١٣، ثم مؤتمر

عشرة آلاف متطوع لمساعدة حزب اللات خلال حرب لبنان عام ٢٠٠٦م! بينما سككت تماما عن مذابح المسلمين في العراق على يد المليشيات الشيعية المجرمة. وغيره من القيادات مثل محمد سليم العوا، يوسف ندى، كمال الهلباوي، وغيرهم الكثير، الذين أصبحوا مطالبين (ببيان اعتذار جماعي) للأمة عن مواقفهم السابقة^(٦)! وما دام أن القرضاوي أقر بخطئه، وأقر بأن علماء السعودية الكبار كانوا أنضج وأبصر، فما الذي ينتظره طلاب القرضاوي ومريدوه؟ لماذا لا يعتذرون عن شتائمهم، وحملاتهم الكاذبة؟ لماذا لا يعتذرون لكل من كان ذا بصيرة وتعقل^(٧)؟

وانطلاقا من العلاقة الوطيدة بين الشيخ يوسف القرضاوي وإخوان الجزائر فإننا نطرح نفس السؤال عنهم وتحديدا حركة مجتمع السلم؟

بيان ومقاطعة

غني عن التذكير بمواقف الإخوان الجزائريين أو المغاربة التي كانت أكثر تحمسا وتلهفا للمشروع الإيراني (الإسلامي)، ممثلا خاصة في حزب الله الذي رفع لواء المقاومة ومنافحتهم عنه طيلة العقود الثلاثة المنصرمة. وفي المرحلة الممتدة بين بداية الثورات العربية والموقف الجديد للشيخ يوسف القرضاوي من حزب الله استمرت مواقف الإخوان المسلمين في تأييدها لإيران ووكيلها اللبناني وإن بشكل أقل تحمسا.

وبالنسبة لإخوان الجزائر فإننا لم نسجل في هذه الفترة ما يشي بتحول في نظرتهم لإيران، بل كانت القيادات الإخوانية، ومنها الجزائرية، جزءا من آليات المشروع الإيراني في شقه الإعلامي، الذي حاول الملاهي الترويج له بالاستثمار في الثورات

(٣) بوزيدي يحيى، الحركة الإسلامية الجزائرية وإيران: مراجعات أم

ترجمات؟ مجلة الراصد، صفر ١٤٣٤هـ، العدد ١١٦، على الرابط:

http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5980

(٤) عبد الرزاق مقري: ما يحدث في سوريا حرب عالمية بالوكالة، مجلة

المجلة، ٢٠١٣/٠٦/٠١، على الرابط:

<http://www.majalla.com/arb/2013/06/article55245449>

(٥) بوزيدي يحيى، إخوان الجزائر هل يلدغون من جحر التشيع مرتين؟

مجلة الراصد، ٢٠٠٩/٠٦/٢٧، العدد ٧٣، على الرابط:

http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4328

(١) عمر خليفة راشد، اعتذر الشيخ القرضاوي فأين البقية؟

٢٠١٣/٠٦/٠٣، على الرابط: <http://omarblog.com/54.htm>

(٢) طارق الحميد، تراجع الشيخ ماذا عن الشتامين؟ جريدة الشرق

الأوسط، ٢٠١٣/٠٦/٠٢، العدد ١٢٦٠٥، على الرابط:

<http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&issue=12605>

<http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&issue=12605&article=730894>

تحدث عن الإجرام البشع الذي يمارسه النظام السوري والتدخل الأجنبي السافر من قبل حزب الله اللبناني الذي ظهر على حقيقته الطائفية الإجرامية، وكذا من قبل إيران في ظل الصمت العربي والتواطؤ الدولي^(٢).

ولكن هل يكفي أن يصرح رئيس (حمس) بإدانتة تدخل حزب الله في سوريا؟ وهل يكفي أن لا توجه دعوات للحزب في مناسبات الحركة الرسمية؟

طبعاً هذه المواقف على أهميتها غير كافية إطلاقاً من الإخوان المسلمين خاصة وأنهم بمواقفهم تلك كانوا يروجون للتشيع ويدافعون وينافحون عنه، أو بتعبير الشيخ يوسف القرضاوي كان الحزب وإيران يضحكون عليهم، والمؤسف أن ضحك إيران على هذه القيادات استمر حتى بُعيد اندلاع الثورات العربية عندما راحت طهران تسوّق لما سمتة ثورات إسلامية تستلهم من الخميني وتوظف الإخوان في الترويج للفرية كما سبقت الإشارة.

والشيخ يوسف القرضاوي مرجعيتهم وعليهم إذاً أن يعلنوا بدورهم أنهم كانوا مخطئين في مواقفهم السابقة، وأنهم أساءوا لغيرهم في ذلك، وما دام عبد الرزاق مقري المعروف بشجاعته ومواقفه الجريئة وثباته عليها أعلن اعتذار الحركة للشعب الجزائري عن أخطائها السابقة^(٣)، فإن عليه أيضاً الاعتذار عن أخطاء الحركة على المستوى الديني العقدي المباشر أو على الأقل الأخطاء السياسية الخارجية وليس فقط الداخلية من باب الخطاب السياسي ومستلزماته بالرغم من أننا أمام حزب أو حركة إسلامية غايتها أسمى، والسياسة مجرد وسيلة لتلك الغاية وليست هدفاً في حد ذاتها كما

ذكرى وفاة الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله الذي عقد في شهر جوان/ يونيو/ حزيران ٢٠١٣، لم توجه فيهما أي دعوة لحزب الله نظراً لمواقفه من سورية، التي استنكرتها حركة مجتمع السلم، وأصبح الحزب نتيجة لذلك عبئاً على الحركات الإسلامية بسبب الإحراجات التي أوقعها فيها مع قواعدها والرأي العام عموماً مثلما حصل في مؤتمر حركة النهضة التونسية في شهر أوت/ آب/ أغسطس ٢٠١٢، والبلبلّة الكبيرة التي أحدثها حضور المعتقل اللبناني السابق في إسرائيل سمير القنطار عندما أشاد بالنظام السوري علانية مما تسبب في ردة فعل من الحاضرين كاد جرائها أن يلقي حظه لولا تدخل قوات الأمن وتهريبه من الباب الخلفي.

بيّنة ومقاطعة

موقف الشيخ القرضاوي جاء بصياغة تحمل الكثير من المعاني التي لا تروق للسياسيين ولا يمكنهم الحديث بتلك الصراحة، فهو بخصوص مسألة إيران والشيعة أقر بعدم نضجه مقارنة بمشايع الخليج، وأنه أخطأ خطأ جسيماً وكبيراً، وأن الشيعة ضحكوا عليه، ومثل هذا التصريح إذا صدر من سياسي فإنه يعني نهايته، لذلك لم تكن بيانات إخوان الجزائر تحمل صيغة الاعتذار والإقرار بالخطأ على ما كانت تتبناه من مواقف سبق وأن حذرنا قبل سنوات أن تلدغ منها بشكل مستمر وتحديداً الدكتور عبد الرزاق مقري الذي كان يقلل من خطورة التشيع والشيعة ويستبعد طائفتهم التي تبيّنت له الآن^(١).

فخليفة أبو جرة سلطاني في رئاسة حركة مجتمع السلم توقف عند القول إن حزب الله أظهر وجهه الحقيقي القائم على الطائفية وإنه تابع لإيران ويستغل البعد المذهبي والطائفية ولا تهمه فلسطين والمنطقة العربية. وأصبحت الحركة

(٢) رئيس الحركة ديمقري يستقبل وفدًا سورياً، حمس نت، ٢٧/٠٥/٢٠١٣، على الرابط:

<http://www.hmsalgeria.net/portal/plus/couvertures/3551.html>

(٣) مقري يعتذر عن أخطاء «حمس»، جريدة الشروق الجزائرية، ٢٥/٠٥/٢٠١٣، على الرابط:

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/165383.html>

(١) بوزيدي يحيى، إخوان الجزائر وجحر التشيع، مجلة الراصد، العدد ٨٠، ١٦/٠١/٢٠١٠، على الرابط:

http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4136

تقول أدبياتها.

إذاً سواء من حيث الواجب الديني أو على الأقل الاعتبار السياسية وحتى الشخصية يجب أن تردّ الحركة الإسلامية الصاع صاعين لإيران، وذلك من خلال التكفير عن أخطائها السابقة بتدارك ظاهرة التشيع التي باتت تتخر مجتمعا ببطء شديد، فقد نستفيق بعد قرون على كانتونات شيعية تقوم بما يقوم به النصيرية اليوم في سوريا، والتاريخ لا يرحم وسيسجل أن الحركات الإسلامية أخطأت مرتين في هذا الموضوع:

- الأولى: عندما فتحت أبوابها للتشيع وفرشت له الطريق، وراحت تخوض معارك لأجله.
- الثانية: أنها ورغم إدراكها لحجم الخطأ الذي ارتكبته في حق أمتها ومجتمعها لم تحاول تدارك ذلك ولم تصلحه.

الخلاصة:

رغم الحالة شبه الميئوس منها من مواقف الإخوان المسلمين تجاه إيران عموماً والتشيع خصوصاً طيلة العقود السابقة، بل وحتى بُعيد نجاح الثورات العربية، إلا أن مواقف الشيخ يوسف القرضاوي الأخيرة واعترافه بالخطأ الكبير الذي اقترفه بتصديق الإيرانيين الذين كانوا يخدعونه أعادت الأمل لمراجعة الإخوان عموماً والجزائريين خصوصاً لنظرتهم لإيران، واهتمامهم بالبعد العقدي في مشروعهم السياسي.

وأحاديث هؤلاء عن طائفية حزب الله وعمالته لإيران (والتي لا تستقيم مع شعار مقاومة إسرائيل) لا شك أنها متقدمة في هذا السياق، ولكنها في المقابل تبقى جد متأخرة إذ جاءت بعد سنتين عن الثورة السورية، وبعدها زهقت أرواح أكثر من مائة ألف سوري، وتدمير بلد يستحيل أن تحرر فلسطين من دونه.

بناءً على هذا ونظراً لحجم الكارثة التي حلت بالشعب السوري وحجم تضحياته فإن مواقف الإخوان الجزائريين موضوع دراستنا تظل دون المستوى المطلوب، وتقتضي العمل الجاد للتكفير

عن أخطائهم وتدارك مشكلة التشيع قبل أن تصبح في قادم الأيام قضية مجتمعية، ولربما تعيش المجتمعات المغاربية مآسي على غرار مأساة الشعب السوري اليوم، يكون سببها هذه البذرة الخبيثة التي نبتت في مجتمعاتنا.

وعلى هذا الأساس فالمطلوب ليس بياناً ومقاطعة وإنما بيئة وقطعة نهائية، وذلك ببذل جهود أكثر في محاربة الظاهرة كما كانت تفعل سابقاً في السعي لترسيخ مشروع التقريب وتجسيده على أرض الواقع من خلال المؤسسات المختصة والمؤتمرات والندوات وكذا المؤلفات، وهو المشروع الذي أعلن راعيه نعيه.

وهناك مبادرات محلية في هذا السياق على مستوى فروع بعض مؤسسات الحركة، ولكنها مبادرات تكاد تكون فردية ومعزولة، في حين يفترض أن يكون هذا الموضوع أحد أهم الملفات في برنامج الحركة التي يمكنها من خلال ما تملكه من منابر سياسية وإعلامية ودعوية أن تقود حملة لمحاربة التشيع في الجزائر، وحتى في المنطقة المغاربية بالتنسيق مع الحركات الإسلامية في الدول المجاورة.

إذ يمكنها مثلاً على المستوى الوطني تقديم مطالب سياسية من بينها وقف النشاطات الثقافية للسفارة الإيرانية التي تؤكد قيامها بنشر التشيع في عديد الدول العربية كما ثبت مؤخراً في ليبيا وتونس، وهو الأمر الذي دفع المملكة المغربية لغلق السفارة بالكامل في وقت سابق. أو تقديم رسائل إدانة واحتجاج لها وللسفارة اللبنانية، وحتى للسفارة العراقية، وهنا تجدر الإشارة لمبادرة حركة النهضة التي عبرت عن رفضها لمسح ديون العراق بسبب سياسات حكومته الطائفية^(١).

(١) الجزائر: حزب إسلامي يرفض مسح ديون العراق لـ«طائفية»، العربية نت، ٢٠١٣/٠٦/٠٨، على الرابط:

<http://www.alarabiya.net/ar/north-africa/2013/06/08/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D9%8A%D8%B1%D9%81%D8%B6->

=

ولكن حسبن أن نسلط الضوء على موقفه من الشيعة والتشيع وإيران.

هذا الرجل قال عنه العلامة ابن باز عليه

الرحمة والرضوان: (هو من بقايا أهل الحديث في العراق) وصدق الشيخ فقد ندر هذا العلم في بلد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

جاء في مقال (جهود المحدث حمدي عبد

المجيد السلفي في مقاومة التشيع في العراق)^(١)



أنه «اشتهر رجلان فيه - العراق - بهذا العلم هما: الشيخ صبحي السامرائي والشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، وكلاهما يملك من معرفة التشيع ومقاومته الكثير؛ لأن أهل الحديث امتداد لأهل السنة والجماعة، وهم من أعرف الناس بالتشيع»، لكن بعد الشيخ حمدي عن عاصمة العراق وعيشه

(١) لعبد العزيز بن صالح الحمود، الراصد العدد ١١٤.

كما أنه وبعيدا عن النشاطات السياسية يجب أن تلتفت الحركة للمخاطر التي تتهدد المجتمع الجزائري وتماسكه وبشكل خاص خطر التشيع وتصغي لتحذيرات ونداءات زعيمها الروحي الشيخ يوسف القرضاوي، وذلك بوضع برنامج ومخطط بعيد المدى لرصد الظاهرة وسبل مواجهتها، وقبل ذلك تحصين أبنائها من هذا الخطر، إذ يمكنها على سبيل المثال أن تفتح نافذة في الموقع الإلكتروني للحركة للتعريف بالشيعة ومعتقداتهم، وتجعله أحد محاور النضال الإلكتروني لشباب الحركة، وتخصص جزءا من البرنامج الدراسي لأكاديمية جيل الترجيح لهذه القضية، وغير هذا من النشاطات التي من المفترض أن تكون مؤسسات الحركة أدري بها.

جهود الشيخ المحدث صبحي السامرائي رحمه الله

في مقاومة التشيع في العراق

عبد العزيز بن صالح الحمود - وعبد الله بن عبد اللطيف

الكرخي (*) - خاص بالراصد

فُجع العراق خاصةً والعالم الإسلامي عامةً في يوم ١٦ شعبان ١٤٣٤هـ (٢٥ حزيران ٢٠١٣) بوفاة محدث العراق ورافع راية السنة الشيخ صبحي جاسم البديري السامرائي في بيروت وقد دفن بجوار الأستاذ الشيخ زهير الشاويش رحمه الله، بعد أن غادر بلده بغداد، شأنه شأن كثير من نخب أهل السنة والجماعة هربا من طواغيت الشيعة، بعد أن أمضى ٨٠ سنة من عمره (٧٧ سنة ميلادية) خدمةً لحديث المصطفى ودفاعاً عن السنة الغراء، ومقاومة التشيع وفضحه وبيان خطره، ولا نريد أن نتكلم عن حياة الشيخ فليس هذا محله،

<https://www.iraqnews.net/%D9%85%D8%B3%D8%AD-%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D9%84%D9%80-%D8%B7%D8%A7%D8%A6%D9%81%D9%8A%D8%AA%D9%87-.html>

(*) كاتبان عراقيان.

بعيدا عن المركز وشخصيته الكردية القوية جعلته يصدع ضد التشيع، أما الشيخ صبحي السامرائي فكانت الضغوط عليه كبيرة من قبل البعثيين وسياسة الحكومات العراقية بالتهادن الفكري مع الفكر المنحرف الشيعي والشعوبي، مما حرمانا من جهود كثيرة للتعريف بالتشيع ومخاطره على المجتمع العراقي، لكن هذه المعارف التي يملكها الشيخ صبحي عن التشيع لم تبقَ طي الكتمان، بل نشرها هنا وهناك في مجالسه ودروسه حتى غدت ثقافة لدى جميع طلبته ومن يحاضر بهم، ومردُّ هذه الثقافة عدة أمور، منها:

أن الشيخ صبحي من تلامذة شيخ العراق ومحدثها الشيخ عبد الكريم الصاعقة، وهيبة الشيخ وجلالته وصلابته على الشيعة والمبتدعة معروفة عند جميع البغداديين.

أن الشيخ كان كثير المجالسة للشيخ كمال الدين الطائي معتمد جمعية الآداب، والشيخ الطائي من المعروفين أنه من أشد المتيقظين لخطر الشيعة وخبثهم، يقول الأستاذ كاظم المشايخي رحمه الله: (تهجّم النائب الشيعي عبد الرزاق الظاهر على مدير الأوقاف العامة وغمز علماء السنة، فثارت ثائرتهم وقدموا مذكرة احتجاج فأرسل النائب عبد الرزاق الظاهر رسالة إلى الشيخ أمجد الزهاوي (مفتي بغداد) يعتذر ويدعي أنه لم يقصد بكلامه الإساءة إلى أحد كما أنه لم يقصد التهجم على أحد، فقال الشيخ أمجد: لقد اعتذر ولم يبقَ موجب للكلام! لكن الشيخ كمال الدين الطائي لم يقبل هذا الاعتذار، لعلمه بتقيّة الشيعة)^(١).

هذه المعارف عند الشيخ لم تكن من هذين

العلمين وحسب، بل إنّ الشيخ تبنى قضية بيان خطر التشيع وإيران والشعبوية، أكثر منهما

وساهم عملياً بذلك، فمن يعرف الشيخ عن كثر يعرف جهوده في هذا الميدان منذ الستينات يوم كان الشيخ في بداية عطائه العلمي بعد وفاة الشيخ الصاعقة وتأسيس الدعوة السلفية على يد تلامذة الشيخ عبد الكريم الصاعقة وتلاميذ تلامذته، وكان عند بعضهم رغبة بتأسيس تنظيم سلفي، وآخرون آثروا التوسع الأفقي الدعوي، كان منهم الشيخ صبحي السامرائي، وكان معه الداعية المخضرم عبد الحميد نادر، وكانت الدعوة السلفية في العراق منقسمة إلى قسمين:

الأول: نشاط دعوي منظم غير حزبي عرف باسم جماعة الموحدين. وهؤلاء لم يهتموا كثيرا بالشأن الشيعي والإيراني.

الثاني: نشاط دعوي رفض العمل الجماعي وبقي يعمل بشكل فردي؛ منهم عبد الحميد نادر، والشيخ عدنان الأمين القحطاني، والشيخ نوري أحمد القاسم التميمي، والمحدث الشيخ صبحي السامرائي، وهم من اهتمّ بالتشيع أكثر من غيرهم من السلفيين.

كان الشيخ صبحي مهتماً في مجالسه في

جامع الأصفية بالحديث وتدريسه، وفي غيره من المساجد، وكذا في السفر خارج القطر بالبحث عن المخطوطات في مكتبات العالم، علماً بأن الشيخ كان ممن التحق بكلية الشرطة منذ شبابه سنة ١٩٥١م إلى إن تقاعد سنة ١٩٧٧م وهو برتبة عقيد، وقد أخذ دوره تدريجياً في بث علمه، وتميز الشيخ بمعرفته بمعالم بغداد والأنساب، فقد كان عضواً فاعلاً في نقابة السادة الأشراف الهاشميين في العراق والعالم الإسلامي، كما أنه تابع مؤلفات الشيعة النادرة في وقتها كالكايف للكليني، ومؤلفات الطوسي وابن بابويه القمي وملا باقر المجلسي وغيرها، مما جعل الشيخ ومكتبته العامرة قبلةً للباحثين والدارسين لأحوال الفرق المنحرفة كالشيعة وأضرابهم.

(١) الشيخ أمجد محمد سعيد الزهاوي عالم العالم الإسلامي /كاظم المشايخي /ص ٢٠٦ / ط ٢ / ٢٠٠٣م.

السُّنِّيَّة، لكن الموقف الحكومي آنذاك لم يكن مؤيداً لهذا التوجّه.

وكان يشير إلى فساد كثير من القبور المنسوبة إلى علماء الشيعة، وأنها غير صحيحة.

كما كان يشير مراراً إلى قبر تزوره الشيعة افُتُحِلَّ في نهاية السبعينيات واشتهر في الثمانينات في بغداد الرصافة قرب مستشفى الجملة العصبية يدعى (حمد الله) وكان سَمَاكاً ثم أصبح الشيعة يزورون قبره زرافات وجماعات، والشيخ يحدثنا عن هذا الرجل أنه كان يبيع السمك ولا يصلي، وأن قبره كان مكاناً للزناة، ويتعجّب كيف تحول هذا المكان إلى موقع يزوره الشيعة!

ومن ذلك أيضاً تهكّمه على دعوى أن قبر الكليني مجهول لأنه مات ولم يُعرف مكان دفنه، فكان يقول: كيف يجدون له قبراً وقد دخل بغداد بلباس يشبه لباس العلماء فجلس إليه الناس فرأوا منه سباً وشتماً وقذفاً لأم المؤمنين، فما كان من الحنابلة إلا أن أخرجوه من المسجد ركلاً بالأقدام والأحذية حتى الموت، ثم قذفوه على مزبلة من مزابل نهر دجلة، فكان الشيخ رحمه الله يطلق عليه لقب: «شهيد النُّعْل!!» وما أشبه اليوم بالبارحة!

ومما يذكره الشيخ السامرائي عن الشيخ كمال الدين الطائي أن المرجع الشيعي محمد باقر الصدر كان يأتي في شبابه لدعوة السنة للتقريب في مسجد المرادية، وكانوا يطلبون منه - إن كان صادقا - أن يزوجهم أخته متعة، فيرفض ويغادر المحل هارباً، ويقول الشيخ كمال الطائي انظر، كيف أن علماء الشيعة يرضون للعامة من الشيعة ما لا يرضونه على عوائلهم وبناتهم.

وتلامذة الشيخ ومن يجالسه كانوا هم من يعرف مؤلفات محب الدين الخطيب في العراق؛ كالخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين

وممن كان يزور الشيخ في منزله: الأستاذ إحسان إلهي ظهير رحمه الله، وقد أخبر الشيخ بعض تلامذته ممن كان يدرس عنده في بيته قائلاً: تعرف! كان الأستاذ إحسان إلهي ظهير يجلس على موضع جلوسك في الأريكة هذه لساعات يطالع ما شاء من كتب الشيعة في مكتبتي، وربما بات عندي، فأتيه لأوقظه لصلاة الفجر، فإذا هو على هيئته يقرأ ويكتب ويقيد ما يطالعه من كتب القوم، من غير ملل ولا كلل.

لقد كان الشيخ عارفاً بأعلام الشيعة ومثقفينهم، ويرقبهم عن كثب، ويعرف ألعابهم وحيلهم، وكيف يستعملون التقية في الكذب وتحريف الأماكن والاستحواذ على أموال الناس بالباطل.

فقد عرف الشيخ أنساب هؤلاء وكيف ادّعوا زورا وبهتانا أنهم من أهل البيت، فقد كشف حقيقة نسب محسن الحكيم، بواسطة علاقاته مع ضباط الجنسية العراقية وكان فيهم ضابط من مدينة سامراء فضح له حقيقة هؤلاء وأنهم من عائلة من بلغاريا وأن جدهم عمل بالطب (الحكيم) وأسلموا وتشيعوا في إيران وقدموا للعراق وسُموا بآل الحكيم زورا نسبة إلى عائلة الحكيم الشيعية المعروفة.

كما كان يشير إلى كثير من القبور المفتعلة للشيعة كالخلائي (السفير الثاني للمهدي عند الشيعة) وهو في الحقيقة قبر الإمام شيخ الحنابلة عبد العزيز غلام الخلال الحنبلي (ت: ١٣٦٣هـ) في مقبرة الخلائي (مقبرة الفيل)، وفي الخمسينات أخذ الشيعة^(١). وقد حاول الشيخ كثيراً استرداد هذا المسجد المغتصب إلى حاضنته

(١) يؤيد هذا أن الدكتور أحمد سوسة في خريطته عن بغداد يكتب قبر الخلائي، وليس الخلائي، وكذا المؤرخ الدكتور مصطفى جواد، وغيرهما من الخططين والمؤرخين.

جامع المرادية مساءً، مع خواصه وتلامذته، ولم يتنفس الشيخ الصعداء إلا عندما ذهب إلى السعودية في بداية الثمانينات كمدرس في الحرم ومُحاضر في جامعة الإمام محمد بن سعود في علم المخطوطات والمكتبات وأصوله، وكذا حاضر في جامعة الملك عبد العزيز، وهناك ألقى أشهر محاضراته في علم الحديث عند الشيعة.

ومن الطرائف أن الشيخ يذكر أنه عند سفره وجد رجلاً ممسوساً فقام برقيته واكتشف أن الجني الذي تلبسه كان شيعياً رافضياً عراقياً من مدينة شيعية معروفة وقال له: (ما الذي أتى بك إلى هنا؟) أو كما قال.

عاد الشيخ إلى العراق في الثمانينات وعُيّن في جامع ١٢ ربيع الأول في جانب الرصافة في حي المهندسين بشارع فلسطين، وهناك كانت جلساته الحديثية ودروسه التي خرج منها تلامذته (الطبقة الثانية)، وهناك كذلك عرف من جالسه كيف كانت حميته على السنة وبغضه للرافضة؛ فما أن يذكر الرافضة حتى يترك درس الحديث بالكلية ويستمر الحديث على الرافضة بفورة وغضب، والشيخ مطلع على أسرار الشيعة في العراق وخارجه فعندما صدر للتونسي المتشيع محمد التجاني السماوي كتاب (ثم اهتديت) وغيرها وذكُرت للشيخ صبحي، تابع الشيخ الموضوع ثم ذكر أن هذه الكتب لم يؤلفها هذا التونسي الدعي بل ألُفت له في إيران من قبل (الأوحدية) على حد تعبير الشيخ صبحي؛ وتعني هذه الكلمة (الملالي) في الفارسي.

إن جهود الشيخ في تعريف الشباب ببحث التشيع شيء غير خاف ولا ينسى.

كما لا يفوتنا أن نذكر أن الشيخ درّس في جامعة العلوم الإسلامية (جامعة صدام) وفي كلية الشريعة بجامعة بغداد، وكان يصعد

الشيعة الإمامية الإثني عشرية، والعواصم من القواصم لابن العربي المالكي، ومختصر التحفة الإثني عشرية لمحمود الألوسي، وجهود الأستاذ محمود الملاح في التصدي للشيعة، وكان كثيراً ما يوصي تلاميذه بقراءة كتاب منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويثني عليه ويديم النظر فيه، إضافة إلى نقده لبعض الكتب الهزيلة في نقد الشيعة ككتاب الصواعق المحرقة، فقد ذكر بعض طلابه أنه سمعه يقول: هذا كتاب سيء، أراد مؤلفه أن يُحرقهم فأحرقنا! أسأل الله تعالى أن يجعلني أقف حجيجاً له لكثرة ما احتجّ به من الأحاديث المنكرة والموضوعة.

وكان طلاب الشيخ ينقلون عشرات الأشياء والمعلومات النادرة عن واقع الشيعة في العراق.

الشيخ صبحي كان صاحب مكتبة كبيرة بالمخطوطات الحديثية، ولكنه استطاع أن يصور أكثر المؤلفات المخطوطة في المكتبات العراقية حول الشيعة ويشير لها، ويعطيها لمن يريد تحقيقها، ونشرها، وهو الذي أرشد الشيخ حمدي لهذه المخطوطات لينشرها فيما بعد تحت عنوان (رسائل في الرد على الرافضة) سنة ١٩٩٧م في كردستان العراق.

وكان يحدثنا عن كتاب إبراهيم فصيح الحيدري (عنوان المجد في أخبار بغداد والبصرة ونجد) ويقول إن فيه تاريخ تشيع العشائر العراقية في الجنوب.

ونتيجة لسطوة حزب البعث بعد ثورته سنة ١٩٦٨م وتشديد هم على العلماء، قللت هذه الظروف من نشاط الشيخ صبحي، تجاه الشيعة إذ أن هذه الثورات والتوجهات القومية أغبى ما تكون في فهم التشيع وخطره بل كانت حرباً على الدين وأهله ومنع الشيخ من مزاوله أي نشاط كما أخبر بعض الفضلاء بذلك، واكتفى الشيخ بجلوسات في

هناك بدم التشيع، نقل ذلك عدد من طلابه الذين درسوا على يده في الجامعة.

كما أن الشيخ لم يكن يكتب عن التشيع شيئاً وسببه الخوف من السلطة الغاشمة في العراق وسطوتها إلا ما كان في تحقيقه لكتاب (أحوال الرجال) لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني وفيه مقدمة في إثبات عدم نسبة النصب إلى المؤلف رحمه الله، وذكر حاشية مهمة في اعتراف الشيعة ومنهم الكشي في كتابه (الرجال) بوجود عبد الله بن سبأ؛ لأنه بدأت تظهر مؤلفات شيعية واستشراقية تتكرر أن يكون عبد الله بن سبأ موجوداً.

واستمر هذا الأمر إلى سنة ١٩٩٠ م يوم أن دخل العراق في حصار ظالم بعد دخوله الكويت بدا أثر ذلك واضحا على حياة الشيخ صبحي، فالشيخ لم يكن يملك سوى التقاعد دخلا له، وتتوعد محاضرات الشيخ وكثير محبوه وتلاميذه من السلفية وطلبة الحديث.

في بداية الحصار دخل رجل سوري سيء الصيت هاربا من السعودية ألا وهو عذاب الحمش النعيمي هذا الرجل بعد أن كان يتملق لعلماء السعودية غدا حربا على أهل السنة والحديث وعلى السلفيين، ويتزلف إلى الحكومة العراقية ببغض الحكومة السعودية والوهابية! ويتزلف للصوفية الذين كان نائب رئيس الجمهورية عزة الدوري يدعمهم، ودعم عذاب الحمش، قام عذاب بكتابة رسالة للدكتوراة في (الوحدان في البخاري) وكان طعن فيها بأمر المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها وطعن بشكل واضح بصحيح البخاري، وفي مناقشة الرسالة وقف له ثلة من العلماء والأساتذة لمناقشتها ودحضها منهم الدكتور هاشم جميل، والدكتور حارث الضاري، وامتنع الشيخ صبحي السامرائي رحمه الله من حضور مناقشة رسالته مخافة أن يرتكب بحق عذاب ما لا تحمد

عقباه!! وبقي موجوداً في إحدى قاعات الدراسة منتظراً ومتربحاً لنتيجة المناقشة، فلما قررت اللجنة رفض الرسالة ما كان من الشيخ صبحي إلا أن سجد شكراً لله تعالى، لكن بتدخل من عزة الدوري سمح له برسالة ثانية لينال الدكتوراه، ويومها تأذى الشيخ صبحي من هذا الخبر، ومن هذا الدعم من قبل الحكومة، وكان هذا سنة ١٩٩٩ م.

وفي سنة ٢٠٠٣ م احتل العراق، وعرف الشيخ صبحي أن الشيعة قادمون لحكم البلاد فشرع بترتيب أموره خارج البلاد فسافر إلى الأردن حيث يقطن بعض أولاده، ثم إلى سوريا وكان يحذرهم من حكم النصيرية ويقول: هؤلاء كفار ليسوا على الإسلام. واستقر الأمر به في لبنان. وفي لبنان عرفه أهلها، وأقبل بعضهم على الشيخ ينهل من علمه وروايته لحديث رسول الله ﷺ فبقي الشيخ على نهجه في التحذير من الشيعة، وربما يذكر لنا أهل لبنان شيئاً من تحذيراته من حزب الشيطان.

رحم الله الشيخ صبحي وأجزل له المثوبة وأنزل عليه شآبيب الرحمة والمغفرة؛ فقد كان قلما للسنة وأهلها يدعو لها ويدود عنها، وسيفا وحربا على الرفض وأهله.

وثيقة الأزهر للمرأة.. قراءة نقدية

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

أخيرا وبعد أكثر من عام شقت وثيقة الأزهر طريقها للنور بعد كثير من الحوار ووجهات النظر المتباينة وتدخل العديد من الشخصيات الثقافية، وبعد احتدام شديد لقضايا المرأة والأسرة على الساحة العربية والإسلامية خاصة بعد الجلسة ٥٧ للجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة، والتي عقدت

(*) كاتبة مصرية.

في شهر مارس الماضي والتي طرحت وثيقة بعنوان: «إلغاء ومنع كافة أشكال العنف ضد النساء والفتيات» وأثارت ردود فعل بالغة الغضب من علماء الإسلام لما تضمنته من وضوح في الأهداف كان يتستر بعبارات غامضة ومطاطة في وثائق سابقة^(١).

يذكر أنه حضر اجتماع هيئة كبار العلماء والذي تم خلاله إقرار وثيقة حقوق المرأة كل

من: الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، والدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية السابق، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف الأسبق، والدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية الأسبق، والدكتور حسن الشافعي مستشار شيخ الأزهر، والدكتور محمد عمارة.

تتضمن الوثيقة سبعة محاور رئيسية، هي قيمة المرأة الإنسانية والاجتماعية، والشخصية القانونية للمرأة، والمرأة والأسرة، والمرأة والتعليم، والمرأة والعمل، والمرأة والأمن الشخصي، والمرأة والعمل العام.

وهي في مجملها وثيقة متوازنة مرتبطة بالشرعية الإسلامية بحيث تكون هي المرجعية الأساسية لها كما صرحت الوثيقة في أكثر من موضع ولكن هناك عدد من الإشكالات عند قراءة هذه الوثيقة بنظرة موضوعية ومن ذلك:

- صيغت هذه الوثيقة بطريقة فضفاضة حمالة أوجه وبالتالي سوف يقرؤها الإسلاميون بمعنى ويقرأها العلمانيون والنسويات قراءة جد مختلفة مستندين للنص نفسه ... هناك فقرات حاسمة وواضحة كالحديث عن زي المرأة في الإسلام مثلاً ولكننا لن نجد هذا الوضوح مثلاً عند الحديث عن

(١) انظر مجلة الراصد، العدد ١٢٠، مقال «منع العنف ضد النساء العلمانية تتصب شياكها» لكاتبة هذه السطور، على الرابط: http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6135

مفهوم قوامه الرجل ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا احتفى المجلس القومي للمرأة في مصر مثلاً بهذه الوثيقة.

- كان من الواضح جداً أن هذه الوثيقة صيغت وشبح الآخر يطارد كاتبها فسعى لاسترضائه وعدم الهجوم الواضح عليه أو على المؤسسات التي تقف خلفه وهي إشكالية واضحة في خطاب الكثير من الإسلاميين في العديد من القضايا وليس في قضية المرأة وحدها.

- ينقص الوثيقة الكثير من التفاصيل فالوثائق الأممية مليئة بالتفصيلات والأمثلة والخلاف غالباً ما ينصب على التفاصيل وليس على المبادئ العامة.

المساواة والمسؤولية

اعتبرت وثيقة الأزهر أن المساواة والمسؤولية هما أساس طبيعة العلاقة التي تحكم بين الرجل والمرأة في المجتمع الإسلامي وبهما تتحدد قيمة المرأة الإنسانية والاجتماعية، واعتبرت أن المساواة والمسؤولية هما المظلة الكبرى والقاعدة الأساسية والأصيلة والتي لا تتغير تحت بعض الأحكام الجزئية الخاصة، حيث قالت الوثيقة:

(يتأسس وضع المرأة في الإسلام على المساواة مع الرجل، سواء في مكانتها الإنسانية أو من حيث عضويتها في الأمة والمجتمع، وهو مبدأ بيّنه الخالق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۚ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

العلاقة بين المرأة والرجل تقوم على المسؤولية المشتركة التي أساسها ومعياري التفاضل والأفضلية فيها كلمة الحق والعدل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

تطرقت الوثيقة لتمتع المرأة بكامل الأهلية والمسؤولية القانونية وكذلك بالذمة المالية المستقلة، فقالت:

(تتمتع المرأة بالأهلية الكاملة ولها ذمتها المالية المستقلة، وحق التصرف الكامل المستقل فيما تملك منذ صدر الدعوة إعمالاً للمبدأ، الذي أقره النبي ﷺ):

«المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجب عليهم أقصاهم» (سنن أبي داود - كتاب الجهاد). قال

تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٧١].

ولكن عندما تطرقت الوثيقة للحديث عن حق المرأة الشرعي في الميراث نددت بالأعراف والتقاليد التي تهدر حق المرأة في الميراث والذي كفله لها الشرع (للمرأة حق شرعي غير منازع في الميراث، وعلى الدولة ضمان حصول المرأة على حقها، وعلى أهل العلم وحكام الأمة وقيادات الرأي العام بذل الجهد لوضع حد للأعراف والتقاليد الظالمة، التي تعطل أعمال النصوص الشرعية لميراث المرأة، الذي وصفه الله تعالى بكونه ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبًا مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٧]، ووضع الضمانات القانونية لحمايته). ولم تندد بمن يريدون المساواة والتماثل المطلق في الميراث حيث تنص اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) على التماثل المطلق بين الرجل والمرأة وإلغاء القوانين والأعراف التي تخالف ذلك^(١).

(١) نص المادة الثانية من اتفاقية سيداو: (تشجب الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتتفق على أن تنتهج، بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء، سياسة تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة، وتحقيقاً لذلك تتعهد بالقيام بما يلي:

(أ) إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرى، إذا لم يكن هذا المبدأ قد أدمج فيها حتى الآن، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال التشريع وغيره من الوسائل المناسبة.

(ب) اتخاذ المناسب من التدابير، تشريعية وغير تشريعية، بما في ذلك ما يناسب من جزاءات، لحظر كل تمييز ضد المرأة.

إن مبدأي المساواة والمسؤولية المشتركة كأساس لفهم وتأسيس العلاقة بين الجنسين في الأمة قد قررتهم آيات واضحة، بحيث لا يجوز تحجيمهما من خلال أحكام جزئية خاصة).

القوامة .. بعض الغموض

هل أكون مبالغاً إن قلت إن الضغط الأممي والفكر النسوي والاتهامات العلمانية الخائفة جعلت بعض المفكرين الإسلاميين في شيء من الحرج فيلجؤون أحياناً إلى حديث عام لا تفاصيل فيه أو يعتريه بعض الغموض أو يسرفون في التأويل أو يقدمون تعريفات ناقصة!؟ هذا ما استشعرته عند حديث وثيقة الأزهر عن مفهوم القوامة بعدما تحدثت مباشرة عن مكانة المرأة الإنسانية والاجتماعية وكأنما القوامة تنقص من هذه المكانة تقول، الوثيقة:

(وإذا كانت المساواة في النفس والروح والكرامة الإنسانية، والمشاركة في المسؤولية عن الكون وإعمارها، مفاهيم جوهرية لعلاقة الرجل والمرأة في الإسلام، فإن مفهوم القوامة يؤكد على المسؤولية الحكيمة، ويعني الالتزام المالي نحو الأسرة، وأن يأخذ الزوج على عاتقه توفير حاجات الزوجة المادية والمعنوية بصورة تكفل لها الإشباع المناسب لاحتياجاتها، وتشعرها بالطمأنينة والسكن، بما يحقق المسؤولية المشتركة بين الرجل والمرأة، وليست سلطة التصرف المطلقة والهيمنة من قبل الزوج أو الأب تجاه الزوجة والأولاد).

فهل القوامة هي مجرد الالتزام المالي نحو الأسرة وتوفير حاجات الزوجة المادية والمعنوية وليس فيها أن الرجل قائد للأسرة - بالطبع هناك فارق شاسع بين القيادة بالشورى وبين القيادة بالهيمنة والاستبداد - ولم لا تتطرق الوثيقة لقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وتحت عنوان: (الشخصية القانونية للمرأة)

المرأة والأسرة

يبدو أن هذه النقطة من الوثيقة قد أخذت وقتاً طويلاً حتى تخرج على هذا النحو لأن المجلس القومي للمرأة في مصر كان قد تقدم بمقترحات رفضتها هيئة كبار العلماء فالمجلس القومي للمرأة كان يريد مثلاً ألا يتم الطلاق بإرادة منفردة بمعنى منع الزوج من حقه في التطليق إلا بموافقة الزوجة وهو ما لم تقبله هيئة كبار العلماء بالطبع.

وعلى الرغم من ذلك أبدى المجلس القومي للمرأة احتفاءه بالوثيقة وكأنها عين ما أراد، حيث أن استراتيجيتهم هي عدم الهجوم العلني على الأزهر أو الشريعة حتى لا يؤلبوا الرأي العام عليهم وإنما يعتمدون على الاقتحام الناعم فيستفيدون من بعض العبارات التي تتسم بالمطاطية والغموض لإثبات أفكارهم وكسب ثقة المجتمع ومن ثم وتدرجياً تحدث التعديلات المطلوبة.

تقول وثيقة الأزهر عن الأسرة: (الأسرة هي أساس المجتمع ووحدته الأولى، وهي كيان تعاقدية ومادي، ومعنوي، وينبغي اتخاذ كل الإجراءات والتيسيرات التي تدعم هذا الكيان وتصونه. فالأسرة كيان تعاقدية لكونها علاقة إرادية تنشأ بالاتفاق وتنتهي إما بالاتفاق أو بحكم القضاء مع التعويض أو بدونه، وللرجل والمرأة في ذلك كله إرادة متساوية في إنشاء الأسرة وإنهاءها بالأصالة أو

(ج) فرض حماية قانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وضمان الحماية الفعالة للمرأة، عن طريق المحاكم ذات الاختصاص والمؤسسات العامة الأخرى في البلد، من أي عمل تمييزي.

(د) الامتناع عن مباشرة أي عمل تمييزي أو ممارسة تمييزية ضد المرأة، وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام.

(هـ) اتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة من جانب أي شخص أو منظمة أو مؤسسة.

(و) اتخاذ جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لتغيير أو إبطال القائم من القوانين والأنظمة والأعراف والممارسات التي تشكل تمييزاً ضد المرأة).

وتعتبر الناشطات النسويات أن عدم التماثل المطلق في الميراث لون من ألوان التمييز، والمقال لا يتسع لضرب نماذج من هذه المطالبات النسوية في عدد من الدول الإسلامية.

التفويض، فتتم حسب ما يقرره الشرع في محكم آياته، وحسب ما تنص عليه شروط العقد، وأساسه الأول هو التراضي والقبول المتبادل، ومسألة التوثيق إنما هو لحماية الطرفين وبخاصة حقوق المرأة، تقوم الأسرة على المشاركة والشورى والعدل والمودة والرحمة.

وقد كتب الله تعالى على الرجل الإنفاق على الأسرة فريضة عليه، نظراً لقيام المرأة بدورها الطبيعي في الإنجاب ورعاية الأبناء. فالإنفاق حق للمرأة والطفل واجب على الرجل. ولا يعني ذلك حبس كيان المرأة والرجل في تلك الأدوار لأن لكل منهما أدواراً أخرى متعددة).

المرأة والتعليم

وهذه الفقرة هي أصغر فقرة في الوثيقة وهي تعلن موافقة الأزهر على التعليم المتساوي لكل من الولد والبنت، وليتهم أضافوا فقرة عن إضافة بعض المقررات الخاصة للإناث أو الحث على أن يكون مجال التعليم مناسباً لطبيعة الفتاة حتى لا تكون مجرد أموال مهدرة ومن الممكن أن يفعل هذا الحث بالطرق التربوية والإعلامية وليس عن طريق القوانين الملزمة لأنه في النهاية لكل قاعدة شواذ، تقول الوثيقة:

(التعليم حق من حقوق المرأة ويجب أن تسعى الدولة والمجتمع لتوفير ودعم فرص المرأة في التعليم دون تمييز، وهذا الحق يمنع الأسرة من التمييز بين الولد والبنت في تلقي التعليم اللازم للارتقاء بهما مادياً ومعنوياً).

المرأة والعمل

هذا الجزء من الوثيقة حظي باهتمام إعلامي بالغ وجاءت فقراته كعنوان للوثيقة في عدد كبير من الصحف.

اعتبرت الوثيقة أن العمل خارج المنزل قد فرض على النساء فرضاً عن طريق المتطلبات الاقتصادية أو عن طريق رغبة المرأة في استثمار التعليم الذي حصلت عليه، وتجاهلت الوثيقة ربات البيوت

تطالب الوثيقة بـ (تحقيق التوافق الأسري على التعاون والتضامن في حمل الأعباء المادية وغير المادية كـرعاية الأبناء والآباء).

وأكدت الوثيقة على حق المرأة باعتبارها مواطناً في أن تحقق لها الدولة الحياة الكريمة في حالة الفقر أو العجز وهي فكرة مستمدة من التراث الحضاري للإسلام الذي جعل للمرأة حقاً أكيدا في بيت المال (واجب الدولة نحو المرأة والطفل كما هو الحال بالنسبة للرجل عند انسداد سبل العيش والبطالة أو العجز عن توفير حدود الكفاية في التعليم والمعيشة الكريمة والسكن، واجب متساوٍ وضروري يتأسس على منطق حقوق المواطنة لا الإغاثة).

بين الحجاب والتحرش

تحدثت الوثيقة عن قضية أصبحت تشغل الرأي العام بشدة ألا وهي جريمة التحرش فأدانتها وفق رؤية متكاملة وواضحة لنظرة الإسلام لجسد الإنسان (يتبنى الإسلام رؤية متكاملة بالنسبة لجسد الإنسان (وشتى جوارحه) على أنه أمانة ومسؤولية أمام الله عز وجل ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد كان ولا يزال - للأسف الشديد - الاستغلال والعدوان بكل صوره، ومنه التحرش وسائر صور الاعتداء الجنسي - خاصة على المرأة، أحد المآسي والآفات الإنسانية الكبرى على مدى التاريخ. وإذا كان تحمل مسؤولية وحفظ الجسد الإنساني من الفواحش هو مسؤولية الفرد، فإنها على الجانب المقابل مسؤولية الجماعة أيضاً، وخاصة في الظروف المستجدة، بل هي من الضرورات الشرعية، حفظ النفس والدين والعرض والعقل والمال).

وربطت الوثيقة في هذه الفقرة بصورة غير مباشرة بين زي المرأة (الحجاب) وبين جريمة التحرش حيث أن الحشمة والحجاب حماية للأنثى من التحرش بها، ونصت الوثيقة على أن زي المرأة

الحاصلات على مستوى عال من التعليم واللاتي رفضن عن قناعة الخضوع لتلك الضغوط، كذلك لم تتطرق الوثيقة لقضية أهمية القرار في البيت للمرأة ونكاد نجد روح المجلس القومي للمرأة وروح المواثيق الأممية مهيمنة على هذه الفقرة ولعل ذلك ما جعلها تحظى بهذا الزخم الإعلامي.

جاء في الوثيقة: (إن الواقع المعاصر في متطلباته الاقتصادية أو نتيجة للتعليم قد فرض على النساء العمل إلى جانب القيام بتبعات وظيفتهن الإنسانية والطبيعية في حفظ النوع. والعمل نهج شريف لتحصيل الرزق، لا يرفضه الدين بما يتناسب مع ظروف الزوجين وأبنائهما طالما اقترن بالحفاظ على الفروض والآداب الإسلامية).

تخاطب الوثيقة الجهات المسؤولة لتيسر قواعد العمل للنساء حفظاً للأسر وهي لفئة كريمة ومهمة (إن عمل المرأة بهذا المعنى يرتب على أولي الأمر مجموعة من الالتزامات: أولها أن يقوم على قاعدة تكافؤ الفرص والعدالة، وبخاصة المحتاجة والفقيرة والمعيلة؛ إعمالاً لمبدأ الرعاية والتيسير لا مجرد المساواة فحسب حفظاً للأسر من الانهيار؛ ولذلك ينبغي تيسير قواعد العمل بالنسبة للنساء العاملات).

والوثيقة تمنح نظرة جديدة لواجبات وحقوق الزوجين تقوم على التشارك في حمل الهم المادي والاقتصادي - الذي جعلته الوثيقة من قبل المعنى الوحيد للقوامة - وكذلك رعاية الأبناء والمسنين في الأسرة ولكن الألفاظ يشوبها شيء من الغموض حيث أنه لا مانع شرعاً من التوافق والتعاون في كل شيء بل هو أمر مستحب بكل تأكيد، ولكن العبارات تشبه في صياغتها ما عهدناه في الوثائق الأممية^(١).

(١) اقتبس هنا بعض فقرات من تقرير المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة، والتنمية، والسلام، نيروبي، كينيا، ١٥ - ٢٦ تموز/ يوليو ١٩٨٥ نقلاً عن المهندسة كاميليا حلمي مصطلح الأسرة في أبرز المواثيق الدولية: دراسة تحليلية.

كالرجل، سواء بسواء، ويفرض عليها كل أولئك المشاركة في العمل العام ناخبة ومنتخبة لإيصال ما تراه صحيحا من آراء وحقوق ومصالح عامة إلى القائمين على صنع القرار في الجماعة الوطنية).

”حزب الله“ في سوريا... الخسارة والدوافع والمستقبل أسامة الهتمي^(١) - خاص بالرائد

قبل أن يكمل عامه الثلاثين، كتب حزب الله اللبناني الذي تأسس عام ١٩٨٥م شهادة وفاته بيديه بعد أن انتحر علانية بإطلاق رصاصة على هالته وأكذوبته التي طالما خدع بها الملايين من البشر إذ وعندما اعترف حزب الله الذي يسيطر على حكومة تسيير الأعمال الضعيفة في لبنان علنا بأنه أرسل مقاتلين من عناصره إلى سوريا لمساندة القوات النظامية التابعة للرئيس السوري بشار الأسد في حربه الضروس ضد مقاتلي المعارضة السورية ثم تعهد بعدها بدعم نظام الأسد بكل ما لديه من قوة فإن ذلك في الحقيقة مثل نقطة فارقة في تاريخ وعمر هذا الحزب الذي حاول ولنحو عامين تقريبا أن يتظاهر بكونه محايدا غير منحاز فيما يخص الثورة السورية وهو الادعاء الذي ربما كان يحفظ للحزب وحتى وقت قريب بعضا من ماء وجهه وشعبيته التي استمدها باعتباره رمزا لمقاومة الكيان الصهيوني في مرحلة زمنية تخلت فيها أغلب الأطراف المعنية عن المقاومة والصمود.

لكن يبدو أن حزب الله وقادته لم يستطيعوا - بكل أسف - الصبر كثيرا على التجميل والادعاء فلم تكن لتمر سبعة أعوام على ذكرى ذلك الانتصار المزعوم الذي ادّعى أنه حققه في

(١) كاتب مصري.

في الإسلام أمر قد حسمته الشريعة وهذه إحدى القضايا التي أخّرت خروج الوثيقة حيث كان المجلس القومي لحقوق المرأة يريد إدخال فقرة تنصّ على حرية المرأة في اختيار الزّي الذي يناسبها وهو الأمر الذي رفضه العلماء بشدة (إن موضوع زّي المرأة في الإسلام أمر حسمته الشريعة، وجرى عليه جمهور فقهاء المسلمين وعلمائهم، وفحواه أن الحشمة في الزّي مطلوب شرعي، وأن كشف الوجه والكفين أجازتهما الشريعة، ولا ينبغي أن تمنع عادة، أو تحول دون ثقافة).

العمل العام

تري الوثيقة أن من حق المرأة تولي الوظائف العامة بشرط أن تكون مؤهلة لذلك وهو عين ما حدث في صدر الإسلام، (للمرأة الحق في تولي الوظائف العامة متى اكتسبت المؤهلات، التي تقتضيها تلك الوظائف، وعلى الدولة أن تحافظ على تكافؤ الفرص إزاء المرأة والرجل، ومن المعلوم أن النساء المؤهلات قد تولين في صدر الإسلام وظائف عامة في التعليم وفي الأسواق وفي العلاج وغيرها).

ونصّت الوثيقة صراحة أن حق المرأة في العمل العام يتم وفقا لظروفها وإمكاناتها، وليتها نصت على هذا الأمر وهي تتحدث عن عمل المرأة مدفوع الأجر أو طبيعة التعليم الذي تتلقاه (هذا وللمرأة الحق في العمل التطوعي والخدمي والعمل العام حسبما تهيّؤه لها ظروفها الخاصة وإمكاناتها ومواهبها وحوافزها الشخصية. فإن العمل التطوعي والخدمة العامة هي حق وواجب الإنسان رجلا كان أو امرأة من فضل ماله وعلمه وجهده، وهو فرض كفاية على المجتمع كله).

واختتمت الوثيقة بالحديث عن حقوق المرأة السياسية ناخبة ومنتخبة لها كامل حقوق المواطنة (وأخيرا فإن المرأة صاحبة حق أصيل في الجماعة الوطنية ولها حق - وواجب - النصيحة والشورى والقيام بالقسط، وهي محملة بالأمانة مستخلفة

بين المكسب والخسارة

لقد كانت كل الدلائل والأحداث تؤكد أن حزب الله - ربما - لم يخسر بالفعل على مستوى القوة والنفوذ السياسي، فعلى مستوى القوة تمكن الحزب خلال السنوات التالية على الحرب من أن يعوّض وعبر داعميه الأساسيين (الدولة الإيرانية ونظام بشار الأسد) الكثير من الأسلحة والعتاد التي فقدوها في معركة تموز ٢٠٠٦م وهو ما جعله أكثر قوة مما كان عليه قبل الحرب مع ارتفاع شديد للحالة المعنوية لقادته وجنوده في ظل اعتقاد بأن الحزب خرج من هذه الحرب منتصرا.

وعلى المستوى السياسي تمكن الحزب أيضا من أن يصبح القائم على حكومة تسيير الأعمال في لبنان على الرغم من تلك المعارك السياسية الشرسة التي قادتها الأحزاب المنضوية تحت تيار ١٤ آذار في مواجهته وهو بذلك حقق لنفسه وجودا سياسيا تمكن من خلاله أن يخفف من ضغوطات الدولة اللبنانية على الحزب باعتباره دولة داخل الدولة فضلا عن امتصاص حالة الاستياء العارمة تجاهه بعدما وجهت له العديد من الأطراف في داخل لبنان وخارجه الاتهام بالمسؤولية عن اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري.

لكن لا شك أن الحزب وبعد انجراره للحرب في سوريا قد خسر خسارة فادحة على المستوى الشعبي وال جماهيري، فالجميع لا يمكنه أن ينسى تلك الجموع الجامعة التي خرجت في أغلب البلدان العربية تهتف باسم حزب الله وتدعو الحكام والأنظمة إلى مساندته في حربه ضد الصهاينة، ولا يمكن للذاكرة أن تنسى أيضا صور حسن نصر الله التي ملأت الشوارع وشرفات المنازل ومؤخرات السيارات احتفاءً به وتقديرا له باعتباره رجل العرب الأول الذي قال للكيان الصهيوني «لا». بل ولا يمكن أن ينسى العرب والمسلمون تلك

معركته مع القوات الصهيونية فيما عُرف بحرب «تموز ٢٠٠٦م» والذي كان دافعا ومحفزا في ذات الوقت لأن تخرج الملايين من الجماهير في أغلب البلدان العربية والإسلامية السننية في الساحات والميادين تعلن وتؤكد دعمها وتأييدها للحزب ولأمينه العام السيد حسن نصر الله غاضة الطرف عن الدعاية المضادة له حتى أبنت الأقدار وأبى الحزب ذاته إلا أن يكشف عن نفسه على حقيقتها ويحسم بسلوكه الأخير والمشين ذلك الجدل الدائر حوله وحول طبيعته ومدى نبل وصدق أهدافه لصالح ذلك الفريق الذي كان وما زال يرى أن «حزب الله» حزب طائفي يتشدق بالمقاومة ضد الكيان الصهيوني وأن دعمه لبعض فصائل المقاومة الفلسطينية ليس إلا من باب الخداع واستقطاب الجماهير العربية والإسلامية التي افترضت بدءا حسن النية، فيما هو يتستر خلف ذلك بالعمل على تحقيق مآرب وأهداف أخرى لا تخرج جميعها عن الطائفية والتمكين للمشروع الإيراني الشيعي في المنطقة.

سبع سنوات فقط أصبحت هي التي تفصل

بين قمة صعود حزب الله وبين قمة انحداره إلى

القاع بل والموت سريريا .. سبع سنوات فقط هي

التي فصلت بين النظرة الشعبية - التي استطلت بالسذاجة والطيبة - له باعتباره نموذجا مشرفا للمقاومة والدفاع عن شرف الأمة وكرامتها وتحرير أرضها من المغتصب وما بين تنامي رغبة الكثيرين في الانتقام من رجاله والثأر من عناصره لدماء الأبرياء من السوريين الذين لقوا حتفهم جراء رصاص قواته بعدما حول الحزب بين ليلة وضحاها اتجاه سلاحه من صدور العدو الصهيوني إلى صدور أبناء الأمة من السوريين الذين هبوا في ثورتهم الشعبية المجيدة ضد نظام بشار الأسد المستبد ليكونوا مثلهم مثل كثير من الشعوب العربية

المعارك الجدلية والنقاشات الحامية التي دارت بين معسكرين من العلماء والمشايخ والدعاة أحدهما كان يرى في حزب الله الأمل والقُدوة فيما كان يرى الآخر فيه الخداع والمكيدة ليصبح أهل المعسكر الأول في نظر الناس هم المجاهدون المقاومون فيما كانت علامات الاستفهام ونظرات الريبة والشك تحيط بأهل المعسكر الثاني.

لكن فجأة وفي لحظة من الغباء أو بالأحرى في لحظة من الانكشاف ينقلب كل هذا على حزب الله ويصبح التأييد ونظرة الإجلال والتبجيل التي حظي بها الحزب من ملايين المسلمين والعرب نظرة احتقار واحتقان ويتحول دفاع العلماء والمشايخ من أهل المعسكر الداعم للحزب إلى كلمات اعتذار للجماهير عن الخطأ في تقييم الحزب وتوجهاته وأن تقييم أهل المعسكر المهاجم هم الأصح والأصوب ومن ثم الإسراع وبلا أدنى تردد إلى الإعلان عن تبرئهم من حزب الله ومن قياداته ومن فعله والندم أشد الندم على الدعم القولي والفعلية لهذا الحزب.

الدوافع وخلفيات التحول

ليس من المقبول القول بأن حزب الله اتخذ قراره بإرسال قواته إلى سوريا لدعم قوات الأسد دون دراسة واعية ومدققة للآثار السلبية التي يمكن أن تترتب على ذلك ومن ثم فهو وقبل الإقدام على هذه الخطوة يدرك جيدا أن أهم التداعيات التي ستترتب على ذلك هو فقدانه للظهير الشعبي المساند له في البلدان العربية والإسلامية، ذلك أن هذا الظهير سيكون على إيمان تام بباطنية الحزب وأنه جزء من منظومة الصراع بين السنة والشيعة وهو ما دفع الحزب لأن يعمل على محورين ربما يبدو بينهما تناقض لكنه حاول وما زال أن يوهم الآخرين بانعدامه.

فأما المحور الأول فهو بذل ما يمكن من جهد من أجل إنقاذ نظام بشار الأسد النصيري والذي يعد

الأقرب له مذهبيا من بين كل الأنظمة العربية فضلا عن تقاربهما سويا مع نظام الدولة الإيرانية التي ترى في كل من نظام الأسد وحزب الله ساعديها الأقوى في المنطقة.

أما المحور الثاني فهو الترويج إلى أن نظام الأسد هو النظام الوحيد من بين بلدان المنطقة الذي ما زال يدعي الوقوف في خندق المقاومة والممانعة وأن ما يحدث في سوريا ليس إلا جزءا من مخطط أمريكي وصهيوني يهدف إلى إفشال مشروع المقاومة بل والقضاء على كيانات الدول العربية والإبقاء على «إسرائيل» كدولة قوية وحيدة.

وبالسير على هذين المحورين يسعى حزب الله إلى أن ينفذ تعليمات طهران التي ترى أن الأسد يجب أن لا يسقط، كي يرد الجميل للأسد الذي لم يبخل ولم يرضن بدعم حزب الله طيلة ما مضى وهو في نفس الوقت يحاول أن يكسب ولو الحد الأدنى من التعاطف الشعبي العربي والإسلامي بالادعاء أن موقفه ليس نابعا من كون النظام الأسدي شيعيا أم سنيا ولكن لكونه نظاما مقاوما، وهو في الحقيقة ما حققه بعض الشيء خاصة بين أولئك الذين يسمون أنفسهم بأنهم «قوميون» و«عروبيون».

لكن فات حزب الله أن الدعم السوري للحزب في مقاومة «إسرائيل» لا يسوغ لدى الشعوب العربية والإسلامية لسوريا أو لنظامها ممارسة الاستبداد ومواصلة الانتهاكات بحق الشعب السوري، فالمفترض أن المقاومة ليست إلا أداة لتحرير الشعوب وبالتالي فإنه ليس من المقاومة في شيء أن توجه سلاحها لصدور أبناء الأمة الذين ينشدون الحرية.

وفاته أيضا أن دعوى نظام الأسد بكونه في خندق الممانعة والمقاومة دعوى مجردة، بل إن موقف الأغلبية السنية في سوريا كان أكثر مقاومة وممانعة عندما طالب بدخول الدولة السورية في

معترك المقاومة واستتكرت على نظام الأسد «الأب والابن» عدم إطلاق رصاصة واحدة لمدة أربعين عاما في الجولان المحتل.

كذلك فإن تدخل حزب الله وانحيازه للأقلية في سوريا باعتباره مقاومة يعد إشارة ذات دلالتين هامتين:

الأولى: أن حسن نصر الله وحزبه ينظرون لأغلبية السوريين أنهم ضد المقاومة وأنهم من المعسكر الخانع أمام الكيان الصهيوني وفي هذا مجافاة للحقيقة كما أشرنا سالفا.

أما الثانية: فهي أن نصر الله يحاول تصوير أهل السنة بعمومهم وكأنهم ليسوا مع المقاومة ضد العدو الصهيوني وأن الشيعة هم رمز المقاومة وفي هذا أيضا تجاهل كامل لحقائق الواقع التي تقدم لنا نماذج مشرفة للمقاومة من أمثال حركة حماس في فلسطين وغيرهما من الجماعات المقاومة في العديد من البلدان العربية والإسلامية، بل إن ما حدث في العراق خير شاهد على أن المقاومة السنية لم تقبل في مقابل مصالح ضيقة وطائفية أن تتنازل عن حق الجهاد ضد الأمريكيين المحتلين في العراق

بخلاف الجماعات والفصائل والأحزاب الشيعية هناك والتي فرطت في استغلال العراق وسيادته في مقابل أن تستأثر لنفسها بالهيمنة على العراق.

كذلك ثمة نقطة هامة لا بد من الإشارة إليها عند الحديث عن مبررات نصر الله للتدخل في سوريا حيث تحدث عن التكفيريين والذين قصد بهم تلك العناصر المجاهدة التي حملت على عاتقها عبء الجهاد في سوريا ومشاركة إخوانهم من السوريين بالقتال ضد نظام الأسد وهي لا تخلو من معاني واضحة استهدفها نصر الله في خطابه ومنها:

❖ أنه أراد أن يوجه رسالة ترهيب إلى الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص والغرب بشكل عام مفادها أن سوريا يمكن أن تتحول إلى بؤرة جديدة من تجمع الإسلاميين الجهاديين من كل العالم ليتكرر سيناريو أفغانستان مرة أخرى وهو بهذا يحاول أن يغير موقف الغرب من الأحداث الدائرة في سوريا عبر التهديد المباشر لأممهم ومصالحهم.

❖ محاولة تحميل أهل السنة مسؤولية تحويل النزاع السوري - السوري من حالته التي يجب أن يكون عليها إلى نزاع طائفي حيث التحق بالثوار مقاتلون سنة من بلاد شتى كان مجيئهم والتحاقهم بالقتال ليس إلا لأن بشار الأسد وبطانته ينتمون إلى العلويين ومن ثم فإن تدخله لم يأت إلا بعد تدخل هذه العناصر وهو ما يعرض المقدسات الشيعية مثل مقام السيدة زينب للخطر.

وبالطبع يراهن نصر الله وكعادة كل المزييفين للحقائق على أن المواطن العربي يفتقد القدرة على الربط بين الأشياء فينسى الناس ما قدمه نصر الله وقادة كتائبه المقاتلة في سوريا من وعود بالجنة وكأن من يقاتلونهم من الثوار السوريين هم كفار.

وتجاهل نصر الله أن العديد من المجاهدين والثوار العرب لحقوا أيضا بالحرب التي قامت بين الرئيس الليبي السابق



معمر القذافي وهو سني المذهب وثوار بلاده حيث انضموا للمقاتلين من الثوار الليبيين فيما سارعت العديد من الشعوب بتقديم يد العون لهم حتى حققوا النصر وأسقطوا القذافي.

وفيما يتعلق بهذا الشأن أيضا فإن ثمة نقطة أخرى جديرة بالإشارة إذ كان نصر الله وحزبه مخيرين بين أمرين في محاولة لدعم الأسد والشدة

من ثم وفي ضوء ذلك فإن من المحتمل أن تسعى الدولة الإيرانية الخمينية إلى البحث عن بديل آخر عن حزب الله يحاول أن يجمّل وجه الشيعة اللبنانيين وربما يتبرأ مما فعله حزب الله في سوريا وهو أمر ليس مستبعدا عن الشيعة في ظل إيمانهم بمبدأ التقية بل وفي ظل ما يمارسه حزب الله حتى اللحظة فهو مثلا وعبرقاته المنار الأرضية يذيع أذان الصلاة متضمنا «علي ولي الله» فيما يخلو الأذان المذاع على المنار الفضائية من هذه العبارة، وهو مثلا لا يسب ولا يشتم أحدا من الصحابة أو القادة المسلمين السنة عبر التاريخ في حين يمارس هذا على أرض الواقع وفيما بين الشيعة اللبنانيين.

الاحتمال الثاني والذي يميل إليه الكثير من الكتاب والمحللين هو قيام إيران بنقل حزب الله اللبناني وخاصة جناحه المسلح من لبنان إلى العراق وهو الاحتمال الذي أشارت إليه أيضا بعض الصحف الأمريكية حيث أشارت إلى ذلك صحيفة واشنطن بوست مشيرة إلى أن حزب الله بات يبحث عن أرض بديلة للبنان نظرا لأن الأسد يعد حلقة الوصل بينه وبين إيران.

وأضافت الصحيفة أن تفكير إيران في العراق كوطن بديل لحزب الله يشير إلى علاقتها القوية بقيادة العراق وعلي رأسهم رئيس الوزراء نوري

المالكي الذي تأمل أن يكون بديلا للأسد في الوقت الذي تخطط فيه لجعل العراق حليفا جديدا لها للحفاظ على توازنها الإقليمي الذي بات مهددا بعد رحيل الأسد.



من أزره لمواجهة الثورة السورية الجامعة فإما أن يرد الجميل ويشارك برجاله وعتاده مع قوات الأسد وشبيحته في حربهم وإما أن يصطنع حربا مع العدو الصهيوني تلفت النظر بعيدا عما يحدث في سوريا وتحدث حالة استقطاب كبيرة في الصف العربي والإسلامي غير أن نصر الله انتهى إلى الخيار الأول حيث أدرك أن الحرب مع «إسرائيل» تعني النهاية.

مستقبل الحزب بعد الورطة

لا يمكن لأي محلل عند الحديث عن مستقبل حزب الله في المرحلة المقبلة أن يغض الطرف عن التطورات الحادثة سواء على الساحة اللبنانية أو على ما يجري في سوريا كما لا يمكن أن يتجاهل الدور الإيراني الذي يعدّ محركا أساسيا في الأزمة السورية بل والمسئول الأول عن تورط حزب الله في المستقبل السوري.

وما نحاول التركيز عليه في هذه الجزئية هو موقف إيران من حزب الله وخططها المستقبلية في التعاطي معه بعدما تيقنت أنه - أي الحزب - أصبح ورقة محروقة وأنه لم يعد الصورة الأمل التي يمكن أن تواصل عبرها عملية الخداع للجماهير المسلمة السنية.

واستقراء طريقة تعاطي إيران مع حزب الله ربما يأتي في ضوء قراءة ما حدث مع حركة أمل اللبنانية الشيعية التي كانت الحركة الأكبر

والأشمل لشيعة لبنان والتي ما أن تورطت في المذابح التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين في لبنان والذين كانت تنظر إليهم الكثير من الأطراف باعتبارهم الجيش السني في لبنان حتى كان البحث عن بديل آخر تجسد في حزب الله اللبناني الذي أسسه نحو تسعة أشخاص كان بينهم اثنان من إيران.

والسعادة، فالكتاب يجمع بين الرؤية العقيدية والنظرة التاريخية والروح الاجتماعية، وهو اليوم حاجة ماسة لفهم أمراض وعلل مجتمعاتنا ومعرفة طريق الخروج منها.

كما أن الكتاب يكشف عن معنى مقولة السلف «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، من خلال بيان الآثار الإيجابية للعقيدة الإسلامية الصحيحة ومنهج الفهم السليم للكتاب والسنة على الأمة، وهو الخلل الحاصل اليوم عند فئات من حملة العقيدة لكنها لم تدرك بعد مقتضيات العقيدة من الإتقان والجهد والمسؤولية والوعي والإيجابية والطموح.

ومع الجهد الكبير الذي قام به الباحث إلا أن الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والتفصيل لما توفر من مصادر إضافية في الموضوع وتبلور رؤى علمية أكثر نضجاً للواقع المعاصر بتياراته الجديدة.

لا يمكن أن نلخص الكتاب في ورقات محدودة ولكنني أكتفي ببيان المحاور العامة التي تناولها المؤلف فيه:

حيث افتتح المؤلف بتمهيد حوى نبذة سريعة عن حال صدر الإسلام وأصحاب النبي ﷺ، وكيف انتشلهم الإسلام من الجاهلية والتخلف ليصلوا إلى القمة في سنوات معدودة.

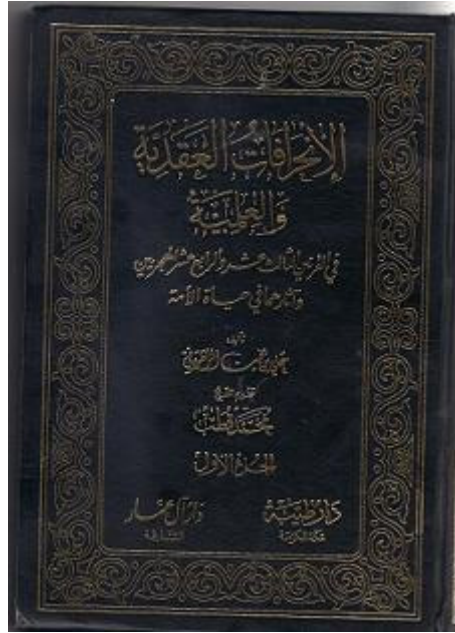
الانحرافات العقيدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثارهما في حياة الأمة

عرض: أسامة شحادة^(١) - خاص بالراصد

هذا الكتاب بالأصل هو رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى، وهي من إعداد علي بخيت الزهراني عام ١٤١٥ هـ، ثم صدرت عن دار طيبة بمكة المكرمة في مجلدين بـ ١١٠٠ صفحة، والكتاب على أهميته لم يعد من السهولة العثور عليه وقلة من يعرفونه من الشباب الصاعد.

أهمية الكتاب تتبع من فكرته القائمة على بيان خطورة البدع والجهل على مسار الأمة ونهضتها، وأن الواقع السيء للأمة اليوم هو نتيجة طبيعية للأحوال العقيدية المنحرفة في القرنين الماضيين، وبيان أن العقيدة السليمة والعلم الصحيح هما الكفيلان بالعزة والرفعة

(♦) كاتب أردني.



تناول المؤلف في الباب الأول الأحوال العقيدية والعلمية في القرنين الماضيين، وقسمه لتسعة فصول ناقش فيها:

تقزم مفهوم العبادة، انتشار الفكر الإرجائي، ضعف عقيدة الولاء والبراء، غربة العقيدة الصحيحة، هيمنة الفلسفة وعلم الكلام على كتب العقيدة، انتشار الشوكيات والبدع والخرافات، الطرق الصوفية، نشاط الفرق الضالة، موقف العلماء.

وتطلب هذا من الباحث استعراض الكثير من كتب التاريخ والرحلات لرصد صورة الواقع القائم آنذاك وتأثير كل هذه العوامل فيه وماذا أفرزت.

أما الباب الثاني فكان موضوعه الانحرافات العلمية في القرنين الماضيين، والتي تمظهرت بثلاثة أشكال هي:

جمود المناهج العلمية الشرعية وعدم تطورها مع تطور حركة المجتمع من جهة، وإبعاد العلوم الدنيوية من مناهج طلاب الشريعة، فخرج جيل مشوه لا يفهم عصره ولا يتواصل معه، مما ترتب عليه الاستغناء عن طلاب العلوم الشرعية.

والمظهر الثاني: شيوع التعصب المذهبي مما ولد الانقسامات والخلافات وإشغال الأمة بصراعات داخلية عن الأخطار الخارجية.

أما المظهر الثالث فهو الإصرار على غلق باب الاجتهاد وعدم فتحه، مما وفر المبرر للناس أن يجتهدوا من خارج نطاق الشريعة، فتسللت المذاهب والتيارات العلمانية الوافدة.

وخصص المؤلف الباب الثالث لبيان الآثار المترتبة على هذه الانحرافات العقيدية والعلمية، وهي آثار داخلية تشمل: الضعف السياسي والعسكري، والضعف الاقتصادي، والضعف العلمي التقني، والضعف الاجتماعي والأخلاقي.

وآثار خارجية تمثلت في اجتياح الاستعمار لبلاد المسلمين، ورافقه غزو فكري نشر الشيوعية والعلمانية، وحملات تبشير وتبشير.

وختم المؤلف كتابه بالباب الرابع عن الصحوة

الإسلامية وآفاق المستقبل، استعرض فيه تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على العالم الإسلامي وكيف تأثرت بها بعض الحركات الإسلامية بمقادير مختلفة، ونبه على ضرورة الوعي بضخامة الواقع السيئ الموجود في الأمة اليوم برغم الآثار الإيجابية التي نتجت عن الدعوة السلفية واتباعها.

ثم حذر المؤلف الصحوة المعاصرة من استمرار نخر الانحرافات العقيدية في جسد الأمة، وحذر على وجه الخصوص من انخداع بعض

الجماعات الإسلامية بالخميني وإيران، وهو الأمر الذي ظهرت أهميته بشكل جلي اليوم بعد أن نزع الشيعة وإيران وحزب الله قناع النقية عن وجوههم وأوغلوا في دماء المسلمين في سوريا والعراق ولبنان واليمن والبحرين، ومع هذا لا يزال عدد من قادة الإخوان المسلمين يعتبر ما حدث هو موقف سياسي خاطئ يمكن تجاوزه إذا تراجعت إيران عنه!

الخلاصة: هذا الكتاب هام في بابه وهو يفتح الباب للراغبين بمعرفة أسباب ضعف الأمة المعاصر ومعرفة إلى أين وصلنا في مسيرة الصحوة وما هي العقبات في الطريق، وهذا الكتاب ليس هو القول الفصل في الباب بل يجب أن يلحق به عدد كبير من الدراسات تفصل لنا مواطن الخلل والتأثير السيئ للبدع والجهل والخرافات مما يبرهن على صواب تأصيل المسار وضبطه حتى نعود لموقع الريادة كما كان أسلافنا حين استقامت أعمالهم وصحت تصوراتهم.

إلى متى التعامي عن الخطر الحقيقي؟

قالوا: أعلنت وزارة الداخلية البحرينية عن إحباط عملية إرهابية مسلحة كانت تستهدف مركزا للحبس الاحتياطي، لإطلاق سراح عدد من الموقوفين فيه على ذمة قضايا تتعلق بالأعمال الأمنية التي شهدتها البحرين خلال الفترة الماضية.

والمجموعة التي أعلن أنها تتكون من ٩ أفراد وتم القبض على ٨ منهم، تنتمي لما عرف بحرينيا بـ«جيش الإمام» وهي مجموعة كشفت عنها الأمن البحريني في يناير (كانون الثاني) الماضي، وشهدت الساحة البحرينية مجموعة من الأعمال التخريبية التي نسبت إليها.

الشرق الأوسط ٢٦/٦/٢٠١٣

قطننا أمام حديدهم!!

قالوا: حديد الأيديولوجية الإيرانية حين اندلعت ثورة إيران، قابلته كتلة من القطن العربي الأيديولوجي الناعم، فكانت المعركة غير متكافئة ... لنتكلم بكل شفافية وصراحة، إيران قادت وتقود العالم الشيعي بكل مهنية واحترافية، ورسمت لأيديولوجيتها استراتيجية ذات مسارين، أحدهما تسويقي والثاني عسكري، والمؤسف أن العالم العربي السني في المقابل كان ولا يزال يعيش صراعا متشنجا بين تياريه الإسلامي والليبرالي، مما جعل عددا من الحكومات العربية تتحسس من كل شيء له علاقة بالدين؛ خوفا من تقوية موقع الإسلاميين، مما

أصاب الجبهة الأيديولوجية مع إيران بالهزال، ولو أن الحكومات العربية تصالحت مع مبادئ الشريعة في أنظمتها وقوانينها وتعليمها وإعلامها لحققت انتصارين، الأول على جبهة منافستها مع التيارات الإسلامية، والثاني على جبهة صراعها الخطير مع إيران الذي بلغ ذروته في سوريا.

الأيديولوجية الإيرانية حديد.. ولا يفلس حديد الأيديولوجية إلا حديد مثله.

حامد عبد الماجد -

الشرق الأوسط ٢٤/٦/٢٠١٣

من يفهم؟

قالوا: على مدى العقدين الماضيين، وأكثر، شغلت إيران وحلفاؤها في محور الممانعة والمقاومة الكاذب المنطقة، وبمساعدة من قبل تنظيم الإخوان المسلمين، حول خطورة القواعد العسكرية الأجنبية بالمنطقة، وهو الشعار الذي تبنته «القاعدة» بينما كانت إيران تبني أهم قواعدها العسكرية، حزب الله!

... إن منطقنا مقبلة على انفجار طائفي خطير سببه تغول إيران، وتردد أميركا، وإهمال العرب، مثقفين وساسة ودولا على مدى سنوات في مواجهة الخطر الإيراني، وكشف حقيقة حزب الله، الذي كنا نحذر منه ونجابه بالتخوين والشتائم. هذا هو الواقع اليوم، ولحماية السلم الاجتماعي في كل منطقنا فلا مناص من سقوط الأسد، وذلك تجنباً للانفجار الطائفي الكبير

الذي سيقضي على مفهوم الدولة بمنطقتنا.

طارق الحميد -

الشرق الأوسط ٢٥/٦/٢٠١٣

لأن لم يفهم العقيدة الشيعية!

قالوا: إيران تدغدغ عواطف الشيعة البسطاء وتصنع فيهم ومنهم مظلومية زائفة أملا في تحريكهم ضد حكوماتهم العربية بهدف إضعافها لأغراض معلومة. وإيران تعلم قبل غيرها أنه لن يسمع أحد من الشيعة لرسالتها ولن يستجيب لها أحد فيما لو غامرت وكشفت عن مرامي أجندتها الخفية في التمدد على حساب الآخرين. إيران ستبقى مرفوضة من الشيعة العرب في اللحظة التي ستتخلّى فيها عن دورها المزعوم أنها راعية التشيع في العالم والمدافعة عن المذهب إلى دولة تريد الهيمنة على دول عربية تحررت من نفوذ الإمبراطورية الفارسية بفضل الفتوحات العربية الإسلامية.

طارق الهاشمي -

الشرق الأوسط ٢٣/٦/٢٠١٣

حرمة السفارة الإيرانية

قالوا: لا يوجد مجال للخطأ عند حزب الله؛ لا يحق لأحد أن يقترب من السفارة الإيرانية، فكيف بشيعة؟ لا تُترك الأمور لردة فعل عفوية؛ يتعامل أصحاب القمصان السود مع الموقف بالعصي. ... المشكلة أن المقتول شيعي أيضا... حتى كامل الأسعد مسؤول التيار لم يجرؤ على المشاركة في تشييعه، فالحزب لا يسمح بتحويله إلى «حالة»؛ هو مجرد رسالة بأن المس باحتكار حزب الله وذراعه السياسية حركة أمل للطائفة الشيعية نتيجه القتل.

ياسر أبو هلاله - الغد ١٩/٦/٢٠١٣

الطائفية على أوصالها

قالوا: يزعم أنه بعث آلاف من ميليشياته لحماية المراقدين وحتى «لا تغتصب زينب مرة ثانية» في حين يستنكر على السنة أن يحموا أطفالهم ونساءهم اليوم، وهذه اللحظة، وليس من قبيل الثارات التي مر عليها أكثر من ألف وأربعمائة عام. أي عقلية هذه التي تدير نصر الله، أو التي يريد أن يدير بها الناس؟ هذا الرجل إما أنه لا يعي خطر ما يرتكبه من جرائم تبقى لعشرات السنين فتنة لا تنطفئ، أو أنه يدري ولا يبالي وكل همّه إرضاء السيد الولي في طهران.

عبدالرحمن الراشد -

الشرق الأوسط ١٦/٦/٢٠١٣

هذه هي النتيجة!

قالوا: «أن لأحداث مصر الآن وسابقتها في الجزائر أن تقنع البعض أن الحكم بالإسلام لا يتوصل إليه بالديمقراطية، وفي المرفوع (لا تجني من الشوك العنب)».

الشيخ زهران علوش،

القائد العام للواء الإسلام في سوريا

بركة الانقلاب

قالوا: في خمسة أيام ذقنا ما عشناه في ثلاثين سنة من حكم مصر.

د. محمد محسوب،

تغريدة على تويتر

على الحكام العرب الذين «باعوا المقاومة»، قائلا: «يحرم عليكم أن تعملوا، يحرم عليكم أن تبيعوا وأن تشتروا، يحرم عليكم كل شيء إلا أن تخرجوا وأن تفيض بكم الشوارع لإسقاط الحكام الطغاة.. وكل من يتعرض في أثناء خروجه على الحاكم الطاغية للقتل من قبل أمن الحاكم فهو شهيد، بل لعله أعلى منزلة عند الله من شهداء حزب الله؛ لأن استشهاده فيه تحرر للأمة كلها، وأما الشرطي أو رجل الأمن فهو قاتل ييؤء بإثم الملايين من المتظاهرين، وليس بإثم من قتل فقط».

جاء ذلك وفقا لموقع «إسلام أون لاين» الذي نشر تغطية شاملة للخطبة التي ألقاها الخطيب الفلسطيني عدنان إبراهيم، الذي لم يكن معروفا تلك الفترة بين أوساط شباب الخليج العربي، لكنه يستصبح اليوم بينهم كثيرا كأحد نماذج الإسلام المعتدل المستتير! تشكل خطبة عدنان إبراهيم نموذجا مركزا للخطابات العاطفية التي كانت تتسيد المشهد العربي بعد قيام حزب الله في الثاني عشر من يوليو (تموز) ٢٠٠٦ باختطاف جنديين إسرائيليين من أجل مقايضتهما بأسراء اللبنانيين، الأمر الذي أدى إلى نشوب ما عرف بـ«حرب تموز» أو «الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦» والتي قصفت فيها مناطق متعددة من لبنان على مدى ٣٤ يوما.

في الخامس عشر من يوليو ٢٠٠٦، صرحت السعودية وعلى لسان مصدر مسؤول بأن عملية حزب الله مغامرة غير محسوبة، في بيان نشرته

تعامل الإسلاميين في الخليج مع حزب الله... قراءة في أوراق حرب ٢٠٠٦

عبد الله الرشيد - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٧/٢

في يوم السبت الخامس من شهر أغسطس (آب) ٢٠٠٦ احتشد أكثر من ثمانية آلاف مسلم في العاصمة النمساوية فيينا للتضامن مع المقاومة اللبنانية، رافعين شعارات حزب الله، وصور زعيمه حسن نصر الله الذي احتلت خطبه الشاشات التلفزيونية، وهو يهدد «الإسرائيليين» باسم عملية (الوعد الصادق).. «أردتموها حربا مفتوحة ونحن ذاهبون إلى الحرب.. سنذهب إلى حيفا، وإلى ما بعد حيفا وإلى ما بعد ما بعد حيفا».

قبل مظاهرات الجالية المسلمة في فيينا بيوم واحد، كان خطيب جامع الشورى في العاصمة النمساوية يهتف نحو المصلين بحماسة: «واجب على كل مسلم أن يخرج من فوره ومن لحظته إلى الشارع وليُخرج معه زوجه وأبناءه؛ حتى الرضع منهم، الآن الأمة تستعيد وعيها في ظل الانتصارات المتوالية التي يحققها رجال الله أبطال حزب الله، أمام الخيانة الكبرى التي يقوم بها الزعماء العرب».

❖ **تحول مسار الخطبة، والمظاهرات التي خرجت بسببها إلى تنديد وشجب لمواقف الحكومات العربية التي «خذلت» حزب الله، ووقفت ضده..** يواصل الخطيب هتافه الحار، يلهب حماسة المصلين ويحرضهم على الخروج.. الخروج

تنسى، وأن مصير من مضوا من الحكام والزعماء عبر التاريخ مليء بالعبر والعظات فهل نحن معتبرون».

حزب الله.. صراعات صحوية مؤجلة

❖ لم يكن موقف الإسلاميين السعوديين من حزب الله واحداً، بل كان الجدل حوله من أكثر نقاط الافتراق التي أعادت فرز مشهد الاصطفاف الإسلامي الحركي السعودي، وتلوين مكوناته من جديد، فمُنذ الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) ومعالم الصحو التقليدية بدأت تتغير شيئاً فشيئاً إلى أن جاءت «حادثة حزب الله» وحسمت الفروقات والتمييزات.

كان التيار السلفي بكافة اتجاهاته التقليدية، والعلمية، والحركية، يقف موقفاً عقائدياً مبكراً من حزب الله، وإيران، ويرتكز إلى تراث تاريخي طويل يؤسس لعدم الثقة بالطائفة الشيعية ويفرض مشاريعها جملة وتفصيلاً حتى لو كانت من أجل مقاومة «العدو»، ولذلك جاء الموقف مباشراً حاسماً بلا تردد بعد عملية حزب الله، فتمت إعادة نشر الفتوى الشهيرة للشيخ السلفي المقرب من الحركيين عبد الله بن جبرين التي صدرت في الأصل عام ٢٠٠٢، وقال فيها بأنه «لا يجوز نصره هذا الحزب (الرافضي)، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرأوا منهم وأن يخذلوا من ينضموا إليهم وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين».

لحقه بعد ذلك الشيخ ناصر العمر - أحد رموز السروريين في السعودية - حيث تحدث عبر موقعه (المسلم) في يوليو ٢٠٠٦ عن حزب الله، الذي يسميه «حزب اللات/ حزب الشيطان»، قائلاً عنه: «لا يقاوم باسم أهل السنة في فلسطين، بل هو أداة بيد الحرس الثوري الإيراني»، وصرح عبر قناة «الجزيرة» حينها قائلاً: «إن إسرائيل، وأميركا، وإيران هم أعداء الأمة الإسلامية على السواء».

وكالة الأنباء السعودية، يقول: «الملكمة إذ تستعرض بقلق بالغ الأحداث المؤلمة الدامية التي تدور الآن في فلسطين ولبنان تود أن تعلن بوضوح أنه لا بد من التفرقة بين المقاومة الشرعية والمغامرات غير المحسوبة التي تقوم بها عناصر داخل الدولة ومن وراءها، دون رجوع إلى السلطة الشرعية في دولتها»، جاء الموقف المصري الرسمي أيضاً مشابهاً حيث صرح وزير خارجيتها بأن عملية حزب الله كانت «مغامرة غير مسؤولة».

لأجل حزب الله.. نداء من علماء الأمة

❖ في منتصف أغسطس ٢٠٠٦، وبينما كانت المظاهرات تجوب العالم العربي مناصرة لحزب الله، وترفع راياتها، وتشجب أيضاً موقف الحكومات العربية منه، صدر في هذا السياق بيان شامل بعنوان «نداء من علماء الأمة الإسلامية» بتوقيع ١٦٩ شخصية إسلامية من السعودية والخليج، والعالم الإسلامي غالبهم ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين، يدعو لدعم ونصرة المقاومة اللبنانية، جاء في مطلعها: «إننا نحن المدونة أسماءنا أدناه من علماء ودعاة ومفكري وسياسي ومثقفى الأمة الإسلامية، أصدرنا هذا البيان إسهاماً في أداء الواجب وإبراء للذمة وشهادة للتاريخ إزاء ما يجري من أحداث في لبنان..». كان من أبرز الشخصيات الخليجية التي وقعت على هذا البيان، من السعودية: عوض القرني، وعلي بادحدح، وخالد الدويش، وخالد العجيمي، وعبد الله الحامد. ومن الكويت: أحمد القطان، وجاسم مهلهل آل ياسين، وجمعان الحريش، ومن الإمارات: محمد الركن، وخالد الشيبة، وسلطان بن كايد القاسمي.

طالب البيان الحكومات العربية بالوقوف مع المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين لأن «ذلك من أوجب الواجبات الشرعية في هذا الزمان». ويخاطب البيان حكام العرب قائلاً: «يا حكام المسلمين والعرب إننا نستنهض هممكم ونستثير نخوتكم ونذكركم بأن التاريخ لن يرحم وأن الشعوب لن

قوة، فنقول لا شك أن هذه الفتنة التي قام بها اليهود وحاربوا المسلمين في فلسطين وحاربوا أهل لبنان أنها فتنة شيطانية».

في ذات السياق كان هناك منتدى إلكتروني شهير في السعودية حينها وهو «الساحات العربية» تدور فيه رحى سجالات طويلة حول «الموقف من حزب الله»، و«هل يصح الوقوف معه في معركته ضد اليهود؟».. أم أن «حزب الله وإسرائيل في العداوة سواء؟»، توحدت صفوف الشباب السلفي بكافة أطيافه في موقف واحد رافض معاد لحزب الله أو الوقوف معه أو تأييده يعود ذلك لمنطلقات عقائدية تنطلق من الموقف من المذهب الشيعي، وموقف سياسي من ولاء الحزب لإيران.

ونحن إذا رجعنا إلى الكتابات المؤسسة للفكر السلفي السري على وجه التحديد، نجد أن المسألة كانت محسومة بشكل مبكر، ففي كتاب «أمل والمخيمات الفلسطينية» الصادر عام ١٩٨٦، ضمن الإصدار الثاني من سلسلة «وجاء دور المجوس» من تأليف عبد الله محمد الغريب، وهو كان اسماً مستعاراً لمحمد سرور زين العابدين، من تنسب إليه السلفية الحركية السريّة، قال فيه ص ١٨١ «ولد هذا الحزب من رحم حركة أمل الشيعية اللبنانية المدعومة من إيران. قد تسمى بدايةً باسم أمّه (حركة أمل الشيعية) فتسمّى بـ(أمل الإسلامية) رغبةً في توسيع نطاقه ليشمل الأمّة الإسلامية، ونظراً لما اقترنت به (حركة أمل الشيعية) من أعمال وحشية وجرائم بشعة لا تحوّل وليدها (أمل الإسلامية) من تسلم مهام الدفاع عن الأمّة، وخشية من هذا فقد كوّن حزبٌ جديد، وهو ما يُعرف اليوم بـ(حزب الله)».

يضيف عبد الله الغريب أو محمد سرور مؤكداً: «ويبدو أن حزب الله أُعيد ليكون فخاً لأهل السنة من اللبنانيين والفلسطينيين، فظاهره جهاد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وحقيقته احتواء من قد يُخدعون بشعارات الرفض».

ولذلك جاءت مواقف ناصر العمر، وسفر

اكتسح الموقف السلفي المبكر من حزب الله المشهد، قنوات ووسائل إعلامية كثيرة تداولت بالخصوص فتوى الشيخ ابن جبرين، وصدرت بيانات ومواقف كثيرة من اتحادات إسلامية، للرد على الفتوى ورفضها. نشر موقع قناة «الجزيرة» الفضائية خبراً في ٣٠ يوليو ٢٠٠٦ عنوانه «دعاة مسلمون يرفضون فتاوى سعودية ضد حزب الله»، جاء في مطلعته: «تواصلت ردود الأفعال الإسلامية الراضية لفتاوى بعض علماء السعودية التي تدعو إلى عدم جواز نصره حزب الله بمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة ضد لبنان، على اعتبار أنه حزب شيعي يخوض حرباً لمصلحة إيران.. وتأتي ردود الأفعال هذه بعد أيام من إصدار الشيخ السعودي عبد الله بن جبرين فتوى فحواها تحريم تأييد حزب الله في حربه مع إسرائيل».

كان نتيجة لذلك أن أصدر الشيخ ابن جبرين بياناً توضيحياً حول فتواه المتداولة، ووصف الأحداث الجارية في لبنان بـ«الفتنة الشيطانية»، اعتبر البعض ذلك الموقف تراجعاً، والبعض الآخر اعتبرها تأكيد إضافياً على موقفه السابق.

ففي الأول من شهر أغسطس ٢٠٠٦ نشر موقع الشيخ ابن جبرين فتوى، جاء سؤالها كالتالي: «نشر أحد مواقع الإنترنت فتوى منسوبة إليكم تتعلق بحزب الله اللبناني، فهل تصح نسبة هذه الفتوى لكم؟».

أكد ابن جبرين في إجابته على هذا السؤال أن هذه «الفتوى قديمة صدرت في تاريخ ٧ / ٢ / ١٤٢٣ هـ». وقال: «هي لا تتعلق بما يسمى حزب الله فقط، فنحن نقول: إن حزب الله هم المفلحون.. أما هؤلاء فهم ليسوا من حزب الله، وذلك لأنهم يكفرون أهل السنة، ويكفرون الصحابة.. لكن إذا وجد حزب لله تعالى ينصرون الله وينصرون الإسلام في لبنان أو غيرها من البلاد الإسلامية، فإننا نحبه ونشجعهم وندعو لهم بالثبات، وحيث إن الموضوع الآن موضوع فتنة وحرب بين اليهود وبين من يسمون حزب الله، واكتوى بنارها المستضعفون ممن لا حول لهم ولا

الحوالي الذي أفتى أيضا «بحرمة الدعاء لحزب الله بالنصر أو تقديم أي نوع من الدعم له في حربه مع إسرائيل»، امتدادا لهذه المواقف التقليدية الصحوية من حزب الله، أو من المشاريع الشيعية على العموم.

الخروج عن الصمت.. والتأييد

❖ لكن في الضفة الصحوية الأخرى كانت هناك معالم موقف معارض تتشكل، صمتت في بداية الأمر، حيث وجدت نفسها في موقف حرج بين طرفين، بين المكون السلفي الذي تتطلق منه، والعاطفة الإسلامية السائدة في العالم العربي التي كانت تتضامن بقوة مع حزب الله وحربه ضد إسرائيل.

يشير إلى ذلك الصحافي السعودي فارس بن حزام في مقال له بصحيفة «الحياة» في ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦ قائلا إن الجدل الدائر في السعودية طوّل حرب لبنان حول حزب الله قد «كشف القناع للمرة الأولى عن خلاف حاد بين تيارين إسلاميين في الوسط السعودي جراء الموقف من حزب الله.. فالجدال هذه المرة لم يكن بين ما يعرف بـ(السرورية) وهي (السلفية) المتمثلة في (الصحوة) من جانب، وتيار (الإخوان المسلمين) من جهة أخرى، مثل سجالات طويلة ومعارك صغيرة وكبيرة معتادة. الجدل هذه المرة جاء بين (الصحوة) و(الصحوة)، فبرز أكثر وأكثر تيار (الصحوة الجديدة) عن (الصحوة التقليدية)، ولكل رموزها ونجومها. والخلاف في حقيقته ليس مرتبطا بالموقف من حزب الله، ولكنه متعمق في الفكر السياسي والثقافة بين الفريقين، فوجد الفرصة ليتجلى في هذه الحرب».

كان هذا الموقف الآخر الجديد يجمع بين طياته شخصيات سرورية سابقة، وأخرى محسوبة على فكر جماعة الإخوان المسلمين، حاولت أن توفق بين تراثها، وبين اتجاه جماعة الإخوان الداعم بقوة لحزب الله، فتوصلت إلى موقف يقول في مجمله «إننا نختلف اختلافات عميقة مع حزب الله، ولكن

هذا ليس وقتا لإثارة الخلافات الطائفية، والمحاسبة العقائدية، وإنما يجب علينا أن نقف صفا واحدا مع إخواننا المسلمين من أهل القبلة / الشيعة ضد العدو المشترك إسرائيل».

عبر عن هذا الموقف بوضوح الشيخ سلمان العودة - الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - في حلقة من برنامجه الأسبوعي «الحياة كلمة» على قناة «MBC» بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠٠٦ حين سأله أحد المتصلين عن رأيه في موقف السعودية الرسمي من عملية حزب الله، فأجاب بأنه لم يطلع عليه - على الرغم من أنه كان حديث الناس - ، ولكنه أضاف موضحا «إننا نختلف مع حزب الله، وهو خلاف جوهري وعميق كما هو خلافتنا مع الشيعة الذي لا يمكن أن يلغى، لكن هذا الوقت ليس وقت الخلاف والشقاق، فعدونا الأكبر هم اليهود والصهاينة المجرمون الذين لم يفرقوا في عدوانهم حتى بين الأطفال والمحاربين».

وتحت عنوان «الموقف من حزب الله» أجاب عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة الدكتور علي بادحدح - أحد الإسلاميين المحسوبين على فكر الإخوان في السعودية - عن سؤال وجه له بهذا الخصوص بحسب ما نشره موقع (إسلاميات) مطلع أغسطس ٢٠٠٦، حيث قال: «إن إلحاق الضرر بالعدو الصهيوني، وكل أذى ونكابة في هذا العدو مطلوب ومرغوب. فالوقت الحالي ليس وقتا مناسباً للمحاسبات المذهبية أو الطائفية بل هو وقت ينبغي فيه التركيز على العدو الأكبر الذي يهلك الحرث والنسل ويهدد البلاد والعباد».

وفي تحقيق نشره موقع (العربية نت) في الثامن من أغسطس ٢٠٠٦ حول تداعيات حرب لبنان، والجدل حول حزب الله، صرح الدكتور عوض القرني - أحد رموز الإسلاميين المحسوبين على فكر الإخوان في السعودية - قائلا: «إننا قد نختلف مع حزب الله أو مع غيره، ولكن خلافتنا معه لا يسوغ لنا ألا نقف معه في دفاعه عن الأمة

ودفع الظلم والعدوان عن الشعب اللبناني كله وليس عن الحزب فقط، ولو كان الظلم والعدوان الذي يقع على الشعب اللبناني يقع على هندوسي أو بوذي لوجب علينا أن ندفعه عنهم ولا نرضاه».

أما الدكتور حاكم المطيري - أحد رموز السلفية الحركية في الكويت - فقد أصدر بياناً صريحاً في الثامن من أغسطس ٢٠٠٦ عنوانه (بيان في وجوب نصرة المقاومة في لبنان) قال فيه: «يظهر من عموم نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها وجوب دعم المقاومة في جنوب لبنان بكل ما تستطيع الأمة تقديمه من دعم بالمال والنفس والكلمة وهو نوع من أنواع الجهاد، والقتلى فيها من المسلمين شهداء على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، لهم أحكام الشهداء الدنيوية من حيث أنهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم ويدفنون في ثيابهم». وأضاف مؤكداً: «إن السياسة الشرعية تقضي الوقوف مع المقاومة اللبنانية مهما كان الموقف منها ومن قياداتها - في نظر البعض - إذ القتال الدائر بينها وبين إسرائيل لا يدع مجالاً للتوقف أو الحياد».

كما أصدر في ذات السياق حزب الأمة الكويتي (محظور) بياناً في ١٣ يوليو ٢٠٠٦ يدعو فيه إلى دعم المقاومة اللبنانية لمواجهة الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الشعب اللبناني وانتهاك دائم لسيادته على أرضيه.

حسن نصر.. الداهية!

❖ أما الدكتور السعودي محسن العواجي - أحد الإسلاميين المستقلين - فخرج عن صمته بعد ١٣ يوماً من المعارك الدائرة في لبنان بين حزب الله وإسرائيل، فأعلن تأييده لحزب الله وزعيمه حسن نصر الله عبر موقعه الشخصي في ٢٤ يوليو ٢٠٠٦ بمقال عنوانه (اللهم انصر المقاومين الأبطال واشدد وطأتك على المعتدين الأنذال)، قال فيه إنه من السذاجة النظر إلى حزب الله في هذه الأزمة تحديداً نظرة طائفية مجردة خاصة، موضحاً أن «العدوان الصهيوني الميركي الأخير على لبنان كشف عمق المآسي الفكرية المحتقنة في المجتمع المسلم محلياً

وإقليمياً، قد يقبل من البعض تأجيل اتخاذ الموقف كون الأمر في غاية التعقيد واللبس، ولكن لا قبول البتة للحياد التام أو الصمت المطلق تجاه ما يجري من عدوان صارخ على الحرمات والممتلكات».

ووصف محسن العواجي في مقاله حسن نصر الله، زعيم حزب الله بـ«الداهية سياسياً والشجاع ميدانياً مهما اختلفنا معه»، مؤكداً أن «حزب الله في لبنان اليوم في عين الشارع الإسلامي شكل رأس حربة فعالة تتخن العدو وتقاوم زحفه ببسالة».

وفي تقرير نشره موقع (إسلام أون لاين)، يعلق المحرر على موقف العواجي قائلاً: «لم يكن العواجي هو فقط من خرج عن صمته، حيث بدأ عدد من العلماء السعوديين يعلنون عن مواقفهم من العدوان الإسرائيلي، داعين الله أن ينصر حزب الله على (الصهاينة المجرمين)». فقد أعلن الشيخ السعودي محمد بن يحيى النجيمي - أستاذ الفقه بالمعهد العالي للقضاء - تأييده الكامل لحزب الله. وقال خلال حديث بثته قناة «المستقلة» السبت ٢٢ يوليو ٢٠٠٦: إنه لولا حزب الله لما كانت بيروت إلا نسخة مصغرة من مستوطنات إسرائيلية كما هو الحال في الجولان والضفة الغربية المحتلة. وبين الشيخ النجيمي أن ما تقوم به إيران من دعم سياسي لحزب الله هو واجب على كل مسلم. وقال: «إن إيران ربما تدعم حزب الله سياسياً وهذا واجب على كل مسلم، لكنها لا تدعمه لا بالسلاح ولا بالمال». وفي رد على الرأي الشائع بين التيار السلفي، بأن حزب الله ومقاومته ليست سوى مجرد «تمثيلية»، بينما حزب الله وإيران هما مجرد خادم وحام لمصالح إسرائيل، صرح الشيخ حاتم الشريف العوني - أستاذ السنة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة - لموقع (الإسلام اليوم) في ٣ أغسطس ٢٠٠٦ قائلاً: «الواقع يرفض مثل هذه الأقوال، فالمقاومة اللبنانية ليست تمثيلية»، موضحاً أن هذه الأقوال التي تشيع في السعودية لن يتقبلها الناس في الخارج «فلا ينبغي أن نسقط أنفسنا أمام العالم

أروه اللون الأحمر القاني، ادفعوا بأبنائكم إلى ساحات الوغى، لن نرضى منكم إلا صوت الحرية».

خدعة التحليل العقدي

❖ في حموة تلك النقاشات الساخنة حول المقاومة اللبنانية وحزب الله، والتناقل العالمي لفتوى الشيخ ابن جبرين، وناصر العمر ضد حزب الله، ألقى الدكتور محمد الأحمر بحجر في بركة رفاقه «السرويين» القدامى، معلنا انحيازه بوضوح للضفة الأخرى التي كانت تضم مجموعة من الإسلاميين المستقلين، وشخصيات محسوبة على فكر الإخوان المسلمين، فكتب مقالا يشاع كثيرا أن المقصود به كان الشيخ ابن جبرين، والشيخ ناصر العمر، جاء المقال بعنوان (خدعة التحليل العقدي)، نشره في موقعه الذي يشرف عليه (مجلة العصر) في ٤ أغسطس ٢٠٠٦ يتهم فيه على «العقلية السلفية» التي تتعاطى مع الأحداث السياسية بمنطلقات عقائدية، فهي تعاني «من القصور، والتعصب وقصر النظر.. لأن المحلل العقدي يؤمن بأنه على الحق دائما، وأن النصوص معه تؤيده وتحفزه وتحدد أطراف المعركة بدءا بالتوراة والإنجيل ثم القرآن إلى نصوص ماركس. ويعاني من استسلام غير واعي للنصوص وللأفكار التي يسيء فهمها».

أثار مقال الأحمر الكثير من الردود والجدل والخلاف، انبرى موقع (المسلم) الذي يشرف عليه الشيخ ناصر العمر للرد على الأحمر، نشرت مقالات متعددة منها (خدعة التحليل السياسي) لبندر الشويقي، ومقال بعنوان (وقفه مع الدكتور محمد الأحمر) لإبراهيم الأزرق وغيرها، لكن الأحمر استمر مؤكدا على موقفه فنشر مقالا في منتصف يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٧ بعنوان (من حصاد التحليل العقدي) قال فيه لمن اختلفوا معه بلغة لا تخلو من التهكم: «لننظر السياسي يا إخواننا تقسيمات آخر، بعضها من بضاعتكم وبعضها تقع خارج ثقافتكم».

الإسلامي بهذا الطرح المعارض للمشاهد أمامهم، فلنصمت إذا لم ندعم المقاومة اللبنانية». وقال مضيفا: «إن قضية حزب الله عادلة ويكفي أنهم أمام إجرام اليهود أعدى أعدائنا، فهم يستحقون الوقوف معهم في هذا الظرف خاصة، وعلينا أن نؤجل خلافاتنا معهم إلى أن تنتهي من هذا الظرف لنبدأ بحوارهم ودعوتهم لإقامة الحجة عليهم».

كتاب في حقيقة حزب الله

❖ ومن أجل التأصيل والحشد للموقف الإسلامي الخليجي المتضامن مع حزب الله، أو «المتسامح» معه على الأقل صدر في سبتمبر ٢٠٠٦ كتاب بعنوان (حزب الله.. بين الحقيقة والأهداف) عن (مركز الرؤية للتنمية الفكرية بجدة) جمع آراء ومواقف الإسلاميين في السعودية والخليج، والعالم العربي في مقدمتهم الشيخ يوسف القرضاوي، إضافة إلى عدد من أبرز الشخصيات الإسلامية في السعودية المحسوبة على فكر الإخوان المسلمين، مثل الشيخ عوض القرني، والشيخ علي بادحدح، والدكتور موسى الشريف. ومن خلال تصفح الكتاب يتضح أنه تجميع سريع لمقالات، وحوارات وتقارير صحافية نشرت في الإنترنت حول هذه القضية. تحدث في مطلع الكتاب الدكتور علي حمزة العمري - واحد من الناشطين الشباب المحسوبين على فكر الإخوان المسلمين، في السعودية، ورئيس منظمة فور شباب - بمداخلة عنوانها (لبنان في العين والقلب وعلى الرأس)، وفيها قال: «خلاصة الموقف الحالي وجوب التلاحم والتناصر والتعاضد أمام العدوان اليهودي والأميركي في لبنان، فالمعركة حقيقية، وهي معركة صراع وتصفية للشيعنة ولأهل السنة سواء، لأنهم الآن في خندق واحد، ومقاومة واحدة».

وفي ختام مداخلته وجه كلامه إلى من سماهم «تلاميذ المقاومة المسلمين» قائلا: «لا نريد اعتذارا، نريد أن ترفعوا السلاح، نريد أن تهزوا أركان المجرم اليهودي، أسمعوه دوي القنابل والرصاص،

❖ «كل إنسان شريف يحترم كل مقاومة شريفة، وبخاصة التي لم تتلخ بدم الأبرياء، وكان هذا هو السبب في تعاطف الناس مع حزب الله فيما مضى، فلما انعطفت التوجه فتغير، فستتغير النظرة».

محمد الأحمر، معلقاً على اجتياح حزب الله لبيروت ٢٠٠٨ (مجلة العصر) ٢٠٠٨/٥/١١.

❖ «لماذا يا حزب الله، وأنت لديك هذا التاريخ المشرف من المقاومة والنضال، لماذا دخلت إلى المستنقع السوري، هل بشار الأسد وجيشه محتاج إليك.. هذا عتب مر وشديد لإخواننا في حزب الله، آتمنى أن يسمعوهم وينفعهم الله»

عدنان إبراهيم، خطبة الجمعة ٢٠١٣/٦/٧ (حسابه الشخصي على يوتيوب).

❖ «لقد ضحكوا علي، وخدعت بهذا الحزب.. وعلماء السعودية كانوا أنضج مني وأعرف بحقيقة هذا الحزب». الشيخ يوسف القرضاوي ٢٠١٣/٦/١ قناة «الجزيرة الفضائية».

كيف تعمل الاستخبارات الإيرانية في تركيا؟

علي حسين باكير - مجلة المجلة ٢٠١٣/٦/٢٨

حرب باردة

ألقى جهاز الاستخبارات التركي القبض على عدد من الإيرانيين اتهمهم بدفع مظاهرات موازية لتلك التي حصلت في «ميدان تقسيم» في اسطنبول للاصطدام مع القوى الأمنية بهدف تأجيجها، وقد تم تسفير هؤلاء الإيرانيين على الفور.. فما هي تفاصيل الحكاية؟

لم يسبق أن شهدت العلاقات التركية - الإيرانية فتوراً بل حرباً باردة كتلك التي تشهدها اليوم، على الأقل خلال عهد حزب العدالة والتنمية الذي صعد إلى الحكم في نهاية العام ٢٠٠٢. أمّا على المستوى الشعبي، فربما هي المرة الأولى التي يسجل فيها للشعب التركي اتخاذه موقفاً شديد السلبية من إيران، وهو الذي كانت شريحة واسعة فيها لا تخفي تعاطفها مع إيران لعقود طويلة.

يتضرع الخلاف السري مع الأحمر من نقطة جوهريّة تتمثل في انحياز الأحمر الواضح تجاه إيران، وإشادته بنموذجها الديمقراطي، وهذا ما يختلف معه قطاع عريض من الإسلاميين السلفيين، فالأحمر صرح في حديث لموقع (الإسلام اليوم) بعد حرب حزب الله في لبنان، في ٥ مايو (أيار) ٢٠٠٧، قائلاً: «إيران لديها دولة واعيّة منتخبة تمثل الناس، وتمثل الشعب، لديهم حكم ديمقراطي قوي، واستطاعت عقولهم القائدة أن تكسب في كل مكان».

تلك شهادات وبيانات ومواقف لا تزال عالقة في ذاكرة ٢٠٠٦، بدأت تتقلص شيئاً فشيئاً منذ أن قام حزب الله في ٢٠٠٨ باجتياح بيروت، ثم تحولت إلى مواقف مضادة صريحة في عام ٢٠١٣ بعد أن أصبحت ميليشيا حزب الله بجانب قوات بشار الأسد تقاوت الثوار السوريين. وبين تلك الحقبة واليوم، لكل شخص طريقته الخاصة في التعبير عن التحول أو التراجع وربما الاعتذار.

٢٠١٣ ... موقف مختلف من حزب الله

❖ «لم يعد يخدعنا حزب الله، لقد ظل لسنوات طويلة يخدع العالم الإسلامي بصورة زائفة حول نبذه للطائفية ومواجهته لإسرائيل على غير الواقع». سلمان العودة (موقع الإسلام اليوم) ٢٠١٣/٥/٢٥.

❖ «حسن نصر الله يستغل من! حين يزعم أنه يدفع بالمزيد من المقاتلين لسوريا لمنع سفك دماء الشعب السوري (إذا لم تستح فاصنع ما شئت!)». عوض القرني ٢٠١٣/٦/١٥ (حسابه الشخصي في تويتر).

❖ «حزب الله يقاتل إخواننا ويزعم سيده أن قتالهم إنما هو لمواجهة الكيان الصهيوني وحماية المقاومة!» علي بادحدح (موقع إسلاميات) ٢٠١٣/٦/٢.

❖ «نعم تراجع.. وحسن نصر الله طائفي يعمل وفق المشروع الإيراني» محسن العواجي (قناة فور شباب) ٢٠١٣/٦/١.

❖ «أطالب المؤيدين لحزب الله بالتبرؤ منه، وعدم الانخداع بشعاراته البراقة» محمد النجمي، «عكاظ» الأسبوعية ٢٠١٣/٦/١٤.

❖ «إننا ندعو الأمة كلها إلى مقاطعة إيران، وذراعها المجرم حزب الله». بيان صادر عن حزب الأمة الكويتي

السلبية لهذه السياسات في المنطقة، لكنها كانت تفضّل تجنب الحديث عن الموضوع على مستوى النقاش العام؛ نظراً لما يمكن أن تتعرّض له من ضغوط وانتقادات.

التصور التركي العام إزاء إيران

أذكر أنني التقيت مع أحد محرري أكبر الصحف التركية المعروفين في العام ٢٠١٠، وكذلك مع مدير إحدى وكالات الأنباء التركية، وقد تفاجأت من مدى معرفتهم واطلاعهم على حقيقة السياسات الإيرانية السلبية مقارنة بأقرانهم الأتراك، وعندما سألتهم عن سبب الإحجام عن رفع هذا التصور إلى مستوى النقاش العام، كان جوابهم أنّ الكتابة أو الحديث عن إيران بهذا الشكل يعرّض صاحبها لانتقادات عنيفة من الرأي العام، لاسيما من الشريحة الإسلامية المحافظة، والتقليدية، ولوبي المصالح والتابعين والمؤيدين لإيران، بل وحتى اليساريين!

ومنذ تلك الفترة وحتى بداية اندلاع الثورة السورية، عندما كنّا نناقش مع الزملاء الباحثين والأكاديميين الأتراك، بل وحتى مع العديد من الشخصيات الرسمية التركية موضوع الخطر الذي تمثله السياسات الإيرانية على المنطقة برمّتها، كان الجواب ينطوي على إشارة بأن العرب عمومًا يضحّمون الخطر الإيراني وسلبات السياسة الإيرانية، وأنّه من غير الممكن أن تكون إيران بهذا السوء.

لكن بالعودة إلى نفس الشخصيات اليوم، بدا أنّ هناك انقلاباً على مستوى الموقف من إيران، بل إنّ هذا التحول لم يبق محصوراً في هذه الدائرة، وإنما انعكس بدوره على مستوى الرأي العام التركي أيضاً.

معالم التحول في التصور التركي من إيران

أظهرت نتائج استطلاع للرأي نشره مركز زغبلي للأبحاث في آذار ٢٠١٣، ارتفاع النظرة السلبية في تركيا تجاه إيران بشكل كبير خلال السنوات الماضية مقارنة باستطلاع مماثل كان المركز أجراه في عام ٢٠٠٦، مما يشير إلى حصول تحول في الرأي العام التركي إزاء إيران والسياسات الإيرانية في المنطقة. ويمكن توزيع أهم نتائج الاستطلاع على ثلاثة محاور:

المتابع للصحافة التركية والإعلام التركي قد يفوته أنّ انتخابات دولة مجاورة بحجم الانتخابات الإيرانية قد وقعت! وأنّ روحاني فاز في الانتخابات. صحيح أنّ البعض قد يعزو الفتور الواضح في تناول هذه الانتخابات والنتيجة التي أسفرت عنها إلى انشغال الأتراك مؤخراً بالتطورات التي فاجأتهم على صعيد الجبهة الداخلية، إلا أنّ المثير أن إيران التي كانت غائبة عن تركيا في موضوع الانتخابات كانت حاضرة في موضوع آخر!

إذ ألقى جهاز الاستخبارات التركي القبض على عدد من الإيرانيين (حوالي ١٢ فرداً) اتهمهم بدفع مظاهرات موازية لتلك التي حصلت في «ميدان تقسيم» في اسطنبول للاصطدام مع القوى الأمنية بهدف تأجيلها، وقد تم تفسير هؤلاء الإيرانيين على الفور في ظل حرص على التكتّم على الموضوع قدر المستطاع، وإتمامه دون ضوضاء حتى لا يؤدي ذلك إلى ردّة فعل شعبية كما نقلت بعض المصادر بشكل يؤدي إلى تدهور متزايد في العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

لقد أعاد هذا الحدث تسليط الضوء على طبيعة عمل الاستخبارات الإيرانية في تركيا، وعن طبيعة دور الخلايا النائمة التي تزرعها إيران هنا وهناك. إذ تشير المعلومات إلى أنّ الاستخبارات الإيرانية تستثمر بشكل أساسي في توظيف عملاء لها داخل تركيا في قطاع المال والسياحة والإعلام والمجالات الثقافية والدعارة؛ لأن كل قطاع من هذه القطاعات له تأثير معين على قطاعات الدولة الأساسية أو على الحكومة والرأي العام في تركيا، ناهيك عن نجاحها في توظيف عناصر من بيئات وأيديولوجيات مختلفة، بل متناقضة في كثير من الأحيان كعناصر من حزب العمال الكردستاني، وعناصر من الطائفة العلوية، وعناصر من الإسلاميين المحافظين، وعناصر من اليسار المتطرف.

حتى العام ٢٠١٢، كانت الرؤية التركية للسياسات الإيرانية في المنطقة بشكل عام مشوبة بالضبائية في أحسن الأحوال. صحيح أنّ شريحة لا بأس بها في مختلف المستويات (الثقافية، والاجتماعية، والإعلامية، والبعثية والأكاديمية) كان لديها تصوّر واضح عن الطبيعة

أولاً - على صعيد العلاقات الثنائية والنموذج السياسي: ٩٥٪ من الأتراك يرون أن علاقة بلادهم مع إيران سلبية، و٧٤٪ يرفضون تقارب بلادهم مع إيران أكثر، و٩٠٪ لا يوافقون على مقولة أن إيران قد تكون نموذجاً يحتذى به، و١٦٪ فقط يرون أنها تتبع سياسات تؤدي إلى الاستقرار في الجوار.

ثانياً - على صعيد السياسات الطائفية في المنطقة: ٦٣٪ من الأتراك يرون أن الثورة الإيرانية جعلت المنطقة أقل استقراراً، و٨٨٪ يرون أن إيران تتبّع أجندتها الإقليمية الخاصة التي تناسب مصالحها، و٧٨٪ يرونها مسئولة عن السياسات الطائفية في العالم العربي، و٨٠٪ يرون أن دول الخليج العربية على حق عندما تقلق من وجود إيران نووية.

ثالثاً - على صعيد البرنامج النووي: ٨٧٪ من الأتراك يرون أن طموح إيران النووي غير سلمي، وأن الهدف النهائي لبرنامجها النووي هو إنتاج قنبلة نووية. كما يوافق ٦٨٪ منهم على استمرار العقوبات الاقتصادية على إيران إذا ما استمرت في برنامجها النووي، فيما يؤيد ٥١٪ من الأتراك بشكل عام و٥٦٪ من الأتراك السنة توجيه ضربة عسكرية لإيران بسبب برنامجها النووي إذا استمرت في العناد ومواصلة برنامجها النووي رغم العقوبات الاقتصادية، علماً أن نسبة الموافقين على هذا الخيار من الأتراك كانت تساوي ٢٧٪ فقط في العام ٢٠٠٦.

أسباب التحول في التصور التركي من إيران

أمّا أسباب هذا التحول، فهي تنطوي على بعدين أساسيين. البعد الأول هو بعد داخلي يرتبط بشكل خاص بالاختراق الإيراني الأمني والاجتماعي والإعلامي لتركيا. والبعد الثاني هو بعد إقليمي يرتبط بالمواقف والسياسات الإيرانية في كل من العراق وسوريا ولبنان ومنطقة الخليج العربي.

١ - على الصعيد الأمني: الأتراك حسّاسون جداً إزاء أي موقف أو عمل يرتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بعمليات حزب العمال الكردستاني، وهناك قناعة راسخة لدى الأتراك منذ تفاقم الأزمة السورية بأن هناك دعماً مسلحاً من قبل إيران لعمليات الحزب داخل تركيا لزعة أمن واستقرار البلاد، ولابتزازها سياسياً فيما

يتعلّق بتطوّر الملفات الإقليمية لاسيما سوريا والعراق. وقد عزّز من هذه القناعة لاحقاً إلقاء جهاز مكافحة التجسس التركي التابع للشرطة التركية القبض في آب وأيلول ٢٠١٢ على شبكتي تجسس في البلاد تعملان لصالح إيران. وتضم الأولى إيرانيين اثنين ومواطناً تركياً، عُثر معهم على معلومات وصور أرشيف إلكتروني يحتوي على عناصر تمسّ أمن الدولة التركية، وقد قادت التحقيقات إلى إلقاء القبض على جاسوس إيراني في الحرس الثوري يعمل على التنسيق مع حزب العمال الكردستاني داخل الأراضي التركية، وأدت اعترافاته إلى إلقاء القبض على ٩ آخرين بينهم إيرانيّان.

في شهر أيار ٢٠١٣، كشف عدد من التقارير قيام قوات الأمن التركية بالقبض على ٢٤ شخصاً في أقصى شرق تركيا بتهمة التجسس لصالح إيران بينهم ١٠ نساء إيرانيات كانوا قد نقلوا معلومات حسّاسة ووثائق تتعلق بأسرار الدولة التركية عبر إقامة علاقات «متعة» مع مسؤولين أمنيين رفيعي المستوى في أجهزة الأمن والشرطة والجيش.

ومؤخراً تم إلقاء القبض على عدد من المواطنين الإيرانيين بتهمة استغلال بعض الأحداث من أجل الدفع إلى صدامات بين القوى الأمنية والمتظاهرين الأتراك، ناهيك عن شكوك بوقوف إيران بشكل مباشر أو غير مباشر وراء عدد من العمليات الأمنية التي تستهدف الأمن القومي التركي كعمليات تهريب القائد في تنظيم القاعدة سليمان أبو غيث إلى تركيا، وعملية استهداف السفارة الأمريكية من قبل «جبهة التحرير الشعبية الثورية» اليسارية المتطرفة في شباط الماضي، بالإضافة إلى عملية الريحانية والتي ذهب ضحيتها عدد كبير من المواطنين الأتراك.

٢ - الاختراق الإعلامي: لم يكن شائعاً في تركيا من قبل الإشارة إلى وجود لوبي إيراني في البلاد. لكن منذ أن بدأت العلاقات الثنائية تشهد تدهوراً ملحوظاً مترافقاً مع ازدياد تأثير النفوذ الإيراني في تركيا في السنوات الأخيرة، أصبح هذا المصطلح شائعاً. ويضمّ هذا اللوبي صحفيين وإعلاميين وأكاديميين

ومثقفين وسياسيين أيضاً سواء موالين أيديولوجياً (مؤيد للثورة الإيرانية) أو طائفيًا (في هذه الحالة العلوية) أو سياسياً (يدعم اتجاه السياسات الإيرانية حول الممانعة) أو المتعاطفين والأنصار والمنتفعين مصلحياً. والغريب أن بعض عناصر هذا اللوبي لا سيما الإعلامية والصحفية منها تختبر صحفاً تصنّف على أنها قريبة من الخط الحكومي أو محسوبة عليه، في موازنة صحف أخرى ذات طابع يساري، وصحف محسوبة على المعارضة السياسية.

ويستهدف هذا اللوبي مؤخراً التأثير على الرأي العام التركي، وهو فاعل في هذا المجال، حيث تستطيع أن تجد سيلاً من المقالات والتقارير المقروءة والمسموعة والمتلفزة التي يكتبها المحسوبون على هذا اللوبي في الإعلام التركي.

ولا يقتصر عمل هذا اللوبي على بلورة خطابه بما يناسب الأجندة الإيرانية، بل إن عمله يستهدف القرار السياسي للحكومة التركية أيضاً، وهو إن لم يحقق كل أهدافه، إلا أنه نجح في إرباك الشارع التركي، والتشويش عليه في العديد من القضايا.

٣- الاختراق الاجتماعي: لم يكن البعد الطائفي في تركيا شيئاً مهماً في يوم من الأيام، فلا أهمية أو وزن لهذا المعطى في الحياة اليومية أو الوظيفة الرسمية أو أي منحنى من مناحي الحياة في البلاد. لكن شيئاً طفيفاً بدأ يظهر على السطح مؤخراً، وإن لم يصح وصفه بالظاهرة بعد نظراً لمحدوديته في النطاق والزمان والتأثير، لكن الأتراك بدؤوا يشعرون بأن هناك تحريضاً طائفيًا وخطاباً مذهبياً تسعى إيران إلى نقله إلى الساحة التركية على اعتبار أنه تتوافر الكثير من الوسائل التي تمكنها من تغذية مثل هذا التوجه في تركيا من بينها التركيبة الديمغرافية التي تضم علويين بالإضافة إلى الدائرة التي تحدثنا عنها، والتي تضم (موالين ومناصرين ومنتفعين).

وفي هذا الإطار، كشف رئيس الجمعية العلوية البكتاشية التركمانية التركية «أوزدمير أوزدمير» أن إيران كثفت جهودها، خاصة خلال السنوات الثلاث الأخيرة، لإحداث صراع طائفي بين السنة والعلويين في

تركيا، وأنها استضافت حوالي ٧٠٠ شيخ علوي إلى إيران التقوا بالمرشد الأعلى، وعدد من قادة الحرس الثوري الإيراني ضمن مخطط توسيع النفوذ الإيراني في تركيا.

كما كشف «أوزدمير» أن طهران أقامت ثلاث جمعيات ومؤسسة واحدة تهتم بالشأن العلوي في تركيا، لكنها في حقيقة الأمر مجرد تموية لعمليات استقطاب تستهدف النشء العلوي، وكذلك مشايخهم وترسلهم إلى قم لإعادة تأهيلهم، وتعيدهم من جديد إلى تركيا بما يخدم السياسة الإيرانية.

٤- الاختراق الاقتصادي: لاحظت تقارير تركية عدة لجوء إيران إلى أنقرة للتخفيف عن الضغط الاقتصادي الداخلي الذي بدأ يولّد مشاكل اجتماعية خطيرة، وصدّامات مع عدد من الطبقات الاجتماعية والتجار أنفسهم.

وفي هذا الصدد، كشف تقرير صادر عن اتحاد الغرف التركية أن ١٧ في المائة من الشركات (٤٤ من أصل ٢٥٣) التي أسست في تركيا خلال أيلول ٢٠١٢ لوحده فقط؛ تبين أنها ممولة من إيران، وهي المرة التاسعة على التوالي التي تحتل فيها طهران لائحة الصدارة فيما يتعلق بالجهات التي تؤسس شركات داخل تركيا.

فقد شهد عدد المؤسسات - التي تم إنشاؤها في تركيا بدعم إيراني، ارتفاعاً سريعاً منذ بداية عام ٢٠١٢، وبلغ عددها ٦٥١ شركة، لتتفوق بذلك على ألمانيا وروسيا وأذربيجان بواقع ٢٥٢ للأولى، و١٢٦ لكل من روسيا وأذربيجان، علماً أن عدد المؤسسات الإيرانية بلغ عام ٢٠١١ نحو ٢١٤٠ شركة، بزيادة بلغت نحو ٤٠ في المائة عن عددها عام ٢٠١٠.

وتشير هذه النشاطات الاقتصادية الإيرانية قللاً لدى أوساط مختلفة من الطيف التركي؛ من سياسيين واقتصاديين، خصوصاً أنها تركّز على القطاعات الإستراتيجية المهمة، ومعلوم أن مفاتيح الشركات الاقتصادية الإيرانية يديرها الحرس الثوري الإيراني، فمعظم النشاط الاقتصادي الإيراني يركّز في تركيا

الإيرانية تجاه تركيا والإقليم.

انعكاسات هذا التحوّل على العلاقات الثنائية

من خلال الاحتكاك المباشر مع المسؤولين الأتراك، نستطيع أن نقول أنّه ليس هناك نيّة لدى الأتراك لخصوص مواجهة من أي نوع مع إيران، فهم يعتمدون سياسة «الطمأنة الدائمة» على الرغم من كل السلبيات التي شهدتها العلاقة الثنائية مؤخراً، والتهجّم الإيراني على تركيا سياسياً وإعلامياً وحتى أمنياً كما ذكرنا.

لكن إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ثلاثة متغيّرات أساسية في المنطقة، فإننا سنصل إلى استنتاج يشير إلى أنّ التنافس بين الطرفين سيشتدّ حكماً خاصّة وأنّ اللعبة الإقليمية لا تزال صفريّة في شكلها الحالي، فمكسب أحدهم هو خسارة للآخر دون شك. أمّا المتغيّرات فهي: افتراض بقاء الحرائق الإقليمية إلى وقت غير قليل، تضارب الأجندات والأدوات والوسائل المستخدمة في تنفيذ هذه الأجندات، إعادة ترتيب واشنطن أوراقها في المنطقة على أساس التركيز على منطقة آسيا - الهادئ.

اللافت للنظر أنّ هذا التدهور في العلاقة بين الطرفين لم يتم استغلاله من الدول العربية المتضررة من السياسات الإيرانية أيضاً في محاولة بلورة سياسة مشتركة مع تركيا لمواجهة هذه المخاطر، على الرغم من علمنا أيضاً أنّ هناك حساسيات تركية إزاء تطوير مثل هذا البرنامج المشترك لأسباب متعددة منها الحرص على عدم الظهور بمظهر القوّة الطائفية في المنطقة، رغم أنّ الوقائع على الأرض تجاوزت هذا الحرص، علماً أنّ إيران تحاول إبقاء البوابة مفتوحة مع تركيا على حساب العرب، حيث يشير دبلوماسي إيراني رفيع المستوى كان قد خدم في سوريا من قبل بأنّه «مهما ساءت العلاقة مع تركيا فإننا قادرون على التفاهم على ملفات ثنائية وفقاً لمصالح مشتركة، لكن من غير الممكن أبداً أن نتفاهم - مع ما وصفها بأنها - دول بترودولارية لا تمتلك قرارها وإنما تأتيها الأوامر من الخارج»، في إشارة إلى الدول العربية والخليجية منها!.

على قطاع الطاقة والاتصالات والبناء. كما أنّ عدداً من العملاء الإيرانيين يعملون في هذه القطاعات إضافة إلى قطاع المال الذي يوفر لهم وصولاً مباشراً إلى الأموال الساخنة لتمويل العمليات التي يقومون بها داخل البلد المستهدف، وفي هذه الحالة تركيا؟

٥- أمّا على المستوى الإقليمي: فعلى الرغم من أنّ كلاً من العراق ولبنان والخليج العربي مثلت حالات اختبار للسياسة الإيرانية بالنسبة إلى تركيا، لكن الملف السوري كان الأكثر حضوراً وتأثيراً في التوجهات التركية العامة أو الخاصة، الرسمية أو غير الرسمية من إيران في الآونة الأخيرة. فقد كشفت الثورة السورية الوجه الحقيقي للسياسات الإيرانية بالنسبة للأتراك، بحيث لم يعد بالإمكان السكوت عنها بعد الآن. كما تحررت الشريحة التي كانت تفضّل البقاء صامتة أو مترددة حيال انتقاد إيران رغم معرفتها بحقيقة السياسة الإيرانية السلبية من القيود التي تمنعها من رفع الموضوع إلى مستوى النقاش العام، بل وتسليط الضوء عليه أكثر فأكثر.

بولنت كينيش، رئيس تحرير صحيفة «توداي زمان» التركية الأوسع انتشاراً في تركيا، والمتخصص في السياسة الإيرانية لنيله شهادة الدكتوراة في موضوع «الثابت والمتغيّر في سياسة إيران الخارجية ١٩٧٩-٢٠١١» والتي أشرف على حيثياتها الأولية وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو، يعدّ واحداً من هؤلاء على سبيل المثال.

فقد قام كينيش مؤخراً بنشر كتابين، أحدهما في العام ٢٠١٢ تحت عنوان: «إيران تهديد أم فرصة؟»، والآخر في العام ٢٠١٣ «عملياً» تحت عنوان «إيران والإرهاب: من حسن الصباح إلى اليوم» يسلط الضوء - ولأول مرّة بشكل مباشر وواضح وصريح - على السياسات التخريبية الإيرانية في المنطقة، طارحاً مصطلحات ومفاهيم جريئة في هذا الصدد.

كما حصل تحوّل لدى بعض الكتاب الذي كانوا يؤيدون إيران في السابق بعدما أدركوا حقيقة سياساتها واختبائها خلف مصطلح «المقاومة» ترافق ذلك مع تحرر أكبر في تناول وانتقاد وفضح أي عمل يتعلق بالسياسة

وثيقة الأزهر الشريف لحقوق المرأة

بمبادرة مخلصة من فضيلة الإمام الأكبر
اجتمعت كوكبة من كبار المثقفين وعلماء
الأزهر استكمالاً للدور الذي تبنته مؤسسة الأزهر العريقة عقب ثورة يناير لتأسيس الوطن على مبادئ كلية تستهدي بها قوى المجتمع المصري والعربي لترشيد خطاها صوب المستقبل، حيث أثمرت وثيقة الأزهر الأولى حول طبيعة الدولة وبيان الأزهر الداعم لحراك الشعوب العربية صوب الحرية والديمقراطية، وبيان الأزهر حول منظومة الحريات الأساسية، وتدارس الجميع الدور الفعال الذي تقوم به المرأة في المجتمع المعاصر ومشاركتها النشطة في الحياة العامة، وضرورة وضع إطار شامل لحقوقها وواجبتها انطلاقاً من المبادئ الإسلامية السمحة وما يتوافق من المواثيق والعهود الدولية والخبرة الحضارية للشعب المصري في تجربته الماضية وطموحاته المستقبلية في إطلاق طاقات أبنائه وبناته لبناء المستقبل.

وقد توافق المجتمعون على المحددات التالية أساساً لهذا الإطار الكلي:

أولاً: يتأسس وضع المرأة في الإسلام على المساواة مع الرجل، سواء في مكانتها الإنسانية وعضويتها في الأمة والمجتمع، أو مسئوليتها العليا في الاستخلاف على الأرض لإعمارها وتحمل الأمانة التي تتطلب الاختيار والإرادة، والمرأة إنسان كامل الأهلية والمسئولية عن أعماله مثل الرجل كما ينص القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ﴾ [آل عمران: ١٩٥] فمبدأ المساواة والمسئولية المشتركة بين الجنسين قرره آيات واضحة بحيث لا يجوز تحجيمها من خلال أحكام جزئية خاصة بسياقات معينة.

ثانياً: تمتد هذه المساواة لتشمل ما يتعلق بالنفس

والروح والكرامة الإنسانية إلى جانب المشاركة في المسئولية عن الكون وإعمار لتحديد طبيعة علاقة المرأة بالرجل، بحيث لا يمكن فهم «القوامة» من المنظور الإسلامي الصحيح باعتبارها تمييزاً للرجل على المرأة، بل تعني في الأساس «الالتزام المالي نحو الأسرة» بحيث يأخذ الزوج على عاتقه توفير حاجات الزوجة المادية والمعنوية بصورة تشعرها بالطمأنينة والسكن، بما يحقق المسئولية المشتركة بعيداً عن السلطة التصرف المطلقة والهيمنة من قبل الزوج أو الأب تجاه الزوجة والأولاد.

ثالثاً: تعتمد مسئولية المرأة الاجتماعية على الثوابت الإسلامية الكبرى في مرحلة التأسيس، فقد كانت «بيعة النساء» التي حدثت في صدر الدعوة الإسلامية حجر الزاوية في بناء الأمة الإسلامية على ما يشبه «العقد الاجتماعي» الذي أعقبته البيعة العامة بين الرسول الكريم وسائر المسلمين، ولم تكن دلالة هذه البيعة دينية فحسب، بل كانت سياسية واجتماعية وثقافية بادرت بها النساء وسبقن الرجال، ومن ثم فإن إطلاق المساواة لتشتمل الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية يعتمد على النصوص الصريحة والسوابق التاريخية الموثقة في الإسلام، وقد أسهم تطور المجالات والأدوار والأنظمة في تعزيز مكانة المرأة ومشاركتها المتصاعدة والفعالة تراعيها القوانين والتشريعات تحقيقاً للمصالح المرسل، وأخذاً باجتهاد علماء الأمة في التفسير والتأويل، وهي عملية تاريخية وثقافية مستمرة، من حق المرأة عندما تأخذ نصيبها الوفير من المعرفة والعلم والتأهيل، بل من واجبها أن تسهم فيها بكل طاقاتها وإمكاناتها.

رابعاً: تتمتع المرأة بالأهلية الكاملة والشخصية القانونية المستقلة، ولها ذمتها المالية المنفردة وحق التصرف وحدها فيما تملك منذ صدر الدعوة إعمالاً لمبدأ الثابت في القرآن الكريم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم» وهذا ما تتضافر على إثباته جميع النصوص والأحاديث والسوابق التاريخية على مر العصور. وقد حرص التشريع الإسلامي على تأكيد حق المرأة الثابت في الميراث وأطلق عليه وصفاً جعله «نصيباً مفروضاً» ووضع الضمانات الكفيلة بحمايته.

أما ما أثير من جدل حول هذا النصيب ونسبته إلى الرجل فقد أسىء فهمه، إذ لا يمكن اعتباره دليلاً على الانتقاص من أهلية المرأة ومكانتها في الإسلام لأن مبدأ المساواة هو الأعم والأشمل، ولأن حالات الميراث عديدة منها يبلغ فيه نصيب المرأة نصف ميراث الرجل ومنها ما يتساوى معه أو يزيد عليه طبقاً لدرجة القرابة من ناحية، والمسؤوليات المرتبطة بالحقوق من ناحية أخرى، فالحالات التي يزيد فيها نصيب الرجل تقتزن دائماً بواجبه في الإنفاق على المرأة سواء كانت زوجة أو ابنة أو أختاً لكي يظل نصيبها خالصاً لها دون الرجل، الأمر الذي يحقق منظومة المساواة والعدل معاً ويؤدي إلى التوازن بين الحقوق والواجبات.

خامساً: « تقوم المرأة بالدور الجوهري في تشكيل الأسرة التي هي نواة المجتمع وعماده، والأسرة كيان تعاقدى يعتمد على علاقة إدارية تنشأ بالاتفاق الحر الصريح ولا تنفص إلا بالاتفاق أو بالتعويض، وللمرأة في ذلك كله إرادة متساوية في إنشاء الأسرة وإنهائها مع الرجل حسب ما تنص عليه شروط العقد وأساسه التراضي والقبول المتبادل، ويتولى التوثيق حماية الطرفين وبخاصة حقوق المرأة.

وتقع مسئولية الإنفاق على الأسرة على عاتق الرجل وحده إلا إذا قررت المرأة طوعاً مشاركته ولا يقتضي ذلك إلغاء حقوقها في القيام بأدوارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية الأخرى، فليس للرجل أن يتعدى على هذه الحقوق أو يسلبها منها،

فكيان المرأة مصون وحريتها في التصرف مكفولة، وعلاقتها بالرجل لا تعتمد على الهيمنة بل على المودة والرحمة والتكافل مع حفظ جميع الحقوق والواجبات.

وإذا كانت مسئولية الأمومة ورعاية الأطفال تضطلع بها المرأة في الأساس فإن واجب الأبوة يفرض على الرجل المشاركة في تنشئة الأطفال ورعاية الأسرة، حيث لا يجوز أن يسبب دور المرأة في الإنجاب في التمييز الاجتماعي ضدها، بل على الأبوين تقاسم المسئولية بشكل عادل ومتوازن يراعي كيان الأسرة ومصلحة الأطفال في الدرجة الأولى.

سادساً: لم يعد التعليم بجميع مراحل ومستوياته، ولا العمل بمختلف أنواعه ودرجاته مجرد حق للمرأة مثل الرجل، بل أصبح واجباً على الدولة أن تتكفل به وترعاه، وتهيئ كل السبل لرقيه ودعمه، دون أدنى تمييز بين الرجل والمرأة في ذلك، فطاقات الإنسان لا يمكن تعطيلها وقدرات البشر العقلية والمعرفية هي أساس بناء الحضارات، لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، وإذا كانت بعض العصور قد آثرت توزيع الأعمال البدنية والعقلية طبقاً للحاجات الاجتماعية فإن خبرات الأمم اليوم قد أدت إلى تعديل الأدوار وتكافؤ الفرص، وقد عرف المجتمع الإسلامي في عهده الزاهرة مشاركة المرأة الفعالة في علوم الدين والمعارف والإنسانية والفنون المختلفة، وتفوقها على نظيرتها في الثقافات الأخرى في تلك العهود، بل إن رفع شأن المرأة كان سمة حضارية انتقلت عبر الأدب والشعر والثقافة في الأندلس إلى الآداب الأوروبية في العصور الوسيطة في حركة شعراء «التربادور» وإرسائهم التقاليد الفروسية النبيلة.

سابعاً: يؤدي كل ما سبق إلى إقرار منظومة حقوق المرأة السياسية وحفزها على المشاركة الفاعلة في الترشيح لجميع المناصب القيادية وفي

رفاق دريد لحام يكشفون أسرارهم

علي محمد طه - موقع المنكف الجديد ١٤٢٤/٨/١٢ هـ

في مشهد من مسرحية (ضيعة تشرين) يعود المقاتلون من أرض الكرم المحتلة منهزمين، فلم يجدوا شيئاً مما كان قد قاله لهم مختار القرية من كون عدوهم ضعيفاً وجباناً ولا يملك سلاحاً، وكانوا قد وجدوا العكس في أرض الميدان، فالعدو قوي ومتسلح بشكل جيد بينما هم أسلحتهم قديمة وعددهم قليل وغير مؤهلين لخوض معركة الكرامة مقابل العدو الغاشم، وفي لحظة محاسبة الذات ولوم المختار الذي زج بهم في هذه المعركة غير المتكافئة، وكونه هو من أعطاهم معلومات غير صحيحة، بل وكاذبة مما تسبب في هزيمتهم وتقهقرهم أمام العدو الذي كان قد احتل جزءاً من الأرض، فبات بعد هذه المعركة محتلاً للأرض كلها، في خضم هذا الموقف الحزين وقف المختار مبتهجاً مختلاً فخوراً بنفسه ليقول لهم أنتم لم تنهزموا، بل أنتم منتصرون، نظر الجميع له بدهشة واستغراب متسائلين عن أي انتصار يتحدث هذا، فأعاد قوله: نعم أنتم انتصرتم لأن حلم وهدف عدوكم لم يتحقق من المعركة، فنظروا له مجدداً مستغربين، فقال لا تستغربوا فقد كنت أنا الهدف من الحرب، وكان هم العدو اسقاط النظام ولكنه فشل في ذلك، وانظروا كيف أنني أعيش بينكم واتحفظكم بنظرياتي وأفكاري. هيا ارقصوا وافرحوا فأنتم منتصرون اليوم. وبهذا ضحك المختار على شعبه بهذه الأكذوبة والمهزلة التي تفتقت من مخيلته وصدق الشعب المغلوب على أمره ما قاله له مرة بالترغيب وأخرى بالترهيب، يذكرنا هذا المقطع من المسرحية التي كان أحد أبطالها دريد لحام بمواقف الفنان نفسه الذي ظل طوال خمسين سنة ماضية يصعد رؤوسنا بمسرحياته وأفلامه التي تتحدث عن الصراع العربي الإسرائيلي، وعن الظلم

الدولة وممارسة واجبها في الانتخاب والتصدي للمسؤولية في جميع المؤسسات والمواقع التي تؤهلها كفاءتها وقدراتها على القيام بها دون أية عوائق، كما يؤدي إلى ضرورة تشجيع المرأة كي تحقق ذاتها وتكتشف مواهبها وإمكاناتها ولا تضع سقفاً لطموحاتها العلمية أو العملية مادامت قادرة على المواءمة الدقيقة بين كل ذلك وواجبتها في الحياة الأسرية في إطار من التعاون والمودة بينها وبين الرجل.

كما يفضي إلى تأكيد منجزاتها في المجال الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وإدراك أهمية مضاعفة دورها في التنمية والتقدم لا عن طريق قيامها بواجباتها التربوية والأسرية فحسب، بل عن طريق إسهامها في كل مجالات الحياة بكفاءة واقتدار.

ثامناً: قد يكون من نتائج هذه المشاركة في الحياة العامة في العصور الحديثة انتشار ظواهر تعرض المرأة للأذى البدني بالتحرش بالقول أو بالفعل أو بالاغتصاب وانتهاك حرمة الجسد فردياً أو بممارسة جماعية كالإتجار بالبشر والرقيق الأبيض، الأمر الذي يفرض على استفسار منظومة قيمه الأخلاقية لمقاومة هذه الظواهر السلبية، ويفرض على الدولة تحديث التشريعات الرادعة والقوانين المانعة لهذه الممارسات الإجرامية، وأخيراً فإن المرأة في المفهوم الإسلامي الذي عززته المبادئ الإنسانية والدولية والتجارب الحضارية صاحبة حق أصيل في الجماعة الوطنية، تمتلك جميع حقوق الإنسان في إعمار الكون وتنمية المجتمع بمسؤولية تامة دون أدنى تمييز عن الرجل، ومقدار كفاءتها واستعدادها تسهم في رقى في رقى الأمة وحضارتها.

والله الموافق

والنظم الديكتاتورية محملة بطابع عروبي قومي، وكان للعبه على وتر هذه المواضيع الحساسة والمشوقة للجماهير الغاضبة سبب كبير في شهرته ونجاحه وتألق نجوميته، ومع مرور الأيام بدأ هذا الرجل يفقد بريقه بسبب مواقفه، وعلاقاته المشبوهة مع حزب الله الذي تربطه به علاقة وثيقة، حيث يعتبر عضواً غير رسمي فيه، فهو من والد شيعي دمشقي ووالدة من بلدة (مشغرة) في البقاع اللبناني مع أنه ينتمي منذ سنوات طويلة للحزب القومي الاجتماعي السوري الذي يطالب بعودة السوريين في بلاد الشام إلى جذورهم الفينيقية القديمة كمرجع عرقي لكل أهل الشام بغض النظر عن دينهم وانتمائهم، الحقيقة التي لا يمكن التغاضي عنها أن هذا الرجل المتلون استطاع تسلق كل طريق يخدم مصالحه ومصالح من يعمل معهم من فنانين ومثقفين وسياسيين، ولعل الكثيرين يجهلون أن اسم (غوار) الذي تسمى به في أعماله الفنية وتسبب في شهرته هو اسم لفلاح فقير يعمل في تنظيف المكاتب في التلفزيون السوري كان اسمه (غوار). دخل دريد للفن من أبوابه العريضة عن طريق نهاد قلعي وخلدون المالح واستطاع الالتفاف عليهما وجني ما انجزاه من جهد فني لينسبه لنفسه، وهذا ما أكدته رفيق سبيعي في كتاباته وهو ما قاله عمر حجوي ياسين بقوش و محمد الماغوط ونهاد قلعي الذي مرض أثر ضربه على رأسه بكروسي في مطعم (النادي العائلي) بدمشق من قبل أحد ضباط سرايا الدفاع العاملين مع رفعت الأسد مما تسبب له في نزيف دماغي، وقد حضر دريد قصة ضربه، وعند الشهادة شهد بما يؤيد ضاربيه، وقام ببيع رفيق دربه من أجل ضباط رفعت الأسد، زرت ذات مرة أسرة الراحل نهاد قلعي وقد كان تصرف دريد تجاه نهاد مزعجاً لهم وخاصة أنه تلقى مساعدات كان من المفترض أن تصل إلى نهاد عن طريقه ليضعها في حسابه الخاص عرضت علي عائلة نهاد قصاصة كتبها بيده قبل موته تقول (إن شخصية غوار الطوشة التي

جسدها دريد لحام في أعماله هي في الحقيقة تجسد حقيقة أخلاقيات هذا الرجل)، وطبعاً شخصية غوار هي الشخصية الانتهازية الكاذبة المراوغة التي تعيش على النصب وعلى الاحتيال، وهذا كان حال دريد مع كل من عمل معهم خلال الاربعة عقود الماضية، زرت ذات مرة في بيته فوجدت شهادات تقدير ودروعا مهداة له من قبل حزب الله وعندما سألته عن علاقته به قال هي وطيدة فهو حزب مقاوم تجمعني به روابط الدين والمقاومة، وأنا أدعاه معنوياً ومادياً وفي كل شيء وحتى أولادي يتمنون الانتساب له، دريد لحام في ذاكرة الدراما السورية يجسد النصب وسرقة إبداع الغير وقد حررت بحقه الكثير من القضايا التي تتهمه بالنصب والاحتيال، ولكن علاقاته الأمنية حالت دون إدانته كونه كما يقال عنه في سوريا مدعوم. ذات مرة زرت مع كاتب قصة (وطن في السماء)، حيث كان قد اتهم دريد بسرقة قصة روايته حرفياً وتكرار له ولقصته وبعد إنكار لمعرفته به بقصته وبعد شروعا للخروج من بيته ناداه دريد مهدداً (شوف أنا ما بضر حدى لكن في الوقت المناسب بتظهر لي مخالف وأستطيع أذية أي أحد) الغريب أن هذا الرجل اختير عام ١٩٩٧م سفيراً للنوايا الحسنة لمنظمة اليونيسيف في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

مع أنه أبعد ما يكون عن النوايا الحسنة،

وهذه بشهادة كل من عملوا معه خلال السنوات الماضية، فهو في نظرهم الفنان البخيل الذي يأكل حقوق من يعمل معهم، وهو الماروغ الذي لا يؤمن جانباً. الغريب أن هذا الفنان يجد من يسوق له أعماله لأسباب كثيرة منها صلته مع شقيق زعيم عربي كبير تربطه به رابطة نسب ومنها إدارة بعض القنوات الفضائية التي يديرها أشخاص من نفس طائفته والتي لا يزالون يعملون على تكريسه كرمز للصمود والتصدي رغم سقوطه منذ عام ١٩٩٤م، ومع مسلسل (أبو الهنا) الذي فشل فشلاً ذريعاً وهم يريدون تسويقه رغم أنه سقط فنياً

واستغل الناشطون وسائل الاتصال الحديثة بكل مهارة ليحلموا بوطن تصان فيه حقوق أبنائه، وهنا الكلام ليس إنشائياً، بل هو استعارة من الكثير مما كتب في بداية الثورة السورية، وكما حدث في دول الربيع العربي التي سبقت سوريا فقد كان الناشطون ويجدّون صحفياً المرحلة، وفيما وقع النظام في (حيص بيص) كما يقال وما عاد يعلم من أين تأتيه الضربات، فهو في بنيته الأساسية كان متخلفاً، وكان جهازه الأمني أكثر مفاصله تخلفاً وغباء، فاستعان بالوسائل القديمة وباللغة الخشبية نفسها ليدافع بها عن نفسه من خلال وسائل إعلامه المهترئة، مستعيناً بمجموعة من الصحفيين والمراسلين والكتاب الذين تم تأهيلهم على مدى سنوات، فبرزت على الفور أسماء بعينها لتدافع عن «دولة الممانعة والصمود» في وجه «المؤامرة الكونية» كذا... إلى آخره، فتصدر المشهد محللون من أمثال «خالد العبود، طالب إبراهيم، شريف شحادة» وسواهم، ولكل من هؤلاء قصة ولعل أغربها، بل وأشهرها قصة شريف شحادة الذي برز فجأة ليصبح محلاً سياسياً بارزاً، يدلي بدلوه في جميع المناسبات، ويطل على وسائل الإعلام كافة، مشخصاً محلاً مستقيضاً في الشروح، طبعاً لا تنبئ السيرة الشخصية لشحادة بأنه كان سيصبح في أفضل الحالات صحفياً محلياً في مدينته اللاذقية التي جاء منها، فالرجل ابتداءً حياته المهنية مرافقاً لفواز الأسد ابن عم بشار الأسد الذي كان وقتها مديراً لنادي تشرين الرياضي، أي أنه انطلق من صفوف الشبيحة، ثم تم نقله إلى الاتحاد الرياضي العام في العاصمة دمشق، بعد ذلك صار شحادة مشرفاً على منتخب سوريا للناشئين بكرة القدم، وفجأة ومع بداية الثورة تحول إلى «كاتب ومحلل سياسي» بعد ذلك وفي أول انتخابات لمجلس الشعب انتقل شحادة ليتبوأ مقعده في مجلس الشعب، ولعل هذا النموذج البسيط يقدم صورة عن الكثيرين سواء ممن تمت

وأخلاقياً. كتبت هذه المقالة بعد علمي بقيام قناة عربية تصف نفسها بالرائدة بشراء مسلسله (سنعود بعد قليل) لعرضه في رمضان القادم، والعمل يتحدث عن أوضاع سوريا الحالية ويروي قصة عائلة هاجرت من سوريا إلى لبنان بسبب الوضع المتردي في سوريا، فهل سيتقبل الناس مشاهدة مسلسل يقوده شبيح دعم النظام لسنوات، ولا يزال كما يقول السوريون وحاول بعضهم إيقاف تصويره في لبنان عدة مرات... هذا ما سنعرف الإجابة عنه في رمضان القادم.

من خفايا شريف شحادة وآخرين

ناصر الزعزوع - موقع المنقف ٢٠١٣/٧/٨

عام ١٩٦٣ استولى حزب البعث على السلطة

في سوريا، ووضع البلاد في حالة من الركود بعد أن فرض العمل بقانون الطوارئ، وحل جميع الأحزاب والجمعيات التي كانت فاعلة في تلك الفترة، وأغلق الصحف والمجلات، واستمرت حالة الركود تلك عقوداً طويلة، وبعد أن كانت «سوريا» رائدة في العمل الصحفي، تمت بسترة هذا العمل وتدجينه ليتحول إلى جهاز ملحق بالمؤسسة الحزبية الحاكمة، فيما بعد سيكون جزءاً من المؤسسة الأمنية وذلك في أعقاب الانقلاب العسكري الذي قام به حافظ الأسد واستولى على السلطة، وتطور النموذج الحاكم من دولة حزبية إقصائية إلى دولة مخابراتية إغائية، وبرزت الأجهزة الأمنية قوية مسيطرة على مختلف مناحي الحياة السورية.

مع بداية عام ٢٠١١ تعرضت سوريا لهزة

عنيفة كشفت عن حقيقة في غاية الحساسية، وهي أن البلد الذي كان يتشدد مسؤولوه بالانفتاح والتحرر ليس سوى سجن كبير، وأن أي محاولة لتجاوز بوابات، بل نوافذ هذا السجن قد تؤدي بصاحبها إلى المجهول.

بدأت الثورة على النظام إعلامية بجدارية

قناة الجزيرة، فأى صوت غير الصوت الذي يخرج من أقيية المخابرات مرفوض تماماً، وأى خبر ينشر عكس ما هو مطلوب هو إعلان حرب من وجهة نظر النظام.

ختاماً دعوني أورد حادثتين شخصيتين:

عام ٢٠٠١ كنت أعمل عملاً إدارياً في إحدى مؤسسات وزارة الإعلام السورية، سألتني إحدى الموظفات معي في القسم: «ما هي واسطتك حتى تعمل هنا، وأنت لست منا؟».

يترك تساؤل تلك «الزميلة» الباب مفتوحاً على اتساعه أمام العديد من الأسئلة، فما معنى أن «تكون منا؟» وهل يحتاج إعلامي وكاتب واسطة كي يعمل في بلده؟

وإلى أي مدى كانت هذه الـ «منا» تختصر واقع الحال الإعلامي في سوريا؟

وفي حادثة أخرى، نشرت في أحد المواقع الالكترونية مقالاً عشية انعقاد «مؤتمر حزب البعث الحاكم في سوريا» عام ٢٠٠٥ بعد أيام من نشر المقال زارني في عملي رجل أمن، وأجرى معي تحقيقاً سريعاً حول ما قصده في المقال كذا إلى آخره، وقبل خروجه قال الكلمات التالية: «نحن نرى كل شيء، والصحافة يجب أن تفهم هذا جيداً».

الملف الأسود للشبيح غسان بن جدو

محمد أمين - موقع المثقف الجديد ١٤٣٤/٨/٢٢هـ

لم نكن بحاجة لثورة عظيمة كالثورة السورية لكي نكتشف شخصاً اسمه غسان بن جدو، فالرجل لم يكن يمارس تقيّة دينية أو سياسية، فقد كان ميله بل ارتباطه الوثيق واضحاً بمشروع إيران في المنطقة، وهو مشروع له العديد من الدوافع، أهمها الدافع الاعلامي. لقد كان غسان بن جدو أحد الأسلحة الناعمة بيد إيران في سعي حثيث بدأه الخميني منذ مطلع عقد الثمانينات من القرن المنصرم للسيطرة على المنطقة.

ترقيتهم على أيدي «جهاز المخابرات» وتحولوا لصحفيين، وعلى العموم الأمر ليس جديداً في سوريا، فلو سئل أي صحفي في سوريا عن رئيس اتحاد الصحفيين «الياس مراد» لقدّم إجابة لا تختلف كثيراً عن سيرة شحادة المهنية، ويقدم اسم «الياس مراد» جاهزاً في كل انتخابات تجري ولا مجال أمام أعضاء اتحاد الصحفيين سوى اختياره.

وربما لا يستغرب الكثيرون، كما لا

أستغرب أنا، أن تكون الأجهزة الأمنية في بلد أمّني بامتياز مسيطرة على مفردات العملية الإعلامية من ألفها إلى يائها، دون أن تفوتهم شاردة أو واردة، فلنكني يصبح أي صحفي مراسلاً لإحدى القنوات التلفزيونية أو الإذاعات أو الصحف، فإن إضبارته تتم الموافقة عليها من قبل لا مكتب واحد، بل مكاتب أمنية مختلفة، فإن لم يحصل على الموافقة الأمنية فلا يمكنه العمل، بل إن الأمن وفي بعض الحالات يطلب من المراسل الذي تتم الموافقة عليه أن يوقع ورقة يتعهد بموجبها بالتعاون معهم وتزويدهم بأي معلومات عن أشخاص قد يشك فيهم، أو يشكلون من وجهة نظرهم تهديداً من خلال تصريحاتهم التي يدلون بها، وتخضع حركته وتنقلاته لمراقبة شبه دائمة، ولأن اللعبة بأساسها في يد الأمن فلم يعد مستغرباً والحالة هذه أن يتحول بعض العاملين في الأمن إلى صحفيين ومراسلين، ولعله لا جدوى من ذكر أسماء بعينها هنا فالقائمة تطول، ويكفي أن نذكر أسماء رفيق لطف وحسين مرتضى ونزار ميهوب وشادي حلوة ليتبين القارئ شكل الإعلام الذي تم تصنيعه، ولعل ما شهدته الأزمة من انشقاقات أعلنها العديد من الإعلاميين تختصر كثير من القصة، فالإعلاميون الذين أعلنوا انشقاقهم لا يقلون أهمية عن العسكريين، فكلاهما كان يمثل بالنسبة للنظام سلاحاً يوجهه إلى صدور المواطنين، وقد أفرغ النظام الساحة السورية من جميع القنوات الفضائية العاملة وأغلق مكاتبها، بل وحرص شبيحته لتعطيم تلك المكاتب ومحاصرتها كما حدث مع

القرون على العقول والجغرافيا فقد كان يحلم أن ترفرف رايات ثورته المزعومة في الفضاء العربي.

ولد بن جدو عام ١٩٦٢ في تونس من أب

تونسي وأم مسيحية لبنانية تزوجها والده إبان عمله كدبلوماسي في سفارة بلاده في بيروت. وبدأ عمله في الإعلام مراسلا لجريدة الحياة في الجزائر، وتقل بعد ذلك في العديد من وسائل الإعلام حتى استقر أخيرا في قناة الجزيرة، حيث ترأس مكتبها في طهران لعدة سنوات، ثم في بيروت ليستقبل منها بعد أن انحازت المحطة مع الثورة السورية، حيث وجد أن مصالحه مع إيران وسوريا وحزب الله تتعارض مع بقائه في المحطة، وبعد استقالته المعللة بخروج المحطة عن واجبها الإعلامي، وتحولها إلى غرفة تحريض حسب زعمه، ولكن ما حصل بعد ذلك ينفي بالمطلق الأسباب التي ساقها للاستقالة، فسرعان ما افتتح بن جدو قناة جديدة حملت اسم (الميادين) بتمويل إيراني غايتها الوقوف أمام المد الثوري العربي قبل أن يقتلع جذر إيران من المشرق العربي إلى غير رجعة.

الحديث عن غسان بن جدو يستدعي على

النور حديثا عن مرحلة كاملة تسيّدت فيها

إيران المشهد في الشرق الأوسط تحت يافطات أثبتت الأحداث زيفها. كان غسان بن جدو حصان طروادة بالنسبة لإيران حيث زرعه في قلب أهم محطة إخبارية عربية ليدس السم في العسل، ويسوّق لمشروعها، وقد نجح إلى حد بعيد، فالرجل لا تتقنه الثقافة والحضور وقوة الحجة وقدرة الوصول إلى مشاهديه، وقد اتخذ من برنامجه (حوار مفتوح) منبرا أسبوعيا يمرر من خلاله ما يشاء من ترهات ما يسمى بمحور المقاومة والممانعة، وقد كان له دور بارز في تصدير ما جرى في عام ٢٠٠٦ (حرب حزب الله المفتعلة مع إسرائيل) على أنه انتصار إلهي في حين أن ما تعرض له لبنان من دمار أجبر حتى حسن نصر الله على الاعتراف علنا بأنه ما قام به مغامرة غير محسوبة النتائج، وقد بدأ

يلمع نجم بن جدو بعد ذلك ويُستقبل في العواصم العربية استقبالا يليق بـ (إعلامي مقاوم)، وخاصة في دمشق، حيث كان النظام يحتفي به احتفاء غير عادي، وكان أغلب الإعلاميين السوريين يدركون ماهية الدور الخفي الذي يلعبه، ويتمنون أن يأتي اليوم الذي تتكشف فيه أوراق هذا التونسي المتشيع (أعلن بن جدو تشييعه) والمرتببط بإيران وأدواتها في المنطقة (بشار الأسد وحزب الله) ارتباطا عقائديا (بن جدو متزوج من شيعية لبنانية) .

وفي أواخر عام ٢٠١٠ أشعل شاب تونسي

نفسه ليشعل كل شيء في العالم العربي، ويزيل

الغشاوة عن عيون الغافلين، حيث انتقلت نيران محمد بوعزيزي إلى ليبيا واليمن ومصر وكان غسان بن جدو من أوائل الإعلاميين العرب الذين وقفوا إلى جانب الثورات العربية، وباركوها معللين أنفسهم بأن تقف النار عند حدود معينة، وأن لا تصل إلى سوريا، وهي جوهرة التاج في مشروع إيران الذي قطع شوطا لا بأس به في تخدير الوعي العربي حيث استفادت من ترهل الأنظمة العربية التي أكل عليها الدهر وشرب، ولكن رياح التغيير العاصفة لم تأت كما تشتهي سفن إيران وأدواتها وأزلامها، فقد أعلن أحرار سوريا في منتصف آذار من عام ٢٠١١ انتهاء زمن الذل وبدء زمن جديد، فجاءت الأوامر من الاستخبارات الإيرانية لغسان بن جدو، ومن يسير في ركابه لإعلان استقالة من قناة الجزيرة للإيحاء للمشاهدين العرب أن هذه القناة تحاول ضرب (محور المقاومة والممانعة)، ولم تكن إيران تدرك أن زمن الأكاذيب السوداء قد ولى، وأن الأقنعة قد سقطت عن وجه مشروعها فبان قبحه وخبثه، وأن أدواته قد بدأت تنهار على وقع صرخات شباب مؤمن بالتغيير، وقد حاول بن جدو بالفعل الإيحاء أن استقالته جاءت لأسباب تتعلق بالدور الذي تقوم به القناة، وكان بن جدو وبعد ١٥ عاما من العمل فيها مراسلا ومقهما ومديرا لمكاتبها في أكثر من عاصمة قد اكتشف بقدره

يروج له هو ونظام الأسد عن (المؤامرة الكونية) التي تستهدف سوريا ومحور الممانعة.

كتب بن جدو منذ بعض الوقت مشبها الربيع العربي بالفارس مقطوع الرأس «انه فارس مخيف بلا ملامح.. وبلا حياة»، وذهب بن جدو بعيدا في توصيفه لربيع الشعوب المقهورة من قبل أنظمة مستبدة»، جثة تنتقل من بلد إلى بلد على متن راحلة قطرية فيما هي تتعفن وتنتشر الوباء والطاعون النفسي والأخلاقي.. والذباب والدود والموت والاستعمار الجديد» توصيف ينم بشكل واضح عما يعمل في سريرة وعلانية هذا الرجل الذي باع نفسه لإيران ومشروعها الخبيث وسوف يأتي يوم لا أراه بعيدا لن يجد راحلة إيرانية في العالم العربي تنقله إلى جحور قم وطهران، فلسوف تقصم الثورة السورية ظهر إيران وحينها لن يكون هناك مكان لذباب ودود (الولي لفقيه) وقاسم سليمان (قائد فيلق القدس الإيراني) في الأرض العربية .

أبشروا بالتطرف!!

أسامة شحادة - صحيفة الغد ٢٠١٣/٦/٢١

نشرت الغد مؤخراً تقريراً عن تحول أبناء بعض السياسيين والمسؤولين نحو الجهاد في سوريا والالتحاق بالتطبيقات الإسلامية المسلحة هناك، وهذا شيء طبيعي لمن يقرأ المشهد العام بشكل موضوعي، فبعد أن راج عقب الثورات في تونس ومصر مقولة أن فكر العنف وخطاب القاعدة انتهى وأن الجماهير العربية عرفت طريقها للتغيير بشكل سلمي وحضاري، إلا أننا بتنا نشك في ذلك !

وبرغم مئات المؤتمرات والندوات عن ضرورة التعددية والانفتاح بين الإسلاميين ومعارضهم ومخالفهم فضلاً عن المقالات والأحاديث الإعلامية، إلا أن الوقائع على الأرض اليوم تسف هذه الشعارات والدعوات عن بكرة أبيها، فما هو

قادر أنها قناة تحريضية، وقد ساق بن جدو العديد من الأسباب غير المقنعة والتي اثبتت الأيام زيفها وبطلانها إذ سرعان ما أعلن عن مشروعه، وهو قناة الميادين واختار لها شعار (الواقع كما هو) شعار بالمطلق يستدعي الدهشة والاستغراب، ومنذ انطلاقة هذه القناة الممولة من إيران بدا أن مهمتها الأساسية لي عنق الربيع العربي لإفراغه من مضاميمه الرائعة وحرفه عن مساره وادخاله في أنفاق فكرية كفيلة بخنقه.

وبدا واضحاً أن بن جدو أميناً على رؤية مرشده وولي فقهه (الخامنئي) الذي قال:

«سوريا كما كانت أو لن تكون لاحد». لقد بدأت (الميادين) تشهر خناجرها الإعلامية السوداء منذ الأيام الأولى لانطلاقتها لطعن الثورة السورية في مقتل، حيث روجت للعديد من القضايا التافهة والمختلفة كقضية (جهاد المناكحة)، حيث ادعى بن جدو أن هناك نساء عربيات (تحديداً من موطنه تونس) ذهبن إلى سوريا للترفيه عن المجاهدين، حيث يجاهدن بأجسادهن. تهمة ساقطة من إعلامي ساقط يتمرغ بوحل الرذيلة والعمالة لإيران وأدواتها، وقد انقلب السحر على الساحر، حيث نشر موقع بيروتني نبأ ارتباطه المحرم مع مذيعة قناة المنار (الممانعة) بتول ايوب، نبأ سرعان ما تناقلته مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل إعلام لتسقط ورقة أخرى من اوراق (اعلامي المقاومة)، وقبل هذا النبأ (الفضحية) ارتكب غسان بن جدو خطأ إعلامياً أصاب صدقية ميادينه في مقتل، وقدمت دليلاً دامغاً على ارتباطها بالاستخبارات الإيرانية، حيث عرضت ما قالت أنه صور لسيارة جيب إسرائيلية في القصير بعد دخول حزب الله على البلدة، وقد هلل (إعلام المقاومة) لهذا السبق العظيم لقناة الميادين، وبدأ ينسج الخرافات عن دعم (اسرائيل) للثوار في سوريا، ولكن سرعان ما انكشفت لعبة بن جدو، فالسيارة كانت من بقايا الجيش الإسرائيلي إبان وجوده في الجنوب اللبناني نقلها حزب الله إلى القصير للتأثير على الرأي العام العربي، وتأكيد ما

السبب في ذلك، دعونا نحاول للممة المشهد بقدر الإمكان:

في سوريا يصطف اليساريون بمختلف ألوانهم وأطيافهم خلف بشار الأسد جنباً إلى جنب مع كل الميلشيات الشيعية التابعة لإيران من لبنان والعراق واليمن والبحرين والعراق والسعودية.

وفي الوقت الذي تعادي هذه الأحزاب اليسارية الإسلام السياسي السني في مختلف البلاد تتحالف مع الإسلام السياسي الشيعي !! والذي يمتلك نسخته الخاصة للديمقراطية والتي هي أسوأ بمراحل كثيرة جداً عن ديمقراطية الحركات الإسلامية التي ترفضها هذه الأحزاب اليسارية، فهل لهذا تفسير سوى الانتهازية ؟

في سوريا تتواصل المجازر اليومية وأنهار الدماء تسيل بينما لا يزال محور الإجرام النظام السوري والروسي والإيراني والصيني يتلاعب ويستغل ورقة التطرف والإرهاب في مفاوضاته مع الغرب والجامعة العربية، وليس مهماً أرواح السوريين الأبرياء التي ترهق، وهذا كله والنظام السوري هو من كان يسهل لهم العبور للعراق وهو من أطلق سراح المسجونين منهم مع اندلاع الثورة !!

أما في مصر فجبهة الإنقاذ تقود كافة المعارضين والخصوم للإخوان وللتيار الإسلامي في عدااء صارخ لا يحتكم إلى أي قيمة علمانية أو حداثة أو ديمقراطية مما يتغنون بها ويتشدقون، بل يصرح بعضهم بأنهم لن يسمحوا للإسلاميين بالحكم وأن مكانهم الطبيعي السجون، ثم لا ينكر البقية عليهم هذا التصريح، وهو ما يعرف بالفقه الإسلامي الإجماع السكوتي !

وما يجري على أرض مصر من أحداث شغب وعنف لو قام ببعضه الإسلاميون لقامت الدنيا ولم تقعد.

وفي تركيا يؤيد العلمانيون وقلول إيران وبشار المظاهرات الشيوعية التخريبية والتي لا مبرر لها

سوى العجز عن التقدم باللعبة الديمقراطية.

وينظر الإسلاميون إلى بعضهم البعض علام

يحارب العلمانيون وخاصة اليساريون أردوغان ؟ فإذا كان أردوغان برغم تهاونه ومسايرته للعلمانيين من جهة والإنجاز الضخم والأمانة والشرف من جهة أخرى لا يرضى عنه العلمانيون وخصوم الإسلاميين فما هو النموذج الذي يرضيهم؟ ويمكنهم التعايش معه ؟

وفي لبنان يتحرك الجيش اللبناني ضد مجموعة الشيخ أحمد الأسير بينما عريضة حزب الله باحتلال بيروت أو انفجارات مستودعاته كل فينة فأمر لا يعني الجيش !

وفي بورما يقتل المسلمون في حرب إبادة عرقية ودينية ولا يتحرك العالم ولا أحد يدافع عن هؤلاء المساكين.

ويتصدر المسلمون قوائم المهجرين والللاجئين في العالم من أفغانستان والصومال وسوريا والعراق والسودان وطبعا فلسطين من قبلهم

وهذا الظلم والبطش تجاه الإسلاميين بل والإسلام لا يختلف في البلدان الأخرى فخصوم ومعارضو الإسلاميين لا يعارضون بشرف ورجولة مواطن الخطأ والزلل - وهي موجودة - ولا يسعون لتقديم البديل، بل إن الغاية هي إنهاء الوجود الإسلامي السياسي نفسه وإعادة وضعه في السجون ولو كان ذلك بالتحالف مع الشيطان أو خراب الأوطان.

الإسلاميون ليسوا كتلة واحدة وليسوا على رأي واحد، فهم أطياف متنوعة ولهم جمهور عريض ولكن الجميع يشعرون اليوم أن الروح الإيجابية التي سادت بداية الربيع العربي من التعاون والانفتاح مع بقية الأطياف تتلاشي، وأن فكرة نبذ العنف والتطرف التي فرح الجميع بها تكاد تغيب وتتصاعد أصوات المنادين بالحسم والقوة بعد أن خفتت وتوارت عن الأنظار، وحجتهم بأن الحل الوحيد للصراع مع الدولة العميقة والرافضين

للمشروع الإسلامي هو الحسم وعدم التهاون لأنهم لن يرحموا التيار الإسلامي إذا تمكنوا.

وأصبح التساؤل المطروح بقوة اليوم في أوساط الإسلاميين وجماهيرهم الغفيرة، هل يمكن التعايش مع هؤلاء الخصوم الذين لا يقبلون بأي تسوية أو حل لا يتضمن التنازل عن أي مكتسب للإسلاميين بالانتخابات، وأن على الإسلاميين تسليم خصومهم مقاليد القيادة سواء فازوا أو خسروا في الانتخابات!

وأصبح التساؤل بين الإسلاميين وجماهيرهم: إلى متى يتحالف العلمانيون والطائفيون والخارج ضد رغبة الجماهير باختيار المشروع الإسلامي؟

وأصبح التساؤل في أوساط الإسلاميين وجماهيرهم: عن جدوى اللعبة السياسية وعن صلاحية السلمية منهج للتغيير الحقيقي في مجتمعاتنا؟

إن تصاعد وتيرة العنف سيكون هو النتيجة الوحيدة لهذه السياسات والمسلكتين العلمانية والطائفية من الداخل والخارج، لقد شبت الشعوب والجماهير عن الطوق، فإما أن تجد لها متفلساً سلمياً في السياسة تمارس فيه قناعاتها بشكل حقيقي وإلا إذا حوصرت وضيق عليها الخناق فإن تطرف البعض أو الكثير لن يكون مستغرباً.

إن نزع فتيل العنف والتطرف في المنطقة هو اليوم بيد القوى السياسية المختلفة والسلطات الحاكمة والقوى الدولية بإقرار العدل والقبول برغبة الجماهير بالمشروع الإسلامي، مع النقد والمعارضة البناء والإيجابية.

لكن يبدو أن القوى الدولية والعلمانية والطائفية المحلية ترغب بدوام دوامة العنف لتبرر بها جرائمها وعدوانها واستبدادها وانقلابها على الديمقراطية وقبل هذا كله لضمان بقاء إسرائيل آمنة مطمئنة لا ينكر عليها عدوانها وجرائمها واحتلالها في وسط غابة الإرهاب والتطرف.

انتقالية أم انتقامية؟

وائل قنديل - صحيفة الشروق ٢٠١٣/٧/٥

يبدو أننا في حاجة لأن ننسف كل ما عرفناه من علوم سياسية حتى نقر بأن ما جرى في مصر ليس انقلاباً حتى لو كان أبيض. الوضع بمنتهى الوضوح أن المؤسسة العسكرية أقدمت على عزل رئيس جمهورية قادم بالانتخاب، بعد إنذار شديد اللهجة أمهله ٤٨ ساعة لحل الموقف السياسي المعقد.. وبعد ذلك خرج الرئيس الجمهورية طارحاً مبادرة أو مجموعة أفكار لم يكن أحد من الذين قرروا أن يصرمونها مصبحين للتعامل معها أو الاهتمام بها.. ثم بعد انتهاء المهلة خرج وزير الدفاع بخارطة مستقبل تتطابق تماماً مع ما طرحه الرئيس مع فاروق وحيد هو إزاحة الرئيس من المشهد.

لقد أعلن الرئيس قبوله بحكومة ائتلافية تضم مختلف ألوان الطيف السياسي وتشكيل لجنة لإنفاذ التعديلات المطلوبة في الدستور، وأخرى للمصالحة الوطنية، وإشراك الشباب في الحكم، والذهاب إلى انتخابات برلمانية.

وهذه الخطوات ذاتها تضمنتها خارطة المستقبل التي أعلنها القائد العسكري، لكن بدون وجود رئيس الجمهورية، ومع تعطيل العمل بالدستور، والمجيء برئيس المحكمة الدستورية حاكماً للبلاد، مع الأخذ في الاعتبار أن كل ذلك جرى في مقر وزارة الدفاع بناء على استدعاء القائد العام للقوات المسلحة لقيادات سياسية ودينية.

تلك هي مفردات الصورة التي يمكن للرئيس الأمريكي باراك أوباما أن يضعها أمام طالب مبتدئ في العلوم السياسية ويطلب منه تعريفاً مناسباً لما جرى.

إن ما يحدث منذ إعلان وزير الدفاع لخطه

لم يعد هلالاً شيعياً

جمال خاشقجي - الحياة ٢٠١٢/٦/١٥

عندما صيغ مصطلح «الهلال الشيعي» قبل أعوام كان ذلك في معرض التحذير من مشروع التمدد الإيراني عبر المشرق العربي. الآن وبعد هزيمة الدول الإقليمية الكبرى في معركة القصير وشعور الأصولية الشيعية بنشوة الانتصار، المتجلية في تدفق مئات المتطوعين الشيعة من العراق والرعاية الإيرانية المعلنة للحرب، فإن الهلال بصدد التحول إلى محور سياسي طموح يمتد من طهران حتى بيروت مروراً ببغداد ودمشق.

ستخرج خرائط من أدرج وزارة النفط الإيرانية لمد خط أنابيب عبادان - طرطوس للنفط والغاز الإيراني، وخرائط أخرى من أضاير هيئة السكك الحديدية الإيرانية لمد سكة حديد طهران - دمشق، بل حتى بيروت. لم لا؟ فالزمان زمانهم. لا أبالغ، فثمة أفكار حقيقية لمشاريع مثل هذه تحدثت عنها طهران منذ أعوام ولكن لم تقدم عليها، ولكنها ستفعل في الغالب بعدما تحسم المعركة لمصالحاتها في سورية، فمن الطبيعي أن تعزز انتصارها على الأرض بربط محورها المنتصر بمنظومة سياسية واقتصادية وعسكرية واحدة.

سيحقق مرشد الثورة الولي الفقيه آية الله خامنئي حلمه بالخطبة من على منبر المسجد الأموي، معلناً أنه حقق الوحدة الإسلامية التي طالما وعد بها، سينزل من المنبر في شكل استعراض ليمسح على رأس طفل دمشقي كسير ليظهر «تسامح القوي»، ثم يقف بجوار عدد من علماء السنة السوريين بجباتهم وعمائمهم البيض، فهناك دوماً رصيد من أمثال المفتي أحمد حسون جاهزون للخدمة، يضم أيديهم إلى يديه ويرفعها عالياً بينما تنهال عليهم فلاشات الكاميرات التي تسجل هذه اللحظة التاريخية.

المستقبل يبدو شيئاً مثيراً للدهشة والعجب، فبعد هتاف صاحب للحشود الغاضبة «الحرية بتتولد» اشتغلت آلة المصادرات وإغلاق القنوات الفضائية والصحف المؤيدة للرئيس الذي تم عزله، وبعيد الإعلان عن مصالحة وطنية بغير إقصاء أو إبعاد دارت ماكينة الاعتقال تحصد قيادات الإخوان والإسلاميين.

وأخشى لو استمرت الحرية تتوالد بهذه الوتيرة فلن يبقى في مصر مكان لصوت أو قلم ينطق بما يغضب السادة أصحاب المستقبل، الأمر الذي يحول المرحلة من انتقالية إلى انتقامية بامتياز.

لقد مكث محمد مرسى في الحكم عاماً واحداً، كان يتعرض خلاله للشتم والسباب والتخوين والإهانة من قنوات وصحف لم تترك مفردة في قاموس البذاءة إلا واستخدمتها، بل أن بعضاً من هذه المنابر اتهمت وزير الدفاع بالخيانة والتفريط في الفترة التي أعقبت اختيار الدكتور مرسى له ومع ذلك لم تمتد يد لصحيفة أو قناة بالإغلاق أو بالمصادرة، فضلاً عن أن السادة الحقوقيين والمتكلمين باسم حرية التعبير كانوا يوفرون غطاء يحمي كل هذه الانتهاكات المهنية والأخلاقية، لمجرد أنها توافق هواهم في النيل من رئيس أرادوا إسقاطه.

لقد أصيب المغردون دفاعاً عن حرية الإسفاف والبذاءة بالخرس هذه المرة، فلم نسمع لهم صوتاً ولا همساً ضد عمليات الاعتقال والمصادرة التي تدور على نطاق واسع، والأكثر رداءة أن منهم من يبررها بحجة أنها إجراءات استثنائية مؤقتة، وهم أول من يعلم أن «الاستثنائي» في بلادنا يصبح مقيماً وأبدياً في مثل هذه «الثورات المدركة». فعلاً «الحرية بتتولد»

سعيد المرشد أن تكون صلاته القادمة أو صلاة خليفته في القدس (لا بُد أن يتواضع قليلاً)، ولكنه لن يشير إلى الجولان، فهو يعلم أن الروس باتوا يشكلون القوة الرئيسة التي تفصل بين القوات الإسرائيلية والجانب السوري الخالي من أية قوات إلا قوات رمزية، فمواجهة «التكفيريين» الذين ما زالوا يقومون بعمليات يائسة في المدن السورية، حتمت على الجيش السوري وقوات «حزب الله» الانتشار في المدن الكبرى والقرى السنية في سورية ولبنان لحفظ الأمن فيهما.

في عصر ذلك اليوم، سيقام احتفال كبير في قصر دمشق رُمم حديثاً ولكن لا تزال آثار الحرب بادية عليه، لتوقيع اتفاق الدفاع المشترك يوقعها رؤساء إيران والعراق وسورية ولبنان، بينما يقف المرشد خلفهم مبتسماً مستشعراً رهبة اللحظة، فلعل الإمام الغائب المنتظر حاضر هناك يبارك الاتفاق.

نعود جنوباً نحو الرياض، هادئة مغبرة، ولكنها قلقة بعدما حُسمت المعركة لمصلحة بشار الأسد وحلفائه، تعلم أنه انتصار إيران ومشروع الخميني القديم وليس انتصاراً لبشار الذي أصبح مجرد ممثل للولي الفقيه في دمشق، يقلقها تزايد النشاط الإيراني من حولها، تخشى على البحرين، الحوثيون باتوا المسيطرين بلا منازع على نصف اليمن الشمالي القديم، والجنوب اليمني الذي كان أهله حلفاء تقليديين للسعودية يتآكل تدريجاً لمصلحة إيران.

اختفت مشاريع الوحدة الخليجية، فحتى بعض دول الخليج بات حريصاً على إرضاء طهران حفظاً لما تبقى من سيادته. تلاشت فكرة السوق العربية المشتركة والهلال الخصيب، وسقط معها حلم إحياء سكة حديد الحجاز التي تمتد من إسطنبول حتى مكة المكرمة عبر سورية والأردن. حتى الأوروبيون باتوا يشترون النفط الإيراني الذي يصل إليهم عبر خط أنابيب عبادان - طرطوس، ويدرسون مع الإيرانيين ربط شبكة الغاز الأوروبي

بنظيرتها الإيرانية. نسوا عقوباتهم القديمة، فالعالم يفضل التعامل دوماً مع المنتصرين.

داخلياً، موجات هائلة من الغضب وسط الشباب الذي يشعر بأن حكومات المنطقة فشلت في التصدي للمشروع الإيراني. يموج الشباب بحالة احتقان طائفي شديد. تزيد الطين بلة ضغوط اقتصادية. أفكار التطرف انتشرت وانشغلت الأجهزة الأمنية بتعقب أكثر من تنظيم.

كابوس مخيف... أليس كذلك؟ لذلك أعتقد بأن السعودية تحديداً لن تسمح بانتصار إيران في سورية. لقد كان الوجود الإيراني ثقیلاً هناك منذ أن تحالف حافظ الأسد مع الثورة الإسلامية في إيران بعد انتصارها مباشرة قبل ٤٠ عاماً، ولكن قوة النظام السوري كانت توفر بعضاً من التوازن والاستقلالية، ولكن بعدما بات ابنه بشار يدين للإيرانيين و«حزب الله» بالفضل أنه لا يزال حياً ويحكم ولو بلداً مدمراً، بات مجرد «تابع» لطهران وليس حليفاً على قدم المساواة. ضاع كل توازن، حينها سيكون الوجود الإيراني في سورية ولبنان تهديداً صريحاً للأمن القومي السعودي والتركي أيضاً.

وبالتالي، لا بد للسعودية أن تفعل شيئاً الآن، ولو وحدها، فأمنها هو الذي على المحك. سيكون من الجيد أن تنضم الولايات المتحدة إلى حلف تقوده المملكة لإسقاط بشار وإعادة سورية إلى حضنها العربي، ولكن يجب ألا يكون هذا شرطاً للتحرك. لتكن السعودية القائدة بمن حضر. لنضع جانباً كل قلق من تداعيات الربيع العربي وصعود «الإخوان» وطموح الأتراك، وليكن الهدف «إسقاط بشار» وسريعاً، فهو هدف كفيل بجمع قوى متنوعة من عشائر الأنبار إلى «حماس» إلى «إخوان» مصر وتونس ودول الخليج. حينها ستتشجع تركيا للانضمام إلى هذا الحلف، قد تتبعها فرنسا، حينها ستأتي الولايات المتحدة أو لا تأتي، لا يهم... إنها معركةنا وأمننا وليس أمنهم.

الديمقراطية اسم لا حقيقة له

أ.د جعفر شيخ إدريس

لم تجد الديمقراطية في تاريخها كله رواجاً مثلما وجدت في عصرنا هذا؛ لقد كان معظم المفكرين الغربيين منذ عهد اليونان كثيри النقد لها، بل ورفضها، حتى إن أحد الفلاسفة البريطانيين المعاصرين ليقول: إذا حكمنا على الديمقراطية حكماً ديمقراطياً بعدد من معها وعدد من ضدها من المفكرين لكانت هي الخاسرة.

أما في عصرنا فإن الدعاية الواسعة لها أعمت كثيراً من الناس - ولا سيما في بلادنا - عن عيوبها التي يعرفها منظروها الغربيون. بل إن المفتونين بها المروجين لها صاروا يصورونها كالبسم الشافي لكل مشكلات المجتمع السياسية وغير السياسية. لذلك رأيت أن أشارك في تصحيح هذه الصورة الكاذبة ابتداءً بهذا المقال الذي أرجو أن يكون فاتحة لكتاب كامل عن مشكلات الديمقراطية والبدايل الإسلامية.

أول ما يؤخذ على الديمقراطية كونها اسماً لا حقيقة له؛ أعني أنه إذا وصف لك نظام سياسي بأنه دكتاتوري أو ديني مثلاً تصورت ما المقصود بهذا الوصف، وكانت صورتك الذهنية هذه مطابقة للواقع الذي يوصف بهذا الوصف. ولكن ليس كذلك الأمر بالنسبة للديمقراطية؛ إذ إن الديمقراطية كما يدل عليها اسمها، وكما يعرفها كبار منظريها وساستها هي حكم الشعب. لكن الصورة الواقعية لما يسمى بالديمقراطية - مهما كانت حسناتها أو سيئاتها - ليست هي حكم الشعب:

أولاً: لأن مفهوم الشعب نفسه مفهوم غامض كما يرى بعض كبار منظري الديمقراطية. استمع إلى الأستاذ (روبرت دال) الذي ربما كان صاحب

أشمل بحث أمريكي عن الديمقراطية، وهو الذي وُصف في غلاف كتابه هذا الذي ننقل عنه بأنه «من أبرز منظري زماننا السياسيين» وأنه نال على هذا الكتاب جائزتين كبيرتين:

«إن دعاة الديمقراطية - بما في ذلك الفلاسفة السياسيون - يتميزون بكونهم يفترضون مقدماً أن هنالك شعباً موجوداً فعلاً. إنهم يعدون وجوده واقعاً صنعه التاريخ. لكن هذه الواقعية أمر مشكوك فيه، كما كان مشكوكاً فيه في الولايات المتحدة عام ١٨٦١م، عندما حسم الأمر بالعنف لا بالرضى ولا بالإجماع. إن الافتراض بأن هنالك شعباً موجوداً، وما يبنى على هذا الافتراض من لوازم تصير جزءاً من النظرية الديمقراطية الخيالية».

ثانياً: لأن الشعب لم يكن في يوم من الأيام ولن يكون حاكماً؛ ذلك أمر متعذر. وإليك بعض شهادات أهلها على ذلك:

إن الديمقراطية المثالية هي ما يسمى بالديمقراطية المباشرة التي يقال إنها كانت تمارس في أثينا، أول دولة ديمقراطية نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد. تسمى بالمباشرة؛ لأن «الشعب» كان يجتمع في العام أربعين مرة ليناقدش كل القضايا السياسية المهمة مناقشة مباشرة ويصدر فيها قراراته. لكنها مع ذلك لم تكن حكم الشعب:

١- لأن الذين أسسوا النظام الديمقراطي كانوا فئة قليلة من الناس هم الذين قرروا من الذي يستحق أن يدخل في مسمى الشعب الحاكم ومن الذي لا يستحق، فاستثوا النساء، والرقائق، وكل من كان من أصل غير أثيني مهما طال مكثه فيها؛ وعليه فلم يكن الذين لهم حق المشاركة السياسية إلا نسبة ضئيلة من المواطنين.

٢- كان يكفي لاعتبار الاجتماع منعقداً أن يحضره ستة آلاف مما يقدر بست وثلاثين ألف عضو، أي إن القرارات المتخذة فيه لم تكن

قرارات تلك الفئة كلها التي أعطيت حق الحكم.

٣- كانت مدة الاجتماع لا تتجاوز عشر ساعات؛ فلم يكن بإمكان الناس جميعاً أن يشاركوا في المداولات، وإنما كان الذي يستأثر بالكلام بعض قادتهم، وكانت البقية تابعة لهم.

لما بعثت الديمقراطية مرة ثانية في القرن الثامن عشر في أوروبا كان من المتعذر أن تكون ديمقراطية مثل ديمقراطية أثينا بسبب الازدياد الكبير في عدد السكان، وصعوبة اجتماعهم. ولكن بدلاً من أن يقال إن الديمقراطية بمعنى حكم الشعب غير ممكنة الآن، فلنبحث عن نظام حكم آخر يتناسب مع واقعنا. تحايل بعضهم فسمى ديمقراطية أثينا بالديمقراطية المباشرة، واقترح أن تكون الديمقراطية الحديثة ديمقراطية غير مباشرة، أو ديمقراطية تمثيلية، أي ديمقراطية يختار فيها الشعب فئة قليلة منه تكون ممثلة له وحاكمة باسمه. كان هذا التحايل ضرورياً؛ لأنه كانت هنالك أزمة سيادة: من هو الجدير بأن يكون السيد الأمر الناهي الذي لامعقّب لحكمه؟ كانت هذه السيادة للملوك، وكانوا يعدون هذا الحق حقاً إلهياً أعطاهموه الله تعالى؛ لأن الناس كانوا قبل ذلك مؤمنين يعتقدون أن مثل هذه السيادة لا تكون إلا لله أو لمن أعطاهها الله له. لكن الناس لم يعودوا يؤمنون بهذا بعد الثورة الفكرية الكبيرة التي حدثت في قرنهم الثامن عشر، والتي كانت في مجملها دعوة للانسلاخ من حكم الدين في كل مجال من مجالات الحياة. لم يكن هنالك من بديل لحكم الله أو لحق الملوك المقدس في الحكم، إلا أن يقال إن الحكم للشعب كله؛ فهو صاحب الكلمة الأخيرة فيما ينبغي أن يكون أو لا يكون، لكن الديمقراطية التمثيلية أو النيابية كانت بالضرورة أبعد من الديمقراطية المباشرة عن أن تكون حكماً للشعب؛ وذلك:

١- لأن الحكم له معنيان: حكم تشريعي، وحكم تنفيذي. فبأي معنى يحكم الشعب؟ لا

يمكن أن يحكم بالمعنى الثاني؛ لأن الشعب لا يمكن أن يكون كله رأس دولة أو مجلس وزراء أو قائد جيش، وكان الفيلسوف الفرنسي روسو أول من سخر من الديمقراطية بمعنى الحكم التنفيذي، فقال:

إذا أخذنا العبارة - يعني كلمة الديمقراطية - بمعناها الدقيق؛ فإنه لم تكن هنالك قط ديمقراطية حقيقية، ولن تكون. إنه من المخالف للنظام الطبيعي أن تكون الأغلبية حاکمة والأقلية محكومة. إنه لا يتصور أن يكون الشعب مجتمعاً دائماً لقضاء وقته في تصريف الشؤون العامة. ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون لجنا لهذا الغرض إلا بتغيير شكل النظام الإداري.

٢- لم يبق إذن إلا الحكم بمعنى التشريع؛ لكن الشعب ليس هو المشرع في الديمقراطية النيابية، وإنما هو الذي ينتخب من يشرع، ومرة أخرى نستمع إلى روسو ساخراً من هذا:

إن الأمة الإنجليزية تعتبر نفسها حرة؛ لكنها مخطئة خطأ فادحاً؛ إنها حرة إبان فترة انتخابات أعضاء البرلمان؛ وبمجرد أن ينتخبوا؛ فإن العبودية تسيطر عليها، فلا تكون شيئاً. وكيفية استفادتها من لحظات الحرية القصيرة التي تستمتع بها تدل حقاً على أنها تستحق أن تفقدها.

٣- لأن نواب الشعب ليسوا هم الشعب حتى لو كان اختياره لهم بالإجماع. ربما كان هذا معقولاً لو أن النواب يجتمعون للبت في قضية واحدة يعرف كل منهم رأي ممثليه فيها، أما والقضايا كثيرة ومعقدة وبحاجة إلى علم لا يتأتى لعامة الناس؛ فإن الحكم لا يكون حكم الشعب. نعم! إن كل نائب منهم يتجنب المشاركة في تشريع يعلم أن أكثر الناس في دائرته الانتخابية لا توافق عليه، وأنه إن شارك فيه فربما يفقد مقعده في الانتخابات التالية. لكن هذا قليل جداً من كثير.

٤- والمنتخبون لا يكونون في الواقع منتخبين بالإجماع الذي يقتضيه وصف الحكم بأنه حكم الشعب، وإنما ينتخبون بالأغلبية، والأغلبية ليست

وصوّت منهم ١١١، وعليه فقد كانت معدلات تصويت السكان الذين أعمارهم ١٨ عاماً أو أكثر ٥٥٪ من مجموع السكان، و ٦٠٪ من المواطنين، ٨٦٪ من المسجلين.

الديمقراطية الليبرالية:

هنالك أمر لا يتفطن إليه كثير من الناس هو أن الديمقراطية في البلاد الغربية ليست ديمقراطية خالصة مطلقة وإنما هي ديمقراطية مقيدة بالليبرالية. ما معنى هذا؟ الليبرالية نظرية سياسية فحواها أن المجتمع يتكون أساساً من أفراد، لا من طبقات ولا من أسر ولا من أي تجمعات أخرى. وبما أن الفرد هو أساس المجتمع، وبما أن له بوصفه فرداً حقوقاً أهمها حريته، فإنه لا يجوز للحكومة ولا لفئة من الشعب، بل ولا لأغلبية الشعب أن تتغول على حريته. ولذلك فإنهم يدعون إلى ما يسمونه بالحد الأدنى من الحكومة، أي إن الأساس هو أن يترك الأفراد أحراراً يختارون ما شاؤوا؛ فعلى الدولة أن لا تتدخل إلا تدخلاً اضطرارياً الغرض منه حفظ حقوق الأفراد التي قد يتغول عليها بعضهم. ويحذرون لذلك مما يسمونه بدكتاتورية الأغلبية. كنت أنوي الاستدلال على ذلك بكتابات عدد من الساسة والمنظرين الغربيين ولا سيما الأمريكيين منهم، لكن أغناني عن كل ذلك كلام وجدته لواحد منهم معروف اسمه (ليمان) قال عنه مقدمو الكتاب الذي نشره فيه مجموعة من مقالاته، والذي ننقل منه النصوص التالية: «إنه ربما كان أعظم مفكر سياسي أمريكي في القرن العشرين» فأليك بعض ما قال مما نحن بصدده:

«يجب في رأيي أن نرفض القول بأن مبادئ الحرية والعدالة والحكم الصالح إنما تتمثل في حكم الأغلبية.

هنا يكمن أصل المسألة. لقد كان [الرئيس] واشنطن يعتقد أن الشعب يجب أن يحكم، لكنه لم يكن يعتقد أنه بسبب حكم الشعب تتحقق الحرية ويتحقق العدل والحكم الصالح، كان

هي الكل، وما ترتضيه الأغلبية في دائرة معينة قد لا ترتضيه الأغلبية في دائرة أخرى، أو قد لا ترتضيه أغلبية الشعب لو كان انتخابه مباشراً، لكنه مع ذلك يعد ممثلاً للشعب وحاكماً باسمه.

٥- ثم إن الأغلبية لم تكن في بداية الديمقراطية هي أغلبية الشعب كله؛ فقد استثنوا منها النساء، واستثنوا بعض الفقراء، واستثنوا الأمريكيان الأرقاء، فلم يدخل النساء في مفهوم الشعب الحاكم الذي يحق له أن يصوّت إلا في عام ١٩١٨م في بريطانيا، وعام ١٩٢٠م في الولايات المتحدة، ولم يُعط السود هذا الحق إلا بتعديل للدستور الأمريكي في عام ١٨٨٦م؛ ولكن حتى بعد شمول مفهوم الشعب الحاكم لكل المواطنين باستثناء الأطفال، ظلت بعض الفئات محرومة من حق المشاركة في الانتخابات. استمع إلى ما يقول هذا المؤلف الأمريكي في كتاب له حديث عن الديمقراطية: ملايين من الناس يبقون فاقدين حق التصويت كلياً أو جزئياً؛ مئات الألوف من المواطنين الذين يعيشون في واشنطن العاصمة، مليون ونصف مليون ممن ارتكبوا جنحاً وعوقبوا على ارتكابها؛ لكن ولاياتهم تحرمهم رغم ذلك من التصويت. عدة ملايين من الذين يعيشون في بورتوريكو وأقاليم فيدرالية أخرى، والملايين غير المحددة في أمريكا كلها الذين تضيع أوراق تصويتهم، أو تحسب خطأ، أو تحطم في كل انتخاب.

٧- وبما أن الانتخابات في أمريكا إنما يشارك فيها من سجل اسمه للمشاركة فيها قبل بدئها، وبما أن كثيراً من الناس لا يسجلون أسماءهم؛ فإن الأغلبية إنما تكون أغلبية من صوتوا ممن سجلوا ممن يحق لهم أن يصوتوا. وقد كانت هذه النسبة في انتخابات عام ٢٠٠٠م كالآتي كما جاء في تقرير حكومي رسمي:

من مجموع عدد الناس البالغ ٢٠٣ مليون والذين كانت أعمارهم ١٨ عاماً أو أكثر، ١٨٦ مليوناً منهم مواطنون، سجل منهم للانتخابات ١٣٠،

كثيراً ما تحقق قدر من الحرية الثقافية والروحية في ظل حكم مطلق أكثر مما تحقق في بعض الديمقراطيات».

موقفنا من النظم التي تسمى بالديمقراطية:

النظم السياسية التي تسمى بالديمقراطية ليست هي إذن ديمقراطية بمعنى أن الحكم فيها للشعب، وإنما هي نظم سياسية مختلفة وإن كان بينها خصائص مهمة مشتركة. فمن الخطأ إذن تعريف الديمقراطية بأنها نظام الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة أو فرنسا أو غيرها من الدول الغربية. وعليه فإذا كان من حق هذه الدول أن تجتهد وتختار لنفسها ما تراه مناسباً لها من تفاصيل المؤسسات والقيم السياسية، مع أنها جميعاً تتسمى بالديمقراطية، أفلا يكون من حقنا أيضاً أن نختار من المبادئ والقيم السياسية ما نراه مناسباً لهويتنا وواقعنا ووسيلة أحسن لتحقيق أهدافنا، سواء كان فيه ما يشابه النظم الديمقراطية أو يخالفها؟ بلى! بل إن هذا هو المسلك الطبيعي لكل أمة تقضي بعقلها وتحترم نفسها وتعزز بهويتها وأصالتها.

وعليه فإذا أرادت دولة من دولنا أن تختار لنفسها نظاماً تراه معبراً عن هويتها ومناسباً لعصرها، فيجب أن تبدأ بتقرير المبادئ والقيم التي تريد للدولة أن تلتزم بها، ثم تبحث بعد ذلك عن المؤسسات المناسبة لعصرها وظروفها التي يمكن أن تحمل تلك القيم وتعبر عنها. يمكنها مثلاً أن تقول إنها تريد لدولتها أن تتميز بخصائص منها اختيار الأمة لحاكمها، وسيادة حكم القانون، وحرية الرأي، وأن يكون كل هذا في نطاق ما تؤمن به من منهج في الحياة لا يلزم أن يكون مماثلاً لمنهج الحياة الغربية. فإذا كانت أمة مسلمة جعلت كل ذلك في نطاق هدي الكتاب والسنة، وأضافت إليه أموراً مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على الدين والدفاع عنه، وهكذا إنه لا يلزم من موافقة الديمقراطية الليبرالية الغربية في بعض الجزئيات أن يأخذ الموافق سائر ما فيها، أو أن يتبنى فلسفتها، أو يتسمى

يعتقد أن الشعب ذا السيادة لا يؤمن — كما لم يؤمن الملك ذو السيادة الذي كان هو خلفاً له، على السلطة المطلقة.

إنه لم يخدع نفسه... إنه لم يكن يؤمن بما صار الآن الأديولوجية الديمقراطية السائدة: أن كل ما رأت جماهير الناس أنها تريده فيجب أن يقبل على أنه الحقيقة.

لقد كان يعلم أنه لا ضمان من أن يتحول حكم الشعب إلى حكم قهري، تعسفي، فاسد، ظالم وغير حكيم. إن الشعب أيضاً يجب أن يكبح جماحه. إنه كغيره يجب أن يحاسب. إنهم كغيرهم يجب أن يعلموا. إنهم كغيرهم يجب أن يرفعوا فوق مستوى سلوكهم المعتاد».

سيقول الديمقراطي الملتزم بمبدئه: لكنكم بهذا تضعون سلطة فوق سلطة الشعب؛ والمبدأ الديمقراطي هو أن السلطة للشعب، فلا أنت إذن يا لييمان ولا واشنطن من قبلك بديمقراطيين. سيرد لييمان بأنكم تحاجوننا بالديمقراطية الخالصة التي تؤمن بسيادة الشعب إيماناً مطلقاً، لكن الديمقراطية التي أتحدث عنها وأدعو إليها هي الديمقراطية الليبرالية التي تحد من هذه السلطة.

سيذهب بعض الليبراليين الذين جاؤوا من بعد واشنطن بعقود إلى أبعد مما ذهب إليه فيؤكدون أن الليبرالية عندهم هي الأساس، وأنه إذا حدث تعارض بينها وبين الديمقراطية فينبغي التضحية بهذه لا بتلك. فهذا هو المفكر الليبرالي هايك يقول بعد أن دافع عن الديمقراطية دفاعاً قوياً، وبعد أن بين ضرورة الليبرالية لها في كتاب له نال شهرة واسعة قبل خمسين عاماً:

لا أريد أن أجعل من الديمقراطية وثلاً يُعبد؛ فربما يكون حقاً أن جيلنا يتحدث ويفكر أكثر مما يجب عن الديمقراطية، وأقل مما يجب عن القيم التي تخدمها... إن الديمقراطية في جوهرها وسيلة. إنها أداة عملية لضمان الأمن الداخلي والحرية الشخصية، فليست هي بهذه المثابة معصومة ولا مضمونة. كما يجب أن لا ننسى أنه

باسمها. ثم إن ما في الديمقراطية من حسنات ليس خاصاً بها ولا مرتبطاً بها، بل يمكن أن تخلو هي منه كما يمكن أن يوجد في غيرها، بل قد وجد الكثير منه حتى في حياة جاهليتنا العربية! لكن المجال الآن ليس مجال التوسع في هذا الأمر.

زيف التوافق القومي الإسلامي

د. مصطفى الداوي - موقع الإسلاميون ٢٠١٣/٦/٢٧

لسنين طويلة مضت ظننت أن التيارين القومي العربي والإسلامي قد توافقا، وأنهما قد قفزا على مشاكليهما الداخلية، وقد طويا صفحات سوداء من تاريخهما الذي اتصف بالتصادم وعدم اللقاء، وشابه خلال سنوات طويلة في النصف الثاني من القرن العشرين، مواجهاتٌ وصداماتٌ مسلحة، أودت بحياة الكثير، وأضررت بمصالح البلاد ومرافقها العامة، وأثرت على سمعة الدول العربية ومكانتها الدولية، وتسببت في قطع جسور التوافق والتلاقي بين التيارين، بعد أن بالغ التيار القومي الذي كان يحكم في أكثر من بلد عربي في رد فعله على أتباع التيار الإسلامي، فاعتقل الآلاف منهم، وحاكم وأعدم المئات من خيرتهم، كما ساهم في تشريد وهروب أو هجرة عشرات الآلاف من المنتسبين للحركات الإسلامية.

ظننت أنهما قد تجاوزا الماضي، وقد تخلصا من ربكة الأنظمة السابقة، وأعلنا البراءة من كل ما سبب القطيعة بينهما، أو كان له دور في إثارة الخلافات والتناقضات بينهما، أو دفعهما للتنازع والاقتتال، وأنها رحما الأجيال التالية من الاحتكام إلى تاريخ أسلافهم، وتحمل مسؤولية أخطاء السابقين، بعد أن أدركا أنهما يمثلان جناحي الأمة التي بهما تنهض وتحلق، وبدونهما أو بأحدهما تصبح ضعيفة مهينة الجناح، عاجزة عن التحليق أو المواجهة، وأضعف من أن تصمد وتبقى.

ولكن هذا التزاوج بينهما كان يلزمه تسامحٌ ومصالحةٌ، وإقرارٌ من الطرفين بحاجة كل طرفٍ إلى الآخر، وأن أحدهما لا يستطيع شطب الآخر ولا تجاوزه،

وأنه لم يعد من الممكن أن يحكم فريقٌ الآخر، أو أن يجبره على الخضوع والنزول عند أحكامه ومفاهيمه، كما لم يعد من السهل أن يتفرد تيارٌ بحكم البلاد، وتسيير شؤون المواطنين، مهما كان قوياً وكبيراً، دون أن تنشأ بين التيارين تحالفات وتفاهات، تقوم على أرضية المشاركة في الوطن، وتقاسم الأعباء والمسؤوليات والواجبات.

وكان يسعدني كثيراً أن أرى أقطاب التيارين القومي والإسلامي يتلاقيان ويتحاوران، ويتبادلان الإبتسامات والتحيات، ويعقدان الخلوات والمؤتمرات، ويشتركان في الندوات والمحاضرات، ويحسن كلٌ منهما الإصغاء إلى الآخر، وتقدير آرائه واحترام أشخاصه، مع حرص واضح على تجاوز الماضي، والتعامل وفق مفردات الحاضر، والاعتراف بأهمية كل فريق، وبوجوب أن يكون له دور ومساهمة، فلا هيمنة ولا سيطرة، ولا شطب ولا إلغاء، ولا تهميش ولا إقصاء، ولا حرمان ولا اجتثاث، وإنما تقاسمٌ ومشاركةٌ، وتلاقيٌ وتحاورٌ وتفاهم، وهو ما بدا جلياً في المؤتمرات القومية الإسلامية، وفي مؤتمرات الأحزاب العربية، وفي مؤتمرات القدس والممتلكات العديدة التي عقدت من أجل القدس والأسرى وحقوق العودة وغيرها.

ولكن ما بال العهد بين التيارين قد نُقض، والحلف الذي بينهما قد انهار، والتفاهم الذي كان قد انتهى، وكأن التيارين كانا يخدعان بعضهما البعض، وينافق كلٌ منهما الآخر، ويبدیان خلاف ما يظهران، ويتحدثان نقيض ما يؤمنان أو يعلنان، وكأنهما كانا يدعيان التوافق وهما أبعد ما يكون عن اللقاء، فقد تواجه الفريقان، وتبارز التياران، ووقف كلٌ منهما في مواجهة الآخر، يتحديان بعضهما البعض، وقد صمم كلٌ فريقٍ على النيل من الآخر أو إسقاطه، وأبديا في معاركهما المشبوهة الاستعداد لتدمير البلاد، وإزهاق أرواح المواطنين، وإهدار مقدرات الأمة، وتحطيم آمال الشعوب، بل والتحالف مع الغرباء، والاتفاق مع الأعداء، من أجل أن يستقوي فريقٌ على الآخر، ليسقطه أو يوهنه.

التياران يعلمان أنهما يخاطران بمصالح الأمة،

الجديدة التي فازت ديمقراطياً في انتخابات حرة ونزيهة، بالتتحي وترك الحكم، أو بالخروج إلى الشوارع، والاعتصام في الميادين والساحات، وتعطيل الحياة العامة، وتجميد مرافق الدولة، حتى تخضع الحكومات لبلطجتهم وتتحى، رغم أنه لم يمض على هذه الأنظمة مدة زمنية كافية، تمكنهم من الإصلاح والإنطلاق، ومن فتح كل الملفات والتعامل معها.

ألا يحق لنا أن نشكك في حقيقة تلاقي التيارين

القومي والإسلامي، فقد كان لقاؤهما محض كذب، وحوارهما تسلية وتمضية وقت، واجتماعهما سراباً أو لالتقاط الصور وإحياء المناسبات، وأن الماضي الذي كان بينهما لم يغب، بل كان وما زال حاضراً وماثلاً بينهما كالجبال، يفصل بينهما، ويحول دون اتفاقهما بصدق، وأنهما كانا يخدعان شعوبنا، ويضحكان على أجيالنا، ويبطنان خلاف ما يظهران، وأنهما يخافان من بعضهما، ويرفضان احترام إرادة شعوبهما، وأن التيار القومي مازال يتطلع بعيون الماضي، ويحلم بسطوته القديمة، وسلطاته الكطلقة، وأنه استعظم أن يفوز المظلومون، وأن ينتصر المذبذبون، وأن يحكم البلاد الذين كانوا بالأمس في سجونها، ونزلاء زنازينها.

سكان أحياء بصنعاء يرفعون الكرت الأحمر في وجه الحوثيين ويمهلونها أسبوعاً لرفع خيامها

يمن برس - العربية نت ٢٠١٣/٧/٧

أهل سكان عدد من أحياء العاصمة اليمنية صنعاء جماعة الحوثي المدعومة من إيران مدة أسبوع لرفع خيامهم من ساحة التغيير وحي الجامعة والأحياء المجاورة للساحة.

وفي هذا السياق، قال رئيس اتحاد مالكي المساكن والمحلات التجارية بساحة التغيير وحي الجامعة والأحياء المحيطة بساحة التغيير سعد الحازي، «نطالب جماعة الحوثي برفع خيامهم من أحيائنا، لأنها تزيد أضرارنا ومن معاناتنا وتذر بكارثة إنسانية لأنهم يقطعون الطرقات ويقلقون أهالي هذه الأحياء».

ويعرضان أمن بلادنا العربية للخطر، ويدركان أن العدو فرح بما يجري في بلادنا، وسعيد بما يصيب قلوبنا ونفوسنا، وبما يلحق ببلادنا وبمؤسساتنا، فهو يتربص بنا، ولعله يذكي نار الخصومة بيننا، ويشعل فتيلها إن خبا أوراها، أو انطفأ لهيبها، فلا مصلحة لعدونا في أن نتفق، ولا أمل له بيننا أو بلادنا إن توافقنا وتلاقينا، ولهذا فإنه يستخدم بعضنا ليتسلل خلالنا، ويستغل خلافاتنا لينفذ بيننا، ويخدعنا ليكون له دورٌ ووجودٌ وتأثيرٌ ونفوذ.

كنا نظن أن ثورات الربيع العربي، وانحسار بعض

الأنظمة الشمولية والديكتاتورية، التي حكمت الشعوب بالحديد والنار، وأغلظت في تعاملها مع أتباع التيار الإسلامي بأشد مما عاملت به أقطاب التيار القومي، الذي نعيم في ظل أغلب هذه الأنظمة بالكثير من الحرية، فلم تُغلق مؤسساته، ولم تُسحب الشرعية من أحزابه، ولم تُصادر أمواله، ولم تُلاحق رموزه وأقطابه، ولم يُسجن أتباعه ومناصره، بل كانوا جزءاً من السلطة، وركناً من أركان الحكم، كنا نظن أنهما سيتعاونان معاً، وسيتفقان على إدارة شؤون البلاد، وتسيير الحكم فيها، وكنا نظن أنهما سيتبعان الشرعية، وسيخضعان للديمقراطية، وسيحترمان نتائج الانتخابات، وما تفرزه صناديق الاقتراع، وأنهما سيدلان لبعضهما الصعاب، وسيزيلان من طريق بلادهما العقبات، وسيواجهان معاً الأزمات والتحديات.

لكن المفاجأة كانت انقلاب القوميين على

الإسلاميين، وإعلان الثورة ضدهم، وتآليب الشارع عليهم، فقد رفض القوميون نتائج الانتخابات التشريعية والرئاسية، وشككوا في شرعية الانتخابات ونزاهتها، وطعنوا في دستورية الأحكام والمراسيم والقوانين، وحملوا القيادات الجديدة كل التركة القديمة، بكل ما فيها من فسادٍ وخرابٍ وتدهور، وما عليها من ديون والتزامات وتعهدات، رغم علمهم أنها تركت الأنظمة السابقة، وأنهم لا يتحملون المسؤولية عنها، وإن كانوا يبدون تصميمًا على مواجهتها والتصدي لها.

لكن التيار القومي أثر التحالف مع الفلول،

والإتفاق مع بقايا الأنظمة التي السابقة، من الفاسدين والمتورطين والمشاركين في جرائم كبيرة، وهدد الأنظمة

وأضاف في تصريح صحافي، «نقول للحوثيين الذين

يرفضون إخلاء خيامهم من ساحة التغيير والأحياء المجاورة أنتم دمرتم صعدة فلماذا تريدون تدمير أحيائنا»، ولفت إلى أن أهالي وملاك المساكن والمحلات التجارية قد قرروا منح جماعة الحوثي مهلة أسبوع لرفع خيامهم من الساحة وما جاورها.

ونوه إلى أن الأهالي وأصحاب المحلات التجارية

والمهنية والحرفية المتضررة بحي الجامعة والأحياء المحيطة بساحة التغيير يعتزمون تنظيم فعاليات احتجاجية مختلفة للمطالبة بإزالة ما تبقى من خيام نصبها المحتجون منذ اندلاع الثورة الشبابية السلمية مطلع ٢٠١١م، وأيضاً للمطالبة بتعويض المتضررين.

وكان أصحاب المحلات التجارية في حي الجامعة

والأحياء المجاورة لساحة التغيير قد تعرضوا لخسائر قال الحازي إنها قُدِّرت بـ ٤ مليارات ريال يمني (٢٠ مليون دولار أمريكي)، جراء نصب خيام الاعتصامات في الساحة ومداخل الأحياء المجاورة منذ فبراير شباط ٢٠١١.

ونوه بأن حكومة الوفاق الوطني أصدرت

توجيهات متكررة بشأن تعويض المتضررين من أصحاب المحلات التجارية في حي الجامعة والأحياء القريبة من ساحة التغيير، غير أن وزارة المالية لا زالت تعرقل تلك التوجيهات، على حد قوله. وأوضح رئيس اتحاد ملاك المحلات التجارية بساحة التغيير والأحياء المجاورة أن ٢٢٠٠ محلاً تجارياً تضررت، وأن ٢٥٠ محلاً تجارياً أفلست تماماً.

وكانت أغلب المكونات الشبابية الحزبية

والمستقلة قد غادرت ساحة التغيير وأزال خيامها باستثناء جماعة الحوثي التي ترفض مغادرة شبابها أو إزالة خيامهم وذلك للضغط على حكومة الوفاق الوطني والرئيس عبد ربه منصور هادي للحصول على مصالح وامتيازات خاصة، كما يقول سياسيون وخبراء.

وهددت جماعة الحوثي بعرقلة مؤتمر الحوار

الوطني، وإعاقة مسار العملية السياسية إذا تمت إزالة خيام شبابها المرابطين في ساحة التغيير بالعاصمة اليمنية

صنعاء.

وبحسب المصادر، فإن جماعة الحوثي التي تتهمها الحكومة اليمنية بتلقي الدعم المادي والسياسي والعسكري من إيران كانت قد اشترطت لإخلاء الساحة تعويض شبابها المعتصمين بمبلغ مليار ريال يمني (١٠ ملايين دولار أمريكي)، ومعالجة جرحى الحوثيين الذين أصيبوا خلال الحروب الست مع الجيش اليمني بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٩، وتوظيف ٣ آلاف حوثي في مؤسسات الدولة المدنية والأمنية والعسكرية، وهي شروط رفضتها اللجنة العسكرية جملة وتفصيلاً.

هذا ما فعله "حزب الله" في معركة صيدا

فادي شامية - المستقبل اللبنانية ٢٦/١/٢٠١٣

ظُهر الأحد أوقف حاجز الجيش اللبناني المتاخم لمسجد بلال بن رباح فادي البيروتني؛ أحد مرافقي الشيخ أحمد الأسير. بعد تالسن أطلق الجيش النار في الهواء. دقائق معدودة وانهمر الرصاص من كل مكان. استشهد عسكريون وجرح آخرون، وبدأت المعركة.

وسط هذا المشهد، وقبل أن يصبح المكان ساحة حرب، شاهد قاطنون في الحي النار تنطلق من الشقق المقابلة للمسجد، التي يتواجد فيها عناصر «حزب الله». وفيما بعد دخلت هذه الشقق - المراكز في المعركة. هاجمها مسلحو الأسير؛ وقتلوا وجرحوا فيها مجموعة، تبين في ما بعد أسماء بعضهم، وفق نعي الحزب لهم «أثناء قيامهم بواجبهم الجهادي» (القيادي ساجد البيروتني - جبشيت، وإبراهيم حسن عساف - كفرحتي، ومحمد صالح - حارة صيدا)!

وخلال أقل من ساعة واحدة؛ نفذ «حزب الله» و«سرايا المقاومة» انتشاراً في صيدا، وتمركزوا في التلال المشرفة على عبرا، كما في منطقة شرحبيل المقابلة، ومنطقة تعمير عين الحلوة، وبعض أحياء صيدا. كانوا يلبسون ثياباً عسكرية مرقطة ويضعون شارة صفراء. خاضوا قتالاً ضد مجموعات الأسير من جهة

الشرق بالقرب من مدرسة مكسيموس. بعضهم كان ملتحيًا، وبعضهم يحمل أدوات لخلع أبواب الشقق وتفتيشها. وذلك؛ في الوقت الذي كان الجيش اللبناني يقاتل المجموعات المسلحة للأسير، وقد سقط للحزب قتلى وجرحى في القتال؛ نُقلوا إلى مستشفى الراعي في صيدا، وفي ما بعد سيطروا على طريق مجدليون- جزين.

شمل انتشار الحزب أيضاً احتلال دارة المهندس

يوسف النقيب (تيار المستقبل)، وتلة مقابلة لدارة النائب بهية الحريري. كما شمل احتلال مبنى الرحمة في منطقة الهالالية (مبنى خيرى تديره إحدى الجمعيات القريبة من «الجماعة الإسلامية») بعد قصفه من حارة صيدا من قبل مسلحي «حزب الله» وحركة «أمل». وبعد مراجعة قيادة «الجماعة الإسلامية» للمرجعية السياسية للمسلحين؛ وافق هؤلاء على التواجد في حرم المركز دون بقية الطبقات.

ثمة أماكن كثيرة تصرف فيها الحزب بحرية

وكانه هو الجيش الوطني نفسه، حتى لجهة اللباس العسكري، حتى كاد الناس يظنون أنهم من الجيش فعلاً لولا أنهم كانوا ينادون رفاقهم بكنى غير متعارف عليها في الجيش، وتعريفهم عن أنفسهم أنهم «حزب الله». كثيرة هي المباني التي دخلوا إليها بهذا الوصف؛ واحدة منها في مجدليون تعود لآل الصلح (فيلا)، احتلوها واستعملوا سطوحها للقنص على مسلحي الأسير، أو على أي متقل في عبرا من دون أن تُعرف هويته (سقط أبرياء مدنيون جراء هذا القنص). الشيخ صاحب المبنى، وعائلته ومن يستضيفهم، اضطروا إلى مغادرة المبنى إلى اليوم التالي. حصلت أمور مشابهة في قرية السلام- ما بين عبرا وحارة صيدا. دخل مسلحو الحزب على غير بيت وفتشوه.

أما داخل مربع القتال وجواره؛ فقد كان حضور

الحزب طاغياً، وخوضه القتال مفضوحاً. في مبنى صالح حيث كان للحزب شقة عسكرية، تمدد عناصر الحزب واحتلوا شقق المبنى كله. هددوا السكان بضرورة فتح أبواب بيوتهم، لاستعمالها عند الحاجة تحت طائلة خلعها.

بعضهم الآخر اتصل بوسائل إعلامية موالية بادعائه أنه مدني يطلب النجدة من سطوة «شبيحة الأسير». من هذا المبنى خاض الحزب معركة نارية كبيرة؛ قُتل وجرح من مسلحي الأسير غير واحد بالتزامن مع قتال الجيش. في مبنى أبو ظهر المجاور الأمر نفسه تكرر. في مبنى مجاور (خلف KFC) نفذت مجموعة من الحزب بقيادة شخص معروف في المنطقة، أعمال قنص على المربع الأمني للأسير.

تمدد الحزب إلى الشوارع الأخرى، وصل إلى حديقة

عبرا. هناك تمركز الحزب وحوصرت عوائل قرب صيدلية «طالب»، بينهم نساء حوامل وأطفال. منع قناصو الحزب أي وسيلة إسعاف من الوصول إلى المنطقة، وأطلقوا فعلياً النار على سيارة إسعاف تابعة لـ«الجمعية الطبية» (الجماعة الإسلامية) ما أدى إلى انضمام المسعف إلى جملة المحاصرين إلى اليوم التالي. المباني والشقق التي احتلها الحزب ظل فيها إلى وقت متأخر من يوم الثلاثاء. فتش كل ما فيها؛ ثم سلمها للجيش. أما الشقق التابعة له فبقيت معه؛ وكذا بقي انتشار مسلحيه إلى ما بعد انتهاء المعارك؛ وعندما رحّب الجيش اللبناني بزيارة وفد من مشايخ صيدا مسجد بلال بن رباح للاطلاع على وضعه؛ شاهد وفد المشايخ مسلحي الحزب بأمر العين.

حملة «التطهير» لم تقتصر على عبرا؛ ففي منطقة

التعمير ثمة انتقام من أنصار الأسير؛ حرقاً وتكسيراً، واستقواءً. أما في جادة نبيه بري، فوقعت ممارسات استفزازية من قبل عناصر حركة «أمل»؛ استباحة وإحراق فيلا فضل شاكر لم تكن أعظمها... وقد استمرت إلى المساء حيث جابت سيارات المنطقة احتفاءً بـ«النصر»!

غير بعيد عن هذه الوقائع كلها؛ يبدو أن سؤالاً

يرتسم على شفاه الغالبية العظمى من الصيداويين؛ ماذا بعد القضاء على الأسير؛ هل يتابع الجيش اللبناني مهمته الوطنية للقضاء على كل سلاح في المدينة؟ وهل يقبل الذين يُغرقونه بالمحبة والتأييد اليوم (باعتباره أزال خصماً لهم بمشاركة منهم) أن يتابع هذه المهمة فيزيل البؤر المسلحة من صيدا ولبنان عموماً؟!

حقائق خطيرة في الشأن العراقي
علاقة أمريكا وإيران بتنظيم القاعدة

في الحاجة لاستراتيجية
مضادة للتشيع بالجزائر

الجهاد الفلسطيني وإيران..
قراءة في تاريخ العلاقة وحاضرها

مِرْصَدُ الرَّاسِدِ

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٤ شوال ١٤٣٤ هـ



إيران / الشيعة وفرض الحالة الطائفية



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد

(١٢٤)

شوال - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

✻ إيران / الشيعة وفرض الحالة الطائفية ٢

فرق ومذاهب

✻ من رموز الإصلاح (١٦) علامة العراق أبو المعالي محمود شكري الألوسي أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

✻ الشيعة يضيعون الأصول الأربعمئة هيثم الكسواني ١٤

دراسات

✻ الجهاد الفلسطيني وإيران.. قراءة في تاريخ العلاقة وحاضرها ثائر الفيومي ١٦

✻ في الحاجة لاستراتيجية مضادة للشيعة بالجزائر بوزيدي يحيى ٢٠

✻ حقائق خطيرة في الشأن العراقي علاقة أمريكا وإيران بتنظيم القاعدة سمير الصالحي ٢٧

✻ مخطط إسقاط الإسلاميين في مصر.. بداية ونهاية معتز بالله محمد ٣٢

✻ هل هو حقاً عالم جدير بالأطفال؟ فاطمة عبد الرؤوف ٣٧

✻ العبور الأمريكي عبر الزاوية الصوفية مركز الأبحاث والدراسات بمجلة البيان ٤٠

كتاب الشهر

✻ الاعتقاد في الصحابة وبيان فرق الشيعة ومشابهتهم أسامة شحادة ٥٠

✻ لليهود للإمام عبد القادر الجيلاني أسامة شحادة ٥٠

✻ للروافض للعلامة علي المرادي الحنفي أسامة شحادة ٥٠

جولة الصحافة

✻ إغلاق دور القرآن الكريم بين التفاعل الوطني وغياب الانسجام الحكومي نبيل غزال ٥٢

✻ هل تتصالح حماس مع الأسد؟ طارق حميد ٥٤

✻ حروب "حزب الله" تؤكد هويته العسكرية غسان الإمام ٥٤

✻ مبارزة بالفصحى بين الحريري ونصر الله غسان الإمام ٥٧

✻ التخوف الإيراني من حل القضية الكردية صباح الموسوي ٥٩

✻ هل الهدف إبعاد أردوغان أم إزاحة تركيا؟ سمير صالحة ٦٠

✻ من قرع باب تركيا في الصومال؟ سمير صالحة ٦١

✻ العالمية المستبدة في ندوة الكنيسة الإنجيلية حول الدستور عبد المنعم الشحات ٦٣

✻ الكنائس النصرانية والتحول الفكري في العمل السياسي مركز التأصيل للدراسات والبحوث ٦٧

✻ استهداف المسيحيين... كذبة لفقها نظام الأسد وتلقفها "الطائفون" صالح القلاب ٦٩

✻ "دويلة" تنتهي لخلافة "دولتين" إياد أبو شقرة ٧١

(بالإسلام السياسي الشيعي)!!

وفي الوقت الذي تجد فريق الزاعقين هؤلاء يهولون من (الأخونة) فلا مشكلة عندهم مع التغول الشيعي في العراق ولبنان مثلاً!

وفي الوقت الذي يحذرون فيه من الإرهاب السلفي المزعوم فإنهم لا يقلقون من الميلشيات الشيعية الحوثية أو الصدرية!

وفي الوقت الذي يولولون فيه من نفوذ المرشد الإخواني فإن المرشد الشيعي خامنئي الإيراني أو السيستاني العراقي لا يخطران لهم على بال!

هذا كله يجعل من هذا الزعيق لا قيمة له موضوعياً ولا أخلاقياً، ومما يؤكد هراء هذا الزعيق وغبائه إن لم نقل بعمالته وتواطئه هو أنه يقفز عن تأسيس إيران والشيعية للحالة الطائفية في المنطقة والعالم الإسلامي، ولا يقوم بتوجيه الاتهام واللوم للمجرم الحقيقي!

فالخميني هو من أطلق المارد الطائفي من سباته في العصر الحاضر، وذلك منذ أن ألقى محاضراته عن الحكومة الإسلامية في منفاه العراقي، وأسس لولاية الفقيه الشيعي لقيادة العالم الإسلامي كله!

ومن ثم رسخ الطائفية في الدستور الإيراني بالتنصيص على مرجعية التشيع والفرس للحكم في إيران في إقصاء لبقية المكونات الإيرانية، وأصبحت هذه الطائفية نموذجاً تسير عليه الأحزاب الشيعية في لبنان والعراق والبحرين واليمن.

إيران/ الشيعة وفرض الحالة الطائفية

تتصاعد كل فترة صيحات شخصيات علمانية وليبرالية برفض الطائفية والتحذير من مخاطرها كلما تعرضت المصالح الإيرانية للمخاطر أو كلما فشلت الميلشيات الشيعية وحلفاؤها من تمرير مخططاتهم الدنيئة من خلال تصدي علماء أهل السنة أو شبابهم لهذه المخططات سواء بسلاح العلم والكلمة أو بالسلاح للدفاع عن أرواحهم وأعراضهم وبلادهم وأموالهم، فتبدأ تلك الأبواق بالزعيق وترديد هتافات رفض الطائفية!!

ولو تفحصنا هوية هؤلاء الزاعقين سنجد الغالبية العظمى منهم متورطة من قمة رأسها حتى إخمص قدمها في تأييد الحرب الطائفية الشيعية في سوريا والعراق ولبنان واليمن والبحرين ضد الغالبية المسلمة السنية، وستجدها متورطة بتأييد الانقلاب العسكري في مصر ضد التيار الإسلامي ويؤججون النزعة النازية الاستتصالية ضد الإسلاميين من الحياة السياسية بل ودّ بعضهم لو استطاعوا استتصالهم من الحياة نفسها!!

ومن جهة أخرى نجد هؤلاء الزاعقين مصابين بحالة عمى تجاه الطائفية المقيتة التي تغلف كل تحركات ومواقف وتصريحات إيران ووكلائها في المنطقة، بل إنك تصاب بالذهول من حالة الانفصام التي يعيش فيها هؤلاء بين رفضهم للإسلام السياسي السني وبين القبول التام

عطلة رسمية فيها ، ولا أحد يحتج على التدخل بالشؤون الداخلية!

وفي اليمن ، يجبر الحوثيون أهل صنعاء على عدم أداء صلاة التراويح في مساجد السنة ، ولا تسمح أصوات دعاة الحقوق المدنية والحريات الفردية!

وفي البحرين يتم تفجير سيارة أثناء صلاة التراويح ويمر الموضوع بكل أريحية!
الخلاصة:

الطائفية حالة قائمة وموجودة لكنها من صنع إيران والشيعة ، وهما اللذان يجب أن تتوحد الجهود ضدهما لشيئهما على تنفيذ المخطط الصهيوني بتفتيت المنطقة ، أما الانشغال الباطل بإدانة ردود الفعل على الإجماع الطائفي الشيعي فهو نوع من العمالة الطائفية أو الغباء المستحكم.

عاش المسلمون طيلة عمرهم عبر ١٤٠٠ سنة وأتباع اليهود والنصارى والشيعة والفرق الأخرى تحت ظلهم ، ولم يتعرضوا للإبادة كما حدث في محاكم التفتيش الكاثوليكية ، ولم يعتد عليهم أحد على غرار النازية العلمانية ، وكانوا يعاملون كبقية الناس من المسلمين وغيرهم في العدل والظلم ، دون تمييز أو استثناء.

وهذا ما يجب أن تكون عليه الأمور اليوم ، فالشيعة طائفة موجودة لا يحق لأحد أن يظلمها ويعتدي عليها بدون مبرر شرعي وقانوني ، وفي نفس الوقت لا يُسمح لها بالتمادي في عدوانها بحثاً عن حلم زائف بقيادة المنطقة أو العالم.

ومن حق الغالبية / السنة التصدي بكل حزم وحسم للاعتداءات الطائفية الشيعية ولن نعبأ بنعيق وزعيق فريق العمالة والغباء من النخب الفاسدة.

ورأينا الشيعة في كل بلد يثبتون فيه أقدامهم يسعون لشق وحدة المسلمين بخلق حالة طائفية عبر كسر الأوقاف والقضاء الموحد لأوقاف وقضاء سني وشيعي ، وتم هذا في لبنان سنة ١٩٦٧م ، وفي الكويت سنة ٢٠٠١م ، وفي العراق سنة ٢٠٠٣م ، وفي البحرين سنة ٢٠٠٤م ، وتمت المطالبة بإنشاء مجلس شيعي أعلى في مصر سنة ٢٠٠٤م ، وفي فلسطين/ غزة سنة ٢٠٠٦م ، ولكن لم يلتفت لها.

وشاهد العالم كله سعي الشيعة لزرع الطائفية الشيعية بأبشع صورها عبر الميليشيات الدموية المجرمة التي لم تتردد في قتل الجيران والشركاء في الوطن من المسلمين السنة لتحقيق الحلم الطائفي الشيعي بقيام إمبراطورية الشيعة في المنطقة ، وقد سفكت من أجل ذلك مئات الألوف من الدماء السننية في إيران والعراق ولبنان والبحرين واليمن والسعودية والكويت وسوريا ، على يد مليشيات شيعية علنية كحزب الله وجيش المهدي وعصائب أهل الحق والحوثيين وغيرهم ، وبرغم كل هذا لا تجد إدانة لوجود هذه الميلشيات العلنية التي تمتلك ترسانة عسكرية شبه متكاملة بكل وضوح ولا تتردد في خوض معارك ضد الدولة ، ثم لا تجد من فريق الزاعمين أي نكير أو صفير!

أما فرض الطقوس الدينية الطائفية على المجتمع ذي الغالبية السننية فهو لا يحرك في فريق الزاعمين هذا أي غيرة أو حمية.

ففي العراق تم التلاعب بالمناهج الدراسية لفرض الطائفية الشيعية على الطلبة ، ولا حس ولا خبر!

ويتم إجبار الموظفين السنة بالدوائر الحكومية على المشاركة في لطميات عاشوراء وذلك تحت رعاية الوزير الشيعي! ولا يعترض أحد على تعطيل المصالح أو قمع الحريات!

وتطلب إيران من لبنان اعتبار يوم القدس يوم

المعارف الإسلامية، نبراس الأمة».

نشأته ودراسته:

ولد جمال الدين أبو المعالي محمود شكري الألوسي في بيت جده العالم الكبير أبي الشتاء الألوسي صاحب التفسير الشهير (روح المعاني) ببغداد في شهر رمضان من عام ١٢٧٣هـ، ونشأ في عائلة عرفت بالعلم والأدب والديانة، فجده أبو الشتاء محمود الألوسي كان عالماً واسع الاطلاع، وتولى منصب مفتي الحنفية، وكان له منزلة في عصره حتى أنه أسندت إليه ولاية أوقاف مدرسة مرجان وهي مشروطة لأعلم أهل البلد، وعمه هو السيد نعمان خير الدين الألوسي وهو من كبار العلماء وتولى عدداً من المناصب منها رئاسة مدرسة مرجان مثل أبيه، وله عدد من المؤلفات القيمة من أهمها كتابه (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين).

لم يدرك أبو المعالي جده فقد توفى قبل ولادته بسنتين، وقد درس على أبيه مبادئ العلوم وقراءة القرآن، وأخذ عنه الأدب والأخلاق الفاضلة، وختم القرآن الكريم وعمره ٨ سنوات، ولكن توفى أبوه عام ١٢٩١هـ وعمر محمود آنذاك ١٨ سنة، وكان أبوه متأثراً بالتصوف فأثر ذلك في ابنه محمود عدة سنين قبل أن تتوسع معارفه وعلومه وينتفض على خزعبلات



١٦ - علامة العراق أبو المعالي

محمود شكري الألوسي

(١٢٧٣/١٣٤٢هـ - ١٨٥٦/١٩٢٤م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالراصد

تمهيد:

أعاد علامة العراق أبو المعالي وعائلته الألوسية ببغداد، عاصمة الخلافة، مجدها العلمي الذي

عرفته في أيام عزها، وذلك بدروسه المتميزة ومؤلفاته القيمة وتحقيقاته الثمينة، ولكن للأسف لم يلق أبو المعالي (وعائلته) ما يستحقونه من التكريم والتقدير، لا في حياته ولا بعد مماته، ومن ذلك أن سيرته لم تدون بشكل واف، ولا تزال بحاجة لمزيد من البحث والتقيب وإظهار ما فيها من جهود مباركة في الإصلاح

والتأسيس للصحة الإسلامية التي نعيشها اليوم، حتى قال عنه محمد رشيد رضا: «ناصر السنة، قاصع البدع، علامة المنقول ودراكة المعقول، دائرة

(*) كاتب أردني.

التصوف وخرافات، وتعد هذه هي المرحلة الأولى من مراحل منهج أبي المعالي.

وعقب وفاة أبيه كفله عمه نعمان الألوسي والذي كان معاديا للتصوف والخرافة والتعصب، ويدعو للتمسك بالكتاب والسنة وفهم السلف والدليل، فرعاه ووجهه إلى البحث والمطالعة ومناقشة المسائل، وفتح له أبواب خزانته التي تحوي أمهات الكتب و ذخائر المخطوطات وخاصة كتب ابن تيمية وابن القيم، ولكن أبا المعالي لم ينسجم مع عمه فانفصل عنه وبحث عمّ يشبه طريقة أبيه، وإن بقيت لتوجيهات عمه تأثيراً في نفسه تجاه الخرافات والتقليد والتصوف!

قال تلميذه المقرب الأستاذ محمد بهجة الأثري: «ولكن الشاب المتأثر بالعقيدة الخلفية والمتشبع بالروح الصوفية الموروثة له من أبيه وأستاذه الأول لم يستطع ملازمة عمه المستقل بعلمه وآرائه الضارب بالخزعات الصوفية والمذاهب التقليدية عرض الحائط، فصرف التعصبُ بصره عن عمه».

فلازم الشيخ إسماعيل بن مصطفى الموصللي النقشبندي، ودرس على الشيخ بهاء الحق الهندي، نزيل مدينة بغداد، والشيخ عبد السلام بن محمد بن سعيد النجدي الشهير بالشواف، ودرس عليهم النحو واللغة والتفسير والفقه والمصطلح والحديث.

وقد تعلم الألوسي اللغتين التركية والفارسية، وعددا من العلوم الدنيوية كعلم الهيئة (الفلك)، ولم يكتف الألوسي بذلك بل قام بمطالعة مئات الكتب والمخطوطات الموجودة بمكتبات بغداد، فتكونت له معرفة موسوعية ظهرت في كتبه وتحقيقاته، وكانت أولى مظاهر موسوعيته كتابه العجيب «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»، وسوف نفصل فيه لاحقاً.

يقول الألوسي في ترجمته لنفسه عن هذه المرحلة:

«فوصلت الليل والنهار في التحصيل، وفارقت أخداني وأقراني، وانزويت عن كل أحد فأكملت قسماً عظيماً من الكتب المهمة في المنقول والمعقول، والفروع والأصول، وحفظت غالب متون ما قرأته من الكتب المفصلة والمختصرة، وأدركت ما لم يدركه غيري، ولله الحمد.

سهرى لتتقيح العلوم أذ لي
من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصة
في الدرس أبلغ من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها
أشهى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها نقري
لألقي الرمل عن أوراقها أهـ

بداية التدريس والتأليف:

لا تسعفنا التراجم المتوفرة للألوسي بتفاصيل حياته في هذه المرحلة، لكنها تفيدنا أنه توجه للتدريس والتأليف مبكراً.

وهو في هذا يسير على خطى جده أبي الثناء حيث بدأ التأليف وعمره ١٣ سنة! و تصدى كذلك للتدريس مبكراً، فكان أول تصنيف لأبي المعالي الألوسي وعمره ٢١ عاماً وذلك سنة ١٢٩٤هـ وهو كتابه «الروضة الغناء شرح دعاء الثناء».

ولم ينتظر أبو المعالي التكليف بالتدريس على عادة زمانه، فباشر بالتدريس متطوعاً بدون راتب في داره وفي جامع عادلة خاتون، حيث درّس علوم اللغة والشريعة لجمع من الطلبة.

وحين ذاع صيته واشتهر الألوسي مع بلوغه سن الثلاثين جاءه التعيين الرسمي بالتدريس في مدرسة داود باشا، ثم أضيف إليه التدريس في مدرسة السيد سلطان علي، وقبل وفاته بـ ٣ سنوات (عام ١٣٤٠هـ) تم اعتماده رئيساً للمدرسين في مدرسة مرجان، والتي تسند إلى أعلم أهل بغداد كحال

عمه وجده من قبله.

وكان الألوسي يقضي سائر نهاره في التدريس لطلابه، وكان حريصاً على وقته حيث كان يحضر للمدرسة مبكراً فإن تأخر الطلبة شغل نفسه بنسخ بعض المخطوطات أو المطالعة أو حفظ القرآن، وكان هذا ديدنه بعد انتهاء وقت التدريس حتى يدخل وقت الظهر فيرجع لبيته، ثم يعود للتدريس إلى ما بعد العصر، وبعدها إما يستقبل بعض الزوار في البيت أو يشغل بالعلم حتى صلاة العشاء، ثم ينام بعدها ليستيقظ قبل الفجر للتهجد وللكتابة والمطالعة حتى قريب الشروق فيذهب للمدرسة، وهكذا يومياً، ولم يكن يدرس في صباح يومي الجمعة والثلاثاء ولكنهما كانا مخصصين للزائرين.

وكان الألوسي صاحب جَلَد على المطالعة والنسخ للمخطوطات والتأليف وساعده على ذلك أنه لم يتزوج قط، وكونه زاهداً في الدنيا فقد كان بسيط الثياب والأثاث، يقنع بأقل القليل، ورفض أن يقبل عطايا الاحتلال البريطاني مع شدة فقره وحاجته، وقاطع أخاه الأكبر حتى الموت حين قبل أن يصبح وزيراً للعدل في عهد الاحتلال البريطاني.

فالتف حوله الأذكياء، الذين وجههم محمود الألوسي للبحث والمناقشة والتأليف والعمل بما تعلموه بما ينفعهم وينفع مجتمعاتهم، وتجنب سلبيات التدريس السائدة في عصره والقائمة على التقليد والتلقين دون البحث والمناقشة، واقتصرها على بعض العلوم التراثية بدون تجديد في المناهج والأساليب، وهذا جانب في سيرة الألوسي يحتاج إلى مزيد من البحث والتوسع لكن التراجع المتوفرة لا تسعف في ذلك، كما أننا نفتقد إلى قائمة بتلاميذ الألوسي عبر ما يزيد عن ٣٠ سنة!!

وبقي الألوسي ملازماً للتأليف والتدريس طيلة عمره، وهما من أبرز وأهم الأدوار الإصلاحية التي قام بها، والتي كان لهما آثار ضخمة لم تقتصر

على العراق أو على زمانه، بل امتدت آثار جهوده لخارج العراق وليومنا الحاضر.

فوزه بجائزة ملك السويد والنرويج عن كتابه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»:

في عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٦م تلقى رسالة من أمين سر لجنة اللغات الشرقية عن مسابقة يراها ملك السويد والنرويج لتأليف كتاب عن تاريخ العرب قبل الإسلام، فتردد الألوسي في خوض التحدي خوفاً من الاعتقاد بحرصه على الجائزة القيمة (١٧٧٨ فرنكا ذهبياً)، لكن أصدقاءه حثوه على ضرورة إعلاء شأن العرب، فشمر عن ساعد الجد وصنف كتابه «بلوغ الأرب» الذي جاء في ٣ مجلدات وأنهى في عام ١٣٠٤هـ، وكان المميز في كتابه أنه جاء على غير مثال سابق ولا منهج مطروق مع صغر سن المؤلف الذي بالكاد كان في الثلاثين من عمره حين باشر بتأليفه!

وبرغم تقدم العديد من الشخصيات من بلاد مختلفة للمسابقة إلا أن التفوق والفوز كان من نصيب الألوسي حين أعلنت النتائج في عام ١٣٠٧هـ، فشاع ذكره وارتفع صيته، وتمت ترجمة الكتاب للتركية.

وقد تفنن الألوسي فيه بجمع أخبار وعادات العرب قبل الإسلام مما يدل على شرف معدنهم وقوة أخلاقهم مما جعلهم مؤهلون لقيادة العالم تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث للعالمين كافة.

وقد فتح فوزه بهذه الجائزة عليه باب التواصل بالزيارة والمراسلة مع الكثيرين من العلماء وطلبة العلم من مختلف دول العالم والتي جمعها الألوسي في كتاب ضخيم لم يطبع بعد سماه «رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين» وسبقه كتاب «بدائع الإنشاء» جمع فيه بعض رسائل أبيه، ثم بعض مراسلات العلماء والأمراء والأدباء له، ولو طبع هذان الكتابان لكشفا عن تاريخ مجهول في

للشرح وطباعته له، إلا أنه قام بإدخال بعض الأساطير والخرافات عليه قبل طبعه، وهو ما جعل الألوسي ينبّه على هذا العبث والتدخل في كتابه «غاية الأمانى» وفند تلك الخرافات بأبلغ تفنيد.

وكانت هذه المرحلة الثانية في منهج الألوسي، يصفها محمد بهجت الأثري بقوله: «ولما بلغ الألوسي هذا الطور من حياته واتسعت آفاقه الذهنية والعلمية رأيناه يبدأ حالاً جديدة من أحوال التفكير والاجتهاد، ويعيد النظر فيما تعاوره في أثناء الشباب من أخلاط العقائد والنزعات المذهبية المختلفة...».

لم ييأس الصيادي فأرسل رسالة شكر له ومجموعة من كتب الطريقة الرفاعية وطلب منه الانضمام لها ورفع لوائها في العراق، مع إغرائه بالرفعة والتكريم عند السلطان، لكن أبا المعالي اعتذر منه في البداية بلطف وأنه مشغول بالعلم والتأليف والتدريس، لكن الصيادي عاود الكرة مرة أخرى، ومرة أخرى اعتذر الألوسي وأعلن له أنه لا يقبل الخرافات التي تتردد في كتب الطريقة أو ما يقوم به بعض شخصيات الطريقة، ومما كتبه الألوسي للصيادي: «لا وقت لي لسلوك طريقة من الطرائق... ولا سيما وأن جميع من ينتمي إلى طريقتكم في الخطة العراقية جهلة أوباش عوام، لا يميزون بين اليمين من الشمال، ولا الحلال من الحرام، ديدنهم سؤال الناس، فيما يحتاجون إليه من الأكل واللباس... ولا شك أن مثل هذا لم يكن على عهد الشيخ أحمد ولا على عهد غيره من الأكابر، إنما أحدث ذلك جاهل بالشرعية الغراء، مناقض لمقاصدها العلية بلا مرأى... فالعفو يا سيدي عن سلوك طريقتك... لأنني والحمد لله ممن اشتهر حاله بالذب عن السنن والرد على كل زائغ من أهل البدع والأهواء والفتن».

نصرة الألوسي لمنهج السلف:

في هذه المرحلة (الثالثة) استقر الألوسي وهو في

النهضة الثقافية المؤسسة لنهضة اليوم، ومن طالع كتاب المحقق الأستاذ محمد ناصر العجمي «مراسلات القاسمي والألوسي» يعرف أهمية هذه المراسلات التي كشفت عن جهود منظمة ومتواصلة لبعث تراث ابن تيمية وابن القيم وتراث المحققين من العلماء كالشاطبي والذهبي وغيرهما، وأنه كانت هناك شبكة علاقات ثقافية تمتد إلى الهند والحجاز والبحرين ومصر والغرب من أجل هذه الغاية الشريفة، وهو موضوع يحتاج إلى بحث مستقل بذاته.

علاقته مع أبي الهدي الصيادي:

أبو الهدي الصيادي هو مستشار السلطان العثماني في اسطنبول وصاحب السطوة والنفوذ، وكان صوفياً غارقاً في الخرافات المزعومة للأولياء والبدع بدلاً من اتباع نور العلم الشرعي المستند للكتاب والسنة، ولما بدأ يظهر نجم أبي المعالي محمود الألوسي طلب منه الصيادي أن يشرح قصيدة له في مدح القطب الصوفي أحمد الرفاعي، وفعلاً قام الألوسي بتأليف كتابه «الأسرار الإلهية شرح القصيدة الرفاعية» وذلك في سنة ١٣٠٥هـ، وكان سبب طلب الصيادي هذا الشرح من الألوسي أن جده أبا الثناء كان له شرح أدبي بديع على قصيدة لعبد الباقي العمري في مدح القطب الصوفي عبد القادر الجيلاني سماه «الطراز المذهب شرح قصيدة الباز الأشهب»، فأراد الصيادي أن يكون له شرح بديع لقصيدته من حفيد أبي الثناء الألوسي.

لكن أبا المعالي الألوسي في هذه المرحلة (١٣٠٣هـ) بدأت يتضح عنده ما يحتويه التصوف ومنهج الصيادي من انحرافات وخرافات وبدع، ولذلك نجده في شرحه لقصيدة الصيادي يمزج بين اللغة والأدب والشرع، ونجده ينقل عن ابن حجر المكي ثم ينقل عن ابن تيمية وابن القيم! ولكن هذا المنهج المعتدل لم يعجب الصيادي فبرغم قبوله

مطلع الثلاثين من عمره على منهج السلف فبدأ بالذب عنه والدفاع عنه، وذلك بعد أن توسعت معارفه وطالع تفسير جده أبي الثناء «روح المعاني» والذي قام على التحقيق والتدقيق وطالع الكتب والمخطوطات ونبتت في قلبه القواعد التي زرعتها عمه النعمان الألوسي.

قال الأثري عن هذه المرحلة النهائية في منهج الألوسي: «ثم ما لبث الألوسي أن أصبح عن انحيازه في جرأة وقوة إلى الحركة السنية السلفية، مع مقاومة الدولة العثمانية الصوفية لهذه الحركة الإصلاحية بكل قواها الرجعية».

ويعتبر عام ١٣٠٥هـ هو الفاصل بين مرحلتين في تأليفات وحياء الألوسي، ففي عام ١٣٠٦هـ أعلن الألوسي عن موقفه الجديد من خلال كتابه «فتح المنان تنمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان»، والذي دافع فيه عن الدعوة الوهابية والشبهات التي تثار في وجهها، وقد قام بطباعته في الهند الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر عام ١٣٠٩هـ.

وحين وصل الكتاب إلى أتباع الصيادي في العراق قامت قيامتهم ضده واستعدوا عليه شيخهم أبا الهدى الصيادي، فكتب إليه معاتباً ومزج بين الوعد والوعيد، فلم يعبأ به الألوسي وكتب إليه يقول: «لم نزل متمسكين بهدي السادة السلف... غاية الأمر أنني أكره المغالاة في عباد الله، ولا تسمح نفسي أن أصفهم بصفات الألوهية ولو بلغ الأمر منتهاه... فما بلغك، صرير باب، وطنين باب، وإنني بحمد الله لست ممن يحابي أمثالك، أو يرهب أقوالك وأفعالك».

وهكذا أصبح الألوسي عرضة لهجمات الخرافيين والمبتدعة، ومضى في طريقه لا يعبأ بهم وبمؤامراتهم، وبحسب تعبير الأثري: «ولأستاذنا الألوسي النصيب الأكبر احتسب حياته لخدمة الدين الإسلامي، وتطهيره من أضرار البدع والمحدثات، التي فتت في ساعده، وبذل في ذلك

غاية جهده، فجاهد أهل الحشو ودعاة عبادة القبور جهاد الأبطال في ساحات القتال».

وانكب الألوسي على التدريس والتأليف فزاد صيته وكثر قاصدوه من العلماء وطلبة العلم، وقد سجل الألوسي في ترجمته الذاتية ما يلي:

«ثم إنني توغلت في اتباع سيرة السلف الصالح، وكرهت ما شاهدته من البدع والأهواء، ونفرت قلبي منها كل النفور، حتى إنني منذ صغري كنت أنكر على من يغالي في أهل القبور، وينذر لهم النذور، ثم إنني ألقت عدة رسائل في إبطال هذه الخرافات فعاداني كثير من أبناء الوطن، وشرعوا يغيرون علي ولاية البلد، ويحرضونهم على كتابة ما يستوجب غضب السلطان علي وفعلوا ذلك مراراً».

وهنا تبدأ مسيرة الإصلاح الحقيقي للألوسي، والتي يمكن أن نلخصها في المجالات التالية:

١- المشاركة في الصحافة: ففي عام ١٣٠٧هـ دعاه الوالي سري باشا الكريدي وكان من العلماء أصحاب التأليف، وكان معجباً بمواهب الألوسي، فدعاه لرئاسة القسم العربي من صحيفة الزوراء التي تعد أول جريدة صدرت ببغداد في سنة ١٢٨٦هـ وكانت تصدر بالعربية والتركية.

وحين تولى الألوسي القسم العربي لمدة سنة ونصف تقريباً ازدهرت وارتفع مستواها، وكان الألوسي يحرر المواضيع والأخبار ويكتب لها المقالات، وللأسف لم يبق أحد يجمع هذه المقالات ودراساتها حتى تتصور أولويات الإصلاح عند الألوسي في المجتمع العراقي في تلك الفترة.

وبعد جريدة الزوراء نشر الألوسي بعض البحوث في عدد من المجالات مثل: سبيل الرشاد، والمقتبس، والمشرق، ومجلة المجمع العلمي العربي، والمنار وغيرها، وأيضاً تحتاج هذه الأبحاث إلى فهرسة وجمع حتى تعظم الفائدة منها.

٢- مواصلة جهوده في التدريس والتعليم في المدارس، ومجالس الوعظ والإرشاد في مساجد

بعض الأغنياء في العراق وخارجه ليحثهم على طباعة الكتب المهمة.

يروى تلميذه محمد بهجة الأثري قصة اللقاء الأول معه فيقول: «سمع الألوسي بوجود بعض أجزاءه - كتاب نقض أساس التقديس لابن تيمية - في دمشق ونجد، فجدد في استكتابها حتى ظفر بها، ووافق وصولها إليه طلبني أخذ العلم عنه، فجعل شرطه علي نسخ هذا الكتاب وقراءته عليه، لأفيد منه الأنظار الصحيحة في العلم وأصول البحث وطرائق الجدل والاحتجاج، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية أعظم فرسان هذا الميدان في الإسلام».

وفي حادثة أخرى تكشف عن مستوى جدية الألوسي ومثابرته وبعد نظره، يقول الأثري: «حمل إليه أحد تلاميذه القدماء ذات يوم مخطوطاً في «مثالب العرب» قديم العهد، غفلاً من اسم مؤلفه أهدي إلى أمين الريحاني عند زيارته لبعض المدن العراقية.. فلما أجال نظره فيه، غضب أشد غضبه رأيتها منه، وساء أن يهدى مثل هذا الكتاب إلى الريحاني، وخشي أن ينتهي إلى شعوبي من هؤلاء الشعوبيين المعاصرين الذين نشأهم «الاستعمار الأوروبي» ليحارب بهم اليقظة العربية، فأخذه وشقه شقين، احتفظ بأحدهما، ودفع إلي الآخر، وقام من فوره فقام من في المجلس لقيامه، وهو يقول لي: هذا كتاب خبيث يجب عليك نقضه، ولا أريد أن أراك في صبيحة الغد إلا قد أنجزت قسطك منه، والتقينا في صبيحة اليوم التالي ولدينا نسخة جديدة من الكتاب، يملك كل منا نصفها، ثم أكمل نسخته وأكملت نسختي، ورد النسخة القديمة إلى صاحبها لم تبت عندنا إلا ليلة واحدة، وعانيت بوضع ردي عليه من بعد، حتى إذا نشر الأصل كان الرد عليه حاضراً»، فانظر بالله عليك لهذه الهمة الفائقة في النسخ وهذه اليقظة للخطر القادم، والمبادرة لوضع رد على شبهة متوقع أن تروج، وقارن هذا

بغداد خصوصاً في جامع الإمام أبي حنيفة، وكانت نتيجة هذا أن تخرج على يديه نخبة من العلماء العراقيين تأثروا بفكره وعلمه مثل: العلامة محمد بهجت الأثري، والأستاذ المؤرخ عباس العزاوي، والشيخ عبدالكريم الشيشلي المعروف بالصاعقة^(١)، والشيخ رشيد حسن الكردي، والشيخ محمد القزljي، والشيخ علي بن حسين الكوتي والشيخ الإمام أمجد الزهاوي وغيرهم من خيرة علماء العراق، وكذا عدد من أدباء وشعراء العالم العربي منهم الشاعر معروف الرصافي.

ومن غير العراقيين: المؤرخ الكويتي عبدالعزيز الرشيد، وسليمان الدخيل النجدي صاحب جريدة الرياض ومجلة الحياة في بغداد، وهو نجدي سكن بغداد، والشيخ محمد بن مانع من فقهاء نجد.

ومن تلاميذه غير المسلمين: الكاتب واللغوي العراقي الأب أنستاس الكرمللي، وعدد من المستشرقين مثل لويس ماسينيون الفرنسي، ومرجليوت من إنكلترا.

٣- الاهتمام ببعث التراث العلمي السلفي الذي يحارب أمراض الخرافة والجهل والفسفسطة والجمود والتعصب، حيث كان الألوسي يقوم بتتبع الكتب النادرة والمهمة في مكتبات العالم من خلال مراسلاته مع العلماء والفضلاء، فإذا حصل على كتاب يقوم بنسخه بيده ويطلب من تلاميذه فعل ذلك لتكثر نسخه، ومن ثم قد يحتفظ بها لنفسه أو يرسل بها للمكتبات العامة الكبرى في البلاد المختلفة، مثل خزانة أحمد تيمور باشا، وخزانة أحمد زكي باشا بالقاهرة.

وأحياناً يقوم مع نسخ المخطوط بتحقيقه ونشره في إحدى المجلات المرموقة، وأحياناً كان يكاتب

(١) رائد الدعوة السلفية المعاصرة في العراق، ومن تلامذته الشيخ صبحي السامرائي وعبد المنعم صالح العلي (محمد أحمد الراشد) وعنه اشتهر علم الحديث والعقيدة السلفية في العراق.

بحالنا اليوم حيث الخطر يجتاحنا ويدمرنا ونحن نبحث في جزئيات وفرعيات لا طائل من ورائها، أو نضيع الأوقات والجهود في الحديث عن الخطر الذي يحاصرنا بدلاً من البحث عن الحلول والمخارج لورطتنا والانشغال بها!!

ومن الكتب المهمة التي نشرها الألوسي:

«منهاج السنة» وبهامشه «بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول»، وكلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع بمصر سنة ١٣٢١هـ.

«جواب أهل العلم والإيمان» لابن تيمية، طبع بمصر سنة ١٣٢٢هـ.

«تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية، طبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ.

«مفتاح دار السعادة» لابن القيم، طبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ.

«شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لابن القيم، طبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ.

«تأويل مختلف الحديث» للإمام ابن قتيبة، طبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ.

ومن استحضر طبيعة ذلك الزمان في ضعف وسائل النقل والاتصال يعرف كم هي المصاعب التي واجهت الألوسي في جمع هذه الكتب من بلاد شتى عبر وسائل البريد البطيئة، ثم نسخها يدوياً ثم مراجعتها والتعليق على بعضها، ثم إرسالها للقاهرة للصف اليدوي وبعضها يقع في عدة مجلدات، وكل ذلك بمجهودات فردية من رجل وحيد وفقير، حتى تخرج للناس فتضيء لهم طريق الحق وطريق السلف!

محنته عام ١٣٢٢هـ:

بسبب جهود الألوسي الإصلاحية في التدريس والتأليف ونشر التراث، وكعادة المصلحين والمجاهدين فقد هاجمه أعداء الإصلاح فلفقوا ضده عدة تهم ووشايات كاذبة عند والي الجديد لبغداد عبدالوهاب باشا، والذي كان رجلاً جاهلاً

ينصر الخرافة ويحارب الإصلاح والمصلحين، فانتهزوا الفرصة وقالوا له إن الألوسي يدعو للخروج على السلطان! وأنه يؤسس مذهباً يناصب كل الأديان العداً! وأن تأثيره خطير بين الناس! واستعانوا بشيخهم أبي الهادي الصيادي في عاصمة الخلافة، فصدر الأمر بنفي أبي المعالي وابن عمه السيد ثابت نعمان الألوسي والحاج حمد العسافي النجدي رحمهم الله إلى الأناضول فوراً.

وفعلاً أخذ الألوسي ورفاقه من بيوتهم واختبأ بعضهم وهرب البعض الآخر، ولكن عندما وصلوا للموصل في طريقهم للأناضول قامت قائمة الموصليين وخرجوا لاستقبال الألوسي ورفضوا إبعاده ورفاقه الذين يعدون من أعلام العراق الكبار، وراسلوا السلطان لتوضيح الموضوع وإلغاء الإبعاد.

وحين علم المتآمرون في بغداد بذلك، دبروا مؤامرة جديدة إذ أرسلوا مجموعة من كتب ابن تيمية بالبريد للموصل باسم الألوسي، ووشوا لبعض أتباعهم بالموصل بذلك حتى يورطوا الألوسي، وفعلاً ضبظت الكتب وعقد والي الموصل مجلساً لأبي المعالي أدانه فيه علماء السوء وطلبوا إتلاف الكتب ونفيه فوراً، لكن الله نجاه مرة أخرى من كيدهم، بفضل مساعي علماء الموصل المخلصين الذين كانوا يعرفون قدر الألوسي وفضله وبفضل جهود ابن عمه علي علاء الدين الذي كان يعيش في إستانبول، فجاء أمر السلطان بإبطال النفي وعودته لبلده مع إعادته لوظائفه التدريسية، وللأسف لا تسعفنا المصادر بمعرفة هؤلاء العلماء الموصليين ولا تفاصيل علاقة الألوسي بالموصل، والموصل من بلدان العراق التي عرفت الدعوة السلفية مبكراً.

فصدر العفو عنه وعن رفاقه بعد أن مكثوا شهرين في الموصل، فعادوا منصورين، وخرج أهل الموصل معه أميلاً يودعونه، وخرج أهل بغداد أميلاً يستقبلونه، وكتب الشيخ عبداللطيف بن ثيان في

صحيفته (الرقيب) مقالاً بعنوان: (الحمد لله عاد الحق لأهله).

وسجل الألوسي هذه المحنة فقال: «حتى ألجأوا بعض الولاة أن يكتب للسلطان بأن الأمر خطر إن لم يتداركه، وأن العراق يخرج من البلد بسبب تغير عقائد الأعراب إلى ما يخالف ما عليه الجمهور من العوام ولم يزل يلح حتى ورد الأمر بإبعادي إلى جهة ديار بكر فلما وصلت إلى الموصل قام رجالها على ساق، ومنعوني أن أتجاوز بلدتهم وكتبوا كتابات شديدة اللهجة إلى السلطان فجاء الأمر بعد أيام بعودي إلى بغداد مع مزيد الاحترام والإكرام وسقط في أيدي الأعداء ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله».

وبعد هذه المحنة لم يحد الألوسي عن منهج الحق والصدق به، وإن لجأ للحدز والاحتياط حتى لا يمكّن الخصوم منه، فصار ينشر بغير اسمه الصريح.

٤- ومن أدواره الإصلاحية تأليف الرسائل والكتب النافعة لأهل زمانه، فقد مر معنا أن الألوسي بدأ التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره، وقد كان لديه «قوة على التأليف عجبية» كما يقول الشيخ كامل الرافعي، ألف كتاباً من ٧٠ كراساً في أربعين يوماً! ولذلك تزيد مؤلفات الألوسي عن خمسين كتاباً ورسالة في فنون متعددة شرعية ولغوية وتاريخية.

وكانت كتبه الدينية الإصلاحية هي مدار دعوته وتميزه في بغداد، فقد سعى من خلالها للدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام شوائب الشرك والبدع التي عمت العالم الإسلامي، فمنها:

• «فتح المنان تتممة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان» والذي طبع سنة ١٣٠٩هـ وسبق الحديث عنه.

• «غاية الأمانى في الرد على النبهاني» والذي

طبع في سنة ١٣٢٧هـ باسم غير صريح هو أبو المعالي الحسيني السلامي الشافعي، بسبب مؤامرات أعداء الإصلاح ضده وتآليب دولة الخلافة العثمانية عليه.

• «الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رأيته الصغرى»، وهي منظومة للنبهاني رد فيها على كتاب الألوسي «غاية الأمانى» وسب وشتم فيه النبهاني المصلحين في عصره، فرد عليه الألوسي بشكل مختصر.

• «تاريخ نجد» كتبه عقب زيارته لنجد بتكليف من الدولة العثمانية، عرف فيها بنجد وأهلها ودافع عن عقيدتهم وأنها عقيدة السلف الصالح وليس كما يدعي أعداؤهم وخصومهم.

• «فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، طبع بعد وفاته.

ومن الجهود التأليفية المهمة للألوسي تصديه لإبطال دعاوى التشيع ودحض عقائدهم، وقد ذكر هو ذلك في رسالته في الرد على العاملي في حصونه: «والفقير رد عليهم (الشيعة) بنحو ألف ورقة فاغتصبته الحكومة، وذلك بثلاث مصنفات أحدهما المسمى بـ (صب العذاب) ومما فقد كتابه «رجوم الشياطين» في الرد على الشيعة، ومن مؤلفاته في الرد على الشيعة:

• «المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الإثني عشرية» ١٣٠١هـ.

• «السيوف المشرقة مختصر الصواعق المحرقة» ١٣٠٣هـ.

• «صب العذاب على من سب أصحاب» ١٣٠٤هـ.

• «سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين» ١٣٣٦هـ.

ومن كتبه أيضاً:

• الدر اليتيم في شمائل ذي الخلق العظيم

صلى الله عليه وسلم.

• تجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان.

• كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة.

• الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية.

• تاريخ بغداد.

٥- مشاركته في إدارة ولاية بغداد، ففي سنة ١٢٢٠هـ تمكن جمال باشا والي بغداد من إقناع الألوسي بقبول منصب عضو مجلس الإدارة في بغداد، بعد أن انتخبه البغداديون، فقبله بسبب الحرية المطلقة له في خدمة الناس والمصلحة العامة، لكن لا توجد لدينا تفاصيل عن المدة التي قضاها والإنجازات التي قام بها.

وهذه المشاركة تدل على الشعبية التي حظي بها الألوسي عند أهل بغداد، وأنه بسبب هذه المكانة كان يحرص السياسة والولاء على مشاورته وتقريبه، لكنه كان دوما يرفض تولي المسؤوليات والمناصب.

ويلخص لنا بهجة الأثري موقف الألوسي من الدولة العثمانية بقوله: «كان حائراً بين الرضى بها والكره لها. ومن أسباب رضاه بها أنها كانت في هذا الشرق طوال خمسة قرون موئلاً للمسلمين، وحامية للإسلام والحصن المنيع الذي قام بوجه الغرب المتحفز للاستيلاء على دياره وإخضاعها لسلطانته الذي قد يعتذر الخلاص منه إذا هي وقعت في قبضته. فإذا زالت هذه الخلافة، يزول معها الوجود السياسي للإسلام، ويحدث بعدها فراغ في الحياة الإسلامية يهدد بملئه بحياة أخرى مكانها أو يعرضها لمصاير منكرة لا طاقة لأحد بدفعها، أو هكذا كان يخیل إليه.

وأما باعثه على كرهها، فهو الفساد الذي أصاب حياة الدولة في أخريات أيامها، وكان استشرى وجاوز المدى وبلغ الحد الذي جزع منه الأحرار، وعلاهم القنوط من إصلاحه ولم تغن معه حيلة ولا أجدى اجتهد.

ولا ريب أن حزم الحازم يضيع في مثل هذين الحالين مهما ملك الإنسان صوابه ورشده، ولا تكون في أحدهما خيرة لمختار. أهـ، وما يزال هذا التحليل الدقيق منطبقاً على واقعنا اليوم!

ونستفيد من مشاركة الألوسي في إدارة بغداد على ضرورة مباشرة المصلح للشؤون العامة إذا توفرت البيئة المناسبة من قبول الناس وتأييدهم وحرية الحركة.

٦- لما هاجم الإنجليز العراق عام ١٢٢٣هـ عقب الحرب العالمية الأولى، واحتلوا مدينة الفاء والبصرة، قررت الدولة العثمانية أن تجيش العاطفة الإسلامية في الجهات الإسلامية التي حاربتها الدولة العثمانية من قبل مثل الجزيرة العربية التي شنت عليها فقصت على دولتهم الأولى والثانية، وفزعت إلى الألوسي لتستعين بسمعته ونفوذه العلمي لإقناع الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (مؤسس الدولة السعودية الثانية) بنجدة الدولة العثمانية والوقوف إلى جانبها في هذه الحرب، وأن يتولى ضرب مؤخرة الإنجليز في الوقت الذي يضرب الجيش العثماني مقدمة الجيش الإنجليزي.

وفعلاً قبل الألوسي المهمة دفعاً للشر والضرر عن بلاد الإسلام وسافر إلى نجد برغم شيخوخته وصعوبة الطريق ومشاق السفر على ظهر الجمال، وكان برفقته ابن عمه العلامة علي علاء الدين الألوسي، والحاج بكر بك، والحاج نعمان الأعظمي.

وفي نجد استقبل الوفد أحسن استقبال وتفهم الأمير الغرض والغاية من السفارة، وأن نصرة المسلم لأخيه واجبة، لكنه رأى أن قوته لا تطيق محاربة الإنجليز، مما يفرض عليه الحياد؛ لأن دخوله في الحرب ينتهي إلى تقويض إمارته الصغيرة بما لا ينفع الدولة العثمانية شيئاً.

واقتنع الألوسي ورفاقه برأي الأمير عبد العزيز، وعادوا بوعده بالالتزام الحياد، وعدم الانجرار للشار ممن حاربه قديماً.

ولما عاد الوفد ووصل دمشق قام بعض المحرضين من أعداء الإصلاح بمحاولة تأليب الوالي جمال باشا السفاح على الألوسي، وأنه هو الذي أقنع الأمير بعدم نجدة الدولة والوقوف على الحياد، إلا أن جمال باشا الذي كان يعرف الألوسي جيداً وصدق نيته وإيمانه بالوحدة الإسلامية لم يسمح لهذه الوشائيات، ورضي بالحياد من أهل نجد.

وفي سفره لنجد مرّ الألوسي على حلب ودمشق وفلسطين فالحجاز ومن ثم نجد، وقد استفاد خبرة واسعة من هذه السفرة بأحوال البلاد العربية، ولكن للأسف لا نعرف بمن التقى في هذه المدن، وهل كان له مجالس علمية بها؟ وهل حصل منها على مخطوطات؟ كما أنني لم أجِد في ترجمة الأثري لشيخه الألوسي ذكر هل حج أم لا؟

٧- ولما وقع البلاء واحتلت بريطانيا العراق، وقد عاش تحت حكم الإنجليز ٨ سنوات، لم يقبل أن يتعامل معهم برغم محاولاتهم المتكررة معه لتسليمه بعض المناصب مثل منصب المفتي، وقاضي القضاة، كما رفض قبول الأعطيات منهم، ورفض قبول ٣٠٠ جنيه من المندوب السامي البريطاني جاءه بها تلميذه الأب أنستاس الكرمللي، وقال له: «خير لي أن أموت جوعاً على أن آخذ مالاً لم أتعِب في كسبه». وذلك حين كان الألوسي يعاني من الفقر فلا يلبس إلا ثياباً بسيطة، ويجلس على الحصير في غرفة وحيداً بلا زوجة ولا ولد!

وواصل جهوده في التدريس والتأليف وتحقيق للكتب، وقبل عضوية مجلس المعارف ليتمكن من توسيع نطاق العلم في العراق، والعضوية الفخرية للمجمع العلمي العربي بدمشق.

مرضه ووفاته:

أصيب الألوسي برمل في المثانة سنة ١٣٣٧هـ فأهمله، حتى اشتد عليه في سنة ١٣٤١هـ فانقطع عن التدريس مدة، ثم عاود التدريس فهزل جسمه وتعب قلبه، وفي العشر الأخير من رمضان سنة

١٣٤٢هـ أصيب بذات الرئة، وبعدها بأيام توفي عند أذان الظهر وحوله كتب العلم، رحم الله الألوسي وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وقد دفن بمقبرة الشيخ الجنيد وكانت له جنازة مهيبه، وصُلي عليه في نجد صلاة الغائب، ورثاه العلماء وأهل الفضل والدعاة الذين كانت له صلات مع كثير منهم، وقد رثاه العلماء والأدباء والشعراء:

رثاه الشاعر العراقي معروف الرصافي بقصيدة منها:

محمود شكري فقدنا منك حبر هدى

للمشكلات بحسن الرأي حللاً

قد كنت للعلم في أوطاننا جبلاً

إذا تقسّم فيها كان أجبالاً

ورثاه تلميذه محمد بهجة الأثري بقصيدة منها:

بغدادُ قد أقضرت من بعد مصرعه

فقلقل الركبُ عن بغداد أهبالاً

هذي المدارس أضحت وهي باكية

من بعد شيخ بنى الآداب أطلالاً

مراجع للتوسع:

● محمود شكري الألوسي سيرته ودراساته اللغوية، العلامة محمد بهجة الأثري، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

● أعلام العراق، العلامة محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ.

● مقدمة كتاب صب العذاب على من سب الأصحاب، أبو المعالي الألوسي، تحقيق عبد الله البخاري، مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

● مقال حياة الشيخ العلامة محمود شكري الألوسي، عبد الله بن صالح المحمود آل غازي، مجلة الحكمة عدد ٥، شوال ١٤١٥هـ.

وإذا علمنا أن الكليني، الملقب عند الشيعة بـ (ثقة الإسلام)، تُوِيَ في سنة ٣٢٨هـ، فإن ذلك يعني وجود فاصل زمني كبير بين الأئمة وبين الروايات المنسوبة إليهم، لا سيّما جعفر بن محمد الصادق، رحمه الله، الذي يعتبره الشيعة الإثنا عشرية سادس أئمتهم المعصومين (ت: ١٤٨هـ)، والذي ينسبون إليه مذهبهم الفقهي، ما يجعل المذهب مشكوكا في أصله.

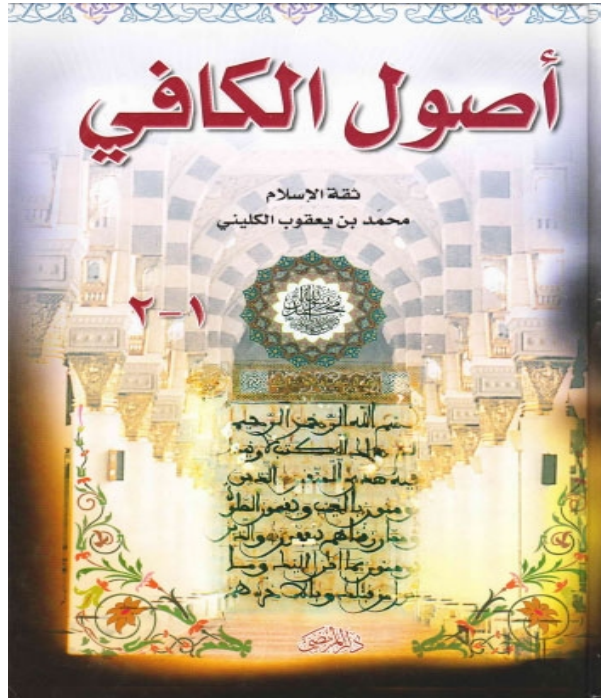
المأزق الأول

للخروج من هذا المأزق (أي عدم وجود مؤلفات للأئمة أو روايات جمعت في عصرهم) قال الشيعة إن لديهم ٤٠٠ كتاب دونها تلاميذ الأئمة مباشرة، من مجالسهم وإملاءاتهم، عُرفت باسم: الأصول الأربعمئة. وهؤلاء عددهم أيضا ٤٠٠ شخص، لكل واحد منهم مصنف، وكلهم سمعوا الأحاديث من الأئمة المعصومين مباشرة ومن دون واسطة في النقل ودونوها في كتبهم، فكان عليها اعتمادهم، وقد عُرض كثير منها على الأئمة. لذلك تعتبر تلك الأحاديث عند الشيعة من أمهات الأحاديث الشريفة

الشيعة يضيعون الأصول الأربعمئة

هينم الكسواني (*) - خاص بـ «الراصد»

شغل أئمة الشيعة الإثنا عشر مساحة من



الزمن امتدت لثلاثة قرون، ومع ذلك فإنه لا يوجد لأحد منهم كتاب في الفقه أو الحديث، يبين مذهبه وفقهه، على العكس من أئمة المذاهب الأخرى، وإن كل ما وصلنا منهم هو روايات منسوبة إليهم تم تدوينها بعدهم بفترة طويلة، حيث يعتبر كتاب (الكافي) لمحمد بن يعقوب

الكليني أقدم كتب الحديث عند الشيعة، وأوثقها، وأحد أربعة كتب معتمدة في الروايات المنسوبة للأئمة تُعرف باسم الكتب الأربعة أو المصادر الأربعة.

(*) كاتب أردني.

الأربعة انتفت الحاجة إلى الأصول الأربعمئة، واستُغني عنها، وهكذا ببساطة يحلّ الشيعة إشكالية عدم وجود الأصول التي قام عليها مذهبهم، يقول د. طه الدليمي: «لقد ضاعت جميعها، ولم يبقَ منها إلا أخبار عنها تُذكر في الكتب! وهي لو وُجدت حقاً لاحتاجت إلى فحص وتدقيق، وثبتت وتوثيق. فكيف وهي مفقودة لا وجود لها؟!».

للاستزادة:

- ١- أسطورة المذهب الجعفري - الدكتور طه حامد الدليمي.
- ٢- مع الإثنى عشرية في الأصول والفروع - الدكتور علي أحمد السالوس.
- ٣- دراسة «تراثنا الحديثي مأخوذ من الأصول الأربعمئة الشريفة المروية عن الصادقين عليهم السلام» - محمد جميل حمود العاملي.

القطعية الصدور عن الأئمة وأهل البيت، من هنا اصطُلح على تسميتها بالأصول الأربعمئة، باعتبارها أصولاً لغيرها من الأحاديث.

يدلل الشيعة على هذه الأصول واطلاع الأئمة عليها بروايات، منها: «عن أبي هاشم الجعفري، قال: عرضتُ على أبي محمد العسكري عليه السلام (الإمام الحادي عشر) كتاب (يوم وليلة) ليونس فقال لي: تصنيف مَن هذا؟ قلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكل حرف نورا يوم القيامة».

ومنها أيضاً: «عن أبان بن أبي عياش قال: هذه نسخة كتاب سليم بن قيس العامري ثم الهاللي دفعه إلى أبان بن أبي عياش وقرأه وزعم أبان أنه قرأه على علي بن الحسين عليهما السلام فقال: صدق سليم، هذا حديث نعرفه».

المآزق الثاني

وقع الشيعة في مأزق آخر، وهو أن هذه الأصول التي يعتقدون أنها «من أمهات الأحاديث الشريفة القطعية الصدور عن الأئمة وأهل البيت» وبأن تلاميذ الأئمة دونوها على مدى ثلاثة قرون، ليس لها وجود، وباعترا فهم فإنها اندثرت واختفت وأُتلفت وأُحرقت، ما يجعل مذهب الشيعة على المحك، إذ كيف يعقل أن هذه الأصول التي قام عليها مذهبهم، والبالغ عددها أربعمئة، ليس لها وجود؟!

للخروج من هذا المآزق الجديد، قال الشيعة إن هذه الأصول الأربعمئة جُمعت وتم تلخيصها في كتب الحديث الأربعة المعتمدة عند الشيعة وهي (الكافي للكليني، ومَن لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي، وتهذيب الأحكام والاستبصار للطوسي)، والتي أَلَفها أصحابها في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

ويقول الشيعة إنه مع حُسن تبويب الكتب

كانت تتوق إليه نفوس الكثير من هؤلاء الشباب في ظل ظروف سياسية صعبة عانت خلالها الكثير من عناصر الحركات الإسلامية لا سيما الشباب الإسلامي الويلات حيث التضيق والتهميش والمطاردات والاعتقالات، لذا فقد أعطت الثورة الإيرانية لهؤلاء الشباب الأمل في إمكانية أن تنثور الشعوب على الحكام المستبدين بما يملكون من قوة غاشمة وأن الشعوب قادرة أيضا على أن تغير من الواقع الأليم في الاتجاه الصحيح وفق ما كانوا يرون ويتمنون.

وفي هذا الصدد لا يمكن غض الطرف عن أن الدكتور الشقاقي ورفقاه كانوا آنذاك ممن ينتمون إلى فئة الشباب بما تتسم به هذه الفئة من مثالية فضلا عن التهور الشديد والانحياز الذي ليس له حدود لما يؤمنون به من أفكار وشعارات بل والاستعداد الكامل للتضحية بالنفس والمال من أجل الدفاع عنها ورفع رايته وبالتالي فقد كان من اليسير جدا أن ينحازوا إلى ما رفعته الثورة الإيرانية من شعارات براقية تتحدث عن مواجهة الاستكبار العالمي والوقوف ضد الظلم والسعي لتحقيق الحرية للشعوب والعمل من أجل إقامة دولة العدل والإسلام وهو ما مثل لهم سحرا بهرهم ورفع من معنوياتهم.

كما تزامنت الثورة الإيرانية مع اتساع الفجوة بين بعض الشباب الإسلامي وجماعة الإخوان المسلمين التي كانت الأهم والأكبر آنذاك إذ رأى هؤلاء الشباب أن الكثير من مواقف ورؤى الجماعة إزاء القضايا الإسلامية المحورية وخاصة القضية الفلسطينية قد أصابها الجمود فلم تعد تتناسب مع طموحاتهم وتطلعاتهم وهو ما جعل لدى هؤلاء الشباب الاستعداد النفسي والحركي للعمل

الجهاد الفلسطيني وإيران..

قراءة في تاريخ العلاقة وحاضرها

ناصر الفيومي^(١) - خاص بالراصد

الموقف الذي اتخذته الدكتور فتحى الشقاقي

مؤسس وزعيم حركة الجهاد الفلسطيني الراحل من الثورة الإيرانية وقائدها الخميني يعدّ وباقتدار نموذجا فذا وجليا على مدى السذاجة والطيبة التي تحلى بها ولم يزل الكثير من قيادات التنظيمات الحركية الإسلامية السنية حيث يتعاطون بمثالية شبه مطلقة مع الشعارات البراقة التي يصدر بها البعض من خارج الدائرة السنية أفكارهم وبرامجهم دون محاولة النظر من هذه القيادات بعمق لمكنون هذه الأفكار وحقيقتها وهو ما يورط بعض هؤلاء القادة السنة دون وعي في دعم وتأييد الكثير مما يمثل في جوهره خطرا حقيقيا على الأصول والثوابت والمنطلقات التي يفترض أن قادة الحركات الإسلامية السنية يؤمنون بها ويدافعون عنها باعتبارها الجزء الأهم فيما يخص الهوية الإسلامية.

الشقاقي وثورة الخميني

على المستوى التاريخي ربما يمكن أن يلتبس البعض من المعنيين بالحركة الإسلامية العذر للدكتور الشقاقي وغيره من الشباب في تلك الحقبة من نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي حيث جاءت الثورة الإيرانية ١٩٧٩م بمثابة تحقيق الحلم الذي طالما

(١) كاتب مصري.

في إطار جديد يقفز فوق الأطر الخاصة بجماعة الإخوان المسلمين.

ولقد ع ضد من ذلك كله أن هؤلاء الشباب لم تكن لديهم الدراية أو المعرفة الكاملة بحقيقة الشيعة ونواياهم إذ كان ما ارتكبه الشيعة في تاريخ الدولة الصفوية وما قبل ذلك جزءاً من الماضي الذي ربما قرأه بعضهم وتجاهله البعض الآخر وهو ما لم يكن حاضراً بقوة في أذهانهم عند تقييمهم لأية تجربة شيعية حاضرة أو معاصرة خاصة وأن الخميني الشيعي الذي يعد قائداً للثورة الإيرانية نجح وإلى حد كبير في أن ينتج عدداً من الأدبيات التي خدع بها البعض حيث أوهمهم بإمكانية تجاوز الخلاف السني الشيعي وأن الهدف من دعوته هو الإسلام وليس الطائفة الشيعية.

ولعل ما سبق هو ما يفسر إسراع العديد من شباب الجماعة الإسلامية المصرية التي تأسست في سبعينيات القرن الميلادي الماضي أيضاً إلى الإعلان عن تأييدهم ودعمهم للثورة الإيرانية الخمينية وإن كان هذا الموقف تغير لاحقاً بعد ما تبين لهؤلاء الشباب أن الأمر لم يكن وفق ما تصوروه.

ما بعد الشقاقي

بطبيعة الحال لا يمكن التماس ما تم سرده في السطور السابقة كأعذار لموقف أعضاء وكوادر حركة الجهاد الفلسطيني في الوقت الحالي من الدولة الإيرانية الخمينية فالوضع أصبح مختلفاً إلى حد كبير عما مضى زمن الشقاقي ورفقائه بعد أن تكشفت الكثير من الحقائق التي كانت خافية إلى حد ما والتي تأكدت يوماً بعد يوم ومن ثم فلم يعد ثمة مجال للدعاء بالقول بأن الأمور ليست بالوضوح الكافي الذي يرقى لأن تبني الحركات والتنظيمات السياسية مواقفها ورؤاها على أساسها.

فعلى المستوى العملي أبانت مواقف وتحركات الدولة الإيرانية طيلة أكثر من ثلاثين عاماً عن وجهها الحقيقي وبدأ جلياً أن الأهداف الحقيقية للثورة الخمينية ليست إلا استعادة لمواقف «الشعوبيين» في تاريخ الدولة الإسلامية حيث عملت بعض الأجناس غير العربية على استعادة أمجاد قومياتها اعتقاداً بأن الإسلام محا هذه الأمجاد،

ويرفع من قدر العرب ويعلي منهم على حساب بقية الأجناس.

كما ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الثورة الخمينية لم تكن إلا لصالح الطائفة الشيعية وليس لصالح الإسلام كما ادعى الخميني ومن حوله أو كما ظن المخدوعون فيه وفي شعاراته إذ يكفي للمرتاب في ذلك أن يقوم بعملية حصر ورصد لأهم المواقف الإيرانية طيلة هذه الفترة التاريخية حيث ستكون النتيجة الحتمية التي يخرج بها أن إيران بالفعل ومنذ ثورتها الخمينية لم تكن إلا شوكة في حلق المشروع الإسلامي بل إنها كانت السبب الرئيس وراء التوترات القائمة في المنطقة وأن ما تدعيه من إعلانها عن دعم المقاومة ضد الاستكبار العالمي ليس إلا أحد وسائلها الخبيثة والمأكرة لتوسيع نفوذها المعنوي في المنطقة العربية والإسلامية السنية فيما أن غرضها الأساسي هو تحقيق مآربها التي لا تتوقف عند حدود بناء دولة قوية، فالقوة المعنية عند أبناء ثورة الخميني هي بناء الدولة الفارسية التي ترى - ضمن ما ترى - أن الخليج العربي ما هو إلا خليج فارسي.

والشاهد أن ما كان يمكن أن نمرره ونفوتيه للشقاقي ولمن عاصره من الشباب الإسلامي لا يمكن بعد التجربة الإيرانية المبررة أن نقبله من قيادات وعناصر حركة الجهاد الفلسطيني بل إن الواجب العقدي والسياسي يفرض علينا أن لا نكف عن توجيه النقد واللوم في محاولة دائمة ومتكررة للتقويم والإرشاد لعل أن يكون في ذلك النفع والإفادة.

الجهاد ومحددات العلاقة

وما يهمنا في هذه السطور هو استقراء طبيعة العلاقة اليوم بين حركة الجهاد وإيران والنظام السوري بقيادة بشار الأسد على خلفية اندلاع الثورة السورية منذ أكثر من عامين ونصف العام إذ أن هذه القراءة كفيلة بأن تكشف عن مسار علاقة الجهاد بإيران وما طرأ عليها من تطورات.

والسؤال الذي يطرح نفسه بلا مقدمات.. هل حدث تطور أو تغيير في علاقة الحركة بإيران وحلفائها المتمثلين في نظام سوريا وحزب الله اللبناني؟ والحقيقة أن الإجابة على السؤال تلزمن أن نمر مروراً

سريعا على محددات هذه العلاقة والتي تتمثل في الآتي:

١- أن الكثير من حركات المقاومة الفلسطينية الإسلامية وغير الإسلامية ومن بينها حركة الجهاد الفلسطيني تستشعر بأنها مدينة بالفضل للدولة الإيرانية وحلفائها نظير الدعم المادي والسياسي الذي تقدمه إيران وحلفاؤها لهذه الفصائل حتى أن النظام السوري استضاف أغلب قيادات هذه الفصائل الفلسطينية للإقامة على الأراضي السورية في الوقت الذي تخلت فيه أغلب البلدان العربية والإسلامية السنية المنوطة للقيام بهذا الدور عن هذه الفصائل.

٢- أنه لا يمكن مطلقا تجاهل العلاقة التاريخية بين حركة الجهاد ومؤسسها الدكتور الشقافي وبين الدولة الإيرانية وثورة الخميني إذ تركزت أغلب كتابات الشقافي في بداية حياته النضالية على الثورة الإيرانية وكان كتابه «الخميني: الحل البديل» من أوائل الكتب التي كتبت حول هذه الثورة حيث صدر بعد أيام من وقوعها عام ١٩٧٩م الأمر الذي ظل وسيظل ربما نقطة فارقة في علاقة الحركة بالدولة الإيرانية حيث من الطبيعي أن يتأثر أعضاء وعناصر حركة الجهاد المنضوون تحت لوائها لاحقا بكتابات المؤسس الأول للحركة خلال مدارستهم لهذه الكتب التي ولا بد ستترك انطبعا إيجابيا حول الثورة والدولة الإيرانية بغض النظر عما يمكن أن يتكشف لهؤلاء الأعضاء فيما بعد، بل وبغض النظر عن موقف الشقافي نفسه من إيران والخميني قبل اغتياله بفترة قريبة.

٣- أن حركة الجهاد تحاول بشتى الطرق أن تتميز عن بقية الفصائل الفلسطينية الإسلامية وخاصة حركة «حماس» وذلك عبر الترويج بأن راية الجهاد والمقاومة هي الهدف الأسمى لها بعيدا عن الدخول في منافسات سياسية أو السعي للسلطة في ظل الاحتلال ومن ثم فهي تصطف مع جميع داعمي ومؤيدي المقاومة ضد الاحتلال بعيدا عن الاصطفاف العقائدي أو المذهبي وهو ما يفسر عدم خوض أعضاء حركة الجهاد للانتخابات البرلمانية أو البلدية التي أجريت في قطاع غزة قبل سنوات حيث رأت الحركة أن الصراع السياسي سيبعدها عن رسالتها الأولى.

٤- أن حركة الجهاد حاولت أن تنأى بنفسها عن

التطرق للحديث عن الطموح الإيراني بشأن استغلال الحركة وغيرها في نشر المذهب الشيعي في الأراضي الفلسطينية وبين الفلسطينيين بل إن الحركة لم تتوقف أمام عناصرها وأعضائها الذين افتتوا ووقعوا في فخ التشيع وهو ما جعل من الحركة نموذجا آخر للحركات التي تقدم السياسي على العقدي.

نتيجة لما سبق فإن علاقة الجهاد بإيران لم تختلف كثيرا عما كانت عليه أيام الدكتور فتحي الشقافي بل إنه يمكننا القول بأنها توثقت بشكل أكبر عما كانت عليه نظرا لاعتبارات أخرى منها ما يتعلق باللقاءات الدورية والمتكررة التي تجمع بين قيادات الحركة في الخارج وعلى رأسهم الدكتور رمضان شلح خليفة الدكتور الشقافي والأمين العام للحركة والذي معلوم عنه قربه الشديد من القيادات الإيرانية ومنها ما يتعلق بالدعم المادي الذي لم يعد خافيا من قبل إيران للفصائل الفلسطينية وعلى رأسها حركة الجهاد وهو الدعم الذي يمثل العمود الفقري للإنفاق على أنشطة الحركة وفعالياتها في الداخل والخارج.

شواهد ومظاهر

ليس أمرا صعبا تحديد بعض المظاهر الدالة على متانة العلاقة بين حركة الجهاد من ناحية والدولة الإيرانية وحلفائها، خاصة نظام بشار الأسد، من ناحية أخرى فهي شواهد حاضرة في العديد من المجالات السياسية والإعلامية، ويمكن أن نشير إلى بعضها ومنها:

أن موقف الحركة من أحداث الثورة السورية لم يكن ليخرج عن حدود الموقف الإيراني والموقف الأسدي حيث لم يتردد الأمين العام للحركة في بيان له^(١) من أن يؤكد أن الحل في سوريا هو الحل السياسي الذي يحقن الدماء في حين يدرك هو شخصا جيدا أن نظام الأسد لم يكن ليرحم الثوار السوريين السلميين في بداية اندلاع الثورة حيث نصب لهم المذابح في كل ركن من أركان سوريا وهو ما اضطرهم في نهاية الأمر إلى اللجوء للسلاح للدفاع عن أنفسهم في مواجهة حرب الإبادة التي كانوا يتعرضون لها.

(١) <http://www.youtube.com/watch?v=nGgUZ1-ozCw>

وكان موقف الجهاد دافعا لأن يتقول عليهم البعض بالقول بأن مقاتلين من الحركة قد شاركوا مع قوات بشار الأسد في مواجهة عناصر الجيش الحر السوري وأن هذه المشاركة جاءت في إطار رد جميل الدعم السوري لحركة الجهاد.

وعلى الرغم من أن الحركة نفت مرارا وتكرار مثل هذه الأنباء إلا أنها - أي هذه الأنباء - بقيت مؤشرا على طبيعة العلاقة بين الحركة والنظام السوري حليف النظام الإيراني.

ولا تقل دلالة تصريحات بعض قيادات الحركة عما ذهب إليه شلح فزي حوار أجرته معه قناة العالم الإيرانية أكد ناصر أبو شريف ممثل الحركة في طهران أن هناك هجمة كبيرة على المقاومة في المنطقة لأنها المؤثرة في المشروع العالمي وقال إن المعادلة أنه يجب أن يكون الكيان الصهيوني أقوى من محيطه الإسلامي يعني من فلسطين وحتى إندونيسيا فذلك يستهدف المقاومة في جنوب لبنان والمقاومة في قطاع غزة، وإيران التي تقف خلف المقاومة بكل قوة وبسالة، وسوريا التي لها دور أساسي في محور المقاومة مشيراً إلى أن كل هذه القوى هي المؤثرة في موازنة الصراع ولذلك يجب تحطيمها وإضعافها لأنها تشكل معادلة خطيرة بالنسبة للكيان.

ونوه أبو شريف إلى تصنيف الكيان إيران على أنها الخطر الاستراتيجي الأول عليه لتبنيها مشروع المقاومة وقال: إن العملية ليست صهيونية فقط وإنما يدعمها مشروع عالمي كبير حيث تقف أميركا خلف الكيان وإن هناك دولاً كثيرة تابعة لأمريكا إضافة إلى ما وصفها بمراكز الشرطة الموجودة في المنطقة كلها تحاول أن تقوم بدور إضعاف المقاومة من خلال تشيبتها وضربها وخلق الفتن الطائفية.

وأوضح أن أفضل مشروع يعمل عليه الكيان هو خلق الفتن الطائفية في المنطقة عبر تحويل إيران وحزب الله والمقاومة الفلسطينية والنظام السوري إلى عدو وبالتالي ضرب الأمة ببعضها، والكيان هو الطرف المستفيد لأن إضعاف الطرف الآخر يجعله قوياً في المنطقة مشيراً إلى أن كل ما يحيط بالكيان جعله مشغولاً بمشاكل داخلية لتمرير مشروعه وهو ضرب المقاومة وإلهاؤها عن

هدفها الأساسي.

ويعد ما اتخذته إعلام الحركة فيما يخص الموقف من الثورة السورية مؤشرا آخر يحمل نفس الدلالة السابقة إذ هو يلتزم الصمت المطبق حيال تطورات الوضع في سوريا رغم إدراك قادة الحركة أن هذا الصمت لا يعدو عن كونه موقفا سلبيا من الثورة السورية التي تنشد الحرية وتطلع إلى القضاء على الفساد والاستبداد الذي عانتها سوريا طيلة حكم آل الأسد.

غير أن المؤسف حقا أن هذا الصمت إزاء ما يرتكب في سوريا كان يقابله حالة من الإجلال والتقدير تجاه بعض رموز حلفاء إيران كنظام سوريا وحزب الله حيث تصويرهما باعتبارهما رمزين للمقاومة ضد العدو الصهيوني وهو ما يرسخ في الأذهان صحة وصدق ما يحاول الأسد ورفيقه حسن نصر الله الترويج له حيث القول بأن ما تتعرض له سوريا جزء من مخطط إمبريالي لإضعاف المقاومة ضد «إسرائيل».

ويمكننا رصد عدد من العناوين سريعا مما ورد على موقع «سرايا القدس» - الموقع الحربي لحركة الجهاد - إذ من بين هذه العناوين التي تخص حلفاء إيران مثلاً: «السيد نصر الله: «لن نتخلى عن فلسطين» و«العدو يعزز قواته على الحدود السورية وعينه على حزب الله» و«العدو يترقب وصول صواريخ S300 إلى سوريا» و«حسن نصر الله: نكبة ٤٨ هي نكبة كل العرب والمسلمين» و«نتنياهو: سنعمل على منع وصول السلاح من سوريا إلى حزب الله» و«حزب الله ٢٠١٣.. الحزب الذي لم تعرفوه من قبل» و«حزب الله: جاهزون لإلحاق الهزيمة والنكبة الكبرى بالكيان الصهيوني» و«يعالون يزعم: سواصل منع نقل الأسلحة إلى حزب الله».

ومن بين العناوين الخاصة بإيران: «روحاني: الكيان الصهيوني جرح يجب إزالته» و«نتنياهو يدعو لتشديد العقوبات على إيران» و«إيران: لدينا آلاف الصواريخ الجاهزة للإطلاق باتجاه مصالح العدو الحيوية».

والحقيقة أن مثل هذه العناوين وما تتضمنه أسفلها لا يحتاج إلى كثير تعليق فالخلاصة هي أن سوريا وحزب الله ومن قبلهما إيران هم في نظر حركة الجهاد حماة

المقاومة ضد الكيان الصهيوني وهو ما يحقر بالطبع من شأن الانتقادات والمواقف السلبية تجاه كل منهم.

ومن أهم وأخطر هذه الشواهد ما ذكره لي بشكل شخصي أحد معدي البرامج من العاملين في قناة «فلسطين اليوم» التابعة لحركة الجهاد الفلسطيني والتي تحظى بنسبة مشاهدة عالية لدى الفلسطينيين في الداخل حيث أكد لي هذا المصدر أنه ممنوع عليهم استضافة بعض الرموز السياسية والفكرية في برامجهم المختلفة.

وأكد هذا المصدر أن أغلب الممنوعين من الظهور على شاشة القناة هم ممن يحسبون على التيار السلفي أو الأحزاب الإسلامية التي تتخذ موقفاً منتقداً لإيران وسياساتها فضلاً عن كل الشخصيات الداعمة بقوة للثورة السورية والجيش الحر.

ولا يعني ذلك إلا أن صمت إعلام حركة الجهاد هو محاولة للتحايل على الموقف الحقيقي للحركة مما يحدث في سوريا حتى لا تفقد الدعم الشعبي العربي والإسلامي تجاهها كونها واحدة من فصائل المقاومة الفلسطينية ومن ثم فإن الأولى بالقبول هو أن هذا الصمت الإعلامي ربما جاء بالتوافق فيما بين قيادات الحركة والدولة الإيرانية وحلفائها كشكل من أشكال حفظ ماء وجهها وتفادي اتهامها بالتبعية لطهران.

في الحاجة لاستراتيجية مضادة للتشيع بالجزائر

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالرائد

كشفت الحركات الاحتجاجية الثورية في

المنطقة العربية، والواقع الجديد الذي أحدثته عن حراك منظم للمتشييعين في بعض الدول العربية، وهذا الحراك والنشاط يدل على أننا لسنا أمام حالات فردية متناثرة ومعزولة هنا وهناك، وإنما أمام حراك - بغض النظر عن الجدل حول حجمه - منظم يوجد داخله شكل من أشكال النسق الاجتماعي - على الأقل - من خلال الرموز والأتباع.

(*) كاتب جزائري.

ومن جهة أخرى فإن اتجاه المتشييعين إلى تشكيل هيئات سياسية واجتماعية والتعبير عن أنفسهم كمكوّن «أقلوي» ضمن مجتمعاتهم كما في حالة تونس ومصر^(١)، إلى جانب مواقفهم السياسية التي تسبح في فلك السياسة الإيرانية إذا ما ربطت بالحديث المتواتر في هذه الدول وغيرها عن دور فاعل للسفارات الإيرانية في العملية، وتوجيه قياداتها، فإن هذا يشي بوجود استراتيجية من طرف هذه القوى لنشر التشيع.

وقد برزت الكثير من الفعاليات المناهضة للتشيع في هذه الدول، ودعوات لوضع استراتيجيات لمجابهة المد الشيوعي، والسؤال الذي يطرح في الحالة الجزائرية يتمثل في وجود استراتيجية لنشر التشيع في الجزائر من عدمها؟ وإذا كانت موجودة فهل هناك عمل في الاتجاه المعاكس يرتقي إلى مستوى حجم التهديد أم لا؟

ملامح استراتيجية نشر التشيع في الجزائر

لا يختلف التشيع في الجزائر من حيث آليات انتشاره عن الدول العربية الأخرى، باعتبار أن الجهة التي تقف وراءه واحدة، وأهم آلية للانتشار من خلال الجهود الفردية في الوسط الاجتماعي للمتشييعين من أقارب وأصدقاء وغير ذلك، وهذا المستوى لا يعبر عن استراتيجية لنشر التشيع وإنما يعكس مجرد همّ دعوي يحمله كل فرد لمعتقده، يتضاعف في الحالة التي يكون فيها متبنياً لمعتقد يختلف عما هو سائد في مجتمعه حيث يتحمس لمعتقداته الجديدة ويسعى لنشرها.

هذا المستوى من النشاط يدخل ضمن النشاط الروتيني للمتشييعين وهو ما يتوقف عنده المقللون من خطورة الظاهرة، غير أن التكتل في هياكل مختلفة في

(١) ظهرت بعد ثورة ٢٥ يناير في مصر العديد من الحسينيات الشيعية، وسعت بعض القيادات لتأسيس حزب ناطق باسمها هو حزب التحرير، وأسس المتشيعة في تونس عدة جمعيات منها جمعية «أهل البيت الثقافية» التي يرأسها عماد الدين الحمروني، وجمعية «المودة الشيعية» ويرأسها عبد الحفيظ البناني وجمعية الرابطة التونسية للتسامح ويرأسها صلاح الدين المصري، وكانت هناك محاولة لتأسيس حزب سياسي تحت مسمى «حزب الله التونسي»، وبعد رفض السلطات التونسية الطلب غير اسمه إلى حزب الأمة. كما أسسوا جريدة ناطقة باسمهم وهي «الصحة التونسية»، وكانت قد ظهرت أيضاً ثلاث جمعيات شيعية في المملكة المغربية وهي: الغدير، البصائر، التواصل.

تونس ومصر كما سبق الإشارة لم يأت من فراغ وإنما هو مرحلة تالية للتواصل بين المتشيعين في وقت سابق. وهو ما لا تختلف عنه الساحة الجزائرية أيضا، حيث نجد حلقة تواصل بين المتشيعين في مختلف الولايات الجزائرية، إذ يلتقون بشكل دوري في مناسبة عاشوراء، أو من خلال شبكة الإنترنت التي تشكل فضاء للتواصل والتكتل بشكل أسرع وأكبر، ومنشآت شيعية الجزائر كانت أقدم فضاء للتواصل بين المتشيعين، ولا شك أنهم يواكبون التطور من خلال مواقع التواصل الاجتماعي ويستغلونها في نشاطهم، إذ تتواجد الكثير من المجموعات لشيعية الجزائر، بعضها مفتوحة وبعضها مغلقة.

هذا الانتقال من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي المحلي ثم المستوى الجهوي وممكن القول حتى الوطني للنشاط الشيعي الذي لم يجد الزمان المناسب كما في تونس ومصر حتى يتأطر في هياكل اجتماعية وسياسية مشابهة - وإن كانت هناك بعض المحاولات لتأسيس جمعيات في العاصمة ومدن مختلفة - ، كل هذا يؤشر على وجود مَن يخطط للعملية ويوجهها، ولا يستبعد أن تكون هذه الجهة هي السفارة الإيرانية أو على الأقل ترتبط معها بعلاقة مباشرة أو غير مباشرة. والمقصود بالجهة هنا «الرموز المحلية المتشيعية» والتي مضى على تحولها الديني بين العقدين والثلاثة، والتي أصبحت مترابطة فيما بينها، واستطاعت أن تسج علاقات مع إيران والمرجعيات الشيعية بشكل خاص في قم حيث يدرس هناك الكثير من المتشيعين، قدرت عددهم جريدة الشروق في سنة ٢٠١٠ بخمسين طالبا وهو رقم مرجح للارتفاع، هذا إذا لم يكن أكبر خاصة عند الأخذ بعين الاعتبار وجود حوزات أخرى في لبنان وسوريا وغيرهما من الدول^(١).

دور السفارة الإيرانية

طبعاً إيران تحاول دائماً نفي علاقتها بنشر التشيع في

الجزائر أو غيرها من الدول السنية^(٢)، حيث يتهم المتابعون للموضوع المراكز الثقافية التابعة للسفارات الإيرانية بالقيام بدور فعال في هذا الإطار.

لا بد من الإشارة بداية إلى أنه انطلاقاً من دستور الجمهورية الإسلامية وما قرره حول طبيعة النظام الإيراني إضافة إلى الخلفية الأيديولوجية للنخبة الحاكمة في إيران وهي نخبة دينية شيعية، فإنه يتجلى بكل وضوح تبنيتها لنشر القيم الدينية الشيعية بالخارج، ولا شك أن النشاط الثقافي الذي تقوم به كل السفارات الإيرانية كما هو متعارف عليه في الأعراف الدبلوماسية ذو أبعاد دينية تعكس طبيعة أو ثقافة المجتمع كما يتصورها النظام الحاكم، ويستحيل أن يكون نشاط هذه المراكز الثقافية خارج الإطار الشيعي ونشر معتقداته.

والوقائع والدلائل تبين أن السفارات الإيرانية لا تقف موقف المتفرج والمنتظر من التشيع، وإنما تعمل على إعداد الخطط والاستراتيجيات للتغلغل أكثر ونشره خدمة للهدف الأسمى الذي وجدت الجمهورية الإسلامية لأجله وهو تهيئة الظروف لظهور المهدي من الناحية الأيديولوجية، أو توظيف المتشيعين لما يخدم مصلحة النظام الإيراني من الناحية السياسية.

وكان تقرير لموقع (ميدل إيست أون لاين) تحدث عن وجود ما يسمى بوحدة «كتامة»، مهمتها إعداد خطط تحت إشراف مكتب المرشد العام لنشر التشيع الإثني عشري الجعفري في المغرب العربي. وتتضمن هذه الخطط الدعم المعنوي والمادي لشبكات تشيع منتشرة في المغرب العربي وتكثيف النشاط التبشيري عبر أوروبا حيث تستهدف الجاليات المغاربية في فرنسا وبريطانيا وألمانيا^(٣). وأشار التقرير أيضاً إلى أن البحرين تعد مركز نشاط تبشيري للتشيع؛ إذ يتم منها إرسال مواد كثيرة عبر البريد

(٢) بعد نشر جريدة الشروق مقالات الأستاذ أنور مالك عن علاقة إيران بالجماعات المسلحة ردت السفارة الإيرانية بتكذيب ما ورد من معلومات، وكما جرت العادة اعتبرت ذلك يصب ضد وحدة الأمة الإسلامية.

(٣) عبد العزيز الخميس، كتامة ذراع التشيع الإيراني في المغرب العربي، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١١/٠٩/٠٨، على الرابط:

<http://www.middle-east-online.com/?id=117096>

(١) ٥٠ طالبا جزائرياً يتشيعون ويعتقدون في قم الإيرانية، جريدة الشروق، ٢٠١٠/٠٥/١٠، على الرابط:

<http://www.echoroukonline.com/ara/?news=51845>

لدول المغرب العربي، ويتم الطبع والتصميم وإنشاء المواقع الإلكترونية الموجهة للمغرب العربي بتمويل يأتي عبر أحد آليات المجلس العلمائي في المنامة وهو عيسى قاسم، والذي تشير التحقيقات الجزائرية إلى أنه يتسلم الأموال المخصصة لنشاط «كتامة» في البحرين من طهران^(١).

كما توفرت معلومات مهمة عن استخدام إيران لجمعية شيعية كويتية تستر وراء مكتبة «العرفان» تستعمل وحدة «كتامة» هذه المكتبة لترويج المذهب الشيعي في الجزائر والمغرب^(٢).

صلى هذا النشاط الشيعي التبشيري تجلى بردود الأفعال المغاربية في مواجهته بداية بالملكة المغربية التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع طهران بسبب هذه النشاطات، وفي تونس اتهمت الرابطة التونسية مناهضة المد الشيعي المركز الثقافى الإيراني التابع لسفارة إيران بنشر المذهب الشيعي في تونس وطالبت الحكومة التي تقودها حركة النهضة الإسلامية بإغلاقه فوراً وأوضحت أن هذا المركز يعمل بالاشتراك مع الرابطة التونسية للتسامح على نشر التشيع في تونس ولفتت إلى أن هذه الجمعية «في ظاهرها منظمة ثقافية وفي باطنها عقائدية مندسة في المجتمع المدني (التونسي)، ذات ولاء لدولة إيران وأهدافها معادية لهوية تونس (الدولة) السننية المالكية»^(٣).

وفي ليبيا حذر مفتيها صادق الغرياني من النشاط الإيراني لنشر التشيع حيث كشف عن متابعة لتحركات وأنشطة شيعية لأشخاص إيرانيين دخلوا ليبيا تحت عدة مزايم، بينما كان هدفهم الرئيسى هو نشر المذهب الشيعي بين الليبيين السنة، مستغلين حاجة الناس، واضطراب الأمن، وإعادة ترتيب الأوضاع الليبية بعد الفراغ الذي أحدثه غياب ما سمي باللجان الشعبية التي كانت تتحكم في كل شيء في الداخل الليبي^(٤).

أما في السياق الجزائري فهناك مؤشرات تعكس ملامح لاستراتيجية في نشر التشيع يستحيل أن تأتي من فراغ، ولاشك من وجود توجيه مباشر أو غير مباشر من طرف ما، وهذا الطرف يقبع في طهران أو قم، وفي الحالتين لا بد من المرور على السفارة الإيرانية، ولعل أهم المؤشرات ما يلي:

١- الاختراق:

هو سلوك قديم جديد من طرف إيران، أبرز وأخطر أشكاله تلك التي عرضها الأستاذ أنور مالك في كتابه (أسرار الشيعة والإرهاب في الجزائر)، حيث كشف عن اختراقات عديدة للجماعات المسلحة خلال التسعينيات بواسطة متشيعين لهم علاقة مباشرة ووطيدة مع النظام الإيراني وحزب الله^(٥)، كما كانت هناك محاولات للمتشيعين لاختراق بعض الأحزاب الإسلامية والتنظيمات المجتمعية مثل: الكشافة الإسلامية حيث كشف عن قيام ثلاثة أفواج كشفية في ولاية باتنة بنشر التشيع هي: الرجاء، والمستقبل، والفلاح، وقامت المحافظة بتجميدها^(٦).

وعلى إثر الفضيحة صرح قائد الكشافة الإسلامية نور الدين بن براهيم عن إرسال لجنة تحقيق في الموضوع، وأكد على اتخاذ إجراءات وتدابير وقائية صارمة لحماية شباب الكشافة من المد الفكري الخارجي، واعترف في نفس الوقت بغياب المتابعة سابقاً لطبيعة نشاط الأفواج الكشفية، وحاول إيجاد تبريرات لها^(٧)، ليدق تقرير لجنة التحقيق ناقوس الخطر بشأن تواجد التوجه الفكري الشيعي بعد حادثة باتنة، وبأنه منتشر بين عائلات وليس وسط تلاميذ ومرتادي الأفواج الكشفية فقط، ودعا إلى تفعيل منظومة دفاع اجتماعية وقيمية مشتركة لحماية

(٥) لتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع انظر: أنور مالك، أسرار الشيعة والإرهاب في الجزائر، ط ١، الجزائر: الشروق للإعلام والنشر، ٢٠١١.

(٦) تجميد نشاط أفواج كشفية تورطت في نشر التشيع، جريدة الشروق، ٢٠١٢/٠٢/٠٢، على الرابط:

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/155737.html>

(٧) طوارئ لمواجهة زحف المد الشيعي داخل الكشافة، جريدة الشروق، ٢٠١٢/٠٢/٠٦، على الرابط:

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/156130.html>

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) نوميديا نيوز، ٢٠١٢/٠٨/٢١، على الرابط:

www.numidianews.com/ar/article~35948.html?_featured=7dd701e074e9850f9d6d1b52332b0dee

(٤) نشاط شيعي مكثف في ليبيا، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٢/٠٦/٠١، على الرابط:

<http://taseel.com/display/pub/default.aspx?id=1886&mot=1>

الله هو في النهاية حديث عن إيران كون الحزب لا يعد أن يكون فرعاً من فروع الحرس الثوري الإيراني. ومن المعلوم الدور الكبير لمؤسسة الحرس الثوري في النظام الإيراني ونشاطها الخارجي وسعيها لتأسيس فروع وخلايا حيثما تتاح لها الفرصة والإمكانات.

وفي هذا السياق أشارت التقارير إلى محاولات لتأسيس (حزب الله المغربي) ليضم متشيعين من كل الدول المغربية، ويرأسه المتشيع تيجاني السماوي من تونس^(٤). وبغض النظر عن وجود هذا الفرع لحزب الله من عدمه فإن نشاطات كل المتشيعين لا تختلف في النهاية من حيث المقاصد عن دور ومهام حزب الله. وعملية الاختراق التي أشرنا إليها سابقاً هي مرحلة من مراحل زرع الخلايا.

٣- التوظيف:

تعمل إيران جاهدة على توظيف المتشيعين لتحقيق مشروعاتها في الدول العربية، وأفضل وسيلة لتمريره وتجاوز العقبات التي تحول دون ذلك جعل أصوات عربية في الواجهة للدفاع عنها سياسياً وأيضاً لنشر التشيع، وهناك الكثير من الأسماء المتشيع أو ما يطلق عليهم بالمستبصرين، لهم حضور قوي في الإعلام الشيعي عامة، والإيراني خاصة، ولهؤلاء برامج في قنوات إيرانية، وطريق هؤلاء في رحلة تشيعهم حتى استقرار المقام بهم في قم أو بيروت لا شك أنه مرّ أيضاً في مرحلة من المراحل عبر السفارة الإيرانية.

ومن الأمثلة على ذلك: عبد الباقي قرنة، المقدم في فضائية الكوثر، ويحيى أبو زكريا الذي عمل في فضائيات إيرانية عديدة، وهو حالياً يعمل إلى جانب المتشيع غسان بن جدو في قناة الميادين التي سخرت لإجهاض الثورة السورية، وأصبح يحيى أبو زكريا ضيفاً دائماً على قنوات النظام السوري يمارس التشبيح الإعلامي. وأيضاً الكاتب الصادق سلايمية الذي نشر

كما يعمل المتشيعون على إنشاء جمعيات ثقافية أو خيرية في الظاهر كالدروس الخصوصية أو تحفيظ القرآن، ولكنها في الباطن لنشر التشيع آخرها محاولة تأسيس جمعية في الجزائر العاصمة تحت اسم (حسن الاستقبال)، ثم غيروا الاسم إلى جمعية النور^(٢)، ونفس السلوك يتكرر في كل المدن خاصة الكبرى منها. نشاط المتشيعين ضمن هذه الأطر سيكون مطية أو وسيلة للوصول إلى مراكز حساسة في الدولة، والخطورة تكمن في عدم القدرة على اكتشاف المتشيعين لممارستهم التقية، وقد يكون المتشيعون الجزائريون أكثر تقية من غيرهم لحساسية المجتمع الجزائري وطبيعة النظام السياسي.

٢- زرع الخلايا:

هناك إجماع بين الباحثين والمتابعين لموضوع التشيع أن بدايته كانت في الستينيات والسبعينيات من خلال الأساتذة المستقدمين من العراق وسوريا وغيرها، وإن كان نشاط هؤلاء في هذه المرحلة نشاطاً دعوياً فردياً، إلا أنه بعد نجاح الثورة الإيرانية يرجح حدوث نوع من التنسيق خاصة مع دخول إيرانيين ولبنانيين على الخط عقب الثورة مهمتهم تصدير فكر الخميني، حيث كان لهم نشاط قوي في الجامعات الجزائرية بين الطلبة.

كما أشارت التقارير أيضاً إلى وجود خلايا شيعية في دمشق وتحديدًا في مقام السيدة زينب للتنسيق بين المتشيعين، وقد أثبتت قبل سنوات قضية رجل الأعمال اللبناني «صلاح عز الدين»، المرتبط بحزب الله، والذي صرّح للقضاء اللبناني عن خسارته لمبلغ قيمته ٢٠٠ مليون دولار في نشاطات تجارية بالجزائر. والذي كان من نتائج فضيحة إفلاسه فتح الأمن الجزائري تحقيقاً حول خلية للحزب في الجزائر^(٣)، وبكل تأكيد فالحديث عن حزب

(١) الكشافة الإسلامية تحذّر من المدّ الشيعي، جريدة الشروق، ٠٨/٠٢/٢٠١٣، على الرابط:

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/156319.html>

(٢) نور الدين المالكي، برنامج ساعة مغربية على قناة وصال، تاريخ بث الحلقة، ٢٠١٣/٧/١٩.

(٣) بوزيدي يحيى، خلايا حزب الله تهويل إعلامي أم تهديد حقيقي، موقع

الألوكة، ٢٠١٠/٠٤/٠٦، على الرابط:

<http://www.alukah.net/culture/>

(٤) أنور مالك، أسرار الشيعة والإرهاب في الجزائر، ط١، الجزائر:

الشروق للإعلام والنشر، ٢٠١١، ص ١٢٦.

العديد من المقالات في جرائد جزائرية مختلفة من ضمنها جريدة (البصائر) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكانت تدور كلها حول الطعن في الصحابة والانتقاص من السنة وإعلاء شأن الشيعة، وانبرى الكثير من الفضلاء للرد عليه وتفنيد ما اجترحه من أباطيل، من بينهم الدكتور مختار حمامي، ونور الدين المالكي، وحاليا تدور كتاباته في نقد الحركة الإسلامية، وحتى التي يتناول فيها القضايا الدولية فإنها تتماشى مع السياسة الإيرانية.

والجدير بالذكر هنا أن هذا الكاتب كان عضوا بارزا في حركة الإصلاح الوطني، وهي حزب إسلامي، واتهم بقضية أخلاقية لما كان يرأسها عبد الله جاب الله الذي كانت تربطه به علاقات جيدة، كما شارك في مؤتمر الصحة الإسلامية في طهران في سبتمبر ٢٠١١ وألقى كلمة هناك، وعلى هامشه شارك في برنامج على قناة الكوثر مارس فيه كغيره من المتشيعين مهام الطابور الخامس في الدعاية لإيران، وهو الملتقى الذي حضره بالمناسبة أبو جرة سلطاني، زعيم حركة مجتمع السلم السابق، والسؤال الذي يطرح: لماذا اختيار سلايمية دون غيره؟ ومن اختاره غير السفارة الإيرانية؟

وقد بدأت تبرز بعض الأسماء الدينية المتشيعية مثل فضيل الجزائري. وعموما فإن المتشيعين الذين يدرسون في قم وغيرها من المراكز الدينية هم مشاريع دعاة (استبصار) على القنوات الإيرانية والشيوعية، وهذا سلوك يحمل رسالة خطيرة للمجتمعات العربية والمغاربية خاصة.

٤- التسويغ:

محاولة إيجاد مسوغات لوجود التشيع تاريخيا من خلال الحديث عن دولة الأدارسة كأول دولة لآل البيت، أو الدولة الفاطمية، أو اللعب على الوتر العرقي بالحديث عن أن أصل البربر شيوعي، ما يعني أصالة التشيع في شمال إفريقيا. أو العزف على وتر الأشراف وآل البيت الذين هاجروا إلى هنا بسبب المآسي التي لحقت بهم من طرف السلطة الأموية السنية ما يعني بمفهوم المخالفة أن أشراف المغرب يخونون أجدادهم.

وأيضا من خلال الأضرحة وزيارتها والتي تعتبر أيضا أحد أهم المداخل للتشيع باعتبارها غطاء لممارسة

طقوسهم وأيضا لكسب الطرق الصوفية، على غرار ضريح سيدي عبيد وضريح موسى البهلول^(١)، وأهم ضريح هو ضريح خالد بن سنان العبيسي المتواجد بمدينة سيدي خالد بولاية بسكرة وكان مكان احتفالهم بعاشوراء، وسبب اختياره وجود ضريح أحد الأولياء وهو عبد الرحمن بن خليفة الذي ينحدر نسبه لآل البيت^(٢). مثل هذه مبررات لديهم على قدم التشيع في البلاد ومسوغ لنشره وانتشاره، وليس بالضرورة أن يكون المسار أحاديا فقد يجتمع مدخل أو مدخلان وربما جميعها، ويلقن المتشيعون كل هذه الأفكار لطمأننتهم لمعتقدهم الجديد وتثبيتهم عليه.

إرهاصات الاستراتيجية الموازية

على عكس العقود السابقة التي كان لا يلقى فيها بال لكل الأصوات والدعوات المحذرة من خطر التشيع، حدث تحول في قراءة هذه الظاهرة يأتي في مقدمتها موقف وزارة الشؤون الدينية التي كانت تنفي من قبل أي خطر شيوعي وأصبحت الآن تعتبره تهديدا للهوية الجزائرية، وإن كان هذا الموقف يحمل في طياته متناقضات عديدة بداية بعدم وجود مبررات تفسر التحول المفاجئ في الموقف خاصة وأن الرجل الأول في الوزارة كان لا يقلل من هذا الخطر فحسب وإنما ينفيه، مروراً باتهام اللاجئين السوريين بنشر التشيع مع عدم وجود أي رابط منطقي بين الأمرين، وانتهاء بالنزج بالسلفية إلى جانب التشيع كتهديد للمرجعية الدينية الوطنية، رغم أن الوزير يعلم أن هذا الاتجاه موجود في مساجد الوطن، وهو مكون اجتماعي قد تكون عليه بعض المؤاخذات كغيره من مكونات المجتمع لكنه في الأخير مكون طبيعي.

ولكن مع كل هذا فإن الاعتراف الرسمي بالتشيع كخطر على المرجعية الوطنية بداية في الطريق الصحيح تحتاج إلى ترجمة عملية لها، خاصة وأنه إذا سلمنا جدلا بأن التشيع - مثله مثل السلفية - تهديد، فإن الوزارة اتخذت ضدها بعض الإجراءات في هذا الإطار والتي

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٢.

وصفتها الصحافة بـ (الوصايا العشر في رمضان) في حين لم تقم بأي خطوات لمواجهة خطر التشيع!

وبإمكان الوزارة أن تقوم بإجراءات عديدة ضد التشيع كتوجيه أئمة المساجد لتخصيص خطبة جمعة عن الشيعة والتحذير منهم خاصة بمناسبة عاشوراء، أو أن تصدر وتوزع كتيبات حول الشيعة أيضا، كما بإمكانها أن ترسل أئمة من أصحاب الكفاءات العالية جدا في الخطابة إلى المناطق التي تشهد نشاطا تبشيريا شيعيا وتحديدا حيث يتواجد بعض رموزهم، حتى لا يبقى الشباب المستهدف مأخوذا بهؤلاء في ظل عدم وجود من يقابلهم من الرموز الدينية المكافئة. ولا شك أن الوزارة كمؤسسة يفترض أنها تملك من الإمكانيات والعقول ما هو أعرف وأكثر تقديرا للمخاطر وكيفية مواجهتها.

من جهتها فإن الحركة الإسلامية أصبحت هي الأخرى تعي بعض الشيء خطورة الشيعة، وإن كانت لم تجعل من خطر التشيع أحد محاور نضالها الديني والسياسي رغم أنه ينافسها في أهم معاقلها وهي الكشافة الإسلامية، وحتى داخل الاتحاد العام الطلابي الحر وإن بشكل أقل، والمؤسف أنها لا زالت تنظر للأمر من زاوية حزبية ضيقة، فبينما سارعت إلى إصدار العديد من البيانات الرافضة للانقلاب العسكري في مصر ونظمت وقفات احتجاجية أمام السفارة المصرية ومقر الأمم المتحدة إلا أنها لم تقم بخطوات مماثلة في الحالة السورية.

بل المؤسف أن رئيسها استقبل - قبل فترة - السفير الإيراني في الجزائر، وأورد موقع الحركة أنهما ناقشا القضايا الدولية، وهنا نتساءل عن الذي قاله معاليه لسعادته حول سوريا؟، وكان سبق لنا تفصيل تطور موقف الحركة من الأحداث الأخيرة وتمنيينا منها أن تقوم بأقل الواجب في هذا الإطار، وهو أقل بكثير مما تقوم به تجاه مصر مع أن الأخير جيد بكل تأكيد^(١).

ويبقى الاتجاه السلفي في مقدمة المحذرين والمواجهين

للتشيع، ومن خلال المتابعة فإن نشاط هذا الاتجاه في مواجهة الظاهرة رصدناه فيما يلي:

١- النشاط العلمي الروتيني إن صح التعبير للسلفيين واهتمامهم بالعقيدة الصحيحة ونشرها، ومن ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة وآل البيت، والشبه التي يثيرها الشيعة في هذا الإطار، وعقيدة أهل السنة في المهدي المنتظر، والفرق بينه وبين المهدي المنتظر عند الشيعة، وغيرها من المواضيع العقيدية التي تفصلها كتب العقيدة وبشكل خاص كتاب شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن العثيمين رحمه الله الذي يقرأه ويتدارسه جل السلفيين.

٢- في الدورات العلمية التي ينظمها السلفيون في بعض الأحياء الجامعية يكون هذا الموضوع حاضرا، فمثلا إحدى الدورات التي تسنى لي حضورها كانت هناك محاضرة تحت عنوان (عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة)، كما أن الدعاة السلفيين في نشاطهم العلمي أيضا يتطرقون في سياق حديثهم إلى خطر التشيع وينبّهون ويحذرون منه.

٣- إصدار عدد خاص من مجلة الإصلاح السلفية حول الشيعة، وقام السلفيون بتوزيعه إضافة إلى بيان للشيخ ربيع المدخلي يحذر من خطر التشيع، في ولاية عين تموشنت وهو النشاط المضاد الموجه بشكل مباشر لمحاربة التشيع في هذه المدينة التي يتواجد بها أحد أهم رموزهم الدينية^(٢).

لكن هذا النشاط على أهميته لا يرتقي إلى مستوى الاستراتيجية لمواجهة هذا الخطر، فأولا نجد هذه النشاطات لا تستهدف المتشيعين بشكل مباشر كما لو أنه يسلم ويقرّ بتشيعهم، بل وأكثر من ذلك فإننا نجد المتشيع ناشط في نشر معتقداته وضلالاته رغم هشاشتها وتناقضاتها، وفي المقابل يقف السلفي موقف المتوجس والمتخوف من مواجهته بسبب الخشية من مجالسة أهل البدع، كما أن غياب التوجيه الشرعي الواضح في

(٢) التيار السلفي يشن حربا على معتقي المذهب الشيعي بالجزائر، جريدة الشروق، ٢٠١١/١٢/٠٩، على الرابط:

<http://www.echoroukonline.com/ara/index.php?news=٨٨٤٦٠>

(١) بوزيدي يحيى، إخوان الجزائر واعترافات القرضاوي، مجلة الراصد، العدد ١٢٣، بتاريخ ٢٠١٢/٠٦/٢١، على الرابط:

http://alrased.org/main/articles.aspx?selected_article_no=٦٢٩٦

الخلاصة

المخاوف التي تطرح حول ظاهرة التشيع ليس من كونها حالات فردية، وإنما من وجود الكثير من الأمارات والعلامات التي تعكس وجود تخطيط منظم لنشر التشيع، والخطورة ليست في الأمد القريب ولكن على المستوى البعيد. وما يساهم في عدم الاستشعار بها هو التباعد الجغرافي بين الجزائر وإيران من جهة وتشابه المواقف السياسية إلى حد كبير من التحولات الجارية في المنطقة بين النظامين السياسيين التي تغطي على طبيعة نشاط المتشيعين، لأن ما يحركه هو توافقه مع إيران أكثر منه مع الجزائر.

ولكن السابقة التاريخية خلال الأزمة الجزائرية في حقبة التسعينيات من القرن الماضي وما تم تداوله عن دور للحرس الثوري في تدريب عناصر إرهابية وتقلد متشيعين لمراكز قيادية في تلك الجماعات مؤثر على ما هو أسوأ من المتشيعين إذا ما استمروا في نشاطهم، خاصة في ظل ما يرصد من تعدد لأوجه نشاطهم. من هنا تأتي أهمية تنبيه كل الأطراف لتحمل مسؤولياتها والنظر للموضوع من زاوية أكثر شمولية، واستدراك الأخطاء وسد الثغرات والفراغات التي تسبب منها التشيع والعمل على تحصين المجتمع منه.

ولعل إثارة هذا الموضوع والنقاش الجاري حوله إعلامياً يشكل إرهاباً أولية لاستراتيجية مضادة للتشيع، بداية من مواقف وزارة الشؤون الدينية وإدراجه ضمن المخاطر المهددة للمرجعية الوطنية، وتنبه الكشافة الإسلامية للنشاط الشيعي التبشيري وسعيها لاتخاذ إجراءات وقائية منه، وتفتن الحركة الإسلامية لحقيقة الشيعة بفضل الثورة السورية، فضلاً عن النشاط السلفي في محاربة الظاهرة على احتشامه.

ولكن هذه التطورات مجتمعة تحتاج لتجميعها وتوجيهها في سياق منظم أو استراتيجي يوازي استراتيجية نشر التشيع، وهذا الدور منوط بالمؤسسات الأكاديمية والعلمية التي على جميع الفاعلين الالتفات إليها والإصغاء لها بل ودعمها وهذا أقل الواجب من الجميع تجاه الدين والوطن.

كيفية التعامل مع المتشيعين يربك حركة السلفيين. وهنا أضرب مثلاً واقعياً عن غياب الاستراتيجية المتكاملة والشاملة لهذا الأمر حيث أنني طرحت على ثلاثة مشايخ سلفيين إشكالية خلاصتها: هل يجوز لشخص قبول هدية من أضحية جاره المتشيع؟ فحصلت منهم على ثلاث إجابات، أحدهم قال: يجوز، والثاني قال: لا يقبلها منه، وسكت، والثالث قال: لا يقبلها منه وأضاف بأن يفعل ذلك بأسلوب حسن ويوضح له بأنه لا يقبلها منه لأنه متشيع مع شكره على ذلك لدعوته لعله يرجع عن تشيعه، قياساً على الجار الذي يكون عمله حراماً ويهدي جاره طعاماً فيرفض هديته ويوضح له أن عمله حرام. وهذه الإجابة الأخيرة أجد فيها نوعاً من الاحتواء الإيجابي للمتشيعين وهذا ما يحتاجه الكثير من السلفيين.

ومن ناحية أخرى فإن العمل الذي استهدف مواجهة الظاهرة بشكل مباشر يتمثل في إصدار عدد خاص من مجلة الإصلاح حول الشيعة وتوزيعه في مدينة عين تموشنت فقط، وهذه الحملة إضافة إلى أنها تكاد تكون الوحيدة ومعزولة فإنها جاءت جد متأخرة بعد قرابة الثلاثة عقود من الانتشار المتصاعد للظاهرة، وما يلفت الانتباه أيضاً أنها جاءت بعد قرابة الخمسة أشهر من بيان للشيخ ربيع المدخلي حذر فيه من خطر التشيع في الجزائر والتخاذل في محاربته^(١)، في حين يفترض أن يكون عمل السلفيين أكبر وأقدم كونهم الأقرب والأعرف بالمجتمع ولا ينتظرون حتى تصدر تحذيرات من الشيخ ربيع، هذا مع العلم أن التنبهات والتحذيرات كانت أقدم من هذا بكثير.

كما أن الشيخ فركوس أفتى بعدم جواز مناظرة الشيعة في الفضائيات ووجوب محاربتهم في غير ذلك، ورغم النتائج الكبيرة الإيجابية لهذه المناظرات والتي اضطرت الشيعة للإفتاء بحرمة مشاهدة هذه المناظرات والقنوات!

(١) ربيع المدخلي: أيها الجزائريون سكوتكم عن التشيع من أكبر المنكرات، جريدة الشروق، ٢٥/٠٥/٢٠١١، على الرابط: <http://www.echoroukonline.com/ara/?news=٥٩٥١>

كذلك حقيقة.

سياسات إيران تجاه العراق:

بسبب أن العراق يحوي مراقد وقبور ستة من أئمة الشيعة المعصومين، وهو مركز التشيع القديم، كما أنه يشكل لإيران عمقا جغرافيا إستراتيجيا منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة، تهدف سياسة إيران في العراق إلى تحقيق عدة أمور:

- السيطرة المذهبية على شيعة العراق ومرجعياتهم، وهذا هدف قديم منذ زمن شاه إيران الذي دعم مرجعية محسن الحكيم، وصرح بهذا الحكيم يومها أن قال: «إنّ نظام الشاه هو المدافع الوحيد عن شيعة العالم وهو حصنهم الحصين والوحيد»، واستمرت فكرة توظيف المذهب لصالح إيران بعد تسلم الخميني زمام الأمور سنة ١٩٧٩م وليومنا هذا.
 - كما أن هناك حلما إيرانيا بحكم المنطقة، والسيطرة على موارد العراق وإيران النفطية تسهل ذلك، إضافة إلى أن حجم الشيعة في العراق وإيران كبير.
 - جعل العراق بلداً رديفاً للنظام الإيراني واحتياطيا لها في الناحية الاقتصادية، ووسيطا سياسيا بالمفاوضات أحيانا مع الدول الأخرى، وغطاء للتحركات الإيرانية. ومن أجل تحقيق ذلك تسعى إيران لتغيير ديمغرافية العراق بتحويل سكانه إلى غالبية شيعية بإشغال معارك تطهير طائفي في كل حين في العراق، ويساعدها على ذلك الوجود الشيعي الكبير بالعراق ووجود عدد من الأحزاب الدينية والمراجع، وتعمل إيران على تخويفهم دائما من عودة الخطر السني إذا لم يستغلوا الفرصة التي لم تسنح لهم منذ ١٤ قرنا!
- هذا المخطط الإيراني الديني والقومي يحاول بعض الشيعة من أصحاب التوجهات القومية أو العروبية أو العشائرية معارضته، ولربما توجد توجهات دينية شيعية عراقية تحاول التخلص من هيمنة إيران على العراق؛ لأن سلوك إيران القومي الشوفيني يستفز حتى الشيعة العرب، وما سيحدث لشيعة العراق هو مصير شيعة الأحواز.

حقائق خطيرة في الشأن العراقي علاقة أمريكا وإيران بتنظيم القاعدة

سمير الصالحي^(١) - خاص بالرائد

شهدت الأشهر الأخيرة تصعيداً خطيراً في الشأن العراقي؛ من تفجيرات في المناطق السنية والشيعة، وعودة التهجير للسنة في بغداد ومحافظة ديالى، وظهور ميليشيات شيعية، وإجراء استعراضات عسكرية في الشوارع بشكل علني، وقيامها بإرسال تهديدات بالقتل لخصومها في وسائل الإعلام، ومن ثم معاودة ظهور تنظيم القاعدة بشكل قوي وملفت للنظر، وكان آخر ذلك هروب سجناء القاعدة من سجن أبي غريب والتاجي، بعد هجوم شنته القاعدة، لهذا كان لابد من تحليل لهذه التطورات والبحث عن أسبابها.

في البداية إن من يظن أنّ التطورات في العراق تجري بشكل منفصل عما يجري في المنطقة فهو مخطئ وواهم؛ لأنّ الأحداث تجري على خط زلزال واحد، فقد اقترب العدد اليومي للقتلى في العراق من عدد القتلى السوريين على يد النظام الأسد!!

في العراق فإن زمام الأمور على الأرض بيد إيران؛ لأنها استلمت الأمور من أمريكا بعد شبه اتفاق مسبق بينهما وفق صفقة معينة، لكننا لا نذهب إلى النظرية القائلة أنّ ثمة مؤامرة كاملة بين الطرفين؛ لأننا يجب أن نفهم طبيعة هذه الدول، ففي داخل هذه الدول كتل وأجنحة متصارعة متضاربة الآراء والأفكار بشكل حقيقي وليس تنسيقيا، وتعمل كل واحدة منها وفق نظرية معينة، تخالف الأخرى، وليس هذا من قبيل تبادل الأدوار (وإن كان هذا موجودا) ولكنه ليس ما يحدث دائما، فهناك تحركات لكل جناح في هاتين الدولتين (إيران، أمريكا) داخل العراق مما يجعل الأمور والقرارات والتصريحات تبدو متناقضة ومتضاربة وهي

(♦) كاتب عراقي.

هذا ما تخطط له إيران في العراق، أما عن علاقتها بالدول الغربية (أمريكا وبريطانيا وبقية الدول) فإن إيران تعرف أنها أضعف من أن تقف بوجههم، لكنها تطمح منذ زمن الشاه بأن تكون القوة الإقليمية (شرطي الخليج) بالتنسيق مع الدول الكبرى، ولم يتوقف هذا الطموح مع سقوط نظام الشاه وانتصار الخميني، ولكن اللاعب الإيراني تغير اليوم وتوسعت أطماعه، حتى عدّ بعض المحللين الأمريكيين أن أهم حدث في بداية القرن الحادي والعشرين هو التحالف الأميركي الإيراني أو تحالف المحافظين الجدد والأصوليين، وأن إيران تتلاعب بذلك مع الدول الكبرى، والدول الكبرى تستغلها لتحقيق مصالحها، ومن أمثلة ذلك:

إدراك إيران أن الغرب له موقف عدائي من الإسلام معروف وقديم، وهذا الموقف هو ضد الإسلام السني المنتشر في الدول العربية والإسلامية وليس إسلام الأقليات (الشيعية، الدرّوز، العلوية) فإنها لم تشكل في يوم ما عدواً حقيقياً للغرب، بل طالما استغلها الغرب لإسقاط الدولة العثمانية، واليوم يستغلها لإضعاف الأمة الإسلامية والعربية وربما أكثر من ذلك.

وعقب ضرب أبراج نيويورك عام ٢٠٠١ وتبني القاعدة للعملية، قامت أمريكا باحتلال أفغانستان والعراق، وفي العراق قررت أمريكا (المحافظون الجدد) أن تُمكن الشيعة من الحكم (خاصة التيار الديني) باستثناء المنطقة الكردية، وبرزت المقاومة السنية القوية للاحتلال (٢٠٠٣ - ٢٠٠٦) حيث بلغت العمليات الشهرية أكثر من ألف عملية، وبلغت عمليات الجيش الإسلامي وحدها بين سنتي (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧) ١٤ ألف عملية.

كل ذلك جعل الاحتلال يحاصر المقاومة العراقية إعلامياً في تنظيم التوحيد والجهاد وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين لتشويه المقاومة وأنها إرهابية وغير عراقية! كما تم السماح للمليشيات الشيعية بالتحرك علناً تحت رعاية القوات الأمريكية كرد فعل على التحركات السنية في المقاومة!

ولا يفوتنا أن نذكر بالعلاقة الخفية بين إسرائيل وإيران، ولنترك عنترتين الإسرائيليين وتهديداتهم بضرب

المفاعل النووي الإيراني، فإسرائيل دمّرت المفاعل النووي العراقي وهو قيد البناء، بينما يتفاوض الغرب مع إيران حول مفاعلها النووي منذ أكثر من عشر سنوات بعد أن اكتمل. ودعونا كذلك من النغمة العدائية التي تظهر أحياناً في وسائل الإعلام الغربية ضد إيران، فالمهم ليس ما نسمعه، بل ما نراه يتحقق على أرض الواقع.

وحين ظهر في السنين الأخيرة مصطلح الإرهاب الإسلامي، وهو مصطلح واسع اقتصر على تنظيم القاعدة ومجموعات سنية، ولم يشمل أي تنظيم شيعي مثل حزب الله والمليشيات الشيعية، بل سهل الحاكم الأمريكي للعراق آنذاك بول بريمر دخول المليشيات في الجيش والشرطة. واستغل الغرب وإيران وغيرهما هذا المصطلح لصالحهم بشكل ذكي، ولم نفلح نحن أهل السنة من التخلص من تهمة الإرهاب؛ ولذا أصبح الآن ذريعة لتحطيم دولنا الإسلامية السنية.

سياسة أمريكا تجاه الجماعات المسلحة

والقاعدة:

تعتمد فلسفة السياسة الأمريكية على وجود طرف غير خاضع للسيطرة قادر على الإيذاء، يمكن نصبه عدواً قومياً لأمريكا، ويجري استخدام هذا العدو في أغراض متعددة، منها:

- إعادة ترتيب الأوراق في بعض الدول المستهدفة مثل (العراق).
- ومنها تجيش الرأي العام (المحلي إذ أن هناك أجنحة أمريكية ضد الإرهاب).
- ومنها أيضاً تمرير ميزانيات عسكرية واستخباراتية هائلة.
- وكذلك تنفيذ أهداف سياسية استراتيجية تتعلق بالأجندة الأمريكية في العالم.

وفي العراق قدّمت القاعدة - بسبب استراتيجيتها العنيفة - بعضاً من المسوغات والذرائع لبقاء القوات الأمريكية، كما أنها أتاحت للاحتلال أن يعيد ترتيب البيت السني من الداخل، بشكل يتلاءم معها وليس ضدها أو بتعبير أدق: (أن يفككه ويعيد تركيبه)؛ فدخلت قطاعات عريضة من العرب السنة في دائرة غير متناهية من العنف؛ فالقاعدة تعاونت مع العشائر أولاً، ثم

ومعلوم مدى قدرة الإستراتيجية الإيرانية على توظيف واستخدام أطراف خارجية يجري حرقها لاحقاً؛ بمعنى أنه يمكن التضحية بها في مفاوضات لاحقة، أو رفع الدعم عنهم، أو كشفها، كورقة حسن نية للتفاوض، وهذا ما تفعله إيران مع القاعدة، وقد نفذت طهران هذه السياسة على المستوى الشيعي مع التيار الصدري وجيشه (جيش المهدي) الذي اخترقته طولاً وعرضاً وضحت به على مذبح المجلس الأعلى تارة، ثم على مذبح نوري المالكي تارة أخرى، ثم قدمت لزعيم التيار بكل بساطة الملجأ والمأوى وطلب العلم! هذا على مستوى المحلي، أما على المستوى العربي ففي ما يخص العلاقة مع المملكة العربية السعودية اليوم، لم تعد طهران تدعو إلى إسقاط قيادة آل سعود لكن تبقى إيران أحد خصوم الرياض، وفي حال تدهور هذه العلاقة، قد تميل إيران إلى التعامل مع القاعدة المعادين للنظام وقد تستغل روابطها مع هؤلاء للرد على أي ضربة تستهدف منشآتها النووية.

طبيعة علاقة القاعدة مع إيران :

لا يمكن لأحد أن يدعي أن أيديولوجية القاعدة تتماهى مع إيران، فبين الاثنين تكفير وعداوة واضحة، لكن من وجهة نظر القاعدة، يبدو التعاون مع إيران منطقياً؛ فهي تفتقر إلى الموارد اللازمة التي تملكها دولة قوية مثل إيران، وإن التمكن من المرور عبر إيران أمر مفيد جداً للقتال في العراق وأفغانستان وباكستان، وتستفيد القاعدة من حصولها على ملجأ آمن هناك كونها تحتاج إلى استراحة من ملاحقة الأميركيين وحلفائهم الذين يريدون اعتقال عناصرها وقتلهم، خاصة بعد أن نجحت العمليات الجوية الأميركية باستهداف كبار قادة القاعدة، مما سيكسب إيران أهمية غير مسبوقة في نظر القاعدة كمكان يضمن على الأقل بقاء قادتها على قيد الحياة!

وبما أن القاعدة منظومة عالمية وليست محلية فإن سلوكها في أي منطقة ينطلق من رؤيتها الذاتية لواقع العالم الإسلامي، وكثرة التضيق عليها يجعلها تبحث عن مكان آمن وبيئة حاضنة وتمويل، وهي تحاول أن توفر بيئة مناسبة لها بإحداث نوع من الفوضى توظفه

اختلفت معها فجري تكوين مجالس الصحوة التي دخلت في صراع دموي مع القاعدة، ثم نشأت مشكلة أتباع الصحوات وإدماجهم في الجيش والشرطة، ثم حانت مرحلة انتقام القاعدة من قيادات الصحوة وعناصرها الذين تركوا بدون حماية، وهكذا دوامة لا تتقطع من الدماء المهذرة بدون فائدة. واستطاعت القاعدة اليوم تصفية ما يقارب من ٩٠٪ من قيادات الصحوات!

قد يستغرب البعض من هذه الوقائع ولا يصدقها، ولكن الذي يعرف أن الثقافة السياسية الأمريكية مبنية في جانب كبير منها على مفهوم: «استمرارية الصراعات قد يكون أكثر نفعاً من إنهاؤها»؛ يستوعب هذا الوضع المتناقض، والذي يشهد له عدم إنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بل الاستمرار في إدارته وتوظيفه. فأمریکا عندما دخلت في صراع مع القاعدة لم تستهدف إنهاء الصراع، بل إدارته؛ أي أن هناك عدة مستويات مختلفة من إدارة الصراع باستخدام القاعدة؛ لذلك يراد دائماً وجود للقاعدة في العراق وعدم تحطيمها نهائياً، وفي حالة ضعفه بشكل حقيقي تقوم الاستخبارات الدولية بعمل البديل فتقوم هي مكانه؛ من تفخيخ وقتل على الهوية للسنة وللشيعية لدوام بقاء الصراع!

إيران واختراق القاعدة والجماعات المسلحة:

حتى تنفذ إيران سياستها في العراق فإنها تحتاج إلى أطراف يمكنها أن تؤثر في الأوضاع وتستهدف القوى العراقية بما يخدم المخطط الإيراني، دون أن يكون هناك ما يربط إيران بهذه الأطراف تاريخياً أو دينياً أو سياسياً، بل يمكنها أن تنفي بقوة أي ارتباط بها، وهذا ما تجسد في حالة تنظيم القاعدة بسبب التناثر العقدي. ولا أقصد بالاختراق بالضرورة صرف القاعدة المخترقة عن تنفيذ أهدافها الخاصة وفق رؤيتها بشكل كلي (نظرية المؤامرة)، ولكنه قد يتضمن تحقيق قدر من التوجيه في ما يتعلق بـ (التوقيت أو اختيار الأهداف)، إن أدوات الاختراق معروفة وتشمل: التمويل، والإيواء، وسائر أنواع الدعم اللوجستي؛ وليس بالضرورة أن يكون الاختراق شاملاً لكل المستويات القيادية، أو أن يصل إلى مستوى إصدار تكليفات مباشرة؛ لذلك تبقى قوى من القاعدة غير مسيطر عليها ولا تعرف ما يجري وراء

لصالحها وفق نظرية التوحش وإدارته^(١)، كما أن القاعدة عملت على استفزاز الشيعة في العراق كي يصطدموا مع السنة بحرب أهلية؛ مما يحرك السنة ضد الشيعة ويوجد مناخاً من الفوضى تسهل الحركة فيه، وهو ما تقاطع مع المصلحة الإيرانية بنشوب صراع سني شيعي يلجأ شيعة العراق فيه إلى إيران! ولذلك كان من أهم أسباب الخلاف بين الظواهري والزرقاوي استهداف الشيعة في العراق.

إستراتيجية القاعدة تقوم على تحييد إيران كدولة في الصراع، وربما تحييد روسيا أيضاً، من أجل الاستفادة من أرض إيران كمعبر وموطن وملجأ، وأحياناً الحاجة إلى المال الإيراني الوفير، للتحرك في العراق وسوريا وفي أفريقيا، بما يحقق مصالح متناقضة للطرفين فكلهما يفهم ما يريد الطرف الآخر تماماً.

بالطبع توجد جيوب أو قطاعات من القاعدة لا تقبل بهذا ولكن غالباً هي من المستويات التي لا تدرك هذه الأبعاد أصلاً للعلاقة بين الطرفين!

تاريخ العلاقات الإيرانية مع القاعدة:

برزت بواكير العلاقة الظاهرة بين إيران والقاعدة بعد أن لجأت قيادات من القاعدة من أفغانستان إلى إيران عام ٢٠٠١، إذ قررت إيران يومها - بعد تردد - إقامة علاقات إستراتيجية معها بواسطة قيادات مصرية، وإن كانت هناك محاولات سابقة منذ سنة ١٩٩١ بواسطة سودانية من حسن الترابي بين القاعدة وإيران ولكنها كانت على مستوى بسيط، لكن الأمور لم تتبلور إلا بعد فرار القيادات لداخل إيران. ولم تكن كل التوجهات الإيرانية راغبة بإقامة هذه العلاقة.

رأت القيادتان الإيرانية/ الشيعية العراقية، ضرورة أن تبقى القاعدة في المناطق السنية، حتى تكون مناطق رخوة أمنياً لكنها في نفس الوقت مُسيطر عليها، ومثال ذلك محافظة نينوى، إذ لن يسمح لأي قوى سنية أخرى أن تبرز؛ لأنها ستحل بسهولة أسطورة سيطرة القاعدة والإرهاب السني (القاعدة). وبهذا ينتهي جزء من المؤامرة؛ لذلك فإن القوى الأمنية لحكومة المالكي تسمح بنفاذ

(١) وهذا يتماهى مع سياسة أمريكا بالفوضى الخلاقة.

القاعدة وتغلغلها بحدود، ليبقى الإرهاب سُنياً، والمادة أربعة إرهاب، جاهزة في وجه السنة، وعندها النماذج جاهزة لتبرير أي فعل، وتضمن بذلك ولاء القيادات العسكرية السنية العميلة للحكومة وأن تكون ملكية أكثر من المالكى نفسه؛ وإلا فلماذا استطاعت مجموعة من العشائر والصحوات المسلحة تسليحاً خفيفاً من طرد القاعدة ومطاردتها وتعجز الحكومة العراقية بكل إمكانياتها المادية والعسكرية عن ذلك؟!

الجواب واضح: هو في تفحص حالة التضخم الجيش العراقي ليصل تعدادة والقوى الأمنية إلى أكثر من مليون عراقي شيعي غالبهم من أهالي الجنوب، وما يحتاجه هذا العدد الضخم من عقود أمنية ودورات، ودون جدوى؛ لأنه يراد له أن يكون بدون جدوى.

وهذا التضخم يغطي على نسبة البطالة المرتفعة، ويغطي على حالة الفساد المالي في الجيش، هل تذكرن صفقة السلاح الروسي البالغة أربعة مليارات دولار! ولا حاجة للتدليل على حجم الفساد في العراق!

ولكي يغطوا على حجم الجيش الخرافي (جيش مصر ٨٠٠ ألف من أصل ٩٠ مليوناً!)، لا بد من سيناريو وجود قوى سنية إرهابية (القاعدة) حتى يبقى السنة دائماً مدانين محلياً وإقليمياً؛ لذلك شرع حسن نصرالله بتبرير وجوده في سوريا بذرائع القاعدة، ويتشرعن وجود الميليشيات الشيعية التي تمارس رد الفعل والتهجير لتمرير خطة إيران، بحجة الدفاع عن المذهب؛ لذا فإن المطلوب هو ضربات طائفية للحسينيات والمساجد الشيعية والأسواق، ثم ضربات لمناطق سنية؛ حتى تتأجج الطائفة الشيعية؛ أي خلق صراع لكن الرابح فيه القوى الشيعية لأنهم من يمتلك القوة العسكرية والسياسية.

وفي ذات الوقت تتمسك القوى السنية أكثر بالقاعدة لأنها من تتأثر لها ضد الشيعة فإن المقاومة حوربت بشكل أضعف وجودها على الأرض وضعفت إمكانياتها بعد تجفيف منابع؛ ولأن هذه الخطة يجب أن تمارسها بالخفاء قوى أمنية معينة لا بد أن يثبت المالكي وأتباعه أن خطراً مذهبياً إرهابياً مدفوعاً من السعودية وتركيا يواجههم، وأن البعثيين والقاعدة يريدون العودة وقتل الشيعة، لذلك تلقي أجهزة الأمن بين الفينة والأخرى

يعطون انطبعا للناس بأن القاعدة خارج السيطرة الإيرانية؛ لذلك تحرص الحكومة وأجهزتها الأمنية دائما على القبض عليهم وإعدامهم أو مفاوضاتهم إلى أن يكونوا ضمن المخطط .

إن خطورة الاختراق الإيراني للقاعدة يمكن إدراكها من توقع ما سيحدث إذا انسحبت قوات الاحتلال من العراق؛ وهذا ما حدث حيث أغلب جماعات المقاومة سوف تلقي سلاحها وتتصرف إلى شؤونها، لكن القاعدة لن تفعل ذلك، وسيبقى سلاحها مرفوعاً لخوض معارك وهمية جديدة ضد العراقيين (سنة وشيعة) وبتوقيع إيراني. المشكلة في فهم هذا الأمر أن ليس كل القاعدة على هذه الشاكلة، وهذا هو الحق؛ لذا فإن كثيرا من المحللين العراقيين والعالميين يصنف القاعدة إلى ثلاثة أصناف: وطنية، أمريكية، إيرانية.

وهذا الأمر يجب أن يفهمه عقلاء الشيعة أن إيران وربما الغرب أحيانا هما من يريد تأجيج الحرب الأهلية بين السنة والشيعة.

الخلاصة^(٢): إيران تحاول باختراقها القاعدة تحويلها إلى أداة غير مباشرة لتنفيذ أهدافها، بينما أمريكا تعمل على الاستفادة من وجود القاعدة لتمرير أغراضها!! وربما باختراقها أحيانا.

وعندما تختلف إيران مع أمريكا تستخدم القاعدة (القسم المخترق)، وعندما يتحرك السنة تكون القاعدة جاهزة (القسم المخترق)، وعندما ترتبك الأمور في سوريا، فالقاعدة (جبهة النصرة) جاهزة لحمل تهمة الإرهاب، وصلة المخابرات السورية بالقاعدة كشفت للجميع؛ بل كان مركز بث مواقع القاعدة الإلكترونية يتم من مؤسسة الفاروق في دمشق؛ ومع ذلك لا تهتم أمريكا ولا الغرب بعلاقة إيران والقاعدة إلا بالقدر الذي تستخدمه كورقة لصالحها، وفي سنة ٢٠٠٩ حصلت المخابرات المصرية على وثائق حول علاقات إستراتيجية بين القاعدة وإيران، لكن منعتها أمريكا من نشرها !

القبض على قيادات وأفراد من القاعدة، وتسجل أسماءهم في قوائم أمنية الكترونية (هذا النظام أوجدته أمريكا) وأبقتهم بعد خروجها للحكومة العراقية. وهذه الخطة لا يعلم بها إلا مجموعة خاصة من الحكومة العراقية؛ لذا فإن القبض على قيادات من القاعدة أمر مستمر، يقابلها إخراج وتهريب من السجن وهو أمر مستمر عند الحاجة.

ففي كل فترة تقوم الجهات الأمنية الخاصة بترتيب هروب عناصر القاعدة من السجن، وتقوم جهات بمسح أسمائهم مؤقتا من الكمبيوترات لتسهيل تحركهم لتنفيذ عمليات، أو تسهيل تهريبهم إلى سوريا.

كما وظف الطرف المخترق بالقاعدة في العراق لتصفية الطاقات العلمية والنخب، وقيادات الجيش السابق والمقاومة الأخرى؛ ويكفي أن نذكر أن أشهر شخصية مقاومة (قناص بغداد السامرائي رحمه الله) ذبحته القاعدة في السجن، في سجون الأمريكان وغيره كثير، ولم يعرف الأمريكان أنه قناص بغداد إلا بعد مقتله بأشهر.

وقد نجحت إيران في اختراق المقاومة العراقية والتشويش عليها عن طريق القاعدة، وتم ذلك باستخدام المخابرات السورية؛ لأن أغلب المقاومة العراقية والقاعدة لم يكن لها مأوى له إلا سوريا^(١) وكان ثمة تواصل مقنن يعقبه توجيه مبرمج ثم تضحية مؤكدة؛ ومن ثم تصفية قيادات القاعدة بناءً على دعم استخباراتي إيراني، وكل من يكتشف ذلك يُصفى، وهذا ما حدث لوزير إعلام (دولة العراق الإسلامية) محارب الجبوري، فعندما كشف بنفسه باجتماع في حلب أنه اجتمع مع قادة إيرانيين، وكشف هذا لأتباعه داخل العراق مستكرا، عندها قررت القيادة كشف موقعه للأمريكان وجرى تصفيته.

لا يشمل هذا الكلام كل القاعدة فهناك جهات من القاعدة والتكفيريين ليسوا ضمن هذا النظام يقدرهم البعض بـ ٣٠ - ٢٠ ٪ من عناصر القاعدة، وهؤلاء دائما

(٢) اعتمدت على مقال أحمد فهمي: «إيران وأمريكا لماذا تحتاجان إلى القاعدة» مجلة البيان، في موضوع العلاقة مع إيران وأمريكا.

(١) وهذه تحتاج إلى دراسة لماذا منعت الدول العربية المقاومة من إيجاد مأوى لها.

حادثة الهروب من سجن أبو غريب:

الأمر واضح للجميع من أن أجهزة في استخبارات الدولة العراقية معنية بالتنسيق مع أجهزة فيلق القدس الإيراني، والمخابرات السورية وهي تعمل منذ سنة ونصف تقريباً على مخطط تهجير القاعدة وقياداتها من العراق إلى سوريا، وإبقاء جزء منهم في العراق.

ففي أواخر سنة ٢٠١١م دخلت القاعدة بطور جديد عندما أرادت إيران ونظام بشار الأسد توظيف تشكيل جبهة النصرة لإفشال الثورة السورية بشماعة الإرهاب والوهابية والقاعدة؛ والتي أسسها قيادات تم تهريبهم من السجون العراقية وتسهيل تهريبهم إلى سوريا؛ لأنّ الوضع في سوريا أصبح غير مسيطر عليه، وكالعادة صُنعت لهم بطولات كما صُنعت للزرقاوي من قبل، وكما صُنعت بطولات لكامل أتاتورك من قبل الغرب بعد سقوط الدولة العثمانية، وزمام الأمور بيد إيران بالتنسيق مع جهات من الحكومة العراقية.

فقبل أسبوع من هروب المساجين تم نقل ٥٠ معتقلاً من كبار أمراء القاعدة من سجن الناصرية إلى سجن أبو غريب استعداداً للهروب، وسيارات الشرطة التي كانت تحيط بالسجن يومياً انسحبت من أماكنها قبل ساعات من الحادث، وانقطعت الكهرباء مع بدء الهجوم في سجن أبو غريب والتاجي بشكل متزامن، وقد أعد الفارون قرابة خمسين حبلاً ضخماً للتسلق على الأسوار في غفلة من إدارة السجن، رغم أن هذا العمل يستغرق وقتاً طويلاً!!

وفي نفس يوم الحادثة تم وضع كوم عالٍ من التراب بمحاذاة سور السجن لسهولة التسلق. وقدم جهاز المخابرات ثلاثة تقارير لإدارة السجن بكل تفاصيل العملية ومحاورها وآخر تقرير قُدم قبل الحادث بست ساعات، ومع ذلك لم يتم اتخاذ أي احتياطات!!

أسفرت العملية عن هروب ٧٣٦ سجيناً، بقي منهم فاراً حتى الآن قرابة ٤٢٥ فرداً، وقتل ٨ من أفراد الشرطة و٦ جرحى، ولم يصب أي حارس من الموجودين في أبراج السجن وعددها ٣٦، وإنما تركوها تحت نيران القناصين، وقتل عدد كبير وغير معروف من السجناء (من غير القاعدة) في التاجي ومعظمهم بإصابة في الرأس

وأيديهم مقيدة وكأنه إعدام جماعي، بحيث تعذر على الأهالي التعرف على أبنائهم وهم ما يزالون في الطب العدلي^(١).

تقول المعلومات إنه قد وصل أمراء القاعدة إلى سوريا للانضمام إلى جيش النصرة، استعداداً لمعركة قادمة ضد الجيش السوري الحر للتخفيف عن نظام بشار.

ولا شك أن المعاملة في السجن كانت في غاية الوحشية والطائفية ولا شك في أن الكثيرين كانوا مسجونين ظلماً وعدواناً بسبب قانون ٤ إرهاب الطائفي، لكن المشكلة الحقيقية هي في تلاعب إيران ونظام المالكي بأهل السنة والقاعدة بما يحقق مخططاتهم الخبيثة، ولا زال الموضوع يحتاج إلى دراسات أكثر وعياً عسى أن نوضحه في المستقبل إن شاء الله.

مخطط إسقاط الإسلاميين في مصر..

بداية ونهاية

معتز بالله محمد^(٢) - خاص بالرائد

لم تأت الإطاحة بالرئيس المصري المنتخب محمد

مرسي، كخطوة منفردة انعكاساً فقط لتردي الأحوال المعيشية لملايين المصريين وتدهور الاقتصاد والخدمات الرئيسية، كما حاول قادة الانقلاب العسكري وأبواقهم الإعلامية تصوير الأمر، وإنما جاءت في إطار مخطط استخباراتي دولي إقليمي مصري، تبلورت أولى ملامحه منذ الإطاحة بالرئيس المخلوع حسني مبارك في أعقاب ثورة شعبية هادرة (٢٥ يناير ٢٠١١)، وقبل الدخول في تفاصيل المخطط يبقى من المهم استعراض موقف الأطراف الفاعلة فيه في أعقاب اندلاع الثورة المصرية قبل أكثر من عامين ونصف العام.

فأمريكا التي كانت ترى في مبارك الحليف

الاستراتيجي الأمين الذي دأب على حفظ مصالحها

في المنطقة وتحويل مصر - قلب الأمة العربية - إلى

(١) تقرير مجلس النواب، لجنة الأمن والدفاع ونشره النائب السابق ظافر العاني.

(٢) كاتب مصري.

وفي اليوم التالي بعثت حكومة ننتياهو بقرقيات سرية عاجلة إلى الولايات المتحدة والدول الأوروبية أكدت فيها أن للغرب مصلحة في الحفاظ على الاستقرار في مصر، وحضت هذه الدول على الحد من انتقاداتها العلنية الموجهة إلى مبارك، وأعربت الحكومة الإسرائيلية عن استيائها الشديد من الخط العلني الأمريكي والأوروبي بشأن التطورات في مصر.

باختصار قررت إسرائيل الانتظار والترث والتعامل مع الواقع الجديد بما يحقق مصالحها وإن كانت تعرف بحسب محلليها السياسيين ومفكرها أن سقوط مبارك وتولي نظام إسلامي مقاليد الأمور سيفرض عليها مزيدا من التحديات الخاصة باتفاقية كامب ديفيد وحركات المقاومة الفلسطينية.

الثورة والخليج

كذلك شكل سقوط مبارك خطرا محدقا بعدد من دول الخليج العربي الملكية التي رأت أن سقوط النظام في مصر يهدد استقرارها لاسيما وهي لا تملك القوة التي كان يملكها مبارك والتي انهارت تحت وطأة الغضب الشعبي ومن ثم خشيت تلك الدول على نفسها مما سمته دولة مثل الإمارات (تصدير الثورة المصرية) وهو الاتهام الذي وجهته السلطات هناك فيما بعد لعدد من المصريين تم الزج بهم في السجون الإماراتية بإيعاز من ضاحي خلفان قائد شرطة دبي.

هذه الدول مجتمعة مثلت الشق الخارجي في مؤامرة إسقاط الإسلاميين في مصر، وهو ما سنتطرق إليه لاحقا.

العنصر الداخلي

شكل نجاح ثورة ٢٥ يناير ضربة قاصمة لنظام متشعب ومتجذر في مؤسسات الدولة المصرية، بما في ذلك المؤسسات الأمنية بدءا من أجهزة الاستخبارات والشرطة مروراً بالجهاز الإداري بالدولة وصولاً إلى رجال الأعمال، والإعلام والقضاء، الذين اعتبروا الإطاحة بنظام مبارك تهديدا وجوديا لهم، وإيذانا باقتلاع شجرة الفساد المتشعبة التي تسلقوها فوصلت بهم إلى عنان السماء.

مجرد تابع أو مدير أعمال لراعي البقر الأمريكي، وجدت نفسها مع اندلاع ثورة يناير في حالة من التخبُّط غير المسبوق نتيجة لفجائية الثورة وعدم توقع تطور الاحتجاجات الشعبية على هذا النحو، فأصبحت إدارة أوباما بين شقي الرحى ما بين شعاراتها في حماية الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان من جهة وبين مصالحها وأمن إسرائيل الذي وقف مبارك على مدى ٣٠ عاما حارسا أميناً له، والتخوف من انتقال هذا الغضب الشعبي إلى مزيد من الدول الحليفة في المنطقة.

ومن ثم تذبذبت الردود الأمريكية على الثورة التي

باتت مرهونة فقط بأيدي الشعب المصري الذي قرر تحديد مصيره. بكلمات أخرى قررت أمريكا أن تترك للمصريين الفعل على أن تتعامل مع رد الفعل بما يتسق مع مصالحها، فكان في النهاية أن باركت الثورة التي تعلم جيدا أنها ستأتي بالإسلاميين وتحديدا الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم.

وفي المجمل اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية،

موقفاً متحفظاً، متذرةً بترك الأمر للشعب والجيش المصريين، بيد أن استمرار التظاهرات وانتشارها في القاهرة ومختلف المحافظات المصرية الكبرى أوقع الولايات المتحدة بنهاية نظام حسني مبارك، وهو ما دفع الرئيس باراك أوباما إلى أن يهنئ الشعب المصري في أعقاب تنحي مبارك في ١١ فبراير، على الرغم من تداعيات ذلك على السياسة الخارجية للولايات المتحدة وحلفائها التقليديين.

إسرائيل وثورة يناير

إسرائيل من جانبها - والتي اعتبرت أن عصر مبارك هو العصر الذهبي لعلاقاتها بالدولة المصرية - شهدت حالة من الصدمة هي الأخرى والتي حاول قادة دولة الاحتلال امتصاصها فكان أن وجه رئيس حكومتها بنيامين نتنياهو في ٢٨ يناير أمراً إلى جميع المتحدثين الرسميين باسم الحكومة، ومن الوزراء، بعدم التحدث إلى وسائل الإعلام بشأن ما يحصل في مصر، وكان التعليل لذلك أن إسرائيل ليست معنية بأن تظهر بصورة من يقحم نفسه في الشأن المصري الداخلي.

التيار العلماني لم يكن بعيدا عن المشهد فقد انضم إلى تلك الجوقة فيما بعد ، فشخصيات كالبرادعي وحمدين صباحي وغيرهم بما مثلوه من جبهات مضادة للفساد ولنظام مبارك، لعبوا دورا كبيرا في مخطط إسقاط الإسلاميين، ولم يجدوا غضاضة في التحالف مع رموز نظام مبارك، فتوحدوا جميعا لتحقيق هدف واحد.

قنوات الفتنة

سعت كل هذه القوى بشقيها الخارجي والداخلي عبر تحالف غير معلن سننتطرق إليه لاحقا ، إلى منع وصول الإسلاميين للحكم بأي ثمن فكان أن فاز الإسلاميون بأول انتخابات حرة نزيهة لمجلس الشعب، ومن هنا بدأت خيوط المؤامرة تتضح بتشويه الإسلاميين وشيظنتهم وتأليب الشارع عليهم من خلال قنوات تم إنشاؤها بأموال رجال أعمال مبارك، تفبرك الأخبار وتخلق القصص ونرى ذلك جليا في تعاطي مثل هذه القنوات مع قضية مثل قيام النائب ممدوح إسماعيل بإطلاق الأذان داخل مجلس الشعب، ومع قضية الضباط الملتحين، وعشرات القضايا الأخرى.

ومن بين هذه القنوات: «سي بي سي» و«مودرن» وقنوات «النهار» التي يملكها جميعا محمد الأمين رجل الأعمال المقرب من مبارك والذي كان ينادي بالتوريث والذي ضخ على سبيل المثال في قناة واحدة هي «سي بي سي» أكثر من ٥٠ مليار جنيه، وهي غير معروفة المصدر، والغريب أن الصحافة تحاشت الحديث عنه بسبب اتساع دائرة المستفيدين من نجوم الصحافة المعروفين والذين يتصدرون المشهد حاليا.

أخطاء الإسلاميين

كان الحاكم الفعلي للبلاد خلال هذه الفترة هو المجلس العسكري بقيادة المشير محمد حسين طنطاوي، ومنذ بداية الفترة الانتقالية سقط الإسلاميون في الفخ المنصوب لهم وفقا للمخطط، فتخلوا عن الميادين التي أوصلتهم للسلطة وقالوا إن الشرعية للبرلمان ولم تعد في الميدان، فكان أن انشق الصف الثوري، واستعدى الإسلاميون الكثير من قطاعاته لاسيما بعد تبرير وقائع قتل وسحل المتظاهرين وتعرية إحدى الفتيات في أحداث محمد محمود وميدان التحرير.

كذلك كان من أهم الأخطاء الاستراتيجية والتكتيكية التي وقع فيها الإسلاميون نظرتهم الضيقة فيما يتعلق بتفكيك مراكز القوى في نظام مبارك، فقد غرض التيار الإسلامي عموما والإخوان خصوصا الطرف عن تفكيك هذه المراكز التي كانت تعاضد وتتاصرر نظام مبارك، وذلك انطلاقا من مبدأ تحقيق المصالحة وفتح صفحة جديدة مع هذه القوى ظنا منهم أن هذه المراكز ستعمل لصالح البلاد، مبرهنين بذلك على سذاجة سياسية كبيرة، ومتغاضين عن أبجديات البناء المؤسسي فيما بعد الثورات والتي تقضي بالتخلص من مراكز القوى القديمة التي ستعمل لا محالة على إعادة النظام السابق لتحقيق منافعها ومصالحها الخاصة.

وفي مواجهة الهجمة العلمانية الشرسة على البرلمان الإسلامي، قابل الإسلاميون ذلك بالرهان على رصيدهم في الشارع والذي ظنوا أن حملات التشويه والتلفيق لن تؤثر عليه، وكان في استطاعتهم تدشين عدة قنوات بآليات عصرية لمواجهة قنوات فلول النظام، والحفاظ على ذلك الرصيد الذي بدأ يتآكل في الشارع، فظهرت قنوات إسلامية ضعيفة للغاية في مواجهة قنوات تمتن الكذب لكن بمهنية عالية، وبقدرة رهيبية على قلب الحقائق وتزييف الواقع.

وبذلك فقد الإسلاميون في ظل حكم العسكر الكثير من مكتسباتهم القليلة، وأدت خطواتهم الساذجة والانفعالية إلى مضاعفة ورطتهم السياسية في المرحلة الانتقالية.

انتخابات الرئاسة

كل هذه المقدمات لعبت دورا كبيرا في تشويه صورة الإسلاميين والإخوان المسلمين تحديدا، وقد استغل الإعلام المضاد ترشيح الدكتور محمد مرسي - بعد قرار لجنة الانتخابات باستبعاد مرشح الجماعة خيرت الشاطر - لصالح المرشحين الآخرين لاسيما حمدين صباحي رئيس حزب التيار الشعبي، ومرشح الفلول أحمد شفيق، ووصف مرسي بالمرشح «الإستين».

وجاءت إعادة بين شفيق ومرسي لتؤكد حجم الهوة التي ضربت المجتمع المصري، الذي بات قطاع واسع منه يحن لعودة نظام مبارك، ويكفر بالثورة كفرا صريحا،

وما يعضد من تلك الفكرة هو الفارق الضئيل الذي حققه مرسي في انتخابات الرئاسة حيث فاز بنسبة ٥١٪ فقط، ومنذ ذلك الوقت بدأ مخطط الإطاحة بالإسلاميين يبدو أكثر وضوحاً، وبدأت خيوط المؤامرة تتضح، ويصطف خلفها الكثيرون من المحسوبين على التيار العلماني الذي كان يدافع في الماضي عن الثورة.

وظهرت بصمات أجهزة المخابرات الأمريكية والخليجية والفلسطينية والمصرية التي أدارت جميعها مخططاً محكماً لإسقاط الرئيس المنتخب، وتبلور ذلك في إنشاء حركة «تمرد» التي كانت الأداة ذات الوجهة الشعبية المدفوعة مخبراتياً للأجهزة على المشروع الإسلامي، إضافة إلى عشرات الوثائق والتقارير، المصرية والفلسطينية والإسرائيلية والأمريكية التي تثبت تورط تلك الأجهزة في إنهاء حكم الإخوان المسلمين في مصر، وتسليم البلاد على طبق من ذهب للحكم العلماني، وسوف نوجز أهم ملامح المخطط خلال عام من حكم مرسي، لصعوبة تناوله بالتفصيل، فربما يحتاج إلى كتاب كامل للقيام بذلك.

الحرب بالآزمات

اعتمد مخطط إسقاط الرئيس على فكرة إفشاله والتي قامت هي الأخرى على ثلاثة عناصر هامة، أولها كما أسلفنا الإعلام، الذي يسميه الإسلاميون «سحرة فرعون» والذي لم ينفك ينفث سمومه في عقول المصريين فيشوه وعيهم ويضيف إرادتهم بمعلومات وتقارير مغلوطة.

أما العنصر الثاني فكان خلق الآزمات عبر الدولة العميقة التي كانت تسيطر فعلياً على مفاصل مصر، حيث كان يتم سكب البنزين والسولار في مجاري الصرف الصحي والصحراء وهو ما تم كشفه في مدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية وفي مدينة الغردقة، وذلك في الوقت الذي كانت فيه السيارات بمختلف أنواعها تقف بالطوابير أمام محطات الوقود. كذلك كان الحال بالنسبة للكهرباء التي كان يتم قطعها لساعات طويلة على مدى عام من حكم مرسي.

وكان للبلطجية الذين يقدر عددهم في مصر بما يزيد عن ٤٠٠ ألف دور بارز في تأليب المواطنين على رئيسهم المنتخب، فعاثوا فساداً في البلاد: قتلاً، وسرقة،

واغتصاباً، واختطافاً وما إلى ذلك من جرائم، وقفت الشرطة منها موقف المتفرج بحجة أنها لا تملك الإمكانيات اللازمة لوقف البلطجة وترويع المواطنين. وفي أحيان كثيرة كان من يذهب للتبليغ عن تعرضه لأي حادث أن يقولوا له في مراكز الشرطة «نحن في أجازة أربعة سنوات» في إشارة إلى قرار الضباط بعدم العمل خلال فترة ولاية مرسي والتي كان من المقرر أن تستمر لأربع سنوات.

العنصر الثالث كان عبارة عن تشجيع الإضرابات والاعتصامات الفتوية التي شلت مصر بشكل جزئي، حيث انتشرت في المؤسسات والقطاعات الحيوية كالسكك الحديدية والنقل العام، والمستشفيات والمدارس، بل وداخل منظومة الشرطة نفسها، وكان الهدف من ذلك إحباط محاولات الرئيس لتحقيق أي إنجازات مهمة قد تحسب له، وتزيد من شعبيته.

الغريب أنه بعد عزل مرسي وتشكيل حكومة جديدة برئاسة الببلاوي، تم الإبقاء على وزراء البترول والكهرباء والداخلية رغم أزمات الوقود والكهرباء وغياب الأمن، الأمر الذي يؤكد أن هؤلاء الوزراء وغيرهم هم من تسبب في خلق تلك الآزمات، ثم كان معهم مفاتيح حلها، فبعد ٣٠ يونيو ٢٠١٣ لم تشهد مصر أزمة في البنزين ولا السولار وتم توفيرهما بكثافة خلال ٢٤ ساعة في محطات الوقود، وكذلك الحال بالنسبة للكهرباء والأمن.

وثائق وتقارير

وسوف نتناول في عجالة مجموعة من الوثائق والتقارير الأجنبية التي تثبت تورط تل أبيب وواشنطن ومخابرات حركة فتح في رام الله ومخابرات عربية أخرى، في التخطيط لعملية إسقاط مرسي في ٣٠ يونيو.

في البداية لابد من الإشارة إلى وثائق أمريكية كشفت قيام إدارة أوباما بتمويل المعارضين لمرسي بغية إسقاطه، ووفقاً للنسخة الإنجليزية لموقع الجزيرة، فإن سلسلة من الأدلة تؤكد ضخ الأموال الأمريكية للمجموعات المصرية التي كانت تضغط من أجل إزالة الرئيس.

والوثائق التي حصل عليها برنامج التحقيقات

الصحفية في جامعة كاليفورنيا في بيركلي تظهر قنوات ضخ للأموال الأمريكية من خلال برنامج لوزارة الخارجية الأمريكية لتعزيز الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، يدعم بقوة النشطاء والسياسيين الذين ظهروا في أثناء الاضطرابات في مصر، بعد الإطاحة بحكم الرئيس المخلوع حسني مبارك الاستبدادي في انتفاضة شعبية في فبراير ٢٠١١.

الموقع أشار إلى أن البرنامج الأمريكي الذي يطلق عليه مسؤولون أمريكيون اسم مبادرة «مساعدة الديمقراطية»، هو جزء من جهد إدارة أوباما لمحاولة وقف تراجع العلمانيين الموالين لواشنطن، واستعادة نفوذهم في بلدان الربيع العربي التي شهدت صعوداً من الإسلاميين، الذين يعارضون إلى حد كبير مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

هذه المبادرة التي تندرج تحتها عشرات المجموعات أرسلت الأموال لبعض المنظمات في مصر، حيث يتم تشغيل معظمها من قبل كبار أعضاء الأحزاب السياسية المناهضة لمصري وهم من يوصفون بالعملاء المزدوجين كنشطاء المنظمات غير الحكومية «نشطاء» (NGO).

ومن بين الشخصيات التي تلقت تمويلاً من هذه الجهات الأمريكية المشبوهة جبهة الإنقاذ حيث قامت من خلال هذه الأموال بدعم حملات الاحتجاجات في الشوارع التي تحولت إلى العنف ضد الحكومة المنتخبة.

وكذلك المعارضة إسراء عبد الفتاح وهي ناشطة سياسية وتنتقل عبر مصر لحشد الدعم لحزبها حزب الدستور، الذي يتزعمه محمد البرادعي، وقالت إنها قدمت الدعم الكامل لاستيلاء الجيش على السلطة، وحثت الغرب ألا يسمى ما حدث بـ «انقلاب».

ومن كلماتها أيضاً: «٢٠ يونيو هو اليوم الأخير من حكم مرسى» وهي الجملة التي أكدتها إسراء للصحافة قبل بضعة أسابيع من وقوع الانقلاب.

تقارير إسرائيلية

بعد أيام قليلة من الانقلاب خرج المحلل العسكري الإسرائيلي روني دانييل مؤكداً في حديث للقناة الثانية الإسرائيلية أن الجنرال عبد الفتاح السيسي أبلغ إسرائيل

عن جهوده للإطاحة بالرئيس محمد مرسى قبل ثلاثة أيام من الانقلاب. وأكد دانييل أن الانقلاب العسكري في مصر مفيد لإسرائيل وأنه كان «مطلباً ملحاً» لإسرائيل وأمنها.

وفي منتصف يوليو الماضي أذاع «راديو إسرائيل» خبراً أكد فيه قيام محمد البرادعي، نائب رئيس الجمهورية للشئون الدولية بزيارة قصيرة إلى إسرائيل بعد الانقلاب على الرئيس المعزول محمد مرسى، ومعه عدد من قيادات الجيش المصري، وأن الزيارة استمرت ٥ ساعات فقط.

وفي ٢٨ يوليو أكد مسئول قسم الأخبار في القناة العاشرة الإسرائيلية أنه بدون غطاء أمريكي لم يكن للانقلاب العسكري في مصر أن ينجح، وقال «نداف إيل»: «أمريكا في ذات الوقت سمحت للسيسي بإنهاء المهمة. تماماً، بالمناسبة، كما منحت الإدارة الأمريكية لنظام مبارك مهلة زمنية، أكثر من أسبوع، لتصفية الثورة الفتية. لكن مبارك فشل وحينئذ أدارت له أمريكا ظهرها، فأمر أمريكا تمضي مع المنتصرين. تريد أن ينتصر الجيش لكن صبرها ينفد».

في ٤ يوليو قال موقع «ديبكا» الإسرائيلي القريب من الموساد نقلاً عن مصادر «استخبارية» أن ما أسماه الانقلاب العسكري في مصر ما كان ليتم لولا مساعدة قوية من دول الخليج، وعلى رأسها السعودية والإمارات العربية المتحدة.

وتابع أن «الرياض ودبي لم تضعاً فقط خدمات المخابرات الخاصة بهما تحت تصرف السلطة العسكرية في مصر، لتمكينها من تنظيم الانقلاب ضد الإخوان المسلمين في القاهرة، إنما أيضاً منحوها التغطية المالية المطلوبة لذلك».

وفي ٦ يوليو كتب «عمير ربوبورت»، المحلل العسكري الإسرائيلي والباحث في معهد «بيجن - السادات» للأبحاث الاستراتيجية، إن الفريق أول عبد الفتاح السيسي ينظر إليه في إسرائيل باعتباره بطلاً وعبقرياً وزعيماً يتمتع برباطة جأش منقطعة النظير، كونه أطاح بالرئيس دون إطلاق رصاصة واحدة، ودون تنفيذ انقلاب عسكري حقيقي، ونجح أيضاً في تكوين جبهة مصرية واسعة من خلفه.

عكس ما خطط السيسي الذي وجد نفسه في مأزق شديد، حيث خطط في البداية لجر الإسلاميين المؤيدين للرئيس إلى العنف ومن ثم يسهل إيجاد المبررات لسحقهم، ولكن هذا لم يحدث، وأبدى المعتصمون سلمية منقطعة النظير في مواجهة الرصاص بصدورهم العارية، ليبقى واضحاً أن الأيام القادمة قد تشهد بداية انهيار المخطط الدولي للإجهاد على الإسلاميين في مصر، ووقتها فقط سوف ينكشف بالتفصيل ما خفي من هذا المخطط الشيطاني.

هل هو حقاً عالم جدير بالأطفال؟

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

الطفل هو أجمل وأنقى ما في الكون لا يختلف على ذلك أحد وتهيئة الحياة لاستقباله وتنشئته ووضع الخطط لتربيته ونموه هم إنساني لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات ولم لا وهذا الطفل سيصبح باني حضارة الغد. ونحن في ظلال حضارة الإسلام نجد أن للطفل حزمة كبيرة من الحقوق ولأجل تهنيئته لامتلاك مستقبل آمن ومشرق جاءت الكثير من التشريعات والتوجيهات الإسلامية.

فالإسلام يوجه الشاب والشابة لحسن الاختيار في الزواج .. فالزواج وتكوين الأسرة في الإسلام نقطة محورية في حياة الفرد وليس مجرد إطفاء لشهوة أو غريزة ومن ثم كان الدين هو المعيار الأول والأساسي الذي يمكن على أساسه قيام الأسرة .. هذا الاختيار هو الضمانة الأولى لحقوق الطفل، وفي هذا السياق تتضح لنا جناية الفلسفة الغربية على الطفل عندما أصبحت الرذيلة أسلوب حياة وأصبح أبناء الزنا أكثر عدداً من أبناء الزواج. وعندما أصبحت الرذيلة أسلوب حياة أصبح الهدف الأعلى هو المتعة ولم يعد سؤال: هل يصلح هذا الرجل كأب لطفلي أو هل تصلح هذه المرأة كأم لطفلي؟ سؤالاً

(♦) كاتبة مصرية.

أما حركة فتح فقد أرادت ضرب عصفورين بحجر، مساندة القوى العلمانية الساعية لإسقاط الرئيس في مصر، وفي نفس الوقت تشويه حركة حماس لدى الجماهير المصرية المحبة لها، فعملت وفقاً لوثائق مسربة كشفت عنها حماس مؤخراً على التعامل عبر مخابراتها مع وسائل إعلام مصرية مقروءة ومرئية، بهدف التنسيق لنشر وإذاعة أخبار مضللة عن حماس، وتركزت هذه الأخبار حول تورط حماس في حادث مقتل جنود رفح العام الماضي، وتورطها أيضاً في القلاقل التي تشهدها سيناء، كما تطرقت الخطة الإعلامية للحديث عن مخطط بين حماس وجماعة الإخوان في مصر لتحقيق مصالح الحركة في سيناء، وغيرها من الأكاذيب التي سوقها الإعلام المصري بحق حركة حماس طوال الفترة الماضية، من أجل تشويه الحركة. ولا عجب بعد ذلك أن نجد الرئيس مرسي متهم بقضية لا يسوقها إلا الصهاينة وهي التخابر مع حركة حماس!

وفي الحقيقة كانت محاولة الإضرار بحماس، محاولة عامة لضرب التأييد الشعبي المصري لحركات المقاومة الفلسطينية، والإضرار بموقف الرئيس مرسي، ليستفيد من ذلك جهتان هما إسرائيل وحركة فتح، إضافة إلى المعارضة المصرية في الداخل، ما يؤكد حقيقة التحالف الدولي الإقليمي للإجهاد على المشروع الإسلامي في مهده.

خاتمة

إن نزول ملايين المصريين، مسيحيين وفلولا، وعلمانيين، ومغيبين، وجنوداً بزي مدني، يوم ٣٠ يونيو لدعم انقلاب السيسي لم يكن سوى الفصل الأخير كما قلنا في المخطط الدولي الإقليمي للإطاحة برئيس تكالبت عليه كل قوى الأرض، وتهاون هو الآخر في اتخاذ قرارات قوية للإطاحة بمراكز القوى، وهي الخطوة التي كان من الأنسب اتخاذها بعد الإطاحة بوزير الدفاع السابق المشير طنطاوي في بدايات حكم مرسي، حيث كان من المفترض وقتها أن يتخلى مرسي عن منهج جماعته الإصلاحية ويتخذ قرارات ثورية يجتث بموجبها جذور الفساد لكن ذلك لم يحدث.

إن ملايين المصريين المنادين بعودة الشرعية في ميادين الاعتصام الآن يؤكدون أن المعركة لم تنته بعد، على

واضعو الوثائق الأمامية التي يصدرونها بناء عن تصور مادي للكون.

البلوغ والتكليف

مع وصول الطفل لمرحلة البلوغ الجنسي لا يعتبر من وجهة النظر الإسلامية طفلاً وهو بالفعل ليس طفلاً سواء من الناحية الجسدية أو من الناحية النفسية. يطلق علماء النفس على هذه المرحلة مرحلة المراهقة وهي مرحلة مختلفة تماماً عن مرحلة الطفولة ومن أهم ملامحها أن النمو العقلي يصل لأقصى مداه في هذه المرحلة.

ربما تكون مشكلة هذه المرحلة العمرية متعلقة بالنمو الانفعالي فبينما يصل النمو الجسدي والعقلي لقمته فإن النمو والنضج الانفعالي لا يكون كذلك بالنسبة للغالبية ربما بسبب التربية وربما بسرعة التغيرات وشدها وعنفوانها ولكن هذه الانفعالات لا تجعلنا - كما تريد الوثائق والمنظمات الأمامية - أن نجعل الشاب والشابة أطفالاً.

إن النضج الانفعالي الكامل قد لا يتحقق إلا عندما يبلغ الإنسان العام الأربعين من عمره ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]. فهل يظل الإنسان طفلاً حتى عمر الأربعين.

إن أسامة بن زيد نموذج نشأ في ظلال حضارة الإسلام فإذا به يقود الجيش الإسلامي العظيم وهو لم يكمل بعد عامه العشرين، وأسامة ليس بدعا ولا شاذاً، فعلى مدار التاريخ الإسلامي برز قادة عظام وعلماء رائعون لم يكملوا بعد عامهم العشرين.. ولكن حضارة الغرب أمرها عجيب فهي حضارة المترفين التي تهدر الإنسان وتضيعه.. تهدره طفلاً بإفقاذه معنى الأسرة وتضييعه بالغاً باعتباره طفلاً لا يتحمل مسئولية أفعاله.

الزواج المبكر

فإذا كان المراهق ليس طفلاً وإنما هو إنسان مكلف فإن فلسفة الإسلام تحث على تزويجه مبكراً سواء كان

وأصبح وجود طفل مع أمه فقط أمراً طبيعياً بمعنى أن شكل الأسرة الفطري أصبح في طريقه للاندثار فهل هذا هو العالم الجدير بالطفل الذي تريد الأمم المتحدة تصديره للعالم؟

حقوق فعالة

ليتهم يعرفون شريعة الإسلام بتكاملها وشموليتها وما كفلته من حقوق حقيقية وفعالة للجميع وخاصة الفئات الضعيفة كالأطفال، فمنذ اللحظة التي يقترب فيها الزوجان ثمة دعاء يقال (بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) إنها علاقة نظيفة تبدأ بالبسمة وتهدف لطفل نقي زكي بعيد عن الشيطان.

وهذا الطفل الجنين له حقوقه أيضاً، فليس من حق أحد الاعتداء على حياته بل وتكفل له حاجاته من خلال النفقة على الأم الحامل حتى لو تم إنهاء رابطة الزوجية.. فهل ثمة قانون في الغرب ومؤتمرات الأمامية يكفل حقوق المرأة الحامل رفقا بها ورفقا بجنين لا يزال يتشكل.. أقصى ما لديهم منحها عطلة عن العمل بضعة أشهر مدفوعة الأجر وهذا ما يجعل الجشعين يرفضون توظيفها وهو ما يجعلها خائفة من الحمل حتى تضمن لقمة عيشها ولا تفصل، أما شريكها فهو ليس مسئولا عن شيء. لقد أمضى وقتاً لطيفاً ومضى!!

وفي شريعتنا أن الطفل إذا ما ولد فإن أول ما تسمعه أذناه: الأذان والإقامة.. لا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى حتى ينشأ على الفطرة وليس على الجشع والأنانية. والطفل في شريعتنا رزق من الله يُستقبل بالاستبشار وإطعام الطعام من خلال العقيقة.. والحب والحنان والمداعبة والرحمة به هي توجيهات عملية مارسها النبي ﷺ وعلمها لأمته.

فتقبيل الطفل رحمة وحمله تشبه بالنبي وإحضاره للمسجد سنة والكذب عليه محرم مهما كانت الأسباب، والسخرية والاستهزاء به أشد حرمة، وتعليمه القيم العليا واجب.

وعندما يبلغ الطفل سن التمييز نبدأ في تعليمه العبادات وربطه بمصدرها حتى ندعم فيه الضمير والفطرة ويأنس بالعبادات ويألفها، وهي أمور يغفل عنها

فتى أو فتاة^(١)، واللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَابْتَغُوا الْيَسْرَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦]

والشاهد هنا قوله تعالى ﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ ففي ظلال الإسلام لا يوجد انفصام نكد كالذي نعيشه حالياً بين مشاعر الإنسان وأحاسيسه من ناحية، وبين واقعه من ناحية ثانية.

وإذا كان العلم الحديث قد أثبت أن أعلى معدل للهرمونات الجنسية يكون أثناء فترة البلوغ فإنه من الواجب أن نيسر للشباب والشابة الطريق الحلال الطيب، أما النفاق عينه فهو رفض الزواج المبكر باعتبار أن المراهق لم يزل طفلاً وفي الوقت ذاته نعلمه مفاهيم الصحة الإنجابية والثقافة الجنسية - ونحثه على التجربة الجنسية بدون حقوق وواجبات شرعية - حتى يصبح العالم جديراً به!!

العناوين الساحرة

النفاق الخالص أن تأتي عناوين الوثائق الأممية بعناوين رائعة تسحر العقل وتجعل القلب متعلقاً بأحلام مثالية أما ما يحويه مضمون الوثيقة فهو السم الزعاف فعندما نطالع عنوان وثيقة (نحو عالم جدير بالأطفال) نتصور أو نتخيل أن تلك الوثيقة هي لدعم الأسرة (المحضن الطبيعي للطفل) وتقديم برامج تربوية نفسية للوالدين وسنتصور أن الوثيقة تدعو المجتمع لدعم الأسرة على كافة الأصعدة ولكننا سنجد أن الأمر جد مختلف. فالوثيقة تتحدث عن المراهقين باعتبارهم أطفالاً فتستخدم مصطلح «خدمات الصحة الجنسية والإنجابية» والتي تشمل كما هو معلوم خدمة الإجهاض وتأمين الحرية الجنسية للمراهقات.

(١) انظر: الزواج المبكر هو الحل، لكاتبة هذه السطور على شبكة الإنترنت.

وليت الأمر توقف على نشر الرذيلة بين الأطفال وهو أمر جليل بل تعدى الأمر ذلك بالإصرار على استخدام مصطلح الجندر الذي تم صكه بعنايه في الأروقة الأممية والذي يعني إلغاء كافة الفروق بين الجنسين فتحدد الطفلة الأنثى مثلاً متى وكيف تصبح ناشطة جنسياً فإذا كانت (متى) مفهومة فما الذي تعنيه (كيف)؟

أمر مفهوم في سياق الجندر فهي تختار هل تصبح أنثى أم ذكراً أم كائناً مزدوج الطبيعة الجنسية؟ وفي هذا السياق لا يمكن أن ننسى وثيقة بكين التي تعد أحد الأركان التي تقوم عليها الفلسفة الغربية لتدشين العالم الذي تريد والذي يبدأ من الطفولة (أخطر هذه البنود في تلك الوثيقة ما ورد في الفقرة ١١٥ من تقرير «خبراء الأمم المتحدة» الذي ينص على «حق الطفلة (أقل من ١٨ سنة) في تحديد متى وكيف تصبح «ناشطة جنسياً sexually active» حسب تعبير التقرير، بخلاف التوصية في الفقرات ٢٧، ٨٢، ١٣٠ على توفير «معلومات الصحة الجنسية sexual health» للطفلة، وتوفير «احتياجات الصحة الإنجابية للمراهقين reproductive health» لتعليمهم ما أسماه التقرير في الفقرة ١٢٤ «ممارسة الجنس الآمن to promote safe sex»، مما يصب في صالح تشجيع الممارسات الجنسية خارج الإطار الشرعي «الزواج»^(٢).

خلاصة القول إن عالمهم الذي يريدون غير جدير بالأطفال بل وغير جدير بالبشر. إنهم يقودون العالم لمهلكة كبرى يريدون أن يفرضوها علينا وللأسف البعض يصدقهم ويروج لشعاراتهم الجذابة .. نترك ديننا وتشريعاته الرحيمة .. نترك الزواج المبكر ونعقده ونزعم أن في تأخير مصلحة للفرد والمجتمع ونترك الباب للصحة الإنجابية التي يزعمون حتى تفسد فتياننا وفتياتنا وتنتقل إلينا آفاتنا.

(إن نظرة متأنية لمفهوم الصحة الإنجابية كما ورد في وثيقة بكين وخدمات الصحة الإنجابية (البند: ٩٤، ٩٥، ١٠٦، ٢٠٦، ٢٨١) وكما جاء في تقرير المؤتمر الدولي

(٢) الجنس الآمن في الدستور الجديد .. محمد جمال عرفة.

كاملة ودقيقة عن السلوك الجنسي والإنجابي المأمون والمسئول بما في ذلك الاستخدام الطوعي لوسائل الوقاية الذكرية المناسبة والفعالة بغية الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز^(١).

من الأهمية البالغة أن ندرك هذه المخططات الجهنمية ونرفضها ولكن الأكثر أهمية أن ننشر ديننا وشريعتنا وننصرها في بلادنا قبل غيرها، فتحت ظلالها فقط نعم بالأمن والسلام الداخلي والسعادة.

العبور الأمريكي عبر «الزاوية الصوفية»

مركز الأبحاث والدراسات بمجلة البيان-

عدد ٣١٢ رمضان ١٤٣٤هـ

مدخل:

«لا تخافوا سائر الإسلاميين، خافوا السلفيين».. بهذه العبارة الموجزة لخص الكاتب «روبن رايت» هواجس أمريكا حول «التطرف الإسلامي»، زاعماً ظهور ما يسميه (هلال سلفي جديد يتشعب من مشيخات الخليج الفارسي إلى بلاد الشام وشمال إفريقيا، هو أحد المنتجات الجانبية الأكثر تجاهلاً والمثيرة للقلق من الثورات العربية. وبدرجات متفاوتة يتحرك هؤلاء المتشددون الشعبويون في الفضاء السياسي الذي كان يحتله المسلحون الجهاديون، والذين هم أقل رواجاً الآن. وكلاهما أصوليون يفضلون نظاماً جديداً مشكلاً على غرار الإسلام الأول. وليس بالضرورة أن يكون السلفيون مقاتلين، فأغلبهم ينبذ العنف).

وهكذا قويت مع الزمن هذه الهواجس في نفوسهم، لدرجة وضع فيها الغرب جميع السلفيين في خانة التشدد، وانطلقوا يهرفون بمواجهتهم بما يصفونه بتيارات «الإسلام المعتدل».

ولقد كان من إحدى العلامات البارزة في مجال صناعة وصفة «الإسلام المعتدل»، توظيف الغرب مراكزه وبحوثه ودراساته المتخصصة في المجالات الإسلامية لبناء مصادر معلوماتية زائفة لصنع القرار والسياسات،

(١) الثقافة الجنسية بين المواثيق الدولية والتصور الإسلامي، منى صبحي.

للسكان والتنمية (الفصل الثاني، الثالث، الرابع، السادس) على سبيل المثال يشير إلى أن (الصحة الإنجابية تعني قدرة الناس على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة، وقدرتهم على الإنجاب، وحريرتهم في تقرير الإنجاب وموعده وتواتره) ويوضح بند ٩٥ في وثيقة بكنين أن (الناس) هم (جميع الأفراد والرفقاء couples). أما بند ٧- ٨ من وثيقة القاهرة للسكان فيخص تلك الخدمات (الصبية والمراهقين بدعم وإرشاد من آبائهم، وبما يتماشى مع اتفاقية حقوق الطفل عن طريق المدارس ومنظمات الشباب..).

وبما أن الصحة الإنجابية وخدماتها متاحة (لجميع الأفراد والرفقاء) بما فيهم (الصبية والمراهقون) فقد لزم من وجهة نظر الثقافة الغربية إتاحة فرص واسعة للتثقيف الجنسي لهذه الفئة بالذات تفادياً للحمل والأمراض الجنسية، كما سمحت بالإجهاض، وتيسير وسائل منع الحمل، فيما يسمى ب: (التثقيف الجنسي).

إن نظرة الغرب للجانب الجنسي في حياة الفرد لا تخرج عن كونها: حرية شخصية، فكل إنسان يفعل ما يحلو له، ومن واجب المجتمع حمايته وتثقيفه أيضاً كما ورد في بند ٩٥ من وثيقة بكنين (الاهتمام بوجه خاص بتلبية الحاجات التثقيفية والخدمية للمراهقين كي يتمكنوا من معالجة الجانب الجنسي من حياتهم معالجة إيجابية ومسؤولة).

وتحض مواثيق الأمم المتحدة مثل (بكنين- القاهرة للسكان) ووثيقة عالم جدير بالأطفال على التثقيف الجنسي، خاصة للمراهقات، وتيسير حصولهن على وسائل منع الحمل وإباحة تقنين الإجهاض تحت مسمى: (الإجهاض الآمن)، وتؤكد على حق المرأة (في أن تحكم وأن تبت بحرية ومسؤولية في المسائل المتصلة بحياتها الجنسية بما في ذلك صحتها الجنسية والإنجابية، وذلك دون إكراه أو تمييز أو عنف- بكنين: بند ٩٦).

وفي بند ١٠٨ من هذه الاتفاقية هناك مطلب بإدراج تعليم الجنس الآمن safe sex في المناهج التعليمية بالنسبة للأطفال (تصميم برامج محددة موجهة للمراهقين والرجال من جميع الأعمار مع مراعاة أدوار الوالدين المشار إليها في الفقرة ١٠٧هـ تهدف إلى توفير معلومات

واضحاً بين أيديهم خلاصات رصد الصحة الدينية وسط المسلمين، والتي جرى دفعها في نهاية المطاف إلى «المطابخ الاستراتيجية» من أجل تحويل مخرجاتها النهائية لأغراض الإنذار المبكر حول الإسلام والجماعات الإسلامية والصحة الإسلامية، هذا إلى جانب الاستفادة منها في بناء الاستراتيجيات والسياسات الميدانية لمواجهة التطور الحاصل في العمل الإسلامي على مستوى الدول والمجموعات الإسلامية.

وقديماً كانت تضطلع بهذا الدور المعلوماتي المهم حركة «الاستشراق والمستشرقين» التي أسدت خدمات جليلة في ذات الاتجاه؛ من خلال الغوص في أعماق التاريخ والإرث الإسلامي العميق، والعمل على استكشاف كل ما يمكن الاستفادة منه في خدمة الغرب في سجاله ومواجهته الإسلام عبر العالم؛ فكان عملها خير عون ومساعد للجيوش الاستعمارية الغربية في غزو واختراق الدول والمجتمعات الإسلامية.

وتمثل الأسطر التالية جانباً أولياً من الرصد والمتابعة والقراءة في مسيرة تطبيق استراتيجية الولايات المتحدة في «بناء شبكات إسلامية معتدلة» لمواجهة «السلفية» في العالم. وهذا الجهد في مجمله تلخيص لمعلومات وردت عبر مختلف الوسائط الإعلامية.

أولاً: أبعاد الاستراتيجية الأمريكية في استغلال الصوفية لترويض العالم الإسلامي:

كما هو معلوم انشغل عديد من مراكز البحوث الاستراتيجية الأمريكية فيما بعد (٢٠٠١م)، وطبقاً لموجهات استراتيجية عليا؛ بهندسة استراتيجيات عملية لتحجيم «السلفيين» ومحاصرة ما يصفونه بـ «الإسلام السياسي»، عبر إنشاء شبكات من مجموعات إسلامية أخرى - تحديداً ممن يطلقون عليهم الجماعات الدينية التقليدية، ممثلة في (الصوفية) و(جماعة البلاغ) والعلمانيين (الليبراليين) في جانب، والشيعية في الجانب الآخر.

وكما هو معلوم أيضاً يتلخص الدور المناط بهذه الشبكات في تحقيق القبول لأمريكا وسط المسلمين، وتحسين صورتها ومساعدتها على خلق بيئة هادئة لعمل استراتيجياتها التي تنشط داخل أرجاء العالم الإسلامي.

ولم يعد سراً اعتماد الاستراتيجية الأمريكية «الإسلامية الجديدة» على تدشين عملية بعث الفكر الصوفي والطقوس الصوفية بدءاً بتوثيق الصلات الأمريكية مع المشيخات والطرق الصوفية التي اختيرت بعناية فائقة للعب الدور المنتظر منها، وظهر بجلاء انخراط البعثات الدبلوماسية الأمريكية في مهام جديدة عبر صندوق سفرائها لإعادة إحياء المقامات والأضرحة من أجل إعلاء المؤثرات الروحية الصوفية التي يرون فيها سبيلاً للقضاء على تأثيرات التيارات «المتشدة». وبالطبع، تنتظر أمريكا مردوداً سريعاً لذلك العمل المشترك - سياسياً ودبلوماسياً واقتصادياً.

الدراسات الأمريكية التي تناولت الإشارة للصوفية كُبعد استراتيجي للولايات المتحدة	
الجهة	الفعالية
مؤسسة راند	عام ٢٠٠٣م - دراسة بعنوان: الإسلام المدني الديمقراطي
مركز نكسون للدراسات	عام ٢٠٠٤م - مؤتمر بعنوان: فهم الصوفية ودورها المحتمل في سياسة الولايات المتحدة
معهد الولايات المتحدة للسلام	عام ٢٠٠٥م - دراسة بعنوان: الإسلام السياسي في إفريقيا جنوب الصحراء
مؤسسة راند	عام ٢٠٠٧م - دراسة بعنوان: بناء شبكات إسلامية معتدلة
مؤسسة كارنجي للأبحاث	عام ٢٠٠٧م - دراسة موسعة: الصوفية في آسيا الوسطى
مؤسسة راند	عام ٢٠٠٩م - دراسة بعنوان: الإسلام الراديكالي في شرق إفريقيا

١- منبع اهتمام أمريكا بالصوفية:

على امتداد سنوات العقد الماضي تركّز اهتمام الإدارات الأمريكية المتعاقبة على الجماعات الصوفية في باكستان والصومال والسودان ومصر والأردن، وبعض

خلاصة الدراسات الأمريكية التي بُنيت عليها استراتيجية استغلال التصوف
<p>❖ الصوفية تمثل: «البديل الثقافي والاجتماعي والدين الأساسي لمواجهة الأشكال الأيديولوجية للإسلام المهيمنة حالياً في العالم الإسلامي».</p> <p>❖ الصوفية هي: «الإسلام الذي يمكن أن تتعامل معه أمريكا والغرب، حيث يمكن أن تقدم مساعدة عظيمة للعالم، وذلك عبر مواقفهم من الاستقلال والتعددية واحترام الأديان والعقائد الأخرى».</p> <p>❖ الصوفية تعتبر: أوضح خيار للمسلمين للمصالحة بين «العالم اليهودي - المسيحي» و«العالم الإسلامي».</p>

٢- السفارات الأمريكية تسابق الزمن في تنزيل

استراتيجية استغلال الصوفية:

ليس صدفة أن ينهمك الدبلوماسيون الأمريكيون في الدول الإسلامية بإبداء رعاية خاصة للطرق الصوفية، فالملومات التي تتناقلها الوسائط الإعلامية المختلفة تشير إلى شروع الدبلوماسية الأمريكية، من خلال السفارات الأمريكية المنتشرة عبر دول العالم الإسلامي؛ في فتح قنوات تواصل وتنسيق مع الفرق الصوفية المنتشرة في هذه الدول في إطار تنزيل استراتيجية أمريكا في استخدام التصوف في محاربة «المد السلفي» في العالم الإسلامي. وتتسابق السفارات الأمريكية ودبلوماسيَّوها في العواصم الإسلامية على خلق علاقات قوية مع مشايخ الطرق الصوفية (الذين يدين لهم جميع مريديهم بالولاء والطاعة الكاملة) عبر الزيارات واللقاءات التي تتم معهم في دورهم ومشيخاتهم، وذلك كأسلوب عملي مؤثر للنفوذ إلى قلب الطريقة الصوفية ومحبيها، ومن ثم البناء على تلك العلاقة لخلق أرضية للعمل المشترك مع الصوفية. وسنعرض نماذج من دبلوماسية التقرب من الصوفية في الفقرات الآتية.

ثانياً: المجهودات العالمية لبعث التصوف:

الغريب أن جميع المجهودات الدولية التي تستهدف إعادة بعث التراث الصوفي وإعادة ترميم وصيانة الأضرحة والمقامات الصوفية؛ تأتي في إطار الاستراتيجية الأمريكية في نشر المنهج الصوفي وتسويقه كبديل

ومبعث هذا الاهتمام الكبير بالصوفية، والفئات الأخرى؛ هو بحث أمريكا عن شريك داخل جسد الأمة المسلمة يمكن أن تنفذ من خلاله استراتيجية إلى تحجيم وإبعاد التيارات السلفية التي تقف حجر عثرة أمام هيمنتها على المسلمين ومسعاها لإقصاء الإسلام من حياتهم. وقد وجد الباحثون الأمريكيون هذه الضالة المنشودة في الصوفية بصورة مركزية، من خلال وجهات نظر عديدة: ❖ فكرياً: يرى الأمريكيون أن «فرق المتصوفة» و«النخب الليبرالية» على امتداد العالم الإسلامي، هم أكثر المجموعات التي يسهل استيعابها وانخراطها في المشروع الأمريكي لمواجهة «المد السلفي» و«الإسلام السياسي» في العالم؛ لما يتمتعون به من رغبة قوية واستعداد ذاتي للالتقاء والعمل مع الآخرين من أجل إقصاء «السلفية» من واجهة التأثير في العالم الإسلامي.

❖ دينياً: يتصور الغرب، وأمريكا على وجه الخصوص، أن الصوفية أكثر الفئات المسلمة تساهلاً في اتباع السنة وأعمالها احتفاء بالمبتدعات وأقلها في جانب تطبيق النصوص المنادية بالعمل بفهم السلف الصالح؛ ولذا يعتبرونهم غير متشددين في التطبيق والممارسة، بينما يشيدون بما يتميز به الفكر الصوفي من تقديس الأضرحة والمشايخ وحب الإنشاد والميل للطقوس الاحتفالية والموائد، فهي أمور يرتضونها ويعتبرونها ممثلاً للإسلام «الوسطي»، وهم على استعداد لدعم انتشارها وترويجها في المجتمعات الإسلامية.. وهذا بالطبع مرده إلى أن النصرانية واليهودية لا ترغبان في وجود أمة إسلامية قوية في عقيدتها وارتباطها بربها ونبيها حتى تسهل مهمتهما بين المسلمين.

❖ سياسياً: يتصورون أن الفرق الصوفية أكثر المسلمين اعتدالاً، وأكثرها ابتعاداً عن العمل السياسي ونهج العنف. وطبقاً لذلك هم يتصورون أن المتصوفة أكثر عداء «للإسلام السياسي»، وأقل إلحاحاً في المطالبة بتطبيق الشريعة، ولا يعملون بصورة منظمة من أجل انتقال بلدانهم للحكم بالإسلام.. ولهذه الخصائص السياسية التي يتوقعونها من الصوفية فقد جعلوهم في تلاقٍ كبير مع الليبراليين لتشكيل جبهة للوقوف ضد خصومهم هؤلاء لمحاربة «التطرف والغلو»! بحد زعمهم.

مقبول لتطبيق الإسلام في العالم لإحلال الإسلام القائم على المنهج السلفي.

١- مؤتمرات التصوف ذات الصبغة الدولية:

شهدت السنوات الماضية العديد من المؤتمرات والندوات التي عُقدت بغرض إحياء وبعث التراث الصوفي داخل وخارج العالم الإسلامي، وكان من أبرزها:

- ألمانيا (٢٠٠١م): المؤتمر ٢٨ للمستشرقين الألمان، بحوث بعنوان: (الأخوة الصوفية كحركات اجتماعية)، و(الحركة النقشبندية في داغستان)، و(التيجانية في غرب إفريقيا)، و(صورة الموالد الشعبية في مصر).

- ألمانيا (٢٠٠١م): المؤتمر العالمي الأول لدراسات الشرق الأوسط، بحث بعنوان: (الإسلام الحديث والطريقة النقشبندية المجددية الصوفية)، و(الأولياء الصوفيون وغير الصوفيين).

- مصر (٢٠٠١م): مؤتمر «التصوف منهج أصيل للإصلاح»، وقد نظمته «أكاديمية الإمام الراحل لدراسات التصوف وعلوم التراث بالعشيرة المحمدية».

- مصر (٢٠٠٢م): المؤتمر العالمي للطريقة الشاذلية بمدينة الإسكندرية، وقد انعقدت جلساته في مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع (وزارة السياحة المصرية)، و(منظمة اليونسكو)، و(من دولة فرنسا كل من: وزارة الخارجية، ووزارة البحث العلمي، والمركز الوطني الفرنسي للبحوث والدراسات العلمية، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ودار العلوم الإنسانية).

- بلغاريا (٢٠٠٣م): ندوة حول (أدب التصوف في الإسلام).

- الدانمارك (٢٠٠٤م): سلسلة محاضرات عن (الحلاج وابن عربي وابن الفارض).

- المغرب (٢٠٠٤م): المؤتمر العالمي للطرق الصوفية: (لقاءات سيدي شيكر العالمية للمنتسبين إلى التصوف) تحت رعاية جلالة الملك محمد السادس.

- مالي (٢٠٠٤م): المؤتمر العالمي الأول للطرق الصوفية بغرب إفريقيا تحت شعار: (التصوف أصالة وتجدد).

- ليبيا (٢٠٠٥م): مؤتمر دولي بعنوان: (الطرق الصوفية في إفريقيا.. حاضرها ومستقبلها) تحت شعار

(معاً من أجل تفعيل دور الطرق والزوايا الصوفية في إفريقيا).

- الأردن (٢٠٠٥م): مؤتمر: (حقيقة الإسلام ودوره في المجتمع المعاصر) برعاية الملك عبد الله الثاني.

- الأردن (٢٠٠٧م): مؤتمر: (النزعة الصوفية في الأدب العربي) - عقد ضمن فعاليات «إربد مدينة للثقافة الأردنية لعام ٢٠٠٧».

٢- جهود منظمة اليونسكو والولايات المتحدة لإعلاء الشعر الصوفي:

خصصت منظمة اليونسكو العام ٢٠٠٧ عاماً دولياً للاحتفال بالمئوية الثامنة للشاعر الصوفي «جلال الدين الرومي» (١٢٠٧ - ١٢٧٣م.. بآسيا الوسطى)، حيث دشنت اليونسكو هذه المناسبة بإقامة ندوة دامت يوماً كاملاً في مقرها بباريس، إلى جانب إقامة معرض للكتب والمخطوطات واللوحات التي تتناول حياة جلال الدين الرومي وأعماله.

وفي المقابل، تشهد الولايات المتحدة ترجمات غير مسبقة للشعر الصوفي لجلال الدين الرومي، حيث تتربع مبيعات كتبه الشعرية المترجمة على رأس مبيعات الكتب في الولايات المتحدة. كما نظم مركز الدراسات الفارسية في جامعة ميريلاند الأمريكية مؤتمراً لاستكشاف شعر الرومي إضافة إلى صلته المستمرة بالعالم قديمه وحديثه.

وهناك سيل متواصل للترجمات الجديدة لمؤلفات جلال الدين الرومي الضخمة، بينما تجرى الدراسات العلمية عن حياته وأعماله بصورة مستمرة، كما تم تحويل قصائده إلى موسيقى تم عزفها على المسارح ووضعها على أقراص مدمجة ونشرها على شبكة الإنترنت في الولايات المتحدة وحول العالم.

٣- ترميم الأضرحة الصوفية بواسطة «صندوق السفراء الأمريكيين»:

في بيان صحفي أصدرته وزارة الخارجية الأمريكية (في ٨ يونيو ٢٠٠٩) جاء فيه أن: «صندوق السفراء الأمريكيين» لصيانة الثقافة سيقدم منحاً لمشاريع مهمة هذه السنة لترميم عدد من المعالم التاريخية والثقافية،

بينها مساجد قديمة وأضرحة ومقامات لشخصيات من الفترة الصوفية المبكرة).

وقد أشار التقرير إلى ترميم «ضريح حافظ محمد حياة» الذي يعود للقرن الثاني عشر في غوجارات، و«مقام حضرة شاه شمس تبريز» الذي يعود إلى القرن الثالث عشر في مولتان، وهما معلمان متميزان مهمان من معالم أضرحة أئمة الصوفية المبكرة في باكستان. وقد سبق لصندوق السفراء لصون الثقافة أن دعم مشاريع أخرى في باكستان لترميم أضرحة ومقامات.

يُذكر أن هناك آليات لتمويل أنشطة الشبكات المذكورة - منها مبادرات وصناديق وأوقاف مشهورة.. فهناك ثلاثة صناديق رئيسة تعمل على توفير التمويل الذي يستهدف اختراق المجتمعات الدينية والمدنية في بلاد الشرق الأوسط المسلمة تحت عنوان (نشر الديمقراطية)، وهي صناديق تعمل على تحفيز مجموعات معينة للانخراط في تنفيذ المشروع الأمريكي في المنطقة

٤ - جهود بحث التصوف في باكستان:

لتحسين صورتها بين المسلمين في باكستان، تهتم الولايات المتحدة بالصوفية لقطع الطريق على «الإرهابيين والمتشددين من جهة أخرى» - حسب زعمها؛ ولذا خططت لإقامة مؤتمر دولي للصوفية في مواجهة «أفكار التشدد» في العالم الإسلامي (فبراير ٢٠١٠م)، بجانب قيام السفارة الأمريكية بباكستان في ٢١ أبريل ٢٠١٠م بالتوقيع على معاهدة بينها وبين اتحاد الصوفية في باكستان، قدمت لرئيسه مليوناً ونصف المليون دولار، لتزيين «الأمكان المقدسة» للصوفية في باكستان، وترميم المزارات التاريخية وصيانتها، إلى جانب بناء قُبب جديدة على المزارات المختلفة.

وقد بدأت الحكومة الباكستانية منذ عهد الرئيس «برويز مشرف» بالاهتمام بالصوفية كقوة كامنة في مواجهة الخصوم - خاصة الإسلاميين، فقد كان «مشرف» أول من اهتم بهم، ونظّم مؤتمراً للصوفية في باكستان شارك فيه ما لا يقل عن ألفي شخص يمثلون ٢٠٠ فرقة وجماعة من مختلف المشارب والأطياف الروحية الموجودة في باكستان. وانطلقت الحكومة الباكستانية في تنظيم الصوفية بهيئة عليا للصوفية من جهة ومجلس

أعلى لمشايخ الصوفية أيضاً، ومهمتهما تنظيم الصوفية الباكستانيين، وتقديم الدعم المادي لهم، وتسهيل أعمالهم، وفتح مزيد من المراكز الدينية لجعلهم يمارسون نشاطهم دون عقبات.

وكان أول أعمال المجلس العالمي للصوفية إصداره فتوى تحرّم «العمليات الانتحارية» في باكستان، واعتبارها غير جائزة، كما أصدر فتاوى أخرى اعتبر فيها طالبان خارجة عن الدين وجماعة باغية يجب التعامل معها بما ينص عليه الدين الإسلامي!

كما يجري في باكستان ترويج الموسيقى الصوفية، خاصة فرقة القوالي الباكستانية (فريد أياز قوال وإخوانه) التي تغني القصائد الصوفية باللغة العربية والفارسية والهندية والأوردية والبنغالية، بمصاحبة موسيقى «القوالي» الصوفية الباكستانية والإيرانية.

٥ - حركة التأصيل الشرعي للتصوف التي تنتظم العالم اليوم:

أما حركة التأصيل الشرعي للفكر الصوفي من حيث المعتقدات والممارسة والتطبيق، فيمكن تلخيصها في عدة نقاط، أبرزها ما يلي:

- الإفتاء بجواز تعدد الطرق والاختلاف والتفرق.
- محاربة التوحيد الحق واعتبار الدعوة له بدعة وخروجاً عن الملة.
- نشر العقيدة الأشعرية واعتبار عقيدة السلف تجسيمياً.
- إجازة جميع أبواب الشرك التي حرّمها الشريعة.
- الافتاء بجواز التعبد بالأذكار والأوراد التي يؤلفها المشايخ.
- إباحة البدع وإيجاد المسوغ الشرعي لها.
- إباحة الاحتفال بالموالد والحضرات (الذكر على أنغام الموسيقى وآلات الطرب).

ثالثاً: إطلاق موجات حرق وهدم للأضرحة الصوفية للإيقاع بالسلفيين:

لقد هدف هذا المخطط البغيض إلى إحداث فتن ومواجهات دموية بين الصوفية والسلفيين عبر استهداف هدم أضرحة بعض مشايخ الطرق الصوفية في عديد من الدول الإسلامية.

القبض على أي جناة أو توجيه أي اتهام رسمي لأي جهة إسلامية بعينها، وظلت القضايا مسجلة ضد مجهول!

رابعاً: مجهودات الدول العربية في بعث التصوف: ١ - صور من إحياء الصوفية في دولة المغرب:

تعمل السياسة الدينية التي انتهجتها الدولة المغربية على إحياء وتنشيط التراث والثقافة الصوفية ممثلة في المواسم الدينية، والمهرجانات واللقاءات العالمية للمنتسبين للتصوف، وإحياء وتشجيع الزوايا والطرق الصوفية، وتقديم كافة أشكال الدعم لها، خاصة الطرق: «التيجانية» و«البودشيشية» و«الكتانية». ولقد استطاعت «الطريقة القادرية البودشيشية» أن تتال سلطة معنوية يحسب لها ألف حساب، وأن تكون لها علاقات وطيدة مع هيئات دبلوماسية لبلدان عظمى، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وأن تستقطب أتباعاً بالملايين داخل المغرب وخارجه.

كما تعكس المهرجانات الصوفية في المغرب محاولات الحكومة المغربية توظيف التصوف في لعبة التوازنات السياسية، بتعزيز الصوفية في البلد كحل لمواجهة صعود «الحركات الأصولية غير المعتدلة والمتطرفة»، سيراً على درب الموجّهات الأمريكية.. ومن هذه المهرجانات:

- مهرجان بمدينة مراكش باسم الدورة الدولية الأولى للقاءات والموسيقى الصوفية، تحت شعار: «سماع مراكش»، أقامته جمعية (منية مراكش لصيانة وإحياء تراث المملكة المغربية).

- ومهرجان بمدينة فاس حول الثقافة الصوفية، تحت شعار: «مهرجان فاس للثقافة الصوفية: التصوف والتنمية الإنسانية»، أقامه (مجمع المسالك والتصورات). وقد أفادت الشاعرة والكاتبة «ثرثا إقبال»، مؤسّسة جمعية (منية مراكش)، بأن اختيار أماكن أنشطة المهرجان مدروس جداً، حيث اختيرت الزوايا والقصور والأضرحة والحدائق بعناية فائقة.

وأضافت مؤسّسة الجمعية أن الهدف من المهرجان هو

❖ ففي السودان جرت عدة محاولات لتخريب وحرق بعض الأضرحة، منها: تخريب ضريح الشيخ إدريس ود الأرباب والشيخ المقابلي (بالعيلفون)، والاعتداء على ضريح الشيخ حسوبة (بسوبا شرق - الخرطوم)، وتخريب ضريح الشيخ حمد ود أم مريوم (ببحري)، وتخريب مقابر العيدج والبنداري (ببحري)، والاعتداء على ضريح الأمين البطحاني (بشرق النيل)، والاعتداء على ضريح الفكي هاشم (بشمال بحري)، وضريح الشيخ بابكر محمد سعيد (بالكريعات شرق تمبول)، وضريح الشيخ السنوسي (بنبالا - دارفور). وقد تمت معظم هذه المحاولات بين ٢٠١١ و٢٠١٢.

❖ وفي مصر - بعد الثورة - تم الاعتداء على ضريح الشيخ عز الدين (بالمنوفية)، وأضرحة للشاذلية وبعض الطرق الصوفية الأخرى.

❖ وفي تونس - بعد الثورة - دُمّر ضريح الشيخ بوسعيد الباجي، وتعرض مقام الشيخ أحمد الورفلي للتخريب (باكودة)، إضافة إلى أضرحة أخرى.

❖ وفي ليبيا - بعد الثورة - تم الاعتداء على عدد من الأضرحة، منها: ضريح الشيخ أحمد الزروق (بمصراتة)، والشيخ الشعباب الدهماني (بالقرب من طرابلس)، والشيخ عبد السلام الأسمر (بزلتين - أغسطس ٢٠١٢).

❖ وفي الصومال جرت محاولة هدم ضريح الشيخ محيي الدين العلي، والشيخ أحمد الحاج (مارس ٢٠١٠).
❖ وفي مالي دُمّرت بعض مقامات وأضرحة مدينة تمبكتو (يوليو ٢٠١٢).

ويبدو أن هناك جهة واحدة أو عدة جهات مشتركة لها هدف مركزي واحد، هو الإيقاع والمصادمة بين السلفيين والطرق الصوفية على امتداد العالم الإسلامي، ومن ثم تأزيم العلاقة بين الطرفين، وربما الانتقال بعد ذلك إلى مرحلة المواجهات وتصفية الحسابات.

والغريب حقاً أن الأحداث التي تكررت في السودان - على وجه الخصوص - لم تستطع الجهات الأمنية

تسليط الضوء وإعادة الاعتبار إلى الغنى الروحي والثقافي للمغرب، معتبرة أن: (الصوفية حقيقة أساسية في الدين والتي يصعب تناسيها والتي يجب إعادة اكتشافها وتذوقها والسهر على المحافظة عليها لإيصال رسالة العرفان والحب التي تحتويها إلى العالم الذي بات يفتقد أكثر ما يفتقد إلى القيم الروحية والدينية).

وتشمل مواضيع «مجالس التصوف» التي نوقشت في فعاليات المهرجان:

«المحبة الخالصة: نموذج السيدة رابعة العدوية».

«خزائن الجود: نموذج أبو العباس السبتي».

«خمرة المحبة في ترجمان الأشواق للشيخ محيي الدين بن عربي».

«وتركز الندوات على موضوع «التصوف شجرة المعرفة والمحبة».

٢- صور من بعث الصوفية في دولة الأردن:

كما في غيرها من الدول العربية، يجري الترويج للتراث الصوفي في الأردن عبر آليات عديدة تحاول التأطير الفكري للتصوف كبديل يمكن تسويقه لممارسة الإسلام في الأردن، كما حاول تصويره الدكتور عبدالله الناصر حلمي في مقالة بعنوان: «إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج (التصوف جهاد ضد هوى النفس وضد الطغيان والجبروت)»، حيث سَوَّق للأردنيين ضرورة العمل بالتصوف قائلاً: «فلنتجه إلى رسالة التصوف نستمد منها القوة الخلقية، والعزة الإيمانية، والفضائل الروحية، فنتخذها درعاً وحصناً يقي أمتنا ويحميها، ومعراجاً تصعد عليه إلى أهدافها وأمانيتها. يجب أن يشع الروح الصوفي، الطاهر المؤمن القوي، في حياتنا ووجودنا، وأن نجعله مادة في معاهدنا ومدارسنا، ونوراً في صحفنا وكتبنا وإذاعاتنا، وحياء ملهمة في كل مرفق من مرافق نهضتنا. حينئذ نظفر برضوان الله، وبسيادة الحياة، وتمتلى أيدينا بعزة الصوفيين، وبأس المؤمنين..»

وفي ذات الخط كان مؤتمر (النزعة الصوفية في الأدب العربي) بمدينة إربد قد سار مروجاً للتصوف وأدبياته الشعرية، حيث تناولت أوراقه عناوين عديدة،

من بينها: (التصوف بين الدين والفلسفة: محاولة في تحديد المفهوم)، (التأمل الصوفي في الخلق والفيزياء الحديثة)، (بين التجربتين: الجمالية والصوفية)، (قراءة في ديوان ابن عربي - ترجمان الأشواق)، (فلسفة العلامة وتأويلها بين بيرس وابن عربي)، (الجسم في تأويلات ابن عربي - سر مبهم وكشف أعجمي لنشأة ليليه)، (الصوفية في شعر صلاح عبد الصبور)، (النزعة الصوفية عند محمد أبو دومة)، (النزعة الصوفية في الشعر العربي القديم نقداً)، (الوجه الأدبي عند النفري قدمها الدكتور نصر الدين بيبرس)، (النزعة الصوفية في شعر محمد الفيتوري)، (النزعة الصوفية في الأدب العربي الحديث - عمر اليا في نموذجاً)، و(تمثلات صوفية في شعر أدونيس)

خامساً: الدبلوماسية الأمريكية ومشروع التحالف

«الصوفي - الأمريكي»:

عربياً، تهدف أمريكا إلى دعم الطرق الصوفية عبر إعادة إعمار المزارات والأضرحة، ونشر المؤلفات الصوفية، والمشاركة الدبلوماسية في بعض أنشطة الصوفية، إضافة إلى تمتين العلاقات الحميمة مع طرقها وشيوخها ورموزها، وبالطبع يطول ذلك تبادل الزيارات وحضور الموالد الصوفية وعقد الاتفاقيات والمؤتمرات المشتركة مع الصوفية.

وفي هذا الإطار يمكن استعراض نموذجين للدبلوماسية الأمريكية في تنفيذ برنامجها الميداني للتقارب مع صوفية مصر والسودان:

١- السفارة الأمريكية في دولة مصر .. والتقارب

مع الصوفية:

يمكن ذكر النماذج الموجزة التالية حول التقارب الصوفي الأمريكي:

- لقاء السفير الأمريكي بمصر (فرنسيس ريتشارد دوني) الشيخ حسن الشناوي، شيخ مشايخ الطرق الصوفية.

- زيارة السفير الأمريكي الطريقة الجازولية ومشاركته أبناء الطريقة وهم ينشدون المدائح النبوية

والأناشيد الدينية.

- زيارة السفير الأمريكي مولد «السيد البدوي» بمدينة طنطا للعام الثالث على التوالي، ولقاؤه مشايخ الطرق الصوفية.

- زيارة جواند كاردنو القنصل الأمريكي في الإسكندرية ضريح الشيخ مرسي أبي العباس.

- اختيار المجلس الأعلى للطرق الصوفية وفداً صوفياً من ١٥ شيخاً من الطرق الصوفية للمشاركة في مؤتمر «رجل السلام العالمي» بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو مؤتمر يعقد بهدف توضيح الصورة السمحة للإسلام.

- قيام ١٦ شيخاً من شيوخ الطرق الصوفية، على رأسهم الشيخ علاء أبو العزائم (شيخ الطريقة العزمية)؛ بعقد اجتماع مع سكرتير السفارة الأمريكية ممثلاً لإدارة الأمريكية في مقر الطريقة العزمية بمنطقة «السيدة زينب»، بحضور ممثل لجهاز مباحث أمن الدولة.. وخلص اللقاء إلى أن تستضيف الإدارة الأمريكية مشايخ الصوفية على نفقتها الخاصة لتنظيم عديد من الفعاليات والأنشطة، والقيام بزيارات إلى الولايات المتحدة لنشر الصوفية بين المسلمين الأمريكيين.

ومن جهة ربط التصوف المصري بالتصوف العالمي، تم تأسيس فرع للمجلس الصوفي العالمي المسجل في بريطانيا، ليكون أول منظمة مصرية عالمية (تحت اسم «المجلس الصوفي العالمي») لنشر الفكر الصوفي، وهو برئاسة شيخ الطريقة الشهاوية البرهامية (محمد الشهاوي). وقد أنشئ هذا المجلس الصوفي بدعم من الحكومة البريطانية وحزب العمال في مواجهة المجلس الإسلامي البريطاني.

٢ - السفارة الأمريكية في دولة السودان..

والتقارب مع الصوفية:

من خلال القائم بالأعمال الأمريكي في السودان (جوزيف ستافورد)، تنهك الدبلوماسية الأمريكية في مهمة استقطاب الطرق الصوفية السودانية بمشاريها

المختلفة للانخراط في المشروع الأمريكي. وكان من الطبيعي استخدام الدبلوماسية الشعبية والزيارات الودية وتبادل الهدايا ومشاركة الصوفية في حلقات ذكرهم ضمن الوسائل الأساسية في بناء شبكة العلاقات الأمريكية مع صوفية السودان.

وقد اختار القائم بالأعمال الأمريكية - ابتداء - المجموعات الصوفية المنتمية إلى «الطريقة القادرية الجبلانية» (نسبة لمؤسسها الأول عبد القادر الجبلاني)، ذات الانتشار الأوسع في السودان مقارنة بالطرق الصوفية السودانية الأخرى. فقد كان من بين رئاسات الطرق القادرية التي زارها الدبلوماسي الأمريكي ما يلي:

• الطريقة البدرية بمنطقة «أم ضوا بان» (ولاية الخرطوم).

• الطريقة العركية بمنطقة «أبو حراز» (ولاية الجزيرة).

• الطريقة الكباشية بمنطقة الكباشي (ولاية الخرطوم).

• مشيخة الصايم ديمة بمنطقة أم درمان (ولاية الخرطوم).

• مقام/ ضريح حمد النيل، التابع للطريقة العركية بمنطقة أم درمان (ولاية الخرطوم).

ومن قبل كان الدبلوماسي الأمريكي قد زار الطريقة البرهانية بالخرطوم أيضاً.

وفي كل المناطق التي زارها «القطب» الدبلوماسي الأمريكي بالسودان، كانت البداية مبشرة لمشروعه؛ فقد وجد الترحيب الحار من زعماء الطرق الصوفية التي زارها، ونحرت الذباح على شرفه، وألبس الحلل الصوفية الخضراء، وزُيّن بالمسبحة الصوفية، ولم ينسَ مضيفه إشراكه في حلقات ذكرهم في بعض المناطق التي زارها. ويشهد التصوف في السودان حركة بعث وتجديد

وعرض في ثوب جديد؛ فقد أنشئ مجلس أعلى للتصوف، وكوّنت عديد من روابط الطلاب المتصوفة في الجامعات، وأنشئ مجلس أعلى للذكر والذاكرين

بقانون صادر من المجلس التشريعي السوداني، وأطلقت قناة تلفزيونية وإذاعة لنشر المنهج الصوفي، وأنشئ تجمع لعلماء التصوف، وانتشرت عدة فرق موسيقية للإنشاد الصوفي تتغنى بأشعار مشايخ الصوفية.

سادساً: تحديات تطبيق المشروع الأمريكي لاستغلال التصوف:

في بحث تحت عنوان: (الصوفية.. بين الهوية والاعتدال والإنسانية)، طرح الباحث الأمريكي «أبو بكر كروليا» سؤالاً منطقياً حول استعداد الصوفية وقابليتها للانخراط في المشروع الأمريكي، عندما تساءل: «هل تقوم المجتمعات الصوفية في الغرب والأماكن الأخرى بإعداد نفسها أيديولوجياً لبناء وجهة نظر عالمية والانخراط بصدق مع الغرب لوضع إطار أخلاقي ومعنوي لإقامة العدل والمساواة؟».. إلا أن الباحث اكتفى بعرض السؤال وأعرض عن الغوص في أعماق الإجابة، تاركاً ذلك للصوفية أنفسهم؟

وانتقل الباحث إلى القضية الأهم في الجانب الآخر، ليتناول طبيعة الشريك الأمريكي وفرص نجاح مثل هذه الشراكات مع المتصوفة، فيقول مبيّناً عن حكومة الولايات المتحدة: «يجب أن تكون واعية لحقيقة أنها شريك في العالم، وأنه لا يمكن حتى للصوفية التفاوض أو الحوار مع شريك تقتصر مصلحته على «بناء عالم من المصلحة الذاتية» على أساس الهيمنة والسلطة!»

ثم بيّن الباحث أن الاستراتيجية الأمريكية - الصوفية صائرة إلى فشل حتمي على المدى الطويل بسبب طبيعة الشريك الأمريكي، حيث يقول: «سياسة الحكومة الأمريكية لإدماج «الصوفية المعتدلة» و«المسلمين التقليديين» أو «الحكومات الصديقة»؛ ستحقق بعض النجاح، لكن نهجها الأصلي في سياستها «السياسية» و«الاجتماعية» ليس له استدامة على المدى الطويل لإقناع المسلمين، وذلك بسبب فرط استخدام القوة الأمريكية التي تضر أكثر مما تسعى إلى تحقيقه من أهداف ثقافية متعددة وأهداف تعددية للسلام والعدالة». إذن؛ فالمصالح الذاتية هي المحرك للمشروع

الأمريكي طبقاً لما يراه الباحث، وليس الحرص على إشاعة العدل والسلام كما هو الادّعاء؟.. فما سيحدّد فرص نجاح «المشروع الأمريكي - الصوفي» هو مدى استعداد الشريك الأمريكي للتنازل عن مبدأ استغلال الآخر وترك الهيمنة والتسلط في مقابل التعامل مع شريكه بمبدأ الندية وعدم الازدواجية والالتفاف.

وانطلاقاً من ذات السياق، تبرز جملة من التحديات لسياسة تمكين الصوفية من قيادة العالم الإسلامي، يتلخص أبرزها في التالي:

التحدي الأول: يتمثل في التشكيك بإمكانية نجاح عملية بناء الشبكات (الصوفية - الليبرالية) بالطريقة التي ترغب فيها الولايات المتحدة، وبالأهداف المرجوة من صياغة شعوب مسلمة لا تبالي بدينها، وتترك الساحة لأعدائها، وتقتصر تدبّرها على الروحانيات والتبرك بالمقامات وتركن إلى العقائد والأذكار الباطلة.

التحدي الثاني: وينطوي على التشكيك بامتلاك الصوفية مقومات قيادة الشعوب المسلمة، أو امتلاك القدرات الخارقة لمغالبة القيادة الإسلامية الحالية التي تقود صحوة دينية قوامها التأصيل الشرعي وتظهر مجهوداتها الفذة في طرح الإسلام كمنهج حياة، ولا تكلّ عن العمل على إعادة تجميع الأمة تحت الكتاب والسنة المطهرة في حدود الممكن.

ويأتي في صلب هذا التحدي التساؤل عن مدى إمكانية دمج جميع الطرق الصوفية في المشروع الأمريكي - تحديداً الطرق الموجودة في البلدان العربية، خاصة في ظل التقاطعات والعلاقات التي تحكم وجود الصوفية في بلدانها.

التحدي الثالث: وينطوي على التشكيك بمدى مصداقية الولايات المتحدة في اتخاذ الصوفية كشريك إسلامي استراتيجي لتمثيل الأمة الإسلامية، وبمدى صبرها على السير في طريق طويل (يستهدف إعادة صياغة كامل الأمة الإسلامية على الطريقة الأمريكية) في مقابل تحقيق نجاح مشكوك فيه أصلاً.

يضاف إلى ذلك التشكيك في مدى تحمّل الميزانية

الأمريكية «المرهقة» عمليات الصرف إلى ما لا نهاية على استراتيجية يرتهن تطبيقها «بالوكالة» على أطراف لم تجربها الإدارة الأمريكية جيداً - سوى التعويل عليها من خلال فرضيات وتوقعات المراكز البحثية الأمريكية.

الدور المنتظر من الجماعات السلفية:

لقد انتهت مرحلة رسم الاستراتيجيات من قبل الأمريكيان والغرب عموماً، وانطلق العمل في بناء شبكة علاقات عمل ومصالح متبادلة بين الطرف الأمريكي وبعض الطرق والكيانات الصوفية داخل حدود كل بلد، وشبكات شبيهة عابرة للحدود، وأخرى على مستوى العالم، (مثل المجلس الصوفي العالمي ببريطانيا تحت زعامة الطريقة الشهابية البرهامية، والمجلس الإسلامي الأعلى في أمريكا تحت زعامة الطريقة النقشبندية).

وإزاء ذلك، هناك دور متعاظم ينتظر «السلفيين»، ويتمثل في كشف استراتيجيات وخطط خصومهم من جانب، والعمل على تضافر الجهود والإمكانات لمواجهة الخطط والسياسات العملية التي أفرزتها هذه الاستراتيجيات من جانب آخر. وهذا الدور له صلة وثيقة بتفعيل الحوار والتواصل داخل البيت السلفي - ما بين العلماء، والخبراء، والقادة، والدعاة، والباحثين، وأصحاب الثروة، والهيئات الرسمية والمدنية، وكلّ قادر على العطاء من أهل الإسلام.

وإذا لم يتيسر للسلفيين إطلاق برامج التبصير والمواجهة من خلال الأوعية الرسمية، فیتعیّن على مؤسسات المجتمع المدني الإسلامية أن تقوم بالمهمة. ويمكن التوجيه في هذا الخصوص بالتدابير الابتدائية التالية:

- بناء شبكة سلفية دولية لمواجهة هذه الاستراتيجية تعمل على الاتصال والحوار مع الأطراف التي تسعى أمريكا لاستخدامها في إنزال الخطط الاستراتيجية، وذلك من أجل تحييدها وتبصيرها بسوء العاقبة من الانخراط في ذلك العمل المعادي للإسلام والمسلمين.
- عقد منتديات عالمية (ورش دولية) يحضرها

السلفيون الذين تستهدفهم الاستراتيجية الأمريكية؛ لمناقشة آخر التطورات على المستوى التطبيقي للاستراتيجية في المنطقة الإسلامية، وتقديم أوراق علمية تعالج قضية إفشال المشروع الأمريكي. ولا غنى عن تكليف مجموعة مختارة عبر المؤتمر بمهمة قيادة هذا العمل المشترك وتطوير آليات عمل مناسبة لذلك؛ (جمع قاعدة معلومات واسعة من خلال البحث والاستقصاء والرصد والمتابعة والتحليل).

ولعل أكبر تحديات الاستراتيجية المضادة للمشروع الأمريكي، يكمن في مدى نجاح المجموعات السلفية بإبعاد الصوفية وتحييدها عن المشاركة في الاستراتيجية الأمريكية، وذلك من خلال التواصل واللقاءات والحوار بين السلفيين والصوفية.

وهنا لا بد من التأكيد على أن الصوفية ككيان إسلامي معنيون - قبل غيرهم - بمواجهة هذا المشروع الأمريكي الذي يسعى لاختراقهم والعمل من خلال مؤسساتهم على ضرب الإسلام من الداخل، وأخذهم في مجاهيل صراعات مع السلفيين «مجهولة الهوية» وغير محسوبة» النتائج.

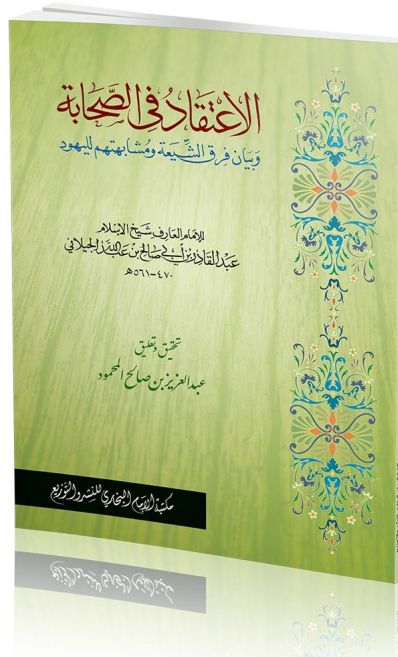
وقبل كل شيء لا بد من التوكل والاستعانة بالله تعالى كما هو شأن المسلم دوماً، فالله تعالى يعلم بخطط القوم واستراتيجياتهم، وقد فضح أعمالهم في كتابه العزيز؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦ - ٣٧].

القادر الجيلاني، والجيلاني هو من أعلام التصوف وتنسب له مئات الطرق الصوفية القادرية، ومن هنا تتبع أهمية الكتاب، فقد قام الشيعة الرافضة عبر التاريخ بمحاولة خداع بعض التيارات الصوفية واستغلالها لنشر التشيع في أوساط المسلمين السنة، وفعلاً نجح الشيعة في استمالة بعض الطرق الصوفية للتشيع كالصفويين قديماً والطريقة العزمية في مصر حالياً، بالإضافة إلى عدد من الشخصيات الصوفية المعاصرة والتي تقبلت التشيع مثل: حسن شحاته بمصر، أحمد حسون بسوريا، والنيل أبو قرون في السودان.

لكن المحمود أراد التبيه على أن هناك جهداً صوفياً قديماً وكبيراً في مقاومة التشيع وأنه هو الأصل الذي يجب أن يلتزم به الصوفيون، إذ التصوف يحترم ويجلّ الصحابة بخلاف الشيعة الذين يعادون الصحابة ويكفرونهم!!

ومن هنا جاء اختيار المحمود لكلام عبد القادر الجيلاني في

مقاومة التشيع من كتابه المشهور (الغنية)، لكن الإضافة المهمة هنا أن المحقق المحمود كشف



(١) الاعتقاد في الصحابة وبيان فرق الشيعة ومشابهتهم لليهود للإمام عبد القادر الجيلاني

(٢) الروض الرافض في عدم صحة نكاح أهل السنة للروافض للعلامة علي المرادي الحنفي

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

صدر هذان الكتابان حديثاً عن مكتبة الإمام البخاري بالقاهرة، وهما بتحقيق وتعليق الأستاذ عبدالعزيز بن صالح المحمود، وهو الباحث المتخصص في الفكر الشيعي وصاحب المقالات المتميزة في الراصد.

الكتاب الأول (الاعتقاد في الصحابة وبيان فرق الشيعة ومشابهتهم لليهود) مستل من كتاب الغنية لعبد

(*) كاتب أردني.

عن وجود سقط صفحة كاملة في النسخة المطبوعة تتناول مشابهة الشيعة الرافضة لليهود!!

ولم يجزم المحمود بسبب السقط هل هو من محقق النسخة المطبوعة د. فرج توفيق وليد أو رقابة وزارة الاعلام العراقية في الثمانينيات، لكنه يعتب على د. فرج والناشر أنهما لم يبرا ساحتها ولو في مقال إذا كان هذا السقط رغباً عنهما.

قام المحمود في هذا الكتاب بجمع كلام الجيلاني في أربع قضايا، هي:

- ١- العقيدة الإسلامية في الصحابة، وهي من مفاصل الخلاف مع الشيعة.
- ٢- التحذير من البدع وأهلها.
- ٣- التحذير من الفرق المبتدعة وخاصة الرافضة مع عرض عقائدهم الباطلة وفرقهم المختلفة.
- ٤- مشابهة الرافضة لليهود.

والخلاصة التي

نخرج بها من هذا الكتاب أن أهل السنة بمختلف مذاهبهم ومدارسهم متفقون على نبذ التشيع وعقائده الباطلة في الإمامة والصحابة والقرآن وغيرها من بدع الرافضة.

أما الكتاب الثاني (الروض الرائض في عدم صحة نكاح أهل السنة للروافض)، فهو جواب عن سؤال وجه سنة ١١٨٢هـ إلى مفتي بلاد الشام العلامة علي المرادي الحنفي (١١٣٢ - ١١٨٤هـ)، من قاضي القضاة بدمشق السيد محمد أمين القاضي، عن حكم تزويج بعض الشيعة الذين جاؤوا لدمشق

في طريقهم للحج، لكنهم تأخروا، وفاتهم الحج فمكثوا في دمشق انتظاراً للحج العام القادم.

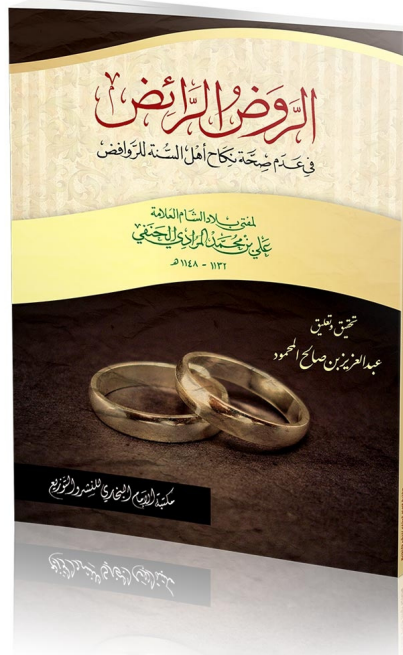
فجاء الجواب بالمنع من تزويجهم، وذلك من خلال النقاط التالية:

- ١- أن الزواج متعلق بالكفاءة، وحكم الرافضة هو الردة والكفر.
- ٢- الكفاءة عند الأحناف تشمل العقيدة، وعقيدة السني تخالف الشيعة فتنتفي الكفاءة.
- ٣- إذا كان الفاسق غير كفؤ للمسلمة فكيف بالمبتدع في أحسن أحواله؟

وقد اعتمد المفتي على كتب الأحناف وأقوال علمائهم، مما يؤكد أن مباينة الشيعة لأهل السنة قضية محسومة عند مذاهب أهل السنة، وأن الخلاف مع الشيعة خلاف سني شيعي وليس كما يزعم الشيعة أنه خلاف وهابي أو سلفي شيعي!!

وينبه المحقق الأستاذ

عبد العزيز المحمود إلى ضرورة بعث التراث الفقهي والعقدي السني في بيان حقيقة الشيعة لكافة المذاهب السنية حتى ندرك شمولية الخلاف السني الذي تجسد اليوم في تحالف الشيعة والنصيرية ضد كل السنة في سوريا، والذي لم يتورع عن قتلهم بالجملة وبكافة الأسلحة دون تفريق بين سلفي ومذهبي أو صوفي، أو كبير وصغير، وبين



ثائر أو مدني.

الدستور، بأن باشرت السلطات العمومية إغلاق مقرات جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة، التي تعمل في إطار قانون الحريات العامة، بدعوة أن هذه الجمعية تعمل خارج إطار القوانين المعمول بها في التعليم العتيق التابع لوزارة الأوقاف، كما أكد بلاغ وزارة أحمد التوفيق.

وهو بلاغ عار من الصحة والموضوعية، كما أكد محامون مختصون وحقوقيون وسياسيون؛ إضافة إلى الجمعية المعنية بالأمر التي أوضحت في بيان للرأي العام أن «هذا غير صحيح لأن الجمعية لا تخضع لقانون التعليم العتيق حتى تسوي وضعيتها بناء عليه».

وبالموازاة مع ذلك تدخل المركز المغربي لحقوق الإنسان CMDH وطالب حكومة عبد الإله بنكيران بالعدول عن قرار إغلاق دور القرآن التابعة لجمعية الدعوة إلى القرآن والسنة بمراكش، وباللجوء إلى القضاء في حالة حدوث خلاف بين السلطات والجمعية المذكورة، «وذلك مراعاة لروح الدستور المغربي، واحتراما لإرادة الشعب المغربي الذي صادق عليه»، وبفتح حوار مسؤول يقضي بإيجاد حل يحترم أنشطة الجمعية دون انتهاك حقها في تنفيذ أنشطتها.

واعتبر المركز الحقوقي في بيان له أن دور تحفيظ القرآن الكريم، التابعة لجمعية الدعوة إلى القرآن والسنة التي يرأسها الشيخ محمد المغراوي، تقوم بدورها في التحصيل الديني كبادرة من المجتمع المدني، تتسجم مع القيم المشتركة التي يتمتع بها المجتمع المغربي، ولا تخرج على هذا النطاق حتى

إغلاق دور القرآن الكريم بين التفاعل الوطني وغياب الانسجام الحكومي

نبيل غزال - موقع هسبريس ٢٠١٣/٧/١٧

أيام قليلة قبل أن يحل شهر القرآن أغلقت دور القرآن في بمدينة مراكش، وهو توقيت دفع العديد من الفعاليات والجهات إلى وضع أكثر من علامة استفهام، وإلى التساؤل بإلحاح عن سبب اختيار هذا التوقيت بالذات، على اعتبار أن هذا السلوك المستفز تكرر غير مرة؛ كان آخرها إغلاق جمعية القاضي عياض لتحفيظ القرآن الكريم بمدينة سلا في العشر الأواخر من رمضان سنة ٢٠٠٨م، ولا زالت هذه الجمعية المدنية التي كان يستفيد من أنشطتها الآلاف من ساكنة سلا، إلى حدود كتابة هذه الأسطر موصدة الأبواب دون أي سند قانوني.

فبعد مضي سنتين بالتمام والكمال على الدستور الجديد الذي صوت عليه الشعب بأغلبية مطلقة، وأكد في فصله الثاني عشر (١٢) على أن: (جميعيات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية تؤسس وتمارس أنشطتها بحرية، في نطاق احترام الدستور والقانون. ولا يمكن حل هذه الجمعيات والمنظمات أو توقيفها من لدن السلطات العمومية، إلا بمقتضى مقرر قضائي).

بعد مضي ٢٤ شهرا على هذا الحدث المهم في تاريخ المغرب الحديث جاء التنزيل العملي لهذا

رفض القاطع لصدوره».

وهو التصريح الذي أكد الاختلاف الكبير والتقاطب الحاد بين مكونات الحكومة

بخصوص هذا القرار، فوزير الأوقاف يؤكد ويتهم جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة بالتضليل، ووزير العدل يشجب القرار ويصفه بـ: غير المسؤول، ويعتبره تضيقا على الناس بغير وجه حق.. ما يعني عدم انسجام الحكومة المتعددة المشارب في قراراتها.

ودعونا نرجع قليلا إلى الوراء ونستحضر سبب الإغلاق الأول لأكثر من ٦٧ جمعية لتحفيظ

القرآن الكريم، فقد كانت الشماعة التي علق عليها سبب الإغلاق هو ما سمي وقتها بـ«فتوى زواج الصغيرة»، فتحملت الجمعيات التي تعنى بتحفيظ القرآن الكريم شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، تبعات تفسير الدكتور محمد المغراوي لآية من كتاب الله تعالى مجمع على تفسيرها من طرف العلماء.

وظلت هذه الجمعيات مغلقة إلى حين هبوب

الربيع العربي، ففتح بعضها بأمر ملكي، كما نقل رئيس الحكومة السيد عبد الإله بنكيران، واليوم يعاد إغلاقها من جديد بتزامن مع زيارة رئيس الحكومة ذي المرجعية الإسلامية نفسه إلى المدينة الحمراء، في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية خانقة، ومعارضة شديدة للحكومة الحالية، وعزم حزب الاستقلال على الانسحاب منها.

ما يؤكد وجود إرادة قوية للوقعية بين حزب العدالة والتنمية الذي يشكل الأغلبية في الحكومة والتيار السلفي الواسع الانتشار في مراكش وغيرها.

فمن هي الجهة التي تدفع في اتجاه التضيق على الجمعيات والمؤسسات ذات المرجعية الإسلامية؟ ومن يقف حجر عثرة أمام استمرار أنشطة دور القرآن الكريم الريادية والإصلاحية؟

يجعلها موضع استهداف، معتبرا أن الواجب هو تشجيعها ومباركة دورها الطلائعي في الحفاظ على مكونات المجتمع، من خلال العناية برابط التلاحم والتواد بين أبناء المغرب.

كما أعلن أكثر من ٤ مليون مغربي عن

تعاطفهم التام وتضامنهم اللامشروط مع دور القرآن بالمغرب، حيث أعلنت مجموعة من صفحات التواصل الاجتماعي عن دعمها المطلق لقضية دور القرآن الكريم، وهي صفحات يتجاوز عددها ٤ مليون مغربي؛ وأكدوا أنه «لا يعقل في بلد إسلامي ٩٩٪ من سكانه دينهم الإسلام، وفي مغرب ساهم في نشر الإسلام ورسالته السحراء منذ قرون أن تغلق دور قرآنه، ويمنع أئمة بعض مساجده من الدعوة والإرشاد بدعوى نشر الأفكار الظلامية وزرع الفتنة وفي المقابل ملاهي الرقص والفجور ودور الدعارة في تزايد وفي واضحة النهار».

وطالب رواد هذه الصفحات من الحكومة

المغربية «التدخل لإيقاف القرار المجحف وغير المنطقي والذي لا يتوافق مع روح الدستور المغربي الذي صوت عليه أغلبية الشعب».

وقد جاء هذا القرار بالتزامن مع إعلان منظمة

التجديد الطلابي فرع مراكش «تضامنها مع جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة، وتنديدها بالردة التي يشهدها التحول الديمقراطي في المغرب ومحاولات القفز على المكتسبات الدستورية الجديدة».

إضافة إلى ذلك استتكرت فعاليات سياسية

وجموعية وحقوقية كثيرة هذا القرار الذي اعتبرته مجحفا ومخالفا لدستور يوليو ٢٠١١.

وقد وصف وزير العدل والحريات الأستاذ

مصطفى الرميد قرار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية باللامسؤول وبال«تضييق على الناس بغير وجه حق، ومس بحرياتهم بغير سبب معقول»، وقال: «فوجئت بقرار الإغلاق.. ولا يسعني إلا أن أعبر عن

هل تتصالح حماس مع الأسد؟

طارق حميد - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٧/٢٩

بسرعة، ومن دون تردد، شرعت حماس في إنجاز مصالحة مع إيران وحزب الله، وذلك إثر سقوط نظام الإخوان المسلمين في مصر، ورغم قول حماس سابقا إن علاقتها بإيران وحزب الله قد تأثرت بسبب موقف الحركة من الثورة السورية! وبالطبع لم تكن تبريرات حماس حول الموقف من الثورة السورية حقيقية بقدر ما أن حماس استشعرت حينها القوة بوصول الإخوان للحكم بمصر، وهو الأمر الذي لم يدم أكثر من عام واحد، وها هي حماس تعود من جديد لأحضان إيران وحزب الله، وبسرعة رغم أن القتل مستمر في سوريا، بل وتجاوز عدد القتلى السوريين على يد قوات الأسد المائة ألف قتيل، مما يثبت كذب حماس التي لا تتعاطف مع الثورة السورية بقدر ما أنها تبحث عن الاستمرار بحكم غزة، ولو على حساب القضية الفلسطينية نفسها، وليس الثورة السورية وحسب.

ولا شك أن عودة العلاقات بين حماس وإيران وحزب الله الآن هي أشبه بحلف المضطر، فحماس تريد الاستمرار بحكم غزة، وهي التي لم تقم بانتخابات هناك منذ انقلابها على السلطة الفلسطينية، وتريد أيضا من الارتقاء بأحضان إيران ضمان الممول والعودة لنفس الوضع أيام حكم مبارك، بحيث تصبح غزة الطعنة في خاصرة مصر. وبالنسبة للعلاقة مع حزب الله فإن حماس تريد ضمان بقاء مكتبها في بيروت، والذي هددت بالطرد منه بعد إعلان تعاطفها مع الثورة السورية، ويوم ما ظنت حماس أن القاهرة أصبحت الحديقة الخلفية لغزة! أما بالنسبة لإيران وحزب الله فإن التصالح مع حماس يخدم عدة قضايا منها تبييض وجه طهران وحزب الله من التهمة الطائفية بسوريا، وقطع الطريق على المفاوضات المزمع عقدها حول السلام بين

الفلسطينيين والإسرائيليين، وكذلك الاستفادة من حماس في منازعة مصر الجديدة، ومحاولة تصوير القاهرة في قادم الأيام كحليف لإسرائيل بعد سقوط الإخوان، الذين شكلوا تحالفا صامتا مع إسرائيل طوال عام من حكم مرسي لم يستطع حتى مبارك إنجازه.

وبالطبع ستعود النغمة البالية من مقاومة وممانعة، ولا يستبعد الآن فتح جبهة من غزة مع إسرائيل للهروب إلى الأمام وخدمة عدة أهداف إيرانية بالمنطقة، ومنها تخفيف الضغط عن الأسد، وتحريك المفاوضات الإيرانية الدولية، والضغط على مصر الجديدة، وكل ذلك مقابل أن تحظى حماس بالدعم المادي من قبل إيران، كما حدث بال عشرة أعوام الماضية، مما يستوجب التساؤل: هل تشرع حماس الآن بالصلح مع الأسد برعاية كل من إيران وحزب الله، وبحجة المقاومة والممانعة؟ وهل تحظى حماس الآن بدعم مالي من العراق أيضا كونها عادت إلى حضان إيران وعملائها بالمنطقة؟

كل شيء محتمل بالطبع طالما أن هم حماس هو البقاء، ولو على حساب القضية الفلسطينية، لكن هل ينطلي هذا الأمر مجددا على المنطقة مرة أخرى؟ أتمنى لا، خصوصا أن جميع الأوراق مكشوفة الآن، وعرف من هم تجار الدم والدمار من الإخوان المسلمين وأتباعهم مثل حماس، أو إيران وعملائها كحزب الله.

حروب "حزب الله" تؤكد هويته العسكرية

فسان الإمام - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٧/٣٠

سَلَّمَ الرئيس حافظ الأسد، على مضض، برغبة إيران في إنشاء حزب طائفي شيعي في لبنان خاص بها. وكعادته، أجرى مداولات سرية طويلة مع زعماء إيرانيين دينيين ومدنيين وعسكريين ومخابراتيين، محاولا إقناعهم بقبول حركة «أمل» حزبا للطائفة تدعمه وتستغله سوريا وإيران معا.

انفصال بين العسكري والديني، في قيادة الحزب منذ ولادته. وخرافة «الجناح العسكري» هي من فذلكة الدبلوماسية البريطانية، لتمرير العقوبة، بأهون أذى ممكن، قد يلحقه «حزب الله» بالقوات الأوروبية المشاركة في حفظ «السلام» بينه وبين إسرائيل في جنوب لبنان.

صحّا الرئيس الأسد من غفوة مرضه ففرك

كفيه فرحا. فقد وفّرت عمليات «حزب الله» عليه وعلى تنظيمه الشيعي في لبنان (حركة أمل) لوم وغضب أميركا وأوروبا اللذين انصبا على إيران. ومن الباب الموارب، لعب الأسد دورين في حرب الرهائن المخابراتية التي ستشطب طيلة الثمانينات: دور المشاركة. أو الوساطة. وقد سجلت المخابرات الإيرانية بواسطة حزبها «الإلهي» نصرا كبيرا على المخابرات الغربية.

أستطيع أن أقول إن لبنان خرج عمليا من دائرة

النفوذ الغربي، منذ تأسيس الحزب (١٩٨٢). ويات على نظامه مدارة إيران وحزبها، وخاصة أن عرب المشرق، بما فيهم اللبنانيون، باتوا متأثرين بثقافة «المقاومة» والعداء للسياسات الغربية التي بثها النظامان الإيراني والسوري.

وأروي هنا بعض التفاصيل عن حرب الرهائن.

فقد كان بين ضحاياها مالكوم كير رئيس

جامعة بيروت الأميركية (٨٤). والباحث الفرنسي ميشال سورا (٨٦). والعقيد الأميركي الأسود ريتشارد هيجينز العامل في القوات الدولية. أعدم سورا المتزوج سورية، لمجرد وضعه كتابا عن الطائفة العلوية. وشنق حزب الله العقيد الأميركي، بعد خطف إسرائيل، في عملية جريئة، قياديين حزييين (عبد الكريم عبيد ومصطفى ديراني).

وأضيف أن الأسد لم يكن راضيا عن قتل

الضابط الأميركي. وحاول إنقاذه هو والقس الإنجليي البريطاني ثيري ويت الذي أبقاه خاطفوه عاريا بعدما اكتشفوا أن طيات جسده تحتوي على

لكن الإيرانيين اعتذروا بلباقة لحليفهم

الوحيد في العالم العربي. وأرسلوا مئات من ميليشيا الحرس الثوري إلى بعلبك. وبدأوا فورا بتدريب شباب الشيعة على السلاح والقتال. وكانت مخابرات الخميني المنهمك، بحرب مضنية مع عراق صدام، قد حشدت مسبقا لفيفا طويلا عريضا، من رجال الدين، لتشكيل البنية المذهبية للحزب.

هكذا ولد «حزب الله». وجاء تصميم رمزه من

إيران: قبضة مرفوعة ممسكة ببندقية كلاشنيكوف. ولم تكن تلك القبضة سوى للشباب من أصحاب العمائم الذين كانوا من صغار تلامذة الخميني في النجف، عندما كان هاربا من الشاه، إثر قمع ثورته الدينية الأولى (١٩٦٣). وبين هؤلاء صبحي الطفيلي الذي سيصبح أول أمين عام للحزب. وعباس الموسوي الأمين العام الثاني الذي اغتالته إسرائيل (١٩٩٢). وحسن نصر الله أمينه الثالث.

في حذرته التقليدي، نصح الأسد حلفاءه

الإيرانيين، بعدم الإعلان عن ميلاد الحزب (١٩٨٢). وبالفعل، تأجل الإعلان إلى عام ١٩٨٥، وذلك بعدما انهمك الحزب فور ميلاده (تحت اسم منظمة «الجهاد») بعمليات انتحارية، روّعت الأميركيين والفرنسيين الذين ارتكبوا خطأ إنزال قوات برية كبيرة في لبنان، مستغلين انكفاء القوات الإسرائيلية الغازية إلى الجنوب، إثر تعرضها لعمليات استنزاف.

قتل ٢٤٠ جندي مارينز أميركيا. و٨٦ مظليا

وجنديا فرنسيا، في عمليتين انتحاريتين بسيارات مفخخة اقتحمت قواعد هذه القوات في بيروت (١٩٨٣). وعندما نسف الحزب مبنى السفارة الأميركية بعمليّة ثالثة. قتل فيها دبلوماسيون ومدير محطة المخابرات المركزية في المنطقة، آثر الرئيسان رونالد ريغان وفرانسوا ميتران سحب قواتهما.

عدت إلى هذه الخلفية «الماضوية» لحزب الله،

لأذكّر الأوروبيين بأن معاقبتهم «للجناح العسكري» للحزب هي خرافة، كي لا أقول أكذوبة. فلا

أجهزة اتصال واستقبال دقيقة. ثم أرسل الأسد قوة لطرد طلاب «حزب الله» المعتصمين في الجامعة الأميركية.

سلمت إدارتا ريفان ثم جورج بوش الأول بدور الأسد كشرطي لبنان، في التسعينات. ولم تعترض على تصفية واغتيال زعماء سنة كبار (المفتي حسن خالد والشيخ صبحي الصالح) ورئيسين مارونيين (بشير الجميل ورينيه معوض) في الثمانينات. وبلغ النفوذ السوري قوته وأوجه في التسعينات. عادت القوات السورية من البقاع إلى بيروت. وأنقذت قوات «أمل» من الهزيمة أمام الميليشيا الدرزية. ودخلت ضاحية بيروت الجنوبية (عاصمة دويلة حزب الله) هي والجيش اللبناني. وتم تأديب الحزب في معارك طاحنة، وخاصة بعد اغتيال الشيخ نزار الحلبي الزعيم الروحي لتنظيم «الأحباش» الديني السني.

بل كانت جرأة الأسد كبيرة عندما منع إيران بالقوة من السيطرة على مدينة طرابلس، عبر تبنيتها لإمارة «التوحيد» الدينية التي أقامها الشيخ «الجهادي» السني سعيد شعبان. وأروي هنا أن أنصار الشيخ غافلوه. فقتلوا ١٥ جنديا سوريا. فأطبقت القوات السورية على منطقة التبانة في شمال المدينة. وكانت المجزرة شبيهة بمجازر النظام في سوريا حاليا. ولم يسلم من القتل المدنيون المحاصرون. ولم تجرؤ الصحف على نشر أية تفاصيل. ومات الشيخ شعبان كمدا بعد أعوام قليلة.

كان رهان إيران على «حزب الله» ناجحا. فقد ملأ لصالح إيران الفراغ السياسي والديني الذي خلفه انسحاب الفلسطينيين من لبنان بعد الغزو الإسرائيلي. وإذا كانت حرب الرهائن نصرا لإيران وحزبها، فقد كانت أيضا مظلة واقية لحرب الأسد على عرفات (حرب المخيمات) في الثمانينات التي قتل فيها ألفا فلسطيني. وجرح أربعة آلاف. وجرت الحرب بالواسطة. فقد استخدم الأسد منظمة «أمل» الحليفة الأولى. وربما لم يعرف زعيمها نبيه بري أن قادة دبابتها السورية (تي - ٥٥) كانوا من الجنود

العلويين.

غير أن حربا أخرى سببت متاعب كبيرة للرئيس الأسد. فلم يكن قادرا على إرسال قواته عبر «الخط الأحمر» الإسرائيلي، لوقف الحرب الشيعية / الشيعية في الجنوب، بين حركة «أمل» الحليفة له، و«حزب الله». جرت تلك الحرب الشقية على مراحل. فقتل وجرح ألوف المدنيين الشيعية. ولم تجرؤ الصحف أيضا على ذكر أية تفاصيل. وكان الجانبان ينقضان الاتفاقات الموقعة. وأخيرا، كان بالإمكان وقفها (١٩٨٩) بعد أربع سنوات من نشوبها.

ولا تخلو مأساة الحروب اللبنانية من طرافة التناقضات! فقد تحالفت قوات «فتح» مع قوات «أمل»، بعد اقتتالهما في حرب المخيمات، وذلك في معارك إقليم التفاح الجنوبي بين «أمل» و«حزب الله». فلم يكن الفلسطينيون راغبين في سيطرة الحزب على الجنوب، ويعتبرون التعامل مع «أمل» أكثر سهولة ومرونة. غير أن الحزب أنهى حرب الأشقاء بالسيطرة تماما على الجنوب، لكن سُمح لـ«أمل» بدخول ضاحية بيروت الجنوبية التي يعتبرها عاصمة لدولته.

تسارع أوروبا لتقديم الاعتذار تلو الاعتذار لـ«حزب الله» على إدراج «جناحه» العسكري (الذي لا ينفصل عن جناحه السياسي) في لائحة الإرهاب. الحزب يعرف أن تورطه في الحرب السورية بات شديد الوطأة على سمعته وعلاقاته الدولية.

في الثلاثاء المقبل، أوصل مع أوروبا رحلة التتقيب والبحث عن الجناح العسكري للحزب. وأقف عند شخصية حسن نصر الله. كيف أزاح حسن نصر الله من طريقه منافسه الشيخ صبحي الطفيلي؟ وكيف حيّد عمامة الراحل من حسين فضل الله؟ وهل كان فضل الله زعيما روحيا فقط للحزب؟ أم تقمصته روح الجناح العسكري المفقود؟

مبارزة بالفصحى بين الحريري ونصر الله

غسان الأمام - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٨/٦

«إننا نقول لهذه الأحزاب التي نعتقد بكفرها، إن الساعة التي تختارونها، لتكون ساعة وجودكم، ستكون ساعة دفنكم. ودفعكم إلى المقابر...». هذا الكلام ليس لأسامة بن لادن. أو لنائبه أيمن الظواهري... هذا الكلام الخطير لحسن نصر الله قبل أن يصبح أميناً عاماً لحزب الله (١٩٩٢)، مخاطباً الأحزاب السياسية اللبنانية.

حسن نصر الله من جيل جديد من رجال الدين المتسيّسين، عند السنة والشيعية. جيل نبّأ غالبه في الفقر المدقع. ووجد في الإسلام «الجهادي والتكفيري» رسالته التي يوجهها إلى العالم!

ما أحلى لبنان! هناك دولتان. جمهورية الطوائف. ودولة الطائفة. طوائف تحلم بالديمقراطية والأمن والسلم. ودولة الطائفة تحلم بفرض عنف الدولة الدينية على بلد فيه ١٧ ديناً. وطائفة. ومذهباً!.. ملّ حسن نصر الله الفقر. فلاذ بالدين. سافر من «الكرنتينا» أفقر أحياء بيروت، إلى حلقات الدراسة حول الأضرحة المقدسة في الطرق. تتلمذ على الخميني وبطانته. تعلم كيف يجعل من الدين لها طائفاً يحرق ويحترق.

تصالح صدام مع الشاه. فطارد الخميني اللاجئ إلى النجف وكريلاء. عاد حسن نصر الله مع زميله صبحي الطفيلي. وعباس الموسوي إلى بيت الطائفة في لبنان. استجابوا لنداء «الفقيه» الذي أقام دولة دينية في إيران. فأسسوا حزباً له في لبنان، بعد انسحابهم من تنظيم «أمل» الطائفي الذي أسسه موسى الصدر. ثم سيطر عليه المحامي والبعثي السابق نبيه بري، بدعم من الأسد الأب والابن.

حسن نصر الله تميز عن رفاقه بالمواهب: كفاءة في الإدارة. تكتم في الحركة. انضباط في

التنظيم. يعمل أكثر مما ينام. يختفي. يختبئ أكثر مما يطفو. ويظهر. يأكل بقدر ما يتكلم. يتضخم. فبات يملأ الشاشة بالسواد، وكأنه من شبيحة بشار الذين يتشجّون بالأسود.

أحيا نصر الله فن الخطابة الذي اندثر، كسلاح سياسي، منذ غياب الخطيب المفضّل الشيخ بشارة الخوري أول رئيس للبنان الاستقلال. خلافاً للصدر ومحمد حسين فضل الله اللذين خالطت عربيتهما لكنة عراقية فارسية، يخطب نصر الله بالعربية الفصحى متميزاً على سائر الساسة اللبنانيين المعاصرين. ويمزجها فجأةً بالعامية اللبنانية. فيُلهب خطابه الشعبي عواطف القطعان البشرية الماثلة أمامه.

هؤلاء البسطاء الطيبون من أبناء الطائفة تفوت عليهم تناقضات «السيد». يهمس في آذانهم: حرب ٢٠٠٦ مع إسرائيل نصر إلهي. فيرفعون أيديهم له بالدعاء. والشكر للسماء. يعود متناقضاً: «لو علمت أن عملية الأسرى (الحرب مع إسرائيل) كانت ستؤدي إلى هذه النتيجة لما قمنا بها قطعاً». فيتذكر السامعون ١٢٠٠ شيعي قتلوا في الحرب المذكورة. يتهمسون: «ليته فعل». ثم يتذكرون قتلهم في حرب «حزب الله» وأمل. يتهددون. لا صوت يندُ عنهم. فالصمت سياسة منذ تأسيس الحزب، قبل ثلاثين سنة، فيما تتمتع الطوائف الأخرى بحرية تامة في التعبير والتفكير.

لا أمل إلى الحديث في فقه المذاهب. فهو مثير للشقاق في بلد كلبنان. أو سوريا. أكتفي بالقول إن الدهاء وفن المناورة عند «السيد» حسن ضمناً له الإطاحة بزميله الأكثر تزمناً صبحي الطفيلي الذي أصبح أول أمين عام للحزب (١٩٨٩).

بل تمكن «السيد» من إقصاء العلامة محمد حسين فضل الله الذي كان صديقاً مقرباً من نائب الفقيه الأسبق حسين علي منتظري الذي أقصاه الخميني وعزله. وأجلس نصيره علي خامنئي

بشار تشكيل حكومة جديدة برئاسة المكلف تمام سلام.

توريط إيران الحزب في الحرب السورية إلى

جانب بشار، أفقده شعبيته العربية. وكشف تماما أمام العرب والعالم، كأداة إيرانية. وصعد بالتوتر في لبنان مع السنة المتعاطفين مع السوريين. بل مع الرئيس ميشال سليمان. وهو أول رئيس لبناني يقدم نفسه رئيسا للبنان. وليس لطائفة. صارع سليمان الحزب بأن «مقاومته» باتت عبئا على سيادة لبنان ومصالحته. وعندما دعاه إلى الخروج من سوريا، خرج «السيد» من مخبئه، ليعيد حكاية المقاومة التي تريد تحرير فلسطين.

حكا السيد فبدا ضعيفا في منطقته. فمقاومته

مشغولة بحربها في سوريا. وليس في الجولان أو فلسطين. وتساعد التوتر إلى حد القصص المحمول لقواعد الجيش اللبناني والقصر الجمهوري بالصواريخ. أزمة الحزب مع الدولة دفعت الرئيس اللبناني فوراً إلى الذهاب إلى طهران، شاكياً الحزب هناك. الزيارة الخاطفة تعتبر اختباراً للرئيس الجديد حسن روحاني، وما إذا كان قادراً على ممارسة سياسة «التهذبة» مع العرب.

المفاجأة الحقيقية لحزب الله كانت موقف

تيار «المستقبل». فقد تضامن رئيسه سعد الحريري بحزم مع موقف رئيس الجمهورية، في خطاب جامع. قوي. وواضح: السنة مع الدولة. مع الجيش حتى ولو أخطأ الجيش مع السنة. وتحدي الحريري «حزب الله» داعياً إياه إلى الجلوس إلى مائدة الحوار الوطني الذي دعا إليه الرئيس سليمان.

في الحديث عن لبنان، سبق لي أن قلت مرارا إن

السنة لم تتورط في الحرب الأهلية في لبنان. لأنها لا تملك سوى الرهان على الدولة. والديمقراطية. وكم كنت أتمنى لو أن الرئيس سليمان، في نقده الحازم لحزب الله (من دون أن يسميه) ركز دفاعه عن ديمقراطية لبنان. وكرامة نظامه وسيادته، بدلا من الدفاع الطويل عن الجيش.

(كانت رتبته «مجتهد») محله. وفضل الله قصة تستحق أن تروى يوما ما. ألخصها هنا بالقول إنه ولد في النجف. ودرس هناك. وعاد إلى لبنان. وكان مسائرا منتظري في عدم تسييس الدين ورجاله. ومع أن فضل الله محسوب على الجيل الجديد من رجال الدين، فقد كان متواضعا حلو المعشر.

لعل فضل الله (يحمل رتبة «آية الله») كان

راغبا في تولي زعامة حزب الله. وتعرض بسبب ذلك إلى «غارة» أميركية قتلت ثمانين من أنصاره وجرحت مائتين آخرين. واعترف الأميركيون (مصادر إدارة ريفان) بأن الـCIA عهدت إلى المخابرات العسكرية اللبنانية في ثمانينات الحرب الأهلية بـ«تصريف» فضل الله «المهيمن» في ظلها على الحزب.

لكن العناصر «الفالطة» في الفوضى المخبرانية

اللبنانية آنذاك ضاعفت من كمية المتفجرات. نجا فضل الله. فابتعد «روحيا» عن الحزب. وتركه لحسن نصر الله «رجل قم وطهران» المؤمن المدافع عن ولاية الفقيه، في ذروة صدام الراحل فضل الله مع «آيات» إيران.

قلت في الثلاثاء الماضي إن التسعينات شهدت

ذروة الهيمنة السورية على لبنان. فقد أجبر الأسد الأب «حزب الله» على إنهاء حرب الرهائن، وإطلاق سراح كل ما لديه من الرهائن الأميركية والغربية. وعندما رفض الحزب التخلي عن سلاحه، أسوة بسائر الميليشيات، وتم اغتيال نزال الحلبي زعيم «تنظيم الأحباش» القريب من النظام السوري، قتلت القوات السورية ٢٣ من «حزب الله». وهُزعت إيران للتوسط له في دمشق. وبالفعل، احتفظ بسلاحه.

نعم، كسب الحزب شعبية في الشارع العربي

مع نجاح مقاومته لإسرائيل التي سحب قواتها من لبنان (٢٠٠٠). لكن إجبار مجلس الأمن الأسد الابن على الانسحاب من لبنان (٢٠٠٥) أطلق يد إيران في استخدام الحزب، بشكل سيئ. فأسقط حكومتي فؤاد السنيورة وسعد الحريري، ليهيمن على حكومة نجيب ميقاتي. وها هو اليوم يعرقل مع حلفائه وحلفاء

رئيس حزب الاتحاد الوطني الكردستاني جلال الطالباني الذي تربطه علاقات متينة مع إيران، ويرتبط بتحالف استراتيجي مع الجماعات والأحزاب الشيعية العراقية الموالية لإيران.

إن ما تم بين الحكومة التركية وحزب العمال

الكردستاني من اتفاق يحقق مكاسب حقيقية

للأكراد مستقبلاً، وما يسعى له أكراد سورية من

مكاسب في ظل غياب الحكومة المركزية، إلى جانب تزايد قوة حكومة إقليم كردستان العراق على الصعيد الإقليمي والدولي، جعل النظام الإيراني يفكر ملياً بانعكاسات هذه التطورات على وضع أكراد إيران الذين منذ قرابة القرن وهم يخوضون نضالاً شرساً لانتزاع اعتراف رسمي من حكومة طهران المركزية بحقوقها القومية التي قدموا من أجلها تضحيات جسيمة في عهد نظام الشاه وعهد الجمهورية الخمينية. وكان أكراد إيران قد أقاموا أول جمهورية كردية عرفت باسم «جمهورية مهاباد» ولكن تلك التجربة لم يكتب لها النجاح حيث لم تعمّر أكثر من سنة واحدة ثم تم إسقاطها بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي من شمال وشمال غرب إيران عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، وذلك ضمن اتفاق أمريكي - بريطاني - سوفيتي. ومنذ ذلك الحين والأكراد الإيرانيون يناضلون للحصول على حقوقهم الإنسانية والقومية والمذهبية، تعرضوا خلالها إلى حملات قمع وإبادة شديدة كانت أشدها خلال الأعوام الأولى من عمر الجمهورية الخمينية حيث تم قصف المنتفضين الأكراد بقنابل النابالم المحرمة دولياً وشهدت مدن وقرى كردية عديدة حملات إعدامات جماعية ذهب ضحيتها الآلاف من الأكراد. كما تعرض العديد من القادة السياسيين والدينيين الأكراد في داخل إيران وخارجها إلى اغتالات وتصفيات جسدية على يد جهاز المخابرات الإيرانية، كان من أبرزهم الزعيم الكردي البارز عبد الرحمن قاسملو وخليفته في

أما المفاجأة الكبيرة لي، كمستمع ومشاهد،

فهي سعد الحريري نفسه. فقد أخرج «حزب الله» بإعلان استعداد تيار «المستقبل» عدم المشاركة في الحكومة الجديدة، إذا فرضت الظروف الصعبة الأخذ برأي الرئيس سليمان بضرورة تشكيل حكومة حيادية تعتمد الكفاءة ولا يشارك فيها الساسة.

ألقي هذا الشاب الجديد نسبياً على السياسة

خطاباً مكتوباً بالفصحى. وبنبرة واضحة. وصوت

صريح. عالٍ. كم أتمنى على العماد ميشال عون أن يجالس حليفه حسن نصر الله. لعله يتعلم النطق بالفصحى. فلا تتكسر عاميته. كان لبنان وطن الفصاحة. وأولهم فيها آباء ورهبان مسيحيون وموارنة.

التخوف الإيراني من حل القضية الكردية

صباح الموسوي - المصرون ٢٢/٧/٢٠١٢

منذ أن توصلت تركيا إلى اتفاق مع حزب العمال الكردستاني يدعو إلى وقف الأعمال المسلحة من قبل الأكراد وانسحابهم إلى داخل أراضي كردستان العراق، وانتخابهم قيادة جديدة تواكب المستجدات المنبثقة عن الاتفاق مع الحكومة التركية، منذ ذلك الحين والنظام الإيراني يعيش حالة تخوف من انعكاسات الاتفاق التركي - الكردي على حالة الأكراد في إقليم كردستان الإيراني.

وما زاد في التخوف الإيراني هو «إعلان أكراد

سوريا عزمهم إجراء انتخابات لإدارة المناطق

الواقعة تحت سيطرتهم (تحت عنوان الإدارة

الذاتية). وهذا بطبيعة الحال جرى وما زال يجري

بتنسيق ومباركة من حكومة إقليم كردستان

العراق بقيادة زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني

ورئيس الإقليم السيد مسعود بارزاني الذي يرتبط

بصدقة وثيقة مع تركيا على العكس من منافسه

مزودا بالأرقام والصور والأدلة الكثيرة التي يقدمها حول الجهة الفاعلة وأهدافها.

الأزمة كما يبدو أبعد من أن تكون مسألة

متنزه وأشجاره، وأعمق من أن تكون قضية التحجج باستهداف المكون العلماني في شريحة المجتمع التركي أو «انكسار شيء ما بين أردوغان والأتراك» و«قمع» أردوغان لشعبه في (جيزي بارك)، أو تعطيل الحريات في ارتياد النوادي الليلية وتحذير أردوغان من أن الجيش سيتحرك، وأنه هو الذي يتحمل مسؤولية دفع الشعب التركي للانقسام، وأن مصير «العدالة» لن يختلف عن مصير «الرفاه»، كما نقرأ في تحليلات الكثير من الصحف العربية والغربية.

غوكشاك، السياسي المخضرم الذي يتأسس

بلديه العاصمة التركية للمرة الثالثة على التوالي، جيش على ما يبدو فريق عمل كبيراً، وبخبرات متنوعة، يعمل على مدار الساعة لمتابعة كل شاردة وواردة تتعلق بالأحداث وتفاصيلها داخل تركيا وخارجها.

غوكشاك حمل المسؤولية للبارونات وأصحاب

رؤوس الأموال الذين اتهمهم بالجلوس والتسويق من مركز عالمي واحد للتحريض والاستفزاز وإدارة اللعبة في تركيا. هي خطة لها علاقة مثلاً بقطع الطريق على تركيا في تحركها لأخذ مكانها بين أهم مرشحي تنظيم أولمبياد عام ٢٠٢٠ أم محاولة ضغط وابتزاز للضغط على أردوغان وحكومته من أجل تقاسم موازنة ومشاريع هذا الإنجاز التي تقدر بعشرات مليارات الدولار من قبل الشركات العالمية؟

المحاولة الأولى التي جرى قطع الطريق عليها،

كانت ارتكاب مجزرة في الأول من مايو (أيار) الماضي، وفي ميدان «تقسيم» نفسه، خلال احتفالات عيد العمال، لكن السلطات الأمنية والحكومة أفشلتها بغلق أبواب الميدان ومنع الدخول إليه. ثم أعد سيناريو الأول من يونيو (حزيران) الحالي الذي يقوم على مهاجمة منزل ومكتب أردوغان في إسطنبول واحتلالها بالقوة، في محاولة لإعلان سقوط السلطة

زعامة الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، فاضل شرفكندي. كما جرى إعدام كل من الشيخ ناصر سبحاني، مؤسس جمعية الدعوة والإصلاح، والشيخ أحمد مفتي زاده والشيخ أحمد الربيعي من أبرز علماء الدين، بالإضافة إلى عشرات المثقفين والقادة الدينيين والسياسيين، ناهيك عن آلاف الأكراد الذين تم إعدامها في السجون أو أثناء مطاردتهم في الجبال أو جراء قصف القرى والقصبات الكردية. ورغم كل ما جرى لهم فقد بقي أكراد إيران مصرين على نيل حقوقهم، وقد زاد إصرارهم على مواصلة مطالبهم عقب تغير أوضاع أشقائهم الأكراد في العراق، وقد أصبحت آمالهم أكبر وإصرارهم يزداد أكثر بعد الانفتاح الذي حصل من قبل الحكومة التركية على مواطنيها الأكراد وبعد أن أنجز أكراد سوريا حلم الإدارة الذاتية لمناطقهم. وهذا ما يجعل النظام الإيراني يعيش هاجس الرعب من احتمال قرب تغير الوضع في إقليم كردستان إيران وهو إذا ما حصل فإنه سوف لن يقف عند حدود الأكراد بل من المؤكد أن هذه العدو سوف تنتقل إلى أقاليم ومناطق الشعوب والقوميات غير الفارسية كافة، وعلى رأسها إقليم الأحواز العربي منبع الثروة الإيرانية، وعندها سوف يعيد التاريخ نفسه ليحل بجمهورية إيران الخمينية ما حل بإمبراطورية كسرى المجوسية.

هل الهدف إبعاد أردوغان أم إزاحة تركيا؟

سمير صالحة - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٧/٢٦

من يريد التعرف إلى آخر المستجدات في مسألة ميدان «تقسيم» يحاول أن يرصد ما يقوله يومياً رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، لكن التفاصيل المثيرة التي تستحق التحليل والنقاش حول خلفيات الأحداث والأصابع التي تحاول تحريك الدمي يتحدث عنها رئيس بلدية أنقرة مليح غوكشاك. رئيس بلدية أنقرة يتحرك على طريقته منذ بداية الأزمة

السياسية، لكن أجهزة الأمن اكتشفت المخطط وأحبطته قبل ساعات من تنفيذه. ومع ذلك، فإن غوكشاك طالب الجميع بأن يستعدوا لكل المفاجآت والاحتمالات، فمن يريدون استهداف تركيا وأمنها واستقرارها أقوياء أيضا ولا يجوز الاستخفاف بما يملكونه من طاقات وقدرات. هو يرى أنهم لن يترددوا في اللجوء إلى عمليات التفجير والاغتيالات السياسية وإشغال الفتن الطائفية والمذهبية والعرقية في البلاد كما فعلوا أكثر من مرة. غوكشاك يصر على أن المواجهة ستكون شاقة وطويلة، وأن الصيف قد يكون لاهبا في المدن التركية، فالهدف هو «العدالة والتنمية» ورجب طيب أردوغان وتركيا في الوقت نفسه. أردوغان أزعج البارونات العالمية وأغضبها عندما تجاوز الحدود المرسومة له وبدأ يلعب في ساحات كبار الشركات متعددة الجنسيات وأصحاب رؤوس الأموال والمصارف ومراكز القرار في البورصات العالمية، هو بالغ في الانفتاح على العالمين العربي والإسلامي على حساب الغرب وأوروبا ومصالحهما هناك.

أردوغان الذي يقاوم على طريقته يحاول القفز إلى الأمام لقطع الطريق على المؤامرة:

هو تحرك سريعا باتجاه الشارع كما فعل الطرف الآخر أيضا، وقصد ميادين المدن الكبرى وانطلق يخاطب جماهيره وقواعده ويقاسمها الكثير مما يعرف، ٥ مهرجانات حاشدة خلال أسبوع، قال إنها بداية مبكرة للحملة الانتخابية التي قد يقرب موعدها عند الضرورة.

هو أمر بالإسراع في تحقيق إنجازات حقيقية في مسار الملف الكردي، ودعا هيئة الحكماء لتقديم تقاريرها المفصلة والشاملة بأسرع ما يمكن لتضع الحكومة خطة التحرك وخارطة الطريق التي يطالبها بها قيادات حزب «السلام والديمقراطية» الكردي وعبد الله أوجلان.

وهو فاجأ الكثيرين بإنزال ملف العلويين في

تركيا الذي ينتظر منذ عقود فوق الرفوف وأصدر أوامره بإنجاز مشروع سياسي اجتماعي يحقق للملايين من علويي تركيا الاعتراف بهويتهم الدينية والفكرية والاجتماعية. الهدف هذه المرة، هو حل مشاكلهم تحت سقف مؤسسة الشؤون الدينية التركية عبر منح المئات من رجال الدين العلويين الصفة الرسمية ورواتب وموازنات لإنفاقها على دور عبادتهم التي توصف بالمراكز الثقافية حتى اليوم. أردوغان يردد دون لف ودوران أن ما يجري في تركيا له علاقة مباشرة بشق «العدالة والتنمية» وإضعاف وإخراجه من ساحة اللعب كما حدث مع حزب «الطريق الصحيح» وتانسو تشيلير، ثم مع «الحزب الديمقراطي اليساري» وأجويد، وأخيرا مع «الوطن الأم» ومسعود يلماز. كل هذه المشاريع استهدفت تحييد تركيا وإبقائها خارج ساحة اللعب. أردوغان يقول إنه لم يعد بمقدورهم الرهان على انقلاب عسكري كما فعلوا أكثر من مرة، وأن الصناديق هي الحكم، وأنه لن ينسحب حتى ولو كان الثمن لا يقل قيمة عن ما دفعه تورغوت أوزال عام ١٩٩٣ أو ما لحق ببولنت أجويد عام ٢٠٠١. آخر ما استوقف رئيس الحكومة التركية كان الصدفة التي جمعت تركيا والبرازيل اللتين سددتا ديون البنك الدولي ونجحتا في تجربة التحرر التجاري والاقتصادي والمالي، والصدفة الأخرى التي فجرت الأحداث في هذين البلدين في الوقت نفسه، قد يكون السبب هو رفضهما الانصياع ومغادرة بيت الطاعة.

من قرع باب تركيا في الصومال؟

سمير صالحة - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٨/٦

الهجوم الأخير الذي استهدف السفارة التركية في العاصمة الصومالية مقديشو لو حقق غايته لكانت الخسائر والأضرار أكبر من ذلك بكثير. يقظة حرس المبنى وقتل بعض المهاجمين قبل تفجير

عبواتهم حال دون مخطط إيقاع أكبر عدد من الأتراك بين دبلوماسيين ورجال أمن.

بيان حركة «الشباب الصومالي» المنظمة التي

تعتبر امتدادا لـ«القاعدة»، الذي أعلن مسؤوليته عن الهجوم، رد السبب إلى «سياسة تركيا المتعاونة مع القيادة الصومالية التي تمنع تطبيق الشريعة في البلاد»، ونحن كدنا نقبل بهذا السيناريو الذي يعتبر منطقيا ما دامت تركيا، خصوصا في الأعوام الخمسة الأخيرة، وسعت من حركة تنقلاتها وزادت من مشاريعها الإنمائية والإنسانية التي وصلت إلى أبعد المناطق الصومالية، مما جعل من السفارة التركية أنشط البعثات التي تتحرك على مدار الساعة كما قال وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو، ومما يتسبب في قطع الطريق على هذه المنظمات في إيجاد المناصرين والداعمين.

كدنا أن نفتتح أيضا أن الهجوم ثمن تدفعه

تركيا مثل الكثير من الدول التي توجهت إلى

الصومال لتوفير السلم بين الجماعات المتقاتلة وإنهاء الحرب الأهلية الطويلة، لكنها تركت البلاد وسط حالة من الفراغ السياسي والأمني بعدما بدأت التناحر في ما بينها على اقتسام قطعة الجبن الأفريقية بغطاء دولي وأمني وتدخل مباشر للمنظمات الإقليمية والدولية ووجود عسكري وأمني هناك.

لكن اتهامات أنقرة المباشرة في أعقاب الهجوم

لقوى دولية «أغاضها» النشاط التركي القوي في

الصومال الذي قلب الحسابات والمعادلات التقليدية المعروفة في القرن الأفريقي، حول الأنظار نحو سيناريو آخر له علاقة مباشرة بوجود لاعبين إقليميين جدد في هذه المنطقة الموصوفة بالبقعة الخلفية لمشروع الشرق الأوسط الكبير وامتلاكها لأهم الممرات المائية الاستراتيجية في العالم وربما ما زاد من قيمتها وأهميتها هو الاكتشافات النفطية والعثور على المعادن الثمينة هناك. تصريحات داود أوغلو حول دور بعض القوى المنزعجة من التحرك التركي في الصومال في تنفيذ الهجوم قادنا إلى فناعة جديدة حول

الاعتداء وأسبابه، ودفعنا لتوسيع رقعة الاحتمالات واعتبار الهجوم على أنه حلقة في تصفية الحسابات مع تركيا التي تسببت في تراجع نفوذهم وهددت مصالحهم في منطقة صالوا وجالوا فيها لعقود طويلة.

تحليلات سياسية وأمنية مثيرة في الداخل

التركي أعادتنا إلى خط البداية من جديد حول

الجهة الفاعلة ومصالحها في تنفيذ هذا الهجوم. قيل لنا هذه المرة إن قوى الداخل والخارج المتآمرة ضد حكومة رجب طيب أردوغان التي تريد إبعاد الإسلاميين عن الحكم في إطار مخطط شمولي هي التي أعدت ومولت الهجوم وكلفت الشباب بتنفيذه لصالحها. إيقاف البحرية اليونانية قبل أيام لقارب مطاطي يحاول نقل أسلحة ومتفجرات إلى تركيا، وما ذكر حول اعترافات بالإعداد لحملة اغتياالات لشخصيات سياسية ورسمية كبيرة يعزز مقولة تحرك هذه القوى في داخل تركيا وخارجها واحتمال وقوفها وراء مخطط مقديشو.

لكن الاحتمال الأقوى يظل طبعا هو أن

تركيا تدفع ثمن تغيير سياستها ومواقفها حيال

منظمات ومجموعات متطرفة حصلت على خدمات

وتسهيلات، والتفاضي عن تحركاتها في مناطق

الحدود التركية السورية وورطت أنقرة في أكثر من مواجهة سياسية ودبلوماسية مع الشركاء والحلفاء قبل غيرهم. وإن هذه القوى أرادت بدورها تحذير حكومة أردوغان من خطورة وارتدادات أية محاولة لقطع الطريق الأهم على إمداداتها وتنقلاتها أو محاولة بناء تحالفات جديدة في سوريا تكون على حسابها. رسالة مقديشو ذكرت الأتراك بهجمات ما قبل ١٠ سنوات في العمق التجاري والسياحي لمدينة إسطنبول التي نفذتها «القاعدة»، وبأن أنقرة لا يمكن لها أن تتق أو تلعب ورقة هذه المجموعات التي ترفض مراقبة أحد إلا إذا كانت هي من يقول الكلمة الأخيرة حول الشروط والخيارات، وأن استقبال صالح مسلم الأمين العام لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني عدوها الأول اليوم في المدن

تم تداوله على الإنترنت بطبيعة الحال، وكان ملخص هذه الكلمات هي:

أولاً: كلمة المستشار «تهاني الجبالي»:

- ١- في يوم «٣- ٧- ٢٠١٣م» كان الاتفاق هو إلغاء الدستور والعودة إلى دستور ١٩٧١م.
- ٢- د. «البرادعي» الذي ذهب ممثلاً لجبهة الإنقاذ خضع لضغوط حزب النور.
- ٣- د. «البرادعي» ليس ممثلاً للشعب المصري.
- ٤- النخبة السياسية هي سبب فشل ثورة يناير أصلاً.

ثانياً: كلمة الأستاذ «حلمي النمنم»:

- ١- أن الأوان لوضع دستور عالماني!
- ٢- كلمة «الشعب متدين بطبعة» غير صحيحة، والصحيح - عنده - أن «الشعب المصري عالماني بطبعه».
- ٣- أن الأوان للتخلص من الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية.
- ٤- أن الديمقراطية لا يمكن تطبيقها إلا بالدم.
- ٥- سب وشتم في حزب النور بعبارات، كان منها:
أ- «يفغوروا في ستين داهية».
- ب- تشبيههم بالمرأة الذي إذا رفض زوجها طلباً لها ذهبت إلى غيره.

وقد اختلفت ردود الأفعال حول هذا الفيديو؛

فكان أول ردود الأفعال هو التوضيح الصادر من القس «أندريا» ثم كان دفاع الأستاذ «حلمي النمنم» عن وصف هذا الاجتماع بالمؤامرة بأنه لأول مرة يرى مؤامرة مذاعة على الهواء مباشرة؛ متناسياً أنهم لم يكونوا يعرفون أن اللقاء مذاع على الهواء! وأنصحهم أن يعود إلى الفيديو؛ ليشاهد بنفسه كيف كان وقع خبر أن اللقاء مذاع على الهواء عليه وعلى مدير اللقاء.

وأما «التيار الإسلامي» فقد اختلفت ردود

الأفعال الصادرة عنه، وهو ما سأعود إليه بالتفصيل لاحقاً.

السورية لن يمر بمثل هذه البساطة، وحتى لو كلفها ذلك نقل جبهات القتال من الاحتراب مع النظام السوري إلى محاولة الإطاحة بأكراد سوريا وفي قلب مناطق نفوذهم وانتشارهم الكثيف، خصوصاً أنها كانت تستعد لإعلان الإمارات وتسمية الأمراء.

العالمانية المستبدة في ندوة الكنيسة الإنجيلية حول الدستور!

عبد النعم الشحات - الإسلاميون ٢٠١٣/٨/٣

فقد تداول نشطاء مقطع فيديو ظهر فيه مجموعة من الأشخاص «ممن يحلو لهم أن يصفوا أنفسهم بالنخبة!» يتناقشون فيه حول الدستور مناقشاتٍ أظهرت فيها كثيراً من عدائهم لفكرة الهوية الإسلامية.

وكان هذا المقطع مسجلاً من نقل لقناة

«أون تي في» لوقائع تلك الجلسة؛ والتي بدت غامضة حتى خرج علينا القس «أندريا زكي» نائب رئيس الطائفة الإنجيلية بتصريحات بيّن فيها أن هذا المقطع كان جزءاً من ندوة أقامتها الكنيسة الإنجيلية لمناقشة تعديلات الدستور، وحرص القس «أندريا» على التأكيد على أن مكان انعقاد الندوة كان في فندق «وليس الكنيسة»، وأن معظم الحاضرين طالبوا باعتبار «المادة الثانية» خطأً أحمر، وأن البعض تداول فقط العشر دقائق التي صرّح فيها الكاتب «حلمي النمنم» بأن مصر يجب أن تكون عالمانية، وأن الشعب المصري عالماني بطبعه!

ومن هذا التصريح عرفنا قصة الحوار الذي

زعم القس «أندريا» أنه كان ندوة علمية علنية في حين أن مدير الندوة «وأظنه من واقع الصورة هو القس أندريا ذاته» قد بدا عليه الانزعاج البالغ حينما جاءتته ورقة تخبره بأن اللقاء مذاع على الهواء، وكان هذا تحديداً بعد كلمة كل من المستشار «تهاني الجبالي» والأستاذ «حلمي النمنم»، وهو الجزء الذي

١- ما زالت النخبة الألمانية تنكر الشمس في وضع النهار! فإذا خسروا الانتخابات قالوا إن الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية خدعوا الناس بالدين والشريعة، والشعب المصري شعب متدين بطبعه ثم إذا أرادوا أن يفرضوا عالميتهم رددوا مثل تلك الأقوال التي يزعمون فيها أن الشعب المصري عالماني بطبعه! ونسي هؤلاء أن «دستور ١٩٢٣م» الذي أُعد في ظل قمة المد الليبرالي تضمن مادة تنص على أن «الإسلام دين الدولة»، وأن لجنة وضع الدستور قد اضطرت إلى الاستجابة بالإجماع لاقتراح «ممثل الأزهر» آنذاك لإضافة هذه المادة، والتي تنسف عالمانية الدولة من الأساس؛ ولولا التعت في تفسير هذه المادة لكانت كافية في الدلالة على المرجعية الشاملة للدولة المصرية للإسلام.

٢- ومما يشهد لذلك: أن تلك النخبة استغلت حالة سخط شعبي على أداء رئيس ينتمي للتيار الإسلامي؛ لكي يستثمروا الفرصة ويحققوا انتصاراً أيديولوجياً يعلمون أنهم لم يحققوه عبر تاريخهم! ولن يحققوه - إن شاء الله - .

٣- ومما ينبغي أن ننتبه إليه أن العالمية في مصر عبر تاريخها قد استغلت خلافات المؤسسة العسكرية مع الإسلاميين للتواجد على ظهور الدبابات؛ حصل ذلك في خلافات «محمد علي» مع علماء الأزهر، ثم خلاف «عبد الناصر» مع الإخوان، وهو الأمر الذي تحسّن في بدايات عصر «السادات» ونتج عن اندماج الجيش مع روح تدين الشعب المصري انتصار العاشر من رمضان، ثم حدثت أحداث مقتل «السادات» (وهي حادثة ما زالت الحركة الإسلامية تدفع ثمنها حتى الآن).

ومن يومها والعالمانيون يسيطرون على إعلام وثقافة الدولة بلا ظهير شعبي حقيقي، ونحن نتمنى ألا تنتهي الأحداث الحالية بحالة عسكرية جديدة للعالمانية، بل نريد جيشنا وطنياً وليترك ساحة

السجال الأيديولوجي والسياسي لأدواته ولا يُستدرج لمحاولة العالمانيين الاستقواء به، كما يجب على الإسلاميين أن يعوا أن الفرصة ما زالت قائمة ليبقى الجيش محايداً بين الإسلاميين والعالمانيين، ويبقى أن الشعب - بحمد الله - ليس محايداً، بل أغليته منحازة إلى مرجعية الإسلام.

٤- يتضح هذا من نسبة التصويت على «دستور ٢٠١٢م» حيث رفضه الثلث، وهذا الثلث فيه بعض الإسلاميين الذين كانوا يريدون دستوراً أوضح، وفيه من رفض الدستور لرفضه لمواد لا تتعلق بالهوية؛ مما يؤكد على أن رافضي زيادة مواد الهوية عما كانت عليه في «دستور ١٩٧١م» لا يكادون يتعدون ١٥٪، وأما «المادة الثانية» بنصها في «دستور ١٩٧١م»؛ فيكفيك تصريح القس «أندريا» بأنها خط أحمر، وأن معظم المشاركين في ندوة الكنيسة قد صرّح بذلك.

٥- هذا يقودنا إلى نقطة أخرى عجيبة، وهي: هل يفهم العالمانيون معنى العالمية؟ وهل يتفق مع العالمية بأي صورة من الصور أن تعقد الكنيسة ندوة لمناقشة الموقف من الدستور ثم يقبل ذلك الشخص الذي يزعم أن الشعب المصري عالماني بطبعه أن يشارك في تلك الندوة ولا يمتنع أو يقول: ما للكنيسة والدستور؟ ولا يخفف من حدة الأمر ما صرّح به القس «أندريا» من أن اللقاء كان في فندق ولم يكن في الكنيسة.

٦- العجب من حال تلك النخبة مع «دستور ١٩٧١م» حيث هبوا بعد تنحي «مبارك» في «فبراير ٢٠١١م» لكي يرفضوا بكل ما أوتوا من قوة تعديل «دستور ١٩٧١م» أملين آنذاك أنهم في حال كتابة دستور جديد سوف يحذفون المادة الثانية - «ولا من شاف ولا من دري» - تماماً كما كانوا يتوهمون في مناقشاتهم تلك؛ فلما سارت الأمور على خلاف ما يهوون ووصلنا إلى مرحلة الاستفتاء على «دستور ٢٠١٢م» نادوا بإيقاف الاستفتاء والعودة إلى «دستور ١٩٧١م»! ثم الآن وبعد عزل الرئيس «مرسي»

ورغم أن اعتراضات الناس كانت على أداء الرئيس وليس على صلاحياته في الدستور، فإن تزايدت قلت: إنهم كانوا معترضين على صلاحيات الرئيس في الدستور - إذ بهم يحاولون العودة إلى «دستور ١٩٧١م» بدلاً من «دستور ٢٠١٢م» مع أن صلاحيات الرئيس في الثاني أقل من الأول!

٧- انقلاب المستشار «تهاني الجبالي» ومن ورائها كل «الإعلام الفلولي» على د. «البرادعي»؛ لمجرد تصرفه من منطلق رجل الدولة الذي يجب أن يراعي التوازنات وألا ينحاز إلى المدرسة التي ينتمي إليها «هذا وفق تصورهم في قضية العدول عن إعلان العودة إلى دستور ١٩٧١م إلى إعلان تجميد دستور ٢٠١٢م لحين تعديله» يدل على أنهم يفعلون ما نقموه على الدكتور «مرسي» وزيادة!

ولكنه يدل من جهة أخرى على درسين في غاية الأهمية نذكرهما في النقطتين الآتيتين:

٨- إذا كنت في السلطة فأنت محكوم بتوازنات واقعية كثيرة بخلاف ما لو كنت في المعارضة أو كنت في موقع المناضل الفكري، وهذه التوازنات لا تقتضي أن تتنازل عن منهجك كمنهج تدافع وتنافح عنه، ولكن قد تصل أحياناً إلى أحوال تقدر فيها الضرورة بقدرها، ورغم أننا كنا ننكر على إخواننا في الإخوان تقديمهم لتنازلات منهجية كان يلزمهم ألا يقدموها؛ إلا أننا اختلفنا معهم اختلافاً عكسياً في المساحة التي كان يتعين على الرئيس «مرسي» أن يتيحها للمعارضة حتى المختلفة معه أيديولوجياً.

٩- والأهم من ذلك: أنك متى وجدت سلطة حاکمة؛ فتوازنات الحكم هي الغالبة عليها بغض النظر عن توجه أفرادها، ولو ترك الأمر لمعظم القادة المدنيين والعسكريين - على حد سواء - بلا توازنات لانحازوا إلى مرجعية الشريعة؛ بحكم كونها المرجعية الطبيعية للشعب المصري، ولكن العالمانيين يجيدون توظيف السياسة الخارجية، والسياحة، وغيرها... كأوراق تدفع رجال الحكم في الاتجاه

العالماني.

فكان من العبث أن نخلي الساحة تماماً من الإسلاميين، ومن أجل ذلك تحمل «حزب النور» مرارة التواجد في مشهد «٣ يوليو»؛ لأنه أدرك أن الرئيس كان عاجزاً عن الحكم يوم كانت الداخلية تقف متفرجة على حوادث العنف الصريحة، وكانت الكهرباء تقطع بلا مبرر، والمواد البترولية تظهر ثم تختفي دون سبب ظاهر، ثم استحكم الأمر من قبل «٣٠ يونيو» بأسبوع بما يعني أن المراهنة على موازنات ما بعد الرئيس «مرسي».

١٠- وهذا الفيديو يؤكد رؤية الحزب ومفاوضاته، وأنه بشهادة الخصوم لم يكن يطلب إلا الحفاظ على هوية الدولة، وهذا يكفي لكي يكف كل منصف عن اتهام الحزب بالتهمة الباطلة، لا سيما وأن الحزب رفض المشاركة في الحكومة؛ حتى لا يُظن أن هذا هو ثمن تواجده في المشهد.

١١- وبعد أن قررنا أن هذا الفيديو ينفي - بالقطع - التهم التي بثها الشيطان في روع البعض، يبقى أن نقول: هل نجح «حزب النور» فيما راهن عليه أم أن هذا الفيديو يشهد بالعكس؟!

فنقول: إن هذا الفيديو ليس للجنة تعديل الدستور، وإنما هو للخصم الأيديولوجي، وستبقى اللجنة وعينها معلقة على من سوف يستطيع تحريك الناس في الاستفتاء على التعديلات بـ «نعم» أو «لا»، ومقدار نجاحنا يكون بمقدار اصطفاقنا حول الهدف الذي رأيناه من ناحية أنه أهم، ومن ناحية أخرى: أنه ممكن؛ بينما راهنت الأحزاب الإسلامية الأخرى على عودة كل شيء... وهو ما رأيناه بعيداً!

١٢- وهذه الرؤية رؤية كثير من الرموز مع اختلاف العبارات، فمبادرة د. «العوا» ود. «البشري» ود. «عمارة» تلتقي مع هذه الرؤية مع الفارق أن أصحابها لم يتواجدوا يوم «٣ يوليو» وصرّحوا بأنه انقلاب عسكري «مع ملاحظة أن قضيتنا ليست المصطلح» ثم إنهم بعد ذلك قدّموا مبادرة للتفاهم مع الوضع الذي أوجده ذلك الانقلاب، وهي النقطة

١٣- ومن الغريب أن يصب كثير من إخواننا في الجماعة الإسلامية جام غضبهم على «حزب النور» في حين تؤيد بعض مرجعياتهم هذا التوجه.

ومن هؤلاء: د. «ناجح إبراهيم»، والذي كتب مقالاً بعنوان: «الإسلاميون بين خيار الجزائر وخيار أردوغان»، جاء فيه: «الخيار الجزائري (خيار الدم والعنف)، وهذا الخيار اتخذته القوى الإسلامية الجزائرية، وعلى رأسها: جبهة الإنقاذ بعد أن قام الجيش الجزائري بإلغاء نتيجة الانتخابات البرلمانية التي فازت بها جبهة الإنقاذ عام ١٩٩٢م... وبعد أن أطيح بالرئيس الإصلاحي «الشاذلي بن جديد»، واستمر هذا الصراع الدموي العنيف بين جبهة الإنقاذ وحلفائها مع الجيش والشرطة عشر سنوات كاملة سقط فيها ١٠٠ ألف قتيل و١٨٠ ألف جريح - تأملوا الأرقام جيداً - معظمهم من الأبرياء المدنيين، وحشر الإسلاميون حشراً إلى السجون، وظهرت جماعات التكفير التي استباحت أعراض المسلمين ودماءهم في قرى وجبال الجزائر، وتمت مذابح عديدة للقرويين بأيديهم تارة وبأيدي الجيش الجزائري أخرى، ودارت آلة التعذيب الجهنمية في السجون.

ورفض الإخوان الجزائريون هذا الخيار ممثلين في حركة حماس الجزائرية، وأشبه موقفهم بموقف حزب النور الآن في مصر، واتهمتهم جبهة الإنقاذ هناك بالخيانة: لأنهم قبلوا بالعملية السياسية بعد انقلاب الجيش الجزائري، وبعد كل الخسائر الفظيعة التي قاربت ١ / ٤ مليون قتيل وجريح... ماذا كانت النتيجة؟!

لا الشرعية عادت، ولا الشريعة طُبقت، ولا الدماء حقنت - ولكنها أهدرت!- ، ولا الأعراض حُفظت، ولا الدعوة الإسلامية بقيت، ولا الجزائر تطورت، لقد ضاع كل شيء...! (انتهى).

بالطبع سوف يقول البعض أن رؤية د. «ناجح» غير ملزمة لمجلس شورى الجماعة - وهذا غير صحيح - ، ولكن هل يملكون أن يتهموه بما اتهموا به غيره أم

كما لا ينبغي أن يحتج علينا أحد بأننا نرفض عدداً لا بأس به من آراء وتوجهات د. «ناجح»، وهذا لا ينفي الاحتجاج - الذي ذكرناه - عليهم بأنهم ما استطاعوا أن يخونوا د. «ناجح» كما يفعلون مع «قادة حزب النور»، ونحن - كما كررنا مراراً - نرفض التنازل في قضايا المنهج، ونقبل بالممكن منه كواقع ونبدي مرونة واقعية بناءً على ذلك، وثمة من يتساهل في الأمرين، وهناك من يتشدد في الأمرين، وأسوأ منهما من يعكس الأوضاع!

١٤- حديث هؤلاء عن الدماء التي ينبغي أن تسيل من أجل الديمقراطية لا ينبغي أن يمر مرور الكرام! وإذا كانوا ينكرون على من يريد أن يقدم من أتباعه شهداء من أجل قضيتهم - ونحن أيضاً ننادي بترشيد الدعوة إلى الاستشهاد حتى لا توظف في تقديم تضحيات في غير بابها أو لا تؤدي إلى أي ثمرة تُذكر، ولناخذ العظة من غزوة مؤتة وغيرها من وقائع السيرة - إلا أن المفجع هنا فيمن لديه استعداد لإراقة دماء منافسيه من أجل الديمقراطية المزعومة! وهو كاذب في هذا، وإنما يريد الديكتاتورية العالمية، فإن ثمة مدارس اشتراكية تنادي بالديمقراطية تحت ظل فكرة شمولية بشرية - في حين يرفضون الديمقراطية تحت ظل منهج الله وهي الشريعة الإسلامية - ، بل إن كثيراً من المدارس الليبرالية تتبنى الديكتاتورية؛ على الأقل في مرحلة كتابة الدساتير!

وإذا كنا نتحدث عن الإرهاب... فهذا بلاغ مفتوح «للنائب العام» أن يحقق في دعوات العنف والكرهية والإرهاب في اجتماع كان يراد له أن يكون سرياً!

١٥- تكرر استعمال اللفظ «النخبة» في وصف أصحاب هذا الاجتماع - ومن كان على شاكلتهم - ، مع أنه كان يسعني ولو من باب المعاملة بالمثل أن أستخدم ما شئت من الألفاظ والأوصاف التي لن تصل بحال من الأحوال إلى حد ما استعملوه من أوصاف وصفوا بها «حزب النور»!

وذلك لسببين:

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الكنائس النصرانية

والتحولات الفكرية في العمل السياسي

مركز التأصيل للدراسات والبحوث ٢٠١٣/٧/٢٩

إن هذا التحول التدريجي المشترك بين الكنائس النصرانية في الأفكار لابد وأن ينظر له بفتنة وأن يؤخذ في الاعتبار معه وجود حالة من التقارب وإنهاء الخلافات والانقسامات بين الكنائس الثلاث الأكبر في العالم وخاصة بعد زيارة الأنبا تواضروس للفاثيكان ودعوة بابا الفاتيكان لزيارة مصر وهو الأمر الذي لم يكن يسمح به بابا الارثوذكس السابق شنودة الذي لم يستقبل يوحنا بولس عند زيارة الأخير لمصر ولم يسمح له بدخول كنائس الارثوذكس لاعتقاده بكفره ونجاسته ولم يزر شنودة الفاتيكان مطلقاً.

لطالما كانت العقيدة النصرانية في جانبها النظري متجهة اتجاها بعيدا تماما عن السياسة

وتكتفي بالسلطة الروحية على أتباعها وذلك وفقا للتعاليم المكتوبة في صحفهم ومما نعلمها عنهم مثل ما جاء في سبعة مواعظ متتالية في رسالة رومية توصيهم بعدم منازعة السلطان ووجوب طاعته لأنه معين من الله عليهم، فجاء فيها:

١. لَتَخْضَعُ كُلُّ نَفْسٍ لِلسُّلْطَانِ الْفَائِضَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَالسُّلْطَانُ الْكَائِنُ هِيَ مُرْتَبَةٌ مِنَ اللَّهِ.

٢. حَتَّى إِنْ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ دَيْئُومَةً.

٣. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيَسُؤُوا خَوْفًا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشَّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لَا تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلَاحَ فَيَكُونُ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ.

٤. لِأَنَّهُ خَادِمُ اللَّهِ لِلصَّلَاحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ

الأول: أنني لا أفضِّل أن تتحول خلافتنا مع العالميين إلى حرب ألفاظ لن تستطيع أن تجاريهم فيها، ومتى فعلت خسرت الكثير من وقارك كما حدث من بعض الفضائيات الإسلامية قبل «٣٠-٦-٢٠١٣م»، ورأينا كيف كان خصومهم يسوغون لأنفسهم كل شيء ثم يستكبرون أن يصدر مثل أفعالهم في قنوات دينية أو من دعاة دينيين! والأفضل دائماً أن نبقي المسألة في إطار النقاش المنهجي، وهذا شأن من يريد الانتصار للحق.

الثاني: أن وصفهم بـ«النخبة» وإن كان يرضي غرور البعض؛ إلا أنه في ذات الوقت يثبت عزلتهم عن الأمة، ومدى شعورهم بهذه العزلة التي يسترونها بهذا الاستعلاء الذي لا يزيدهم إلا عزلة! وهي قضيتنا في الفترة القادمة أن نثبت أن قضية مرجعية الشريعة هي قضية كل المسلمين ولا يختص بها فريق منهم يُسمى بـ«الإسلاميين»، فالإسلاميون يخطئون؛ فهل تضيع الشريعة مع خطأ أي فصيل منهم في حكم أو في معارضة أو في دعوة؟

قضية الإسلام كمنهج حياة يجب أن تكون هي قضية الشعب المصري كله؛ مصداقاً لقوله -

تعالى - : ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَكُنْتُ وَمَا قِىَ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ١١٤﴾

[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

فلندافع عنها من مواقعنا وسط جمهور المسلمين وهو المكان الطبيعي لنا، ولا ينبغي أن نسمح مرة ثانية أن نحبس أنفسنا في مساجد تُعرف لدى الجمهور بمساجد «السنين»؛ مما يصد البعض عن خوض تجربة دخولها.

إن مساجدنا هي محاضننا التربوية، وهي التي تنزود فيها بنور الإيمان؛ لنخرج إلى الدنيا لا لنبقى داخلها، نخرج نخالط إخواننا وأهلينا ونخفف معاناتهم، ونعلمهم ونتعلم منهم، ونعيش بإسلامنا وإسلامنا.

فَخَفَ لَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا إِذْ هُوَ خَادِمُ اللَّهِ مُنْتَقِمٌ
لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ.

٥. لِذَلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخَضَّعَ لَهُ لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ
فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ.

٦. فَإِنَّكُمْ لِأَجْلِ هَذَا تُؤْفُونَ الْجَزِيَّةَ أَيْضًا إِذْ هُمْ
خُدَّامُ اللَّهِ مُوَاضِيُونَ عَلَى ذَلِكَ بَعِيْثِهِ.

٧. فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حَقُّوقَهُمْ: الْجَزِيَّةَ لِمَنْ لَهُ
الْجَزِيَّةُ. الْجَبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجَبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ
الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ.

**وقد خرقت الكنائس النصرانية هذه التعاليم
في عدد من المرات أشهرها ما تم في العصور**

الوسطى حيث التحم القساوسة في الحكم
بالقيصرية والملوك وتسبب ذلك في مظالم وفجائع
كثيرة أدت بالأوروبيين في النهاية إلى الثورة عليهما
معا وقيام الأفكار العلمانية لهذه الثورات التي نادت
بمثل هذا المطلب الشهير «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر
قسيس»، فأسقطت تدخل الكنيسة في السياسة
وحاصرت الدين النصراني داخل الكنائس فقط.

**لكنه وفي الآونة الأخيرة ظهرت مخالفات
كنسية لهذا المفهوم الذي استقر لفترات في
الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية مما
ينبئ عن تحول تدريجي في المفاهيم النصرانية
واهمالهم لهذه النصوص واتخاذهم لأفكار أخرى
مضادة ومنغمة في السياسة.**

**وتجلى ذلك في مصر حيث قام رأس الكنيسة
الأرثوذكسية على مستوى العالم بابا الأقباط في
مصر بالتدخل العلني في السياسة وقام بالمساهمة
الفعالة بأفراده ثم بنفسه وحضر المشهد الأهم وهو
مشهد عزل الرئيس محمد مرسي وهو الأمر الذي
كان عندهم محرما قبل ذلك مما يؤكد وجود هذا
التحول الفكري لديهم.**

**أما عن الكنيسة الكاثوليكية فقد قام
البابا بجمع شباب من دول العالم كله تقريبا -
حوالي ١٧٠ دولة- في جمع يقدر بنحو مليوني شاب
على شاطئ كوباكابانا في ريو دي جانيرو في**

البرازيل، وذلك في مؤتمر دولي كاثوليكي يعرف
باسم اليوم العالمي للشباب، ثم ألقى فيهم خطبة من
المفترض أن تكون وعظية كما هي العادة، إلا أنه
جعلها خطبة سياسية أكثر منها وعظية دعم فيها
تظاهرات الشباب البرازيليين الذين يطالبون بمطالب
سياسية.

**ودعا بابا الفاتيكان الشباب النصراني إلى
الانخراط في القضايا السياسية والاجتماعية قائلا**

**لهم: «لا تبقوا عند شرفة الحياة، يسوع لم يبق هناك.
لقد انخرط في التغيير. انخرطوا كما فعل يسوع»، مع
العلم بأنه كما تقول كافة الأناجيل -التي لا نقر
بصحة كل ما فيها- أن المسيح عليه السلام كان
دوره روحيا وعظيا ولم يتدخل في شئون الناس
السياسية بل وأمرهم بأداء حقوق قيصر عليهم -
حسب ما يقولون ويعتقدون- : «ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْمًا
مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالْهَيَرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ.
فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلَا
تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ
تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ. أَيجوزُ أَنْ نُعْطِيَ جَزِيَّةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟
نُعْطِي أَمْ لَا نُعْطِي؟» فَعَلِمَ رِجَاءَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا
تُجَرَّبُونِي؟ إِيثُونِي بِدِينَارٍ لِأَنْظُرَهُ». فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ:
«لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ».
فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ».
فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ.**

**إن هذا التحول التدريجي المشترك بين
الكنائس النصرانية في الأفكار لا بد وأن ينظر له
بفطنة وأن يؤخذ في الاعتبار معه وجود حالة من
التقارب وإنهاء الخلافات والانقسامات بين الكنائس
الثلاث الأكبر في العالم وخاصة بعد زيارة الأنبا
تواضروس للفاتيكان ودعوة بابا الفاتيكان لزيارة
مصر وهو الأمر الذي لم يكن يسمح به بابا
الارثوذكس السابق شنودة الذي لم يستقبل يوحنا
بولس عند زيارة الأخير لمصر ولم يسمح له بدخول
كنائس الارثوذكس لاعتقاده بكفره ونجاسته ولم
يزر شنودة الفاتيكان مطلقا.**

كان رئيسا للحكومة العسكرية بتكليف من الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميل، وحيث أصبحت تلك الحكومة مباشرة وفور تشكيلها في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٨ في مواجهة مع حكومة الدكتور سليم الحص وبخاصة بعد استقالة الوزراء المسلمين من حكومته العسكرية هذه التي شغل هو فيها موقع وزير الدفاع ووزير الإعلام ووزير الخارجية والمغتربين ووزير التربية الوطنية والفنون الجميلة، وأيضا وزيرا للداخلية بالوكالة، وكل هذا مع احتفاظه برتبته العسكرية.

كان الجنرال عون يعتقد أنه الأحق بموقع رئيس الجمهورية دائما وأبدا من بين رموز الطائفة المارونية المسيحية، وكان يظن أن اختياره لهذا الموقع يعتبر من قبيل «تحصيل الحاصل» وعلى غرار ما حدث مع الجنرال فؤاد شهاب بعد حرب ١٩٥٨ الأهلية، لكن هذا لم يتم أولا لأن واقع ما بعد هذه الحرب الأهلية الآنفة الذكر يختلف كثيرا عن واقع ما بعد حرب ١٩٧٥ التي لم تكن قد انتهت بعد والتي لم تنته إلا بعد انعقاد مؤتمر الطوائف الشهير في المملكة العربية السعودية في أغسطس (آب) عام ١٩٨٩، وثانيا لأن عون نفسه يختلف كثيرا عن فؤاد شهاب الذي كان يتمتع باحترام الشعب اللبناني بكل طوائفه وفئاته.

لقد بقيت هذه الرغبة كجمر متقدة في قلب عون، الذي كانت طموحاته وربما لا تزال أكبر كثيرا من إمكانياته وأيضا من شعبيته في الطائفة المارونية، على مدى خمسة عشر عاما قضاهما لاجئا سياسيا في فرنسا، وكل هذا إلى أن عاد من منفاه الفرنسي في عام ٢٠٠٥ بموافقة سوريا وبوساطة من حزب الله الذي انضوى لاحقا معه باسم «التيار الوطني الحر» في تحالف الثامن من مارس (آذار)، والذي أخذه للقاء مصالحة «تاريخي» مع بشار الأسد في الثالث من ديسمبر (كانون الأول) عام ٢٠٠٨.

بعد ذلك اللقاء «التاريخي» التصالحي انتعشت

ومما يؤكد وجود هذا التحول ما قاله القس يحنا قلته وهو نائب رئيس الكنيسة الكاثوليكية بمصر في مداخلة تليفزيونية له معقبا على زيارة تواضروس للفاثيكان: «إن زيارة البابا تواضروس الثاني إلى الفاتيكان ليست بدعة، وأن اللقاءات بين القيم الدينية ضرورة حتمية، إلى أن الاختلافات بين الكنيستين ليست عقائدية بالأساس وإنما هي اختلافات حضارية وتاريخية» وكلامه كله مغالطات تاريخية وعقائدية وفكرية، وإنما تؤكد كلمته على وجود هذا التقارب ومحاولة محو أي خلاف تاريخي استعدادا لمواجهة عدو مشترك والذي لا نشك انه هو الإسلام.

استهداف المسيحيين..

كذبة لفقها نظام الأسد وتلقفها «الطائفون»

صالح القلاب - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٧/١٨

لا تفسير إطلاقا لهذا الاصطفاف الطائفي إلى جانب نظام بشار الأسد بحجة الخوف من التطرف الإسلامي إلا أن هناك من استيقظ لديه «ثار» قديم وأن هناك من بات يرى ويعتقد أن الفرصة غدت سانحة لإقامة كيانات الطوائف والمذاهب وفقا لما كان نادى به أول وزير خارجية لإسرائيل موشيه شاريت، الذي كان العرب يسمونه موسى شرتوك، كأحد المقومات الاستراتيجية للأمن المستقبلي الدائم للدولة الإسرائيلية التي يبدو أنها غير بعيدة عن هذه الاستقطابات الطائفية التي من المفترض أنها غريبة عن هذه المنطقة وبخاصة بالنسبة لمسيحيي الشرق الذين هم مكون قومي عربي في العراق وبلاد الشام.

إنه من المعروف أن رفع الجنرال ميشال عون راية الحرص الكاذب على مسيحيي سوريا والمنطقة من الأصولية الإسلامية سببه أن «سنة» لبنان هم الذين حالوا دون تبوئه منصب رئيس الجمهورية في نهايات ثمانين القرن الماضي عندما

لدى الجنرال ميشال عون أحلامه وتطلعاته

القديمة ظلنا منه، وهذا صحيح كل الصحة في ذلك الوقت، أن قرار من يصبح رئيسا للبنان في دمشق وليس في بيروت، ولذلك فإن مزايداته بالولاء للنظام السوري تجاوزت كل الحدود ووصلت إلى أنه قد قام بزيارة «حج» إلى طهران، وأنه انحاز منذ اللحظة الأولى إلى هذه الحرب المهيبة التي بدأها بشار الأسد ضد شعب سوريا في الحادي عشر من مارس عام ٢٠١١ وأنه، أي عون، قد بادر إلى رفع راية الاستقطاب الطائفي ضد المعارضة السورية بمجرد إطلاق رئيس النظام الطائفي، وليس نظام الطائفة، في دمشق كذبة أنه يواجه تنظيمات إسلامية إرهابية تستهدف «العلويين» وكل الطوائف والأقليات الأخرى وفي مقدمتها الأقلية المسيحية.

وهكذا فقد بدأت «جوقة»، قادها ميشال

عون وأتباعه وشارك فيها حسن نصر الله الذي ليس ثبت بل أثبت أنه أكبر طائفي في هذه المنطقة وأنه يكره «السنة» ربما أكثر من كرهه للإسرائيليين، كما شاركت فيها فلول الأحزاب الشيوعية وباقي ما تبقى من بعثي سوريا والعراق والكثير من الكتبة الكذبة... بالعزف على أوتار أن بشار الأسد هو حامي حمى الأقليات القومية والمذهبية في هذه المنطقة، وأن الحرب الدامية والمدمرة التي يخوضها ضد الشعب السوري هي حرب ضد «القاعدة» وضد «النصرة» وضد الإرهاب الإسلامي، وأن تحالفه مع إيران ومع سوريا ومع حزب الله وكل زمر القتل الطائفية القادمة من عراق نوري المالكى هو تحالف ضد التنظيمات الإرهابية!!

وهنا فإن ما يبعث على الاستغراب والتساؤل

هو أن الغرب الأوروبي كله ومعه الولايات المتحدة والكثير من الدول الأخرى، التي دفعها ما يجري في سوريا إلى استحضار مناخ الحروب الصليبية التي كان العرب والمسلمون قد وصفوها وعرفوها في كل أدبياتهم وفي كل مدوناتهم التاريخية بـ«حروب الفرنجة»، قد تلقف كذبة النظام السوري هذه وأخذ

ينفخ فيها مستعينا بكل الطوائفيين «المستترين» في هذه المنطقة لتبرير امتناع الأميركيين والأوروبيين تزويد الجيش الحر بالأسلحة التي يحتاج إليها للدفاع عن شعبه وكأن الهدف، كما يقول البعض، هو استخدام هذا المبرر واستخدام هذه الحجة لترك سوريا تأكل نفسها بنفسها خدمة لإسرائيل وأيضا خدمة لمشروع تمزيق هذا الجزء من الوطن العربي إلى دويلات «فسيفسائية» عرقية ومذهبية.

إنه لا جدال إطلاقا في أن مسيحيي العراق قد

تعرضوا هم وبعض بيعهم وكنائسهم لاعتداءات

إجرامية وإرهابية مرفوضة ومدانة، ولكن ما يجب

أن يؤخذ بعين الاعتبار هنا هو أن «السنة» و«الشيعة»

في العراق قد تعرضوا أيضا هم ومساجدهم و«حسينياتهم» و«حوزاتهم العلمية» إلى أكثر مما

تعرض له المسيحيون وتعرضت له أماكنهم الدينية

منذ عام ٢٠٠٣ على أيدي المجموعات الإرهابية نفسها

التي بقي نظام بشار الأسد يصدرها إلى بلاد الرافدين

بحجة ضرورة إغراق الأميركيين «الغزاة» في أوحال

دجلة والفرات وفي رمال الصحارى العراقية المتحركة.

لقد اضطر بعض مسيحيي العراق تحت وطأة

الخوف من الإرهاب، الذي لا يزال يخبط خبط

عشواء في كل المناطق والمدن والقرى العراقية، وتحت

إلحاح التسهيلات الغربية الأوروبية والأميركية، إلى

الهجرة والنزوح إلى الخارج، وإن هذا أمر لا نقاش في

رفضه وإدانته، لكن وفي كل الأحوال فإنه لا بد من

الأخذ بعين الاعتبار أن ظاهرة الهجرة القسرية، فرارا

من هذا الإرهاب الذي غدا مستفعلا ومتجذرا في هذا

البلد المخترق وحتى النخاع الشوكي من قبل الأجهزة

الأمنية الإيرانية، قد شملت المسلمين أيضا «سنة»

و«شيعة»، وإنه على من لديه أي شكوك بالنسبة لهذه

الحقيقة أن يراجع ملفات ملايين العراقيين الذين

غادروا بلدهم خلال الأعوام العشرة الأخيرة وقبل ذلك

ولجأوا إلى الدول العربية المجاورة ومن بينها سوريا

نفسها والأردن وإلى أوروبا والولايات المتحدة وأستراليا

ونيوزيلندا وكل بقاع الأرض.

ثم إن المعروف أن ظاهرة استدراج المسيحيين من أبناء هذه المنطقة ومن بينهم أقباط مصر ومسيحيو بلاد الشام والعراق من قبل حكومات وكنائس الغرب وإغرائهم بتسهيلات الهجرة إلى أوروبا والولايات المتحدة هي ظاهرة قديمة وقبل أن يعرف الشرق الأوسط هذا العنف وهذا الإرهاب بسنوات كثيرة بعيدة، وحقيقة أن هذه التسهيلات غير البريئة هي التي تسببت في استنزاف الطوائف المسيحية الشرقية كلها وجعل أعداد أبنائها تتناقص بهذه الطريقة المريعة التي يجب التصدي لها بكل الوسائل الفعلية المتاحة، وذلك لأن هذا الشرق العربي سيفقد نكهته لا محالة إذا تحول إلى مجتمعات صماء بلون واحد.

إن هناك هجرة من هذه المنطقة العربية، وأيضا من المغرب العربي بكل أقطاره، كانت قد بدأت في اتجاه الغرب وتحديدًا تجاه الولايات المتحدة منذ القرن التاسع عشر وقبل ذلك، فأميركا التي غدت دولة الفرص السانحة أصبحت مقصد الباحثين عن هذه الفرص بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية، وهذا ينطبق أيضا على الكثير من دول أميركا اللاتينية والكثير من الدول الأفريقية التي حققت الجاليات اللبنانية والجاليات الفلسطينية فيها نجاحات اقتصادية وسياسية مرموقة ووصل بعض أبناء هاتين الجاليتين إلى مواقع مرموقة في هذه الدول من بينها موقع الرئاسة الأولى الذي هو موقع رئاسة الجمهورية.

«دويلة» تنهياً لخلافة «دولتين»

إياد أبو شقرة - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٨/٧

احتفل لبنان في مطلع أغسطس (آب) الجاري بـ«يوم الجيش»، وجرى خلال احتفال رسمي تخريج جيل جديد من الضباط.

في سماء المدرسة الحربية، المطلة على بيروت، حلقت هليكوبترات عسكرية حاملة الأعلام الوطنية.

وتحتها في الساحة الكبرى للمدرسة سارت طوابير العرض، وقطع رمزية من الأسلحة والأفواج خلف راياتها، وفي المنصة الرئيسة تابع الاحتفال أركان الدولة من كبار الرسميين.

شكليا كانت «الدولة» حاضرة.

الرؤساء من شتى الأصناف والمسميات كانوا

هناك.. «الحالي» منهم و«الدائم» و«المستقيل» و«المكلف». وربما، على مقربة منهم، كان هناك أيضا رئيس «مقبل»... من يدري؟

حتى الخطاب التقليدي لرئيس الجمهورية

ميشال سليمان جاء خطاب رجل دولة حقيقي

يعيش هاجس السيادة... الحاضرة مظهرًا والمغيبة مضمونًا. لكن تداعيات الخطاب، في ضوء مضمونه الجريء حول حصرية السلاح ومفهوم التوافق الوطني ومعنى «الشهادة» - وفق الواقع اللبناني السوري المزري - لم تنتظر طويلا.

ردات الفعل جاءت سريعة،

لكن الأهم كان الرسائل الصاروخية وخطاب السيد حسن نصر الله بمناسبة «يوم القدس» وما أثاره من لغط، وكذلك تفاقم أعمال الخطف الطائفي المتبادل، والقصف الجوي السوري للمناطق الحدودية القريبة من بلدة عرسال، وكلها تعكس مدى انهيار الدولة بكل مضامينها.

لبنان اليوم، بمعزل عن عبثية اللبنانيين المزمنة

في الهروب من الوقوع، يعيش عدا عكسيا باتجاه الانهيار. إذ ما عادت هناك أي نقاط تلاق وطني... بينما تتهار مؤسسات الدولة الواحدة تلو الأخرى أمام خلفيات عشائرية - قنوية ونفسيات مريضة وزعامات محلية متخلفة وضيقة الأفق وسقيمة المنطق.

الأمثال أكثر من أن تعد أو تحصى،

أبرزها التعايش العجيب المفروض بالقوة بين «دولة» ضعيفة و«دويلة» قوية. هنا «الدولة» سلاحها مخصص لضمان الأمن الداخلي لا أكثر، لكنه غير مؤهل لقتال العدو، كما لمح بالأمس قائد سابق للجيش

اسمه ميشال عون، في سياق تأكيده تأييد احتفاظ حزب الله بسلاحه.

تأييد عون، النائب في البرلمان، تكرارا لوجود سلاح خاص أقوى من سلاح الجيش لا بد أن يثير علامات استفهام في أي بلد يحترم نفسه. ثم إن هذا «السلاح الخاص» غير متاح لجميع اللبنانيين لأن الحزب الذي يملكه حزب ديني، وقراره السياسي والعسكري خارج صلاحيات الدولة اللبنانية المفترض أن يتساوى المواطنون جميعا تحت سقفها... ابتداء من الاستشهاد في سبيل حماية تراب الوطن... وانتهاء بدفع الضرائب والجمارك والحصول على تعويضات البطالة ونهاية الخدمة!

أيضا هذا الجيش، الذي يعد إلى جانب القضاء آخر حصون «الشرعية» الهشة في البلاد، مجبر يحكم ميزان القوى المختل بين «الدولة» و«الدولة»... على ممارسة المهام الموكلة إليه بانتقائية. فما يتاح له فعله في ضواحي مدينة صيدا وفي محيط عرسال يعجز عن فعله، بل من غير الوارد أن يفعله، في «مربعات أمنية» محظورة عليه بحجة تفرغها لمهام «المقاومة». ولذا لا يكتثرت ساسة من نوعية عون بكونهم يؤذون صدقية الجيش ويهددون هيئته ويفقدونه ثقة المواطنين بحياديته عندما يفرطون بدعمه كلاميا إبان أو بعد عمليات تتعلق بمناطق جغرافية ومذهبية معين... دون مناطق أخرى.

هذا يجر إلى إثارة نقطة قد لا تهم غير اللبنانيين هي الأزمة التي أثّرت حول تمديد مدة خدمة قائد الجيش ورئيس الأركان.

قبل بضعة أشهر، عندما بلغ اللواء أشرف ريفي قائد قوى الأمن الداخلي (سني من مدينة طرابلس) سن التقاعد أصر تكتل «٨ آذار»، المكون من «الثنائي الشيعي» (حزب الله وحركة أمل) وتوابعه من شراذم وتنظيمات، على رفض تمديد خدمته. وفعلا أحيل ريفي، المحسوب على تيار «المستقبل»، على التقاعد.

ولكن بالأمس مع اقتراب كل من قائد الجيش جان قهوجي (ماروني) ورئيس الأركان وليد سلمان (درزي) من سن التقاعد، ارتبك الوضع وتتادى الجميع للعمل على التمديد لهما. وحقا أيد

«الثنائي الشيعي» التمديد في حين جاءت المعارضة الوحيدة من عون.

إلى هذا الحد تبدو الأمور طبيعية بالنسبة لعون الذي كان أصلا ضد التمديد لريفي، ومجددا انسجم مع نفسه فعارض التمديد لقهوجي وسلمان. غير أن باطن الأمور يختلف عن ظاهرها.

في الأصل كان تعيين قادة الأجهزة الأمنية (الجيش والأمن الداخلي والأمن العام وأمن الدولة) يرضخ لتفاهات عريضة تنطلق من تمتع القائد المرشح بترشيح قوي من الزعامة النافذة للطائفة التي ينتمي إليها... ثم تكتمل عملية التعيين بموافقة الآخرين. إلا أن وجود السلاح في يد تنظيم طائفي واحد غير عناصر المعادلة كلها. وبالتالي، بات تيار «المستقبل» الذي يمتلك غالبية التمثيل النيابي السني عاجزا عن فرض مرشحه المفضل أو - كما في حالة ريفي - الدفاع عنه والتمديد له. والأمر نفسه ينطبق على وليد جنبلاط الذي مورس «الفيثو» غير مرة ضد مرشحه المفضل لرئاسة الأركان.

في حالة قهوجي فإنه حظي بترشيح عون - مدعوما من «الثنائي الشيعي» طبعا - ورضا رئيس الجمهورية. ويومذاك كان ثمة مصلحة في تعيين قهوجي وفق حسابات عون... وأطراف مسيحية أخرى. لكن الأمر يختلف الآن في ظل الشلل الكامل للمؤسسات السياسية الذي يتجلى في تعذر تشكيل حكومة، فقد يعني التجديد لقهوجي جعله المرشح المفضل لرئاسة الجمهورية، كما حصل مع سلفه ميشال سليمان قبل بضع سنوات.

هذا الاحتمال مرفوض تماما عند عون الذي يرى أن لديه ثلاثة مرشحين لرئاسة الجمهورية، هم شخصه (مع أنه يقترب من سن الثمانين)، بالإضافة إلى زوجي ابنتيه العميد شامل روكز قائد فوج المغاوير (القوات الخاصة) والوزير جبران باسيل. عون ما زال يطمح بالرئاسة... ومن أجلها لا يمانع بأي فراغ. أما حزب الله فمشروعه أكبر بكثير، وبعد قتاله في سوريا فإنه الآن عبر التجنيس الطائفي في مناطق بعينها من سوريا... منهمك بضبط رسم خريطة سوريا المقسمة.

لماذا يخشى العراق
الضربة العسكرية لسوريا؟

الوقود الطائفي للانقلاب في مصر ..
الصوفية والشيعة نموذجا

إيران وأحداث مصر ..
فتش عن المصلحة

مرصد الرصد

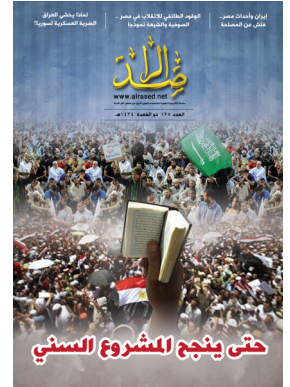
www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٥ ذو القعدة ١٤٣٤ هـ



حتى ينجح المشروع السني



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٥)

ذو القعدة - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

٢ حتى ينجح المشروع السني

فرق ومذاهب

٤ من رموز الإصلاح (١٧) الإمام المجاهد محمد رشيد رضا أسامة شحادة

سطور من الذاكرة

١٤ بين غلام الخلال والخلاني هيثم الكسواني

دراسات

١٦ إيران وأحداث مصر... فتش عن المصلحة أسامة الهتمي

٢١ الوقود الطائفي للانقلاب في مصر.. الصوفية والشيعة نموذجا... معتز بالله محمد

٢٤ هل نقود العقلانية إلى التشيع؟ بورليدي يحيى

٢٩ لماذا يخشى العراق الضربة العسكرية لسوريا؟ صباح العجاج

٣٢ موقع القاعدة في الصراع الإسلامي - الشيعي سعيد بن حازم السويدي

٣٩ تحرير المرأة والإرهاب النسوي فاطمة عبد الرؤوف

٤٢ محاولات التقريب والإصلاح بين السنة والشيعة في القديم والحديث عبد الله بابا جنع السنغالي

كتاب الشهر

٤٩ التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته جمال البنا نموذجا أسامة شحادة

قالوا

٥٢

جولة الصحافة

٥٤ كيف يتلاعب الأسد بالمعطيات الديموغرافية في سوريا؟ علي حسين باكير

٥٩ التنافس بين المثال والتاريخ كمال الديب

٦٢ علمانية التكفير والتفجير والطائفية أسامة شحادة

٦٤ الجماعة بين مخطط اليسار وقناعات المبادرة عصمت الصاوي

٦٦ الشيوعيون يكتبون الدتور الانقلابي! د. حلمي القاعود

٦٨ لاعب أمريكي يدعي النبوة ويبدأ دعوته من مصر موقع محيط

٦٩ لجنة الدستور تهدد خارطة المستقبل! جمال سلطان

٧١ وماذا بعد ضرب سوريا؟ (لنلا تتكرر مأساة العراق) زين العابدين الركابي

والخرافة، ونجاحها في دحر الاحتلال المباشر في غالب البلاد الإسلامية، ونجاحها في المحافظة على أصول الأخلاق الإسلامية، إلا أنها لم تصل بعد للنجاح الكامل الذي تبتغيه وهو قيام نموذج للحكم الإسلامي الرشيد يعيد أمجاد الماضي بعدله وتقدمه وقوته ورحمته، ويكون قدوة للبشرية المعاصرة لتخرج من تيهها وأزماتها الروحية والمادية.

وهذا الإخفاق له أسباب عدة، منها:

عدم تراكم العلم والمعرفة في هذه الدعوات الإصلاحية في أبواب هامة من العلم والمعرفة، مما يؤدي دوماً للبداية من الصفر في كل تجربة جديدة، فتضيع الأوقات وتتبدد الطاقات، ومن أمثلة هذه العلوم والمعارف:

١- علوم التنمية البشرية، التي تشمل تطوير ملكات التفكير والبحث والتأمل، وتشمل مهارات الاتصال والتواصل، وتشمل مهارات القيادة والإدارة، وللأسف فإن هذه العلوم لم تدخل بعد في صلب المعارف والعلوم التي تقدمها الدعوات الإصلاحية لروادها وجمهورها، ولا تزال متروكة للمبادرة الفردية والشخصية، ويتولد عن ذلك تكدر الأفراد العاديين في مفاصل الدعوات الإصلاحية وإعادة إنتاج البيروقراطية الحكومية الفاشلة المتفشية في المؤسسات العامة في المؤسسات الدعوية الإصلاحية، وبذلك تعجز الدعوات الإصلاحية عن القيام بدور القاطرة التي تجر خلفها العربات/ الأمة على السكة/ الصراط الموصل للرفعة والتقدم والنجاح.

٢- معرفة الفرق والمذاهب المعاصرة قديمة كانت أم حديثة، فلا يزال حسن الظن في غير محله هو المتبع في التعامل مع الفرق والمذاهب المعاصرة، مما نتج عنه

حتى ينجح المشروع السني

تعاني أمتنا اليوم من صراع المشاريع المختلفة على مقدراتها وقدراتها، وهذه المشاريع تتنوع بين المشروع الصهيوني والمشروع الغربي والمشروع الشيوعي والمشروع الطائفي أو الشيعي والمشروع العلماني والمشروع الاستبدادي.

وفي خضم هذه المشاريع يغيب المشروع الحقيقي والأصلي وهو المشروع السني، الذي يعبر عن الغالبية الأصلية في الأمة، وهو المشروع الذي يمتلك المشروعية الشرعية والتاريخية والقانونية.

المشروع السني ينبثق من هوية الأمة وتاريخها ولغتها وتراثها، وهو ليس مشروعاً وافداً من الخارج ولا مشروعاً يحمل أجندات فتوية لفصيل دون آخر، ولا مشروعاً يسعى للهيمنة بالباطل لصالح نخب فاسدة ضيقة (أولغاركية) كحال المشاريع الأخرى.

هذا المشروع السني لا يزال ينمو ببطء مع الأسف عبر أكثر من ١٠٠ عام، منذ ظهرت دعوات الإصلاح الإسلامية في مختلف البلاد الإسلامية، هذه الدعوات الداعية للعلم وحرب الجهل والخرافة، والعاملة على نشر التوحيد والسنة وحرب الشرك والبدعة والضلالة، والمجاهدة باللسان والسنن ضد الاحتلال المادي والمعنوي، والساعية لبعث الأخلاق الحميدة بعد طوفان الفساد والانحلال الوافد عبر الدعوات المنحرفة وأدوات الاحتلال.

هذه الدعوات الإصلاحية المباركة ورغم نجاحها في المحافظة على هوية الأمة من أن تستلب بالكامل، ونجاحها في نشر الوعي بالعلم الشرعي وأهميته، ونجاحها في حرب كثير من مظاهر الشرك والبدعة

الكثير من المصائب والكوارث للدعوات الإصلاحية، فمن المهم جداً أن يكون هناك مراجع معتمدة للفرق والمذاهب المعاصرة تتميز بالموضوعية والجدة والعمق، فمن المغيّب أن تستنجد اليوم حركة حماس بإيران وحزب الله لمواجهة تبعات الانقلاب في مصر، في الوقت الذي يمارسان فيه القتل يومياً في سوريا بحق الشعب السوري، لأنهم أولاً: من الأعداء وليسوا محايدين أو مناصرين، وثانياً: يفتح هذا الباب للسياسة الانتهازية المخالفة للشرع، وثالثاً: كيف ينصرنا الله ونحن نخذل مسلماً؟

وبسبب هذا الجهل بالمذاهب الفكرية المعاصرة تحالف الإخوان المسلمون عبر تاريخهم مع العديد من الفصائل العلمانية اليسارية والليبرالية التي سرعان ما انقلبت عليهم! فهم كانوا مع حزب البعث السوري وهو يحارب إخوان سوريا، وتحالفوا في الأردن مع البعثيين واليساريين فانقلبوا عليهم وانحازوا لإجرام بشار الأسد، وتحالفوا معهم في انتخابات مصر وأدخلوهم للبرلمان واليوم انقلبوا عليهم، ويطالبون بحل جماعتهم وسحل أفرادهم!!

وأيضاً من الجهل بالمذاهب الهدامة انشغال فئات من السلفيين بتتبع أخطاء جماعة الإخوان دون أخطاء بقية التيارات السياسية والفكرية، فهذا نوع من الحول الفكري، أن تشغل بالكامل ضد جماعة نيتها سليمة ولو أخطأت قليلاً وكثيراً عن أحزاب وجماعات سياسية وفكرية ملحدة وعلمانية ومحاربة للإسلام بعضه أو كله!! ويكون الجرم أعظم حين يكون هذا الانشغال بإيعاز من هذه التيارات المنحرفة عن الإسلام ولصالحها.

٣- الجهل بتاريخ الدعوات الإصلاحية وتجاربها وخبراتها وعدم توارث ذلك، يكاد يكون جهلاً مطبقاً، ونتأججه الكارثية على فشل المشروع السني تبلغ من الضخامة حداً لا يتخيل!

فكم من الجهود الكبيرة والتي بذلت من أجلها أرواح ومهج كثيرة جداً، وأنفقت في سبيلها أموال هائلة، واستغرق الوصول لها سنين طويلة، ثم تضيع بسبب تكرار خطأ لم نتعلم من وقوعه أول مرة!!

ومن يطالع تجارب الإصلاح يجد أنها نجحت بشكل كبير في البدايات ووصلت لثمار رائعة، لكن بسبب عدم الوعي لمرحلة ما بعد التأسيس، وعدم الانتقال من الفردية للمؤسسية، وعدم تطوير الرؤية وتعميقها، واحتكام

القيادة للولاء على الكفاءة، مني العمل الإصلاحي بنكبات متكررة فشل بسببها عن تحقيق غاياته.

٤- علم السياسة الشرعية، برغم أهميته ومركزيته إلا أن الاهتمام به لا يزال نخوياً، والواجب أن يصبح علماً شعبياً متداولاً بين الناس، حتى يحكم تصرفاتهم ويلجأ لفعالاتهم، ويوجه الطاقات لمسارات البناء المجدية، فتتراكم الإنجازات، ونخرج من دائرة العبث (البناء والهدم) التي حذرنا منها النبي ﷺ فيما روي عنه بقوله: «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

ونحتاج أن يصنع لعلم السياسة الشرعية متن صغير أو نظم يعمم في حلقات العلم ويصبح من أولويات طالب العلم الأساسية، ومن ثم يفتح المجال للتوسع في المستجدات العصرية وتنزل عليها الأحكام الشرعية، ويستخلص منها التجارب الماضية القواعد والضوابط التي تجنبنا تكرار الأخطاء وتضييع الأعمار.

٥- علم إدارة الخلاف والنزاع، وبرغم أنه من علوم الإدارة الداخلة في علوم التنمية البشرية إلا أن الحاجة الماسة له جعلتني أفرد بالحديث، فكم من الصراعات بين فصائل الإصلاح والدعوات تستهلك فيها الجهود والطاقات دون طائل؟

وكان بالإمكان الحفاظ على هذه الجهود المهدورة لو أحسننا علم إدارة الخلاف والصراع، كما يحسن إدارته أعداؤنا، فالخلافات في حكومة إسرائيل مشهورة معلومة، والخلافات في نظام الملالي بطهران معلنة مكشوفة، لكنهم مع كل ذلك يوظفونها لما ينتج مصلحتهم ولا يبذل قوتهم.

فمتى نبتعد عن عبارات التخوين والعمالة بين فصائل العمل الإسلامي كلما حدث بينهم خلاف أو صدام، ومتى نحسن أن نسرب الخلاف بيننا في مسارات متوازنة بدلاً من أن نطرحه في خطوط متقاطعة!

في الختام: إن ضعف أو غياب هذه العلوم هو من معيقات المشروع السني عن بلوغ غايته ونهايته، عزيزي القارئ: إذا كنت أنت ممن غابت عنهم هذه العلوم وكنت من معيقات مشروعنا عن بلوغ غايته، فهل أنت على استعداد لتدارك ما فات؟

اللهم اجعلنا لمفاتيح للخير مغاليق للشر.

الألباني فيقول عن الدور المركزي لرشيد رضا: (السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله - له فضل كبير على العالم الإسلامي، بصورة عامة، وعلى السلفيين منهم بصورة خاصة، ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة النادرين الذين نشروا المنهج السلفي في سائر أنحاء العالم بوساطة مجلته المنار، ..). ويقول أيضاً: (إذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة، ليطلع عليها من بلغته، فإنني بفضل الله عز وجل، بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار



التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم). [حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه: ١ / ٤٠٠].

أما العلامة ابن عثيمين فيقول عن موسوعية رشيد رضا: (ولا ريب أن العلماء، علماء الشريعة، عندهم علم في الاقتصاد وفي السياسة، وفي كل ما يحتاجون إليه في العلوم الشرعية، وإذا شئت أن تعرف ما قلته فانظر إلى محمد رشيد رضا رحمه الله صاحب مجلة المنار في تفسيره وفي غيرها من

١٧- الإمام المجاهد محمد رشيد رضا (١٢٨٢/١٣٥٤هـ - ١٩٣٥/١٨٦٥م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالرائد

تمهيد:

يكاد العلامة رشيد رضا يكون نقطة انطلاق الصحوة السلفية والإسلامية العامة التي نعيشها في

عالمنا المعاصر، فعلى امتداد ٤٠ سنة كان مصدر الإشعاع والتوجيه لمختلف أقطار الأمة الإسلامية من خلال منبر مجلته المنار.

وقد كان محمد عبده يرى فيه الأمل لقيادة الإصلاح بين المسلمين فقال فيه:

فيا رب إن قدرت رجعي قريبة

إلى عالم الأرواح وانفض خاتم

فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً

(رشيدا) يضيء النهج والليل قائم

أما العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين

(❖) كاتب أردني.

كتبه) 1 موقع الشيخ، كتاب العلم، سؤال رقم ١٧٥.

مولده ونشأته:

ولد إمامنا في قرية القلمون، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط من جبل لبنان، والتي تبعد عن مدينة طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وذلك في ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ، ٢٣ سبتمبر ١٨٦٥ م، والقلمون جميع أهلها في الأصل من السادة الأشراف، وكانت عائلته عائلة متدينة عرفت بالعلم والرياسة والإرشاد، فجدّه الثالث بنى مسجد القرية وتولى أعمال الإمامة والخطابة والتدريس، ووالده «علي رضا» كان شيخاً للقلمون وإماماً لمسجدها.

وقد كان منزلهم مقصد الحكام والعلماء والوجهاء والأعيان حتى من غير المسلمين، وقد أثر هذا في رشيد رضا بحسن تعامله مع طبقة الأعيان ومخاطبة غير المسلمين والتعامل معهم بما يحقق الوفاق.

تعلم في كتاب القلمون قراءة القرآن والخط وقواعد والحساب، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية الابتدائية بطرابلس، فتعلم الصرف والنحو والحساب ومبادئ الجغرافيا وعلم العقيدة والفقه، لكنه لم يستمر فيها إلا سنة واحدة لأنها كانت تعلم بالتركية، ثم التحق سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التي أسسها وأدارها الشيخ حسين الجسر، الذي يعد أستاذه الأول، وكانت المدرسة تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، ولأن الحكومة العثمانية لم تعترف بها مدرسة دينية يعفى طلبتها من التجنيد، فقد أغلقت أبوابها وتفرق طلبتها بسبب جهل الحكومة وقصر نظرها!

بدايته في طلب العلم:

وحين أغلقت المدرسة، توثقت صلة رشيد رضا بشيخه الجسر، واتصل بحلقاته ودروسه، حيث أحاط الشيخ الجسر «رشيد رضا» برعايته، وكان رشيد لا يهتم بالحفظ للجزئيات، ويركز على فهم الأمور والتعبير عنها بطريقته فنبغ ولم يكن يكرر المحفوظات كالبيغاء ما يلقي دون فهم كغالب الطلاب، ثم أجازه شيخه الجسر سنة ١٨٩٧ م لتدريس العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وفي الوقت نفسه درس «رشيد رضا» علم الحديث على يد الشيخ «محمود نشابة» وأجازه أيضاً لرواية الحديث، كما وازب على حضور دروس نضر من علماء طرابلس مثل: الشيخ عبد الغني الرافعي، ومحمد القاوقجي، ومحمد الحسيني، وغيرهم.

وقد كان لهؤلاء المدرسين بالغ الأثر على نشأة رشيد رضا العلمية والإصلاحية، فهم علماء أجلاء درس معظمهم في الأزهر سنوات طويلة، ولم يكونوا كعامّة الأزهرين بل تبنا توسيع دائرة العلم فلم يرفضوا العلوم الحديثة بل نشروها بين الطلبة، ولم يشجعوا البدع والخرافات، ولهم ملاحظات ومؤاخذات على مزالق التصوف، وكان لهم عناية بعلم الحديث النبوي، ومن هنا جاءت عناية رشيد رضا بالسنة والبحث في أسانيد الأحاديث ورفض الضعيف والموضوعات منها.

قال رشيد في رثاء شيخه محمود نشابة (ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م):

من كان عن خشية لله منكسراً

ولا عن رفعة للناس جانبه

من أحييت السنة الغرا مآثره

وأفنت البدعة السودا قواضيه

والقواضب هي الأسنان!

وقال في رثاء شيخه عبد الغني الرافعي (ت

١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م):

لهفي ولهف جميع المسلمين على

محبي الشريعة رب الفضل والفضلا

من أيد السنة الغرا بحكمته الـ

مثلثى وللبدعة العمياء قد خذلا

وتسخير الله عز وجل هؤلاء العلماء الأجلاء هو

من العناية الربانية برشيد رضا، ومن نتائج هذه

الرعاية الربانية تخلصه من التقليد والتعصب

المذهبي إذ أنه درس في هذه المرحلة المبكرة من

عمره جزءاً من نيل الأوطار للشوكانى على شيخه

عبد الغنى الرافعى، ودرس الحديث والمصطلح على

المحدث محمد القاوچى ثم اقتنى مبكراً كتاب

شرح إحياء علوم الدين بسبب تخريجه أحاديث

الإحياء! فأصبح رشيد لا يحتج بحديث إلا كتب

معه تخريجه، ثم ترقى فلم يعد يقبل أي تصحيح

للحديث يشك فيه إلا أن ينظر في سنده، ولذلك

كان الفتى رشيد رضا أول من استحضر كتاب

ميزان الاعتدال من الهند لطرابلس!

وقد نفع هذا كله رشيد رضا، فرغم تعلقه

بالتصوف مطلع حياته على الطريقة الشاذلية ثم

دخوله في الطريقة النقشبندية إلا أن توفيق الله له

بالعلم والعقل الذي تميز به جعله ينتفع من التصوف

بكثرة الذكر والطاعة ولا يقبل الخرافات

والكرامات المزعومة والبدع الدخيلة، ولذلك ذهب

مرة لرؤية حضرة الطريقة المولوية، فلما بدأ الغلمان

المردان يرقصون على نغمات الناي رقصة المروحة

ويمرون من أمام شيخهم فيركعون له، تعجب رشيد

رضا وسأل عن حقيقة ما يجري، فقليل له: هذا

ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي.

فلم يملك نفسه فوقف وصاح بأعلى صوته بما معناه:

أيها المسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا

السكوت عليه، لأنه إقرار له وإنه يصدق على مقترفيه

قوله تعالى ﴿أَتَخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ ﴿٥١﴾ [الأعراف:

٥١]، وإننى قد أديت الواجب علي فاخرجوا يرحمكم

الله. ومن هنا تكونت شخصية رشيد رضا الصلبة في قول

الحق والصدع به والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بدايته في التعليم والدعوة

ومع اجتهاده في التعلم والمطالعة كان رشيد

رضا يباشر التعليم والوعظ في قريته القلمون، فقد

كان يدرّس في المسجد، ويدرّس في المفتي،

بطريقة سهلة بعيدة عن السجع المعتاد، وإنما كانت

دروسه آيات من القرآن الكريم يشرحها ويبسطها

للناس، وهذا أكسبه خبرة عملية ونظرية بخصوص

التربية والتعليم انعكست إيجابياً على مسيرته

الإصلاحية، وكانت له دروس للنساء في بيوتهن

يعلمهن فيها الفقه والعقيدة.

وبسبب مطالعته لكتاب (الزواج عن اقرار

الكبائر) لابن حجر الهيتمي أبطل كثيراً من

العادات السيئة والتصرفات غير الشرعية كوضع

الشموع على قبر بعض العلماء مع ربط ذلك بخرق

فيها حاجات وطلبات، وكانت هناك شجرة يتبرك

بها الجهلة فأمر رجلاً بقلعها ليلاً!! ويقول عن نفسه:

«كل هذا قد كان مني وأنا طالب للعلم، ولم

أكن رأيت شيئاً من كتب الإمام المجدد شيخ

الإسلام ابن تيمية ولا كتب تلميذه المحقق ابن

القيم، بل كنت رأيت طعن ابن حجر هذا عليه في

كتابه الفتاوى الحديثية وكنت أصدق ما فيها، ثم

رأيت في طرابلس كتاب (جلاء العينين في محاكمة

الأحمدين) ... فعلمت منه أن طبقة ابن تيمية أعلى

من طبقة ابن حجر الهيتمي، ... أما الوهابية فلم

أكن أعرف عنهم شيئاً، إنما كنت أسمع من

الناس أنهم مبتدعة ... وأول كلمة حق وقفت عليها

في شأنهم لعلماء سورية كلمة مفتي بيروت العلامة

الشيخ عبد الباسط الفاخوري في كتابه (تحفة

الأنام مختصر تاريخ الإسلام) وإنما عرفت تاريخهم

بالتفصيل في مصر».

ولم يكتف الشيخ رضا بمن يحضر دروسه في

المسجد، بل كان يذهب هو إلى الناس في

تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها

لشرب القهوة والنارجيلة ولم يخجل من جلوسه معهم ووعظهم وحثهم على الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة بإقبال كثير منهم على أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال على الله، كما بعث إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقى عليهن دروساً في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئاً من العقائد بأسلوب سهل يسير.

وفي هذه المرحلة أيضاً اتصل رشيد رضا ببعض رجال الحكم من خلال والده ومن خلال شيوخه، فقد كان من المعتاد حضور رجال الحكومة لبيتهم لما لوالده من مكانة، ولكن رشيد لم يكن يعجبه تصرفاتهم من لبس ساعات الذهب وما شابه ذلك فكان ينصحهم، ومن هنا تفتح وعي رشيد رضا على أن الإصلاح والدعوة لا يقتصران على العامة بل يشملان الحكام أيضاً.

تعرفه على مجلة العروة الوثقى

حين بلغ رشيد رضا العشرين عمره، سنة ١٣٠٢هـ، تعرف على جريدة العروة الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من باريس، وذلك من خلال بعض المصريين المنفيين على يد الإنجليز عقب ثورة عرابي باشا في مصر، يقول رشيد: «إننى لا أزال أتذكر أنه كان بدارنا في القلمون بجوار طرابلس الشام (في سنة ١٣٠٢هـ) ضيوف من المصريين المنفيين بسبب الحوادث العرابية، فجاءت جريدة العروة الوثقى مساء، فأخذها الأستاذ الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي ... وأنشأ يقرؤها بصوت جهوري كأنه خطيب ... ولم أكن في ذلك الوقت أعنى بشيء من مثل هذا، بل كانت تلك السنة هي السنة الثانية لاشتغالي بطلب العلم».

ثم بعد مدة وقع رشيد رضا على أعداد منها بين أوراق أبيه «فطفقت أقرأها المرة بعد المرة، وهي

تفعل في نفسي فعلها، تهدم وتبني وتعد وتمني، وما كان وعدها إلا حقاً ولا تمنيتها إلا رجاء وأملاً، أحدثت إصلاحاً وعملاً، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي، وأقيم عليه بناء عملي وأملي، وأما الأستاذ الأول فهو كتاب إحياء العلوم»، ثم أخذ رشيد يبحث عن بقية أعدادها حتى وجدها كاملة عند شيخه الجسر فنسخها كاملة «فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال والحرارة والاشتغال، ما قذف بي من طور إلى طور».

فكان للعروة الوثقى تأثير كبير على رشيد رضا في مجالات متعددة، من أولها تغيير أسلوبه في الحديث والكتابة والخروج عن طريقة مقامات الحريري السائدة في عصره، ثم وجهته للإصلاح العام وعدم التقوقع على حارة ومسجد أو حتى قرية ومدينة! وعرف منها أسباب فساد حال الأمة من خلال العقائد الفاسدة كالجبر والتواكل والبدع الشائعة والجهل المنتشر، ودلته على طريق الإصلاح بالعلم واطراح البدع والتمسك بالأصول في الكتاب والسنة. وعرف منها ضرورة وحدة المسلمين وتقوية دولة الخلافة وإصلاحها لتصمد في وجه المطامع الأوروبية الاستعمارية.

ويلخص رشيد رضا أثر العروة الوثقى عليه فيقول: «وأحدث لي هذا الفهم الجديد في الإسلام رأياً فوق الذي كنت أراه في إرشاد المسلمين، فقد كان همي قبل ذلك محصوراً في تصحيح عقائد المسلمين، ونهيه عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا، فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات، فطفقت استعد لذلك استعداداً...».

وأصبح رشيد رضا في شوق عظيم للتواصل مع

نوعاً ما فلم يستطع تلبية دعوته لزيارته، ولما ضيقت السلطات العثمانية على الأفغاني جاهر رشيد رضا بحبه واعتزازه بالأفغاني.

ولقد كان رشيد رضا يدرك أن الأفغاني وعبداه قد اختلفت بهما السبل بعد إغلاق العروة الوثقى، فأثر الأفغاني الطريق السياسي الأسرع والأسهل، واختار عبده الطريق التعليمي التربوي الأثبت والأدوم.

ولما بلغه رضا خبر وفاة الأفغاني وتضييق الخناق على إصلاحه في سوريا جراء تعنت السلطات، كان لابد من الخروج إلى مصر لجوار أستاذه محمد عبده ليواصل مسيرة الإصلاح التي آمن بها، فخرج هارباً متخفياً حتى لا تمنعه السلطات العثمانية.

رشيد رضا في مصر وإنشاء مجلة المنار

دخل رشيد رضا مصر سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م، وكان عمره ٣٣ سنة وقد اكتملت رجولته وظهرت شخصيته العلمية والفكرية المستقلة، ويمكن أن نقول إن رشيد جاء إلى مصر سلفياً، وإن كانت سلفيته تعمقت بمصر بسبب توفر الكتب السلفية والسلفيين أكثر من طرابلس، يقول رشيد: «فعلّم مما تقدم أنني جئت مصر مستعداً لهذا الإصلاح كأنني خلقت وتعلمت وربيت لأجله».

وكان رشيد قد عزم على إنشاء مجلة فكرية إصلاحية تواصل مسيرة العروة الوثقى، وبعد عدة أشهر من وصوله ولقائه بعبده فاتحه في الأمر، وكان عبده غير متحمس للفكرة ويرى أنها لن تنجح، لكن إصرار رضا وإعلانه عن استعداده لتحمل نفقات سنة أو سنتين دون ربح شجع عبده على الموافقة، وقد اشترط رضا على عبده شرطاً للعلاقة بينهما، هو: «أن أسأل عن حكمة ما لا أعقله، ولا أقبل إلا ما أفهمه، ولا أفعل إلا ما اعتقد فائدته»، وهذا يؤكد استقلالية رضا وتميزه برغم حبه لعبده واحترامه البالغ له.

وبالمقابل وجه عبده لرضا ثلاثة توجيهات في

الأفغاني وعبداه مباشرة وليس عبر صفحات العروة الوثقى، وفعلاً تهيأت الفرصة باستقرار محمد عبده في بيروت عقب إغلاق العروة الوثقى خمس سنوات، وأصبح رشيد يتابع أخبار محمد عبده وإصلاحه من خلال التدريس بالمدرسة السلطانية هناك، ولما جاء عبده لزيارة طرابلس التقى به رشيد رضا وبعض الطلبة، وظل رضا يستفيد من عبده من خلال متابعة كتبه وخاصة ترجمته لكتاب الأفغاني (الرد على الدهريين).

ومن تأثير العروة الوثقى على رضا أنه بدأ يكتب في الصحافة خاصة بعد أن أسس شيخه حسين الجسر جريدة طرابلس، وأصبح مقال رشيد رضا من أهم المقالات فيها، لما فيه من قوة وجدة وتأثير بأفكار الأفغاني وعبداه.

ومن تأثير الأفغاني وعبداه على رشيد رضا أنه قام بتأليف كتاب سماه «الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية» رداً على كتب أبي الهدى الصيادي الصوفي، مستشار السلطان عبدالحميد، التي نشرها الصيادي في كل البلاد ليمجد فيها نفسه وأهله وطريقته وملاها بكراماته وفضله على أقطاب الصوفية، ولم ينشر رضا هذا الكتاب الذي بلغ مجلداً كبيراً ويعد باكورة أعماله، وإن كان نشر بعض أجزاءه في السنة الأولى من المنار، وبقي هذا الكتاب كأصل لمنهج الإصلاح الذي سار عليه رضا.

وبعد سنوات التقى رشيد رضا بمحمد عبده في طرابلس سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م حين جاء إلى سورية سائحاً وزار طرابلس فذهب رشيد وقابله، ولزمه مدة بقاءه فيها.

وبقي التواصل قائماً بينهما بعد عودة عبده لمصر، وهنا أصبح رشيد يأمل أن يتصل بالأفغاني أيضاً فأرسل رسالة له في الآستانة (استنبول) مع أعز أصدقائه، وقد أعجب الأفغاني بها وشكره عليها لكنه كان موضوعاً تحت الإقامة الجبرية

إدارة المنار هي: ألا تتحزب لحزب، ألا ترد على انتقادات الصحف الأخرى لها، ألا تخدم أفكار أحد من الكبراء. وهذا يدل على الوعي المبكر بحاجة الإصلاح للاستقلال وعدم التبعية للسياسة والتجارة!! لأن الوضع الصحيح تبعية هؤلاء العامة للمصلحين.

وفعلا صدر العدد الأول من المنار في ٢٠ شوال ١٢١٥ هـ - ١٨٩٨/٣/١٧ م، لتبدأ مشوار نشر الوعي والمعرفة ومحاربة الجهل والخرافة والبدع، وإرشاد المسلمين لطرق التربية والإصلاح.

وبعد عدة أعداد نصح عبده رضا بعدم الصراحة التامة حتى لا يكثر خصومه، والبعد عن غريب اللغة والحرص على سهولة العبارة لتتسع مساحة المستفيدين من المنار ولا يقتصر على الخواص، والبعد عن الخوض في نقد سياسة الدولة العثمانية.

ورغم أن عبده هو أستاذ رضا الذي نهل من مقالاته وأحاديثه، إلا أن المنار كانت مقالات رضا وفكره، ولما ظن بعض الناس أن عبده هو الكاتب الحقيقي للمنار، أعلن رضا عن خطأ ذلك بوضوح وقال: «كل ما ينشر في المنار غير معزو إلى أحد فهو لصاحب المنار فكراً وعبارة»، وحتى التفسير الذي نشر في المنار، كان رشيد يحضر الدرس ويكتب فيه بعض المذكرات بأهم ما قاله عبده، ثم يبيضاها ويضيف إليها ما يراه مناسباً، ويطلع عبده عليها فربما نقح بإضافة أو حذف لكلمة، قال رضا: «ولا أذكر أنه انتقد شيئاً، بل كان راضياً بالمكتوب بل معجباً به. على أنه لم يكن كله نقلاً عنه ومعزواً إليه، بل كان تفسيراً للكاتب من إنشائه، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما استفاده منها. وبعد أن توفاه الله تعالى، صرت أرى من الأمانة أن لا أعزو إليه إلا ما كتبته عنه أو حفظته حفظاً»، ويؤكد هذا استمرار رضا بالتفسير بعد عبده ٣٠ سنة.

وما أن ظهرت المنار ووصلت أخبارها للدولة

العثمانية، وخاصة الشيخ أبو الهدي الصيادي، حتى أوعز بمنعها ومصادرتها من البريد، وفعلا جمع العدد الثاني وأحرق، ومن ثم قام بالتضييق على عائلة رضا واضطهادهم لإرغامه على إيقاف المنار، وكلفوا والده بالسفر إليه في مصر لإقناعه بإيقاف المجلة!

وكما حصل مع العلامة الألوسي في العراق، حاول الصيادي إغراء رضا بالمناصب والتكريم إذا قدم عليه بالأستانة، ولكن رشيد رضا رفض هذه الإغراءات، فكانت النتيجة أن هاجم أعوان الصيادي أسرته بالقلمون، فضربوا أخوه ليلا، وانتزعوا المسجد منهم، وحرّضوا علماء طرابلس على مهاجمة المنار في الصحف، وأرسلوا لمصر من سرق كل ما في مكتب المنار!

وبقي هذا العداء من السلطات العثمانية للمنار مستمراً، وفي السنة الثامنة للمجلة روجوا إشاعة أن والد رشيد يتآمر مع عبده لإنشاء دولة عربية مستقلة، وتم لذلك تفتيش البيوت، وأخذ الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم التي قد تضرهم عند السلطات، فأحرقت عشرات الألوف من المجلدات، هكذا كانت أحوال خاتمة الدولة العثمانية!

وتم محاصرة منزل والد رشيد وسجن أولاده، ورفضت السلطات أن تحضر أولاده لرؤية والدهم ووداعه وهو يحتضر، وعلق على ذلك رضا بقوله: «تدل ببأسها وشدتها، وتمثل قوة الخلافة الحميدية وعظمتها، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عربية في قرية القلمون».

ثم حين تضايق حكام مصر من رشيد رضا والمنار بسبب إصراره على الإصلاح ووفائه لأستاذه محمد عبده حتى بعد وفاته، لجأوا إلى الإيعاز لوزارة الداخلية أن رشيد رضا مطلوب للتجنيد العسكري في الدولة العثمانية بحسب مخاطبات رسمية وصلتهم منها، فأظهر لهم رضا أنه حائز على الإعفاء من التجنيد أصلاً، وثانياً أنه قد تجاوز سن

التجديد! وهذا جزء من معاناة رضا في سبيل نشر الإصلاح، رحمه الله.

ولكن هذا لم يفت في عضد رضا بل زاده إصراراً على الإصلاح، ولم يشه عن عزمه أيضاً زهد البعض بالمنار في البداية بل كان متأكدا أنهم سيعودون إلى المنار طال الزمن أو قصر، وفعلاً، بعد عدة سنوات أصبح الكثيرون يبحثون عن الأعداد الأولى للمنار والتي احتفظ بها رضا لسنوات، ولما نفذت أعاد طبع بعض الأعداد لتلبية الطلب عليها، وقد وصلت المنار أصقاع الدنيا كلها، حيث وصلت روسيا وسنغافورة وأندونيسيا شرقاً، والأرجنتين غرباً! وحين زار عبده تونس والجزائر دهش من قوة تأثير المنار هناك حتى أصبح فيهما جماعة وحزب وأصدقاء لعبده ورشيد يحملون هم الإصلاح والإرشاد.

بقيت المنار تصدر لمدة ٢٧ عاماً، في ٣٥ مجلداً، وقد صدر العدد الأخير في ٢٩ ربيع الآخر ١٤٥٤هـ - ١٩٣٥/٧/٣٠م، أي في العام الذي توفي فيه رضا، وقد صدرت في المجلد الأول بشكل أسبوعي بواقع ٨ صفحات، ومن المجلد الثاني حتى التاسع أصبحت نصف شهرية كل عدد يحتوي على ٤٠ صفحة، ومنذ عام ١٩٠٦م حتى توقفها أصبحت شهرية بواقع ٨٠ صفحة، لكن من عام ١٩١٥م أصبحت سنة المنار ١٠ أعداد فقط بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، ثم استمرت على ذلك، وتعرضت لبعض الانقطاعات بسبب سفر رشيد، أو خلل في المواعيد بسبب العجز المالي وأزمات شح الورق.

لقد كانت المنار حلم وأمنية ورسالة رشيد في الحياة، قال عنها: «إننى لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أنالها ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الأقران، وأبارى به أعلياء الشأن، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته وتأنم الأمة كلها بتركه».

قال أحد المستشرقين عن أثر المنار: «لم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها، وعلى مسلمي أرخبيل الملايو...»، وقال شكيب أرسلان عن عظم جهد رضا: «انصرف رشيد رضا بكليته إلى أعمال القلم، وصار يكتب في الساعات ما لا يقدر أن يسدده غيره في الأسابيع ... كان إذا أمسك بالقلم تدفق نحواً وصرفاً وبياناً وبديعاً وفقهاً وحديثاً وتفسيراً وتوحيداً وفروعاً وأصولاً وكل ذلك في نسق واحد».

ومن الطرائف التي تكشف عن دور رشيد رضا والمنار في ذلك الزمان، ما روي عن والدته أنها رآته يوماً حزناً، فسألته: هل مات أحد من المسلمين في الصين؟ وذلك تعبيراً عن مساحة همّه واهتمامه بشؤون الإسلام والمسلمين.

ولذلك أصبح رضا مقصد الباحثين والمستشرقين والجمعيات العلمية تمنحه عضويتها وتتشرف بمراسلته ودعوته.

جوانب الإصلاح في مسيرة رشيد رضا

من الصعب جداً في صفحات قليلة أن نوجز الجهود العظيمة التي استغرق رشيد رضا في إنجازها ٣٥ سنة من عمره، ولتشعب وتعدد هذه المجالات سنقتصر على أبرزها.

١- الإصلاح الديني: وهو يشمل نقد الأوضاع القائمة في سلوكيات العوام والعلماء وتقديم البدائل الصحيحة، وقد كانت غالب مقالات ودروس رشيد رضا تصب في هذا الاتجاه، وكذلك كتبه واقتراحاته لإصلاح الأزهر، كانت تهدف لتغيير نمط التدريس ورفع سوية المقررات، وتنظيم شؤون الأزهر المالية وتجديد العلوم التي تدرس به وخلق دماء جديدة بين المعلمين، وتفعيل دور الطلبة بالوعظ في الإجازات الصيفية في القرى والنجوع، وفصل هذا في كتابه (المنار والأزهر).

وكان للطرق الصوفية النصيب الأكبر من

نقده وخاصة الشعائر الجماعية التي ترسخ الجهل والتواكل وتنتشر فيها الفواحش والمنكرات كالموالد والحضرات.

ودعا رضا للاجتهاد ونبذ التقليد الذي كان يعتبره سبب لجوء بعض الحكام لتحكيم غير الشريعة بسبب جمود بعض الفقهاء ورفضهم للاجتهاد في مستجدات العصر، فلجأ الحكام لاستيراد القوانين الوضعية، وكان باب الفتاوى في المنار نموذجاً للتححرر الفقهي والتطبيق العملي للفقهاء المقارن وفقه الدليل وفتح باب الاجتهاد المعاصر.

ونصر رشيد رضا منهج السلف بكل وضوح ومن ذلك قوله: «وكنّا نظن في أوائل الطلب أن مذهب السلف ضعيف، وأنهم لم يؤولوا كما أول الخلف، لأنهم لم يبلغوا مبلغهم من العلم والفهم، لا سيما الحنابلة أو بعضهم، ولما تغلغلنا في علم الكلام وظفرنا بعد النظر في الكتب التي هي منتهى فلسفة الأشاعرة بالكتب التي تبين مذهب السلف حق البيان لا سيما كتب ابن تيمية علمنا علم اليقين أن مذهب السلف هو الحق الذي ليس وراءه غاية ولا مطلب، وأن كل ما خالفه فهو ظنون وأوهام لا تغني من الحق شيئاً».

وقد لقيت دعوته هذه قبولا، فيقول: «ونحمد الله تعالى أن رأينا تأثيراً كبيراً لدعوتنا المسلمين لهداية الكتاب والسنة فصار يوجد في مصر وغيرها ألوف من الناس على هذه الهداية، ومنهم الدعوة إليها وأولو الجمعيات التي أسست للتعاون على نشرها، على تفاوت بينهم في العلم بها، وجهل بعضهم أصل هذه الدعوة ومن جدد نشرها».

ونشر رشيد رضا علم السنة بأبحاثه في مجلة المنار ولو كانت فائدة هذه الأبحاث فقط استفادة الشيخ الألباني منها وتوجهه لطلب علم الحديث حتى صار من أعلامه الكبار في تاريخ الأمة لكفى رشيد رضا فضلاً.

٢- الإصلاح التعليمي: استفاد رشيد رضا من

تجربة الأفغاني وعنده بأهمية دور التعليم في نشر الإصلاح وترسيخه في الأمة، ولذلك كان دائم التفكير - بعد إصدار المنار - في إنشاء مدرسة أهلية مستقلة تستقطب نجباء الطلبة من بلاد المسلمين وتعلمهم وتربيتهم ليكونوا رسل الإصلاح ودعاة الإرشاد، وكانت الفكرة عند رشيد منذ فتوته: «كنت في أيام طلبي للعلم في طرابلس الشام أتردد بعد الخروج من المدرسة إلى مكتبة المبشرين الأميركيين، أقرأ جريدتهم الدينية وبعض كتبهم ورسائلهم، وأجادل قسوسهم ومعلميهم، وأتمنى لو كان للمسلمين جمعية كجمعيةهم، ومدارس كمدارسهم، ولما هاجرت إلى مصر وأنشأت المنار قويت عندي هذه الفكرة».

وكان رشيد يعتبر هذا المشروع أكبر أهدافه في الحياة لأنه يجمع شمل المسلمين على اختلاف عرقياتهم، ويعمل على تكوين قادة ودعاة تنير عقولهم العلوم النافعة والتربية الصالحة، وقد بدأ تنفيذ الحلم سنة ١٣٢٣هـ بمقال في المنار بالدعوة إلى تأسيس جمعية الدعوة التي ستؤسس مدرسة لتخريج الدعاة، وفعلاً استجاب عدد من الفضلاء لفكرة وعقدت عدة اجتماعات.

ثم طرح مصطفى كامل فكرة إنشاء الجامعة المصرية وحصلت العسرة المالية في مصر فتوقفت الفكرة، لكن رشيد لم ييأس. وفي سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م سافر رضا للأستانة بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد، وعرض فكرة إنشاء جمعية ومدرسة الدعوة والإرشاد على رئيس الوزراء حسين حلمي، الذي وعده بتقديم المساعدة، لكن سرعان ما تغيرت الوزارة وجاء إبراهيم حقي.

ولكن قام في وجه رشيد رضا ملاحظة من جماعة حزب الاتحاد والترقي فعضلوا الفكرة، ثم حاولوا الالتفاف على الفكرة فعرضوا على رشيد أن يؤسس المدرسة باسمه ولاحقاً يمنح رخصة الجمعية، فرفض رشيد حتى لا تكون المدرسة

لورثته وهو يريد لها للأمة، وفي هذا دلالة على وعي رشيد بأهمية الدور المؤسس للأعمال الإصلاحية وأن لا تبقى محصورة في أشخاص.

ثم تقرر إنشاء جمعية العلم والإرشاد، وحذفت الدعوة والتبشير من أهدافها، وتم اقتصار غايتها على دعوة المسلمين فقط، برغم أن من دواعي تأسيس المدرسة تهيئة دعاة مؤهلين لدعوة غير المسلمين، ووافق رشيد على ذلك، واختير عدد من الفضلاء لتأسيس الجمعية، ثم حين طالب رشيد بصرف الدعم المالي الذي وعدوا به، جاء الرد باشتراط وضع المدرسة تحت إدارة ومسؤولية شيخ الإسلام، فلم يقبل أعضاء الجمعية بذلك، وكان رشيد يدرك أن هذه المدرسة لا يصلح أن تدار بروح الإدارة الحكومية التي تتج موظفين، لا دعاة ومرشدين مخلصين، فعاد لمصر بعد سنة كاملة حاول فيها دون جدوى.

وعاد رشيد لمصر ليواصل الحلم، وفعلاً في سنة ١٢٢٨هـ / ١٩١٠م تأسست جمعية الدعوة والإرشاد، وباشرت التأسيس لإنشاء مدرستها والتي افتتحت في سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م، ووضع رشيد رضا نظامها الإداري ومنهجها التعليمي، ونصت في نظامها على الغايات التالية:

❖ مقصد هذه الجماعة إنشاء مدرسة كلية باسم (دار الدعوة والإرشاد) في مصر القاهرة؛ لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، والإرشاد الصحيح، وإرسالهم إلى البلاد الشديدة الحاجة إليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم.

❖ يرسل الدعوة إلى البلاد الوثنية والكتابية التي فيها حرية دينية، ولا يرسلون إلى بلاد الإسلام إلا حيث يُدعى المسلمون جهراً إلى ترك دينهم والدخول في غيره، مع عدم وجود علماء مرشدين يدفعون الشبهات عن الإسلام ويبينون حقيقته لأهله.

❖ لا تشتغل هذه الجماعة بالسياسة مطلقاً، لا بالسياسة المصرية، ولا بسياسة الدولة العثمانية، ولا بسياسة غيرها من الدول.

وواضح من غايات الجمعية/ المدرسة الوعي المبكر بضرورة فصل العمل الدعوي والتعليمي عن العمل السياسي، خاصة وأن المسلمين واقعون تحت الاحتلال، ولذلك فمن المصلحة والحكمة رعاية وحماية الدعوة والتعليم من الإيقاف والتعطيل.

وقد قام بالتدريس فيها نخبة من المدرسين الذين غدوا من العلماء والمصلحين، ومنهم: الشيخ حامد الفقي، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والعلامة محب الدين الخطيب، وممن تعلم في هذه المدرسة: الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وكان فيها طلبة متنوعون أتراك وشركس وهنود وجاويون وغيرهم، ومع وقوع الحرب العالمية الأولى اضطربت الأحوال وتوقفت الهبات والإعانات، وللأسف توقفت المدرسة في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م، واستمر رشيد رضا في طريق الإصلاح بالمنار والمحاضرات ومتابعة الشؤون العامة، ولكن بقيت للجمعية آثار كبيرة من خلال المدرسين الذين تفرقوا في البلاد وحاولوا إعادة التجربة بشكل أو آخر أو من خلال الطلبة الذين أصبحوا قادة في بلادهم ومجتمعاتهم مثل الحاج أمين الحسيني الذي قاد ثورة الشعب الفلسطيني ضد بريطانيا واليهود.

ومن الإصلاح التعليمي لرشيد رضا أنه ساهم في وضع مناهج مدرسية لعدد من المدارس في الكويت والبحرين والهند، وذلك من خلال رحلاته وزياراته.

٣- الإصلاح المؤسساتي: كان رشيد رضا يدرك أهمية إنشاء الجمعيات وأنها تجمع الطاقات وتعظمها وتكسبها الاستمرارية، وأنها سبيل نهضة الأمة، فيقول عن دور الجمعيات في تربية الأمة ونهضتها: «وإنما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الأمة ديناً وعقلاً وأدباً بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية، فإن لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون، فإن الأمة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها إصلاح».

وكان يسعى لتكوين الجمعيات المتخصصة، فجمعيات تعليمية وجمعيات سياسية وجمعيات اقتصادية، وهكذا، فيقول: «وزماننا هذا زمان

الجماعات العلمية والأدبية والسياسية، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية».

وكان رضا يعرف أن المنار مبادرة فردية تنتهي بحياته، وأن المهم هو وجود مؤسسات لا ترتبط بحياة أصحابها وتستمر في حمل الدعوة والإصلاح، ولذلك حين صدرت مجلة نور الإسلام التابعة للأزهر بشكل رسمي، قرضها في المنار وتمنى «أن تكون خيراً من المنار في خدمة الإسلام لما يرجى من دوامها بكونها لمصلحة إسلامية غنية لا شخص قد تموت بموته». وفعلاً كان لرشيد دور مركزي في إنشاء الجمعيات في مختلف البلدان الإسلامية وفي مختلف المجالات.

٤- الإصلاح السياسي: مارس رشيد الرضا السياسة بكافة أشكالها ومواقعها، المعارضة والحزب والنيابة والمسؤولية السياسية والعلاقة مع الحكام والتفاوض مع الأتقاء والتحالف مع المختلفين ومخاطبة قادة الاحتلال ولقاء الساسة في أوروبا.

وهذا باب واسع يحتاج إلى كتاب مستقل لمعرفة تفاصيله ولعله أكثر ما كتب عنه وركز على هذا المجال، ولم يقتصر إصلاحه السياسي على الممارسة بل شمل التنظير لرؤية شرعية سياسية معاصرة فصلها في كتابه (الخلافة) والعديد من المقالات في المنار، وأيضاً كانت له مواقف وتحليلات سياسية مبكرة في غاية الدقة والخطورة، فهو أول من حذر من المشروع الصهيوني الزاحف لاحتلال فلسطين عقب مؤتمر بال الصهيوني سنة ١٨٩٧م، ففي مقال له سنة ١٩١٠م يقول عن اليهود: «هدفهم أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك إسرائيل».

ومن قبل كان أول من تصدى لطلائع العلمانية وفصل الدين عن الدولة ورد على مقالاتهم ودعاياتهم من سنة ١٨٩٩م، ومما يؤكد هذا العمق السياسي عنده شهادة ابن عمه عبدالرحمن عاصم - الذي لازمه سنوات طويلة جداً كمساعد وسكرتير - : «كان السيد يدرك من أسرار السياسة وغوامضها

ما يقصر عنه كثيرون من المشتغلين بها».

وفاته:

عاش رشيد رضا ٧٠ عاماً قضى أكثر من ٥٠ سنة منها في الدعوة للإصلاح العام والاهتمام بشؤون المسلمين، ومات وهو يؤدي مهمته في الدعوة والإرشاد والنصح للمسلمين، فقد توفي في حادث سيارة وهو عائد من وداع ولي العهد السعودي في مدينة السويس بعد أن اجتمع به وتباحثا في شؤون المسلمين، وذلك سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

ولعل من أفضل ما قيل في حق رشيد رضا على الأمة ما قاله محب الدين الخطيب: «إن السيد رشيد رضا رغم ذبوع اسمه، وطول اتصاله بالجماعات والحوادث والصحافة، كان في علمه وفضله أعمق غوراً من أن يعرفه أكثر الناس كما هو في الحقيقة، وإن الذين عرفوا جوانبه العامرة بالفضل والسبق والتفوق قليلون جداً، ولو أن هذا الرجل الراحل كفي إدارة أعماله كلها وانقطع للتأليف والتدوين وكان في أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها في حياتهم لكان أعظم إنتاجاً من أكبر الرجال الذين يشار إليهم بالبنان في الأمم الأخرى».

مراجع للتوسع:

- سيرته الذاتية في كتابه (المنار والأزهر).
- رشيد رضا الإمام المجاهد، د. إبراهيم أحمد العدوي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤م.
- من أعلام الإحياء الإسلامي، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٦م.
- السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية، د. محمد درنيقة، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٦م.
- الإمام محمد رشيد رضا في ميادين المواجهة، فيصل بن عبد العزيز السدحان، مكتبة أهل الأثر، ط ١، ٢٠١١م.

«القولين»، و«مختصر السنة»، وغير ذلك في التفسير والأصول).

أما «الخلاني» فهو اللقب الذي اشتهر به ثاني سفراء المهدي المنتظر عند الشيعة الإثنى

عشرية، واسمه: محمد بن عثمان بن سعيد العمري (توفي: ٣٠٥هـ)، وهو أحد أربعة أشخاص من الشيعة ادّعوا أنهم ينوبون عن المهدي خلال غيبته الصغرى التي امتدت حوالي ٧٠ سنة (٢٦٠ - ٣٢٩هـ)، وكانوا يدّعون مشاهدته واللقاء به، وإيصال الأموال إليه، ونقل الرسائل (والتواقيع) منه إلى المؤمنين به.

ويقول الشيعة إن تسميته بالخلاني نسبةً إلى بيعه الخَلّ؛ أو لأنه

كان لا يحقد على الناس فهو خَلٌّ وفيّ. ويقولون أيضا إنه صار سفيرا أو نائباً للمهدي بإيعاز منه بعد وفاة والده (السفير الأول). وللخلاني (وكذلك بقية السفراء) مكانة عظيمة عند الشيعة، الذين يزورون قبورهم بكثير من التعظيم والإجلال، وقد جعلوا لها طقوسا معينة، وأذكارا يقرؤونها، فصلّوا بعض علمائهم كالطوسي في كتابه (تهذيب الأحكام) وابن طاووس في (مصباح الزائر).

ويعتبر قبر الخلاني من أهم مزارات الشيعة

بين غلام الخلال والخلاني

هيثم الكسواني^(١) - خاص به «الراصد»

على الرغم من التشابه الكبير الذي يبدو في كتابة كل من اسمي «الخلال» و«الخلاني»، إلا

أن ما يفرقهما أكثر بكثير مما يجمعهما، بل إن بين الشخصين بُعد الثرى عن الثريا، فالأول هو الفقيه السني الحنبلي المعروف أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، الذي كان غلاما للخلال، أبرز تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله،

وقد ذكره الإمام ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في وفيات سنة ٣٦٣هـ، فقال: (الفقيه الحنبلي، المعروف بغلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان، وممّن صنف وجمع وناظر، وسمع الحديث عن أبي القاسم البغوي وطبقته، وكان عمره يوم توفي فوق الثمانين. قال ابن الجوزي: وله «المقنع» في مائة جزء، و«الشافي» في ثمانين جزءا، و«زاد المسافر»، و«الخلاف مع الشافعي»، وكتاب

(♦) كاتب أردني.



في العاصمة بغداد، وقد اعتنوا به عناية فائقة، لكن ما نريد أن نسلط عليه الضوء في هذه السطور هو أن هذا المقام الذي يجله الشيعة إجلالا عظيما هو في الحقيقة قبر غلام الخلال، وقد استولى عليه الشيعة وعلى الجامع في الخمسينيات من القرن الماضي إبان الحكم الملكي للعراق!!

وقبر الخلال، الواقع في مقبرة الفيل، هو نقطة في بحر المساجد والأوقاف والمعالم السنية التي استولى عليها الشيعة في العراق، خاصة بعد سيطرتهم على حكم العراق في أعقاب الاحتلال الأمريكي لهذا البلد سنة ٢٠٠٣م. وهو يعكس جزءا من نفسيتهم الإقصائية، ورغبتهم الجامعة بتشجيع العراق (وبغداد خاصة) وإزالة أي أثر لأهل السنة فيهما.

ويقع القبر المنسوب للخللاني في شارع الجمهورية قرب الباب الشرقي من بغداد، من جانب الرصافة، وقد كان المؤرخون والباحثون (وبعضهم شيعة) يشيرون إليه باسم قبر الخلال، ومنهم المؤرخ الشيعي المعروف الدكتور مصطفى جواد، الذي يبين أن الخليفة العباسي، الطائع لله (٢٦٣هـ - ٢٨١هـ) استحدث بابا جديدا لدار الخلافة في بغداد هو (باب الخاصة) وكان الباب يطل على دار الفيل وباب مكواذي واتخذ عليه منظره واتفق أن كان الطائع يوما في هذه المنظره فجوزت عليه جنازة أبي بكر غلام الخلال، فرأى الطائع فيها ما أعجبه فتقدم بدفنه في ذلك البراح الذي تجاه المنظره وجعل دار الفيل وقفا عليه^(١).

ومما يؤكد ذلك أن مقبرة الفيل التي يقع فيها القبر هي مقبرة سنية للحنابلة، لا يُعقل أن يُدفن الخلالاني بينهم، وتقع المقبرة في محلة باب الشيخ عبد القادر الجيلي (الكيلاسي)، الذي يقع قبره

بالقرب من قبر الخلال، والرصافة كما هو معروف منطقة سنية في حين أن شيخ الشيعة عباس القمي في كتابه (الكنى والألقاب) يقول: «قال بعض فضلاء الكرخ والزوراء إنه لقب بالخللاني نسبة إلى بيعه الخل...». والشاهد في كلام القمي أن الخلالاني كان في الكرخ (المنطقة الشيعية) وليس في الرصافة.

وممن أشار إلى اسم الخلال لا الخلالاني: ابن الديبشي في ترجمة عبد الله بن صالح الأنباري المتوفى سنة ٥٩١هـ، حيث ذكر بأنه دُفن بباب الأزج بمقبرة الخلال، وتعرف بمقبرة «الفيل» وذلك في كتابه (المختصر المحتاج إليه، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٦٣م).

ومنهم: المؤرخ المعروف أحمد سوسة، في خارطة رسمها لمدينة بغداد، وبين معالمها التاريخية المعاصرة، وقد أشار بوضوح إلى الموقع، وسماه (جماع الخلال)^(٢).

إضافة إلى بعض الكتاب المعاصرين ممن لهم عناية بالتاريخ ومنهم: الباحث المؤرخ سامي ندا جاسم الدوري، في مقاله «نظرات الاعتدال في الصحابة والآل»، وهو منشور في شبكة الإنترنت.

وقد حاول بعض علماء أهل السنة إعادة المسجد المغتصب إلى حاضنته السنية، ومن هؤلاء: الشيخ صبحي السامرائي رحمه الله، لكن الموقف الحكومي آنذاك لم يكن مؤيدا لهذا التوجه^(٣).

(٢) الدليل الجغرافي في العراق، الدكتور أحمد سوسة، طباعة دائرة المساحة، سنة ١٩٦٠م.

(٣) مقال: جهود الشيخ المحدث صبحي السامرائي رحمه الله في مقاومة التشيع في العراق، عبد العزيز بن صالح المحمود وعبد الله بن عبد اللطيف الكرخي، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6297

(١) بغداد بين الأمس واليوم، جمال بابان، موقع صوت العراق، ٢٠٠٩/١١/١٦، على الرابط:
<http://www.sotaliraq.com/articlesiraq.php?id=52299#ixzz2bFSV8Ldd>

إيران وأحداث مصر.. فتش عن المصلحة

أسامة الهتمي^(١) - خاص بالرائد

عندما قررت جماعة الإخوان المسلمين

المصرية، وعلى رأسها الرئيس الدكتور محمد مرسي الذي تولى مقاليد الأمور في البلاد لمدة عام تقريبا من نهاية شهر يونيو ٢٠١٢ وحتى نهاية يونيو ٢٠١٣، أن تحدث حالة من التغيير الجوهرى في مسار العلاقات المصرية - الإيرانية كانت تتطرق في ذلك من هدفين رئيسيين:

الأول: هو تباين السياسات المصرية الخارجية بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م عما كانت عليه قبل هذه الثورة والتي كانت تؤكد المواقف والأحداث أنها كانت تسير في فلك إرضاء البيت الأبيض الأمريكى دون النظر للمصالح المصرية الخاصة أو الالتفات لأية اعتبارات أخرى عقديّة كانت أو سياسية.

والثاني: هو حرص جماعة الإخوان المسلمين ونظام الحكم الجديد على البحث عن شبكة جديدة من العلاقات والتحالفات السياسية كبديل محتمل لتوتر العلاقات مع القوى الدولية الرئيسية «الولايات المتحدة الأمريكية - الاتحاد الأوروبي» في ظل الوعي الكامل بالموقف الإستراتيجى للغرب

(♦) كاتب مصري.

من الحركات الإسلامية بجمليتها فضلا عن أنه لا يمكن مطلقا غض الطرف عن أن لحظة الصدام مع الكيان الصهيوني قادمة لا محالة إن لم يكن بشكل مباشر فعلى أقل تقدير كنتيجة للدعم المادي والسياسي الذي سيوجهه النظام المصري لفصائل المقاومة الفلسطينية التي تعد أحدها وربما أهمها وهي حركة حماس امتدادا أيديولوجيا وتنظيميا لجماعة الإخوان.

وعلى الجانب الآخر وجدت الدولة الإيرانية في الثورة المصرية في الخامس والعشرين من يناير فرصتها السانحة لكسر حالة الجمود في العلاقات الإيرانية - المصرية وهو الجمود الذي كان سببا في أن تمنى إيران بالكثير من الخسائر على المستوى السياسي إذ ظلت هذه الحالة حاجزا ومانعا قويا للحد من الطموح الإيراني في المنطقة ما دفعها لأن تسارع في الإعلان عن موقفها من الثورة المصرية التي وصفها مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي بالصحة الإسلامية وأنها امتداد للثورة الإيرانية التي وقعت عام ١٩٧٩.

وبعيدا عن مناقشة صدق ما طرحه خامنئي من عدمه فإن الدلالة الأهم فيما طرحه هو أن إيران أعلنت بصراحة ووضوح أن رهانها على هذه الثورة ومن ثم فإن المتوقع منها فيما بعد هو الانحياز الكامل لكل تداعيات هذه الثورة لاحقا دون تردد انطلاقا من اعتبار أن ذلك هو خيارات الشعب المصري الذي عبر عن هذه الخيارات في أجواء من الحرية والديمقراطية التي تحققت بعد الثورة.

حاولت إيران وكنتيجة للقراءة الغالبة في ذاك الوقت والتي كانت تؤكد انتصار الثورة المصرية أن تبدو وكأنها سعيدة بتخلص الشعب المصري من الاستبداد والفساد ومن ثم فهي لم تفتأ تعلن حينئذ استعدادها أن تقدم يد العون للمصريين من أجل مواجهة كل القوى التي تريد أن تعود بمصر إلى الوراء وتجهض حلم المصريين في استكمال أهداف الثورة المصرية إلا أن هذا الموقف الحاسم من الثورة لم يكن بنفس القدر إزاء دعم وتأييد طرف معين في الانتخابات الرئاسية التي أجريت بعد تنحي مبارك بأكثر من عام وهو ما أوقعها في العديد من الإشكاليات والتناقضات التي كشفت عن كثير من براجماتيتها وأنها لا تستهدف إلا مصالحها الخاصة على وجه الخصوص.

ففي الوقت الذي كانت ترى فيه الكثير من الأطراف الإسلامية السلفية أن إيران تتواصل مع جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها المدرسة الأكثر انحيازاً لفكرة التقريب كون أن مؤسس الجماعة ومرشدها الأول الأستاذ حسن البنا هو أيضاً أحد مؤسسي جماعة التقريب بين السنة والشيعة التي أنشئت في عام ١٩٤٧م في الوقت الذي تواترت فيه الكثير من المعلومات أيضاً عن وجود علاقة قوية بين إيران والمرشح الناصري حمدين صباحي فضلاً عن المرشح الإسلامي المستقل الدكتور محمد سليم العوا.

وكان نفس الموقف المتناقض هو ما اتسمت به علاقات إيران بالأحزاب والتيارات السياسية المصرية حيث في الوقت الذي وثقت فيه علاقاتها بأطراف قومية ويسارية لدرجة كبيرة جداً وصلت إلى حد أن ينصب بعض هؤلاء من أنفسهم مدافعين ومحامين عن إيران على الرغم من أن النظرة القومية التقليدية تنظر لإيران نظرة عداوية ذلك لأنها تحتل أرضاً عربية وساعدت الاحتلال الأمريكي على غزو العراق وغير ذلك من القضايا التي تؤكد كراهيتها للعرب والعروبة.. في الوقت

الذي فعلت فيه ذلك كانت توطد من اتصالاتها وعلاقاتها مع شخصيات وأحزاب ذات مرجعية إسلامية وهو الأمر الذي يشير إلى نتيجة واحدة وليس سواها أن إيران كانت تراهن على جميع الأطراف وأنها لم تكن تتحرك كما تحاول أن توهم الجميع بأنها تسعى إلى إقامة دولة إسلامية هنا أو هناك لتكون امتداداً للدولة الخمينية فهذا مما استخدمته كخداع للكثير من القوى والتيارات الإسلامية.

الإخوان إلى الجحيم

بعد أيام قليلة من تولي الدكتور محمد مرسي رئاسة الجمهورية المصرية بدا جلياً للغاية أن الثورة المضادة لا تتوقف عن العمل ليلاً ونهاراً من أجل الانقضاض على ثورة يناير وأنها بدأت تخطو خطواتها القوية في اتجاه تحقيق هذا الهدف وهو ما لم يدركه وبكل أسف الإخوان المسلمون ومن معهم من الإسلاميين حيث الاعتقاد بأنهم قادرون على وقف زحف وإفشال كل مخططات هذه الثورة المضادة.

وما أن أوشك العام الأول لمرسي على الانتهاء حتى تمكنت الثورة المضادة فعلاً وبقيادة الفريق أول عبد الفتاح السيسي القائد العام للقوات المسلحة الذي عينه الدكتور مرسي نفسه خلفاً للمشير حسين طنطاوي من الانقلاب على حكمه وإزاحته من المشهد السياسي عبر احتجازه وتوجيه عدة اتهامات له على رأسها التخابر مع حركة حماس وهي الاتهامات التي إن صحت أمام القضاء فسيكون جزاء الدكتور مرسي هو الإعدام.

لقد كان من الطبيعي أن تتخذ بعض دول الخليج وفي مقدمتها السعودية والإمارات موقفاً داعماً ومؤيداً لهذا الانقلاب حيث رأى كل منهما أن ما حدث ليس إلا استجابة لمطالب الشعب المصري الذي خرج في موجة ثورية جديدة في الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م.

ومنطقية الموقف الخليجي عامة - والسعودي والإمارتي خاصة- تعود إلى كون الدول الخليجية

منذ البداية لم تكن على وئام مع أحداث الربيع العربي في مصر وكانت وما زالت رافضة للثورة ضد الرئيس المخلوع حسني مبارك إذ كانت تؤثر هذه الدول القيام بعملية إصلاح سياسي في البلاد بدلا من الإطاحة به والتي كانت سببا في إيجاد حالة من الفوضى العامة في المنطقة.

على كلٍ إن ما يشغلنا إزاء هذه القضية هو الموقف الإيراني مما حدث في مصر في الثالث من يوليو ثم ما تلاه من أحداث جسام نقلت مصر لحالة سياسية جديدة لم يكن يتصور أحد تفاصيلها قبل هذا اليوم بساعات قليلة.

ومرة أخرى اتسقت إيران مع مواقفها المتناقضة، فهي وحتى اللحظة لم تعلن وبشكل رسمي على لسان أحد مسئوليتها أن ما حدث في مصر انقلاب كما أنها لم تصفه بأنه ثورة كما يقول رجالات الحكومة المصرية الجديدة وهو ما توافق مع التصريحات المتضاربة للعديد من المسئولين الإيرانيين من الطرف المدني والعسكري.

بل وكان الأبرز أيضا الإدلاء بالعديد من التصريحات المتناقضة من نفس الشخص في أيام متقاربة وهو ما عكس أمرين:

الأول: أن إيران لم تكن قادرة بالفعل على تقييم الموقف وإلى أين تسير الأحداث.

الثاني: أنها كانت تحاول دائما الإمساك بالعصا من المنتصف تحسبا لحدوث ما يمكن أن يغير من المعادلة على أرض الواقع.

ويمكننا فقط أن نلقي نظرة على بعض التصريحات الصادرة عن مسئولين في طهران للتثبت من صحة ما ذهبنا إليه ومنها:

١- انتقاد الخارجية الإيرانية لإطاحة الجيش المصري بالرئيس محمد مرسي حيث قال عباس عراقجي المتحدث باسم الخارجية الإيرانية في تصريحات لوكالة «إيرنا» الرسمية: «إن كل ربيع يتبعه صيف حار وشتاء بارد ويجب احتمالهما ولا ينبغي للإسلاميين والثوار تصور أن كل شيء إنتهى بل إن هذه القضية هي حركة مستمرة. مضيافا: «نرى أنه من غير الملائم أن يتدخل الجيش في

السياسة للإطاحة بمن تم انتخابه ديموقراطيا».

٢- احتفاء خطباء الجمعة في إيران بالانقلاب على مرسي حيث اعتبروا أن جماعة الإخوان قد انحرقت عن مبادئها بعد صعودها للحكم ومن ذلك ما قاله سيد حسن عامل إمام جمعة أردبيل من أن الأحزاب التابعة لأمريكا و«إسرائيل» لن تكون لها عاقبة ونهاية أفضل من عاقبة الإخوان المسلمين لأنهم خسروا كل شيء في قمار السياسة.

وأضاف عامل: إن هذا النظام بدّل الحرب من حرب بين المسلمين والإسرائيليين إلى حرب بين السنة والشيعة ورأى، أن ما يحدث في مصر ناشئ عن عدم تدبر الإخوان مشيرا إلى أن مرسي كان بصدد خيانة القضية الفلسطينية بتبعيته لأمريكا والأنظمة الاستكبارية.

فيما قال آية الله علم الهدى خطيب جمعة مشهد: «إن الشعب المصري صوّت لحزب إسلامي لكن هذا الحزب انتهك الأصول».

٣- الموقف الذي اتخذه بعض قيادات الجيش الإيراني والرافض للانقلاب ومنهم رئيس الأركان الإيراني حسن فيروزآبادي الذي دان الجيش للخطوة التي اتخذها حيث اعتبر تدخل الجيش المصري في الشؤون السياسية على خلفية الأحداث المصرية الأخيرة نقطة سلبية حسب وصفه.

وقال فيروزآبادي القريب من المرشد الأعلى الإيراني: «إن المهلة التي حددها الجيش المصري لمرسي قبل عزله منافية للعقل والثقافة الثورية لأن الرئيس المصري كان قد انتخب بأغلبية الأصوات وهو المسؤول عن العملية الديمقراطية».

وأضاف: «إن إقدام الجيش المصري على اعتقال مرسي يعد خطأ استراتيجياً فنحن نأمل أن يقدم إخواننا في الجيش المصري على الانسحاب من الساحة السياسية على وجه السرعة».

٤- الموقف المتناقض لوزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالح الذي اتخذ موقفا رافضا للانقلاب وللأحداث التي جرت في مصر غير أنه لم تكد تمر أربع وعشرون ساعة حتى اتخذ موقفا مغايرا، ففي العاشر من يوليو الماضي وبعد ثلاثة

أيام من المجزرة التي عرفت بمجزرة الحرس الجمهوري في السابع من يوليو الماضي والتي راح فيها عشرات الضحايا من أنصار الرئيس محمد مرسي قال صالح «إنه من المؤسف أن عددا من أبناء الشعب المصري الأبرياء قتلوا في أحداث الحرس الجمهوري الأخيرة، ونحن ندين ذلك بشدة».

لكن وبعد ذلك بساعات قليلة أعلنت الخارجية المصرية أن الوزير محمد كامل عمرو تلقى اتصالاً هاتفياً من نظيره الإيراني نقل خلاله مضمون التصريحات الصادرة بالأمس عن صالح والتي أكد فيها على أن مصر دولة كبيرة لها دور مؤثر وحاكم في المنطقة وأن الشعب المصري هو الذي يجب أن يحدد مصير بلاده وأن الجيش المصري هو جيش وطني.

ولم يكتفِ صالح بهذه التصريحات فحسب بل إن الأنباء تواترت عن أن سفره لتركيا بعد ذلك بأيام قليلة كان بهدف نصح الأتراك بعدم الحماس في دعم «الإخوان» بمصر لأنهم تخاذلوا كثيراً أمام أمريكا وإسرائيل وضغطوا على «حماس» لترك الكفاح ضد إسرائيل.

كانت تلك بعض نماذج للتدليل على براجماتية السياسة الإيرانية التي لا تسعى إلا لتحقيق المصالح الخاصة بعيداً عن المبدئية التي لا تمل من ادعائها.

مفاتيح التفسير

ليس من شك في أن المصلحة هي البوصلة التي تتخذها إيران لكل تحركاتها على المستوى الإقليمي والدولي غير أن ثمة ملاحظات عدة هي ما وقعت إيران في حالة من الاضطراب والتناقض تجاه الوضع في مصر قبل أن تحسم الموقف لصالح دعم وتأييد الانقلاب.

الأسباب التي دفعت لرفض الانقلاب:

❖ أنها وعت جيداً أن التقارب المصري – الإيراني الذي حدث خلال فترة تولي الدكتور مرسي للحكم كان أحد الأسباب التي استغللتها بعض القوى المناوئة للرئيس مرسي لإثارة الجماهير ضده خاصة في أوساط التيار السلفي الذي يتخذ

موقفاً شديداً للغاية من الانفتاح على إيران نتيجة التخوف من استغلال إيران لذلك والعمل على نشر المذهب الشيعي خاصة وأن إيران سعت لتوقيع اتفاقيات خاصة بالسياحة الإيرانية في مصر والتي زادت وربما أكدت هواجس هذا التيار وهو ما يعني أن تبقى إيران فزاعة ومن ثم فإن إيران كانت مطالبة بأن ترفض هذا المنطق.

❖ أن إيران لاحظت أن وجوه شبه كثيرة تجمع بين ما تم تجاه الدكتور مرسي وما تم تجاه الدكتور محمد مصدق رئيس الوزراء الإيراني في الخمسينات حيث تمكن الأمريكيون بمساعدة الطابور الخامس في إيران من إحداث انقلاب عليه وعودة الشاه الإيراني للحكم وإحالة مصدق للمحاكمة والحكم عليه بالإعدام ثم التخفيف عنه ليخضع للإقامة الجبرية حتى الموت.

في هذا الصدد ربما شعرت إيران بأن ما يحدث مع مرسي هو نفس ما حدث مع مصدق وعليه فإن الهدف من الانقلاب هو إعادة نظام الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك من جديد لتدخل العلاقات المصرية – الإيرانية حالة الجمود مرة أخرى.

❖ أن طهران تعلم ومنذ اللحظة الأولى للأحداث في مصر أن مسارها يروق للعديد من بلدان الخليج العربي وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية والإمارات ومن ثم فإنه وانطلاقاً من تعارض المصالح وتضاربها يفترض أن تكون مخالفة لمنهجها السياسي تجاه هذه الأحداث حيث الصراع السياسي في المنطقة بين طهران والرياض.

وترتبط هذه النقطة بسالفتها حيث بدا أن الموقف الغربي الأمريكي والأوروبي من الأحداث لم يكن صريحاً بشكل تام وإن جاء داعماً بشكل أو بآخر لما قام به الجيش المصري حيث اتسمت تصريحات المسؤولين الغربيين بالكثير من الضبابية التي اعتبرها الكثيرون بمثابة ضوء أخضر للجيش خاصة وأن الجميع كان يطالب بإنفاذ ما أسماه الجيش بخارطة الطريق.

ويجدر أن نتوقف قليلاً عند هذه النقطة إذ لم

يكن ذلك هو المرة الأولى التي تتوافق فيها مواقف طهران مع الموقف الخليجي والغربي على حد سواء فقد سبق وأن قدمت طهران كامل الدعم للولايات المتحدة الأمريكية في ضربتها العسكرية التي وجهتها للعراق عام ٢٠٠٣م بهدف تدمير الجيش العراقي والقضاء على الرئيس صدام حسين ومن ثم تزايد النفوذ الإيراني في العراق.

وتأتي علاقة إيران بفصائل وحركات المقاومة الفلسطينية كواحدة من الإشكاليات الرئيسية في الموقف الإيراني من الأحداث المصرية فالنفوذ الإيراني في الأراضي المحتلة مرتبط باستمرار الدعم الموجه من إيران لهذه الفصائل وهو ما كان يمكن أن يتنامى في ظل حكم الدكتور مرسي المنتمي فكريا وتنظيميا للإخوان المسلمين المرتبطين بعلاقة جيدة مع الفصائل الفلسطينية وبالتالي فإن غياب الإخوان عن المشهد سيصعب من مسالة تنامي هذا الدعم.

الأسباب التي دفعت لقبول الأمر الواقع:

❖ في الوقت الذي أعربت فيه الدولة الإيرانية عن ترحيبها الشديد بفوز الدكتور مرسي برئاسة مصر وحرص الرجل على زيارتها بعد مرور أقل من شهرين على توليه مهامه في زيارة وصفت بالتاريخية كونها تعد الأولى لرئيس مصري بعد قطيعة دامت لنحو ثلاثة وثلاثين عاما في الوقت الذي يحدث فيه ذلك يفاجأ كل الإيرانيين بما فعله الدكتور مرسي في خطابه خلال افتتاح قمة منظمة دول عدم الانحياز حيث الترضي على الخلفاء الراشدين بمن فيهم سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - اللذان يثيران حفيظة أغلبية الشيعة.

❖ النظر إلى الإخوان المسلمين والرئيس مرسي على أنهما خانا المبادئ فيما يتعلق بالعلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية ودولة الكيان الصهيوني حيث الاعتقاد بأن الدكتور مرسي هو من ضغط على حركة حماس للتوقف عن عمليات المقاومة والتوقيع على هدنة مع الكيان الصهيوني بضمان مصري ما أفقد حلف الممانعة ورقة قوية

للضغط على أمريكا و«إسرائيل».

❖ الموقف الشديد الذي اتخذته الرئيس مرسي من الوضع في سوريا حيث قطع العلاقات المصرية - السورية وأغلق السفارة السورية بالقاهرة وسحب القوائم بالأعمال المصرية من دمشق فيما أعلن الجهاد ضد الجيش السوري النظامي قبل خمسة عشر يوما فقط من الإطاحة به وهو ما أثار حفيظة الإيرانيين بشدة حيث يعتبر الأسد الحليف الأول والأهم لإيران في المنطقة.

❖ وجاء مقتل الشيعي المصري حسن شحاته ومعه عدد من المتشيعيين في قرية «أبو مسلم» بمحافظة الجيزة ضربة قاصمة بالنسبة للإيرانيين إذ كان بمثابة رسالة قوية للرد على أية محاولات إيرانية لنشر المذهب الشيعي الذي هو الهدف الأهم والأخطر للإيرانيين من وراء استعادة العلاقات الإيرانية المصرية.

واعتبرت إيران أن المؤتمر الذي عقد بملعب القاهرة وحضره الكثير من الإسلاميين ومن بينهم قيادات سلفية بمثابة الضوء الأخضر لوقوع حادث مقتل شحاته ورفقائه حيث شهد المؤتمر الكثير من الكلمات النارية المضادة للشيعة وطائفيتهم في ضوء ما يحدث في سوريا.

❖ كما أن إيران راهنت وحتى قبل أيام قليلة من استقالة الدكتور محمد البرادعي نائب الرئيس عدلي منصور الذي عينه المجلس العسكري خلفا لمرسي بعد عزله على أن تتحسن العلاقات المصرية - الإيرانية نظرا للعلاقة القوية التي تربط الدكتور البرادعي بالرئيس الحالي لإيران حسن روحاني منذ السنوات التي كان يتأخر فيها هذا الأخير فريق المفاوضات في الملف النووي.

(١) الصوفية والانقلاب

التحضير للانقلاب

في ١٤ يونيو، وقبل أسبوعين على بدء المظاهرات المطالبة برحيل مرسي، نشرت صحيفة «الفجر» المقربة من الصوفية والشيعة في مصر خبراً عنوانه «آلاف الأشراف والصوفية أمام قبر الإمام الحسين» يعلنون إسقاط شرعية مرسي، وقالت الصحيفة إن الصوفية استغلت الاحتفال بمولد الإمام الحسين عليه السلام، للمبايعة على إسقاط الرئيس.

واعترف المنسق العام لائتلاف الصوفية مصطفى زايد للصحيفة بأن الائتلاف العام للصوفية والاتحاد العام لشباب الصوفية ورابطة الصحوة الصوفية الأزهرية قد تحالفا مع حزب التحرير المصري وحزب الدستور والتيار الشعبي (أحزاب علمانية) من أجل المشاركة في ثورة ٣٠ يونيو لإسقاط شرعية الرئيس محمد مرسي.

المثير ما قاله زايد إن «الاحتفال بمولد سيدنا الحسين شهد جمع توكيلات لحركة تمرد من أجل سحب الثقة من الرئيس محمد مرسي العياط وجماعة الإخوان المسلمين وذلك لأن الصوفية على يقين تام أن الأمور في مصر لن تهدأ ولن تستقر إلا برحيل جماعة الإخوان المسلمين عن سدة الحكم».

كما نقلت الصحيفة تصريحات من داخل المسجد لعلاء الدين ماضي أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية ورئيس المنظمة الصوفية العالمية، طالب فيها «مريدي الصوفية بالاعتصام يوم ٣٠ يونيو أمام قصر الاتحادية وفي ميدان التحرير وعدم المجيء إلا بعد سقوط حكم الإخوان المسلمين على أن يقف شيوخ الصوفية خلف مريديهم بالنصيحة والإرشاد حتى لا يكون هناك أي نوع من أنواع التراجع عن الهدف الأكبر والأسمی إلا وهو إسقاط حكم المرشد».

وفي ١٩ يونيو نشرت الصحيفة ذاتها خبراً عنوانه «الصوفية تدفع بـ ٥٠ ألف شاب لحماية المتظاهرين ٣٠ يونيو» وقالت الصحيفة إنها رصدت استعدادات شباب الطرق الصوفية لمظاهرات واحتجاجات ٣٠ يونيو التي سوف تطالب برحيل الرئيس محمد

الوقود الطائفي للانقلاب في مصر...

الصوفية والشيعة نموذجا

معتر بالله محمد^(١) - خاص بالراصد

جاءتهم الفرصة على طبق من ذهب،

ليتخلصوا من عدوهم، كي يصبح الطريق ممهداً أمامهم للانتشار والتمدد بعقيدة تخالف السواد الأعظم من أهل مصر، وافقوا فوراً على التحالف مع النصاري والعلمانيين، وفلّول نظام مبارك لإسقاط الرئيس الإسلامي المنتخب، بعدما رأوا فيه حجر عثرة أمام طموحاتهم، وباتوا على يقين من غموض مستقبلهم إذا ما بقي على كرسيه، فكان لهم ما أرادوا .. عن الصوفية والشيعة نتحدث.

لعبت الفرق الصوفية وكذلك الشيعة دوراً

بارزاً في إسقاط الرئيس محمد مرسي، وحشدوا كافة طاقاتهم لتنفيذ الانقلاب العسكري يتقدمهم في ذلك شيخ الأزهر الصوفي أحمد الطيب، الذي ينحدر من أسرة صوفية، وشقيقه الأكبر محمد هو شيخ الطريقة الخلوتية، خلفاً لوالده.

لكن الصوفية - وعلى عكس الشيعة -

ظهروا بشكل علني معتمدين في ذلك على عددهم الكبير الذي يصل بحسب بعض المصادر إلى ١٠ ملايين نسمة موزعين على أكثر من ٧٤ طريقة، فنزلوا عن بكرة أبيهم نساء ورجالا، أطفالاً وشيوخاً، خلال المظاهرات التي انطلقت في ٣٠ يونيو مطالبة بإسقاط الرئيس.

وسوف نحاول في هذا المقال تتبع تحركاتهم في الفترة التي سبقت عزل الرئيس إلى الآن، والكشف عن نشاطهم وسعيهم للعب دور سياسي بارز على الساحة بعد الانقلاب العسكري.

(♦) كاتب مصري.

مرسي بعد فشله في إدارة البلاد، على حد وصفها.

وقالت الفجر إنها التقت بالقيادات الصوفية التي سوف تخرج على رأس هذه المجموعات الشبائية مثل الدكتور محمود حسنين، الذي سوف يخرج على رأس ٥ آلاف شاب من محافظة الجيزة، وأيضا الدكتور عصام عبد الباسط القيادي الصوفي بمحافظ أسوان سوف يخرج على رأس ألفي متظاهر، وأيضا القيادي الصوفي السيد شبل الذي سوف يخرج على رأس ثلاثة آلاف متظاهر من محافظة المنوفية، وأيضا القيادي الصوفي سمح قنديل بمحافظة البحيرة سوف يخرج على رأس ٤ آلاف متظاهر، وغير ذلك من القيادات والكيانات الصوفية التي سوف تخرج في مظاهرات كبرى من أجل إسقاط حكم جماعة الإخوان في ٣٠ يونيو.

هذه كانت البداية فقط، ففي ٢٣ يونيو وقبل أيام من المظاهرات، نشرت صحيفة «اليوم السابع» التي يرأس تحريرها خالد صالح، المعروف بعلاقاته الوطيدة مع أمن الدولة، تصريحات للمتحدث باسم ما يسمى (الصحة الأزهرية الصوفية) أكد فيها عن حشده الآلاف في فعاليات ٣٠ يونيو لإسقاط الرئيس مرسي.

كما تطرق الخبر إلى استعدادات قبيلة الأشراف بمحافظة قنا، ونقل تصريحات لأمين عام تجمع آل البيت، الذي أكد أنهم مستعدون للموت في سبيل إسقاط النظام، داعيا الصوفية في مشارق البلاد ومغاربها إلى إعلان النفير السلمي العام حتى التخلص من حكم جماعة الإخوان.

ما بعد الانقلاب

في ٣ يوليو جاء خطاب الفريق عبد الفتاح السيسي الذي أعلن بموجبه انقلابه على الرئيس مرسي، فأقام الصوفية الأفراح في مصر، والولائم ابتهاجا بما يرونه نصرا صنعوه بأيديهم.

ففي ٢٤ يوليو خرج السيسي مطالباً الشعب بتفويضه للقضاء على ما يسمى الإرهاب فأعلن ائتلاف الطرق الصوفية، واتحاد القوى الصوفية تفويضهما له وهو التفويض الذي اعتبر بمثابة ضوء أخضر لتنفيذ مجازر مروعة اهتز العالم لبشاعتها

في حق الإسلاميين، وبالفعل نزل الصوفية مجدداً إلى ميادين مصر لمنح السيسي صكا بقتل أبناء وطنهم، الذين طالبوا بعد ذلك بإبادةهم، وهو ما سنتعرض له لاحقا.

وفي اليوم نفسه أكد الدكتور عبد الله الناصر حلمي، أمين اتحاد القوى الصوفية، لصحيفة «الوطن» أن الاتحاد مشارك بقوة في فعاليات وتفويض السيسي في ميادين المحافظات المختلفة. مؤكداً أن اشتراك الصوفية في الفعاليات «لإظهار الوجه الصحيح للإسلام الوسطي الراض لتجار الدين والإرهابيين».

الصوفية والنور

تخلص الصوفية بالفعل من النظام، لكنهم لم يهدأوا بعد، إذ شكل بقاء حزب النور السلفي على الساحة صдаعا في رؤوسهم فودوا لو تخلصوا منه نهائيا، انتقاما من كل ما هو سلفي.

صحيفة «الجمهورية» الحكومية كشفت بتاريخ ٩ يوليو، عن هجوم عنيف شنته قيادات صوفية على حزب «النور»، حيث نقلت عن المهندس محمد صلاح زايد رئيس حزب النصر الصوفي قوله في لهجة انتقامية «لا ندري لماذا تم اختيارك في المرحلة الانتقالية؟ ومن الذي أعطاكم الحق أن يكون عندكم التدخل في اختيار ما يراه الشعب المصري صاحب الثورة؟، مضيفا، لن ننسى موقفكم من الدستور الظالم، وموقفكم من شيخ الأزهر، عندما قال أحد قادتكم بأننا ضحكنا على شيخ الأزهر في المادة الثانية في الدستور».

الانتقام

استمرار المظاهرات الحاشدة المؤيدة للرئيس المعزول في مصر، والتي خلفت ردود أفعال دولية واسعة، كانت سببا في قلق الصوفية، وخوفهم من أن تحشد هذه الفعاليات المزيد من المصريين الذين استفاقوا على خطورة الوضع بعد الانقلاب، فلم يكن من قيادات الصوفية سوى تحريض الجيش على المعتصمين، بوصفهم إرهابيين يعيقون مسيرة التقدم.

موقع «أخبار مصر» نشر بتاريخ ٢٣ يوليو تصريحات لعبد الله الناصر حلمي أمين عام اتحاد

الطرق الصوفية وتجمع آل البيت الشريف ووكيل مؤسسي حزب البيت المصري، يؤكد فيها أنهم «سيوفرون» الدعم الشعبي لقيام الجيش بفض الاعتصامات مهما كلف ذلك من ثمن، زاعماً أن «المتواجدين حالياً بإشارة رابعة والنهضة جهاديون يجب القبض عليهم فوراً واستجوابهم لأن لديهم الكثير من المعلومات ستقودنا إلى باقي الجهاديين».

فتوى عنصرية

ويتواصل التحريض فتتشر «الوطن» بتاريخ ٧ أغسطس فتوى شاذة رداً على الدكتور يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لأبو العزائم شيخ الطريقة العزمية، ورئيس الرابطة المصرية التي تضم صوفيين وأقباطاً، وذلك خلال إفطار جماعي جمع قادة الصوفية، إضافة إلى اللواء مراد موابي، رئيس المخابرات العامة السابق، ومجتبى أماني القائم بأعمال السفير الإيراني بالقاهرة بمقر مشيخة الطريقة العزمية بحي السيدة زينب.

أبو العزائم قال في فتواه إن: «من يموت من الإخوان وأنصارهم في مواجهات مع الشرطة والجيش فإنه يموت كافراً، ومن مات منهم أو من يدعون للجهاد في سوريا فإنه يموت كافراً، ومن يموت على أيديهم من الجيش السوري النظامي فإنه يموت شهيداً لأنه يدافع عن بلاده».

وشدد على ضرورة فض اعتصام ميداني رابعة العدوية والنهضة، موضحاً أن من يشارك فيه لا يشارك من أجل الإسلام، بل طمعاً في السلطة والحكم حتى لو أدى إلى خراب مصر، وطعماً في «جهاد النكاح» على حد زعمه.

دور سياسي

بعد التخلص من أعدائهم يسعى الصوفية حالياً إلى القيام بدور سياسي يؤهلهم لاحتلال جزء من المشهد القادم، حيث يحاولون على قدم وساق الإعداد لتحالفات سياسية لخوض الانتخابات البرلمانية القادمة، ودعت القوى الصوفية إلى تدشين تحالف يضم ٣٣ حزباً و ٣٠ طريقة صوفية. ولا يقتصر هذا الدور على المستوى الداخلي

فقط حيث نشرت صحيفة «الدستور» المصرية بتاريخ ٢٧ أغسطس خبراً يفيد بتشكيل لجنة برئاسة الدكتور عبد الهادي القصبي رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، وذلك للقاء عدد من سفراء الدول المناهضة لانقلاب ٣٠ يونيو، ومن بينها فرنسا وبريطانيا وأمريكا وتركيا وقطر للتأكيد على «عدد من الثوابت منها رفض التدخل الخارجي في الشأن الداخلي المصري على اعتبار أنه نوع من أنواع السيادة والتأكيد على ثورة ٣٠ يونيو ثورة شعبية وليست انقلاباً كما يروج المضللون ومطالبة تلك الدول بعدم الكيل بمكيالين».

(٢) الشيعة والانقلاب

أما الشيعة فقد لعبوا منذ مجيء الرئيس مرسي - كعادتهم - دوراً تآمرياً لإسقاطه، ولأنهم يعتمدون التقية التي تمثل ثلاثة أرباع عقيدتهم فقد ظلوا يعملون في صمت حتى نجح المخطط وقتها فقط بدأوا يتحدثون جهراً عن جهودهم طوال الفترة الماضية لإسقاط الحكم الإسلامي السني في مصر.

وتكفي الإشارة إلى اعترافات الشيعة على صفحاتهم الرسمية على الفيس بوك «مصر الفاطمية» والتي جاء فيها: «الحمد لله لقد كنا نحن المصريون الشيعة من أهم من دعموا وساعدوا حملة تمرد لإسقاط مرسي وإخوانه وهذه معلومة احتفظنا بها لأنفسنا لمنع أي تشويش على نجاح الحملة لدرجة أن المقر الرئيسي لحملة تمرد منذ ولادة فكرة الحملة كان هو مقرنا مركز مصر الفاطمية للدراسات وحقوق الإنسان وقد انطلقت الحملة من داخل المركز».

وأضافت: «قدّمنا لهم المقر يعملون فيه كما شاءوا وقد كان هذا للعلم أحد أسباب قيام نظام الإخوان المجرم باغتيال شيخنا الشهيد حسن شحاته قبل سقوطه بأيام في محاولة لتخويننا والانتقام منا.. هذا سر من أسرار حملة تمرد انتويننا أن نحتفظ به سرا حتى سقوط نظام الإرهاب والتطرف الطائفي

المجرم وها هو قد سقط فقرّرنا أن نعلنه ونشارك الجميع فيه».

هل تقود العقلانية إلى التشيع؟

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالراصد

يُتداول في الأوساط المتشيعّة أن عقلانية الطرح الشيعي كانت أهم عوامل جذبهم الأنصار إلى ما يعتبرونه منهج آل البيت، فمثلا المتشيع المصري صالح الورداني يقول: إن أسباب تشيعه تتمثل في الأطروحة السنّية التي هي وليدة السياسة وتقديم فقه الرجال على فقه النصوص، على عكس الأطروحة الشيعية التي تحكم القرآن والعقل فاستطاعت تجديد محتوياتها ومواكبة الواقع والمتغيرات. إضافة إلى تجربته مع الحركات الإسلامية المناهضة لكل ما هو عقلي لأن استخدام العقل عند القوم يعني الزندقة والضلال^(٢). وعموما يوصف الخطاب الشيعي عند الكثيرين بأنه خطاب عقلاني على عكس الخطاب السنّي، حتى أن (الاستبصار) وهو المصطلح الذي يطلقه الشيعة على من يلج في دينهم يوحي بظلمة تنيرها العقلانية والتأمل الذي يمكن من إبصار الحقيقة.

وأعطت الثورة الإيرانية والحركة السياسية للجمهورية الإسلامية عقب الثورة دفعة للشيعة، حيث عززت من حضورهم وشرّعت لهم الأبواب في مختلف المحافل. وأُسّس على نجاحاتها السياسية قناعات إضافية بصوابية المعتقدات الشيعية.

كما وجد الخطاب الشيعي بيئة مناسبة له في الأوساط الفكرية والثقافية والإعلامية التي كانت تتجاذبها التيارات اليسارية والعلمانية التي عملت على تحوير الدين الإسلامي وفق أجنداتها الأيديولوجية والسياسية، وفي هذه البيئة كانت

(١) كاتب جزائري.

(٢) صالح الورداني، الطرح الشيعي عوامل الجذب، شبكة الشيعة العالمية، على الرابط:

<http://www.shiaweb.org/shia/khedaa/pa24.html>

العقلانية الشعار الجامع بين كل هذه القوى في قراءة التراث للانطلاق نحو الحضارة، ومن هنا تسلسل التشيع بين هذه الأوساط وبدأت تبرز بعض الرؤوس المتشيعّة.

هذه العقلانية المزعومة تروج من خلال دعوى

النقاش الموضوعي والعقلاني للتراث والتاريخ كأحد أهم العناوين التي يرفعها دعاة التشيع، والبدائية تكون بنقض صحيح البخاري بشبهات واهية عن المختصين، ولكن لجهل المستبصرين والمتشيعين برد هذه الشبهات وعدم لجوئهم لأهل العلم، يصبح لا مناص عندها من الانتقال السنّة إلى الضفة الأخرى حيث رحابة العقل الشيعي زعموا. فهل حقيقة تقود العقلانية للتشيع؟

العقل الشيعي/العقل المتشيع

يفرق علي شريعتي، المفكر الإيراني المعروف، بين التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ويعتبر أن الدولة الصفوية أحدثت الكثير من المعتقدات الشيعية أو حرّفت معانيها ولا علاقة لها بالتشيع العلوي الأصيل. هذا الموقف لعلي شريعتي والذي يميز فيه بين تشيعين بناءً على مرحلة تاريخية ضمن نفس البيئة الاجتماعية يدفعنا أيضا للفصل بين العقل الشيعي والعقل المتشيع حيث القطيعة الجغرافية والتاريخية، والتي يستحيل أن تكون متطابقة فيها محددات تفكير كل عقل، رغم أن العقل المتشيع مجرد عقل ملحق، إذ يستند على كل مضامين وآليات تفكير العقل الشيعي، كون مصادر التثقيف واحدة ممثلة في الحوزات الشيعية في إيران ومختلف الدول العربية، وكل المؤسسات الدينية والسياسية والثقافية والإعلامية التابعة لطهران وما تبثه من مواد في الشقين الديني والسياسي. ولكن البيئة الاجتماعية المختلفة لها تأثيرها على العقل المتشيع، حتى وإن لم يظهر ذلك بشكل جلي فإنه يتمظهر في أشكال مختلفة إما عاجلا أو بعد حين.

إذ مهما كانت معتقدات أي مجتمع فإنها تخضع لقوانينه، ويكون الاقتناع بها على سبيل العادة والتلقين الذي يتم بتوجيه من العائلة بداية ثم

المؤسسة الدينية وغيرها من مؤسسات التشيعة الاجتماعية، ولكن هذا لا يعني نفي المعرفة العلمية لتلك المعتقدات بغض النظر عن محتواها، حيث توجد لكل مجموعة دينية كتبها المقدسة.

والمجتمع الشيعي ليس استثناء من ذلك، فالشيعة في العراق وإيران أو لبنان وغيرها من الدول التي بها تجمعات شيعية (أصيلة)، يؤرخ لها بقرون طويلة جدا، من الطبيعي فيها سبب الصحابة وضرب الزنجيل واللطم والنياحه في عاشوراء، وزواج المتعة وغيرها من المعتقدات التي يعجب ويستغرب منها المسلم السني في شمال إفريقيا بشكل خاص، الذي لم يعتد على مثل هذه المظاهر، وهو يشاهدها على الفضائيات ويتساءل عن علاقة هذه الأمور بالإسلام. ومن هنا تأتي أول معايير الفصل بين العقل الشيعي والعقل المتشيع، فهذا الأخير يخضع لتأثيرات بيئته الاجتماعية التي تلزمه رغما عن إرادته بآليات تفكير تبقى على خصوصية من نوع ما.

وتجاوز المتشيعين لهذه الحقيقة لمجرد تسليمهم بكل المعتقدات الشيعية، وتبنيهم لكل مواقف إيران السياسية، يعد أول وأهم مظاهر لا عقلانيتهم على عكس ما يدعون.

مظاهر اللاعقلانية دينيا:

يعاني العقل الشيعي من عدد من الأزمات^(١)، وهي ليست وليدة اللحظة إنما ارتبطت بالشيعة ارتباطا وثيقا منذ نشأتهم، لدرجة يمكن فيها وصف المعتقدات الشيعية بأنها معتقدات أزماطية، كونها وليدة الفراغات التي مرّ بها التشيع عبر مراحل تشكّله، ومحاولة ملئها بالتفتيش عما يسندها من نصوص بأثر رجعي، إذ أنه في المعتقدات الشيعية النص ملحق بالاعتقاد وليس سابقا له، وهذا ما يزيد من اضطرابها ولا عقلانيتها، مقارنة بالاعتقادات السنية، فبينما نجد الأخيرة لها أدلة كثيرة جدا في القرآن الكريم

(١) للكاتب مختار الأسدي كتاب تحت هذا العنوان (أزمة العقل الشيعي)، يحوي على عدد الدراسات التي منعت من النشر أو تحفظ على البعض من أجزائها، والتي تناقش قضايا شيعية عقدية وسياسية.

والسنة النبوية وآراء الفقهاء مؤسسة عليها، في المقابل المعتقدات الشيعية جُلها غير مؤسسة على ذاتها، وإنما مبنية على التشكيك في ونفي المعتقدات السنية. فالإمامة والتقية على سبيل المثال لا الحصر هناك نصوص كثيرة وصريحة عنهما في ما ينسب لأئمة أهل البيت من مرويات بينما أدلتها في القرآن والسنة النبوية تكاد تكون منعدمة!!

على هذا الأساس يفترض بمن يتخذ من العقلانية منهجا في التفكير أن يسلك في التعامل مع الخطاب الديني السني والشيعي نفس الآليات ويمارس النقد على كل المعطيات والمقاربات. وهذه الارتباكات والمآزق التي مرّ بها الفكر الشيعي وانعكاس ذلك على معتقداته تفرض الإمعان أكثر في هذه المعتقدات قبل الاستسلام لها أو التسليم بها.

فالعقلانية تلزم أن لا يتم الانتقال إلى التشيع قبل تمحيص مضمون المعتقدات الشيعية كما محصت المعتقدات السنية، والتمحيص يُسبق بالقراءة المعمقة، ولكن الانتقال السريع لهؤلاء وفي سن المراهقة يدل على عدم عقلانيتهم، خاصة وأن الكثير من العقائد والمظاهر التدين الشيعية لا تستقيم مع العقلانية، فعقيدة الإمامة تصطدم بالواقع التاريخي وتقتضى تكفير الصحابة وتحريف القرآن! أما مظاهر التشيع المناقضة للعقلانية فمن أهمها زواج المتعة، والخمس والاحتفال بعاشوراء، فضلا عن تضارب الآراء والمواقف من الصحابة في تراث أئمة أهل البيت أنفسهم ككتاب نهج البلاغة المنسوب لعلي رضي الله عنه، وموقفه من الخلفاء الثلاثة قبله، وتجاوز العديد من الحقائق الاجتماعية كالمصاهرات التي تمت بين الآل والأصحاب، وموقف الحسن رضي الله عنه من معاوية، ثم الموقف من الزيدية وبعدها الإسماعيلية التي لا تؤمن بالمهدي المنتظر عند الإثني عشرية، وليس أخيرا قصة الإمام الثاني عشر وغيبته الصغرى وحكاية السفراء الأربعة، وما تلاها من إشكاليات في نظرية الانتظار التي سادت لقرون طويلة واصطدامها بنظرية ولاية الفقيه.

والنقد والجدل السابق والحالي ضمن الدائرة الشيعية يدعو للإلحاح على العقلانية في التعاطي مع معتقداتها، خاصة عندما يتعلق الأمر بنفس المسألة التي يدعون أنها أدت بهم إلى هجرة أهل السنة والجماعة، فقد حارب الشيعة العقلانية التي ظهرت عندهم متأخرة لقرون طويلة، وتجلّى ذلك في الصراع بين الإخباريين والأصوليين. وكلاهما كان يسند موقفه بروايات منسوبة للأئمة^(١).

بناءً على هذا إذا افترضنا صحة القول بتغييب السنة للعقل فإن المنهج العقلاني يفرض على الباحث أن يقول نفس الشيء عن الشيعة، مع العلم أن الصراع لا زال مستمرًا داخل البيت الشيعي حول الموضوع في هذا العصر، فقراءة علي شريعتي ترفضها المؤسسة الدينية الشيعية، كما ترفض كل المساهمات في هذا الإطار مثل أبحاث أحمد الكاتب، ومثيلاتها من البحوث التي يزخر بها موقع اجتهادات التي تصنف ضمن نطاق «الدعوات العقلانية» في دراسة العقائد الشيعية^(٢)، كما ترفض مراجعات أقل منها مثل تلك التي ينادي بها حسن الصفار والمرجع اللبناني المتوفى محمد حسين فضل الله الذي حوّر ومورس ضده الإقصاء والتهميش، وهو اتجاه عقلاني لكن أتباعه ومقلديه في الأوساط المتشعبة فئة قليلة جدا، بينما يفترض أن تكون هي الأغلبية. ولكنهم فضلا على تبنيهم المعتقدات الشيعية جملة فإنهم يقفون ضد هذا التيار.

والانتقال إلى الاتجاه المتطرف يعكس لا عقلانية التحول، فحدية الطرح والانتقال السريع إلى يمين التشيع يبين القصور المنهجي. والملاحظ أن التحول يتمّ إلى الإثني عشرية المرتبطة بإيران دون غيرها من الفرق الشيعية ما يرجح تأثير الحدث السياسي في عملية التحول وليس العامل الديني فحسب.

(١) حسان عبد الله حسان، إشكالية العقل عند فقهاء الشيعة بين التقليد والاجتهاد، مجلة التسامح، على الرابط:

<http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=473>

(٢) رابط الموقع: <http://ijtehadat.com>

ومهما كانت البدع في الوسط السني والتي هي محل صراع حيث يرفض جمهور عريض من العلماء إن لم نقل جلهم أو كلهم، من مثل ما يقوم به الصوفية في الموالد وأضرحة الأولياء، إلا أنه لا يوجد احتفاء بتلك البدع مثلما يحتفل الشيعة بعاشوراء وما يواكبها من السلوكيات التي لا تستقيم مع العقلانية ولا تتقاطع معها في أي نقطة. ومع ذلك فإن المتشيعين يحتفلون بها، والأدهى من ذلك أنهم يشككون في صوم رسول الله ﷺ لعاشوراء، وإذا كان الصوم محل تشكيك فإن الأولى عدم الاحتفال بها كما يفعل الشيعة إطلاقاً.

وتبقى عموماً تهمة عدم عقلانية المنهج السني تهمة ساقطة، أبطلها علماء أهل السنة وناقشوا كل مفرداتها وفتّدوها بمختلف الوسائل، ومن يبحث ويقارن بين ما هو متداول من الطرفين كما يفرضه التجرد العلمي والعقلانية سيجد الكثير من الكتب والمؤلفات التي تكشف الحقيقة أمامه بعقلانية أهل السنة في مقابل خرافة التشيع!

مظاهر اللاعقلانية سياسياً:

لا يختلف الشق السياسي الشيعي كثيراً عن الشق الديني فهو بدوره مليء بالتناقضات، فأهم إشكالية سياسية تطرح عند المتشيعين تتمثل في موقف علماء أهل السنة من الأنظمة الحاكمة وما يراه (العقلانيون) خضوعاً وتسليماً للظلم والطغيان، ورغم علم هؤلاء أن هذه المسألة هي مدار نقاش وجدل، وحتى انقسامات بين الاتجاهات السنية، لكنهم يتغاضون عن ذلك، ويعمّمون التصور الذي لا يخلو من لا عقلانية في حد ذاته، إذ أن الإشكال ليس الإقرار بظلم تلك الأنظمة من عدمه ولكن في كيفية تخطيه، حيث التخوف من الفتن التي ترافق التغيير ودماء المسلمين التي تراق هو أهم كابح ومحدد لهذا الموقف السني. وبغض النظر عن هذا الجدل ما هو المقابل عند الشيعة؟

يبدو أن المتشيعين فتحوا أعينهم على ولاية الفقيه التي طورها الخميني ويغفلون قروناً طويلة سادت فيها نظرية الانتظار التي عطلت حتى صلاة الجمعة بحجة غيبة الإمام المعصوم. واعتبروا أي

تضرب بشكل مستمر النظام الإيراني والتناقضات داخله غائبة تمام عن عقل المتشيعين.

بل على العكس ينافحون عنه ويتصورون أن الشعب الإيراني يعيش في رغد، وأن طهران قوة اقتصادية كبيرة تضاهي الدول الأوروبية رغم أن الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن الاقتصاد الإيراني ريعي كغيره من اقتصاديات دول العالم الثالث، يعتمد على مداخيل النفط بنسبة الثمانين بالمائة، وهذا المعطى كفيل لتأكيد أن البلاد ليست بالقوة الاقتصادية الكبيرة كما يعتقدون، وأيضا نسبة التضخم التي بلغت وفق الأرقام الرسمية الأربعين في المائة بتصريح من الرئيس الجديد حسن روحاني وقبله هاشمي رفسنجاني، ومن المعلوم أن الأرقام الرسمية في الغالب الأعم في الأنظمة العالمية ثالثة تقلل من السلبية وتضخم الإيجابية، ولكن عقلانية المتشيعين تختفي في هذا الجانب.

وفي السياسة الخارجية فإن حجم التناقض أكبر بكثير لدرجة تجعل المتابع يعتقد أن المتشيعين مجرد حمقى ومغفلين وليس لديهم عقلانية ولا هم يحزنون. فبينما يدينون الأنظمة العربية لتواطئها مع الولايات المتحدة الأمريكية في احتلال العراق، يغضون الطرف عن سياسات إيران هناك جملة وتفصيلا، بل ويجدون في المفاوضات بين الطرفين حول العراق وفرض طهران للمالكي في انتخابات ٢٠١٠ رغم أحقية القائمة العراقية برئاسة إياد علاوي بتشكيل الحكومة دليلا على مهارة إيران وقوتها، ويعتبرون في نفس الوقت أن الشيعة هم من حرر العراق بزعامة المالكي الذي جاء على ظهر الدبابة الأمريكية وحظي بتزكية المراجع الشيعة، وكأنه نسخة ثانية من المهاتما غاندي بطل المقاومة السلمية في الهند.

وموقفهم من الثورات العربية أشد غرابة فلم يخرج قيد أنملة عن الخط الإيراني، وهو ما تكشف في الثورة السورية وتناقض مواقفهم تبعا لبوصلة الملالي، خاصة وأنهم كانوا يعتبرون ما

حاكم مفتصبا لحقوقه. ولكن فقهاء الشيعة خلال هذه المرحلة لم يجدوا مانعا من التعامل مع الأنظمة الشيعة التي نشأت في هذه الحقبة، ووقعت بينهم خصومات، كان آخرها قبيل تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران حول الدستور بين مؤيدي الدستورية المشروطة وأنصار الحكومة المستبدة^(١).

أما نظرية ولاية الفقيه التي يهلل لها المتشيعون فهي تعني السلطة المطلقة والدائمة للمرشد الأعلى الإيراني على أساس نيابته للإمام الغائب، وهذه الأخيرة رفضها مراجع كبار أيام الخميني. ومن جهة أخرى فإن السلطات التي تُمنح للمرشد هي أسوأ بكثير من تلك التي تمنح للحاكم عند السنة، أو على الأقل لا تختلف عنها، ولكن المتشيعين يغفلون هذا الجانب ويركزون فقط على الانتخابات الرئاسية التي تجري كل أربع سنوات ويفاضلون بالديمقراطية على الطريقة الإيرانية، والإشكال أن هذه الأخيرة عليها العديد من المآخذ التي لا تستقيم مع القيم الأخلاقية المفترضة في النظام الإسلامي والتي يزعم المتشيعون أنهم تركوا منهج أهل السنة بحثا عنها.

في مقدمة هذه المآخذ ما حصل لنائب المرشد الأول آية الله حسين منتظري في أيام الخميني وحتى وفاته، وما يجري من اضطهاد للتيار الإصلاحي الذي يقبع تحت الإقامة الجبرية وأبرز قادته مير حسين موسوي ومهدي كروبي اللذين شاركوا في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩ وسبق لهما تولي مناصب عليا في الدولة. وحتى داخل التيار المحافظ بين (النجادية) أو التيار المنحرف كما يصطلح عليهم بسبب ما يعتبرونه خرافات الرئيس السابق أحمد نجاد عن المهدي التي كانت محل غضب وسخرية آيات الله من هذا التيار. لكن الهزات التي

(١) اختلف علماء الشيعة حول فكرة الدستور من الأساس سواء في الدولة القاجارية أو الدولة العثمانية بين مؤيد للمشروطة والحياة الدستورية، وبين رافض لها متشبث بالحكم الاستبدادي خشية على التقاليد الدينية. لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: رشيد الخيون، النزاع على الدستور بين علماء الشيعة المشروطة والمستبدة، دبي: دار مدارك، ٢٠١١، ٢٣.

يجري في البحرين ثورة شعبية. فإذا افترضنا أن الموقف السني غير عقلاني وطائفي يتعامل مع القضايا من زاوية وبعد مذهبي، فكيف نفسر الموقف الشيعي في المقابل إذا كان يخضع لنفس الآليات فإنه بدوره غير عقلاني.

وقد نتفهم ذلك في حالة العقل الشيعي، ولكن ماذا بالنسبة للعقل المتشيع؟ إذا كان لجأ إلى الشيعة لعقلانيته فيفترض به أن يستمر في تأييد الثورات على أساس عقلاني، ولا يتعامل معها من بعد طائفي، خاصة وأن المظاهرات في البحرين سبقت الثورة السورية وبالتالي يفترض أن تكون هناك استمرارية في نفس الموقف والتحول يعكس تناقضا في القراء، فهل يعقل أن يثور شعب عدد سكانه في حدود المليون نسمة ضد نظام ملكي ولا يثور أكثر من عشرين مليون نسمة ضد نظام جملوكي؟

ونشير هنا للفارق الديمغرافي لأن المتشيعين يغيبون البعد الاجتماعي نهائيا في تحليل ما يجري في سوريا ولا يستحضرونه إطلاقا لأنه يثبت أن البعد الطائفي هو الذي يحرك شيعة البحرين وأن التخندق الشيعي إلى جانب النظام السوري لأنه نصيري ينتمي إلى نفس الملة. كما أنه يعكس مصادرة العقل لديهم وتقزيمه وتقليصه بل وحتى مصادرته.

وأسوأ ما في الأمر أنهم ينددون بالبعد الطائفي المتحكم في المواقف السنية رغم علمهم أنهم كمتشيعين ما يحرك ويوجه مواقفهم في الحقيقة هي الدوافع الطائفية. ولكنهم لا يفصحون عن هذا الحس الذي يضعوه من تشيعهم.

والمسألة لا تتوقف عند هذا الحد فالطائفية عند القوم هي أهم أمارات المؤامرة الغربية لتقسيم الأمة بإثارة النعرات الطائفية. وإذا سلمنا جدلا مع المتشيعين الذين يرددون الأسطوانة الإيرانية المشروخة التي تتحدث عن مؤامرة صهيوي-أمريكية لتقسيم الأمة من خلال افتعال الحروب الوهمية بين السنة والشيعة، فإن المتشيعين أنفسهم أحد أهم وسائل هذه المعركة وأدواتها، فبنشاطهم

وسعيهم الدؤوب لنشر التشيع في أوساط أهل السنة مع علمهم بردة فعل قطاع كبير منهم قد تصل لحد السجل كما حصل مع المتشيع حسن شحاته في مصر، فإنهم يؤكدون أنهم غير عقلانيين.

وما دامت إيران كدولة والمرجعيات الشيعية ومختلف مؤسساتها وحركاتها السياسية تحرص على نشر التشيع وتدعمه كما يعلم المتشيعون أنفسهم هذه الحقيقة أكثر من غيرهم، فإن هذا يحتمل بتحليل عقلاني أمرين لا ثالث لهما: إما أن إيران متورطة في هذه المؤامرة وتتسق مع الصهيونية وإما أنها غبية ولا تدرك أنها تقدم خدمات مجانية لها.

وبالعودة إلى القراءات النقدية للمعتقدات الشيعية، فهناك نقد عقلاني آخر موجه لحزب الله، وخطاب مناهض ومعتز على توجهاته السياسية من نفس الدائرة وليس خارجها أمثال صبحي الطفيلي الأمين العام السابق لحزب الله وهاني فحص ومحمد حسن الأمين، وهي قراءة عقلانية تدعو إلى تجنب توريط الطائفة في صراعات ضد الأمة وتنتقد سياسات إيران التي تسببت في إحداث شروخ بين الشيعة وشركائهم في الوطن، وأن هذه السياسات ستتولد عنها ردود أفعال يدفع جرائها الشيعة ثمنا باهظا.

ولكن المتشيعين المدّعين للعقلانية والذين يفترض بهم الوعي بمثل هذه المخاطر نتيجة ردود الأفعال ضدهم في مجتمعهم كالعادة يعيشون في غيبوبة ولا يلتفتون لمثل هذا الكلام العقلاني بل هم أشد تحمسا للخطاب الثأري الانتقامي ويتمسكون بالمواقف السياسية الإيرانية على تناقضاتها وبالنسبة لهم أي تراجع معناه خذلان آل البيت وضعف وذلة (وهيهات منهم الذلة).

الخلاصة

يستعصي على الباحث أن يجد رابطا بين العقلانية والتشيع، فقد نتقبل أن تؤدي العقلانية إلى العلمانية أو الليبرالية بشكل أو آخر. أما أن ينتقل شخص من التسنن إلى التشيع وينسب ذلك للعقلانية فالأمر صعب جدا. إذ لو بذل المتشيع عشر عقلانيته

لماذا يخشى العراق الضربة العسكرية لسوريا؟

صباح العجاج (*) - خاص بالرائد

تُحتبس الأنفاس مترقبة تنتظر الضربة العسكرية الغريبة ضد نظام بشار الأسد، ويسود القلق والخوف أروقة الأحزاب الشيعية العراقية الحاكمة وغير الحاكمة من تداعيات الهجوم المحتمل على نظام الأسد الحليف الاستراتيجي لإيران؛ فهناك تسابق في إعلان النخب الشيعية العراقية رفضها الهجوم على نظام الأسد، ويحث رئيس الحكومة نوري المالكي وزير خارجيته هوشيار زبياري على تعطيل أي موقف عربي لإدانة جريمة النظام السوري باستخدام الأسلحة الكيماوية، وإعطاء غطاء سياسي للضربة الغريبة، رغم أن الأحزاب الشيعية وصلت إلى السلطة بعد غزو العراق وضربه من قبل أمريكا وإطاحتها بصادم حسين.

وتخشى عدة أطراف سياسية شيعية من تداعيات الضربة العسكرية على السلطة القائمة في بغداد، فلماذا هذه الخشية؟
مصادر الخشية العراقية:

معلوم لدى الجميع أن العراق يُحكم من قبل الأحزاب الشيعية، وبالتحديد من مكون معين من الأحزاب الدينية الشيعية (حزب الدعوة/ نوري المالكي) والذي استأثر وسيطر بالحكم دون بقية الأحزاب الشيعية.

في الوقت ذاته أصبحت الهيمنة الإيرانية داخل العراق قوية بحيث لا تستطيع أي حكومة شيعية عراقية - أيًا كان انتماءها - من التحرر والتخلص أو التملص من هذه الهيمنة، رغم أن الحكومة الشيعية كانت تريد وترغب في أن تبني علاقة صداقة ومعاونة مع إيران لا علاقة تبعية؛ لأنّ

في التعامل مع المعتقدات والأفكار الشيعية لما لبث في تشيعه لحظة واحدة.

وما يتوهم المتشيعون أنه عقلانية قادتهم إلى التشيع ما هو في الحقيقة إلا انبهار سياسي في بيئة متردية دافعه شغف المراهقة للتطلع إلى ما هو جديد ومختلف، أصبح في مرحلة تالية يقينا مطلقا عند المتشيعين، يصطدم بين الفينة والأخرى بالعقلانية التي تحفزها البيئة المختلفة، غير أن الكبر وأنا العارفة تحول دن مراجعة عقلانية للمعتقدات بنفس الطريقة التي دخلوا منها، وتجد في «مجتمع الظل» للمتشيعين نوعا من السكينة المتوهمة.

هذا يدل على أن ما قاد إلى التشيع ليس العقلانية بحد ذاتها وإنما هو البحث عن التفرد نتيجة الشعور بالتميز. فاعتقاد المتشيعين أنهم متفوقون ومتميزون في مجتمعاتهم هو السبب الذي يدفعهم لتبني المعتقدات الشيعية التي وجدوا فيها ما يعبر عن تميزهم، وإدراكهم لما تقصر عنه من حقائق لعقولها التقليدية.

وكما بدأنا بعلي شريعتي في الفصل بين العقل الشيعي والعقل المتشيع نختم به أيضا من خلال مقاربتة الأخرى عن النباهة والاستحمار، فما اعتقد المتشيعون أنه نباهة وعقلانية دفعتهم إلى التشيع ما هو في الحقيقة إلا استحمار، كيف لا، والمتشيع يفاخر بالعقلانية التي أوصلته للطعن والسبب والسخرية والاستهزاء ليس من رموز الآخر الذي يفترض بالعقلانية كمدخل للتحضر أن تجعله يحترمها، وإنما رموزه الدينية التي يجلها القريب منه قبل البعيد، والأسوأ من ذلك أنه يعتبر هذا رقا وتطورا، فإذا لم يكن هذا هو الاستحمار بعينه فأين ومتى يكون الاستحمار؟

ونتهي بمقاربة أخرى لعلي شريعتي ونتساءل: متى يعود المتشيعون إلى الذات؟؟؟

(*) كاتب عراقي.

الشبيعة العراقيين يشعرون أنهم يمتلكون بلداً غنياً، ولا حاجة لهم بإيران، وأن العديد من الاتجاهات الشيعية كانت لها رغبة بعلاقة شيعية أمريكية، وليست شيعية إيرانية إلا أن إيران ترفض ذلك وتصر على تبعية شيعية خالصة لها بحكم نظرية (ولاية الفقيه).

أما الخشية من الضربة السورية فهي مصلحة مشتركة بين الطرف الشيعي العراقي الحاكم وغير الحاكم، والطرف الإيراني.

الجانب العراقي؛ شبيعة السلطة وغيرهم: هذا

الفريق يخشى من تبدل الموازين في المنطقة، وأن يخسر حليفاً قوياً (سوريا) طالما آواه ودعمه خلال فترة المعارضة في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، فقد تواجدت الأحزاب الشيعية بوفرة في سوريا وتحت رعاية أجهزة مخابراتها.

كما تمثل سوريا فضاء تتحرك فيه الشخصيات والأحزاب الشيعية العراقية بكل أريحية وحرية، فخسارة سوريا خسارة حليف مهم للشبيعة.

في ذات الوقت يمتلك هذا الحليف (سوريا) علاقات جيدة بالأحزاب الشيعية اللبنانية (حزب الله وأمل) وهناك علاقة استشارة وملجأ وعلاقات فساد اقتصادي كبيرة بين كل الأحزاب الشيعية العراقية واللبنانية، فلبنان مأوى لكل السياسيين الشيعية، ومن خلاله يتم تهريب أموال الفساد العراقي إلى داخل لبنان ومنه يتم غسيل الأموال أو نقلها إلى بنوك أخرى، وسوريا ممر آمن ووسيط جيد بين لبنان والعراق.

كل هذه الأمور ستُفقد في حالة زوال النظام السوري العلوي، وستقلب الآية، وستكون الشام مأوى للسنة العراقيين وملجأ وعمقاً لهم. وسيكون هناك أرضية لتواجد المعارضة السنية وغيرها ضد النظام العراقي الشيعي، وكل هذا يشكل خطراً على الحكومة الشيعية.

وكذلك تمثل سوريا عمقاً لكل المحافظات السنية في العراق، فحدود المحافظات السنية (نينوى والأنبار) هي حدود العراق مع سوريا، وبقية

المحافظات العراقية (صلاح الدين وديالى وكركوك وبغداد) ملتصقة بهذه المحافظات السنية فهي تشكل ديمغرافية سنية خطيرة، تقف بموازاة الامتداد الشيعي للجنوب مع إيران.

من ناحية أخرى ستجد المقاومة العراقية - وهي مقاومة سنية بامتياز^(١) - ملجأً جديداً داخل سوريا بوضع جديد مختلف عما سبق إذ أن أي خطر سيواجهه سنة العراق فإن المقاومة ستجد أرضاً وفضاء تتحرك بها وتخطط منها، وحاضنة ترحب بها؛ لأن من مصلحة سوريا الجديدة وجود سني قوي، وإضعاف الوجود الشيعي في العراق.

كما سيكون لسيناريو الإقليم السني (المحافظات السنية) أرضية للعمل بصورة جيدة وبدعم من قبل سوريا أو مباركة غير معلنة، ليكون حاجزاً بينها وبين الحكومة العراقية الشيعية وإيران. كما أن هناك مصالح اقتصادية بين العراق وسوريا وستكون بشكل أكثر وأكبر بينها وبين المحافظات السنية.

وأهم من ذلك كله أن هناك وفرة تسليح كبيرة داخل سوريا ستتيح للمقاومة العراقية الشريفة سهولة العمل داخل العراق؛ لأنها مصلحة مشتركة (عراقية سورية).

حركة استباقية للحكومة العراقية:

منذ أشهر وقلق المسؤولين العراقيين من الوضع في سوريا يتزايد، ومع سيطرة الثوار السوريين على منطقة اللاذقية مُقتربة من قرى مدينة القرداحة (بلدة بشار الأسد) حتى دق ناقوس الخطر في سوريا وإيران والعراق، ومع أخبار تدفق أسلحة نوعية للثوار ازداد الأمر وتفاقم برأي هؤلاء الذين أحسوا بتغير الأوضاع وضعف النظام برغم حجم الدعم الكبير من حزب الله ومليشيات عراقية (ميليشيا أبي الفضل العباس) وغيرها، مع الحدث الأهم وهو محاولة اغتيال بشار يوم عيد الفطر.

(١) صدر بيان من المقاومة الإسلامية (حزب الله) في العراق وفيه تهديد بضرب المصالح الأمريكية بالمنطقة في حال توجية ضربة عسكرية لسوريا، ومعلوم للجميع أن الشيعة لم يكن لهم أي مقاومة للمحتل الأمريكي طوال فترة احتلاله للعراق.

عندها جرت حركة استباقية قوية في العراق؛ محطة ومسرح التحركات الإيرانية؛ فإزدادت ضربات وانفجارات السيارات المفخخة في العراق بشكل غير طبيعي، تضرب مناطق سنية تارة وأخرى شيعية بشكل عشوائي بلا هدف سوى إثارة الفوضى والقتل والدم، وجرت حادثة سجن أبو غريب وقرار قيادات القاعدة منه.

زامن ذلك تدهور الأوضاع في مدينة الموصل بشكل واضح، وشلت القاعدة حركة المدينة وسيطرت على جوانب مهمة منها مع وجود قوات كبيرة من الجيش الشيعي فيها، هذا العمل المفبرك والمرسوم بدقّة من قبل إيران بالتعاون مع بعض القوى الأمنية العراقية أدى إلى إطلاق عملية من قبل الحكومة العراقية للسيطرة على حزام مدينة بغداد السني، مدعية أنه مصدر هجمات القاعدة على مدينة بغداد وغيرها، أسمتها (ثأر الشهداء) اعتقلت به مئات من السنة بدعوى الإرهاب!

تزامن هذا مع عملية هروب سفّاك دماء السنة، قائد الفرقة ١٧ في الجيش العراقي، ناصر غنام هو وعدد من الضباط والجنود (وصل العدد إلى ٥٠٠ عسكري) بأمر منه بحجّة فشل عملية حماية سجن أبي غريب إلى خارج العراق مهربا كما كبيرا من الأموال معه، وذاهبوا إلى الأردن - مصر ومنها إلى سويسرا. وهروبه مُفبرك كي لا يتعرض للمساءلة من قبل أحد من النواب أو المسؤولين ويكشف الأمر، ولتضيق حقيقة وفضيحة تهريب السجناء.

أما عملية ثأر الشهداء فهي حركة استباقية لاعتقال أكبر عدد من السنة النشطين؛ ممن له علاقة بالمجاهدين والمقاومين العراقيين أو من الذين يمكن أن يتحركوا مستقبلا، تحسباً لأي انعكاسات جديدة بعد سقوط بشار.

الجانب الإيراني:

أمّا بالنسبة لإيران فسوريا لها شأن مختلف؛ ففقدان سوريا هو كسر لهلالها الذي عملت سنين طويلة لصناعته، وصرفت أموالا طائلة على ذلك، منذ زمن حافظ الأب إلى الابن بشار الذي أصبح

رهينة بيد إيران كما يقال، وكان مخطط إيران كبيرا؛ فقد كانت تخطط على أن تنشئ الهلال الشيعي الذي يمتد من إيران - العراق - سوريا - لبنان؛ ليكون هو البداية للدولة الإسلامية الشيعية العظمى التي ستتحقق عام ١٤٥٠هـ كما وعد بذلك آية الله مطهراني عام ١٤٠٠هـ؛ لذلك سترمي إيران بقضّها وقضيضها لتتقذ سوريا إلى آخر رملق للنظام^(١). وستدفع حكومة العراق وحزب الله بكل جهدهما العسكري والمادي لإنقاذ بشار ونظامه.

لقد كانت سوريا بشار، جزءا من المخطط الذي تمارسه المخابرات الإيرانية لشراء أصوات السنة وشيوخ العشائر السنية العراقية وذمهم برواتب وهبات ونساء، بديلا عن سفرهم المباشر إلى إيران واقتضاحهم، كما كان لتواجد المقاومة العراقية في سوريا - مضطرة - معرفة بتفاصيل التحركات المقاومة السنية لإيران، وبدلا من الامتداد الشيعي الإيراني العراقي السوري اللبناني، سيُكسر الهلال ويتولد امتداد وتعاون جديد: سوري - تركي - سنة العراق (محور سني قوي)، سيكون شوكة لإضعاف العلاقة الشيعية (اللبنانية والعراقية) ويؤدي إلى تقلص الوجود الشيعي. وهذه حسابات يفهمها من يعمل في الإستراتيجية والأمن القومي للبلاد الذي لم يعد في حدود الدول كما كان التفكير سابقاً.

وستفضح الوثائق التي سيُعثر على بقاياها بعد ذهاب النظام السوري عن علاقات مخيفة بين إيران وسوريا من جهة، وسوريا والعراق الشيعي الجديد، وسوريا وحزب الله. عندها سيكتشف الجميع كم كان أثر الثورة السورية عظيماً في العالم الإسلامي مهما كان نوع النظام الجديد في سوريا، وسيغبط

(١) هذا ليس أمراً مكتشفاً بل هو مكتوب منذ سنين، ومتوفر للجميع فعجبا للرئيس المصري السابق مرسى - فكّ الله أسره - عندما صرح في زيارته لطهران بتاريخ ٢٠/٨/٢٠١٢م، أن إيران ليست جزءا من المشكلة بل هي جزء من الحل، ودعا إلى أن تكون إيران في اللجنة الرباعية لحل الأزمة السورية.

لهؤلاء فقط؟ حتى غدت لهم مقررات كبيرة في العراق. إن الجماعات التكفيرية كانت عن قريب (قبل الحراك السوري) مسرحها داخل سوريا ومنها تنطلق للعراق وصلتها بالأجهزة الأمنية السورية معروفة.

اليوم بسهولة ويسر تحولوا إلى مقاومة، ولو لم يوجد هؤلاء المتطرفون في سوريا لأوجدها الأسد واخترعها فهي واجهة مهمة في تشويه الثورة المدنية والنبيلة لأطفال درعا، ويصدق ذلك ما فعلته هذه الجماعات في العراق من تشييط لهم وإحداث تفجيرات تخلخل الأمن، حتى أعلنت السفارة الأمريكية مغادرتها للمنطقة الخضراء، كل ذلك برر للحكومة انتشار أمينا غير مسبوق لتبرير كثير من التحركات الأمنية، وكان من أشهرها تحرك قوات إيرانية (عشرة آلاف إيراني) بملابس جنود عراقيين، من منطقة جنوب الثرثار متوجهة إلى الحدود السورية العراقية جنوب محافظة نينوى ثم تبعها بعد ٢٠ يوما قوات من منطقة النخيب، والتي تم السيطرة عليها من قبل جنود عراقيين وإيرانيين، للتوجه إلى الحدود الأردنية العراقية.

بعد الضربة الكيماوية المفجعة التي أودت بحياة ١٥٠٠ بريء ومدني سوري في الغوطة. هذه قراءة للأحداث وتحركات الحكومة العراقية قبيل الضربة الأمريكية المنتظرة لسوريا.

موقع القاعدة في الصراع "الإسلامي - الشيعي"

سعيد بن هازم السويدي^(١) - خاص بالرائد

تشهد منطقتنا منذ أكثر من ثلاثة عقود صراعاً شرساً مع الشيعة، ولا بد من الاعتراف أولاً بأن الشيعة حققوا مكاسب كبيرة وانتصارات عديدة وتمكنوا من السيطرة المباشرة وغير المباشرة على أجزاء واسعة من بلادنا.

وقد ندرك بعض أسباب التفوق الشيعي، إذا

(❖) كاتب عراقي.

كل من دعم هذه الثورة بمال أو سلاح أو كلام، بعظيم الأثر على الأمة قاطبة، ويتحسّر من خذل هذه الثورة أو صرف الناس لغيرها من الثورات لغايات ورؤى حزبية ضيقة، أو لم يحسب لها حسابها، وقد ثبلى المليحة بالطلاق!

وستعود سوريا داعماً للسنة العراقية ولكل الوطنيين الشرفاء في العراق؛ لأنه من مصلحتها وأمنها القومي، بعد أن كانت داعمة للأحزاب الشيعية، كما أنّ من مصلحة الطرفين (العراقي والسوري) توجّه المال العراقي وأثرياء العراق للاستثمار داخل سوريا؛ فسوريا بعد التحرر من نظام سوريا العلوي الشيعي سترحب بأي استثمار سني عربي، وستكون سوريا بحاجة إلى إعمار البلد بعد أن دمّرت حروب السنين الثلاث، وستكون سوريا الجديدة باقتصاد حر مفتوح منافساً للبنان؛ لذلك فإن توفير بيئة آمنة جيدة مطلوب من حكومة سوريا الجديدة؛ لأن رأس المال جبان؛ وستسعى إسرائيل وإيران والحكومة العراقية (الشيعية) وربما غيرها من دول الغرب ومن يعينهم إلى جعل سوريا أرضاً قلقة غير مستقرة مُشغلة بذاتها غير قادرة على دعم غيرها.

التطرف دائماً حاضر لحل مشاكل

الخصوم:

منذ معركة القُصير ونحن نسمع من حسن نصر الله نغمة جديدة وهي أنّه يقاتل التكفيريين والقاعدة، ثم ارتفعت هذه النغمة في العراق كذلك، وأصبح سيناريو هروب المساجين من القاعدة من السجون في عدة دول، وانشغل العالم بأفريقيا والقرن الأفريقي واليمن، وسيناء والشام والعراق بتحريك كبير للقاعدة، وتكونت دولة الإسلام في العراق والشام، وكما ذكرنا انتشرت القاعدة في الموصل، بشكل غير مسبوق وتواردت الأخبار عن مقر في العراق للمتطرفين ينفذ عمليات داخل سوريا ويهرب للعراق فأين الجيش العراقي؟ ولماذا أقام الجيش العراقي الدنيا عندما اقترب الجيش السوري الحر وبعض الفصائل السورية من الحدود العراقية السورية، ولماذا الحدود مستباحة

نظرنا إلى اتحادهم واجتماع كلمتهم واتفاق جموعهم على محاربة المسلمين، وهذا الاتحاد والاجتماع لا يتأتى إلا بوجود قضية عامة ومصلحة عليا تتمحور الجهود حولها، وهذا يتطلب بالضرورة تقديم التنازلات وتأجيل الخلافات الداخلية في سبيل نصر القضية الأساسية والهدف الاستراتيجي للمذهب.

كلا الأمرين: (الإيمان بالقضية، والعمل الجاد من أجلها) يفتقد هما الجانب السني، فلا يقف بوجه إيران ومشروعها سوى ثلة من السلفيين على قلة في إمكاناتهم، وخذلان من بني جلدتهم.

فنحن أمام مواجهة غير متكافئة بين عدو يُحسن المكر ويحترف شن الحروب واختراق البلدان، ومجموعة قليلة العدد محدودة الخبرة والقدرة، وعليه فأولى أولويات هذه الجماعة هو الحرص على تماسك صفها ونقائه ضماناً لسلامة العمل وديمومته.

وأهم التحديات التي تواجه المشروع المناهض للتشيع ظهور فئات دخيلة متطفلة تزعم الحرص على المصلحة السنية، وتسعى لإقصاء مخالفيها والعبث في ساحة المواجهة مع إيران.

وحتى نجنب الكلام الإشارات والرموز، فإن تنظيم القاعدة ومن يسمون بالجهاديين يحاولون تقديم أنفسهم كمقاتلين غيارى على الإسلام والسنة وأهلها، غير أنهم في واقع الحال مساهمون بقوة في إضعاف الجبهة السنية وخلخلة صفوفها وتمكين عدوها منها، ومن يعشق نظرية المؤامرة لا يتردد بالقول إن القاعدة أصبحت أداة إيرانية لإفشال محاولات التصدي لإيران!

إن الأدلة والحجج التي يستند إليها من يتهم القاعدة بالعمل لصالح إيران قوية ومتينة لا يمكن معارضتها وتفنيدها ومن أهمها:

١- **عدم إنكار القاعدة للاتهامات بالعمالة لإيران:** وهذا من أقوى الدلائل لأن القاعدة تحترف

توجيه الاتهامات لمخالفينا، وتسارع إلى نفي كل ما يسيء لسمعتها فهي خير من يجيد الحرب الإعلامية، لكنها لم تواجه هذه الاتهامات سوى ببعض النفي المتواضع والإنكار الخجول الذي لا يفند تفاصيل الاتهامات، وغالباً ما تتجاهل القاعدة الحديث عن هذا الأمر، وكأنه لا يعنيها!

٢- **عدم التعرض لإيران ومصالحها وحلفائها في عملياتها:** وهذا واضح بين القاعدة استهدفت بتقجيراتهما: نيويورك ومديرد ولندن والرياض والرباط وعمّان، وأحرقت العراق وما زالت، وتعبث لليوم بأمن اليمن، لكنها لم تتعرض لإيران وسوريا ولبنان ولم تضرب مصالحها في تلك الدول، فالقاعدة تتحرك في المنطقة متجاهلة وجود دولة تُسمى «إيران»!!

ولم أكن أتوقع أن تصرّح القاعدة بهذا، حتى وقفت على كلام لعطية الله «لويس» أحد رموز القاعدة وكتابها حيث يقول: (لو كان المجاهدون لا يحسنون تحييد الخصوم ولا يعرفون فن التحكم في فتح وإغلاق الجبهات لرأيت شيئاً من الفوضى والانفلات لم يستطع معه أحد جهاداً..!)

إذا كان المجاهدون لا يعرفون هذه الأشياء ولا يبالون بموازين المصالح والمفاسد ولا يفقهونها لماذا لم يشعلوا الحرب في الشام، وفي بلدان الخليج، وفي كثير من البلدان، ولماذا لم يضربوا الصين والهند ولم يعلنوا الحرب على باكستان، وانظر كيف يحيّدون الجيش الباكستاني في وزيرستان، وانظر كيف حيدوا إيران وسكتوا عنها طويلاً وصبروا على هذا السكوت ولاقوا فيه الأذى^(١).

ويقول عطية الله في موضع آخر: (هي - يعني الدولة الإيرانية - تحاول أن لا تدخل في مواجهة مع المجاهدين، والمجاهدون أيضاً يتفادونها)^(٢).

٣- **شهادة قادة المقاومة العراقيين السنة على**

(١) حوار مركز اليقين الاعلامي مع عطية الله (حزيران ٢٠٠٧).

(٢) حوار مع منتديات شبكة الحسبة.

فأصبح كل من شاكلها وشاركها في المبادئ الأساسية والخطوط العامة دائراً في فلكها منخرطاً في خدمتها، داعماً لمشروعها لحاجته إليها.

فنتائج عمل القاعدة تخدم المشروع الشيعي

الخميني، بل وتصب في مصلحته، لأن القاعدة لا تملك مشروعاً مستقلاً ولا تحمل رؤية واضحة لكيفية استثمار نتائج العمل المسلح الثوري الذي تمارسه، وغاية عملها هو استمرار العنف والفوضى، مما يسهل على إيران قطف ثمرة القاعدة!

أما التباين الفكري والديني بين القاعدة والشيعية فشبهة هزيلة لا تقوى على دفع الوقائع والحقائق المؤكدة بـ (فائدة القاعدة للمشروع الإيراني)، وهذا لا يتطلب اتفاقاً مكتوباً بين قيادة القاعدة والدولة الإيرانية كما يعتقد بعض الجبهة السُنّج، فعمل القاعدة يذهب بالمجان لخدمة إيران دون الحاجة لتوظيفه وحرف مساره باتجاه المنفعة والمصلحة الشيعية، فكيف إن وقع هذا التوجيه وحصل هذا التوظيف، لا شك بأنه أثره سيكون أكثر تركيزاً.

القاعدة ومشروع تصدير الثورة الإيرانية

يعتمد تصدير الثورة الإيرانية على زعزعة أمن البلاد العربية واستهداف استقرارها السياسي والديني ونشاط القاعدة المنصب في دعم هذا الاتجاه يتمثل بـ:

- ١- تكفيرها للحكومات العربية والدخول في مواجهة غير متكافئة معها ينتج عنها:
- خسارة القاعدة المؤكدة.
- اضطراب الأمن واختلال النظام العام، وزيادة مستوى الاستبداد الذي ينعكس على الشعوب السُنّية والحركات الإسلامية، ومسيرة الدعوة والعمل الخيري.

- ٢- تقديم قتال الجيوش العربية على الجيوش الغازية، من باب أولوية قتال المرتد على قتال الكافر الأصلي! وقد عبّر عن هذه الرؤية أبو عمر

عملها لصالح إيران: وهي شهادة مبنية على خبرة طويلة وتجربة مرّة، ويكفيها في هذا الباب ما صرّحت به الفصائل الجهادية العراقية من سقوط القاعدة في الشّرك الإيراني وتحولها إلى مليشيا إجرامية تعمل عمل مليشيا الصدر في المناطق السُنّية.

٤- المعلومات المتواترة عن علاقة قادة القاعدة بإيران، وعن تلاعب النظام السوري بها وتوجيهه لتحركاتها.

لكننا لن نتوقف عند هذه الدلائل، بل

سنعتمد إلى قراءة سلوك القاعدة وسياساتها ونسلط الضوء على تصريحات بعض قادتها التي لم تنتشر بشكل واسع، لنرى إن كانت القاعدة تقف مع أهل السنة في معركتهم أم مع عدوهم؟

إن المبادئ والمنطلقات التي تدفع القاعدة

للعمل المسلح لا تلتقي مع جبهة المواجهة مع الشيعة التي يقودها السلفيون، بل إن التنافر الشديد والتباين الحاد بين المنهجين (الثوري) و(السلفي الإصلاحي) يؤكد أن الأمر تعدى عدم التوافق والالتقاء، إلى المصادمة والمواجهة العنيفة، مما جعل القاعدة في طليعة الجبهة الإيرانية المعادية للمنطقة العربية، والحركات السُنّية المناهضة للعدو الشيعي.

فالقاعدة ليست سوى حركة ثورية

كلاسيكية بمظهر ولباس إسلامي وعبارات ومصطلحات سلفية، أما الأسس والأولويات والأهداف فهي امتداد للتيار الثوري التي انتشرت في معظم الاتجاهات الفكرية المعاصرة: (الإسلامية، واليسارية الاشتراكية، والشيعية - الإيرانية، والعلمانية القومية)، فهؤلاء جميعاً يشتركون في عداة الولايات المتحدة والغرب وقوى الهيمنة، بالإضافة إلى حلفائهم في الأنظمة العربية.

ولأن «إيران الخميني» أقوى الأطراف المنتسبة

للتورية ومعاداة الاستكبار العالمي والصهيونية، وهي التي تقود تيار محور (المقاومة والممانعة)،

البغدادي (الزعيم السابق للقاعدة في العراق) في أحد خطابه حيث قال: (إننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي)^(١).

إن نزع القاعدة لمواجهة الداخل الإسلامي، والانحراف عن الممارك الأساسية يُشكل أكبر مكسب للإيرانيين الذين استنفروا كل قواتهم للنيل من البلدان السنية، لكنهم وجدوا أن القاعدة مستعدة للقيام بالمهمة دون أي ثمن! فالقاعدة حينما تسعى للتمرد على كل ما هو موجود في الساحة السنية (أنظمة، جيوش، علماء، ثُخب، عوام) ثم تطمح بعد انقلابها لقيادة مشروع الحكم بالشرعية ومواصلة الجهاد فإنما تتطلع إلى حلم وخيال، يؤكد على أنها غير مؤهلة حتى لرعي قطيع من الغنم!

غياب أي رؤية لمواجهة الأقليات

القاعدة تكتفي بترديد الشعارات ضد (أمريكا وإسرائيل ومن معهما) في الوقت الذي تنتهك أمريكا وإسرائيل فيه مقدرات الأمة، ومن وسائلهما في ذلك توظيف الأقليات لصالحهما بما يضر الأمة ويعرقل مسيرتها، فالأقليات (الشيعية، النصرانية، الدرزية، العلوية) أصبحت من مصادر الداء والبلاء، وقد أحدثوا فينا ما عجزت عنه الدولة العبرية.

لقد حُرقت الصورة وتم التلاعب بالمشهد، فأصبحت هذه العناصر المفسدة تُصور لنا على أنها في مقدمة الجبهة الثورية التحررية المقاومة للغزو الأجنبي المدافعة عن الأمة العربية، فبعض النصاري أصبحوا هم الرموز الفكرية للاتجاه القومي العربي، وشيعة العراق هم قادة ثورة العشرين ضد الإنكليز، والخميني (الثائر على الشيطان الأكبر) أصبح هو الملهم الروحي، والنموذج المثالي للتيار

لم يكن الدعم الغربي - الصهيوني لهذه الأقليات والمليشيات من موقع القوة، وإنما من موقع الحاجة والافتقار والاضطرار إلى دعمها لأن الاستمرار والانتصار اليهودي في فلسطين لا يتم إلا بسيطرة نظرائهم في البلدان الأخرى.

موقف القاعدة مما سبق

لا نجد ذكر الأقليات في خطاب القاعدة، فضلاً عن أن نجدهم في ميدان التصدي لأطماع الطوائف في لبنان وسوريا والعراق واليمن والبحرين والكويت، فلم يذكر للقاعدة أي جهد مقاوم للنزعات التوسعية والانفصالية لدى كثير من الأقليات والطوائف في منطقتنا، ويكفي مثلاً أن القاعدة تخوض حرباً ضروساً ضد الدولة اليمنية بينما تقف متفرجة على اعتداءات الحوثيين المتكررة في اليمن على اليمنيين المسلمين!!

خطابه (إني على بينة من ربي) بتاريخ ٢٠٠٣/٢/١٣، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، ط ١، ٢٠١٠.

(١) خطابه (إني على بينة من ربي) بتاريخ ٢٠٠٣/٢/١٣، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، ط ١، ٢٠١٠.

إذا ذُكرت «مقاومة التشيع وإيران» برز السلفيون في طليعة هذا المعسكر الذي تفرّدوا بقيادته دون مبالاة بمن خالفهم أو خذلهم من جهة الإسلاميين والقوميين، وما زلنا نؤكد أن القاعدة تشتد في محاربة السلفيين وتجتهد في النيل منهم، لأن:

- المنهج السلفي عقبة في وجه القاعدة لا يمكن تجاوزها نظراً لأصالته في العلم والدعوة والعمل البناء.

- كما أن السلفية بطبيعتها حرب على الأهواء والآراء الشاذة المنحرفة عن سبيل السنة والجماعة.

- ولأن السلفية تقود الأمة في معركتها ضد التشيع، كان لازماً على القاعدة كعنصر مطيع في خدمة دولة المرشد الإيراني أن تتخذ السلفية عدواً تسعى في النيل منه والقضاء عليه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ولذلك نجد القاعدة:

- تدعي الانتساب للسلفية فيسمون أنفسهم بـ «السلفية الجهادية».

- لكنها تحرف المفاهيم والمفردات السلفية (التوحيد، الكفر بالطاغوت، الولاء والبراء) باتجاه مذهبها الفاسد، فيؤدي ذلك إلى نفور الناس عن السلفية (بمبادئها ودعوتها وأعلامها)، ويُفسح المجال أمام المناوئين والأعداء للتشنيع عليها واتهامها بكل قبيح.

- نعمة القاعدة على السلفية، كنقمة اليساريين الشيوعيين على الدين الذي يعتبرونه وجهاً من أوجه التخلف والرجعية، وأداة تخديرية لصرف الشعوب عن المطالبة بحقوقها والثورة على الطبقة الارستقراطية الحاكمة، وهذا من تلبيس إبليس، أن تُجعل الدعوة إلى الحق حجر عثرة في سبيل تحصيل الحقوق ورد المظالم والانتصاف من

الظالم، فمحاربة التشيع والتصدي للمبتدعة والدعوة للتوحيد لا يراها أتباع القاعدة سوى انحراف عن الجهاد وتعطيل له.

يقول أبو محمد المقدسي متعرضاً لما سماها «أساليب الطغاة لتمييع ملة إبراهيم وقتلها في نفوس الدعاة»: (ومن ذلك أيضاً ما يلجأ إليه كثير من هؤلاء الطواغيت من تجنيد العلماء وشغل أوقاتهم لصالحهم في محاربة خصومهم ومن يخافونهم على أنظمتهم وحكوماتهم كالشيوعيين مثلاً أو الشيعة أو غيرهم ممن يهددونهم ويهددون حكمهم.. فيلجأ الطاغوت إلى بعض هؤلاء العلماء المتحمسين المبغضين لتلك الاتجاهات الضالة.. فيعينهم على أولئك الأعداء المشتركين ويخادع هؤلاء العلماء بإظهار حرصه على الدين وعلى أهله وتخوفه من أولئك على حرمة المسلمين، ويمدهم بالعون والدعم المادي والمعنوي لمحاربة أولئك.. فيسقط هؤلاء المساكين بحائله ويضيعون أعمارهم وأوقاتهم ودعواتهم في نصرة عدو على عدو^(١)).

وهذا الكلام طالما سمعناه من قادة «الإخوان» وغيرهم الذين اتهموا السلفيين بالعمل لصالح معسكر الاعتدال ضد محور الممانعة (إيران وحزب الله، والنظام السوري).

القاعدة: حرب على السعودية، سلام مع إيران!

لا يختلف خطاب القاعدة عن خطاب الخميني في مهاجمة السعودية الوهابية الموالية للاستكبار العالمي، فكلاهما يدور في نفس الدائرة وينتهي إلى نتيجة خلاصتها أنه لا بد من القضاء على هذه الدولة (بحكامها وعلمائها ودعاتها).

ولو جمعنا ما صدر عن رموز القاعدة ضد السعودية وقارناه بما صدر منها ضد إيران لتبين مقدار التوافق والالتقاء مع الإيرانيين في خطابهم

(١) من كتابه (ملة إبراهيم)، الفصل الأخير.

والقاعدة حينما تحرّض الشباب والعلماء والدعاة إلى إعلان الجهاد ضد الدولة، إنما تدعوهم إلى حياة السجون والمعتقلات والإعدامات، وإخلاء المجتمع من عناصر الحماية والوقاية من الشريك، الذي سيتسلل شيئاً فشيئاً ليقيم أوثانه، بعد أن تصبح مرتعا للعلمانيين والطائفيين!!

إن إيران ليست بحاجة إلى جيوش أو خلايا مسلحة لإسقاط السعودية، وحسبها أن تدعم نشاط القاعدة في دعوتها إلى حرب الدعوة السلفية، ليتحقق هدفها!!

٢- المقاومة العراقية

لا ينبغي النظر للمقاومة في العراق على أنها حركة جهادية ضد المحتل الأجنبي فحسب - وإن كان انطلاقها بالأساس لهذا الغرض - ، إلا أن واقع الصراع أجبر المقاومة على تغيير المسار وإعادة الحسابات لأن العدو الأخطر والشر الأكبر تمثل في (إيران وشيعة العراق)، أما الأمريكان فكانوا أداة داعمة ومنفذة للمشروع الإيراني بشكل أو بآخر.

كان تنظيم القاعدة حاضراً بقوة للتصدي للمقاومة السنية المتصدية للخطر الإيراني من خلال:

١- حرب التخوين والتكفير التي بدأت منذ عهد الزرقاوي.

٢- حرب التصفيات والاغتيالات والتفجيرات، ضد عناصر الجماعات الجهادية وقياداتها والتي بدأت مبكراً كذلك.

٣- الصدام مع المجتمع السني الذي يواجه ضغطاً مركزاً من الشيعة والأمريكان.

٤- تركيز الاستهداف على أكبر الفصائل السلفية الواعية لخطر إيران (الجيش الإسلامي في العراق).

٥- استهداف الشيعة استهدافاً لا يضر دولتهم ولا يوقف تمددهم، بل يحرضهم ويجمعهم على حرب السنة وإبادة أهلها.

- فكلما الطرفين يسعى لزعزعة الأمن في المملكة، فأيران من خلال خلاياها ومخابراتها وشيعتها في المنطقة الشرقية، وتهريب المخدرات، والقاعدة عن طريق التفجيرات والعمليات المسلحة.

- تعمل القاعدة على استهداف الدبلوماسيين السعوديين في الخارج كما حصل في باكستان واليمن، بينما لا تتعرض لسفراء إيران.

- وجدنا أن كثيراً من عناصر التطرف ورموزه لديهم مشكلة مع شيوخ السلفية الكبار كابن باز وابن عثيمين والألباني، ولم نجد لهم خلافاً مع خميني وخامنهئي وسعيد جليلي ورفسنجاني وقاسم سليماني، وربما كثير منهم لا يعرف رموز العدو الإيراني، فضلاً عن إدراك شيء من مشروعه وأطماعه.

- يهاجم تنظيم القاعدة في اليمن الدولة السعودية، ويتغافل عن المصالح الإيرانية والمليشيات الحوثية.

- يعترض مفكرو القاعدة على دعوة السلفيين للتوحيد، ويرون في ذلك تشويهاً وانحرافاً عن المعنى الذي يحرض على التمرد على الأنظمة وهو عين دعوة الخميني إلى «البراءة من المشركين» (يقصد بذلك الأنظمة العربية). والبراءة من المشركين أصل عظيم في دعوة الرسل لا يجادل في ذلك أحد، أما مراد الجهلة الغلاة (القاعدة والثوريين من الإسلاميين)، من هذه الدعوة فهو القضاء على الدعوة الإسلامية بعد إدخالها في مواجهة غير متكافئة مع الأنظمة وقوى الباطل، فهي دعوة لتسريع الإجهاز عليها، أما الخميني فإنه بدعوته إلى البراءة من المشركين، إنما يدعو الناس إلى الشرك، بتقديس الأئمة وعبادة قبورهم.

- تدور أطماع الشيعة وأحلامهم في السعودية حول إعادة الأوثان والقباب والمشاهد إلى المدينة النبوية، فالغاية هي: إعادة الشرك إلى جزيرة

٦- إعلان «دولة العراق الإسلامية» بالتزامن مع الحملة الشرسة على أهل السنة في بغداد (٢٠٠٦)، ليدو الأمر وكأنه اتفاق بين دولة المالكي في بغداد، ودولة القاعدة على توحيد الجهود وتركيزها ضد المدن السنية.

٧- كانت القاعدة تخوض حربها وعيونها على بيت المقدس كما قال الزرقاوي، أما خطر الشيعة والدفاع عن العاصمة بغداد وإعداد ما يلزم لمواجهة مفتوحة طويلة الأمد مع المليشيات الشيعية العراقية والدولة الإيرانية، فلم يكن يخطر ببال القاعدة.

٣- المقاومة الإيرانية «حركة جند الله البلوشية»

من الطبيعي أن لا نجد للقاعدة أي نشاط يذكر داخل إيران أو أي استهداف لمصالحها في الخارج، فالجهاد عند القاعدة لا يستقيم إلا في دولة سنية.

لكن ما لا يعرفه الكثير أن القاعدة ترى أن استهداف النظام الإيراني لا يمثل مصلحة للمسلمين، وأن المصلحة هي استهداف الدول السنية!!

فقد سئل عطية الله أحد رموز القاعدة عن جماعة جند الله البلوشية المعارضة للنظام الإيراني فأجاب: (ليس لدي معلومات وافية عن حركة جند الله في بلوشستان إيران التي يقودها عبد المالك، ولكن هي حركة سنية جهادية بالأساس، لكن لعل دخولها في مواجهة وحرب معلنة مع النظام الإيراني الآن يعتبر مبكراً، ويحتاجون فيه إلى أن يكونوا منسجمين مع سائر إخوانهم في الحركة الجهادية العالمية، فإن لم يكن كذلك، فهو خطأ. والله أعلم.

وأهل السنة في إيران سواء في بلوشستان أو غيرها يبدو أنهم غير مؤهلين في التو لدخول حرب مع النظام الرافضي، في مثل هذه الظروف العادية.

لكن يمكن أن تتاح فرص وتغيير معطيات الواقع فلا بد أن يكونوا مستعدين ولا بد للدعاة والإخوة الواعين أن يكونوا في المستوى، والله الموفق.

وإيران كما سبق وأن قلنا: بقدر ما هي دولة قوية، هي أيضاً تحمل العديد من عوامل الضعف والانكسار السريع، وكل ذلك سينبني على ما يكون من أحداث وتفاعلات، نسأل الله أن يجعل عاقبتها خيراً لأهل الإسلام، فمعظم حدود إيران مناطق سنية قابلة للاضطراب والتحرك ضدها حين تواتي الفرصة، وطالبان والقاعدة على يمينها من هنا، بل وباكستان وأفغانستان ككل، والمجاهدون في العراق على يسارها من هنا، وسائر أهل السنة في الجزيرة والخليج وما جاورها، وهي تحاول أن لا تدخل في مواجهة مع المجاهدين، والمجاهدون أيضاً يتفادونها، ونفس النظام الإيراني يعاني من تحولات وتناقضات اجتماعية وثقافية داخلية^(١).

والعجيب أن المبرر الذي ساقه عطية الله لعدم صحة فتح معركة الآن مع إيران متحقق في غيرها من الدول السنية التي فتحت القاعدة فيها معارك متعددة!!

٤- الثورة السورية

لم تمتلك القاعدة قبل الثورة أي خطة لإعلان الجهاد ضد العلويين أو حزب الله، لأنهم أسقطوا من حساباتهم أي مواجهة ضد الشيعة، بل لولا دعم النظام السوري المباشر وغير المباشر لما قام للقاعدة جهاد في العراق!

والأمر ليس بحاجة إلى إثباتات وأدلة، فسوريا كانت الشريان المغذي والمأوى الآمن لنشاط القاعدة، كما أننا نخجل من القول بأن النظام كان على علم بنشاط القاعدة وتحركاتها لأن هذا

(١) حوار مع منتديات الحسبة.

- تكوين تنظيمات مستقلة عن فصائل العمل المسلح السوري كـ (جبهة النصرة، دولة الشام والعراق).
- اعلان جبهة النصرة مبايعة الظواهري، وإعلان البغدادي قيام دولة القاعدة في العراق والشام.
- الدخول في صدامات واشتباكات مع الفصائل الإسلامية والقوى المحلية.

تحرير المرأة والإرهاب النسوي

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

«من بين التبعات الخطيرة التي ترتبت على الحركة النسوية ذلك الخطّ من شأن عمل الأمهات حيث رسخ في اعتقاد صاحبات التوجه النسوي أن المرأة لن يمكنها التحرر إلا إذا تصرفت مثل الرجال، ولذا كن ينظرون نظرة دونية لمن تمضي وقتها في رعاية الرضع والصغار فمن وجهة نظرهن أن الأمومة ما هي إلا عمل رتيب وغير مجز لا يليق إلا بالخدم المنزلي»^(٢).

لم أجد أصدق من هذه الكلمات لافتتح بها هذا المقال الذي يناقش إشكالية معيار تحرير المرأة وتحقيق ذاتها وكينونتها الخاصة وهل تتحرر المرأة بصورة ذاتية داخلية أم أن هناك صورة محددة ذات شروط خاصة عليها أن تحققها وإلا اعتبرت مخطوفة ذهنياً ومقهورة ذاتياً!

أسباب الاضطهاد

لا يمكن لأي باحث موضوعي إلا أن يعترف أن النساء قد تعرضن لكثير من صور الظلم والاضطهاد على مدار التاريخ وحتى عصرنا الراهن، وهناك الكثير من القصص المؤلمة لنساء

الاستنتاج يحسنه الأغبياء والجهلة فضلاً عن العامة والبسطاء.

وحينما يتعرض زعماء القاعدة لذكر النظام السوري لا يرون فيه إلا عميلاً للغرب وإسرائيل، يقول الظواهري في كلمته الأولى عن الثورة: (سلامٌ عليكم وأنتم تلقنون الباغي الظالم الخائن الغادر دروساً في مقاومته ومقاومة ظلمه وفساده وخيائنته ورضوخه للاستكبار العالمي وتخليه عن الجولان)، هذه مشكلة الظواهري مع بشار الأسد (التخلي عن الجولان)!

ومن الغريب أن يستخدم الظواهري المنتسب للسلفية الجهادية مفردة خمينية كـ (الاستكبار العالمي) ويقول الظواهري: (قولوا لهما إن غضبتنا المباركة وانتفاضتنا الجبارة لن تهدأ بإذن الله حتى نرفع رايات الجهاد المنتصرة فوق جبل المكبر في القدس الحبيبة السليبية)^(١)، ويقول في كلمة أخرى: (فاستحضروا نية تحرير بيت المقدس وديار المسلمين المحتلة بانتفاضتكم العزيزة الأبية)^(٢).

أما الحكم العلوي باعتباره امتداداً لمشروع شيعي يهدد المنطقة السننية فلا اعتبار له، ولا يشكل بذاته مشكلة لدى الظواهري والقاعدة!!

وحين توافرت الظروف لاستدعاء القاعدة في سوريا، فإن ظهورها لم يكن حميداً، بل كانت تنزع إلى الاستقلال والانفصال عن الركب الثوري مما يفتت الصف ولا يجمعه، ورغم تأخرهم وغريبتهم عن أهل البلد إلا أنهم حاولوا تصدر المشهد وتسلم القيادة، وقاموا بتصرفات لا تصب في صالح الثورة مثل:

- رفض مطلب الشعب بالتدخل الخارجي والحماية الدولية، واعتبار ذلك استعانة بالكفار.

(١) كلمة له بعنوان (عز الشرق أوله دمشق) تموز ٢٠١١، تفريغ: نخبة الإعلام الجهادي الصادرة عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي.

(٢) كلمة (إلى الأمام يا أسود الشام).

(*) كاتبة مصرية.

(٣) فرانسيس كندال .. نقلا عن المرأة والمرأة، ص ٩٣.

وبلا وازع من دين- ظلموها وأهملوها وأعادوها
لعصر الجاهلية.

التحرر الحقيقي

التحرر الحقيقي للمرأة جاء به الإسلام فلقد صنع الإسلام من النساء باحثات عن الحرية الحقيقية ولقد شغلت النساء بالتفكير بلا قيود حتى أنهن سألن النبي ﷺ عن المقصد اللغوي في القرآن الكريم حيث يوجه الخطاب بلغة المذكر وهل يعني ذلك أنهن لا يذكرن أو أنهن أقل أهمية وأقل درجة ومرتبة. لقد كان سؤالاً محورياً بالنسبة لنساء أدركن أن التحرر الحقيقي لهن يكمن في أن يكنَّ في الصف الأول إذا اجتهدن وبذلن وأن المساواة في الإيمان والجزاء هي المساواة الحقيقية وليست المساواة في تفاصيل الأعمال.

فَعِن أَم عِمَارَةِ الْإِنْصَارِي أَنَهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يَذْكُرْنَ بِشَيْءٍ
فَنَزَلَتْ ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّدِيقِينَ
وَالصَّدِيقَاتِ وَالْخَشِعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
وَالْحَافِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٣٥]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ.

فالخطاب القرآني موجهٌ للمؤمنين باللغة العربية ووفق قواعدها اللغوية، والخطاب بلفظ مذكر ولم ينص فيه على ذكر الرجال فإن ذلك الخطاب شامل للذكور والإناث، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١١٠].

وعلى الرغم من ذلك فالمرأة المسلمة مشغولة
مهمومة بقضيتها الخاصة تريد تأكيداً يقينياً أن

وفي ظل مجتمعاتنا الإسلامية تبقى مشكلة المرأة بحجم مدى اقتراب أو ابتعاد تلك المجتمعات والأفراد من الفهم النقي للإسلام أو التعامل معه كجزء من العادات والتقاليد والثقافة السائدة.

فالإسلام وحده هو الذي يشتمل على آلية مثالية لوضع المرأة في القديم والحديث ليس فقط حزمة الحقوق التي تحصل عليها ، والتي يتم المزايدة عليها ، وإنما لأنه يشبع دوافعها النفسية والفطرية ولا يشعرها بأي تعارض بين ما تشعر به الأنثى في أعماق نفسها من مشاعر وعواطف وبين ما يفكر فيه عقلها بتجرد كإنسان بغض النظر عن نوعية جنسه.

إن المرأة كالمطائر الذي يطير بجناحين فإذا
اقتلنا أحد جناحيه لا يمكنه أن يخلق أبدا .. وهذا
ما تحاول الحركة النسوية أن تفعله وهي تسعى
لتدمير المرأة وهي تزعم السعي نحو تحقيقها إنها
تقتلع أحد الجناحين وتصله في غير مكانه بالجناح
الأخر، تدعي أنها تقتلع جناح الضعف الذي فرضته
التربية والتاريخ والمجتمع الذكوري، الضعف الذي
تحول لمشاعر القهر الذاتي التي تحسها المرأة.

الإرهاب النسوي

وكم من امرأة مثقفة متعلمة اضطرت لقبول هذا الإرهاب النسوي حتى لا توصف بالتخلف والرجعية بينما في قرارة نفسها وفي أعماق مشاعرها وعقلها الباطن تحن للأنثى التي سلبوها منها، بعضهن امتلك شجاعة التغيير وكتب عن الصراع النفسي الشديد الذي عاشته وبعضهن لم تمتلك الشجاعة الكافية فدخلت لعبة المزايدات وتصدرن المشهد وادّعين بطولة مزورة وعانين سرا من الدوافع غير المشبعة بكل صور وآليات الدفاع النفسي، وعلى الجانب الآخر كرس أصحاب العادات والتقاليد صورة الأنثى العاطفية وعزلوا المرأة في قالب واحد وأفقدوها كل قوة ومن ثم -

هذا الخطاب وهذه التكاليفات وهذا الجزاء موجهة لها تحديدا فلم تتردد في طرح سؤالها على أعلى مستوى حتى تشعر ببرد اليقين، مما يشير إلى أن نساء ذلك العصر لم يكن يتلقين الأمور دون تفكير وتأمل وتمحيص ومن ثم يتساءلن ويتناقشن. إنها صورة جد مختلفة عن تلك الصورة البائسة التي تريد العلمانيات تصويرها للنساء المسلمات الخاضعات المستسلمات.

التعليم والعمل

لم يقر الإسلام حق المرأة في التعليم فحسب بل حث عليه وليراجع من شاء موقفه من تعليم أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها معارف عصرها وإذا كانت المعارف تختلف من عصر لآخر فإن مبدأ التعلم يبقى ثابتا وركيزة أساسية كي تستطيع المرأة أن تتحمل الأمانة فوق هذا الكوكب.

أما قضية العمل فلم يأت فيها نص بالوجوب والاستحباب أو الكراهية والتحريم فكل امرأة لها ظروفها الخاصة ومسئولياتها الخاصة والتدخل القانوني في مثل هذه الأمور يربك المشهد كله ويعقده.

تزوج النبي ﷺ السيدة خديجة وهي سيدة أعمال ناجحة، وتزوج السيدة زينب بنت جحش وكانت ماهرة بالصناعات اليدوية من صناعة جلود وتطريز بالخرز، وكانت تباع ما تصنع وتتصدق به على الفقراء، وتزوج غيرها من ممن لا يقمن بعمل مأجور فالمسألة واسعة إذن والقاعدة الأساسية التي تحكم القضية أنه لا ضرر ولا ضرار.

هذا هو الإسلام وهذه هي الشريعة التي يزعمون أنها تكرس التمييز ضد النساء ويسعون من أجل (العمل الجدي من أجل فصل الدين كلية عن السياسة وإلغاء المادة الثانية من الدستور التي تعين الإسلام ديناً للدولة وتقول أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع.

إن هذه المادة في الدستور هي التي تجعل كل أشكال التمييز ضد المرأة شرعية^(١).

لقد بلغ بهم من عمى البصيرة أنهم يرون أن الأنظمة الاستبدادية الفاسدة التي تحكم أفضل من حكم الشرع الذي يشبهونه، معاذ الله بالغول.

(وإذا كانت حركة تحرير المرأة تواجه صعوبات بالغة في ظل الحكم فإنها على أي حال تستطيع أن تكافح ضد هذه الصعوبات وتهزمها أما حين يأتي، لا قدر الله هذا الغول الذي يحكمنا «بشرع الله» كما يراه فسوف تكون الصعوبات محنا ومآسي لأنهم ينظرون إلى الخلف بينما تتطلع حركة تحرير المرأة والعلمانية اليسارية خاصة إلى المستقبل، أي إلى تحرير المجتمع كله من قبضة الإمبريالية والصهيونية والاستغلال والرجعية دينية كانت أم مدنية)^(٢).

هؤلاء هم العلمانيون الذين يسعى فريق من الإسلاميين لاسترضائهم ويعرضون أفكارهم باستحياء أمامهم ويحاولون التقرب والتقارب معهم، يشتمون الحركة الإسلامية ويقولون إنه وصف، بينما هم يقولون الكفر ويتطاولون على الشرع ونستحي من وصف ما يفعلون!! (وصف الحركة الإسلامية بأنها قوة رجعية معادية للمرأة وتدمر منجزاتها ليس «شتيمة» لكنه وصف علمي واقعي إذ أن هذه الحركة تهدر مبدأ المساواة وتضع المرأة في مرتبة أدنى بسبب جسدها)^(٣).

يقولون عن الحجاب إنه رمز القهر ونستحي أن نقول عن تبرجهم أنه خلاعة ومجون وهبوط لمراتب الحيوان، (والحجاب في جانب أساسي منه رمز القهر وتغييب العقل والتحكم الذكوري باسم الدين)^(٤).

(١) فريدة النقاش .. حقائق النساء في نقد الأصولية، ص ٨ ، ٩.

(٢) السابق ص ٢٢.

(٣) السابق ص ٢٧.

(٤) السابق ص ٢٧.

لمحاولة التوفيق بين الحق والباطل وغض الطرف عن المخالفات العقيدية بزعم الإصلاح والتقريب بين المخالفين، ومن هذا المنطلق انطلقت دعوى الإصلاح والتقريب بين أهل السنة والشيعة وتوحيد صفهما، ومع كل محاولة من هذه المحاولات المتعددة يتبين خطأ هذا الطريق وعدم جدواه.

وإن كل دعوة إلى وحدة أو إصلاح أو تقريب إن لم تقم على هدى من كتاب الله وسنة نبيه فإنها وحدة زائفة وتقريب خادع وإفساد بدعوى الإصلاح، وكل اجتماع وائتلاف إن لم يكن اجتماعاً واعتصاماً بحبل الله فإن مآله الفشل. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وتمت محاولات الإصلاح والتقريب بين أهل السنة والشيعة في القديم والحديث، من بعض أهل السنة ومن بعض الشيعة، سواء كانوا جماعات أو أفراد، لكنها كلها - باعتراف أهلها - باءت بالفشل لاختلاف الأصول والمعتقدات.

الفرق بين مقصد أهل السنة والشيعة في التقريب:

وثبت من هذه المحاولات أن دافع أهل السنة للتقريب هو حرصهم على الوحدة الإسلامية، ونبذ الفرقة، وأن يكون سبباً لأن يترك الشيعة السب والشتم على خيرة الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

أما مقصد الرافضة من التقريب فكان استعمال التقية والنفاق لنشر عقيدتهم في أوساط أهل السنة. لذلك كانت دور التقريب تفتح في المجتمعات السنية فقط، لجلب كتب الشيعة الدعائية إليها.

محاولات التقريب في القديم:

تضاربت أقوال الباحثين في تحديد أول من بادر لذلك بين الشخصيات التالية:

آن أوان مصارحة الإسلاميين لأنفسهم بالحقيقة فهؤلاء لن يرضوا عنا أبداً فلا داعي لاستجدائهم حتى تقربهم خطوة من شريعة ربنا، فليؤمن من يؤمن، وليكفر من يكفر. أما نحن فعلياً عرض قضيتنا بكل عزة وكما هي دون شعور خفي بالحاجة للدفاع والتبرير، فالذي خلق الإنسان بشقيه الذكر والأنثى هو الذي يعرف فطرة كل منهما وكيف يستطيع أن يتحقق ويسعد ويتوافق.

لا يوجد لدينا ما نخجل منه ولا يوجد عند المرأة المسلمة ما تخجل منه بل إنها تنتظر بشم من عليائها لهذه الترهات التي تصدر عن هؤلاء المرضى النفسيين وهي تحتوي طفلها وتسعد ببيتها وكأنها تقول لهم: موتوا بغيظكم فلن يفلح استهزاؤكم وسخريتكم من النيل مني ومن قناعاتي ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

محاولات التقريب والإصلاح

بين السنة والشيعة في القديم والحديث

عبد الله بابا جنج السنغالي^(٩) - خاص بالراصد

لا يخفى على أحد أهمية الوحدة والإصلاح بين المسلمين لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، فإن اتفاق كلمة المسلمين ووحدة صفهم وعدم تفرقهم في أصول الدين من المقاصد العظيمة التي حرصت الشريعة على إيجادها وتأكيداتها، لذا كان العمل على تحقيق ذلك في أرض الواقع من المهام الجليلة التي يعمل لها المحبون لنصرة هذا الدين، ولظهوره على الدين كله، لكن مع شرف هذا المقصد فقد سلك بعض الناس لإصلاح الفرقة طريقاً لا يوصل إلى المراد، وهو الاستجابة

(٩) كاتب سنغالي.

١- أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي^(١)، قاله الشيخ محمد أبوزهرة^(٢).

٢- الطبرسي^(٣)، قال به الدكتور محمود بسيوني فوده^(٤).

٣- لكن بالبحث والتدقيق يتبين لنا أن هذه المحاولات سبقت الطوسي، إذ ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٤٣٧هـ اجتمع عوام أهل السنة وعوام الشيعة على مواجهة اليهود في بغداد ونبذ كل الخصومات التي بينهم^(٥)، ولكن هذا الاجتماع لم يدم أكثر من عامين حتى وقعت فتنة بينهم أشد من ذي قبل، قال ابن كثير: «ففي سنة ٤٣٩هـ وقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد قتل فيها خلق كثير»^(٦).

ويظهر منهج كل من الطوسي والطبرسي في دعوى التقريب في كتابيهما: «تفسير التبيان» للطوسي و«مجمع البيان» للطبرسي، حيث اعتمدا في تفسير الآيات على مصادر الفريقين ومتجنبين بعض «مظاهر الغلو» المعهودة عند الروافض في الاعتقاد والتفسير.

وهذا المنهج وضعه الطوسي والطبرسي على سبيل التقية والنفاق لنشر نحلتهما في أوساط أهل السنة، وإلا فكل منهما لا يؤمن بجواز الاحتجاج بروايات أهل السنة، كما قال ابن طاووس والنوري

(١) شيخ الإمامية ورئيس الطائفة، أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي الطوسي، وهو مؤلف كتابين من كتبهم الأربعة (التي يعدونها كالكتب الستة عند أهل السنة) وهما: «تهذيب الأحكام»، و«الاستبصار»، توفي سنة ٤٦٠هـ. وكانت ولادته سنة ٣٨٥هـ. الطوسي: «الفهرست»: (ص ١٨٨ - ١٩٠)، «لؤلؤة البحرين»: (ص ٢٩٣ - ٣٠٤).

(٢) «الإمام الصادق»: ص ٤٦٤.

(٣) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي أبو علي، من علماء الإمامية، وهو عندهم ثقة فاضل يلقبونه بـ «أمين الدين»، من مؤلفاته: «مجمع البيان في تفسير القرآن»، توفي عام ٥٤٨هـ. انظر: «أمل الأمل»: (٢١٦/٢)، «الأعلام»: (٣٥٢/٥ - ٣٥٣).

(٤) «الطبرسي مفسراً» ص ١٠ (رسالة دكتوراه لم تنشر).

(٥) البداية والنهاية ٥٤/١٢.

(٦) نفس المصدر ٥٧/١٢.

الطبرسي وهما من كبار أئمة الشيعة: بأن تفسير التبيان للطوسي موضوع على أسلوب التقية.

ومن الدليل أنه وضع على التقية: أن الطوسي هذا يرفض الاحتجاج بروايات أهل السنة، بل يرفض روايات زيد بن علي بن الحسين، قال الدكتور ناصر القفاري: «حقيقة محاولة الطوسي في التقريب هو نشر عقيدة الرافضة بين جمهور المسلمين. وفي البحار للمجلسي - وهو أحد مصادرهم الثمانية في الحديث - باب مستقل في النهي عن الأخذ بروايات السنة إلا في حالة الاحتجاج عليهم وقد سار الطبرسي على منوال الطوسي ومسلكه»^(٧).

محاولات التقريب في العصر الحديث

لما فشل الشيعة الأولون في نشر ملتهم باسم الإصلاح والتقريب بين أوساط المجتمعات السنية، أخذ النوبة أذيا لهم المعاصرون من مؤسسات وأفراد عسى أن يحققوا بغيتهم.

أولاً - محاولات المؤسسات للتقريب

١- جماعة الأخوة الإسلامية.

وهي جماعة تأسست عام ١٩٣٧م، على يد رجل باطني إسماعيلي يدعى محمد حسن الأعظمي، قال عنه محمود الملاح: (محمد الأعظمي نسبة إلى «أعظم كره» في الهند لا «أعظمية بغداد»، وهو يبطن إسماعيليته، ويتصنع الدعوة للوحدة الإسلامية، وتورط في دعوته كثير من الفضلاء، بحيث أني أخجل من ذكر أسمائهم. فيا لضيعة الحقائق)^(٨).

وكان مقرها في «قبة الغوري بمصر»^(٩) ثم انتقلت بعد ذلك إلى كراتشي بباكستان عام

(٧) مسألة التقريب بين السنة والشيعة ١٤٩/٢.

(٨) النحلة الأحمدية، ص ٤.

(٩) سئل الشيخ عبد العزيز عيسى مدير مجلة «دار التقريب» في القاهرة عن القبة فقال: (لم نسمع بهذا في آبائنا الأولين).

١٩٤٨، وزعم أنها تضم طائفة من رجال الفكر والعلم في مصر، وكانوا يقولون بنبذ الانتماءات والاكتفاء بكلمة واحدة «نحن مسلمون مؤمنون» كما صرح به الأعظمي نفسه في كتابه^(١) مع أنه يسعى لنشر عقيدته، فقد ساهم في نشر عدد من كتب الباطنية في العالم الإسلامي مثل «تأويل الدعائم» للقاضي النعمان قاضي قضاة المعز الفاطمي، و«افتتاح الدعوة» للمؤلف السابق وغيرهما^(٢)، وهذه الجماعة فاشلة ليس لها أثر يستحق الذكر.

٢- دار الإنصاف

وهي أيضا مؤسسة أقيمت لأجل التقريب بين السنة والشيعة عام ١٣٦٦هـ كما صرح به هاشم الدفتردار، ومحمد الزعبي اللذان يعتبران من الأعضاء المؤسسين^(٣).

ويقوم منهجهم على شبهة خطيرة ودعوى عريضة سعوا لنشرها، وهي زعمهم: أن الرافضة فئة اندرست وهم الذين يكرهون الصحابة، أما الشيعة فيحبون الشيخين ويترضون على الصحابة، وألفوا كتباً تروج لذلك من أشهرها كتاب: «الإسلام بين السنة والشيعة» في جزأين.

ودعوى أن الرافضة غير الشيعة فهذا قول فنده الشيعة أنفسهم قديما وحديثا، وقد عقد شيخهم المجلسي باباً في تأكيد هذا في كتابه «البحار» بعنوان (باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها)^(٤)، كما ذكر شيخهم المعاصر طالب الرفاعي بأن تسمية الشيعة بالرافضة هو القول السليم والصحيح^(٥).

٣ - دار التقريب بين المذاهب الأربعة

وهي أكبر دور التقريب شهرة وتأثيراً، أسست

عام ١٣٦٤هـ بالقاهرة وانضم إليها عدد لا بأس به من علماء مصر وعلماء الزيدية باليمن، بدعوة ومبادرة ظاهرة من شيخ رافضي من قم «إيران» يدعى محمد تقي القمي، بعد ما فشل عدد من الرافضة في إقامتها كأبي عبد الله الزنجاني وعبد الكريم الزنجاني في أواخر سنة ١٣٥٣هـ^(٦).

وقد أنشئت الدار بسبب تعليمات وتوجيهات سرية من علماء الشيعة بقصد نشر نحلتهم وجعلها مذهباً خامساً يدرس في المراكز التعليمية السنية، إذ اعترف أحمد مغنية - أحد شيوخ الروافض - بأن سبب إنشاء دار التقريب كان عن سابق اتفاق من شيوخ الشيعة فقال: (ليس له - أي القمي - ولا لغيره من الناس أن يقوم بمثل هذا العمل من وراء المراجع ومن غير موافقتهم)^(٧).

ونجحت دار التقريب في إنجاز بعض الخطوات، مثل:

إقناع بعض علماء الأزهر حتى انضموا إليها باسم الوحدة الإسلامية، وإقناع الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بإدخال كتب الرافضة في مقررات الفقه وأصوله وفي التاريخ وفي مصطلح الحديث ورجاله، حتى قال بأن مذهب الشيعة لا يفترق عن مذهب أهل السنة، وأصدر فتوى في جواز التعبد بالمذهب الجعفري سنة ١٣٦٨هـ، ولكن حال دون تنفيذ ذلك ثلة واعية من علماء الأزهر، قاموا بجهود جبارة في كشف حقيقتهم.

كما أنشأت دار التقريب مجلة باسم رسالة الإسلام، لتمرير شبهاتهم من خلالها، ورأس تحريرها محمد محمد المدني (عميد كلية الشريعة بالأزهر) وقد صدر العدد الأول منها في ربيع الأول عام ١٣٦٨هـ، وتوقفت بصدور آخر عدد منها في ١٧ رمضان ١٣٩٢هـ، ولم تكن منتظمة الصدور في آخر عهدها ومجموع ما صدر من أعدادها ٦٠ عدداً

(٦) انظر: «نشأة التشيع وتطوره»، (ص ٤ - ٦) لمحب الدين الخطيب..

(٧) انظر: «الخميني أقواله وأفعاله»، ص ٢٧ لأحمد مغنية.

(١) الحقائق الخفية، ص ١٦.

(٢) انظر: حقيقة باكستان، ص ٢٩.

(٣) انظر كتابهما «الإسلام بين السنة والشيعة».

(٤) البحار، ج ٤٨، ص ٩٦.

(٥) انظر: تعليقاته على رسالة: «التشيع ظاهرة طبيعية»، ص ٧٨.

٣- د. مصطفى السباعي

اتفق مع عبد الحسين شرف الدين الموسوي الشيعي على عقد مؤتمر إسلامي بين السنة والشيعية لتحقيق الغرض^(٣)، ثم فوجئ بأن الموسوي المتحمس للتقريب الذي يثني على الصحابة بحضرته تقيّة، قام بإصدار كتاب (أبي هريرة) ملأه بالسباب والشتائم، بل انتهى فيه إلى القول: «بأن أبا هريرة كان منافقاً كافراً وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر عنه بأنه من أهل النار». ثم يقول السباعي: (لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي)^(٤). وقال أيضاً: «ولست أحصر المثال بكتاب «أبي هريرة» المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يحتمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير»^(٥).

من هنا اكتشف الشيخ رحمه الله حقيقة القوم، وأنه لا يمكن التقريب بين السنة والشيعية، ثم قال: «فلا يزال القوم مصرّين على ما في كتبهم، من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة»^(٦).

٤- موسى جار الله شيخ مشايخ روسيا

كان قد ألف كتاباً يدعو فيه إلى التقريب وإلى

ومن علماء السنة الذين انخدعوا بهذه الدعوى: الشيخ محمد عرفة، عضو كبار العلماء، والشيخ طه محمد الساكت، والشيخ السبكي، ود. محمد البهي، صاحب كتاب «الفكر الإسلامي والمجتمعات المعاصرة»، ولكن الله بصرهم بالحقيقة وبمقاصد القوم وسوء طويتهم فانفضوا عن الدار.

قال محب الدين الخطيب: (انفض المسلمون جميعاً من حول دار التخريب التي كانت تسمى دار التقريب ومضى عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعي من استأجرها)^(١).

ثانياً : محاولات فردية للتقريب

من دعاة التقريب من أهل السنة:

١ - محمد عبده مفتي الديار المصرية

وهو من أوائل الأفراد الذين دعوا إلى التقريب بين السنة والشيعية، لتأثره بشيخه الشيعي جمال الدين الأفغاني^(٢)، وقد شرح محمد عبده كتاب نهج البلاغة، المنسوب إلى علي بن أبي طالب، ولم نرَ في دعوته إلى التقريب أثراً وتأثيراً يذكر.

٢ - الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة

«المنار»

كان من دعاة التقريب تبعاً لأستاذه محمد عبده، إلى أن عثر على كتاب «كشف الارتباب» لمحمد الأمين العاملي الذي ملأه مؤلفه بالسب والشتائم للصحابة رضوان الله عليهم، ولما بدأ يحذر في مجلته المنار، قام أشهر علماء الرافضة عليه واتهموه بالتعصب والتفريق، فانفض عن دعوى

(٣) أنظر «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، ص ٨- ١١ للسباعي.

(٤) نفس المصدر، ص ٩.

(٥) نفس المصدر، ص ١٠.

(٦) نفس المصدر، ص ١١.

(١) انظر: مسألة التقريب لناصر القفاري ١٨٢/٢.

(٢) انظر: «دائرة المعارف الشيعية»: (١١/٦ - ١٢). وأغابزرك الطهراني: «أعلام طبقات الشيعة» (٢١٥/١)، ومحسن الأمين: «جمال الدين الأفغاني». ومحمد محمد حسين: «الإسلام والحضارة الغربية».

اعتبار فقه الشيعة مذهباً خامساً، ثم هاجر بسبب الاحتلال الروسي لبلادهم بإيران ومكث فيها بضعة أشهر يحضر حسينياتهم، ومآتهم، وحلقاتهم العلمية في المساجد والبيوت، وجلساتهم الخاصة والعامة، وخطبهم، وحفلاتهم، فسمع من أفواه علمائهم ومراجعهم كل البليات والمصائب التي قرأها في مصادرهم.

ولما اطلع على حقيقة التشيع تيقن أنه لا يمكن الإصلاح والتقريب بين الفريقين، كما لا يمكن التقريب بين الحق والباطل، وعرف أن التقريب لا يمكن إلا بدحض ونقد عقائد الشيعة الفاسدة أولاً لذلك ألف كتابه (الوشية في نقد عقائد الشيعة) قال فيه بأن: (نقد عقائد الشيعة هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها)^(١)، وهذه ميزة للشيخ يختلف فيها عمّن سبقه من دعاة التقريب.

٥ - الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

كان يدعو إلى التقارب والتعايش تحت ظل الحريات واحترام الآخر، فكان يهدئ الصف السني بالسكوت والصبر على كثير من المحظورات التي تجاوزها الغلاة من الشيعة بغية الحفاظ على الوحدة والإصلاح، وكان مفتراً بحزب الله ورئيسه حسن نصر الله.

ثم تبرأ من التقريب لما رفض قادة طهران الاستجابة لطلبه بأن يسمحوا لأهل السنة بإقامة مساجد لهم في طهران، وأن يكفوا عن شتم الصحابة ولعنهم وذكرهم بسوء في إعلامهم وكتبهم، وأن يهدموا روضة أبي لؤلؤة المجوسي قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويكفوا عن تبجيله وتقديسه حتى لا يطعنوا مشاعر أهل السنة!

قال الشيخ في مهرجان تضامني مع الشعب السوري أقامه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين^(٢): «إنني ظللت لسنوات أدعو إلى تقريب بين المذاهب، وسافرت إلى إيران أيام الرئيس السابق محمد خاتمي، وشددت في هذا الإطار على أن هؤلاء المتعصبين (في إيران) والمتشددين يريدون أكل أهل السنة، هم ضحكوا علي وعلى كثير مثلي، وكانوا يقولون إنهم يريدون التقريب بين المذاهب».

وقال: «دافعت (قبل سنوات) عن حسن نصر الله الذي يسمي حزبه حزب الله، وهو حزب الطاغوت وحزب الشيطان، هؤلاء يدافعون عن بشار الأسد». وقال: «وقفت ضد المشايخ الكبار في السعودية داعياً لنصرة حزب الله قبل سنوات مضت، لكن مشايخ السعودية كانوا أنضح مني وأبصر مني، لأنهم عرفوا هؤلاء على حقيقتهم (الإيرانيون وحزب الله) هم كذبة».

فتفجرت أفواه وكالات الأنباء الرفضية والقنوات الفضائية التابعة للشيعة في العالم وفي وقت واحد، وكأنهم على ميعاد! في تشويه صورة الشيخ القرضاوي ورميه بشتى ألوان الأكاذيب والافتراءات ووصفه بأرخص الصفات من النفاق والدجل والخنوع والعمالة للصهيونية والماسونية وإثارة الفتن!!!

هذا غيض من فيض ممن كان لهم نيات طيبة لوحدة الصف من أهل السنة، لكن القوم لا يصلحون ولا يتنازلون عن بغض الصحابة وسبهم إلا من رحم الله.

من دعاة الشيعة إلى التقريب

١ - محمد الخالصي

هو: محمد بن محمد مهدي الخالصي، من

(٢) كان ذلك في يوم ٢٠١٣/٦/٢ انظر: جريدة الحياة، كما نشرته دنيا الوطن يوم ٢٠١٣/٦/٦.

(١) الوشية في نقد عقائد الشيعة، ص ١٧.

مراسلات مع الخالصي في مسألة الصحابة انتهت بئأسه من استجابة الرجل^(٦).

٢ - عبد الحسين شرف الدين الموسوي

هو: عبد الحسين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم الملقب بشرف الدين، من كبار شيوخ الشيعة في عصره، ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٠هـ وتوفي في بيروت سنة ١٣٧٧هـ. من كتبه: «أبو هريرة»، «المراجعات»، «الفصول المهمة»^(٧).

في الوقت الذي كان يدعي الحماس إلى الإصلاح والتقريب بين السنة والشيعة أصدر كتاباً مليئاً بالطعن في حق خيار الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، والذين هم موضع حب أهل السنة، فهل هذا صنيع من يريد التقارب بصدق؟ وما قصة السباعي عنك ببعيد.

٣ - أحمد الكسروي

هو أحمد ميرقاسم بن مير أحمد الكسروي، ولد في تبريز عاصمة أذربيجان أحد أقاليم إيران وتلقى تعليمه في إيران، وعمل أستاذاً في جامعة طهران، كما تولى عدة مناصب قضائية، وقد تولى مرات رئاسة بعض المحاكم في المدن الإيرانية، وقد أصبح أحد أربعة كبار مفتشي وزارة العدل ثم تولى منصب المدعي العام في طهران، قتله نواب صفوي زعيم جماعة فدائي إسلام سنة ١٣٢٤هـ لما كشف عن عوار الملالي وأثبت ضلالهم، لكونه ليبرالي الفكر.

كانت له محاولات لحسم الخلاف بين السنة والشيعة، لكن موقفه ومنهجه كان سليماً ومتميزاً جداً عن غيره، فإنه مع كونه شيعياً حاول بتجرده وحبهِ للخير والحق، أن يقارن عقائد الشيعة بالقرآن والسنة الصحيحة، وأخيراً

شيوخ الشيعة المعاصرين ودعاة الوحدة الإسلامية في العراق، وهو الشيخ الشيعي الوحيد الذي يقيم مع جماعته «صلاة الجمعة» في العراق، وخلفه أبنائه في دعوته، وله من المؤلفات: «الجمعة»، «الإسلام سبيل السعادة والسلام»، «إحياء الشريعة في مذهب الشيعة»، «الإسلام فوق كل شيء»، «الاعتصام بحبل الله»^(١).

كان يدندن كثيراً عن وحدة المسلمين وعن التقريب بين السنة والشيعة في العراق، وكان يصرح بأن زيادة «أشهد أن علياً ولي الله» من افتراءات الغلاة وليس من الدين في شيء^(٢). وكل ذلك كان يدعيه تقية لا إيماناً لأمرين اثنين:

الأول: أن الذين عاشوا معه في السر والعلن أثبتوا أنه غير صادق في دعواه، يتلون كيف يشاء، قال الشيخ محمود الملاح: «وللخالصي أكاذيب مفضوحة وآراء غريبة شاذة لا يتسع المجال لعرضها»^(٣).

الثاني: أنه يوجد في كتبه ما يناه في الدعوة إلى الوحدة وحب الإصلاح:

١- قال بأن (الأئمة الإثني عشر أركان الإيمان ولا يقبل الله تعالى الأعمال من العباد إلا بولايته)^(٤) وهذا تكفير لجميع المسلمين الذين لا يدخلون في أركان الإيمان: الإيمان بالأئمة الإثني عشر.

٢- أجاز السب على عائشة ومعاوية إلا في باب التقية^(٥).

٣- كان لعلامة الشام محمد بهجت البيطار

(١) انظر ترجمته في كتاب «حجة الخالصي» للملاح.

(٢) الاعتصام بحبل الله، ص ١٨.

(٣) حجة الخالصي، ص ٥ للملاح.

(٤) الاعتصام بحبل الله، ص ٤٣.

(٥) «الإسلام سبيل السعادة والسلام»: ص ٩٠ للخالصي.

(٦) انظر: «الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة» للبيطار.

(٧) انظر: «طبقات أعلام الشيعة»: (١٠٨٠/٣) لأغابزرگ الطهراني.

١- أ.د. علي أحمد السالوس - أستاذ الفقه وأصوله:

«بدأت دراستي بالدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة بتوجيه من أستاذي الجليل الشيخ محمد المدني، على أن التشيع مذهب خامس بعد أربعة أهل السنة؛ غير أنني عندما بدأت البحث واطلعت على مراجعهم الأصلية وجدت الأمر يختلف تماماً عما سمعت.. فدراستي إذن بدأت بتوجيه من الشيخ المدني من أجل التقريب، ولكن الدراسة العلمية لها طابعها الذي لا يخضع للأهواء والرغبات».

٢- العلامة محب الدين الخطيب:

«إن استحالة التقريب بين طوائف المسلمين وبين فرق الشيعة هي بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول، كما اعترف به وأعلنه النصير الطوسي، وأقره عليه نعمة الله الموسوي الخونساري ويقره كل شيعي، وإذا كان هذا في زمن النصير الطوسي فهو في زمن باقر المجلسي الآن أشد وأفظع»^(٥).

٣- ناصر الدين الهاشمي:

«ليس أدل على خداع دعوى التقريب من سوء حال أهل السنة في إيران؛ فلو صدقوا في دعواهم لقاربوا بين صفوف الشعب الإيراني سنة وشيعة»^(٦).

٤- د. أحمد الأفغاني:

«لقد عشت مع شيعة العراق وإيران والسعودية ولبنان ثماني سنوات محاوراً ومناقشاً، وقد اتضح لي على وجه اليقين أنهم صورة طبق الأصل من كتبهم السوداء المنحرفة»^(٧).

توصل إلى بطلان أصول العقائد الشيعية الإثني عشرية وسطرها في كتاب سماه «التشيع والشيعة» أثبت فيه ما يلي:

١- أن خلاف الشيعة مع المسلمين إنما سنده التعصب والتحزب لا الحجة والبرهان^(١).

٢- يرى أن الروافض انحرفوا بالتشيع إلى (الفلو في حب علي ومعاداة أبي بكر وعمر وعثمان) بدعوى أن علياً كان أحق بالخلافة منهم فظلموه حيث سبقوه، وكان هذا الإفراط يشتد بمرور الزمن، وكان التشيع يتطور من جهاد سياسي إلى عقائد مفرطة^(٢).

٣- يرى أن الشيعة وضعوا أحاديث، وأولوا القرآن، وحرفوا الأخبار والوقائع^(٣).

٤- ذكر بالأدلة القوية خرافة غيبة المهدي، ثم قال: (وكفى دليلاً على ضلال قوم انقيادهم لدعوى كهذه)^(٤).

٥- عقد باباً كاملاً فند فيه عقيدتهم في الإمامة، وقولهم بتحريف القرآن، وزعمهم ارتداد الصحبة إلا ثلاثة، وغيرها، وأبطل دعاويهم الكاذبة كتفويض الأمور للأئمة، وأنهم يعلمون الغيب، وادعاء المعجزات لهم، ودعوى أن الشيعة من طينة خاصة، ثم ذكر فيه جرائم الرافضة عبر التاريخ منذ نشأتها على يد اليهودي ابن سبأ.

ولأجل ذلك ضربه الروافض بالرصاص، وطعنوه بخنجر داخل وزارة العدل الإيرانية فأدى إلى قتله.

اعترافات دعاة التقريب بفشل التقريب

هذه شهادات لعلماء آخرين من أهل السنة كانت لهم تجارب مع التقريب بين الفريقين:

(١) أنظر التشيع والشيعة، ص ٣١.

(٢) التشيع والشيعة، ص ١٧.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٥.

(٤) نفس المصدر، ص ٤٧.

(٥) انظر: الخطوط العريضة.

(٦) انظر: موقف أهل السنة في إيران.

(٧) انظر: سراب في إيران.

أصبحت تُفرض مثل هذه القضايا على أجندتنا. بدأت الباحثة فصلها الأول بالحديث عن مفهوم الحداثة وتاريخه وملاحمه الثقافية، وخلصت إلى أن الحداثة «تيار فكري ذو مفاهيم فلسفية يقوم على رفض الماضي تراثاً، وقيماً، ومبادئ، ليبني مرجعية جديدة تركز على العقل وتقديس الإنسان في عملية التحديث التي ينتهجها، وذلك في تمحور شديد حول الذاتية الفردية والقيم النفعية».

ثم تناولت في ذات الفصل معالم منهج الحداثيين في تفسير القرآن، وقد بينت الباحثة أن اهتمام الحداثيين بالقرآن الكريم ليس نابعاً من الإيمان به وتقديسه كما لدى المؤمنين، بل مرجع هذا الاهتمام هو أن القرآن الكريم هو

من أهم العقبات في وجه المشروع الحداثي لما له من مركزية في وعي الأمة، ولذلك أعملوا معاوهم لهدمه وتشويهه، على غرار تجربة الغرب للخروج من عصور الانحطاط.

التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته جمال البنا نموذجاً

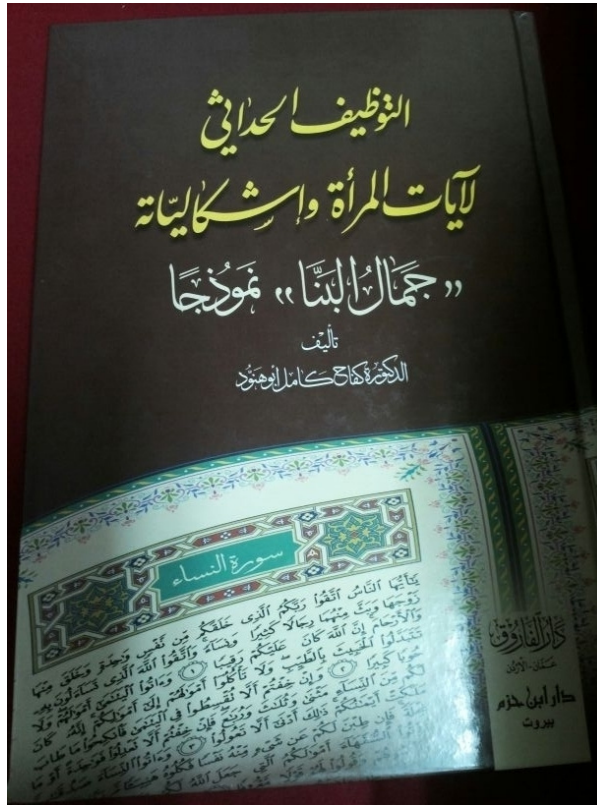
إعداد: أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

هذا الكتاب صدر عن دار الفاروق بعمان ودار ابن حزم ببغداد، عام ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م، وهو من تأليف الدكتورة كفاح كامل أبو هنود، والكتاب يقع في ٤٧٥ صفحة، وهو في الأصل رسالة دكتوراه قدمت في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سنة ٢٠١١ م.

والكتاب يعالج قضية معاصرة في غاية الأهمية من جهتين، فهو يعالج قضية المرأة، ويعالج قضية الحداثة، وهاتان القضيتان هما من إفرازات

العلمانية ولا صلة لهما أصلاً بالإسلام، ولكن بسبب الغزو العلماني الإعلامي والثقافي لأمتنا

(*) كاتب أردني.



الإسلامي وتوسعه في زمن السادات، واستخدامه من الأعداء لضرب المشروع الإسلامي بسبب نسبه العريق في الإخوانية!

في الفصل الثاني تناولت الباحثة منهج جمال البناء في تفسير آيات المرأة، وقد تناولت في البداية النظرة القرآنية للمرأة في النسق الإنساني والاجتماعي، ودورها الوظيفي كما بينه القرآن.

ثم عرضت للمقدمات الفكرية التي يستند إليها البناء في تفسيره ونقضتها، وهي: القول بأثر العوامل التاريخية في تشكيل المفاهيم القرآنية، والدعوة إلى تجاوز كتب التفسير وكتب علوم القرآن، ورفض المنهج اللغوي في التفسير، وواضح أن هذه المقدمات الباطلة ستؤدي إلى نتائج كارثية.

ثم انتقلت الباحثة لعرض ومناقشة أسس البناء في التفسير وهي: أساس اعتماد الفهم الموضوعي وعدم التفسير آية آية، وأساس العقل فيقول البناء: «بل إننا أمام النص القرآني نفسه يجب أن نفكر ولا يجوز أن نخر أمامه صماً وعمياناً، فقد تكون العلة التي من أجلها أصدر القرآن حكماً قد انتفت، وبالتالي لم يعد من مبرر لإعمالها»!!

وأساس منظومة القيم الحاكمة التي يمكن أن يستتبط منها حكم كقيمة العدل بخلاف قيمة التقوى، وبناء على ذلك يرفض البناء الطلاق إلا أن يكون علانية مثل العقد علانية!

والأساس الرابع هو العرف، ولكنه يجعل العرف حاكماً على النص القرآني وليس مكملاً له! والأساس الخامس توظيف المعنى الإعجازي، وأخيراً السنة ويقصد بها تطبيقات النبي ﷺ التي شاهدها الصحابة فقط، أما السنة القولية والتقريرية فهي مردودة عند البناء!

وعلى هذا تقوم رؤية البناء على أن الفقهاء وعلماء التفسير يتحملون بشكل خاص مسؤولية واقع المرأة المسلمة المعاصرة، وأن الحل هو استبعاد آراء الفقهاء والمفسرين والعودة المباشرة للقرآن، وأن أحكام المرأة هي من قسم الشريعة في

واستعرضت د. أبو هنود الآليات التي استعملوها للتخلص من سلطة النص القرآني وفندتها بعبارة واضحة وبسيطة، وأن الغاية من وراء ذلك كله هو جعل آلية فهم النص القرآني من خارجه وليس من داخله، مما يترتب عليه نسف الأصول الاعتقادية الكلية للإسلام، وإلغاء الأحكام الشرعية، والتخلص من التراث الإسلامي، وتشويه التاريخ الإسلامي.

وختمت الفصل الأول باستعراض لشخصية جمال البناء، محور الدراسة، ومكانة جمال البناء لا تأتي من القيمة المعرفية لإنتاجه الشرعي بقدر ما هي ناتجة من سوء هذا الإنتاج ولكن الأهم من هذا أنه صدر من الشقيق الأصغر لحسن البناء، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وهذا هو سبب الاحتفاء الإعلامي العلماني به، رغم أن جمال البناء لم يقبل فكر أخيه الكبير وكان يصرح بذلك في حياته.

استطاعت الباحثة تكوين صورة جيدة عن اتساع ثقافة جمال البناء وأنه بنى نفسه بنفسه من خلال المطالعة فهو يقرأ كتاباً عربياً كل يوم، وكتاباً غربياً كل يومين أو ثلاثة عبر سنوات عمره الـ ٩٠! لكن غالب هذه المطالعة للكتابات الغربية أما رصيد الكتب الشرعية فقليل فيها! فنشاطه العام كان في المجال النقابي العمالي بسبب مطالعاته العميقة والكثيرة المبكرة للتجربة الاشتراكية، ولذلك نجح في تقديم جديد ومفيد في ذلك الباب، أما حين ولج القضايا الشرعية فظهر نقصه وعجزه وانحرافه.

كانت أولى كتابات جمال البناء الإسلامية بعد ٢٥ عاماً من العمل والتأليف في الفكر النقابي والاشتراكي والليبرالي، دون أي مقدمات، ففي عام ١٩٧٢م أصدر كتابه (روح الإسلام)، وبعد ١٠ سنوات أصدر كتاب (الأصلان العظيمان)، ويطرح البعض مبررات هذا التحول بظهور جيل أكاديمي في قطاع العمل النقابي سحب البساط من تحت قدم جمال البناء، وانتشار الفكر

القرآن القابل للنمو والتطور بخلاف آيات العقيدة الثابتة - والعقيدة عنده تقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر فقط - !

وبعد هذا التأصيل لمنهج البناء المنحرف تبدأ الباحثة في إيراد الأمثلة التطبيقية لفهم الحداثي للبناء على آيات المرأة، وتناقشها وهي:

١ - آيات اللباس والزينة: بحسبه فلا دليل على غطاء الرأس، ويجوز إظهار الزينة، والتبرج هو الابتذال في اللباس، ولذلك المطلوب هو الحشمة وليس الحجاب!

٢ - آيات الزواج: يعتبر البناء الزواج اختراعاً بشرياً وجاء القرآن بتأييده، لكنه ينتقد الضوابط الشرعية لعلاقة الرجل والمرأة ويعتبرها سبباً رئيسياً لحالات الفشل الزوجية! ويعتقد أن اشتراط الولي للمرأة في الزواج إهانة وتغييب لها عن المجتمع، أما حق القوامة للرجل على المرأة فيرى أنه كان مرتبطاً بالإنفاق المالي، والآن وقد أصبحت المرأة منتجة ومستقلة مالياً فلا مكان للقوامة في عالمنا، أما الطلاق فلا يجوز عنده أن يبقى بيد الرجل بل يكون علانية وتحضره المرأة والشهود.

٣ - آيات تعدد الزوجات: يعتبرها مرحلة مؤقتة لتقييد التعدد المفتوح، أما الآن فقد وصلنا مرحلة منع التعدد والاقتصار على زوجة واحدة فحسب.

٤ - آيات المساواة: يرى البناء أن آيات المساواة جاءت بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في خطوة تحريرية رائدة، لكن منذ عهد الخلفاء تم النكوص عن ذلك على يد الفقهاء والنظرة السلفية.

٥ - العلاقة بين الجنسين قبل الزواج: يروج البناء أن الممارسات التي تحدث بين الشباب من الجنسين قبل الزواج - ما دون الزنا - هو من قبيل اللمم الذي تكفره الحسنات.

٦ - زواج المتعة: يجيز البناء زواج المتعة بحجة ظروف العصر الصعبة على الشباب.

٧ - ميراث المرأة: يعتبر تقسيم الميراث الثابت في القرآن لا يحقق العدل اليوم بعد أن دخلت المرأة

سوق العمل، ولم يعد الإنفاق مسؤولية الرجل، ولذلك لا بد من تعديل النص القرآني ليحقق العدل!

٨ - إمامة المرأة للرجال: ويستند في ذلك على أن معيار الإمامة هو الكفاءة والتقوى والعلم بالقرآن وليس الجنس!

أما الفصل الثالث من الكتاب فخصصته الباحثة للتقويم المنهجي والأخلاقي لمنهج البناء، وأثبتت ابتعاد البناء عن المنهج العلمي الصحيح لتفسير القرآن، وبدلاً من ذلك جعل الواقع هو الذي يحكم على القرآن والشرع، ولم يكن البناء أميناً في نقل كلام العلماء والوقائع، فهو يطلق تعميمات دون استقراء شامل، ويحكم الهوى في اختياراته.

ولذلك يقع البناء في الاضطراب والتناقض، فمثلاً هو لا يرى شعر المرأة من العورة ويجوز كشفه، ثم يعود ويوجب عليها تغطيته في إمامتها للرجال في الصلاة!

والحقيقة أن غالب القضايا التي يثيرها البناء هو مقلد فيها للعلمانيين الذين سبقوه كقاسم أمين ونصر أبو زيد!

أما تقييم رؤية البناء من الناحية الأخلاقية فالباحثة تنبه إلى أن الغرض الحداثي من كل هذا التشويه لآيات المرأة هو ترويج الرؤية العلمانية الغربية المنحلة للمرأة لتكون الرؤية السائدة والقائمة في الواقع، هذه الرؤية التي تقوم على المتعة، والمتعة فقط، ولذلك يتم استغلالها في الأنشطة التجارية بطريقة جنسية بذيئة.

وفي الختام: يمتاز الكتاب بالعمق الفكري والإلمام بأطراف الموضوع مع سهولة العبارة وسلاسة الترتيب للمباحث والفصول، ويعد إضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية والعربية.

بالمقطم، وتحت رعاية جبهة أنصار أهل البيت وتيار الشباب المصري الإسلامي ومركز الفاطمية للدراسات وشبكة الأشتار الرسالية.

مدونة مصر الثورة ٢٠١٣/٨/١٢

صدقك وهو كذوب!

قالوا: بدأت مصالح الأمن الوطني تحقيقاً بعد عثورها في وقت متأخر من الليل على منشورات مسيئة للإسلام والمسلمين تم توزيعها في شوارع مدينة تلمسان تحمل عنوان «يهودي وأفتر» ، حيث تحفظت على عدد منها وتسعى للوقوف على مصدرها ، مشيرة إلى أن هذه العملية تبدو منظمة ، وتخطب جموع العرب والمسلمين بعبارات تهكمية جارحة.

هذه المنشورات تسخر من المسلمين وتصفهم بالغباء ، تضمنت تهليلاً بنجاح المؤامرة اليهودية ضد العرب والمسلمين إذ كتب فيها «زال مجدكم يا عرب ويا مسلمون ، رأيتم ماذا فعلنا بكم بدهاء.. لقد شجعنا الانحلال الخلقي ونزعنا عن بناتكم الحجاب وغطينا به قرآنكم.. واليوم لا يوجد شاب قادر على حمل المصحف».

وجاء في المنشورات: «لقد أصبحتم رهن إشارتنا نحرككم كيفما نشاء، ومتى نشاء، صدرنا إليكم ملابسنا التي تفضح عوراتكم.. حاربنا اللغة العربية فهجرها الناس، وأصبحوا يفتخرون

يعمل لصلحة أمريكا أم إيران؟

قالوا: إن «أميركا وإيران تخوضان حرباً بالوكالة في سوريا محصلتها صفر في الوقت الراهن»، «إذن، وفي حال، سقط الأسد فإن الجانبين، الإيراني والأميركي، لديهما عدو جذري مشترك وهو الجهاديون السنة»!

المحلل الأميركي من أصل إيراني

بمؤسسة كارنيغي

للسلام الدولي كريم سجانبور

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٩/٤

البعض يراهم قيادات وطنية!

قالوا: إن رفع صور قيادات أجنبية في شوارع بغداد ومنها صور السيد خميني والسيد خامنئي تثير حفيظة المواطن العراقي وتمس سيادة العراق.

النائب حيدر الملا

الشرق الأوسط - ٢٠١٣/٨/٢٧

سعد الدين إبراهيم طائفيًا!

قالوا: سيقوم عدد من الشيعة المصريين والإيرانيين بحفلات متعة جماعية في المقطم، تحت مسمى حفل تأبيني لذكرى مقتل حسن شحاته الشيعي ورفاقه.

وأكدت مصادر بأن هذه الحفلة ستكون غداً الثلاثاء بمركز ابن خلدون بالمقطم بـ ١٧ ش ١٢

بالحديث باللغات الأجنبية.. أشعلنا باستمرار الفتنة بين طوائف المسلمين فقد فجرنا مسجدا للشيعة وقتلنا فجره السنة، ودمرنا مسجدا للسنة وقتلنا دمره الشيعة».

ويختتم أصحاب هذه المنشورات كتاباتهم بقول: «أنا يهودي في إطار أمريكي وأفتخر».

جريدة اليوم السابع ٢٠١٣/٩/٥

هل المسلمون مؤمنون عنك؟

قالوا: بات المسيحيون يرون ويسمعون ما لم يعتادوا رؤيته وسماعه في السابق من نتائج تصاعد نمو حركات التطرف الديني، وازدياد الحذر عند مسيحيي الأردن تجاه العيش المشترك المعهود، وصل في بعض الأحيان إلى تكفير غير المسلمين وتغريبهم عن الوطن، والحث في شكل علني على عدم الاشتراك في أفراحهم وأحزانهم، لا أقول إن هناك اضطهادا يمارس على المسيحيين في الأردن، لكن هناك حتما تغيير في النظر إليهم على مستوى الشارع، ونوع من التمييز على أساس ديني في بعض مرافق المجتمع.

المطران مارون لحام – مؤتمر «التحديات

التي تواجه المسيحيين العرب» بالأردن

موقع عمون ٢٠١٣/٩/٤

ترويج الشذوذ بالصحف

بعد الروايات والأفلام

قالوا: استنكرت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان قيام السلطات العُمانية بإحالة «صالح الزكواني» رئيس تحرير جريدة «The week» العُمانية والمحرر بالجريدة نفسها «راج شدهوري» للدعاء العام على خلفية نشر الصحيفة لمقال حول المثلية الجنسية في

عُمان.

وكانت الصحيفة التي تصدر باللغة الإنجليزية قد نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ أغسطس الماضي مقالاً يسرد قصة عن علاقة بين مثليين جنسياً وهو ما أثار حفيظة العديد من المسئولين في عُمان والذين اعتبروه إهانة لدولة عُمان التي وصفوها بالخالية من «الشذوذ الجنسي» على حد تعبيرهم، وطالبوا بسحب تراخيص الصحيفة وإحالة رئيس تحريرها للتحقيق.

وكالة أنباء ona ٢٠١٣/٩/٥

بمكرهم يغلبون تقصيرنا!

قالوا: ٦٥٠ رسالة، أرسلها الأسد ونظامه إلى أعضاء ومسؤولي مجلس العموم البريطاني.. وجماعتنا.. على هاد خاين وهاد عميل وهاد حرامي! بأسنا بيننا شديد.

تغريدة من المذيع موسى العمر

وعلني، وعلى فترات مختلفة من مرحلة الرئيس السابق حافظ الأسد، كما في عهد الرئيس بشار الأسد، على أن الجزء الأكبر منه كان خلال الفترة الثانية أي منذ تولي بشار الأسد سدة الرئاسة خلفاً لأبيه في العام ٢٠٠٠.

خلال تلك الفترة تم إنجاز العديد من الدراسات والأبحاث التي ترصد وتناقش هذا الموضوع، بعضها غلب عليه الطابع الديني، إلا أن البعض الآخر تميّز بالرصانة والبعد العلمي، لعل أبرزهم:

(١) في العام ٢٠٠٦، نُشرت دراسة تحت عنوان (عملية التشيع في سوريا ١٩٨٥ - ٢٠٠٦، دراسة اجتماعية - إحصائية)، وجاءت الدراسة في ٣٢ صفحة، وقدم لها الكاتب والصحفي السوري نزار نيوف. وقد قام بهذه الدراسة باحثون ميدانيون في مجال «علم الاجتماع» و«علم الاجتماع السياسي» و«الإحصاء»، ويشتركون في أنهم جميعاً علمانيون ونشطاء في حركات «المجتمع المدني» السورية. وقد أُجريت الدراسة على مدى ستة أشهر، وهي تتناول «التشيع» في سوريا خلال عشرين عاماً، مع ملحق إضافي تناول النصف الأول من العام ٢٠٠٦.

(٢) وفي يونيو من العام ٢٠٠٩، نُشرت دراسة أصغر من ٢٦ صفحة، وحملت عنوان «التحول الشيعي في سوريا» وذلك كفصل من فصول إصدار «اتجاهات حاليّة في الأيديولوجيا الإسلامية» في المجلد الثامن الصادر عن (مركز الإسلام والديمقراطية ومستقبل العالم الإسلامي) في معهد

كيف يتلاعب الأسد بالمعطيات الديموغرافية في سوريا... تجنيس الشيعة

علي حسين باكير - مجلة المجلة ٢٠١٣/٨/٢

أثار قيام نظام بشار الأسد بمنح الجنسية السورية لأعداد كبيرة من الشيعة مؤخراً، الكثير من المخاوف والهواجس المرتبطة بسيناريوهات المرحلة المقبلة، خاصة أن ذلك جاء مترافقاً مع قيام النظام بعملية إبادة وتهجير ممنهجة لبعض المناطق، تبعها إحراقه للعديد من مراكز تسجيل الملكيات، ومباني التسجيل العقاري في مناطق مختلفة كما حصل مؤخراً في حمص.

يبلغ عدد الشيعة في سوريا وفقاً للأرقام الرسمية حوالي ٠,٤٪ من إجمالي السكان، فيما ترفع بعض المواقع الإلكترونية التابعة لهم نسبتهم إلى ٢٪، علماً أنه غالباً ما يتم دمجهم مع العلويين حينما يتم الإشارة إلى نسبة العلويين من إجمالي الشعب السوري، والتي تصل مع كل الفئات الأخرى من التشيع إلى حوالي ١٢٪ من السكان. ناهيك عن المهاجرين من الإيرانيين واللبنانيين، والعراقيين أيضاً الذين يتجاوز عددهم وحدهم المليون، أي أكثر من ٥٪ من السكان.

دراسات سابقة عن التشيع في سوريا

ولا يُعدّ موضوع التشيع والتجنيس جديداً على المشهد السوري، حيث تم تداوله سابقاً على مستويات متعددة داخل وخارج سوريا بشكل سري

هادسون. وقد أعدّ هذه الدراسة البروفيسور خالد سنداوي، وهو متخصص في الدراسات الشيعية، وله عدّة مؤلفات وأبحاث قيّمة وعلميّة منشورة في مجلّات محكمة في هذا المجال. وتشكّل دراسته هذه جزءاً من كتاب له سينشر عام ٢٠١٤.

(٣) وفي العام ٢٠٠٩، نُشرت دراسة أخرى بدت رصينة وعلى قدر عالٍ من الاحترافية والتوثيق والتدقيق تحت عنوان (البعث الشيعي في سوريا ١٩١٩ - ٢٠٠٧) قام بها «المعهد الدولي للدراسات السوريّة» والذي عرّف عن نفسه بأنّه معهد بحثي مستقل وغير ربحي ومتخصص في الدراسات السوريّة. وقد رعت هذه الدراسة التي تقع في ٢٠٨ صفحات «حركة العدالة والبناء» حيث تمّ التنويه إلى ذلك في الدراسة المنشورة.

التشيع كمشروع سياسي في عهد بشار

الأسد

كل هذه الدراسات على اختلاف توجهاتها وآلياتها البحثية تجمع على حقيقة أنّ موضوع التشيع بدأ في عهد حافظ الأسد الذي كان واعياً للأمر، ويستخدمه لأغراض خاصّة فيتحكّم به سماحاً ومنعاً متى ما شاء، وتصاعد بشكل علني غير مسبوق في التاريخ السوري في عهد ابنه بشار الأسد الذي فقد فتح الباب على مصراعيه ومن دون أيّة شروط أو قيود للنفوذ الإيراني لعملية التشيع داخل سوريا، بل وحتى بتسهيل غير محدود من نظامه وأجهزته الأمنية والاستخباراتية.

كل هذه الدراسات على اختلاف توجهاتها وآلياتها البحثية تجمع على حقيقة أنّ موضوع التشيع بدأ في عهد حافظ الأسد الذي كان واعياً للأمر، ويستخدمه لأغراض خاصّة فيتحكّم به سماحاً ومنعاً متى ما شاء، وتصاعد بشكل علني غير مسبوق في التاريخ السوري في عهد ابنه بشار الأسد

فبعد وفاة والده عام ٢٠٠٠، وعندما أصبح بشار الأسد رئيساً، بدأ التوازن الذي وضعه حافظ الأسد بخصوص النشاط الإيراني في الانهيار، فقد كان

وصول بشار عاملاً حاسماً في رفع أيّة قيود على النشاط الشيعي الإيراني في سوريا بالشكل الذي يحلو لهم، وقد بدا واضحاً أنّ التشيع تحول إلى مشروع سياسي.

وتشير التقارير إلى أنّه - وعلى عكس والده - لم يتقرب بشار من المشايخ السنّة، وإنما من نظرائهم الشيعة خاصة خارج سوريا. وقد كان بشار متأثراً بشكل كبير أيضاً بشخصيّة حسن نصر الله، حيث كان لهذه العوامل أثرها في تسهيل النشاط الشيعي في سوريا، بالإضافة إلى وجود قرار سياسي وأمني بدعم عمليات التشيع، لدرجة أنّ رجل الدين البارز «البوطي» والمقرب من النظام (قُتل مؤخراً) انتقد في نيسان/أبريل ٢٠٠٦ بشكل علني التمدد الشيعي في البلاد واحتلالهم حتى للمنابر والمقامات السنيّة.

ويضيف آخرون إلى هذه الأسباب، عوامل أخرى، منها:

(١) إنشاء عدد كبير جداً من المزارات الشيعيّة في أنحاء مختلفة من سوريا. ويتم هذا الأمر بداية من خلال السيطرة على أحد القبور (أو حتى اختلاقتها كما جرى في داريا) ومن ثمّ نسبته إلى أحد أفراد أهل البيت حتى يتم العمل على إنشاء بناء عليه، ثم يتم تطويره وتوسيعه حتى يصبح مزاراً يأتيه الإيرانيون والشيعة حجّاجاً بالآلاف، فيقيم بعضهم ويستقر هناك، ثمّ ينشأ «مجتمع المقابر» فيتم شراء البيوت والأراضي المحيطة بالقبر للتوسّع، فتضاف حسينية إلى المكان، وربما مجمّع كبير، وكذلك بناء فنادق وأسواق وأماكن سكن محيطة بالقبر والحسينية، بحيث تكون مستعمرة إيرانية تحت غطاء الدعوة الدينية للتشيع لأهل البيت.

(٢) الإغراءات الماليّة والاقتصاديّة والتعليميّة للفقراء، وقوّة الإعلام الشيعي، وفتح المجال له بشكل رسمي. إذ لم يفهم المواطنون السوريون لماذا يقوم التلفزيون السوري الرسمي للبلاد بتقديم برنامج لمدة ساعة للمبشر الشيعي العراقي عبد

الحميد المهاجرة؟ ولماذا تَبْتُ برنامجاً تبشيراً للعراقي عبد الزهراء، ولماذا تقوم محطة راديو «إف إم» ، ببث مواد فكرية وسياسية مماثلة لمواد حزب الله في لبنان، و«المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» في العراق!

٣) نفوذ حزب الله السياسي والعسكري خاصّة بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦، ونشوء الحلف الثلاثي (حزب الله - الأسد - النظام الإيراني) الذي دفع بعمليات التشييع والنفوذ الإيراني ليصل إلى أوجه في سوريا.

انكشاف مشروع الأسد التشيعي سياسياً واجتماعياً

ما بين العام ٢٠٠١ و٢٠٠٦، أنشئ في منطقة السيدة زينب وحدها أكثر من ١٢ حوزة شيعية، وثلاثة كليات للتعليم الديني الشيعي، أي أنّه خلال عدّة سنوات فقط تمّ إنشاء ثلاثة أضعاف ما تمّ بناؤه في ربع قرن، كما حصلت أول جامعة إسلامية شيعية على ترخيص أمني للعمل في سوريا في عام ٢٠٠٣.

ولوحظ أنّ الشيعة (حتى من غير المواطنين السوريين) لا يجدون أي صعوبة في فتح كليات لهم في سوريا. ففي العام ٢٠٠٦ على سبيل المثال تم افتتاح كلية دينية شيعية في بلدة الطبقة رغم أنّه وفقاً للبروفيسور خالد سنداوي لا توجد في سوريا بأكملها سوى كليتين دينيتين سنّيتين، واحدة في دمشق والثانية في حلب حصلت على الموافقة في عام ٢٠٠٧ بعد عقود من الانتظار!

وتشير المعلومات إلى أنّ هناك ما يزيد اليوم عن ٥٠٠ حسينية قيد الإنشاء في سوريا. وقد أدّت هذه المعطيات مجتمعة والمتعلّقة بأقلية من هذا النوع إلى طرح السؤال «لماذا؟» ونجم عن ذلك موجة كبيرة من التملل والتذمر والاحتجاج غير المسبوق في تاريخ سوريا.

ففي تموز/ يوليو من العام ٢٠٠٦، أصدر أكثر من ٢٠٠ من كبار علماء الشام وسوريا بياناً موجّهاً

بشكل مباشر وخاص إلى رئيس الجمهورية بشّار الأسد، وهو البيان الأوّل من نوعه منذ أكثر من ٣٥ عاماً، لم يخفوا فيه غضبهم وحنقهم على المد الشيوعي الحاصل في البلاد مع إشارات واضحة إلى أنّه يتم برعاية رسمية نظراً وبخلاف كل القوانين المعمول بها في البلاد بما في ذلك القوانين والقرارات الحكوميّة والرسميّة والتي تسري حتى على الشأن السنّي، وكان من بين الموقعين على البيان مدير التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف، الأمر الذي أدى الى طرده من منصبه على الفور.

وقد شهد ذلك العام أيضاً انتقادات من قبل أطراف سورية متعددة للنفوذ الإيراني المتزايد، والذي يتضمن عمليات تبشير شيعي وتغيير ديمغرافي واجتماعي في أنحاء مختلفة من سوريا، بمن فيهم نائب الرئيس السوري المنشق عبد الحليم خدام، جبهة الخلاص الوطني المعارضة للنظام السوري، والتي أصدرت بيانات انتقدت هذا الجانب.

من أهداف النظام في تجنيس فئات من الشيعة هو تهئية الأرضية الشرعيّة والقانونية للميليشيات المقاتلة إلى جانب النظام السوري في حربه التي يشنها على المواطنين، وبالتالي فإنه يرفع من فعالية الاستفادة القصوى من هذه الميليشيات ليس في هذه الفترة فقط وإنما في المستقبل.

وكذلك فعلت شخصيات حقوقية كان أبرزها رئيس الجمعية السوريّة لحقوق الإنسان آنذاك المعارض السوري عضو الائتلاف الوطني حالياً هيثم المالح. بل وقامت شخصيات سوريّة رسميّة بالاعتراف بهذا الواقع بشكل سريّ عاكسة تذمر المجتمع السوري.

إذ نقلت برقيّة دبلوماسية للسفارة الأمريكية في دمشق مصنّفة على أنّها «سري» بتاريخ ٨-٢-٢٠٠٧ تحت عنوان «التشيع في سوريا، وانتخابات النظام» تفاصيل لقاء تم بين الدكتور سمير النقي مستشار وزير الخارجية السوري وليد المعلم آنذاك، وبين القائم بالأعمال في سفارة الولايات المتحدة في دمشق، مايكل كورين.

لوحده في دمشق من ٢٧,٠٠٠ في العام ١٩٧٨، إلى ٢٩٠,٠٠٠ في عام ٢٠٠٣.

• ازدياد الشيعة المستقرين في سوريا لاسيما من العراقيين والإيرانيين واللبنانيين، خاصة أن تقارير مفوضية الأمم المتحدة العليا للاجئين (UNHCR) أشارت إلى أن عدد العراقيين في سوريا زاد عام ٢٠٠٧ عن ١.٢ مليون (١٨ مليون عدد السكان آنذاك)، علماً أن تقريراً كان قد صدر عن المفوضية أواخر عام ٢٠٠٥ أشار إلى أن نسبة الشيعة من اللاجئين العراقيين في سوريا بلغ في ذلك العام ٥٧٪. (في السنوات اللاحقة تغيرت النسبة تبعاً).

ومع اندلاع الثورة السورية عام ٢٠١١، وتصاعد الحملة العسكرية التي يشنها النظام السوري على المدن والقرى والبلدات السورية وعلى القاطنين فيها من المدنيين، تحولت الكثير من هذه المناطق إلى مدن أشباح خالية من سكانها، وقد أثار قيام النظام بمنح الجنسية السورية لأعداد كبيرة من الشيعة مؤخراً الكثير من المخاوف والهواجس المرتبطة بسيناريوهات المرحلة المقبلة، خاصة أن ذلك جاء مترافقاً مع قيامه بالتركيز على عملية إبادة وتهجير ممنهجة لبعض المناطق، وأتبعها بإحراق العديد من مراكز تسجيل الملكيات ومباني التسجيل العقاري كما حصل مؤخراً في حمص.

وقد أصدر ناشطون سوريون من السويداء بياناً في ١٥ - ٧ - ٢٠١٣ رفضوا فيه مشروع تجنيس ما يقارب ٤٠ ألفاً من التابعية اللبنانية والعراقية خصوصاً -غالبيتهم من عناصر «حزب الله» اللبناني والعراقي المقاتلة إلى جانب النظام وآخرين مدنيين- ومنحهم نسب عائلات من عائلات الجبل المعروفة والأصلية من سكان المحافظة ومحيطها لإخفاء عمليات التجنيس، وكذلك استملاك أراضي وتوزيعها عليهم.

وقد تحدث التقى بتفصيل عن القلق المتنامي في سوريا نتيجة الجهود الإيرانية في عملية تشيع البلاد في ظل مخاوف من تزايد الاستياء السني إزاء ذلك. وبحسب التقى فإن معظم هذا الجهد يتركز في شمال شرق البلاد، وقد ضرب على سبيل المثال الأنشطة الإيرانية المتواصلة في محافظة الرقة، في شمال شرق سوريا، وهي من المحافظات الصغيرة نسبياً، حيث قامت إيران بتمويل بناء مجمع يضم مسجد ضخماً، وفندق كبير، ومطار.

كما نُقل عن التقى إشارته إلى أن النظام السوري له تاريخ في تنصيب أشخاص من الأقلية الشيعية في سوريا في مناصب حساسة، بالرغم من أن الشيعة في سوريا لا يتعدون ١٪ من السكان، وتقديمهم للعامّة على أنهم من السنة كي يتجنب حقيقة تعيين سنة في هذه المناصب.

تجنيس الشيعة قبل وبعد الثورة السورية

تشير التقارير المتوافرة إلى أن نظام بشار الأسد قام منذ توليه السلطة في منح الجنسية السورية لآلاف الشيعة (البعض يقصر الرقم على ٢٠ ألفاً والبعض يرفعه إلى ٧٤٠ ألفاً حتى اليوم) خاصة من الإيرانيين والعراقيين. وقد سهل من ذلك، وجود قرار سياسي، وازدياد نفوذ إيران في داخل سوريا، عبر:

• اعتماد الأسد على قوة إيرانية خاصة لحمايته النظام، وتعمل جنباً إلى جنب مع وحدات ماهر الأسد.

• الدور الذي تحتله السفارة الإيرانية في عملية التأثير على القرار السياسي في سوريا بل وصناعة القرار الأمني إلى حد كبير، والصلاحيات الكبيرة التي تحظى بها السفارة والقائمون عليها كما بالنسبة إلى كل من يرتبط بها وبشكل يتجاوز السلطات الرسمية السورية نفسها.

• زيادة نسبة تدفق الإيرانيين إلى سوريا بنسبة فلكية خاصة الذين يأتون لأغراض دينية، فقد ارتفع عدد الزوار الإيرانيين لمقام السيدة زينب

بعد العام ٢٠٠٦ على شراء أراضي من الطوائف الأخرى السنة والمسيحيين والدروز بمساحات هائلة. (٢) الأهداف السياسية: يدخل تجنيس الميليشيات الشيعية أيضاً في إطار الحسابات السياسية القادمة للنظام السوري لمرحلة ما بعد العام ٢٠١٤ إذا ما ظل صامداً حتى حينه، وقرر التجديد لنفسه من من خلال الدخول في انتخابات حينما تنتهي ولايته وفق الدستور الحالي في ١٧/٧/٢٠١٤.

وعلى الرغم من أن هذه الكتلة التي تم ويتم تجنيسها قد لا تكون مهمة جداً من ناحية العدد إذا ما أخذت بالمقارنة بعدد المواطنين السوريين أو النخبين السوريين، لكنها مهمة جداً إذا ما أخذت في سياق:

- تهجير ملايين السوريين حيث من المتوقع أن يصل عدد المهجرين إلى حوالي ٣ ملايين نهاية العام ٢٠١٣، ولكن أن تتخلوا حجم هذا الرقم في نهاية عام ٢٠١٤ إذا ما استمرت الأوضاع على ما هي عليه اليوم.

- هناك معلومات تشير إلى إمكانية أن يقوم النظام أيضاً باستغلال المهجرين داخل سوريا واستخدامهم كأداة أيضاً في خطته هذه من خلال العمل على استقطابهم في مخيمات داخل سوريا يقيمها هو بنفسه، خاصة مع إعلان الحكومة السورية بداية الشهر الحالي أنها أقامت بالفعل ٨٣٠ مركزاً يأوي ١٧٠ ألف مواطن من المهجرين. وإذا ما أضيف هؤلاء إلى المتجنسين وموالي النظام، في ظل غياب الطرف الآخر خارج البلاد فإن المعادلة ستختلف بالضرورة.

- إمكانية توظيف هذه الكتلة من المجنسين (مع غيرهم) في إطار مواضيع تتعلق باستفتاءات قد تكون قادمة، أو في تغيير الخريطة الديمغرافية لبعض المناطق بعينها لأهداف تتعلق بسيناريوهات إقامة دولة علوية أو ربما لاحقاً في مرحلة سوريا المستقبل إذا بقيت موحدة (كوضع الشيعة في لبنان من حيث التبعية لإيران واستخدامهم كأداة).

وبغض النظر عن الرقم الحقيقي للمجنسين، فإن الثابت أن هناك عمليات تجنيس حصلت وتحصل للشيعة لاسيما اليوم، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعطيات التي تم ذكرها في سياق التقرير أعلاه، فمن الطبيعي الاستنتاج أن الرقم سيكون كبيراً. أمّا لماذا التركيز اليوم على منطقتي حمص والسويداء، فذلك لعدد من الأسباب أهمها:

(١) الأهداف العسكرية: الهدف من التجنيس في هذا الإطار هو تهيئة الأرضية الشرعية والقانونية للميليشيات المقاتلة إلى جانب النظام السوري في حربه التي يشنها على المواطنين، وبالتالي فإنه يرفع من فعالية الاستفادة القصوى من هذه الميليشيات ليس في هذه الفترة فقط وإنما في المستقبل.

إذ من المعروف وفقاً للعديد من التسريبات أن النظام السوري سيطالب في حال بدء أي عملية مفاوضات برحيل كل المقاتلين الأجانب الموجودين داخل الأراضي السورية كشرط أول، وفي هذه الحالة فإنه يقصد المجموعات التي تقاتله ويستثنى منها المجموعات التي تقاتل إلى جانبه؛ لأنها تكون بموجب القانون سورية بعد تنفيذ لعبة التجنيس التي يقوم بها اليوم.

ومن المعروف اليوم أن هناك عشرات الآلاف من أفراد الميليشيات الشيعية التي أتت من الخارج للمقاتلة إلى جانب النظام السوري لاسيما من العراق ولبنان والتي تضاعف عددها خاصة بعد دخول حزب الله على الخط، وبعد توقيع الحكومة العراقية والسورية اتفاقاً لرفع التأشيرة بين البلدين، والذي كان الهدف منه تسهيل مرور الميليشيات الداعمة للنظام بشكل شرعي بما لديها من عتاد وأسلحة.

يتناغم مخطط الأسد مع المشروع الجيو- طائفي في لبنان، والذي يباشره حزب الله منذ سنوات طويلة، والذي اكتسب زخماً بعد العام ٢٠٠٦. إذ عكف خلال السنوات الماضية ولاسيما

٣) أهداف جيو- طائفية: إذا ما لاحظنا الأماكن التي يقوم النظام السوري بالتلاعب الديمغرافي فيها، فسنجد أنها تتركز أساساً في محافظة حمص وفي منطقة السويداء جنوب سوريا.

ويبلغ تعداد حمص حوالي مليوني نسمة نصفهم في مدينة حمص تقريباً، وتتوزع التركيبة الطائفية لحمص (حوالي ٧٠٪ سنة والباقي علويين ومسيحيين). هجر معظم السنة والمسيحيين، في المقابل لم يهجر أي علوي، بل بالعكس، جلب شيعة وعلويون من مناطق أخرى ليسكنوا في غير مناطقهم في حمص، وهو بذلك يضمن:

- إعطاء عمق داخلي للدولة العلوية المفترضة على الساحل السوري في السيناريوهات التي ما زلت مطروحة بالنسبة للنظام، على اعتبار أن الشريط الساحلي لوحده لا يمتلك مقومات دولة، وليس لديه أي عمق وسيكون محاصر من السنة.

- وصل هذه الدولة المفترضة بالشريط الشيعي داخل لبنان (شرق وجنوب لبنان) وذلك عبر غرب محافظة حمص، على اعتبار أن منطقة غرب حمص على الحدود اللبنانية حلقة وصل بين علوي وشيعة سوريا (المنتشرين على الساحل السوري وأطراف حمص)، بشيعة لبنان في (الهرمل والبقاع).

- التمهيد في مرحلة لاحقة ربما ووفقاً للمتغيرات الميدانية والعسكرية على الأرض من مد مساحة وجغرافية هذا الامتداد الطائفي إلى شرق سوريا ومحاولة وصله بالعراق، وهو الأمر الذي من شأنه أن يبقي المشروع الشيعي الإيراني حيّاً، ويتحوّل السنة في سوريا ولبنان والعراق إلى أسرى للحصار الشيعي وليس العكس.

ويتناغم هذا المخطط مع المشروع الجيو- طائفي في لبنان، والذي يباشره حزب الله منذ سنوات طويلة، والذي اكتسب زخماً بعد العام ٢٠٠٦. إذ عكف خلال السنوات الماضية ولاسيما بعد العام ٢٠٠٦ على شراء أراضي من الطوائف الأخرى السنة والمسيحيين والدروز بمساحات هائلة،

وبطريقة ممنهجة تحت أغطية متعددة، منها التجاري ومنها الاستثماري ومنها الإنمائي، لكنها كانت حقيقة من أجل إنشاء امتداد طبيعي للشيعية الموجودين في جنوب لبنان وأولئك الموجودين في البقاع والهرمل، ووصلهم أيضاً بالشيعية الموجودين في سوريا وعلويي الساحل السوري.

وعلى الرغم من أنه يصعب قراءة اختيار النظام في اختيار السويداء كمكان لاستيطان الجنسيتين الجدد، إلا أنه من الممكن تخمين بضعة احتمالات، ومنها:

- كونها منطقة أقليات، والأقليات أقل ممانعة لهكذا مشروع كما يعتقد النظام.
- زرع النظام سابقاً لمهاجرين شيعة خاصة عراقيين في منطقة درعا القريبة.
- لكون المنطقة قريبة نسبياً من الحدود مع إسرائيل فهي ورقة ممتازة للمراوغة مستقبلاً سواء في سيناريو شببيه بالسيناريو اللبناني، من حيث ابتزاز إسرائيل أو في سيناريو مقيضة تأمين أمن إسرائيل بالموافقة عبر هذه المنطقة بمقابل الموافقة على سيناريو دولة علوية في الساحل وحمص.
- إقناع الأقليات خارج دولة الساحل بأنهم لن يتعرضوا لأي أذى مع وجود هؤلاء المسلحين كضمانة لهم في سوريا مقسمة.

التنازع بين المثال والتاريخ...

قراءة في رؤية المعارضة البحرينية للإصلاح

كمال الديب - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٨/٢٠

نشرت المعارضة البحرينية مؤخراً وثيقة سياسية على موقع «لؤلؤة البحرين الإلكترونية»، بعنوان: «وثيقة المبادئ والمصالح المشتركة»، مذيلة بأسماء الجمعيات الخمس المعارضة المشاركة في حوار التوافق الوطني الجاري في البحرين، ضمنها الأفكار والمبادئ التي

تعتبرها أساسية وتشكل المصالح المشتركة التي على أساسها يمكن بناء «عقد اجتماعي جديد». أو ما تسميه هذه المعارضة «إصلاحا حقيقيا ذا معنى»!

ويفضي النظر الموضوعي في هذه الأفكار

والمبادئ بصيغتها المنشورة - أيا كان القصد من نشرها بموازاة حوار التوافق الوطني الذي دعا إليه ملك البحرين منذ فبراير (شباط) ٢٠١٣ - يطرح كثيرا من التساؤلات حول حقيقة مواقف هذه الجمعيات ورؤيتها لسقف الإصلاح السياسي في البحرين، ومدى واقعيته وقابلية التوافق بشأنه، مع بقية مكونات المجتمع السياسي الوطني، بل إن هذا الطرح في علو سقفه يشكك في مدى رغبة الجمعيات المعارضة في الوصول إلى حلول توافقية، من خلال هذا الحوار للخروج من الأزمة السياسية المستمرة منذ فبراير ٢٠١١، إذ يبدو الطرح في مجمله أقرب إلى تحد «سياسي» على الدولة وما قامت عليه من ثوابت.

فمن حيث المضامين والمرجعيات تبدو الوثيقة

في بنيتها اللغوية، وفي مرجعياتها الفكرية، مصاغة وفقا للمرجعية (الليبرالية) ضمن سياق نظام جمهوري، فالمبادئ التي تضمنتها هذه الوثيقة تبدو من حيث طموحها وسقفها أعلى مما هو موجود في بعض النظم الديمقراطية في منابها الغربية العريقة (وللمفارقة، فإن مركز ثقل هذه المعارضة هو جمعية الوفاق الإسلامية، وهي جمعية دينية بتركيبة طائفية مغلقة وبقية دينية معلنة).

كما أن الوثيقة تتضمن تركيزا على

المرجعيات الدولية من حيث القيم والمبادئ والآليات، ومن ذلك الحديث عن الإشراف الدولي على جميع الجوانب السياسية والدستورية في مرحلة الحوار أو (الإصلاح الديمقراطي)، بعيدا عن مفهوم ومعنى ومحتوى الإصلاح السياسي القائم منذ عام ٢٠٠١، ومرجعياته المستقرة، وحدودها المعقولة والمتوقعة، وكذلك «الثوابت الوطنية» المستقرة في

ضمانات الناس، فجميع الإحالات في الوثيقة تتم وفقا لمرجعية الأمم المتحدة والعهود الدولية فقط، حتى إنه يتراءى للقارئ لهذه الوثيقة أننا بصدد إنشاء كيان جديد من العدم (نذكر هنا أن بعض أقطاب المعارضة قد نادى صراحة إبان الأزمة بمجلس تأسيس وطني للبدء من الصفر)، والأخطر من ذلك أنه يتضح في متن هذه الوثيقة وفي هوامشها تواتر الإحالات إلى الخارج، من خلال الحديث عن «مراجعة قرارات الدولة من خلال جهة خارجية مستقلة».

أما على صعيد الصياغة السياسية للوثيقة،

فهناك إحالة على «أفضل الممارسات الديمقراطية في العالم» وأنه (بالتالي) لا خلاف حول المبادئ والرؤى التي تبشر بها على الصعيد الدولي والإنساني، فالتماهي هنا هو مع المطلق، وليس مع الواقع، مع المثال وليس مع التاريخ، فكأنما الهدف في النهاية هو كسب تعاطف المجتمع الدولي كأولوية معادلة لقوة الدولة والمجتمع المحلي، مع الإعراض تماما عن معالجة إشكاليات وتطلعات ورؤى الداخل وتناقضاتها وتوازنها الواقعية وامتداداتها الإقليمية، إذ يبدو الداخل غير مأخوذ في الحسابان في هذه الوثيقة، بما يعزز غياب الواقعية السياسية في مشروع المعارضة في البحرين في مستوى التطلع وسقف «الإصلاح» في اللحظة التاريخية الراهنة..

ولعل اللافت أيضا هو ذلك الإلحاح الغريب

على ضرورة دمج العامل الخارجي في حل إشكاليات الداخل على أساس أنه من الصعب إنجاز تطور ديمقراطي ناجح من دون وجود دور حاسم للعامل الخارجي، بحيث تسهم المساندة الخارجية «الصدقية» في نشر الديمقراطية وترسيخ احترام حقوق الإنسان، دون التنبيه إلى أن هذا النوع من التدخل لا يمكن أن يأتي في سياق مجرد من الأطماع والضغط، ولذلك يظل الاستجداء بالخارج

العبارات نهائياً والاقتصار على صياغات عامة حول هذه الهوية، مع أنه قد جرى تفصيل كل شيء تقريباً.

أما من حيث انعكاس ما ورد في هذه

الوثيقة على الحوار الوطني المتعثر، فيمكن ملاحظة - ومن دون عناء كبير - أن جزءاً من مضمون هذه الوثيقة قد جرى طرحه بالفعل، بإلحاح وإصرار، مع محاولة فرضه على أجندة الحوار، كالمطالبة بوساطة أو خبرة دولية، تشرف على مخرجات الحوار وتنفيذه، هذا فضلاً عن التطابق شبه التام بين أهم مفردات هذه الوثيقة ووثيقة المنامة التي سبق للمعارضة إصدارها، والنقاط المعلن عنها في الحوار كنقاط مرجعية للمعارضة المسماة «النقاط التسع».

ويقود هذا التطابق إلى التأكيد على إصرار

المعارضة على المضي قدماً نحو تحقيق مطالبها بشكل كامل، دون الأخذ بعين الاعتبار مقتضيات التوافق الوطني مع بقية مكونات المجتمع السياسي، الذي لا يتفق مع المعارضة في سقف المطالب، ولا في نوعية الإصلاح السياسي ولا في مدام، ولا في أولوياته، ومع ذلك يؤمل أن تفضي المناقشات والحوارات الجارية حالياً - مهما تعقدت وتعثرت - إلى تعزيز النزعة الواقعية والخروج من عالم المثال إلى توافقات وطنية واقعية حول حلول يمكن تبنيها من أغلبية المواطنين، وتكون معبرة عن «الوسط» الجامع، بما يساعد في النهاية على التقدم نحو المستقبل المشترك، بعيداً عن النزعات الإقصائية والمثالية السياسية والاستقطاب الذي بات يشق المجتمع.

واستحضاره ليكون طرفاً أو عاملاً حاسماً في حسم الصراعات السياسية المحلية عملية لا أخلاقية وغير حصيفة من الناحية السياسية، وتحيلنا مباشرة إلى التجربة العراقية سيئة الصيت.

إن تفحص ما ورد في هذا المشروع، يفضي

إلى نتيجة واحدة حيثما حللتها، وهي الهدم الكامل لأسس الدولة القائمة والممتدة على مدى أكثر من قرنين من الزمان، بشرعية الحكم فيها، وبمؤسساتها الدستورية وجامع شعبها على القيم والمبادئ الجامعة في ميثاق العمل الوطني الشهير، الذي أجمع فيه شعب البحرين بنسبة ٩٨,٤ في المائة على القيم والثوابت وعلى أسس الإصلاح السياسي منذ عام ٢٠٠٢.

وبهذا المعنى، فإن المطلوب صراحة هو الالتفاف

على هذا الإجماع السابق، باعتباره عقداً اجتماعياً يؤصل لشرعية النظام السياسي، والتأصيل لـ«عقد اجتماعي جديد»، وفقاً للمرجعيات والرؤى التي تطرحها المعارضة في هذه الوثيقة أو في «وثيقة المنامة» من قبلها، وهذا يعني إلغاء كل شيء تقريباً و«الانقلاب على الدولة بالمطلق»، فلا توجد إشارة واحدة لشرعية الحكم ولا لطبيعته ولا إلى الملكية الدستورية القائمة، التي فتحت الباب على مصراعيه للتجربة الديمقراطية الجديدة منذ عام ٢٠٠١، ولا إلى الدستور أو الميثاق أو المؤسسات الدستورية والإشكاليات القائمة وكيفية حلها ومعالجتها ضمن سياقها المحلي والإقليمي، فضلاً عن استبعاد المرجعيات الأساسية المستقرة وتقليص جميع ما يتعلق بهوية البحرين العربية وانتمائها إلى الوطن العربي: «استبعاد الفقرات الواردة في دستور مملكة البحرين ٢٠٠٢، مثل (شعبها جزء من الأمة العربية)، (إقليمها جزء من الوطن العربي الكبير)، (لغتها الرسمية هي اللغة العربية)، (البعد الخليجي).. إلخ»، فقد جرى الشطب على هذه

كشفت سنوات الربيع العربي القناع عن

حقيقة العلمانية التي يراد أن تسود في أمتنا العربية والإسلامية، هذه العلمانية التي وفدت إلينا مع طلائع الاستعمار ثم تسنمت المناصب والقيادة من على ظهور دبابات الاحتلال وتحت ظل حرابهم.

وبقيت العلمانية تحاول طيلة أكثر من ١٠٠

عام أن تشرعن وجودها عبر كل أدوات السلطة السياسية والإعلامية والثقافية دون جدوى، فلا تزال العلمانية لا تنجح في أي انتخابات شعبية حقيقية إلا بالتزوير في الصناديق أو التلاعب بالقوانين لإفراغ الساحة لأتباعها أو عبر قوائم جماعة الإخوان المسلمين!!

وهذا انعكاس لفشل العلمانية المتواصل على

صعيد الفكر والتنمية، فلم تفلح جهود العلمانيين الضخمة في القضاء على الهوية الإسلامية لمجتمعاتنا برغم كل المحاولات وعبر كل الوسائل، حتى لجأت مؤخراً لحرب الإسلام من داخله بطرح سياسة علمنة الإسلام وتشجيع الإسلام المدني وإحياء الإسلام الطرقي الخرافي بعد فشل سياسة تجفيف منابع وسياسة البطش والإرهاب، ورافق هذا الفشل فشل أكبر على صعيد التنمية والازدهار في كل الدول العربية حتى البترولية منها!

ومع بدء الربيع العربي وسقوط أنظمة

الاستبداد فاز التيار الإسلامي في كل الانتخابات النزيهة التي جرت، ولكن هذا لم يرق للعلمانيين: سواء «المخلوعين» منهم بالربيع

العربي، أو الخاسرين في انتخاباته!

وهنا كشفت العلمانية (داعية التنوير والحدادة

والتقدم والرقى!) أقنعتها الكاذبة، وفأعلن عن بدأ

مسلسل التكفير العلماني العلني للتيار الإسلامي، فالقذافي كان يصف مخالفيه الإسلاميين بالزنداقة! وبشار يتهمهم بالانتساب للجماعات التكفيرية! وإعلام الانقلاب في مصر يطلق عليهم (جماعة الإخوان الكفار)! وخرجت علينا جريدة صوت الأمة بعنوان عريض حرفت فيه قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ﴾ [الزمر: ٧١]، إلى دعاية تكفيرية فكتبت (وسيق الذين تأخونوا إلى جهنم زمراً)، ولم يتحرك الأزهر ولا وزارة الإعلام ولا نقابة الصحفيين إزاء هذا التحريف والتكفير!!

وأصبح تكفير الإخوان على شاشات

الفضائيات الانقلابية أمراً عادياً في ترسيخ واضح لثقافة التكفير التي زعم العلمانيون أنهم يحاربونها كشكل من أشكال التطرف، لكنهم اليوم يمارسونه بشكل رسمي وعلني بفخر واعتزاز، في تناقض صارخ مع العلمانية الداعية لفصل الدين عن الدولة أو غلاتهم الداعين لفصل الدين عن الحياة!!

أما القتل فقد كشف الربيع العربي عن

مدى ترسخ ثقافة القتل لدى العلمانية - عبر تاريخها - بحق الشعوب، فمن موقعة الجمل إلى مذابح القذافي إلى صواريخ علي صالح إلى براميل بشار، وانتهاءً بمجازر رابعة العدوية وحرق جثث المعتصمين!

ورغم آلاف القتلى الذين أزهقت أرواحهم

ظلماً وعدواناً من الأطفال والنساء والرجال والشيوخ ببراميل المتفجرات والقذائف الكيماوية، لا زالت حناجر مأجورة كثيرة من مثقفي العلمانية تبرر هذا القتل وتستبيحه وتشجع عليه وتدعو إليه!!

ولم تقتصر على ذلك بل سعت إلى التلاعب

بالدين ورموزه عبر الإغراء أو الخداع وتوريط بعض المتدينين إلى استصدار فتاوى وكلمات تبرر

وتشجع على القتل، تم تسجيلها في المؤسسات العسكرية الرسمية وليس في كهوف وسرايب! وتم منتجتها -بزعم بعض المتورطين- وبثها على المواقع الرسمية العسكرية والتلفزيونات الحكومية لتشعرن قتل المعتصمين وليس في المنتديات الجهادية، وفعلاً تفاخر أحد القناصة بسبب هذه الفتوى بقتل ٨٠ متظاهراً سلمياً!!

والطريف أنك لا تسمع دعوات الاستتكار

للضربات العسكرية إلا إذا كانت موجهة للمجرمين المعتدين على شعوبهم، فقد بلغ من اجرامهم دعم الطفلة لقتل شعوبهم ومنع وصول العون لهم من أي جهة كانت، ثم يحدثونك عن الأخوة الإنسانية !!

والذين يؤيدون قتل الجيوش للشعوب

المسكنة في سوريا ومصر ينددون بنية الغرب

قصف مواقع عسكرية للجيش السوري!!

والأوقع من هؤلاء: العلمانيون الطائفون في العراق الذين استجدوا الدبابات الأمريكية والبريطانية لتخلصهم من صدام، في حين أنهم اليوم ينددون - من الكراسي التي يجلسون عليها بفضل تلك الدبابات- بقصف الغرب المحتمل لمواقع الجيش السوري المجرم!!

وقد كشف أحداث الربيع عن طائفية عدد

من عمالقة العلمانية وعتاوتها مثل أدونيس الذي

أصبح نقيب الشبيحة العلمانية بدعمه غير المحدود لمجازر بشار وجنوده بسبب كونه من أبناء الطائفة العلوية !

وفي مصر تعلن وزارة الداخلية عن القبض

على عدد من المجرمين الذين نهبوا بعض

الكنايس فيخرج الأسقف ليكذب الأمن ويتهم

الإخوان المسلمين بذلك ! برغم سيل الشهادات من القساوسة والمتقنين والشخصيات النصرانية التي تتهم الداخلية بالتقصير وتشجيع البلطجية على

سرقة الكنائس وحرقها لبلبة الوضع ضد التيار الإسلامي، كما سبق أن فجرت وزارة الداخلية المصرية كنيسة الإسكندرية قبيل ثورة ٢٥ يناير وألصقتها بشاب سلفي (سيد بلال) قتل تحت التعذيب ثم برأ القضاء الضابط المتهم بتعذيبه وقتله!

لقد سقطت اليوم عن العلمانية كل الأفتنة

التي كانت تختبئ خلفها، فهم كفروا بنتيجة

الصناديق الانتخابية التي صدعوا رؤوسنا بها، ولم يلتزموا بالمدينة التي حاججوا بها، ورحبوا ودعوا العسكر ليتحكم بالعباد والبلاد، ولم يبالوا بأبسط معايير الموضوعية والمهنية في الإعلام، ولم يرفّ لهم جفن من سيل الاعتقالات التعسفية، ولم يطرحوا بديلاً منطقياً لأي مشكلة اعترضوا على حل خصمهم الإسلامي لها!!

وتبقى كلمة نوجهها للعقلاء إن وجدوا أن

ديكتاتورية جمال عبد الناصر أنتجت جماعة

التكفير والهجرة، وغرور السادات واصله قتلاه،

وظلم عسكر الجزائر أدخلها في دوامة الحرب الأهلية، والعلاج الأمني عقب احتلال الكويت وسّع فكر القاعدة بالسعودية، واليوم هذا التطرف العلماني الإرهابي سينتج نقيضه لا محالة، كما أن التلاعب بمسار الثورة السورية ومستقبل سورية بإقصاء الثوار والمجاهدين المخلصين لصالح مصالح الأنظمة والقوى الإقليمية والدولية سيشتعل المنطقة ولن يجلب لها الأمن والاستقرار، فهل من مدكر وهل من صادق يجنبنا الخطر والزلل ؟

أطلقت الجماعة الإسلامية مبادرة وقف العنف عام ١٩٩٧ ومرة على هذا الميلاد أكثر من ١٦ سنة كاملة.. قطعنا خلالها أشواطاً طوال في تدعيم وترسيخ القواعد والأعمدة التي بنيت وشيدت عليها المبادرة الطيبة بل وأثمرت هذه المبادرة ثماراً ذاق حلاوتها المجتمع المصري كله.. بل والكثير من دول الجوار الذين تقبلوها بالبشر والترحاب والقبول. ورأوا فيها بداية حقيقية لفكر عميق واع يدرك المخاطر التي تواجه أمتة الإسلامية.. ويعمل على مواجهتها وحربها والقضاء عليها.. - ورأوا فيها نهاية حقيقية لفترة سوداء مظلمة ومؤلمة في تاريخ مصر.

ورأي عقلاء الأمة وحكمائها أن مبادرة وقف العنف هي بمثابة مصالحة وطنية عظيمة تحفظ نسيج الوطن وتحافظ على أمنه وتعمل على رخاءه ونموه. - ورأوا فيها أنها لم تقدم حلاً جزئياً أو وقتياً للصراع.. وإنما قدمت حلاً جذرياً وأبدية تقضي على الاحتراب الداخلي وتستأصل جذوره وفق رؤية شرعية وواقعية متكاملة. - ورغم مرور ١٥ عاماً وأكثر على مبادرة وقف العنف.. إلا أنه ما زال يحلو للبعض أن يثير الشكوك ويطلق الاتهامات جزافاً ومن غير برهان!! - وقد تقبل هذه الأقاويل وتسمع تلك الأباطيل من العامة ومن أبناء الشارع البسطاء الذين لا خبرة لديهم ولا خلفية ثقافية عندهم.. أما أن تصدر هذه الأقوال ممن يتصدر المشهد الإعلامي والسياسي الآن فلا بد من أن تكون هذه الأراجيف لها دلالات وأهداف خاصة إذا كانت صادرة من أباطرة اليساريين وزعماء الفكر الشيوعي والعلماني في مصر ومن خلفهم الآله الإعلامية الجبارة التي يمولها ويقود توجهها حفنه من دعاء هدم وتغييب المشروع الإسلامي في مصر وقد ازدادت هذه الهجمة شراسة بعد ٣٠

يونيو المصحوب بالإنقلاب العسكري وموقف الجماعة الإسلامية منه المبني على تبني استراتيجيه المقاومة السياسية السلميه في رفض الإنقلاب ثم ازدادت الحده بعد استهداف مجموعه من الكنائس في صعيد مصر ثم بلغت الحمله ذروتها بعد ٤ يوليو علي أثر فض اعتصامي رابعه والنهضه وما تلاها من مسيرات مننده بالإنقلاب واستهداف أمني واضح لقيادات الأخوان المسلمين ثم بلغت المدي الأقصى لها أمس علي أثر محاوله اغتيال اللواء محمد ابراهيم وزير الداخليه. ومن الممكن أن نجيب علي هذه المزاعم والإفتراءات التي تقول بعوده الجماعة الإسلامية إلى العنف من خلال مجموعه من النقاط علي رأسها:- الأولى: أن هناك فقر حاد في معرفة أسلوب الجماعة الإسلامية وقادتها في العمل.. إذ ليس من دأبهم أن يكون لهم وجهان وجه يتحدثون به للناس والإعلام.. ووجه يتحدثون به في الغرف المغلقة.. وبمعني آخر ليس من طبيعتهم أن يتكلموا عن السلام وهم يخططون للحرب. فعندما كانت الجماعة الإسلامية تعتقد أن الصدام المسلح هو الحق والصواب وهو الأهدى سبيلاً نطقت بما اعتقدت ونفذت ما نطقت به في صراحة ووضوح ودون خوف أو مواردية. وعندما رأت أن هذا الصدام لا يصب إلا في صالح أعداء الإسلام وأعداء الأمة وأنه ليس له ثمرة سوى سفك الدماء وزرع الأحقاد وتفتيت الأمة وإضعافها.. بل أنه تحققت فيه كل الموانع التي تدعو لوقفه وانتفت عنه الشروط التي تدعو لإمضائه ووقفت الجماعة الإسلامية ذات الموقف الذي كانت رائدته من أكثر من عشرين عاماً لتعلن بنفس القوة ونفس الشجاعة وقف هذا الاحتراب إلى الأبد مستتدة في ذلك علي الرؤية الشرعية المتعمقة والنظرة الواقعية الواعية. وقد اعلنت الجماعة الإسلامية في كل موطن أنها تتبني المعارضه السلميه وأنها لن تتجر إلى العنف مهما كانت خسائرها وتضحياتها وقدمت بالأمس القريب مبادره قادها الدكتور عبود الزمر لوقف نزيف الدم وإيجاد مخرج للأزمه الراهنه في مصر.

الثانية: المواقف العملية التي اتخذتها الجماعة الإسلامية منذ ثوره ٢٥ يناير وإلى اليوم والتي تدل كلها علي تمسك الجماعة بالخيار الإستراتيجي السلمي الذي تبنته في تسعينيات القرن الماضي فلم تلجأ إلى العنف في الوقت الذي كان العنف فيه مبررا والدولة في أضعف حالتها بعد ال ٢٥ من يناير وإنما كان موقفها يدل علي توجهها وصدق اختيارها فقد حمت الكنائس والمنشآت العامه ومؤسسات الدولة وشاركت في اللجان الشعبية التي حمت المجتمع وحافظت عليه وقت الفراغ الأمني والإنسحاب الشرطي وكذا دشنت الجماعة الإسلامية وحزبها البناء والتنمية مبادره وطن واحد ومستقبل مشترك للتواصل مع الكنائس والأقباط علي كل مستوايتهم في الوقت الذي كانت الدولة تدين للتيار الإسلامي وهذا يدل علي قناعات راسخه بالمنهج الذي خطته الجماعة لنفسها والذي يقوم علي التعايش السلمي الآمن بين أبناء المجتمع والتواصل الحضاري المثمر مع دول الجوار. الثالثة: أن مزاعم عوده الجماعة إلى العنف تخالف أبجديات التسلسل التاريخي للأحداث.. فلم تكن هذه المراجعات وليدة يوم لا شمس فيه أو عقب ضربة إجهاضية أضعفتها وأثرت فيها.. وإنما استغرق التفكير في تلك المراجعات سنوات طوال من البحث المستفيض والجهد المضني والدراسات العلمية المتعمقة والنظرات الواقعية المتأمله حتى تراكمت لدينا قناعات شرعية وواقعية راسخة بضرورة وقف هذا الاحتراب. وبدأنا منذ عام ١٩٩٠ نحاول وأد هذه الفتنة وإيقافها.. ولا يخفى أن في هذا التوقيت كان عدد المعتقلين من أبناء الجماعة الإسلامية لا يتجاوز بضع مئات لا أكثر وعلي الرغم من ذلك كان سعينا حثيثا لطرح أفكارنا و آرائنا حول موضوع العنف والصدام.. وكانت هناك وساطات من كبار العلماء والمفكرين ولكن لم يكتب لها النجاح لأسباب تخرج عن إرادتنا ولا مجال هنا لبسطها. وإنما يُعد ذلك دليلا راسخا على أن قناعتنا بالمبادرة

شرعية وواقعية وليست وفق سياسة مرحليه لإعداد العدة والتقاط الأنفاس إذ كانت الجماعة في هذا التوقيت مكتملة الصفوف خارج جدران السجون إلا من قيادات الصف الأول وبعض المعتقلين. ثم شاء الله في عام ١٩٩٧ أن تنجح مساعيها وأن نخطو أولى خطواتنا في الطريق الذي بدأناه منذ عام ٩٠ لينتهي مسلسل العنف إلى الأبد في تاريخ وابجديات الجماعة الإسلامية ويبدأ فصل جديد يقوم علي النضال السلمي وفتح قنوات التواصل مع المجتمع المصري. الرابعه: وليس أدل علي صدق قادة الجماعة وصدق توجههم نحو إيقاف العنف وإبطاله، من تسطير هذه القناعات في كتب وإصدارات، إذ البداية الحقيقية لأن توصل منهجاً وترسخه أن تمسك بالقلم والمحبرة وتخط ما اعتقدت من آراء وتصورات ليصبح ما سطرته شاهداً عليك وحجة وعهدا بينك وبين الآخرين، ثم إن هذا المنهج المنظر المكتوب يجعل من مسألة التراجع طعناً في مصداقية صاحبه وفي صدق دعوته. ولو كانت المراجعات وسيلة لترتيب الأوراق وتنظيم الصفوف لمعاودة كرة الصدام من جديد لاكتفت القيادات بالكلمات المنمقة والعبارات المزخرفة في الأروقة والمكاتب.. حتى يسهل التوصل منها والتكرار لها عندما تحين الفرصة ويأتي أوان الوثبة أو على أقل تقدير لأصحت كلماتهم حمالة ذات وجوه.. ولكن الجماعة لم تفعل ذلك.. وإنما جاءت الدراسات كما ذكر الأستاذ / أحمد المسسماني « حاسمة ونهائية ولا تحتمل التأويل أو التبديل أو سوء الفهم.. وقد جاء ذلك كله علي وجه يثير الدهشة » الخامسة: ولم تكتف القيادات التاريخية بتنظير منهجها وتسطير آرائها دون لقياء قوية وحقيقة بإخوانهم.. فملكوا القوة والشجاعة وواجهوا إخوانهم وأبنائهم بموقفهم الجديد.. بل بموقفهم الصريح الواضح الراض لجملة التجاوزات السابقة.. فكيف يستساغ في عقل وضمير العقلاء أن تأتي هذه القيادات عندما تحين الفرصة وتقول للقواعد

الهوية. - تغيير الهوية المصرية من خلال الإنفراد بالمفاصل الثقافية والتعليمية والجماهيرية في مصر. - تشويه المشروع الإسلامي وتوجيه ضربات قوية للإجهاز عليه. - صناعه وزرع عداوات بين المؤسسات الأمنية والجماعة الإسلامية. - زرع فتائل أزمه بين الأقباط والجماعة الإسلامية. - توصيف الجماعة عالمياً علي قائمه المنظمات الإرهابية. - الوصول إلى ضربه إجهاضيه للجماعة مماثلة ل تسعينيات القرن الماضي تأخذ عقوداً لعلاج آثارها. وعلي الرغم من كل ما تقدم إلا أن قيادات الجماعة الإسلامية وأبنائها يصرون علي الوقوف في المربع الصحيح الذي خطته الجماعة لنفسها في نهايات القرن الماضي من خلال منظومه المراجعات الفقهية التي رسمت طريقاً واضحاً للجماعة وأبنائها يقوم علي التعايش والتواصل مع أبناء المجتمع المصري علي إختلاف توجهاتهم وتنوع مشاربهم ومعتقداتهم مؤمنين بقول الله تبارك وتعالى «وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الآثم والعدوان»

الشيوعيون يكتبون الدستور الانقلابي!

د. حلمي القاعود - جريدة الوسط ٢٠١٣/٩/٧

بعد انتخابه رئيساً للكنيسة الأرثوذكسية أصدر تواضروس ألا يتم تنصيبه باباً للأرثوذكس قبل انسحاب النصاري والموالين للكنيسة من شيوعيين وناصرين وليبراليين وأشباههم من اللجنة التأسيسية لصياغة الدستور الذي تم الاستفتاء عليه عام ٢٠١٢. كانت اللجنة قد أوشكت على مناقشة المواد الأخيرة في الصياغة النهائية للدستور، ولكن تواضروس أراد أن ينفذ إرادته ويُمضي مشيئته ألا يكون هناك دستور مصري يعبر عن الشعب المسلم، وبالفعل انسحب الموالون له وإن كان الاحتياطي قد وفر الأغلبية المطلوبة وتمت صياغة الدستور والاستفتاء عليه

هيا نخالف ما اجتمعنا عليه سلفاً وما أصلناه شرعاً وعقلاً. ألا ترى معي أن ذلك يُعد انتحاراً لتلك القيادات. سادساً: لقد بلغت أفكار المبادرة بين أبناء الشعب المصري عامة والمتقنين والدولة والحركات الإسلامية خاصة مبلغ التواتر.. ووصلت إلى القاصي والداني من أبناء المجتمع.. وهذا يعد أقوى وأرسخ ضماناً لمصادقية المبادرة في المجتمع والرأي العام. إذ ترسخ لدى مثقفي المجتمع ومفكره بل لدى الرأي العام كله أن الجماعة الإسلامية وقياداتها قد نحت نحو الصلح ونبذت الصدام واعتمدت الطريق السلمي مع المجتمعات والحكومات أسلوباً لعملها ومستقبلاً لأبنائها. ومن ثم فتح المجتمع المصري ذراعيه لاحتضان أبناء الجماعة بتوجههم الجديد فكيف يستساغ غداً التكرر لقيم الصلح والمواذعة وخلع أثواب الصلح والعفو وارتداء ثياب الحرب وعدتها. إذا صنعت الجماعة الإسلامية ذلك فقد فقدت حليفها الطبيعي ورصيدها الاستراتيجي وهو المجتمع الذي قلبها بشكلها الجديد.. وتكون بذلك حكمت علي نفسها بالموت السريع وهذا لا يستساغ لدي العقلاء النابهين!! سابعا: جملة الوعود والعهود التي قطعتها الجماعة الإسلامية علي نفسها بوقف الاحتراب الداخلي.. والذي يؤكد الشارع الحكيم ليس علي احترامه وفقط وإنما شدد علي الوفاء به « يا أيها الذين امنوا أوفوا بالعقود » وقال « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئلاً » ولو فعلنا لكنا متلاعبين بالشرع واقعين في محارم الله وأخيراً: فإنني أظن أن هذه الحملة الشرسة علي الجماعة الإسلامية والتي يقودها بقايا اليساريين وأنصار الفكر الشيوعي والعلماني في مصر لها جملته من الأهداف علي رأسها: - شيطنة الجماعة الإسلامية في نظر المجتمع ومن ثم فصلها عن رصيدها الاستراتيجي ومددها الطبيعي. - تحييد الجماعة الإسلامية كعنصر فاعل في الصراع السياسي المستقبلي. - الإنفراد بصياغة مستقبل مصر وتحديد ملامحه. - الإنفراد بصياغة دستور يسعى إلى علمنه الدولة وإلغاء مواد

بأغلبية غير مسبقة في العالم.

تواضروس والعلمانيون والأشرار لم يتسامحوا مع الإرادة الشعبية التي أقرت الدستور الذي يعبر عن الهوية الإسلامية للشعب

المصري، ولم تعجبهم اللجنة التأسيسية التي انتخبها الشعب، فأصروا على استدعاء العسكر، من خلال الإعلام الضارب الداعر والأموال الموهلة المجهولة التي يتم إنفاقها على الأبواق والأقلام، وتم الانقلاب العسكري الدموي الفاشي الذي عطل الدستور، وألغى المجلس التشريعي المنتخب، واختطف أول رئيس مسلم منتخب يحفظ القرآن، وصادر الحريات، واستخدم الرصاص الحي وقصف الطائرات في قتل ما يقرب من خمسة آلاف مصري بريء، وإصابة ما يزيد على عشرة آلاف بعضهم إصابته قاتلة، وطفى في البلاد اعتقالاً وخطفاً وترويعاً في جوف الليل ووضوح النهار، وسيطر على الصحافة والإعلام فلم يعد هناك صوت يخالف صوته، ولا رأي يغاير رأيه، وعادت الطوارئ مرة أخرى، وتم فرض حظر التجول لتنجح حرب العسكر ضد الشعب المصري الأعزل!

الانقلابيون شكلوا لجنة مصغرة، وأخرى من خمسين شخصاً لتكتب دستوراً جديداً يمحو الإسلام محواً، ويكرس هيمنة البيادة على البلاد والعباد، ويهيئ للحركات الهدامة والعقائد الفاسدة والضالة أن تمارس أنشطتها في طول البلاد وعرضها دون سدود أو قيود، فالسدود والقيود وضعت في دستور الانقلاب لوأد الإسلام واستئصاله وتصفيته، ومنع الأحزاب الإسلامية أو ذات المرجعية الإسلامية من الوجود.

كان بعض الإسلاميين ممن ينافسون الإخوان المسلمين يظنون أن تحالفهم مع العسكر والعلمانيين سيهيئ لهم المجال واسعاً كي تكون لهم الكلمة الأولى في البلاد، مع

اتفاق يحفظ لهم ماء الوجه يتضمن الحفاظ على مواد الهوية الإسلامية في الدستور الذي أقرته الأمة، والإبقاء على المجلس التشريعي.. ولكن الانقلابيين الدمويين، بعد أن تمكنوا من القضاء على ثورة يناير وسيطروا على الدولة تماماً واستعادوا أجهزة الأمن القديمة والجلادين من عصر مبارك، ركلوا حلفاءهم الإسلاميين، وأعلنوا أن الدولة علمانية بفطرتها وأنه لا بد من الدم لتبقى مصر علمانية، وقاموا بحل المجلس التشريعي على الفور، وحاربوا الإسلام والمسلمين جهاراً نهاراً في إعلامهم وتصريحاتهم وقبضتهم الأمنية تحت مسمى محاربة الإرهاب، وأيدهم في ذلك ملك السعودية وحكام الإمارات والكويت والبحرين وسلطنة رام الله الموالية للعدو النازي اليهودي!

لجنة العشرة المصغرة التي شكلها الانقلابيون عملت في السر. ولكن الذي تسرب عنها كان مريعاً فقد حققت كل مطالب تواضروس بإلغاء كل ما يمت للإسلام في الدستور بصلة، وصارت الأقلية الطائفية المتمردة هي صاحبة القول الفصل في مصير الأغلبية الإسلامية الساحقة، وأكد ذلك تشكيل الانقلابيين الدمويين لجنة الخمسين، حيث كانت الأغلبية من المعادين للإسلام، وكان الإسلاميون الذين تم ضمهم إلى اللجنة من الموالين للعسكر والسلطة الأمنية مجرد محلل أو زوج تحت الطلب!

نستطيع الآن أن نشير سريعاً إلى نجوم لجنة الخمسين من الشيوعيين الذي يظهرون بانتمائهم علناً أو يتلفعون بعباءات ناصرية أو ليبرالية أو وطنية، ونحن نعلم وكل الناس تعلم أن الأصل الثالث من أصول الشيوعية بعد محو الملكية الفردية وإعلان رأسمالية الدولة هو استئصال شأفة الدين. والشيوعيون المصريون لا يعلنون غالباً موقفهم صراحة من الدين ولكنهم يغفونه بمحاربة

الرجعية أو الإرهاب أو التخلف أو عبادة الماضي أو نحو ذلك من مصطلحات مراوغة ورجراجة، وقد فضحهم الله وهم يتحدثون عبر الهواء على شاشات التلفزة ويصرحون أن مصر ليست متدنية بالفطرة ولكنها علمانية بالفطرة ويجب أن تسيل الدماء لتكون علمانية!

الشيوعيون في لجنة الخمسين المعادون للدين

صراحة وضمناً منهم: محمد عبلة، الفنان التشكيلي وسيد حجا بشاعر العامية وأحمد خيرى وعمرو الشوبكى، وحجاج أدول، ومسعد أبو فجر. وهم شيوعيون حكوميون صرحاء، ومحمد مصطفى بدران، رئيس اتحاد طلاب مصر، شيوعي يتلفع بالناصرية وخالد يوسف مخرج الأفلام إياها وهو تلميذ المخرج الشيوعي يوسف شاهين عضو تنظيم حدتو. وحسين عبد الرازق؛ القيادي الشيوعي في حزب توتو. وضياء رشوان؛ نقيب الصحفيين؛ وهو كادر شيوعي سابق في حزب توتو أيضاً. ومحمد عبد القادر؛ كادر شيوعي أسس نقابة للفلاحين لنشر الشيوعية بين الفلاحين. وسامح عاشور؛ نقيب المحامين؛ وهو شيوعي؛ بعباء ناصرية. وعبد الجليل مصطفى؛ وهو شيوعي من التنظيم الطليعي في عهد المهزوم دائماً جمال عبد الناصر. ومحمد أبو الغار؛ رئيس الحزب المصري الاجتماعي عضو تنظيم الاشتراكية الدولية (تجمع الأحزاب الشيوعية في العالم)؛ وجبالي المراغي؛ كادر شيوعي يشغل منصب رئيس اتحاد عمال. وعمرو موسى؛ شيوعي سابق في التنظيم الطليعي، ومحمد سلماوي؛ شيوعي؛ يرأس اتحاد الكتاب ويتلفع بالناصرية وولأوه لنجيب ساويرس. وميرفت التلاوي؛ رئيس المجلس القومي للمرأة معادية صراحة للإسلام وتنتمي للحزب المصري الاجتماعي الشيوعي؛ عضو تنظيم الاشتراكية الدولية، ومحمد سامي؛ رئيس حزب الكرامة؛ وهو حزب شيوعي؛ يتلفع بالناصرية. ومحمود بدر؛ حركة تمرد؛ اشتراكي

ثوري شيوعي. ومحمد عبد العزيز؛ من تمرد؛ اشتراكي ثوري شيوعي. ومنى ذو الفقار محامية شيوعية. وجابر جاد نصار؛ وهو شيوعي رئيس جامعة القاهرة الآن. وعلى السلمي نائب رئيس حزب الوفد الليبرالي؛ كان شيوعياً في حزب توتو.

لقد قال وزير خارجيتنا الهارب من التجنيد

لمجلة دير شبيجل: مرسى أراد إقامة نظام حكم إسلامي وما كنا لنسمح بذلك به فلجأنا إلى الجيش. وقال قائد الانقلاب الدموي الفاشي لواشنطن بوست: مرسى أراد استعادة الإمبراطورية الإسلامية وهو ما لم يجعله رئيساً لكل المصريين. وقال الشيوعي حسين عبد الرازق عن انسحاب بعض الإسلاميين من لجنة الخمسين الانقلابية إنه لا يغير من الأمر شيئاً!

ماذا ينتظر الإسلام على يد الشيوعيين في

مصر؟

لاعب أمريكي يدعي النبوة

ويبدأ دعوته من مصر...

ويؤكد: مرسى خائن

موقع محيط- ٢٠١٣/٨/١١

فيما تخطي مسيلمة الكذاب وبهاء الله مؤسس الديانة البهائية قام لاعب كرة السلة الأمريكي السابق بالدخول إلى عالم الدجل الديني عن طريق إدعائه عنه النبي الذي أتى من أجل إسدال الستار على العالم وبداية الأيام الأخيرة في عهد الأرض .

قام كريس كريج لاعب كرة السلة

السابق في فريق يوتاه والذي اعتزل التدريب منذ أشهر قليلة بالتوجه إلى مصر من أجل بداية عهد جديد يروج من خلاله لأفكاره ومعتقداته حول نهاية العالم .

المؤسسة العسكرية وعلى الفريق السيئ شخصيا، لأنه في النهاية الذي سيحمل هذه «الشيلة» على ظهره وسيكون مطالباً . وحده .

بتحمل عواقبها، فلجنة الخبراء التي وضعت التعديلات كانت أشبه بالتنظيم السري، في تشكيلها وفي عملها وفي معاييرها وفي سياساتها وفي رؤيتها وفي جدلها وحتى نتائجها المعلنة، حتى كان كثيرون في كل الاتجاهات يتساءلون بغرابة، ما الذي عمله هذه المجموعة السرية وتخاف من اطلاع الناس عليه، وتلك روح مناقضة تماما لطبيعة العمل في دستور يهتم كل مواطن وكل خلية من خلايا المجتمع، ثم أتى قرار تشكيل لجنة الخمسين التي ستقرر النص النهائي الذي يعرض للاستفتاء مكملا لهذا المسار المتخبط، ووضح أن هناك بعض القوى السياسية تنتهز الفرصة لكي تتعامل بمنطق «الكوتة» التي تنتزعها في مؤسسات الدولة، ووضع أن اليسار المصري تحديداً، بشقيه الاشتراكي والناصري يستحوذ على مساحات واسعة للغاية من المؤسسات الجديدة، وهي ملاحظة أعتقد أن دلالتها أكبر من تلك الجزئيات، وربما تتعلق بأفكار يقدمها بعض «العواجيز» للمؤسسة العسكرية تستلهم تجارب ماضية ثبت أنها انتهت بمصر إلى الكوارث، المهم، أنا أقدر أن كتابة الدستور لا تتعلق بالأقلية ولا بالأغلبية بقدر تعلقها بتمثيل كامل للمجتمع ونشاطاته، ولكن يبقى الاختيار في هذه النشاطات له دلالة، فعندما ترغب في تمثيل الشباب فهذا مطلب جيد ورائع، ولكن لماذا شباب التيار الناصري وحده الذي يتمثل بشخصين، هل ملايين الشباب المصري هم هؤلاء الناصريون، وأنا هنا لا أتحدث عن تمثيل شباب حركة تمرد مثل محمود بدر أو محمد عبد العزيز، فهم شباب مغامرون وقدموا فكرة استفاد منها قوى وأجهزة

وأصدر كريس مدونة عبر الانترنت أعلن فيها عن تغيير اسمه إلى ميكائيل وأنه سوف يبدأ في رحلته لتطهير العالم وأرسل صاحب الـ ٣٧ عام تهديدات لكلا من عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع المصري ومحمد مرسى الرئيس السابق معتبرا أنهم خونة لا يحافظون على أرض مصر .

واستشهد اللاعب في تدويناته التي ادعى الاعلام الأمريكي فيها بالكذب أنه انضم لـ «جهاديين إسلاميين» بنصوص من الانجيل إضافة إلى إرساله تهديدات للطوائف المارونية والكاثولوكية معتبرا أنهم من العناصر الفاسدة في الأرض التي يجب إبداتها .

وكريس الذي بدأ في نشر أفكاره تلك منذ مارس الماضي وجه اتهامات لمرسى وأوباما بالخيانة حيث وجه الحديث للرئيس السابق: «أنت تعرف حقيقة وكنت أتمنى أن أقابلك وجها لوجه كي أخبرك بهذا الأمر بنفسى».

واستطرد: «أنا هنا من أجل إخبارك بمصيرك ومصير المصريين جميعا ومصير النهر العظيم»، حيث أكد أن النهر سوف يجف ولن يعد له وجود من جديد.

لجنة الدستور تهدد خارطة المستقبل!

جمال سلطان - المصريون ٢٠١٣/٩/٢

ما حدث في موضوع البند الأول من خارطة المستقبل، وهو المتعلق بالدستور الجديد يكشف عن أن الأمور تتخبط بالفعل في يد المجموعة الحاكمة الآن، وهناك فقدان تام للرؤية الجادة للمستقبل، وإحساس غائب بالمسؤولية، وأعتقد أن هذا مما يزيد العبء على

عديدة لإنهاء حكم الإخوان، هذا صحيح، لكن تمرد ليست تنظيمًا سياسيًا ولا حزبًا، هي فكرة ناجحة أدت غرضها في ظرف زمني محدد وانتهت، وهؤلاء الشباب لو ترشح أحدهم في مجلس محلي فلن يختاره أحد، الناس تفاعلت مع تمرد كفكرة وليس كتتظيم، وبالتالي لا يصح تضخيم هؤلاء الشباب ودورهم بحيث يكونوا هم الممثلون لملايين الشباب المصري من كل التيارات، هذا عبث، ويعني أن المسائل تمثل توزيع «تورته» على الفائزين في معركة الإطاحة بالإخوان وليس صناعة مستقبل دستوري يليق بمصر، أيضا فإن وجود ثلاثة أشخاص يمثلون أحزاب اليسار المصري، في حين لا يوجد من يمثل أحزاب التيار الإسلامي إلا شخص واحد، هي مسألة لا يمكن تفسيرها بأي أخلاق سياسية أو منطقية، فحزب التجمع على سبيل المثال الذي يمثله زميلنا حسين عبد الرازق لم يحقق في أي انتخابات برلمانية طوال الأربعين عاما الماضية أكثر من واحد في المائة، بينما حزب النور حقق أكثر من ٢٥٪ في البرلمان الأخير، والدكتور محمد أبو الغار لم يصل حزبه - وهو بالمناسبة حزب رئيس الوزراء الحالي - لم يصل إلى واحد في المائة من القبول الشعبي في الانتخابات الأخيرة، وباختصار لا يمكن أن تكون أحزاب أو تيارات حققت قبولا شعبيا ديمقراطيا بنسبة تصل إلى ستين في المائة يمثلها شخص واحد، بينما أحزاب لم تمثل مجتمعة أكثر من واحد في المائة من الشعب يمثلها ثلاثة أشخاص، هذا غير منطقي بالمرّة، كذلك مسألة تمثيل المرأة وضع فيها أنه ليس أي امرأة، وإنما نوعية خاصة من النساء التي خدمت بتفاني سلطة جيهان السادات وسلطة سوزان مبارك وسلطات المجلس العسكري من بعدهم، فهذا ليس تمثيلا للمرأة وإنما تمثيل لولاءات سياسية معينة، أيضا ليس من المعقول أن يتم توزيع المناصب على رموز ناصرية

ويسارية من المجلس الأعلى للصحافة للمجلس الأعلى لحقوق الإنسان ثم يكونوا هم أنفسهم في مجلس صياغة الدستور، أيضا لا يمكن هضم معنى أن يكون المخرج السينمائي الشاب خالد يوسف ممثلا للمثقفين المصريين في كتابة الدستور، وهو شخص لا يعرف له تاريخ ثقافي من حيث الأساس، هو صناعي سينما فقط لا غير، وأظن أن بمصر من القامات الثقافية والأكاديمية الرائعة التي يمكن أن تمثل الثقافة في الدستور بشكل أمين وراق ومتحضر، بل أتصور أن طرح اسم خالد يوسف هو إهانة حقيقية للثقافة والمثقفين في مصر، أيضا لا يعقل أن يكون في اللجنة ممثل للفنون التشكيلية التي يهتم بها بضعة مئات بينما أربعين مليون فلاح مصري على الأقل ليس لهم من يمثلهم في الدستور. لا أريد أن تذهب بي الظنون بعيدا في التفسير التأمري للأحداث، وأن أتصور أن هذه اللجنة قصد منها إطالة أمد الفترة الانتقالية أو دفع البلاد للبحث عن مسار آخر للمستقبل غير ما أعلن عنه في خارطة المستقبل، لأن هذه اللجنة - بتلك الروح والمشاعر العدائية لهوية المجتمع - ستضع نصوصا لن يقبلها ملايين المصريين، والغالب أنهم سيصوتون ضد اختياراتها وسيسقطون المشروع الجديد، ليتم تعليق أي انتخابات أو خطوات عملية حقيقية إلى أجل غير مسمى، وأتصور أن هذه الوسواس تتسلل الآن إلى أفكار بعض الرموز الوطنية، أو هكذا فهمت من كلام الصديق الدكتور وحيد عبد المجيد الذي طالب بضرورة إصدار إعلان دستوري مكمل يلزم الدولة بإنجاز الانتخابات البرلمانية والرئاسية حتى لو تم تعثر ميلاد الدستور الجديد، وهو طلب له دلالاته ودوافعه التي لا تخفى على أحد.

وماذا بعد ضرب سوريا؟ (لئلا تتكرر مأساة العراق)

زين العابدين الركابي - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٩/٧

العنوان (افتراضي) لا تقرير. بمعنى أننا

نفترض أن ضرب سوريا قد أصبح واقعا!

وإذا أخذنا بهذا الافتراض، فإن السؤال التالي

هو: ما هي آثار الضربة أو الهجوم؟

ليس يستطيع أحد أن يحدد لنا آثار الضربة..

وكل ما قيل في هذا المجال هو محض خيال أو تصورات لا يسندها دليل موضوعي يمكن الاعتماد عليه.. والراجع أن عناوين روج لها الإعلام السياسي مثل (ضربة محدودة) أو (عملية جراحية موضعية محسوبة) إنما هي عناوين تكتيكية، أو (تلطيفية)، أي تلطف أهوال ما سيقع!! وإلا فإن المعروف في التاريخ العسكري (كما يقول خبراء الاستراتيجيات العسكرية).. المعروف هو أن الحروب تسخن وتبرد ثم تسخن، وتتمدد وتنكمش ثم تتسع وفق (الفعل) ورد (الفعل).. وإذا كان المهاجم يستطيع أن يحدد فعله، فإنه لا يملك أن يحدد رد فعل المدافع.

صحيح أن الفيتناميين - في أثناء حرب

فيتنام الشهيرة - كانوا (يؤخرون) رد الفعل

حتى يظن المهاجم لهم: أنهم لن يفعلوا شيئا! بيد أن
هذا الظن ذاته هو هدف تأخير رد الفعل، أي أن القيادة الفيتنامية كانت تستخدم أسلوب التأخير ضمن حساب (عامل الزمن) في خطط الحرب. كانت - بمفهوم صريح مباشر - تهدف إلى تخدير الأميركيين و(تنويمهم) فإذا ناموا أو نغسوا كرت عليهم بالخطأ التي بيتهها.. والمهم في هذه

النقطة أنه حين تنشب الحرب وتلتهب الجبهات يكون للفعل والردود عليه دور مؤثر في مسارات الحرب.. وحتى لو تقرر: أن الضربة محدودة فإن رد الفعل قد يوسع نطاقها بلا ريب، لأن البادئ قد يضيق برد فعل غير متوقع فيعاجل الذي قام بالرد - من ثم: بضربة ثانية وثالثة ورابعة.. وعندئذ تكون الضربة المحدودة بمثابة بداية الحرب فحسب.. ومما يزيد هذا الاحتمال رجحانا: أن نفوس الأطراف المنغمسة في الحرب مشحونة بمعدلات عالية من الغضب والكراهية والنزوع إلى الانتقام والرغبة في السحق والمحق وفرم اللحم وهرس العظم.. وهذه الشحنات تعد أقوى طاقة لتسريع الحروب وتطويل عمرها واستدامة لبيبها.

نعم.. لنفترض أن الحرب على سوريا قد وقعت..

وبناء على ذلك نسأل: وماذا بعد الضرب والحرب؟

ما يهمنا - ها هنا: أن تبقى الدولة السورية،

وأن يبقى الشعب السوري. والمثل القريب ها هنا - جغرافياً وزمناً - هو: العراق. لقد شنت حرب غربية على العراق قبل سنوات عشر - ٢٠٠٣.

فكيف كانت حال العراق بعد تلك الحرب؟

الصورة - بإيجاز - هي: (خراب العراق):

١- تدمير البنية التحتية - والفوقية -

للدولة العراقية.

٢- تفكيك الجيش العراقي وتوهمين فاعليته

بعد أن سارع الحاكم الأميركي للعراق (بريمر) باتخاذ قرار حل الجيش العراقي!!

٣- قتل وتشويه مئات الألوف من العراقيين من

الأعمار كافة، ولا سيما الأطفال!

٤- استفحال سطوة القتل والتقتيل والتفجير

واتساع نطاق الهروب والتهجير واضطراب الأمن العام، بل انعدامه.

٥- اشتعال فتنة طائفية: عرف أولها، ولم

يعرف مسارها ولا نهاياتها.

٦- وقوع العراق في قبضة إيران.

وما هو أهم من المهم: الاعتبار بالمثل العراقي، وهو اعتبار ضروري: استراتيجي وسياسي وأمني وأخلاقي.. ويقتضي اعتبار هذا الدرس الميرر الكبير:

أولاً: بقاء البنية التحتية - والفوقية - للدولة السورية.. فهذه البنية إنما هي مقدرات الشعب السوري، وليست إقطاعيات ولا أملاكاً خاصة للنظام السياسي الحاكم.. وبقاء بنية الدولة السورية لا يتأتى مصادفة، بل هو هدف يتطلب قراراً سياسياً عسكرياً، كما يتطلب يقظة دائمة في أثناء تنفيذ العمليات والطلعات.

ثانياً: احتواء الجيش السوري - لا هدمه ولا حله - ووسائل الاحتواء كثيرة منها: التطمين على مستقبل النفس والأهل والولد.. ومنها الترغيب الجاد المتنوع الحوافز والصور.. إلخ.

وهذا موقف مطلوب لذاته.. ومطلوب - كذلك - لدفع تهمة خطيرة ومخزية جداً.. ففي هذه المنطقة انتشر مفهوم معين يقول: إن من الأهداف الكبرى لإسرائيل والصهيونية العالمية: تحطيم الجيوش العربية الفاعلة لصالح إسرائيل. ومن هنا، فإن إبطال مفعول هذا المفهوم الخطر إنما يكون بالحفاظ على كينونة الجيش السوري.. وإلا فإن الدعاية السوداء ستجد أوسع فرصة لتقول: إن الحرب على سوريا هدفها المحدد هو: خدمة إسرائيل أمنياً واستراتيجياً وأن المشاركين في الحرب يخدمون إسرائيل!!

وليس ينبغي الاستهانة بالرأي العام الذي يمكن أن يحمل هذا المفهوم، ولا سيما أن استفزات إسرائيل تعين على زيادة كراهيتها لدى الرأي العام العربي.

ثالثاً: إدارة الحرب بعيداً عن (المدنيين) لئلا يقتل

مئات الألوف من السوريين كما حدث في العراق من قبل.. ولا قيمة - ألبتة - للتشجيع على النظام السوري بتهمة استعماله الكيماوي ضد شعبه: إذا استباح الحرب المحتملة المدنيين في سوريا: استباح بيوتهم وأسواقهم. فأناس لا يحترمون - في العادة - من يدين الجريمة ثم لا يلبث أن يرتكب مثلاً ولو بأسلحة مختلفة!!

ثم إن استباحة المدنيين ستؤدي إلى نزوح سوري جديد، أو إلى تهجير جديد ينتظم مسلمين ومسيحيين والطوائف كافة. وإنما هرب مثل هؤلاء من العراق لأنهم أحسوا أن حياتهم (المدنية) في خطر قاتل.

رابعاً: قد يقال: كيف يمكن أن تقع سوريا في قبضة إيران كما وقع العراق؟.. هناك فروق في هذه المسألة بين البلدين.. بيد أن أي حسابات خاطئة في مثل هذه الأوضاع الحساسة قد تظهر إيران وكأنها هي الحريصة على الدولة السورية، وعلى الشعب السوري.

ولقد دلت التجارب - القديمة والحديثة - على أن الخصم أو المنافس قد يربح أعظم الأرباح من أخطاء خصمه أو منافسه.

ثم من هو الذي يدير الحكم في سوريا في حال تنفيذ الضربة وسقوط النظام؟.. لعل أصحاب الأمان والأحلام يسارعون فيقولون: لا مشكلة. فالمعارضة جاهزة ومستعدة!! والسؤال هو: أي نوع من المعارضة؟.. إن مسؤولية إدارة الدولة في بلد كسوريا هي مسؤولية ثقيلة وشاقة: لا تدار بالأمان العذاب، ولا بالأحلام المجنحة.. وفي مقدمة تلك المسؤولية: الوحدة الصلبة على أساس رؤية سياسية واستراتيجية ناصعة جداً، وواقعية جداً، وإلا فإن سوريا ستخرج من حضرة لتقع في أخرى: كما حدث في بلدان أخرى عديدة.



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٦ ذو الحجة ١٤٣٤هـ

السذاجة
العربية

المكر
الإيراني





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٦)

ذو الحجة - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ المكر الإيراني والسداجة العربية

فرق ومذاهب

- ٤ من رموز الإصلاح (١٨) العلامة المحقق محب الدين الخطيب أسامة شحادة

سطور من الذاكرة

- ١٧ ولادة الجواد ووفاته تفجران الخلافات بين الشيعة هيثم الكسواني

دراسات

- ١٩ التشيع ومخاطر الانصهار بوزيدي يحيى
٢٣ المشهد العراقي بعد تأجيل الضربة على سوريا الواقع والحل سمير الصالحى
٢٨ الهوية الجنسية للدماغ وتهافت الفكر النسوي شهادة المرأة نموذجاً فاطمة عبد الرؤوف
٣١ شيعة مصر على الفيس بوك نوافذ العبث والتزييف أسامة الهيثمي
٣٦ من تاريخ التسنن في العراق عبد العزيز بن صالح المحمود

كتاب الشهر

- ٤١ الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية أسامة شحادة

قالوا

- ٤٣

جولة الصحافة

- ٤٥ اتجاهات السياسة الأمريكية نحو الإخوان المسلمين وإيران جوزيف براودي
٥٣ الاختلال الديني والوطني والتدخلات التقسيمية رضوان السيد
٥٦ العد العكسي بدأ مرحلة ما بعد المالكي المدى برس
٥٧ مستقبل العلاقات الإيرانية - الأفغانية بعد فوز حسن روحاني تامر بدوي
٦١ نحو شراكة مضاربة أمريكية - إيرانية راجح الخوري
٦٣ يا فخامة الرئيس عمر البشير: النفوذ الرافضي في السودان إلى أين... د. عاصم القريوتي
٦٤ بعد إعلان كيري.. قد لا يكون وقت لعقد اجتماع خليجي طارئ... جمال سلطان
٦٥ روسيا: منع أفضل ترجمة للقرآن الكريم د. أحمد عبد الله
٦٧ فتوى عجبية: منع الروس من اعتناق الإسلام د. أحمد عبد الله
٦٨ قمصان وأحذية تمجد إسرائيل وتسيء للإسلام سميرة سعادة
٦٩ ماذا يراد بأهل السنة في الكويت مدونة عمر خليفة راشد
٧١ أوقفوا الاعتداءات على مسلمي أراكان مشاري الخلف
٧٢ مغامرة التحرش بالنص الصوفي محمد عبد الشكور

وفعلاً، وجدت إيران الخطة اللازمة وهي:

- دعم النظام السوري المتواصل والمشاركة الفعلية معه.
 - إبقاء الاتصالات بالمعارضة والثوار قائمة، حتى وهي تقصفهم، ولذلك دعت إيران أكثر من مرة الثوار لزيارتها والتباحث معها، ومن هنا جاءت مبادرة الرئيس محمد مرسي بلجنة رباعية (مصر، السعودية، تركيا، إيران).
 - العمل على تفريق صف الثوار وجنوحهم للعنف والتطرف والإرهاب، فسهلت عبور القاعدة من العراق لسوريا، بواسطة الحكومة العراقية وأجهزتها الأمنية.
 - محاولة تفريق صف الداعمين للثورة، فعرض العراق على الأردن ومصر البترول، وحاولت إيران إغراء تركيا بتسهيلات تجارية إيران والعراق!
 - نقل المعركة والصراع للدول الداعمة للثورة، فرأينا التفجيرات في تركيا، والقتل في لبنان، وسمعنا التهديدات للخليج والأردن.
 - ثم كان لا بد من تحييد الموقف الدولي وإشغاله بالجائزة الكبرى، وهي احتمال التفاهم مع إيران، وذلك عبر تغيير سياستها الخارجية مع تغير الرئيس الإيراني.
- ويبدو أن هذه الخطوات نجحت في كشف الثورة السورية فصفاً الثوار تفرق - وتلوح بشائر وحدة الثوار الآن من جديد - والدعم تقلص، والتدخل الدولي تراجع، والاهتمام في تناقص، والشتاء على الأبواب، والعالم اليوم يتابع تحركات**

الحكر الإيراني والسذاجة العربية

تتصاعد التحذيرات والاستتكرات في الصحافة العربية من خطورة التقارب الإيراني الأمريكي مؤخراً، وذلك بعد سماح المرشد الإيراني علي خامنئي بفوز حسن روحاني بمنصب رئاسة الجمهورية، ومن ثم إطلاقه لسياسة (المرونة البطولية)!

وهذا التدوير في السياسة الإيرانية حالياً يشبه إلى حد كبير مرحلة فوز الرئيس السابق محمد خاتمي سنة ١٩٩٧ والذي جاء بشعار (الانفتاح الثقافي)، وفعلاً نجح خاتمي في الانفتاح الإيراني على عدد من الدول مما حقق مكاسب صافية لإيران، دون أن تخسر شيئاً، لكن الذي حصل أن إيران جمعت مطالب جيرانها والعالم تجاهها، بانتظار نتائج الانفتاح الثقافي الذي بشر به خاتمي، وكانت النتيجة في النهاية وعوداً زائفة وشراءً للوقت لتحقيق مكاسب على الأرض لتكون أمراً واقعاً فيما بعد!

ويبدو أن إيران نجحت في تحويل أزمته الخطيرة في سوريا إلى فرصة لتحقيق المكاسب، فهي عانت وضعاً صعباً جداً في مشاركتها الإجرامية ضد الثورة السورية، فانفضحت أطماعها وطائفيتها وانفض عنها كثير من المخدوعين، ولكن هذا لم يؤثر فيها، إذ عملت على إطالة أمد الأزمة وتصعيدها، حتى تبحث عن خطة تتجاوز بها الأزمة.

روحاني واتصال أوباما به، ونتائج ذلك.

وفي نفس الوقت أصبحت دول الخليج تشعر بحالة من القلق من احتمالية قيام صفقة تاريخية بين أمريكا وإيران تدفع ثمنها دول الخليج، وهذا ظهر من مقايضة روحاني أمريكا، في مقاله بالصحافة الأمريكية حل قضية سوريا بالبحرين!

ومع شعور دول الخليج بهذا القلق من أطماع إيران وخيانة أمريكا، فإنها تعاني من انقسام حاد بين الإسلاميين وهم التيار العريض فيها، وبين العلمانيين المتنفذين على قلوبهم، وذلك بسبب الموقف من الانقلاب العسكري في مصر على حكم الرئيس المنتخب محمد مرسي.

هذا الانقسام الحاد في دول الخليج تستثمره إيران بذكاء، فبدلاً من وحدة الصف تجاه المطامع الإيرانية الأمريكية، ينشغل الصف الخليجي بالتنازع على الانقلاب في مصر.

والعجيب أن أنصار إيران وأصدقاءها في مصر - كحمدين صباحي وكمال الهلباوي والمتشيعين - مع الانقلاب العسكري على حكم الإخوان المسلمين، فكأن علمانيين الخليج وحكامه يتحالفون مع أنصار إيران في مصر! والذين هم أنصار بشار الأسد، والذي يحاربه الخليج!

وفي المقابل نجد جماعة الإخوان المسلمين أو بعضهم كإخوان الأردن وحركة حماس يدعون للتحالف مع إيران وأذئابها كحزب الله لمقاومة الانقلاب في مصر وتبعاته!

وتكون النتيجة أن إيران تجمع كلمتها خلف روحاني، وتبنى المرونة البطولية، وتفتح على الشيطان الأكبر، وتلوح له بجزرة التفاهم والاعتدال، بينما العرب تتفرق كلمتهم في صراعات داخلية، تصب كلها في مصلحة إيران، فالعلمانيون والحكام الخليجيون يدعمون أنصار إيران لحكم مصر، ويقدمونها على طبق من ذهب لها! مما يشق الصف الوطني ويبعثر الطاقات،

والإخوان بدلاً من التصدي للأطماع الإيرانية يقومون بالتحالف معها، في الوقت الذي تتحالف فيه إيران مع أمريكا!

وإيران تتفرج على هذا الحال البائس للعرب وتفرك يديها فرحاً، وتمضي في محاولة عقد زواج متعة جديد مع أمريكا والنقاش يدور حول المدة والأجرة!

كيف نتجاوز السذاجة ونتجنب المكر؟

هذا هو ما يجب أن يشغل العقلاء والمخلصين، وهذا لا يكون إلا بترك الانقسام من جهة، وبترك المصالح الجزئية والشخصية والحزبية، وذلك عبر التوحد على أسس مشتركة هي:

- نجاح الصفقة الإيرانية الأمريكية خسارة للجميع في العالم العربي.
- لا يمكن مقاومة هذه الصفقة ونحن بهذا الحال من الصراع.
- لنتنازل لبعضنا البعض بدلاً من التنازل لأحد الطرفين الإيراني أو الأمريكي.
- لنعمل على حل مشكلة مصر بأسرع وقت، وبما يرضي الطرفين.
- نحتاج إلى إعادة بناء الثقة بين الطرفين، عبر مواقف جديدة وممتينة.
- لا نملك الكثير من الوقت، فلنحرص على عدم إضاعته.
- وكلمة أخيرة، لا يمكن صد الأطماع الإيرانية عبر ثقافة الترفيه والانحلال، كما لا يمكن حماية المقاومة وتحرير الأقصى بالتحالف مع الطائفيين المجرمين!!**

للدعوة السلفية بالإسكندرية، ويكفيها شهادة الشيخ زهير الشاويش وهو المؤرخ النبیه للتاريخ المعاصر فيقول عن محب الدين: «وبقي حتى وفاته لولب الحركات الإسلامية في مصر»، وقال عنه عبد الغني العطري: «شعلة من الحيوية والذكاء، والغيرة على العروبة، وكان قبل هذا من أكبر الدعاة للإسلام في العصر الحديث».

لعب محب الدين أدواراً إصلاحية متعددة ومتميزة، وذلك بما حياه الله من شخصية فريدة وعقلية علمية منظمة.

مولده ونشأته:

ولد محب الدين الخطيب في دمشق سنة ١٣٠٣ هـ، ١٨٨٦ م، وعائلته من الأشراف وأصلها من بغداد، وهي معروفة بالعلم والفضل، فأبوه هو الشيخ أبو الفتح الخطيب، من علماء دمشق ومدرسيها وخطبائها، وكان أول أمين عين للمكتبة الظاهرية التي أسسها الشيخ طاهر الجزائري، وبقي مسؤولاً عنها حتى وفاته، كما أن جده الشيخ عبد القادر الخطيب كان من علماء دمشق.

تعرض محب الدين لليتم مبكراً، فقد توفيت والدته وعمره ٧ سنوات وذلك أثناء عودتها من الحج ودفنت في الطريق بين مكة والمدينة، فتولاه والده برعايته واهتمامه، ولكنه سرعان ما توفي أيضاً



www.alriyadh.com

١٨- العلامة المحقق محب الدين الخطيب

(١٣٠٣/١٣٨٩ هـ - ١٨٨٦/١٩٦٩ م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالراصد

تمهيد:

لا يضر محب الدين أن كثيراً من الناشئة والعامّة بل والخاصة لا يعرف له قدره ودوره، فهو أثر دوماً أن يكون في الصف الخلفي والمتواري، رغم أنه كان يستطيع وبكل سهولة أن يكون محط الأنظار وصاحب القرار، لكنه منذ نشأ وهو يعي أهمية الإخلاص للنجاح وأن القضية نهضة أمة وليست مكانة فرد، وعلى هذا ربي أبناءه وأخوانه.

يكاد محب الدين أن يكون الجندي المجهول في ظهور الصحوة الإسلامية المعاصرة، فهو صاحب التجربة والخبرة الطويلة مع العلم والحكمة، والتي منحها للجيل التالي الذي كان على رأسه الأستاذ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، ومن آخرهم الشيخ محمد إسماعيل المقدم الأب العلمي

(*) كاتب أردني.

بعد ٥ سنوات من وفاة أمه.

تعلم محب الدين مبكراً القراءة والكتابة وتلاوة القرآن قبل ذهابه للحج، وبعد رجوعه لدمشق ألحقه أبوه بالتعليم الابتدائي واختار له أفضل مدرسة وهي مدرسة الترقّي النموذجية، والتي كانت تتشارك مع المكتبة الظاهرية في نفس البناء الكبير، وهذا وثق علاقة محب الدين بأبيه وبالمكتبة الظاهرية مبكراً، فهو كان يرافق أباه كل صباح للمدرسة، وأيضاً في ساعة الظهر يعود لأبيه فيتغدى معه، وفي المساء يعود مع معه للبيت.

وبعد أن تخرج بتفوق من المرحلة الابتدائية، ألحقه أبوه بالتعليم الثانوي في المدرسة الوحيدة في دمشق وهي مشهورة باسم «مكتب عنبر» التي تخرج منها فطاحلة الشام، ولكن بعد سنة من التحاقه بها توفي أبوه، وتيتم محب الدين وعمره ١٣ سنة، فرأى أهله أن يترك المدرسة ويمضي في طلب العلم الشرعي كأبيه، ففضّل سنتان يدرس على علماء الأسرة وغيرهم، وكانت ترعاه أخته الكبيرة.

عناية الشيخ طاهر الجزائري بمحب الدين:

يقول الخطيب في مذكراته: «ثم قيّض الله لهذا اليتيم الضعيف أستاذاً في أسمى مراتب الإنسانية، فأخذ بيده، وأحسن توجيهه في الطريق الذي هداه الله إليه في الحياة... فهو أبوه الروحي»، ويبدو أن الشيخ طاهر في تلك السنتين كان خارج دمشق، فلما عاد وعلم بوفاة صديقه أبي الفتح، سعى لدى مديرية أوقاف دمشق بصفته المفتش العام للدولة العثمانية على دور الكتب، على تكليف الولد بوظيفة أبيه على أن ينوب عنه من يقوم بالعمل حتى يبلغ سن الرشد، وفي فترة انتظار ابتداء الدراسة كافه الشيخ طاهر بنسخ بعض مخطوطات الظاهرية لأئمة الإسلام كابن تيمية وأضرابه لتتوسع مداركه وينتفع علمياً وتتوسع ثقافته ويستفيد مالياً بأجرة النسخ، ولا تزال هناك

مخطوطات بخط محب الدين في فتوّته في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية، وهذا يدل على العلاقة الوثيقة والعميقة لمحب الدين بالعلم والسلفية وبالمخطوطات منذ حداثة سنه، وليس بسبب علاقته بالدولة السعودية أو الوهابية.

ثم حثه الشيخ طاهر على العودة للدراسة في مكتب عنبر، ومدة الدراسة فيها سبع سنوات، والدراسة فيها باللغة التركية حتى اللغة العربية كانت تدرس بالتركية! وبقي محب الدين يدرس في مكتب عنبر حتى السنة السادسة، إذ ضُبط محب الدين يطالع في داخل الفصل كتاباً سياسياً ممنوعاً، فيه قصائد لبعض الأتراك المناهضين للاستبداد الحميدي، فعمل محب الدين محضر تحقيق، ووقفت الإدارة ضده وعملت على رسوبه، لكنها لم تفلح، فتقدم بطلب انتقال إلى مدرسة بيروت الثانوية، فأكمل دراسته فيها وتخرج من الثانوية سنة ١٩٠٥م.

وسبب مطالعته لهذه الكتب الممنوعة أنه بأمر من الشيخ طاهر كان يتردد على مدرسة عبدالله عند الأستاذ أحمد النويرتي لتعلم العربية، والذي قرأ عليه ألفية ابن مالك، واتقن تلاوة القرآن واستفاد من أخلاقه وخبرته بالناس وكيفية التعامل معهم، وأيضاً في هذه المدرسة كان هناك غرفة للعلامة جمال الدين القاسمي يلتقي فيها تلاميذه ومنهم أخوه الصغير صلاح الدين القاسمي صديق العمر لمحب الدين، فكانوا يحضرون بعض مجالسه، وأيضاً كان للشيخ طاهر غرفة يلتقي فيها أصحابه وخلانه، والذين كان لهم حلقة تعرف بحلقة دمشق تضم رواد الفكر والإصلاح كالشيخ طاهر والقاسمي والشيخ عبدالرزاق البيطار ومحمد كرد علي وسليم البخاري وغيرهم، كان محب الدين الاستثناء بينهم لصغر سنه، وكانت هذه الحلقة هي المحضن الأساس لصقل شخصية

ومنهجية محب الدين باتجاه الالتزام بالإصلاح الديني والشامل لكل مناحي الحياة، وضرورة العمل على بث العلم والعمل والمشاركة في الشأن العام لما فيه نهضة الأمة ومحاربة العدوان عليها من الداخل والخارج.

هذه العلاقة بين محب الدين والشيخ طاهر جعلته يوسع معارفه وثقافته ويحرص على المطالعة في دار الكتب الظاهرية وفي جمعية القديس يوحنا الأرثوذكسية والتي خصصت غرفة للمطالعة في مدخل حي النصاري بدمشق، وكان يطالع فيها مجلات مصر الكبرى كالمقتطف والهلال، وأيضاً كان يحرص على شراء الكتب من بيروت ودمشق، واكتسب محب الدين صفة حميدة هي أن الكتاب الذي يروق له يقوم بقراءته مرة أخرى مع أصدقائه، وبذلك شكل محب الدين الحلقة الصغرى بدمشق وكان هو حلقة الوصل بين الحلقتين الكبرى بقيادة الشيخ طاهر والصغرى بقيادته، وكان له ثلاثة زملاء يشاركونه همّه وهمته وهم: الأمير عارف الشهابي، ود. صلاح القاسمي، وصالح قنباز، لكنهم ماتوا مبكراً، وبقي محب الدين وحده يحارب في سبيل المبادئ التي آمنوا بها.

وفي هذه المرحلة بدأ محب الدين محاولة كتابة المقالات، وذلك بالترجمة من المجلات التركية ونشرها في مجلة ثمرات الفنون، وكان يوقع بحرفي (م.خ)، ثم صرح باسمه، وفيما بعد سيصبح محب الدين من أهم كتاب ومنشئي الصحافة الإسلامية.

الانتقال للجامعة في استنبول:

في نهاية عام ١٩٠٥م وصل محب الدين استنبول، عاصمة الدولة العثمانية، والتحق بكلتي الحقوق والآداب، لكنه صدم بأن غالب الطلاب العرب هناك يجهلون قواعد النحو والإملاء العربية، فضلاً عن جهلهم بالأدب والثقافة العربية، بل حتى أنهم يتكلمون بالتركية فيما بينهم، وأن حرصهم

متوجه لتعلم التركية وإتقانها للحصول على وظيفة جيدة ومرموقة. وقرر محب الدين تغيير هذا الحال مع ما فيه من خطورة، وهذا يكشف لنا عن جوانب مظلمة في تاريخ الدولة العثمانية والتي كانت سبباً في زوالها وسبباً في ثورة الناس ضدها، خاصة حين تم الانقلاب على السلطان عبد الحميد ومن ثم إلغاء الخلافة والإسلام على يد أتاتورك.

فطلب محب الدين من محمد كرد علي الذي تعرف عليه في حلقة دمشق الكبرى، أن يرسل له بالبريد ما يفيض لديه من صحف عربية ومجلات، لينشرها بين شباب العرب باستنبول، وفعلاً أصبح كثير من الشبان يزورون غرفة محب الدين للاطلاع على المجلات العربية.

ولم يكتف بهذا بل قام بعقد جلسات في النحو لبعض الطلبة ولما زاد عددهم قسمهم إلى مجموعتين: مجموعة بقيادته ومجموعة بقيادة الأمير عارف الشهابي، وقد فرض محب الدين غرامات على من يتغيب عن الدرس، ثم أطلق على هؤلاء الشبان وعملهم اسم (جمعية النهضة العربية) في سنة ١٩٠٦م، ثم نقل نشاطه إلى قهوة يرتادها الشبان العرب، ولما زاد العدد بحث عن مكان يقيم فيه احتفالاً لهم، واستقر رأيه على حديقة لأحد أعيان البصرة في جزيرة، وتم ذلك الحفل في سنة ١٩٠٧، وهنا تنبّهت السلطات لهذا النشاط وبدأت تلاحقه.

وفعللاً جاء لغرفة محب الدين أحد المسؤولين لضبط صاحب الغرفة، وشاءت إرادة الله أن يكون عربياً وصديقاً لعم محب الدين، فنصح به بإيقاف نشاطه وإتلاف ما لديه من أوراق وصحف عربية، وفعلوا عمل محب الدين ورفاقه بالنصيحة، وكان محب الدين قد أنهى السنة الثانية من دراسة الحقوق بنجاح وأوقف دراسة الآداب بسبب عدم تفرغه، ولما زادت المراقبة والمضايقة، اقترح عليه رفاقه أن يقضي العطلة الصيفية في دمشق، لتهدئة

الأوضاع ثم يعود فيكمل دراسته، ولكن من هنا سارت حياة محب الدين في محطات متنوعة وكثيرة ولم يكن منها إكمال دراسة الحقوق قط!!

من المهم هنا التنبيه إلى أن جمعية النهضة العربية التي أسسها محب الدين في استنبول سنة ١٩٠٦م، هي أول جمعية يؤسسها محب الدين وعمره ٢٠ سنة، وستكون فاتحة عمله ومشاركته المحورية في العديد من الجمعيات والتنظيمات، ويمكن أن نستنتج من هذا أن محب الدين استفاد من حلقة دمشق بقيادة الشيخ طاهر المعرفة بالجمعيات ودورها المركزي في السعي لتحقيق الإصلاح.

العودة إلى دمشق:

في صيف سنة ١٩٠٧م عاد محب الدين إلى دمشق لصرف الأنظار عن نشاطه بالعاصمة استنبول، وكانت فرصة لمتابعة فرع دمشق من جمعيته النهضة العربية، إذ كان محب الدين قد راسل من استنبول اثنين من أعضاء حلقة الصغرى بدمشق بخبر الجمعية وطلب منهما إنشاء فرع لها بدمشق، وفعلاً قاما بذلك ولما جاء محب الدين اجتمع بأعضاء الفرع الدمشقي.

كان محب الدين يظن أن بقاءه في دمشق سيكون لفترة قصيرة، لكن سرعان ما جاءته رسالة من رفاقه هناك تدعوه للبقاء سنة بعيداً عن استنبول، وذلك بسبب وشايات ودعايات ضده يروجها بعض الحاقدين، ولذلك تقرر نقل مركز الجمعية لدمشق، وكان مما تميزت به هذه الجمعية عن سواها من الجمعيات العربية أنها لم تقتصر على أعضاء من مدينة أو بلد واحد، بل تنوعت بلاد أعضائها لكونها نشأت في العاصمة العثمانية وليس في قطر عربي.

السفر إلى اليمن:

لما تقرر ابتعاد محب الدين سنة كاملة عن الجامعة بحث عن مهمة يقوم بها، وفعلاً سمع في

حلقة دمشق والتي بقيت تعقد جلساتها رغم هجرة الشيخ طاهر الجزائري إلى القاهرة عن طلب القنصلية البريطانية بمدينة الحديدة باليمن مترجماً لها، فطلب أن توكل إليه فاعترض أعضاء الحلقة، لأنهم يرون أنه لا بد أن يكمل دراسته الحقوقية ولأنهم يعلقون عليه آمالاً كثيرة، فلما أخبرهم أنه لا يمكنه العودة حالياً للدراسة، وأنها فرصة للتعرف على أحوال اليمن والعمل على التواصل مع أهله لنهضة الأمة، وافقوا وساعدوه على الحصول على الوظيفة، ومنها ندرك أن حلقة دمشق كانت حلقة علم وعمل وتخطيط ونهضة.

سافر محب الدين إلى اليمن مروراً بالقاهرة، فلقى شيخه الجزائري وصديقه كرد علي وتناول الحديث جمعية النهضة العربية ودورها المرتقب، وهناك التقى بعدد من قادة الرأي والعلماء والمصلحين مما ساعده فيما بعد على الاستقرار بالقاهرة، ومن أهم نتائج زيارته للقاهرة تعرفه على جمعية الشورى العثمانية التي تدعو إلى حكم الشورى بعودة الحكم النيابي ومحاربة الاستبداد، وكان على رأسها الأديب التركي عبدالله بك جودت والسيد رشيد رضا ورفيق بك العظم، وكان للجمعية ١٣ فرعاً بالبلاد العربية وأوكلوا لمحِب الدين افتتاح فرع لها باليمن من العثمانيين الصالحين.

وواصل محب الدين طريقه لليمن فوصلها في ١٩٠٧/١١/٢٧م، وهناك حرص على التواصل مع اليمنيين والتعرف على أحوالهم، وفعلاً أستطاع في وقت سريع التعرف على مجموعة من الضباط العرب الذين أبعادوا لليمن عقوبة لهم على رفضهم للظلم والاستبداد، وعلى رأسهم قائد الحديدة البكباشي شوقي بك المؤيد العظم، وأسسوا فرعاً لجمعية الشورى العثمانية، بعد اطلاعهم على قانونها وصحيفتها الصادرة بالعربية والتركية،

وأصبح هؤلاء الضباط ينشرون فكر الجمعية باليمن.

وهناك تعرف محب الدين إلى القاضي الشرعي وأصله من مسلمي بعض الجزر في البحر الأبيض، فحرص على تحبيبه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فمحب الدين كان يسعى للإصلاح الشامل وعلى جميع الأصعدة.

ومن اليمن كان يواصل المراسلة مع رفاقه في جمعية النهضة بدمشق وجمعية الشورى بالقاهرة ويتابع مسيرة الإصلاح في دمشق والقاهرة واليمن، ولما أعلن السلطان عبد الحميد إعادة العمل بالدستور سنة ١٩٠٨م، تجاهل قائد اليمن ذلك، في محاولة لإبقاء الحال على ما هو عليه، واستغلال جهل الناس وبُعد اليمن عن العاصمة بعدم تغيير الواقع.

لكن محب الدين أقنع رفاقه بالقيام باحتفال علني بعودة الدستور وفرض ذلك على القيادة، وفعلاً تم إطلاق المدافع والصواريخ فرحاً بعودة الدستور وأسقط في أيدي القادة.

في تلك المرحلة كان هدف الكثير من المصلحين العمل على محاربة الاستبداد والضعف، ولم يكن هناك تفكير عند المصلحين العرب وخاصة المسلمين منهم بالانفصال عن الدولة العثمانية، بل غايتهم تقويتها وإصلاحها، ولم تكن التمايزات قد ظهرت ولم يكن هناك وضوح في الخيارات الأيديولوجية، وذلك حين فرض الدستور فرحت جمعية الشورى العثمانية واندمجت في جمعية الاتحاد والترقي والتي كانت تمسك بمفاصل الحكم في استنبول. من المهم هنا الانتباه إلى أن مساوئ جمعية الاتحاد والترقي لم تظهر إلا بعد سنة ١٩١٠م تقريباً وبشكل متدرج، حتى وصلت إلى مرحلة إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م، ومن هنا يجب الحذر من إطلاق الأحكام بشكل اعتباطي دون مراعاة للزمان والظروف.

ومن نشاطات محب الدين بالحديدة قيامه بتجديد وتطوير المدرسة الأميرية فيها، فقد طلب من زملائه في جمعية الشورى التطوع للتدريس مجاناً للطلبة، وحث التجار على التبرع بأحذية وأقمشة لتوفير زي مدرسي للطلبة، ونظم محب الدين للطلبة بعض الأناشيد، ووفر لهم عسكرياً ينظم لهم بعض الألعاب الرياضية والتمارين، فارتفع عدد الطلبة من ٣ إلى ٣٠٠ في أسبوعين.

وكان محب الدين يؤمن أن المعلم هو المسؤول الأول وبشكل كبير عن نقل الأمة من حالة التخلف والجمود إلى حالة الرقي والتقدم، ولذلك اهتم في العديد من مقالاته بالتركيز على هذه القضية وألف فيها كتابه «إصلاح الأزهر»، كما أنه شارك في تجربة السيد رشيد رضا بإقامة مدرسة الدعوة والإرشاد والتي كانت تهدف لإعداد الدعاة والمعلمين لكن لم يكتب لها الاستمرار طويلاً، حيث أسند إليه رشيد رضا تدريس مادة طبقات الأرض (الجيولوجيا).

ثم عمل محب الدين على إنشاء مطبعة وجريدة تنهض باليمن ثقافياً، فحث زملاءه على تأسيس شركة مساهمة لهذا الغرض، وفعلاً وافق على ذلك مجموعة من الناس، وقام محب الدين بمخاطبة شركات آلات الطباعة للحصول على (كتالوجاتها)، لكنه لم يتمكن من إتمام المشروع، بسبب مطالبة جمعية النهضة العربية له بسرعة العودة لدمشق لإصدار صحيفة باسم (النهضة العربية).

وفي اليمن بعد عودة الدستور سعى محب الدين للصلح بين الدولة العثمانية والإمام يحيى (حاكم اليمن)، وذلك بإقناع الطرفين أن العداء كان بسبب الظلم، وبما أن الأمور تغيرت فلنفتح صفحة جديدة بين الطرفين، يطلق الإمام ما لديه من جنود عثمانيين أسرى وهم ٣٠٠ أسير، وتعترف الدولة للإمام بوضعية مماثلة لوضعية شريف مكة في

الشؤون الدينية، وللدولة سائر الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية، وفعلاً تم الاتفاق واستمر هذا الحال إلى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وبعد سنة تقريباً غادر محب الدين اليمن عائداً إلى دمشق، وترك خلفه فيها بصمات قوية وظاهرة، وهي تحتاج إلى بحث أعمق عمّا آلت له بعد سفره، ويجب أن نتذكر أن محب الدين فعل كل هذا وهو لا يزال في الرابعة والعشرين من عمره!

العودة إلى دمشق:

وعن خطته لهذه المرحلة: «كانت النية أن يعمل على تجديد نشاط جمعية النهضة العربية، وأن يصدر في دمشق صحيفة باسم الجمعية، وأن يكون ذلك في داخل نطاق الدستور العثماني وقوانينه»، لكنه فوجئ بـ «أن الدولة تأبى أن تعترف بعنوان جمعية النهضة العربية، لأن كلمة العربية غير مرغوب فيها من الدولة العثمانية، وأجبروا الجمعية على أن تجعل اسمها (جمعية النهضة السورية)»، وكانت هذه من إرهابات خلاف محب الدين ورفاقه العرب مع الاتحاديين، خاصة حين ساءت الأحوال في كل الدولة العثمانية بسبب سياسات الاتحاديين المنحرفة.

وبعد أشهر معدودة من عودته لدمشق قام بكتابة مقالات لمجلة فكاهية ساخرة ومنتقدة للأحوال الفوضوية بعد إعادة العمل بالدستور العثماني سماها عمال المطبعة (طار الخرج)، فاستاءت الحكومة من هذه المجلة وبحثت عن الكاتب والناشر لها، فنبهه أصدقائه في الحكومة لضرورة المغادرة، فسافر لبيروت، ومن ثم أرسلوا له رسالة طالبوه بالسفر لاستتبول حتى لا تقبض عليه السلطات.

بقي هناك بضعة أشهر حتى علمت حكومة سوريا بوجوده بالعاصمة، فلاحقته، فلم يجد بداً من الهرب للقاهرة الواقعة آنذاك تحت حكم

الإنجليز، حتى لا تطاله يد حكومة الاتحاد والترقي، الذين كانوا شركاء!

الاستقرار في القاهرة:

وصل القاهرة في أغسطس/ آب ١٩٠٩م، وهنا تبدأ مرحلة جديدة في حياة محب الدين وتستمر معه ٦٠ عاماً يظهر فيها الجانب الثقافي والإعلامي أكثر من الجانب السياسي، الذي سار فيه محب الدين إلى أن وصل لطريق مسدود فتركه غير متأسف عليه!

وهنا سنتناول سيرة محب بشكل موضوعي، حتى نمتلك صورة متكاملة لجهود محب الدين الإصلاحية والتي توزعت على المجالات السياسية والتعليمية والثقافية والصحفية.

نشاطه السياسي في الجمعيات والأحزاب:

لم يشارك محب الدين في كثير من الجمعيات والأحزاب التي ظهرت في زمانه، بل كان غالباً في قيادتها، وبـل ويشغل منصب أمين السر الذي يحتفظ بالوثائق والمراسلات، ولقد كان محب الدين منظماً في إدارة هذه الملفات والوثائق وتصنيفها وحفظها، بحيث أن مكتبته الشخصية وأرشيفه كانا المصدر الأساسي لعدد من الطروحات الجامعية عن تلك الحقبة من تاريخ العرب والمنطقة.

مر معنا أن محب الدين تعرف على فكرة الجمعيات والأحزاب في حلقة دمشق الكبرى بزعامة شيخه طاهر الجزائري، وكانت جمعية النهضة العربية التي أسسها وهو طالب باستتبول سنة ١٩٠٦م أول جمعية له، ثم انضم سنة ١٩٠٦ لجمعية الشورى العثمانية وفتح لها فرعاً باليمن، والتي اندمجت بجمعية الاتحاد والترقي، لكن سرعان ما ظهر له ولغيره حقيقة الاتحاديين فأصبح عدواً لهم.

وبعد استقراره بالقاهرة شارك في تأسيس حزب

اللامركزية العثمانية عام ١٩١٣م والذي رأسه رفيق العظم ومن أعضائه رشيد رضا، وأصبح محب الدين عضواً بمجلس الإدارة وكاتم سره الثاني.

وفي نفس الوقت كان ممثل جمعية (العربية الفتاة) التي تأسست في بيروت، ثم في باريس سنة ١٩٠٩م، وكان بمثابة صوتها في حزب اللامركزية العثماني، وقد كان محب الدين هو الذي استحصل موافقة الحزب على المشاركة في المؤتمر العربي الأول في باريس سنة ١٩١٣م والذي نظمته (العربية الفتاة) بشكل غير مباشر، وقد أصدر محب الدين كتاباً خاصاً عن المؤتمر نشر كملحق في جريدة المؤيد، وقد كان للمؤتمر تأثير قوي على حكومة الاتحاد والترقي لدرجة أنها حكمت بالإعدام على كل من شارك بالمؤتمر، وفعلاً نفذ الإعدام بحق كثير منهم حتى سمي المؤتمر بمؤتمر الشهداء!

وهذا الموقع المركزي المتقدم مكن محب الدين من الاتصال بالكثير من الجمعيات الإصلاحية والشخصيات الوطنية في العديد من البلاد العربية، وساعدته على محاربة مخططات الاتحاديين الأتراك والمستعمرين الأوروبيين، من خلال هذه الصلات كان رجالات الإصلاح يسندون المهام السياسية والإصلاحية لرفاقهم في الجمعيات والأحزاب في أي موقع يحصل به شاغر، وهذا يفسر تعدد الدول التي يظهر بها نشاط لمحِب الدين وأمثاله في تلك الحقبة من الزمان.

وعند نشوب الحرب العالمية الأولى رأى قيادات حزب اللامركزية وجمعية العربية الفتاة أن مصلحة العرب عدم الدخول في الحرب إلى جانب طرف ضد طرف، وتقرر إرسال مندوبين للزعماء العرب لمفاوضتهم في ذلك، وتم تكليف محب الدين بالسفر إلى الخليج العربي والاجتماع بأمير نجد والإحساء الأمير عبد العزيز آل سعود، وزعيم العراق السيد طالب النقيب لتلك الغاية،

فسافر سنة ١٩١٤م ومعه دليل وهو طالب من الخليج يدرس بمدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها السيد رشيد رضا، فركبا من السويس لعدن ومنها إلى بومباي بالهند، ثم يعودان للخليج وينزلان بالكويت وينطلقان للأمير عبد العزيز، وكان هذا يعد أيسر طرق المواصلات آنذاك، ولكن القوات البريطانية راقبتهم من بومباي، وقبل نزولهم من الباخرة بالكويت تم اعتقالهما ونقلهما للبصرة، وبقي محب الدين معتقلاً سبعة شهور، وقد استغل هذه الخلوة الإجبارية بالمطالعة من خلال تعاطف شرطي عراقي كان يستعير له الكتب من مكتبة أديب عراقي.

وفي أثناء اعتقاله أوفدت العربية الفتاة الشيخ كامل القصاب لمصر، ومن ثم عاد لسوريا وسافر للحجاز، وهناك ساهم في انطلاق الثورة العربية ضد الاتحاديين، الذين كانوا لا يراعون المصالح العربية، واحتاج الشريف حسين لمن يساعده على توطيد حكمه فاستعان برجالات العرب، وأشار عليه الشيخ القصاب بإحضار محب الدين ليتولى الجانب الإعلامي، وهو ما سنفصله في عمله الصحافي، بعد قليل.

ولكن محب الدين ورجالات العربية الفتاة، لم يجدوا أن الحسين يسعى معهم لنهضة عربية شاملة، بقدر حرصه على عدم سلب الأتراك حكم الحجاز منه، ولذلك سافر لدمشق سنة ١٩١٩م وهناك طلب منه الأمير فيصل ومن الشيخ القصاب أن يعملوا على تسليح الشعب ريثما يسافر لفرنسا للتفاوض معها.

وفعلاً قاما بتأسيس اللجنة الوطنية العليا، والتي نظمت الناس ودربتهم وسلحتهم بما تيسر، ولما عاد الأمير فيصل بغير ما ذهب به، وقام القائد الفرنسي بالزحف لاحتلال دمشق، قاد الخطيب والقصاب الناس للمقاومة، ولكن القوة لم تكن متكافئة ولا القيادة متحمسة، فلم يكن من جدوى لإطالة

ومذكرات غليوم الثاني امبراطور ألمانيا ودون فيه أفكاره بعد الحرب العالمية الأولى.

وكذلك اهتم محب الدين بنشر الروايات والقصص الأدبية بشكل ملحوظ، وبعضها مترجم من الإنجليزية والفرنسية والتركية، بل إن محب الدين نفسه قام بترجمة رواية لكاتبة تركية تدعى خالدة أديب وروايتها باسم (قميص من نار) تصف فيها جهود الترك لرد عدوان اليونانيين على غرب الأناضول، مما يدل على سعة أفق محب الدين وإدراكه المبكر لدور الرواية والقصة في الجيل الحاضر، وهو الوعي الذي غاب عن أجيال السلفية المعاصرة، بسبب تفريطهم في التواصل مع أعلامهم المعاصرين بالتعرف عليهم ودراسة تجاربهم، والله المستعان.

ولم تكن المكتبة والمطبعة مقرا للعمل فقط، بل كانت مركز قيادة فكرية وإشعاع حضاري، فقد كانت مكاناً يتجمع فيه المخلصون كالشيخ الخضر حسين وتيمور باشا وكرد علي ومحمود وأحمد شاكر، لبحث الأحداث والمستجدات ومن ثم إطلاق المبادرات، ففي المكتبة السلفية كان مولد مجلة الفتح للتصدي لمواجهة الإلحاد، وفي المكتبة السلفية كان انطلاق فكرة جمعية الشبان المسلمين، وفيها كان تأسيس مجلة الإخوان المسلمين، وغيرها من المبادرات النافعة، ويصفها الأستاذ أنور الجندي بأنها «نبع القلوب الصادقة، تردها من الشباب فئة قليلة الصبر على ضيم ينزل بالآمة العربية من ظلم الاستعمار».

وكان من رواد المطبعة السلفية: الأستاذ حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين، والذي تردد على المطبعة من سنة ١٩٢٧م يستفيد من معارف وخبرات الخطيب، وقد ساهمت هذه المعرفة في البنا وفي جماعته الإخوان المسلمين، وبقي الخطيب يستقبل الشباب الإسلامي وشباب الإخوان في مطبعته

المقاومة، فهرب محب الدين للقاهرة، وهذا كان نهاية عمله السياسي تقريباً، وتوجهه للعمل الإعلامي والثقافي، فالخلافة ألغيت والبلاد العربية احتلت، ولكن محب الدين واصل دعمه للجمعيات والجماعات الإسلامية، كجمعية الشبان المسلمين وجماعة الإخوان المسلمين.

إنشاء المكتبة السلفية:

عقب وصوله للقاهرة سنة ١٩١٩م وبثمن منزل له في دمشق كان قد باعه، قام بتأسيس المكتبة السلفية سنة ١٣٢٧ هـ، وذلك لـ «نشر النادر المنتقى من كتب السلف، والنافع المرتضى من المؤلفات العصرية عربية أو معربة»، وشاركه في المكتبة صهره عبد الفتاح قتلان، ثم تمكنا من تأسيس مطبعة خاصة للمكتبة سنة ١٣٤٠هـ، وساهمت المكتبة السلفية ومطبعتها ببعث نهضة ثقافية متميزة من خلال اعتنائها بنشر المفيد من الكتب وجودة الطباعة والتصحيح لما تطبع، وأشار محب الدين في أحد مقالاته بمجلة الفتح أنه قام بفتح فرع للمطبعة بمكة المكرمة، وذلك في عهد الملك عبد العزيز، ولكننا لا نعرف شيئاً عن تفاصيل هذا الفرع.

ومن خلال سجل مطبوعاتها لسنة ١٣٤٩هـ، نجد تنوعاً كبيراً في مطبوعاتها، فبحوار العديد من كتب التراث الشرعي واللغوي، نجد أنها نشرت كتباً في الأخلاق والتزكية تراثية ومعاصرة، ونجد العديد من الكتب الحديثة والتي تدحض شبه المستشرقين والملاحدة ومن تأثر بهم، ونجد المكتبة السلفية هي التي نشرت كتب كبار مثقفي القرن العشرين أمثال الأديب مصطفى صادق الرافعي والعلامة أحمد تيمور باشا والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي مصر والشاعر أحمد أبو شادي، ونجد المكتبة السلفية نشرت كتباً مترجمة في قضايا مهمة ككتاب مقالة في المنهج لديكارت،

ويوليهم عنايته كما يحدثنا المستشار عبدالله العقيل.

وبقي محب الدين لآخر يوم في حياته يواصل عمله بالمكتبة والمطبعة، بل نقل المكتبة والمطبعة لبناء جديد فيه بيته أيضاً حتى يحافظ على وقته من الضياع بالذهاب والإياب، وليسهل عليه التأخر فيها لإنجاز الأعمال، ويقوم بهمهم من يغيب عن العمال، وقد أوصى محب الدين أولاده بالحفاظ على المكتبة والمطبعة وعدم تقسيمها بين الورثة، وأن يكمل أبناؤه من بعده المهمة بنشر العلم والمعرفة، وهي لا تزال قائمة لليوم على ضعف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

دخوله عالم الصحافة:

حين جاء محب الدين للقاهرة أول مرة من استنبول سنة ١٩٠٩، عرّفه شيخه طاهر الجزائري على العلامة أحمد تيمور باشا، ثم طلب منه أن يسعى لمحبة الدين للعمل في صحيفة المؤيد التي يصدرها شيخ الصحافة المصرية الشيخ علي يوسف، وذلك لكون تيمور باشا مساهماً في شركة المؤيد التي تصدر الصحيفة، هذا التصرف من الشيخ طاهر كان له بالغ الأثر على تطوير قدرات محب الدين الصحفية والإعلامية، وكذلك بالغ الأثر على إخراج شخصية إعلامية فذة تنصر المشروع الإسلامي في الصحافة وتحمله على كتفها أكثر من ٤٠ سنة، وهو أيضاً يدل على نفاسة معدن الشيخ طاهر الذي يحرص دوماً على شخصية طلابه وتلاميذه ويسعى لتطويرهم وشفق الطريق لهم ليكونوا مشاعل نور وهداية، في تطبيق حي معنى التربية والرعاية والأستاذية، رحم الله الجميع.

وقسم محب الدين عمله ففي الصباح في جريدة المؤيد حتى الواحدة بعد الظهر، وبعدها يذهب للمكتبة السلفية يشرف عليها، حيث في الصباح يعمل بها شريكه وأخو زوجته عبد الفتاح قتلان. وقد لقي محب الدين كل التشجيع والدعم من

الشيخ علي، واستفاد منه فائدة عظيمة في أسرار العمل الصحفي بقي يشيد بها ويذكرها محب الدين طيلة حياته، وترقى محب الدين في المؤيد فأصبح يمكنه أن ينشر ملحقا للصحيفة بعد العصر، فقد نقل سكنه ليكون قريباً من مبنى المؤيد، فإذا جاءت أخبار عاجلة أرسلها له العمال، فيعمل منها ملحقا صغيراً، يطبع فوراً وينزل للسوق دون الرجوع للشيخ علي، بل كان الشيخ علي يرسل خادمه يشتريه من الباعة كباقي القراء!

ومن على صفحات المؤيد قام محب الدين بالتحذير من خطر التبشير بين المسلمين، فترجم هو ومساعد الياف في مقالة مسيو لوشاتليه والتي نشرت بعنوان «الغارة على العالم الإسلامي»، فأحدثت ضجة كبيرة، وقد تولى محب الدين الرد على مقالات المبشرين التي حاولت التوصل من ذلك.

كما أن محب الدين قام بكتابة العديد من المقالات التي توضح سياسة الاتحاد والترقي في البلاد العربية، مما عزز الحركة العربية في سوريا والعراق ضد جرائمهم، وهنا لا بد من بيان أن العروبة عند محب الدين لم تكن تتفصل عن الإسلام بأي شكل من الأشكال، ولذلك فإن تسرع البعض لاتهام محب الدين بالغفلة أو العمالة هو ظلم صريح، فمحب الدين يعتبر العربي الذي يتخلّى عن أخلاق الإسلام ليس عربياً أصلاً، ولأنه حارب انحراف القوميين حين كشفوا الغطاء عن عدائهم للإسلام، كما حارب الاتحاديين حين عادوا العرب والإسلام، كان محب الدين يقول: «اللغة والدين والتشريع القومي، والإدارة الوطنية، هدية الخالق لخلقه في عشرات الألوف من السنين، ولا يزال أثر هذه الهدية الإلهية دائماً ما دامت هذه المقومات الأربعة تسير مع حاجة الأمة بحسب الأجيال».

واستمر محب الدين فاعلاً في عالم الصحافة في مسيرة طويلة جداً، ومرّ معنا أنه بدأ الكتابة

بالترجمة من التركية لمجلة ثمرات الفنون في بيروت، ثم كتب العدد اليتيم من مجلة (طار الخرج)، وعلى إثره هرب من سوريا وتقل حتى استقر بالقاهرة سنة ١٩٠٩م، ثم عمل بالمؤيد والتي كانت علامة فارقة في حياته وقال عنها: «وقد استفدت من أساليبه الصحفية، ومن خطته الإسلامية، ما أنا مدين له به ما دمت حياً، فالمؤيد كانت مدرستي الأولى في هذه الصناعة»، وبقي فيها حتى أغلقت في سنة ١٩١٣م، ومن خلال صحيفة المؤيد حصل محب الدين على الشهرة العالمية الواسعة.

ثم لما قامت الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦م، طلبه الشريف حسين لمكة المكرمة بناء على توصية من الشيخ كامل القصاب، ليؤسس جريدة القبلة لتكون لسان حكومة الحجاز، وفعلاً أسس محب الدين مجلة القبلة ورأس تحريرها ثلاث سنوات، وأسس أيضاً المطابع الأميرية بمكة المكرمة، ثم استأذن بالسفر لدمشق سنة ١٩١٩م، وتولى تحرير مجلة العاصمة، والتي أصدرتها حكومة الأمير فيصل، من العدد ٤٧، وفي هاتين المجلتين كانت غالب مقالاته تدعو لحق العرب في الحكم، وضرورة الحكم الدستوري، ورفض أطماع الاستعمار والاتفاقات الدولية.

ولما وجد أن اختيارات الشريف حسين وولده الأمير فيصل السياسية، قصرت عن مطالب محب الدين ورفاقه من المثقفين والقادة، وأنهم قد قبلوا بعقد اتفاقات مع القوى الأوروبية دون مشاورة مع القوى الشعبية، فرفض محب الدين ورفاقه الاحتلال الفرنسي لدمشق، وقاوموا الاحتلال الفرنسي من خلال تأسيسهم اللجنة الوطنية العليا، وبسبب تفوق قوات الاحتلال اضطر محب الدين للهرب مرة ثانية للقاهرة، فعاد لها سنة ١٩٢٠م.

فأعاد محب الدين افتتاح المكتبة السلفية والتي

أغلقها عند سفره للحجاز، والتحق بصحيفة الأهرام حتى سنة ١٩٢٥م، والأهرام من أقدم الصحف العربية وأهمها في ذلك العصر، وهي علمانية التوجه إذ أسسها أخوان مسيحيان لبنانيان سنة ١٨٧٦م، وكانت تجربة جديدة لمحب الدين تعرف فيها على مجالات أخرى في عالم الصحافة.

ثم أسس محب الدين مجلته الأولى الزهراء، وهي مجلة أدبية شهرية، استمرت تصدر ٥ سنوات (١٩٢٤ - ١٩٢٩)، وكانت تهدف لنشر فكره الإصلاحية القائم على مزج الأصالة بالتحديث، من خلال المرونة في الاقتباس من الآخرين من وسائل القوة ونظم الإدارة والتخصص في العلوم والأعمال، مع الاحتفاظ بتقاليدنا التاريخية وسجاينا القومية ولساننا الأصيل.

وقد توقفت الزهراء بسبب تحول الأوضاع العامة، وضرورة وجود منبر إعلامي للمشروع الإسلامي يخاطب الشباب والرأي العام لمقاومة التيارات السياسية والثقافية الدخيلة، وترخيص الزهراء لا يسمح بذلك.

وهنا جاء دور ظهور مجلة الفتح سنة ١٩٢٦م، وذلك بعد تداعي دعاة الإصلاح بطلب من العلامة أحمد تيمور باشا بخطورة موجة الإلحاد التي تنتشر بين الشباب عقب إلغاء الخلافة وسياسات أتاتورك المحاربة للإسلام، وعقد اللقاء بالمطبعة السلفية وحضره الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر لاحقاً، وتقرر إنشاء جمعية لمقاومة ذلك، ولكن لأن الخطر أسرع من ذلك وأهمية الاتصال بالرأي العام والشباب المثقف، فتقرر أيضاً إنشاء مجلة لهذا الغرض.

ورغم أن الحصول على ترخيص لصحيفة إسلامية كان أشبه بالمستحيل - وكان التاريخ يعيد نفسه - فقد أخذ تيمور باشا على عاتقه ذلك، وفعلاً قام بترخيص الفتح وجمعية الشبان المسلمين

لهذه الغاية وهي مقاومة التغريب وموجة الإلحاد، وهذه من المآثر المجهولة لتييمور باشا.

بقيت الفتح تصدر أكثر من ٢٠ سنة (١٩٢٦-١٩٤٨) وبلغت أعدادها ٨٨٤، تحمل هم الدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين في كل مكان، وقد نشرت المشروع الإسلامي وكونت وعي الكثير من الأجيال، وصنعت الكثير من قادة الحركة الإسلامية المعروفين اليوم، وقلّ أن تجد أحد المشاهير اليوم لم يكتب في الفتح في مطلع شبابه، وكانت الفتح تصل لكثير من بلاد العالم، وكانت تتميز بأخبارها الخاصة حيث كان يرسلها المخلصون من كل مكان، ومن مراسلي الفتح كان الأستاذ حسن البنا نفسه في مطلع شبابه.

وكان محب الدين قد صنع أرشيفا دقيقا للمراسلات التي تأتيه بحسب الموضوعات والشخصيات، مكنته من القيام بحملات قوية للدفاع عن قضايا المسلمين، وقد تعرض للاعتقال ٣ أيام بسبب مقال كتبه عن أتاتورك، وفي سنواتها الأخيرة اهتمت الفتح كثيراً بقضية فلسطين وعملت على توعية الناس بخطورة الزحف اليهودي، وقد حذر العرب والمسلمين من إقامة دولة إسرائيل قبل ١٣ سنة من وقوع الكارثة، ذلك أنه كان يرى غفلة العرب وهمة اليهود لتطبيق مخطط بازل الصهيوني.

وصدق الحسن الغزالي حين أنشد في الفتح وصاحبها:

تلك السنون لقيت من إعناتها

ما يذهل الآساد عن أجماتها

قد جبتها و(الفتح) في يمينك من

نور أضأت بها دجى ليلاتها

أسطارها تغزو النفوس بلاغة

وهدى وتغزو الغي في جنباتها

لم تتوقف الفتح إلا بعد ضغوط كبيرة منها ارتفاع سعر الورق ٤٠ ضعفاً، وانقطاع المواصلات، ومنع نشر الإعلانات القضائية التي تدر دخلاً للمجلات، وينقل أبو الحسن الندوي عن الخطيب قوله: «أوقفتها من يوم أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرماً يفتش ويعاقب»، وذلك عقب هزيمة العرب مع دولة اليهود.

وفي سنة ١٩٢٩ طلب منه صديقه الجزائري الشيخ إبراهيم أطفيش المساعدة في الحفاظ على مجلته المنهاج، والتي كانت مهددة بالإغلاق بسبب تعثر صدورها لعوائق مالية وإدارية، فحولها محب الدين لجريدة أسبوعية بعد أن كانت نصف شهرية، وذلك رغبة منه بالحفاظ عليها لما لها من دور في مكافحة التبشير والاستشراق خاصة في بلاد المغرب، لكنها لم تصمد وبعد سنتين أوقفت.

وأثناء عمله بالفتح طلب منه حسن البنا المساعدة في إنشاء جريدة أسبوعية لجماعة الإخوان المسلمين، وكان رأس مالهم لإصدار الجريدة جنيهان! وطلبوا من محب الدين أن يرأس التحرير الجريدة ويطبّعها بالمطبعة السلفية، وقد قبل ذلك محب الدين فصدرت في سنة ١٩٣٣م وبقي يرأسها ثلاث سنوات.

وقد واصل محب الدين الكتابة في العديد من الصحف والمجلات التابعة لجماعة الإخوان، فكتب في جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية منذ صدورها عام ١٩٤٦م، وفي مجلة الشهاب والتي أصدرها حسن البنا سنة ١٩٤٧م، ومجلة (المسلمون) التي أصدرها سعيد رمضان سنة ١٩٥٢م.

وفي سنة ١٩٥٢م عين محب الدين رئيس التحرير لمجلة الأزهر بقرار من صديقة الشيخ الخضر حسين والذي أصبح شيخ الأزهر، وكانت افتتاحياته تعد الزاد للشباب المسلم الدارس في الأزهر كما يقول المستشار العقيل، وبقي يرأسها ست سنوات.

هذه كانت مسيرة محب الدين مع الصحافة محرراً وناشراً ورئيساً للتحرير وكاتباً، وهي مسيرة حافلة بالعطاء والبركة، وقد تميز أسلوبه بالسلاسة والمباشرة والبعد عن التعقيد والزخرفات اللغوية، وهو صريح وجريء في عرض أفكاره على القارئ، وهو شديد التمسك بمبادئه وشديد الدفاع عنها، ولا يجمال فيها أحداً، حرص على الوصول لأوسع شريحة من الناس ولم يقتصر على مخاطبة النخب، ولذلك كان يلجأ للكتابة بطريقة خطابية تخاطب القارئ بشكل شخصي.

ومقالات محب الدين تنوعت بين المقالات الحماسية للدفاع عن العروبة والإسلام، وبين المقالات الأدبية التي تذكر بعظمة الإسلام وحضارته ومآثر الأجداد، وبين المقالات التي تعالج الواقع وتقتترح الحلول لها، وهي تحتاج أن تجمع من بطون المجالات ويعاد بثها في الناس فإنها تحوي خبرة ورؤية نحتاجها اليوم بشدة.

ولقد لخص محب الدين اهتمامه بالصحافة والتعليم فقال: «إنما أتينا من جانب المدرسة والصحافة، فهما اللتان كونتا رجالنا وجماهيرنا كما نرى، ولن نتقي شر الانحلال الذي نتوقع أن ينزل بنا، ما لم تكن لنا مدارس وصحف مؤسسة على جلايمد من الإيمان بالهداية المحمدية لا تزعرها الزلازل».

جمعية الشبان المسلمين:

تقدم معنا دعوة تيمور باشا المخلصين لمقاومة موجة التغريب والإلحاد، وذلك عبر إنشاء جمعية ومجلة، فكانت المجلة هي الفتح، وأما الجمعية فكانت جمعية الشبان المسلمين، والتي سعى تيمور باشا لترخيصها بما له من مكانة وشأن، ولكن التنفيذ والرعاية كان من نصيب محب الدين، حيث انتخب ١٢ طالباً جامعياً منهم العلامة عبد السلام هارون والعلامة محمود شاكر أبا فخر

والعلامة عبد المنعم خلاف، عملوا بصمت وسرية حتى استقطبوا ٣٠٠ عضو من الجامعات، وذلك حتى يتجنبوا مهاجمة الكتاب بالصحف الذين يعارضون المشروع الإسلامي، وبعدها أعلنوا عن تأسيس الجمعية سنة ١٩٢٧م، ففوجئوا بها جمعية كبيرة لم يمكنهم عمل شيء ضدها.

وكان هدف الجمعية مقاومة الإلحاد والتغريب وشبهات المستشرقين، والدعوة لمكارم الأخلاق، والتعامل المرن مع الحضارة الغربية باقتباس النافع والمفيد، وتقديم البديل للشباب لقضاء وقت فراغهم في أنشطة رياضية مفيدة، وكان للجمعية دور ملموس في الشباب المصري، ومن أعضائها حسن البنا، قبل إنشائه جماعة الإخوان، وكانت مجلة الفتح بمثابة الناطق الإعلامي للجمعية فتتشر أخبارها وندواتها..

وقد امتنعت الجمعية عن العمل بالسياسة حتى تحافظ على نفسها، وتتمكن من الانتشار، ولذلك فتحت فروعاً خارج مصر كان منها ٢٠ فرعاً في فلسطين، تعاون معها الشيخ عز الدين القسام في مدينة حيفا، وفتحت لها فروع في دمشق والهند والباكستان والبوسنة وأوروبا، حتى قدر عدد أعضائها بمليون عضو.

لكن تحولاً طرأ على الجمعية أخرجها عن مقصدها، ويبدو أن ذلك كان بتأثير الاحتلال، وأصبحت تقتصر على الأنشطة الرياضية، وهو ما ساء محب الدين وأغضبه، إذ كان يهدف منها أن تكون المؤسسة الأولى للإسلام في مصر، تحتاج الجمعية لدراسة معمقة تستخرج عبرها وفوائدها، إذ أنها ظلمت ولم تعط حقها من الدراسة والبحث.

خلاصة خبرته في الدعوة إلى الله عز وجل:

كان محب الدين يرى أن الإسلام الصحيح لن ينتشر في عالم الناس إلا بثلاث خطوات:

١- تفرغ أهل العلم من الأزهريين والجامعيين لتتبع قواعد الإسلام واستقصائها وحصرها، وتحري فقه سلف الأمة لهذه القواعد، والتي سعوا بها وتنزيلها على واقعنا بفهم وعلم.

٢- العمل بذلك وتربية المسلم لنفسه على العمل بسنن الإسلام وقواعده في نفسه وبيته وأسرته ومحيطه.

٣- الدعوة إلى ذلك بإخلاص وحسن نية وإتقان.

ولعل هذه الخطوات هي التي يعبر عنها العلامة الألباني بقوله: «التصفية والتربية»، وقد كان بينهما علاقة، ولذلك قام محب الدين بتقديم الطبعة الأولى من كتاب الألباني «آداب الزفاف».

موقفه من غزو الشيعة لمصر:

برغم سلفية محب الدين واطلاعه على كتب ابن تيمية منذ نشأته إلا أنه لم يتعرض لنقد الشيعة في مقالاته لعدم وجود الداعي لذلك، لكن بعد أن قرر الشيعة غزو بلاد السنة عبر إرسال دعاة شيعة لمصر، كأبو عبد الله الزنجاني، ثم عبد الكريم الزنجاني، وثالثهم الشيخ محمد تقى القمي الذي أرسله المرجع الشيعي حسين البروجردى، وقام بتأسيس دار التقريب في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٦م.

رفض محب الدين فكرة التقريب وحاربها، ذلك أن محب الدين والشيخ الخضر حسين ناقشا أبو عبد الله الزنجاني في أسس التقريب والموقف من صحيح البخاري ومسلم، فتبين له أنه شيعي جلد جاء لنشر التشيع لا للتقريب، وذلك أن محب الدين كان ينادي بالتقريب بين أهل المذاهب في المواقف المشتركة لا تقريب المذاهب نفسها لاستحالة ذلك.

وركز على أن المشكلة هي في المذهب الشيعي الذي يحتوي على عقائد كفرية تطعن بالقرآن والكريم والصحابة وأمّهات المؤمنين، وكان يحاجج من يقبل بدعوة التقريب بقوله: «لماذا لم يسع الشيعة لإنشاء دار تقريب في طهران أو قم أو النجف أو جبل عامل أو غيرها من مراكز الدعاية للتشيع»، وقد أعلن رأيه بصراحة ووضوح وكتب كتابه «الخطوط العريضة لبيان أسس دين الشيعة الإثني عشرية»، وكتب مقالات رد فيها على قبول حسن البنا بمبدأ التقريب مع الشيعة.

الخاتمة:

بقي محب الدين يجاهد بقلمه وعلمه حتى الرمق الأخير، فقد توفي في المستشفى ومعه مسودات المجلد الثالث عشر من كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري، وذلك سنة ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، فرحمه الله رحمة واسعة.

مراجع للتوسع:

- ١- محب الدين الخطيب، حياته بقلمه، مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٢- فهرس المكتبة السلفية سنة ١٣٤٩هـ، المطبعة السلفية.
- ٣- محب الدين الخطيب أفكاره وجهوده في الإصلاح الإسلامي، سعد مناور، رسالة جامعية غير منشورة.
- ٤- قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب، رغداء محمد أديب زيدان، رسالة جامعية غير منشورة.

المعصومين، وكنيته أبو جعفر الثاني، تمييزاً عن إمامهم الخامس، أبي جعفر الباقر.

الخلاف منذ الولادة

وبدأت خلافات الشيعة حول الجواد منذ لحظة ولادته، وبين الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) أن أهل بيت علي الرضا (والد الجواد والإمام الثامن) شكوا بصحة نسبة ابنه الجواد إليه لسواد بشرته، ولتأخر والده في الإنجاب، ما جعلهم يلجؤون إلى القافة^(١) لحسم الموضوع.

ثم الإمامة

وعندما بلغ الجواد السابعة من عمره، كان الشيعة على موعد جديد من الخلاف والصراع، فقد توفي علي الرضا في خراسان (إيران حالياً)، بينما ابنه الطفل الصغير في المدينة المنورة، ولم يحدث شيء مما ادّعاه الإمامية الإثنا عشرية من أن الإمام يغسله الإمام الذي بعده، ويصلي عليه، إضافة إلى أن الجواد آنذاك طفل صغير، لم يكن بمقدوره التصرف بماله، وليس له من الأمر شيء، فكيف يتولى منصباً يعتبره الشيعة أكبر من النبوة؟

يقول الكاتب: «وبينما كان (الإمامية) يحاولون إثبات إمامة الرضا بالنصوص والمعاجز، توفي الإمام الرضا في خراسان سنة ٢٠٣ هـ وكان ابنه (محمد الجواد) يبلغ من العمر سبع سنين، مما سبب في حدوث أزمة

(١) جمع (قائف)، وهو «من يُحسن معرفة الأثر وتتبعه». وجاء في تعريفه أيضاً: «من يعرف نسب الإنسان بفراسته ونظره إلى الأعضاء والذي يعرف الآثار».

ولادة الجواد ووفاته

تفجّر الخلافات بين الشيعة

هينم الكسواني^(*) - خاص به «الرائد»

كانت وفاة كل إمام من أئمة الشيعة كفيلاً بأن تفجّر الخلافات بين أتباعهم، وتعصف بهم وبمنظريتهم في الإمامة، ذلك أن الشيعة قالوا بأن الإمام ينصّ على الإمام الذي بعده، وإن الإمام لا يغسله إلا الإمام، وإنه هو الذي يصلي عليه، وهو ما لم يكن يحدث في أكثر الأحيان.

وتعتبر ولادة الجواد (وكذلك إمامته ووفاته) من أكثر المحطات التي اختلف فيها الشيعة حول أئمتهم رغم زعمهم أن الإمام منصوب عليه من الله، وأن منصب الإمامة كالنبوة، بل هو أكبر وأعظم.

من هو الجواد؟

هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (١٩٥ - ٢٢٠ هـ) قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة): «إن محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد، ولهذا سمي الجواد، ومات وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة... وكان المأمون زوجة بابنته، وكان يرسل إليه في السنة ألف ألف درهم، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، ومات بها».

والجواد عند الشيعة الإثني عشرية هو تاسع أئمتهم

(*) كاتب أردني.

جديدة في صفوف الإمامية، وشكل تحدياً كبيراً للنظرية الوليدة، حيث لم يكن يعقل أن ينصب الله تعالى لقيادة المسلمين طفلاً صغيراً محجوراً عليه لا يحق له التصرف بأمواله الخاصة، غير مكلف شرعاً، ولم تتح له الفرصة للتعلم من أبيه الذي تركه في المدينة وله من العمر أربع سنوات.

ويبين الكاتب أن الشيعة الإمامية افتقرت حينها إلى عدة فرق:

- فرقة عادت إلى الوقف على موسى الكاظم (الإمام السابع) وتراجعت عن إيمانها بإمامة الرضا، ورفضت الاعتراف بإمامة الجواد، قائلة إن من كان محجوراً عليه لصغر سنه وعاجزاً عن التحكم بدرهم واحد من ماله الخاص، بطل أن يكون إماماً، لأن الإمام هو الوالي على الخلق في جميع أمور الدين والدنيا، والمأمون على أموال الله تعالى كلها، وعلى الشريعة والأحكام...

- وفرقة اعتبرت أن الإمام بعد الرضا: أحمد بن موسى (شقيق الإمام الرضا)، قائلين إن الرضا أوصى إليه ونص بالإمامة عليه.

- والتفت بعض الشيعة حول محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن أبي طالب، الذي ثار على الخليفة العباسي، المعتصم بالله، في الطالقان سنة ٢١٨هـ.

- وفرقة قالت بإمامة الجواد، لكنها اضطربت في الإجابة على مشكلتي العمر والعلم، فذهبت تبحث عن أشياء تثبت صحة إمامته، منها قولهم: إذا كان الله قد أعطى النبوة ليحيى عليه السلام وهو صبي كما في قوله تعالى (وآتيناها الحكم صبياً)، فلم لا يعطي الإمامة للجواد وهو صغير كذلك؟! وهذه الفرقة هي التي عُرفت فيما بعد باسم الإثني عشرية.

والوفاة كذلك

ومثلما فجرت إمامة الجواد الخلافات بين الشيعة، كانت وفاته كذلك، يقول الكاتب: «وقد تكررت مشكلة صغر عمر الإمام الجواد مرة أخرى مع ابنه علي الهادي، حيث توفي الجواد في مقتبل عمره ولم يكمل الخامسة والعشرين، وكان ولداه الوحيدان علي وموسى صغيرين لم يتجاوز أكبرهما السابعة».

واختلف الشيعة واحتاروا في هوية الإمام الجديد، فساق بعضهم الإمامة إلى ابنه علي (الهادي)، في حين اعتبر آخرون أن الإمام هو ابنه الآخر موسى (المبرقع)، يقول الكاتب: «يقصّ علينا الكليني والمفيد ذلك الغموض وتلك الحيرة التي أصابت الشيعة في أمر الإمام بعد الجواد، وعدم معرفة كبار الشيعة بهوية الإمام الجديد، واجتماعهم عند محمد بن الفرج للتفاوض في أمرها، ثم مجيء شخص وإخبارهم بوصية الإمام الجواد له - سرّاً - بإمامة ابنه علي الهادي».

وعلى الرغم من هذا الخلاف، ساق تيار من الشيعة (الإثنا عشرية) الإمامة إلى علي الهادي^(١)، وأصبح عندهم عاشر الأئمة المعصومين، ما عرّض نظرية الإمامة إلى مزيد من التهاوي والسقوط: إذ كيف ينصب الله طفلاً لقيادة المسلمين، في الوقت الذي يُمنع هذا الطفل من التصرف بدرهم من ماله إلى أن يبلغ؟

يقول الكاتب: «ولأن الهادي كان صغيراً عند وفاة الجواد فقد أوصى أبوه بالأموال والضياع والنفقات والرقيق إلى (عبدالله بن المساور) وأمره بتحويلها إلى الهادي عند البلوغ... وهذا ما دفع الشيعة إلى التساؤل: إذا كان الهادي بنظر أبيه غير قادر على إدارة الأموال والضياع والنفقات لصغره فمن هو الإمام في تلك الفترة؟ وكيف يقوم بالإمامة طفل صغير؟ وهو سؤال كان قد طرحه البعض عند وفاة الإمام الرضا من قبل، وذلك عندما كان الجواد طفلاً صغيراً».

للاستزادة:

- أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، عمان، ١٩٩٧م.

(١) ذكره الإمام ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في وفيات سنة 254 هـ، وقال فيه: «وقد كان عابداً زاهداً، نقله المتوكل إلى سامرا، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها في هذه السنة».

سيناريو الانصهار:

لمعرفة أمارات مثل هذه المخاطر يتوجب الإجابة على سؤال مستقبل الظاهرة، ومن خلال التمعن في الواقع واستحضار مختلف الآراء حول الموضوع يمكن الحديث عن ثلاثة سيناريوهات للتشيع في المنطقة المغاربية أو المناطق التي لم تشهد تواجدا شيعيا كمصر أو بعض الدول الإفريقية.

السيناريو الأول: الانتشار

وهو سيناريو مستبعد بشكل كامل نظرا لتجذر المعتقدات السنية في المنطقة المغاربية، وفشل محاولة التشيع التي قام بها العبيديون زمن الدولة الفاطمية، فضلا عن ممانعة قطاع واسع من المغاربة للتشيع وغيرها من الموقفات التي تحول دون تمدد التبشير الشيعي.

والسيناريو الثاني: الاندثار

وهو محل تساؤلات عديدة إذ لا يمكن الجزم بأن الحالة الشيعية الجديدة ستندثر بشكل كامل ونهائي، لإمكانية وجوده لكن بمستوى محدد^(١)، وتحقق هذا السيناريو مرهون بوجود استراتيجيات شاملة ومتكاملة لمحاربة هذا الفيروس^(٢).

(١) لتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع انظر: بوزيدي يحيى، هل بدأ طور جديد من التشيع؟، الراصد، العدد ١١٩، ٢٠١٣/٠٣/٢٣، على الرابط:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6094

(٢) انظر: بوزيدي يحيى، في الحاجة لاستراتيجية مضادة للتشيع بالجزائر، الراصد، العدد ١٢٤، ٢٠١٣/٠٨/٠٩، على الرابط:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6332

التشيع ومخاطر الانصهار

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالراصد

يقف المهوّنون من خطر التشيع عند استحالة انتشاره في المنطقة المغاربية لفشله في ذلك خلال حقبة الدولة العبيدية أو الفاطمية، وأن تجانس المجتمعات المغاربية دينيا وحتى مذهبيا أهم حصن ضد التشيع، ولكن ما يغفل أو يتغافل عنه هذا الطرح من الأطراف المحسوبة على الدعوة الإسلامية أنها لا تضع في الحسبان مخاطر أخرى للتشيع ليس بالضرورة انتشاره كعقيدة كاملة، ولكن من الممكن أن يحدث ترسب لبعض المعتقدات الشيعية على شكل بدع جديدة كما حصل خلال الحكم الفاطمي في شمال إفريقيا.

ولكي نقرب ما المقصود بهذه المخاطر، نعود إلى زمن الدولة الفاطمية ونتساءل: هل كان يتصور أو يتخيل العلماء الذين عاصروا ذلك العهد أنه بعد عشرة قرون سيأتي من يحاول أن يستند على تلك الحقبة ليشرعن للتشيع في المغرب الإسلامي؟ الجواب طبعا وبكل تأكيد هو بالنفي. ونفس السؤال نطرحه الآن: هل يمكن تصور - بعد عشرة قرون - ما سيكون عليه التشيع؟ وماذا سيفعل عندئذ بموروث هذه الحقبة؟

(♦) كاتب جزائري.

فهو مرتبط بالسيناريو الثاني، فإذا كان الانتشار الشامل والكامل للتشيع شبه مستحيل فليس معنى ذلك أنه سيندثر لا محالة، خاصة إذا استمر التغافل عن مواجهة هذا الخطر، وحتى إذا كانت العوامل الطبيعية منفردة ساهمت في انحصاره واضمحلاله فإن وجود أو بقاء آثار للتشيع أمر غير مستبعد، بل من المؤكد في هذه الحالة أنها ستصهر داخل بوتقة طقوس العادات والتقاليد بطريقة ما على المدى البعيد.

اللامستحيل اجتماعيا

ما دامت المسألة تتعلق بتساؤلات على المدى البعيد جدا، مما يصعب التكهن بها فالأحرى في هذه الحالة ضرب أمثلة بالواقع الحالي الذي أصبح فيه إجماع على تواجد آلاف المتشيعين في الدول المغاربية. فهل كان يتخيل أو يتوقع في الخمسينيات مثلا أو العشرينيات زمن الحركة الإصلاحية أنه بعد عقدين أو ثلاثة سيظهر بضعة آلاف شخص في الجزائر أو تونس يسبون الصحابة ويطعنون في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟

لو طرح سؤال من هذا القبيل على رواد جمعية العلماء لاستبعدوه ربما، وقالوا باستحالته كما يقول اليوم كثيرون رغم أنهم يسمعون ويرون وجود متشيعين بين ظهرانيهم، ولكن هذا حاصل الآن وليس ضربا من الخيال، فكيف حدث ذلك؟

يمتلك التشيع منظومة متكاملة من الشبهات العقيدية التي تخدع بسطاء الناس من غير المطلعين على العقيدة الإسلامية، وعملية الاستقطاب أو التشيع تمر عبر مراحل تبدأ بالتشكيك في عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال الطعن في أمهات مصادرها (صحيح البخاري ومسلم)، ويعيش حينها الضحية في حالة قلق واضطراب، ثم تبدأ المرحلة الثانية في إبراز ما يفترض أنها تناقضات في الصحيحين أهمها عدم إنزال آل البيت المنزلة التي نص عليها القرآن الكريم ووصى بها رسول الله ﷺ، لتنتهي إلى أن ما وقع هو مؤامرة كبيرة على

الإسلام لحرف الناس عن طريقه الصحيح ممثلا في نهج آل البيت، وأن من خطط ودبر لها هم الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. ولا تتوقف عملية التشيع هنا لأنها مازالت في مرحلة القلق والاضطراب التي لا يمكن أن تحدث مفعولها وتستمر إذا لم تكن منظومة الشبهات قوية ومتعددة، وهذا التعدد هو الذي يسمح بتحويل تلك الشبهات إلى عقائد عندما يتجرأ الضحية على انتقاد كبار الصحابة، والسخرية منهم ثم سبهم لاحقا.

وتكتمل عملية التشيع حين تتحول الشبهات إلى عقائد متبناة كتحريف القرآن وتكفير الصحابة والقول بالإمامة والعصمة، ويصبح الضحية مقتنعا بكل ما يقال له باستسلام ويتلقى جرعات جديدة من الروايات التي لا يعترف بها بعض الشيعة أنفسهم، والتي لو تلقاها في المرحلة السابقة لما كان في قدرته استيعابها ولكفر بملة التشيع. أهم ما يستخلص من هذا التوصيف أنه لا مجال للحديث عن المستحيلات في طبيعة الإنسان والظواهر الاجتماعية المحيطة به، لذلك فإن كل السيناريوهات تبقى واردة بخصوص مستقبل التشيع وحتى «الانتشار».

القبول المجتمعي:

هذه العملية في نشر التشيع لا تتم في غرف مغلقة فالمتشيعون لم يعودوا يخشون من المجاهرة بمعتقداتهم، وإضافة إلى ما تقوم به القوى الشيعية عبر وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية والموجّهة لكل الفئات العمرية من الأطفال، قنوات (طه، الهدهد، الهادي) إلى المسلسلات التي تحرف التاريخ الإسلامي ليتطابق مع وجهة النظر الشيعية، والقنوات الدينية الشيعية، وأخطر من هذا كله، ما تلوكه بعض الألسنة المنسوبة أو المحسوبة على أهل السنة والجماعة والتي لا تجد غضاضة في ترديد الشبهات الشيعية تحت شعار نقد التراث، فضلا على سجالات مواقع التواصل الاجتماعي واستغلال المتشيعين للنقاشات التي

تجري في تلك الفضاءات لبث أفكارهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

هذه النشاطات مجتمعة تمهد لنوع من القبول المجتمعي بحيث يصبح سب الصحابة والتنقص منهم في إطار الطبيعي والعادي وحتى الحرية الشخصية في المعتقدات، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في انصهار التشيع في المجتمعات السنية.

وقد تتحول بعض الطقوس الشيعية إلى حالة عامة عن وعي أو غير وعي خاصة عندما تتسلل بين الكثير من بين المنافذ والفراغات التي أحدثتها البدع والخرافات في المجتمعات السنية، وهذا ما حصل ويحصل داخل الطرق الصوفية التي استغل الشيعة مغالاتها في الأولياء للانتشار داخلها، ثم التحالف معها لاحقا ضد الاتجاهات السنية الأخرى خاصة منها السلفية التي تجاهر بعدائها ومحاربتها.

عاشوراء نموذجاً:

أهم طقس شيعي انتقل من إيران والعراق إلى الدول المغاربية هو طقس عاشوراء، حيث يقوم الشيعة بالاحتفال به في جماعات صغيرة بطريقة سرية، وحاولوا أكثر من مرة الجهر به، حيث كانوا يستغلون الأضرحة وأماكن تواجد الصوفية للقيام بهذه الطقوس لعدم لفت الأنظار، وحجم ونوع الاحتفال يختلف من بلد إلى آخر، ففي تونس وخاصة بعد التحول السياسي الأخير أصبح إحياء مناسبة عاشوراء أكثر وضوحاً مقارنة بالجزائر، ومن المؤكد نظراً لطريقة إحياء الطقس أنه على المدى القريب والمتوسط أن يتصاعد إحياء عاشوراء في المنطقة على الطريقة الشيعية، مما يطرح تساؤلاً حول ما يمكن أنه يفرزه هذا الطقس الاحتفالي من مظاهر بدعية جديدة؟

الدافع لهذا التساؤل هو الآثار التي خلفها هذا الطقس بعد الحقبة الفاطمية في المنطقة فهو أحد البدع الموروثة عنها، وإن أصبحت الطقوس الممارسة الآن لا تنطلق من أساس شيعي وإنما تحولت إلى مجرد عادات وتقاليد لا يدري الكثيرون معانيها إلا أن هذا لا ينفي الخلفية الشيعية عنها، والتي ينبش

المتشيعون فيها ليشرعنوا لتشيعهم ويضخمونه لدرجة اعتباره هو الأصل والسنة استثناء، والأخطر من هذا المطالب التي برزت في المملكة المغربية التي دعت السلطات لتحويل يوم عاشوراء إلى يوم عطلة مدفوعة الأجر لتمكين شيعته من الحزن على مقتل الحسين رضي الله عنه، وهو ذات الطلب الذي قوبل بالرفض من شيعية مصر الذين طالبوا بذات الحقوق التي حصل عليها الأقباط^(١).

وبغض النظر عن تحقيق هذه المطالب من عدمه فإن ما يمكن الجزم به أن الطقس العاشورائي الحالي سيورث بدعا وضلالات جديدة كما حصل مع الطقس الموروث عن العبيديين، فمن خلال التقارير الإعلامية حول مراسم عاشوراء يمكن رصد الكثير من البدع والشركيات المرافقة له على غرار رش الماء على الممتلكات، لإبعاد العين، والتطير من الملح والمكاس، وإشعال نار كبيرة وممرور الحيوانات والناس على دخانها اعتقاداً ببركته وطرده للأرواح الشريرة، وقطع النساء جزءاً من شعورهن اعتقاداً منهن أن طولهن سيزيد. وبعض النسوة يجدن المناسبة فرصة للشعوذة والسحر، وفي الجزائر وتحديدًا في جبل منقاس بسطيف، يوجد شبه أثر يعتقد البعض أنه أثر لفرس علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فيتبركون بهذا الأثر الوهمي، فضلاً على زيارة الأضرحة التي تعم كل الدول المغاربية.

وإذا كان البعض ينفي علاقة الاحتفال بعاشوراء باليهود ويعتبره تقليداً بدأ في عهد الأتراك الذين يقال إنهم كانوا أذربيجانيين شيعية، فإن عادة رش الماء في المغرب انتقلت تأثراً باليهود هناك.

ولاشك أن الموجة الجديدة والمعاصرة لإحياء عاشوراء سترافقها بدع أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، بداية بالتجمعات السرية التي تعتبر أول

(١) الجزائر هي البلد المغربي الوحيد الذي جعل عاشوراء عطلة رسمية، الشروق اليومي، ٢٠٠٩/١٢/٢٦، على الرابط: <http://www.echoroukonline.com/ara/?news=46119>

الجزائر وتونس، وشخصية الشيصباني في ليبيا، و«بابا عيشور» في المغرب.

وزيارة الأضرحة في شهر محرم دليل على رابط قوي في نظرهم بين المغاربة والشيعة، وتخصيص الجزائريين الزكاة في يوم عاشوراء يفسر على أنه تكتيك سياسي مدروس قام به الشيعة بعد سقوط الدولة الفاطمية بعد منعهم من الاحتفال بعاشوراء وذلك بقرنها بشيعة إسلامية^(٢).

ودجل الشيعة والمتشيعين يكمن في استدلالهم بمثل هذه الطقوس ليس على مرور التشيع بالمنطقة كحالة عابرة وإنما على تجذره ورسوخه فيها، وفي المقابل هم أنفسهم يعتبرون مظاهر أخرى للاحتفال التي تأخذ طابع الفرح والسرور من فعل النواصب وهي من بين الأسباب التي دفعت البعض منهم للتشيع. فإذا كانت مظاهر الحزن تدل على أنهم شيعة فهل مظاهر الفرح دليل على أنهم نواصب أيضاً؟

وبغض النظر عن هذه التناقضات الشيعية فإن الثابت في الحالتين استغلال المتشيعين لهذه البدع، وهذا لوحده سبب كافٍ لضرورة محاربتها كلها، ولكن للأسف نجد من يشرعنها بوضعها في إطار «العادات والتقاليد». وحتى إذا سلمنا جدلاً أنها كذلك فإن مثل هذه العادات والتقاليد أصبح من الجلي خطرهما على الدين إن عاجلاً أم آجلاً، وبالتالي تحتاج لوقفه جادة معها. ولاشك أن أفضل مخرج من هذه التناقضات والبدع المتقابلة العودة إلى السنة النبوية بصوم عاشوراء دون أي إضافة، لقطع دابر البدع التي أول ما تفعله إماتة سنة، وتتكاثر عنها بدع أخرى.

فالموروث الثقافي عن الحقبة الفاطمية وما قبلها أو بعدها يدخل في إطار «إننا وجدنا آباءنا على أمة» ومن هنا يتوجب محاربة هذه المظاهر التي التسليم باستحالة اضمحلالها لا يعني طغيانها في المجتمع،

العلامات البدعية، واستغلال المجالات العامة للظهور العلني ضمن ما هو معتاد من نشاطات، وممارسة التقية أو الجهر بها إذا أمكن، ومن الأمثلة على ذلك احتفالاتهم العلنية في تونس ومحاولاتهم ذلك في مدينة سطيف وعين تموشنت بالجزائر، وما كانوا يقومون به في مدينة بسكرة، حيث يوجد ضريح خالد بن سنان هذا الولي الذي يزوره الشيعة للاعتقاد السائد أن شجرة نسبه تصله بأهل البيت.

ولا تخلُ العاصمة من مثل هذه الممارسات، ففي سيدي الكبير بلدية رايس حميدو، تشهد سنوياً طقوساً شيعية إحياء لهذا اليوم، حيث تزور جماعة متكونة من قرابة أربعين شخصاً ليلة العاشر من محرم إحدى الفيلات التي حسب المعتقدات السائدة تحوي ضريح سيدي الكبير الذي سميت المنطقة باسمه، والذي يروى أنه من أحفاد الحسن بن علي رضي الله عنه. فيقضون الليلة بأكملها في إحياء ذكرى عاشوراء الأليمة في تاريخهم بعيداً عن الأنظار ويمارسون اللطم وتعذيب الذات^(١).

وكما سبق الإشارة فإن المتشيعين اشتغلوا كثيراً على هذا التراث البدعي، وحاولوا توظيفه لخدمة مشروعاتهم، والدفاع عن تواجدهم في المنطقة، وأهم وأخطر ما يتداول في هذا السياق عزفهم على الوتر العرقي ومحاولة استمالة البربر من خلال الزعم بأن أصولهم شيعية. لكنهم يقعون في تناقضات فجّة. فبينما يدلون على زعمهم بأصالة التشيع في المنطقة ببعض الطقوس التي تعبر عن شهادة الحسين رضي الله عنه، وأبرزها ما يمكن وصفه بالعرض المسرحي الذي يصف معركة الطف في كربلاء، والشخصية المشتركة التي تختلف في الأسماء وتتشابه في دلالاتها الأنثروبولوجية ممثلة في «الشايب عاشوراء» وصراعه مع «السبع»، في

(١) عاشوراء في الجزائر.. بين عادات الأجداد وأسئلة التشيع، جريدة الفجر، ٢٠١١/١٢/٠٣، على الرابط:

<http://www.al-fadjar.com/ar/index.php?news=199073%3Fprint>

(٢) علاء الخطيب، موروثات عاشوراء في الجزائر، موقع كتابات، على الرابط:

<http://kitabab.info/subject.php?id=11988>

فهذا المستوى من المخاطر كفيل بدق ناقوس الخطر من التشيع، قبل أن يستفحل المرض، فلا نستغرب وليس مستحيلاً في يوم من الأيام أن نصحو على ضريح منسوب لآل البيت رضوان الله عليهم أو لأحد مراجعهم المعاصرين في شمال إفريقيا وقد جعل منه الشيعة مكاناً لإحياء طقوس عاشوراء، ثم تؤسس إلى جانبه حسينية لتصبح المهديّة أو قابس أو أي مدينة مغاربية أخرى نجف أو قم شمال إفريقيا.

المشهد العراقي بعد تأجيل الضربة على سوريا الواقع والحل

سمير الصالحى^(١) - خاص بالرائد

تأجلت ضربة النظام السوري أو إن شئت قل رحّلت إلى أجل غير مسمى، فطبخة الكبار لا تزال على النار، لم تتضح بعد، وأصبح المهم هو التخلص من السلاح الكيماوي، ولم يعد التشنج والاضطراب هو سيد الموقف في العراق نتيجة لذلك، لكن العراق بذاته يغلي - حتى لو لم توجد مشكلة سوريا أصلاً - وغليانه لأمر آخر مستمر، فالشيعة يريدون ولادة عراق شيعي جديد، والسنة يقاومون جهدهم مع تقصير واضح، والكرد السنة في طور البناء لدولتهم المنتظرة.

في العراق قتل يومي يصل معدّله إلى نصف أو ثلث عدد القتلى اليومي في سوريا، فهي حرب غير معلنة، وقد شهد شهري ٨ - ٩ تصعيد كبيراً على عدة أطر منها:

- تهجير في الجنوب لعشائر آل السعدون السنية من محافظة البصرة (هجرت ١٠٠ عائلة) حتى أعترف رئيس الوزراء العراقي بذلك، والتهجير في محافظة ديالى مستمر.
- تفجيرات مساجد السنة بعد صلوات الجمعة

(♦) كاتب عراقي.

ولعل مظاهر العولة التي أتت على الكثير من القيم الاجتماعية بسلبياتها وإيجابياتها ساهمت في ابتعاد الناس عن هذه العادات (البدع) ولكنها من جهة أخرى فتحت الباب لبدع أخرى.

ومن المعلوم أن التطبير والضرب بالزنجيل الذي يقوم به الشيعة الآن في العراق وإيران وغيرهما هو محصلة تطور بدأ بمجرد بكاء وحزن على خذلان الحسين رضي الله عنه، والنفقات النوعية لهذه الطقوس كانت بتبني بعض الأنظمة السياسية لها، خاصة في عهد البويهيين، ثم لاحقاً في العهد الصفوي. الذي كانت إيران قبيله دولة سنية أما الآن فعلى الأقل أكثر من نصفها شيعة.

وفي هذا الإطار يجب أن لا نغفل محاولة معمّر القذافي في ليبيا اللعب على هذا الوتر وحديثه عن إحياء الدولة الفاطمية، وربما يكون القذافي نسخة فاشلة من الشاه إسماعيل الصفوي، ولكن هناك احتمال لنسخة أخرى قد تنجح في مستوى من المستويات.

الخلاصة:

المخاطر التي أشرنا إليها أعلاه والتي إذا توقفت عن حدود إمكانية الانصهار على شكل بدع وخرافات هي بالأساس شرك بالله عزوجل واستمراريتها تعيق المشروع الحضاري الذي تطمح إليه الحركات الإسلامية. وكما كان التشيع في بداياته مجرد «تشيع سياسي» دون أن يكون عقدياً، وهو الشعار الذي رفع حيناً من الزمن من طرف المهونين من خطر التشيع حيث كانوا يبررون علاقتهم بالشيعة بأنها لا تتعدى التعاون السياسي في مجابهة الخطر الصهيوني ليثبت الواقع لاحقاً تهافت هذا الطرح، فالشيعة عند أول محك حقيقي لم يجدوا غضاظة في الكفر بالتقريب ولم يتوانوا في طعن الإخوان المسلمين في الظهر، بعدما استغلّوهم طيلة العقود الثلاثة السابقة في تحقيق مشاريعهم، كما أثبت الواقع وجود خيط رفيع جداً بين التشيع السياسي والتشيع الديني، وأن الأول ينتهي في الأخير إلى الثاني في الكثير من الحالات.

في محافظتي ديالى وبغداد.

- اعتقالات مستمرة على قدم وساق لأهل السنة، و تهمة ٤ إرهاب أصبحت سنة إرهاب.
- الرعب يلف العاصمة العراقية، فعند الساعة الثالثة عصرا يغلق كل شيء في بغداد وهناك شلل اقتصادي واضح في العاصمة.
- نشاط واسع جدا في المناطق السنية للقاعدة، ودخول ملف قاعدة العراق مع سوريا.
- اعترافات لمجموعات شيعية - لا ندري لحساب من تعمل - بتنفيذ عمليات تفجير في المناطق الشيعية! طبعاً إيران واحدة من هؤلاء، لكن السؤال هل توجد جهات أخرى غير إيران تعمل بالعراق؟
- تصاعد الفساد على الصعيد الاقتصادي والإداري والسياسي.

هذا هو المشهد العراقي والذي هو متناغم مع مشهد الاضطراب الدولي لاسيما في منطقة الشرق الأوسط.

موقف إيران داخل العراق:

توجهات إيران السياسية بعد انتخاب الرئيس روحاني نحت إلى سياسة جديدة مع الغرب حول عدة ملفات منها ملفها النووي، ودخول مرحلة جديدة من التهدة، لكن السؤال هل ينعكس هذا على سياستها في العراق؟

في الشأن العراقي لا تزال استراتيجية إيران المنظورة هي مزيد من إحكام السيطرة على أغلب مناطق العراق، وتقوم بتنفيذها عبر التكتيكات التالية:

- الأول: التمدد للسيطرة على محافظة ديالى.
 - الثاني: تطهير محيط بغداد من السنة تدريجياً.
 - الثالث: هو السيطرة على منطقة النخيب عسكرياً.
- والنقطة الأولى والثانية بمثابة تمهيد للسيطرة الكلية على العاصمة، بحيث لا يتبقى إلا أقاليم سنية في العاصمة وما جاورها، وهذا حلم شيعي إيراني قديم.

والأمور تسير وفق الخطة المرسومة:

ففي محافظة ديالى ومناطقها السنية تسرح وتمرح الميلشيات الشيعية، وتقوم بالقتل والتفجير والتهجير بشكل مدروس، كميلشيات كجيش المختار، وثأر الله، وعصائب أهل الحق، وكل هذه لها صلة بشكل أو آخر بالقوى الأمنية الحكومية، أو تتحرك تحت مرمى نظر الجيش والشرطة، وبعضها يرتبط مباشرة بإيران.

أما في محيط بغداد، فقد استغل الشيعة هروب سجناء القاعدة من سجن أبي غريب، لإطلاق عملية ثأر الشهداء، لتحصد أرواح أهل السنة من محيط بغداد، دون أن يتحرك الجيش (الوطني) والذي يسمع تصريحات القوى الأمنية والميلشيات لأهالي المناطق السنية جهاراً نهاراً أنّ جميع أهل السنة سيرحلون من مناطقهم اليوم أو غداً.

ومنذ أكثر من شهر دخلت قوات عراقية وإيرانية عسكرية داخل الصحراء الغربية وتمركزت في مناطق عدة ومنها منطقة النخيب، للتمهيد لقوات أخرى إيرانية للانتشار بشكل أعمق للوصول قرب الحدود العراقية السورية والعراقية الأردنية.

وتمهيداً لشرعنة هذا الإستيلاء على منطقة النخيب، فقد تم ضخ أموال طائلة لشخصيات معروفة ومؤثرة في محافظة الأنبار تمهيداً للموافقة على أي استفتاء يجري حول انضمام منطقة النخيب إلى محافظة كربلاء، والهدف من ضم منطقة النخيب لمحافظة كربلاء هو عزل السعودية عن المحيط السني العراقي واقترب إيران من حدود الأردن.

إن الحكومة الإيرانية والنخب العراقية الشيعية تدرك أن الوضع في العراق سينتهي مستقبلاً وبرضى دولي عن ظهور إقليم سني أو أقاليم سنية ولكن ليس الآن، ولذلك تعمل القوى الإيرانية والأحزاب الشيعية العراقية على استباق الزمن بحيث ينشأ يكون إقليم سني ضعيف، لا تدخل فيه محافظة ديالى ولا بغداد !!

وضع الحكومة العراقية (الشيوعية) اليوم:

الحكومة العراقية الشيوعية مضطربة؛ لأن كل المنطقة (العراق ومن حوله من البلاد) تغلي ولا أحد - حتى أمريكا وإسرائيل ولا إيران - يعلم ما الذي يجري أو إلى أين تسير الأمور، فكل شيء متسارع ومتغير، وتخشى إيران والأحزاب الشيوعية العراقية أن تنزلق وتنعكس التغيرات في سوريا عليها سلباً، خاصة مع وجود مناطق عراقية أصبحت منفصلة ويصعب السيطرة عليها، لذلك تشعر الحكومة العراقية والإيرانيون أن زمام أمور في المناطق السنية العراق الداخلية اليوم ليست بيدها بنسبة عالية.

وأما بخصوص تنظيم القاعدة، فهو تنظيم قابل للزواج المؤقت وليس الدائم، وقد فعل ذلك مع إيران وأمريكا، فهو يؤجر ولا يشتري وعقوده مؤقتة قابلة للنقض، لذلك تستطيع أي جهة أمنية أو دولية أن تستخدمه وهو كذلك يستخدمها؛ وهو يلعب لصالحه ولصالح غيره، وقد يعقد صفقة مع طرفين متناقضين في آن واحد فالذي يتعامل معه يعلم أنه غير مأمون الجانب !

المالكي والولاية الثالثة:

أما المالكي اليوم لا يفكر إلا بالانتخابات القادمة كي يحصل على ولاية ثالثة؛ فرغم فشل وتراجع شعبية قائمة (دولة القانون) في انتخابات مجالس المحافظات في مقابل التيارين الشيعيين (الصدر، وعمار الحكيم)، إلا أن المالكي في المقابل لا يزال يحظى بدعم إيراني لولاية ثالثة، ونوع من الموافقة الأمريكية الأولية، وقد استطاع بواسطة تهديد المخالفين بالمحاكمات عبر تلفيق التهم، بإيقاف صدور قانون حصر ولاية رئيس الوزراء بوليتين.

ومما يخيفه أكثر أم محللين أمريكيين يكتبون ويشيرون أن العد التنازلي للمالكي بدأ.

فهو يواجه خصومه الشيعة من الصديريين والمجلس الأعلى (عمار الحكيم) بالمحاربة

والإقصاء، ويعطل أي قانون أو مشروع في مجلس النواب لمحاسبة الضباط الأمنيين عبر نوابه من أمثال عدنان الشحمانى وغيره، وعبر تهريب أي شخص يمكن أن يفضح فساد الأجهزة الأمنية لخارج العراق؛ كما حصل بهروب المجرم اللواء الركن ناصر غنام مع ٥٠٠ من أتباعه إلى أوروبا، بعد أن هرب مبالغ هائلة تصل إلى مئات الملايين من الدولارات، بعد أحداث سجن أبي غريب!

المالكي فشل فشلاً ذريعاً خلال حكومتيه الأولى والثانية من بسط الأمن في العراق مع إنه يملك عدد كبير من الجيش والشرطة يصل إلى مليون عنصر، ٩٠٪ منهم شيعة، لكن انعدام الكفاءة - لأنهم قادة ميليشيات وبعضهم قيادات شيعة في حزب البعث سابقاً - مع تفشى الفساد في ذمهم، جعل العراق في حالة فوضى وانفلات.

فأتباع مقتدى الصدر يغتالون أتباع للمالكي في الجنوب، وإعدامات في الشوارع مرة للسنة وأخرى للشيعة، ومرة بين الشيعة والشيعة (تصفية حسابات حزبية) وحرق جثث بالشوارع، هذا هو عصر حكومة حزب الدعوة.

أما سياسة المالكي فالجزء الأكبر منها هو إرضاء إيران بتصريف لتجاريتها، ويبدو أن بعض من هذا الفساد في العراق هو في حقيقته ليس فساد بقدر ما هو تمويل للمشروع الشيعي في سوريا من جهة، ودعم لإيران واقتصادها لأنها في حصار، فقد تركها المالكي تعبت داخل العراق بشكل رسمي، ووقف معها في الأزمة السورية، هذا من ناحية إيران.

وهو شبه مرضي عليه أمريكياً؛ رغم أن أمريكا تعلم علم اليقين أن إيران تسيطر على المالكي تماماً لكن سياسة أمريكا اليوم في الشرق الأوسط أضحت من الضعف إلى الحد الذي أصبحت لا تريد جديداً غير مجرب في العراق، ولا يزال المالكي خياراً مجرباً معروفاً بعجربه وبجره كما يقال. ويبدد المالكي اليوم كل الأجهزة الأمنية والجيش، وهو الأقوى شيعياً وسنياً، وأمريكا تلعب مع القوي، وليس أمريكا وحسب بل إن القوي

يفرض نفسه على كل أحد.

فلا أمريكا ولا إيران بوضعهما الدولي الحالي يريدون تغيير المعروف (المالكي) إلى قادم مجهول، نعم إيران عندها بدائل (صولاغ- الجعفري- هادي العامري)، ولو قارنتهم بالمالكي سيترحم أهل السنة على حكم المالكي!!!

والمالكي يخاطب سنة العراق بكل أطرافهم: أنا القدر القادم فتعاونوا معي خير لكم من غيري وأنا أحسن الأسوأ!! هكذا هو لسان حاله، كما أنه يغدق توزيع المال بين قيادات الصحنات والحزب الإسلامي، وبعض السياسيين كالمطلبك والكربولي، وجماعات المصالحة الوطنية، ورجال دين من أمثال مهدي الصميدعي وخالد الملا ومن لف لفهم، وكذلك من رؤساء العشائر في الأنبار من أمثال ماجد علي سليمان شيخ عشائر الدليم، إضافة إلى تجار وأثرياء سنة أعطوا صفقات حكومية، وهم بدورهم ينفقون على مجموعات سنية عديدة، وهؤلاء أصبح الوجود السني رهن بيدهم منذ بداية الاحتلال!!

المشهد السني:

للأسف المشهد السني لا جديد فيه على صعيد الإستراتيجية، إلا أن الخلافات أصبحت محدودة بعد أن كان الاختلاف متنوع وشديد التعقيد، فأنحصر الخلاف بين أطراف معينة، وأما الحراك السني فقد بقي صامداً بعد أن راهن الكثير على فشله، لكن لم يعد كثير الفعالية والتأثير، بعد أن فشل الربيع العربي في الدول العربية، ولكنه مقلق للحكومة لأنه يمثل ظهور للسنة وكسر لحاجز الخوف لا تريده الحكومة العراقية ولا إيران وهو يمثل نوع صحوة للسنة وتمرد على الحكومة المركزية إلا أنه لم يلق دعماً عربياً حتى ولا إعلامياً.

والحراك السني منقسم إلى جهات عدة أو بالأحرى إلى ثلاثة أقسام أساسية، جهتين منها تريد الإقليم وهي الحزب الإسلامي - الذي يريد تزعم الحراك - وقادة العشائر والنخب وبعض

السياسيين، وإلى حراك رافض للإقليم وهم هيئة علماء المسلمين، وحزب البعث وبعض النخب، وفريق آخر ظاهرة مع الحراك وقد اشترى ذممهم المالكي، فالصراع حول موضوع الإقليم أصبح هو المسيطر داخل الحراك وخارجه.

والصراع داخل التيار العربي السني يتمثل في عقلية شمولية تريد أن يخرج المحتل الأمريكي (هذا سابقاً) ويسقط حكومته ويحرر العراق من الحكومة الطائفية وينقذ الأكراد من سيطرة الحزبين!!

إنه مشروع خيالي يحمل بصمة حزب البعث، عبر عدة واجهات سياسية، ويتابعه على ذلك لفيف من الإسلاميين - مع الأسف - .

والمشروع الآخر أصبح معاند هو الآخر للهوية السنية والإقليم، ولا يقبل التفاوض، فكأنما أصبح لا يوجد حل داخل العراق إلا هذا أو ذاك. ولكل خطباء ومروجين داخل العراق وخارجه.

كما أن اليأس السني العام من الداخل العربي والدولي أصبح مُسيطرًا على النخب والجمهور، لذلك بدأت ترجع لتكون حاضنة لتنظيم القاعدة من جديد، كما كانت في أول الاحتلال ولكن بمبررات مختلفة. والقاعدة منها ما هو حر التوجه ومنها قيادات تابعة لجهات إيرانية وعراقية حكومية ومنها غير ذلك، ووصل الأمر بسيطرة القاعدة على محافظة نينوى جداً أن العائد الشهري (الأتاوات) المالية المفروضة على الناس وصل إلى ٧ مليون دولار شهرياً.

كما دخل عامل جديد في المعادلة السنية وهو ظهور دولة العراق والشام، واتخذت مكاناً في منطقة الحضر وبين الحدود العراقية السورية جنوب مدينة الموصل، بعد أن غصّت عنها الطرف الحكومة العراقية (لمصلحتها وتوجيهه إيراني).

ويبدو أن محافظة نينوى يراد لها أن تبقى غير مستقرة من قبل الكرد من جهة والحكومة العراقية من جهة أخرى وإيران لأسباب أخرى؛ منها أن هذه المحافظات تحتوي على كم كبير من

السنة قرابة (٣ مليون سني) وأنهم على كفاءة عالية ويكثر بينهم العسكريون القدامى.

هل هناك من ضوء في آخر النفق (الحلول):

نعم هناك ضوء لو أحسن بعض السنة استغلاله وتوظيفه:

يجب على سنة العراق أن يدركوا أنهم بتفرقهم وخلافهم يصبحون خارج المعادلة الدولية والأقليمية والقطرية، فالمقاومة التي كان يحسب لها حساب توقفت بعد خروج المحتل، واختلافهم المتجذر وعدم وجود رأس يرجعون له، جعلهم ورقة لاتحسب حسابها الدول الكبرى عندما تريد التفكير في اللعب في العراق، وأصبحوا قوة هامشية.

قد تكون مشكلة السنة أنهم أصبحوا مسلوبي الإرادة فلا حل عندهم إلا ما جاء من أمريكا وبريطانيا، أو دول الخليج، ونسوا أن الأمور تفرض فرضاً، وأن الدنيا تؤخذ غلاباً وأن هناك رغبة من قبل الحكومة والأمريكان أن يبقى السياسيون السنة اليوم على اختلافهم، ولذلك نرى جهات تضع قدماً مع السنة، وقدماً مع حكومة المالكي!

وعلى هذا لا بد من تجاوز العقد الكبرى والتي هي بؤر الخلاف مثل: الاقليم، السني أم الوطني، واعتقد أن هذه يمكن أن تؤجل كشأن سني داخلي، ويرجأ النقاش فيها، والتركيز على إيجاد قيادات مقبولة عاقلة، من كل المكونات أو أغلبها.

الحل في العراق ليس بيد فئة دون أخرى، والفئات العراقية السنية هي: الجهات الدينية (الإخوان بشقيهم الحزب الإسلامي، وجماعة الإخوان المسلمين، والسلفية، والصوفية)، والعلمانيين ممثلين بحزب البعث ونخب وطنية التوجه^(١)، عشائر، عسكر الجيش السابق، الأثرياء. وظهر مكون جديد هو قيادات الحراك، وطبقة السياسيين المشاركين في الحكم الآن، فنستطيع من كل هؤلاء أن نوجد مكون يمثل كل

(١) العلمانيون في العراق أحسن بكثير من علمانيين مصر والمغرب العربي.

الطيب السني العربي، قد نصل لهذا التمثيل الكلي للسنة عبر عدة مراحل، ففي البداية قد ننجح في تكوين هيئة تمثل ولو ٣٠٪ من السنة، وقد نجد خلافات على نسب التمثيل في هذا المكون، وقد يحاول الحزب الإسلامي وحزب البعث التحايل للحصول على حصة أكبر في القيادة، ولحل هذا الإشكال لا بد من الابتعاد عن طريقة الانتخابات واللجوء إلى التوافق للتخلص من كل ذلك.

هذا التجمع لسنة العراق سيكون الحل لمشكلة سنة العراق، وهو الورقة والمعادلة الجديدة التي سيتراكم جميع الأطراف لخطب ودها، شريطة أن لا يهيمن عليها الإخوان أو حزب البعث، فصراعهما من أكبر مشاكل الوجود السني.

وإذا تجمع السنة يمكن أن يتوافقوا مع جزء من الكرد؛ فالمكون الكردي أقرب للسنة من المكون الشيعي

الخاتمة:

إذن كل ما على السنة محاولات أكثر جدية للتجمع ولو جزئياً، ثم هم من يقرر كيفية الدخول في العمل السياسي ومن يفاوض الغرب بل حتى إيران، وعندها لا بد من إيجاد قوى (غير القاعدة) يحسب لها حساب في المستقبل ومستعدة لأي تطور جديد سواء كان عسكرياً أو غير ذلك فتحرير سوريا قادم لا محالة مهما طال الزمن، وتطورات سوريا والإقليم كلها تصب في صالح سنة العراق.

الهوية الجنسية للدماغ وتهافت الفكر النسوي شهادة المرأة نموذجا

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالراصد

بذلت منظّرات الفكر النسوي جهودا ضخمة على مدار القرن الفائت لإثبات أن جميع الفروق بين الجنسين هي فروق اجتماعية، واشتهرت مقولة سيمون دي بوفوار: «إن المرء لا يولد امرأة وإنما يصبح امرأة».

واستمات هؤلاء النسويات لإثبات أن الفروق البيولوجية ضئيلة جدا وليس لها علاقة بالدور الاجتماعي، وعلى سبيل المثال فإن الفارق الكبير في القوة العضلية لصالح الرجل ليس بذى معنى في عصر حلت فيه الآلة محل المجهود العضلي وأنه لو كان هذا الفارق هو تفوق في صالح الرجل في عصور سابقة فإنه لا يجوز أن يكون كذلك في ظلال عصر النهضة والطفرة التكنولوجية التي نعيشها.

وكان مما زعموا أيضا أن الفارق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة هو فارق بسيط في الوزن ليس له قيمة تذكر في الدور الاجتماعي والإنساني الذي يعيشه كل منهما.

الحقيقة أن هؤلاء المفكرات كن يفرضن أفكارهن على الحقيقة العلمية الموضوعية بمعنى أنهن يحددن الفكرة الاجتماعية ثم يفرضنها على حقائق العلم دون بحث كاف في المسألة.

ومسألة العلم هذه تم استغلالها أسوأ استغلال من قبل الماديين الملحدون حيث تم الترويج للإلحاد باسم العلم، رغم كل هذه الآيات العظيمة المبتوثة في الكون التي تشهد بقدرة الخالق ووحدانيته، والمتأمل لنظرية الانتخاب الطبيعي

(♦) كاتبة مصرية.

لدارون وكيف أحدثت من أثر مزلزل على الصعيد الإنساني، وهي نظرية ينظر إليها الآن على أنها من نفايات العلم قد قامت على افتراضات وليس على حقائق وفيها من العوار ما يحتاج لبحث طويل.

ولننقل الشيء نفسه على نظريات فرويد في التحليل النفسي وخاصة فيما يتعلق بتأثير الدافع الجنسي على الإنسان منذ لحظة الميلاد، ومن المعلوم أن النظرية الآن تدرس كنظرية تاريخية ولكنها في وقتها كانت تعامل كنظرية علمية لا شك في صدقها.

والحديث طويل جدا عن تلك النظريات التي لا دليل واضح عليها، وعلى الرغم من ذلك تُعامل معاملة الحقائق كنظرية أصل العائلة وجميع ما قيل عن العصر الأمومي، وإن كان طه حسين كتب ذات يوم: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي)^(١) فأعمل منهجه في الشك في كتاب الله تعالى باسم العلم وفي المقابل كان المفترض أن نصدق كل هذه الترهات لأن أصحابها يستخدمون فقط مصطلحات علمية عليها دون أن يكون من حقنا استخدام منهج الشك وإلا اتهمنا بالرجعية والتخلف.

سقوط الجندر

ما أقولة عن نظرية الانتخاب الطبيعي أو مدرسة التحليل النفسي من نقد صدر بالأساس من الفكر الغربي ذاته عندما ثبت تهافت هذه النظرية وتلك، نستطيع أن نقوله عن الأركان التي قام عليها الفكر النسوي، وأهمها فكرة أنه لا فروق بين الجنسين، وأن جميع الفروق نشأت بسبب التربية الاجتماعية لا أكثر، فحين تختلف أساليب التربية وتوحد لن يكون ثمة ذكر أو ثمة أنثى بل سيكون فقط النوع الاجتماعي أو الجندر.

تقول ميليسا هاينز: (لا يمكننا فصل العمليات

(١) طه حسين، الشعر الجاهلي.

البيولوجية والثقافية واعتبارها ساحات مستقلة بعضها عن البعض الآخر وإن كل الاكتشافات العلمية والدراسات الاجتماعية تسير في الاتجاه التبادلي التفاعلي بين منظومة متكاملة من المؤثرات والعوامل المختلفة أي أن جميع سماتنا السيكولوجية والسلوكية أساس بيولوجي في دماغنا بغض النظر إذا كانت الهرمونات أو عوامل أخرى بما فيها العوامل الاجتماعية والثقافية والتربوية هي التي تدفعنا إلى النمو بطريقة معينة لذا فإن التمييز بين الأسباب البيولوجية والاجتماعية هو تمييز زائف^(١).

هذا الترابط التي تتحدث عنه الباحثة بين ما هو بيولوجي وما هو اجتماعي هو الأمر الأكثر منطقية وتوافقاً مع الفطرة فليس من الطبيعي في شيء أن يكون الإنسان عبارة عن جُزُر منعزلة لا تتفاعل مع بعضها البعض، لعل الأمر أقرب في الشبه بالأرض الزراعية وما يخرج منها من حرث، فعوامل الوراثة والهرمونات هي نوعية التربة التي لا يمكن إلا أن تثبت أنواعاً معينة وفقاً لطبيعتها وطبيعة المناخ، وفي الوقت ذاته تختلف نوعية الزرع وجودته وقيمته بقدر ما يبذل فيها المزارع من جهد وما يقدمه لها من مخصبات وهذا هو الدور التربوي والاجتماعي ولا بد من التوافق بين الأمرين.

فلو افترضنا أن مزارعاً ماهراً معه جميع المخصبات وأراد أن يقوم بزراعة نبات حار في بيئة باردة أو نبات بحاجة لتربة طينية في تربة رملية فلن تكون النتيجة إلا الفشل مهما بذل من جهد، والمزارع الماهر حقاً هو من يبذل الجهد المناسب في المكان المناسب.

أما النسويات فهن يُردن فرض ما في رؤوسهن على قوانين الطبيعة ذاتها ولكن العلم يثبت يوماً بعد يوم زيف تلك الأفكار الضالة (إن ظاهرة اختلاف دماغ الرجل والمرأة أثارت اهتمام العلماء فقاموا بدراسة الحالات المختلفة للدماغ عندما يفكر وعندما يغضب وعندما يحزن وغير ذلك من

الانفعالات النفسية ووجدوا أن الدماغ لدى الرجل يعمل بطريقة مختلفة عن دماغ المرأة. ولكن الأمر لم يتوقف عند ذلك، فقالوا لا بد أن هناك تشابهاً في عمل خلايا الدماغ بين الرجل والمرأة أثناء الراحة، أي عندما لا يقوم الإنسان بأي تفكير.

ولكن باحثين من جامعة كاليفورنيا وجدوا أن دماغ المرأة يتصرف بشكل مختلف عن دماغ الرجل حتى في حالة الراحة أو السكون!! أي عندما يكون الرجل جالساً لا يعمل أي شيء، ولا يفكر بشيء، وكذلك عندما تكون المرأة جالسة لا تفكر بشيء فإن التصوير بالرنين المغناطيسي أظهر أن النشاط في مناطق الدماغ للرجل يختلف عن دماغ المرأة بشكل واضح.

فقد كشف الدكتور Larry Cahill أن دماغ الرجل يعالج المعلومات بطريقة مختلفة جداً عن دماغ المرأة، حتى في حالة الراحة، واستخدم الباحث إشعاع Positron Emission Tomography أو اختصاراً PET في تجربة تشمل ٣٦ رجلاً و ٣٦ امرأة، وذلك لدراسة نشاط الدماغ أثناء الراحة دون التفكير بشيء، وأظهرت الصور أن المناطق التي تنشط في دماغ المرأة تختلف عن المناطق التي تنشط في دماغ الرجل!

ويقول الباحثون إن هذه النتائج غريبة وغير متوقعة، فطالما اعتقدوا أنه لا فرق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة، ولكن هذا البحث أكد لهم أن الدماغ يعمل بشكل مختلف جداً عند الرجل والمرأة، ويقولون:

إن تصميم دماغ المرأة جاء مناسباً لتحمل الألم والإجهادات (مثل آلام الولادة) أكثر من الرجل حيث إن دماغ الرجل لا يوجد فيه مثل هذه الميزة!!

ويقول الباحث Cahill: العجيب أن تصميم دماغ الرجل ودماغ المرأة جاء كل منهما متناغماً مع العمل الذي سيقوم به^(٢) وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ ﴿آل عمران﴾.

(١) ميليسا هاينز، جونسة الدماغ، ترجمة د. ليلي الموسوي.

(٢) عبد الدائم الكحيل، وليس الذكر كالأنثى رؤية جديدة.

دماغ المرأة وهرموناتها تؤهلها كي تكون أما حنونا وزوجة رقيقة فلا بد أن تربي وتنشأ لتكون هكذا ولا تشعر بتناقض بين ما تحسه وتشعر به وما يفرض عليها من الناحية التربوية والفكرية التي تهمش مثل هذه الأدوار وتحقرها.

وبالتالي فعندما يكون الأصل أن تكون المرأة متفرغة لبيتها وأولادها فسيكون اهتمامها بالمعاملات المالية والديون والشهادة عليها أقل بكثير من الرجل وعندما لا يكون الموضوع في بؤرة الاهتمام فاحتمال نسيانه أمر وارد.. ومن ثم فالاحتياط في الشهادة أمر واجب.

ولكن الشبهة ذائعة الصيت هي أن هناك من النساء من يمتلكن عقلا رياضيا وذاكرة حديدية تفوق الكثير والكثير من الرجال وهناك نساء شديداً الاهتمام بالمسائل المالية والمعاملات الاقتصادية ونساء أعمال ناجحات بل باهرات، وأم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها نموذج لذلك فقد كانت تستثمر ماله في التجارة ومن ثم لا بد أنها كانت تملك عقلا رياضيا نابها وذاكرة فائقة وإلا لما حافظت على تجارتها بل وتوسعت فيها.. هذا كله حقيقي والإسلاميون لا يريدون نفيه أو التشكيك فيه لأن الإسلام كرم المرأة وعظم الحقائق وكان شعاره الدائم في مواجهة خصومه ﴿قُلْ هَاؤُنَا

بُرْهَانَكُمْ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة].

النتائج التي توصلت إليها أبحاث العلماء عن طبيعة الهوية الجنسية للدماغ والفروق الفردية بين الجنسين كانت تتحدث عن المتوسط العام، وعلى سبيل المثال عندما يقال إن فارق الطول بين الجنسين هو لصالح الذكور فهل يعني ذلك أن كل رجل هو أطول من كل امرأة؟ بالطبع لا والجميع يعلم ذلك.

وعندما قرر الإسلام أن تكون شهادة امرأتين على الدين تعدل شهادة رجل واحد فذلك لأن الله الذي خلق البشر بحكمته وجعلهم جنسين لغاية جليلة، وجعل بينهما أموراً مشتركة وأخرى مختلفة ودعاهم للحياة وفقاً لما فطرهم عليه، وشرع لهم من الشرائع ما فيه نفعهم في الدنيا كما الآخرة، ولأن المال عصب الحياة كما يقال وكان الدين حاجة إنسانية لا بد من الاعتراف بها وتليبيتها فكان لا بد من حفظ حق الدائن بالشهادة وحفظ حق المدين بأن

الأبحاث العلمية كثيرة جداً ولست هنا في مجال الاستقصاء وهناك أدلة أن الدماغ مختلف منذ المرحلة الجنينية بفعل الهرمونات الجنسية المختلفة وليس في هذا أي انتقاص للأنوثة، بل لعلي لا أكون مبالغاً في القول أن ثمة مشاعر نقص حقيقية تعترى هؤلاء النسويات اللاتي يرفضن تصديق هذه الفروق الحاسمة في الدماغ الذي يحتوي على أكثر من مائة تريليون خلية وربما أكثر ويسيطر على جميع وظائف وسلوك وإدراك الإنسان.

شهادة المرأة

هل يمكننا في ضوء ما سبق أن ندرك الحكمة من جعل شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين وأن القضية لا تتعلق بمكانة المرأة فالهدف من الشهادة ليس مكانة الشهود وإنما توثيق الشهادة.

شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين في حالة الإشهاد على الدين أما الشهادة في القضايا المدنية أو الجنائية فلها شأن آخر فقد يكتفي القاضي بشاهد أو يتحتم وجود أربعة شهود وقد يحكم بالقرينة وهناك قضايا لا تقبل فيها شهادة الرجال وأخرى لا تقبل فيها إلا شهادة الرجال وليس هنا مجال التفصيل ولا علاقة لها بمكانة الشهود فالبعض انحرف بالوسيلة وجعلها هي القضية والغاية.

تمر المرأة بتغيرات هرمونية أثناء الحيض وأخرى أثناء الحمل وأخرى في حال الرضاعة، وقد ثبت علمياً وبما لا يدع مجال للشك أن الهرمونات تؤثر في عمل الدماغ، وليراجع من يشاء كتاب (جنوسة الدماغ) وهو مؤلف علمي غربي رصين مليء بالتجارب والمعلومات الحديثة التي تؤكد ذلك، وهناك دراسات أخرى تتحدث عن العلاقة بين قدرة دماغ المرأة على تحمل الألم وتأثير ذلك على الذاكرة طويلة الأمد كما في حالة الإشهاد على دين مثلاً.

يضاف لذلك عامل بالغ الأهمية، فنحن إذا اتفقنا أن هناك علاقة تبادلية تفاعلية بين ما هو بيولوجي وما هو اجتماعي فإن الفطرة تقول إننا ينبغي أن نخضع التربية الاجتماعية للتوافق مع البيولوجي لا التصادم معه، بمعنى أنه إذا ثبت أن

انتشارها حتى تحقق للمحتجين ما خرجوا من أجله ودعوا إليه.

كما شكلت هذه المواقع فرصة سانحة للدعاة الإسلاميين ونشطاءهم للوصول للناس والتواصل معهم بعد القيود التي فرضتها الحكومات عليهم فخرجوا للنور بعد حالة من التهميش والتغيب كان يقصد بها الإبقاء على صوت واحد فقط يعبر عن «إسلام خاص» يقصره على الجوانب التعبدية وربما القيمة بعيدا عن الدور الحقيقي والمنوط به هذا الدين في إصلاح وبناء المجتمعات الإسلامية.

لكن وفي المقابل كان لهذه المواقع سوءاتها التي لا تقل آثارها وتداعياتها السلبية في قدرها عن تلك المتحققة من جوانبها الإيجابية فكانت هذه المواقع بابا مفتوحا لدعاة الفحشاء والرذيلة وأصحاب الانحرافات والترهات ينصبون الفخاخ كل يوم بل وكل لحظة للإيقاع بفريسة جديدة في شباكهم بعد أن تستميله الإغراءات ويلج عليه الفضول ويجعل من وقت فراغه سلاحا لتدميره.

وتأتي خطورة مواقع التواصل الاجتماعي في هذا الشأن من كونها مواقع تفاعلية لحظية تمنح الطرفين أو الأطراف المتعددة إمكانية إقامة حوار حيوي وهو ربما ما يصعب تحقيقه في المواقع الإلكترونية التقليدية والتي كانت أسبق في الظهور بسنوات كثيرة فضلا عن أن كل شخص من المتحاورين عبرها يعبر عن نفسه بنفس القوة والإرادة والمساحة إذ لا يمكن للطرف الآخر أن يتدخل أو يمنع أو يحدد مساحة تعبيره فالمجال مفتوح دون ملكية مقصورة على طرف دون طرف.

الشيعة ومواقع التواصل

ولعل ما يشغلنا في هذا الصدد هو الطريقة التي تعاطى بها المتشيعه المصريون مع مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة «الفيس بوك» إذ يلحظ أي باحث على الموقع التواصل مقدار اهتمام هذه الفئة القليلة للغاية بهذه المواقع وإنشاء عددا من الصفحات المختلفة والتي تحمل أسماء متعددة

يملي هو بنفسه ما عليه من دين حتى لا يغالطه أحد بل حتى حافظ على حقوق الكاتب والشهود لأنه دين يقوم على العدل.

ولا يمكن لدين يقوم على العدل أن يغمط حق أحد الجنسين أو يقلل من قيمته أما أثباع الديانات الأخرى التي حرفها البشر وأودعوا فيها عقدهم وكمائن النقص التي تعتر بهم فنحن أول من ننقدهم كنقدنا لهؤلاء النسويات اللاتي بالغن في رد الفعل وقمن بإضفاء صفة العلمية على ما يردنه من أفكار دون سند من الحقيقة وسرن في ركاب ما بعد الحداثة بما تحمل من أفكار تفكيكية حتى يغيرن فطرة الله التي فطر عليها الناس ولكن هيئات فكل يوم ينكشف عوارهن وزيفهن.

شيعة مصر على "الفيس بوك"...

نوافذ العبث والتزييف

أسامة الهتمي^(٥) - خاص بالرائد

مثلت مواقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك» و«تويتر» قفزة هائلة في ثورة الاتصالات حيث تجاوزت الحدود التقليدية فمكنت أي شخص في أي مكان من أن يعبر عن نفسه وعما يحمل من أفكار دون حدود بعيدا عن طبيعة هذه الأفكار وهل هي إيجابية تساهم بقدر أو بآخر في تشكيل الوعي وزيادة المعرفة أو أنها سلبية ظلامية ترسخ من حيرة البشر وتدفعهم للتفادي في السير بطريق التيه.

ويكفي أن يكون ما شهدته العديد من البلدان العربية مما أطلق عليه بـ «ربيع الثورات العربية» دليلا يؤكد صحة ذلك إذ كان لهذه المواقع التواصلية الدور الرئيس والفاعل في نشر دعوات التظاهر والاحتجاج التي استجابت لها وتفاعلت معها الملايين من جماهير هذه البلدان في ظل عجز تام من قبل الأنظمة والسلطات في هذه الدول للإمساك بمروجيها أو حتى الحد من

(٥) كاتب مصري.

لتجمعاتهم وتكتلاتهم.

وربما كان هذا التعدد والاختلاف ليس إلا لتوسيع دائرة المستهدفين كل حسب اهتماماته وميوله فالبعض يركز في النقاش والحوار حول الأمور الخلافية المذهبية في حين يتطلع البعض الآخر للتعرف على المواقف السياسية للشريعة المصريين والتي لا تتفك عن أن تكون تابعة ونابعة من الموقف العام للشريعة في عموم المعمورة والمستمد أصلا من الدولة الإيرانية.

كما توافقت طبيعة مواقع التواصل الاجتماعي مع المبادئ الأساسية للتشيع والشريعة حيث التقيت التي تلزمهم بعدم تعريض أنفسهم لما يمكن أن يمثل خطرا على حياتهم واستمرار دعوتهم فيتوارون خلف الستار أو ينكرون الكثير مما يضمرونه، لكن إنشاء صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي لا تحتم بالضرورة الكشف عن هوية صاحبها أو مكانه أو أيا من المعلومات التي يمكن عبرها الاستدلال على شخصه الأمر الذي يمكن أن يعرضه لمخاطر ومشكلات جسيمة على المستويين الأمني والاجتماعي خاصة وأنه يتواجد على أرض وطن وبين شعب أغليته ممن ينتمون لأهل السنة والرافضين للتشيع ودعواهم.

كما تعد هذه المواقع منفذا مثاليا للكثير من الشخصيات والتجمعات الشيعية من خارج حدود الوطن المصري لترويج أفكارهم ودعواهم دون الكشف عن كون أن هؤلاء ليسوا من المصريين الأمر الذي يصور ويوهم البعض بأن الحراك الشيعي داخل الحدود المصرية كبير وأن التشيع يلقي ترحيبا بين المصريين وأن مذهب التشيع في ازدياد وانتشار.

ومواقع التواصل الاجتماعي ومنها الفيس بوك تمتاز عن المواقع الإلكترونية العادية أيضا في عدم حاجة أصحابها للكشف عن هويتهم من خلال حجز الدومين ومتابعة الشركات التي تتبني «السايت» على السيرفرات الخاصة.

ويضاف إلى ذلك أن مواقع التواصل الاجتماعي نافذة مجانية لا تكلف صاحبها على المستوى المادي أي شئ ومن ثم فإن نشر «البوستات» أو المقالات أو

الدراسات أو حتى الكتب والصور والأفلام أمر يسير لا يتطلب إلا شخص أو عدة أشخاص يقومون بهذا العمل في أوقات زمنية قصيرة لا تحتاج للتفرغ.

نماذج من صفحاتهم

مجرد البحث عن صفحات خاصة بالشريعة المصريين على موقع «الفيس بوك» تظهر العديد من الصفحات التي من بينها مثلا:

- تجمع الشيعة «أئمتنا توحدا»
- الشيعة المصريين
- اتحاد الشيعة المصريين «أئمتنا توحدا»
- شيعة مصر قامون
- تجمع شيعة مصر
- شيعة مصر الفاطميون
- شيعة مصر - عدونا إسرائيل
- شيعة مصر
- الشيعة المصريون - المجموعة العلمية

والتأمل للحظات في أسماء هذه الصفحات يلحظ ثمة محاولات للعب من قبل مؤسسيها على مختلف الأوتار بحيث يمكن النفاذ إلى الجميع دون استثناء فصفحة تحمل شعار «التوحد» الذي يكون عبر أئمة الشيعة مغازلة لدعاة الوحدة والتقريب والحالين به، وصفحة أخرى تعتبر «إسرائيل» هي العدو الذي يجب مواجهته للترويج بأن الشيعة وفي مقدمتهم إيران يمثلون حلف المقاومة والممانعة ضد الكيان الصهيوني الذي هو الخطر الأكبر على الأمة، وأخرى تطلق على نفسها المجموعة العلمية، ورابعة تحمل اسم الشيعة الفاطميون، وخامسة لا تتردد في أن يكون عنوانها - «الشيعة قادمون» - كشكل من أشكال التحدي الذي يدفع القارئ للمتابعة واستكناه المضمون.

كما يلاحظ أن أعداد المعجبين بالصفحات ووفق ما سجلت كل صفحة في أعلاها هي أعداد قليلة فأكثرها وهي «Egyptian Shia» «شيعة مصر» لا يتجاوز العدد الـ ٤٥ ألف معجب في حين أن بعضها لا يتجاوز الألف معجب في حين أن الأسماء والكنيات تكشف عن أن أغلبية هؤلاء المعجبين ليسوا من أبناء الشعب المصري وهو ما يشير إلى

كون أن المتفاعلين مع هذه الصفحات ينتمون لبلدان أخرى بها أعداد كبيرة من الشيعة ومن ثم فإن الصفحة فقط تحمل اسم مصر دونما أن تكون معبرة عن المصريين بشكل مطلق.

تحليل لبعض المحتويات

وسنركز في هذا التحليل على الصفحة الأهم والأقدم للشيعة المصريين والتي تسمى نفسها «Egyptian Shia»^(١)، وقالت في تعريفها «أول وأقدم صفحة لشيعة مصر على شبكة الفيسبوك. الصفحة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها ولا تدعي اختزال الرأي الشيعي في مصر».

وتتوعدت اهتمامات الصفحة بين ما هو ديني وعقائدي قصد منه إثارة الكثير من التساؤلات والشبهات لدى القارئ بهدف إحداث ثغرات للاختراق ومنها ما ارتبط بالجانب السياسي الذي قصد به معارضة المواقف التي اتخذها نشطاء أهل السنة من التيارات والقوى والأحزاب الإسلامية في مصر ومنها ما استخدم السخرية والفكاهة للاستخفاف أو التقليل من شأن ما يعتبره ويقدره البعض من أهل السنة استناداً لكون مصدره أحد كتب السنة التي لا يلتفت إليها الشيعة.

ويجدر بنا أن نمر سريعاً على بعض «البوستات» التي تحمل بعضاً من المضامين التي أشرنا إليها آنفاً مشيرين إلى أننا سننقلها كما كتبها وعلق عليها أصحابها مصحوبة ببعض تعليقاتنا الخاصة ومنها:

أولاً: المضامين الدينية والمذهبية ومن موضوعاتها:

١- اتهام الصحابي معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه بالخيانة حيث كتب أحدهم يقول: «على فكرة: والد النبي محمد عبد الله وامه السيدة امنة بنت وهب تم اغتيالهم.. كما تم اغتيال مطلب وهاشم.. دي بقية ازاي؟ دي نتكلم عنها بعد

ايام بحلقات مفصلة ازاي تم الاغتيال.. ايه محاولة الاغتيال الي تعرض لها النبي وهو طفل وتصاب في كامل بطنه كادت تؤدي إلى موته وازاي تصرف أبو طالب عشان يحميه من محاولات الاغتيال المتكررة.. ومين من الصحابة كان على علاقة مباشرة بالدولة البيزنطية والتي نفذت أكثر من محاولة اغتيال للنبي وازاي تم تسليم بلاد الشام لأمية تسليم يد باتفاق مع الروم وليه؟ والنقطة الأهم: هل شارك حرس قيصر وكتائب بيزنطية بصورة مباشرة في حرب صفين ضد جيش الامام علي ولصالح معاوية؟ كلها حنتكلم عنها بعد ايام فانتظرونا..

وبالطبع وكما هو واضح فإن الهدف من هذا الكلام هو الطعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان بغرض كسب التعاطف الكامل مع الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كخطوة أولى لتحقيق التشيع.

٢- انتزاع عروبة بني أمية فيقول أحدهم تحت عنوان «بني أمية حاجة كدة ع الماشي»: «هل تعلم ان آل أمية اصلهم من الروم وليس من العرب؟ يقول ابو القاسم الكوفي في الاستغاثة ج ١ ص ٧٦ وكان عبد شمس بن عبد مناف أخا هاشم بن عبد مناف قد تبنى عبداً له رومياً يقال له أمية فنسبه عبد شمس إلى نفسه، فنسب أمية بن عبد شمس، ودرج نسبه كذلك إلى هذه الغاية فاصل بني أمية من الروم ونسبهم في قریش». وجاء في جواهر التاريخ ج ٢ ص ٨٢: يروى أن أمية كان عقيماً وأن أولاده من عبده الرومي ذكوان. وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة في كتاب بعثه إلى معاوية فقال عليه السلام: (ولا الصريح كاللصيق)».

وبعيداً عن النقاش حول ما ذكر ومدى كونه حقيقة أم إدعاء فإن هذا الحديث هو خطوة أخرى للسير في طريق التشيع حيث التشكيك في المعسكر المخالف للإمام علي كرم الله وجهه حتى لو كان ذلك على حساب إثارة الشعوبية التي تعد إثارها الخطر الأكبر على الشيعة والتشيع حيث أن أغليتهم ممن ينتمون للجنس الفارسي وليس

(١) <https://www.facebook.com/EgyptiannShia?fref=ts>

وقد أنشأت لنفسها صفحة أخرى قالت إنها احتياطية <https://www.facebook.com/EGyptianShia?fref=ts>

ثانياً: المضامين السياسية الداخلية ومن**موضوعاتها:**

١- الترويج للمرشح الناصري حمدين صباحي الذي كان وما زال في خندق المنافسة مع التيار الإسلامي بمختلف توجهاته فيقول أحدهم: «اختلفت او اتفقت مع صباحي فهو يتكلم عنك ويعبر عنك بكل وضووح و دقه» ثم يستشهد صاحب «البوست» بمقطع فيديو لصباحي، تحدث فيه بلهجة في غاية التحامل على الإسلاميين.

https://www.youtube.com/watch?feature=player_embedded&v=Adte6WZ5ga0

وكان من بين التعليقات على هذا «البوست» ما كتبه «Shihab AbuTabekh» حيث قال: «أتمنى ان أراك رئيس مصر المقبل يا حمدين صباحي»، فيما علق «Mohammed Jawad»: «منذ اليوم اعلنت اعجابي بحمدين صباحي... ليتته يأتي إلى العراق كي نرشحه رئيساً للوزراء خير من هذا الحاكم الان والذي تركه لنا قطب والبنا وحزب التحرير العفن».

ويتسق هذا الكلام إلى حد كبير مع الموقف الذي اتخذته الدولة الإيرانية خلال الانتخابات الرئاسية المصرية التي جرت في يونيو من عام ٢٠١٢ حيث أشارت العديد من التقارير الإعلامية إلى أن صباحي حظي بالدعم والتأييد الكاملين من إيران.

٢- انتقاد الإخوان المسلمين ومناهضتهم ومن هذا ما كتبه بعضهم تعليقا على نبأ حكم محكمة عابدين والذي قضى بحظر جمعية الإخوان المسلمين والجماعة المنبثقة عنها حيث قال «Sara Mohamad Ali»: «بكرا بيطلع بدالهن حزب النور وبصير اسمو جماعة الاخوان الناكحون هههههههههه». وقال «Ahmad Alemam»: «هههههه...الاخوانجية انتهوا سياسياً ودينياً...»(السلفيه والاخوانجية والوهابيه هم العدو فأحذرهم)...وهذا دم الشهداء لم يذهب هدر.. والعاقبة للمتقين»، وهي تعليقات فيها تشفي من الإخوان المسلمين على الرغم

مما تعرضت له الجماعة وعلى رأسها الرئيس الدكتور محمد مرسي من انتقادات شديدة من الأغلبية المسلمة تجاه التقارب الذي قادتته مع إيران.

٣- استغلال بعض البوستات الخاصة بعدد من الشباب الذين ينظر إليهم على اعتبار أنهم قيادات ثورية، ومن ذلك مثلاً نشر بوست للمدعو محمود بدر مؤسس حركة تمرد والتي يقول فيها: «كفاكم يا بني الزهراء فخرا.. إذا ما قيل جدكم الرسول.. أبوكم فارس الهيجا علي.. وأمكم المطهرة البتول»، ومنها أيضاً ما كتبه نورة نجم التي برزت خلال أيام ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ وتقول في «البوست» الخاص بها: «إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

إن كان ماسونا حب الثورة فليشهد الثقلان أني الماسون الأعظم

إن كان سحرا التصدي للاخوان فليشهد الثقلان اني ساحرة».

ولا شك أن المغزى من وراء نشر مثل هذه البوستات هو تصوير هذه القيادات الشبابية الثورية وكأنها متشيعه وهو حتما ما سيكون له تأثيره على قطاع كبير من الشباب المتأثر بمثل هؤلاء القيادات.

٤- ولا يمكن أن يفوت هؤلاء استغلال حادثة مقتل الشيعي حسن شحاته وبعضاً من رفقاءه حيث نقل بعضهم خبر مقتله قاتلاً: «حصار اصحاب المنزل الذي استشهد فيه الشيخ شحاته بعد احتفالهم بمولد الامام الرضا. ورمي المنزل بالحجارة قبل ان تتدخل قوات الشرطة وتبعد الجناة عن المنزل».. ليعلق بعدها بالقول: «الكلاب دول لازم يتربوا والفض مش كفاية».

فيما كتب آخر يقول: «دمك كان لعنة ازالته دولة البنا المجرد والعز لشهادتنا والذل والعار لاجوان الشر اللامسلمين».

ثالثاً: المضامين الخارجية ومن موضوعاتها:

١- دعم شيعة العراق إذ لا يألوا القائمون على الصفحة في استغلالها لإحداث حالة من التضامن مع

بأسهم بينهم وسلط عليهم من لا يرحمهم ولا يخاف فيهم عقابك.

رابعاً: الخط من شأن علماء وقيادات أهل السنة ومن موضوعاتها مثلاً:

١- احتقار الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي يحظى بشعبية جارفة بين أهل السنة في مصر وذلك عبر توجيه حزمة من الاتهامات تصوره وكأنه صاحب فكر متشدد ومتطرف لا يعبر عن فكر الإسلام كما يرونه هم فيقول أحدهم في أحد «البوستات»: «نبذة عن بعض مواقف الشيخ «المعتدل» متولي الشعراوي !!

- ١- حلل قتل تارك الصلاة
 - ٢- حلل قتل من يخرج من الإسلام لغير دين
 - ٣- حرم الخروج على حسني مبارك
 - ٤- سجد لله شكراً بعد نكسة ١٩٦٧ وهزيمة الجيش المصري باعتبار ان حليف مصر انذاك هو الاتحاد السوفيتي الكافر !!
- ثم يعلق قائلاً: «لو عايز تناقش الموضوع ناقش اصل الموضوع وما طرح».

ثم يقول: «كلمة للمعتريين بخصوص موضوع الشعراوي:

- ١- أول حاجة البوست موجه للداخل المصري واحنا اعرف بالمصلحة عشان دة يعتبر رمز الاعتدال ولما رمز الاعتدال افكاره منيعة بستين نيعة زي دي تبقى دي مصيبة وخطر على المجتمع
- ٢- اي حد حيطلع زي الشعراوي ويحلل قتلي كشيعة زي ما الشعراوي حلل قتل تارك الصلاة الناس ح تصدق وتقولك دة معتدل وكل كلامه صحيح عشان عندهم مثل سابق ودة الي بنحذر منه.

- ٣- لما انسان يحمل فكر تكفيرى ارهابى بثوب الاعتدال وإنما تم الترويج له سياسياً بزمن السادات ومبارك تيجي وتقولي لا متكلمش عنه عشان بيعجب اهل البيت فسوري اي اهل البيت بيعجبهم بالضبط يعني !!

- ٤- المصريين السنة انفسهم ابتدوا يوعوا لشيوخ الدين دول وابتدوا يناقشوا فيهم وابتدوا

الشيعة في العراق وغير العراق انطلقا من مبدأ المظلومية التاريخية التي تعرض لها الشيعة فيقول أحدهم تعليقاً على التفجيرات التي تقع في العراق منذ الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ وحتى الآن: «فرد الأمن العراقي: شاب لم يجد فرصة عمل امامه الا بالانتساب للقوات الامنية حتى يحصل على قوت يومه ويحسب الشهر يوم يوم عشان ياخذ المرتب ويشترى حاجة لولاده ولة لخطيبته ولة يسدد الاقساط الي عليه.. خد كلاشنكوف.. خد عدة التسليح البدائية.. اوقف بوسط شارع ودرجة حرارة فوق الـ ٥٠.. ويلا يامعلم عاوزينك تحفظ الامن وتواجه الارهابيين الي متدربين على اعلى طراز ويحملوا اخس عقيدة ومعاهم احدث الاسلحة والمتفجرات !! طب يحفظ الامن ازاى وانتم جاييننه عشان يموت وبس مش عشان يحفظ الامن؟».

ويقول آخر: «كم يحتاج العراق لشراء ادوات لكشف المتفجرات حديثة؟ كم يحتاج العراق للاستعانة باكثر الفرق العالمية احترافاً لمكافحة الارهاب بالسبل العلمية الحديثة؟ كم يحتاج العراق لتطوير عمل اجهزة المخابرات وتحفيف منابع الارهاب؟

كم يحتاج العراق لارسال القوات الامنية للدول المتقدمة وتأهيلها بصورة تليق بالحرب الدائرة الان بالعراق؟ الجواب: ربع انتاج النفط العراقي ليوم واحد فقط!!»

وبالطبع فإن الرسالة المستهدف إرسالها واضحة حيث الإيهام بأن ما يحدث في العراق ليس إلا معركة بين الإرهاب الذي يشنه أهل السنة على الأجهزة الأمنية العراقية.

- ٢- السخرية من الثورة السورية ومنها مثلاً «بوست» كتبه أحدهم يقول فيه: «اطراف الثورة السورية عمالين يقتلوا بعض ! ليه بس ياخوانا دة انتم واكلين شاربين نايمين قاتلين مع بعض عين وصابتكم يا جماعة.. دة اكيد حد عاملهم عمل ولة حاسدهم».. ثم يعلق أحدهم ويدعى Jawad Mubarak Soud «على البوست قائلاً: «اللهم اجعل

يميزوا الصحيح من الخطأ أنت زعلان ليه حضرتك؟

٥- أنت ماشي على مبدأ التقديس الاعمى انت حر احنا ماشين على مبدأ تعرية كل من يتعرض لأي انسان ولو بكلمة عشان نحافظ على كيانا ومجتمعنا».

من تاريخ التسنن في العراق

عبد العزيز بن صالح المحمود^(١) - خاص بالراصد

تمهيد:

مرّ قرنان من الزمان على العراق والتشيع يسري فيه وفق مخطط مدروس، حيث أن الشيعة حيث وُجد فله قيادات تُخطط له، وقديما كانت تخطط له رجالات الحوزة، ومع مرور الزمن يتمدد التشيع ديمغرافيا أرضا وسكانا على أرض الرافدين، ولم نسمع نذر ذلك من أهل السُّنة لا في الدولة العثمانية ولا بعد تشكيل الدولة العراقية (١٩٢١م) إلا من مجموعة قليلة من العلماء والدعاة في الأمة الإسلامية^(٢)، والغريب أن يكون هؤلاء قلة في العراق (وهو مطبخ التشيع)، ولم نسمع عن عملية عكسية (تحول التشيع إلى تسنن) إلا في سبعينيات القرن العشرين، فقد بدت كظاهرة واضحة والتي هي موضع مقالنا هذا.

فقد حدث - ولأول مرة - منذ أربعة قرون وبجهود فردية عكس عجلة التشيع المطردة في تحويل المجتمع العراقي من التسنن إلى التشيع، ودارت عقارب الساعة عكس ما كانت تمشي لتعود إلى الاتجاه الصحيح، مع طواف الطائفين حول الكعبة، ومع ذرات دورة الإلكترون حول النواة، وهذه هي الدورة الصحيحة للكون كله.

قلة الوعي سبب انتشار التشيع:

كم عانت الدول وتعاني من ضعف ثقافة رجل السياسة لعلم الاجتماع والتاريخ الديني، مما كان له انعكاسات سلبية كثيرة على الأصعدة الدينية

(١) كاتب عراقي (٢/١).

(١) من أمثال محمود شكري الألوسي ومحمد سعيد النقشبندي وغيرهما.

والاجتماعية والسياسية، وبسبب جهله ورغبته في الحفاظ على الكرسي لنفسه أو لعائلته أصبح يفكر بشكل غير سليم، فيجر الكوارث على المجتمع وعلى البلاد! انتشر التشيع في جنوب العراق تحت سمع الدولة العثمانية وبصرها، وبموافقة رجال الحكم والولاة في معظم الأحيان^(٣)، حتى كاد يصل لدرجة انفصال الجنوب الشيعي في العراق فأخذ يدير شؤونه بقدر كبير من الاستقلال عن الدولة، وبسبب خوف الدولة العثمانية من تأثر مواطنيها بظهور الدعوة السلفية بزعامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منطقة نجد، اتبعت الدولة العثمانية سياسة إنشاء حاجز بينها وبين نجد، عبر السماح بتشيع قبائل جنوب العراق حتى غدت منطقة جنوب العراق أكثرية شيعية لتكون مانعا فكريا ضد تأثير دعوة محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بسبب الاتصال العشائري بين جنوب العراق ومنطقة نجد^(٤)، هذا لا يعني أن الأمر مخطط له وبوعي من قبل العثمانيين، بل كان نتيجة لرغبة الساسة بالتخلص من أمر دون النظر إلى عواقبه المستقبلية، كما يفعل الساسة العرب اليوم في مقاومة أطماع إيران.

ولكن في أواخر الدولة العثمانية أحسوا بالخطر الشيعي، فقد تلقى السلطان عبد الحميد تقارير في سنة ١٨٩٠م تحذر من كثرة تواجد الشيعة في الجيش العثماني في العراق؛ لذلك أوفد لجنة عسكرية للتفتيش في هذا الأمر، مما تسبب في إقالة والي بغداد سنة ١٨٩١م بسبب تغلغل الإيرانيين داخل بغداد، إضافة إلى كثرة تواجد الشيعة في الجيش العثماني في العراق^(٥)، وطلب السلطان عبد الحميد يومها من مستشاريه حل ظاهرة انتشار التشيع في العراق فأشير عليه - وكان بعض مستشاريه شيعة - بخطة غبية؛ هي تبني دعوة التقارب بين السنة والشيعة، وبُرتت بكونها خطوة مهمة لسياسة السلطان في مقاومة الأطماع الأوروبية.

ولم يقتصر قلة الوعي بالتشيع وأخطاره على رجال الدولة العثمانية، بل استمر قلة الوعي في زمن الدولة

(٢) إسحاق النقاش، شيعة العراق، ص ٤٥٤.

(٣) بشير موسى نافع، العراق سياقات الوحدة والانقسام.

(٤) لي مقال في مجلة الراصد، العدد ١٢٠، بعنوان «السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من الشيعة وإيران».

جلّ وعلا!!

واقع العراق الديني في بداية القرن العشرين:

العراق بلد ضعيف دينيا منذ أمد بعيد (أكثر من أربعة قرون) لأسباب عديدة^(٢)، وازداد الضعف منذ أواخر الدولة العثمانية؛ فالمدارس الدينية في العراق أصبحت قليلة وشحيحة بخلاف مصر والشام، وحركة التأليف به ضعيفة، إضافة إلى الانقسام المجتمعي بين السنة والشيعة، كل هذه الأمور جعلت الواقع الديني ضعيفا، وزاد الأمر سوءا مع نهايات الدولة العثمانية وظهور القوميين والشيوعيين والعلمانيين وغيرهم ممن كان همّه اللحاق بالتمط الغربي، وكان الدين عند هؤلاء يمثل حالة من التخلف والرجعية لما يرى من انتشار الدجل والشعوذة والخرافة والوثنية التي يأبها العقل السليم بين العامة ورجالات الطرق الصوفية.

وبمرور الزمن انحسر التمسك بالدين أكثر وأكثر وأصبح أتباعه قلة (على الطرفين السني والشيوعي) بتأثير موجة الانحلال التي غزاها الاستعمار من جهة وانتشار الفكر الشيوعي الإلحادي، وظهرت حركات قومية مثل حزب البعث والقوميين والناصريين، والأحزاب اليسارية كالحزب الشيوعي، وانتشرت هذه الأحزاب وأثرت على شريحة الشباب، وأثرت شبهات الإلحاد في الفرد العراقي. ثم ظهرت حركات إصلاحية إسلامية حاولت إرجاع الناس إلى دينهم، وظهرت على شكل جمعيات وأحزاب؛ كحركة الإخوان المسلمين في الأربعينيات وبعدها حزب التحرير في الخمسينيات، وظهر عند الشيعة حزب الدعوة نهاية الخمسينيات؛ وكان همّ الأحزاب والجمعيات والأفراد الديني مواجهة الخطر الأول وهو خطر الإلحاد وانتشار الشيوعية، وربما رأيت الدعاة السنة والشيعة يطالعون كتباً واحدة غايتها ردّ فكرة الإلحاد، في هذه المرحلة دينياً نسي السنة خطر التشيع، وتوجهت المكونات الدينية الشيعية والحوزة إلى إنقاذ الشيعة من خطر سيطرة الشيوعية على فكر شبابها لاسيما وأن قبول الفكر الشيوعي في المناطق الشيعية كان أكثر

(٢) بعد سقوط بغداد على يد التتار (٦٥٦هـ) بدأ ضعف العراق بعد أن كان عاصمة المسلمين في العلم والدنيا، وانسحب العلم تدريجياً إلى بلاد الشام.

القومية والوطنية؛ فعبد الكريم قاسم أول رئيس للعراق الجمهوري^(١)، أسكن أبناء العمارة والناصرية من الشيعة في بغداد في مدينة الثورة والشعلة، ليخلخل التوازن الديمغرافي لمدينة بغداد، وليت صدام حسين اتعظ بذلك فهو الآخر جلب آلاف العوائل من أبناء الجنوب (نواب ضباط والرتب الصغيرة) ومنحهم قطعاً سكنية مجاناً في مناطق شاسعة من بغداد، فازداد الخلل الاجتماعي في بغداد أكثر وأكثر، وهو ما ظهرت ثمرته المرة بعد الاحتلال عبر ميليشيات الإجرام والتشيع والعمالة لإيران. ولقطة وعي السياسي القومي ومعرفته بشؤون التاريخ؛ استضاف حزب البعث الخميني المنفي؛ لأنه معارض لشاه إيران محمد رضا بهلوي وأسكنه في العراق، وكان الخميني يخطط لثورته من داخل العراق، تلك الثورة التي اكتوى بنار حربها أهل العراق ٨ سنوات، فصدق من قال: يا لغباء القوميين!

وليت الغباء اقتصر على القوميين، بل امتد حتى للإسلاميين، فلا زال الإخوان المسلمون في كل الوطن العربي والعراق يلهثون وراء إيران كبديل إسلامي، بزعم أنها تسعى لتحرير القدس ودعم قضايا الأمة، رغم جرائم إيران والأحزاب الشيعية في العراق وأرض الشام من قتل وإبادة وتهجير، فلا يزال لليوم من هو مفتون بإيران^(٣)، فمتى نتعظ! والله يعيب ذلك على الكفار والمنافقين بقوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [التوبة / ١٢٦]، فهل أضحى حالنا ما وصف الله سبحانه

(١) كان هو الحاكم الفعلي للعراق رغم أن رئيس الدولة الرسمي كان محمد نجيب الربيعي.

(٢) مؤخراً وفي مؤتمر (العالم في ظل الانقلاب عن إرادة الشعوب) الذي انعقد في تركيا، تكلم نائب المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن زكي بنى ارشيد، عن إدارة الخلاف بين المسلمين وختتم كلمته ناصحاً المسلمين بـ: «تجنب التعصب للرأي أو المذهب أو التنظيم وإدراك أن الاختلاف طبيعة بشرية لم تسلم منه أمة أو مجموعة من الناس، وتجنب فكرة إثارة الصراع الطائفي الذي يقوم على أساس أن إيران هي العدو الأول في المنطقة»، سبحانه الله نحن نعاني من فرط غباء الساسة العرب مقابل التخطيط الديني، والآن نواجه غباء الإسلاميين!! وصدق رسول الله ﷺ حين وصف أهل الحق: (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم).

من غيرها ، وهذا ليس في العراق وحسب بل وفي إيران أيضا (حزب تودة) ولبنان^(١).

في هذه المرحلة كان هناك صراع عالمي مع الشيوعية على الصعيد الديني والسياسي، ومن هنا كانت مشاركة العراق إبان العهد الملكي في حلف بغداد ، لمقاومة الشيوعية.

وشارك العديد من الرؤساء والدول في هذا الصراع؛ فشاه إيران سعى لإبعاد شيعة العالم لاسيما شيعة لبنان عن الشيوعية، فأرسل موسى الصدر إلى لبنان كي يوقف المد الشيوعي داخل الشيعة في جنوب لبنان ولذلك أسس حركة المحرومين ومن ثم حركة أمل، وفي العراق دفع المرجع الشيعي محسن الحكيم الطباطبائي^(٢) محمد باقر الصدر كي يؤسس حزب الدعوة، وساعد الحزب الإسلامي (الإخوان المسلمين) على الحصول على الترخيص بعد أن رفضت الحكومة العراقية أن تسمح له بالعمل.

وكان هناك تعاون بين التيارين الشيعي والسني، وبين التيار الديني بعامته والقومي في مواجهة الشيوعية.

في ذات الوقت كانت التيارات القومية (حزب البعث - الناصرية - التيار القومي) تواجه التيار الديني على أنه تيار متخلف لا يصلح لقيادة نهضة الأمة من جديد، ويرسمون للدين صورة العلمانيين، تجعل منه تراشا قديما للأمة لا علاقة له بالحاضر، وتحصره في مظاهر التعبد وليس كفكر وحياء، صحيح أنهم ضد الإلحاد لكنهم ضد أن يتجاوز الدين أكثر من حيز المسجد والأحوال الشخصية في القانون.

لذا كانت وظيفة الدعوة وأهل العلم ليست بالسهلة في مواجهة التيار الشيوعي والتيار العلماني القومي، وكان الدعوة يسعون لبيان حقيقة الدين الإسلامي الأصيل بعيداً عن الواقع المؤسف والمتمثل في (التصوف والتشيع)، واللذين يمثلان حالة دينية متخلفة من الخرافة والشعوذة والهرطقة، ويقدمان

(١) أشار لذلك محب الدين الخطيب في كتابه (الخطوط العريضة).

(٢) كان المرجع محسن الحكيم (رئيس الحوزة، الإيراني الأصل في النجف) دائم التصريح: «إن نظام الشاه هو المدافع الوحيد عن شيعة العالم، وهو حصنهم الحصين والوحيد».

نموذجاً للدين يقوم على الانزواء والانطواء عن الحياة، وضرب النفس وتعذيبها، والبكاء على الأموات ولبس السواد والعيش بالماضي دون الحاضر، والتعلق بالقبور، والدجل لأخذ أموال الناس بالباطل، عبر السحر والشعوذة.

وكان الإنتاج الفكري المصري من بحوث ودراسات يمثل زاداً لدعاة العراق جميعاً، حتى الشيعة، في مواجهة الإلحاد الشيوعي، حتى اتهم محمد باقر الصدر^(٣) من قبل علماء النجف بأنه وهابي؛ لأن أدبيات المفكرين السنة أمثال سيد قطب وأبي الأعلى المودودي وكتابات حزب التحرير هي ما كان يطالعه مؤسسو حزب الدعوة؛ لذا كان الجو وقتها مهياً لكثير من الشيعة للسماع للسنة لحاجتهم لذلك لفقر الفكر الشيعي الخرافي من الفكر أصلاً.

بداية تسنن الشيعة:

معلوم لدى جميع الدارسين للشأن العراقي أن الدعوة السلفية أصبح لها تجمع ظاهر في العراق في ستينيات القرن الماضي، وقبل هذا التاريخ كانت سمة لأفراد ونخب محدودة، حيث حملها في أواسط الستينيات مجموعة من الشباب المثقف، حيث توزع هؤلاء الشباب بين مجموعة منظمة بشكل سري سُميت فيما بعد من قبل السلطات (جماعة الموحدين)، وجماعات غير منتظمة من أشهرها مجموعة عبد الحميد نادر والشيخ صبحي السامرائي رحمه الله، والتي تبنت الدعوة السلفية في العراق كدعوة إصلاحية تدور فكرتها وخلاصتها على:

(أن ثمة انحرافاً كبيراً جرى في الأمة الإسلامية، تغيرت فيها كل المفاهيم وعلى رأسها العقيدة، وتعرض التوحيد في الأمة بفعل الخرافة والتصوف وخلال مسيرة قرون طويلة إلى انحراف، والعراق بشقيه الشيعي والسني انحرف بتوحيده بعيداً عن الإسلام، حتى عبد الأولياء وقُدست

(٣) لا يزال إلى يومنا هذا يتهم ياسر الحبيب محمد باقر الصدر بأنه مات وهابياً.

القبور وطاف الناس بها ونذر لأصحابها، واستغثت بغير الله علنا من غير حياء، وبمباركة علماء من الطرفين (السنة والشيعة)، وكان لا بد أن تعود الأمة إلى نصابها الأصل بدعوة إلى المنبع الأساس القرآن والسنة) هذه هي خلاصة الدعوة السلفية.

هذه الدعوة التي مارسها هذا النفر القليل، ممن لم يحمل شهادات شرعية أو مشيخية بل كان كلهم تقريباً من حملة شهادات في الطب والهندسة والعلوم، وندر فيهم ذوو الاختصاصات الإنسانية، أصبح هؤلاء يجوبون الآفاق في العراق عامة، وبغداد خاصة ومحافظة الموصل، يدعون في الجامعات والمؤسسات العلمية كل العراقيين (سنة وشيعة): أن ثمة انحرافاً حدث في الأمة لا تقبله النصوص الشرعية ولا العقل، ولم يكن هذا مخططاً له من قبل، ولم يتلق أي دعم من الداخل والخارج، وعند هؤلاء، لا فرق في انحراف صدر من سني أو شيعي، فكلهم قد انحرف عن كتاب الله ومضمون وحقيقة التوحيد الذي جاء به الإسلام.

ولم يكن يتوفر لهؤلاء الدعاة الكثير من المصادر والمراجع، وإنما بين أيديهم كتاب الله عز وجل، وبعض التفاسير من أمثال تفسير ابن كثير أو القرطبي، وبعض كتب ابن تيمية وابن القيم والصنعاني والشوكاني، وشروحات الحديث كفتح الباري وشرح النووي على مسلم، وبعض الكتب التي كان يندر وجودها مثل كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب وشرحه (فتح المجيد).

وكان زاد الداعية العراقي هو كثرة اطلاعاته ودقتها بالنسبة لعامة الناس، وكان الاستشهاد بالقرآن هو الزاد الأساس للدعوة، ومن ثم الحديث الصحيح الثابت، وأصل الدعوة وجوهرها أن الذي عليه الدين اليوم إنما هو دين منحرف عن الطريق السوية التي جاء بها الإسلام.

بدأ الناس شيعةً وسنةً يقبلون الدعوة للتوحيد،

ولكن هذا القبول – والكلام في نهاية عصر الستينيات والسبعينيات – كان نخبوياً ومحدوداً، فلا تزال المساجد خالية خاوية إلا من نفر قليل من كبار السن وثلة من الشباب، فالذي يتحرك في المساجد هم أفراد تنظيم الإخوان المنحل وقلّة من السلفيين، ولا بد من الإشارة إلى أن دعوة الشيعة كانت تتم في مدينة بغداد وفي محافظتي ديالى والبصرة، وإخوان مدينة بغداد في الغالب عقيدتهم سلفية، خلافاً لإخوان الأنبار أو الموصل.

هذه كانت المرحلة الأولى (نهاية الستينيات مع السبعينيات) والتي تنتهي بنهاية جماعة الموحدين وذلك سنة ١٩٧٩م، عندما اكتشف تنظيمهم وأودعوا في السجون، وحكم عليهم بمدد تتراوح بين سنة وخمس سنين. ومما لا يفوتنا ذكره أن حزب الدعوة نشط وتحرك في أواسط السبعينيات.

مرحلة الثمانينيات:

نشبت الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨م) وخفت ضغوط حزب البعث على التيار الديني السني، بسبب ظهور حركة مسلحة شيعية عبر أحزاب شيعية تابعة لإيران، والتي هي في حالة حرب مع العراق، وكان الخميني وقتها يهدد ويتوعد العراق، بينما قيادات الشيعة في العراق تبارك ثورته علناً وتبشر بوقاحةً بقدومها للعراق، وكان حزب الدعوة يخوض معركة طاحنة مع الحكومة وصلت لإعدام المفكر الشيعي محمد باقر الصدر منظر الحزب، وهروب آلاف الشيعة من حزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي وغيرهما من الأحزاب الشيعية إلى خارج البلاد.

في هذه الظروف برزت نخب سلفية جديدة من الشباب الجامعي قادت العمل السلفي بشكل هادئ في المساجد، وقادت نشاطاً بدأ من الصفر غير مستند على عمل سابق إلا القليل منهم، وتوجه نشاطهم إلى العمل في المدارس الإعدادية والجامعات والأقسام الداخلية لطلاب المحافظات، وحتى داخل

صفوف البعثيين أنفسهم؛ لأن الحزب كان يجبر من يريد أن يكون مدرسا أن ينتمي للحزب، ويدخل إلى كليات التربية المغلقة على المنتمين للحزب، وكان أبناء المحافظات (خارج بغداد) لا يزالون بالانتماء للحزب حتى ولو كانوا ملتزمين دينياً بخلاف أهل بغداد.

وكان في العراق تواجد كبير للجالية المصرية، ومن ضمنهم بعض السلفيين الذين ساعدوا بجلب بعض الكتب السلفية من الخارج للعراقيين والتعريف بأحوال الدعوة السلفية المصرية.

خلال الأربع سنوات الأولى من الثمانينيات تولد نشاط سلفي عفوى متميز انتشر في بغداد وضواحيها، وكان يدعو السنة والشيعية للالتزام دون أن يتدخل في الخصوصية الشيعية كصلاة الجماعة مع السنة في مساجدهم أو التكتف (وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة)، أو الصلاة في الحسينيات من عدمها.

كانت دعوة لتصحيح العقائد ينتقد فيها ما يفعل عند الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله وما يفعل عند قبر الحسين رضي الله عنه، كان للاحتجاج بالقرآن سحره الذي يجذب الجميع، لنصاعة ووضوح الأدلة، دعوة متوازنة مع الفطرة والعقل يقودها لفيث من المثقفين، دعوة تنادي بالناس: علينا جميعاً أن نرتبط بالله دون وساطة من نبي ولا ولي، وأخذت الدعوة تنتشر حتى بين ضباط الجيش، نخص بالذكر الطيارين في القوة الجوية بفعل وجود بعض الدعاة فيها، وتواجد كذلك بين قوات الجيش ضباط وأفراد في جبهات القتال في الحرب العراقية الإيرانية؛ لأن الحرب ساقط طبقة الشباب كلهم إلى الجيش كمجندين.

كان الذي يجذب الناس للدعوة الحقة توافقها مع الفطرة السليمة، هذا ما يحدث اليوم في الأحواز، فمن لم تغيره الأفكار الصوفية والشيعية لتبرير البدع والشركيات أو يخضع لتأثير جو طائفي يصده عن سماع الحجة، فإنه سيقبل الدعوة

السليمة؛ ولذا عندما يُترك الفرد الشيعي ليختار فإنه سيختار الأقرب إلى عقله وفطرته.

وهكذا بدأ التحول التدريجي لمذهب أهل السنة دون توجيه أي نقد للمذهب الشيعي من الداخل، والتحول توسع ليشمل عوائل كاملة، وذلك بسبب عرض العقيدة الإسلامية بشكلها البسيط من كتاب الله، وصدق الله سبحانه حين يقول: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)، فالقرآن هو السحر الذي أثر على كثير من الشيعة أفراداً ونساء ورجالاً.

لم يساهم السلفيون وحدهم بهذا الجهد بل كان للإخوان المسلمين مساهمة في هذا المجال لكن بشكل أقل من الجهد السلفي، ويعترف الإخوان أنفسهم أن كتب العقيدة والتوحيد كان لها أثر باهر في التأثير على الشيعة، لبساطتها وسهولتها وللماستها العقول بشكل يتجانس مع فطرة الإنسان.

حصل التغيير في بغداد وبالدرجة الأولى العاصمة، وجنوب بغداد وشمال الحلة، والبصرة، وديالى.

والحق الذي أريد قوله أن الدعوة السنية بشقيها الإخوان والسلفية لم تكن في البداية موجهة للشيعة لغرض هدايتهم، وإنما وجهت للشيعة كعراقيين مواطنين كان يستهدفهم الداعية في مناطقه أو في جامعته، ثم لا بد من ذكر حالة مهمة وهي أن التغير لم يكن فردياً بل أصبح جماعياً، عائلات تتغير بأكملها نتيجة تأثر أحد أفرادها، وأصبح هناك تغير جذري للفرد الشيعي فأصبح يرتاد المساجد ويصلي الجمعة والجماعات.

كتابته بتوضيح مفهوم الشعوبية وأنها (حركة ذات مشروع قومي، يرتكز على نظرية تفضيل العرق والثقافة الفارسية على الجنس والثقافة العربية، وتفوق الديانة المجوسية على الدين الإسلامي)، وينبّه الموسوي هنا على وجه التشابه بين الشعوبية الفارسية والعقيدة اليهودية في زعم أفضليتها على الآخرين!

ومعلوم أن جنس العرب أفضل من غيرهم ولكون النبي ﷺ منهم، وأي إنسان يفضل على النبي ﷺ غيره لأي اعتبار كان فهذا يكون قد نقض إسلامه ودينه، ومن هنا تأتي خطورة هذه الدعوة الشعوبية الماكرة.

وحول نشأة الشعوبية تتراوح الآراء بين نشأتها في زمن الفتح الإسلامي لبلاد فارس في عهد الفاروق رضي الله عنه، والذي قتل على يد غلام مجوسي هو أبو لؤلؤة لعنه الله، وبين من يقول إن الشعوبية ظهرت زمن الدولة الأموية في حين قال بعضهم: زمن الدولة العباسية، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأنها بدأت منذ خلافة عمر لكنها قويت زمن الأمويين وبلغت الذروة زمن العباسيين، وقد اتخذت الشعوبية مظهرين، فبعضهم كان عداؤه للإسلام لصالح المجوسية وبعضهم كان عداؤه للقومية العربية لصالح الفارسية، ولاحقاً أصبحوا شيئاً واحداً.

والاهتمام بالجنس والقومية والشعب يعد نكوصاً في الإسلام الذي جاء ليُسموا على ذلك بفكرة الأمة

الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالرائد



أصدر المفكر الإيراني السيد صباح الموسوي كتاباً جديداً بعنوان «الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية»، وقد صدر الكتاب عن منتدى المفكرين المسلمين منتصف عام ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣ م، وهو في ١١٧ صفحة.

والقضية التي يعالجها الكتاب قضية مهمة وهي تكشف عن جانب من أسباب عدااء القيادة

الإيرانية والحوزات الشيعية للعرب والمسلمين، هذا العدااء الذي ينكره بعض الناس وبعضهم إذا اعترف به لم يهتد للجواب الصحيح في معرفة أسبابه ولذلك يتخبط في معرفة السياسة الصحيحة للتعامل مع هذا العدااء الإيراني والشيعي للعرب والمسلمين!!

كتاب الموسوي موجه للقارئ العادي ولذلك جاء بلغة بسيطة ومباشرة، ولم يحفل بالتدقيق الأكاديمي في ضبط التعاريف وتحديداتها بشكل صارم، وقد بدأ

(*) كاتب أردني.

ولا تقف المصيبة عند هذا الحد بل إن هؤلاء المجاهيل يروون أسطورة الزواج على أشكال متناقضة في تاريخها وشخصها، فمرة يقولون: أسرت شهربانو في زمن عمر، ومرة يقولون في زمن عثمان، ومرة يقولون في زمن علي! ثم اختلفوا في من أنجبت للحسين! ثم اختلفوا في زمن وفاتها! والأعجب من هذا أن المصادر تنفي أصلاً وجود بنت لكسرى بهذا الاسم!! ولذلك صرح كل العقلاء والمنصفين حتى من المستشرقين بكذب هذه الأسطورة.

وهنا ينتقل الموسوي لبيان استمرارية الشعبية في واقع إيران والشيعة المعاصر من خلال رصد بعض مظاهر الشعبية الدينية والقومية بينهم، فمؤخراً قام المكتب الإعلامي لحوزة قم بنشر كتاب الشاهنامة مترجماً بعدة لغات مع نبذة عن حياة مؤلفها الفردوسي على أقراص كمبيوتر، ووزعت في المحميات الثقافية لسفارات الإيرانية في العالم.

وكتاب الفردوسي (الشاهنامة) كتاب شعوبي بامتياز، فقد مجّد الفرس بصورة غير طبيعية وذمّ العرب، ولم يقتصر هذا على الحوزات بل وجدنا قادة إيران يثنون على الفردوسي ويجعلون من قصائده في كتاب الشاهنامة السبب في حفظ اللغة الفارسية من الزوال كما صرح بذلك الرئيس خاتمي، أما سلفه أحمدي نجاد فاعتبر كتاب الشاهنامة تفسيراً للقرآن!!

وعلى نفس المنوال في تبني الشعبية نجد المرشد خامنئي يصرح بأن إيران تستحق أن تكون على هرم الثقافة العالمية!! ويفسر هذا تصريح خاتمي: (نحن قبلنا الإسلام ورفضنا العربية)!

مما يكشف عن طبعة خاصة بالإسلام مندوجة بالفارسية وهو ما صرح به مستشار نجاد وصهره مشائي حين طالب بإسلام إيراني! وهذا كله يدل على بقاء الشعبية لليوم تحارب العرب والإسلام، بينما الكثيرون في غفلة عن ذلك.

والشعبوية تتمثل في نشاط متعدد من جهات وأفراد تسعى لحرب العرب والإسلام والخط من شأنهم وإعلاء سواهم وغالباً هم من الفرس، وقد يكون بينهم تعاون وقد لا يكون، وغالباً ما اتخذت من الدين ستاراً لبث أفكارها المسمومة للوصول للسلطة السياسية وهو الغاية الكبرى والحقيقية لها، ولذلك فإنها عمدت لبث الغلو والزندقة بين المسلمين، وخاصة بين غير العرب، وسعت لبث القلاقل والاضطرابات بين المسلمين.

وكان الشعراء والفلاسفة من أعظم أدوات الشعبويين في نشر مزاعمهم ضد العرب والإسلام، كما كان بعض الثوار والقادة العسكريين هم من أقام للشعبوية إمارات ودولا بالتعاون مع أعداء الإسلام كالنتار والمغول، ومن أمثلة ذلك تحالف نصير الدين الطوسي مع هولاكو ضد الخليفة العباسي، وخيانة أبي مسلم الخرساني واستقلاله بدويلة.

انتقل الموسوي بعد ذلك لتحليل دور الأسطورة في نشر الشعبية مما يلفت النظر لمركزية دور الأدب والخيال والقصة في نشر الضلال ليومنا المعاصر، فالرواية والفيلم والأغنية أصبحت أمضى سلاح لنشر كل أشكال الضلال والزندقة، ولذلك جاء القرآن بأحسن القصص لحاجة الإنسان للقصة وقوة تأثيرها فيه.

وركز الموسوي على أسطورة زواج شهربانو (ابنة كسرى) من الإمام الحسين كنموذج لتأثير الأسطورة في نشر الشعبية القومية بتفضيل جنس الفرس، حيث أن تفوق الجنس الفارسي لا ينتهي بمجيء الإسلام، بل يمتد ليكون شريكاً مع رأس الإسلام من خلال ذرية النبي ﷺ، من خلال الزواج بالحسين رضي الله عنه، ثم تأتي الشعبية الدينية بحصر الأئمة عند الشيعة في سلالة شهربانو الفارسية هذه!! ومعلوم أيضاً أن الزواج بين العائلات الكبيرة أو الحاكمة له ظلال سياسية واضحة كالتحالف والشرافة، وهذا هو المغزى من هذه القصة: الشراكة الفارسية في زعامة الإسلام!!

وتأكيداً على أن هذه القصة أسطورة لا حقيقة لها، يفصل الموسوي في الرواة الأساسيين الذين نشروا هذه الأسطورة فإذا هم بين أشخاص نكرات مجاهيل أو

الصوفية!!

قالوا: أعلن المجلس الأعلى للطرق الصوفية عن ترحيبه بدعوة لجنة الخمسين لتعديل الدستور برئاسة عمرو موسى، لوفد رفيع من المجلس للاستماع إلى مقترحاتهم برئاسة د. عبد الهادي القصبي، رئيس المجلس وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، ولفيف من أعضاء المجلس والمشايخ.

وأكد الدكتور القصبي، أن وفد الطرق الصوفية سوف يطلب إضافة مادة في الدستور تنص على اعتبار المجلس الأعلى للطرق الصوفية هيئة روحية دينية مستقلة تهدف إلى المحافظة على القيم السلوكية والأخلاقية وترسيخها بين كافة الفئات، وعلى كافة المستويات وفقاً للمرجعية العلمية للأزهر الشريف، وذلك حسبما تؤكد المادة ١١٨ لعام ٧٦ من القانون.

وأوضح «القصبي»، أن وفد الطرق الصوفية سوف يطالب لجنة الخمسين بتمكين تلك المؤسسات، وعلى رأسها المجلس الأعلى للطرق الصوفية من خلال دعم تلك المؤسسات مالياً، لنشر الفكر الصوفي الواسطي المعتدل ضد التطرف الديني من خلال الندوات والبرامج والمؤتمرات مع إنشاء قناة إعلامية تعبر عن الصوفية من أجل خدمة المجتمع.

موقع الموجز ٢٠١٣/١٠/٣

ليش زعلان!

قالوا: معدل الزوار لقبر جعفر الطيار في مدينة الكرك بالأردن من طائفة البهرة من الهند كان يصل في السابق إلى ١٠٠ زائر شهرياً إلا أنه توقف نهائياً في الوقت الحالي، مشيراً إلى أن الزوار الشيعة من إيران توقفوا نهائياً أيضاً، في حين تراجع عدد الزوار الشيعة من العراق

إلى ٤٠ زائراً شهرياً بعد أن كان يصل إلى آلاف الزوار في السنوات السابقة، وخصوصاً في المناسبات الدينية الخاصة بهم.

ولفت إلى أن أعداد الزوار لمقامات وأضرحة الصحابة بلغت خلال شهر آب (أغسطس) الماضي ٢٦٧٥ زائراً وزائرة من مختلف الجنسيات العربية والإسلامية، بالإضافة إلى الزوار الأردنيين. يشار إلى أن زوار المقامات يأتون بالعادة من العراق والهند وبنغلادش وجنوب أفريقيا وباكستان وتركيا وأندونيسيا ولبنان ودول الخليج العربي.

م. أشرف البطوش،

المدير الفني والإداري لأضرحة

الصحابة بالأردن،

الغد ٢٠١٣/٩/١٠

ويتساءلون لماذا تنجح إيران؟

قالوا: في أقل من أسبوعين، وبعد انطلاق الثورة السورية، أطلقت إيران ونظام بشار الأسد وحزب الله، محطة تلفزيونية تتبنى وجهة نظرهم، وتروج لها، كما أطلق موقع إخباري باللغة الإنجليزية على الإنترنت لا يزال الإعلام الغربي يحاول جاهداً معرفة من يموله!

يحدث كل ذلك ثم يخرج لنا مجلس التعاون الخليجي، وبعد ثلاثة أعوام من الزلزال العربي، وبعد كل ما تعرض، ويتعرض له الخليج من تهديدات، بمحطة إذاعية جديدة باسم «هنا الخليج العربي» لتعزيز الهوية والمواطنة الخليجية، فهل يمكن التصدي لكل الحملات المنظمة المستهدفة للخليج وأمنه فقط بمحطة إذاعية، خصوصاً أن الأمين العام لمجلس التعاون يقول إن

«التصدي للحملة الإعلامية التي تعمل على تشويه الحقائق ومغالطة الواقع، هي مسؤولية لا يمكن مجابتهها إلا بمزيد من الجهد في إبراز الحق كما هو ليدحض الباطل»، فهل يتحقق ذلك من خلال محطة إذاعية فقط؟

طارق الحميد -

الشرق الأوسط

٢٠١٣/١٠/٣

هذا ما نريده

قالوا: لا توجد فوارق كبيرة بين رجال الدين ورجال السياسة؛ ففن الكلام مهنتهم. ببلاغتهم يمكنهم التبرير والتدوير. النظام الإيراني الآن يقول إنه لا ينوي أن يبني قوة نووية عسكرية، لأن المرشد الأعلى أفتى بتحريم استخدام السلاح النووي! لا بد أن تكون إيرانيا شيعيا ورعا لتصدق مثل هذه العهود، لكن ليس بإمكان حكومات المنطقة تصديقها. وهنا أستعير المثل الذي استعان به الزميل الأستاذ إياد أبو شقرا في مقاله أول من أمس «إن سوء الظن من أقوى الفطن»، ففتوى المرشد الأعلى تزيدنا تشككا، فالأمر لا يحتاج إلى فتوى، بل إلى فتح المعامل والمفاعلات للمفتشين الدوليين.

عبد الرحمن الراشد -

الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٤

هل هذا سبب تغريده خارج السرب؟

قالوا: تتردد في أوساط سياسية عربية وغربية معلومات حول انقلاب عسكري سيطيح بالقيادة الحالية لحركة «حماس» في غزة بدعم من إيران، ولحساب ثلاثي متشدد مؤلف من محمود الزهار وموسى أبو مرزوق وعماد العلمي.

وكشفت المصادر أن البحث في التغييرات القيادية في «حماس» بدأ عندما زار أبو مرزوق الذي يشغل منصب مساعد رئيس المكتب السياسي لـ «حماس» طهران في شهر مارس الماضي واجتماعه مع الرئيس الإيراني حينذاك محمود أحمددي نجاد، وقد أبدى الإيرانيون صراحة عدم رضاهم عن التوجه السياسي الراهن لحركة «حماس».

وقالت المصادر إنه في الوقت نفسه جرت اتصالات بين الحرس الثوري وكتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة «حماس»، حيث التقت وجهات النظر حول ضرورة التغيير القيادي في «حماس». وبنتيجة ذلك، فإن المصادر تتوقع ألا يتأخر التغيير في قيادة «حماس» والذي سيأخذ شكل الانقلاب العسكري، عقب بدايات العام المقبل، لتتولى قيادة جديدة إدارة «حماس» برئاسة محمود الزهار عضو القيادة السياسية ووزير خارجية حكومة هنية، وعماد العلمي وهو قيادي نافذ في الحركة وكان يقيم في سورية إلى أن طرد منها بعد وقوف «حماس» إلى جانب معارضي بشار، فعاد إلى غزة.

رياض علم الدين،

مجلة الوطن العربي ٢٠١٣/١٠/٢

وماذا عن الكنائس؟

قالوا: قرر وزير الأوقاف في الحكومة المصرية المعينة تحديد مدة خطبة الجمعة بنحو ١٥ دقيقة ولا تزيد بأي حال عن ٢٠ دقيقة للخطبتين.

... وأنه يباشر بنفسه التفتيش على المساجد للانضباط الدعوي والالتزام بالسياسة الدعوية للوزارة بحيث أن تكون المساجد للدعوة والموعظة الحسنة كي تكون بعيدة عن أي تجاوزات أو صراعات سياسية أو حزبية، وأكد أنهم قطعوا شوطا كبيرا في إبعاد المساجد عن الصراعات السياسية بالتنسيق مع مؤسسة الأزهر.

مفكرة الإسلام ٢٠١٣/١٠/٥

غير مستبعد!

قالوا: هناك تضليل إعلامي عن عملية الإنسحاب لحزب الشيطان من سوريا، فخروج بعض عناصره من الوحدات السورية أو من منطقة الزهراء ونبل بأعداد لا بأس بها، هو للتستر على وجهتهم الحقيقية بانضمام جزء كبير من مقاتلي حزب الشيطان إلى (داعش) في مختلف المناطق المحررة، مستفيدين من غطاء الوجه لدى أغلب عناصر (داعش)، مع إطلاق لحاهم!

نقلاً عن مرجعيات لبنانية

مؤيدة للثورة السورية

ماكين؟

يعكس التفكير في هذه الأسئلة، بناء على تقارير من واشنطن ولقاءات مع واضعي السياسات ومستشارين رئاسيين حاليين وسابقين، من جانب، مستوى غير مسبوق من تشوش السياسة الأميركية تجاه العالم العربي اليوم: فهي ناشئة عن مزيد من الصراع الداخلي المرير في الأوساط السياسية في واشنطن، وانقسام سياسي أوسع بين الحزبين الرئيسيين، وتحول الأولويات لدى الناخبين الأميركيين في وقت تعاني فيه البلاد من أزمة اقتصادية وعدم وجود فهم تام للعالم العربي. إضافة إلى ذلك، إذا تطلعنا إلى انتخابات الكونغرس والانتخابات الرئاسية المقبلة، سيبدو أن الفجوة بين وجهتي نظر السياسة الخارجية تزداد اتساعاً في الولايات المتحدة.

ولكن على مستوى أعمق، من الممكن تعقب معسكرين سياسيين مختلفين يدافعان باستمرار عن رأيين متعارضين في قضية مستقبل ما يسمى بـ«الإسلام السياسي». يجب على العرب من أنصار الإصلاح المنظم غير الثوري دراسة ممثلي المعسكرين وأفكارهما والتحديات التي تواجههما، من أجل وضع إستراتيجيات تدعم أجنداتهم في واشنطن.

السياسة الأميركية تجاه إيران

في البداية، أحد التناقضات المحيرة في السياسة الأميركية على مدار الأعوام الستة الماضية هي مواقف باراك أوباما المتضاربة تجاه إيران في ٢٠٠٩ ومصر في ٢٠١١. جدير بالذكر أن الإدارة

اتجاهات السياسة الأمريكية نحو الإخوان المسلمين وإيران

جوزيف براودي - مجلة المجلة ٢٣/٩/٢٠١٣

تدليل الأعداء وإهمال الحلفاء

لا يخفى على أحد في واشنطن أن ثقة العرب في السياسة الخارجية الأميركية وصلت على مدار العامين الماضيين إلى أدنى مستوياتها. في مصر اليوم يلقي الإخوان ومؤيدوهم باللوم على الولايات المتحدة بسبب اعتقادهم ضلوع واشنطن في التخطيط للإطاحة بالرئيس محمد مرسي ودعم الجيش المصري في حملته الحالية. وفي الوقت ذاته يعتقد القطاع الأكبر من الشعب المؤيد للجيش أن الرئيس الأميركي حليف وثيق لمرسي. أما بالنسبة لسوريا، يشك العديد من الشوار في أن الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل تفضلان بقاء نظام الأسد - ولكن تؤكد حملة الدعاية التي تشنها الحكومة السورية على أن الشوار صنيعة وكالة «سي آي إيه» والموساد.

إذا نحينا هذه التصورات المذكورة جانباً، ما هو الموقف الفعلي الذي تتخذه القيادة الأميركية بشأن هذه الصراعات العربية الداخلية وغيرها، وكيف ستتطور هذه السياسات في الأعوام المقبلة؟ ما هو المنطق الكامن - إن وجد - في تناول الشؤون العربية والذي يحرك المعسكرين السياسيين المتنافسين، من باراك أوباما إلى جون

الأميركي عن دعم أي شخص أو فصيل سببا في الإضرار به بصورة أكبر من نفعه.

الموقف من مبارك ونظامه

أما بالنسبة لثورة ٢٠١١ في مصر، تبدو الرسائل المتغيرة التي نقلها مسؤولو البيت الأبيض أثناء أسابيع المظاهرات نتيجة لنوع مختلف من الصراع الداخلي: الصراع بين مناصري الإصلاح النظامي القدامى في العالم العربي ومؤيدي التغيير الثوري. من جانب، أدلى نائب الرئيس جوزيف بايدن بتصريحات تؤيد مبارك كحليف قديم في المنطقة، وبدا مبعوث أوباما فرانك وايذر مدافعا عن السماح لمبارك على الأقل باستكمال الأشهر المتبقية في فترته الرئاسية. وعلى جانب آخر، مع توالي الأحداث، صرح متحدث باسم البيت الأبيض ومن بعده الرئيس الأمريكي ذاته بتصريحات حادة عن مبارك وقبلوا بالإطاحة به. يبدو أن المعسكر الأول كان يفضل الحفاظ على الاستقرار في مصر، بينما يرى المعسكر الثاني أن الاتجاه الثوري في المنطقة قد يكون بناء أو حتميا أو كليهما.

على أي حال، لاقت موجة التظاهرات التي اجتاحت الجمهوريات العربية قدرا من الاهتمام في وسائل الإعلام الأميركية أكثر من «الحركة الخضراء» الإيرانية. وفيما يشبه الإجماع، صورت شبكات التلفزيون الأميركية الأحداث التي وقعت على أنها ثورات ديمقراطية. وكما قالت المذيعة الأميركية البارزة راشيل مادو: «نحن نشاهد شيئا يؤثر فينا كأmericيين لأنني أعتقد أن الأميركيين من اليسار أو اليمين أو الوسط يؤمنون بحكومة الشعب، من قبل الشعب، ومن أجل الشعب - وعندما نرى شعبا في أي دولة في العالم يحاول تحقيق ذلك بوسيلة سلمية نقف بجانبه تلقائيا».

لاقت هذه الرؤية أيضا تشجيعا من بعض الشخصيات العربية التي برزت في وسائل الإعلام الأميركية بصفاتهم متحدثين غير رسميين عن الثوار - وأبرزهم الصحافية المصرية منى الطحاوي، التي أعلنت أمام الجمهور: «من الرائع أن تكون ثائرا

الأميركية حملت غصن الزيتون نحو عدوها القديم، النظام الإيراني، بينما صدت «الحركة الخضراء» التي خرج فيها شباب المتظاهرين ضد تزوير الانتخابات في بلادهم. ولكن بعد عامين لم يستغرق أوباما كثيرا من الوقت قبل التخلي عن حليف أميركا القديم، الرئيس حسني مبارك، وأثنى على المتظاهرين الذين أجبروه في النهاية على التنحي.

ينظر مستشاران بارزان في البيت الأبيض تحدثت إليهما إلى موقف الرئيس من إيران من وجهتي نظر متقابلتين تماما، مما يوضح عمق الخلاف بين مختلف الجماعات السياسية:

قال لي خوان زاراتي، نائب مساعد الرئيس ونائب مستشار الأمن القومي لمكافحة الإرهاب في إدارة جورج دبليو بوش، إن تصريحات أوباما عام ٢٠٠٩ بشأن إيران كانت خطأ مأساويا: «كان ظهور الحركة الخضراء يمثل حدثا مهما في تاريخ إيران، ضاعت فرصة إستراتيجية للولايات المتحدة بأن تساعد على تقوية الحركة - وتشكيلها كوسيلة للتأثير في الحراك الداخلي وصناعة قرار النظام».

ولكن قال دينيس روس، الدبلوماسي الأميركي الذي خدم في إدارة كل من بيل كلينتون وجورج دبليو بوش وباراك أوباما، إن رد الإدارة كان مدروسا بصورة جيدة: «كنا نتلقى رسائل مختلطة من الحركة الخضراء. وكنا قلقين من أن الأشخاص الذين نرغب في الدفاع عن حقوقهم والوقوف إلى جانبهم أيضا لا يريدوننا أن نقول ما قد يمس مصداقيتهم. وكان هناك البعض في الخارج الذين يريدون منا أن نكون أكثر صراحة، أدى هذا كله إلى تبني موقف أكثر حذرا».

من المؤكد أن روس يصدق المخاوف التي لا يشترك معه فيها زاراتي - مما يسمى بـ«قبلة الموت» الأميركية. والمقصود بها أنه نظرا لانعدام شعبية أميركا بشدة في العالم العربي، ربما يكون التعبير

عريبا. إنها رسالة من منطقة في العالم تقل أعمار غالبية سكانها عن ٣٠ عاما». وفي مئات المرات التي ظهرت فيها في حوارات ولقاءات رفيعة المستوى، صرحت الطحاوي للأميركيين أن ثقافة الفردية حلت بدرجة كبيرة محل الهويات والتقاليد الجماعية في العالم العربي. كما انتقدت أيضا الأميركيين الذين أعلنوا انزعاجهم من صعود الجماعات المتطرفة، مثل ليلي أحمد الأستاذة في جامعة هارفارد، واهتمتهم بعدم إدراك الواقع الجديد في الشرق الأوسط.

هل يوجد منطق موحد؟

هكذا تعكس الصورة الظاهرة انقسامًا بين معسكرات أميركية متنافسة، بالإضافة إلى جهل عام بالأحداث في الشرق الأوسط يغذيه إعلام يتأثر كثيرا بأصوات أجنبية ذات تأثير. ولكن في زيارات إلى المنطقة، وجدت أن العديد من العرب يشعرون بعدم إمكانية تبرير سياسات واشنطن تجاه الشرق الأوسط بوجود خلافات داخلية أو مجرد عدم فهم. ولكنهم يرون بدلا من ذلك محاولة مترابطة ثابتة من الأميركيين - سواء في إيران أو مصر أو غيرها من الدول - لعقد صفقات مع الحركات الإسلامية من الماللي في طهران إلى الإخوان المسلمين في مصر. ومن بين الأدلة التي يسوقونها عادة الدعم الأميركي للمجاهدين ضد الاحتلال السوفياتي لأفغانستان في الثمانينات من القرن الماضي، ومحاولات الرئيس باراك أوباما التعامل مع الإخوان المسلمين بصفتهم شركاء بعد انتصاراتهم الانتخابية في مصر وتونس. ووفقا لهذا المنطق، يصبح ضغط الإدارة في الوقت الحالي على الجيش المصري بمشاركة الإخوان في السلطة مجرد مثال جديد على اتجاه مستمر منذ عشر سنوات.

على الرغم من أن هذه النظرية لا تفسر بمفردها رفض أميركا تبني الثوار التابعين للإخوان المسلمين في سوريا، إلا أنها لا تخلو من الصحة. في الحقيقة يبدو خطاب السياسات الذي يرجع إلى عام ١٩٩٢

وألقاه مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في ذلك الوقت إدوارد دجيرجيان، وكأنه يبلور منطق التعاون مع الإسلاميين ويضع ذلك هدفا أميركيا طويل الأجل. صرح دجيرجيان بأنه «لا يوجد جهد دولي موحد أو منسق خلف هذه الحركات»، في إشارة إلى أفرع الإخوان المسلمين في الشرق الأوسط، واقترح أنه على الأقل بعض عناصر الإخوان يسعون إلى دعم «حرية الانتخابات.. واستقلال القضاء.. وسلطة القانون.. وحقوق الأقليات والحقوق الفردية..» ويبدو أنه اعتقد أيضا أن الإسلاميين المعتنقين لهذه الآراء سوف يكونون درعا حامية من المقاتلين الجهاديين.

ولكن في الجهة المقابلة، على الرغم من وجود دليل يؤكد نظرية سعي الأميركيين باستمرار إلى الشراكة مع حركات إسلامية، ربما يمكن الاستفادة من الكشف عن نقاط الضعف بدلا من التركيز على نقاط القوة.

صحيح أن واشنطن سعت أثناء الحرب الباردة إلى التعاون مع خصوم الاتحاد السوفياتي ذوي الاتجاهات الدينية، من البابا جون بولس الثاني إلى عبد الله عزام. ولكن وفقا لباتريك كلاوسون، مدير الأبحاث في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، أصبح هذا النهج باليا مع سقوط الستار الحديدي. وإذا كان هناك أي استمرار منذ ذلك الحين حتى الآن، فهو، بحسب قول كلاوسون، «لأن الولايات المتحدة تحاول باستمرار عقد صفقات مع من يكون في السلطة».

يعكس خطاب دجيرجيان بالفعل آراء مدرسة فكرية بارزة تجاه الإخوان المسلمين في واشنطن، بيد أن هناك مدرسة أخرى تنظر إلى الجماعة بعداء عميق، وتتمتع بنفوذ خاص بها في بعض الأحيان. لذا تجدر دراسة كلتا المدرستين، أصولهما ومواقفهما من التطورات الإقليمية الراهنة - واتجاهاتهما.

مناصرو الجماعة من الأميركيين

يُعتقد أن الخطاب المدافع عن التعاون مع

الإسلاميين الذي ألقاه دجيرجيان في عام ١٩٩٢ تأثر بمدرسة أكاديمية من بين قادتها جون إسبوزيتو، أستاذ الشؤون الدولية في جامعة جورجتاون. تدفع دراسات إسبوزيتو بالضرورة إلى أن بعض الجماعات الإسلامية - ومن بينها قادة الإخوان المسلمين وتابعيها في العديد من الدول الإسلامية - تتميز في جوهرها بأنها إصلاحية حديثة تحمل طابعا إسلامية وتستحق التعاون البناء. من خلال أسفاره الممتدة في الأراضي العربية والإسلامية، أقام إسبوزيتو ودارسون مشابهيون له في الفكر شبكة من المثقفين البارزين المنتمين للجماعات الإسلامية، وسهلوا التعاون بينهم وبين نظرائهم الأكاديميين والسياسيين في الغرب.

ومع مرور الوقت، أصبح لهذا المشروع الأميركي من التبادل المعرفي مع الإسلاميين إطارا مؤسسيا: ويعد مركز واشنطن للإسلام والديمقراطية أحد نماذج مندييات السياسات الأميركية المرموقة التي تتاصر بفاعلية التعاون الأميركي الإسلامي.

ولكن لم يتوقف دعم الإخوان المسلمين على النقاشات بين مثقفين رفيعي المستوى. ففي مطلع الستينات، أقامت جماعة الإخوان ذاتها بنية تحتية لغرس تعاليمها ونشاطها في الولايات المتحدة ليخرج منها أجيال من المؤيدين القادرين على الخروج بحملتهم إلى الشارع والإعلام بل وأيضا دوائر السلطة. عملت «جمعية الشباب العربي المسلم» التي توقف نشاطها حاليا وهي أحد فروع جماعة الإخوان المصرية، و«الجمعية الإسلامية لفلسطين» التابعة لحماس، على إحضار يوسف القرضاوي وخالد مشعل وغيرهما من الشخصيات البارزة في الجماعة لزيارة مؤيديها في الولايات المتحدة. وتصدر المجلس الإسلامي الأميركي، المتوقف عن العمل حاليا، محاولات إدخال مثل هذا النشاط إلى واشنطن، وحشد الضغوط على الكونغرس والبيت الأبيض باسم قضايا الإخوان. في أثناء الأعوام الأخيرة من الحرب الأهلية الجزائرية، على سبيل المثال جاء المجلس الإسلامي الأميركي بقائد الجبهة

الإسلامية للإنقاذ في الجزائر إلى واشنطن في محاولة لمساعدته في عرض قضيته على الكونغرس ضد اعتداءات الجيش الجزائري على حركته. وفي البداية وفي فترات مختلفة، حصلت جميع هذه الجماعات على تمويل هائل من متبرعين عرب، ولكنها سعت أيضا إلى موارد بديلة للدعم المالي من الخارج والداخل، حتى لا تعتمد على ممولين تخشى نفاذ صبرهم في المستقبل. وفقا لمسؤول أمني متقاعد اشترط عدم ذكر اسمه: «كون هؤلاء شبكة واسعة للغاية. وكانوا سعداء بقبول الأموال تقريبا من أي مصدر أجنبي أو محلي». في النهاية تم القبض على العديد من أعضاء الجمعيات الإخوانية ومحاكمتهم بسبب التورط في عدة أنشطة غير قانونية: حيث قدموا دعما ماليا لحماس في منتصف التسعينات من أجل حملة من الهجمات الانتحارية التي استهدفت نفس معاهدة أوسلو، التي وقعت عليها في ذلك الحين السلطة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية.

ولكن خرج من هذه المنظمات جيل ثان من النشطاء بقيادة عضو الجمعية الإسلامية لفلسطين سابقا نهاد عوض، ليقيموا كيانا ناجحا يحمل اسم مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية. يرجع الفضل إلى هذا المجلس في محاربة «الإسلاموفوبيا» بلا كلل من خلال مزيج من النشاط الإعلامي والتظاهرات في الشوارع، مما أكسبه دعما كبيرا من المسلمين الأميركيين بالإضافة إلى وسائل الإعلام والسياسيين في الولايات المتحدة. كما استفاد أيضا من هذا التعاطف في العمل الحقوقي باسم الإخوان المسلمين. إضافة إلى ذلك حقق المجلس نجاحا كبيرا في تهميش الأميركيين، المسلمين أو غير مسلمين، الذين ينتقدون فكر الإخوان، متهمًا إياهم أيضا بالإسلاموفوبيا. واليوم أصبح مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير) أكبر منظمة مسلمة أميركية في الولايات المتحدة تتمتع بتعاطف سياسي في المقام الأول من الحزب الديمقراطي وأعضائه والإعلام المشابه له

معارضو جماعة الإخوان من الأميركيين

في مقابل مؤيدي الإخوان في الولايات المتحدة، عمل خصوم الجماعة على مدار عقود من أجل تقويضها سياسيا، وعلى كل من المستوى الفكري والسياسي، ومن جانب الإعلام والشارع بين حين وآخر. ورغم تحقيق قدر من النجاح في بعض الأحيان، فإنهم أيضا واجهوا صعوبات. على المستوى الفكري، استمرت بعض مراكز الأبحاث في واشنطن - على سبيل المثال، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى - في توجيه الانتقادات للجماعة. يرفض المدير التنفيذي للمعهد روبرت ساتلوف بحدة رؤية دجيرجيان بأن الجماعة ليست منظمة عالمية ويعارض فكرة أنها قد تكون قوة تدفع نحو التنمية الديمقراطية. أوضح ساتلوف أفكاره المتعلقة بالثورات العربية في شهادة أدلى بها أمام الكونغرس في أبريل (نيسان) ٢٠١١، حيث قال: «إن جماعة الإخوان ليست كما يقول البعض مجرد منظمة رخاء اجتماعي أهدافها إنسانية في الأساس. أعتقد أن المنظمة سوف تستغل أي فرص تقدم لها (مما يؤدي إلى).. إمكانية تمام مخيف للنزعة الطائفية بين المسلمين والأقباط بل وتعميق الصراع بين المسلمين من السلفيين والصوفيين».

ساتلوف أيضا أحد أبرز الأصوات في واشنطن التي تدافع عن التحالف القوي بين الولايات المتحدة وإسرائيل. استعان مؤيدو الإخوان أيضا بهذا الجانب من خلفيته في محاولة للتشكيك في أفكاره بشأن جماعتهم بين معارضي إسرائيل في واشنطن. في الماضي، أعاب البعض أيضا على ستالوف أن آراءه تحمل قدرا كبيرا من التكهنات: لم تكن جماعة الإخوان فعليا خضعت لاختبار السلطة وهكذا كان من غير المعلوم كيف ستتصرف إذا منحت فرصة الحكم. وأكد قادة الجماعة مرارا أنهم ملتزمون بدعائم الديمقراطية.

بعيدا عن دوائر السياسة، انخرط خصوم

الجماعة أيضا في الإعلام والنشاط السياسي. ولعل أبرز نموذج هو ستيفن إيملسون، الصحافي الذي أخرج في عام ١٩٩٤ فيلما تلفزيونيا وثائقيا تحت عنوان «الجهاد في أميركا». يلقي الفيلم الضوء على المؤتمرات التي أقيمت في الولايات المتحدة بتنظيم من حماس وجماعة الإخوان المصرية، ويتعقب الصلات بينها وبين العمليات المسلحة التي جرت في الشرق الأوسط والغرب أيضا. من المعتقد أن مشروع قانون مكافحة الإرهاب لعام ١٩٩٥ اعتمد إلى حد ما على الصدمة التي تسبب بها هذا الفيلم. كما أيدت الأعمال البحثية المستمرة التي يقوم بها من خلال جمعية لا تستهدف الربح تحمل اسم «المشروع الاستقصائي» اعتقال وإدانة العديد من النشطاء الإخوان في أميركا. ولكن استخدمت تصريحاته متتالية أدلى بها إيملسون، اعتبر أحد تصريحاته الذي تضمن إشارة إلى أن الإسلاميين وراء تفجير مدينة أوكلاهوما في عام ١٩٩٥، من قبل مؤيدي الإخوان مثل «كير» سببا لاتهامه بـ «الإسلاموفوبيا».

على مدار الأعوام العشرين الماضية، طاردت مثل هذه الاتهامات إيملسون، بيد أنه احتفظ بشبكة أنصار واتصالات في المؤسسة الأمنية الأميركية، وتشجيع من عناصر محافظة داخل الوسط السياسي لاسيما داخل الحزب الجمهوري.

تكمُن نقطة الضعف الرئيسة التي اتسم بها خصوم الإخوان في الولايات المتحدة، على النقيض من منافسيهم، في عدم إقامتهم لتحالف دولي ملائم من الأصوات المعارضة للإخوان في بعض الدول العربية. ويبدو على سبيل المثال أن الأصوات المدافعة عن إسرائيل في واشنطن ونظرائها في العواصم العربية عاجزة عن خرق حاجز الشك - وسط مرارات الصراع الفلسطيني الإسرائيلي - مما كان يستلزم إقامة تحالف مستمر.

تغير التحالفات من ١١ سبتمبر وحتى اليوم

عززت مأساة الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) عام ٢٠٠١، وما تلاها في ظل إدارة بوش من صلابة

التحالفات السياسية المعارضة لجماعة الإخوان وتلك المؤيدة لها. في ظل حكم رئيس جمهوري، أدت الحملة التي شنت ضد نشاط حماس والإخوان في الولايات المتحدة إلى عشرات المحاكمات ومنع قادة من الإخوان والمتعاطفين معهم من دخول البلاد للقاء زملائهم الأميركيين. أثارت هذه الأفعال غضب جماعات الحريات المدنية وضاعفت تأييد الجماعة الإسلامية للحزب الديمقراطي.

في الوقت ذاته، أسفرت إخفاقات حرب العراق عن تبعات غير مقصودة للبيت الأبيض والأوساط السياسية في واشنطن. على الرغم من أن الرئيس بوش معارض قوي للجماعات المتطرفة التي أشار إليها في بعض الأحيان بالفاشية الإسلامية، فإنه قدم خدمة جليلة للملاي في طهران بأن سمح بالعملية الانتخابية في بغداد التي مكنت وكلاء إيران في بغداد من الوصول إلى السلطة. ووجد مؤيدوه الجمهوريون، الذي رفضوا في الماضي التدخل في جهود «إعمار الدول» في الخارج، أنهم يدافعون عن «أجندة ديمقراطية في العالم العربي، بينما وصل العديد من الديمقراطيين كرد فعل إلى كراهية شعار (نشر الحرية)». ودعوا إلى الانسحاب العسكري من أفغانستان والعراق و«بناء البلاد في الداخل». صوت النخبون الأميركيون القلقون من الحرب لصالح الرئيس أوباما في عام ٢٠٠٨ على أساس برنامج الإنتخابي بوقف التدخل في الخارج. وانسحب أوباما من العراق وأفغانستان، وسعى إلى تجنب المواجهة مع أطراف خارجية مثل إيران وتحاشى تدخلات عسكرية خشي أن يكون من الصعب الخروج منها مثل سوريا.

ولكن أخيرا، في وسط الاضطرابات التي وقعت في الجمهوريات العربية، عاد الحزبان إلى موقفيهما الفكرين التقليديين فيما يتعلق بـ«تصدير الديمقراطية». في رد فعل يعكس ارتيابا في الحراك الثوري في مصر، أصدر العديد من الجمهوريين تحذيرا لمعارضى الإخوان في واشنطن بأن الاستيلاء الإسلامى على السلطة أصبح وشيكا، بينما احتفل

الديمقراطيون، مدعومين بالبهجة التي سادت وسائل الإعلام في البداية، بانتقال السلطة. وبعد الانتخابات في مصر وتونس، شعر الجميع بخيبة الأمل في النتائج ولكنهم أيدوا العملية الديمقراطية من حيث المبدأ وتبنوا سياسة الانفتاح مع الحكومتين الجديدتين بقيادة الإخوان. ولاقى هذا النهج ترحيبا طبيعيا من مجتمع المفكرين المدافعين عن الإسلاميين في واشنطن.

على مدار الأسابيع القليلة الماضية، لم يكن مفاجئا أن نجد إدارة أوباما تمارس ضغوطا غير مسبقة على الجيش المصري لوقف حملته ضد الإخوان. تتفق مخاوف واشنطن بشأن تدهور أوضاع الحريات الإنسانية في مصر ونوايا الجيش على المدى البعيد مع القيم الديمقراطية الأميركية، بالإضافة إلى أن التكيف مع الإخوان أصبح أحد أعمدة سياسة أوباما.

ربما لم يصل البيت الأبيض إلى قبول حقيقة أن الإرادة الشعبية في مصر ومعظم أنحاء العالم العربي تحولت بحدّة كاسحة ضد الجماعة.

أما بالنسبة للنشطاء الأميركيين الذين يؤيدون الجماعة، فقد شهدت الأعوام الأخيرة نجاحات جديدة. في حين اعتمد «كير» في الماضي على تمويل من دول خليجية، إلا أنه أصبح الآن يتمتع بدعم من قاعدة مانحين محلية ثرية في الولايات المتحدة، ويحصل على منح أيضا من بعض المنظمات الأميركية التي لا تستهدف الربح. ومكنت مكاسب الإخوان الانتخابية في العام الماضي «كير» من الاحتفاء بجماعته باسم «الديمقراطية»، وبعد إطاحة الجيش بمرسي، نظم المجلس احتجاجات في واشنطن دفاعا عن العملية الديمقراطية في مصر.

في الوقت ذاته، يتعرض خصوم الإخوان القدامى لعزلة سياسية نسبيا. وهذا إلى حد ما بسبب حقيقة أن الأصوات الجديدة التي تظهر، مثل الناشطة باميلا غيلر، تقدم مساهمات قليلة في النقاش العام وتوصف بأنها متعصبة ضد الإسلام. يُذكر أن غيلر

قالت: «الإسلام ليس عرقاً، بل أيديولوجياً.. أكثر أيديولوجياً راديكالية ومتطرفة على وجه الأرض».

ألحقت شخصيات مثل غيلر ضرراً بصناع السياسات الذين يحترمون ويقدرّون الإسلام كدين ولكنهم ينتقدون الأحزاب الإسلامية مثل الإخوان. وفقاً لما قاله آلان لوكسنبرغ، رئيس معهد أبحاث السياسات الخارجية ومقره في فيلادلفيا: «يجد منتقدو الإخوان من حيث المبدأ صعوبة في أن يُنصت إليهم في واشنطن أو وسائل الإعلام العادية لأنهم يصنفون مع من يبدون كراهيتهم للإسلام كدين. يشبه ذلك ما فعله السيناتور جو مكارثي عندما أساء إلى سمعة معارضي الشيوعية: حيث أضر بالقضية التي اعترف بأنه مؤمن بها».

والآن بعد أن تحولت الإرادة الشعبية ضد الإخوان المسلمين في معظم أنحاء العالم العربي، تجد غالبية العرب وحكوماتهم من الصعب عليهم إقامة تحالفات في واشنطن. وعندما ينظم مجلس «كبير» مظاهرات في شوارع واشنطن اليوم، يستطيع أن يناصر الجماعة بأسلوب يمس وتراً عميقاً لدى الأميركيين: استعادة الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان. في العالم العربي، ربما يميل كثيرون إلى الرد على ذلك بأن الحكومات التي يقودها إخوان تمثل تهديداً أكبر لحقوق الإنسان. وسيرغبون في الإشارة إلى أن المسار نحو الديمقراطية طويل وتدرجي، ويتضمن تغذية مستمرة لمنظمات المجتمع المدني والتعليم من أجل التغيير الثقافي، وليس فقط الانتخابات. ولكن من يتبنون هذه الآراء يغيبون بصورة كبيرة عن شوارع واشنطن. ولم يقيموا شبكة إعلامية أو منظمات سياسية لازمة لتقديم وجهات نظرهم في الأوساط السياسية. وفي حين توجد بعض الأصوات في أميركا التي تتعاطف معهم، فإن عوائق السياسة واللغة والتعاون المؤسسي بينها وبين المجتمعات العربية ما زالت قائمة.

الطريق قدماً

تطرح الاستعدادات التي تجري في الوقت الحالي من قبل الحزبين الجمهوري والديمقراطي لانتخابات الكونغرس الأميركي لعام ٢٠١٤ رؤية حول الاتجاه المستقبلي للسياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط.

تشير دراسة حديثة أجرتها مجموعة «غالوب» للإحصاءات إلى أن ثقة الأميركيين في اقتصادهم تواصل تراجعها. وفي المجمل، فإنه على مدار السنوات الخمس الماضية، عانت البلاد من حالة ركود طويلة وارتفاع في معدلات البطالة، الأمر الذي أدى إلى شعور الكثير من الشعب الأميركي بالقلق حيال أية مشاركة خارجية وغير داعمة من المساعدات المقدمة للدول الأجنبية. ويوضح أحد استطلاعات الرأي أيضاً أن هناك فجوة هائلة في الإدراك في الولايات المتحدة الأميركية حول مدى الإنفاق على المساعدات الخارجية: وأظهر أحد استطلاعات الرأي الذي تم إجراؤه في عام ٢٠١٠ أنه على الرغم من أن نسبة المساعدات الخارجية تمثل ما يقرب من ١,٥٪ من الميزانية الفيدرالية، فإن تقديرات الأميركيين لتلك المساعدات تبلغ نسبتها ٢٥٪ من الميزانية.

وفي السياق ذاته، ليس مفاجئاً أن نجد العضو الأبرز في الحزب الجمهوري السيناتور الليبرالي راند بول هو المرشح المحتمل لرئاسة البلاد لعام ٢٠١٦. كان والد بول عضواً بالكونغرس عن ولاية كنتاكي لفترة طويلة، حيث اتسم بصراحته الواضحة واتباعه لسياسة «عدم التدخل» - فيما وصفه البعض بأنه «منعزل» - حيث دعا إلى انسحاب كبير للقوات حول العالم ووقف شبه كامل للمساعدات الأجنبية المقدمة للشرق الأوسط. وبينما نأى بول الابن بنفسه عن هذه المواقف الأكثر تطرفاً، يبدو أن شعبيته تستمر في الارتفاع في بعض الأوساط لاعتقادهم أنه يتسم بصفات والده. ومن غير المفاجئ أن بول كان عضواً بارزاً ضمن الجماعة المكونة من الحزبين التي دعت إلى قطع الولايات المتحدة الأميركية للمعونات

وفي مفارقة، يبدو وكأن أشباح الحرب الباردة تطارد التصورات الأميركية لسوريا بالإضافة إلى إيران. أما عن الوضع في سوريا، فإن البيت الأبيض والرأي العام يخشون من أن دعم الثوار قد يعد تكراراً لذلك الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة الأميركية للجهاديين في أفغانستان في الثمانينات من القرن العشرين، مع حدوث التأثيرات اللاحقة المفجعة ذاتها.

ووفقاً لما ذكره طوني بدران، الكاتب البارز والباحث في شؤون الشرق الأوسط، فإن «إدارة أوباما لا ترغب في ظهور موجة جديدة من المحاربين الأجانب الذي يستفيدون من التدريب في سوريا، ومن ثم يتجهون لمهاجمة أهداف في الغرب، مثلما حدث في أفغانستان. وتتمثل المأساة حقاً في أنه من خلال عدم دعم الثوار الذين يتبنون مناهج سياسية وسطية في سوريا، فإن المخاوف الأميركية حينئذ سوف تصبح نوعاً ما من النبوءة التي سوف تتحقق. سوف يزداد وجود الجهاديين في سوريا، خاصة في شرق سوريا وشمالها». وفي الوقت ذاته، فإن ذكرى النجاح في التأكد من قدرة الاتحاد السوفياتي النووية خلال الحرب الباردة قد تعزز ثقة هؤلاء الذين يعتقدون أنه من الممكن احتواء دولة إيران النووية أيضاً.

هيلاري كلينتون الصوت الأبرز في الحزب الديمقراطي

أما عن السياسيين الذين يرجحون تبني موقف أكثر تدخلاً في السياسة الخارجية، تبرز من بينهم هيلاري كلينتون التي تُعد الصوت الأبرز في الحزب الديمقراطي، التي قد تكون مرشحة الحزب لخوض انتخابات الرئاسة لعام ٢٠١٦. في السابق، دافعت كلينتون عن سياسة إيران الأكثر تشدداً، وباعتبارها وزيرة الخارجية، فقد أبدت ميلاً أقوى نحو التدخل في الشأن السوري، ولكن يبدو أن الرئيس وبعض كبار مستشاريه جرموا هذا الاتجاه. وفي الوقت ذاته، فمن بين الجمهوريين،

ومن غير المتوقع أن يغير بول أو الحركة التي يُمثّلها - ناهيك عن القيادة الديمقراطية - السياسة الأميركية بعدم التدخل في سوريا. ويميل ذلك الاتجاه الواسع للسياسة الأميركية، الذي يضم النسبة الأكبر من الديمقراطيين ونسبة كبيرة من الجمهوريين، إلى دعم التوصل إلى تسوية سياسية بوساطة دولية للصراع القائم في سوريا، على الرغم من أن تلك العملية قد تستمر لأجل غير مسمى. ومن المحتمل أن تذعن هذه الكتلة لسياسة «احتواء» إيران النووية، بدلاً من مواجهتها عسكرياً. وتتطابق تلك السياسة مع غرائز سياسية حالية ويدعمها خبراء أميركيون محترمون توصلوا إلى أن الاحتواء هو الخيار الأقل سوءاً. ومن بينهم كينيث بولاك، الذي عمل في السابق بوكالة الاستخبارات المركزية كمحلل عسكري، علاوة على كونه عضواً بمجلس الأمن القومي، وهو في الوقت الحالي كبير زملاء في مركز سابان لسياسات الشرق الأوسط بمؤسسة بروكنغز، ومؤلف كتاب سوف يصدر قريباً يتناول فيه خيارات السياسة الأميركية تجاه إيران. وعن آرائه يقول بولاك: «أعتقد أن الحل الصحيح لأزمة برنامج إيران النووي يتمثل في التوصل إلى تسوية عن طريق التفاوض، (ولكن) إذا لم نكن قادرين على التوصل إلى مثل هذا النوع من الاتفاق مع الإيرانيين، فإنني أفضل خيار احتواء إيران، والأفضل احتواؤها ونحن قادرون على خرق ذلك، بدلاً من احتوائها في ظل امتلاكها لترسانة نووية فعلية مجهزة.. إنني أقول ذلك من منطلق أنني أحد الأشخاص الذين قاموا بدراسة الخيارات العسكرية جيداً، ولا أؤمن أن الخيارات العسكرية هي خيارات غبية أو مجنونة أو أن الأشخاص الذين يدافعون عنها هم أشخاص أغبياء أو يتسمون بالجنون.. ولكنني أشعر أن مخاطر احتواء إيران وتكاليف ذلك - حتى إن كانت إيران النووية - لا تزال مُفضلة عن التكاليف والمخاطر التي ستنكبدها إثر شن حرب مستمرة

وهنا نجد مزيداً من التوضيح للفجوة المعرفية في واشنطن بشأن العالم العربي؛ فمن الواضح أن منطق ماكين يقوم على المقارنة الإشكالية بين المجتمع المصري من جانب والسياسة الداخلية لسوريا والجزائر من الجانب الآخر. ومن جانبهم، فإن مؤيدي الإخوان في واشنطن يستغلون هذه الفجوة المعرفية بالفعل.

واستشرافاً للمستقبل، فإن التساؤل الذي يواجه العرب ذوي الرؤى المختلفة بشأن المنطقة، هو كيف سيكون في استطاعتهم توصيل أصواتهم لواشنطن.

ربما توجد بدايات الإجابة على التساؤل بين هؤلاء المحللين السياسيين الذين يدركون تماماً لخطر الخفايا التي تجهلها الولايات المتحدة الأميركية عن الشرق الأوسط. أعربت ميشيل دن، مدير مركز «رفيق الحريري» للشرق الأوسط في المجلس الأطلسي، عن آمالها في توسعة العلاقات الأميركية مع المجموعات المعتدلة بالمنطقة وتقديم الدعم لها. وقالت: «أعترف أن الوضع السياسي مُحير. فهو يشمل تغيراً في اللاعبين السياسيين في دول مثل تونس ومصر وليبيا. وهناك بعض البرامج (الأميركية) التي تهدف إلى تقديم النصح والمساعدة وما إلى ذلك، ولكن كي أكون أمينة، لا أعتقد أنها تتناسب مع حجم التحدي القائم».

الاختلال الديني والوطني والتدخلات التقسيمية

رضوان السيد - الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٤

كان المشهد نزاعياً جداً من حول الأزمة السورية. فالخلاف لم يقتصر على التجاذب الأميركي والأوروبي من جهة، والروسي والصيني من جهة ثانية. بل تعدى الأمر ذلك إلى الإيرانيين وأتباعهم الذين يتفقون على الأسد ونظامه ويقاتلون معهما، والأتراك الذين صاروا يعادون النظام السوري، ويساعدون المعارضة السياسية، لكنهم لا

نجد أن القائد الصاعد للمدرسة التي تتبنى مبدأ التدخل هو حاكم نيو جيرسي كريس كريستي، وهو المنافس المحتمل لراندي بول. وخلال الأسبوع الماضي، في خطاب شهير، انتقد كريس «التحررية» بشدة في كلا الحزبين قائلاً: «باعتباري مدعي عام سابق قام بتعييني الرئيس جورج دبليو بوش في اليوم الموافق العاشر من سبتمبر (أيلول) لعام ٢٠٠١، فإنني أرغب في أن أكون حذراً حقاً، لأن النزعة التحررية المنتشرة في الوقت الحالي في كلا الحزبين وتتصدر عناوين الأخبار تعكس، في اعتقادي، فكراً خطيراً للغاية».

أما فيما يتعلق بالوضع في مصر، فلا يوجد من يؤيد التدخل فيه مثل جون ماكين - المدافع بقوة عن تقديم الدعم للشوار في سوريا - الذي أحبط العديد من العرب الذين يدعمون الحملة المستمرة التي يشنها الجيش المصري ضد الإخوان. في الأسبوع الماضي، انضم ماكين لراندي بول وآخرين في وصف عملية الإطاحة بمرسي باعتبارها «انقلاباً عسكرياً»، ودعا الولايات المتحدة الأميركية لقطع المعونات العسكرية الكبيرة التي تقدمها إلى مصر.

وعلى الرغم من أن العديد من العرب يرون أن مواقف ماكين تجاه مصر وسوريا تحمل تناقضاً، فإن التمعن في تصريحاته حول البلدين يوضح أن هذه التصريحات تأتي من مصدر واحد في عقله. يوضح ماكين تصوره للمشهد في سوريا بأنه خليط من التدخل الإنساني وبذل الجهد بهدف منع الجهاديين من السيطرة على المشهد. وسواء كان ذلك صحيحاً أم خاطئاً، فإن لديه مخاوف بشأن مصر: ففي الأسبوع الماضي، أشار ماكين إلى أن «الإخوان المسلمين.. يختبئون» نتيجة للحملة القاسية التي يشنها الجيش ضدهم. ويوضح ماكين مخاوفه من أن حرمان الإخوان المسلمين من حقوقهم سوف يؤدي إلى نشوب حرب أهلية جديدة في مصر، وربما تحشد جمعاً غفيراً جديداً من الجهاديين الدوليين أيضاً.

ليس من شك أن العرب على وجه الخصوص (إلى جانب بعض الشعوب الإسلامية الأخرى) يعانون من اختلالات وطنية / قومية ودينية.

وهناك عوامل مختلفة أدت إلى هذين الاختلالين أو الاختلالات. فمن الجانب القومي، أدت تطورات الدولة الوطنية العربية بعد استيلاء العسكريين عليها، وإلغاء الانتخابات والدستوريات، إلى سيطرة أقليات إثنية ودينية وثقافية وجغرافية / محلية على السلطة، وغلبة الأمن واعتباراته على مدى عقود، إلى شذمة الصف القومي ثم الوعي القومي ثم الوعي الوطني ولدى العامة بالذات. ولذلك فقد قامت تحالفات واعية ضمن السلطة بين الأقليات من الأنواع السالفة الذكر، تقودها دائما أقلية قائمة يستتر مقدمها باللباس العسكري، وفي سوريا والعراق وليبيا والجزائر والسودان وتونس وموريتانيا وحتى لبنان. وفي أواسط التسعينات من القرن الماضي، بدا التشردم الوطني والقومي في ذروته، إلى الحد الذي صار يظن أن استمرار الطغمة الحاكمة هو الضابط الباقي لوحدة الأوطان والسلطات (١). ولذلك فإن المفكر المعروف محمد جابر الأنصاري سخر في التسعينات من مقولة أرنولد توينبي العائدة إلى أواخر الخمسينات من القرن الماضي، والتي تقول، إن «العرب هم الأكثر توحدا في العالم من سائر النواحي والوجوه، ولذلك لن يأتي عام ١٩٧٤ إلا وقد أقاموا دولة واحدة!» وعندما قامت الثورات العربية أخيرا اندعرت سائر الأقليات بسوريا ولبنان والعراق (الأكراد) والسودان، باعتبار أن حركة الأكثرية العربية في المنطقة تهدد سلطات تلك الأقليات وامتيازاتها. بيد أن أحدا لم يجرؤ على الحركة في الشهور الأولى، بسبب الفوز الأكثري في مصر وتونس، والتدخل الخارجي في ليبيا. إنما جرأت روسيا التي شعرت بالإهانة في ليبيا، إيران والآخرين (بما في ذلك النظام الجزائري) على تبيان ميولهم الحقيقية. وهكذا تدرج الدعم الإيراني من المال والسلاح وخبراء الحرس الثوري، إلى الإعلان صراحة عن

يريدون مخاصمة طهران رغم انزعاجهم منها لعدة أسباب منها السوري، ومنها الكردي، ومنها العراقي. وقد أتت فترة خيل فيها لعدة أطراف أنه ما عادت هناك مصلحة لأحد باستمرار النزاع والحرب إلا للطرف الإيراني الذي يعرف أن الوقت سيحل عندما لا يعود هناك إمكان للخروج من النووي وحصاراته غير المسالمة والتفاوض. إنما عندما يأتي ذلك الوقت، أي أوراق تكون بيده؟ طبعاً العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن... إلخ. وكل هذه البلدان عربية، والمشارك بينها وهو الذي استطاعت إيران استخدامه: وجود شيعية (عرب بالطبع) فيها. وما دام الأمر كذلك، فإن هذه الجهود الإيرانية الهائلة على مدى عقدين وأكثر قد أن أوان استثمارها في تسوية الملف النووي. ولذا فإنه في الوقت الذي عرض فيه الرئيس روحاني على الغربيين التفاوض الودود في خطابه للأمم المتحدة؛ فإن الحرب ازداد اشتعالها في سائر البلدان العربية التي ذكرناها، والتي لايران فيها يد ورجل!

هناك من يخاف ويраهن على المبادلة أو

المقايضة: تؤجل إيران النووي العسكري، وتحصل على صفقة بالبقاء والنفوذ في سوريا والعراق ولبنان. أما اليمن والبحرين - بحسب هذا الرأي - فإن إيران ستخرج منهما من أجل تسوية محتملة مع دول الخليج! بيد أن هناك من يقول: إن إيران تريد الخروج من النووي من أجل التخلص من الحصار، وليس من صالحها - بخلاف الفترة السابقة - تنصيب الشيعة أعداء للسنة في بلدانهم، كما أنه لم يعد بمقدورها إنفاق المليارات من الدولارات على الأسد وحزب الله وحتى في العراق! ولذلك فإن مقاربة روحاني جديدة وليست تساووية مثلما كان عليه الحال طوال أيام نجاد. إنما، أيا كان السبب، وأيا كانت النتيجة، يبقى السؤال المشروع: لماذا استطاعت إيران نشر الاضطراب في العالم العربي (حتى في مصر وفلسطين ودون وجود شيعية)، وما أمكن لأحد أن يززع استقرارها الداخلي رغم تنوعه الشديد؟

البعد المذهبي (الأقلوي) للصراع: حماية المزارات الشيعية ومقاتلة التكفيريين! وبذلك فقد انتهت كل دعاوى المقاومة والممانعة، وقالت إيران إنها بصدد حماية الشيعة والأقليات الأخرى (ومنها العلويون) من فتك السنة بهم وتكفيرهم لهم. وهنا نصل إلى الاختلال الديني بعد الاختلال القومي والوطني.

إن فئات معتبرة من شبان السنة والشيعة هم في حالة ثوران منذ ثلاثة عقود ونيف. وقد استولت إيران على الثوران الشيعي من طريق الإنفاق الكثيف، والاستنفار الكثيف، ثم الاستخدام الكثيف لصالح الدولة القومية الإيرانية في مواجهة «العرب السنة». والطريف أنه بدلا من الحديث دوليا عن إرهاب الدولة الإيرانية على مدى أكثر من عقدين، وفي ديار العرب، وبعض ديار العالم، نجد أن أوباما يعتقد فجأة أن كل المشكلات مع إيران منذ أكثر من ٣٠ عاما يمكن أن تجد حلا خلال أشهر!

على أي حال، ليست العلاقات الأميركية - الإيرانية هي الموضوع هنا. بل الموضوع الثاني بعد الاختلال الوطني والقومي عند العرب، هو الاختلال الديني. فهناك انشقاق عميق في قلب الإسلام السني وهو ذو شقين: الشق الجهادي وهو الأخطر ظاهرا، وهو الذي اصطدم بالولايات المتحدة وسائر الأنظمة العربية من قبل، وهو يركز الآن (أكثر مما ركز بالعراق في عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦) على العداء للشيعة في سائر الأنحاء وأبرز المواطنين سوريا والعراق. أما الشق الآخر فهو الشق الحزبي أو التنظيمي وهو يتمثل في تنظيمات الإخوان المسلمين التي اصطدمت بالأنظمة العربية، لكنها لم تمارس عنفا على شاكلة الجهاديين. بيد أنها كانت الأكثر تأثيرا في تحويل المفاهيم الدينية وإنتاج الإسلام السياسي الأصولي حتى الشيعي منه على مدى ٤٠ عاما وأكثر. فقد اصطنع الإسلام الحزبي والمسيح هذا مقولة الدولة الإسلامية،

وليس بمعنى البلاد التي فيها أكثرية إسلامية، بل إنه النظام السياسي الذي يكتسب شرعيته من طريق تطبيق الشريعة. هناك إسلام جديد فرض نفسه على الأخلاق والمجتمعات، وهو غريب جدا عن التقاليد العريقة للعرب والمسلمين في العيش والتصرف. ولا شك أن الجوانب الشعائرية والرمزية منه لها علاقة برد الفعل على الحداثة والعولمة. بيد أن الجوانب العقائدية/ السياسية صعبة التعليل وتتطلب التأمل العميق لأنها استطاعت إنتاج نظرية لدولة دينية في الإسلام، بحيث صار دين الأمة في نظر كثيرين لا يكتمل إلا بهذه الدولة!

إن خلاصة الأمر أن العرب يعانون من ضعف في الوعي القومي والوطني الذاتي وبخاصة ضمن الفئات الشابة، كما يعانون من اختلال في الموازين الدينية، بحيث صارت القومية وصار الدين يستخدمان ضدهم (١) وهذا غريب جدا لأن العرب من أقدم الأمم التي أنجزت وعيا تكامليا بين الاتي والثقافي والديني.

ما أسهمت الثورات العربية حتى الآن في تجديد الوعي الوطني والقومي، ولا أسهمت في ضبط الثوران الديني. ولا شك أن التصرفات الدولية والإيرانية كانت ولا تزال بين عوامل الاستنزاف وإحباط الوعي المستتير في الشأنين القومي والديني. لكن هذه الأصوليات والانشقاقات المتصارعة بالداخل الفردي والمجتمعي العربي تتجاوز أفاعيل الدوليين والإيرانيين إلى تشكك عميق بالقدرات، والعجز عن اجترار المبادرات والخيارات الأخرى. وهذه ظاهرة خطيرة يكون علينا جميعا الانشغال بها.

تتجمع مؤشرات لافتة على أن التقاطعات الأمريكية - الإيرانية التي شكلت العامل الأساس في إسناد السلطة إلى رئيس الوزراء الحالي نوري المالكي قبل ثلاث سنوات، سقطت سقوطاً كاملاً، وعلى مسافة أشهر قليلة من انتخابات ٢٠١٤ البرلمانية، كل شيء يدل على أن حسابات ما بعد المعركة لا تشبه ما قبلها.

آخر الأدلة على هذه الحقيقة يمكن تلمسها من نوري المالكي نفسه، الذي ألغى في اللحظة الأخيرة الرحلة التي كان ينوي القيام بها إلى نيويورك لأن باراك اوباما اعتذر، للمرة الثانية في أقل من عام عن استقباله، رغم أن الأجواء الأمريكية الإيرانية أفضل من أي وقت مضى، منذ أكثر من عشر سنوات.

قد سجل المراقبون أن رئيس الوزراء العراقي قرن هذا الإلغاء بعبارات عصبية اذ قال مخاطباً أخصامه السياسيين: إنه «القتل على الهوية... لكن مهما فعلتم لن تتسلموا السلطة».

وليس سرا أن الرئيس الأمريكي كان قد رفض قبل عام بالتمام والكمال، ترتيب لقاء مع رئيس حكومة العراق، اثر طلب قدمه مكتب المالكي، عبر الأتنية الدبلوماسية، يومذاك امتنع الرجل عن المشاركة في الدورة الـ ٦٧ للجمعية العامة للأمم المتحدة، ولم يوضح مكتبه الأسباب التي حملته على هذا القرار.

وفي محاولة للتمويه على هذه الحقيقة تطوعت أوساط رئيس الحكومة يومذاك بالقول أن «المالكي لم يتلق دعوة لألقاء كلمة العراق» وكأن الحكومة الأمريكية هي التي توجه الدعوات لحضور جلسات الدورة العادية للجمعية العمومية.

من جهتها سربت مصادر البيت الأبيض في حينه (أيلول ٢٠١٢) أن الرئيس الأمريكي أراد أن «يعاقب» المالكي على السماح للطائرات الإيرانية بعبور الأجواء العراقية، كي تنقل الأسلحة والمعدات والمقاتلين إلى سوريا، دعماً لنظام الرئيس بشار الأسد.

وفي اقتناع المراقبين والمحللين الأمريكيين أن موقف الإدارة الأمريكية البالغ التحفظ من حكم المالكي، لا يقتصر على تعاونه الإستراتيجي مع إيران في مساندة النظام السوري، وانما يتجاوز هذا التعاون إلى اهمال أو إسقاط كل التفاهات التي وقعتها واشنطن وبغداد قبل الانسحاب الأمريكي من العراق، وهي تفاهات تشكل في مجموعها «اتفاقية الإطار الإستراتيجي» (تشرين الثاني ٢٠٠٨) التي تحكم العلاقات الأمريكية - العراقية في مرحلة ما بعد الانسحاب.

وفي اقتناع المسؤولين الأمريكيين أن المالكي لم يفعل شيئاً للحفاظ على الاتصال الوثيق بالولايات المتحدة، وانما فعل كل شيء لمنع واشنطن من الاحتفاظ بما تبقى لها من مصالح ونفوذ في العراق كما في جوار العراق.

ويبدو أن الولايات المتحدة تشعر أن أمامها فرصة جديدة لإعادة تنشيط علاقاتها مع العراق من خلال «اتفاقية الإطار الإستراتيجي»، كما أن أمامها فرصاً أخرى لتنفيذ مشاريع ذات آثار كبيرة على العلاقات الثنائية بين البلدين على المستويين الأمني والنفطي معاً.

وتقول مصادر البيت الأبيض أن الانتخابات التي يستعد لها العراق في ربيع ٢٠١٤ محطة مهمة في إعادة «تصويب» العلاقات الثنائية، وان مرحلة ما بعد المالكي يفترض أن تتيح هذا التصويب.

ويرى العديد من المراقبين أن الولايات المتحدة ساعدت عقب انتخابات ٢٠١٠، على انعطاف عملية تشكيل الحكومة في اتجاه المالكي،

ودعمته ظلماً منها أنه قادر على المحافظة على الاستقرار الداخلي، لكن التجربة قادت واشنطن إلى استنتاجات معاكسة تماماً، بدليل الأحداث والأزمات الهائلة التي يمر بها العراق اليوم، بعدما بات استمرار المالكي في الحكم مرادفاً لكل الكوارث الصغيرة والكبيرة.

هل بدأ العد العكسي لاستبدال نوري المالكي؟

أوساط البيت الأبيض تصر على أن انتخابات ٢٠١٤، تعتبر «لحظة نجاح أو فشل»، على مستوى العلاقات الأمريكية - العراقية، في الوقت الذي تتسارع المشاورات الدولية لإعادة تركيب المنطقة أمنياً وسياسياً وإستراتيجياً.

وتضيف أن «زيادة التعاون الثنائي، قبل هذه الانتخابات، أو في معرض التحضير لها، يعتبر أفضل وسيلة لإعادة بناء التعاون الأمريكي - العراقي على أسس أكثر وضوحاً». وكل هذا يعني أن مرحلة المالكي انتهت أو تكاد أن تنتهي، في المنظور الأمريكي على الأقل.

مستقبل العلاقات الإيرانية - الأفغانية بعد فوز حسن روحاني

تامر بدوي - مجلة مختارات إيرانية - يوليو ٢٠١٣

كانت أفغانستان تاريخياً جزءاً من الأراضي الإيرانية، وفي القرن التاسع عشر في العصر القاجاري سعت بريطانيا لفصل أفغانستان عن إيران لتحويلها إلى منطقة عازلة بينها وبين الهند وذلك لخشية بريطانيا من تهديد الروس للهند عبر أفغانستان. مما دفعها إلى خوض حربين مع إيران هُزم فيهما القاجار.

وبموجب اتفاقية ١٨٥٧م مع بريطانيا انفصلت أفغانستان نهائياً عن الحكومة المركزية، ومع صعود طالبان للحكم سادت

علاقة عدائية بين طالبان والجمهورية الإسلامية ودعمت إيران إسقاط حكم طالبان، ومع دخول قوات التحالف سادت علاقة معقدة ومركبة بين إيران ومختلف القوى الفاعلة في الساحة الأفغانية. وقد حاولت إيران على مدار أكثر من عشر سنوات تحقيق توازن بين مختلف القوى بالطريقة التي تحقق مصالحها الإستراتيجية اقتصادياً وأمنياً، ومع انسحاب قوات التحالف من أفغانستان يبرز أمام الرئيس الإيراني المنتخب حسن روحاني تحدي التعامل مع المشهد الأفغاني وتغيير قواعد اللعبة، وهو ما سيجعل النظام الإيراني يسعى لتقديم نفسه كوسيط بين مختلف القوى، يمكنه أن يلعب دوراً في رسم الخريطة السياسية المقبلة، ومن ثم تأمين مصالحه الإستراتيجية والأمنية.

ويمكن استشراف مستقبل سياسات طهران تجاه أفغانستان في عهد الرئيس حسن روحاني من خلال دراسة السياسات الإيرانية تجاه الملف الأفغاني في سياق التنافس الإقليمي، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على استقبال الصحف الأفغانية للانتخابات الإيرانية وفوز حسن روحاني برئاسة إيران.

من المتوقع أن تتمركز السياسة الخارجية الإيرانية تجاه أفغانستان في عهد الرئيس حسن روحاني تزامناً مع انسحاب قوات التحالف حول أربعة محاور:

- ١- تعزيز التعاون مع حامد كرزاي وخليفته الذي سيأتي بعد الانتخابات الرئاسية القادمة، وذلك دون التخلي عن دعم الحلفاء الأفغان من مختلف الفصائل.
- ٢- المساهمة الفعالة في عملية إعادة البناء الأفغانية لتشكيل «مناطق نفوذ».
- ٣- محاولة إيران إبعاد صناعة القرار في النظام الأفغاني عن النفوذ الأمريكي.
- ٤- التعاون من الحكومة الأفغانية للسيطرة على المناطق الحدودية لمنع تهريب المخدرات إلى

والآراء السياسية المناصرة للنظام الإيراني. وتسهم إيران في بناء المكتبات العامة والمدارس والعيادات وتمهيد الطرق وتقديم مختلف الخدمات للمواطنين الأفغان، وتنشط المؤسسة في جميع المقاطعات والمدن الإيرانية وخاصة المناطق التي ينتشر فيها الهزارة (غور وهرات). ومن المعتقد أن جهاز الاستخبارات الإيرانية يستخدم المؤسسة كغطاء له في أفغانستان، وتسعى إيران لاحتواء وسائل الإعلام الأفغانية الوليدة حيث يحاول الدبلوماسيون الإيرانيون العاملون في كابول توجيه عدد من الصحف والمحطات التلفزيونية نحو خطاب داعم لإيران والابتعاد عن الدائرة الأمريكية. كما تستخدم إيران عدداً من الوسائل غير المباشرة لنشر نفوذها في أفغانستان في محاولة لتقليص النفوذ الأمريكي من خلال تقديم خدمات تحقق من خلالها شعبية على الأرض.

إن أحد أولويات صناع قرار السياسة الإيرانية تجاه أفغانستان تشكيل منطقة نفوذ اقتصادي لنشر نفوذها من ناحية ولجعل أفغانستان معبر بري لنقل البضائع الإيرانية لبقية مناطق آسيا الوسطى من ناحية أخرى. وقد بدأت هذه السياسة الإيرانية عقب الاحتلال الأمريكي فني مؤتمر طوكيو ٢٠٠٢ منحت إيران مبلغ ٥٦٠ مليون دولار للإسهام في عملية إعادة البناء وفي مؤتمر لندن عام ٢٠٠٦ منحت إيران مبلغ ١٠٠ مليون دولار. وفي عام ٢٠١٠ قدرت المفوضية الأوروبية حجم التبادل التجاري بين البلدين بأحد عشر مليون دولار، فيما صرح الرئيس حامد كرزاي في نفس العام بأن حجم التبادل التجاري وصل إلى ١.٥ بليون دولار. تعتبر إيران أفغانستان شريكها التجاري الخامس. وتركز الاستثمارات الإيرانية في غرب أفغانستان في مدينة هرات القريبة من الحدود الإيرانية (التي يسكنها عدد كبير من الطاجيك والهزارة)، وتتنوع الاستثمارات الإيرانية بين بناء الطرق والكباري، قطاع التعليم، الزراعة، الاتصالات والطاقة، ووفقاً للغرفة التجارية الأفغانية

وتعتمد إيران لتحقيق هذه الأهداف على عدة وسائل تتراوح بين «القوة الناعمة» و«الدعم العسكري للحلفاء الأفغان». من هنا ستتشكل سياسات إيران المزدوجة خلال، الخطاب السياسي المرن الذي يتبناه حسن روحاني تجاه النظام الأفغاني من جهة، ومن خلال القوى والمؤسسات المتمركزة حول المرشد الذي يحركها الرجال المقربين من القيادة، والتي تعمل بشكل مستقل عن الرئيس في التعامل مع الملف الأفغاني في دعمها للقوى الأفغانية من مليشيات وقبائل من جهة أخرى. أما بالنسبة لأشكال ووسائل النظام الإيراني لتحقيق أهدافه في أفغانستان فتتقسم لثلاثة مستويات:

أولاً: الخطاب السياسي: يعتمد هذا المستوى على تحفيز الرئيس للنظام الأفغاني على التقارب من خلال اعتماد خطاب سياسي ودي يعتمد على التقارب المصلحي، ويستحضر المكون الثقافي والجغرافي كأساس للتقارب والتعاون بين البلدين، يلعب الدعم المادي لمسؤولي النظام دوراً في عملية التأثير حيث كُشف في عام ٢٠١٠م عن إرسال إيران لمبالغ مالية بصورة دورية لمكتب الرئيس حامد كرزاي ونواب في البرلمان بالإضافة إلى عدد من مسؤولي الأقاليم (هو أقرب ما يكون إلى الرشوة)، في مؤتمر صحفي صرح كرزاي بعد أن سألته أحد الصحفيين بأن إيران ترسل مرة أو مرتين سنوياً مبلغ يتراوح بين نصف مليون وسبعمئة ألف يورو.

ثانياً: القوة الناعمة: تلعب مؤسسة الإمام الخميني الإغاثية «كميته إمداد إمام خميني» دوراً بارزاً في نشر النفوذ الإيراني في أفغانستان كإحدى وسائل القوة الناعمة التي تستخدمها طهران، توظف المؤسسة ما يقرب من الثلاثين ألف موظف يعملون في أفغانستان، وتقدم المؤسسة دعماً مادياً للمواطنين الأفغان كسلف لبناء المنازل، معونات شهرية أو مواد غذائية وطبية بالإضافة إلى الدورات التعليمية، وتعمل المؤسسة على نشر الأفكار

تنشط ٢٠٠٠ شركة إيرانية (تتبع للقطاع الخاص) في مختلف القطاعات الاستثمارية في أفغانستان. وتركز الجهود الإيرانية على ربط المدن الإيرانية بهرات عن طريق خطوط السكك الحديدية والطرق لتنشيط حركة التجارة والنقل. بالإضافة إلى استخدام إيران للاستثمار كأداة لتحفيز ودعم النظام وتستخدمه أيضاً كأداة للضغط، في عام ٢٠١١ اندلعت تظاهرة في هرات ضد قطع الوقود الإيراني الذي أدى إلى قفز سعر الوقود إلى ٦٠٪ من سعره وقفز إلى ٣٥٪ في كابل. ويميل ميزان التعاون التجاري بين البلدين لصالح إيران خاصة أن أفغانستان تحصل على نصف احتياجاتها من الوقود من إيران، وهو ما يجعل الضغط الإيراني على أفغانستان وسيلة فعالة للضغط على المصالح الأمريكية.

ثالثاً: دعم بعض الفصائل الأفغانية: تعتمد الجمهورية الإسلامية في تحقيق مصالحها في أفغانستان على دعم عدد من الميليشيات والفصائل عسكرياً للحفاظ على ميزان القوى الداخلية، وذلك من خلال قوات الحرس الثوري الإيراني. يُعتبر الشيعة الهزارة حليف إيران الأكثر قرباً (يشكل الهزارة أكثر من ١٠٪ من سكان أفغانستان) حيث تربطهم بإيران روابط اقتصادية ودينية وثقافية قوية، بدأ الدعم الإيراني للهزارة منذ الغزو السوفييتي لأفغانستان حيث بدأت إيران تمتد ميليشيات الهزارة بالسلاح والمدربين والخبراء من وحدة قوات القدس (قوات النخبة في الحرس الثوري الإيراني). بالإضافة إلى الهزارة دعمت إيران الطاجيك (الذين كانوا الفصيل المهيمن على تحالف الشمال الذي تكون من الطاجيك - الأوزبك - الهزارة) ضد حركة طالبان، بل أحياناً دعمتهم ضد الهزارة في التسعينيات (إحدى تجليات برجماتية النظام). إذاً تحافظ إيران على ورقة الدعم العسكري كوسيلة لحفظ توازن الداخل الأفغاني لضمان تحجيم حركة طالبان، بل وحتى الحفاظ

على التوازن بين الفصائل الحليفة بقدر الإمكان.

لا شك أن حسن روحاني سوف يعمل على استكمال ما بدأه الرئيس الأسبق محمد خاتمي حيث يُشار إلى أن إيران فتحت مجالها الجوي لممر الطائرات الأمريكية إلى أفغانستان عبر وساطة الأمم المتحدة وسمحت للقوات الأمريكية باستخدام أراضيها لنقل المساعدات الإنسانية. كما بدأت إيران في فتح قنوات مع الولايات المتحدة فيما يختص بالشأن الأفغاني بعد الغزو الأمريكي حيث شاركت إيران في مؤتمر بون بألمانيا (الذي رعته أمريكا) الذي عقد بحضور قادة تحالف الشمال (حظي التحالف بالدعم الأمريكي والإيراني)، وقد توافق الإيرانيون والأمريكان بعد مفاوضات على دعم حامد كرزاي. في سباق متصل صرح المبعوث والمفاوض الأمريكي جيمس دوبينز بأن إيران تعاونت بشكل كامل مع الولايات المتحدة في الملف الأفغاني حيث عرض المفاوض الإيراني المساعدة في إعادة بناء الجيش الأفغاني تحت الإشراف الأمريكي. ومع اقتراب رؤية روحاني وتوجهه الوسطي الإصلاحي من فكر خاتمي وسياسته يمكن التنبؤ بإمكانية التعاون المستقبلي بين إيران والولايات المتحدة في عملية الانسحاب وتعزيز الأمن إذا استطاع روحاني إقناع خامنئي في الحصول على قدر من التنازلات والمكاسب من الولايات المتحدة سواء في أفغانستان أو على صعيد ملفات أخرى.

ويمثل التعاون مع طالبان مدخلاً آخر للحركة الإيرانية حيث أعلنت حركة طالبان عن زيارة وفد من المسؤولين في أواخر شهر مايو ٢٠١٣ رغم نفي الحكومة الإيرانية الزيارة. في حين تبرز أهمية هذه الزيارة تزامناً مع انسحاب قوات الاحتلال من أفغانستان وأهمية دور إيران في تأمين انسحابها.

فرغم تقلب العلاقة بين طالبان والجمهورية الإسلامية واتسامها بالعداء إلى حد ما، إلا أن برجماتية الطرفين كانت حاضرة دائماً للتعاون

اتجاه أفغانستان بل بقية الملفات الإقليمية والدولية اعتماداً على التوقعات بمدى إمكانية التفاهم بين الرئيس والمرشد ومراكز الثقل في مؤسسات صناعة القرار.

كما كتب مختار مسرور في جريدة ٨ صبح مقالاً بعد فوز روحاني تحت عنوان «ما سيفعل روحاني؟». في هذا المقال يرى مسرور أنه على روحاني معالجة الإشكالات التي تعيق تطور العلاقات بين البلدين والتي تتمثل في:

- ❖ ممارسة إيران التمييز في حق اللاجئين الأفغان في إيران والسلوك العنصري الذي تنتهجه اتجاههم.

- ❖ استفادة النظام الإيراني من اللاجئين الأفغان في إيران كوسيلة للضغط السياسي على الحكومة الأفغانية.

- ❖ استضافة إيران لعدد من المرات وفود ممثلين سياسيين من حركة طالبان في الوقت الذي تتخبط في لعب دور تجاري واستثماري في أفغانستان.
- ❖ سعي إيران إلى إثارة الوضع المذهبي في أفغانستان عبر دعم القوى الأصولية ومحاولة زعزعة الاستقرار في المدن الكبرى الأفغانية.

يتجاوز تأثير انتصار حسن روحاني في الانتخابات في نظر المراقبين الأفغان إلى ما وراء السياسات الإيرانية ليمتد إلى تأثيرها على مستقبل الانتخابات الأفغانية القادمة التي ستديرها الحكومة الأفغانية المدعومة من قوات التحالف والقوى الغربية. حيث كتب حفيظ الله زكي في صحيفة روزنامه أفغانستان مقال باسم «أفغانستان والانتخابات في الدول المجاورة»، يرى حفيظ الله زكي أن لصعود نواز شريف رئيساً للوزراء في باكستان وحسن روحاني رئيساً للجمهورية تأثيراً هاماً على مستقبل أفغانستان، حيث تواجه أفغانستان عدداً من الإشكالات في التعامل مع هاتين الدولتين كالخلافات الحدودية للاجئين الأفغان، مستقبل العلاقات الأفغانية مع الولايات المتحدة واستمرار بقاء قوات التحالف في إطار

وقت الحاجة. فاستمرار بقاء الحركة كان ضرورياً بالنسبة لطهران كموازن لخريطة القوى. لأن استمرار الحركة يعني تحجيم النفوذ الأمريكي وبقاء النظام الأفغاني في حاجة مستمرة لطهران، إلا أن إيران تستمر في دعمها القوي للمليشيات الهزارة والطاجيك حتى تضمن تحجيم طالبان أيضاً. فلا تكون قوية بالشكل الذي يهدد الحكومة المركزية بالكامل أو ضعيفة بالشكل الذي يسمح بسيادة النفوذ الأمريكي. تزامناً مع الانسحاب الأمريكي وإعادة تشكيل المشهد السياسي الأفغاني مع اقتراب موعد إجراء الانتخابات الرئاسية الأفغانية.

رابعاً: استقبال الصحف الأفغانية للانتخابات

الإيرانية وفوز روحاني: كتب ظفرشاه روبي قبل الانتخابات الإيرانية بيوم مقالاً في جريدة ٨ صبح الأفغانية باسم «العلاقات الإيرانية الأفغانية بعد الانتخابات»، أورد فيه رأيين فيما يخص مستقبل السياسات الخارجية الإيرانية اتجاه أفغانستان. الرأي الأول: أورد فيه رأي الأستاذ فريدون هاشمي الذي ذهب إلى أن التيار الإصلاحي يسعى إلى تحسين العلاقات الإيرانية مع دول الجوار، وفي حالة فوز مرشح إصلاحي فإن الوضع الأمني في أفغانستان سيتحسن، لأن تقارباً بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية سيؤثر حتماً على الوضع الأمني في أفغانستان، أما في حالة فوز مرشح من المعسكر المحافظ فإن فريدون يرى إمكانية تغيير المحافظين لرؤيتهم تجاه الولايات المتحدة ومن ثم أفغانستان.

الرأي الثاني: يشك الأستاذ مير محمد جوينده في تغيير النظام الإيراني لسياساته بعد الانتخابات وعلى العكس يرى أن إيران ستواصل سياساتها الانتقامية اتجاه الولايات المتحدة في أفغانستان، أما في حالة فوز مرشح إصلاحي فيرى جوينده احتمالية خروج إيران من عزلتها وتحسين علاقاتها بدول الجوار، ولكن في النهاية للمرشد قراره. ويمكن القول إن هذين الرأيين هما الرأيان السائدان في التنبؤ بمستقبل سياسات إيران الخارجية ليس فقط

نحو شركة مضاربة أميركية - إيرانية؟

راجع الفوري - الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٤

كمن لم يصدق قال باراك أوباما: «لقد تحدثت لتوي منذ قليل مع الرئيس الإيراني حسن روحاني، وإننا مستعدون لحل شامل مع إيران». بدا الأمر أشبه بتهافت من «الشيطان الأكبر» على شعار «المرونة البطولية»، الذي كان علي خامنئي قد أعلن عنه عشية سفر روحاني إلى الأمم المتحدة حاملاً تفويضاً كاملاً، بما أوحى أن سياسة «الانفتاح» تحظى بمباركة من المرشد.

بعد عودة روحاني إلى طهران اشتعلت موجة من الانتقادات الموجهة إليه لأنه رد على الاتصال الهاتفي مع أوباما، فلم يكتفِ قائد الحرس الثوري محمد علي جعفري بالقول، كان عليه ألا يرد على الاتصال كما امتنع عن اللقاء مع أوباما، بل أضاف: «إذا لاحظنا أخطاء لدى المسؤولين فإن القوات الثورية ستوجه التحذير الضروري!».

المشير للسخرية أن التعليقات الإيرانية على الاتصال الذي بدا مقدمة لكسر ٣٤ عاماً من القطيعة والعدا، جاءت على شكل تقرير لأميركا، ليس من العسكريين الذين رأوا أنه «لا يمكن نسيان عدوان الولايات المتحدة عبر اتصال وابتسام»، بل من وزير الخارجية محمد جواد ظريف الذي لم يتردد في القول لقناة «إيه بي سي» بعد الاتصال الهاتفي: «إن إيران مستعدة لمسامحة أميركا وإن كانت لا تستطيع أن تنسى عقوداً من الارتياح بين الجانبين!».

اتفاقية أمنية. من جهة أخرى لاقترب هذه الدول من أفغانستان ثقافياً واقتصادياً، يمكن أن تشكل الانتخابات التي جرت فيها أنموذجاً تستفيد منه أفغانستان. لكن على خلاف الرؤية المعادية للسياسة الإيرانية اتجاه أفغانستان، يقول حفيظ الله زكي: «في الإحدى عشر سنة الماضية، على الرغم من العداء بين إيران والولايات المتحدة، فإن إيران نظمت علاقاتها مع الحكومة الأفغانية بشكل مختلف ولم تسمح لهذه العلاقة أن تتأثر بعوائقها للولايات المتحدة، ولكنها لم تخفي قلقها من حضور القوات الأمريكية في أفغانستان، ودون شك سواء رضينا أم أبينا تعزز مثل هذه القضايا، التوتر بين البلدين».

وفي تقرير أعدته زينب محمد نُشر على موقع بي بي سي فارسي في الجزء الخاص بأفغانستان. يقول داود مراديان رئيس مؤسسة أفغانستان للدراسات الإستراتيجية: «نحن في أفغانستان نشهد حرباً ضرورياً تديرها باكستان وحرب باردة تديرها طهران، فنحن محاصرين من كلا الطرفين». يرى مراديان أنه بوسع روحاني إيجاد آليات للتنسيق بين إيران وأفغانستان والولايات المتحدة حيث أن خطوة كهذه سيكون لها تأثير مباشر على العلاقات الإيرانية الأفغانية. أما فيما يخص تأثير ما يحدث في إيران على مستقبل العملية الديمقراطية في أفغانستان فيقول مراديان: «مع الانتباه إلى حداثة العملية الديمقراطية وعدم إيمان الأفغان بالطريق الديمقراطي بهذا القدر، فإنه يمكن للانتخابات الإيرانية أن تثبت أن الطريق الديمقراطي هو حل إيجابي لحل النزاعات والإشكالات السياسية. أما آصف أشنا المتحدث باسم حزب حق وعدالت فيقول أنه يأمل أن يتخذ الأفغان الانتخابات الإيرانية أنموذجاً، لأن تصويت الأفغان في صناديق

المثير أكثر أنه رغم سبعة أعوام من المفاوضات العقيمة بين طهران ومجموعة ١+٥ حول المسألة النووية، والتي ثبت أنها كانت بمثابة مراوغات لكسب الوقت، بدت التعليقات في طهران، وكأنها تريد أن تشتري رفع العقوبات مقابل حفنة من الكلمات المخملية، ففي حين دعا ظريف إلى رفع فوري للعقوبات قال جعفري إن الرد على النية الطيبة التي أظهرتها إيران في الأمم المتحدة يجب أن يرفع العقوبات ويحرر الأصول الإيرانية وأن يقبل بالبرنامج النووي الإيراني ويوقف العدوان الأمريكي!

واضح أن مركزية القرار الإيراني عند خامنئي، فإذا ابتسم روحاني لأميركا ولوّح للغرب بالمخمل فبأمر من خامنئي، وإذا عبس الحرس الثوري في وجه روحاني وهدهده بإصلاح أخطائه فبرغبة من خامنئي، وهكذا ليس من الواضح إذا كان أوباما يتابع هذه «الأكروبات السياسية» المتلاحقة والمتناقضة التي شهدناها منذ قرر النظام الإيراني أن يضع القناع الباسم على وجهه المقطب، فهندس على ما كان واضحاً عملية إيصال روحاني إلى الرئاسة، تلبية لحاجات تتصل بالتخفيف من ضغوط الداخل على الإيرانيين الذين لم تتيبس الثورة الخضراء في عروقهم، وبتلبية ضرورات السعي لرفع العقوبات الخائفة التي تتهدد الوضع الاقتصادي.

كان مثيراً للسخرية أن يقول أوباما في خطابه أمام الجمعية العامة إنه لا يريد تغيير النظام في إيران ما دفع خامنئي إلى الرد عليه بالقول: «لسنا قلقين من أنكم تريدون أو لا تريدون تغيير النظام، يوم كنتم تعملون لتغييره لم تتمكنوا ولن يكون في وسعكم الآن»، كان هذا كافياً للتذكير بمعارضة ضرب سوريا، لكن الحسابات الأميركية لا تقف عند هذه الحدود، والرغبة

في الانفتاح على إيران لم تبدأ مع الرسائل بين روحاني وأوباما، الذي سبق أن مد يده إلى طهران بعد أشهر من ولايته الأولى عام ٢٠٠٨، والذي كرر الأمر في خطاب الولاية الثانية.

ومن الواضح أن العاجز عن ضرب نظام الأسد ليس في حاجة الآن إلى الحديث عن استعمال القوة مع النظام الإيراني، ثم إن سقوط المشروع الأميركي - الإخواني في المنطقة، أي انهيار الرهان على «شرق أوسط إخواني»، وبروز كتلة عربية قوية تجمع بين مصر والسعودية ودول مجلس التعاون الخليجي، ربما فتح شهية الانفتاح الأميركي على إيران، إلى درجة أن أوباما لم يتردد في ملاحقة روحاني هاتفياً وهو في طريقه إلى المطار رغم أنه كان قد تملص من مقابلته، ورغم أن طهران المتهافكة للانفتاح على أميركا كانت تحذر من مصافحة يد «المجرم أوباما»، الذي يبدو أنه يستعجل كسب إيران كشريك مضارب في المنطقة، بما يساعد على ترسيخ مطاوعة دائمة عند دول الإقليم التي تحتاج إلى ضمانات أميركية في مواجهة سياسات التدخل والتخريب الإيراني المتزايدة من أفغانستان إلى لبنان عبر دول الخليج!

كل ما قاله أوباما قبل يومين، إنه سيكون يقظاً في المباحثات المقبلة مع إيران بشأن البرنامج النووي، محذراً من أن الخيار العسكري لا يزال مطروحاً، ورغم أن هذا الكلام قد يشكل مسخرة أمام الكونغرس، لم يتردد ظريف في انتقاد «تقلبات أوباما وتتمره وقلة احترامه»، وكأنه قادر على مجازاة «الأكروبات السياسية» الإيرانية!

ثم لا يهونن أحد من الأمر بأنه اقتصادي فقط فالقوم لهم مصالح كبرى في إفساد وإضلال أهل السنة، وانظر ما قاله أخي وصديقي معالي الدكتور بسام العموش السفير الأسبق للأردن في إيران في لقاء عن الشيعة:

http://www.youtube.com/watch?v=XQryq-B2x_4...

وزد على ذلك انتشار الدعوة إلى التشيع بقوة في السودان في السنوات الماضية مما يؤكد خطط القوم ومكرهم.

وإن الاستمرار في ولاء الرافضة وفتح مجال الدعوة لهم في أي دولة من الخُذلان للسنة وأهلها وما هو من الغفلة والغباء ببعيد!

ولا أشك والله أن الاستمرار في التعاون مع القوم إضعاف لولاء الحكم في أي بلد، وهو من المؤشرات الكبرى لسقوط الحكم فيه، والتاريخ القريب شاهد على ذلك، فهل من معتبر؟

وكم أحسنت الحكومة الماليزية عندما بدأ الرافضة بنشاط لهم فيها بالتأكيد على قرار لهم بأن مذهب أهل السنة والجماعة فقط هو المتبع وأن أية تعاليم أو مذهب آخر غير مذاهب أهل السنة والجماعة وتعاليمهم تُعتبر مخالفة للوائح الشرعية والقانون الإسلامي في ماليزيا، وعلى إثر هذا، فإنه يُمنع بتاتا في ماليزيا نشر مذاهب وتعاليم خارج عن منهج أهل السنة والجماعة، وصادروا كتباً عديدة معدة للتوزيع هناك.

فعلى دول الإسلام إن كانت غيرة على السنة وأهلها أن تحذو حذوها وتحكم شرع الله فعلا إن أرادت الحفاظ على كيانها وحكمها.

فهل من معتبر؟

يا فخامة الرئيس عمر البشير: النفوذ الرافضي في السودان إلى أين؟

د. عاصم القريوتي

كشف متحدث باسم الجيش السوداني الأربعاء الماضي أن سفينتين حربيّتين إيرانيّتين سترسوان في السودان، في ثالث زيارة من نوعها في أقل من عام، مما يبرز العلاقات الوثيقة بين البلدين. وأوضح المتحدث أن السفينتين سترسوان في ميناء بورسودان، في وقت لاحق من اليوم نفسه، للتزود بالمياه والغذاء. ولا يعد هذا الرسو زيارة رسمية.

وكانت وكالة «فارس» الإيرانية للأخبار قالت إن زيارة السفينتين جاءت «لتعزيز العلاقات مع الخرطوم».

ويقول المحللون: إن السودان شريك واضح لإيران في تعزيز نفوذها في المنطقة، بينما تتطلع الخرطوم لمساعدات تجارية وعسكرية.

وقد سبق أن حاولت قالت الرئيس السوداني عمر البشير الذهاب إلى إيران في زيارة رسمية للمشاركة في مراسم تنصيب الرئيس الجديد حسن روحاني أمام مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) الإيراني فلم يتيسر ذلك.

ودعوى الحكومة السودانية إن علاقاتها بإيران ليست موجه ضد أحد خاصة دول الخليج العربي وأنها تطمح إلى علاقات إستراتيجية مع إيران! لموقف عجيب غريب، لما عُرف عن الرافضة إضافة للفساد في المعتقد الكيد للسنة وأهلها، وما أحدث العراق وسوريا ولبنان والبحرين وغيرها ببعيد، ولا تزال دماء أهل السنة في عدد منها تتزف وتستصرخ ولا مُجيب.

بعد إعلان كيري.. قد لا يكون وقت

ل عقد اجتماع خليجي طارئ

نخبة المضحكي - جريدة الوطن البحرينية ٢٠١٣/١٠/٣

يقول وزير الخارجية الأمريكية جون

كيري: «إن برنامج إيران النووي سلمي ويمكن لنا جميعاً أن نرى ذلك.. العالم كله يرى ذلك.. العلاقة مع إيران يمكن أن تتغير بشكل كبير للأفضل، ويمكن أن تتغير بسرعة».

هل بعد هذا التصريح مازالت تفكر دول

الخليج بالتقارب مع إيران وأمريكا والاتحاد

الأوروبي، أو أنها على أمل قد ترضى عنها أمريكا

أو تكون لها علاقة طيبة مع إيران؟ هذا الإعلان يعني أنه قد بدأ التنفيذ؛ تنفيذ الشرق الأوسط الجديد الذي لن تستطيع أمريكا تنفيذه دون إيران، فهي الحليف الحقيقي، أما دول الخليج العربي لا يتعدى التحالف بينها وبين الولايات المتحدة حبراً على الورق. وها هي خارطة تقسيم الدول العربية والمملكة السعودية - تحديداً - ليست سراً ولا في طي الكتمان؛ بل أصبحت خريطة قد تعلق خلال سنوات قليلة على جدران المدارس وستتضمنها المناهج الدراسية، وذلك عندما تتساهل دول الخليج بنوايا التقسيم التي أصبحت قباب قوسين أو أدنى، وتتباطأ في اتخاذ القرارات الحاسمة التي تحدد علاقتها مع الدول التي مازالت تنظر إليها بأنها دول صديقة وحليفة؛ فتحلم وتتصور بالتقارب مرة مع إيران ومرة مع أمريكا وبريطانيا.

الدول الخليجية تنضوي تحت مظلة مجلس

التعاون الخليجي، لكن للأسف لكل دولة

استراتيجية لا تتلاقى إلا في الحروب، أو في الظروف السياسية الخطيرة مثل المؤامرة الانقلابية التي حدثت في البحرين، وبعدها تعود كل دولة إلى ما كانت عليه، مكثفة بالشجب والإدانة، واجتماعات دورية وشهرية، لم

تتمخض حتى اليوم بقرار حاسم يحدد موقف الدول الخليجية أمام المجتمع الدولي، الذي لاشك أنه بدأ خطة تنفيذ الشرق الأوسط الجديد، وهذه بوادره قد بانّت وظهرت، من تبديل الفيفا لاسم الخليج العربي إلى الخليج الفارسي، واتفاق أمريكا مع إيران ضد البحرين، متجاهلين مكانة المملكة العربية السعودية وهي مركز الشرق الأوسط، ومركز الوطن العربي ورأس الخليج، وهذا كله بسبب عدم حزم دول الخليج وتذبذب قراراتها وضبابية مواقفها في القضايا الخطيرة، وأهمها قضية الإرهاب الصنوي في البحرين والمدعوم من أمريكا وإيران، حيث مازالت هذه الدول تطلب الود والتقارب رغم إعلان أمريكا وإيران موقفهما تجاه البحرين، وهو موقف خطير لا يهدد البحرين بل يهدد المملكة العربية السعودية ومعها باقي دول الخليج العربي التي يظن بعضها بأنها ستكون بعيدة عن هذا الخطر، وفي الحقيقة أن الخطر قد يطولها قبل البحرين.

إن دول الخليج متفرقة لا تساوي شيئاً في

حسابات أمريكا وإيران، حيث إن أمريكا

تعرف المقدرات العسكرية لكل دولة على حدة، فهي تستطيع شل هذه المقدرات بما تملكه من آلة عسكرية ليس في أمريكا بل متمركزة في بحر الخليج، فها هي أساطيلها وطائراتها، وها هي قواعدها وجيوشها، ونضيف إلى ذلك استعدادات إيران والعراق وحزب الله وسوريا، فكلها توحدت واتفقت على تقسيم دول الخليج العربي، ونشرت خريطة هذا التقسيم الذي اطلعت عليه دول الخليج، ثم عادت كعادتها بين اجتماعات دورية وشهرية دون ناتج ولا فارق ولا تقدم منذ بدء تأسيس مجلس التعاون الخليجي حتى هذه الساعة.

وها هي دول الخليج تشاهد كيف

اتحدت الدول الأوروبية، وكيف أن هذا الاتحاد

يتوافق ويتناسق مع أمريكا، واليوم يتفق الاتحاد الأوروبي وأمريكا مع إيران، وهي الدولة التي فرض عليها قبل ذلك حصار اقتصادي ونزاع بشأن

حدود الكويت والسعودية على أتم الاستعداد، وسيكون بغتة لا تترك حتى ساعة يمكن أن تتشاور فيها دول الخليج لكي تحدد موعد انعقاد قممتها أو اجتماع طارئ، لأن الجسور قد قصفت والمطارات قد عطلت والمليشيات سيطرت على المؤسسات الحيوية في الدول الخليجية من كهرباء ومستشفيات واتصالات.

روسيا: منع أفضل ترجمة للقرآن الكريم

د. أحمد عبد الله - مجلة المجتمع ٢٠١٣/٩/٢١

في حادثة فريدة من نوعها، وأمر لم يكن محسوباً من أحد، بل لم يكن يتصور أحد حدوثه وأن تصل «الحماقة» بمن يسمون أنفسهم «بالخبراء» أن تطال أيديهم القرآن الكريم، فيتم وضع أحد أفضل التراجم القرآنية لآيات القرآن الكريم باللغة الروسية ضمن الكتب الداعية للتطرف، والتي يجب منع إصدارها، فقد أعلنت محكمة مدينة «نوفاروسيسك» بمنطقة «أكتيابرسك» موافقتها على طلب النيابة العامة للنقل في المدينة بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠١٣م وإصدار حكمها باعتبار ترجمة الفيلسوف الأذربيجاني الأصل «الميركوليف» ترجمة معاني القرآن الكريم لغة الروسية، والذي قام مجمع الملك فهد بإصدارها، كتاباً متطرفاً. جاء ذلك بداية عن طريق رواية بوليسية بامتياز، تقول الرواية أن طرداً بريدياً قادم من المملكة العربية السعودية تم حجزه ولفست انتباه السلطات الأمنية في المدينة، فقامت النيابة العامة بمحاولة لتوجيه التهمة لصاحب الطرد بأنه ينشر مواداً تدعو إلى التحريض على الكراهية أو العداء والإهانة لكرامة الإنسان بموجب الفقرة ١ من المادة ٢٨٢ من قانون العقوبات، لكن الأمر لم يكن بالسهولة القانونية تحقيقه فقام على إثر ذلك مكتب المدعي العام للنقل بإرسال ترجمة القرآن الكريم لفحصها عن طريق «الخبراء» الجنائيين، بالطبع النتيجة لم

ملفها النووي، إلا أن تلاقي المصالح جمعهم في خندق واحد مقابل دول خليجية مشغولة ببرامج رياضية وسياسات لا تركز على استراتيجية، في الوقت الذي أمريكا وإيران هما كل شيء فلا يهمهما برامج ولا استعراضات ولا أولمبيات ولا اتحادات كروية، بل تفرغا كيف يديران الحرب القادمة بأقل الخسائر، وذلك حين حركت إيران خلاياها النائمة اليوم في البحرين، وها هي تتحرك في السعودية والكويت، وبعدها ستتتحرك في الإمارات وقطر وعمان، وهي تحركات محسوبة، حيث إنه لا يمكن أن تتحرك الخلايا النائمة في هذه الدول مرة واحدة لإعطاء بعض من هذه الدول الأمان إلى أن يحين دورها، هذه الخلايا اليوم التي تدعمها أمريكا وإيران والاتحاد الأوروبي يدعمونها مادياً وإعلامياً وسياسياً، بالمقابل دول الخليج مازالت تدور حول نفسها وتعود من حيث بدأت، دون قرار ولا تقرير ولا تحديد مصير.

مع الأسف نحن أمة الإسلام التي وجهها الله سبحانه وتعالى لكيفية مواجهة أعدائها وكيف تأخذ الحيطة منهم حتى في السلم، إلا أن هذا التوجيه الإلهي لم تعتمد السياسة العسكرية الخليجية، التي كانت يجب أن تكون المبدأ الذي أسس عليه مجلس التعاون الخليجي (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)، فالاتحاد الخليجي ليس توحيد عملة ولا جوازات ولا جسور ولا سكك حديدية، إنما اتحاد القوة العسكرية في مواجهة العدو الذي كشف عن وجهه اليوم وأعلن عن برنامجه الحربي، وما التوافق الأمريكي الإيراني وإعلان كيري أن برنامج إيران النووي سلمي ويمكن للجميع مشاهدته، إلا دق لطبول الحرب، الذي إن تجاهلت دقاته دول الخليج، سوف تتعلق خريطة الشرق الأوسط الجديد ليس بعد سنوات، إنما قد يكون في ٢٠١٤، فالخلايا النائمة تحركت، والحرس الثوري على

تكن مستغربة، فليست هذه هي المرة الأولى التي ينظر فيها مثل هؤلاء الخبراء في كتب دينية بحتة يصنفونها فيما بعد بالكتب الداعية إلى الإرهاب والتطرف. قرار غير قانوني: لجنة «الخبراء» التابعة لمركز «الخبراء الجنائيين بوزارة الداخلية الروسية» بمحافظة «كراسنندار» أصدرت تقريراً مبرراً لقرارها جاء فيه: «إن الكتاب المذكور احتوى تصريحات تتعلق بتقييم سلبي تجاه أشخاص أو مجموعة من الأشخاص على أسس مرتبطة بدين معين (على وجه الخصوص تجاه غير المسلمين)، كما يحمل في طياته كلمات تتحدث عن أفضلية شخص أو مجموعة من الناس أمام أشخاص آخرين على أساس العلاقة بالدين، وعلى وجه الخصوص، أفضلية المسلمين على غير المسلمين، كما يحمل عبارات تتضمن تقييماً إيجابياً لعمل عدائي من مجموعة من الناس ضد مجموعة أخرى مجتمعة على أساس الدين، وعلى وجه الخصوص المسلمين تجاه غير المسلمين، بالإضافة إلى عبارات ذات طابع تحفيزي، في فهم الدلالات الداعية إلى أعمال عدائية وعنيفة من مجموعة من الناس ضد مجموعة أخرى تجتمع على أساس الدين، وعلى وجه الخصوص المسلمين تجاه غير المسلمين». قرار المحكمة بالرغم من أنه غير قانوني ويبدو أنه جاهل بخفايا الأمور المتعلقة بالأديان وعلى وجه الخصوص بالدين الإسلامي، لكنه من ناحية أخرى استفزازي ولا نتصور أنه قد صدر عفواً، مع علم من أصدره أنه يرسل رسائل خطيرة للمجتمع المسلم عندما يمس أكثر الكتب قدسية لديهم، ومدى تأثير ذلك على السلم الاجتماعي في البلاد. انتقادات للقرار: ولعل ذلك ما دعا العديد من الشخصيات الدينية والاجتماعية إلى الانتقاد الشديد لقرار محكمة «نوفاراسيسك» فقد صرح الصحفي المعروف والناشط السياسي والاجتماعي «ماكسيم شيفشينكو» فقال لوكالة إسلام نيوز: «لقد وصل النظام القضائي الروسي إلى الجنون ووصل إلى الحدود القصوى منه» وأضاف

«شيفشينكو» إن «كوليف» شخص علماني وليس متطرفاً، فأنا أعرفه شخصياً، وأتذكر كيف أنه كان يقنعني بأن أذربيجان دولة علمانية، وأنه ضد أي حزب إسلامي، وليس مع فكرة الحركات الإسلامية، ولأجل ذلك أقول بأن هذا الجنون في النظام القضائي يدفعني أن أطالب بسبب هذا الهذيان الذي يقوله القاضي أن يتم إحالته لتلقي العلاج، أنا أعتقد أن هذا القاضي إرهابي، ولأنه يحظره للقرآن قد خدم قضية دوكو عمروف (قائد المجموعات المسلحة في الشيشان)، أكثر من جميع المواقع الداعية مجتمعة. ويتابع الصحفي المشهور: «إن القاضي أثبت أن ما يسمى بالعدالة الروسية تكره القرآن، وتكره المسلمين، وأنها على استعداد لحظر الكتاب المقدس لدى للمسلمين في ترجمته الروسية، اعتقد أنه قرار مجنون يمكن أن يكون له عواقب وخيمة جداً وفي صالح العناصر الأكثر راديكالية، إنني أطلب من الرئيس الروسي التحقيق في الوضع المتعلق بحظر ترجمة القرآن الكريم». مشكلة النظام القضائي: من جهته أشار محمد صلاح الدينوف رئيس المجلس الإسلامي الروسي إلى أن هذا النوع من الأحكام موجه بطريقة أو بأخرى «لتفرقة المجتمع ورفع الضغط الاجتماعي بين المسلمين وغير المسلمين، كما أنه محاولة لدفع الشباب المسلم نحو الراديكالية على أساس أن الدولة «كافرة» ولا ترعى حرمة للمقدسات الإسلامية»، ويتابع صلاح الدينوف أن المشكلة الأساسية تكمن في النظام القضائي بأكمله: «ففي بلادنا النظام القضائي فريد من نوعه، فهو ليس جهازاً منفصلاً عن السياسة، بل شبه مشتق من السلطة التنفيذية، في الآونة الأخيرة أصبح هذا النوع من الأحكام التي تمنع الكتب الإسلامية شائعاً في الواقع الروسي الممل. وفي هذا الشأن كانت جمهورية «باشكورتوستان ومنطقة أورينبورغ» الأكثر ظهوراً. لقد تم اختيار هذه المنطقتين من حوض «الفولغا والأورال» من قبل المشرفين على السياسة الداخلية، كمناطق يتم

فتوى عجيبة: منع الروس من اعتناق الإسلام!

د. أحمد عبد الله - مجلة المجتمع ٢٠١٣/٩/٢١

يقولون: عش طويلاً تسمع العجب! في كل يوم نرى مفتياً، هنا أو هناك؛ يسمع الناس منه العجب العجاب. لم يعد الأمر يقتصر على فتاوى علماء السلطة في الدول العربية، الذين «أفتوا» بسفك دماء المعارضين للانقلابيين بل وصل الأمر إلى زملائهم في روسيا. فقد تخطى «حيدر حافظوف» رئيس الإدارة الدينية الإقليمية في جمهورية يامالا» الفدرالية الواقعة غرب «سيبيريا» جميع زملائه من المفتين العرب وخرج على الأمة يوم (١٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٣م) بفتوى بمنع الروس المسيحيين السلاف من اعتناق الإسلام للحفاظ على السلم الاجتماعي بين أبناء الوطن الواحد. ويعتقد «حافظوف» إن هذا سيمنع الاحتكاك بين القوميات ويخفض حدة التوتر من اعتناق أبناء القومية الروسية الدين الإسلامي، مما يعني اختلاط أبناء القوميات المسلمة والقومية الروسية مما سيزيد من حدة التوتر بين أبناء الوطن الواحد. كلمات «المفتي» جاءت لدى حضوره جلسة رسمية للمجلس الاستشاري لشؤون القوميات والاعراق التابع لحكومة جمهورية «يامالا» حول موضوع الإرهاب و التطرف. الجلسة ترأسها نائب حاكم جمهورية «يامالا» أليكسي بولايف»، وحضر فيها ممثل عن الكنيسة الأرثوذكسية وممثل عن الأقليات القومية وعدد من ممثلي السلطات المحلية في المناطق. وقد جاء في الكلمة التي ألقاها حافظوف: «إن الكثيرين يعتقدون الإسلام لما يرون فيه من عناية بالأسرة، وإن الإسلام يولي اهتماماً كبيراً بالأسرة كعنصر مهم في المجتمع، كما إنهم يرون في العائلات القوقازية روابط رحم قوية. هذا مع ما نلاحظه في الوقت الحاضر في المجتمع من حنين إلى مفهوم الأسرة بمفهومها التقليدي وذات العدد الكبير وترابطها القوي، و المفاهيم الحقيقية للأسرة عامة» ويضيف «علامة زمانه والرجل الفهامة» وهو يتحدث عن عدم رضاه عن أولئك الذين تركوا دين الآباء والأجداد فيقول: «كيف يمكن أن نرضى بأن يكون الرجل اليوم في دين وغداً يصبح في دين آخر؟ بالفعل إن الأمر غير مقبول

فيها استصدار الأحكام لحظر الكتب الإسلامية، بل تحت هذه «المنوعات» أقحمت كتب خالية تماماً من السياق السياسي؛ مثل كتب علماء الصوفية حول الروحانيات والرقى بالنفس البشرية، من ذلك كتاب الأدعية «حصن المسلم». ويضيف صلاح الدينوف: «لدي شعور أن منظري هذه العملية يسترشدون بمبدأ: «كلما كان المنع أكبر كلما كان أفضل». إن كل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، بداهة، هو مادة «متطرفة». في حين أنه من الواضح أن المسلم وتحت أي سبب من الأسباب لن يتخلى عن القرآن الكريم، كما أن المسيحي لن يتخلى عن كتابه المقدس الإنجيل، إن الآيات القرآنية لا يتم تخزينها فقط في بيوتنا، ولكنها تحتل مكانها المرموق في قلوبنا!» ولعله من المفيد لهذه المجموعة من المغامرين في النيابة العامة للنقل بالمدينة البحرية «نوفاراسيسك» أن نذكرهم بأن يتوجهوا للاهتمام بالمشاكل التي لا تحصى في الميناء الكبير الذي يشرفون عليه، فالمدينة الروسية هي بوابة قنوات التهريب لكل البضائع والمخدرات، إضافة إلى أنها البوابة الرئيسة لتخريج كل ما هو غال الثمن ومفيد في روسيا، كما أن عملهم يتطلب الالتزام الحريء بالقانون وعدم فتح الأغراض الشخصية للأفراد بمجرد «الشك» في أنها تحمل مادة ذات طابع «راديكالي»، كما أنهم مطالبون قانوناً بالابتعاد عن الدوافع الشخصية التي دفعتهم للقيام بهذه التصرفات الخطيرة على السلم الاجتماعي. وحتى يفهموا جرم ما قاموا به من تصرفات طائشة يجب أن يتذكروا كيف كانت ردة فعل الشارع المسلم في أنحاء العالم كله، على مثل هذه التصرفات التي مست أشرف المقدسات، وعليه فنحن نثمن على ما طالب به الكاتب والصحفي «ماكسيم شيفشينكو» من الرئيس الروسي التدخل فوراً ووضع حد لمثل هذه التصرفات الغير مسؤولة.

الصهاينة وما دعانا للتحقيق في هذا الموضوع هو أن أحد المواطنين الجزائريين وضع بين أيدينا قميصاً أخضر عسكرياً صنع في الهندوراس كتب عليه بالإنجليزية وباللون الأصفر «قوات الدفاع الإسرائيلية»، بينما يعلو الكتابة شعار القوات الإسرائيلية المتوج بحروف عبرية منفصلة، هذا المواطن قام بتبئيه أخاه الذي اشترى هذا القميص من أحد محلات الجزائر العاصمة إلى خطورة الشعار الذي يحمله، والذي يروج للجيش الإسرائيلي الذي لطالما غمس يديه القذرتين في دماء الفلسطينيين. مواطن آخر أخبرنا أنه قام بشراء قميص يحمل الشمعدان اليهودي دون أن ينتبه إلى أن الشمعدان هو أحد رموز الدولة العبرية المجرمة. فيما أفادنا الأستاذ المحامي «علي ن» أن قميصاً تحمل شعارات الماسونية وتشيد بالجيش الإسرائيلي باتت منتشرة في العديد من المحافظات الجزائرية. ومن الألبسة المنتشرة في محلات بيع الألبسة الرجالية بالجزائر قميصاً تحمل عبارة «غاب» وهي كلمة تختصر جملة «أنا مثلي وأنا فخور بذلك». وللتشعب أكثر في هذا الموضوع، تجولت «المجتمع» ببعض محلات بيع الألبسة الرجالية بالجزائر، حيث اتضح لنا أن هذه الظاهرة يتحمل وزرها التجار الذين يفتقرون إلى الثقافة والوعي الذي يجعلهم قادرين على التمييز بين ما يناسب مجتمعنا المسلم وما لا يناسبه، وكذا مصالح الرقابة التي تتقاعس في تأدية دورها بالشكل الصحيح. مراعاة الشريعة الإسلامية قادتنا جولتنا الصحفية إلى أحد محلات «فابيان» التي تستورد سلعاها من تركيا، حيث يقول صاحبها (السيد عبد الله مرزوقي): إن تاجر الملابس الرجالية ينبغي أن يكون مثقفاً قبل أن يكون تاجراً، بحيث يستطيع أن يدرك معاني الشعارات التي تحملها الألبسة ويفهم معاني الألفاظ. وبالنسبة لمحل «فابيان» يقول (عبد الله): «إنه يراعي قيم الشريعة الإسلامية، بحيث لا يعرض سلعا تسيء للإسلام سواء من حيث الشعارات والعبارات المكتوبة، أو من حيث الألبسة التي لا تجوز بها الصلاة على غرار السروال القصير ويضيف: «نحن

فكيف يصبح الرجل كافراً ويمسي مؤمناً؟ وكيف يعقل أن يمسي الرجل مؤمناً مسيحياً ويصبح «كافراً» مسلماً بدين الآباء والأجداد، إن هذا شيء عجاب! هكذا يعتقد مفتي «يامالا» وعلى هذا وافقه وسأند في رأيه ممثل الكنيسة الاورثوذكسية في منطقة ساليخارد الأسقف «نيكولاى». وتجدر الإشارة هنا إلى أن مثل هذا النوع من الفتاوى ليست الأولى من نوعها فقد سبق وأن أفتى حافظوف بعدم جواز اعتناق الإسلام لمن لم يبلغوا سن الرشد إلا بموافقة من أهلهم. كما أفتى للسلطة المحلية الحاكمة بوقف بناء المساجد وإعطاء التراخيص في الجمهورية التي يشرف عليها كممثل للمسلمين فيها على أساس أن لا حاجة للمسلمين فيها في الوقت الحاضر! وللأسف الشديد لم يجد تصريح «المفتي» ردة فعل قوية من القائمين على شؤون الإسلام والمسلمين في المدن الروسية المختلفة، وحظيت تصريحاته بنوع من الاستهجان من قبل الشباب المسلم عبر الشبكة العنكبوتية وفي صفحات التواصل الاجتماعي؛ حيث صب الكثير من الشباب جام غضبهم عليه ونعتوه بشتى أنواع النعوت، والله الأمر من قبل ومن بعد.

قمصان وأحذية رياضية تمجد إسرائيل وتسيء للإسلام

سمية سعادة - مجلة المجتمع ٢٠١٣/١٠/٥

شعارات ورموز تمجد إسرائيل والنصرانية،

وألفاظ تسيء للإسلام يحملها بعض الشباب على قمصانهم وأحذيتهم ويتجولون بها بين الناس، ويدخلون بها إلى المساجد، ويقفون بها أمام الله، وهم لا يعرفون معناها، ولا يدركون مغزاها، تلك هي الظاهرة التي تتسبب في الجزائر بهدوء في غياب مصالح الرقابة التي تمر عليها هذه السلع، دون أن تتفحصها بدقة، وفي غياب الثقافة والوعي لدى الشباب، مما يجعله يضع الشمعدان اليهودي، والصليب المسيحي في القلب، بينما يمرغ لفظ الجلالة في التراب بحذاء لم ينتبه إلى ما يحمله في الأسفل، وهو الأمر الذي تعمد إليه بعض المصانع الغربية الحاقدة على الإسلام. شعارات جيش

في المحل. ويرد محدثا وصول هذه الألبسة المسيئة للإسلام إلى محلاتها هي بسبب تقاعس أجهزة الرقابة التي لا تقوم بتفحص السلع بشكل دقيق. وقد أضحى الأمر مثار اهتمام من قبل الكثيرين ومنهم العلماء والدعاة، واليوم في الجزائر لا يكف أئمة المساجد عن إطلاق التحذيرات من ارتداء الألبسة التي تحمل شعارات تسيء للإسلام، وقد أفتى مؤخراً إمام بأحد المساجد الجزائرية بحرمة ارتداء قميص فريق برشلونة الإسباني لأنه يحمل الصليب، ومع ذلك لا يزال الكثير من الشباب يقبل على شراء هذه القمصان لأنها تمثل له الحضارة الغربية المفتون بها، في ظل غياب البديل الذي يحمي الشباب الجزائري والمسلم من كل وافد يرسم له طريقاً نحو الانحلال والانحراف والتفكر لهويته. (❖) أكاديمية متخصصة في القضايا الدعوية والتربية

ماذا يُراد بأهل السنة في الكويت!

مدونة عمر خليفة راشد ٢٠١٣/٩/٢٦

ماذا يجري في الكويت الحبيبة ١٥

قبل أيام، افتُعلت ضجة إعلامية هناك بسبب زيارة الشيخ يوسف القرضاوي، حيث تناولت بعض الأجهزة الإعلامية المشبوهة، مع صمت أجهزة الدولة، على مقام هذا الشيخ الفاضل بطريقة هي غاية في سوء الأدب وقلة العقل. وقبله بأيام، اضطر الشيخ عدنان العرعور، وهو صاحب الجهود الطيبة في التصدي للصفوية، إلى مغادرة الكويت سريعا بعد أن شنت ضده حملة إعلامية مشابهة.

صحيفة (السياسة) المشبوهة، التي يملكها الإعلامي المشبوه (أحمد الجار الله)، كان لها نصيب الأسد في هذه الحملات. وقد نقلت الجريدة أيضا في عددها بتاريخ ٢١ سبتمبر ٢٠١٣م خبرا مشيرا عن «حملة لتطهير المناصب القيادية من الإخوان». وقالت الصحيفة أن هذا من «حق الدولة

لا نختار سلعتنا على أساس الجودة وحسب، وإنما على أساس قيم الشريعة الإسلامية لأننا مسلمون». غياب الوعي والثقافة اتجهنا إلى محل آخر قال صاحبه (السيد عيدي خليل) الذي أمضى ٢٥ سنة في تجارة الملابس الرجالية: إنه لطالما صادفته في عمله الذي يقوده إلى إيطاليا وفرنسا وإنجلترا ألبسة رجالية تحمل شعارات فيها إساءة بالغة لله ورسوله ويخص (خليل) يهود مارسيليا وباريس بالذكر، حيث يقول إنهم يقفون وراء هذه الألبسة المسيئة للإسلام، ناهيك عن الشعارات التي تروج للنازية والعنصرية والمسيحية والصهيونية، وإذا لم يكن التاجر على قدر من الثقافة والوعي، فإنه ولاشك سيتورط في إدخال هذه الألبسة إلى الجزائر. وأرجع محدثنا انتشار بعض القمصان التي تحمل شعارات منافية للإسلام إلى تحول فئة من الناس منها لا علاقة لهم بهذا المجال إلى تجار ملابس رجالية، معتقدين أن الأمر لا يحتاج إلا إلى النشاط، بينما هم في حاجة إلى الخبرة في التعامل مع هذه السلع التي تدس السم في العسل بلغات وشعارات يعجزون عن فهمها لأنهم يفتقرون إلى الثقافة. ونفس الأمر يمكننا أن نقوله عن الشباب الذين يشترون هذه السلع على أساس الذوق دون أن ينتبهوا إلى ما تحمله من إساءات. غياب الرقابة (عادل هندي) وهو صاحب محل لبيع الألبسة الرجالية بالجزائر أكد أن محله يمتنع عن بيع قمصان فريق برشلونة الإسباني لأنه يحمل الصليب، بينما يعرض قمصانا لا تحمل أي شعارات أو ألقاب، لأن معظم الشباب أصبح يميل إلى القمصان البسيطة، نفس الرأي وجدناه لدى (فريد قلعي) الذي يقول: إن محله يتماشى مع ما هو مطلوب في السوق، وهي الأقمصة البسيطة في لونها وشكلها، ولكن هذا لا يمنع من القول إنه يختار بضاعته بدقة؛ لأنه أحيانا يتم التحايل على التجار المسلمين بدس بضاعة تسيء للإسلام على غرار أحذية رياضية اكتشف أنها تحمل اسم الجلالة في أسفلها، مما جعله يعيدها إلى أصحابها، كما عرض علينا فريد نعالا جلدية تحمل الصليب لم ينبته إليها إلا بعد مدة من عرضها

الكويت بحجة حماية الشيعة في حال حدوث أي تدهور أمني في البلاد، مؤكدة أن فيلق بدر وفيلق القدس التابعين للحرس الثوري موجودان بالقرب من الحدود العراقية - الكويتية ولديهما من الاستعداد العسكري ما يكفي للتدخل خلال ساعات إلى مواقع متقدمة في الكويت والدول المجاورة بذريعة حماية أهل البيت في المنطقة».

أبعد كل هذا، تشن الحروب العنترية على مشايخ أهل السنة بهدف حماية الكويت وشعبها، وننصرف عن العدو الحقيقي المتربص بالكويت، وبكل الخليج العربي منذ عشرات السنين !

فهمنا أن للصفويين في الكويت سطوة وأي سطوة، وعلمنا أن لهم مليارات كفيلة بشراء الذمم والعقول، ولكن ليس إلى هذا الحد !

شيء عجيب.. جهود (خيانية) جبارة تبذل من عدة جهات، لصرف أنظار الشعب الكويتي، وباقي شعوب الخليج العربي عن الخطر الحقيقي المتربص بالخليج وأهله.

حتى لا ننسى والنسيان آفة الإنسان- ننقل لكم بعضا من الأعمال الإرهابية التي ارتكبتها عملاء إيران في الكويت (حزب الله وحزب الدعوة) ضد الكويت، حكومة وشعبا طوال الحقبة الماضية:

١٩٨٣م: عدة تفجيرات طالت عددا من السفارات ومطار الكويت الدولي و مركز مراقبة التحكم التابعة لوزارة الكهرباء والماء. وكالة الأنباء الكويتية أعلنت أن الإجمالي النهائي للخسائر البشرية هو ٧ قتلى و ٦٢ جريحا.

١٩٨٥م: تعرض الأمير الراحل الشيخ جابر رحمه الله لمحاولة اغتيال باءت بالفشل عندما كان في طريقه للذهاب إلى مكتبه في قصر السيف، وكانت هذه المحاولة عن طريق سيارة مفخخة، وقتل في تلك العملية اثنين من مرافقيه.

١٩٨٥م: قامت مجموعة من الإرهابيين بزرع عبوات ناسفة في كل من المقهى الشعبي في الشرق والمقهى الشعبي في السالمية. أسفرت هذه الأعمال

في حماية أمنها القومي والتصدي مبكرا لحالات ازدواج الولاء خصوصا في ظل شكوك كثيرة بأن الإخوان أصلا لا يؤمنون بفكرة الدولة الوطنية ولا بحدودها وسيادتها، الأمر الذي رأت دوائر صناعة القرار في الكويت ضرورة التحسب له، وعلى اعتبار أن الوقاية خير من العلاج والعامل من اعطى بغيره !

ونقول: هل الإخوان هم من يتصفون بـ (ازدواج الولاء) حقا، ثم ما هذه الصحوة المفاجئة في أجهزة الدولة لحماية أمنها القومي، والدولة بأكملها تعيش فيها أجهزة المخابرات الإيرانية، ويجري الإعلان عن اكتشاف بعضها من حين لآخر !

تأملوا جيدا في هذا الخبر الذي نشرته نفس الصحيفة (السياسة) بتاريخ ٥ مايو ٢٠١٠م عن خلية تجسس إيرانية:

«علمت (السياسة) أن المتهمين بانتمائهم إلى الخلية اعترفوا خلال التحقيقات التي أجريت معهم بوجود علاقة مباشرة لهم مع ضابط الارتباط العسكري في السفارة الإيرانية لدى الكويت، وأن الأخير كان الممول والعقل المدبر والمنسق لتحركاتهم. وأكدت المصادر أن عدد المتهمين الموقوفين بلغ سبعة أشخاص أحدهم كويتي ويعمل مدرباً عسكرياً في وزارة الدفاع بالإضافة إلى شخص بحريني وثالث سوري ورابع (بدون) يحمل جواز سفر جمهورية الدومينيكان وخامس (بدون) أيضا بالإضافة إلى إيرانيين اثنين، وكان هؤلاء يرتبطون ببعضهم من خلال ضابط الارتباط العسكري في السفارة الإيرانية حيث بدأ التعاون بينهم قبل نحو تسعة أشهر..».

من الذي يشكل خطرا على أمن الكويت واستقلالها يا أحمد الجار الله ؟

نقلت (السياسة) خبرا آخر بتاريخ ١٥ سبتمبر ٢٠١٢م، عن تهديدات إيران باجتياح الكويت، وقالت:

«خرجت إيران من دائرة «التلميح والمواربة»، لتوجه تهديدا مباشرا بالتدخل عسكريا في

الإجرامية عن ٨ قتلى و٨٨ جريحاً.

١٩٨٦م: استهداف مجمع نفط الأحمدى في جنوب الكويت بواسطة ثلاثة تفجيرات متزامنة.
١٩٨٧م: أصاب صاروخ إيراني مبنى النفط الرئيسي على الشاطئ الكويتي محدثاً تدميراً بليغاً.

١٩٨٨م: اختطاف طائرة الجابرية، وهي العملية التي استغرقت ١٦ يوماً، وتضمنت عملية قتل وحشية، راح ضحيتها المواطن الكويتي (السنّي) عبد الله الخالدي وإلقاء جثته من الطائرة.

يا شعب الخليج العربي..

يخاطبكم أمير المؤمنين ومزيل مُلك المجوس سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول:
«لستُ بالخَبِّ، ولا الخَبِّ يخدعني».. أي بلغة العصر: «لستُ مأكراً متآمراً على أحد، ولكني حصين منيع ضد مكر الماكرين وتآمر المتآمرين».

أوقفوا الاعتداءات على مسلمي أراكان

مشاري الخلف - القبس الكويتية ٢٦/٩/٢٠١٣

أجمع المتحدثون في مؤتمر «الروهنجيا أزمة الضمير العالمي»، الذي أقيم أمس الأول في الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان، على ضرورة بذل الجهات والمؤسسات المعنية بالبلاد الجهود المناسبة للفت انتباه المجتمع الدولي إلى قضية إقليم أراكان المضطهد، لوقف الاعتداءات والانتهاكات الوحشية التي يتعرض إليها المسلمون فيه.

وقالت منسقة المؤتمر رئيسة لجنة حقوق الروهنجيا جنان العنزي «الحزن يسيطر على قلوب الكثيرين من أمة المليار ونصف المليار مسلم، وهم يشاهدون الظلم والاستبداد بأعينهم»، متسائلة: هل هناك قيمة للاتفاقيات والمواثيق والدساتير في ظل الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان، مع استمرار الظلم والقهر والاستبداد؟

من جانبه، قال أمين الصندوق في الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان المحامي محمد العتيبي «هناك العديد من النصوص التي تحمي الأقليات وحقوق الإنسان في العديد من الوثائق والإعلانات والاتفاقيات الدولية العالمية والإقليمية، التي لم تطبق على المسلمين في بوروما، كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، إلى جانب الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادرة عام ١٩٦٦، مع الاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية الصادرة عام ١٩٦٦».

وتساءل: إلى متى سننتظر حتى تطبق الاتفاقيات والمواثيق الدولية في مجال حقوق الإنسان على المسلمين في بوروما.

من جهته، طالب عضو الجمعية الكويتية للمقومات الأساسية لحقوق الإنسان فهد الضامن بتحريك المجتمع الدولي لوقف المجازر المستمرة في بوروما المنسية. بدورها، أبدت نائب رئيس لجنة المرأة والطفل في الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان أمنة الجمعان استياءها وتذمرها الشديدين من الظلم والعدوان اللذين تتعرض لهما المرأة المسلمة في بوروما، متسائلة: أين منظمات حقوق الإنسان في العالم من حرمان المسلمة في بوروما من جميع حقوقها في الحياة، وسلبها حريتها وكرامتها.

مصالح مشتركة

من ناحيته، أكد الناشط في حقوق الإنسان الإعلامي أحمد الشلقامي، وجود الكثير من الأسباب التي أدت بالمجتمع الدولي، وفي مقدمته بعض الدول العظمى، إلى الصمت عن الانتهاكات والاعتداءات التي تقوم بها السلطات في بوروما ضد المسلمين على مدار السنين الماضية، منها المصالح الاقتصادية والتجارية لها في بوروما، بدءاً من الولايات المتحدة والتي تنظر إلى ما تمتلكه بوروما من الغاز، والذي يصل إلى نحو ٤ في المائة من الاحتياطي العام في العالم، ومروراً بالصين والتي

تصمت بسبب حجم التبادل التجاري الكبير مع الحكومة البورمية ، والذي يصل الى نحو ٤ مليارات سنوياً.

مغامرة التحرش بالنص الصوفي

محمد عبد الشكور - جريدة الوفد المصرية ٢٠١٣/١٠/٥

صدر للدكتور الدكتور بليغ حمدي

إسماعيل الاستاذ بكلية التربية ، جامعة المنيا كتاب « مواجيد ومقامات الصوفية .. مغامرة التحرش بالنص الصوفي » ، يبحث فى خفايا المتصوفة وعوالمهم المسكونة بالدهشة والسرية والغموض .

ويؤكد المؤلف فى كتابه على أن الولوج

إلى أكوان التصوف الإسلامى يحتاج إلى علم

وعمل وموهبة فطرية يمنحها الله - عز وجل -

لصاحبها ، ويذكر أهل التصوف أن عماده ثلاثة

أركان هي العلم ، والزهد ، والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر ، وألطف ما فى التصوف أنه تربية

وصقل للأخلاق والآداب السامية ، وأعذب ما فيه

أنه تجربة غير قابلة للتكرار أو التشابه بل هي

تجربة متفردة متميزة لا تعرف للاشتراك سبيلاً ولا

للمشاركة طريقاً . ومن يلجأ إلى تعرف أحوال

ومقامات أهل التصوف عليه أن يخطو بحذر ورفق

وهو يرصد ويستقرئ ويتناول مواجيدهم وأحوالهم

وأخبارهم بعيداً عن ما شاب التصوف من حكايات

المتسامرين ونوادر المتعطلين وحجج المتنطعين ،

وهذا الدخول الحذر فى أكوان التصوف والمتصوفة

الأجلاء يحتاج إلى قدر كبير وعظيم من الثقة .

وهذا الكتاب يحاول أن يلج بيسر إلى

أكوان هؤلاء المتصوفة وعوالمهم المسكونة

بالدهشة والسرية والغموض ، بالإضافة عن

محاولة الإجابة عن سؤال مفاده : لماذا يظل المتصوف

ونصه الصوفي شعراً أم نثراً طريحاً ثقافياً استثنائياً

تسكنه المعرفة ؟ وقد يكون أحياناً السؤال أهم

الإجابة؟

ويقع الكتاب فى ثمانية فصول كالتالى :

تتاول الفصل الأول مقدمة عن التصوف من حيث المواضع اللغوية ومصادره ، ومكانته فى الإسلام ، بينما تتاول الفصل الثانى من الكتاب الذى جاء عنوانه الأبعاد السياسية للتصوف الإسلامى ، الظروف والأجواء السياسية والاجتماعية التى ازدهر التصوف وتطور فى أثائها . أما الفصل الثالث فتتاول مقامات الصوفية مثل الرضا والتوكل والوجد والاصطلاء والصبر والابتلاء . وجاء الفصل الرابع بعنوان جدل اللاهوت والناسوت فى التصوف الإسلامى ، بينما جاء الفصل الخامس بعنوان مقاربات نقدية فى الشعر الصوفي وتناول دراسة لبعض نصوص سلطان العاشقين ابن الفارض ، أما الفصل السادس فكان بعنوان « الحلاج عارفاً » وتتاول سيرة وأشعار الحسين بن منصور الحلاج . وجاء الفصل السابع بعنوان « سلطان العارفين وإمام المحبين » وهو عرض موجز سريع لحياة ابن عربى الصوفية ، أما الفصل الثامن والأخير فكان بعنوان « إشكالية التصوف فى الخطاب السلفى المعاصر » وفيه عرض المؤلف أوجه الصراع الخفى بين التيارات السلفية وتيار التصوف الإسلامى واختتم الكتاب بمجموعة من المصادر والمراجع التى تم الاستعانة بها .

ويقع الكتاب فى ثلاثمائة وإحدى وعشرين

صفحة من القطع المتوسط وصدر عن دار كارما

للنشر والطباعة والتوزيع بالقاهرة.

نظرية "أم القرى"
تفضح سياسة إيران!

تعليق السياحة الإيرانية لمصر..
قراءة في المغزى والأسباب

الزوائد الإيرانية:
يحيى أبو زكريا أنموذجاً

مرآة الرصد

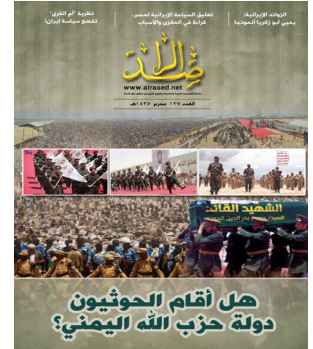
www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٧ محرم ١٤٣٥ هـ



هل أقام الحوثيون دولة حزب الله اليمني؟



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٢٧)**

محرم- ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- هل أقام الحوثيون دولة حزب الله اليمني؟ ١٩..... ٢

فرق ومذاهب

- من رموز الإصلاح (١٩) العلامة محمد حامد الفقي..... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

- الشيعة يستميلون السلطان خدابنده..... هيثم الكسواني ١٣

دراسات

- العدوان الحوثي على دماج.. مسار الكارثة ودوافعها..... أحمد أمين الشجاع ١٦
من تاريخ التسنن في العراق (٣٢)..... عبد العزيز بن صالح المحمود ٢٧
الزوائد الإيرانية: يحيى أبو زكريا أنموذجا..... بوزيدي يحيى ٣٢
دعوى النسوية الإسلامية.. قراءة في آليات التفكير..... فاطمة عبد الرؤوف ٣٨
تعليق السياحة الإيرانية لمصر.. قراءة في المغزى والأسباب..... أسامة الهتمي ٤١
مسلمة الفتح في القرآن الكريم..... سعيد بن حازم السويدي ٤٦

كتاب الشهر

- المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية..... أسامة شحادة ٤٩

قالوا

- ٥١

جولة الصحافة

- الدوافع السياسية حول عدوان الحوثي على دماج..... جلال الجلال ٥٣
الحوثيون والحراك يعرفون الحوار اليمني..... عبده عايش ٥٤
الكشف عن تفاصيل تهريب الأسلحة من سحان إلى الحوثيين..... يمين برس ٥٥
بواد حرب طائفية في صعدة بين الحوثيين والسلفيين..... خالد الحمادي ٥٦
الحوثيين كفار وجهادهم خير من جهاد اليهود..... محمد عبد العظيم الحوثي ٥٨
حلف الفضول: الحوثي يقصف دماج..... الصحوة نت ٥٨
جماعة الحوثي تريد تهجير لتستفرد بصعدة لوحدها..... الصحوة نت ٥٩
فتنة الحوثيين وبعبع الصراع الطائفي..... نجيب المجيدي ٦٢
لهذا وقفنا ضد مشروع جماعة لاهوتي المسلحة..... د. أحمد الدغشي ٦٣
حروب الحوثيين العنيفة..... مصطفى أحمد النعمان ٦٦
عهد الرئيس روحاني ومعاناة أهل السنة في إيران..... صباح الموسوي ٦٨
نظرية "أم القرى" تفضح سياسة إيران..... أسامة شحادة ٧٠

ثم جاءت الثورة السورية، واندفع الحزب للقتال بجانب النظام السوري ضد شعبه، وعبر الحدود ونقل الأسلحة والعتاد دون اعتبار للدولة أو الجيش اللبناني، وذلك لأن حزب الله في لبنان دولة مستقلة!

وفي اليمن اليوم السيناريو يكاد يتطابق تماماً، ويكاد الحوثيون يصلون لمرحلة إعلان دولتهم المستقلة إن لم يتدارك الأمر في اللحظات الأخيرة.

فالحوثيين بدأوا كتظيم صغير باسم الشباب المؤمن عام ١٩٩٢م، وذلك بعد أن تأثرت قادتها بالثورة الخمينية وكانوا يدرسون أفكارها للطلبة، وكان قادة الحركة قد لجأوا فترة من الزمن إلى لبنان وإيران، وقد شارك بعض الوافدين العراقيين الشيعة في تأطير الحركة ونشر الأفكار الشيعة فيها، ومن ثم تطورت وأصبحت تميل للثورية، واتهمتها الدولة بإنشاء كتظيم مسلح، وأن إيران تمددها بالسلاح والتدريب والتمويل، وعلى إثر ذلك دخلت الحركة التي أصبحت تطلق على نفسها اسم حركة أنصار الله، ست حروب مع الدولة بين عامي ٢٠٠٤-٢٠١٠.

واليوم أصبح الحوثيون في طريقهم لفرض دولة حزب الله اليمني كأمر واقع، وهذا ما كانت كشفت عنه مجلة الوطن العربي في العدد ١٧٠١، بتاريخ ٧/٩/٢٠٠٩م من وجود خطة إيرانية باسم (يمن خوش هال) (اليمن السعيد) تقوم بتنفيذها (قوات القدس) التابعة للحرس الثوري الإيراني، وتقوم على دعم الحوثيين من جهة ودعم القبائل والأحزاب في الجنوب للانفصال.

فالحوثيون لهم أنصار في الدولة والجيش طيلة حروبهم معها مكنتهم من البقاء وعدم القضاء عليهم، وقد تطور الأمر بهم أن كشفوا في جنازة زعيمهم حسين بدر الدين الحوثي عن وجود جيش منظم لهم يكاد يكون نسخة من حزب الله والجيش الإيراني في شكل الزبي وشاراته واحتفالاتهم.

كما أنهم دخلوا مؤخراً في صراعات مسلحة مع قوى سنية في بعض المحافظات المجاورة كالجوف

هل أقام الحوثيون دولة حزب الله اليمني؟!

في نهاية عام ١٩٥٩م قدم موسى الصدر إلى لبنان ليتولى شؤون الطائفة الشيعية، وفي سنة ١٩٦٧م أنشأ المجلس الشيعي الأعلى، ليكون موجهاً وقائداً للشيعة لبنان، وفي سنة ١٩٧٥م أعلن عن تأسيس حركة المحرومين (أمل)، لتكون ذراعاً عسكرية للشيعة.

وبعد اختفائه في ليبيا عام ١٩٧٨م، وقيام جمهورية الخميني في العام التالي، ثم الاجتياح الإسرائيلي لبيروت سنة ١٩٨٢م لإخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان، وصلت طلائع الحرس الثوري الإيراني للبنان عبر دمشق، فظهرت حركة أمل الإسلامية التي سرعان ما تطورت وفي عام ١٩٨٥م أعلن عن تأسيس حزب الله الشيعي في لبنان.

واليوم بعد ما يقرب من ثلاثة عقود أصبح حزب الله في لبنان دولة حزب الله في لبنان، فهو يمتلك جيشاً مجهزاً يحتفظ به في مكان في لبنان، صحيح أنه لا يملك طائرات حربية لكنه يملك منظومة صواريخ مضادة للطائرات، لو فكر الجيش اللبناني -جداً- بالاشتباك معه، فضلاً عن وجود ولاء كبير للحزب في داخل الحزب والأجهزة الأمنية بفضل المحاصصة والإغراء والولاء للطائفة.

وهذا الجيش العسكري يوازيه جيش مدني من المؤسسات الخيرية والمستشفيات والفضائيات وشبكة الاتصالات، بحيث أصبحت كثير من مناطق الحزب مستقلة عن الدولة اللبنانية فلا سلطة فيها للجيش أو الشرطة أو مؤسسات الدولة، وكلنا يتذكر قصة أجهزة المراقبة وكاميرات التصوير في المطار الدولي للبنان التي تخضع لسلطة الحزب ويرفض خضوعها للدولة حتى خاض حربها بسببها مع الدولة وفرض قراره!

وإثر ذلك قام الحزب باحتلال بيروت ومحاصرة مقر الحكومة اللبنانية سنة ٢٠٠٨، وفرض عليها مشاركته ولكن بالثلث المعطل والضامن لمصالحه!! وأصبحت الحكومة رهينة قبول الحزب أو الدخول في حرب معه.

وعمران من أجل بسط نفوذهم هناك، كما يفعل حزب الله بمحاولة التمدد في مناطق السنة الباقية كطرابلس.

وقام الحوثيون بتهجير قطاعات واسعة من أهالي صعدة قدرت بـ ٣٠٠ ألف شخص بسبب الحروب الماضية وهي اليوم تهاجم منطقة دماج بصعدة بهدف الإبادة الطائفية من خلال القصف بالمدفعية والحصار المشدد بمنع الغذاء والشراب والدواء، وذلك حتى تصبح صعدة منطقة مغلقة على الحوثيين فقط، في تقليد لسياسة حزب الله في لبنان والمليشيات الشيعية في العراق بتفريغ مناطق السنة عبر الحرب الطائفية.

وقام الحوثيون بالسيطرة على محافظة صعدة وإرغام المحافظ على الفرار ومن ثم تم تعيين أحد تجار السلاح المقربين من الجماعة محافظاً وحاكماً لصعدة من القصر الجمهوري هناك، والذي أعلن أنه يتلقى الأوامر من السيد ويقصد به زعيم الحوثيين عبد الملك الحوثي! وهو يعمل على مد الحوثيين بالسلاح والتفاسي عن عدوانهم بحق دماج، وقد رضخت الدولة للأمر الواقع وتتعامل معه على أنه المحافظ الرسمي لصعدة!! وهذا في مشابهة لحال حزب الله في لبنان الذي فرض الثلث المعطل بقوة السلاح على لبنان.

كما أن الحوثيين يسعون بكل قوتهم لتشغيل مطار صعدة بشكل دولي، وإنشاء شركة طيران خاصة بهم، وأيضاً دخلوا عدة حروب من أجل مد سيطرتهم حتى تصل إلى ميناء ميدي، وذلك حتى يتخلصوا بالكامل من أي رقابة أو حصار ويصبح لهم استقلالهم التام في إمدادات السلاح الإيراني، وهم يحاولون أن يفتحوا منافذ حدودية خاصة بهم مثل منفذ، كما أنهم يمارسون تهريب القات والسلاح والمخدرات إلى السعودية، وهو نفس السيناريو اللبناني باستقلال الحزب في إدارة شؤونهم في المطار والموانئ الخاصة دون رقابة الدولة، ورعاية تجارة السلاح والمخدرات بالبقاع.

كما أن الحوثيين أقاموا شبكة إعلامية تضم فضائية المسيرة وعددا من الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية وذلك للترويج لمشروعهم/ دولتهم وللدفاع عنها أيضاً، وهي إستراتيجية إيرانية فعالة.

وعلى خطى حزب الله اللبناني انخرط الحوثيون في مؤتمر الحوار الوطني وهم في نفس الوقت محتفظون بسلاحهم لم يتخلوا عنه، وكانت سياستهم واضحة ومعلنة إما أن تقروا ما نريد أو نفجر الحوار الوطني، وفعلاً هذا ما تم، فقد عطلوا الجلسة الختامية للحوار الوطني لأنها لم تستجب لإملاءاتهم، ومن ثم شنوا الهجوم على دماج لإشغال اليمن عن الحوار الوطني، في تقليد لسياسة حزب الله اللبناني حذو القذة بالقذة.

وأما تحالفات الحوثيين فهي مع الرئيس السابق علي عبدالله صالح ومع الحراك الجنوبي بزعامة الرئيس

الجنوبي الماركس علي سالم البيض، في مقابل قوى الثورة والتغيير، وهو نفس موقف حزب الله بدعم النظام السوري ضد الثورة السورية، وتأييد التقسيم إذا لم يمكن احتلال اليمن كله، كما فعلت الأحزاب الشيعية في العراق حين طالبت بالفدرالية، قبل أن تتمكن من خطف العراق كله.

وفي تقليد لقيام حزب الله اللبناني بإنشاء مبيعات أمنية في العاصمة اللبنانية بيروت، من خلال الإستيلاء على الضاحية الجنوبية خلال الحرب الأهلية، يقوم الحوثيين بالسعي لإيجاد موطئ قدم لهم في العاصمة، فهم جادون في عمليات لتخزين للسلاح بشكل مكثف على أطراف صنعاء، مثل مدينة شبام كوكبان (٥٤ كم شمال غرب صنعاء)، ومناطق سنحان وخولان بشرق العاصمة، ومع قيام الثورة جاء الحوثيين للمشاركة بها، واخترعوا له تجمع باسم (شباب الصمود)!

ولما تقرر رحيل الشباب عن الساحات بعد رحيل علي عبدالله صالح عن الحكم، بقي الحوثيين وبعض حلفائهم مقابل البوابة الخلفية لجامعة صنعاء، وقاموا بفرض سيطرتهم على المنطقة بما أزعج السكان من خلال قطع الطريق ومنع دخول السيارات للأحياء بحجة حماية الثورة والمجاهدين!

وبدا البعض بالرحيل عن المنطقة، ومن ثم قام الحوثيين في رمضان بمنع المساجد من صلاة التراويح في صنعاء! وأخيراً انشاء الحوثيين في صنعاء مراكز أمن خاصة لهم، تحت مسمى «المجاهدين»، مجاهدين ضد من؟ **وكل هذا يقوم به الحوثيون استغلالاً للفرصة السانحة بحالة الفوضى التي يعيشها اليمن،** والتي تفاقم بعد الثورة حتى أصبح اليمن شبه مشلول، ولكن أصحاب المخططات ينشطون جداً في هذه المراحل لتحقيق مكاسب إضافية في غفلة من الناس.

وختاماً إن نجاح الحوثيين بإقامة دولة حزب الله اللبناني - لا قدر الله - سيكون بسبب تقصير وتقاعس الآخرين، فعلى أهل اليمن عدم انتظار تحرك الدولة المشلولة والمتواطئة مع الحوثيين، وعليهم التحرك لتثبيت قوتهم كأمر واقع وعدم ترك الحوثيين ينفردون بهذا.

وعلى دول الخليج والسعودية بشكل أخص سرعة المبادرة لدعم السنة في اليمن مهما كان خلافها مع بعض الجهات، وإلا سيكون ندمها مضاعفاً في المستقبل.

وعلى تنظيم القاعدة أن يثبت ولمرة واحدة أنه يعمل لمصلحة الأمة، وذلك بأن يتصدى للحوثيين وعدوانهم، وإلا أثبت من جديد أنه يدور بين العمى والحوّل، أو الخيانة والتفريط باسم الجهاد والدفاع عن المسلمين.

الوحيدة في القرية التي تحفظ القرآن وتجيد القراءة والكتابة، وكان له إخوة درسهم أبوه في الأزهر، بدأ الفقي بحفظ القرآن على والده، وختمه وهو ابن اثني عشر عاماً والذي علمه مبادئ الفقه أيضاً بحيث تهيأ للدراسة بالأزهر.

الدراسة بالأزهر:

كان والده قد وجه أولاده ليدرس كل واحد منهم مذهباً فقهياً، فجعل الابن الأكبر مالكيًا، وجعل الثاني حنفيًا، والثالث شافعيًا، وأراد أن يدرس الرابع وهو الشيخ محمد حامد الفقي المذهب الحنبلي، لكن الأزهر قبله في رواق الحنفية فدرس المذهب الحنفي.

التحق بالأزهر في عام ١٢٢٢ هـ - ١٩٠٤ م، وعلى طريقة الأزهر في ذلك الوقت، درس كتاب مراقبي الفلاح في الفقه، وكتاب الكفراوي في علم النحو، وطريقتهم هي أنه متى اتقن الطالب فهم الكتاب انتقل منه لغيره، وهكذا انتقل في سنته الثانية لدرس كتاب الشيخ خالد في النحو وكتاب ملا مسكين في الفقه، ثم في السنة الثالثة، درس علم المنطق وفي الرابعة درس علم التوحيد ثم درس في الخامسة مع النحو والفقه علم الصرف وفي السادسة درس علوم البلاغة ودراسة الحديث والتفسير.

وقد نشأ الفقي كغالب طلبة الأزهر على عقيدة المتكلمين وانغمس في الطرق الصوفية، يقول الفقي: «ولقد كنت في حياتي الأولى سالكاً مع السالكين، وملبساً مع الملبسين، ومخرفاً مع المخرفين، وداعية إلى البدعة والجاهلية، وعبادة

١٩- العلامة محمد حامد الفقي

(١٣١٠/١٣٧٨ هـ - ١٨٩٢/١٩٥٩ م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالراصد

تمهيد:

العلامة محمد حامد الفقي هو مؤسس جماعة أنصار السنة النبوية بمصر وهو العالم المحقق لتراث أئمة السلف، والمجاهد والمصلح والساعي لنهضة هذه الأمة، وأحد أئمة الحرم المكي برهته من الزمن، والعجيب أنه لم يحظ بترجمة وافية رغم أنه من المعاصرين، وأسس جماعة كبيرة لا تزال قائمة ونشيطة، ولكن هناك تقصير منها في حق رموزها وعلمائها أتمنى أن تتلافها الجماعة بأسرع وقت، ورغم البحث والتفتيش لم أعثر للفقي على صورة شخصية، وهذا من تقصير أبناء جيلنا بحق روادنا، والله المستعان.

مولده ونشأته:

ولد محمد حامد (وهو اسم مركب) الفقي بقرية نكلا العنب سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م بمركز شبرا خيت بمديرية البحيرة في مصر، وكانت أسرته متدينة متعلمة فوالده الشيخ سيد أحمد عبده الفقي ممن درس بالأزهر ولكنه لم يكمل دراسته، وهو من زملاء الأستاذ محمد عبده، بل سكن وإياه في غرفة واحدة، وكانت والدته

(*) كاتب أردني.

الموتى والخشب والنصب مع الداعين».

حتى قبض الله عز وجل فلاحاً بسيطاً ينير له الطريق، وذلك في قصة مؤثرة بليغة يرويها لنا الشيخ حماد الأنصاري أحد تلاميذ الفقي في مكة المكرمة.

تعرف الفقي على منهج السلف والتوحيد:

يحكي الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله: «اجتمعتُ معه عام ١٣٦٧هـ، جئته وهو يدرّس «تفسير ابن كثير» عند باب علي بالمسجد الحرام، وكان عمري لا يتعدى الثانية والعشرين، وبعدما انتهى الدرس وصلينا العشاء، قلت للشيخ: يا شيخ أنا عندي سؤال؟ كيف صرتَ موحداً وأنت درست في الأزهر (وأنا أريدُ أن أستفيد والناس يسمعون).

فقال: والله إن سؤالك وجيه، أنا درست في الأزهر، ودرست عقيدة المتكلمين التي يدرسونها، ثم ذهبت إلى بلدي لكي يفرحوا بنجاحي، وفي الطريق مررت على فلاح، ولما وصلت عنده، قال: يا ولدي اجلس على الدكة .. وكان عنده دكة إذا انتهى من العمل يجلس عليها، وجلست على الدكة وهو يشتغل، ووجدت بجانبني على طرف الدكة كتاب، فأخذت الكتاب ونظرت إليه ... فإذا هو كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم؛ فأخذت الكتاب أتسلى به، ولما رأني أخذت الكتاب وبدأت أقرأ فيه .. تأخر عني ... أخذ فكرة عن الكتاب، وبعد فترة من الوقت جاء وقال: السلام عليكم يا ولدي، كيف حالك؟ ومن أين جئت؟ فأجبته عن سؤاله، فقال لي: والله أنت شاطر، لأنك تدرجت في طلب العلم حتى توصلت إلى هذه المرحلة؛ ولكن يا ولدي أنا عندي وصية.

فقلتُ: ما هي؟

قال الفلاح: أنت عندك شهادة تعيشك في كل الدنيا في أوروبا في أمريكا، في أي مكان، ولكنها ما علمتك الشيء الذي يجب أن تتعلمه أولاً.

قلتُ: ما هو؟

قال: ما علمتك التوحيد!

قلتُ له: التوحيد!!

قال الفلاح: توحيد السلف.

قلتُ له: وما هو توحيد السلف؟

قال له: انظر كيف عرف الفلاح الذي أمامك توحيد السلف، هذه هي الكتب: كتاب «السنة» للإمام أحمد الصغير، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، وكتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري، وكتاب «اعتقاد أهل السنة» للحافظ اللالكائي، وعد له كثيراً من كتب التوحيد، وذكر الفلاح كتب التوحيد للمتأخرين، وبعد ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

وقال: أنا أدلك على هذه الكتب إذا وصلت إلى قريتك ورأوك وفرحوا بنجاحك، لا تتأخر ارجع رأساً إلى القاهرة، ادخل (دار الكتب المصرية) ستجد كل هذه الكتب التي ذكرتها كلها فيها، ولكنها مكدّسٌ عليها الغبار، وأنا أريدك تنفض ما عليها من الغبار وتشرها». باختصار من المجموع للشيخ حماد الأنصاري (١/٢٩٤ - ٢٩٧).

وفعلاً عاد الفقي للقاهرة وبحث عن هذه الكتب ونفض عنها الغبار وطالعها وآمن بما فيها من الحق، وكان الفقي محباً للقراءة يعكف الساعات الطوال على الكتب ينهل منها ويتعلم، فعكف على كتب التفسير والحديث ينهل من علومها ودررها، واستفاد كثيراً بمطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وأصبح ينشر هذه الكتب فيما بعد بالتحقيق والطباعة والتعليم والدعوة والكتابة، وكان هذا الفلاح من تلاميذ الشيخ محمد عبدالحليم الرمالي، خريج الأزهر والذي كان من دعاة التوحيد والسنة وأسس جماعة الاعتصام بهدي الإسلام سنة ١٩٢١م بدمياط، وقد توثقت الصلة بينه وبين الشيخ الفقي، وأصبح يرأس هيئة علماء أنصار السنة المحمدية التي تكونت سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م.

وقد فتحت هذه الكتب للفقي الباب للتعرف والتعلم على يد أعلام السلفية في عصره بجوار

وهكذا انتقل الفقي من عالم المتكلمين والتصوف لأنوار الوحي من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ثم بدأ ينصح لأصدقائه ومعارفه، فالتف حوله عدد من الأصدقاء والزملاء وجعلوه شيخاً لهم رغم أن سنه لم يتجاوز عندها ثمانية عشر عاماً، وكان ذلك سنة ١٩١٠م بعد أن أمضى ست سنوات من دراسته بالأزهر، وبقي على هذا المنوال حتى تخرج من الأزهر عام ١٩١٧م، وكان عمره عندها ٢٥ سنة، ومن شيوخه بالأزهر والذين لهم مشرب إصلاح: شيخ الأزهر مصطفى المراغي، والشيخ علي سرور الزنكلوني، والشيخ الشرشابي.

الفقي والدعوة للتوحيد:

كان الفقي إنساناً إيجابياً اختار أن يسير على منهج الأنبياء بالدعوة والإصلاح بعد تخرجه من الأزهر، يقول الفقي: «كان من حق هذه النعمة وأداء شكرها، أن أقف حياتي لإرشاد الضال وهداية التائه، وإزالة الحجب عن القلوب، وإظهار الحق للناس قدر طاقتي في ثوبه الجميل، وبيان مكائد شياطين الجن والإنس التي كادوا بها للإسلام وأهله، حتى يحذروا إخواني من المسلمين كما حذرتها».

فانطلق يدعو في المساجد والمقاهي للتوحيد، فقد عين إماماً وخطيباً لمسجد شركس ثم مسجد هدارة بمنطقة عابدين بالقاهرة، فبث من على منبريهما دعوة التوحيد والسنة، وأيضاً كان يذهب للمقاهي التي كانت أماكن تجمع للمتعلمين وغيرهم، فكان يحدثهم عن الإسلام وعقيدته، وكان له درس مع زملائه في قهوة علي قاسم، ولما كان الفقي خطيباً مفوها يشد سامعيه وعالمياً موفقاً فقد وفقه الله والتف حوله عدد من الناس يتعلمون عليه الإسلام وبقي معهم يواجه البدع والخرافات والجهالات.

يقول الشيخ أبو الوفاء درويش: «كان يفسر آيات الكتاب العزيز فيتغلغل في أعماقها ويستخرج منها درر المعاني، ويشبعها بحثاً وفهماً واستنباطاً، ويوضح ما فيها من الأسرار العميقة والإشارات

دراسته الأزهرية، فقد استفاد الفقي من السيد رشيد رضا والأستاذ محب الدين الخطيب خاصة، وكان يكرر دوماً لمن يحدثهم «أستاذنا رشيد رضا»، وأيضاً عمل الفقي بالمكتبة السلفية التي أسسها محب الدين الخطيب، واستفاد منها كثيراً، ويتضح هذا من مقارنة مجلته الأولى «الإصلاح» في مكة بمجلة المنار لرشيد رضا حيث صدرها بتفسير القرآن، وكان ينقل بعض مقالات الفتاح وأخبارها ويعزو إليها، وأشاد في مجلة الإصلاح بتأسيس جمعية الشبان المسلمين التي كان محب الدين فاعلاً فيها وأمين سرها، وحين توقفت المنار بوفاة رشيد رضا سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٥م، أنشأ الفقي مجلة الهدي الإسلامي، وأكمل مقالات تفسير القرآن من حيث انتهى رضا.

وقد بدأ الفقي في هذه المرحلة بالتعرف على حملة منهج السلف في مصر ونسج العلاقات والصدقات التي ستستمر حتى الموت، ومن أهم هؤلاء طلبة مدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها رشيد رضا، والذين سيصبح أكثرهم من رموز جماعة أنصار السنة المحمدية لاحقاً، ومن هذه العلاقات تعرفه على السفير الأول للملك عبد العزيز بن سعود في مصر، الشيخ فوزان الفوزان، يقول الفقي في مجلة الهدي النبوي: «تعرفت عليه بواسطة أخي في الله الشيخ محمد ملوخية المدني في عام ١٣٢٨هـ، إذ كنت طالباً في الأزهر وكنا نذهب إليه كل يوم جمعة، فنصلي معه الجمعة، ثم يكرمنا بواجب الضيافة، ثم بعد ذلك يزودنا بالمعلومات والكتب العلمية»، وقد توثقت العلاقة بينهما ولم تنقطع أبداً بل نجد الشيخ الفوزان يوصي عند وفاته في القاهرة عام ١٣٧٣هـ بأن يتولى الشيخ حامد الفقي غسله وتكفينه والصلاة عليه.

وبواسطة الفوزان تعرف الفقي على علماء السعودية ووجهائها من آل الشيخ وغيرهم الذين كانوا يزورون مصر، ومن ثم تعرف على الملك عبد العزيز نفسه، ولعل ذهابه للسعودية لاحقاً كان بسبب الفوزان.

الدقيقة والحكمة البالغة والموعظة الحسنة. ولا يترك كلمة لقائل بعده. بعد أن يحيط القارئ أو السامع علماً بالفقه اللغوي للكلمات وأصولها وتاريخ استعمالها فيكون الفهم أتم والعلم أكمل وأشمل».

والشيخ الفقهي بنشاطه هذا انتقل بالدعوة السلفية خطوة للأمام في المجتمع المصري، فقط كانت السلفية موجودة بين العلماء والدعاة والمفكرين في الأزهر وفي الجمعيات والمجلات، ولكن الفقهي نزل بها للشارع وللناس البسطاء في المساجد، وقد جرّ عليه هذا مشاكل كثيرة لكنه صبر عليها وصمد في وجهها بتوفيق الله، حتى استطاع مع لفييف من إخوانه بعد ١٠ سنوات من تخرجه من الأزهر والدعوة الفردية تكوين جماعة أنصار السنة المحمدية.

وأيضاً في هذه المرحلة كان له مساهمة إعلامية بنشر بعض المقالات في الصحف والمجلات، مثل مقالاته بمجلة الفتح سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م رداً على طه حسين وأخوانه ودفاعاً عن القرآن الكريم، وتوطدت علاقاته بعلماء وشيوخ الأزهر، فحين وقع خلاف بين الشيخ رشيد رضا وبين الشيخ يوسف الدجوي الصوفي الذي هاجم بشكل شخصي رضا في مجلة (نور الإسلام) التابعة للأزهر سنة ١٣٥١هـ، وجرت معاتبات ووساطات للإصلاح بينهما كان رسول مفتي مصر الشيخ عبد المجيد سليم لرشيد رضا هو الشيخ حامد الفقهي، مما يدل على مقدار حضوره بين هؤلاء العلماء الكبار.

تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية:

بقي الفقهي مجتهداً في الدعوة إلى التوحيد والسنة في كل مكان ينزل فيه، فغلب تخرجه من الجامعة أصبح إماماً لمسجد شركس ومسجد الهداية في منطقة عابدين، فاجتهد على نشر الدعوة وتعليم الناس وإرشادهم، ولقي في سبيل ذلك الكثير من العقبات والمعيقات لكنه ظل ثابتاً على مبادئه السننية، حتى تيسر له في سنة ١٩٢٦م تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية، في منطقة

عابدين بالقاهرة بمعونة عدد من زملائه وإخوانه. والذي دعا الفقهي لهذا القرار استشرافه لمستقبل الدعوة، وأنها إن بقيت مرتبطة بشخصه فهذا سيحد من انتشارها، وخاصة بعد أن أوقف الشيخ عن الدعوة بمسجد الهداية بسبب وشاية الحاسدين والمغرضين من أصحاب البدع والضلالات، حيث أيقن ضرورة تكوين جماعة تحمل الدعوة، وذلك بعد أن كثر عدد أتباعه، وأصبح أصحاب البدع مستائين من دعوته، فرأى أن ينتقلوا مكان خاص بهم، لا يمكن منعهم منه ابتعاداً عن ضوضاء المقاهي التي ضاقت بهم، ويبدو أن الشيخ الفوزان، سفير السعودية، شجع على هذه الفكرة، فهذا هو الفقهي يقول: «ففي داره وبيده غرست أنصار السنة، وفي داره وبيده ترعرعت أنصار السنة، حتى كانت يوم موته - رحمه الله - قرة لعينه».

وفعلاً استأجر الفقهي داراً بمنطقة عابدين قرب قصر الملك، ويحدثنا الشيخ محمد القاضي عن نشأة الجماعة سنة ١٩٢٦م فيقول: «صليت الجمعة في أقرب مسجد وهو جامع شركس، فإذا بإمام طلق اللسان قوي الحجة واسع الاطلاع، يقول كلاماً لم أعهد من قبل في خطباء المساجد، فكأن كلامه السهم ينفذ إلى القلب، فأعجبت به ولم أنقطع عن صلاة من الصلوات ولا درس من الدروس.

وفي هذه المدة رأيت بعضهم يقفون أمام المسجد بعد صلاة العشاء، ويتحدثون في أمر إنشاء جمعية، فكانت فكرة طيبة قوبلت بالسرور، ثم خطوا بعد ذلك خطوة أخرى وأنشئت الدار في ديسمبر ١٩٢٦م ففرح الكل بذلك فرحاً عظيماً واعتبروها نصراً من الله الذي ينصر من يشاء».

ويرى بعض الباحثين أن الفقهي اختار هذا الاسم للجماعة تأثراً برشيد رضا الذي كان يستخدم هذه العبارة، وبدأ الشيخ مع إخوانه بالدعوة من خلال أنصار السنة المحمدية، ولكن تأسيس الجماعة لم يوقف المكائد ضده وضد دعوته، بل حاول بعض كبار موظفي قصر عابدين تحريض الناس ضده،

ووصل الحال بهم لإغراء أحد السذج لقتله، ولكن الله نجاه!

وقد كانت الخطوة إضافة جديدة للدعوة السلفية في مصر حيث أنها جمعت شمل كثير من دعاة السنة والتوحيد بمصر سواء كانوا قد أسسوا جمعية خاصة أو لهم نشاط فردي، فبعد تأسيس دار أنصار السنة انضم إليها بقية الدعاة وأصبح مقر عابدين المركز العام.

ففي خارج القاهرة تأسس فرع دمياط والذي كان بالأصل جمعية الاعتصام بهدي القرآن التي أسسها الشيخ محمد الرمالي، وفرع الإسكندرية الذي أسسه الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، وفرع سوهاج الذي أسسه الأستاذ أبو الوفاء درويش، وفرع الحوامدية الذي أسسه الشيخ محمد أحمد عبد السلام.

ولكن بعد سنتين انتقل الشيخ للسعودية حيث عهد إليه برئاسة إدارة النشر بمكة المكرمة، مما أدخل الجماعة في مرحلة من الركود.

الفقي في الحجاز:

هناك في الحجاز وعلى قلة بقاءه إذ لم يمكث سوى ثلاث سنوات تقريباً، إلا أنه ترك بصمة قوية لا تزال لليوم آثارها في السعودية يكفي منها قول العلامة محمد صالح بن عثيمين عن الفقي: «أستاذنا»، وكانت إقامته هناك سبباً لتوسيع دائرة علاقاته بعلماء المملكة ومن هؤلاء مثلاً: الشيخ السعدي الذي استمرت العلاقة بينهما مدة طويلة، يقول الفقي بهذا الصدد في مقاله (عرفت الشيخ السعدي) في رثائه له: «لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي من أكثر من عشرين سنة فعرفت فيه العالم السلفي المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق، فيمشي وراءه لا يلوي على شيء»، وقد كان بينهما مراسلات بلغت ٥٠ رسالة.

قام الفقي في الحجاز بعدد من الأنشطة الدعوية والإصلاحية، منها إنشاؤه أول مجلة إصلاحية نصف شهرية في العهد السعودي وهي مجلة «الإصلاح» سنة ١٣٤٧هـ والتي رفعت شعار (صحيفة

دينية علمية اجتماعية أخلاقية)، ورغم أنها لم تعمّر سوى سنة ونصف تقريباً إلا أنها تركت أثراً كبيراً على المجتمع السعودي آنذاك، واستقبلها العلماء والأمراء بالبشر والترحاب، وقد كان إنشاء المجلة رغبة من الفقي طرحها على الملك عبد العزيز الذي رحب بالفكرة، وقد بين الفقي في افتتاحيته للمجلة أن سبب اقتراحه شعوره بالدور الكبير للصحافة في نشر الإصلاح والدعوة الصحيحة بين الناس، وأهمية ذلك في محاربة الفساد والضلال المنتشر، وأن المجالات القائمة بالإصلاح لا تزال لا تغطي الدور المطلوب من ناحية الانتشار والمهام.

وقد رحب السيد رشيد رضا بصدور المجلة وأثنى عليها في المنار، وهذا يدل على مركزية دور الإعلام في تفكير الفقي الإصلاحية، وقد كان الفقي يكتب أغلب مواد الإصلاح، وشارك في الكتابة عدد من زملائه المصريين كالشيخ عبد الظاهر أبو السمح الذي كان قد سبقه للحجاز وأصبح إماماً للحرم المكي، وأيضاً كتب في «الإصلاح» عدد من علماء المملكة وغيرهم.

وأيضاً في الحجاز كان للفقي دروس ومحاضرات في الحرم المكي والمعهد الشرعي بمكة، بل وقد تولى الإمامة في الحرم المكي بعض الوقت بالنيابة عن الشيخ عبد الظاهر أبو السمح.

عودته للقاهرة وقيادة جماعة أنصار السنة

المحمدية من جديد

بعد سفر الفقي للحجاز ضعف نشاط الجماعة، وتبدل مقرها ثلاث مرات، ولكن بقي أعضاؤها على عهد شيخهم يترقبون أخباره وينتظرون عودته، ولما جاءت بعض النسخ من مجلته «الإصلاح» الحجازية، فرحوا بها جداً وتخاطفوها فيما بينهم، ولما رجع إليهم سنة ١٣٤٩هـ عاودوا الالتفاف حوله من جديد، ومضوا في دعوتهم للتوحيد والسنة، ويمكن إجمال هذه المسيرة في المحطات التالية:

- تطوير الجماعة وتفعيلها: فبدأ الفقي بالعمل على بعث الجماعة من جديد ووضع لها قانوناً تسيّر عليه، وتواصل من جديد مع دعاة السنة في مصر الذين كان لكل منهم نشاط في ناحيته

ومحافظته، وأصبح هذا النشاط ينظم للجماعة كمركز وفرع من فروعها، وأيضاً كانت هناك جولات على المدن والقرى للدعوة وكسب أنصار جدد، مما زاد في عدد أنصار الجماعة، وأصبح مركز عابدين هو المركز العام للجماعة، وتكونت فروع جديدة بالقاهرة وكان أول فرع لها هو فرع القبة ثم فرع الجيزة، ثم فرع مصر الجديدة، وبعد أن كان أعضاؤها نفرًا محدودًا بلغوا ألف عضو.

- **تكوين هيئة علمية للجماعة:** حيث قام الفقي بتكوين هيئة شرعية علمية لجماعة أنصار السنة سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م كان على رأسها الشيخ عبد الحليم الرمالي، وضمت في عضويتها: الشيخ أحمد شاكِر، الشيخ محمد عبد السلام القباني، الشيخ عبد الوهاب عيسوي، الشيخ محمد مخيمر، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ إبراهيم عبد الباقي، الشيخ محمد حمدي، الشيخ عبد الحميد عبد السلام، والشيخ الفقي.

ومن رقي أخلاق الفقي حفظه للود لشيخه الرمالي الذي كان سبباً في هدايته وتعرفه على التوحيد والسنة، ورغم أن الكثيرين قد لا يعرفون الرمالي في ذلك الزمان ولا في هذا الزمان، ولكنه خلق الوفاء والصدقة المخلصة، التي يجب أن يتحلى بها دعاة الحق دوماً.

- **تأسيس مجلة الهدي النبوي:** وفي سنة ١٣٥٦هـ (مارس ١٩٣٦م) صدر العدد الأول من مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال جماعته والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها، لخص الفقي غرضه الإصلاحى من هذه المجلة فقال في افتتاحية العدد الأول: «واعلم أنه لا يعود بالمسلمين سيرتهم الأولى ويرد إلى قلوبهم شجاعتهم وغيرتها إلا تضافر أيدي أولئك النفر الوسط المهتدين وجمع قواهم ونهوضهم إلى انتشال من أجتالتهم الشياطين والعمل على إظهار محاسن الإسلام.

ولقد أصبح ذلك العمل غير ميسور على وجهه الأكمل إلا بواسطة الصحف التي تنتشر في البلاد

وتدخل على كل أمير وعظيم وحقير وكبير وصغير، فإنشاء الصحف الإسلامية بلسان أولئك المصلحين من أنجع الوسائل في هذا الزمان لمعالجة أمراض المسلمين الدينية والأخلاقية، ولطالما تمت نفسي أن إصدار صحيفة دينية علمية تضم صوته إلى صوت المصلحين وتدعو إلى الحق والرشاد والصلاح، ولقد حقق الله الأمنية وهو المستعان، فلقد أخرجت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلتها المباركة (الهدى النبوي) لتحقيق ما سبق ذكره من معالجة الأمراض والأدواء التي تنخر جسم المجتمع الإسلامي في هذا العصر والله ولي التوفيق».

وفي نفس الوقت لابد أن نتنبه إلى أن الفقي أراد إكمال مسيرة مجلة المنار التي توقفت بموت رشيد رضا في نفس العام! ويدل على هذا قول الفقي في بداية العام السادس من مجلة الهدي النبوي: «نشر السيد رشيد رضا رحمه الله في العدد الأخير من المجلد (٣٤) من المنار هذا البرنامج الذي وضعه لمجلته الغراء:

تفسير القرآن بطريقة تبين أحقية الإسلام وجماله وكماله وصلاحه لكل زمان. شرح حديث رسول الله ﷺ وبيان صحيحه وضعيفه وزائفه.

دفع الشبهات وحل المشكلات، وذلك يكون في باب الفتاوى.

نقد المطبوعات التي فيها أخطاء علمية أو دينية ضارة.

بيان البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي شوهت من جمال الإسلام.

الأدب والأخلاق، لأن أدب النفس واللسان أكبر أنصار الدين على التهذيب وتكوين الأخلاق. أهـ

ولمناسبة دخول (الهدى) في عامها السادس رأينا أن ننشر هذا البرنامج، ويظهر أن طريق الإصلاح الحق لكل داع إلى سلوكها واحدة، فقد كانت مجلة المنار هي المثل الأعلى فيما دعا إليه صاحبها رضوان الله عليه، ثم قففتها مجلة الهدي من أول

نشأتها من السير على هذا المنهج والحمد لله. ولعلها توسعت في بعض بنوده بما لم تدانها فيه مجلة أخرى».

ومن هنا رأينا الفقي يواصل مسيرة رشيد رضا في تفسير القرآن الكريم، فرشيد رضا توفي عند الآية ١٠١ من سورة يوسف، وقام الشيخ محمد بهجت البيطار بإكمال تفسير سورة يوسف، ثم قام الشيخ الفقي بإكماله فبدأ بتفسير سورة الرعد ثم إبراهيم ثم الحجر فالنحل، ومات بعد أن فسر إحدى عشرة آية من سورة الإسراء في مجلة الهدي النبوي، وكانت آخر آية فسرهما هي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ

وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء]، وقد فسرهما رحمه الله في العدين ٦ و٧ لسنة ١٣٧٨هـ في حوالي ٢٢ صفحة.

وتابع التفسير من بعده الشيخ عبد الرحمن الوكيل، ثم الشيخ سيد رزق الطويل، كما أخبر بذلك الأستاذ فتحي عثمان، وكيل جماعة أنصار السنة والخبير بتراثها وعلمائها، وما أجمل أن تشيع هذه الروح الجماعية التكاملية بين العلماء والعامّة فتتهض بها الأمة وتسعد.

وتنوعت مقالات المجلة بين القضايا الشرعية والأدبية والاجتماعية والسياسية، وكان لقضية فلسطين حضور بارز على صفحاتها، وكذلك أحوال البلاد الإسلامية.

وكانت (الهدي النبوي) تتشرف بمقالات عدد من الأعلام، وعلى سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أحمد محمد شاكر، الأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ أبو الوفاء محمد درويش، والشيخ صادق عرنوس، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، الشيخ محمود شلتوت.

وقد تولى الفقي رئاسة تحرير (الهدي النبوي) منذ نشأتها حتى وفاته، وفي سنة ١٣٧٠هـ، عهد مجلس إدارة الجماعة للشيخ أحمد شاكر بتولي منصب مدير التحرير بالمجلة، لكنه لم يستمر بسبب عودته للقضاء.

وكانت (الهدي النبوي) توزع في مصر وخارجها، وكانت سفير الجماعة للعالم الإسلامي، وأصبح لها مشتركون وأنصار من بلاد عديدة، كتب الفقي في افتتاحية السنة الثانية من المجلة: «ولقد لقيت مجلة الهدي النبوي في عامها الماضي تعضيضاً ومساعدة على نشرها وإذاعتها وترويجاً في الأوساط المختلفة ما لم تكن تحلم به، حتى لقد كانت تنفد بعض أعدادها في أسبوع واحد وذلك بهمة إخواننا أنصار السنة المحمدية المنتشرين الآن بحمد الله في نواحي كثيرة من مصر والسودان والحجاز ونجد والشام والهند وجاوا والعراق والمغرب كثر الله سوادهم وأيدهم بروح من عنده، وجزاهم عنا أحسن الجزاء»، وفي السنة الثانية عشرة من عمرها كانت تطبع ٢٥٠٠ نسخة، منهم ٦٠٠ مشترك من خارج مصر، وهو رقم كبير بمقاييس ذلك الزمان.

- تأسيس مطبعة أنصار السنة: مع زيادة نشاط الجماعة أنشأ الشيخ الفقي مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف وبوجه خاص كتب ابن تيمية وابن القيم.

محطات متفرقة من حياة الفقي:

- شكّل نشر العلم والدعوة للتوحيد الشغل الشاغل له رحمه الله، وقام بنشر الكثير من كتب السلف وخاصة ابن تيمية وابن القيم وكذلك علماء الدعوة النجدية، وقائمة كتبه في ذلك تطول، وهي مشهورة، وقد تسببت تلك الجهود المباركة بقيام أهل البدع بحربه بالباطل كأحمد وعبد الله الغماري وعبد الفتاح أبو غدة، ووقعت له قصة ضخمة حين طبع كتاب (رد الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسّي) سنة ١٣٥٨هـ، فقام بعض أهل الضلال وخاصة عبد المجيد اللبان ويوسف الدجوي بالتشنيع على الشيخ في الصحف والمجلات حتى أصبحت قضية كبيرة، وتم تحويلها لجماعة كبار العلماء بالأزهر وعلى رأسها الإمام الأكبر الشيخ المراغي للنظر في الكتاب.

ولم ينتظر أهل الضلال تقرير هيئة العلماء بل أشاعوا أن الفقي سوف تُسحب منه شهادته العالمية

الأزهرية، مما أثار قلق إخوانه، إلا أن قرار اللجنة كان في صالح الشيخ الفقهي، ولكن أعداءه لم ييأسوا وأعادوا إثارة الموضوع حتى صدر تقرير ثانٍ يميل لهم، وحسماً للخلاف طلب شيخ الأزهر من الشيخ محمد شلتوت كتابة تقرير ثالث ينهي به القضية فكتب تقريراً فند به التقرير الثاني وختمه بقوله:

«كان أولى بنا بدل أن نقرأ هذا التقرير الذي ينظر في مقدمة الناشر (الفقي) نظرة تخرجها عن واقعها، وتحولها عما أراده منها صاحبها. كان أولى بنا أن نقرأ تقريراً آخر في الكتاب وما تضمنه من الآيات والأحاديث وما فيه من انحراف، لينبه على هذا كله ويناقش فيه، ويبين للناس وجهه الحق، ثم يطلب من الجماعة العمل على إلزام ناشر الكتاب بنشر هذا البيان، وقد سبق مثل ذلك يوم أريد نشر الكتاب تاريخ بغداد فوجد فيه طعن باطل على الإمام الأعظم أبي حنيفة رضى الله عنه، فصور الكتاب حتى وضع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير مفتي الديار المصرية تعليقا في تنفيذ ما جاء في الكتاب خاصاً بالطعن على أبي حنيفة وإلزام ناشر الكتاب بنشر هذا التعليق معه، وكان هذا سبباً في الإفراج عن الكتاب. إلا أن جماعة كبار العلماء لو فعلت هذا لقامت بواجبها من غير أن يؤول عملها بأنها تصدر حرية التأليف والنشر.

لهذا أقترح على الجماعة الموقرة أن تصرف النظر عن هذه المسألة، لئلا تثير مشاكل لا فائدة للإسلام والمسلمين من إثارتها، لا بالنسبة إلى الكتاب، ولا بالنسبة إلى ناشر الكتاب»، هكذا أسدل الشيخ شلتوت الستار على القضية لصالح الفقهي، وهذا مثال على ما كان يعانيه الفقهي وإخوانه في سبيل نشر التوحيد والسنة ونقض الشرك والبدعة في ذلك الزمن.

ويقول الشيخ صفوت نور الدين (الرئيس السادس لجماعة أنصار السنة) عن بعض ما كان يعانيه الفقهي في دعوته للتوحيد من بعض مشايخ

الضلال: كان الشيخ عبد ربه سليمان في درسه يقول (الجاحد الشقي) يعني به الشيخ حامد الفقهي، فيسمع تلامذته هذا الكلام فيأتون للشيخ حامد ويسمعون فيجدون أحاديثه هي: قال الله، وقال الرسول؛ يدعو بدعوة التوحيد؛ فالكثير منهم ممن جاء لأنصار السنة جاء بهذا السبيل!!

- كانت له صلات واسعة بالعلماء والدعاة وخاصة أهل التوحيد والسنة منهم والوجهاء والساسة في عصره في مصر وخارجها، فكانت له علاقات واسعة بالأزهر وشيوخه وعلمائه خاصة الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ مصطفى المراغي والشيخ شلتوت والشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر ووالد المحدث أحمد شاكر، حيث كان يحضر دروسهم ويزورهم ويستضيفهم لإلقاء المحاضرات في جماعة أنصار السنة ويدون بعض دروسهم وينشرها في مجلة الهدى النبوي ويستكتبهم في مجلة أنصار السنة المحمدية.

- وكانت له علاقات بدعاة التوحيد والسنة خارج مصر مثل: الشيخ محمد بهجة البيطار، الذي كان أول مفتٍ لمجلة الهدى النبوي حيث ترسل له الاستفتاءات ليحيب عنها من دمشق، وكان للفقهي تواصل مع الشيخ نسيب الرفاعي، وكذلك مع الشيخ الألباني، حيث كان شاباً حين طلب منه الفقهي المساعدة في نسخ وتحقيق رسالة العقود لشيخ الإسلام ابن تيمية، وطبعت باسمهما معاً، قال الفقهي في مقدمته: (فكتببت إلى الاخ السلفي الباحث الشيخ ناصر الدين الارنؤوطي بدمشق أطلب إليه معاونتي في العثور على نسخة أخرى فكتب إلي أن عند آل الشطي الأمجاد نسخة جيدة سليمة فأرسلت إليه النسخة بالطائرة فراجعها مراجعة دقيقة وكمل مواضع النقص فيها، وعندئذ اطمأنت إلى أنني أستطيع أن أخرج الكتاب النفيس باسم نظرية العقد)، كتب هذا في شوال سنة ١٣٦٨هـ / أغسطس ١٩٤٩م، وحين جاء الألباني لمصر رتب له محاضرة في دار أنصار السنة.

وكانت للفقهي صلات جيدة بأهل الحديث في

الهند، فضلاً عن علاقاته القوية بالسعودية وعلمائها.

- جهاده: يقول عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «لقد ظل إمام التوحيد (في العالم الإسلامي) والدنا الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله أكثر من أربعين عاماً مجاهداً في سبيل الله. ظل يجالّد قوى الشر الباغية في صبر، مارس الغلب على الخطوب واعتاد النصر على الأحداث، وإرادة تزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية، لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من الناس، أو يلوذ به، إذ كان الخوف من الله آخذاً بمجامع قلبه، كان يسمى كل شيء باسمه الذي هو له، فلا يُدهن في القول ولا يداجي ولا يبالى ولا يعرف المجاملة أبداً في الحق أو الجهر به، إذ كان يسمى المجاملة نفاقاً ومداهنة، ويسمى السكوت عن قول الحق ذلاً وجبناً».

وكانت له مشاركة في الجهاد ضد الاحتلال البريطاني لمصر قبيل الحرب العالمية الثانية، إذ كان يحرض الناس على المقاومة وكان يطبع ويوزع البيانات ضد الاحتلال سراً. وأسس جماعة (أنصار فلسطين) للجهاد ضد اليهود.

قال الفقي عن إلغاء المعاهدة مع بريطانيا: «فإليكم ما سجلته في رسالتي التي أُرِد بها على شيخ الأزهر: «لقد ألغت الحكومة مشكورة هذه المعاهدة المشؤمة التي عقدتها مصر مع إنجلترا الفاجرة، ونحن أنصار السنة نؤيد هذا الموقف الشجاع الجريء الذي استطاعت به حكومة مصرية أن تقول للإنجليز لا، أيها الطفغاة الغاصبون، لن نستكين بعد اليوم لذلة، ولن نمكن نير ظلمكم من أعناقنا مرة ثانية. ولكن يجب أن تبرم القلوب عهداً مع الله أن لا تخون عهده، وأن تكون النفوس له وحده في العبودية والجهاد، ولقد نبذنا في قوة وعزة محالفة الإنجليز، فلنعاهد الله أن نبذ الحلف مع الشيطان»، فنحن نؤيد الحكومة كل التأييد، ونعتبر من لا يؤيد ذلك ليس خائناً للوطن فحسب بل قبل ذلك خائناً لله ودينه ورسوله».

- لم تقتصر دعوته على مصر، فبسبب وجود الأزهر الذي يستقبل الطلبة من مختلف البلدان، فقد تأثر بدعوة الشيخ الفقي عدد من الطلبة الذين نشروا فكر أنصار السنة المحمدية في بلادهم، وأسسوا جماعة أنصار السنة في بلادهم كما في السودان وأرتيريا وأثيوبيا والصومال وليبيريا وتايلند.

قال سعد صادق في بيان تأثير دعوة الفقي: «لم ينحصر تأثير دعوة الشيخ حامد داخل دائرة مصر ومدنها وقراها فحسب ... بل تجاوزها إلى خارج الحدود المصرية، تجاوزها في إفريقيا إلى السودان وإرتيريا والصومال، وفي الشام: سوريا والعراق والأردن ولبنان وفلسطين، وفي آسيا إندونيسيا وسيام. بل لا نكون مغالين إذا قلنا إن تأثير هذه الدعوة امتد إلى بعض دول أوروبا في أمريكا ولندن وفرنسا وسويسرا حيث توجد هناك جاليات مسلمة، تسامعت بدعوة الشيخ عن طريق من يسافرون إلى تلك المدن الأوروبية في مهمات عملية وعلمية وعن طريق مجلة الهدى النبوي التي كانت تصل إلى تلك البلاد ويقرأها كثير من المتعطشين إلى معرفة العلم الصحيح النابع من القرآن والسنة».

وفاته:

توفي رحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ، الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩م على إثر عملية جراحية، فبعد أن نجحت العملية أصيب بنزيف حاد وعندما اقترب أجله طلب ماء للوضوء ثم صلى ركعتي الفجر بسورة الرعد كلها. وبعد ذلك طلب من إخوانه أن يُنقل إلى دار الجماعة حيث توفي بها.

مراجع للتوسع:

- ١- جماعة أنصار السنة المحمدية، د. أحمد محمد الطاهر، دار الهدى النبوي بالقاهرة ودار الفضيلة بالرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٢- جهود الشيخ محمد حامد الفقي في تفسير القرآن الكريم، محمد عاطف التاجوري، مكتبة السنة النبوية، القاهرة، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٣- العلامة محمد حامد الفقي رائد الدعوة السلفية، الأستاذ فتحي أمين عثمان، وكيل أنصار السنة المحمدية، غير منشور.

العلقمي ضد العباسيين، وآخر خلفائهم المستعصم بالله.

وقد تولى خدابنده (ويكتب أيضاً: خربنده وخريندا) الحكمَ في سنة ٧٠٣ هـ،

بعد موت أخيه قازان، وتسمى باسم أولجياتيو محمد خدابنده، واعتنق التشيع، ولُقّب بالملك غياث الدين، وخطب له على منابر العراق وخراسان وغيرهما. يقول ابن كثير في أحداث سنة ٧٠٩ هـ: «وفيها أظهر ملك التتر خربندا الرفضَ في بلاده، وأمر الخطباء أن لا يذكرُوا في خطبهم إلا عليّ بن أبي طالب وولديه وأهل بيته، ولما وصل خطيب باب الأُزج إلى هذا الموضوع من خطبته بكى بكاءً شديداً، وبكى الناس معه، ونزل ولم يتمكن من إتمامها، فأقيمَ مَنْ أتمها عنه وصلّى بالناس. وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهلُ البدعة، فإننا لله وإننا إليه راجعون...».

ويبين الشيخ ناصر القفاري أن ابن مطهر الحلي، الذي يعتبر أكبر شيوخ الشيعة في زمانه (ت: ٧٢٦ هـ) هو الذي زيّن لخدابنده مذهب الشيعة الرافضة، فدخل فيه مع جميع عشائره وقبائله وأتباعه، ذلك أن خدابنده كان حديث عهد بالإسلام، ولا معرفة له بالعقيدة الإسلامية وتاريخ المسلمين.

الشيعة يستميلون السلطان خدابنده

هينم الكسواني^(١) - خاص بـ «الراصد»

لم يترك الشيعةُ في القديم والحديث وسيلة لنشر مذهبهم إلا اتبعوها، فمن الإغراء بالمال والمتعة إلى البطش والإكراه مروراً باستغلال السلطة والإعلام والتأليف، تنوعت أساليب الشيعة حسب مقتضيات الظروف. أحد هذه الأساليب هو استمالة بعض الحكام، والتأثير عليهم وكسبهم لصفهم، ذلك أن التأثير في الحاكم أو المسؤول يتعدى إلى الدولة والمجتمع، ولا يبقى محصوراً في صاحبه.

ويعتبر السلطان المغولي خدابنده^(١)، أحد أهم السلاطين والحكام الذين استطاع الشيعة التأثير عليهم قديماً، واستغلالهم، بعد أن اعتنق التشيع، ومعلوم أن المغول أو التتار هم الذين احتلوا ودمّروا أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، واستطاعوا أن يسقطوا دولة الخلافة العباسية، ودمروا عاصمتها، بغداد، في منتصف القرن السابع الهجري، بفعل المؤامرة التي حاكها الوزير الشيعي ابن

(١) كاتب أردني.

(١) كلمة فارسية تعني: عبد الله.

اللّٰهُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ».

وبعد موته، تولى الحكمَ ولده أبو سعيد وهو حينها في الحادية عشرة من عمره، لكنه ما لبث أن ترك التشيع وعاد إلى السنّة، يقول ابن كثير: «ولعب كثيرٌ من الناس به في أول دولته، ثم عدلَ إلى العدل وإقامة السنّة، فأمر بإعادة الخطبة بالترضي عن الشيخين أولاً، ثم عثمان ثم عليّ رضي الله عنهم، ففرح الناس بذلك، وسكنت بذلك الفتن والشُرور والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد بهراة وأصبهان وبغداد واربيل وساة وغير ذلك».

منهج قديم حديث

واستماله الشيعة للحكام والمسؤولين من أجل نشر التشيع وفرضه منهج قديم حديث، أولاه الشيعة في الوقت الحاضر عناية فائقة، وضمّوه في الخطبة الخمسينية^(١) التي نصّت على أن تصدير الثورة (نشر التشيع) واجب خطير، وعلى رأس الأولويات، وأن حكومة إيران حكومة مذهبية، تأخذ على عاتقها نشر التشيع، ودعت الخطبة الشيعة المقيمين خارج إيران إلى السعي لامتلاك السلاح والقوة، وشراء الأراضي والبيوت، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم، كما دعّتهم إلى اختراق أجهزة

(١) خطبة سرّية أعدها مجلس شورى الثورة الثقافية الإيرانية ووجّهها إلى المحافظين في الولايات الإيرانية، وقد استطاعت رابطة أهل السنّة في إيران (مكتب لندن) الحصول على هذه الوثيقة الهامة، وقام د. عبد الرحيم البلوشي بترجمتها إلى اللغة العربية.

وهذه الخطبة موجهة إلى المناطق السنيّة في إيران، وإلى دول الجوار، وبشكل خاص: العراق، ودول الخليج العربي، إضافة إلى أفغانستان وباكستان وتركيا. وتهدف الخطبة، المشتملة على خمس مراحل، مدة كل منها عشر سنوات، إلى تصدير الثورة الإيرانية، بأساليب أقل حدة عمّا اتبعه مرشد الثورة السابق، روح الله الخميني، للوصول إلى الهدف ذاته وهو السيطرة على المنطقة وتشيعها.

وقد حظي الحلي بمنزلة عظيمة عند

خدا بنده، وألّف له عدة مؤلفات لدعوته وإغرائه بالتمسك بالتشيع، منها كتاب «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» الذي يقول عنه: «فهذه رسالة شريفة، ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة، التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان، المستحق بسببه الخلود في الجنان، والتخلص من غضب الرحمن ... خدمتُ بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ملك ملوك طوائف العرب والعجم، مولى النعم، ومسدي الخير والكرم، شاهنشاه المكرم، غياث الملة والحق والدين أولجاو خدا بنده».

وقد اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا

الكتاب (منهاج الكرامة) من أعظم الأسباب في تقرير مذهب الشيعة لمن مال إليهم من الملوك، وخصّ بالذكر منهم خدا بنده، وقد قند ابن تيمية هذا الكتاب في كتابه الكبير (منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريّة).

وقد ظل السلطان خدا بنده معتقاً

للتشيع إلى أن مات في سنة ٧١٦هـ، وهو في الثلاثينيات من العمر، يقول ابن كثير: «وكان موصوفاً بالكرم ومحّباً للهو واللعب والعمائر، وأظهر الرفض في بلاده، أقام سنّة على السنّة ثم تحول إلى الرفض فأقام شعائره ببلاده، وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلي، تلميذ نصير الدين الطوسي، وأقطعته عدة بلاد، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنّة، وقد جرت في أيامه فتن كبار ومصائب عظام، فأراح

الدولة المدنية والعسكرية على حد سواء، وتوطيد علاقتهم بالتجار، ومحاولة السيطرة على الاقتصاد في الدول التي يقيمون بها، وإلى السعي لأن يحظوا برضى الحكام، وفي المقابل العمل على توتير العلاقة بين الحكومات السنية وعلماء أهل السنة، كي يقوم الشيعة بملء الفراغ.

ومن الحكام الذين استطاع الشيعة استمالتهم في العصر الحديث: الرئيس الليبي معمر القذافي (ت: ٢٠١١م)، الذي نشر الأفكار المنحرفة في بلده، وكثيرا ما كان يصرح بعزمه العمل على إحياء الدولة العبيدية الفاطمية، وهي دولة شيعية إسماعيلية حكمت مصر والمغرب العربي وأنحاء أخرى من العالم الإسلامي بين عامي ٢٩٧ - ٥٦٧هـ.

دمشق عاصمة الأمويين

كما استطاع الشيعة التأثير على أسرة الأسد الحاكمة في سوريا منذ عام ١٩٧٠م، لا سيما وأنها تنتمي إلى طائفة الشيعة النصيرية التي تتفق مع الشيعة الإثني عشرية في العديد من العقائد والأفكار. فقد غدت سوريا (بلاد الأمويين) في عهد حافظ الأسد وابنه بشار مسرحا للعبث الشيعي، وصارت الطقوس الشيعية تُمارس في عاصمتها دمشق جهارا نهارا، دونما خوف أو وجل، في حين تعرضت الدعوة الإسلامية السنية لأقصى الضربات، وتعرض الدعاة من أهل السنة لمختلف صنوف الإيذاء والبطش والتغييب.

ويتحدث نور الدين الشاهرودي، وهو أحد شيوخ الشيعة الإيرانيين فرحا بما تحقق في سوريا من انتشار للتشيع على يد أسرة الأسد، فيقول:

«.. نرى أن دمشق العاصمة السابقة

للأمويين الذين حاربوا أئمة الشيعة ومواليهم ومحبيهم بكل قسوة وشدة، وطاردوا العلويين بلا هوادة في كل مكان، تحولت ضاحية منها اليوم وهي (حي الزينية) إلى معقل كبير للشيعة الذين يتوافدون عليها من كل مكان لزيارة مرقد السيدة زينب، ولقيام بشعائرتهم المذهبية بكل حرية وبدون أي تقييدات من جانب الحكومة السورية التي يقتضي الإنصاف أن نوجه لها آيات الشكر والتقدير لاهتمامها الكبير بالمزارات والمراقد المقدسة للشيعة على أرض بلادها، ولإفساحها المجال أمام زائريها للقيام بشعائرتهم المذهبية، إلى جانب احتضانها لعلماء الشيعة وفقهائهم».

للاستزادة:

❖ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٩م.

❖ شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ومختصره للشيخ عبد الله الغنيمان، دار الصديق، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

❖ الشيخ الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري، أصول مذهب الشيعة، دار الرضا، الجيزة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

❖ الدكتور هادف الشمري، الخطبة الخمسينية وإسقاطاتها في مملكة البحرين، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

❖ نور الدين الشاهرودي، المرجعية الدينية ومراجع الإمامية، طهران، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

الدعم الذي كانت تتلقاه اللجنة «انقطع عنها تماماً منذ نحو تسعة أشهر..».

وها هي أزمة دماج تعود من جديد وفي نفس التوقيت الذي حدثت فيه قبل عامين، وهو موسم الحج إلى البيت الحرام. حيث أدى الحصار الحوثي، في موسم ١٤٣٢ هـ، إلى منع أبناء دماج وطلاب مركز دار الحديث السلفي من التوجه إلى بيت الله الحرام. كذلك الحال تكرر في هذه السنة بسبب الحصار الشامل.

مسار المأساة الجديدة:

بدأت تظهر مؤشرات العدوان الحوثي ضد دماج في يونيو الماضي، حيث قالت مصادر محلية لموقع (مأرب برس)، في ٢٧ يونيو، إن الحوثيين قاموا بالتمترس في جبل الجميمة المطل على دماج واستحدثوا فيه متارس، ونقلوا إليه أسلحة وعتاداً. وقال الناطق باسم مركز دار الحديث بدماج، سرور الوادعي، في بيان له: إن مسلحي الحوثي قاموا عصر يوم ٢٥ يونيو «بالصعود إلى جبل الجميمة المطل على دار الحديث بدماج، واستحدثوا متارس ومواقع جديدة لهم في هذا الجبل، بالإضافة إلى محاولة استفزاز طلاب دار دماج واستعراضهم بالأسلحة الثقيلة من معدلات وبوازيك وغيرها».

وأشار سرور إلى أن بعض طلاب دار الحديث بدماج صعدوا إلى مسلحي الحوثي المتمترسين في جبل الجميمة: «وذلك لغرض تذكيرهم بالصلح الذي بينهم والاتفاقات السابقة، وأنه ليس من صالح الجميع نقضها، مؤكداً أن مسلحي الحوثي، وقبل وصول الطلاب إليهم، أطلقوا عليهم

العدوان الحوثي على دماج...

مسار الكارثة ودوافعها

أحمد أمين الشجاع^(*) - خاص بالراصد

عادت مأساة دماج في محافظة صعدة في شمال اليمن إلى الواجهة بعد هدوء نسبي استمر حوالي عامين إثر نجاح لجنة وساطة برئاسة الشيخ حسين الأحمر، في أواخر سنة ٢٠١١م، في وقف الصراع المسلح وإنهاء الحصار الحوثي على دماج.

وقد ترتب على تلك الوساطة تشكيل لجنة قبليّة، برئاسة الشيخ شطاب الغولي، للرقابة والإشراف على تنفيذ بنود الصلح بين الحوثيين والسلفيين، إلا أن وجود اللجنة لم يحل دون تجدد الصراع وعودة الحوثيين إلى فرض الحصار على دماج وقصف المنطقة بمختلف الأسلحة الثقيلة والمتوسطة.

وكانت بعض وسائل الإعلام قد ذكرت أن

اللجنة واجهت صعوبات أعاقَت أداؤها. فقد نقل موقع (مأرب برس)، يوم ٧ أبريل الماضي، عن مصادر في لجنة الرقابة والإشراف تحذيرها من أن اللجنة قد لا تستطيع مواصلة عملها، حيث تعيش أوضاعاً صعبة قد تجبرها على الانسحاب في أي لحظة إن لم يتم تدارك ذلك. وقالت المصادر إن

(*) كاتب يمني.

النار مباشرة وبمعدلات وعتارات ثقيلة، وهو ما اضطر طلاب دار الحديث إلى التراجع والعودة إلى مساكنهم».

وأكد أن مسلحي الحوثي عادوا إلى موقع الأحرش الواقع أمام جبل البراقة المطل على مساكن الطلاب، مشيراً إلى أن هذا الموقع من ضمن المواقع المتفق على إخلائها من المتارس. منوهاً بأن مسلحي الحوثي استحدثوا نقاطاً جديدة على الطريق المؤدية إلى دماج.

وقال سرور: إن مسلحي الحوثي استخدموا مكبرات الصوت التي وجهوها إلى منطقة دماج، وبثوا عبرها محاضرات عديدة كلها سب وشتم للصحابه رضوان الله عليهم ولأم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها، وأغلب العلماء بمن فيهم الشيخ السلفي المتوفى مقبل الوادعي.

وبحسب بيان سلفي دماج فإن مخالفات الحوثيين لشروط الهدنة تتمثل في الآتي:

- ١- أن الحوثيين ما يزالون في بعض مناطق دماج كالرابية والزيلة والمجر والصمعات والمدور.
- ٢- استحداث بعض المتارس في عدة مواقع، في جبال الصمعات والمدور والجميمة والأحرش.
- ٣- قاموا بالتفجيرات والتلغيمات في جبل الصمعات؛ وهذا ما أدى إلى إزعاج الأمنين.
- ٤- الاستعراض بالأسلحة، التي استولوا عليها من الدولة، في الطرقات؛ لإرهاب المواطنين.
- ٥- مضايقة الزوار والقادمين إلى دماج بالتفتيشات؛ بحجج وهمية. وتوقيفهم لعدة ساعات، وضرب الرصاص؛ لتخويفهم، مع وجود العوائل والأطفال من الزائرين.
- ٦- استحداث نقطة جديدة في طريق صعدة - دماج تحت منطقة السنارة.
- ٧- مضايقة طلاب العلم في محافظة صعدة سواء من منطقة العبددين أو غراز أو غيرها، ومنعهم من الدخول إلى دماج لطلب العلم، ومنعهم من استقدام الخطباء من دماج.
- ٨- التحريض الإعلامي في المساجد التي

استولوا عليها في المنطقة، من خلال سب الصحابة وعلماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين، عبر المكبرات الصوتية.

وفي ١٢ يوليو اتهم الناطق باسم دار الحديث بدمج الحوثيين بنقض كل اتفاق يحصل معهم بين حين وآخر.

وأشار إلى أن آخر نقض لتلك الاتفاقات ما حصل في أول أيام شهر رمضان المبارك (١٤٣٤هـ)، حيث لم يلتزموا بإخلاء مدرسة الخانق من جميع المسلحين بل زادوا تمارساً فيها.

رد سلفي وتحالف قبلي:

كشف القيادي السلفي في دماج الشيخ أبو إسماعيل الوادعي، في تصريح خاص لـ (مأرب برس) يوم ٢٦ أكتوبر، عن فتح جبهات جهادية جديدة ضد الحوثيين، إضافة إلى نقاط عسكرية لأسرهم واعتقالهم ومنع الإمداد العسكري والتمويني عنهم.

وحول دواعي فتح تلك الجبهات القتالية الجديدة قال الوادعي: «لقد تم توافد العديد من رجال القبائل ملبين لدعوة الجهاد التي دعا إليها الشيخ يحيى الحجوري ضد المعتدين عليهم.. إلا أنه تم إيقافهم احتراماً لتواجد اللجنة الرئاسية والعسكرية».

وقال: إنه تم فتح ٣ جبهات جديدة، الأولى في منطقة حَجور بمحافظة حجة، والثانية في منطقة كتاف، والثالثة في قبيلة حاشد. ويقوم عمل تلك الجبهات على إقامة نقاط تفتيش؛ تهدف إلى عدم وصول المواد والمؤن إلى صعدة، إضافة إلى قيامها باعتقال وأسر الحوثيين.

وسوغ القيادي السلفي هذه الدعوة من الشيخ الحجوري؛ بسبب تباطؤ الحكومة في تنفيذ القرارات، إضافة إلى تدهور الوضع الصحي للمصابين وسقوطهم واحداً تلو الآخر.

وفي نفس اليوم ذكر موقع (مأرب برس) أنه حصل على معلومات تفيد بأن زعماء ثلاث من أهم قبائل اليمن اتحدوا وأعلنوا انضمام قبائلهم لمقاتلي

دماج؛ للرد على الحوثيين ورددهم.

وأضاف الموقع: اتفق، ولأول مرة، الشيخ عزيز بن صغير زعيم قبيلة حرف سفيان، وصادق الأحمر زعيم قبيلة حاشد، وانضم إليهم عثمان مجلي من صعدة، على تصفية تقسيم منطقة صعدة وتصفياتها وتطهيرها من الحوثيين.. إلا أن هناك من يؤكد أن عمل الزعماء الثلاثة توقف مؤقتاً حتى يتم النظر في ما سيتم عمله من قبل اللجنة الرئاسية واللجنة العسكرية لتنفيذ القرارات.

وبالفعل أعلنت جبهة كتاف، يوم ٣٠ أكتوبر، فتح باب «الجهاد» لنصرة أبناء دماج.

وقال الناطق الرسمي في جبهة كتاف، أبو إسحاق الشبامي، في بيان نشرته صحيفة (أخبار اليوم) يوم ٣١ أكتوبر: إن أبناء النصر من قبائل اليمن سينطلقون لإعانة أبناء دماج الذين يشن الحوثيون عليهم حرباً شعواء وقصفاً عنيفاً. وأكدوا أنهم في الجبهة مستعدون لتقديم أنفسهم لحماية أبناء دماج والنساء والأطفال والعزل الذين فجعهم قصف الحوثيين.

كارثة إنسانية:

ومنذ ذلك الحين والحوثيون يواصلون حصار وقصف دماج التي يسكنها حوالي ١٥ ألف نسمة، وفي صورة أبشع مما يتعرض له قطاع غزة على يد الصهاينة، وفي ظل تهاون الجهات الرسمية وتجاهل الأحزاب والمنظمات المعنية بحقوق الإنسان، وصمت الجميع أمام مناشدات واستغااثات أبناء المنطقة.

وقد ناشد الناطق باسم سلفي دماج، سرور الوادعي، يوم ٢٢ أغسطس، الحكومة ممثلة برئيس الجمهورية وحكومة الوفاق الوطني، وعلماء المسلمين، ومشايخ قبائل اليمن، بردع الحوثيين «المستبيح لدماء المسلمين»، وتحرير المحافظة ممن وصفهم بالعصابة المجرمة، ورفع الظلم والتسلط الغاشم، وإيقاف الانتهاكات المتتالية لجميع مساعي الصلح السابقة.

وأوضح الوادعي، حسب ما نقل عنه (نيوز يمن)، أن سكان منطقة دماج والقرى المجاورة لها

تفاجؤوا بهجوم حوثي شرس بجميع أنواع الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة على قرية الطلول في البداية، ثم شمل الهجوم منطقة دماج.. ونتج عن هذا الهجوم مقتل أربعة أفراد وجرح آخرين، بعضهم حالته حرجة، وتفجير بعض المنازل.

واتهم الوادعي مليشيات الحوثيين بقطع جميع طرق دماج، ومنع دخول المواد الغذائية والطبية، وجميع مستلزمات الحياة، وعزلها عن بقية مناطق المحافظة، ومنع إسعاف الجرحى إلى مستشفيات المحافظة.

كما اتهم الحوثيين بقطع بث أبراج الهاتف النقال، حيث إنهم مسيطرون على مواقع هذه الأبراج، فراضين بذلك حصاراً مطبقاً وشاملاً على منطقة دماج.

وفي تصريح لصحيفة (أخبار اليوم)، يوم ١١ أكتوبر، أن منطقة دماج تعاني من أزمة خانقة في التموينات الغذائية والدوائية وانعدام للمشتقات البترولية نتيجة الحصار الذي تفرضه مليشيات الحوثيين بصعدة على دماج، دون تدخل من اللجنة الرئاسية لرفع هذا الحصار. مؤكداً أن لجنة أمنية زارت دماج.. وطلب منها نقل جرحى دماج إلى المستشفيات بصنعاء، إلا أن اللجنة الأمنية أكدت لهم أنها لا تستطيع نقل الجرحى؛ لأن الحوثيين لن يأذن لهم بذلك.

وأكد الشيخ سرور أنهم أبلغوا اللجنة الرئاسية بهذه التطورات والجرائم والاعتداءات التي تتفرضها مليشيات الحوثيين، فأبلغتهم اللجنة بأنها قد أنهت مهمتها، وانتقلت المسؤولية إلى وزارة الدفاع. مشيراً إلى أن اللجنة الرئاسية تتهم وزارة الدفاع بالمماطلة في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه.

وناشد سرور الوادعي المنظمات الحقوقية والإنسانية ممارسة الضغط على مليشيات الحوثيين لرفع الحصار عن دماج وإيقاف الهجمات والقصف وعمليات القنص اليومي على سكان دماج. داعياً رئيس الجمهورية إلى إلزام جماعة الحوثيين بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه. كما ناشد جميع أنصار حقوق

الإنسان بالضغط على الحوثي للسماح بنقل الجرحى إلى المستشفيات، والسماح بدخول المواد التموينية والغذائية والمشتقات النفطية إلى دماج؛ كون مليشيات الحوثي تفرض حصاراً مطبقاً على المنطقة وتمنع نقل الجرحى إلى المستشفيات وتمنع وصول المواد الغذائية الطبية التي بدأت تنفد. مؤكداً أن المواد النفطية قد نفدت لدى أهالي دماج ويعيشون في ظلام دامس؛ نتيجة توقف المولدات الكهربائية؛ لانعدام المواد البترولية والديزل.

وفي ٢١ أكتوبر حذر مدير (مستشفى دماج الريفي) بمحافظة صعدة، د. أحمد صالح شبان الوادعي، من كارثة إنسانية بالمنطقة؛ جراء الحصار المتواصل على المنطقة. مناشداً كل الضمائر الحية في مؤسسات الدولة الرسمية ومنظمات المجتمع المدني والوجهاء والحقوقيين والإعلاميين والأكاديميين بالقيام بواجبهم الإنساني إزاء ذلك. وكشف الوادعي، في تصريحات نقلها (نيوز يمن)، عن إغلاق المستشفى الوحيد (مستشفى دماج الريفي) بالمنطقة؛ بسبب استهدافه بالسلح الثقيل من قبل جماعة الحوثي بصورة مستمرة والقنص على أقسامه المختلفة وتعطيل شبكة الماء والكهرباء، وحصول الأضرار الجسيمة في ممتلكاته من أجهزة ومعدات طبية؛ مما ترتب عن ذلك انتكاسة في الخدمات الطبية.

كما تحدث عن انعدام أدوية الأمراض المزمنة كالضغط والسكري والصرع والربو، وانقطاع علاج السل عن مرضى السل، واصفاً ذلك بأنه كارثة حقيقية ناتجة عن الانتكاسات المرضية للحالات المصابة، وتؤدي إلى بؤرة للعدوى بالعُصيات المقاومة للأدوية. وقال: نظراً للازدحام السكاني المحصور في السكنات الجماعية؛ فإنه يهدد بانتشار المرض المستعصي.

كما أشار الوادعي إلى توقف برنامج التحصين الموسع، وظهور حالات الحصبة في أوساط الأطفال؛ وذلك لعدم إمكانية متابعة التحصين بالمرفق الصحي؛ بسبب استهدافه بالأسلحة المتنوعة، وتلف

اللقاحات؛ لانقطاع التيار الكهربائي، وحسب الدكتور الوادعي فقد تعرض أكثر من ٣٠ طفلاً للانتكاسة، وعدم تحول حالاتهم إلى الوضع الطبيعي؛ لعدم تمكن الفريق الطبي من متابعة الحالات؛ بسبب الحرب والحصار وفشل برنامج التغذية وخصوصاً انعدام الحليب.

كما كشف عن زيادة حالات الوفيات بين الأطفال؛ بسبب بعض الأمراض التي تحتاج إلى تدخل من قبل أخصائيين، منها مرض الحمى الشوكية والنزيف الدماغي لبعض الحالات الناتجة عن الارتطام بالأرض ويصعب نقلها إلى مستشفى متمكن للتدخل العلاجي المناسب؛ بسبب الحصار المفروض على المنطقة.

وفيما يتعلق بالنساء الحوامل بمنطقة دماج كشف الدكتور الوادعي عن حصول حالات إجهاض كثيرة بين النساء الحوامل؛ بسبب شدة الخوف الناتج عن استهداف المنطقة بالأسلحة الثقيلة.

وعن الوضع البيئي حذر الدكتور من كارثة بيئية، بسبب استمرار انتشار القمامة وتراكمها في أزقة المنطقة. وقال: إن تراكمها سيؤدي إلى انتشار الأوبئة المرضية في أوساط المجتمع.

الحوثي ونقض العهود:

منهج الحوثيين في نقض العهود والاتفاقيات يقف دائماً عقبة أمام أي جهود تبذل لحل هذه الأزمة وغيرها من الأزمات التي يثيرونها.

في ٢٨ سبتمبر أكدت مصادر محلية بمحافظة صعدة لـ (أخبار اليوم) أن مليشيات الحوثي تواصل خروقاتها لاتفاق حل التوتر القائم بدماج.

وقال بيان للناطق باسم دماج سرور الوادعي: إن خروقات جماعة الحوثي للصلح الموقع بين الطرفين تزايدت.

وأشار إلى أن جماعة الحوثي تواصل استحداث المتاريس وحفر الخنادق وإقامة تحصينات في الأماكن المتفق على خروج الحوثي منها.

ونوه إلى أن مليشيات الحوثي تواصل اعتداءاتها

الحوثي انقلبت على الاتفاق الذي توصلت له اللجنة بين الطرفين، وقاموا بقصف منطقة دماج بالأسلحة الثقيلة. مشيراً إلى تلقي اللجنة بلاغات من السلفيين بسقوط عشرات القتلى والجرحى.

وقال: إن اللجنة الرئاسية والأمنية والعسكرية، برئاسة أركان حرب المنطقة السادسة، عقدت اجتماعات متواصلة لاحتواء الموقف وتهذبة الوضع.

وفي تصريح لصحيفة (الشرق الأوسط) اللندنية، نشرته يوم ٢١ أكتوبر، أكد رئيس اللجنة، الشيخ يحيى منصور أبو إصبع، أن منطقة دماج تتعرض لهجوم من قبل الحوثيين، أدى إلى سقوط عشرات القتلى والجرحى من النساء والأطفال والمقاتلين وغيرهم من المدنيين، ووصف ذلك الهجوم بأنه «أهوج».

وقال: إن السلفيين ترددوا في تسليم جبل البراقة للجان الميدانية؛ لأنه الجبل الوحيد الذي يمتلكونه ويسيطرون عليه. لكنه انتقد رد فعل الحوثيين جراء ذلك، واعتبره هجوماً «بمختلف أنواع الأسلحة من جانب الحوثيين على منطقة دماج المحصورة في كيلومترين، وبها كثافة سكانية تزيد على ١٥ ألف نسمة من النساء والأطفال والمقاتلين وغيرهم من المدنيين، وهذا الاستخدام الأهوج للقوة قد تسبب في خسائر بشرية كبيرة».

الحوثيون من جانبهم لا ينكرون قيامهم بحصار وقصف دماج، لكنهم يتحججون بحجج واهية لا يقبلها شرع أو عقل، فهذا علي البخيتي، المتحدث باسم فريق الحوثيين المشاركين في مؤتمر الحوار الوطني، يقول إن الصراع الدائر اليوم في دماج «هو مع أدوات المخابرات السعودية».

وأشار البخيتي، في حديث مع (الجزيرة نت) يوم ١ سبتمبر الماضي، إلى أن السعودية «لجأت إلى اللعب بالورقة المذهبية والفتنة الطائفية عبر الإيعاز لأدواتها في دماج لافتعال الكثير من الأزمات والحروب».

وأرجع ذلك إلى ما أسماه «عجز الجيش السعودي عن فرض سيطرته المباشرة أو غير المباشرة» على

على أبناء دماج ومصادرة كتب وممتلكات تابعة للسكان. مشيراً إلى أن مليشيات الجماعة أقدمت على تهجير المواطنين في مناطق صحوة والولاج والطلول، بحجة مخالفتهم للفكر. ودعا الوادعي الدولة، ممثلة برئيس الجمهورية، إلى سرعة تنفيذ الاتفاق الذي تم رفعه إليه من قبل اللجنة الرئاسية؛ لتجنيب المنطقة عودة التوتر مرة أخرى. كما طالب الدولة بالعمل على ردع جماعة الحوث ومليشياتها عما يقومون به من خروقات للاتفاق والاعتداء على المواطنين.

وفي ١١ أكتوبر قال الشيخ علوي الباشا بن زبع، عضو لجنة الوساطة الرئاسية، إن السلفيين أبلغوا اللجنة بمقتل أحد أفرادهم وجرح آخر في منطقة السرب بدماج، موضحاً أن اللجنة أبلغت وزارة الدفاع بتكليف اللجنة العسكرية للتعامل مع الحادث رسمياً.

وأضاف، في تصريح لموقع (الخبر)، أن القتل حدث من قبل الحوثيين، وأن القضية كانت قد حُسمت بحل نهائي، وقّعه الطرفان ورعاه الرئيس، ولم يبق إلا تنفيذ بنوده. لافتاً إلى أن هذه مهمة سلمتها اللجنة للجيش لتنفيذ لجنة عسكرية برئاسة رئيس الأركان. مشيراً إلى أن التحرك من مهمة اللجنة العسكرية التي استلمت من لجنة الوساطة العمل. واستنكر علوي الباشا القتل الذي يمارسه الحوث، معتبراً هذا أمراً مداناً.

ودعا علوي الباشا وزارة الدفاع ورئاسة الأركان إلى الإسراع في نشر الكتيبة التي وجه بها رئيس الجمهورية لتأمين دماج في أسرع وقت؛ «لتجنب الحوادث بين الطرفين».

وبلغت خروقات الحوثيين حداً دفع بلجنة الوساطة الرئاسية إلى الاعتراف بها علناً بعد أن تفاضت عنها كثيراً.

فقد أكد مصدر مسؤول في اللجنة الرئاسية خرّق الحوثيين لاتفاق الهدنة واستخدام الأسلحة الثقيلة في قصف منطقة دماج يوم ٣٠ أكتوبر.

وقال، في تصريح لـ (نيوز يمن)، إن جماعة

وإنهاء التوترات التي حدثت في دماج بين الأطراف المتنازعة، وذلك تنفيذاً لتوجيهات الأخ الرئيس عبد ربه منصور هادي رئيس الجمهورية بإنهاء التوتر». مؤكداً أن الأوضاع عادت إلى ما كانت عليه سابقاً في المنطقة.

لكن الجانب السلفي نفى ذلك على لسان الشيخ سرور الوادعي الذي أشار إلى أن ما حصل هو «احتواء جزئي للمشكلة وليس إنهاء للتوتر»، موضحاً أن ما حصل هو مجرد هدنة وبادرة لإنهاء الخلاف، وأكد أن لا صحة للأنباء التي تحدثت عن انتهاء حالة التوتر بمنطقة دماج وأن الحوثيين ما يزالون متمرسين على الجبال المحيطة بمنطقة دماج ويوجهون أسلحتهم الثقيلة تجاه أهالي المنطقة، وأن التوتر ما يزال مستمراً باستمرار تمرکز الحوثيين على الجبال المحيطة بدماج.

وفي ٢١ أغسطس ذكرت وكالة الأنباء اليمنية (سبأ) أن رئيس الجمهورية عبد ربه منصور هادي شكل لجنة رئاسية لمتابعة وحل القضايا العالقة والخلفية بين النزاعات القائمة بمنطقة دماج.

واستقبل رئيس الجمهورية أعضاء اللجنة المكلفة المكونة من الشيخ حسين بن عبد الله الأحمر والشيخ عبد الله بدر الدين والشيخ يحيى منصور أبو إصبع والشيخ علوي الباشا بن زبع والشيخ علي القوباني.

وتحدث إليهم مشيراً إلى أن البلد تعيش في ظروف استثنائية ودقيقة، وهناك حوار وطني شامل قد ضم كل المكونات الاجتماعية في اليمن دون استثناء، وقال: «هناك السلفيون والحوثيون ضمن كل القوى السياسية والمجتمعية باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من المكون العام». مؤكداً أن الخلافات وكل القضايا العالقة مطروحة على طاولة الحوار الوطني الشامل، وعلى الجميع الالتزام بذلك وعدم التمنطق بالسلح و قطع الطريق وإغلاق السكينة العامة وخلق أجواء الفتنة التي لا تبقى ولا تذر. ويكفي محافظة صعدة ما عانت في السابق من حروب وتشريد وآلام.

صعدة، سواء عبر المليشيات القبلية اليمنية أو عبر نظام الرئيس السابق علي عبد الله صالح أثناء الحروب الماضية، أو عبر التدخل السعودي المباشر في الحرب ضد الحوثيين.

وأضاف البخيتي أن الصراع سببه مركز دماج «الذي أنشأته المخابرات السعودية، والذي يعج بالمقاتلين الأجانب من أكثر من مائة دولة، ويخالف وجودهم القوانين اليمنية؛ لعدم وجود إقامات لديهم ولدخولهم اليمن بطريقة غير شرعية، وأيضاً لحملهم السلاح والمشاركة في حروب داخل اليمن».

هذه الحجج الواهية الداحضة لم تقنع لجنة الوساطة، حيث استنكر رئيس اللجنة، الشيخ يحيى منصور أبو إصبع، القصص الذي شنته مليشيات الحوثي على دماج يوم ٣٠ أكتوبر.

وقال، خلال مداخلة هاتفية مع قناة (يمن شباب) يوم ٣٠ أكتوبر، إن أحد قادة الحوثيين تحدث إليه وقال: إن القصص يهدف إلى «إخراج المسلحين الأجانب والإرهابيين الموجودين في معهد دماج».

وقال أبو أصعب إنه تحدث إلى الحوثيين، خلال لقائهم، وقال لهم: «هل هذا يبرر قصص دماج التي تضم أكثر من عشرة آلاف نسمة وفيها الكثير من الأطفال والنساء؟».

وأضاف أن الحوثيين لم يخفوا مسؤوليتهم عن القصص خلال لقاء لجنة الوساطة معهم، وأنه سألهم: «لماذا التصعيد بالأسلحة الثقيلة؟».

وأكد أبو أصعب أنه يرفض «هذا المنطق جملة وتفصيلاً». وقال إن هذا «الهجوم المفاجئ مرفوض، ونطالب بوقفه بشكل فوري»، وأضاف أن اللجنة الرئاسية تواصل جهودها مع كافة القوى في صعدة وصنعاء «للضغط على الحوثيين لوقف هذا الهجوم».

الموقف الحكومي:

في ٢٣ يوليو أعلن فارس مناع - الذي عينه الحوثي محافظاً لصعدة - عن انتهاء حالة التوتر التي حدثت في منطقة دماج، وقال في تصريح لوكالة الأنباء اليمنية (سبأ): «تم اليوم احتواء

بمحافظة صعدة اجتماع مشترك ضم اللجنة الرئاسية واللجنة الأمنية بالمحافظة وبحضور فارس محمد مناع، وناقش الاجتماع توجيهات الرئيس عبد ربه منصور هادي بشأن تنفيذ بنود الاتفاق الموقع بين طرفي الصراع في دماج، السلفيين والحوثيين، وتثبيت وقف إطلاق النار وسحب كافة مسلحي الطرفين من المواقع والنقاط في منطقة دماج وإحلال وحدات من الجيش للتموضع في المنطقة.

واستمع المجتمعون إلى تقرير عضوي اللجنة الرئاسية، يحيى أبو أصبع ودرهم الزعكري، الذي تضمن نتائج لقاءهما بممثلي جماعة الحوثي ونتائج زيارتهما لمركز دماج يوم ٢٢ أكتوبر، ولقاءهما بقيادة السلفيين.. مؤكداً أنهما لمسا من الطرفين (السلفيين والحوثيين) الرغبة الكاملة لدخول الوحدات العسكرية للتموضع والانتشار في المواقع والنقاط محل النزاع في منطقة دماج.

من جانبه أكد قائد محور صعدة، العميد حسن لبوزة، أن الوحدات العسكرية لديها الجاهزية الكاملة للانتشار والتموضع في المواقع والنقاط التي سيتم إخلاؤها من طرفي النزاع بمنطقة دماج. موضحاً أن المؤسسة العسكرية تعمل من أجل الوطن ولا تميل لأي طرف أو جماعة أو فئة.

تلك الجهود والوعود ذهبت كلها أدراج الرياح، بسبب عجز اللجنة عن القيام بواجبها وضعفها أمام سطوة الحوثيين وبطشهم وجبروتهم. فإذا كانت السلطات الحكومية، بكل ما لديها من قوات أمنية وعسكرية، عاجزة عن ردع المعتدين وحماية المستضعفين، فكيف سيكون حال اللجنة الرئاسية.

وقد أكد مصدر في اللجنة، لـ (نيوز يمن)، أن جماعة الحوثي تنفذ قيوداً على تحركات اللجنة الرئاسية، خاصة حينما تكون في مهمة للقاء مسؤولين في الجماعة السلفية، واعترف بتراجع الزيارات التي تقوم بها اللجنة إلى دماج، للقاء مسؤولي الجماعة السلفية.. مشيراً إلى أن ذلك الحال ينطبق على اللجنتين الأمنية والعسكرية، التي لم

وشدد الرئيس هادي أن على اللجنة التحرك وبسرعة من أجل تلافي أي تداعيات قد تنجم بصورة أو بأخرى، وهو ما قد يؤدي إلى مشاكل أوسع. وعلى اللجنة رفع المقترحات والتصورات، وبصورة أسرع، من خلال لقاء الفرقاء وحثهم على تغليب العقل والمنطق؛ حتى لا يحصل ما لا يحمد عقباه.. معتبراً أي مخالفة أو تجاوز سيتحمل مسؤوليتها مرتكب ذلك التجاوز.

بدأت اللجنة الرئاسية زيارتها للمنطقة يوم ٢٥ أغسطس، وأشرفت على عملية إخلاء عدد من المواقع التي كان يتمترس فيها مسلحون من الأطراف المتنازعة، وكذلك وضع مراقبين في تلك المواقع، حسب ما نشرته وكالة (سبأ) للأنباء.

وفي ٢٩ أغسطس أعلنت اللجنة الرئاسية أنها أنهت المرحلة الأولى من برنامج عملها الذي تضمن إخلاء كافة المواقع المستحدثة في المنطقة، ومنها موقعاً الجميمة والقصبه، وردم الخنادق والحفر، ووضع مراقبين في تلك المواقع، وإعادة الأوضاع إلى طبيعتها السابقة.

وفي ٢١ سبتمبر تم التوقيع على آلية الحل الشامل لإنهاء النزاع المستمر بين السلفيين والحوثيين. ونقل (مأرب برس) عن مصادر مطلعة في اللجنة الرئاسية قولها: «إن الحوثيين وقعوا بالموافقة على الآلية التي توصلت إليها اللجنة والتي سميت بالحل الشامل لإنهاء النزاع وإحلال الأمن والتعايش السلمي في دماج بين الجانبين».

كذلك قال الشيخ علوي الباشا: «إن اللجنة انتهت من إنجاز عملها في برنامج المرحلة الثانية والأخيرة.. مشيراً إلى أنه تم إقرار آلية لإنهاء التوتر والنزاعات بين الحوثيين والسلفيين في دماج».

وأوضح أن اللجنة تمكنت من الحصول على موافقة طرفي القضية على هذه الآلية، حيث وقع ممثلو الحوثيين عليها، بينما وافق قبلهم ممثلو السلفيين على الآلية ووقعوا عليها. «وبتوقيع طرفي قضية دماج نكون أنهينا برنامجاً كاملاً بنجاح».

وفي ٢٣ أكتوبر عُقد بالقصر الجمهوري

تستطيعا عمل شيء، وتحركهما مرتبط بالحوثيين الذين يديرون المحافظة.

والأسوأ من ذلك قوله إن اللجنة الرئاسية تقيم بالقصر الجمهوري في المحافظة، وتكثف من لقاءات وجلسات القات، بشكل مستمر، مع الحوثيين، وتربطهم بهم علاقات حميمة.

وربما هذا ما جعل الناطق باسم سلفي دماج، سرور الوادعي، يتهم اللجنة الرئاسية بالتواطؤ مع الحوثيين، وقال: إنها تتقاد بأوامرهم وأوامر فارس مناع، وقال لـ (نيوز يمن): «تم اختيارها من قبل الرئيس عبد ربه منصور هادي والحكومة، وهم يعلمون بضعفها؛ من أجل إبادة أهل دماج وسكانها. وحتى مع ضعفها فالحوثي يضع العراقيل أمامها».

أما وزارة حقوق الإنسان فقد اكتفت بالتعبير عن «قلقها البالغ وأسفها العميق» حول أحداث دماج، ووصفتها بـ «المؤلة والمؤسفة» وبأنها «تحصد أرواح أبناء الوطن الواحد».

واستغربت الوزارة، في بيان نشره موقع (الصحوة نت) يوم ٢٠ أكتوبر الماضي، أن «يدور ذلك العنف والقتال في ظل توافق اليمنيين وتوجههم لوفاق وطني شامل يعالج مشاكل البلاد الشائكة والمتراكمة، إطاره مؤتمر الحوار الوطني. وهذه الأطراف المتقاتلة في صعدة ذاتها ممثلة في المؤتمر، ومن ناحية أخرى وعلى الأرض فإنها تلجأ للعنف وللسلاح».

ودعت وزارة حقوق الإنسان إلى «وقف انتهاكات حقوق الإنسان والاحتكام للعقل والاستناد إلى ثقافة التسامح والسلام والتعايش التي اتسم بها المجتمع اليمني عبر تاريخه الطويل، ونبذ كل صور التطرف والغلو والعنف».

وأكدت الوزارة أن «هذه الأحداث لا تخدم إلا أعداء السلم والأمن وتقوض جهود البناء والإعمار والاستقرار وتربك مخرجات الحوار».

بالمقابل استغرب الناطق باسم سلفي دماج ما جاء في بيان الوزارة، حيث تم وصفهم فيه بأنهم أحد طرفي النزاع. معتبراً ذلك الوصف في غير محله:

«إذ كيف تصف المعتدى عليه بطرف في النزاع؟» وقال، في تصريح خاص لـ (مأرب برس) يوم ٢٧ أكتوبر: تم تهجير أكثر من ٢٠٠ ألف مواطن من صعدة وتم محاصرة أهالي دماج ٧٢ يوماً ولم تقم وزارة حقوق الإنسان بإصدار أي بيان إلا بعد أن رأت تضرراً على الحوثيين.

وفي تصريح لـ (نيوز يمن)، يوم ٣٠ أكتوبر، انتقد موقف وزيرة حقوق الإنسان حورية مشهور. وقال: تواصلت مع الوزيرة تلفونياً، ولم ترد على اتصالاتنا، وبعثت لها برسائل (إس إم إس) وإبلاغها بأننا نتعرض لحرب إبادة فلم ترد علينا، وأضاف: حورية مشهور وزيرة لا تراعي حقوق الإنسان، مستغنياً عن صمتها تجاه أكبر جرائم تمارس ضد حقوق الإنسان، فيما رئيس لجنة الوساطة الرئاسية يحيى أبو أصبع يكتفي بالتساؤل عن عدد القتلى والجرحى، وقال: كل خمس دقائق أبلغ رئيس لجنة الوساطة بالوضع ولكن لا حياة لمن تنادي.

وعن الخيارات التي أمامهم قال: «نريد تطبيق الاتفاق الموقع بيننا وبسط نفوذ الدولة لا أكثر».

الموقف داخل مؤتمر الحوار الوطني:

أعلن مؤتمر الحوار الوطني الشامل عن إدانته لأعمال العنف والمواجهات المسلحة في بعض مناطق اليمن، خاصة في منطقة دماج بمحافظة صعدة، جاء ذلك في بيان أصدره يوم ٢٨ أكتوبر، ومما جاء فيه: «إن مؤتمر الحوار الوطني الشامل الذي توافقت فيه جميع الأطراف اليمنية على نبذ منهج العنف والاحتكام إلى العقل والمنطق والمصلحة الوطنية في حل كل القضايا الخلافية واعتماد الحوار كنهج لحل أي خلافات ويدين تلك الأعمال والمواجهات المسلحة، ويدعو جميع الأطراف إلى الوقف الفوري للمواجهات وكل أعمال العنف والعودة إلى طاولة الحوار. فالحوار وحده الكفيل بصناعة حلول جذرية لكل الإشكالات، وضمانات عدم تكرارها مستقبلاً».

وفي نفس اليوم نفذ أعضاء في مؤتمر الحوار الوطني وقفة احتجاجية؛ للتديد بما تتعرض له دماج

من عنف من قبل مليشيات الحوثي، وطالب بيان صادر عن المشاركين في الوقفة الحكومة بفرض سيطرتها والقيام بواجبها في حماية المواطنين دون الاكتفاء بإرسال الوساطات. كما طالبوا القوى السياسية والاجتماعية برفع أصواتها بإدانة هذه الجرائم، والعمل على منع الأعمال المسلحة، وكبح جماح الإرادة التي تريد أن تصل باليمن إلى وضع اللادولة لتنفيذ أجندة خاصة.

ودعا البيان هيئة رئاسة مؤتمر الحوار لإصدار بيان إدانة ضد هذه الاعتداءات، وتشكيل لجنة تقصي الحقائق حول ما يُرتكب من جرائم في دماج وغيرها من قبل مليشيات الحوثي، واتخاذ موقف مسؤول من فريقه في الحوار.

كما استنكر الشيخ صغير عزيز، عضو مؤتمر الحوار الوطني، اعتداءات مليشيات الحوثي المسلحة على أبناء منطقة دماج ودار الحديث بمحافظة صعدة والقصف بالمدفعية الثقيلة على النساء والأطفال في الشهر الحرام.

وندد الشيخ صغير، في منشور له على صفحته بالفيسبوك نقلته صحيفه (أخبار اليوم) يوم ٢٥ أكتوبر، بالتضليل الذي يمارسه إعلام مليشيات الحوثي وقلبه للحقائق حيث يعتدي الحوثيون ويهاجمون منطقة دماج ويقطعون الطرق ومن ثم يوجهون الاتهام إلى أبناء دماج المحاصرين في منطقتهم.

وتساءل: «من هو الذي جاء إلى دماج ورتب وتمترس في جبالها؟، هل هم أبناء دماج أم الحوثي وعناصره. والطرق المؤدية إلى دماج من هو الذي أغلقها؟».

وقال محذراً: «إن ما يحصل في دماج ينذر بكارثة إنسانية، وينذر بحرب سيتضرر منها الجميع، ولا بد من تدخل لإيقاف عدوان الحوثي الفاشم على دماج وإيقاف نزيف الدم».

أما حزب الرشاد السلفي فقد دعا أعضاء مؤتمر الحوار إلى تعليق أعمالهم؛ صيانة للدماء وإيقافاً للحرب الظالمية التي تشنها مليشيات الحوثي على

منطقة دماج.

وأعلن الحزب، في بيان صحفي يوم ٣٠ أكتوبر، تعليق مشاركته في مؤتمر الحوار الوطني لبقية أيام الأسبوع؛ احتجاجاً على استمرار العدوان الحوثي على منطقة دماج بمحافظة صعدة.. وطالب اللجنة المكونة من (لجنة التوفيق)، ويضيف إليها مؤتمر الحوار الوطني من شاء من جميع المكونات في الحوار، بالنزول إلى منطقة دماج بمحافظة صعدة.

كما طالب بنزول وزير الدفاع والداخلية للاطلاع الميداني على الوضع، والأخذ بقوة الدولة على المعتدي، وبسط نفوذها على جميع المناطق وضبط المعتدي من أي جهة كان.

موقف الأحزاب:

بعد تجاهله لأحداث دماج في اجتماعات سابقة خلال الشهر الجاري، دعا المجلس الأعلى لأحزاب اللقاء المشترك أطراف النزاع لوقف القتال في دماج والتعاون الجاد والمسؤول مع اللجنة الرئاسية؛ بما يؤدي لحقن الدماء، واعتماد الحوار الوسيلة الحضارية لمعالجة الخلافات أياً كانت تعقيداتها.

وطالب «المشترك»، في بيان صادر عن اجتماعه يوم ٢٨ أكتوبر، القيادة السياسية والأمنية والعسكرية التعاون الكامل مع اللجنة الرئاسية والوفاء بالالتزامات المترتبة على الدولة لإنجاح مهمة اللجنة وضمان ديمومة وقف إطلاق النار ومنع تجددتها ومنع أسبابها، مذكراً الجميع بحرمة وخطورة سفك الدماء وإثارة الفتن المذهبية.

موقف الجماعات السلفية:

حذر مشايخ ووجهاء الدعوة السلفية في اليمن من مغبة العدوان الذي تمارسه مليشيات الحوثي على أهل دماج من أهل السنة والجماعة، وقال بيان صادر عن جماعة السلفيين، بعد اجتماعهم يوم ٢٢ يوليو الماضي في جامع السُّنة بحي سعوان شرق العاصمة صنعاء، ونشره موقع (التغيير نت): إن أبناء صعدة وسفیان وكل مشايخ وطلاب وأنصار مراكز أهل السنة والجماعة مواطنون صالحون

متقيدون بعقيدة الإيمان بالله ورسوله، ثم طاعة ولاية الأمور وعدم التأليب عليهم. ونأمل من الرئيس عبد ربه منصور هادي وحكومة الوفاق القيام بمسؤولياتها في حماية المواطنين في دماج من عدوان العصابات الحوثية عاجلاً.

كما طالب البيان الرئيس هادي ورئيس حكومة الوفاق بسرعة تكليف لجنة من صنعاء لزيارة منطقة دماج والاطلاع على الأوضاع هناك وعلى ما يقوم به الحوثي وعناصره المسلحة من استعدادات للقضاء على أهل السنة في دماج وصعدة بشكل عام. بالإضافة إلى مطالبتهم ببسط نفوذ الدولة على كامل مناطق صعدة وسفيان والمناطق المجاورة لها؛ للحفاظ على الأمن والمواطنة الصالحة.

وقال البيان: إن الدماء التي تسفك والأعراض التي تنتهك والأموال التي تغتصب وتسلب على أيدي عناصر الحوثي وميليشياته المسلحة هي أمانة في أعناق الولاية والشعب اليمني، والسكوت عنها يؤدي إلى مخاطر تقود البلاد إلى الهاوية.

واختتم السلفيون بيانهم بالقول: «نحن هنا لا ندعو إلى الحرب والعنف ولا إلى الطائفية وإثارة النزاعات العرقية والمذهبية، وإنما ندعو لحقن الدماء ورأب الصدع والسكينة العامة وطاعة ولاية الأمور بالمعروف. ونريد درء الفتنة وإيقاف الاعتداء على إخواننا في دماج».

لكنهم أكدوا أيضاً بأنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي، وسيكون الرد قوياً، ويتحمل الحوثي مسؤولية الفتنة الطائفية التي يوقدون لها طاعة لأوامر أسيادهم في طهران.

وفي تصريح لصحيفة (أخبار اليوم)، يوم ٢٥ أكتوبر، قال الشيخ محمد بن محمد المهدي: إن ما يجري من حصار لمنطقة دماج من قبل الحوثيين هو حصار للبلد وطلبة العلم.

وأشار إلى أن عدد الواقعين تحت الحصار حوالي خمسة عشر ألفاً من الأهالي وطلاب العلم من مختلف مناطق اليمن، وهؤلاء ليس - كما تروج له بعض وسائل إعلام الحوثي - ممن يقومون

بأعمال الاعتداءات وقطع الطرقات كما يقال أو جماعات إرهابية.

وأكد أن القادمين إلى دماج من كل أنحاء اليمن هم طلبة علم، ويسعون إلى تعلم الكتاب والسنة، وحصارهم بهذه الطريقة وقطع الشراب والأكل والدواء عنهم عمل محرم شرعاً.

وقال: أستطيع أن أجزم عن نفسي أن هذا الحصار لو كان موجوداً على الحوثيين من قبل السلفيين أو الإصلاح أو أي فئة من فئات الشعب اليمني المسلم لن أقبل به، ولن أصمت حياله، فما بالكم بهؤلاء الذين هم طلبة علم والكتاب والسنة، ولهذا فإن هذا التصرف يعتبر تصرفاً خاطئاً. ونصيحتي للحوثي، إذا كان يقبل النصيحة، أن يفك هذا الحصار ويتقي الله تعالى، وليعلم أنه إذا استمر فإن الله لن يفتح له القلوب وإنما سيجعل الله بينه وبين الناس حجاباً مستوراً بسبب هذا التصرف.

كما نقلت صحيفة (أخبار اليوم)، يوم ٢٧ أكتوبر، عن الشيخ عمار بن ناشر، رئيس رابطة ودعاة علماء عدن، قوله: إن الحصار الذي تفرضه مليشيات الحوثي على دماج ينذر بكارثة إنسانية وحرب طائفية ومذهبية.

وأضاف أن تلك الحرب قد تمتد إلى خارج المحافظة.. مشيراً إلى أن هدف الحوثيين من تلك الحرب القضاء على السلفية بالمحافظة وتأسيس كيان مسلح على غرار «حزب الله» في جنوب لبنان. مؤكداً أن الحوثيين يتبعون نفس الأسلوب الذي يتبعه إخوانهم في جنوب لبنان.

وطالب الدولة والجيش والأمن والحقوقيين والدعاة والعلماء بالتدخل لوقف الحرب وفك الحصار على دماج؛ كون ما يجري في صعدة ينذر بحرب طائفية وقد تمتد الحرب إلى خارج المحافظة.

مواقف أخرى:

أكدت منظمة (هود) للحقوق والحريات أن حرب جماعة الحوثي المسلحة في منطقة دماج هي جرائم إبادة وجرائم ضد الإنسانية وفق التوصيف

من ليس معهم، وإن كان شيعياً مثل محمد عبد العظيم الحوثي، أحد أقطاب المذهب الهادي في صعدة».

وأشار إلى أن «الحرب التي يشنها الحوثيون على السلفيين في منطقة دمّاج بصعدة، هي حرب استئصالية، والغرض منها التهجير القسري والكلي للسلفيين من المحافظة».

كما لفت إلى أن «الحوثيين حريصون على الطابع الطائفي والمذهبي لحروبهم في اليمن، ويسعون من وراء ذلك إلى إيصال رسالة لداعمي حركتهم في إيران بأنهم يقومون بتصفية الوجود الوهابي من صعدة».

ويرى الأحمدى أن جماعة الحوثي تمارس نوعاً من الإرهاب السياسي على الدولة والأحزاب السياسية لكي يغضوا الطرف عما تفعل في صعدة، كما تمارس الإرهاب المسلح على المدنيين والتيارات المخالفة لها في صعدة التي تحاول إحكام السيطرة عليها بالقوة.

ويرى تحليل صحفي، نشره موقع (الصحوة نت) يوم ٣١ أكتوبر، أن الأساليب المتبعة في الحرب تدل على سعي الحوثيين إلى إرهاب السكان لدفعهم للنزوح عن ديارهم ومناطقهم على غرار مهجري مدن صعدة الأخرى، خاصة بعد انتهاء الحرب السادسة التي فتحت شهية الجماعة.. لتبدأ فصول الانتقام من كل من وقف مع الدولة ضدها خلال الحروب الست، حيث أجبرت آلافاً منهم على النزوح لصنعاء ومناطق أخرى، وتمكنت من قتل من عارضها من المشايخ، واستولت على منازلهم ومزارعهم، ومن بقي من المواطنين اضطر للعيش تحت سياسة الأمر الواقع مكرهاً.

وقال: من يقرأ في تاريخ حركات التمرد الاجتماعي الساعية لفرض رؤاها بالقوة في العالم، يجد جماعة الحوثي تكرر نفس الأساليب، ومن ذلك أنها تُمعن في إرهاب السكان بالقتل والحصار؛ من أجل إجبارهم على ترك منازلهم؛ حتى تصبح المنطقة المراد السيطرة عليها، وهي هنا دمّاج،

وأضافت، في بيان لها يوم ٣٠ أكتوبر: «الحركة الحوثية هي الجهة المسؤولة دولياً باعتبارها سلطة الواقع الحاكمة عن سلامة قاطني المحافظة، ومنهم هذه الأقلية السنية في دار الحديث بدمّاج. فإنهم مسؤولون عن أمنهم وسلامتهم وحقهم في الحياة والتعبير وحرية الفكر والمعتقد وحرية الحركة والتنقل وحرية العبادة وغيرها من الحقوق المدنية والسياسية..».

وناشدت المنظمة سلطة الواقع في صعدة أن تتحمل مسؤوليتها القانونية والأخلاقية في تأمين حق قاطني منطقة دمّاج ومعهداها. ودعت سلطة الجمهورية اليمنية للقيام بمسؤوليتها في إيقاف هذه الحرب بكل الطرق الشرعية والقانونية التي تخولها المبادرة الخليجية ودستور الجمهورية اليمنية وقوانين الدولة والمعاهدات والاتفاقيات الدولية في هذا الصدد.

ودعت القوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني، بغض النظر عن تعاطف أي منها مع أي طرف، إلى النظر إلى هذه المسألة وفقاً للقاعدة الأخلاقية الأسمى لمبادئ حقوق الإنسان والمعاهدات الدولية في حماية حق النساء والأطفال والمرضى والجرحى والمحاصرين أثناء الحروب المسلحة والحق في الحريات الدينية والمدنية.

دوافع العدوان الحوثي:

يرى الباحث عادل الأحمدى، رئيس مركز نشوان الحميري للدراسات أن «الحوثيين يريدون فرض أمر واقع في صعدة وتحقيق أهداف، منها تثبيت وجودهم السياسي والعسكري، وذلك لمعرفةهم بحرص الدولة والأحزاب السياسية على وجودهم في مؤتمر الحوار الوطني».

وأضاف، في حديث مع (الجزيرة نت) يوم ١ سبتمبر، أن جماعة الحوثي تسعى إلى جعل محافظة صعدة «صافية مذهبياً» لهم. فقد قاموا، عام ٢٠٠٧م، بطرد وتشريد يهود آل سالم من صعدة وإجبارهم على النزوح إلى صنعاء، وكذلك محاربة

سنة ١٩٨٠ عين في مدينة الناصرية^(١) بجنوب العراق إماماً لمسجد فالح باشا السعدون^(٢)، ومن خلال دروسه ومواعظه التي دارت حول دعوة التوحيد ونبذ البدع دون التطرق للمسائل الخلافية بين السنة والشيعة، تجمع حوله بعض شباب السُّنة، وتحول العشرات من شيعة الناصرية رجالاً ونساءً، وقد ترك الشيخ وراءه عدداً من طلابه أكملوا مشواره، منهم الداعية الشيخ عمر عبد الرزاق القيسي رحمه الله^(٣)، والداعية الشيخ (أ.ذ.) حفظه الله.

ومن الشخصيات المتميزة في تلك المرحلة: الشيخ عبد المجيد أحمد عزيز البياتي رحمه الله^(٤)، إمام وخطيب مسجد الرشيد في الزعفرانية^(٥)، وكان له دور كبير فيها، ومسجده مليء بالشيعة المتحولين إلى سنة، وهو طالب علم قديم وكان الشيخ الداعية السلفي أبو محمد نوري أحمد قاسم التميمي (تلميذ الشيخ عبد الكريم الصاعقة)

خالية من النساء والأطفال إلا من قلة هم الرجال الذين اضطروا للدفاع عن أنفسهم ومنزلهم، وفي هذه الحالة تستأسد بهم؛ بغية القضاء عليهم أو دفعهم للفرار في ظل تمتعها بأسلحة متطورة وتفوق لا يقارن عسكرياً بالسلفيين من أهالي دماج.

وتعتقد الجماعة أن استمرار جر السلفيين في دماج إلى الحرب، بين كل فترة وأخرى، كفيل بتحقيق هدفها المتمثل بتهجيرهم ومَن ساندتهم من السكان، انطلاقاً من أن السلفيين الذين عاشوا سنوات طويلة في دماج دون أن يفرضوا مواقفهم على أحد، كما هو حال الحوثي، لن يقبلوا غير رفع السلاح للدفاع عن أنفسهم في مواجهة أساليب القمع من قتل أتباعهم والتضييق عليهم في التنقلات واعتقال عدد منهم، وصولاً إلى الحروب المتجددة؛ وهو ما يرجح كفة الحوثي وانتصاره افتراضاً، وفق معطيات التفوق العسكري والمادي والتحكم بمناطق المحافظة.

وإذا ما تكررت فصول الحرب سينتهي المطاف بأهالي دماج إلى التشرد والنزوح كملاذ أخير لحماية أنفسهم في ظل عجز الدولة عن حمايتهم، وهو نفس السيناريو الذي اتبعه الحوثي مع معارضيه من المشايخ والشخصيات العامة التي وجدت نفسها لاجئة خارج ديارها.

من تاريخ التسنن في العراق (٣/٢)

عبد العزيز بن صالح الحمود^(٥) - خاص بالرائد

تتمة مرحلة السستينيات إلى منتصف الثمانينيات:

ومن الجهود الدعوية المتميزة التي ساهمت بتحول قطاعات واسعة من الشيعة إلى التسنن، جهود الشيخ (خ.ح) الذي تخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأواسط السبعينيات، وفي

(♦) كاتب جزائري.

(١) مدينة أو محافظة الناصرية (وسميت بعد ذلك محافظة ذي قار) من مدن الجنوب العراقي على نهر الفرات، بناها الأمير العراقي ناصر الأشكر (الأشقر)، وتعد مدينة شيعية، وفيها سبعة مساجد سنية، كما أن هناك عدداً من مساجد السنة في ناحية الرفاعي، والنصر، وسوق الشيوخ وغيرها.

(٢) فالح باشا السعدون أمير قبائل المنتفك، توفي سنة ١٨٧٠م، وقبيلة السعدون من القبائل السنية ليومنا هذا، اختيرت حليفاً للدولة العثمانية، لأن قبائل الجنوب تشيعت وأصبح المراجع (الإيرانيون) في النجف وكربلاء مسيطرين على قرار هذه القبائل وميولهم للدولة الإيرانية أكثر، بحكم التشيع.

(٣) من مواليد سنة ١٩٦٨م وهو سني الأصل من سكان الناصرية، درس في المعهد الإسلامي في بغداد، وأصبح أحد الدعاة وخطيباً وإماماً في الناصرية وسوق الشيوخ ومنطقة الشامامرة، وله أثر طيب في هداية الناس بخلقه وسمته، اعتقل عدة مرات في التسعينيات، ثم طُورِد عدة مرات فاضطر سنة ١٩٩٧ لمغادرة الناصرية إلى البصرة، وأصبح داعية متجولاً في مدن البصرة ينشر الدعوة السلفية، وقد أثمرت دعوته تحول المئات من الشيعة إلى التسنن، وفي هداية كثير من السنة إلى الالتزام بالكتاب والسنة، وفي عام ١٩٩٩ بعد مضايقته من قبل سلطات الأمن غادر البصرة إلى مدينة كركوك، وفي عام ٢٠٠٦ اغتيل ظلماً وعدواناً على يد تنظيم القاعدة، رحمه الله وكتب له الشهادة.

(٤) وهو من مواليد الخمسينيات، قتلته الميليشيات الشيعية بعد اختطافه أمام أنظار الجيش، ووجد مقتولاً، نحسبه عند الله شهيداً، وذلك في ٢٠٠٦/٧/١٥م.

(٥) هي ضاحية من ضواحي بغداد الجنوبية، وكثير من سكانها شيعة، وهي مدينة قديمة جداً، ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

يصلى عنده ويحبه.

كما لا ننسى دور الشيخ محمود الجبوري الملقب أبو اليقظان - من مواليد الستينات - والمعروف بـ (محمود سعيدة أو أبو سعيدة^(١)) والشيخ نفسه من أصول شيعية، عرف بصوته الجميل في قراءة القرآن والخطابة، وكان داعية جماهيريا محبوبا من قبل الشباب، أثر على السُّنة والشَّيعة في مدينة بغداد (بالأخص في جانب الرصافة) وضواحيها الجنوبية، وكان يدرس كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب ابن القيم وابن تيمية، وقصده طلاب العلم لسماع دروسه وخطبه. وتأثر الشيخ عبد المجيد والشيخ محمود رحمهما الله على منطقة الزعفرانية واضح في تحويل الشيعة إلى سُنَّة وفي ترسيخ الدعوة السلفية. وكانت هناك جهود محلية في مناطق جنوب بغداد في منطقة أجبلية، للشيخ نوري خلف الدليمي، شقيق الداعية والمفكر المعروف د. طه الدليمي لأمه، والذي قتله الأمن العراقي الشيعي (البعثيون الشيعة) سنة ١٩٩١م.

عودة لمرحلة ما بعد عام ١٩٨٥:

في هذه المرحلة أخذت السلفية ودعوة الشيعة منحى آخر جديدا لعدة أسباب؛ لأن دعوة الشيعة ارتبطت بالدعوة السلفية؛ وأصبح أي تطور في الدعوة السلفية ينعكس بالضرورة على دعوة الشيعة، ويمكن إجمال التطورات الجديدة في الدعوة السلفية بعد منتصف الثمانينات كما يلي:

❖ خروج جميع أفراد التنظيم السلفي (الموحدين) - وأكثر هؤلاء كانوا من جيل الخمسينيات - من السجن بعد انتهاء مدة محكوميتهم المتفاوتة بين (١ - ٥) سنوات، وشرعوا بالتنسيق بهدوء مع المجموعات التي لم تزج في السجن، ثم شرعوا بإقامة علاقات مع بقية السلفيين النشطين في الساحة، وهذا كان

(١) نسبة إلى قرية سعيدة وسط معسكر الرشيد بين طريق بغداد - الزعفرانية على نهر دجلة، وقد تم إعدامه سنة ١٩٩٤، بعد اعتقال وتعذيب.

محسورا في بغداد وضواحيها، حيث أن الدعوة السلفية في الموصل (نينوى) لم تكن لها صلة بدعوة^(٢) الشيعة لعدم وجود شيعية أصلاً في مدينة الموصل.

❖ انتشرت السلفية بقوة بالعراق في غالب المناطق والمساجد رغم أنه لم يكن لها كيان منظم، وكانت الدعوة تهدف أصالة دعوة السنة ومن ثم دعوة الشيعة تبعاً، مما ساهم في تسنن كم كبير من الشيعة في جميع المحافظات.

فقد أصبحت هناك جولات ميدانية لدعاة السلفية لنشر الدعوة في محيط بغداد الجنوبي، في مناطق المحمودية واللطيفية واليوسفية والحصوة والإسكندرية، موجّهة للسنة وبشكل غير مباشر للشيعة، وكانت مناطق الريف بيئة مناسبة لإقامة دروس محدودة العدد، كل حلقة بحدود ٥ - ١٠ أشخاص، فالريف العراقي بعيد كل البعد عن الدين، وهناك جهل تام وانتشار للخرافة، فأى توجيه ديني مع مجموعة كتيبات صغيرة في التوحيد يحدث تغييرا ملحوظا.

ونذكر مثالا لا حصرا بعض الكتب والكتيبات التي كانت تتداول في تلك الحلقات: كتيب أحمد بن حجر آل بوطامي «تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران»، «وتطهير الاعتقاد» للصنعاني، وكتاب المقرئزي «تجريد التوحيد المفيد»، و«كشف الشبهات» والأصول الثلاثة» والقواعد الأربعة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وربما كتيب الشيخ يوسف القرضاوي

(٢) يقول المفكر العراقي ربيع الحافظ إنه لم يعرف خطر التشيع إلا في بريطانيا حين سافر للدراسة بها سنة ١٩٨٠ برغم أنه من الموصل، وعدم وعي علماء الموصل ونخبهم بالتشيع كافنا الكثير، فقيادات الإخوان المسلمين العراقيين أكثرهم من الموصل، ومن أشهرهم: محمد محمود الصواف، عليه الرحمة، حيث وجهوا الإخوان لاستيراد مناهج مصرية تريد إحياء الإسلام بعيدا عن الواقع العراقي؛ لذلك لم يدخل في مناهج الإخوان أي تحذير أو تبين للخطر الشيعي، رغم أن بعضهم بحسه الخاص العراقي تحسس الخطر مثل وليد الأعظمي، وعبد المنعم صالح العلي (الاسم الحقيقي للمفكر محمد أحمد الراشد) عندما كتب في الستينات دفاعا عن أبي هريرة، لكنه لم يكتب في كل كتب التنظير التي ألفها للإخوان أي شيء عن التشيع، إلا متأخراً قبل بضع سنين!!

«حقيقة التوحيد»، ومن بعدها كتاب التوحيد لمحمد عبد الوهاب وشروحه البسيطة كـ «إبطال التنديد»، و«قرة عيون الموحدين»، و«شرح مسائل الجاهلية» للألوسي.

والمهم والجديد هو نجاح الدعوة السلفية في طباعة بعض الكتب داخل العراق بعد أن كانت تستورد من الخارج بأعداد قليلة مثل كتاب «صراط الجنة» لمؤلفه عجاج الكروي^(١)، وكتب عبد الباسط حسين من الموصل، وظهر بعض المحققين كإياد عبد اللطيف القيسي ومرشد الحياي وأحمد عدنان الحمداني ومحمود عمران وغيرهم.

فطبعت كتب لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وطبع كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» ووزع مجاناً وظهرت مكتبة إحياء التراث لصاحبها صلاح السامرائي رحمه الله^(٢) والشيخ خليل الحياي، مع العلم أن الكتب في العراق لم تكن متوفرة؛ لذلك كان يتم استئصال الكتب وتصويرها بالثبات للتوزيع والنشر بين الناس.

كان من حسن الطالع أن الدولة شعرت بالخطر الشيوعي ولكنها لم تكن تريد أن تواجه مواطنيها الشيعة فلجأت إلى أسلوب غير مباشر، وهو إقامة مؤتمرات شعبية ودولية ضد إيران والخميني، وشجعت حركة التأليف ضدهما لدعم المعركة

(١) عجاج الكروي شاب من محافظة ديالى، من مواليد أوائل الستينات، درس في جامعة بغداد وسكن بالأقسام الداخلية في أوائل الثمانينات، ودرس على يد الأستاذ إياد القيسي، في شارع فلسطين، وكان داعية من الطراز الأول، أثر في عدد كبير من الطلاب السنة والشيعة، وكان له أثر في عائلته وطلاب المحافظات في الأقسام الداخلية، تخرج والتحق بالخدمة العسكرية كضابط مجند، مارس الدعوة في جبهات القتال وأثر على عشرات من السنة والشيعة من النجف والحلة والديوانية، قتل في الحرب العراقية الإيرانية، وأشيع أنه قتل غدراً في الجبهة لنشاطه الديني - ولا ندري الحقيقة - نسأل الله أن يكتب له الشهادة، كان قبل ذهابه للعسكرية مصمماً على تأليف كتاب يشرح فيه التوحيد بشكل بسيط فألف «صراط الجنة» وطبعه وانتشر.

(٢) أعدم سنة ١٩٩٢ بتهمة التعاون مع ضباط عراقيين في محاولة انقلاب كشفتها بريطانيا للنظام العراقي، وقيل إنه اتهم زوراً وبهتاناً بهذه الحركة، كانت له عدة مؤلفات منها: مختصر شرح العقيدة الطحاوية.

ضد إيران، فقدت الندوات الفكرية والدينية التي استضافت مفكرين ودعاة وعلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي لمواجهة فكر الخميني بالتصريح، والتشجيع بالتلميح؛ لأن العراق لم يرد معاداة الشيعة العراقيين كما أسلفنا.

بل اعتمدت حكومة البعث نظرية التشيع العربي والتشيع الصفوي؛ كونها تتناسب مع الفكر القومي (البعثي) وتصلح للخطاب مع الجزء الشيعي من الشعب العراقي، وكان طرحاً ذكياً وازن الأمور دون ضجة داخل المجتمع العراقي (الخليط من السنة والشيعة) وصدرت في هذه الفترة عدة مؤلفات تعالج الموضوع من خلفيات منهجية متنوعة، نوجزها بما يلي:

- **منهج علمي** يتناول خطر التشيع مع تقسيم التشيع إلى فارسي وعربي، أو صفوي وعربي، مثل كتاب «التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي» لمحمد البنداري، كما قام البنداري بترجمة كتاب «كشف الأسرار» للخميني، وكتاب العلامة الهندي محمد منظور نعماني «الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام»، وكتابات شاعر الأعظمية والإخوان الأستاذ وليد الأعظمي «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني»، وألف جمع من أساتذة الجامعات كتاب «نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي».

- **ومنهج ثانٍ** يتبنى كتباً كانت تطبع وتتناول مخاطر الفارسية على العروبة والإسلام وتركز على جانب الشعوبية والجانب القومي، مع مدح توجهات حزب البعث العربية، ونقد للخميني باعتباره دجّالاً، وأن الثورة الخمينية تستر بالدين لأغراض سياسية، وهذا توجه غير سليم إسلامياً مثل كتاب «دماء على نهر الكرخا» لحسن السوداني^(٣)، ونشر الدكتور فاضل البراك - وهو مدير الأمن في العراق - رسالته «المدارس اليهودية والإيرانية في

(٣) قيل إنه الكاتب حسن علوي.

العراق» و«تحالفات الأضداد» وغيرهما وكانت بعض هذه المؤلفات تطبع داخل العراق وبعضها خارجه.

- ونوع ثالث: وهو نشر وتحقيق كتب تاريخية تتناول إيران والتشيع بصورة غير مباشرة مثل «ذرائع العصبية العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق» لمؤلف مجهول، بتحقيق العلامة محمد بهجة الأثري رحمه الله، وكتاب «حوادث بغداد والبصرة» للسيد عبد الرحمن بن عبد الله السويدي، بتحقيق المحقق العراقي المعروف عماد عبد السلام رؤوف.

كما نشرت^(١) دراسات تاريخية جادة حول الفرق والشعبوية للكاتب عبد الله سلوم السامرائي، مثل «الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية» و«القاديانية والاستعمار الإنجليزي» وللمؤرخ العراقي فاروق عمر كتابات ودراسات دقيقة لفضح التوجه الشعبي.

كما لا ننسى دور الشيخ صبحي السامرائي رحمه الله^(٢) الذي لم يتوقف عن نشر الوعي بأهمية فهم التشيع وخطورته، وتوعيته الدائمة للشباب عن خطر التشيع من خلال دروسه في العلم الحديث، وقد ساهم في نشر كتب نادرة حول التشيع وتصويرها للنخب، والدور المتميز للدكتور بشار معروف في هذا المضمار، كما تسربت عشرات النسخ في ذات الوقت من مؤلفات الشيخ إحسان إلهي ظهير حول التشيع، وجرى تداولها بشكل محدود، وسُرب مخطوط «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» لنور الدين الطبرسي^(٣)، وكتاب محب الدين الخطيب «الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة» ورسالة محب الدين الخطيب «حملة الرسالة

الأولون»، التي كانت تصل عبر بعض الشخصيات الدينية المقربة من الدولة، أو ضيوف المؤتمرات الشعبية التي أقيمت ضد رفض إيران لإيقاف الحرب مع العراق.

ومن مجموع كل هذه الجهود أصبح من يهتدي من الطلاب الجامعيين من الشيعة يعود حاملاً راية الهداية إلى مناطقهم، وتوجهت الدعوة عبر هؤلاء الشباب إلى عقر دار الشيعة في جنوب العراق ووسطه؛ في الناصرية والديوانية والعمارة والبصرة وبابل والكويت^(٤)، بل بلغت حتى محافظات: النجف وكربلاء، أرض مراجع الشيعة والحوزة، وتسكن كثير من أفراد الشيعة بل عوائل كاملة.

ونتيجة لهذا النشاط السلفي انحسر التصوف ونشاط جماعة الإخوان في المساجد^(٥)، إذ تحول كثير من شباب الإخوان للتيار السلفي، لأنه الطرح المتقبل في الساحة السنية؛ ولأن كثيراً من إخوان مدينة بغداد والبصرة وديالى العاصمة أصلاً عندهم ميول سلفية، خلافاً لإخوان الرمادي والموصل، ومن أشهر أصحاب هذا التوجه الشيخ سامي رشيد الجنابي وإياد عدنان الحمداني.

برغم كل هذه النتائج الضخمة إلا أن الدعوة لا تزال دعوة فردية وإن كانت واسعة النطاق، وقد كان تبليغ الدعوة وممارستها نمطاً من أنماط الجهاد، إذ لا يحضر الدروس أكثر من عشرة أفراد، وكثير من الدروس تعقد في الحدائق العامة أو على شواطئ الأنهار أو داخل السيارات حتى تبدو كنوع من النزهة وليست درس منظماً!

(٤) مع ملاحظة أن ٢٠٪ من سكان البصرة هم من أهل السنة و٢٠٪ من سكان بابل كذلك.

(٥) كان هناك تنظيم غير معلن - لم يحصل على موافقة القيادة الأساسية- لمجموعة من الإخوان ذوي العقيدة السلفية، مارست عملها منذ أوائل الثمانينات (١٩٨١) إلى أن القي القبض عليهم سنة ١٩٨٧ وحكموا بأحكام قاسية تصل إلى الإعدام والمؤبد، ولكن أفرج عنهم بعد أربع سنوات (١٩٩١م) بعفو، وقد تدخلت شخصيات كثيرة عالمية إخوانية من تركيا والأردن ومصر، لتخفيف الحكم عليهم، هذا التنظيم كان بقيادة الدكتور عبد المجيد السامرائي وعصام الراوي رحمه الله، وعلاء مكي ونصير العاني ومحمد فاضل السامرائي وغيرهم، من شباب الخمسينات والستينات.

(١) بعض هذه الكتب ألف قديماً وأعيد نشره وبعضه ألف في حينه.
(٢) وقد نشرنا بصحبة أخينا الفاضل عبد الله بن عبد اللطيف الكرخي، مقالاً في العدد ١٢٣ من مجلة الراصد بعنوان «جهود الشيخ المحدث صبحي السامرائي رحمه الله في مقاومة التشيع في العراق».
(٣) بعض المؤلفات كان موجوداً في السوق مثل «العواصم من القواصم»، و«مختصر التحفة الإثني عشرية» للألوسي، ومؤتمر النجف.

وكانت كل التكاليف المادية تؤمن بجهود ذاتية من الدعاة؛ ولا يستطيع المسلم أن يقوم بالحد الأدنى من الهدي الظاهر كترية اللحية، خوفاً من بطش أجهزة الأمن البعثية المعادية للدعوة الإسلامية، إذ كان العراق دولة بوليسية تعمل الأجهزة الأمنية والحزبية كلها فيه لمراقبة الشعب في المساجد والجامعات وفي كل مكان.

وكانت الدعوة في العراق كالتحت في الصخر، ويزيدها صعوبة أن غالب المجتمع العراقي في هذه المرحلة غير متدين فقد أثرت فيه التوجهات القومية والشيوعية وأبعدته عن التدين، وكانت المساجد خاوية من الشباب^(١).

انقسام في الدعوة السلفية (مجموعة فائز):

هذا التوسع للدعوة السلفية أدى إلى عدة انقسامات أثرت فيما بعد على الدعوة نفسها وعلى دعوة الشيعة، الانقسام الأول حصل لتنظيم الموحدين في السجن بين الأمير ونائبه (إبراهيم المشهداني ورعد عبد العزيز النعيمي) واستمر هذا الانقسام حتى بعد الخروج من السجن بين أتباعهما، والانقسام الثاني - وهو الأخطر - بزعامة المهندس فائز طه الزبيدي (من جيل الخمسينات)^(٢)، ليكون جماعة سلفية مرتبطة به تحمل خليطاً من الأفكار السلفية وفكر حزب التحرير وأفكار خاصة به.

وتأثرت هذه المجموعة بشخصية فائز وفكره الخاص الذي هو عبارة عن شذوذات عقديّة وأفكار غريبة غير مؤصلة علمياً، ونقد للدعاة والعلماء، تحولت فيما بعد إلى تسقيط الدعاة الذين لا ينتمون لدعوتهم محلياً، وتعامل قاس مع

(١) بذلت في الستينات والسبعينات جهود كبيرة مشكورة وواضحة من جماعة الإخوان المسلمين لبناء المساجد وبقاء الدين مستمراً، إضافة لبعض الجهود السلفية النخبوية، كل ذلك ساهم بالتخلص من سلبات التدين الصوفي، الذي نشر الجهل وأشاع البدع والخرافات.

(٢) كان المهندس فائز رحمه الله من جماعة الموحدين في السبعينات، وكان مهندساً كيماوياً في التصنيع العسكري ابتعث إلى يوغسلافيا.

المخالف، أدخلت الساحة السلفية في صراعات فكرية تطورت إلى صراعات عملية أحياناً، وكانت مجموعة فائز تكبر وتنتشر؛ لأنه اعتمد طريقة تشبه طريقة جماعة التبليغ في الدعوة والانتشار، ونتج عن نشاطهم أمران:

- انتشار الدعوة في أماكن متعددة في العراق.

- انقسام حاد داخل الصف السلفي.

كان فائز يهاجم جماعة الإخوان بقسوة وشدة ويسقط رموزهم الفكرية كسيد قطب وأحياناً حسن البنا رحمهما الله، فأصبحت مجموعة فائز تشكل أزمة في المساجد للسلفية والإخوان، وحاولت بعض الشخصيات والمجموعات السلفية احتواء الأزمة من خلال جلسات صلح، نجحت في الظاهر وفشلت على الأرض، مما أدى إلى تعاون من قبل بعض السلفيين والإخوان (خط الشيخ سامي) لإيقاف تمدد فكر مجموعة فائز بين صفار السن.

وكانت طريقة مجموعة فائز في دعوة الشيعة تقوم على:

- دعوة الشيعة للتوحيد كحال السنة أسوة بالدعوة السلفية.

- مهاجمة طقوس الشيعة في يوم عاشوراء بشكل محدود في بعض القرى والأرياف، كتخريب الأطعمة التي تطبخ للحسين أيام عاشوراء (الهريسة والقيمة)، وضربهم بالحجارة وأمثال ذلك من الأفعال.

لفتت تصرفات مجموعة فائز أنظار الأجهزة الأمنية، واشتكى مجموعة من الحزبيين ورجال العشائر الشيعة على بعض الممارسات التي يقومون بها، وعن تحول أولادهم إلى التسنن، وهذه أول مرة تقدم شكوى رسمية بشأن تسنن الشيعة.

كانت الحكومة تتصور أن مجموعة فائز هي وراء تحول الشيعة إلى السنة، ولم تكن الحكومة تريد أي بلبلة من هذا النوع داخل صفوف الشيعة خاصة وأن هناك شكاوى من بعثيين طرحت داخل الحزب، لهذه الأسباب مجتمعة دسّت الحكومة

ملتزم دينيا أن يفوته؛ إلا أن جماعات كثيرة منها حزب التحرير والإخوان غفلت عن هذه الحقيقة، ولم تدخل في مقرراتها أي دراسة للخطر الشيعي، وكان همها تثقيف أفرادها بأفكار إسلامية عامة؛ لذلك ضعف حس الإخوان لخطر التشيع وبذلت طاقات الشباب في قضايا تصلح لبلد غير العراق، ف وقعت الكارثة، والله المستعان.

الزوائد الإيرانية: يحيى أبو زكريا أنموذجا

بوزيدي يحيى^(٥) - خاص بالراصد

أفرز المشروع الإيراني في العالم العربي الكثير من المظاهر المرضية في المجالين السياسي والديني، تجلت في العديد من الأصوات الجماعية والفردية، التي أحدثت شروخا سياسية واجتماعية خدمة لخطط الملاللي على حساب أوطانها ومجتمعاتها، بل وحتى قضاياها المصرية، حيث تصب كل طاقاتها نحو جلد الذات واتهام جل الفاعلين في المجال السني العربي بمختلف مشاربهم بالعمالة للغرب، والجهل والغباء، وكل الموبقات، وحصر العزة والشرف ومواجهة العدو والصالح في إيران والقوى الشيعية الموالية لها، خاصة بعد الثورة السورية.

وإذا كانت الأصوات الدينية مكشوفة بإعلانها الانتقال إلى التشيع مما يقلل من خطورتها دون الاستهانة بذلك بأي حال من الأحوال، إلا أنه توجد الكثير من الأصوات التي تشتغل في المجال الإعلامي المتشيع سياسيا أو دينيا ولا تجهز بذلك، تقوم بتأدية دور تكميلي للجناح الديني على أكمل وجه، ومن هنا تأتي خطورتها وضرورة التنبه لها.

ولعل الكاتب والإعلامي الجزائري يحيى أبو زكريا الذي سخر كل جهوده لخدمة نظام بشار

(♦) كاتب جزائري.

خلايا أمنية داخل مجموعة فائز لتفهم الحركة وتراقبها عن كثب؛ وبُني فائز أن عيونا داخل مجموعتك تراقبك؛ إلا أنه استمر بممارساته، إلى أن دخل العراق الكويت في (١٩٩٠/٨/٢) وألقي القبض على عناصر مجموعة فائز، وبعد ثلاث شهور وبالتحديد في (١٩٩٠/١١/١١) تم إعدامه هو وثلاثة من قيادات مجموعته، وتم استدعاء مئات السلفيين، وأخبروا رسميا أن الحكومة لا تسمح بتحول السنة إلى شيعة قطعيا، وأن هذا عمل يثير الطائفية في البلاد ويجرم صاحبه، علم السلفيون أن اهتمام أجهزة الأمن توجهت إليهم، وجرت اعتقالات للسلفيين بتهم مختلفة، وهكذا أصبحت السلفية ممنوعة في العراق، وأرغم عدد كبير من السلفيين على التوقيع على إقرار بالإعدام في حال ثبوت الانتماء إلى حزب وهابي، ومن يومها شنت الحرب على الدعوة السلفية وأتيح لحركة الإخوان للتحرك وانقلبت الأمور.

خلاصة مرحلة ما بين ١٩٨٥ - ١٩٩٠:

تحول فئام كثيرة من الشيعة إلى السنة في مناطق متعددة من بغداد وضواحيها، وحتى في مناطق تعد مغلقة شيعيا مثل مدينة الثورة (صدام/ الصدر حاليا) والتي كان فيها أكثر من ٦٠ حسينية، فقد بنيت فيها مساجد للسنة والمتسنين والذين أصبحوا بالمئات، وانتشر التسنن أكثر في مناطق شرق قناة الجيش في جانب الرصافة؛ كالأمين، جميلة، المشتل، بغداد الجديدة، وكذا في منطقة الشعلة (جانب الكرخ)، وفي ضواحي ومحيط بغداد الجنوبي، وتمدد الأمر إلى جنوب ووسط العراق، وبرزت في تلك الأيام الدعوة السلفية في محافظة البصرة، وفي محافظة ديالى شرق العاصمة بغداد، وتخرج كثير من الشباب الشيعة ليكونوا في المرحلة القادمة هم شيوخ المرحلة.

ولابد من التنبه إلى قضية مهمة وهي أن العراق بلد فيه شيعة بنسبة كبيرة، وهم يحلمون بالسيطرة على البلاد منذ أمد بعيد، وعدم فهم هذا التفكير والتخطيط هو جهل لا يحق لسني عراقي فضلا عن

الأسد والتغطية على حزب الله وإيران في وجه الثورة السورية، وهو سلوك حذا به حذو الإعلامي التونسي غسان بن جدو الذي استقال من قناة الجزيرة، وأسس، بدعم إيراني، قناة الميادين يمثل أحسن نموذج لهذه الظواهر في المجتمعات السنية التي يتوجب تسليط الضوء عليها كنافذة عملية لمعرفة آليات عمل المشروع الإيراني وتوظيفه بمهارة للقوة الناعمة في خطته، وفي نفس الوقت معرفة مكان الخلل داخل الجسم السني التي تحتاج إلى معالجة.

المسيرة المهنية

ينتمي يحيى أبو زكريا لجيل من الكتاب والصحفيين الذين تفتقت أعينهم على زخم الثورة الإيرانية مع تراجع المشروع القومي الناصري في نفس الوقت، وإخفاق اليسار العالمي ممثلاً في الاتحاد السوفياتي والأنظمة التي كانت تسبح في فلكه من دول العالم الثالث، فبعد سنة من نجاح الثورة، نشر أبو زكريا أول مقالة وعمره ست عشرة سنة، وبذلك امتزجت حماسة المراهقة والشباب بالنقمة على الأوضاع مع الآمال التي فتحها الخميني مقدماً بديله «لا شرقية لا غربية، جمهورية إسلامية».

ونظراً لقوة المعارضة الإسلامية حينها فإنه وجد في صعود التيار الإسلامي الذي اكتسح المشهد معبراً عمّا يختلجه من أفكار وأحلام ومنسجماً مع ما يطمح إليه، وربما هذا ما يفسر عمله في الصحف المحسوبة على التيار الإسلامي بعد فتح مجال التعددية، وأبرزها

«المنقذ» التي كانت لسان حال الجبهة

الإسلامية للإنقاذ، إضافة للبلاغ، والنبا التي كان يرأس تحريرها عبد المجيد مناصرة.

ومع بداية الأزمة الجزائرية عقب إلغاء المسار الانتخابي ودخول البلاد في موجة عنف، ونظراً

لاختلافه مع السلطة والمعارضة على حد سواء، هاجر (أو نفي) إلى بيروت سنة ١٩٩٢، وعمل هناك بجرائد مختلفة من بينها: اللواء، مجلة الوثيقة الإسلامية، السفير، الديار، نداء الوطن، الحياة اللندنية، القدس العربي، وغيرها من المنابر الإعلامية الكثيرة، وبسبب انتقاداته الشديدة للنظام الجزائري تعرض لضغوط (حسب روايته) اضطرته للانتقال إلى السويد سنة ١٩٩٧ ليستمر في عمله عبر مختلف وسائل الإعلام والمؤسسات البحثية.

وارتبطت شهرته ببرنامج «الاتجاه المعاكس» على قناة الجزيرة، الذي كان أحد ضيوفه المميزين، وفي هذه المرحلة وحتى قبيل بداية الثورات العربية وتحديد الثورة السورية تتقل عبر فضائيات مختلفة كان أبرزها فضائية «القدس» التابعة لحركة حماس، والتي أقيمت منها بسبب خلافات مع مسؤوليها كان موضوعها انتقاده لعزيمي بشاره في سلسلة مقالات بعد رفض الأخير مشاركته في برنامج الاتجاه المعاكس، لينتقل بعدها للعمل مع قنوات إيرانية، «العالم» و«الكوثر».

وبعد بداية الثورة السورية انضم إلى قناة الميادين التي أسستها إيران كواجهة إعلامية تكيفا مع التطورات التي فرضتها الثورة السورية، لتبدأ الحلقة الأكثر إثارة للجدل من مسيرة يحيى أبو زكريا حيث أصبح ضيفاً شبه دائم على القنوات السورية الرسمية، ومختلف المنابر الإعلامية المكتوبة، والسمعية التابعة له، مستهدفاً تشويه الثورة، وتحول إلى



يحيى أبو زكريا

أحد أهم أدوات الدعاية المضادة لمواجهة قناة الجزيرة باتهامها بالعمالة للصهيونية، ويشن في خرجاته الإعلامية انتقادات لاذعة للأنظمة الخليجية وحركة حماس الفلسطينية، والدفاع في نفس الوقت عن النظام السوري وحزب الله والشيعة

عموماً ، ولم يخرج برنامجه الذي يعده ويقدمه على قناة الميادين « أ ل م » عن إطار هذه الأهداف أيضاً.

تشيع يحيى أبو زكريا

أثير موضوع تشيع يحيى أبو زكريا بشكل أكبر بعد الثورة السورية وتأييده لنظام الأسد ، ومتابعة كتاباته وتصريحاته عبر مختلف وسائل الإعلام إضافة إلى حياته الخاصة بشكل أو آخر ترجح تشيعه ، فمفردات خطابه تتطابق مع خطاب المتشيعين بشكل كامل - وهو ما سنفصله تالياً - والحلقة الناقصة من هذا الموضوع هي فقط إعلانه وتصريحه بهذا ، ونظراً لإيمان الشيعة بالتقية فلا يستبعد أنه لا يفعل ذلك عن سابق إصرار لأنه سيكون قد أعلن فشل مهمته نهائياً.

وأهم ما يعزز طرح هذا الموضوع هو الغموض الذي يكتنف مساره العلمي، والمتعلق بحصوله على شهادة الدكتوراه عن رسالة «الجزائر من بن بلة إلى بوتليقة»، وإتقانه للغات عديدة منها اللغة الفارسية. فمن خلال متابعة الحوارات الصحفية التي أجريت معه والتي حاولت الغوص في أعماق شخصيته وحياته الخاصة وبداياته، نجد المرحلة الجامعية منها مظلمة إذ من الطفولة وعبثها وآلامها وإنجازاتها يقفز مباشرة إلى الحياة المهنية والمنفى وغير ذلك، وإذا كان هذا لا يعدم امتلاكه قدرات في مجال التأليف والإعلام إلا أن ادعاءه نيل درجة علمية يضرب مصداقيته خاصة وأنه الآن يقدم باسم «المفكر الدكتور» في حين كان حتى سنة ٢٠١٠ يقدم في برنامج الاتجاه المعاكس كإعلامي فقط، والكتاب الذي حصل به على درجة الدكتوراه لا يمتلك المقومات الشكلية والمنهجية المطلوبة في الرسائل العلمية^(١).

وناهيك عن انتمائه خلال عمله في الجزائر

لوسط كان يعج بالمتشيعين، فإنه لم يصرح عن كيفية ارتباطه بزوجته اللبنانية، وتفاذى الإجابة عن هذا السؤال بالحديث عن مرافقتها إياه في السراء والضراء، وبعض من الغزل الذي قاله عنها، والذي قد يكون أكثر إحراجاً من كيفية وتاريخ لقائه بها، والإجابة عن هذا السؤال تكشف في أحد جوانبها عن طبيعة علاقته بالشيعة، فهو في أحد مقالاته يشير إلى أن أبناءه ولدوا في الجزائر، وهذا معناه أن زواجه كان قبل هجرته ما يعني ارتباطه المبكر بالمحور الإيراني، خاصة وأنه انتقل في سنة ١٩٩٢ من الجزائر مباشرة إلى لبنان.

وبغض النظر عن الجانب التاريخي فإنه لا شك أن انحيازه للطرف الشيعي يعكس تأثره به من خلال زواجه وعيشه في هذا الوسط، والكاتب الجزائري أنور مالك الذي عمل كمراقب عربي في سوريا وكانت تربطه سابقاً علاقة صداقة قوية معه قال عنه في إحدى تغريداته على تويتر: «يحيى أبو زكريا تشيع للعيش بلبنان وأصهاره شيعة آل غصن ويشتغل عند غسان بن جدو وقبلها بالكوثر والعالم.. فهل تنتظرون أنه سيتجراً على معاداة بشار؟»^(٢).

وهناك أمارات أخرى ترجح كفة تشيعه، فمن جهة المسيرة المهنية وتنقله بين قنوات إعلامية إيرانية أو موالية لها أبرزها قناتا «العالم» و«الكوثر» ثم استقراره حالياً في قناة «الميادين»، تدل على ملازمة الكاتب للخط الإيراني في مشواره الإعلامي. وجدير بالذكر أن هذه الفضائيات يغلب عليها توظيف المتشيعين. وحتى فضائيات الجزيرة والقدس كانتا سابقاً منحازتين لإيران وحزب الله وابتعد عنهما بل وحاربهما لهذا السبب تحديداً، بعدما كان يشيد بهما سابقاً، وإذا سلمنا جدلاً أن الجزيرة وسيلة صهيونية فقد كان أبو زكريا أحد أدواتها لعقد كامل.

(٢) على الرابط:

<https://twitter.com/anwarmalek/status/275489192589524994>

(١) نور الدين المالكي، فضيحة الدجال يحيى أبو زكريا: لا هو دكتور ولا يتكلم ست لغات، موقع الدفاع على السنة، ٢٧/٠٥/٢٠١٣، على الرابط:

<http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=163176>

على أهل السنة ومهمتها نشر التشيع، رغم ما يفترض أنه موقف مبدئي يدين فيه حتى هذه الفضائيات^(٣).

يحيى أبو زكريا والثورة السورية

أسند ليحيى أبو زكريا والزمرة الإعلامية التي على شاكلته تغطية الجبهة الإعلامية عقب الثورة السورية بتوظيف الشعبية التي اكتسبتها في مرحلة سابقة، ونظرا لعدم القطع بانتمائه الأيديولوجي والديني فإن ذلك يسهل المهمة.

فبينما عرف سابقا بمقارعتة للطغيان والظلم وأشاد بالثورتين المصرية والتونسية تغيرت مواقفه رأسا على عقب بعد الثورة السورية، وأصبح ظلم القيادة في دمشق واستبدادها ليس مبررا للثورة وإنما قابل للإصلاح. وهو الذي كان يتحدث عن استحالة ذلك ما دامت العسكرية تاريا هي التي تقرر^(٤).

وقراءة سريعة في أرشيف كتاباته تكشف تمحورها حول ما يصفه هو بـ «محاربة الطغيان» وتطرفه في الهجوم على الأنظمة العربية يجعل من الصعوبة فصل النظام السوري عنها، ومن الوهولة الأولى يعتقد أن نظام الأسد كان مشمولا بانتقادات أبو زكريا غير أن التمعن قليلا يكشف كيف كان يستثيه عندما يربط الطغيان بالعمالة للغرب، وبما أن الأسد كان يتبنى خيار الممانعة ومواجهة الصهيونية فإنه غير مشمول، والأمر نفسه ينطبق على إيران سابقا وحاليا.

ورغم محاولته عدم إحداث قطيعة بين هذا الماضي ومواقفه الحالية من خلال إشارات العرضية لوجود طغيان وظلم في نظام الأسد وأنه مؤجل في مواجهة المؤامرة إلا أننا نجده يدافع عن عائلة

وإضافة إلى توظيفه مفردات دينية في مقالاته حول الشيعة والتي يستبعد إطلاقا أن تصدر من غير المتشيعين من قبيل وصف نصر الله بسماحة السيد و«قم المقدسة» والإشادة بالحوزات الدينية وغيرها من المفردات^(١). فإنه يدافع عن إيران وينفي الاتهامات الموجهة لها بنشر التشيع رغم كل الدلائل التي يدركها كل متتبع بسيط فضلا على أن يكون إعلاميا قريبا جدا من عالم السياسة، وأكثر من ذلك تحدث عن يقينه بعدم امتلاك طهران أجندة للإضرار بالعالم العربي، وجاهزيتها لتقديم كل خبراتها وتجربتها التنموية له دون المساس بسيادته واستقراره، وعن الفوارق بين السنة الشيعة انتهى بعد بحث مطول كما يزعم إلى أن نسبة التوافق بين كتب الصحاح الأربعة والكتب الصحيحة في المذهب الجعفري ٨٠ بالمائة. وحتى عند الإشارة لكتاباته ضد الشيعة في العراق فيصحح بأنه كتب فقط ضد النخبة المتأمركة^(٢).

ومن خلال تتبع تصريحات يحيى أبو زكريا في مراحل زمنية مختلفة تتكشف تناقضاته التي تدل على تشيعه فقد عاب على قناة القدس تبذيرها للأموال التي تأتيها من الخمس الإيراني، وركز على تبذيرها (الحرام)، دون أن يلتفت إلى مصدرها (الحرام) أيضا الذي كان يعتاش منه هو نفسه. وكذلك حديثه عن انحيازها للسنة وظلمها للشيعة، وكتاباته عن الفضائيات السننية التكفيرية التي ترفع شعار الدفاع عن الصحابة، وعمله بعدها في قناة «الكوثر» الإيرانية (المدعومة بالخمسة) التي ليست منحازة لصالح الشيعة بل متطرفة في الهجوم

(١) على سبيل المثال لا الحصر، انظر: يحيى أبو زكريا: سماحة السيد حسن نصر الله: قراءة في الشخصية، شيعة ويب، ٢٠٠٦/٠٨/٠٤، على الرابط:

http://www.shiaweb.org/hizbulla/waad_alsadeh/na218.html

(٢) نور الدين لشهب، يحيى أبو زكريا: الكتلة المغاربية تملك كل مقومات الانطلاق النهضوي، هيسبريس، ٢٠٠٩/٠٥/٠٦، على الرابط:

<http://hespress.com/interviews/12636.html>

(٣) نور الدين المالكي، هذا الكلام صدر عن الصحفي الجزائري يحيى أبو زكريا، منتديات الشروق، ٢٠١١/٠٥/١٢، على الرابط:

<http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=184529>

(٤) نور الدين لشهب، يحيى أبو زكريا: الكتلة المغاربية تملك كل مقومات الانطلاق النهضوي.

لكل المعارضين لإيران أو حتى المختلفين عنها جزئياً، ووضعهم جميعاً في السلة الأمريكية، أو أنه يعتبر أن الأسد نصر الله بدعماً للتشيع والشيعة انطلاقاً من خلفيته العقيدية النصيرية، وما يقول بهذا إلا متشيع.

ونظراً لتأزم العلاقات بين حركة حماس ومحور إيران بسبب الثورة السورية ولحساسية المواجهة المباشرة معها خشية رد فعل الرأي العام العربي فإن هذه المهمة تكفلت بها الأدوات الإعلامية، لذلك تجنبت القيادات السياسية العليا الإيرانية والسورية الهجوم الصريح على حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، مع التلميح له من حين لآخر، فكان نصر الله يشير فقط لوفاته لأصدقائه في دمشق.

أما أبو زكريا فقد أصبحت قيادات المقاومة مستهدفة بتصريحاته ومقالاته، وهنا لا يستبعد لعب العوامل الشخصية دوراً في هذا، كخلافه السابق مع الحركة بسبب إقالته من فضائية «القدس»، وأيضاً مشكلته مع عبد المجيدة مناصرة في الجزائر بسبب اتهامه بهضم حقوقه حين عمل معه في جريدة النبا، غير أنها تبقى ثانوية، والأساس هو المهمة التي كلفته إياها طهران.

الموضوعية الموجهة

يناور أبو زكريا بالحديث عن الظواهر السلبية التي يحفل بها المشهد الديني في شقيه السني والشيوعي وفي مقدمته الإعلام الديني وما تبثه الفضائيات من مواد إعلامية تخدم منهج التكفير وتفريق الأمة، ورغم تعميمه ذلك على السنة والشيعة إلا أنه يركز بشكل خاص على السنة ويتلقف كل التهم التي تشوههم، ويجعل منها حالة عامة بسرد نماذج عديدة ينسبها لعلماء أهل السنة رغم أنها استثناء وحالات شاذة دون الالتفات أو بالأحرى ثم الالتفاف على المشهد الشيوعي رغم أن الفتاوى تصدر من مرجعياتهم الكبرى أي «آيات الله العظمى» كحديثه عن فتوى إرضاع الكبير أو فتوى جهاد النكاح المكذوبة عن الشيخ العريفي،

الأسد، وأشهر شخصية فاسدة فيها وهو «رامي مخلوف» في حين كان ينتقد الفساد في العالم العربي، وكيف حوّل الحكام الأوطان إلى حدائق لأبنائهم وزوجاتهم. وحتى إذا سلمنا جدلاً بمنطق أبو زكريا هذا أيضاً فشتان بين عدم دعم الظلم والإشادة به، طبعاً مع استحالة مواجهة العدو بظلم الشعب كما يفترض المنطق المقلوب لأبي زكريا ومن على شاكلته.

وما يعيبه أو يستند عليه يحيى أبو زكريا لتبرير وقوفه إلى جانب نظام الأسد هو ما أفرزته الثورات من عدم استقرار واضطرابات وعمالتها للولايات المتحدة، ولو أنه كان مفكراً حقاً كما أصبح يُنعت في إعلام الأسد لعلم أن حالة اللاأمن أمر طبيعي نتيجة أي فعل ثوري، وأن من يتحمل مسؤولية ذلك هي الأنظمة التي لم تدر الأزمات سياسياً ودفعتها إلى العمل المسلح بخيار الأمانة، ورضوخ الأسد للمطالب الغربية وقبوله بتفكيك سلاحه الكيماوي هو عكس فتوى الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله التي أهداها لفصيل القاسم والتي مما جاء فيها أن «لا يعاهد العدو لأنه لا عهد له. ولا يأتّمه لأنه لا أمان له ولا إيمان»^(١).

والأهم من ذلك أنه يستحضر البعد الديني في تحليلاته، فالذين يديرون الثورة من الداخل والخارج سقطوا في لعبة المال والملاذات ولذلك لم ينصرهم الله، لأن الله ينصر من ينصره فقط وهذا شرط رباني^(٢). السؤال الذي يطرح هنا: كيف كان بشار الأسد ينصر الله حتى ينصره وهو «البعثي ابن البعثي» المعادي للدين؟

هناك احتمالان لا ثالث لهما: إما أن أبو زكريا يكذب وهذا ما اعتاد عليه بسوق التهم جزافاً

(١) رد الإعلامي الجزائري يحيى أبو زكريا على رسالة فيصل القاسم، بانوراما الشرق الأوسط، ٢٠١٢/١٢/٢٢، على الرابط:

<http://www.mepanorama.com/200459>

(٢) يحيى أبو زكريا، حين فشلوا في اغتيال الرئيس الأسد بدأت حرب الإشاعات، سيريان تلغراف، ٢٨/٠١/٢٠١٣، على الرابط:

<http://www.syriantelegraph.com/?p=67622>

يمكن وصفه بالهادئ والبحث عن المحاجة العقلانية، غير أن كتاباته تختلف عن خرجاته الإعلامية خاصة بعدما أصبحت ضرورية لتزيين وجه النظام القبلي، فنفاذ القاموس العقلاني والهادئ فسح المجال للتصريحات النابية التي تقوِّح بخطاب الكراهية والازدراء والتخوين والطعن في شرف شعوب بأكملها والتشكيك في أنسابها، وانتشرت على اليوتيوب العديد من مقاطع الفيديو ترصد تناقضاته وخزعاته، حيث أصبح يستعمل قاموسا لغويا شعبويا أنذر بسقوطه الأخلاقي لدرجة أن قناة الميادين اضطرت إلى إصدار بيان ترفع يدها عن تصريحاته رغم أنها تنتمي إلى نفس الخط وقد تكون مجرد لعبة تبادل أدوار. مما يطرح علامات استفهام حول العدد الكبير من الرموز الدينية التي تظهر على برنامجيه.

التعليم والتعمية

لا ينفك أبو زكريا عن ترديد نظرية المؤامرة وما يحاك ضد الأمة من طرف القوى الصهيونية، وإذا كان هذا رائجا عند الكثير من المشتغلين في الحقل السياسي والإعلامي، إلا أنه يفرط في هذا بادعائه المعرفة بتلك المؤامرات وامتلاكه معلومات (استخباراتية) سرية - حصرية - (بالأطنان) لمحاولة إقناع الرأي العام ومغالطته وترسيخ فكرة أن ما يجري في سوريا فقط إصرار أمريكي لإسقاطها ومعاقبة حزب الله على انتصاره على الكيان الصهيوني في آب ٢٠٠٦^(٢). والكل متورط في ذلك بما فيهم الإخوان المسلمون في مصر، ففي رده على رسالة فيصل القاسم تحدث عن امتلاكه لوثائق تنص على أربع قواعد أمريكية جديدة في مصر، بإقرار من الإخوان في مرحلة حكم مرسي. ومن المعلوم أن الجهاز البيروقراطي ظل متماسكا بعد سقوط نظام مبارك وهو ما ساهم في

وإغفاله أو تغافله عن فتوى تفخيذ الرضيعة التي قال بها مراجعهم قديما وحديثا، أو زواج المتعة وإهانته للمرأة المسلمة، بل ويتحدث عن تمتع شيخ سني يفتاة رغم تحريمه زواج المتعة وتكفيره للشيعية^(١).

وقريبا من هذا وبعدما أصبح موضوع التقريب في خبر كان، نظرا للتحول التدريجي لمواقف الشيخ يوسف القرضاوي الذي كان أهم الداعين إليه والمشتغلين عليه، وإعلانه انخداعه بالشيعية وحزب الله بعد الثورة السورية، يحاول يحيى أبو زكريا ضخ دماء جديد في هذه الفكرة نظرا لأهميتها في التمكين لإيران في الفضاء السني، حيث يركز في برنامجيه «أ ل م» بقناة الميادين على هذا الموضوع، ورفعه من خلاله شعار «محاولة رسم تيار فكري عربي وإسلامي هدفه وحدة الأمة ونبذ الفرقة»، غير أن المدقق في خطاب البرنامج يجده يركز كل جهوده على اتهام وإدانة أهل السنة والجماعة ومؤسساتهم الدينية، واللافت للانتباه أن جل ضيوفه ينتقون بناء على توجهاتهم المسبقة والمعروفة والمشارك بينهم المسافة البعيدة نسبيا من الثورة السورية.

فبينما يركز على جهاد السنة في سورية بغفل ذلك من طرف الشيعة، ويعيب على من اجتهد من علماء السنة إعلانه النفير العام والأولى من ذلك بالنسبة له ولضيوفه فلسطين، بينما لا يعير انتباهه للمرجعيات الشيعية التي أفتت بمقاتلة الأمويين ونصرة آل البيت في الشام، ويعتبر إعلان حسن نصر الله حماية الشيعة في القرى الحدودية ثم مقام السيدة زينب بدمشق ثم التصريح بما كان يخفيه وهو القتال في كل سورية مقاومة وممانعة. وبعدما كان يدعو للحوار على أساس أسلوب

(١) يحيى أبو زكريا، فضائيات التكفير وفقهاء الفتنة، الحوار نت، ٢٠١٠/٠٩/٢٢، على الرابط: <http://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=10120>

(٢) يحيى أبو زكريا، حين فشلوا في اغتيال الرئيس الأسد بدأت حرب الإشاعات.

دعوى النسوية الإسلامية...

قراءة في آليات التفكير

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

يشكل مصطلح النسوية الإسلامية مجموعة

من التناقضات المثيرة للدهشة فالنسوية فلسفة غربية تعني في أبسط تصور لها أن تكون الأنثوية هي المعيار الذي ينظر منه إلى العالم وتعمل على تفكيك البنى المجتمعية التي تصفها بالتقليدية أو النمطية وتتبنى رؤية جديدة لطبيعة العلاقة بين الجنسين ووفقا للنسوية فلا بد من محو أي اختلاف بينهما باعتباره تمييزا، وصولا لما يطلق عليه النوع الإنساني أو الجندر.

أما الإسلام، دين الله الخالد والخاتم، فكما هو معلوم اهتم بقضايا النساء حتى أنه سمى سورة من أطول سورته باسم سورة «النساء» ووفقا لرؤية متكاملة متوازنة وضع حزمة من الحقوق تقابلها مجموعة من الالتزامات والمسؤوليات.

أما المعيار الذي دشنته الإسلام لرؤية العالم فهو معيار لا ذكوري ولا أنثوي وإنما هو معيار إلهي بمعنى أن ينظر الإنسان - ذكرا كان أو أنثى - لأي قضية بمعيار: هل هذا أمر يحبه الله ويرتضيه أم يكرهه ولا يقبله؟، ومن هنا كان الخلط بين المصطلحين (الإسلام والنسوية) غامضا أو مشوشا أو ماكرا خبيثا؛ فالفلسفة التي يقوم عليها كل منهما مختلفة، والقيم التي يقوم عليها مختلفة والأهداف التي يسعى لها هي جد مختلفة.

حقوق النساء

الحقيقة أن هناك طائفتين تستخدمان هذا المصطلح «النسوية الإسلامية»، الأولى تستخدمه بمعنى الحقوق النسائية الإسلامية أو حقوق المرأة في الإسلام، تلك الحقوق العظيمة التي نالتها المرأة في

(١) كاتبة مصرية.

الانقلاب، فما بالك بالمؤسسة العسكرية التي فضلا عن علاقاتها القديمة بأمريكا منذ زمن السادات فإن الوقائع التالية كشفت عن استمرارها بنفس النهج بدليل تنفيذها للانقلاب برعاية أو على الأقل دون رفض أمريكي، وهو ما يدحض كلام يحيى أبو زكريا جملة وتفصيلا. وإذا كان الشيخ رائد صلاح تحدث عن دعم الرئيس المصري محمد مرسي للأقصى والقدس فهل نصدق المرباط هناك أم يحيى أبو زكريا؟

الخلاصة

تمتلك الأصوات الإعلامية الموالية لإيران دينيا وسياسيا الكثير من الخصائص المشتركة مع «الزائدة الدودية» في جسم الإنسان، فالأخيرة صغيرة الحجم ودورها مناعي بالأساس حيث تقوم بتصفية البكتيريا والفيروسات، ولكن عند حدوث التهاب فيها تتحول إلى خطر على الجسم وتؤدي في الغالب إلى وفاة المريض. لذلك يتوجب استئصالها بعملية جراحية.

وكذلك الأطراف المؤيدة لإيران هي قليلة جدا في جسم الأمة، ولا ننكر امتلاكها ذكاء ومعرفة يفترض أن تساهم بها في نهضة الأمة، ورفعتها، وحمايتها من كل التهديدات الهوياتية، وفي جوهرها دينها الإسلامي. ولكنها لما تمتلئ بكل الميكروبات وجراثيم الفيروس الإيراني من قيح عقدي وفكري، بعدما تقطع أشواط طويلة في مسار التشيع أصبح مرتبطة بالمشروع الإيراني كليا، ما يجعلها حالات يكاد يكون ميئوسا منها، إذ من النادر تراجعها. لذا لا مناص عندها من استئصالها ومعنى الاستئصال هنا «الفكري» من خلال إبرازها وكشف حقيقتها للرأي العام العربي، حتى يكون الناس على بينة من أمر هؤلاء. وإذا لم يتراجعوا عن أفكارهم فعلى الأقل لا ينشروها في جسد الأمة الذي أثكنته الجراح وطعنات الظهر بأيدي أبنائه.

صدر الإسلام وما لبثت أن أهدرت هنيهة هنيهة مع تراجع الكثير من المبادئ والحقوق التي جاء بها الإسلام ووصول المسلمين لحالة من التردّي الحضاري كان للمرأة نصيب كبير منها.

هذه الطائفة تدعو لتحرير المرأة كما حدث في عصر الرسالة ووفقا للقرآن والسنة الصحيحة وتدعو للاجتهاد في العديد من المسائل التي لم يرد فيها نص قاطع خاصة مع تغير الظروف الاجتماعية والسياسية عن العصور السابقة، هذا الطرح يعبر عن وجهة نظر جديرة بالاحترام والتقدير والمناقشة وإذا تم تفعيله على نحو رصين وصادق قد يكون له تأثير بالغ الأهمية على أرض الواقع ليس للمرأة المسلمة فحسب وإنما للمسلمين عامة.

ما يعيب هذه الرؤية حقا هو استخدامهم لهذا المصطلح المشوه «النسوية» وذلك لأن المصطلح محمل بقيم وأفكار ومعان وتجارب بالغة السوء لا يمكن أن يتم تخليصه منها فإذا كان المفكرون الإسلاميون الذين يستخدمونه لما يحمل من قيم حقوقية فمن الممكن استبداله بمصطلح «نسائية» فيدعون للحقوق الإسلامية النسائية أو حقوق النساء في الإسلام.

قد يقول البعض أنه لا مشاحة في الاصطلاح ولكن الحقيقة أن هذا ينطبق على المصطلح المحايد أو الأقرب للمحايدة، أما المصطلح المنغمس حتى أذنيه في أفكار مشوهة وتطبيقات عفنة^(١)، فإنه لا يجوز استخدامه إلا في حالة ضبابية الرؤية الذاتية التي قد تصل لدرجة الهزيمة الحضارية.

التدمير الذاتي

الطائفة الثانية التي تستخدم مصطلح «النسوية الإسلامية» وهي الأشد خطرا بالتأكيد فهي تسعى لفرض النسوية الغربية ولكن بطريقة بالغة الدهاء حيث تسعى هذه الطائفة لإقناع المسلمين والمسلمات

أن ما جاءت به النسوية الغربية هو عين ما يدعو إليه الإسلام وبالتالي فلا يوجد ما يدعو لمقاومة أو نقد النسوية فهي مجموعة من الأفكار الإنسانية الراقية التي تتطابق مع جاء به الإسلام وتتزعّم هذه الأطروحة عدد من المستشرقات اللاتي قمن بصك المصطلح من أجل القبول به وترويجيه في البلدان الإسلامية فأصبحنا نتحدث عن النسوية الإسلامية والجندر الإسلامي!

بحيث تضيف كلمة إسلامي هذه ارتياحا نفسيا وجواز مرور داخل المجتمعات الإسلامية فلا تلقى هذه الأفكار النكدة المقاومة التي كانت تقابلها عندما تسعى في زحفها لهزيمة الذات الحضارية للأمم، إنهم يسعون لعملية تفكيك داخلية بحيث لا تلقى عملية التفكيك تلك أي مقاومة فليس العدو هو من يحاول تفكيكك وإنما أنت من تقوم بتفكيك نفسك ذاتيا.

برجماتية النسويات

إنهن يفعلن أي شيء من أجل نشر فكرهم المريض حتى لو أدى بهن الأمر إلى تملق الدين الذين لا يؤمنون بأي دور له في الحياة، إنهن يعشن العلمانية ويرين أنها الشكل المثالي للحياة ولكنهن وعلى الرغم من ذلك لا يرفضن التماهي مع ما يطلق عليه الإسلام السياسي واستخدام أدواته كما يفهمنها من أجل الوصول لأهدافهن إنهن يستخدمن هذا التماهي كبداية وفتح ثغرة (وبالنظر إلى الواقع الاجتماعي والسياسي الحالي في العالم الإسلامي فمن الممكن النظر إلى النسوية الإسلامية باعتبارها بداية أكثر واقعية وقربا لتحقيق إصلاح في العلاقات بين الجنسين، ليس فقط كطريق استراتيجي لنيل شرعية دينية في مواجهة رجال الدين المسلمين، وإنما أيضا لأنها تصلح لإضعاف مقاومة الرأي العام وجعلها في أضيق نطاق، وبالتالي توسيع القاعدة الداعمة للنضال من

(١) راجع مقالي: النسوية والردة إلى العصر الوثني، مجلة الراصد، العدد ١٠٠، ومقالي: تحرر المرأة والإرهاب النسوي، مجلة الراصد، العدد ١٢٥.

بصيغة أخرى إنهن يبجلن الإسلام من أجل هدم الإسلام ودون أن يتهمن بالخيانة والعمالة للغرب (بل قمن بصياغة العديد من المقترحات لإصلاح الوضع، ولكن بنفس اللغة وداخل نفس الإطار الديني.

ويمكن لصوت النسوية الإسلامية أن يتحدى الخطاب السائد في النظم الإسلامية، والاستراتيجية المتبعة في ذلك هي استخدام الأوصاف الإسلامية كسلاح ضد المسؤولين عن إطلاق هذه الأوصاف، أي النظام الإسلامي.

وبهذه الطريقة يتحدون التأويلات المعادية للنساء في النصوص الأساسية في الإسلام، ويقمن بتفكيكها في الوقت نفسه. وعندما يؤكدن هويتهن الدينية والقومية، يستطعن نفي أي اتهام لهن بـ «الخيانة الثقافية»^(٢).

آليات التفكيك

وحتى تتم عملية التفكيك الداخلية هذه للذات الحضارية المسلمة فإنه يتم الترويج لعدد من الأفكار الهدامة واستخدامها كآليات للتفكيك ومن ذلك:

- المنهج المعرفي للإسلام يستمد من القرآن الكريم فقط لأنه هو الذي تكفل الله بحفظه ويشككون في السنة النبوية ولا يعتمدون عليها في منهجهم المعرفي وهذه الدعوة لاستبعاد السنة النبوية لم ترتبط بهؤلاء النسويات المستشرقات فحسب وإنما هي الدعوى التي استخدمها الكثيرون لهدم الإسلام عن طريق استبعاد المصدر الثاني للوحي الذي يشرح ويوضح ويطبق ما جاء في المصدر الأول.

- رفض واستبعاد كل الجهود التي قام بها المفسرون لشرح كتاب الله تعالى وإن كان هذا الرفض يقوم على برجماتية واضحة من خلال اختيار بعض التفسيرات أحياناً أو الاستعانة بأسباب

النزول في أحيان أخرى.

- الاهتمام الشديد بأسباب النزول بحيث يتحول القرآن لعدد من الوقائع الخاصة التي لا تتفاعل ولا تخص إلا أصحابها فقط، ويتحول القرآن لكتاب تاريخي بلا أحكام شرعية، كتاب روحي فيه عدد من القيم الخلقية وبعض النظرات التأملية ليس أكثر ويفقد قدرته على الدفع وعلى التفاعل وعلى التغيير.

- الهجوم الشديد على الفقهاء وتتبع أي عثرة لهم حتى أنك تتخيل أنهم يتحدثون عن كهنة الكنيسة، وكأن الفقهاء هم قوم لا خلاق لهم قاموا بمؤامرة بشعة من أجل هدم أحكام الإسلام واستبدالها بأرائهم الخاصة وتقاليدهم البالية.

- أما النقطة الأهم فهي استخدامهم المنهج اللغوي في تحليل القرآن ودعوة العامة لذلك أيضاً فإذا نظرنا للأغلبية الساحقة منهم وجدنا أن العربية ليست لغتهم الأم وهم لم يدرسوها الدراسة اللازمة والكافية فكيف يجرؤون على اقتحام مجال التفسير!

ثمّة فارق شاسع بين التدبر والتفسير، وبطريقتهم لاقتحام التفسير سوف نصل لنتائج لا نهائية من التفسيرات وفقاً للهوى الشخصي ونسقط في فخ النسبية المطلقة التي تقود للعدمية كمدراس نسوية ما بعد الحداثة.

تقول إحداهن: (إن حقوق المرأة بترت بسبب غلبة المنظور الذكوري لعدة قرون، فقد شاع تفسير معين لآيات القرآن الكريم لم يكن دائماً كاملاً ودقيقاً، بل كان متأثراً بذلك المنظور الذكوري. ولهذا تدعو النساء لأن يجهدن أنفسهن لقراءة القرآن الكريم مجدداً من منظور أنثوي بقصد الدفاع عن حقوقهن)^(٣).

وهاهي أخرى تطبق ما فهمته أو أرادته من التفسير حيث (انتقدت النزعة الذكورية بحصر

(١) ثنائية النسوية والإسلام في البحث عن نهج واستراتيجية، لاني اكتوبريا، ترجمة صفية مسعود. والكلام للباحثة النسوية وعالمة الاجتماع الأمريكية فالانتين موغادام.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هي الدكتورة ميسم الفاروقي، محاضرة في الدراسات الإسلامية، قسم اللاهوت بجامعة جورج تاون في واشنطن العاصمة، نقلنا عن مقال (المرأة المسلمة والنسوية الإسلامية) لزكي الميلاد.

الشهادة في جريمة الزنا والاغتصاب بالذكر، ولاحظت أن تطبيق المعايير القرآنية للشهود في حالة الزنا قد انحرف بفعل الثقافة الأبوية ليلحق الأذى بحقوق النساء^(١).

الجدير بالذكر أن هؤلاء المستشرقات النسويات يسعين بالفعل لوضع خطط عملية على الأرض من أجل اقتحام المجتمعات المسلمة متسلحات بادعاء توقيير الدين والإسلام كعنوان حتى يحطمن مقاومة الشعوب فهل ننتبه لهن ونسعى لتفكيك وهدم مخططاتهن؟

تعليق السياحة الإيرانية لمصر..

قراءة في المغزى والأسباب

أسامة الهتمي^(٢) - خاص بالرائد

في مقالنا بالعدد السابق من مجلة الرائد أشرنا إلى أن المحرك الأساسي للسياسات الخارجية للدولة الإيرانية هو المصلحة بعيدا عن ادعاءات المبدئية أو التزام منظومة قيمية محددة ومن ثم فهي وفي هذا الإطار على استعداد تام بأن تتخلى اليوم قبل الغد عما كانت تدافع عنه بالأمس القريب إذا ما استشعرت أن مصلحتها تحولت إلى اتجاه آخر، الأمر الذي يفسر الكثير من التناقضات التي تتسم بها سياسات إيران والتي لا تعمد بكل تأكيد أن تجد من يبررها ويؤولها في محاولات متكررة لحفظ ماء وجه طهران وتصويرها على غير حقيقتها حتى تواصل مسيرة الانتهازية المرتدية لعباءة الإيمان والتقوى.

وتجسدت سياسات إيران المصلحية في التعاطي مع أزمة مصر، فلم تمض سوى أيام

(١) هي الدكتورة آصفه قريش، نائبة رئيس منظمة الكرامة، المصدر السابق.

(٢) كاتب مصري.

قلائل حتى تحول موقف إيران الرافض لتدخل الجيش المصري في مسار الحياة السياسية وإقالة الرئيس المصري الدكتور محمد مرسي حتى عادت طهران وأيدت بشكل صريح وعلى السنة العديد من قادتها ومسؤوليها من المدنيين والعسكريين الخطوات التي اتخذها الجيش تحت ادعاء أن ذلك لم يأت إلا استجابة لإرادة الشعب المصري الذي خرج بالملايين يوم ٣٠ يونيو ثائرا ومنفضا ضد الدكتور مرسي لتكون إيران بذلك - بلا أدنى مبالغة - أسرع دولة في العالم تغير من مواقفها الخارجية.

ولا يخفى على أحد أن رهان إيران تحول بعد

٣ يوليو إلى الجيش المصري باعتباره الطرف المنتصر على أرض الواقع ومن ثم فإنها أدركت أن استمرار دعم وتأييد الرئيس مرسي وجماعة الإخوان المسلمين هو شيء من العبث الذي يفقد إيران الكثير من المكاسب التي تحققت لها بعد ثورة يناير ٢٠١١م والتي تمثلت في تزايد أعداد المتواصلين معها من الفاعلين السياسيين الأساسيين في المشهد بمصر وهو الأمر الذي لم تكن تحلم به زمن الرئيس المخلوع حسني مبارك، وعليه لزم الأمر أن تجاهد من أجل حماية هذه المكاسب وعدم تضییعها.

طعنة في الظهر

كذلك فقد كان من أهم المكاسب التي حققتها إيران زمن الرئيس مرسي هو توقيع مصر لاتفاقية للسياحة الإيرانية يتم بموجبها السماح للسائحين الإيرانيين بدخول البلاد بعد أكثر من ثلاثين عاما من القطيعة وهو ما رحبت به طهران أيما ترحيب كونها الخطوة التي ستفتح الباب على مصراعيه أمام إيران للتواصل مع الشعب المصري مما يسهل عملية كسر الحواجز النفسية بين الإيرانيين والمصريين والتي تكونت عبر سنوات

طويلة ، وبفعل عوامل عديدة على رأسها وعي الشعب المصري - باعتباره أحد مكونات أهل السنة والجماعة - بأن الدولة الإيرانية هي الامتداد التاريخي للدولة الصفوية التي ساهمت بشكل كبير في إضعاف الدولة الإسلامية السنية.

بل وربما يمتد هذا الوعي إلى ما قبل ذلك حينما عانى المصريون بجملةتهم الكثير من حكم الفاطميين الشيعة الذين حاولوا بكل الطرق غير المشروعة إجبار المصريين السنة على التشيع وهو ما رسخ في الوعي الجمعي لدى الشعب المصري حالة من الرفض لأصحاب هذا المذهب إلى الدرجة التي أصبح فيها مجرد وصفهم سبة يتبادلها المختلفون والشاتمون فيما بينهم فيقول المرء للآخر إذا ما سبه: «يا بني الرفضي» - في إشارة إلى الروافض.

وتوهمت طهران أن مثل هذه الاتفاقية ستحقق لها المراد فغاب عنها مطلقا احتمالية أن تتقلب عليها الطاولات مرة أخرى أو أن يكون بمقدور التيارات الإسلامية بخلاف التابعين لمدرسة الإخوان المسلمين القدرة على التأثير في الشارع المصري والوصول به إلى حالة من الاحتجاج الشديد ضد هذه الاتفاقية، الأمر الذي كان سببا في أن تقرر حكومة الدكتور هشام قنديل زمن الرئيس مرسي تعليق السياحة الإيرانية إلى مصر تفاديا لحدوث ما لا يحمد عقباه خاصة وأن الرفض هذه المرة جاء ممن يفترض أنهم في نفس الخندق مع الإخوان في مقابل الأطراف السياسية الأخرى التي أسمت نفسها بالقوى السياسية المدنية وهو ما شكل أداة ضغط كبيرة على حكومة قنديل.

وقد صدمت طهران بقرار حكومة قنديل إذ بعث لها هذا القرار رسالة مفادها أن الموقف الرافض لها لا يعود فقط لطبيعة النظام السياسي المصري المختلف معها كما كان في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك وأن المسألة فوق ذلك بكثير إذ هي ترتبط بموقف عقدي يدفع المصريين إلى

التوجس الدائم من التقارب مع طهران فضلا عن أن هذا الموقف ليس مجرد نتيجة لعلاقات تاريخية وما شابه بين المصريين والإيرانيين أو الشيعة على وجه الخصوص وإنما يعود في جزء كبير منه أيضا إلى عوامل معقدة لعل أبرزها هو توتر العلاقات بين إيران وبلدان الخليج العربي خاصة المملكة العربية السعودية بما لها من حب وتقدير في نفوس المصريين كونها في نظرهم أحد حصون الدفاع عن السنة وبلد الرسول الكريم محمد ﷺ.

وجاء توالي الأحداث بعد ذلك وخلال شهور قليلة ليؤكد هذه القناعة وهو ما دفع طهران إلى أن تشارك بشكل أو بآخر في التخطيط والتآمر لإسقاط الرئيس مرسي حتى أن بعض التقارير أكدت دعم طهران لحركة (تمرد) التي كانت العنصر الرئيس والفاعل في حشد الجماهير الرافضة لمرسي ولإخوان المسلمين متصورة أن إسقاط مرسي ربما سيعطي الفرصة لآخرين من أبناء القوى والتيارات السياسية التي نجحت في أن تقيم بينها وبينهم شبكة من العلاقات والاتصالات في أن يستولوا على موقع مرسي وتكون بأيديهم إدارة دفة الأمور.

لكن يبدو أن الرياح لا تأتي بكل ما تشتهي السفن، وبدا أن الأحداث في مصر تسير في اتجاه غير الذي تصوره الكثيرون ومن بينهم من ظنوا أن المسألة مسألة إزاحة مرسي والإخوان والإسلاميين من الحكم بعد أن أشارت الكثير من المؤشرات إلى أن الجهة الأقوى والأهم وراء عملية إسقاط مرسي تريد أن تبقى عملية حكم مصر وإدارتها السياسية في إطار محدد ودائرة معينة اعتقادا بأن ذلك هو الأفضل لأمن مصر وسلامتها.

ولم تكد تمر أسابيع حتى تكشف للجميع بمن فيهم أولئك الذين تواصلوا مع إيران وساهموا في ذات الوقت في عملية إسقاط مرسي أنهم وغيرهم لم يكونوا سوى جزء من الكومبارس «المجاميع»

الذين يستخدمهم القوائم على الأعمال السينمائية والدرامية «المخرج» في تصوير بعض المشاهد وأن دورهم في هذه المشاهد لا يتجاوز بضع ثوانٍ أو دقائق في العمل فلا يميز المشاهدون بعد ذلك بين وجوههم.

كما لم يكن ليكتمل مرور ثلاثة أشهر على إسقاط مرسى حتى خرج من جديد وزير السياحة المصري هشام زعزوع في الأول من أكتوبر الماضي ووفق ما نشرت صحيفة اليوم السابع المصرية المستقلة ليؤكد أن ملف السياحة مع إيران مجمد حالياً لأسباب «أمن قومي» مضيفاً أن «الدولة أبلغت الوزارة رسمياً وقف التعامل مع إيران سياحياً وأنه لم يتم تحديد الوقت اللازم لبحث الموقف».. لافتاً في الوقت ذاته إلى أنه لا توجد موانع لترويج السياحة الإيرانية في مصر بعد انتهاء الأسباب المتعلقة بخلاف الأمن القومي بين مصر وإيران.

وأضاف الوزير أنه «نتيجة الظروف السياسية التي مرت بها البلاد منعت الوزارة إعداد إعلان مباشر بهدف الترويج للسياحة في مصر نظراً لوجود بعض الأخبار التي تهدد نجاح عملية تنشيط السياحة» موضحاً أنه خلال شهر نوفمبر سيتم إعلان حملة إعلانية وتسويقية من خلال شركات إعلانية في مقابل دعم من الوزارة.

والحقيقة أن تصريحات زعزوع تحمل بين طياتها أمرين:

الأول: أن الوزير المصري تحدث عن وجود سببين أساسيين لتعليق السياحة الإيرانية إلى مصر أولهما يتعلق بالأمن القومي للبلاد، والثاني بالظروف السياسية التي تمر بها البلاد.

وهنا يجدر بنا أن نتساءل: ما المقصود بدواعي الأمن القومي التي أشار إليها الوزير زعزوع؟ وهل يقصد بها أن فتح باب السياحة الإيرانية لمصر يهدد الأمن القومي المصري بمعنى أن إيران يمكن أن

تستغل ذلك في تفجير الأوضاع الأمنية والتواصل مع مجموعات تصفها الحكومة المصرية بالإرهاب مثلاً؟ فتدعمها وتمولها وتوجهها لأنشطة بعينها؟ أم أن التخوف المصري نابع من علاقات إيران مع بعض الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة وتخشى مصر أن تتواصل بعض العناصر الإيرانية مع عناصر فلسطينية تدخل البلاد بطريقة أو بأخرى وهو ما يهدد أمن الكيان الصهيوني؟ أم أن المقصود هو أن وجود الإيرانيين في البلاد ربما يثير حالة من القلاقل نتيجة حالة الرفض العارمة من المصريين لتواجد الإيرانيين في البلاد؟ أم ربما تكون فرصة لأن تتواصل إيران عبر سائحتها مع قيادات الجماعات الإسلامية وعلى رأسها الإخوان المسلمين من أجل دعمهم مجدداً في مواجهتهم مع السلطة الجديدة؟

كما لنا أن نتساءل: ما المقصود بالظروف السياسية التي تمر بها البلاد.. هل المقصود هو حالة الاستقطاب السياسي الحاد التي تعيشها مصر بعد إزاحة الرئيس مرسى؟ وما هي علاقة السياحة في مجملها بذلك خاصة أن مصر تعمل ليلاً ونهاراً لتقنع بلدان العالم باستئناف السياحة للبلاد بعد حالة التدهور الشديد التي عترتها نتيجة الأحداث السياسية والمظاهرات الشعبية الاحتجاجية التي لم تتوقف ليوم واحد منذ الثالث من يوليو؟

إن المسألة تحتاج إلى نظر وتأمل في الدوافع الحقيقية وراء اتخاذ القرار المصري باستمرار تعليق السياحة الإيرانية لمصر.

الثاني: أن الوزير لم يحدد موعداً لإعادة استئناف الرحلات السياحية وأن ذلك مرهون بتلاشي الأسباب المانعة والمتعلقة بالأمن والظروف السياسية.

دوافع وأسباب

لا يمكن بشكل قاطع التعامل مع مبررات وزير السياحة المصري بشأن تعليق السياحة الإيرانية على

اعتبار أنها غير ذات قيمة فالحقيقة أن ثمة هواجس كبيرة تنتاب الأجهزة الأمنية المصرية منذ زمن الرئيس مبارك بل ومنذ وقوع الثورة الخمينية في إيران عام ١٩٧٩ من تحركات إيران وأهداف تفعيل تواجدتها في البلدان العربية المحيطة خشية أن تصدر إيران ثورتها في المنطقة ومن ثم فإن حالة الانفتاح التي جرت بين مصر وإيران بعد ثورة يناير كان بمثابة تلاشي المانع الظاهر التي باتت تتعلل به الأجهزة الأمنية المصرية فها هي الثورة المصرية قد وقعت وما عاد هناك مبرر للتخوفات من تصدير ثورة إيران.. لكن وكما ألمحنا في السطور السابقة فقد كانت أحداث الثالث من يوليو ٢٠١٣ محاولة مضادة لسحب بساط هذه الثورة ومن العودة من جديد لما كانت عليه البلاد قبل يناير ٢٠١١.

على كل ووفق الأوضاع السياسية الراهنة في مصر والمنطقة فإن الواقع ينطق بأن قرار تعليق السياحة الإيرانية يأتي وراءه العديد من الأسباب التي لا يمكن تغافلها بل ويمكن النظر لبعضها باعتبارها دوافع رئيسية لصانعي القرار المصري.

ويمكن أن نسجل بعضا من هذه الأسباب ومنها:

١- أن النظام السياسي المصري الجديد حريص على عدم استفزاز الولايات المتحدة الأمريكية بل والسير بماسحة على كل السياسات التي أعلن عنها واتبعها الرئيس محمد مرسي وكانت بالأساس تحاول أن تشكل رؤية سياسية مغايرة عما تريده الولايات المتحدة في إطار الرغبة في إيجاد حالة من الاستقلال الوطني. ولأن واشنطن على خلاف دائم مع طهران في إطار صراعهما المصلحي في المنطقة فإن أكثر ما يستفزها ويثيرها تقارب أي من القوى العربية مع الدولة الإيرانية لذا كان الأصوب هو عودة العلاقات المصرية - الإيرانية إلى ما كانت عليه من فتور وإن كان من الأفضل الوصول بها إلى درجة القطيعة لولا بعض

الحسابات السياسية في الداخل المصري.

٢- شكلت بعض البلدان العربية عاملا رئيسا في نجاح عملية إسقاط مرسي الذي لم يعد خافيا على أحد أن هذه البلدان غير راضية عن تقاربه مع إيران وهو شعور مشروع خاصة وأن هذه البلدان كانت وما زالت ترى في طهران قوة تهدد أمنها القومي ليس بالقول أو التصريحات فحسب بل وبالفعل والواقع المعاش: دعم الحوثيين في اليمن، إثارة القلاقل في السعودية، احتلال جزر الإمارات، التوتر السياسي في البحرين، لذا فإن من المنطقي أن يحرص القائلون على الحكم في مصر على إرضاء هذه البلدان أو على الأقل إبداء التضامن معها والتأكيد لها أن مصر لن تكون بتقاربها مع طهران شوكة في حلوهم.

٣- حرص الانقلابيون على مغازلة أتباع التيار السلفي في مصر وخاصة حزب النور الفصيل الإسلامي الوحيد الذي ارتضى القبول بما يسمى بخارطة الطريق فكان تعليق السياحة الإيرانية محاولة لاسترضائهم عبر واحدة من أهم القضايا الخلافية التي وقعت بينهم وبين حزب الحرية والعدالة - الجناح السياسي للإخوان - فضلا عن إعطاء الفرصة أن تبدو قيادات حزب النور أمام أعضاء الحزب وكوادره وكأنهم عناصر مؤثرة في اتخاذ القرار بالدولة حيث جاء أحد القرارات متوافقا مع واحدة من مطالبهم، وهو ما عبر عنه وبصراحة الوزير المصري في تصريح له بأحد البرامج التلفزيونية على قناة دريم المصرية حيث قال للإعلامي وأئل الإبراشي إن هناك حالة من العداء الشديد من قبل السلفيين تجاه السياحة الإيرانية جعلتنا نعمل على تجميد هذا النوع من السياحة التي يمكن أن تدر دخلا كبيرا لمصر.

٤- عملية إسقاط مرسي لم تكن فقط إزاحة له ولمن معه من الإخوان والإسلاميين بل إنها أيضا كانت إسقاطا لكل مشاريع الرجل وبرامجه

وخططه سواء اتفقنا معها أو اختلفنا حولها ومن بين هذه المسائل قضية التقارب مع إيران واستئناف العلاقات معها التي رأى القائمون على الحكم أنها يجب أن تعود لما كانت عليه لتواجه أحد احتمالين:

أ- إما أن تصاغ وفق رؤية جديدة تضمن عدم الاصطدام مع العلاقات الأمريكية أو العلاقات الخليجية والأمن القومي.

ب- أو أن تظل على حالة جمودها وكأن شيئاً لم يحدث.

والواضح مما سبق أن المسألة الدينية والعقدية ليست حاضرة في ذهن النظام الجديد فيما يخص تعليق السياحة والدليل على ذلك أن هناك عدة تقارير صحفية أفادت بأن الشيعة المصريين تمكنوا مؤخراً من إقامة أربع حسينيات شيعية جديدة في عهد الفريق أول عبد الفتاح السيسي حيث كشف الباحث الشيعي البحريني محسن العصفور عن ذلك وفق ما نقلت صحيفة (المصريون) المصرية.

وقال العصفور في تغريدة على تويتر إنه تم وبتعاون مكتب السيد السيستاني في القاهرة افتتاح أربع حسينيات في مصر، بالقاهرة والجيزة والإسكندرية ومصر الجديدة.. إنها بشائر الخير.

ومن الشواهد أيضاً على ذلك تعيين الدكتور كمال الهلباوي - القيادي الإخواني المنشق - في اللجنة المكلفة بتعديل دستور ٢٠١٢م والتي عرفت بلجنة الخمسين، فالرجل معروف بعلاقاته الوثيقة مع إيران التي زارها مرارا وبتصريحاته المؤيدة والداعمة لها ولسياساتها، وهي العلاقة التي استفزت الإخوان المسلمين في الكثير من المرات إذ صرّح ذات مرة الدكتور سعد الكتاتني القيادي بجماعة الإخوان أن الدعوة التي تلقاها الهلباوي لزيارة إيران موجهة له بصفته الشخصية وليست بصفته عضواً بالإخوان.

رد الفعل

ليس صعباً تخيل حجم الصدمة الإيرانية من الموقف المصري فهذا هي وعلى الرغم من كل ما انتهجته من سياسات أقل ما توصف بالنفعية غير الأخلاقية لم تحقق هدفها وبقيت كما هي في دائرة التهميش والإبعاد وهو ما كان يمثل سقوطاً جديداً للسياسات الإيرانية، لكنها وكعادتها سارعت إلى محاولة تبرير الموقف المصري كمحاولة جديدة للحفاظ على شعرة معاوية والتظاهر بأن الأمر لم يكن له تأثيره الكبير وأنها تفهم جيداً أبعاد هذا الموقف، فنجد محمد علي نجفي، رئيس منظمة التراث الثقافي والسياحي الإيراني يقول إن الجانب المصري لم يوضح أسباب إلغاء الاتفاقية السياحية بين مصر وإيران لكن يبدو أن عدم الاستقرار في مصر كان له دور في هذا القرار ومن ناحية أخرى لا يوجد سائح يرغب بالذهاب إلى مكان يعرض حياته للخطر.

وأوضح نجفي أن وقف مصر سفر السياح الإيرانيين إليها ليس شيئاً مهماً مضافاً أن أولويته الأساسية قبل إرسال سياح للدول الأخرى هي جذب السياح الأجانب إلى بلاده.

كما جاءت تصريحات بعض القادة الشيعة في مصر تعبيراً عن الدهشة من القرار المصري حيث حاولت هذه القيادات أن تستفز النظام السياسي المصري الجديد وأن تشعره بأنه ضعيف أمام التيار السلفي لتضرب بذلك حجرين: أحدهما السير في طريق تطوير العلاقات مع قبلة الشيعة «طهران» والثاني استفزاز الدولة ضد التيار السلفي.

وفي هذا السياق يقول الشيعي محمود جابر تعليقا على قرار تعليق السياحة إن الدولة المصرية تحاول الرد على تجاوزات الموقف الإيراني الرافض للإطاحة بالرئيس المعزول محمد مرسي مضيفاً أن العلاقة بين القاهرة وطهران مرت بفترة احتقان شديد عقب الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩ وهو ما

مسلمة الفتح في القرآن الكريم

سعيد بن حازم السويدي^(١) - خاص بالراصد

يتمحور كثير من هجوم الشيعة على منهج أهل السنة من خلال الطعن في «مسلمة الفتح» وبني أمية، فبسبب تأخر إسلام بعضهم إلى يوم فتح مكة (٨ هـ) اتخذ الشيعة من ذلك ذريعة للقول بأنهم أظهروا الإسلام طمعاً في الحكم والملك ورغبة في إفساده والانتقام من أهله وأصحابه (علي وأتباعه).

وقد تابع الشيعة على هذا القول (الطعن في إسلام أعيان بني أمية) بعض السنة المعجبين بالنظريات اليسارية الثورية التي تنقم على أصحاب الثروة والسلطة، لاسيما إن ظهر من بعضهم استبداد واستئثار وظلم.

ومن أجل إثبات هذا الكذب والافتراء، ساق الشيعة جملة من الأخبار والمرويات التي تدل على إبطان بني أمية للشرك وإنكارهم للإسلام ومساعدتهم للنيل من الدين وأهله.

وهذا الرأي الشيوعي المنتشر بكثرة في أوساط فئة من المثقفين السنة منشؤه هو القول بقداصة آل البيت ورفعهم إلى منزلة فوق منزلة الأنبياء، ليظهر المخالف والمقاتل لهم في أسوأ درجات الكفر والنفاق والعمل ضد الإسلام.

إلا أن هذا الرأي يستحيل قبوله عقلاً، إذ أن الإسلام لم ينتشر شرقاً وغرباً إلا في عهد الأمويين، فعملهم في سبيل نشر الدين لا ينكره عاقل، ولا يمكن قبوله إلا عبر القول بأن التشيع (كديانة محدثة وطريقة مبتدعة) هو الإسلام الذي حاربه بنو أمية، وحتى هذا العداء فإنه سياسي بالدرجة الأولى، فالله علي رضي الله عنه وإن كان لهم شرف النسب،

(♦) كاتب عراقي.

أثر على التفاهات بين البلدين في المرحلة الراهنة مطالباً بضرورة التحلي بالصبر من قبل المسئولين في الجانبين لتصحيح مسار العلاقات بين البلدين بما يخدم مصالحهما المشتركة.

واتهم جابر السلفيين بمحاولة ابتزاز الحكومة لتحقيق مصالح مذهبية مضيئة أنه «لا يجب أن تضعف الدولة أمام أي تيار سياسي».

وفرق جابر الشيعي بين موقف السلطة خلال حكم الرئيس مرسي ونظيرتها الحالية من السياحة الإيرانية قائلاً: «مرسي كان يحاول تحقيق تقارب من إيران التي تتمتع بأهمية إقليمية واستخدم السلفيين لابتزاز الجمهورية الإسلامية عبر دفعهم للاعتراض على السياحة الفارسية لاستتزاز مكاسب كثيرة من طهران» فيما لم تعلن الحكومة الحالية وقف السياحة الإيرانية بشكل نهائي لكنها حددتها في إطار إدراكها أن الدولة المصرية لا تحمل أيديولوجية مغلقة ولا تكن عداً لأي طرف.

أما الدكتور أحمد راسم النفيس، وكيل مؤسسي حزب التحرير الشيعي، فأكد أن وزير السياحة أوقف السياحة الإيرانية المتوقفة بالأساس، معتبراً القرار محاولة لإرضاء بعض دول الخليج الرافضة لإقامة علاقات بين القاهرة وطهران التي تتمتع بثقل دولي كبير لا يمكن الاستهانة به.

وقال النفيس إن السلفيين الرافضين للوجود الإيراني في مصر يمارسون ابتزازاً أخلاقياً على المجتمع المصري وسياسياً على الحكومة الحالية استغلالاً للظروف الحرجة التي تمر بها البلاد ويحاولون عرقلة خطوات التقدم التي يحرزها المجتمع.

واستبعد النفيس أن يكون الموقف المصري الأخير جاء كرد فعل تجاه اعتراض إيران على الإطاحة بمرسي، وقال: «لو صحَّ هذا التخمين فكان على الحكومة وقف السياحة الأمريكية والقطرية».

فبنو أمية لهم شرف العمل للدين ونشره في العالمين، وإن كان عملهم اختلط بظلم واستبداد وفساد.

إلا أننا لو تجاوزنا الحقائق التاريخية، وأعرضنا عنها، فلن نتمكن من تجاوز الآيات القرآنية التي تشهد بصحة إسلامهم واستقامة حالهم، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ ﴿٢﴾

النصر، فقد شهد الله تعالى بأن من أسلم من العرب بعد أن دخل نبيه ﷺ مكة المكرمة فاتحاً قد دخلوا في الدين على الحقيقة دون التظاهر والادعاء، بل وجعله علامة على تمام النصر ومظهراً من مظاهره، فالنصر لم يكن عسكرياً، والغلبة لم تكن سياسية، بل أعقب فتح البلدان، فتح القلوب للإيمان.

وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه قد نُعيت إليه نفسه وأن أجله - ﷺ - قد دنا واقترب، فالمهمة قد اكتملت وأنجزت، وكيف يكون الاكتمال والتمام إن لم يكن إسلام هؤلاء حقيقياً وليس ادعاءً وتظاهراً وانتساباً مكذوباً!

وهل يصف ربنا تعالى (الإسلام الظاهري) لقريش وبني أمية بالنصر وبالفتح وبالإقبال الجماعي على الدين، وهل يجروء على القول بهذا إلا باطني غارق في فساد المعتقد، أو زنديق طاعن في القرآن؟!

ومن المعلوم بالنقل الصحيح المتواتر، والمشهور من الأخبار أن من تأخر إسلامه من قريش لم ينقلب على عقبيه وينجرف في تيار الردة عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ.

٢- قوله تعالى ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ

عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الممتحنة].

وهذه الآية جاء بعد آيات تحذر من إظهار الود والمحبة للكفار المحاربين، وحثت على أتباع سنة نبي الله إبراهيم عليه السلام وأصحابه في البراءة من الكفار، من قومهم وبني جلدتهم، لتأتي هذه الآية مبشرة ومسلية لقلوب المؤمنين بأن هذه العداوة والقطيعة لن تكون أبدية، بل ستتقلب إلى صلة ومودة، بعد أن يذهب ما يستوجب العداوة، فالله تعالى قادر على تغيير ما في الصدور من فساد المعتقد وما يتبعه من تباعد وشقاق بين المتخاصمين والمتخالفين.

وما وعد الله تعالى به قد حصل وتحقق بعد فتح مكة، فلم يظهر من المؤمنين الانتقام وأخذ الثأر والتكيل بالأعداء السابقين، ولم يضر وجهاء مكة وأشرفها العدا ويعملوا في الخفاء من أجل الانقلاب على الفتح الإسلامي.

٣- قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ

بِظُنِّ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فَيَقْبِلَكُمُ مِنْهُمْ مَعْرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح]، ففي هذه الآيات تصريح بأن الله تعالى

كف أيدي المؤمنين عن قريش بعد أن أمكنهم منهم، وحال بينهم وبين الاجتياح الكامل وجود ضَعْفَةِ المؤمنين ممن لم

يتمكنوا من الهجرة، ثم بين علة ذلك بقوله ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي

رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٥﴾﴾ بالرغم من ذكره قبائحهم كالصد

عن سبيل الله ومنع المسلمين من دخول المسجد الحرام.

وهكذا توافرت الأسباب والدواعي القدريّة لتحول

دون نزول العذاب بقريش (وسيدهم يومئذ أبو سفيان)

وجاءت العلة مبينة بقوله تعالى ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (٢٥).

إن القول بكفر ونفاق من أسلم يوم فتح مكة من قريش هو من أقبح الأقوال ومعارضة صريحة لنصوص الآيات القرآنية ودلالاتها.

لقد أخرج الله تعالى من قريش طواغيتها وأكابر مجرميها، وعذبهم في بدر وغيرها من المشاهد، واستبقى من سبقت لهم في علمه الرحمة والمغفرة، وقد جاءت أقدار الله تعالى ناطقة بأن الله سبحانه كتب لفئة من كفار قريش الهداية بعد عمر طويل في الكفر والعناد والمحاربة والمخالفة لأمر الله ورسوله.

فبعدما وقع الكفار في أسر النبي ﷺ، أمر سبحانه أن يُعرض عليهم الإسلام وذلك بعد أن عاتبه لعدم قتلهم والتكيل بهم، قال تعالى ﴿بَيِّنَاتٍ لِّتُنَبِّئَ قُلُوبَ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَٰعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧٠) [الأنفال]، فهذا خطاب لمن قاتل الرسول وسعى في اجتثاث دعوة الإسلام.

وحينما وقع النبي ﷺ يوم أحد في الحفرة، وشج وجهه وكسرت ربايعيته، قال (كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا ربايعيته) أنزل الله قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) [آل عمران].

وقبل ذلك منع الله تعالى العذاب عن أهل مكة بوجود النبي ﷺ بين أظهرهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٢) [الأنفال]، وبعد هجرته ﷺ مُنِعَ العذاب عن مكة بفئة قليلة من المؤمنين قال الله عنهم ﴿لَوْ زَلَّيْنَا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢٥) [الفتح].

ورغم الحمية الجاهلية للمشركين والتي كانت ستكلفهم حياتهم وتهلكهم على أيدي المسلمين، فقد أنزل الله سكينته على الرسول ﷺ والصحابة، فلم يسفكوا الدماء يوم فتح مكة، بل لما أعلن بعض الصحابة عن رغبته في القتل والتكيل بمشركي مكة كسعد بن عباد رضي الله عنه - وكان سيداً من سادات الأنصار - ، عزله النبي ﷺ وولى مكانه ابنه قيس.

فتصوير العداء والخلاف بين الأمويين والعلويين على أنه صراع بين الإسلام الحقيقي ممثلاً بالبيت، والإسلام المزعوم ممثلاً ببني أمية هو تزييف قبيح للحقائق ورد لآيات القرآن الكريم وطعن صريح في الحضارة الإسلامية التي يُشكل الأمويون جزءاً أصيلاً وركناً أساسياً فيها.

المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية

عرض: أسامة شحادة (*) - خاص بالراصد

هذا الكتاب هو أوراق العمل لورشة عمل بنفس

العنوان نظمها مركز أميمة للبحوث والدراسات الإستراتيجية، وذلك في القاهرة بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٤، وصدر الكتاب عن دار عمار بالعاصمة الأردنية في ٣٧٠ صفحة من القطع الكبير، بعد سنة تقريباً من عقد الورشة.

الكتاب أو الورشة قيمة في

مضمونها ومهمة جداً، وقد كانت غالب أوراق العمل قوية ومفيدة للقارئ والباحث، بل لعل الكتاب يعد من الكتب المتميزة في رصد وتحليل خطورة المشروع الشيعي وأذرعه ووسائله واستراتيجياته، ويصلح الكتاب أن يعتمد في مناهج التنقيف للحركات الإسلامية في هذا المجال.

الورشة تكونت من أربع جلسات، وشارك بها عدد من الباحثين من عدة دول وتخصصات وتوجهات، قُدم في الورشة ١٥ ورقة عمل شارك بتقديمها: د. صباح الموسوي، د. غازي التوبة، د. أحمد

(*) كاتب أردني.

حقي، د. محمد السعيد إدريس، د. ناصر الطويل، د. فاطمة الصمادي، د. إبراهيم الديب، د. عادل العبد الله، د. عزام التميمي، د. محمد سالم الراشد، أ. علي باكير، السيد علي الأمين، أ. ناصر الفضالة.

وقد تنوعت بين تحليل السياسة الإيرانية

وإستراتيجياتها وتكوينها الديمغرافي وعلاقاتها الاقتصادية بالمنطقة العربية.

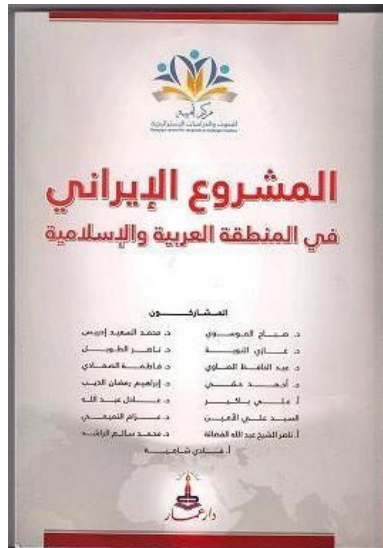
ثم كان هناك محور خاص بالمشروع الإيراني والذي يقصد به الرغبة الإيرانية بالسيطرة والهيمنة المطلقة على المنطقة وذلك بدافع طائفي شيعي وقومي فارسي، ومقارنة هذا المشروع بالمشروع الإسرائيلي والمشروع التركي، وبيان خطورة المشروع الإيراني كونه يأتي متخفياً باسم الإسلام ونصرة فلسطين.

وكان هناك عدد من الأوراق

استعرضت الموقف الإيراني المتلاعب

والمتناقض من ثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا والبحرين واليمن وسوريا، وكيف أن إيران فضحت نفسها في تأييدها الظالم للنظام السوري ضد شعبه، وكيف أن هذا انعكس على سحبها للثورات العربية حين وجدت نفسها لم تستفد منها.

كما استعرضت أوراق أخرى بيان طبيعة النظام الإيراني وتركيبته الطائفية العدوانية مقارنة بتركيبة دول الخليج الهشة والمفككة والمفتقدة للرؤية، وكيف أن إيران أجادت توظيف سلاح الإعلام وخاصة القنوات



وكانت هناك ورقة حاملة بخصوص وضع إستراتيجية للتعامل مع المشروع الإيراني، قدمت أفكاراً جيدة وجديرة بالاهتمام لكن تطبيقها يحتاج إلى عوامل وظروف وبيئة يصعب توفيرها، وسنعود للحديث عنها.

المعلومات والأفكار في أوراق العمل غنية وزاخرة، وذلك أنها لم تكن أوراقاً مختصرة أو تقتصر على نقاط أساسية بل كانت فعلاً أوراقاً موضوعية وعميقة ومطولة أحياناً، ولذلك يصعب استعراضها في مقالة كهذه، لكثرة الفوائد والأفكار الهامة فيها، لكن هنا أعلق فقط على ورقة د. محمد السعيد إدريس حيث كشفت ورقته عن حقيقة الموقف الناصري من الثورة الخمينية والجمهورية الإيرانية، وعزت موقف مركز الأهرام للدراسات وأنه في الحقيقة ميال للإيرانيين.

ولأن أي عمل لا يخل من نواقص ولعلها تستدرك في طبعة ثانية، أنبه على أمرين لتحسين الكتاب، ومن ثم ذكر ملاحظة على الندوة والجو العام لها من خلال قراءتي لأوراقها ومتابعة التطورات بخصوص المشروع الإيراني.

- افتقر الكتاب للتعريف بالباحثين وصورهم وصور الورشة!
- الكتاب بحاجة ماسة لفهرس موضوعات تفصيلي، وعدم الاكتفاء بعنوان الورقة، ليسهل الاستفادة منه للباحثين لما فيه من فوائد ناتجة عن الخبرة والممارسة للموضوع.

الندوة جاءت من واقع الثورة السورية وخيانة إيران وإجرامها بحق الشعب السوري، وكان الغالب على الورشة الصبغة الإخوانية من جهة الجهة المنظمة وهي تتبع جماعة الإخوان المسلمين السوريين كما أن عدداً من ضيوف الورشة هم من جماعة الإخوان في عدد من البلاد. **ولذلك جاءت الأوراق المقدمة من الدول التي بها عدوان إيراني صريح ومباشرة في إدانة إيران وطائفيتها،** ولكن الورقة الأردنية (فاطمة الصمادي) والمداخلة الفلسطينية (عزام التميمي) كانتا تميلان للتهوين من العدوان والطائفية الإيرانية والميل للوم الدول العربية والسنية!

وهذا يكشف عن تعدد المواقف بداخل جماعة الإخوان تجاه إيران وهو أحد أسباب نجاح المشروع الإيراني في اختراق الحصون والتغلغل في بنية الدول العربية بسبب الغطاء الذي تقدمه جماعة الإخوان للمشروع الإيراني تحت عناوين (الوحدة الإسلامية) (التقريب) (المقاومة والممانعة).

وهذا يعني أن بقاء جماعة الإخوان في المنطقة الرمادية من المشروع الإيراني هو جزء رئيسي في نجاحه، وسبب رئيسي في إخفاق مشروع المقاومة والتصدي له، وهنا يأتي دور الورقة الحاملة للتصدي للمشروع الإيراني والتي قدمها د. محمد سالم الراشد، فهو يدعو لمحور (مصر، السعودية، سوريا، تركيا)، وتطوير تحالف وطني في العراق برعاية تركية خليجية، بناء على نجاح الثورة السورية وبقاء الإخوان في حكم مصر، ولكن بعد أقل من سنة لم يعد الإخوان في حكم مصر وقبل ذلك لم يتمكنوا من تطمين الخليج والوصول معه إلى تفاهات، مما يجعل كل هذه التصورات خيالية لانعدام أبسط عوامل نجاحها، وهو غياب رؤية إخوانية واضحة وصحيحة تجاه المشروع الإيراني، وهو ما يسبب انقسام الصف العربي والإسلامي في مواجهته.

وعليه فإن حسم الخلاف الإخواني من خطورة المشروع الإيراني هو حجر الأساس لنجاح مقاومته، خاصة الآن في هذه المرحلة والتي قد يكون المشروع الإيراني قد استطاع التملص من تبعات الثورة السورية بخبثه ودهائه.

وأخيراً كم كان صادمًا ما جاء في تقديم مركز أميمة للكتاب: «ولعل هذه الورشة العلمية أول ورشة عمل على هذا المستوى - فيما نعلم - تدرس هذا المشروع بمهنية ذكية وموسوعية»، فيا إخواننا: قليلاً من التواضع ولتبتعدوا عن التعالي، فأنتم كنتم سبباً في قيام المشروع الإيراني أصلاً وتوطيد أركانه، وكم كنتم تخذلون من يتحدث عنه، فلماذا هذا الإدعاء وقد سبقتكم جهود كبيرة وكثيرة من جهات متعددة، وكم أخشى اليوم أن تتغير مواقف كثير منكم بسبب ميل الريح باتجاه إيران وحلفائها كبشار وحزب الله، وهو ما سيحاسبكم عليه الناس والتاريخ والله عز وجل، وأعيذك من أن تتحولوا عن عداوة المشروع الإيراني.

هذا هو التقريب

والوحدة المنشودة!

قالوا: أعلن وزير العدل العراقي حسن الشمري عن إنجاز مسودتي مشروع قانون الأحوال الشخصية الجعفري، ومشروع قانون القضاء الشرعي الجعفري العراقي، والذي تم إعدادهما وفقاً لفقه الشيعة الإمامية الإثني عشرية مما أدى إلى صخب في الشارع العراقي متهمين رئاسة الحكومة والوزير بتأجيج الفتنة الطائفية وتعميق الأزمة العراقية بالتقسيم.

وكالات ٢٠١٣/١٠/٢٧

صحيح للأسف!

قالوا: إننا أمام درس جديد قديم في لعبة النفوذ الإيرانية بالمنطقة، أو في أفغانستان وباكستان، فليس بمقدور إيران ملء فراغ الانسحاب الأميركي من كل مكان في المنطقة بالطبع، لكن بمقدور طهران استخدام جماعات، ولو كانت سنية، كحماس، أو متطرفة، ك«القاعدة»، لتحقيق أهدافها، خصوصاً أن أهداف إيران ليست نشر الديمقراطية، أو التسامح، وإنما الفوضى. وعليه فلا بد من التنبه لهذه اللعبة، ليس في أفغانستان وباكستان وحسب، بل وفي سوريا أيضاً، خصوصاً أن هذه اللعبة تحدث يوميا هناك، وأمام أعين الجميع!

طارق الحميد -

الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٣١

عمالة الأحباش لبشار

قالوا: تجري في الجهة اللبنانية المقابلة للقلمون حركة غير طبيعية تتمثل بفتح طرققات جديدة وإعادة تأهيل طرققات تهريب قديمة، وتجهيز ١٥ ألف مقاتل من أجل التدخل و٧ آلاف من أجل المؤازرة من ميليشيا حزب الله الشيعي، بالإضافة إلى ٣ آلاف مقاتل من جماعة «الأحباش» اللبنانية وتعرف كذلك باسم جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.

المقدم خالد الحمود

من الجيش الحر

مفكرة الإسلام ٢٠١٣/١١/٢

هكذا هم دائماً

قالوا: شيعة الجزائر يتركزون في مناطق ينتشر بها الجهل والفقر، وبعض الأماكن التي يحمل أهلها الضغائن على العرب، فيذكرون لهم أكاذيب حول اغتصاب العرب الحكم الإسلامي من آل البيت، وخلافات الصحابة رضي الله عنهم، وبعض مظالم المسلمين عبر التاريخ الإسلامي.

شيعة الجزائر في الحقيقة هم سفارة إيران ولواحقها الاستخباراتية، وبعض من يسميهم بالمتقفين الجامعيين الجهلة الذين تأثروا بالتشيع عبر الإعلام والفضائيات ومواقع الإنترنت، والتواصل مع الشيعة بالمراسلة والمحادثة.

عبد الفتاح زراوي حمداش -

مسؤول جبهة الصحوة الحرة قيد التأسيس

مفكرة الإسلام ٢٠١٣/١٠/١٢

لهذا تنجح إيران

ويخفق العرب!

قالوا: الإيرانيون، وعلى عكس العرب، يعرفون مفاتيح الغرب جيداً، ويمتلكون برنامجاً لخدمة مصالحهم القومية، ولديهم خطابات متعددة، منها ما هو للجمهور ومنها ما هو للإقليم، ومنها ما هو للدولي، ولديهم أيضاً مستويات متعددة للتواصل، منها ما هو علني ومنها ما هو سري ومنها ما هو مدني ومنها ما هو عسكري، كما أن لديهم الأدوات اللازمة لتنفيذ رؤيتهم بما يحقق مصالحهم بغض النظر عن التكاليف التي غالباً ما يتم تلزيمها للآخر الذي يلعبون على أرضه (في هذه الحالة العرب) أو عن القدر الذي أنجزوه باتجاه تحقيق هذه الأجندة (غالباً على حساب العرب).

علي باكير -

العرب القطرية ٢٠١٣/١٠/١

ودم الشعب السوري الثمن!

قالوا: نسب حديث لأحد الأميركيين يعلق فيه على طول الحرب في سوريا التي تجاوزت مواجهاتها العامين ونصف العام، قال إن من الأفضل استمرار القتال حتى يجهز حزب الله و«القاعدة» بعضهما على بعض، وتخلص الولايات المتحدة من عدوين شرسين.

عبد الرحمن الراشد -

الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٠/٢٧

براجماتية مقبلة

على حساب الدم السوري!

قالوا: هناك أعضاء من المكتب السياسي للحركة ذهبوا في زيارة سرية إلى طهران والتقوا بالمسؤولين الإيرانيين وحاولوا التوصل إلى نهج تصالحي في قضية إدارة علاقاتهم الإستراتيجية لا سيما في ملف التعامل مع إسرائيل.

وكان من المتوقع أن يزور رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل طهران، لكن لم يتم ذلك بسبب انشغال الجمهورية الإسلامية بالملف السوري وبناء علاقاتها مع المجتمع الدولي، ويمكن لحركة حماس الانتظار بعض الوقت حتى تتفرج بعض الملفات الخاصة في العلاقات الإيرانية الأميركية الأوروبية، وتتم الزيارة بعد ذلك.

أحمد يوسف

المستشار السابق لرئيس الوزراء

إسماعيل هنية

وطن للأخبار ٢٠١٣/١٠/٢٣

ولهذا يفتروننا!

قالوا: في عدد صحيفة نيويورك تايمز الصادر يوم ١٧ من هذا الشهر، كتب ريتشارد بيرز - بينا الصحافي في الصحيفة منذ عام ١٩٩٢ والذي يعمل الآن على كتابة تقارير عن التعليم العالي في الصحيفة نفسها، تقريراً عن ازدياد اليهود الأميركيين الذي يدرسونه العالم العربي بهدف معرفة التحديات التي تواجه إسرائيل والولايات المتحدة.

الوطن السعودية

٢٠١٣/١٠/٢٦

ثالثاً: تدلل الأساليب المتبعة في الحرب من خلال اللجوء لقصف السكان بالأسلحة الثقيلة مع حصار خانق بمنع دخول المواد الغذائية ورفض السماح لنقل الجرحى للمستشفيات خارج منطقة دماج على سعي جماعة الحوثي إلى إرهاب السكان لدفعهم للنزوح عن ديارهم ومناطقهم على غرار مهجري مدن صعده الأخرى خاصة بعد انتهاء الحرب السادسة والتي فتحت شهية الجماعة لتهجير كل مخالف لها أو مناوئ.

رابعاً: يريد الحوثي أن يجبر الزيدية مع مشروعه بعد أن ظهرت دعوات للأخذ بالعمل السلمي والسياسي بدلاً من القتال.

خامساً: تقوية وجدود الحركة في صعدة وجعلها كمحافظة مغلقة من خلال التخلص من كل طرف مناوئ لها وان تدخل المرحلة التأسيسية بدون وجود طرف قوي مخالف لها.

سادساً: الحوثية تقر أن الفترة التأسيسية القادمة هي فترة انتشار لها وفرض رؤاها بالقوة وهي فترة ذهبية أخرى بعد الفترة الانتقالية السابقة وهي تحتاج إلى الإسراع في القضاء على الوجود السلفي في دماج من أجل أن تتفرغ إلى المناطق الأخرى في عمران وحجة والجوف ويريم أب وعملية إرهاب لكل من خالفها أو قاومها .

سابعاً: لن يستمر الدعم الخارجي للحوثي ما لم تكن هناك حروب والحوثي ويحتاج إلى دعم أكثر ليستمر حيث وان الدعم المادي هو السبب الحقيقي لاستمرار اتباعه .

الدوافع السياسية حول عدوان الحوثي على دماج

جلال الجلال

التصعيد غير المسبوق لمسلحي الحوثيين بقصف منطقة دماج في يوم الأربعاء (١٠/٣٠)
بالأسلحة الثقيلة وخاصة قذائف الكاتيوشا مستهدفين منازل المواطنين ما تلاه من هجوم، تساؤلات حول دوافع الحوثيين الذين يسيطرون على صعده بقوة السلاح ويفرضون حصار خانق بمنع دخول المواد الغذائية ورفض السماح لنقل الجرحى للمستشفيات خارج منطقة دماج.

يمكن لنا بيان الدوافع السياسية لهذا الهجوم في النقاط التالية:

أولاً: لا معنى لاستمرار الحوثي في امتلاك السلاح الثقيل بعد الحوار الوطني وضمانة أن الدولة لن تحاربه فالمبرر لامتلاك الأسلحة النوعية لم يعد موجوداً، لكن إدخال اليمن في مستتقع الحرب الطائفية يصبح هو المبرر لاستخدام السلاح واستمرار امتلاكه .

ثانياً: بإثارة الحرب على دماج يريدون تحسين شروطهم على مائدة الحوار مع قرب انتهاء أعماله بعد أن فشلوا في في تحالفهم البرغماتي مع الحراك الجنوبي في مؤتمر الحوار الوطني على فرض شروطهم بقضية صعده، فعادوا إلى استخدام القوة إلى فرض ذلك وابتزاز الحوار الوطني .

وجماعة الحوثي.

كما طالبوا بوضع «خريطة طريق» واضحة تفصيلية ومحددة الزمن «لمرحلة تأسيسية» لما بعد الحوار الوطني، يشارك فيها الجميع وتضمن استمرار مكوثنا الحراك الجنوبي والحوثيون لتنفيذ مخرجات مؤتمر الحوار، على أن تعرض الخريطة وتتم المصادقة عليها في الجلسة العامة للمؤتمر - التي عرقلوا انعقادها - لتكون «مخرجا ملزما من مخرجات الحوار».

وكان المتحدث باسم الحوثيين بمؤتمر الحوار علي البخيتي قد أكد مقاطعة ممثلي جماعته والحراك الجنوبي لأعمال الجلسة العامة للحوار حتى تلبى مطالبهما، وأكد أن انعقاد جلسة الحوار الحالية «غير شرعي».

بلطجة وافتئات

في المقابل قال عضو فريق بناء الدولة بمؤتمر الحوار والأمين العام لحزب الرشاد اليمني عبد الوهاب الحميقاني إن «النظام الأساسي للمؤتمر يجيز لأي مكوث سياسي الانسحاب أو تعليق المشاركة، ولكن ليس من حقه اقتحام منصة رئاسة الحوار، أو الطلب من الأعضاء مغادرة القاعة وتعطيل أعمال جلسة رسمية للحوار، فهذا ليس سلوكا سياسيا بل عمل بلطجة وفوضى».

وأضاف أن «ممثلي الحراك والحوثيين يطالبون بشيء لا تنص عليه المبادرة الخليجية ولا آلياتها التنفيذية، ولا ينص عليه النظام الأساسي لمؤتمر الحوار، ولم يكن مطروحا لا قبل ولا بعد انطلاق الحوار».

واعتبر الحميقاني في حديث للجزيرة نت أن مطالبة الحوثيين والحراك الجنوبي بأن تكون مخرجات مؤتمر الحوار وفق ما يرضيهم «تشكل افتئاتا على كافة المكونات السياسية والاجتماعية المشاركة في الحوار، وعلى الشعب اليمني»، مؤكدا أن «مخرجات الحوار يجب أن ترضي جميع الأطراف ويعقبه استفتاء الشعب على ما توصل له مؤتمر الحوار».

ثامناً: يدعي الحوثي بالاحتجاج بعدوانه على دماج انه يريد إخراج الأجانب في دماج من أجل أن يظهر أمام الآخرين أنه يحارب عن الوطن وأنه الأمل والبديل عن الدولة العاجزة التي لم تقم بواجبها.

تاسعاً: يحتاج الحوثي إلى نصر وهمي ولو على الضعيف من أجل إعادة الثقة لأتباع الحوثي بالحركة بعد أن فقدت هيبتها ومصداقيتها بعد حرب حجة والجوف.

عاشرًا: تعتبر الحروب الطائفية التي يشعلها الحوثي في اليمن مصدر لتجار السلاح في اليمن وهناك تحالف بين تجار السلاح والحوثيين يظهر هذا بشكل كبير في الزواج الغير الشرعي بين من عيتوه محافظا في صعدة والحوثيين .

إحدى عشر: يعتبر العدوان في دماج مثار تهمة حول المتواطئين معه علنا أو باطنا من خلال فرض الفترة التأسيسية والتمديد حيث أنها توجب وتظهر إمام رعاة المبادرة الخليجية انه لا بد منها لأنه لا يمكن الدخول في استحقاق المرحلة القادمة وفق بنود المبادرة الخليجية .

الحوثيون و"الحراك" يعرقلون الحوار اليمني

عبد عايش - الجزيرة نت ٢٠١٣/١٠/١٠

حالة من الاستياء أثارها ممثلو جماعة الحوثي والحراك الجنوبي باليمن بإفشالهم الجلسة الختامية لمؤتمر الحوار الوطني يوم الأربعاء، ونجاحهم في إلغاء جلسة العمل الأولى إثر الفوضى التي أحدثوها بوقوفهم الاحتجاجي غير المسبوق أمام منصة هيئة الرئاسة، وطلبهم من كافة الأعضاء مغادرة القاعة.

وكان الحوثيون وأتباع حراك الجنوب المشاركون بمؤتمر الحوار قد أعلنوا رفضهم أي مخرجات للحوار لم يتم التوافق عليها، وخاصة القضية الجنوبية ومشكلة صعدة وقضية بناء الدولة، وطالبوا بحلول لقضيتي الجنوب وصعدة في إطار اتفاق «يرتضيه» ممثلو الحراك الجنوبي

الكشف عن تفاصيل تهريب الأسلحة من سناح إلى الحوثيين

يمن برس- ٢٠١٣/١٠/١٣

كشفت مصادر خاصة أن المسؤول الأول عن عملية الاغتيالات التي تطال الضباط الجنوبيين هي خلية تابعة لـ «عمار محمد عبدالله صالح» نجل شقيق الرئيس السابق علي صالح ومقر الخلية في معسكر ريمة حُميد في سناح

وتفيد المعلومات أن نجل الرئيس السابق ايضا تلقى مبلغ ٣٠ مليون دولار كي يقوم بتوزيعها على عدد من شيوخ جزيرة سقطرى وذلك لإعلان الانفصال عن اليمن، فقد كشف المغرد الاماراتي الشهير «طامح» أن نجل صالح هو من خطط لاغتيال الرئيس عبدربه منصور هادي قبل نحو عام عبر خلية مكونة من مجموعة ضباط والتي تم القبض على افرادها في شارع ١٦ المقابل لمنزل الرئيس.

وأشار «طامح» إلى أن صالح هبرة يتزعم خلية حوثية منطقة الجراف شمال العاصمة صنعاء وقد بدأت بحفر الانفاق وتخزين الاسلحة في تلك الاحياء انتظاراً لتفجير الوضع، كما تحتوي مطابع الكتاب المدرسي المتاخمة لوزارة الداخلية على شحنات أسلحة كبيرة يقوم بتخزينها وتهريبها إلى احياء في العاصمة صنعاء أبو حورية، وهو من يقوم بدور الوسيط بين الرئيس السابق صالح والحوثيين في العاصمة صنعاء لتسهيل تهريب السلاح لهم من سناح، حيث يتم نقل نقل الاسلحة بواسطة ناقلات تابعة لمطابع الكتاب المدرسي ويتم ادخالها إلى مخازن المطابع ومن ثم تفريغها على شحنات إلى منازل حوثيين في حيي الجراف والروضة.

وكشف «طامح» عن لقاء جمع المحطوري

كما انتقد بشدة مطالبة جماعة الحوثيين والحراك الجنوبي بالاتفاق على «مرحلة تأسيسية» تعقب انتهاء مؤتمر الحوار، واعتبر أنهم «يسعون لمرحلة تأسيسية تتم فيها المحاصصة في السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية، دون مسوغ قانوني أو مستند شرعي أو رضا شعبي، والقفز إلى حكم البلاد واتخاذ مغلما بعيدا عن تجسيد إرادة الشعب في اختيار من يحكمه عبر صناديق الاقتراع والانتخابات الحرة».

نسف الحوار

ورأى الحميقاني أن «ممثلي الحراك الجنوبي والحوثيين يريدون نسف مبدأ التوافق الذي قام عليه مؤتمر الحوار، ورفض الانتقال من المرحلة الانتقالية إلى المرحلة الدستورية والشرعية، ورفض إجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية المقررة في فبراير/شباط ٢٠١٤، وفقا لما نصت عليه المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية، وبمخالفة القرار الجمهوري الذي انطلق الحوار بموجبه».

من جانبه، تحدث مدير مركز أبعاد للدراسات بصنعاء عبد السلام محمد عن وجود «توجه ورغبة من بعض القوى المشاركة في مؤتمر الحوار الوطني لإفشاله، لاعتقادهم أن الحوار يصب في صالح الحركات التي تمارس العمل السياسي، فيما تلك القوى قادمة من تيارات مسلحة تفرض نفسها على الواقع بقوة السلاح».

وأشار محمد في حديث للجزيرة نت إلى أن «الحوثيين والحراك الجنوبي اتجهوا لصياغة التقارير النهائية لأهم ملفات وقضايا الحوار الوطني بصورة تساعد على انقسام وتجزئة وانفصال اليمن مستقبلا».

وأكد أن المجتمع الدولي وقرارات مجلس الأمن الدولي المجمع عليها حرصت على بقاء اليمن موحدا، وقال إنه «ليس أمام اليمنيين إلا الحوار حول القضايا محل الخلاف وبصورة تحفظ لليمن أمنه واستقراره وتلبي مطالب اليمنيين في التغيير».

وحسن زيد وصالح هبرة في منزل الرئيس السابق صالح للاتفاق على كثير من النقاط الشائكة في مؤتمر الحوار الوطني وتبني حلف ثنائي، ويأتي ذلك في إطار الترتيب مع عبد الملك الحوثي لافشال مؤتمر الحوار باشغال حرب في العاصمة صنعاء ستستهدف مصالح حيوية في العاصمة، كما تم تكليف اللواء مهدي مقولة وهو يرأس خلية الجنوب التي تتولى مهمة إثارة المشاكل واغتيال الضباط واقتحام المعسكرات بمسمى تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، كما يقوم «مقولة» بالتصت على كل مكالمات قادة المنشآت العسكرية في الجنوب ورصد كل تحركاتهم عبر جهاز تصنت فائق الحداثة مرسل له من دولة الامارات.

مشيرا إلى أن ما تردد قبل أيام عن وفاة الرئيس السابق كان محض افتراء، وكان الرجل يعد العدة لتفجير الوضع عبر حلفائه الحوثيين وانصاره، لكن الاجواء لم تسعفه في تنفيذ ذلك فعاد للظهور من جديد.

بوادر حرب طائفية في صعدة بين الحوثيين والسلفيين

خالد الحمادي - القدس العربي ٢٧/١٠/٢٠١٣

لاحت في الأفق أمس بوادر حرب قبلية طائفية في محافظة صعدة بشمال اليمن بين جماعة السلفيين في منطقة دمّاج وجماعة الحوثي المسلحة ذات التوجه الزيدي الاثني عشري، بعد ايام من التوتر الشديد بينهما والمواجهات المسلحة التي أدت إلى سقوط العديد من القتلى والجرحى من الجانبين.

وجاءت بوادر الحرب الطائفية بعد فشل اللجنة الرئاسية العسكرية المكلفة بالوساطة واحتواء المواجهات المسلحة بين الحوثيين

والسلفيين في منطقة دمّاج منذ عدة أسابيع بشكل متقطع في محافظة صعدة والتي أفضت إلى قيام مسلحي جماعة الحوثي بمحاصرة منطقة دمّاج حيث تقع فيها أقدم مدرسة للسلفيين والتي أسسها الشيخ الراحل مقبل بن هادي الوادعي.

وذكرت مصادر محلية ان مسلحي جماعة الحوثي شنوا خلال الثلاثة ايام الماضية حملة اعتقالات واسعة في عدد من مناطق محافظة صعدة طالت اختطاف ٥٤ شخصا أغلبهم من مديرية ساقين، فيما البقية ينتمون إلى منطقة بني عوير الأكثر كثافة بالسلفيين في مديرية سحار، وذلك بحكم أن جماعة الحوثي هي السلطة الحاكمة حاليا في محافظة صعدة، إثر سيطرتها على المحافظة مع بداية اندلاع الثورة الشعبية عام ٢٠١١ وتعيينها محافظا من أكبر زعماء القبائل في صعدة، ولم تتم المصادقة على تعيينه حتى الآن من قبل الدولة.

وأوضحت المصادر ان مسلحين حوثيين داهموا عدداً من منازل المواطنين في ساقين واعتقلوهم واقتادوهم إلى سجون تابعة لجماعة الحوثي، مؤكدة أن الاعتقالات شملت ٢٢ مواطنا من مناطق مختلفة منها وادي خير، وبني بحر، والغجار، التابعة لمديرية ساقين، وتم اعتقالهم في فترات متفاوتة فيما تم اعتقال ٢٥ مواطنا دفعة واحدة السبت الماضي من منطقة المحرث بمديرية ساقين.

وقالت «طلبوا من المعتقلين كتابة تعهدات خطية بعدم قيامهم بأي نشاط سياسي أو اجتماعي ضد جماعة الحوثي ومنعهم من اي اجتماعات مع شباب المنطقة، إضافة إلى منعهم من اقامة صلاة الجمعة في المنطقة أو الخطابة في الناس في أي محفل أو غيره وكذلك منعهم من السفر خارج المنطقة وفي حالة رفضهم ذلك فسيطبق عليهم

الخيار الثاني والذي هو النفي والتهجير خارج المحافظة.

وأكد القيادي السلفي بمنطقة دماج الشيخ أبو إسماعيل الوادعي سقوط ٤٢٠ قتيلًا ونحو ٨٠٠ جريح من طلبة العلم السفليين ومن سكان منطقة دماج منذ بداية المواجهات المسلحة بين الحوثيين والسلفيين حيث عجزت الدولة عن وضع حد لاحتواء هذه المواجهات بسبب غيابها التام عن محافظة صعدة.

وفي ردة فعل سلفية أعلن الشيخ الوادعي أمس عن فتح ثلاث جبهات جهادية جديدة ضد الحوثيين في محافظة صعدة والمافظات المجاورة لها التي يتواجد فيها الحوثيون بكثافة، إضافة إلى استحداث نقاط عسكرية لاعتقالهم ومنع الإمداد العسكري والتمويني عنهم، والتي قوبلت بإعلان ثلاث قبائل مسلحة من أشد الخصوم لجماعة الحوثي استعدادها القتال إلى جانب السلفيين ضد الحوثيين، في أكثر من منطقة شمالية.

ونسب موقع (مأرب برس) الاخباري المستقل إلى الوادعي قوله «لقد تم توافد العديد من رجال القبائل ملبيين لدعوة الجهاد التي دعا إليها الشيخ السلفي يحيى الحجوري للجهاد ضد المعتدين عليهم»، حسب تعبيره إلا أنه تم إيقافهم احتراماً لتواجد اللجنة الرئاسية والعسكرية.

وأضاف «انه تم فتح ٣ جبهات جديدة، الأولى في منطقة حجور بمحافظة حجة والثانية في منطقة كتاف والثالثة في قبيلة حاشد، ويقوم عمل تلك الجبهات على إقامة نقاط تفتيش تهدف إلى عدم وصول المواد والمؤن إلى صعدة، إضافة إلى قيامها باعتقال وأسر الحوثيين».

وأرجع القيادي السلفي هذه الدعوة الجهادية من الشيخ الحجوري إلى تباطؤ الحكومة اليمنية

في تنفيذ القرارات المتفق عليها بشأن وقف المواجهات بين الحوثيين والسلفيين إضافة إلى تدهور الوضع الصحي لحالة المصابين من السلفيين وسكان دماج وسقوطهم واحداً تلو الآخر.

وكانت جماعة الحوثي المسلحة خاضت ست حروب ضد الدولة خلال الفترة ٢٠٠٤ و ٢٠١٠ في محافظة صعدة وامتدت إلى مناطق مجاورة لها وسقط فيها الآلاف من القوات الحكومية ومسلحي جماعة الحوثي وفي مقدمة القتلى مؤسس جماعة الحوثي حسين بدر الدين الحوثي، الذي قتل في ايلول (سبتمبر) ٢٠٠٤ في نهاية الحرب الأولى بين الجانبين.

وفي نهاية الحرب السادسة مطلع العام ٢٠١٠ تم التوصل إلى اتفاق لوقف الحرب بين الجانبين دون قيد أو شرط، وظلت معه جماعة الحوثي محتفظة بعناصرها المسلحين، حتى جاءت الفرصة السانحة لها مطلع العام ٢٠١١ عند اندلاع الثورة الشعبية ضد نظام الرئيس السابق علي عبد الله صالح، والتي أضعفت سلطات الدولة وتمكنت حينها من السيطرة الكاملة على محافظة صعدة. واصبحت جماعة الحوثي تتمتع حالياً بما يشبه الحكم الذاتي غير المعلن في صعدة، وتدير الأمور الأمنية والعسكرية والإدارية والمالية فيها بالكامل في ظل غياب تام لسلطات الدولة، والتي تحاول اقناع الجماعة بضرورة التحول إلى حزب سياسي غير مسلح حتى يتم الاعتراف بها رسمياً، وتم إشراكها في مؤتمر الحوار الوطني في محاولة من السلطة ورعاية المبادرة للتسوية السياسية في اليمن لسحب البساط من تحت أقدام جماعة الحوثي، غير أنها كانت أكثر مناورة واللعب بأوراق سياسية وعسكرية وأكثر براعة من محاولات السلطة.

قال حلف الفضول للحقوق والحريات إن النداءات المستنصرة من أهل دماج المحاصرين من قبل الحوثيين، تتوالى وقد ازدادت هذه النداءات بسبب القصف المتواصل عليهم بالأسلحة الثقيلة، لافتاً بأنه بذل الحلف في الفترة الماضية جهوداً لدى جهات الدولة والقوى السياسية والمجتمع المدني أملاً في أن يكون لهم موقف يجعل الحوثيين يثوب إلى رشده ويسحب وجوده من دماج كونه معتدياً وظالماً ولكن للأسف وجدنا التجاهل والتهرب من قبل الدولة وغيرها وكأن الأمر لا يعنيهم.

وأكد الحلف في بيان له إنه قد صار على قناعة تامة بأن قصف اليوم هو بتواطؤ من قبل بعض لجنة الوساطة الرئاسية والسلطة المحلية وبضوء أخضر من الدولة بهدف إجبار أهل دماج على القبول بصلح أعوج مناقض لكل مبادئ الشرع والقانون، لأنه سيجعل مصيرهم تحت رحمة الحوثيين تماماً، في ظل عجز الدولة عن ضمان تنفيذ هذا الصلح وحماية مواطني دماج في حالة خرق الحوثة للصلح وعودتهم لتطويق منطقة دماج من كافة النواحي استقواء بالأسلحة الثقيلة التي صار بقاءها بأيديهم برضا أطراف كثيرة داخل النظام وخارجه محلية وإقليمية.

وحذر الدولة المتقاعسة من نشوب حرب مذهبية تكون هي المتسبب بجر البلاد إليها بسبب تدليلها للمطالب الحوثية التي لا تقف عند حد، فيما تتغاضى عن مخاوف أهل دماج التي لها ما يبررها عند كل ذي إطلاع حسن على مسار القضية منذ ما يناهز الأعوام الثلاثة.

أكدت مصادر محلية في منطقة دماج بمحافظة صعدة أن جماعة الحوثيين المسلحة بدأت فجر اليوم عملية موسعة ضد أبناء منطقة دماج والتي يسكن فيها الآلاف من المواطنين ويدرس فيها السلفيون.

وأكدت المصادر أن الهجوم بدأ من حدود الفجر وحتى اللحظة هجوماً عنيفاً بمختلف الأسلحة على دماج والتي تتعرض لحصاره وقصفه المتقطع منذ أسابيع.

وأصدر الحوثيون بياناً مطولاً وصف فيه السلفيين في دماج أنهم «جماعة أجنبية تكفيرية»..

من جهته شن الشيخ عبد العظيم الحوثي أحد علماء الزيدية في اليمن هجوماً لاذعاً على الجماعة المسلحة التي يتزعمها عبد الملك الحوثي حيث قال في تسجيل في الذكرى الأولى لمقتل عدد من عناصره على أيدي الحوثيين: إن جهاد الحوثيين الكفرة خير من الجهاد ضد اليهود لأن هؤلاء الحوثيين أعداء لله ورسوله وللمؤمنين.

وأشار عبد العظيم أنه لا معنى لقتال اليهود مادام جماعة الحوثيين موجودة.

ووصف الجماعة بأنهم «مجوس هذه الأمة» وقال أن هذه الجماعة تحارب الله ورسوله وأذلوا «مذهب آل البيت» وأنها أحلت دماء المسلمين.

ونوه أن ميليشيات الحوثيين تقوم بتدمير البيوت على أهلها وتقوم بقتل المؤمنين بالأسلحة الثقيلة.

وكرر مناشدته الحوثيين بترك الاستقواء بالسلاح لفرض وجودهم السياسي ومحاولة اباده مخالفيتهم مذهبيا ، وعدم نسيان حقيقة مرة وهي أن لأهل دماج آلاف الأنصار في كافة اليمن وخارجه الذين سيناصرونهم بشتى السبل، وهو ما يعني احتراب لن يستثنى ولن يرحم، وسيكون كل الحكماء والاحرار شهودا على أن الحوثي هو وحده من يتحمل مسؤولية هذا الشر المستفحل.

وطالب الحلف جهات تطبيق القانون والرقابة والمحاسبة في الدولة التحقيق بجريمة تسليم أسلحة الجيش السيادية إلى جماعة دموية شريرة لم تعد تتخاطب إلا بذلك السلاح.

جماعة الحوثي تريد تهجير سكان دماج لتستفرد بصعدة لوحدها

الصحة نت- ٢٠١٣/١٠/٢١

تشير الحرب التي تشنها جماعة الحوثي المسلحة ضد أهالي دماج في محافظة صعدة شمال اليمن، تساؤلات حول أهداف الجماعة التي تسيطر على صعدة بقوة السلاح من خلال اللجوء لقصف السكان بالأسلحة الثقيلة مع حصار خانق بمنع دخول المواد الغذائية ورفض السماح لنقل الجرحى للمستشفيات خارج منطقة دماج.

وتقع دماج في وادي جنوب شرق مدينة صعدة، وهي تابعة إدارياً لمديرية الصفراء من محافظة صعدة باليمن، وتأتي شهرة هذه المنطقة بوجود مركز دار الحديث الذي أسسه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي احد مشايخ السلفية باليمن.

وفي تصعيد غير مسبوق، أدى القصف الذي استخدم فيه مسلحو الحوثي الأسلحة الثقيلة وخاصة قذائف الكاتيوشا على مسجد المزرعة أمس الأربعاء (١٠/٣٠)، ومنازل المواطنين إلى سقوط ٢٠ قتيلاً وعدد من الجرحى بحسب الشيخ

سرور الوادعي الناطق الرسمي باسم أهالي دماج. **وهذا الهجوم هو الأعنف من نوعه منذ بدأ النزاع في أواخر سبتمبر/أيلول الماضي،** وهو ما يعزز كفة الاعتقاد السائد بأن جماعة الحوثي تريد التخلص من كل طرف مناوئ لها في التوجه، بالتزامن مع حملة اعتقالات طالت أكثر من ٢٠ شخصا من أعضاء الإصلاح في مديرتي ساقين وحيدان، في مسعى لتحسين شروط الجماعة على مائدة الحوار مع قرب انتهاء أعماله.

تهجير السكان

وفي تصريح يصب في هذا الاتجاه، كشف الشيخ يحيى منصور أبو أصبع، رئيس اللجنة الرئاسية لإنهاء المواجهات في دماج، عن معلومات خطيرة خاصة تلك التي أوضح فيها الحوثيون عن هدفهم من حربهم ضد أهالي دماج بمحافظة صعدة شمال اليمن.

وقال أبو أصبع في حديث على قناة يمن شباب، مساء أمس الأربعاء، أن أحد القادة الحوثيين قال له إن هدف القصف لدماج هو «إخراج الأجانب والمسلحين الأجانب والإرهابيين الموجودين في معهد دماج»؛ مبيناً أنه رد عليه: هل هذا يبرر قصف دماج الذي تضم أكثر من عشرة آلاف نسمة؟

وأوضح القيادي في الحزب الاشتراكي أن الحوثيين لم يخفوا هذا في لقاءاتنا (يقصد اللجنة الرئاسية) معهم، مشيراً إلى أنه حين سألهم عن أسباب التصعيد بالأسلحة الثقيلة وهناك نساء وأطفال في دماج، فأجابته القائد الميداني للحوثيين (لم يذكر اسمه) أنهم مستعدون أن يفتحوا خطاً آمناً لخروج النساء والأطفال والجرحى.

وأشار رئيس لجنة الوساطة إلى أنه رفض هذا المنطق جملة وتفصيلاً، وأكد أن الهجوم المفاجئ مرفوض، وطالب بوقفه بشكل فوري. وأوضح أن اللجنة تتواصل مع كافة القوى في صعدة وصنعاء للضغط على الحوثيين لوقف هذا الهجوم.

وكان الكاتب السلفي حسن الحاشدي استغرب قبل أيام من يطرح ما يعتقد أنها حلولاً لما يجري بدماج بأن يترك السلفيون دماج ويذهبوا إلى منطقة أخرى يقيموا فيها وينقلوا دار الحديث لضمان عدم تكرار حرب الحوثي بحقهم، متسائلاً عن الهدف من طرح هذا الكلام وصعده إجمالاً كان يسودها التعايش والوئام إلى قبل تأسيس حسين بدرالدين لما كان يسمى بتنظيم الشباب المؤمن الذي تحول إلى اسم جماعة الحوثي أواخر تسعينات القرن الماضي.

وتدلل الأساليب المتبعة في الحرب على سعي جماعة الحوثي إلى إرهاب السكان لدفعهم للنزوح عن ديارهم ومناطقهم على غرار مهجري مدن صعده الأخرى خاصة بعد انتهاء الحرب السادسة والتي فتحت شهية الجماعة بعد أن قدم النظام السابق المحافظة لها على طبق من ذهب، لتبدأ فصول الانتقام من كل من وقف مع الدولة ضدها خلال الحروب الست، حيث أجبرت آلاف منهم على النزوح لصنعاء ومناطق أخرى وتمكنت من قتل من عارضها من المشائخ واستولت على منازلهم ومزارعهم ومن بقي من المواطنين اضطر للعيش تحت سياسة الأمر الواقع مكرها.

وفي نموذج واحد على تجذر منهج العنف وإرهاب الآخرين، أقدم مسلحو الحوثي على اقتحام منزل المواطن عبدالله اللوم بمنطقة آل «مسدر» المحاذية لدماج الأربعاء، والذي كان خالياً من الرجال وقاموا بقتل ابنتيه وزوجته رمياً بالرصاص في جريمة بشعة لم يشهد لها تاريخ البلاد إلا في حوادث نادرة.

تاريخ مماثل

ومن يقرأ في تاريخ حركات التمرد الاجتماعي الساعية لفرض رؤاها بالقوة في العالم، يجد جماعة الحوثي تكرر نفس الأساليب، ومن ذلك أنها تُمنع في إرهاب السكان بالقتل والحصار من أجل إجبارهم على ترك منازلهم حتى تصبح المنطقة المراد السيطرة عليها وهي هنا دماج خالية من النساء والأطفال إلا من قلّه هم الرجال الذين اضطروا

للدفاع عن أنفسهم ومنازلهم وفي هذه الحالة تستأسد عليهم بغية القضاء عليهم أو دفعهم للفرار في ظل تمتعها بأسلحة متطورة وتفوق لا يقارن عسكرياً بالسلفيين من أهالي دماج.

وبالفعل بدأت مئات الأسر - وفق الناطق باسم دماج - بالنزوح إلى المناطق المجاورة خوفاً من القصف والموت المحقق الذي يطارد كل من يتحرك حتى في المكان، ولا يفرق بين دور عباده أو منازل ابرياء أو مواقع مسلحين مدافعين عن أنفسهم.

وحتى الصليب الأحمر مُنع من دخول دماج لإنقاذ الجرحى وانتشال جثث القتلى الملقاة في الأرض رغم أن مهمته إنسانية بالدرجة الأولى تتمثل في إغاثة المدنيين المتضررين، بحسب مصدر في لجنة الصليب تحدث لـ «الصحوة نت».

وتشبه أساليب الحصار الذي يفرضها الحوثيون على السكان ويمنعون عنهم الغذاء تلك المشاهد التي يقوم بها نظام بشار الأسد في سوريا بحق مواطني شعبه والتي يلجأ فيها لإجبارهم على تأييده إلى منع وصول المساعدات والمواد الغذائية لدرجة أنهم اضطروا لأكل الكلاب الميتة بعد أن أفتى لهم بعض المشائخ لإنقاذ أنفسهم.

وتعتقد الجماعة أن استمرار جر السلفيين في دماج للحرب بين كل فترة وأخرى كفيل بتحقيق هدفها المتمثل بتهجيرهم ومن ساندتهم من السكان انطلاقاً من أن السلفيين الذين عاشوا سنوات طويلة في دماج دون أن يفرضوا مواقفهم على أحد كما هو حال الحوثي لن يقبلوا غير رفع السلاح للدفاع عن أنفسهم في مواجهة أساليب القمع من قتل أتباعهم والتضييق عليهم في التنقلات واعتقال عدد منهم وصولاً إلى الحروب المتجددة، وهو ما يرجح الكفة افتراضاً - وفق معطيات التفوق العسكري والمادي والتحكم بمناطق المحافظة - إلى انتصار الحوثي على الأقل وفق ما يعتقد استناداً لتلك المعطيات.

وإذا ما تكررت فصول الحرب سينتهي المطاف بأهالي دماج إلى التشرد والنزوح كملاذ أخير

«مسؤولية التمتع والتقشير في تنفيذ إزالة الألغام وطمير المواقع المستحدثة في دماج».

وأوكلت الآلية الرئاسية مسؤولية متابعة تثبيت وقف إطلاق النار والتهدة والمراقبة (...) والتواجد في جميع المواقع المحددة..، إلى الأخ «شطاب الغولي» رئيس فريق المراقبة والمتابعة القبلية في دماج، وتحميله المسؤولية كاملة في مباشرة ذلك والتطبيق الحازم والتواجد والمتابعة المستمرة حتى يتولى الجيش مهمة تأمين المنطقة.

معلومات عن دماج

تشير إحصائية التعداد السكاني لعام ٢٠٠٤م التي نشرها الجهاز المركزي للإحصاء اليمني أن عدد سكان دماج ١٥٦٢٦ نسمة وعدد المساكن ٢٤١٩ مسكن، وعدد الوافدين لطلب العلم الشرعي تقريباً حسب الإحصائية ٤٠٢٧ نسمة أي ما يعادل ٢٥٪ من السكان.

أما عدد مساكن الطلبة ١٠٥٨ أي ما يعادل ٤٣٪ من نسبة المساكن، وسبب الفجوة بين عدد المساكن والسكان من الطلبة أن بيوت أهل دماج واسعة كبير تتسع لأكثر من أسرة غالباً بينما بيوت طلبة العلم صغيرة ضيقة لا تتسع غالباً إلا لأسرة واحدة.

وتشتهر دماج منذ القدم بمنتجاتها الزراعية العالية الجودة، ففيها أفخم صنف من الأعناب على مستوى اليمن والجزيرة العربية، واشتهر العنب الدماجي في اليمن وفي المملكة العربية السعودية لأنه لا يسوق لجودته وقلة المعروض منه. كما تنتج الفواكه بجميع أصنافها وقل أن تجد فواكه على وجه الأرض ليست موجودة بدماج، أشهرها كما قلنا العنب والرمال والفرسك (الخوخ).

لحماية أنفسهم في ظل عجز الدولة عن حمايتهم وهو نفس السيناريو الذي أتبعه الحوثيون مع معارضيه من المشائخ والشخصيات العامة التي وجدت نفسها لاجئة خارج ديارها.

عجز رسمي

ويسود استياء وغضب واسعين في أوساط أهالي دماج من الرئيس والحكومة إزاء تركهم يواجهون إرهاب وبطش الحوثيين دون أن يحركوا ساكناً عدا لجنة وساطة لم تستطع عمل شيء لحمايتهم كمواطنين تابعين للجمهورية اليمنية.

ولم تستطع جهود اللجنة الرئاسية التي شكلها رئيس الجمهورية لإنهاء النزاع فعل أي شيء من المهام الموكلة لها إلا توقيع اتفاقية صلح في منتصف سبتمبر الماضي لم تستطع الصمود سوى أسبوعاً لتنفجر الحرب من جديد، فضلاً عن إجلاء سبعة مصابين بعد حصار دام ١٧ يوماً.

والاتفاقية الجديدة هي امتداد لثلاث وثائق صلح وضمانات سابقة بين الطرفين: الأولى وقعت منتصف العام الماضي (٢١ يونيو ٢٠١٢)، والثانية عبارة عن «وثيقة ضمان» وقعت بعدها بأقل من شهر (في ١٤ يوليو)، بينما وقعت الثالثة نهاية العام نفسه (١٧ ديسمبر ٢٠١٢).

وتشمل خارطة طريق عمل اللجنة الرئاسية لإنهاء التوتر ١١ بنداً منها: سحب كافة المقاتلين من الطرفين، من المواقع التي يتمرسون فيها، ونشر قوة عسكرية - غير محسوبة على أي طرف - تحدد وزارة الدفاع ومحور صعدة قوامها «للتولي تأمين منطقة دماج».

كما تضمنت أيضاً، طمر المواقع والمتاريس والخنادق ذات الأهداف القتالية التي استحدثت. وإلزام كل طرف معني «بتحديد أماكن الألغام ونزعها..»، مع تحميل أي طرف معني بإزالة الألغام

شهد اليومين السابقين هجوم غير مسبوق للجماعات الحوثية على «دمّاج» مدينة العلم الشرعي ومنارة علوم الحديث في اليمن.. سكان هذه المدينة من مختلف الجنسيات، يأتون لطلب العلم ويعيشون حياة قاسية في سبيل ذلك، يضاعف من قسوتها الحصار المضروب عليهم من الفصائل الحوثية المسلحة، والهجمات التي تتم ضدهم بين الفينة والأخرى.

رغم شناعة الجرائم التي تتم هناك، إلا أن المتابع يفاجأ بالصمت المطبق حيال ما يجري، لا يوجد تصعيد إعلامي للقضية، ولا تحرّك رسمي للدفاع عن هؤلاء الطلاب، اللهم إلا بعض اللجان الرئاسية التي تتعامل مع الفصائل الحوثية المسلحة هناك بدبلوماسية تضع الكثير من علامات الاستهفام حول حقيقة مهام هذه اللجان، ومن يسهم في اتخاذ القرارات فيها.

إن ما يجري في صعدة هو حركة تمرّد، وانشقاق عن الدولة الهزيلة في صنعاء، ومع ذلك تُواجه دعوات الكثير من الناشطين والحقوقيين - الذين يطالبون بالسيطرة على هذه الجماعة - باتهامات بالعنصرية وإثارة الصراع الطائفي. فهل يصنّف هذا كصراع طائفي حقاً؟

إن الصراع الطائفي (sectarian strife) هو صراع قائم بين طائفتين أو أكثر مبني على الاعتقاد الديني أو الفكري. ورغم أن هناك أطرافاً تسعى لوضع اليمن في هذا المأزق، إلا أن ما يحدث الآن على الساحة لا يمكن بحال من الأحوال توصيفه كصراع طائفي، ببساطة لأنه لم تسجل أي حالات اعتداء من فئة أو جماعة غير الحوثي ضد

الحوثيين كقبيلة أو كطائفة دينية، وكل ما حدث حتى الآن كان رد فعل ناتج عن الاعتداءات المتواصلة والمتكررة التي يشنها مسلحوا الفصيل الحوثي المتمرد على من يصنفونهم كأعداء.

إن من يتابع تصرفات هذه الجماعة، كوضعهم للنقاط الأمنية، وتشكيلهم لقوات رسمية تدير شؤون المحافظة كالمرور والأمن وحتى فصائل الجيش، وسعيهم الحثيث لامتلاك الأسلحة المتوسطة والثقيلة، هذا كله يشير بشكل قاطع إلى رغبة جامعة للتمرّد على الدولة، والاستيلاء على شمال الشمال في اليمن، وهي منطقة استراتيجية لدى دولة إقليمية كبرى تخطط لاستغلالها فيما يبدو في صراعها ضد الجارة الكبرى، أو على أقل تقدير استخدامها في الضغط لتحقيق مكاسب في المنطقة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فطموح الجماعة لحكم كامل اليمن، وليس هذا فقط، بل الاحتفاظ بالحكم كحق حصري إلهي لا يمكن التنازل عنه، هذا الطموح لا يخفى على أحد، خاصة بعد الخطاب الأخير لعبد الملك الحوثي بمناسبة عيد الغدير، حيث ترك التقيّة أخيراً (في هذا الموضوع فقط) وصرّح بذلك.

ختاماً أقول إن التعبئة الخاطئة لأتباع الحوثي، والجرائم التي تتم يومياً وثقافة الكراهية والعنصرية التي تُغسل بها أدمغة «الزنابييل» هي ما سيقودنا لحرب طائفية، ولذلك يجب التعامل بكل حزم مع هذه الجماعة، والقبض على القيادات المؤججة لهذا الصراع، ومحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى وتهديد السّلم والأمن العام.

لهذا وقفنا ضد مشروع جماعة الحوثي المسلحة

د. أحمد الدغشي - الإسلاميون ٢٠١٣/١١/٣

بالأمس غير البعيد، أعني أثناء الحروب الستة (١٦ يونيو/ حزيران ٢٠٠٤ - ١٠ فبراير/ شباط ٢٠١٠ م) بين القوات الحكومية اليمنية وجماعة الحوثي وقف كثيرون سواء في أحزاب "اللقاء المشترك" أم خارجها أم على مستويات فردية - كما هو شأن كاتب هذه السطور - ضد منهج الحرب في حل المشكلات الداخلية، التي يمكن أن تطرح على طاولة الحوار، وأن يسمع لها حتى لو كانت بعض المطالب فيها تبدو تعجيزية. وكان كثيرون يرون أن ما يجري من استخدام جماعة (متمردة) للسلاح وإشهاره في وجه السلطة، وضد خصومها السياسيين، بعد نهاية كل جولة من جولات القتال، لا يبرر للأخيرة أن تدمر قرى بأكملها، وتهلك كل شيء في سبيل القضاء على خصمها، ومن ثم كان ذلك المسلك مداناً ربما أكثر من إدانة الخروج المسلح من جماعة يفترض أنها بمجرد أن ترفع السلاح تغدو جماعة مسلحة متمردة، يجوز للسلطة القضاء عليها ولو بالقوة المسلحة، تماماً كما يردّد نظام التوحش السوري في دمشق وحزب الله اللبناني والحوثيون تبعاً لهما ولأهمهم جميعاً (طهران) اليوم مثل هذه المقولة عن ثورة الشعب السوري، مع ما يعلمه الجميع من أنه ظل ستة أشهر يرفع راية السلمية، فيواجه بالآلة العسكرية البربرية من قبل قوات الأسد وشبيحته. غير أن ما سلكه الحوثيون منذ ما بعد مجزرة الكرامة في ٢٠١١/٢/١٨ م، من استيلاء كامل على صعدة، خارج القانون، وتنصيب محافظ (غير شرعي) لها، باسم الشرعية الثورية، واستمرار ذلك إلى اليوم، رغم كل التطورات اللاحقة، وإيغال

الجماعة في القضاء على كل صوت مخالف لها، من الجماعات السياسية كالإصلاح، وعناصر كثيرة في المؤتمر الشعبي العام الراضة لمشروعها، ناهيك عن خصومها التقليديين كالسلفيين في دمّاج؛ أكّد بأن منهج العنف عنصر أساس في تكوين الجماعة، إذ هي انشقت عن جماعة الشباب المؤمن، ذات الطابع الثقافي والفكري، وقد عجزت كل التوسلات في مؤتمر الحوار وغيره عن إقناعها بالتعجيل بتسليم سلاحها السيادي، وتمكين الدولة من بسط سيادتها على المحافظة، إذا كانت تسعى حقاً للانخراط في العمل السياسي، ولا تؤمن بمنهج العنف.

لقد كان كاتب هذه السطور واحداً من المراهنين على عدم جدية الحركة الحوثية (المسلحة) على المشاركة في مؤتمر الحوار، وأن رضوخها لذلك إنما جاء تحت ضغط التهديد الدولي الذي أوصله إليهم ابن عمر صريحاً بأنهم سيصنفون دولياً جماعة عسكرية متمردة، حال الإصرار على رفضهم المشاركة، هذا إلى جانب حرجهم من بعض القيادات السياسية (الحزبية) في البلاد، مما دفعهم - على غير قناعة منهم - إلى المشاركة، ولكنني كنت أتوقع أنهم بين اللحظة والأخرى قد يفتعلون مشكلة أو يوظفون حدثاً ما في أي من مراحل انعقاد المؤتمر، لإعلان تعليقهم المشاركة بآدي الأمر، ثم الانسحاب النهائي منه، تحت ذريعة أنهم دخلوه بنية طيبة خالصة، غير أنهم فوجئوا بتحديات كثيرة، ومطالب تعجيزية لا طاقة لهم اليوم بتحملها، فلم يجدوا بداً غير ذلك الموقف (الانسحاب)، ولكنهم ظلوا ضمن قوام المؤتمر عملياً حتى هذه اللحظة، رغم محاولاتهم المتكررة فعل قدر من ذلك، دون الوصول إلى النتيجة النهائية المرجوة. ومع قرب الإعلان عن اختتام المؤتمر رأوا أن كل

المؤشرات تبين أنه ماض إلى إعلان نتائجه، بما فيها الاتفاق على تسليم سلاح الجماعة السيادي، وبسط الدولة نفوذها على محافظة صعدة، وأنهم قد تورطوا إذ قبلوا المشاركة ابتداء، مع ماحقوه بالمقابل من نتائج، بعضها إلى الابتزاز أقرب. ولذلك ولما لم تُجد كل تلك المشكلات التي افتعلتها الجماعة، أو سعت لتوظيف بعض الأحداث الأخرى في البلاد لتبرير انسحابها من المؤتمر؛ اتخذت القرار الأكثر كشافاً لوجهها الدموي العنيف، وذلكم كان قرار فتح المعركة الخاسرة الأكبر في دمّاج، بهدف القضاء المبرم على معقل دار الحديث، بما يمثل من رمزية على رأي آخر مخالف للسائد الخاضع للقبضة الحديدية في المحافظة، وقتل شيوخها وطلبتهما وتشريدهم، أو اعتقالهم وانتهاك كراماتهم، بطريقة الجماعة التي غدت من الخبرة في هذه الجوانب، بما لا مزيد عليه. ومن المحتمل أن تتطور الأمور تبعاً لذلك، وفي ظل إصرار الجماعة على رفض إيقاف عدوانها غير المسبوق على دمّاج إلى دفع القيادة السياسية لاتخاذ قرار لمواجهة الجماعة، وإخضاعها للدولة. وهنا ستجد ضالتها، فتعلن انسحابها من المؤتمر، بحجة أن حرباً سابعة مبيّنة قد أعلنت ضدها!

لقد رأت شخصيات وطنية وأفرادا كثيرون على مستويات عدّة أن في التدليل المفرط الذي تعامل به القيادة السياسية ورئاسة مؤتمر الحوار الحوثيين، قبل انعقاد مؤتمر الحوار وأثناءه، أمراً تجاوز نطاق المعقول أبداً، ولا بد من وضع حدّ لذلك، إذ إن الاستمرار في ذلك المنهج يمنح الحوثيين مزيداً من الزهو، للمضي في منهج الغطرسة والعنف، الذي تزايدت حدّته ضد خصومها السياسيين في صعدة - بوجه خاص - أثناء انعقاد المؤتمر، وقبل أن يبدأ الحوثيون في إعلان معركة دمّاج الأخيرة، على نحو

مايجري اليوم من عدوان متواصل، يستخدم فيه الحوثيون السلاح الثقيل بمختلف أنواعه، بما في ذلك الدبابات وراجمات الصواريخ، مع ارتداء الزي العسكري الرسمي، واستعمال العربات العسكرية، لمليشيات خارجة عن القانون، ضد جماعة سلمية لا مجال للمقارنة بين قدراتها وإمكانات جماعة تغوّلت على السلطة بكل إمكاناتها؛ إلا أن ذلك لم يغيّر من مسلك القيادة السياسية، ولا رئاسة مؤتمر الحوار تجاه الجماعة شيئاً، واكتفت باستمرار أعمال لجنة الوساطة، مع تغيير فني فيها، بغية تفويت الفرصة على الجماعة، كي لا تتصل من قرارات المؤتمر، وتعلن انسحابها في المحطة الأخيرة من أعماله! لكن ذلك لم يجد شيئاً كذلك بل دفع الحركة الحوثية المسلحة للمضي في قرار الحرب ومسلسل العدوان في دمّاج، دونما التفات إلى أنهم وقعوا على قرارات في المؤتمر تدين العنف، وتؤمن بمنهج السلم، وتلزم بالعمل المدني، وهو مايسعون - فيما يظهر - للتوصل منه، مع أنهم لطالما أطلقوا مثل تلك العناوين في مناسباتهم المختلفة، لكي تطير مع الهوى، بمجرد إطلاقها، وكي يبقى منهج العنف ولغة السلاح المنهج (الحاكم) الفعلي على الأرض.

في ضوء هذا العنف الذي تمضي في مشروعه اليوم جماعة الحوثي في شمال الشمال، والقاعدة في جنوب البلاد، حيث تتدثر الأولى برداء التشيع، فيما تحمل الثانية لواء التسنن؛ فإنّه لامفرّ لليمانيين من الاختيار بين ثنائية التعايش الحقيقي المجسّد على الأرض، القائم على أساس قواسم الدين العامة، وثوابت المجتمع والوطن اليقينية، وبين خيار الانكفاء على الذات، والتمترس وراء الأطر الضيقة، والدعوة - من ثم - إلى مواجهة مسلحة لكل مختلف معنا في الاعتقاد أو الفكر أو السياسة، وذلك يعني إعلاناً

مفتوحاً لاحتراق أهلي لايبقي ولا يذر -
لاسمح الله - .

إنه مع تأكيد الخلاف مع جماعة الحوثي
- وكذا القاعدة من قبل - في شأن منهج
العنف الذي يميّزهما كسمة جوهرية، فإن
ذلك ليس لأن إحداهما جماعة شيعية زيدية
(جارودية) تقترب أو حتى تتطابق مع مذهب
الجعفرية الإمامية الاثني عشرية، إذ الأخرى
سنية سلفية، مع أن الموقف من كليهما
واحد، من حيث الرفض وإعلان الإدانة،
وذلك بالنسبة لكثيرين منهم كاتب هذه
السطور. وإذا ماتخلت كلاهما عن منهج
العنف حكماً للنزاع مع السلطة أو غيرها،
فليس أماناً جميعاً من سبيل سوى منهج
التعايش - رغم الخلاف - مادام ذلك أمراً
خاصاً بعقيدة أيّ منهما التعبدية، إذا غدت
كلاهما تعلن التزامها بالدستور والقانون،
وتؤيد أن كل مسلك يتعارض معهما يعرض
فاعله للمساءلة القانونية.

من هنا ولأن حديثنا اليوم عن هذا العنف
المتوحش في دمّاج من قبل جماعة الحوثي
المسلّحة فإن التأكيد جدير هنا على أن
المشكلة معها ليست في مذهبها الخاص، أو
أيديولوجيتها التعبدية المميزة، إذا تخلّت فعلياً
عن المضي في منهج العنف، وتركت نشر
ثقافة الكراهية، والاعتقاد بالتميز السلالي،
الذي تطفح بها أدبياتها المنشورة، وفي
مقدّماتها (الوثيقة الفكرية والثقافية)، التي
نشرت أثناء الثورة في ربيع الأول ١٤٣٣ هـ -

فبراير ٢٠١٢م، بتوقيع رموز جماعة الحوثي
وسواهم وفي مقدّماتهم عبد الملك الحوثي،
وكذا التخلّي عن القدح المعلن في رموز الأمة
العظام، وفي مقدّماتهم كبار الصحابة وخلفاء
الرسول - صلى الله عليه وآله وسلّم الثلاثة -
وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنهم
جميعاً - كما تكشف عنه بجلاء ملازم
مؤسس الحوثية الراحل حسين بدر الدين

الحوثي.

أمل أن يدرك الجميع أن هذا العنف الذي
تقوده جماعة الحوثي المسلّحة اليوم بدمّاج
لاعلاقة له بالمذهب الشيعي الزيدي الهاوي، أو
الجارودي، أو حتى الإمامي الجعفري، بل
كان وسيظل سياسياً بامتياز، ولكنه يتدثر
برداء التشيع المذهبي لتحقيق مشروعه في
الهيمنة ليس أكثر، مع أنه تشيع سياسي، أو
طائفية سياسية، إن كان لا مناص من
توصيفه في إطار العناوين المشاكلة.
والشواهد على ذلك كثيرة غير أن أهمها -
في هذه العجالة - شاهد خصومة الحوثيين
مع الحوثيين أنفسهم؟ أعني الصراع المسلح
بين أولاد العلامة الراحل بدر الدين الحوثي مع
ابن عمومته العلامة محمد عبد العظيم
الحوثي، حيث يهجرّونه من دياره، ويقتلون
أتباعه، ويطاردونهم، وذلك قبل الدخول مع
السلفيين في مواجهات مسلّحة منذ
العام ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م. ولذلك لم يعد
مستغرباً أن يصرّح محمد عبد العظيم في ذات
حوار معه بأن جهاد أبناء عمومته الحوثيين
أفضل من الصلاة، وأفضل من جهاد اليهود،
وأنهم أخبث من إسرائيل، وأضرّ على الإسلام
" (محمد عبد العظيم الحوثي، حوار مع
صحيفة الأهالي (اليمنية) (أجرى الحوار
مهدي محسن)، العدد (١٧٠)،
١/١/١٤٣٢ هـ - ١٢/٧/٢٠١٠م، ص ٩)، مع
أن محمد عبد العظيم لا يختلف عن عقيدتهم
إلا في الجرأة ورفض المراوغة، ومسلك النفاق
السياسي، أو مايسميه البعض
(الديبلوماسية)، بل يصرّح في الحوار السابق
ذاته بأنهم اختطفوا منه عنوان الحوثية، إذ هو
الحوثي الحقيقي، وأولئك دخلاء وطارئون،
لكن حربهم مع الحكومة ساعدت في
اشتغالهم بذلك العنوان (المرجع السابق، ص
١٨)!!

قبل أيام قليلة احتفل الحوثيون بذكرى يوم

الغدير، وألقى زعيمهم عبد الملك الحوثي كلمة عبر فيها عن حالة من الفرور والتعالي وازدراء الآخرين، أدت إلى حالة من الاستقطاب داخل المجتمع استغلها بعض زعماء القبائل الذين تعرضوا إلى الإذلال على يد أنصار الحوثيين في عقرب دارهم قبل عدة أشهر، ليعلموا الجهاد ضد من سموهم الرافضة، ويدعوا للجهاد ضدهم. في الطرف المقابل أثبت «أنصار الله» (الحوثيون) قدرتهم على المناورة واستغلال التناقضات داخل المجتمعات القبلية وتحويل التحالفات فيها، وكذا تمرسهم في فرض الأمور على الأرض بقوة انضباط فصائلهم، وبلغ منتهى قوتهم أن فرضوا في الأشهر الأخيرة من عهد الرئيس السابق علي عبد الله صالح محافظا لمركزهم في صعدة استمرار التعامل معه لاحقا بقوة الواقع لا بقوة القانون.

ينبئ انفجار الحرب في صعدة بأن المعارك

القادمة في اليمن لن تدور بالحوار والكلمات،

وإنما برصاص وقذائف، وليس هناك ما يشير إلى قدرة الحكومة الحالية على عمل أي جهد، بل إنها لم تبذل شيئا منه وتنازلت عما تبقى من سلطاتها وتخلت عن مسؤولياتها المعنوية والدستورية، وصارت الأمور تدار على الأرض عبر أمراء الحروب في كل منطقة.. حتى تعز التي كانت درة اليمن في مدنيها تحولت إلى ساحة اقتتال شبه يومي في ظل عجز السلطة المحلية وتشبثها بمواقعها، ومن المضحك أن المركز المقدس «صنعا» انتزع ما تبقى من سلطاتها بتصرفات رعاء ولجان أفسدت أكثر مما أصلحت.

المؤسف أنه صار من الواضح أن الأحزاب

اليمنية لا تدرك الهاوية السحيقة التي تسير

نحوها الأوضاع، وعوضا عن ذلك انشغلت في

ترتيبات سياسية لا علاقة لها بمعيشة الناس ولا همومهم.. حرب مذهبية في صعدة ومناطقية في تعز وكثير من القتلى يسقطون في كل مدينة وقرية يمنية جراء نزاعات قبلية، وتمدد للجماعات الإرهابية في كل بقعة، يصحب ذلك انهيار متسارع للأوضاع المعيشية وارتفاع مذهب في الأسعار وتضخم بلغ نسبيا يصعب التحكم في آثارها. ويحدث هذا في وقت تكفي فيه الحكومة العاجزة بإصدار البيانات المطالبة بوقف إطلاق النار وتكليف لجان قبلية لحل النزاعات، وكأنما الأحداث تجري في بلد مجاور، وهو دليل الوهن الذي تعاني منه بتركيباتها العجيبة التي جمعت في صفوفها كل المتناقضات السياسية والمذهبية والمناطقية تحت يافطة فضفاضة اسمها «الوفاق الوطني».

الأحداث الدامية في أنحاء شتى لا تشعر معها

بأن شيئا إيجابيا سيحدث قريبا، كما تأتي

متزامنة مع قرب انتهاء المرحلة الانتقالية في ٢١ فبراير (شباط) ٢٠١٤، وهو ما قد يدخل البلاد في منزلق خطير. وقد برهن الذين صاغوا الآلية التنفيذية للمبادرة الخليجية أنهم كانوا يعملون بمبدأ «غد بظهر الغيب واليوم لي»، وها هم الآن يبحثون عن النصوص الدستورية لإيجاد المخارج التي تناسب الساسة لا الوطن، ولن يعدموا تفصيل القوانين لاستتباط المفردات وابتكار حروفها بما يتناسب والأهواء الخاصة لا المصلحة العامة.

المأزق الذي تمر به البلاد لا يتعلق بمخرجات

الحوار ولا بالقضية الجنوبية ولا بسعي الحوثيين

لتثبيت واقع يتحكمون فيه، فكل هذا لا

يشكل قلقا لدى الأحزاب، بل إن همها الأكبر هو البحث عن المكاسب التي ستجنيها في مرحلة ما بعد فبراير ٢٠١٤، وفي ظل هذا التكالب والجشع الحزبيين يغيب المواطن العادي ويقبع في مؤخرة

امتدادهم المذهبي بعيدا عن روح القبول بالآخر.. وهم حتى هذه اللحظة على الأقل لا يريدون أي رغبة في التحول إلى العمل السياسي الحزبي المنظم ويكتفون بإصدار البيانات وما يدلي به زعيمهم عبد الملك الحوثي، الذي لا يخفي رفضه للمبادرة الخليجية وآلياتها التنفيذية، لكنه حريص على المشاركة في كل مخرجاتها، وهو ما يجعلهم في موقع ابتزاز البلاد بأسرها.. ورغم كل هذا فإن الطرف الأساسي النقيض للحوثيين وهو حزب التجمع اليمني للإصلاح الذي يمثل «الإخوان المسلمون» عموده الفقري يمارسون نفس الصنيع في نفي الآخرين والنهم الشديد للسلطة ولو على حساب شركائهم في «اللقاء المشترك»، وعمدوا إلى فرض التعيينات المبنية على أساس حزبي ضيق في كل المواقع التي وصلوا إليها، وهم أيضا يمتلكون مخزونا ضخما من الأسلحة التي غنموها في فترات الشراكة الكاملة مع الرئيس السابق.

الأوضاع في اليمن مرشحة للمزيد من التدهور خاصة إذا علمنا أن الحالة الاقتصادية قد بلغت حدا لا تستطيع معه الحكومة بتركيباتها الحالية أن تسهم في تحسينه، وإذا كانت الأنظار تتجه إلى الرئيس هادي للتدخل وإيقاف منحى التدهور المروع الحاصل فإن على دول مجلس التعاون أن تعلم أن ما يحدث في اليمن ليس شأنا داخليا و«ما حل بجارك أصبح في دارك»، وليس في هذا تهويل ولا ترويع، وكفي أن نعلم أن الشريط الساحلي الممتد من حدود عمان إلى حدود المملكة صار منطقة يسيطر عليها مهربو المخدرات والأسلحة، ولا ولن تكفي بيانات الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي لإيقاف ذلك، ولا لمساعدة اليمن للخروج من هاوية يوشك على السقوط فيها.

تأثيرات ما يحدث في صعدة من قتال بين الحوثيين والسلفيين تأتي في إطار الترتيبات المستقبلية لليمن بأكمله، فد«أنصار الله» يتمد نفوذهم في مناطق شمال الشمال التي كانت واقعة تحت سلطة مشايخ القبائل المتحالفين مع حزب الإصلاح، وعملوا على إضعافهم، وكان وجود حزب الإصلاح يعتمد على هؤلاء المشايخ لبسط نفوذه هناك.. لكن المؤكد أن «أنصار الله» لم يكتفوا باستعادة النفوذ المذهبي في تلك المناطق، بل عملوا منذ فترة على إحياء نزعات مذهبية خارجها، واتجهوا جنوبا إلى تعز وإب، وهما اللتان تمثلان مجتمعين الثقيل البشري السني في اليمن شمالا وجنوبا، كما أنهم كثفوا من نشاطهم في حضرموت وعدن.. هذا النشاط أثار حفيظة السلفيين وحزب الإصلاح في تلك المناطق خاصة في تعز، كما استفز غيرهما من القوى الاجتماعية والسياسية، لأنه لم يعتمد على فكر سياسي، بل على توجه مذهبي بحت، وذلك سيؤدي حتما إلى صراع مسلح قد يؤدي إلى تصفيات جسدية كما حدث خلال الفترة الماضية.. في ظل كل هذا فإن الحكومة لا تحرك ساكنا ولا تبدي قلقا ولا تبذل عملا مجديا للتخفيف من الاحتقانات، بل على العكس من ذلك فإنها تتخذ إجراءات وقرارات تزيد من حدة الانقسامات داخل المجتمعات المحلية، والأمثلة على ذلك بلا حصر.

لقد أدت الحروب التي خاضتها الدولة في عهد الرئيس السابق ضد الحوثيين إلى انتصارهم وتثبيت مواقعهم، لكنهم لم يستفيدوا من التجارب المريعة التي أدت إلى تدمير مدينة صعدة، بل أصابهم غرور القوة فبدأوا في ممارسة نفس ما كانوا يشكون منه: التهميش وعدم الخضوع لسلطة الدولة على هشاشتها. وزادوا من

عهد الرئيس روحاني ومعاناة أهل السنة في إيران

صباح الموسوي - الإسلاميون ٢٨/١٠/٢٠١٣

بإلقاء نظرة على الخارطة السكانية لإيران يمكن مشاهدة الآثار السلبية التي خلفتها وما تزال تخلفها سياسات المسؤولين العنصريين على مكونات المجتمع الإيراني. فإيران كما هو معروف بلد يتشكل من أقوام وشعوب مختلفة الأعراق والديانات والمذاهب، والشعب الفارسي ليس إلا واحد من هذه المكونات المتعددة لدولة الإيرانية الحديثة التي كانت تعرف بـ «مملكة فارس» قبل أن يغير اسمها الشاه رضا بهلوي في ثلاثينيات القرن الماضي بعد انقلابه على الحكم القاجاري إلى «الدولة الشاهنشاهية الإيرانية» وذلك بعد إخضاعه المناطق والأقاليم، التي كانت تعيش في زمن الأنظمة التي سبقتة (القاجارية، الافشارية، الصفوية) بين الحكم الذاتي واللامركزية الموسعة، إلى سلطة طهران المباشرة التي اتسمت في عهده بالديكتاتورية المطلقة والتي أرخى فيها العنان للعنصرين الفرس لممارسة سياسة التمييز العنصري والطائفي ضد أبناء الشعوب والقوميات غير الفارسية وهو ما دفع بأبناء تلك الأقليات إلى مواجهة سياسات رضاخان بهلوي عبر الانتفاضات والثورات الشعبية وحركات التمرد المسلحة.

إلا أن تلك الاحتجاجات سرعان ما كانت تخمد نتيجة القمع الشديد الذي كانت تواجهه من قبل الحكومة المركزية التي كانت تحظى بدعم القوى العظمى. بعد انتصار الثورة الإسلامية شاعت أجواء من التفاضل بين الشعوب والقوميات الإيرانية وذلك اعتقاداً منها أن السياسات العنصرية والطائفية التي كانت تمارس ضدها قد ولت وسوف لن يكون لها أثراً في عهد النظام الجديد

الذي اتخذ من «الإسلام» عنوان له. وعلى الرغم مما وعد به قادة النظام الجديد وما حملته دستور الجمهورية الإيرانية من مواد تنص على جزء من الحقوق الثقافية للقوميات إلا أن ذلك لم يلغي تدمير أبناء الشعوب والقوميات الإيرانية من السياسات التمييزية ضدهم. مستدلين على ذلك بجملة من الوقائع والوثائق التي يعرضونها كدلائل ملموسة على صحة ما يتهمون به نظام الجمهورية الإيرانية الذي لم يطبق المواد الدستورية التي تنص على نبذ التمييز الطائفي والعنصري والاعتراف بالحقوق الثقافية والقومية للأثنيات الإيرانية ومنها على وجه التحديد المواد الدستورية رقم ١٥ و ١٩ و ٤٨ التي تنص على أن يتمتع أفراد الشعب الإيراني من أي قومية أو عشيرة كانوا، بالمساواة في الحقوق، ولا يعتبر اللون والعنصر أو اللغة وما شابه ذلك سبباً للتمييز. كما لا يجوز التمييز بين مختلف المحافظات والمناطق في مجال استغلال المصادر الطبيعية للثروة والموارد الوطنية العامة وتنظيم وتقسيم النشاط الاقتصادي في مختلف المحافظات ومناطق البلاد، بحيث يوظف في كل منطقة رأس المال والإمكانات الضرورية في حدود حاجاتها واستعدادها للنمو.

وقد قد نصت المادة ١٥ من الدستور على حق القوميات الإيرانية بأن تكون لها صحفها ووسائل إعلامها وتدریس آدابها ولغاتها إلى جانب اللغة الرسمية، أي الفارسية في جميع المراحل الدراسية. إلا أن تلك المواد الدستورية وعلى الرغم من مضي ربع قرن من عمر الجمهورية الإيرانية فإنها ما تزال مجرد حبراً على ورق. علماً أن الوعود بتحقيق تلك المواد الدستورية كانت من أهم الشعارات الانتخابية لحملة الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي ١٩٩٧ - ٢٠٠٥م الذي ورغم ما حظي به من شعبية طوال مدة رئاسته التي استمرت ثمانية سنوات إلا أنه لم يتمكن من تطبيق

تلك المواد المعطلة وذلك بسبب النفوذ القوي للحركة الشعبية المتطرفة والمتقلقة في أحشاء النظام الإيراني حسب ما يعتقده نشطاء الحركات السياسية لأبناء الشعوب والقوميات غير الفارسية التي تحمل النظام الإيراني مسؤولية ما يحدث أحيانا من احتجاجات و أعمال عنف دامية في أقاليم ومناطقها والتي شهدت فيها إيران خلال العقود الماضية وقوع العديد منها و كان أبرزها قد وقع في أقاليم، آذربيجان وبلوشستان والأحواز وكردستان.

ويشكو السنة الإيرانيون عامة من سياسة

التمييز ضدهم وهم يتساءلون عن السبب الذي يجعل السلطات الإيرانية تلجئ إلى هذه السياسة بالرغم من أن أهل السنة الذين يقدر عددهم بأكثر من عشرين مليون نسمة لهم مساهمات كبيرة في انتصار الثورة ضد الشاه وقيام النظام الجمهوري الحالي ولكن مع ذلك نجد أن السنة يعاملون كمواطنين من الدرجة الثالثة. فدستور الجمهورية الإيرانية يحرم على السني تبوء المناصب العليا في الدولة كمنصب رئاسة الجمهورية أو رئاسة البرلمان أو قيادة الجيش أو الشرطة أو مجلس الأمن القومي أو الاستخبارات. وقد خلت الحكومات الإيرانية المتعاقبة من وجود أي وزير سني كما لم يتم تعيين محافظا أو سفيراً سنيا واحدا طوال العقود الثلاثة ونيف من عمر الجمهورية الإيرانية. أما أعضاء مجلس الرقابة الدستورية الذي يبلغ عدد أعضائه اثني عشر عضوا، فهؤلاء جميعهم من الشيعة وليس فيهم سنيا واحدا. وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى الدالة على السياسة التمييزية ضد أهل السنة. يذكر إن أهل السنة في طهران واحدها يبلغ أكثر من مليون نسمة، غير أنهم محرومين من بناء مسجدا واحدا حيث تعارض السلطات الحكومية السماح لهم ببناء مسجد. في ظل الصخب الاعلامي

الذي تطاير من طهران ومن مختلف العواصم الغربية عقب فوز الرئيس الجديد حسن روحاني الذي وصف بأنه «رجل دين معتدل» والذي يعتقد الاعلام الغربي ان يكون مفتاحا لحلحلة الكثير من الازمات التي تمر بها إيران على الصعيدين الداخلي والخارجي في ظل هذا الصخب الاعلامي غابت مأساة المئات من السجناء وعشرات المحكومين بالإعدام من أبناء السنة في إيران بمختلف قومياتهم. فقد تزايدت في الآونة الأخيرة لا سيما بعد تشكيل حكومة روحاني هجمة اصدار احكام الإعدام وتنفيذ الإعدامات بحق الدعاة والنشطاء السياسيين من أهل السنة و عرب الأحواز. وذلك في الوقت الذي كان قد وعد فيه روحاني ان سياسته سوف تكون مغايرة لسياسة سلفه احمدي نجاد، غير ان ما تمخض لحد الان بالنسبة لممارسة ومواقف حكومته من القوميات غير الفارسية عامة، واهل السنة خاصة، تبعث على التشاؤم.

فتزامنا مع ذهاب الرئيس روحاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة وإجراء مشاورات مع الإدارة الأمريكية، اصدر المرشد الاعلى لثورة والنظام في إيران «علي خامنئي» امرا بالإفراج عن المئات من السجناء والمعتقلين السياسيين. وقد اعلن مستشارو روحاني ان الافراج عن هؤلاء السجناء جاء بناء على اقتراح من الرئيس روحاني، لكن سواء المقترح أو الافراج لم يشمل أين من المعتقلين والسجناء السنة أو العرب الاحوازيين. علما ان هناك اكثر من مائة محكوم بالإعدام من أهل السنة، من أكراد وبلوش وعرب قد صادق مجلس القضاء الاعلى على احكامهم وبعضهم قد تم عزلهم عن سائر السجناء تمهيدا لتنفيذ الاحكام بحقهم. علما ان من بين هؤلاء المحكومين طلبة علم شرعي و دعاة وحفظة قرآن مشهورين في إيران. ورغم

المناشدات التي قدمها اهالي المحكومين والمناشدات التي تقدم بها زعيم أهل السنة في إيران الشيخ «عبد الحميد اسماعيل زهي» إلى مرشد الثورة علي خامنئي ورئيس الجمهورية حسن روحاني ورئيس السلطة القضائية «صادق آملی لاریجانی» وغيرهم من المراجع والمسؤولين في النظام الإيراني، إلا ان السلطات الإيرانية لم تعنتي بهذه النداءات والمناشدات المطالبة بوقف الإعدامات بحق أبناء السنة بل ان هذه السلطات قد زادت من وتيرة احكام الإعدام وتنفيذ الإعدامات بحق العديد من أبناء السنة على مختلف قومياتهم. وذلك في ظل سكوت الرئيس المسمى بالمعتدل حسن روحاني، و في ظل سكوت عربي و دولي مخجل.

لقد انتهجت الدولة الإيرانية عبر أنظمتها وحكوماتها المتعاقبة استخدام الإعدامات وسيلة لإسكات أصوات الشعوب والقوميات المطالبة بحقوقها المشروعة لكنها فشلت في ذلك . فهل يخفف الرئيس حسن روحاني من حدة الإعدامات بحق أهل السنة وعرب الأحواز، ام انه سائر على نهج أسلافه؟

نظرية "أم القرى"

تفصح سياسة إيران!

أسامة شحادة- الغد ٢٠١٣/١١/١

في الوقت الذي نسمع فيه يومياً خطابات إيرانية تدعو للانفتاح والتسامح والتعاون مع الجيران والإقليم والعالم، سواء من الرئيس الجديد حسن روحاني وأركان حكومته أو من كتيبته الإعلامية عبر الشاشات والإذاعات، فإن الأذرع الإيرانية تواصل بث الرسائل الحقيقية للسياسة الإيرانية!

فها هو المغمم واثق البطاط، إمام حسينية الإمام الكاظم في النجف، والمؤمن بولاية الفقيه

الإيراني، والأمين العام لكتائب حزب الله في العراق، وقائد ميليشيا المختار، والمطلوب للقضاء العراقي بسبب جرائمه المتعددة، ورغم كل هذا لا يزال الرجل حراً طليقاً، بل يخرج قبل أيام علناً في قناة السومرية ببرنامج (حديث الوطن) - والحلقة منشورة على موقع يوتيوب- ويصرّح بأن قتلى العراق في حربه مع إيران ليسوا شهداء بخلاف قتلى إيران من جنود الخميني فهم الشهداء! مما استفز المذيع غزوان جاسم ليسأله عن موقفه اليوم فيما لو حدثت حرب بين العراق وإيران فمن سيؤيد؟ فيأتيه الجواب مباشرة وبلا تردد: سأكون مع إيران!!

ثم يشرح موقفه فيقول: أنا مع الإمام المعصوم (الغائب في السرداب منذ أكثر من ١١٠٠ سنة) ويمثله اليوم الولي الفقيه، لذلك لو كان الإمام في الهند وحاربت العراق سأكون معه ضد العراق التي تحكمه حكومة ديمقراطية لا تلتزم ولاية الفقيه. وفي نفس الحلقة تكرر موقفه السابق عن نيته حرب الكويت!!

من جهة أخرى بثت قناة العربية من سوريا مقطعاً مرئياً لأفراد من حزب الله اللبناني يقومون بإعدام عدد من الأسرى الجرحى السوريين، ويتحدثون أن جريمتهم هذه هي بالتكليف الشرعي وفي سبيل الله! طبعاً لو كان هذا القتل بحق جندي جريح إسرائيلي فهو مدان شرعاً وقانوناً، فكيف وحزب الله يقدم على هذه الجريمة مع مسلمين وخارج حدود لبنان من أجل نظام بشار ومصالح طهران، وهو الحزب الذي طيلة عمره لم يحارب إسرائيل خارج حدود لبنان لينصر فلسطين!!

قد تكون هذه التصرفات غير منطقية لدى كثير من الناس، بسبب تنافس هذه التصرفات مع الصورة الذهنية الجميلة التي تبثها قنوات إيران كالمناور والعالم والميادين وغيرها عن الجمهورية

الإسلامية ورعايتها لحركات المقاومة والممانعة ونصرتها للمستضعفين، لكن المطلعين على الأيديولوجية الإيرانية التي تقود إيران اليوم، يعرفون أن هذه التصرفات منطقية وطبيعية جداً من قبل حلفاء إيران لإيران، وأنها التطبيق العملي لنظرية «أم القرى» التي تقوم السياسة الإيرانية عليها.

نظرية «أم القرى»، وضعها منذ ثمانينيات القرن الماضي أكبر منظر إستراتيجي للثورة الإيرانية وهو د. محمد جواد لاريجاني، الذي شغل منصب مساعد وزير الخارجية لعدة سنين في عهد الخميني، وذلك في كتابه «مقولات في الإستراتيجية الوطنية»، وترجمه للعربية د.ليبب المنور، وقد صدر عن مركز الدراسات العلمية في مكة المكرمة (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، حيث ناقش فيه دور إيران في المنطقة العربية والعالم الإسلامي وخرج بنظرية سماها «أم القرى».

ومصطلح «أم القرى» هو مصطلح قرآني، أطلقه الله عز وجل على مكة المكرمة، «ولتذر أم القرى ومن حولها» (الأنعام: ٩٢)، والمقصود به مكة المكرمة، وقد ثبت أن الكعبة المشرفة في مكة المكرمة تعتبر مركز الأرض حيث ينطبق خط الطول المار بها على الشمال والجنوب الجغرافي تماماً، وتشير أركان الكعبة الأربعة للاتجاهات الرئيسية تماماً، والكعبة المشرفة هي «أول بيت وضع للناس» (آل عمران: ٩٦)، أي أول بناء لعبادة الله، وقد بنته الملائكة، ثم جدد بناء إبراهيم عليه السلام «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل» (البقرة: ١٢٧)، ومن هنا جعلت الكعبة المشرفة ومكة المكرمة قبلة الناس والمسلمين وأصبحت أم القرى، ومن هنا جاءت رمزية عنوان عبد الرحمن الكواكبي في كتابه الشهير «أم

القرى».

لكن د. محمد لاريجاني أخذ هذا المصطلح القرآني وما يتضمنه من معانٍ سامية ونقلها من مكة المكرمة إلى إيران! بحيث تصبح هي قبلة المسلمين الرمزية ومنبع القيادة والسيطرة على العالم الإسلامي، ويكون الولي الفقيه الذي يحكم إيران هو قائد المسلمين في العالم، وبالتالي ينبغي أن تكون كل السياسة الخارجية الإيرانية مبنية على هذا الأساس الفكري والروحي والفقهية، وأن تعمل كل المجموعات الشيعية في هذا الإطار، وهو التبعية المطلقة لأم القرى/ إيران!

يقول لاريجاني: «لب الموضوع في نظرية (أم القرى) أنه إذا أصبحت دولة من بين البلاد الإسلامية أم القرى، دار الإسلام على نحو تعدد فيه هزيمتها أو انتصارها هزيمة أو انتصاراً للإسلام كله، فإن الحفاظ عليها يأخذ أولوية على أي أمر آخر، حتى إنه في حال الضرورة يمكن تعطيل الأحكام الأولية، وقس على هذا، ومما لا شك فيه أن الحفاظ هنا يقصد به المعنى الكامل للكلمة، إذ لا يقتصر على الحفاظ على حيز الدولة الجغرافي، بل يتعدى ذلك إلى النظام الحكومي الكامل الذي يشمل على السيادة والنظام الحكومي الخاص، ولهذا السبب أصبح هذا النظام أم القرى».

وهذا الدور المركزي للحفاظ والإبقاء على أم القرى/ إيران بأي طريقة قد يفسر قبول إيران بتسليم السلاح الكيماوي السوري سريعاً لأمريكا ودون ممانعة في مقابل تخفيف القبضة على إيران، كما نشاهد اليوم.

وقد تفسر أولوية الحفاظ على أم القرى/ إيران العرض الإيراني لأمريكا سنة ٢٠٠٣ بإيقاف الدعم عن حماس والجهاد

وحزب الله مقابل تسوية وإنهاء المقاطعة ضدها، كما شرح ذلك د. تريتا بارسي في كتابه (حلف المصالح المشتركة).

ويدعم هذا التفسير قول لاريجاني: «في

بعض الوقت من أجل المحافظة على أم القرى يجب أن يكون هناك تصرف معتدل مع بعض الدول على الرغم من فسادها وجورها، لكن من أجل المحافظة على أم القرى يمكن شرب كأس السم»، وهذا التعبير هو الذي استخدمه الخميني عند إعلانة قرار وقف الحرب مع العراق!

وهذا كله لأن لاريجاني يبني نظريته

على أساس أن «إيران هي (أم القرى / دار الإسلام)، .. انتصار أو هزيمة إيران هما انتصار وهزيمة الإسلام، ومن ناحية أخرى، إيران هي مهد الإسلام الحقيقي والخالص... إننا نحمل رسالة دينية ومسؤولية إسلامية بأن نحافظ على إيران بصفتها أم القرى، لا أن نتنازل عن إيران لمنطقة جغرافية، وبعد ذلك نجتهد في المحافظة عليها. إذا كان هناك تكاليف مالية لأم القرى فليس هذا مهماً. فهذه التكاليف من مقولة الإسلام نفسه. أليس انتصارنا انتصاراً للإسلام؟ إذن لماذا يجب أن نتحدث أساساً في المصاريف؟».

نعم، لماذا نتحدث بالمصاريف لحماية

إيران حتى لو بلغت ٢٠٠ ألف قتيل سوري، وملايين المعتقلين والمهجّرين والمشردين، فهذا كله يهون في مقابل الحفاظ على أم القرى / إيران!

ويزيد لاريجاني التوضيح لحقيقة

السياسات الهدئة والمعتدلة التي تلجأ إليها إيران فيقول: في العام ١٣٦٣ هجري شمسي (يعادل ١٩٨٧م) بينت نظرية أم القرى، وعلى

الفور تابعت واستتجت أبعادها العملية: (عندما ننظر خارج حدودنا فإن غرضنا لا يتعدى مقولتين: تصدير الثورة، والمحافظة على أم القرى. وإذا حدث تزاحم في مرحلة ما فإن الأولوية هي المحافظة على أم القرى)».

فإذاً الأصل في سياسة أم القرى / إيران

هو تصدير الثورة، كما شاهدناه في الثمانينيات بالتفجيرات في لبنان، وفي الكويت بالتفجيرات ومحاولة اغتيال أميرها وخطف الطائرات، وفي السعودية بالعدوان على مكة المكرمة أم القرى وعلى حجاجها القادمين من كل العالم.

واليوم تصدر الثورة في اليمن عبر

الحوثيين، وفي العراق عبر الميلشيات الشيعية كحزب الله العراقي وكتائب أبو الفضل وعصائب الحق وغيرهم، وفي لبنان عبر حزب الله، وفي البحرين عبر الخلايا والجمعيات المرتبطة بالولي الفقيه.

وأما الاستثناء الذي تفرضه الضرورة

لمصلحة أم القرى / إيران فهو اللجوء إلى وقف تصدير الثورة أو التعمية عليها عبر (التقية)، ولذلك جاء خاتمي وذهب ولم يتغير شيء سوى أن مرحلته كانت فرصة لأم القرى / إيران لأن ترسخ خلايا نائمة اشتعلت فيما بعد.

وختاماً: ألا يصلح أن يكون شرح كلام

لاريجاني هو ما صرحت به ويندي شيرمان، وكيلة وزارة الخارجية الأميركية للشؤون السياسية، مؤخراً: «نحن نعلم أن الخداع جزء من الجينات الوراثية للإيرانيين»!

شيعة مصر والخداع..
هل يعي الإخوان الدرس؟

وهم الإلحاد

دلالات وجود متشيعين
جزائريين في وفد زيارة الأسد

مرصد الأسد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٨ صفر ١٤٣٥ هـ



اتفاقية إيران هل تنجح بخداع الغرب والعرب؟



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد

(١٢٨)

صفر - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ اتفاقية إيران هل تنجح بغداع الغرب والعرب؟

فرق ومذاهب

- ٤ من رموز الإصلاح (٢٠) علامة الحديث أحمد شاكراً أسامة شحادة

سطور من الذاكرة

- ١٣ الوجه الآخر: ١- محمد حسين فضل الله هيثم الكسواني

دراسات

- ١٧ شيعة مصر والخداع.. هي يعي الإخوان الدرس؟ أسامة الهتمي
٢٠ من تاريخ التسنن في العراق (٣٣) عبد العزيز بن صالح المحمود
٢٥ دلالات وجود متشيعين جزائريين في وفد زيارة الأسد بوزيدي يحيى
٢٨ مداخل إيران لاخترق الأردن سعيد بن حازم السويدي
٣١ الحركة النسوية في تونس.. هل تتكسر رأس الحرية؟ فاطمة عبد الرؤوف

كتاب الشهر

- ٣٤ وهم الإلحاد! أسامة شحادة

قالوا

- ٣٧

جولة الصحافة

- ٣٩ الرصاص المذاب على رأس "د. عذاب" لسبه "الأصحاب" د. خالد الحايك
٥٣ سفينة نوح الجديدة.. في مواجهة طوفان الإلحاد المعاصر؟ طه محمد كسبه
٥٨ بين الشيطان والولي د. محمد جميع
٦٠ حزب الله اللبناني يسعى للسيطرة على الإعلام اليمني سفيان جبران
٦١ أردوغان وفتح الله كولن، نهاية الشراكة نون بوست
٦٣ الجبهة الإسلامية والجبهة العلمانية د. عوض السليمان
٦٤ حكومات الخليج تدخل عصر الحيرة مدونة عمر خليفة راشد
٦٦ موازنة إيران النووية... إصلاحاً منار الرشواني
٦٧ ميانمار.. ماذا نتوقع من القوى العظمى؟ أيلين كوجامان
٦٩ حروب أنصار الله.. من حيدان إلى دماج نايف الجرياني
٧٠ الصحابة والسنة النبوية أسامة شحادة

اضطرارها لتوقيع هذه الاتفاقية تحت ضغوط الداخل الإيراني المتمثلة بالاحتقان على كافة الأصعدة، فالمعارضة السياسية الموالية لنظام الملالي مقلوبة بشكل فظيع، والأحوال الاقتصادية متردية، والبنية الاجتماعية مفككة وتنتشر فيها الآفات والجرائم بكثرة.

وأيضاً فإن الوضع الإقليمي والدولي لا يصب في مصلحة نظام الملالي، فالعداء الشعبي لإيران متزايد في العالم العربي والإسلامي، ودعم إيران لنظام المجرم بشار جلب عليها التهديد الصريح، ومن هنا كان لا بد من الخروج من عنق الزجاجة، وذلك بالتلويح بجزرة النووي لأميركا والغرب!!

والآن وقد تمت الاتفاقية وأصبحت من الماضي، فإن إيران تحاول خداع الغرب والعرب، بعد أن خدعت شعبها وحلفاءها بحملات إعلامية مفادها أنها هي التي حققت الاختراق والانتصار بهذه الاتفاقية، وساعدهم في ذلك تصريحات ننتيا هو الرافضة للاتفاقية، والتي قد تكون أفضل طريقة لإقناع الشارع الإيراني والموالي للملالي بصواب الاتفاقية، على طريقة: أليست تعارضها إسرائيل؟ فإذا هي جيدة!!

المشكلة أن إسرائيل تخترق باستمرار سيادة سوريا وبحضور الحرس الثوري، ولكنهم لا ينزعجون ولا يغضبون، وتشغل كل بقاع سوريا بقنابل جيش المقاومة وميليشيات حزب الله، ويبقى الجولان ساكناً سكون صاحب الزمان في

اتفاقية إيران هل تنجح بخداع الغرب والعرب؟

شكلت اتفاقية جنيف بين إيران والغرب بعد وساطة وتمهيدات عُمانية (الإباضية / الخوارج) صدمة للعديد من الأطراف، فأتباع الولي الفقيه وأنصاره والذين تشربوا من عشرات السنين شعارات عداوة «الشيطان الأكبر»، صدموا بجواز محاوره أميركا والتفاوض معها! بل وأخذ الصور التذكارية وتبادل الضحكات مع آشتون ممثلة الاتحاد الأوروبي، والدول العربية صدمت بسرعة الوصول للتفاهم بدون مقدمات منطقية، والشارع الغربي والأمريكي خصوصاً لم يفهم مبررات القبول بهذه التنازلات فقط!

ومن هنا كانت سياسة إيران لترويج هذه الاتفاقية إطلاق الكثير من الأكاذيب حول بنودها والمقصود منها، وكان المستهدف الأول منها الداخل الإيراني، ولما تجاوزت هذه التصريحات الخطوط الحمراء فيما يبدو، أعلن كيري بوضوح: «إيران لن تخصب اليورانيوم».

ومن المهم إدراك أن إيران هي الطرف الأضعف في الاتفاقية، وأنها لم تقبل بها إلا مكرهه، وبتعبير خامنئي «المرونة البطولية»! وهي مطابقة تماماً لانتصار بشار الأسد بتوقيع اتفاقية تدمير ترسانته الكيماوية!!

ولكن مع كل هذا فإن إيران وبرغم

صعدة، ثم تصاعدت التفجيرات والاغتيالات في العراق لإعادة جرائم الميليشيات الطائفية إذ عادت الشوارع تستقبل جثث المخطوفين بالعشرات والتي عذبت حتى الموت، وها هي طرابلس اللبنانية تشتعل من جديد.

والهدف من هذا كله تخويف العرب من معارضة إيران أو محاولة عصيان أطماعها، ومحاولة القضاء على الثورة السورية وتعويم نظام بشار بحل سياسي في اجتماع جنيف ٢.

الخلاصة:

إيران في لحظة ضعف وهي تمارس الآن تكتيك لينين «خطوة للخلف من أجل خطوتين للأمام»، فهل تنجح بذلك، أم نكون أذكى وأوعى من خداعهم، وذلك من خلال:

- مواصلة فضح إيران وبيان ضعفها وجرائمها.
- التركيز على حسن متابعة تنفيذ إيران للاتفاقية.
- مواصلة التصدي لكل جرائم إيران ووكلائها بالمنطقة وبكل الوسائل.
- القيام بحملات إعلامية في الغرب لانتهاكات إيران لحقوق الإنسان، وضرورة ضم الملف الحقوقي للملف النووي في المفاوضات القادمة.
- تقوية جبهتنا الذاتية.
- كشف وفضح عملاء إيران وخلاياها الإعلامية في أوساطنا.
- بناء خطاب مقنع بخطر سياسات إيران على السلم العالمي.

ولذلك نخشى أن تكون هذه الاتفاقية بالنسبة لإيران عبارة عن هدنة أو وقت مستقطع، تقوم فيه بللممة أوراقها وترتيب صفوفها، وتهدف لتفريغ الاحتقان الدولي والإقليمي ضدها، خاصة أنها اتفاقية لمدة ستة شهور فقط.

وهنا سيكون الخداع الإيراني للغرب متركزاً على تفريغ الغضب والحماس الغربي ضد إيران، خاصة أن إيران تجيد ممارسة سياسة حافة الهاوية، وحين تنتهي الشهور الستة تماطل إيران في تجديده وتبدأ جولات من المفاوضات العبيثة كما حدث طيلة السنوات العشر الماضية.

أو سيكون الخداع بعدم تطبيق إيران لبنود الاتفاق ومحاولة التلاعب بذلك، على غرار نموذج كوريا الشمالية، وهذا يحتاج إلى عدم حسن الظن وتوقع كل أنواع الخدع الاستخباراتية.

أما خداع إيران للعرب فسيتركز على تضخيم انتصارها، وأنها أصبحت قوة نووية، وأن العالم والغرب قد ركع لها، وأن إيران قوة لا تقهر، وأن من مصلحة العرب المبادرة للتصالح مع إيران، والقبول بهيمنتها وتنفيذ مطالبها.

ويقوم بهذا الدور المخادع الإعلام الإيراني والموالي له، وكثير من الأصوات والأقلام المخدوعة بإيران أو المأجورة لها، ويفعلون هذا تحت غطاء تحليل الاتفاقية وأصدائها واستشراف المستقبل المتعلق بها.

ولذلك يقدم هؤلاء الاقتراحات والتوصيات بضرورة الهرولة للحضن الإيراني، وإلا فإن الغضب الإيراني قادم، خاصة وأن إيران تعمل على إشغال المنطقة العربية بشكل مباشر وغير مباشر عبر وكلائها، ولذلك زادت وتيرة قصف الجيش السوري للمدن السورية، وغدر الحوثيين بأهل دماج من أجل إبادة جميعاً أو تهجيرهم والاستيلاء على

مولده ووالده:

ولد الشيخ أحمد شمس الأئمة أبو الأشبال، كما سماه أبوه في القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م، لعائلة من أشرف الصعيد، وقد كان أبوه محمد شاكر من العلماء المعروفين، أما والدته فكانت ابنة أحد أئمة العربية في ذلك الزمان وهو الشيخ هارون عبد الرزاق جد المحقق المعروف عبد السلام هارون، مما كان له أبلغ الأثر على حياته.

وكان للشيخ محمد شاكر الأثر الأكبر على شخصية ولده المحدث أحمد شاكر، فهذه العلاقة استمرت منذ ولادة أحمد الابن البكر، والذي رحل معه للسودان ثم عاداً للإسكندرية، ثم استقرا بالقاهرة، وبقياً في نفس البيت حتى توفى سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م رحمه الله.

ولفهم جوانب عديدة من شخصية المحدث أحمد شاكر



لابد من استعراض سريع لشخصية والده الشيخ محمد شاكر، فهو من مواليد سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٦ م، حفظ القرآن ودرس بالأزهر على كبار الشيوخ آنذاك، ولما بلغ ٢٥ سنة من عمره (١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م) عهد إليه بأمانة الفتوى مع شيخه العباسي المهدي، مما يدل على نبوغه وعلمه.

وبعدها بسنوات عهد إليه بتولي القضاء سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٤ م، فعين نائباً لمحكمة مديرية القليوبية، وبقي ٦ سنوات في القضاء، فرأى حال

٢٠- علامة الحديث أحمد شاكر

(١٣٠٩/١٣٧٧ هـ - ١٨٩٢/١٩٥٨ م)

أسامة شحادة (*) - خاص بالرائد

تمهيد:

برغم شهرته الواسعة جداً، وتأثيره الكبير ومؤلفاته الكثيرة، إلا أن المعلومات عن حياته شحيحة جداً، هذا وهو لم يتوفى إلا منذ ٥٠ عاماً، وفي القاهرة أكثر البلاد حركة وصخباً، مما يؤكد وجود خلل عميق جداً في دراسة وترجمة رموز الإصلاح السلفيين المعاصرين، وهذا القصور يعيق مسيرة النهضة من خلال عدم مراعاة التجارب والتعلم من دروسها وعبرها، فنبقى دوماً نبدأ من جديد دون تقدم يذكر.

ولكنني علمت أن الشيخ أشرف

عبد المقصود يقوم حالياً بإعداد أطروحة دكتوراه عن الشيخ المحدث أحمد شاكر، وذلك بعد أن عهد إليه أسامة ابن الشيخ أحمد شاكر قبل وفاته بالكثير من النسخ الأصلية لكتب الشيخ والعديد من أوراقه الخاصة، فنتمنى له التوفيق وأن يسد هذه الثغرة في حقه رحمه الله.

(*) كاتب أردني.

القضاء المزري وحاجته للإصلاح، وعرض على شيخه المفتي إصلاح القضاء، والخروج عن مذهب أبي حنيفة للمذاهب الفقهية الأخرى في بعض المسائل للحاجة الماسة لذلك من خلال الواقع العملي الذي عايشه في القضاء، إلا أن شيخه رفض ذلك وبشدة.

ولكنه لم ييأس وكتب تقريراً حول واقع القضاء وطرق إصلاحه، وقدمه للشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سنة ١٨٩٩م، وهو الأمر الذي سيكرره أحمد شاكر لكن مع الملك عبد العزيز بن سعود سنة ١٩٤٩م - وقد كان تقريراً خاصاً لم ينشر إلا من سنوات قليلة بتحقيق الشيخ أشرف عبد المقصود - ، وفعلاً تطابقت رؤية الشيخ الشاب محمد شاكر مع رؤية المفتي محمد عبده.

ولكن يبدو أن الأوضاع لم تكن لتسمح له بالتغيير المطلوب في القطاع القضائي في مصر، ولذلك زكى المفتي محمد عبده الشيخ محمد شاكر لتولي منصب قاضي قضاء السودان سنة ١٩٠٠م، والتي كانت الأمور فيها أكثر قابلية للإصلاح بسبب انتهاء الثورة المهدية وتهدم القوانين والحكومة والقضاء، مما يجعل البناء الجديد لا يتطلب هدماً !

وفعلاً قام الشيخ محمد شاكر ببناء القضاء على أسس جديدة تفادي فيها عيوب القضاء في مصر، وقد اقتبس القضاء المصري بعض هذه الإصلاحات فيما عرف بلائحة سنة ١٩١٠م، وبعضها دخل من خلال القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٠م.

وفي السودان لم يقتصر عمله على القضاء وإصلاحه فحسب، بل كان يتابع ويراقب بشدة استقلالية القضاء وعدم التعدي عليه من الاحتلال البريطاني، وأيضاً تصدى لأية محاولة للتهوين من الحكم الشرعي والتنقص من حكمه ومقاصده، وهو النهج الذي سار عليه أحمد شاكر فيما بعد، وفي السودان أيضاً الشيخ محمد شاكر درّس العلم في المسجد وشرح صحيح البخاري.

ثم جاء التكليف بالعودة للإسكندرية سنة ١٩٠٤م، وتولّى مشيخة العلماء فيها، وتأسس معهد تابع للأزهر، فقام بنهضة علمية هناك وجعل تعليم العلوم العصرية إجبارياً للطلبة، وليس اختيارياً كما في الأزهر نفسه، وذلك بهدف إنشاء جيل من طلبة الأزهر قوي في معتقده وفقهه، وعارف بواقع أمته، لقيادتها للمجد.

وبعد سنوات عاد للقاهرة وشغل منصب وكيل الأزهر في ١٩٠٩م، ولما أنشئت هيئة كبار العلماء سنة ١٩١١م كان من ضمن الفوج الأول حتى وفاته، فسعى في تطوير الأزهر بما يستطیع، ولكنه اصطدم ببعض العقبات، ولما تأسست سنة ١٩١٣م الجمعية التشريعية (مجلس الشوري)، طلب من صديقه رئيس الوزراء أن يعين فيه، حتى يتحرر من أعباء الوظيفة التي تقيد أصحاب الآراء الحرة ودعاة الاجتهاد.

وقد كانت له مشاركات في الصحف والمجلات، ولما قامت ثورة ١٩١٩م شارك فيها بل قاد الأزهر وأهله للمشاركة فيها، وقد عرضت عليه مشيخة الأزهر سنة ١٩٢٣م فرفضها، حتى لا يكون ألعوبة بين السياسيين، هذه كانت أبرز المحطات من حياة الشيخ محمد شاكر، والتي سنرى أنها انعكست كثيراً في حياة ولده أحمد شاكر.

تعلّمه ودراسته:

من صغره تعهده أبوه بتعليمه مبادئ القراءة والكتابة، ثم حفظ القرآن الكريم، ولما بلغ الثامنة من عمره انتقل أبوه إلى السودان ليكون قاضي القضاة هناك، وأدخله أبوه كلية غوردون بمدينة الخرطوم لما أنشئت سنة ١٩٠٢م، فدرس بها ٤ سنوات، وكلية غوردون بدأت كمدرسة ابتدائية تتبع بريطانيا، ثم تطورت حتى أصبحت جامعة الخرطوم بعد الاستقلال سنة ١٩٥٦م.

وقد كان لهذه السنتين تأثير في شخصية أحمد شاكر، بالجمع بين التعليم الشرعي والتعليم المادي، وهي القضية التي وعيها أحمد شاكر عن

والده، ففي مقال له بمجلة المقتطف سنة ١٩٣٩م، ذكر ما ورد تحذير والده في تقريره لمشيخة الأزهر سنة ١٣٢٢هـ، عن خطورة اختصاص أبناء الأثرياء والوجهاء والساسة بالتعليم المادي، وعدم مرورهم على التعليم الشرعي وأن مآل ذلك ظهور طبقة من المسؤولين لا معرفة شرعية لهم، وانزواء العلماء بعيداً عن شؤون المجتمع، وضرب مثلاً بنفسه وكيف أن والده ضمه للتعليم الشرعي في الإسكندرية بعد أن كان في السنة الرابعة بكلية غوردن بالخرطوم، ولذلك نجد أحمد شاكر يعلم أولاده وبناته لاحقاً في المدارس العصرية مع تعهده لهم بالرعاية والتوجيه.

وفي سنة ١٩٠٤م طلب من والده العودة للإسكندرية لإنشاء معهد شرعي تابع للأزهر، فدخله أحمد شاكر، وهناك يتعلم على يد الشيخ محمود أبو دقيقة، عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف، فحبب إليه الفقه والأصول حتى تمكن منهما، كما دربه على ركوب الخيل، وكان أبوه قد أقر في مناهج المعهد دراسة العلوم العصرية، وبهذا توسعت مدارك الفتى أحمد شاكر.

وقد درس أحمد شاكر وإخوته على والدهم تفسير النسفي وتفسير البغوي، ودرس عليه أيضاً صحيح مسلم، وسنن الترمذي، وبعضاً من صحيح البخاري، ودرس جمع الجوامع وشرح الإسنوي على المنهاج في أصول الفقه، وكتاب الهداية في الفقه الحنفي، كما شرح لهم دروساً في البيان والمنطق، ولم يكن والده يدرسهم الفقه المذهبي بل كان يناقش كلام المذهب ويخالفه إذا خالف الدليل الشرعي، وهذا بتأثير من تجربته في القضاء وأن الجمود على المذهب ليس بصواب، ومن هنا نشأ أحمد شاكر متحرراً من التعصب الفقهي، كما كان لوالده الفضل في توجيهه لدراسة السنة النبوية منذ سنة ١٩٠٩م.

قال أحمد شاكر في مقدمة كتاب الرسالة للشافعي: «وقد يفهم بعض الناس من كلامي عن

الشافعي أنني أقول ما أقول عن تقليد وعصبية، لما نشأ عليه أكثر أهل العلم من قرون كثيرة، من تفرقهم أحزاباً وشيعاً علمية، مبنية على العصبية المذهبية، مما أضر بالمسلمين وآخرهم عن سائر الأمم، وكان السبب في زوال حكم الإسلام عن بلاد المسلمين، حتى صاروا يحكمون بقوانين تخالف دين الإسلام، خنعوا لها واستكانوا، في حين كان كثير من علمائهم يأبون الحكم بغير المذهب الذي يتعصبون له ويتعصب له الحكام في البلاد.

ومعاذ الله أن أرضى لنفسي خلة أنكرها على الناس، بل أبحث وأجد، وأتبع الدليل حيثما وجد. وقد نشأت في طلب العلم وتفقهت على مذهب أبي حنيفة، ونلت شهادة العالمية من الأزهر الشريف حنفياً، ووليت القضاء منذ عشرين سنة أحكم كما يحكم إخواني بما أذن لنا بالحكم به من مذهب الحنفية. ولكنني بجوار هذا بدأت دراسة السنة النبوية أثناء طلب العلم، من نحو ثلاثين سنة، فسمعت كثيراً وقرأت كثيراً، ودرست أخبار العلماء والأئمة، ونظرت في أقوالهم وأدلتهم، لم أتعب لواحد منهم، ولم أجد عن سنن الحق فيما بدا لي، فإن أخطأت فكما يخطئ الرجل، وإن أصبت فكما يصيب الرجل. أحترم رأيي ورأي غيري، وأحترم ما أعتقده حقاً قبل كل شيء وفوق كل شيء. فمن هذا قلت ما قلت واعتقدت ما اعتقدت في الشافعي رحمه الله».

وبعد سنوات قليلة في الإسكندرية ترحل العائلة للقاهرة ليتولى أبوه منصب وكيل الأزهر وذلك سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، وفي القاهرة ينضم لركب الطلبة في الأزهر، مما فتح أمامه آفاق القراءة والتحصيل والاتصال بالعلماء والالتقاء بهم، سواء كانوا من علماء الأزهر أم من المترددين على القاهرة، فدرس على العلامة عبد الله بن إدريس السنوسي محدث المغرب، وقرأ عليه، فأجازه برواية الكتب الستة، واتصل بالشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان، وأحمد بن

البعيد، حين كنا في مطلع الشباب، متشوقين إلى العلم الصحيح، علم الكتاب والسنة وكنا أحرص ما نكون على كتب السلف الصالح وكتب من نهج منهجهم من المتأخرين الذين يستمسكون بالهدي النبوي ويتبعون الدليل الصحيح دون تعصب لرأي وهوى ودون جمود على التقليد.

وكان في مقدمة من سار على النهج القويم أستاذنا القاسمي - رحمه الله - . وقد زار مصر قبل وفاته وكنت ممن اتصل به من طلاب العلم، ولزم حضرته، واستفاد من توجيهه إلى الطريق السوي والسبيل القويم»، وهذا يكشف لنا عن أهمية دراسة خريطة العلاقات بين العلماء والمصلحين السلفيين في مطلع القرن العشرين، وكيف أن تأثيرهم لم ينحصر ببلدانهم التي أقاموا فيها.

عمله بالقضاء:

بعد تخرجه من الأزهر اشتغل بالتدريس لمدة أربعة أشهر في مدرسة عثمان ماهر، ثم عمل في القضاء، وترقى في مناصبه حتى اختير نائباً لرئيس المحكمة الشرعية العليا، وأحيل إلى التقاعد سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، وذلك بعد أن عمل بالقضاء ٣٠ سنة، ثم فتح مكتباً للمحاماة.

وعمله بالقضاء جعله قريب الصلة من الناس وقضاياهم، وكذلك تنقله بين المدن في حياته القضائية فجعل له ذلك معرفة بتنوع المجتمع المصري، ويظهر هذا جلياً في مقالاته التي عالج بها كثيراً من قضايا الناس وهمومهم.

وأيضاً عمله بالقضاء جعله وثيق الصلة بالشأن العام وكيف تدار بلاد المسلمين من قبل المحتلين، ومن قبل الأنظمة المحلية التي جاءت بعد الاحتلال، ولذلك كان إصلاح القضاء شغله الشاغل بإرجاعه لحكم الشريعة.

جهوده العلمية:

الشخصية المعروفة والمشهورة للشيخ أحمد شاكر هي شخصية العالم والمحقق وخاصة في علم

الشمس الشنقيطي، وشاكر العراقي، والعلامة طاهر الجزائري، والأستاذ محمد رشيد رضا، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر، وقد أجازوه بمرورياتهم، وكانت تلك هي خطواته الأولى للإمامة في علم الحديث وبلوغ مرتبة إمامة الحديث في مصر لا ينازعه فيها أحد، وقد تخرج من الأزهر في سنة ١٩١٧م بحصوله على الشهادة العالمية.

ومن نتائج هذه الدراسة والالتقاء بالعلماء الكبار أن كانت شخصية أحمد شاكر شخصية متكاملة، فوالده عالم أزهرى لكنه واسع الأفق، وقد رافقه في عدد من البلاد والمدن، وبقيت صلته بوالده حتى وفاته، وقد كان والده شخصية علمية وسياسية، فنشأ أحمد مدركاً لمجريات الأحداث في مصر وتطوراتها، وهو ما صرح به أسامة أحمد شاكر من أن تحليلات جدّه السياسية تجاه مصر وفلسطين كانت صائبة، وقد أثرت على شخصية أحمد شاكر وولده أسامة، الذي مُنِع سنة ١٩٤٧م من كتابة رسالة ماجستير عن القضية الفلسطينية، في جامعة فؤاد الأول - التي أصبحت تسمى بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م جامعة القاهرة - ، واقترحوا له موضوعاً بعنوان: (البترول وأثره في التناقص السياسي والإقتصادي بين إنجلترا وروسيا في إيران)!! لكنه رفض إكمال الدراسة لما تربى عليه من عزة وكرامة.

وأيضاً استفاد أحمد شاكر من عدد من كبار علماء ومصلحي العصر من بلاد ومشارب شتى، ولذلك أصبحت له مشاركة في الشأن العام وفي الصحافة والمجلات وفي تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية، وذلك من خلال هذه الخلطة والدراسة والمصاحبة، قال أحمد شاكر في مقدمته لتحقيق رسالة (المسح على الجوربين) للقاسمي: «فإن أستاذنا عالم الشام محمد جمال الدين القاسمي، رحمه الله، ألف رسالة نفيسة في المسح على الجوربين طبعت في دمشق سنة ١٣٣٢هـ وقد قرأتها وأخذت منها علماً جماً، وروحاً قوياً في ذلك العهد

الحديث ، ولكن هذا فيه ظلم للحقيقة وللشخصية الشيخ أحمد شاكر ، ومن أجل توضيح ذلك يمكن أن نقسم جهوده العلمية لثلاثة أقسام:

١- تحقيق بعض عيون التراث الأدبي العربي والإسلامي ، ولذلك كانت تحقيقاته في سلسلة ذخائر العرب التي طبعتها دار المعارف من التحقيقات الهامة في اليقظة الأدبية المعاصرة ، مثل: إصلاح المنطق لابن السكيت ، والأصمعيات ، والمفضليات ، حققها مع ابن خالته الأستاذ عبد السلام هارون.

إضافة إلى عدد آخر من كتب الأدب واللغة والشعر ، كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، ولباب الآداب لابن منقذ ، والشرح واللغة.

٢- جهود متميزة في خدمة العلوم الشرعية كالفقه والأصول والعقيدة والتفسير والسيرة والتراجم والنوازل العصرية ، وتنوع هذه الجهود بين تحقيق النص بحرفية عالية كعمله على كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي ، وبين التحقيق والتعليق كعمله على (المحلى) لابن حزم ، وبين التصحيح والفهرسة والشرح ككتاب (الخراج) ليحيى بن آدم ، ونشر بعض الكتب المهمة ككتاب (التوحيد والأصول الثلاث) لابن عبد الوهاب ، و(الحموية والتدمرية) لابن تيمية ، والاختصار كاختصار تفسير ابن كثير ، وبين التأليف المستقل ككتابه القيم (نظام الطلاق في الإسلام) ، و(كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر) ، وهناك أمثلة كثيرة في هذه الأنواع المختلفة لا مجال لسردها.

وبهذا يتبين لنا ضخامة الجهد العلمي الذي اضطلع به أبو الأشبال في مسيرته العلمية.

٣- جهوده المتميزة في علم الحديث والتي اشتهر بها ، ولقد أحيى الشيخ علم الحديث في مصر ، وأصبح له منهج خاص في توثيق الرواة ، وُصف بنوع من التساهل مع الرواة.

وحتى في مؤلفات علم الحديث تنوعت جهوده بين إخراج وتحقيق بعض كتب مصطلح الحديث كألفية السيوطي وألفية العراقي والباعث

الحديث ، وقد أضافت تعليقات الشيخ شاكر للكتاب قيمة علمية عالية ، ثم عمل على تحقيق أحاديث بعض كتب أمهات الإسلام كتفسير الطبري والذي حقق منه ٩ مجلدات ، وعمل على إخراج كتب الأحاديث بطبعة علمية محررة ، كعمله على سنن الترمذي ومختصر سنن أبي داود وصحيح ابن حبان.

وأما درة التاج في أعماله الحديثية بل أعماله كلها فهو اشتغاله بخدمة مسند الإمام أحمد ، حيث قضى في خدمة هذا الكتاب قرابة ٤٨ سنة! فهو قد بدأ سنة ١٩١١ في قراءته وكتابة مسودات يراجعها ويعدلها ، حتى طبع أول مجلد من المسند سنة ١٩٤٣م أي بعد ٣٢ سنة! ولما توفي سنة ١٩٥٩ كان قد طبع منه ١٦ مجلداً.

فالمسند هو كتاب عمره الذي عمل فيه وهو يقوم بعمله القضائي وبقية أعماله العلمية السابقة وبقية أعماله الإصلاحية الأخرى التي سنذكرها من كتابة المقالات وإلقاء المحاضرات ، والزيارات الدعوية وغير ذلك.

وهذا العمل في المسند يوضح بعضاً من شخصية أبي الأشبال ، فهو ينبئ عن شخصية لها هدف واضح محدد هو خدمة المسند ليصبح حقيقة إماماً للناس ، كما كان يتمنى الإمام أحمد نفسه رحمه الله ، ولذلك عكف على دراسته وخدمته هذه السنوات الطويلة دون ملل أو فتور.

ونستشف من هذا الجهد الكبير في وضع الفهارس العلمية المحررة عن عقلية مبتكرة فذة تعشق الإبداع والاجتهاد ، وتملك رؤية كلية للقضايا ، ولذلك كانت فهارسه متعددة الأغراض وملبية لحاجة معظم الناس من الفقهاء والمحدثين ، اسمع إليه وهو يقول عن فهارسه: «وقد قرأت من أجل هذا الفهرس كل فهارس كتب السنة ، وكتب الفقه ، وكتب السير ، وكتب الأخلاق ، التي تيسر لي الحصول عليها ، ثم ضمنت كل شبه إلى شبه ، وكل شكل إلى شكله وتخيرت في ترتيبها أقرب الطرق إلى عقل المحدث والفقهاء».

وأيضاً يكشف عمل شمس الأئمة أحمد شاكر عن رؤية إصلاحية علمية عصرية، فيقول: «المقصد الأول من هذا كله تقريب الإفادة من هذا (المسند) الجليل إلى الناس عامة، وأهل الحديث خاصة. حتى يصلوا إلى ما في السنة النبوية من كنوز قد يعسر عليهم الوصول إليها».

وهذا الهدف بتيسير وصول الناس للسنة النبوية، هدف سام وغاية نبيلة، ولا أدري هل تأثر الشيخ الألباني بها فجعل مشروع حياته «تقريب السنة بين يدي الأمة»؟

وأخيراً فإن الشيخ أحمد شاكر يقدم لطلبة العلم درساً عالياً في التواضع والوفاء والصدقة حين ذكر في مقدمته أن صديقه الطبيب السيد أحمد أحمد الشريف هو الذي حثه وشد من عزمه للتعليق على أحاديث المسند من جهة الضعف والصحة، وهذا يدل على أمانة علمية راقية تحتاج الأجيال المعاصرة إلى الاقتداء بها.

وفي مدح هذا الجهد العظيم قال الشيخ حامد الفقي: «هذا العمل العظيم حقاً، ليس وليد القراءة العاجلة، أو إزجاء الفراغ فيما يلذ ويشوق ويسهل، وإنما هو نتاج الكدح المتواصل، والتتقيب الشامل، والتحقيق الدقيق... وقد أنفق فيه صديقي نحو ربع قرن من الزمان، لو أنفقه في التأليف أو في نشر الكتب الخفيفة لكان لديه منها الآن عشرات وعشرات، ولجمع منها مالاً جزيلاً، وذكرراً جميلاً، ولكنه أثر السنة النبوية وتقريبها لطلابها على كل ذلك، فحقق الله أمله، وبارك في عمله».

علاقة الشيخ بجماعة أنصار السنة

المحمدية:

لا يعرف كثير من الناس أن الشيخ أحمد شاكر كان من أركان جماعة أنصار السنة المحمدية، وهذه العلاقة ترجع إلى زمن تأسيسها، فالشيخ أحمد شاكر والشيخ حامد الفقي رفيقا درب طويل في الدعوة للسنة ومنهج السلف،

وصداقتهما استمرت قريباً من ٥٥ سنة، وقد يكون السبب في عدم شيوع علاقة أحمد شاكر بجماعة أنصار السنة المحمدية هو عمله القضائي الذي كان يحول بينه وبين استلام ما يستحقه من مناصب قيادية فيها، وهذا يتبين من خطاب استقالته من رئاسة مجلة الهدي النبوي والتي قال فيها:

«حضرة صاحب الفضيلة أخي في الله الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

عهد إلي مجلس إدارة الجماعة، بحسن ظنه، أن أقوم بالإشراف على تحرير مجلة (الهدي النبوي) ابتداء من أول العام الهجري الحاضر (المحرم ١٣٧٠هـ) وقد قمت بما عهد إلي فيما استطعت والحمد لله، ثم جاء ظرف جديد: أن صدر حكم من مجلس الدولة يوم الخميس الماضي ٢٠ رجب ١٣٧٠هـ (٢٦ إبريل ١٩٥١م) بإلغاء القرار الصادر من وزارة العدل بإحالي إلى المعاش، وبذلك صرت مستمراً بمنصبي القضائي، وتعرفون ويعرف المجلس الموقر ما للمناصب القضائية من الحساسية التي قد تنافي مباشرة القاضي لعمل صحافي متصل، ولذلك أجدني مضطراً إلى الاعتذار عن الإشراف على تحرير المجلة، شاكراً لكم ومجلس الإدارة ما لقيت من تعاون وعطف، راجياً أن ترفعوا اسمي من عنوان المجلة، ابتداء من العدد القادم (عدد شعبان ١٣٧٠هـ)».

قد يستغرب البعض من هذا الخطاب الذي يشكل نموذجاً مثالياً للعمل الجماعي والإداري الشرعي والذي يصدر من قامات علمية عالية، إنها الحقيقة الغائبة عن كثيرين من أن الدعوة السلفية المعاصرة لم تنتشر وتظهر إلا بجهود ضخمة من علمائها المصلحين وبواسطة اتخاذهم الأسباب من إنشاء المؤسسات الدعوية والمدارس والصحف

والمجلات والأحزاب، والمشاركة في الشؤون العامة.

الشيخ أحمد شاكر كان عضوا مؤسساً لجماعة أنصار السنة المحمدية من بدايتها كما يؤكد الشيخ فتحي عثمان وكيل الجماعة، ولذلك كان أحمد شاكر من أعضاء هيئة علماء الجماعة التي تأسست سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م، ولما أحيل أحمد شاكر إلى التقاعد في عام ١٣٧٠هـ انتهزت الجماعة هذه الفرصة لتسند إليه رئاسة مجلتها (الهدي النبوي)، فكتب أبو الأشبال في مقدمة العدد الأول لسنة ١٣٧٠هـ يقول: «وهذه هي السنة الخامسة عشرة لمجلة «الهدي النبوي» وهي تسير على هُدى، موفقة إلى الخير بعون الله، داعية إلى الحق، إلى كتاب الله وسنة رسوله، متبعة مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم، لا تفرق بها السبل عن سبيل الله، وقد رأى إخواني أعضاء مجلس إدارة جماعة أنصار السنة، ومعهم أخي ورفيقي وزميل العمر في الدعوة الحقّة، الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي رئيس الجماعة ورئيس تحرير المجلة أن يعهدوا إليّ بالإشراف على تحريرها وإصدارها؛ تفضلاً منهم، ليكون لي شرف الإشراف العلمي معهم فيما هم بسبيله».

ولم تقتصر علاقة الشيخ أحمد على الهيئة العلمية ورئاسة تحرير المجلة، بل كانت له مقالات متعددة في مجلة الجماعة، منها: (القول الفصل في مس المرأة) عدد رمضان ١٣٥٦هـ، (الإنصاف فيما جاء في البسمة من الاختلاف) عدد صفر ١٣٥٨هـ، (عبد العزيز فهمي وعداؤه للعربية) عدد ذي القعدة، وذي الحجة ١٣٦٣هـ، (مقتل مالك بن نويرة) عدد المحرم ١٣٦٥هـ، وتكشف لك هذه العناوين عن سعة أفق الشيخ والمجلة في طرح هذه القضايا في ذلك الزمن المبكر.

ولعل من أهم مقالات الشيخ في مجلة الجماعة المقالات التي كتبها في زاويته الثابتة بعنوان (كلمة الحق)، والتي عرفها الشيخ أحمد شاكر بقوله:

«باب (كلمة الحق) وهو باب جعلته خاصاً بي، أقول فيه كلمة الحق في شئون المسلمين كلها، ما وجدت لقولها سبيلاً»، وقد طُبعت في كتاب مستقل لاحقاً.

وأيضاً حين منع حسين سري باشا رئيس الوزراء في عهد الأحكام العرفية البريطانية على مصر الشيخ شاكر من إلقاء محاضرة بجمعية الشبان المسلمين بعنوان «الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين بمصر» سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م، دون أن تطلع السلطات على مضمون المحاضرة، تولت جماعة أنصار السنة المحمدية طباعة المحاضرة في مطابعها، كما سجل ذلك ولده أسامة في كتابه أعلام العصر عن جده وأبيه وعمه، وسجله الشيخ في مقاله «ولاية المرأة القضاء - مرة أخرى».

وهذا كله يؤشر بوضوح عن الدور الرائد الذي قامت به جماعة أنصار السنة المحمدية، والمهام التي اضطلعت بها بخلاف ما يشيعه خصومها عنها من محدودية الهدف والدور.

وكان لأحمد شاكر دور آخر في جماعة أنصار السنة وهو تقديم المحاضرات وإدارة الندوات، كما فعل في ترتيبه لمحاضرة لأحد الشباب الذين لفت كتابه (الحرب الحديثة وما تلقينه على مصر والشرق العربي من دروس) نظر أحمد شاكر في مكتبة الخانجي سنة ١٩٤٣، فوجد فيه رؤية عميقة ونفساً صادقاً، فبحث عن المؤلف حتى عثر عليه، وراسله رغم أنه محامٍ وهو شاب صغير، فجاء واستقبله ورتب له محاضرة بدار جماعة أنصار السنة.

وكتب أحمد شاكر عن هذه القصة مقالاً بعنوان «نابغة الشباب الأستاذ رياض محمود مفتاح» يحسن أن نقف معه بعض الوقفات:

- في البداية أصل المقال هو كلمة أحمد شاكر في مقدمة محاضرة رياض مفتاح، وهذا من تواضعه وحسن خلقه.

- اكتشاف الطاقات وإبرازها خصيصاً لا يقدر عليها إلا الكبار، خاصة إذا كانت مع مَنْ هو أصغر سناً، وهذا يدل على سمو وعلو مكانة ونفسية أحمد شاكر، والذي جعل العنوان «الناطقة»، وهذا منهج يحسن الاقتداء به في تقديم الأذكياء.

- مما قاله أحمد شاكر في المقال والتقديم مفتخراً: «وأنا الذي عرّفته إلى رئيسنا الشيخ محمد حامد الفقي»، ما أجمل التواضع بين العلماء.

- وبعد أن نقل أحمد شاكر بعض عبارات النابعة رياض مفتاح في كتابه والتي تدور حول ضرورة العودة لإسلامنا في نهضة الأمة لا اعتماد المناهج الغربية، وأن الإسلام منهج شامل لصالح البشرية، أخبر أنه حين عثر على عنوانه أرسل له رسالة فاتحة للتعرف قال فيها: إنك كتبت «في قضية نعمل من سبيلها منذ أكثر من عشرين سنة، حتى لقد كدنا أن نضعه، ودعوتُه أن يضع يده في يدنا، وأن يكون قائداً في جهادنا يثبت فينا من عزيمته القوية الفتية، ويرشدنا بما وفقه الله إليه من علم ونور»، يا الله كم كان الشيخ أحمد شاكر مخلصاً لقضيته وهداية أمته ورفعته، لم يكن يبحث عن المجد والصفوف الأولى كان يبحث عن القوي الأمين، فهلا سرنا على دربه الإصلاح.

ولا بد من التنبيه على أن الخلاف الذي وقع بين الشيخين أحمد شاكر وحامد الفقي، كان خلافاً علمياً، اشتط القول فيه قليلاً، ثم سرعان ما تصافى الشيخان ولم يؤثر على علاقتهما، بل لقد توفيا بعده بسنوات معدودة وهما على أخوة ووفاق، رحمهما الله.

جوانب من دوره الإصلاحية:

- مر معنا أن الشيخ مارس القضاء وبسبب ذلك عمل على إصلاحه، مواصلاً طريق والده، ولم يقتصر ذلك على مصر، بل كتب في ذلك إلى الملك

عبد العزيز آل سعود وذلك للعلاقة الوثيقة التي كانت بينه وبين الدولة السعودية، ومن عمله في إصلاح القضاء تأليفه لكتاب (الطلاق)، وذلك لأن الطلاق مشكلة اجتماعية ضخمة تعاني منها كثير من مجتمعات المسلمين، وهذا الكتاب دليل واقعي وعملي على أن منهج التمسك بالكتاب والسنة وفهم السلف هو الكفيل بتقديم الحلول الصحيحة والسليمة لواقع الأمة، قال أبو الأشبال عن منهجه فيه: «إنما هي أبحاث علمية حرة، على منهج أبحاث المجددين الصادقين، من السلف الصالح رضوان الله عليهم»، وقال عنه رفيق عمره حامد الفقي: «فهذا بحث طريف، عالج فيه أخي في الله الأستاذ العالم المحقق، المجتهد «ومحدث مصر» السيد أحمد محمد شاكر: موضوعاً خطيراً وحل به مشكلاً اجتماعياً، طالما ضاقت منه الصدور، وحرجت به نفوس. ولقد كان يفكر في أمثال هذه المسائل من نيف وعشرين سنة».

- الشيخ أحمد شاكر يحرص على الاجتهاد في نوازل العصر، ولذلك من القضايا التي اهتم بها مسألة الشهور العربية واعتماد الحسابات الفلكية، ورغم أنه كان في صغره رافضاً لاعتماد الحسابات ومؤيداً لوالده في ذلك وكتب رسالة في هذا الصدد، إلا أنه حين تعمق في بحثها غير رأيه وأعلن تراجعاً بوضوح في كتابه (أوائل الشهور العربية)، في أمانة علمية يشكر عليها، وفي خطوة عملية لاعتماد العلم الصحيح في كافة مناحي الحياة.

- كان الشيخ واضحاً في رفض القوانين الوضعية، وأنها تصادم الشريعة ولا يجوز القبول بها، وله عدة مقالات وخطب ومحاضرات وكتب حول ذلك منها: «تحكيم القوانين» و«الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين بمصر» و«حكم الجاهلية»، وكان للشيخ منهج واضح وراسخ مع مقاومة هذه القوانين، وذلك بنقد العنف والاعتقالات، فهو يقرر أن: «الإسلام يكره العنف

والهوج، وهو بجانب هذا يحتقر الجبن والذل ويرفض من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض»، ولذلك رفض الشيخ وأدان اغتيال رئيس الوزراء النقراشي نهاية سنة ١٩٤٨م، وكتب مقاله القوي «الإيمان قيد الفتك»، ويبدو أن المقال تسبب في تهديد الشيخ بالاغتيال فتمّ وضع حراسة على بيته.

والمنهج الذي ارتضاه شاكر لإعادة تحكيم الشريعة يتمثل بما قاله في محاضرة/ كتاب «الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين بمصر» سنة ١٩٤١م، من اتخاذ خط التدرج بسن القوانين الإسلامية المتحررة من جمود المذاهب الفقهية، من خلال القضاة ورجال القانون، وإقرار ذلك بالقنونات الرسمية كالبرلمان وغيره، يقول أحمد شاكر: فالخطة العملية فيما أرى: «أن تختار لجنة قوية من أساطين رجال القانون وعلماء الشريعة، لتضع قواعد التشريع الجديد، غير مقيدة برأي، أو مقلدة لمذهب، إلا نصوص الكتاب والسنة».

وبعد عشر سنوات أعاد الشيخ التأكيد على هذا الرأي والسبيل لتحكيم الشريعة، فنقل في مقاله «ولاية المرأة القضاء - مرة أخرى» (الهدى النبوي عدد ربيع أول ١٣٧٠هـ) ما كان كتبه من قبل في كتابه (الشرع واللغة): «وبينت لهم السبيل الذي نسلكه، إنه السبيل الدستوري السلمي، أن نبث في الأمة دعوتنا، ونجاهد فيها ونجاهر بها، ثم نصولكم عليها في الانتخابات، ونحتكم إلى الأمة، ولن فشلنا مرة فسنفوز مراراً، بل سنجعل من إخفاقنا في أول أمرنا، مقدمة لنجاحنا، بما يحفز من الهمم، ويوقظ من العزم».

وكان قد قال في كتابه «الشرع واللغة»: «ضعوا القوانين على الأساس الإسلامي، الكتاب والسنة، ثم افعلوا ما شئتم، فليحكم بها فلان أو فلان، لسنا نريد إلا وجه الله»، هذا هو منهج الشيخ أحمد شاكر في الإصلاح لتحكيم الشريعة.

تكريم الشيخ:

كان الشيخ موضع حفاوة من العلماء والفضلاء في حياته وبعد مماته، ففي حياته كانت له صلات وطيدة بكبار العلماء في غالب البلاد، وكانت فتاواه واجتهاداته موضع قبول وترحاب.

وقد تم تكريمه بعد وفاته، فقد مُنح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في مصر سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، وفي السعودية تم منحه جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود التقديرية لخدمة السنة النبوية في دورتها الثانية ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

وفاته:

توفي الشيخ في ذي القعدة ١٣٧٧هـ / يونيو ١٩٥٨م. رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في جنته، والحمد لله رب العالمين.

مراجع للتوسع:

- من أعلام العصر، أسامة أحمد شاكر، بدون ناشر، ط ١، ٢٠٠١م.
- الصبح السافر في حياة العلامة أحمد شاكر، رجب بن عبد المقصود، دار ابن كثير، الكويت، ط ١، ١٩٩٤م.
- الثمار الشهية والتراجم الذكية لعلماء أنصار السنة المحمدية وإخوانهم، الشيخ فتحي أمين عثمان، دار ابن عباس، مصر، ط ١، ٢٠١١م.
- جماعة أنصار السنة المحمدية، د. أحمد محمد الطاهر، دار الفضيلة، السعودية، ط ١، ٢٠٠٤م.
- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.

الوجه الآخر

١- محمد حسين فضل الله

هينم الكسواني^(١) - خاص به «الرائد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبت
حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من
معتقداتها ونظرتها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله من أكثر الشخصيات الشيعية المعاصرة التي التبت حقيقتها على أهل السنة،

ذلك أن الإعلام، على اختلاف توجهاته، دأب على تقديم فضل الله بوصفه مرجعاً عربياً معتدلاً ومنفتحاً، ومشككاً في بعض الخرافات الشيعية التي تعيق الوحدة مع أهل السنة، ورافضاً لولاية الفقيه الإيراني.

وفي هذه الحلقة اقتراب أكثر من شخصية فضل الله، ودراسة لتوجهاته ومدى التزامه بعقيدته الشيعية ونظراته إلى مذهب أهل السنة، وحقيقة ما يوصف به من أنه مع الوحدة الإسلامية والتقارب مع السنة.

أولاً: حياته ونشأته

ولد محمد حسين فضل الله في مدينة النجف بالعراق العام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)؛ حيث مكث والده عبدالرؤوف فضل الله هناك مدة تقارب الثلاثين

(♦) كاتب أردني.

عاماً، للدراسة والتدريس. وفي النجف درس الابن على يد أبي القاسم الخوئي، ومحسن الحكيم (وهو خال والدته)، ومحمد باقر الصدر، وعمل مع هذا الأخير على إنشاء حزب الدعوة. وفي سنة ١٩٦٦ عاد فضل الله إلى لبنان للاستقرار فيه، وأسس هناك (المعهد الشرعي الإسلامي) في منطقة النبعة في العاصمة بيروت، والذي كان منطلق حركته ونشاطه. كما أسس بعد ذلك العديد من الحوزات والمؤسسات الاجتماعية، والثقافية، والإعلامية^(١).

ثانياً: توجهاته ونشاطه

كان لفضل الله نشاط قوي في أوساط الشباب الشيعي في بيروت بوجه خاص. وهو يعد الأب الروحي لحزب الله، رغم أنه لم يتسلم فيه موقعاً قيادياً أو يرتبط به بعلاقة تنظيمية^(٢)، وقد استطاع خلال وجوده في لبنان أن يكون قاعدة من الأتباع والمقلدين امتدت إلى خارج لبنان، ساعده في ذلك النشاط الفكري والإعلامي الكبير الذي قام به، وامتد حوالي أربعة عقود عبر الخطب والمحاضرات والكتب والمجلات والصحف، إضافة إلى نشاطه السياسي وقدرته على بناء قاعدة حزبية عريضة، وتربية كوادر قيادية في (حزب الدعوة الإسلامية) و(حزب الله).

(١) الموقع الرسمي لفضل الله على شبكة الإنترنت (بيانات).

(٢) انظر المزيد: التجمعات الشيعية في بلاد الشام، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، ص ٦٥ - ٦٨.

ومنها كذلك: الموقع الاستراتيجي في لبنان، والذي أعطاه القدرة على الحركة والعمل والامتداد إلى مناطق الثروة الشيعية كالخليج والقدرة على جمع المال (الخمس والزكاة) من المريدين، وتمويل المشاريع الخيرية والمؤسسات الثقافية، وما إلى ذلك^(١).

وقد توفي فضل الله في ٢٠١٠/٧/٤ م.

ثالثاً: الصورة الدارجة عنه

وتتلخص في:

- ١- الاعتدال، والانفتاح على مذهب أهل السنة.
- ٢- رفضه للعديد من الخرافات الشيعية، مثل الشهادة الثالثة في الأذان، وتشكيكه في كسر الفاروق عمر رضي الله عنه لضلع فاطمة الزهراء.
- ٣- رفضه لولاية الفقيه الإيراني.

رابعاً: وجهه الآخر

عند التمهيد في كتابات فضل الله وفتاواه يتضح أن ثمة بوناً شاسعاً بين الصورة الدارجة عنه وبين حقيقته، كما يتضح ذلك في:

نظرته إلى أهل السنة ومذهبهم

ففضل الله لا يعتبر مذاهب أهل السنة مساوية لمذهبه الشيعي، بل لا يعتبرها على حق، فقد سئل السؤال التالي: هل يجوز التعبد في فروع الدين بالمذاهب السنية الأربعة وكذلك بقية المذاهب غير الشيعية؟

فأجاب: «لا يجوز التعبد بأي مذهب إسلامي غير مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنه المذهب الذي قامت عليه الحجة القاطعة»^(٢).

وفي موضع آخر يعتبر فضل الله التشيع الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في

حين يعتبر مذهب أهل السنة اجتهادات ووجهات نظر، كما يتضح ذلك من إجابته على السؤال التالي:

تقولون - وبحسب عقيدتنا الإمامية - إن نسبة الشيعة إلى المذهب الجعفري غير دقيقة، فكيف تفسرون ذلك؟

وبالرغم من طول الإجابة إلا أننا نضعها أمام القارئ الكريم لخطورتها. يجيب فضل الله على ذلك بقوله:

«تعرفون أن هناك مذهباً شافعيًا وحنبليًا ومالكيًا وحنفيًا، ويقولون أيضاً عن المسلمين الشيعة إنهم ينسبون إلى المذهب الجعفري. وبحسب عقيدتنا نحن الشيعة الإمامية أن الأئمة من أهل البيت (ع) ليسوا مجتهدين كبقية المجتهدين. فأبو حنيفة مثلاً - حتى عند من يقلده ويتبعه - يُصيب ويخطئ. وكذلك ابن حنبل وغيرهما، وبعض المسلمين من غيرهما من المجتهدين يقلدونهم - كما نقلد نحن السيد الخوئي (قده) - فأئمة المذاهب يقلدوهم من يرى أنهم مجتهدون، أما نحن عندما تتبع أئمة أهل البيت (ع) إنما نفعل ذلك لاعتقادنا بعصمتهم وأنهم لا يُخطئون أبداً، ولذا فإنهم (ع) ليسوا أصحاب مذهب، فمذهب أبي حنيفة يسمى وجهة نظر.

ولكن مذهب الإمام الصادق (ع) ليس وجهة نظر يمكن أن تخطئ ويمكن أن تصيب، بل هي على صواب دائماً فهو يقول (ع): «حديثي حديث أبي^(٣)، وحديث أبي حديث جدي^(٤)، وحديث الحسين^(٥)، وحديث الحسن^(٦)، وحديث الحسن حديث أمير

(٣) أي محمد الباقر، الذي يعتبره الشيعة خامس أئمتهم المعصومين.

(٤) أي علي بن الحسين زين العابدين، الذي يعتبره الشيعة رابع أئمتهم المعصومين.

(٥) الحسين بن علي رضي الله عنهما، الذي يعتبره الشيعة ثالث أئمتهم المعصومين.

(٦) الحسن بن علي رضي الله عنهما، الذي يعتبره الشيعة ثاني أئمتهم المعصومين.

(١) مقال: «السيد محمد حسين فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكو من الإرهاب الفكري»، أحمد الكاتب، صحيفة الحياة بتاريخ ١٩٩٩/١/٢٥.

(٢) مسائل عقديّة، ص ١١٠.

المؤمنين^(١)، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله عن قول الله عز وجل.

فنحن عندما نستمع الى رأي الإمام الصادق (ع) في مسألة ما، فكأننا نستمع الى رأي رسول الله ﷺ الذي لا يُخطيء مطلقاً.

ولذلك ليس مذهب الشيعة مذهباً اجتهادياً يخضع كغيره للصواب والخطأ، بل هو مذهب الإسلام الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] في المصادر الأصلية الثابتة - بشكل موثق - عن الأئمة (ع)^(٢).

موقفه من ولاية الفقيه

لا يكاد موقفه من ولاية الفقيه الإيراني يختلف عما سطره الخميني وغيره من علماء الشيعة، من حيث إعطاء الفقيه السلطات الواسعة، ومساواته بالأنبياء، وجعله فوق الشريعة والقانون، إذ يقول فضل الله: «إن رأي الفقيه هو الرأي الذي يعطي للأشياء شرعية بصفته نائباً عن الإمام، والإمام هو نائب النبي ﷺ، وكما أن النبي ﷺ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فالإمام هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والفقيه العادل هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(٣).

ويقول في موضع آخر: «فالواقع أن شرعية كل الأمور تنطلق من إمضاء الفقيه لها؛ وهذا يعني أن رئيس الجمهورية لا يستمد سلطانه من الشريعة الإسلامية، أو الدولة الإسلامية من انتخاب الناس له، وإنما من إمضاء الفقيه لرئاسته، والأمر ذاته يطبق بالنسبة للنواب في مجلس الشورى والخبراء في مجلس الخبراء وغيره من المؤسسات الدستورية في

الدولة»^(٤).

كسر ضلع الزهراء

وملخص هذه القضية أن الشيعة يزعمون أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وكسر ضلعها، وأسقط جنينها، ويستغل الشيعة هذه الفرية لتوجيه مزيد من الكره واللعن للفاروق رضي الله عنه. وعند النظر في موقف فضل الله من هذه الفرية لا نجده ينكرها، بل يقول حولها كلاماً ملتبساً يهدف إلى دغدغة عواطف السنة، إضافة إلى استمراره في النهج الشيعي في الإساءة إلى عمر رضي الله عنه كما يتضح ذلك من قوله:

«أنا من الأساس لم أقول: إنه (أي عمر) لم يكسر ضلع الزهراء عليها السلام، وكُلُّ من ينسب إليّ ذلك فهو كاذب، أنا استبعدت الموضوع استبعاداً، رسمت علامة استفهام على أساس التحليل التاريخي، قلت: أنا لا أتفاعل مع هذا؛ لأن محبة المسلمين للزهراء عليها السلام كانت أكثر من محبتهم لعلي وأكثر من محبتهم للحسن والحسين، وفوقها محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قلت: إنه من المستبعد أن يُقدّم أحدٌ على فعل ذلك، مع الإقرار بوجود نوايا سيئة ومُبيّنة، ليس لبراءة فلانٍ من الناس، بل خوفاً من أن يهيج الرأي العام الإسلامي، وفي هذا المجال هناك روايات مختلفة، فبعضهم يقول: دخلوا المنزل، والبعض الآخر يقول: لم يدخلوا، فقلت: أنا أستبعد ذلك ولا أتفاعل مع الكلمة نفسها»^(٥).

مقام أبي لؤلؤة

حاول فضل الله إيجاد أعذار للحكومة الإيرانية في إبقائها على مقام أبي لؤلؤة المجوسي (قاتل

(١) أي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي يعتبره الشيعة أول أئمتهم المعصومين.

(٢) فقه الحياة، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) حقيقة المقاومة ص ٦١، نقلاً عن: ولاية الفقيه، ص ٥٥.

(٤) حقيقة المقاومة ص ٦١، ٦٢، نقلاً عن: ولاية الفقيه، ص ٢٤.

(٥) كتاب الزهراء المعصومة، أنموذج المرأة العالمية» محمد حسين فضل الله ص ٥٥.

الفاروق عمر) في إيران، كما لم يخلُ كلامه من لمز عمر والطنع فيه، إذ يقول:

«نحن نرفض أن يكون لأبي لؤلؤة مقام أو مشهد، لأنه لا يمثل قيمة إسلامية تفرض على المسلمين أن يقدروه وأن يحترموه. أما مسألة اغتياله للخليفة عمر بن الخطاب فإنه لا يمثل مسألة فقهية إيجابية في هذا المقام، بل قد يمثل مسألة سلبية... نحن تحدثنا مع بعض المسؤولين في إيران لأن هذا يمثل مسألة سلبية في نظرة العالم السني إلى الجمهورية الإيرانية.. نحن ندعو الجمهورية الإيرانية بقيادتها الكبيرة أن تزيل هذا الموقع كجزء أو كلون من ألوان التوفيق بين المسلمين جميعاً، ولكننا نعرف أن بعض المشاكل الداخلية العاطفية الانفعالية المتعصبة قد تمنع القيادات الإسلامية الإيرانية من القيام بذلك»^(١).

الشهادة الثالثة

وتعني قول «أشهد أن علياً وليّ الله» في الأذان والإقامة. وبالرغم من رفض فضل الله لإضافة هذه العبارة في الأذان لأنها لم تكن عند الشيعة الأقدمين، إلا أنه يعتبر أن ولاية علي من «العقائد الحقّة»، ثم يكيل الاتهامات إلى الصحابة معتبراً أنهم نازعوا علياً في الإمامة، وغضبوا حقه فيها، كما في قوله:

«الشهادة لمولانا أمير المؤمنين (ع) بالولاية هي من العقائد الحقّة، لكن لم يرد ذكرها في فصول الأذان والإقامة في النصوص الواردة عن النبي ﷺ وآله الأطهار (ع)، كما أنه لم يرد ذكرها في كتب قدامى الفقهاء، بل ورد عند بعضهم، كالشيخ الصدوق (ره)، النهي عن قولها في الأذان والإقامة، لأنها من صنع الغلاة والمفوضة حسب كلامه.

وعلى هذا الأساس، رفضنا إضافة «الشهادة الثالثة»، رغم اعتقادنا الجازم بإمامة علي (ع)، وكونه الوصي المنصوص عليه من النبي ﷺ بالخلافة والوصاية والإمامة بعده دون فصل، وبأن من نازعه في ذلك هو غاصب لحقه عمداً وظلماً وإصراراً على مخالفة ما يعلمه من وصية النبي ﷺ حقاً»^(٢).

موقفه من الإمامة والرجعة والمهدي

لا يختلف موقف فضل الله من الإمامة عن موقف بقية الشيعة الإثنى عشرية، وكذلك موقفه من عقائد الشيعة الأخرى كالمهدي والرجعة والعصمة، وعندما حاول الباحث الشيعي أحمد الكاتب الإشادة بأفكار فضل الله (الإصلاحية) الجريئة والجديدة، ومراجعته للتراث الشيعي، تصدى له مكتب فضل الله وفنّد ما ذهب إليه الكاتب، معتبراً أن ما ورد في مقاله مغالطات ينم عن عدم معرفة ودراية أكيدة بفكر فضل الله.

وذكر القائمون على مكتب فضل الله أنه يعتبر الشهادة الثالثة من حقائق الإيمان والتشيع، وأن العصمة ثابتة ولا نقاش فيها، وكذلك عقيدة الشيعة في المهدي من المسلمات التي لا نقاش فيها، وأما الرجعة فالكلام حولها في التفاصيل وليس في المبدأ، أما مسألة البداء فاعتراضه هو على التسمية^(٣).

(٢) موقع بيّنات.

(٣) مقال: «السيد محمد حسين فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكو من الإرهاب الفكري»، وردّ مكتب فضل الله على المقال.

(١) كتاب «التقارب السني الشيعي، بين حق الاختلاف ودعوى امتلاك الحقيقة»، ص ١٨٣.

تعكس إلى أي مدى كان يتسم تعاظمي الخليفة الثاني رضي الله عنه باليقظة مع كل من حوله دون أن يكون هو نفسه متمثلاً لسلوك المخادعين منهم.

وتحقق ذلك يحتاج إلى أمرين لا يقل أحدهما

أهمية عن الآخر، يتمثل أولهما في اتباع نهج القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ، التي تمنح المؤمنين بهما حصانة من الوقوع في فخ خداع المخادعين حيث الرؤية الشمولية المستندة لفهم عميق وواقعي لطبائع البشر ومكنونات النفس البشرية التي يغلب عليها الضعف أمام الشهوة والرغبة وهو أمر لطالما لفت القرآن الكريم إليه حتى أنه خصص له أكبر آياته وهي آية «الدين» بسورة البقرة والتي جاءت لتفصيل الضمانات التي يجب أن تكون بين الدائن والمدين وفي مجتمع المؤمنين حيث جاء الخطاب فيها بـ «يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين فاكْتبوه..» ولا يعني ذلك تشكيك القرآن في الدائن أو المدين ولكن مقصود القرآن - والله أعلم - هو اتخاذ إجراء استباقي يحول دون زلة النفس أمام الشهوات والرغبات.

أما الأمر الثاني فيتمثل في الاستعانة بأهل

الخبرات وإدراك الواقع بما يشكل تصوراً كاملاً لدى العاملين والفاعلين بالأمور السياسية إذ لا يمكن لشخص واحد أو جماعة مهما كانت متابعتهم وقدراتهم الإمام بكل شيء، ومن ثم فإن العودة لأهل الاختصاص في كل منحى بات أمراً مسلماً به لتقليل الأخطاء.

شعبة مصر والخداع...

هل يعي الإخوان الدرس؟

أسامة الهنيمي^(١) - خاص بالراصد

ربما لم يحظ أمر من الأمور بانتقاد قدر ما

حظيت السياسة، التي رسخت في أذهان الكثيرين بأنها لا تعدو عن كونها ألعيب ومؤامرات وتحقيق المصالح ولو كان ذلك على حساب القيم والمبادئ، أو تجاهل الآخرين أو إصابتهم بالضرر، وهو ما دفع العاملين بها من الإسلاميين إلى تكرار القول بأن الفارق الجوهرى بين ممارساتهم للسياسة وبين ممارسة غيرهم هو تمسكهم بالبعد الأخلاقي في هذه الممارسة، الأمر الذي يجعل من ممارستهم محاولة لتقصي المصلحة العامة وكل ما يمكن أن يحقق للجميع الحياة الأفضل.

لكن في المقابل فإن محاولات إظهار حسن

النية والتزام قيم النزاهة والشفافية ليست هي في الحقيقة كل المعايير التي يفترض أن يتبناها العاملون في حقل السياسة من الإسلاميين، إذ أن ثمة معايير أخرى يجب أن يراعيها هؤلاء، وهي معايير تحفظية أكثر منها سيرا أو اتباعاً لنهج النفعيين والبراجماتيين من السياسيين، فالخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يردد دائماً «لست بالخب ولا الخب يخدعني»، وهي عبارة

(١) كاتب مصري.

السطور السابقة لم تكن ترفاً فكرياً بقدر ما هي مقدمة لازمة تكشف عن الخطأ الأفدح الذي ارتكبه جماعه الإخوان المسلمين خلال توليها لسدة الحكم في مصر طيلة عام كامل كما تكشف في ذات الوقت عن طبيعة المنهج الذي تبناه قيادات الشيعة المصريين في التعامل مع الإخوان والذي لم يتجاوز مفهوم الخداع والخديعة قيد أنملة إذ تأخذك الدهشة والعجب إزاء كل هذا الحقد وهذه الكراهية التي تقطر بها كتابات قيادات الشيعة المصريين تجاه الجماعة وسياساتها بعد أن تدخل الجيش المصري بقيادة مجلسه العسكري لإقالة الرئيس الدكتور محمد مرسي من منصبه في نهاية يونيو ٢٠١٢م على الرغم من كل ما فعله الإخوان المسلمون من أجل إرضاء عيون هؤلاء الشيعة الذين يمثلون أقلية لا تذكر ما كان سبباً في دخولهم في خصومة مع رفقاءهم من أبناء التيارات والقوى الإسلامية الأخرى التي كانت وما زالت تنظر لهؤلاء الشيعة بكثير من الحذر والتحفظ نظراً لعلاقات بعضهم بالدولة الإيرانية التي ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن مشروعها في المنطقة مشروع طائفي توسعي بالدرجة الأولى.

ولعل أكبر دليل على ذلك موقف الدولة الإيرانية والشيعة المصريين من تطور الأحداث بالدولة الإيرانية وكما أشرنا في مقال سابق كانت الأسرع في تغيير موقفها الرسمي فلم تكدر ساعات على رفضها لتدخل الجيش وإقالة الرئيس مرسي حتى سارعت بعد ذلك إلى تأييد هذه الخطوة والاعتذار لمصر عن موقفها السابق معتبرة أن أحداث ٣٠ يونيو ثورة شعبية وأن ما فعله الجيش ليس إلا استجابة لإرادة الشعب.

فيما لم يتوان شيعة مصر وقياداتهم ومنذ بداية التحرك المضاد لمرسي وجماعة الإخوان من التعاون والتنسيق مع كل القوى المناوئة لهم انتقاماً من موقفهم من الثورة السورية فضلاً عن أحداث قرية أبو مسلم بمحافظة الجيزة والتي أسفرت عن مقتل

الشيعة حسن شحاته وأربعة من المتشيعين بالقرية حيث ربط قيادات شيعة مصر بين وقوع الحادث ولقاء استاد الجماهيري الذي شارك فيه الرئيس مرسي وعدد من علماء السنة للإعلان عن موقف مصر من تطورات الأوضاع في سوريا.

والمحصلة أن أدق ما يمكن أن نصف به سلوك إيران وبعض الشيعة في مصر بشأن الإخوان قبل السقوط هو ما أشار إليه المثل الشعبي المصري «يضرب ويلاقى» فلا هم تماماً ضد مرسي والإخوان المسلمين ولا هم بجملتهم يؤيدونهم وذلك كأداة من أدوات الضغط على نظامهم لابتزازهم والحصول على أكبر قدر من المكاسب الممكنة.

غير أن الأمور اتضحت تماماً وانكشفت على حقيقتها المواقف الأساسية فما أن أقيّل مرسي وأزاحت جماعة الإخوان حتى توالى مقالات وتصريحات وتعليقات قيادات الشيعة التي أكدت ملاحظتين يجب لفت الانتباه إليهما:

الأولى: أن الإخوان يجب أن يعيدوا النظر في موقفهم من الشيعة والدولة الإيرانية وأن يتجاوزوا حدود موقف الأستاذ حسن البنا الذي ربما لم يتح له فرصة التعرف على حقيقتهم.

الثانية: أن يتخلى الإسلاميون بجملتهم عن الاعتقاد بأن جماعة الإخوان المسلمين الأنضج فكرياً وسياسياً بين الإسلاميين ومن ثم فهي الأولى بتصدر المشهد السياسي بعد أن ثبت بأنهم فشلوا في صوغ رؤية واقعية ومناسبة للتعامل مع الشيعة وإيران.

التشفي والاستعداد

المتأمل في كتابات بعض الشيعة المصريين البارزين لا يحتاج لكثير معاناة ومشقة في إدراك ما أشرنا إليه والأعجب أن بينها جميعاً ما يشبه التوافق والانسجام وكأنها تنفيذ لخطّة موضوعة بين هؤلاء جميعاً في حال سقط الإخوان إذ وبين يوم وليلة يصبح الإخوان جماعة إرهابية وإقصائية وفاشلة وعميلة لأمريكا والغرب بل وصل الأمر بأحدهم وهو محمود جابر الأمين العام لحزب

«التحرير» الشيعي إلى أن يدعو لتوجيه الاتهام لكل من يتحدث عن مصالحة بين الجماعة الإرهابية - قاصداً جماعة الإخوان - والدولة والشعب في الوقت الذي تعيش فيه الجماعة حالة من الهجوم الشديد عليها تمثل في قتل واعتقال عناصرها.

بل اعتبر جابر في إطار تعليقه على حادثة كنيسة الوراق أن ما أسماه بالإرهاب الأسود عاد ليُطل برأسه من جديد بعد أن مهّدت لازدهاره فترة حكم جماعة الإخوان المحظورة طيلة العام الماضي واستقدام الجماعة عدداً من رموز الإرهاب الدولي من كل أفاق الأرض من أجل أن يتخذوا من مصر قاعدة لهم يحمون من خلالها نظام حكمهم ويهاجمون معارضيه.

ولم يفتأ يردد جابر نفس الاتهام لجماعة الإخوان بالإرهاب في مقالاته متفقاً في ذلك مع التيارات والقوى الليبرالية واليسارية التي اعتبرت أن ترويج هذا الاتهام أحد أهم أدوات التخلص من الإسلاميين وإقصائهم.

ففي مقال له نشر يوم ١١/٨/٢٠١٢ بموقع الحوار المتمدن تحت عنوان «استقيموا يرحمكم الله»، قال جابر: «منذ حوالى أكثر من شهر وجماعة الإخوان وأخواتها يقيمون في رابعة العدوية وميدان النهضة بالجيزة وقاموا بتحويلهما من ساحة تظاهر إلى ساحات إرهاب وتخويف وتهديد لكل المصريين الذين خرجوا عليهم في ٣٠/٦/٢٠١٢ من أجل خلع محمد مرسى».

وأضاف جابر: «رابعة والنهضة... أصبحتا يمثلان مشروعاً يهدد أمن مصر ويهدد السلم الاجتماعي ونحن لا نقول هذا الكلام انطلاقاً من كراهيتنا للإخوان أو رفضنا لممارستهم السياسية والأخلاقية - وإن كان هذا صحيحاً - ولكن وجود مجموعة بشرية من السكان تدعو إلى الخروج عن النظام العام وتعادي الشرطة والجيش وتعترف بأنهم هم من يقوم بدعم وعمل كل الأعمال الإرهابية ضد الجيش في سيناء وكون هذه المجموعات تخزن سلاحاً ووقوداً للاستعمال في مقاومة الشرطة وتقوم

بإقتلاع الأرصفة وتبني سواتر وحوايط في نهر الطريق العام واستجلابها للمجموعات من الإرهابيين من كل مكان من المعمورة وقيام هذه الجماعة بمخالفة العرف العام والتقاليد العامة وشرعنة نوع من أنواع النكاح لم يرد في الكتاب والسنة ولا في اجتهاد الأولين ولا الآخرين فهذه جريمة يحاسب عليها القانون وكون هذه الجماعة تحتل مداخل العمارات في تلك المنطقة وتؤذي سكانها والكثير منهم قد هجروا بيوتهم فهذه تضاف إلى قوائم الجرائم التي ترتكبها تلك الجماعة من الناس».

وكما هو واضح فإن جابر اعتبر أن كل الشائعات التي أثّرت من قبل الجهات الأمنية والمعادية للإسلاميين حول اعتصامي رابعة والنهضة حقائق ومسلمات لا جدال حولها فأوردتها بمقاله دون نظر أو تعليق أو حتى الإيهام باحتمالية صحتها أو خطئها وذلك ليحقق الهدف والمراد من مقاله حيث استعداء الأجهزة الأمنية ضد الإخوان والإسلاميين فيقول «ولكن السؤال: من هو المسئول عن فرض النظام العام وتوقيف كل من يخالفه ومحاكمته؟» .. أين الحكومة وأين الداخلية وأين رئيس الجمهورية المؤقت؟ ثم أين الجيش الذي طالب رئيس المؤسسة من الجماهير المصرية النزول في ٢٦/٧/٢٠١٢ وحسب التقارير الواردة والرسمية فإن أعداد الذين نزلوا تتراوح من ٣٠ إلى ٣٢ مليون مصري من أجل تفويض الجيش».

ثم يحاول جابر أن يبدو وكأنه يهدد الفريق عبد الفتاح السيسي الذي حصل على تفويض الشعب ذلك لأنه لم يتحرك كما يريد لفض اعتصامي رابعة والنهضة فيقول «وأقول للجميع من أصحاب المسؤولية إن الشعوب لا توقع على بياض.. وإن التفويض الذي منحكم إياه الشعب في ٢٦/٧ يمكن أن يسحب منكم في أي وقت».

والموقف الذي تبناه جابر هو بالأساس موقف أستاذه وقائده الدكتور أحمد راسم النفيس، ففي «تويته» له يوم ٣٠/٨/٢٠١٣ على حسابه بموقع

التواصل الاجتماعي «فيس بوك» يقول: «اقترح مضمون يعيد مرسى إلى الكرسي: الجيش الإخواني الحر يضرب متظاهرين بالكيماوي وينادي واهاه واهاه واهاه وأطلسيا والباقي معلوم....» وهي محاولة للسخرية من الإخوان المسلمين فضلا عن اتهامهم بالعمالة لأمريكا وحلف الناتو.

ولم يكتب الدكتور النفيس في توثيق موقفه من الإخوان بتعليقاته على حساباته أو مقالاته التي ينشرها في عدد من الصحف المصرية بل امتد ذلك إلى أن كتب كتابا صدر في شهر سبتمبر الماضي تحت عنوان «الإخوان المسلمون.. شعب الله المختار» اتهم فيه الإخوان بشكل صريح بأنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب الحقيقة مستندا في ذلك إلى أقوال ومواقف مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا ومنها قوله: «نحن أيها الناس ولا فخر أصحاب رسول الله وحملته رأيت من بعده ورافعو لوائه كما رفعوه وناشرو لوائه كما نشروه، وحاملو قرآنه كما حملوه ورحمة الله للعالمين ولتعلن نبأه بعد حين» وهو ما علق عليه النفيس بقوله «إن الإخوان يرون ما عداهم من الأغيار ليس لهم حق إلا ما يقرره شعب الله المختار».

وفي تصريح له يوم ٢٣/١١/٢٠١٢ أكد النفيس أن جماعة الإخوان جماعة إرهابية محظورة لأنهم هم من أسسوا ثقافة العنف والإرهاب والقتل والخراب.

وفي حوار آخر قال النفيس إن الإخوان المسلمين لا يمتلكون مشروعا فكريا أو سياسيا من الأساس وإن مشروعهم هو الوصول لسدة الحكم فقط وأنهم يعتبرون أنفسهم فقط المسلمين وغيرهم كفار، مستبعدا إمكانية إقامة دوله خلافة الإسلامية.

ولا يخرج السيد الطاهر الهاشمي أحد قيادات الشيعة عن نفس الإطار فيقول في تصريح له إن تيار الإخوان والسلفيين بحكم جهله ورؤيته التكفيرية مستعد - بل ومتعطش - لسفك دم كل من يخالفه الرأي وهو أيضا لا يخل من أجندة تابعة

للكيان الصهيوني.

وفي حوار له وردا على سؤال حول رؤيته لحال ومستقبل الشيعة في مصر بعد رحيل الإخوان المسلمين؟ قال «لن يكون هناك أسوأ من أيام حكم الإخوان لمصر بشكل عام وللشيعة بشكل خاص لأن في عهده كان هناك تحريض واضح وصريح على قتل الشيعة واستهدافهم وبل قاموا بصياغة دستور يجعل من يقتل مواطنا مصرية شيعيا لا يُحاكم أو يأخذ له بالقصاص فالشيعة لن يروا أسوأ من الإخوان إلا إذا حكم السلفيون مصر فوقتها ستري الدماء في شوارع مصر ليس للشيعة فقط ولكن لكل من يعارضهم».

من تاريخ التسنن في العراق (٣/٣)

عبد العزيز بن صالح المحمود(*) - خاص بالرائد

تناولنا في الحلقتين السابقتين تاريخ التسنن في العراق منذ الستينيات من القرن الماضي إلى سنة ١٩٩٠، واليوم نتناول مرحلة ما بعد الغزو العراقي للكويت، والذي ترتب عليه قدوم قوات أمريكية وأجنبية (٣٠ دولة) لإخراجه وفرض حصار ظالم عليه^(١) دام ١٣ سنة (١٩٩٠ - ٢٠٠٣) ومهد إلى أن يكون فيما بعد عراقاً ضعيفاً ليسقط بسهولة بيد الأمريكان، ويُسلم على طبق من ذهب للشيعة وإيران، كما هو الحال اليوم، فالعراق غدا دولة شيعية بالسياسة المتهورة لصدام من جهة، وبمعاونة ومساعدة دول الخليج السنية ومصر من جهة أخرى.

في بداية سنة ١٩٩١ أخرجت القوات الأمريكية والحلفاء القوات العراقية من الكويت، وكادت أن تُسقط صدام إلا أن ظهور انتفاضة شيعة الجنوب في شهر آذار سنة ١٩٩١م

(*) كاتب عراقي.

(١) ليلاحظ القارئ كيف تتعامل الدول الغربية بازواجية مع الحصار للسنة والشيعة، كيف كان حصار العراق وكيف كان حصار إيران!!

والمسمّاة بـ (الانتفاضة الشعبانية)، والتي كان حزب الدعوة والمجلس الأعلى وغيرهما من الحركات الشيعية المحرك الرئيس لها في محافظة البصرة والمحافظات ذات الأغلبية الشيعية مثل: ميسان والقادسية والموثني وذي قار وكربلاء والنجف وبابل، واستمرت هذه الانتفاضة قرابة الشهر، وقد طالبت قيادات شيعية في خارج العراق الأمريكان بإسقاط صدام، مما دفع السعودية وبعض الدول العربية للتدخل من أجل وقف إسقاط صدام وحكومته؛ خشية من سيطرة التيارات الشيعية الدينية على العراق، والذي يعني سيطرة إيران عليه بعد هزيمتها المرة من قبل الجيش العراقي سنة ١٩٨٨م^(١).

بداية قوة الشيعة:

ذكرنا سابقاً أن الحكومة العراقية شنت حملة على التيار السلفي بعد دخولها الكويت وبعد إعدام مجموعة من الشباب السلفي، وتحول وضع العراق رأساً على عقب؛ فضعفت القبضة الأمنية، وتحرك الشيعة بعد فشل انتفاضتهم نحو السطح، فظهرت ظواهر كثيرة ومتعددة في الشارع العراقي لم تكن معهودة من قبل؛ فالكتب الشيعية أصبحت تباع في الشوارع والمكتبات، والأحزاب الشيعية تتحرك بحذر لكن تحركاتها واضحة، وجاءت للعراق كتب بكميات لا بأس بها من كتب المتشيع التونسي التيجاني السماوي^(٢)؛ وأشهرها كتاب (ثم اهتديت) و(لأكون مع الصادقين) و(كل الحلول عند آل الرسول) و(فاسألوا أهل الذكر) و(الشيعة هم أهل السنة)، وطُبعت في قم مجموعة من الكتب العراقية القديمة والممنوعة في عهد حكومة البعث وسربت إلى العراق من الشمال، وكانت الغاية من

طباعتها تهيج الشارع العراقي ضد حكومته. انتشرت هذه الكتب، وتحول الشيعة من حالة الدفاع عن المذهب والدين الشيعي لحالة من الهجوم ودعوة الشيعة الذين تسننوا للعودة إلى التشيع ودعوة السنة أنفسهم للتشيع، مُستغلين ضعف الأمن أولاً ومحاربة الحكومة للتيار (الوهابي) ثانياً، وفُتحت مجالا كبيراً أمام جماعة الإخوان المسلمين، والتيارات الصوفية (الطريقة الكسنزانية القادرية، والطريقة الرفاعية)، والتيارات العلمانية^(٣)، ولم يكن لهؤلاء جميعاً أي جهد لا في كسب الشيعة لتحويلهم إلى السنة، ولا في إيجاد طريقة لمواجهة التحرك الشيعي، بل كان أكبر همهم محاربة التيار السلفي، ومعلوم أن الصراع السني السني فيه ضرر على العراق، في بلد شرع الشيعة فيه بالتحرك من جديد تسندهم إيران الجارة العدو.

في هذه المرحلة عانى الدعاة السلفيون في العراق من كثرة الاعتقالات إلا أن دعوتهم كانت مستمرة زاحفة نحو أماكن لم تعرف التدين من قبل؛ شمال بغداد وغربها وجنوبها وشرق بغداد (طوق بغداد) وأصبح الوجود السلفي واضحاً منتشراً في المساجد؛ فبنيت المساجد، وكثر الدعاة، وأقيمت المناظرات بين السنة والشيعة^(٤)، وعاد كثير من الشيعة للسنة^(٥) كما برزت جهود عراقية جيدة لمقاومة التشيع فكرياً، فظهرت كتب محلية للرد على كتب المتشيع التونسي التيجاني السماوي (ثم اهتديت) وغيرها إذ أن الشيعة كانوا يهاجمون

(٣) هي مجموعة من أهل العلم المتمذهبين (شافعية) مع خليط من التعصب المذهبي والعقائد الأشعرية وشيء من التصوف، وكان لهم سند من وزارة الأوقاف، ومن نائب رئيس الجمهورية العراقية آنذاك (عزت الدوري)، وقف هؤلاء أمام المد السلفي؛ لأنهم شعروا بأن كثيراً من الشباب الملتزم لم يعد يعبأ بهم، ومن بقايا هؤلاء اليوم في الأنبار الدكتور عبد الملك السعدي وأخوه عبد الحكيم، وعبد الرزاق، ومفتي العراق رافع الرافعي العاني. وفي الموصل بشار الفيضي وأخوه فيضي الفيضي.

(٤) كانت بدايات المناظرات بين أفراد من السنة والشيعة في نهايات الحرب العرب العراقية الإيرانية ١٩٨٨.

(٥) قلت (عودة) لأن أغلب الشيعة في العراق كانوا من عوائل سنية لغاية القرن التاسع عشر الميلادي.

(١) هذا الوعي من دول الخليج أجّل سقوط العراق بيد الشيعة وإيران ١٣ عاماً. ويبدو أن هذا الوعي فقدته دول الخليج عندما سلمت العراق ليفعل به ما يشاء ويؤكلوا هم كذلك كما أكل الثور الأبيض من قبل.

(٢) كان الشيخ المحدث صبحي السامرائي يؤكد أن فريقاً إيرانياً كتب له هذه الكتب.

السنة فكرياً بشبهات كثيرة نجح الشباب السلفي بردها ودحضها، وأصبحت الدعوة للتشيع تأخذ منحى جديداً من طور الركود والدفاع عن النفس، إلى طور العلنية والمناظرة بل والهجوم أحياناً، وبث كتبهم إلى السنة، كان التحرك الشيعي يُشعر كل متابع له أنه ليس عشوائياً بل هو أمر مخطط له، يزداد يوماً بعد يوم، وبدأ التخطيط لتدريس آلاف الشباب الشيعي في الحوزة في النجف وكربلاء، ودفع تكاليف دراساتهم ومصاريف عائلاتهم، وصارت أموال الخمس تتدفق من شيعة الخليج، ومن شيعة أوروبا وأمريكا لهذا الهدف.

في المقابل لم يكن لسنة الخليج أي دور في هذه القضية، رغم أنه تمّ التواصل مع بعض العلماء في السعودية والكويت، وبعض الأمراء، حول خطورة ما يجري، ووجوب الحذر من المخطط الشيعي للسيطرة الفكرية على العراق، وأنه لا بدّ من إيجاد مشروع حقيقي لصد العدوان الشيعي ودعم جهود الدعاة السُنّة لا سيما السلفيين، وأن الحصار يعدّ مكسباً للشيعية وليس للسنة. ولكن جوبهت كل المحاولات بالرفض، وكان حالنا وحالهم كما وصف الشاعر:

لقد أسمعتم لو ناديت حياً

ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو أن نارا نفخت بها أضاءت

ولكن أنت تنفخ في الرماد

وتبين أننا ننفخ في الرماد وليس في الجمر!!

الفترة ما بين ١٩٩١ - ١٩٩٤:

كانت الحركات السنية (السلفية، والإخوان، والصوفية، والعلمائية) كل واحدة منها تحاول ترتيب بيئتها لتتأقلم مع الوضع الجديد للعراق بعد الحصار؛ فكان للصوفية والعلمائية دور فاعل مع الدولة ودعمها، ومحاربة التيار السلفي، لكنهم للأسف لم يبذلوا الجهد ذاته تجاه التشيع، أما الإخوان فكانوا في حال أحسن وشرعوا ببناء تنظيماتهم وترتيبها واللقاء بالخارج وترتيب علاقات مالية وإغاثية لصالحهم، ولكنهم لم يهتموا بالشأن

الشيعي (إلا في أواخر هذه الفترة وقبيل الاحتلال)^(١)، أما التيار السلفي فهو الوحيد الذي كان يريد ترتيب بيئته كدعوة ناشئة شرعت بالتكاثر والتوسع، وهي الجهة الوحيدة المتحسنة للخطر الشيعي (وكأن محاربة التشيع شيء يعيش في جيناتهم)، وقد أخبرني بعض الفضلاء عن اجتماعات كانت تعقد وتناقش وضع الشيعة في العراق وكيفية مواجهة شبهاتهم، وكيفية تأليفهم لكتب محلية لنشرها بين السنة لتحسينهم من بعض كتب الشيعة التي تبث الشبهات داخل الصف السني، وقد حضرت شخصياً بعض الجلسات العلمية والدعوية.

من أشهر الكتب التي ألفت في تحصين السنة ودحض المعاندين من الشيعة ورد دعاواهم كتاب «الحجج الدامغات لنقد كتاب المراجعات» لأبي مريم بن محمد الأعظمي، وهو كتاب في مجلدين للرد على كتاب المراجعات لعبد الحسين بن شرف الدين الموسوي. وهو من أروع ما كتب في هذا الجانب في العالم الإسلامي.

وقد أثمرت جهود بعض الإخوة الدعاة في الجنوب والبصرة عن تسنن عدد كبير من الشيعة وعودتهم إلى منهج أهل السنة والجماعة، وأصبحت المساجد في البصرة والجنوب مليئة بهؤلاء المتسننين.

إلا أن ضغط حزب البعث الحاكم لم يتوقف فاستمرت الاعتقالات، حيث اعتقل قياديون سلفيون أكثر مدة أشهر بتهمة شتى، منهم الشيخ تلمعة الجنابي، والشيخ فتحي الموصلي، والشيخ محمود سعيدة الجبوري، والشيخ المحدث عبد المجيد السلفي وعدد كبير من كبار السلفيين، حتى أعدم الشيخ تلمعة الجنابي والشيخ محمود الجبوري (سعيدة)، في نهاية سنة ١٩٩٤، كما اتُهمت في سنة ١٩٩٣ باغتيال الشيخ فؤاد في اليمن^(٢)، وقد شنت

(١) كان لبعض الشخصيات الإخوانية لا سيما من كان من الأساتذة في الأردن دور فاعل في هذا المضمار لا يمكن لمنصف أن ينكره.

(٢) الشيخ فؤاد رحمه الله، هو إمام مسجد الإسراء، في منطقة الأمين لسنين، وقد أثر على عدد كبير من الشيعة في تلك المناطق، قيل إنه

=

الدولة عدة حملات ضد السلفيين وغيرهم استمرت لغاية ١٩٩٥، ورافق ذلك حملة إعلامية لشيطنة التيار السلفي وتشويهه، ووقفت لأتباعه كل مرصد، يساعدها في ذلك إعلاميا مشايخ من الداخل والخارج^(١).

أدى هذا الأمر إلى مغادرة عدد من الدعاة إلى الخارج هرباً من المتابعة والاعتقال، أضف إلى ذلك بداية تدهور الأوضاع المعيشية، وخروج الدعاة يضربون في الأرض يبتغون الرزق ما حرم البلاد من جهودهم، وجعل التشيع يستفيد من هذا الحصار^(٢)؛ وللتغلب على هذا التحدي قام لفيف من السلفيين بمناشدة الأشقاء والعراقيين في أوروبا وأمريكا من أجل دعم التيار السلفي لمقارعة التشيع الذي بدأ يشكل خطراً حقيقياً، وقد نجح هذا المسعى بعد سنة ١٩٩٦ لكن هذه الجهود بقيت محدودة وفردية.

مرحلة ١٩٩٥ - ٢٠٠٣:

ظهر في هذه المرحلة بعض الشخصيات المهمة في مقاومة التشيع، مثل الداعية محمد إسكندر الياصري وهو شيعي هداه الله، وبقي في الظاهر شيعياً يعلم الشيعة داخل حوزاتهم وحسينياتهم التوحيد والعقيدة الصحيحة إلى أن اغتيل من قبل الشيعة سنة ١٩٩٧، وكانت هذه مرحلة ظهور الداعية الدكتور الطيب د. طه الدليمي^(٣) بعد

مات في اليمن، وأشيع أنه اغتيل، وقبل سنة اعترف ضابط في المخابرات العراقية أنه أرسل إلى اليمن لاغتياله وذلك سنة ١٩٩٤، وفي تشييعه إلى بغداد كانت الدولة تعد لكمين كبير لاعتقال عدد كبير من قيادات السلفية، لكن الخبر تسرب، وفشل الكمين. والشيخ فؤاد كان منهجه بين الإخوان والسلفية.

(١) أشهر شخصية مارست ذلك التشهير، عذاب الحمش، فكان له برنامج في التلفاز لمهاجمة السلفية والوهابية والدولة السعودية.

(٢) كنت قد كتبت سنة ١٤٢١هـ / ٢٠١١م في العدد ٨٥ من مجلة الراصد مقالاً بعنوان «حصار العراق وغزة ... بؤابة للتشيع» وضحت فيه دور الحصار في تشييع العراق وتسهيل سقوطه بعد الاحتلال سنة ٢٠٠٣م.

(٣) الدكتور طه الدليمي مفكر متميز في هذا المضمار، وله منهج وآراء خاصة في مقارعة الشيعة، كتب أكثر من ٤٠ كتاباً في موضوع التشيع نشرت بأسماء مستعارة ثم طبعت باسمه الصريح بعد الاحتلال - نسأل الله أن يبارك فيها - مع العلم أن الدكتور بدأ الاهتمام في هذا الموضوع منذ أوائل التسعينيات بعد وقوع العراق في الحصار الظالم.

جولات في جنوب العراق ووسطه في المناطق الشيعية منذ سنة ١٩٩٤ ليستقر سنة ١٩٩٧ في مسقط رأسه مدينة المحمودية ويمارس دعوته ضد التشيع والتي كسبت كثيراً من الشيعة الذين تحولوا إلى سنة ومارسوا معه دعوة الشيعة للحق، وحصنت العديد من السنة من فيروس التشيع، والدكتور طه هو صديق حميم للشيخ محمد أسكندر الياصري رحمه الله، في هذه الفترة بدأ التكوين الفكري لعدد من الكتاب والباحثين في مقاومة التشيع والذين ظهرت كتاباتهم فيما بعد؛ كعلاء الدين البصير، وعبد الملك الشافعي، اللذين برزا بعد الاحتلال بعدة مؤلفات مشهورة في العالم الإسلامي.

وممن برز كذلك من الإخوان المسلمين: الكاتب علاء الدين المدرس الذي كان له طرح ورؤية للتقريب بين الشيعة والسنة بشكل مغاير للتقريب المصري، وهذه الرؤية لقيت قبولا ورفضاً في آن واحد، وكانت فكرتها تقوم على نقد التشيع الصفوي فقط. وهي رؤية مغايرة جداً لرؤية الدكتور طه الدليمي.

وأيضاً طبعت تحقيقات محدث العراق الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي لعدد من المخطوطات بعنوان: «رسائل في الرد على الرافضة»^(٤)، طبعتها في كردستان العراق، وانتشرت في كردستان إيران، كما استمرت جهود الشيخ المحدث صبحي السامرائي^(٥) في مقارعة التشيع حتى أن العشرات من تلامذة الشيخ في علم الحديث هم من أصول شيعية، وكان يوضح في مجالسه الحديثية أن أصول العشائر في جنوب العراق سنية مالكية المذهب، ويحكي أسراراً نادرة عن التشيع في العراق وأصول علمائه.

وفي هذه المرحلة ساهمت حركة الإخوان في

(٤) كتبنا في العدد ١١٤ من مجلة الراصد سنة ٢٠١٢ مقالاً بعنوان «جهود المحدث حمدي عبد المجيد السلفي في مقاومة التشيع في العراق».

(٥) كتبنا بصحبة الفاضل عبد الله بن عبد اللطيف الكرخي في العدد ١٢٣ من مجلة الراصد سنة ٢٠١٣ مقالاً بعنوان «جهود الشيخ المحدث صبحي السامرائي رحمه الله في مقاومة التشيع في العراق».

صد التشيع من خلال دعم مجموعة من الشباب لمواجهة، وهو وإن كان جهداً محدوداً ولكنه تطور مهم في دعوة الإخوان ومن الذين دعمه الدكتور طه الدليمي وبعض تلامذته.

وكانت حصيلة هذه الجهود المباركة تسنن ما يقارب من (٣٠٠ - ٥٠٠) ألف شخص، بين سنتي ١٩٧٠ - ٢٠٠٠، بحسب تقديرات عدد من الدعاة في هذا المضمار، ثم ذلك بفضل الله ثم بفضل الجهود الكبيرة من أهل السنة، وبالأخص التيار السلفي وغيره.

بعد سنة ٢٠٠٠ دعا بعض الإخوان المسلمين وبعض العقلاء من أهل الدين (العلمائي) بالتنسيق مع شخصيات حكومية (سنية) للتصدي لخطر التشيع ومخططاته ولوقف التحركات الشيعية المشبوهة، بفسح المجال لبعض التوجهات السلفية وطبع بعض الكتب، خاصة أن الدولة كشفت عن تحركات شيعية داخل حزب البعث وحتى داخل الأجهزة الأمنية تعمل لحساب الشيعة وإيران لكن حزب البعث خشي من كشفها.

تعثر جهود تسنن الشيعة:

حين فتحت الحدود بين العراق والأردن سنة ١٩٩١، وأصبح التحرك متاحاً للعراقيين، حدث لقاء مباشر بين التيارات الدينية العراقية والأردنية، فتأثر بعض السلفيين العراقيين بالصراعات السلفية في خارج العراق ونقلوها للعراق، مما أشغل السلفيين بخلافاتهم عن دعوة الشيعة وتسنيهم!

لقد سعى كثير من أهل الحكمة من العراقيين إلى تفهيم الدعاة في الخارج أن نقل الصراع هذا للعراق مضر بالدعوة السلفية؛ فهي ينبغي أن تراعى شؤونها العراقية الخاصة.

لذا تراجعت حركة التسنن بعد سنة ١٩٩٩ بعد دخول السلفية في صراعات داخلية، وبدء دخول مؤلفات التيار التكفيري (الذي كان من أوائل المهدات للقاعدة فيما بعد) التي نقلت من مكاتب الأردن (مكتبة البيارق) إلى العراق ليجري تصويرها وتوزيعها في داخل العراق.

بينما كان الشيعة داخل العراق يخططون ويشكلون في إيران وسوريا ولبنان وبعض دول الخليج (السعودية، الكويت، الإمارات، البحرين) ولندن وبعض الدول الأوروبية وأمريكا معارضة عراقية شيعية - كردية مع قلّة من السنة تحلم بإسقاط النظام (البعثي) على يد الأمريكان ويتعاون إيراني سوري^(١).

مرحلة ما بعد الاحتلال (٢٠٠٣) ليومنا هذا:

بعدما احتل العراق وقوي الشيعة، شرع الشيعة بتصفية كثير من الذين تسننوا، بعد أن أفتى كبارهم ومراجعهم، أن من تسنن من الشيعة هم أوائل من يقتل؛ لأنهم في حكم المرتد الشيعي، وتمّ ذلك على أبواب المساجد وفي الطرقات، كان هذا منذ الأيام الأولى للاحتلال (٢٠٠٣).

ومن نجا من تصفية الشيعة تنوعت بهم السبل، فمنهم من هاجر ومنهم من انخرط في مقاومة الاحتلال، ومنهم من أصبح متطرفاً تكفيرياً وهو اليوم في إيران^(٢)، ومنهم من تفرغ لكشف حقيقة التشيع من خلال تأليف الكتب، ومنهم من أثر التدريس والنقد ونشر الفكر السني ودحض الشبهات والتشكيك بالفكر الشيعي وزعزعته، ومنهم من جرى تصفيته على يد تنظيم القاعدة لاختلافه معهم، ومنهم من بقي مستتراً، ومنهم من هاجر إلى المحافظات السنية بدينه أو إلى خارج العراق.

لكنّ عجلة التسنن توقفت، وأصبح العراق مهدداً بأن يتحول أهل السنة فيه للتشيع نتيجة الضغط والقسر أو ضعف الإيمان، ولعدم تحصين المجتمع السني وتأثير التيارات القومية والوطنية والدينية (المتنوعة) في المجتمع العراقي ورفع شعارات وطنية زائفة (إخوان سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه)، والتشيع هذه طبيعته لا ينجح إلا في أجواء القسر والإرهاب، فهكذا انتشر في إيران على يد

(١) تشكلت هذه المعارضة بعد سنة ١٩٩١، لكن عملها تكثف بعد قرار أمريكا في سنة ١٩٩٨ نهاية نظام صدام حسين.

(٢) أنقذه السنة من التشيع، وأعادته القاعدة لإيران!!

الصفويين، وهكذا نشره بشار الأسد في سوريا^(١)، والتاريخ شاهد لأهل البدع أن لا ينشروا بدعهم إلا بالقوة والسيف، وقد تبته لهذا إمام السنة اللالكائي في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) (١٤/١) فقال: (ومقالة أهل البدع لم تظهر إلا بسلطان قاهر أو بشيطان معاند فاجر).

هذه صفحات قليلة من تاريخ التسنن في العراق عرضت فيها ما شاهدته ولا حظته، وأعلم علم اليقين أن عند غيري من أهل العراق الكثير الكثير، فلعل هذه المقالات تكون اللبنة الأولى لفتح هذا الملف، وبيان عظم الجهود المبذولة لدعوة الشيعة للعودة إلى جذورهم السنية، ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث والمتوسط.

دلالات وجود متشيعين جزائريين في وفد زيارة الأسد

بوزيدي يحيى^(٢) - خاص بالرائد

لم تمضِ إلا أيام معدودة على زيارة الوفد الجزائري لسوريا ولقائه بشار الأسد حتى فجّرت جريدة البلاد^(٣) فضيحة من العيار الثقيل، إذ كشفت عن «اختراق» الوفد من طرف متشيعين، وأنهم قاموا بذلك قربانا لشيعة العالم عموما، والجزائر خصوصا، وقد تم هذا بتمويل من إحدى المؤسسات التابعة للرئيس السوري.

وأحد المتشيعين كان من أبرز المنظمين والمشاركين في الحملة، ومعروف بتدخلاته

(١) ذكرت إحدى الفاضلات السوريات من مدرّسات اللغة العربية في دمشق والتي كانت تدرس في مدارس لتعليم غير العرب، أن الدولة كانت تقوم بنقل هؤلاء المسلمين من غير العرب إلى المدارس الشيعية في الشام تمهيدا لتشيعهم. وانظر كيف حورب أهل السنة بقوة بينما سُمح لشيعة إيران بنشر التشيع في أرض الشام إلى أن قامت ثورتها المباركة.

(٢) كاتب جزائري.

(٣) شيعة الجزائر إخترقوا الوفد الذي زار الرئيس السوري بشار الأسد، جريدة البلاد الجزائرية، ٢٠١٣/١١/٢٠، على الرابط: <http://www.elbilad.net/article/detail?id=6291>

واتصالاته مع القنوات الشيعية وبالتحديد العالم الشيعي كمال الحيدري، وتبين لاحقا أن هؤلاء الشيعة الذين زاروا سوريا ليسوا من بين الأحزاب ولا الشخصيات الكبيرة، ولا الإطارات السابقة بل أغلبهم من الشباب المتشيعين، وأن من بينهم من «تربطه علاقة قوية» بالكاتب صادق سلايمية الذي دافع عنهم صراحة في إحدى وسائل الإعلام في مناظرة مع عبد الفتاح حمداش زراوي زعيم الحركة السلفية الجزائرية، والذي اتهمه بالتشيع ودعم الشيعة في الجزائر.

ما رشح عن هذه الزيارة من أخبار يحمل الكثير من الدلالات الآنية والمستقبلية نجملها في ما يلي:

١- ليس من المبالغة وصف هذا السلوك بأنه أول عمل علني منظم للمتشيعين في الجزائر بعيد سياسي خارجي. ولا يمكن بأي حال من الأحوال القول بأن ما جرى هو مجرد عمل فردي مستقل يعبر عن آراء من قام به ولا يمكن تعميمه على المتشيعين، فوقوف هؤلاء وراء المبادرة تنظيما وتشجيعا يكشف حقيقة موجودة لم يفصح عنها «تقية» فقط.

وللعلم فإنهم لم يكتفوا بتمثيل أنفسهم، وإنما مارسوا «التقية» بإخفاء تشيعهم وادعوا أنهم يمثلون كل الشعب الجزائري الذي يدعم بشار الأسد فيما يعتقدون أنه صمود ومواجهة لمؤامرة كونية. وتعميمهم هذا السلوك المشين على كل الشعب الجزائري كذب وبهتان، فهم بالنهاية يمثلون كل المتشيعين في الجزائر بمختلف مرجعياتهم. وهذه المبادرة بداية لمرحلة جديدة في حلقة التشيع ستبرز ملامحها عاجلا أم آجلا، خاصة وأن البعض منهم أصبح لا يتحرج من الإعلان عن تشيعه عبر وسائل الإعلام.

كما أن التنسيق بين المتشيعين من ولايات مختلفة الذي أكدته الزيارة يعكس وجود شبكة تواصل بينهم، وهي تكاد تشبه التنظيم السري في طور التشكل بل لربما قد يكون قد قطع أشواط

كبيرة، فمن المؤكد أنه على مستوى كل ولاية هناك زعامة لهؤلاء وهذا هو الأساس، أما الالتحام الكلي فلا يحتاج إلا إلى قرار سياسي من هيئة أعلى دون شك تقبّع خارج الجزائر، وقد نشهد في المستقبل المتوسط والبعيد تنظيماً شيعياً جزائرياً كما حصل في دول أخرى خاصة مصر وتونس حيث بادروا لتأسيس أحزاب سياسية وحوزات دينية أو على الأقل حسينيات.

٢- أهم ما تكشف عنه هذه الزيارة أن المحرك الأساسي للمتشيعين هو «عقيدتهم الشيعية»، وبالتالي فهو «سلوك طائفي محض»، في حين يلقون هذه التهمة على من يقف ضد ما يقوم به بشار الأسد من جرائم في حق الشعب السوري، وقبل هذا كان ولا يزال كل من ينتقد إيران وبرز البعد الديني في سياستها الخارجية يتهم بالعمالة للصهيونية وتقسيم الأمة، وها هو الواقع يكشف أن هؤلاء توجههم «عقيدتهم الشيعية الجديدة» التي لم تمنعهم من الوقوف في صف نظام مجرم، اعتقاداً منهم أن ما يجري هناك حرب يقودها «الأمويون» ضد شيعة آل البيت، طبعاً هذا التحليل ليس من بنات أفكارهم وإنما هو قرار رسمي إيراني انساق وراءه جلّ القوى الشيعية، وما المتشيعون الجزائريون إلا أتباع مخدرون أيديولوجيا.

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى توظيف زعيم حزب الله في وقت سابق «مقام السيدة زينب» لتبرير تدخله لجمهوره والحشد الطائفي. وهذا «المقام» كان له موقع إستراتيجي في عمليات التشيع، والطريق إلى لبنان وإيران كان يمر عبره، خاصة «تجار الشنطة» الجزائريين الذين كانوا يترددون عليه.

كل هذا يدل على صدق التحذيرات السابقة من الخلفية الدينية التي تحرك إيران والكثير من الشيعة والمتشيعين، والرابط الطائفي الذي يجمعها بهم، بينما قطاع كبير كان والبعض منه لا زال يدافع عنها وينفي هذه الحقيقة. وإغفال هذا البعد في التحليلات قفز على الحقائق الموضوعية المحركة للظواهر الاجتماعية والسياسية سواء

اتفقنا معها أو اختلفنا.

٣- قد يعتقد البعض جرياً على عادته أن الأمر بسيط جداً ويهون منه. وربما يظن كثيرون أنها محاولة للاصطياد في المياه العكرة، غير أن نظرة أبعد وقراءة في ما وراء الخبر تكشف أن عمل هؤلاء لا يختلف عمّا يقوم به حزب الله اللبناني ولواء أبي الفضل العباس العراقي وكل المقاتلين الشيعة الحوثيين والأفغان وغيرهم الذين يتقدمون الصفوف في مواجهة الثورة السورية.

فقد تولى «المتشيعون الجزائريون» إلى جانب أقرانهم الشيعة في دول أخرى الجبهة الإعلامية التي لا تقل أهمية وخطورة عن الجبهة العسكرية، ولذلك أوجدت إيران ما يصطلح عليه بـ «الجيش الإلكتروني»، يقوم بمهام الدعاية والدعاية المضادة كما في الأدبيات العسكرية.

فهم إذا جزء من هذه الآلة العسكرية الإيرانية، حيث يعملون على قدم وساق على تشويه الثورة السورية والدفاع عن حزب الله وإيران، وما يمنهم من حمل السلاح فقط هو عددهم القليل من جهة وقرب عهدهم بالتشيع من جهة أخرى، ولو كانت هناك أقلية شيعية قديمة «شبه أصيلة» في المجتمع على غرار ما هو الحال عليه في لبنان والعراق واليمن وغيرها، لربما شهدنا ميليشيات شيعية جزائرية هناك.

وبما أن «زكاة الخمس» من المعتقدات الشيعية الثابتة فإنه ليس من المستبعد أن يدعم المتشيعون في الجزائر النظام في سوريا وحزب الله «بأموال الخمس» في ما يعتبرونها حرباً على آل البيت، أو مؤامرة كما يروجون في العلن، ومن يهون من هذا الموضوع ليجث عن أين تذهب أموال الخمس للمتشيعين الجزائريين الآن؟

٤- من الإشارات الهامة لهذه الزيارة أيضاً اليقظة لما تقوم به السفارتان الإيرانية والسورية في الجزائر من اتصالات وعلاقات بالمتشيعين، إذ يستحيل أن تكون مبادرة الزيارة من دون تنسيق مع السفارتين إن لم تكن بتوجيههما أصلاً، فإذا كان

الرئيس السوري نفسه غامر وخاطر قبل قرابة السنتين بزيارة حي باب عمرو في حمص لدقائق معدودة من أجل التقاط صور وتوظيفها إعلامياً، فإنه لا يستبعد إطلاقاً توظيف وسائل أخرى أقل أهمية لنفس الغرض.

من هنا فإنه من شبه المؤكد أن تكون المبادرة باقتراح وتوجيه إيرانيين من خلال المتشيعين بطريقة أو أخرى، فطهران لا تتوانى في توظيف ما يتاح أمامها من أوراق والتضحية بها في آخر لحظة، وهي تستغل البعد الديني لخدمة مصالحها القومية، خاصة وأنه قد كشف عن وجود علاقة متينة ووثيقة تربط بين المتشيعين والكاتب الصادق سلايمية الذي انتهج أسلوباً جديداً بجهره بتشيعه، وهو معروف بكثرة ترده على السفارة الإيرانية.

ومن المرجح أنه كان حلقة الوصل في هذا الموضوع، ولكن الخطورة ليست في هذه الجزئية وإنما في أدوار أو «مهمات» أخرى يقوم بها هذا الشخص أو غيره بتكليف أو توجيه أو على الأقل استحسان ودعم معنوي من السفارة الإيرانية إن لم يكن مادياً في نشر التشيع بالجزائر.

٥- سلوك هؤلاء وعلاقتهم بالشيعة ومخاطرتهم بحياتهم من أجل ذلك، والشكوك شبه المؤكدة حول علاقتهم بالسفارة الإيرانية إذا ما ربطت بالفقه السياسي الشيعي وعلاقة المقلد بالمرجع وهو في هذه الحالة المرشد الأعلى علي خامنئي الرجل الأول في الدولة الإيرانية يشرعن طرح سؤال جوهري حول ولائهم إذا ما كان للوطن الجزائري أم لإيران؟

فكما سبق الإشارة فإن العدد القليل للمتشيعين بالجزائر هو فقط ما يغفل هذه القضية الخطيرة عن الوعي العام، ولكن إذا ما لم تبذل جهود كافية وعاجلة لمحاربة هذا الفيروس وترك له الحبل على الجرار فمن المؤكد أنه ستصدر من طرف هؤلاء مواقف منسجمة مع ما تراه قياداتهم الدينية في قم وغيرها من المراكز الدينية التي توجه من طهران، ولو كان ذلك على حساب أوطانهم،

وما يقوم به على سبيل المثال لا الحصر حزب الله العراقي الذي نشأ بعد احتلال العراق وتبعيته للجمهورية الإسلامية وتنفيذ أجندتها السياسية نموذج لهذا الخطر المتصور.

وقد سبق للأستاذ أنور مالك أن تطرق لأمر مشابهة حصلت خلال العشرية الحمراء بكشفه عن تورط الحرس الثوري الإيراني في الدم الجزائري، ووجود متشيعين ضمن الجماعات الإسلامية المسلحة، غير أنه وللأسف الشديد لا زالت عقول الكثيرين دون مستوى إدراك مثل هذه القضايا الخطيرة.

٦- الدلالة الأخيرة والأخطر تتمثل في تصدر الوفد وجه سياسي لا ينتمي لتيار قومي أو بعثي شيوعي وإنما للاتجاه الإسلامي، ألا وهو جمال بن عبد السلام رئيس حزب «جبهة الجزائر الجديدة»، والذي كان سابقاً رئيس حركة الإصلاح الوطنية والتي أسسها عبد الله جاب الله رئيس حزب العدالة والتنمية حالياً وزعيم حركة النهضة التي انبثق عنها التشكيلان لاحقاً. والصادق سلايمية هو الآخر كان ينشط في نفس الحزب وكان وجهاً بارزاً فيه.

بل إن عبد السلام وفي تصريحاته الإعلامية بعد الزيارة تحدث عن عدم استعداداته للسماح بسقوط سوريا كما سقطت العراق، وكأن الرجل لا يعلم أن اليد العليا اليوم هناك لإيران التي يصول ويجول فيه رجلها قاسم سليمان، ويسخر كل مقدرات العراق وأبنائه لخدمة مصالح إيران «بتوظيف البعد الطائفي».

ونفس وجود أي صراع سني علوي على حد تعبيره، وأنه موجود في عقول الوهابيين فقط، كما تحدث عن سعيه لتشكيل جبهة من العلماء ضد الطائفية مع مفتي سوريا.

وكما أشرنا أعلاه فإذا لم تكن الطائفية هي المحرك والدافع للمواطنين العاديين (المتشيعين) الذين كانوا برفقته في الزيارة، فما هو دافعهم؟ وسواء علم أم لم يعلم أنهم متشيعون، - وإن كان كلام جمال بن عبد السلام مرحلة متقدمة جداً في التشيع السياسي - ولكن حتى إذا استبعدنا هذه

الجزئية بجهله بوجود متشيعين وخلفيات هؤلاء الذين رافقوه في الوفد، فكيف يفسر هذه الحقيقة؟، ألا يدل هذا على ما هو أكبر منه؟، وهل الطائفية إذا سلمنا معه جدلاً بالموضوع في اتجاه واحد؟، وكيف يفسر لنا ما يقوم به لواء أبي الفضل العباس العراقي في سورية؟

طبعاً الإجابات عن هذه الأسئلة معروفة ومتوقعة، والمقصود هنا التعرّيج على صلة الحركة الإسلامية مع التشيع التي لم تنقطع، وتزداد يوماً بعد يوم، والتي ستكون وصمة عار في تاريخها الحالي، حيث لم تحرك ساكناً في الموضوع رغم الضربات والطعنات المتلاحقة من القوى الشيعية لها.

وإن كان الشيخ عبد الله جاب الله وقف إلى جانب الثورة السورية واستنكر جرائم نظام بشار الأسد غير أن صمته المطبق تجاه ما يفعله جمال بن عبد السلام، حيث لم يصدر عنه أي تعليق على تصريحات المتشيع الصادق سلايمية الذي عمل في صفوف حزبه وكان من المقربين منه، ولو باستتكار لما يفعله هو وأشباهه في المجتمع الجزائري.

ولنا أن نتساءل: كم يوجد من أمثال سلايمية ليس في صفوف حزب عبد الله جاب الله فحسب، ولكن في كل الحركة الإسلامية التي نمت وترعرع بين أحضانها هذا المرض الديني الخطير على مجتمعنا، وكأن سب الصحابة والطعن في أزواج رسول الله ﷺ لا يعني الشيخ جاب الله، وأقرانه من زعماء الحركة الإسلامية الجزائرية. لأن هذا السلوك هو نموذج متكرر للاختراقات الشيعية لصفوف الحركة الإسلامية، وكيف تستغل صدقهم وتحمسهم لقضايا الأمة بينما يعتبر المتشيعون ذلك في غرفهم المغلقة سداً وجفاءً.

الخلاصة:

إن ما قامت به جريدة البلد من إظهار فضيحة هؤلاء المتشيع ورفع الغطاء عن تحركاتهم يعد جزءاً بسيطاً جداً مما يقوم به المتشيعون في الجزائر، وما يمكن توقعه منهم مستقبلاً انطلاقاً

من ذلك، ولولا وجود من يقف بالمتابعة المستمرة لكشف وفضح هذه الظاهرة الطارئة على الجزائر، لكانت المسألة مرت في هدوء تام بل وتغطية إعلامية مضللة، كما يفعل المتشيعون اليوم تجاه الحملات الإعلامية المحذرة من التشيع والتي يقودها حالياً الشيخ عبد الفتاح حمداش زراوي وبعض المهتمين بموضوع التشيع.

إن التوعية والتحذير من خطر التشيع على الجزائر لا يجوز أن يبقى حصراً على مجموعة بعينها، وإنما الواجب يقتضي أن يتحمل كل طرف مسؤوليته من حيث موقعه لمواجهة هذا المرض حتى لا يستفحل، ويتبين المجتمع الجزائري الحق والحقيقة لما يحاك ضده من طرف إيران والقوى الشيعية، بيد أبناء الجزائر - وللأسف - يحسبون أنفسهم أنهم يؤدون واجباً دينياً عظيماً، وهم في الحقيقة مجرد بيادق بأيدي ملالي قم.

مداخل إيران لاختراق الأردن

سعيد بن حازم السويدي^(*) - خاص بالرائد

رغم العواصف الشيعية التي ضربت المنطقة منذ احتلال العراق وحتى أحداث الثورة السورية لا يزال الأردن يحتفظ بموقعه كبلد سني في محيط دخل معظمه تحت هيمنة إيران المباشرة وغير المباشرة.

لا يستمد الأردن قوته من صلابته أمنه وجيشه، أو علاقاته السياسية الإقليمية والدولية فحسب، وإنما هناك عوامل أخرى لا يقل تأثيرها عن دور السياسة والأمن في بسط الاستقرار وسد مداخل الفتنة والاضطراب، من أهمها: الهوية السنية الصافية التي لا يشوبها أي أقليات دينية لها مصالحها وأطماعها على حساب المصلحة السنية الوطنية الكبرى.

(*) كاتب عراقي.

فالأردن يتميز بسُنَّيته النقية، وهو أمر مفقود في معظم دول الإقليم كالسعودية والعراق واليمن والخليج ومصر وتركيا ولبنان وسوريا، حيث أن غياب ذلك سبب الفوضى ومدخل الفتنة والاقتتال الداخلي والحرب الأهلية فيما حوله، والنماذج المحيطة بالأردن (العراق، سوريا، لبنان) شاهدة على ذلك.

لم تكن الهوية والانتماء السني وحده ما يميز الأردن، فالسياسة الأردنية ظلت في نظر الإيرانيين سياسة مناوئة أو على الأقل غير متوافقة مع الأهواء والأطماع الشيعية في المنطقة لاسيما بعد تصريحات الملك الأردني عن الهلال الشيعي أواخر عام ٢٠٠٤.

ورغم انشغال إيران بتعزيز نفوذها ودعم قوتها ووجودها في العراق وسوريا ولبنان، فقد تعرض الأردن لعدد من التدخلات ومحاولات الاختراق متعددة الأوجه والأشكال من قبل الجانب الشيعي - الإيراني، ولكن تمكن النظام الأردني من الحفاظ على حزمة في التعامل مع هذا الملف.

إلا أن التحولات والتغيرات التي هزت المنطقة بدءاً من الثورة السورية (آذار/ مارس ٢٠١١)، ثم الانسحاب الأمريكي من العراق (كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١)، وأخيراً الاتفاق الغربي الإيراني بشأن الملف النووي (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣)، قد تفرض على صناع القرار في الأردن تغييراً في طريقة التعامل مع هذا الملف الحساس، وقد يفضل الأردن خيار التقارب وتطوير العلاقات على خيار التعامل الحذر والتيقظ للخطر.

ومن أجل وعي مبكر تجاه المخططات الإيرانية للتسلل للأردن والتي يصعب أن تتوقف، نذكر بإيجاز أهم المداخل المحتملة التي قد تعتمد عليها إيران لمد نفوذها الديني والسياسي في الأردن:

١- السياحة الدينية:

وهذا من أهم المداخل وأشهرها لدى الساسة

الإيرانيين، وهو من أبرز طرق المذهب للتوسع والانتشار، فالأردن يضم مرقد الصحابي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، في منطقة المزار الجنوبي/ محافظة الكرك، وقد طرق الشيعة هذا الباب، وما زالوا يحاولون، رغم وجود مقاومة شعبية ودينية واضحة ضد مظاهر التشيع في الكرك.

والخطر في السياحة الدينية لا يقتصر على إقامة الطقوس في مناسبات مخصوصة، وإنما ما يرتبط بها من تأسيس خلايا إيرانية تحت غطاء خدمة السياح الإيرانيين، والتي تولد تبشيراً شيعياً وسط المواطنين السنة مما يثير مفاصد دينية ومخاطر سياسية وأمنية على الدولة والمجتمع الأردني.

٢- الإغراءات المادية والاقتصادية:

فالأردن بلد محدود الموارد، وبحاجة دائمة إلى مختلف أشكال الدعم المالي عبر المنح والهبات من الدول، أو عبر الاستثمارات العربية والأجنبية، لذا قد تستخدم إيران الورقة الاقتصادية للضغط والاختراق سواء بشكل مباشر أو عن طريق الحكومة الشيعية في بغداد.

٣- حركات المعارضة (الإخوان، القوميون، اليساريون):

إن جماعة الإخوان، رغم كل الفضائح التي كشفت زيف المشروع الإيراني الشيعي، ورغم الجرائم التي ارتكبتها ضد كل السنة - ومن بينهم الإخوان - ورغم التحول الكبير في موقف د. القرضاوي تجاه الشيعة ما زالت غير جادة في مواجهته، وما زالت إيران تشكل عند بعض الإخوان خياراً لا بد من اللجوء إليه.

أما القوميون فلا يبالون بالخطر الديني والسياسي للتشيع، ولا يضعون له أي اعتبار، ويقدمون مصالحهم وأطماعهم فوق أي مصلحة دينية ووطنية عليا، ومواقفهم العلنية والصريحة في تأييد نظام بشار الأسد تغني عن التعريف بالخطر المتوقع من جهتهم كمدخل قومي عربي للتشيع الإيراني المقاوم!

٥- التصوف:

فالتصوف قطرة مهمة للتشيع، وهذه الحقيقة الفكرية والتاريخية والواقعية لا ينبغي الغفلة عنها، والصوفية في مصر مثال حي وواقعي على عمق الصلة بين الصوفية والشيعة، وعلى قدرة التصوف على التحول إلى التشيع، أو الترويج لأفكار الشيعة والتغاضي عنها، كما أن الطرفين يجمعهما العداء للاتجاه السلفي، وهذا ما يجعل فرص التعاون بينهما أكبر، ولعل نموذج حسن السقاف ومصطفى أبو رمان دليل على ذلك.

٦- اختراق المجتمع الأردني:

- وهذا الاختراق قد يأتي في عدة أشكال وصور:
- تسامح وتساهل بعض المسؤولين الجاهلين بحقيقة التشيع والسياسة الإيرانية، والذين اغتروا بحملات الإعلام الإيراني والداعية للوحدة مع السنة وحرب الصهيونية.
 - استمالة بعض شيوخ العشائر بالإغراءات المادية أو صفقات وهدايا، أو استخدام النساء (نكاح المتعة)، وقد سمعنا عن زيارات للسفير الإيراني لبعض العشائر الأردنية.
 - فتح أبواب إيران أمام الراغبين في العلاج والدراسة والسياحة، ومن يتابع تصريحات الأردنيين الذين درسوا في طهران يجد أنها متعاطفة مع إيران غالباً.
 - تغذية الاحتقان الأردني - الفلسطيني.
 - استغلال البؤس والفقر في المخيمات الفلسطينية والمناطق المهمشة البعيدة عن الاهتمام الحكومي، حيث يتنامى الشعور الناقم على سياسات الحكومة، ولذلك كان مخيم البقعة بؤرة ظهر فيها تشيع بعض الشباب قبل عدة سنوات.

قد يبدو هذه الإجمال سريعاً أو بسيطاً، إلا أن القصد منه تسليط الضوء على المداخل المحتملة للخطر الإيراني على الأردن، وضرورة إبقائها تحت الدراسة والمتابعة المستمرة، فالمسؤولية لا يتحملها السياسة وحدهم - وإن كانوا المعنيين بشكل أكثر من غيرهم بهذا الموضوع- فالقضية مصيرية وحساسة وتتطلب وعياً خبويًا وشعبيًا وتحركاً من كل الأطراف

والجانب الأشد خطراً عند القوميين هم المفكرون والإعلاميون الذين يجادلون في الحقائق الدينية والتاريخية والسياسية المتعلقة بالخطر الشيعي، ويناضلون في سبيل إثبات عكسها والترويج لخلافها ووضع ذلك في إطار فكري علمي يمكن أن يساهم في تشكيل رأي عام مضلل لا يَر في إيران عدواً يجب الحذر منه والتصدي لمكرهه وكيدته وشوره، وفي المهندس ليث شبيلات نموذج للإسلامي القومي المدافع عن المشروع الإيراني رغم كل جرائمه في العراق وسوريا.

أما اليساريون فتأييدهم العلني للنظام السوري واضح لا خفاء فيه، سواء في الأردن أو في مصر وبقية الدول العربية، وقد ظهرت عدة فعاليات قومية ويسارية أردنية لدعم النظام كـ «اللجنة الشعبية الأردنية لمؤازرة سوريا ضد المؤامرة» فضلاً عن مجموعات من الكتاب والصحفيين والمحامين وبعض النواب السابقين ممن قاموا بزيارة سوريا عدة مرات منذ قيام الثورة.

فهؤلاء ومن يماثلهم يشكلون موضع اهتمام إيراني - سوري بغية استغلالهم وتوظيفهم لخدمة الأهداف والمصالح الإيرانية في الأردن بشكل مباشر أو غير مباشر.

٤- الجهاديون:

سواء في داخل الأردن، أو ممن جاء للقتال في سوريا، فهؤلاء قد يتم استدراجهم من قبل السياسة الإيرانية للصدام مع الأردن، للبرهنة على أن الخطر الذي يواجه الأردن هو الإرهاب السني وليس إيران! والجهاديون (التكفيريون) قوة هائلة لا تعرف المصالح والأهداف ولا تفقه أبعاد العمل الذي تقوم به ومدى أهميته وجدواه، لذا فهم يشكلون قوة جاهزة يمكن استغلالها وتوظيفها من قبل من يحسن ذلك ويوجهها بشكل يخدم مصالحه، ومما يعزز خطر القاعدة كأداة إيرانية للعمل داخل الأردن، العلاقات الوثيقة بين إيران والقاعدة أو على الأصح: التحكم الإيراني بقرارات القاعدة وخططها، منذ زمن أبي مصعب الزرقاوي.

المؤثرة والفاعلة في المجتمع الأردني.

لقد تهاون النظام العراقي السابق كثيراً بشأن الخطر الشيعي، ولم يعد العدة ليوم ينقض فيه شيعة العراق على بلادهم ويستقدمون المحتل الأمريكي لينصر مذهبهم بالتعاون مع العدو التاريخي والاستراتيجي لبلادهم (إيران)، ولذلك كانت نهايته مأساوية.

وكرر الخطأ الزعيم السني اللبناني رفيق الحريري في التعايش والتقارب والتصالح مع السياسات السورية والأطماع الإيرانية فلم يفلح، ودفع حياته ثمناً لذلك، وأصبحت طائفته أضعف الطوائف وأقلها قوة في بلد يموج بالأقليات والمليشيات.

فهذه نماذج سياسية سنية لم تضع في حساباتها أي اعتبار لسنيتها المهددة والمستهدفة إيرانياً، فكان مقتلها في موضع غفلتها.

فلا بد من اعتبار الخطر الإيراني الشيعي من أكبر الأخطار المهددة للأمن القومي الأردني، وأن منطلقات هذا الخطر تتبع من الأيديولوجيا الإيرانية الشيعية التي تحكم إيران، للحفاظ على البلاد دينياً وأمنياً وسياسياً.

الحركة النسوية في تونس...

هل تتكسر رأس الحربة؟

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

لعله البلد العربي الوحيد الذي نجحت فيه الحركة النسوية من الوصول لمعظم أهدافها مدعومة بالقوة الديكتاتورية الفاشية، فالنظام السياسي التونسي المعادي للإسلام والرائد في سياسة تجفيف منابع الإسلام ما كان ليتردد لحظة واحدة في تحقيق كامل الأجندة الغربية التي تقف من المشروع الإسلامي موقف الخصام والتضاد.

(♦) كاتبة مصرية.

المرأة التونسية لم تسع لفرض الأجندة النسوية فلم تتظاهر وتعتصم وتطالب بمنع تعدد الزوجات وعدم وقوع الطلاق إلا أمام القاضي، وبالطبع لم يتم استفتاء النساء التونسيات لإقرار هذه القضايا من عدمها، العكس تماماً هو الصحيح فالنساء رفضن هذه القوانين المليئة بالعوار حتى أن الرئيس السابق الحبيب بورقيبة اعترف غداة الانتخابات في خطاب رسمي بتصويت النساء ضد قائمة حزبه تعبيراً عن رفضهن لقوانين الأحوال الشخصية، مذكراً النساء بأن العبيد الذين حررهم إبراهيم لينكولن رفضوا «مثلكن» الحرية التي وهبت لهم^(١).

ومن السذاجة بمكان تصور أن نظام الحكم في تونس قبل الثورة كان يشغل باله بالتفكير في الديمقراطية والشورى فهو نظام حكم ديكتاتوري بامتياز، وسجله بالغ السواد في كل ما يتعلق بحقوق الإنسان، إذن ما تم إقراره وتقديمه لم يكن من منظور حقوقي ولكن من منظور معاداة ورفض الشريعة الإسلامية فلقد أصبح الوضع الحقوقي للمرأة في تونس بالغ الشذوذ في العالم العربي بفضل مجلة الأحوال الشخصية الصادرة في عهد بورقيبة الذي حكم تونس من ١٩٥٦ إلى ١٩٨٧م.

فقد سحبت المجلة، التي لا يزال معمولاً بها، القوامة من الرجل وجرّمت الزواج العرفي وألغت الولاية على الزواج بالنسبة للفتيات، ومنعت تعدد الزوجات، وجعلت الطلاق بيد القضاء، ووضعت نظاماً لتقاسم الثروة بعد الطلاق، وهو الأمر الذي فتح شهية النسويات للمزيد من المطالبات كالتساوي في الإرث مثلاً.

ولقد بلغ من برجماتية النسويات في تونس وبعدهن عن الشعور الوطني أنهن يتحسرن على زمن بن علي، حتى أن الناشطة التونسية بشرى

(١) نقلاً عن: العفيف الأخضر .. المساواة في الإرث ضرورية وممكنة.

القديمة والحديثة من رجال لديهم هذه الحاجة ومن أجل إشباع هذه الحاجة فهناك طريقان لا ثالث لهما: الزواج أو الزنا. وفي المجتمعات التي تعتبر نفسها مثالية والتي يتعالى مشرعوها على الفطرة الإنسانية في الزواج فليس هناك سوى الحل الثاني، أي الزنا، بكل الأضرار والمفاسد والشُرور التي تترتب عليه.

والنساء اللاتي يطالبن بمنع الزواج الثاني لا يملكن أن يمنعن العلاقة الثانية أو العاشرة فما دام أن الرجل غير مقتنع من داخله بأن زوجته كافية وأنها في عينه تعادل كل نساء الأرض، فلن تفلح كل القوانين من منعه للتطلع لأخرى وعندما نحرم المباح فلن يتبقى إلا دعوة المجتمع للفساد وهذا ما فعله المشرع التونسي عندما قرر أن (كل من تزوج وهو في حالة الزوجية وقبل فك عصمة الزواج السابق يعاقب بالسجن لمدة عام وبخطيئة غرامة) قدرها مائتان وأربعون ألف فرنك أو بإحدى العقوبتين^(١).

والنتيجة كانت انتشار الزنا والسفاح حتى أصبح هناك مشكلة ضخمة تؤرق تونس اسمها (الأمهات العازبات) وهن الفتيات اللاتي سقطن في الزنا من أجل منع التعدد ومن أجل مجموعة قوانين الأحوال الشخصية التونسية السيئة التي عقّدت الشباب في الزواج وأثقلته بما لا يطيق فرفض الزواج الطاهر المليء بالتعقيدات وانطلق يخوض في الأعراض بلا ضابط.

هؤلاء الفتيات أصبحن أمهات من الزنا وواجهن المجتمع وحيدات ومعهن أطفال جنت عليهم هذه القوانين الظالمة وبدأت الدولة والجمعيات النسوية في البحث عن حل لهؤلاء الفتيات ولهؤلاء الأطفال التعساء، ولاعجب، فإن التعدي على الشرع والفطرة لا يخلف إلا المشكلات.

٢- تقييد الطلاق

ومن الأمور التي اعتبرتها النسويات مكسبا عظيما هو تقييد الطلاق ونزع وقوعه من يد الرجل

(١) الفصل ١٨ من مجلة أحكام الأحوال الشخصية التونسية.

بالحاج حميدة الرئيسة السابقة للمنظمة التونسية للنساء الديمقراطيات تعترف بأن «الحركة النسوية في تونس لا تستطيع اليوم المطالبة بما كانت تطالب بما أكثر منه جرأة في العهد السابق» وتقرر بلا خجل أن النظام السابق كان ضامنا لعدم التراجع عن حقوق النساء وأن النسويات اليوم يفتقدن هذا الضمان.

لذلك فالحركة النسوية والمعارضة العلمانية في تونس تخوضان معركة شرسة من أجل الحفاظ على مكتسبات العهد الديكتاتوري،

ففي أغسطس ٢٠١٢ تراجعت «لجنة الحريات والحقوق» بالمجلس التأسيسي تحت ضغوط واحتجاجات وتظاهرات المعارضة العلمانية ومنظمات المجتمع المدني عن اعتماد مشروع قانون تقدمت به حركة النهضة وينص على مبدأ «التكامل» بين الرجل والمرأة عوضا عن «المساواة».

ورأى المحتجون أن عبارة «تكامل» قابلة لأكثر من تأويل وقد تكون مدخلا لضرب المكاسب الحداثية للمرأة التونسية. ودعت «هيئة التنسيق والصياغة» المكلفة بمراجعة ما يتم تضمينه في الدستور من مشاريع قوانين قبل أن يعتمدها المجلس أن ينص الفصل ٢٨ من باب الحقوق والحريات على «مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة والمحافظة على تكافؤ الفرص مع اعتماد معيار الكفاءة» إضافة إلى «تجريم العنف ضد المرأة».

فما هذه المكاسب الحداثية التي حصلت عليها المرأة التونسية؟

١- منع التعدد

لأن الإسلام دين الفطرة فقد منح الرجل الحق في أن يتزوج مرة ثانية أو ثالثة أو رابعة كحد أقصى للجمع بين الزوجات ووفقا لشروط تمنع الضرر والضرار وأهم شرط العدل الممكن، هذه الرخصة تراعي التكوين النفسي للإنسان الذي قد يشعر بحاجة ماسة لزوج ثانيا لأسباب كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها ولم يخلُ مجتمع من المجتمعات

بحيث (لا يقع الطلاق إلا لدى المحكمة)^(١).

وهن يسرن على خطا الغرب والمقررات الأممية التي تعتبر الرجل شبه سفيه ينبغي الحجر عليه حتى لا تهدم عرى الأسرة في لحظة طيش متوقعة منه!

النتيجة المؤكدة لهذا التطرف هو عزوف الرجال عن الزواج واتساع مساحة الفاحشة ولذلك شاعت الروايات الأدبية والأعمال الدرامية التي تصور الزواج كسجن كبير ليس فيه باب للهرب وأن المبدعين والأحرار لا يدخلون قفص الزواج ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

٣- غرامات ظالمة

وفي سياق تعقيد الزواج والترهيب منه قررت مجلة الأحوال الشخصية إيجاب غرامة تعويضية لمن تضرر من الزوجين من الطلاق^(٢)، فيما يشبه تقاسم الممتلكات في النظم الغربية (وبالنسبة للمرأة يعوض لها عن الضرر العادي بجراية تدفع لها بعد انقضاء العدة مشاهرة وبالحلول على قدر ما اعتادته من العيش في ظل الحياة الزوجية بما في ذلك المسكن، وهذه الجراية قابلة للمراجعة ارتفاعاً وانخفاضاً بحسب ما يطرأ من متغيرات وتسممر إلى أن تتوفى المفارقة أو يتغير وضعها الاجتماعي بزواج جديد أو بحصولها على ما تكون معه في غنى عن الجراية. وهذه الجراية تصبح ديناً على التركة في حالة وفاة المفارق وتصفى عندئذ بالتراضي مع الورثة أو على طريق القضاء بتسديد مبلغها دفعة واحدة يراعى فيها سننها في ذلك التاريخ، كل ذلك ما لم تخبر التعويض لها عن الضرر العادي في شكل رأس مال يسند لها دفعة واحدة)^(٣).

ويخص المشرع التونسي المرأة بامتياز إذ يرجع إلى المطلقة حق اختيار التعويض عن ضررها المادي في شكل رأس مال يسند لها دفعة واحدة أو في

شكل جراية عمرية.

٤- مخططات المستقبل

أربكت الثورة التونسية مخططات النسويات اللاتي كن يعتمدن على القوة القهرية لفرض مخططاتهن على النساء التونسيات، بل على المجتمع بأكمله، أما حين يرد الخيار للشعب ففي ذلك الطريق ضياع لمكتسباتهن المزيفة ومن ثم فإن جهودهن في الفترة القادمة ستتركز على الحفاظ على المكتسبات السابقة بأي طريقة وعلى رأسها الاستقواء بالخارج وربط أي مساعدات اقتصادية بالحفاظ على المكتسبات السابقة خاصة مجلة الأحوال الشخصية، وبتعبير بشري بالحاج حميدة: «نسعى اليوم إلى خلق توافق حول عدم وضع مجلة الأحوال الشخصية موضع السؤال».

الأمر الثاني الذي سيسعين إليه إذا نجحن في الحفاظ على ما حققته في عهد الطغيان هو قضية المساواة في الإرث وتكييف الإسلام بحيث يتوافق مع الحداثة (كيف تدخل الفتاة التونسية الجيش لتأدية الخدمة العسكرية الإلزامية جنباً إلى جنب مع الفتى ومع ذلك لا تكون مساوية له في الميراث؟)، المساواة في الإرث ستكون آخر وسام تعلقه النخبة التونسية السياسية على صدرها في مجال تحرير المرأة من رق العصور الخوالي.

في ١٩٥٦ برر أستاذنا العلامة محمد الفاضل بن عاشور عدم إقرار المساواة بين الذكر والأنثى في الإرث عكساً لرغبة بورقيبة بقوله لنا في درس فلسفة التشريع الإسلامي: «قلت له الآن النساء لا يطالبن به والرجال ضده، لكن بعد سنوات ستتطور بالتعليم العقلية وعندها لكل حادث حديث»^(٤)، فهل يستطيع العلمانيون والنسويات الاستمرار في تزييف الوعي وتشويه الشريعة أم ينجح الإسلاميون بكسر رأس الحربة العلمانية في تونس؟

(١) الفصل ٣٠ المصدر السابق.

(٢) الفصل ٣١ من مجلة أحكام الأحوال الشخصية التونسية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) العفيف الأخضر، المساواة في الإرث ضرورية وممكنة.

مشكلة أوروبية قديمة بسبب طبيعة الفكر اليوناني، وتجددت مع الحضارة المادية التي بلغت ذروتها مع الفلسفة الماركسية، حتى أصبحت اليوم نسبة من يؤمنون بوجود إله للكون بينهم ١٤ ٪ فقط.

بدأ المؤلف كتابه عن نشأة الإلحاد

المعاصر وسماته، وأنه بعد تحرر أوروبا من سطوة الكتاب المقدس - المحرف عند المسلمين - وانتصار العلم التجريبي على فرضيات الكتاب المقدس بثبات الأرض ومركزيتها، تغيرت مفاهيم كثيرة لدى الأوروبيين منها: شيوع النظرة الميكانيكية للإنسان والكون وعدم الحاجة للإله، فقد أصبح يمكن التنبؤ بحركة الرياح والموج وتجنب العواصف، وطال عمر الناس باستخدام الأدوية.

ومع وجود نقمة شديدة على رجال

الكنيسة بسبب اضطهادهم للعلماء واستغلالهم للناس واستيلائهم على أموالهم، تفشت نزعة الاستغناء عن الكنيسة وما تؤمن به، ثم جاءت مقولة الماركسية «الدين أفيون

وهم الإلحاد!

عرض: أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

هذا هو عنوان كتاب جديد للدكتور عمرو

شريف، وقد وزعته مجلة الأزهر كهدية لعدد شهر محرم ١٤٣٥ هـ، ويهدف الكتاب بحسب مؤلفه إلى «طرح أنماط الانحراف عن فطرة الألوهية والتدين، والتي تعارفنا عليها باسم الإلحاد، والتي نرصدها بالتأمل العقلي في المجتمعات المعاصرة ... كما نهدف بكتابنا إلى إثبات أن العلم المعاصر في شتى فروعها قد قدم الأدلة القوية في قضية الوجود الإلهي... حتى صرنا - بلا شك - نحيا في زمان تحقق قول الحق

تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

[فصلت: ٥٣].

وكان د. محمد عمارة رئيس تحرير

مجلة الأزهر قد قدم للكتاب وبين أن الإلحاد

(*) كاتب أردني.

الشعوب»، والتي قصد بها تحليل الصراع السياسي مع الحكام والإقطاعيين ورجال الكنيسة، لتفرز بيئة تتقبل بسهولة مقولة نيتشه: «هل مات الإله؟».

وفي عالمنا المعاصر فإن الفلسفة المادية

هي التي أسست للإلحاد، ويشرح ذلك د. عبد الوهاب المسيري باختصار وتصرف يسير، بقوله: «القرن التاسع عشر قد شهد انتقالاً تدريجياً من الرؤية الآلية للإنسان إلى الرؤية العضوية، فإذا كان نيوتن قد جعل من الكون ساعة والإله هو صانع الساعة، فإن عالم دارون العضوي يختفي منه الإله تماماً، فأصول الإنسان تعود للقرد والزواحف، ثم يؤكد فرويد أن غابة القرد تقع داخل الإنسان في شكل واعٍ مظلم وغرائز متفجرة، وبافلوف يجري تجاربه على الكلاب ثم يطبق نتائجها على الإنسان، فهو يفترض عدم وجود فروق جوهرية بينهما. وأخيراً يأتي فوكوياما، فيقارن الإنسان ببعض الأشكال التي ترسم على الرمال ثم تمحوها الأمواج! أي أننا أصبحنا لا شيء».

في الفصل الثاني يعرض المؤلف وفاق

العلم مع الدين، ويقرر أن أساسيات الدين ثلاثة: وجود إله خالق للكون، ووجود غاية من هذا الخلق، وأن للكون نظاماً أخلاقياً يحدده الإله الخالق.

ولذلك حين تجاوز العلماء في أوروبا

الكنيسة ومقولاتها، صُدموا بسؤالين: لماذا خُلق الكون؟ وسؤال: كيف خُلق؟ فقاموا بنفي الغاية عن الكون لعدم قدرتهم عن الإجابة من خلال العلم ولرفضهم جواب الكنيسة! واقتصروا على إجابة السؤال الثاني، وأصبح الإلحاد يتوسع!

لكن هل العلم يتعارض مع أسس

الدين، هل استطاع العلم أن يثبت نفي الإله؟ أو هل ثبت علمياً ما يتعارض مع أسس الدين؟

بالعكس فالذي حدث مع الأيام ثبت

قصور العلم - التجريبي - عن كثير من

المعارف كالفلسفة والفنون واللغات، مما دعا برتراند رسل أن يعترف «أن أكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم، مثل إذا كان الوجود ينقسم إلى مادة وعقل، فما المادة وما العقل، وما العلاقة بينهما... لا إجابة في المعمل»، وبهذا ثبت أن العلم يتعامل مع الآليات فقط وليس الغايات، والتي هي خارج نطاق العلم، وهو نطاق الوحي والإيمان!

مشكلة الأوروبيين أنهم حين أسقطوا

القداسة عن الآليات كالبرق والرعد والتي

كانت تعتبر مقدسة بنفسها، - وهم محقون في ذلك - تجاوزوا فأسقطوا القداسة عن خالق الآليات، وهذا تميز الإسلام الذي رفض أن تكسف الشمس لموت أحد لكنه يعترف بأن الله عز وجل هو خالق الكسوف والشمس والقمر، فنحن نقر بالآليات التي توصل لها العلم باعتبارها من خلق الله عز وجل.

لا يغفل المؤلف عن التنبيه على أن

مذهب الأشاعرة في نفي السببية هو مدخل

لكثير من الملاحدة في التشكيك بالإسلام،

وهذا يثبت خطورة الانحرافات العقدية عن منهج الكتاب والسنة وكيف أن لها آثاراً سلبية خطيرة ولو بعد زمن طويل.

وكان الفصل الثالث من الكتاب عن

براهين العلم على وجود الإله، حيث فند المؤلف بشدة دعوى الملاحدة أن الإيمان وخاصة الإسلام يتعارض مع العلم، ففصل في نظريات نشأة الكون والانفجار العظيم، ومما لفت نظري قوله: «العلماء يؤكدون أن ثوابت الكون الفيزيائية قد تم ضبطها بدقة بحيث تسمح بنشأة الكون، وثبت أن هذه الثوابت تم ضبطها أيضاً بحيث تسمح بظهور الحياة على كوكب الأرض، بل وظهور الإنسان»، فهل هذا كان عبثاً وبدون غاية؟ ولذلك قال بعض علماء الغرب: كيف يستطيع كون خال من الغائية أن يخلق إنساناً تحركه الغائية والأهداف، ثم استعرض تفاصيل قضية ظهور الحياة واستحالة ذلك بالصدفة علمياً.

ولكن المؤلف حاول أن يوفق بين القرآن

الكريم ونظرية التطور المتطورة (التطور الموجه/ التطوير الإلهي)، لكنه فعل هذا تحت ضغط التطور فلجأ للقول بأن كل آيات القرآن الكريم في خلق الإنسان من المتشابه! وذلك حتى يتخلص من (التفاسير التراثية) التي تنص على أن الله عز وجل خلق آدم من الطين مباشرة (الخلق الخاص)!!

وقد كان يكفيه القول بأن آدم عليه

السلام خلق الخلق الخاص ثم سرت على ذريته سنن الله في كونه (القوانين)، والتي خرقت مرة أخرى بخلق عيسى عليه السلام بخلاف السنن والقوانين! والعجيب أن المؤلف يقر أن الله خلق الخلق الخاص ثم استخدم آلية التطور في خلق الكون والكائنات، فلماذا يستثني آدم عليه السلام؟

وفي الفصل الرابع تعرض لقضية

الأخلاق بين الدين والإلحاد، وأثبت أن الدين هو محدد الأخلاق الصحيح، لأن العلم لا يحدد معايير للخير والشر، ومن هنا نرى كيف تطورت العلوم لإنتاج أسلحة فتاكة أو أسلحة عرقية بشعب محدد، وكيف أن بعض العلماء يسخر علمه للإضرار بالآخرين، وكما قال الأديب الروسي دستوفسكي: إذا لم يكن الإله موجوداً فكل شيء مباح.

ويختم بالفصل الخامس عن الإلحاد في

عالمنا الإسلامي، وذكر بعض أنماط الإلحاد التي تورط بها بعض الشباب، والتي لا تقوم على حجج ومفاهيم بقدر ما هي أزمتات نفسية ترغب بالتفلسف من الأحكام الشرعية وقيود الأخلاق الكريمة.

وفي الخاتمة ركز على إبطال بعض

الشبهات وخاصة شبهة «الألم والشر» التي يتحجج بها الملاحدة لإلحادهم، بقولهم كيف يقوم الإله الرحمن الرحيم بالسماح للشُرور والآلام أن تصيب البشر، من الأطفال والأبرياء وغيرهم، وهذه حجة ساقطة لأن الإيمان يقوم على أن هذه الشرور ليست نهاية المطاف كحال الإلحاد الذي لا يؤمن باليوم الآخر، فالمؤمن يؤمن أن هناك حياة أخرى سيعوض فيها الناس عن آلامهم ومتاعبهم، ويأخذون حقوقهم، وإلا لكان المجرمون هم الفائزين في الدنيا، ولكانت أخلاق الغابة هي قمة العقلانية!!

١. مقاطعة الطيران المغربي وعدم السفر إلى المغرب، وإرسال الأموال إلى الأقارب والاستثمار.
٢. تعويض شيعية طنجة في بلجيكا المستهدفين خاصة بالحملة الإعلامية الأخيرة لطنجة، بسبب لقضاء العطل ولقاء الأقارب.
٣. تنازل جماعي عن الجنسية المغربية وإعادة الجوازات القديمة وبطاقات التعريف بشكل جماعي إلى قنصليات المغرب.
٤. الضغط على الحكومات الأجنبية عن طريق طرح قضاياهم في برلمانات الدول التي يعتمد المغرب عليها بشكل أساسي.
٥. تكثيف النشاط الإعلامي والحقوق.

شبكة زاوية المعلوماتية

٢٠١٣/١١/ ١٧

الحقيقة

قالوا: التشيع في مصر قضية جد شائكة، فلأول وهلة يظن البعض أن التشيع في مصر يندرج تحت حرية العبادة والمذاهب، وأن التضيق عليه وعلى قادته وحسينياته نوع من التعصب المذهبي ومناقض للحريات، لكن الموضوع ليس بهذا التبسيط، فمصر وإن حكمها الشيعة الفاطميون الباطنيون إلا أن المسلمين المصريين حافظوا على سنيتهم ولم يسمحوا للتشيع أن يكون له موطئ قدم منذ أن أسقط صلاح الدين حكم الفاطميين، وبقي أثر التشيع في تأثر التصوف بممارساته وشعائره دون التأثير بعقائده وتشريعاته.

فالقبول بجسم غريب في الجسد المصري يعني، كما قال وكيل الأزهر، تقسيم شعب متوحد، أو على الأقل زرع بذور فتنة مذهبية سلمت منها مصر عشرات القرون، كما أن في أدبيات التشيع وكتبه وآثاره كما كبيرا من

إيران لا تتدخل في شؤون دول الجوار

قالوا: «الوضع الحالي ينبئ بأن وصول المالكي لا يكون إلا بدعم من التيار الصدري، وهذا غير وارد في أجندته»، وأضاف «الجمهورية الإسلامية الإيرانية قد أخبرتني على لسان أحد قياداتها الكبيرة أنها لا تدعم ولاية ثالثة للمالكي».

مقتدى الصدر

الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٢/١

الحوار على أصوله

قالوا: استغرب المواطنون العراقيون من مشاركة الوكيل الإداري والمالي لديوان الوقف الشيعي سامي المسعودي في مؤتمر حوار الأديان والذي عقد في العاصمة النمساوية فيينا، وذلك للدور الكبير الذي لعبه في اغتصاب المساجد السنّية في العاصمة بغداد وديالى وتحويلها إلى حسينيات تابعة للوقف الشيعي.

مدونة سنة العراق

٢٠١٣/١١/٣٠

إسرائيلي تخرق صوفية السنغال

قالوا: الدبلوماسية الصهيونية تبذل جهداً كبيراً في البلاد لخلق تعاطف مع اليهود من أجل اعتبارهم ضحايا، ونجحت إسرائيل في استضافة أئمة مساجد وممثلي بعض الطرق الصوفية بالسنغال إليها.

«الحسن لو»، عضو المكتب التنفيذي

للتجمع الثقافي الإسلامي

مفكرة الإسلام، ٢٠١٣/١١/١٢

خطة شيعية المغرب

قالوا: سيناريوهات مطروحة لمواجهة الشيعة المغاربة للدولة في حال أقدمت على انتهاك حقوقهم وهي:

التحقيق في حادثة غريبة من نوعها ، حيث قامت مجموعة من «الشيعية» باختطاف طفل يبلغ من العمر ١٥ عاماً ، وهو ابن شيخ سلفي أردني معروف.

حيث قامت مجموعة من «الشيعية» باختطافه من منطقة طبربور بالعاصمة عمان ، وتم اتياده إلى منطقة مجهولة.

وتعرض الطفل خلال اختطافه للتعذيب ، قبل أن تقوم المجموعة بإلقائه أمام مستشفى الأمير حمزة في طبربور ليلة الأحد ، ووجد الطفل أمام المستشفى وهو في حالة نفسية سيئة جداً ، وأصيب بانهيار عصبي حاد ، حيث أدخل إلى المستشفى لتلقي العلاج ، فيما التحقيقات جارية للوقوف على ملابسات الحادثة.

وقامت المجموعة الخاطفة بتوجيه رسالة إلى الشيخ السلفي من خلال ولده ، حيث كتبت على يد الطفل: «لا تتحدث عن الشيعة» ، وقال الطفل خلال وجوده في المستشفى وهو بحالة نفسية سيئة إن الخاطفين قالوا له: «قل لأبيك لا تتحدث عن الشيعة».

الأثير نيوز

٢٠١٣/١٢/١

الشیطان یعظ!

قالوا: ظريف قالها بصراحة في قلب الغرب لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي): «أعتقد أننا جميعاً ، بغض النظر عن خلافاتنا بشأن سوريا ، نحتاج إلى العمل معا فيما يتصل بالقضية الطائفية.. تجارة ترويج الخوف سائدة ، ويجب أن لا يحاول أحد إذكاء لهيب العنف الطائفي. يجب أن نكبح جماحه ، وأن نهيئه لمحاولة تفادي صراع سيقوّض أمن الجميع» ، متهما ، زعماء دول عربية «بإذكاء لهيب العنف الطائفي». هذا الكلام يستسخ منطق بشار الأسد ومسوغاته لتدمير سوريا وقتله أكثر من ١٦٠ ألف إنسان ، وعن أن نظام دمشق «يقا تل التكفيريين نيابة عن العالم كله». ويضاف إلى مواقف حسن نصر الله الذي «اكتشف» أخيراً أن خطر «التكفيريين» أكبر من خطر الاحتلال الإسرائيلي ، وأخيراً لا أخراً ، هناك المواقف الرسمية لحكومة نوري المالكي في العراق بالاتجاه نفسه.

إياد أبو شقرا - الشرق الأوسط

٢٠١٣/١١/١٣

الأقوال والمأثورات المسيئة التي تسب وتشتم وتلعن زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته والتي يحييها ويبعثها من مرقدها «المتعصبون» من الشيعة في مجتمع يحب الصحابة وأمّهات المؤمنين رضي الله عنهم جميعاً لدرجة الوله ، وفعلًا فقد أطلت الفتنة المذهبية بعد الجرأة في الحديث عن بعض الصحابة في عام ٢٠١٢ والذي أدى إلى مقتل حسن شحاتة زعيم الشيعة المصريين.

حمد الماجد

الشرق الأوسط ٢٠١٣/١١/٢٤

لا يفدع المؤمن من جحر مرتين!

قالوا: لما تلاقي الناصريين بيعملوا تنظيمات مسلحة تروح تقتل مع بشار الأسد الشعب السوري ... ده اسمه إيه؟ وأضاف: فيه تنظيم ناصري مسلح اسمه «الحرس القومي العربي» تابع لمنظمه الشباب القومي العربي شغال في سوريا ومصر وتونس بيشغل بنفس طريقة القاعدة .

تفريعات محمد عادل -

أحد مؤسسي حركة ٦ إبريل

المصريون ٢٠١٣/١١/٢٣

إلى جنان الخلد إن شاء الله

قالوا: تم اغتيال العالم المسلم الماليزي الشيخ أحمد راي في والذي كان المحرك الرئيس وراء إصدار قانون في البرلمان الماليزي يجرم نشر التشيع والنشاط الصفوي.

الشيخ أحمد راي رحمه الله كان يعمل مديراً لقسم مكافحة الفرق الضالة بإدارة الشؤون الإسلامية بولاية بهانق ٢٥٠ كم شرق كوالالمبور ، وقد كان نشيطاً جداً في مواجهة المد الشيعي من خلال عقد الندوات بالمساجد والمعاهد والجامعات الدينية وكذلك تتبع أوكار الشيعة والقبض عليهم..

وقد اغتالته يد الغدر أمام باب منزله حيث طرق عليه أحدهم ولما خرج إليه أخذ يتحدث معه وبعد فترة قصيرة نزل شخص آخر من سيارة كانت تقف في مكان قريب وتوجه إليهم وأخرج مسدساً من جيبه وأطلق عليه ٣ طلقات ثم توجه مسرعين إلى السيارة حيث كان يقودها شخص ثالث حيث فروا من الموقع.

جريدة البشائر ٢٠١٣/١١/٢٧

كيف لو كان لهم قوة ونفوذ!!

قالوا: باشرت شرطة وسط عمان ليلة الأحد ،

يلبس «عمامة سوداء»! فتعجب الحضور منه! لأن لبس العمامة السوداء ليس منتشرًا عندنا، والمعروف أن من يلبسها هم الشيعة! والرجل كان قد قلم من العراق!

ذهبت أنا وأحد الإخوة - وهو مقرئ معروف - للتعرف عليه... وكان ذلك ليلة الخميس ٢٨/٨/٢٠٠٢م، طرقتنا باب بيته، ففتح لنا، وكان في يدي هدية - وقد تربينا بفضل الله على احترام الناس، فأخذت معي هذه الهدية الرمزية - فقال لي الشيخ: ما هذا؟ فقلت له: هدية صغيرة!!

فغضب قائلاً بلهجته السورية - ونحن ما زلنا نقف عند الباب - : «والله أنا من أبو بكر (هكذا قالها)! الصديق ما برضى»!!!! ومدة الكلمة الأخيرة!!!

فلم أتكلم... وتعجبت من كلامه! ثم لما عرفته على حقيقته زال عجبتي! فهو عنده «مرض ادعاء الشرف» وأنه من آل البيت! فكيف يقبل الهدية من أبي بكر وهو الشريف! - وكأنني به أراد الانتقاص من أبي بكر - رضي الله عنه - ! فهل هناك عاقل يحب رسول الله ﷺ يرفض هدية من أبي بكر؟! - فكيف بهذا الكلام الخبيث من هذا الخبيث!

دخلنا وطلبنا منه أن ندرس عنده من أجل أن يجيزنا، وكان عنده بعض الناس وسئل بعض الأسئلة في المجلس... ومن خلال إجاباته تبين لي أن الرجل فيه شيء!!

"الرصاص المذاب" على رأس "د. عذاب" لسببه "الأصحاب"!

د. خالد الحايك - موقعه الخاص

أرسل لي بعض الإخوة مقالة كتبها الدكتور «عذاب الحمّش» على صفحته في الفيسبوك - قبل أن يحذفها! وما كنت لأنشرها طالما أنه حذفها لولا علمي بالرجل أنه ينتهز الفرصة تلو الفرصة للطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، وقد سمعت هذا منه شخصياً.

وسأورد قصتي معه قبل أن أذكر مقالته الخبيثة ونقضها، وصبّ الرصاص المذاب عليها، وعلى رأس صاحبها بإذن الله الواحد القهار، الذي اختار أصحاب النبي المختار، ومن أحسن منه في هذا الاختيار! - سبحانه هو العزيز الجبار.

والدكتور (عذاب) - بالمعجمة وليس بالمهملية، هكذا سمعته يقول: سمّاني جدي بهذا الاسم - !! وكأن جدّه توسم في هذا المولود فسماه بهذا الاسم! ثم بعدها قاموا برفع النقطة عن اسمه ليصبح «عذاب»! لكن سنبقيه على ما اختاره هو بالبدال.

عرفت الشيخ منذ أكثر من عشر سنوات لما جاء إلى الأردن قادماً من العراق... وكانت أول مرة رأيته فيها لما جاء مع بعض الإخوة لحضور مناقشة رسالة أحد إخواننا في الماجستير، وكان

فقلت في نفسي: عجباً لأمره!!! ما قصته مع الصحابة؟! يغمز في بعضهم، ويسبب بعضهم! استأذنا وقررت عدم الرجوع إليه إلا أن صاحبنا أصر على الرجوع من أجل الإجازة! فأخبرته أن الرجل يكن البغض للصحابة وأنت رأيت ما فعله وما قاله!!! فما زال بي حتى رجعنا إليه بعد يومين أو ثلاثة...

فجلسنا في مجلسه وكان يتكلم في بعض الأحاديث ويخيب ويغالي في تضعيف أحاديث الصحيحين... ويظهر عداوة شديدة لبعض أصحاب رسول الله ﷺ!!!

فقلت لصاحبي: والله لا أرجع إليه أبداً... وكان هذا بفضل الله مع محاولته معي أن أعمل معه عندما كان يشتغل مع أصحاب بعض القنوات الفضائية من الصوفية في مكتب تحقيق لهم بإشراف «ممدوح سعيد»!!

فبعد الجلوس معه وسماعه تبين لي أن الرجل ليس بثقة في دينه، وفي قلبه بغض شديد على أبي بكر وعمر! ومن الأمور التي يعتقدها وسمعتها منه في تلك المجالس:

١- يعتقد بأن خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - كانت غصباً، وعليّ كان أحقّ بها.

٢- قال بأن أبي بكر وعمر كانا «ديكتاتورين»!!

٣- جرى ذكر معاوية - رضي الله عنه - في مجلسه فقال بلكنته السورية: «كندره - أي حذاء - صدام أحسن من معاوية»!!!.

٤- يقول بأنه لم تحصل هناك ردة، وقد تعدى أبو بكر وقتل عشرة آلاف مسلم ظالماً، وقال: أخشى أن يعاقبه الله على ذلك! كذا قال!!

٥- ادّعى بأن هناك أربع قبائل فقط امتعت عن أداء الزكاة، وقاتل أبو بكر مائة وخمسين قبيلة!!

٦- يرى أن مانع الزكاة لا يُقاتل ويبقى مسلماً - يعرض بأبي بكر لأنه قاتلهم.

- ٧- قال: «هل ارتد مالك بن نويرة؟! وإنما قتله خالد بن الوليد لينام مع امرأته.
- ٨- قال: «حكم عثمان عشر سنين، ما هو الفقه الذي نُقل عنه! وما هي الخلافات التي حلّها أثناء خلافته»!
- ٩- قال: هل سمعتم أن أبا بكر وعمر قتل أحداً في معركة! وما هي المعارك التي شارك فيها»!
- ١٠- قال: صحّ في فضائل عليّ أربعون حديثاً، ولم يصح في فضل أبي بكر حديث، وقد صح بعض العلماء ثلاثة أحاديث فقط في فضله، فمن أفضل: من صحّ في فضله أربعون حديثاً أم من صحّ في فضله ثلاثة أحاديث!!
- ١١- ضعّف الحديث الذي رواه البخاري في الصحيح: «سُدُّوا عَنِّي كُلَّ حَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، غَيْرَ حَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ»، وقال: «هذا الحديث لا أصل له؛ إذ أن أبا بكر كان يسكن السُّنْح، ولا داعي لأن يكون له باب في المسجد النبوي، ولم يصح هذا الحديث إلا في فضل عليّ فكان له باب في المسجد».
- ١٢- قال: «مذهبي كمذهب ابن القطان في عدم قبول مرسل الصحابي، ونزید: فلا تقبل حديث الصحابي المجهول، ولا مجهول الصحبة! ولا المبهم من ذلك الجيل إلا أن يأتي من طريق صحابي صغير عنه، أو يوجد له شاهد قوي». وعليه ضعّف حديث عائشة في صحيح البخاري: أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ: كيف كان يأتيك الوحي!
- ١٣- حسن حديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»!
- ١٤- قال: عندما تقرأ الحديث لا تترضى عن معاوية وعمرو بن العاص وشلتهم! - بحسب تعبيره -!
- ١٥- لا يرى أن لمعاوية بن أبي سفيان صحبة!
- ١٦- قال بأن صدام حسين أفضل من معاوية، ومعاوية طليق ابن طليق!
- ١٧- قال: «أحصيت لعمر في الكتب الستة-

أو قال: في الصحيحين (الشك مني) - ثلاثة وسبعين مخالفة لرسول الله ﷺ!

١٨ - قال: «لا أثق باهل النقد العراقيين أمثال: سفيان الثوري، ويحيى، وابن المديني؛ لأنهم كانوا يرون شرب النبيذ»، قال: «قلت لأهل العراق: تعلمت منكم شيئاً واحداً - وهو كان يحدث عنهم بأنهم لا يعيشون بلا خمر - تعلمت بأن لا أثق بأي واحد من النقاد لا قديماً ولا حديثاً!»، فسأله صاحبي: وكيف تقيم الرواة إذا لم تعتمد على أقوال هؤلاء النقاد؟ فقال: «أقيمهم على منهجي الخاص»!

١٩ - ينكر أن يكون أبو بكر صلى بالناس في حياة النبي ﷺ! ويزعّم أن ابن حجر قال: «والتحقيق أن أبا بكر لم يصل بالناس قط»!، قلت: الرجل يكذب على العلماء، ومن قرأ في كتابه المسمى: «الأمالي العراقية» يجد هذا جلياً فيها.

٢٠ - ادّعى أنّه حضر يوماً مجلس الشيخ عبدالعزيز بن باز في كتاب الترمذي، وبعد الدرس أخبره صاحبه - وهو زهراني - بأن الشيخ ابن باز لا يقرأ الأحاديث قراءة صحيحة على طريقة المحدثين.. فوصل الخبر للشيخ ابن باز فاتصل بعذاب وقال له: «درس الحديث القادّم لك»، فقال له عذاب: «لا»، فأصر الشيخ ابن باز. قال عذاب: فقممت بإعطاء الدرس في الأسبوع التالي، وسرّ الشيخ ابن باز بقراءتي الصحيحة للأحاديث، وقال لي: «أنا لا أحسن ذلك»، وأوصاني بأن أقرئ الشباب مثل هذه القراءة.

أقول: يشهد الله أنني سمعت هذا كلّ منه في ثلاثة مجالس من مجالسه: (الأربعاء: ٢٨/٨/٢٠٠٢) و (٣١/٨/٢٠٠٢) و (٢/٩/٢٠٠٢)، وبعد هذه الأحقاد لم أعد إليه أبداً.. وصرت أنبه طلبه العلم بما عنده من بلايا، وكان بعض الدكاترة من المقربين إليه يدافعون عنه دائماً، وكنت أناقشهم في ذلك، وأحدهم - والله - عجيب جداً، نحسبه ممن يفهم علم الحديث، كيف يدافع عن عذاب!

وقد سألته يوماً: لماذا رُدت رسالة عذاب الأولى في العراق؟

فقال: لأنه كتب «كلمة» عن عائشة! وجعل يدافع عنه بأنه لم يقصد المفهوم من هذه الكلمة، وقصد بأنها من الفئة الباغية!! فقلت: عائشة - رضي الله عنها - لم تكن مع تلك الفئة، وإنما خرجت للإصلاح بين الناس.

وقد أخبرني أحد أساتذتنا الثقات ممن درس مع عذاب في مكة بأنه لما ردت جامعة أم القرى رسالته - أو خطة الرسالة، الشك مني - قال حينها: «لو كان رسول الله موجوداً لما ردّ رسالتك»!!

هذا حال الرجل! وهو عنده تناقض عجيب!! حيث يتناقض في المجلس الواحد! وسأقف مع كلامه وأنقضه بالأدلة العلمية - إن شاء الله تعالى. وبعد عشر سنوات أظهر معظم ما سمعته منه في مقالة على صفحته، وأسوقها كاملة، ثم ننسفها في اليمّ نسفاً - إن شاء الله تعالى.

وهذه مقالة عذاب الحمش كما نشرها على صفحته في الفيسبوك:

الشريف عذاب الحمش، ١٤ يوليو، الساعة ١١:٢٢ صباحاً

«درس حديثي غريب؟»

أيها الإخوة المؤمنون.. هناك فرق كبير بين العالم والواعظ والخطيب، وقد يجمع الله في العالم المقدرّة الوعظية والخطابة! ومن جمع بين العلم الشرعي العام وما ذكرناه؛ لا يعني بالضرورة أنه مفسّر بارع، كما لا يعني أنه محدث قادر! وقد يجمع الله في رجل واحد جميع ما تقدّم، لكنه فرق كبير بينه وبين الناقد الحديثي!

كما أنّ هناك فرق شاسع بين من يتعاطى نقد الحديث بما يتيسر له من أقوال العلماء السابقين ويوازن بينها، وبين الناقد المجتهد صاحب المنهج المستقل، الذي يستطيع أن يقيم الحجة على ما يذهب إليه من موافقة المتقدمين والمتأخرين، أو مخالفتهم.

فعلى سبيل المثال.... الأحاديث التي تتحدث عن أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبقاه في فراشه عند الهجرة - أي عليّ - ؛ كلها ضعيفة لا يثبت بمثلها شيء!!

والأحاديث التي تتحدث عن عظمة صحبة أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة؛ كلها غير صحيحة! فقد كان معهما دليلٌ مشركٌ، وكان معرضاً لما كان معرضاً إليه أبو بكر. والحقيقة هي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يثق به ويأنس إليه فاصطحبه معه.

وجميع الأحاديث التي تتحدث عن شجاعة عمر في الجاهلية فهي باطلة، فهو لم يقاتل ولم يبارز أحداً لا في الجاهلية ولا في الإسلام! وجميع الأحاديث الواردة في عزة الاسلام بعمر؛ فهي باطلة، فهو نفسه كان جاراً للعاص بن وائل ليحميه من قريش بعد إسلامه كما في الصحيحين وغيرهما! وحديث هجرته كذب!

وهكذا فإن العلماء السابقين كان من منهجهم التسامح والتساهل في رواية أحاديث الفضائل، ولم يكونوا يعلمون أن المتأخرين من أمثالنا سيجعلونها عقائد يجب أن يعتقدها المسلمون، ويوالون ويعادون على ضوءها. وقد جرّت أحاديث الفضائل من الشرّ الوبيل ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

فمن الواجب على وعاظ اليوم وخطباء اليوم أن ينتبهوا إلى هذه الأحاديث فأنا أجزم أن تسعة أعشار أحاديث الفضائل غير صحيحة، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تكون أدلة المفاصلة بين المسلمين!

فليتق الله هؤلاء الوعاظ المشهورون، وليعلموا أنّ استشهادهم بحديث ضعيف أمام العامة؛ يجعلهم في عداد الكاذبين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ هذا الحديث سيساهم في تشكيل ثقافة العامي. سمعت أحد هؤلاء الوعاظ يقول: أقسم بالله العظيم أنّ أحداً لا يحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من عمر، إلا أبا بكر، ثم راح يتفلسف لإثبات ذلك بكلام فارغ!

ولست أدري ما حاجته إلى هذا، وعمر بن

الخطاب رضي الله عنه أكثر صحابي اجتهد في مخالفة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يؤثر عن صحابي ما أثر عنه من مخالفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باجتهاده طبعاً، وكثير من هذه الاجتهادات لم يستطع العلماء تسويغها، لكنهم سكتوا، وخالفوه! فهل الذي يكون أعلى الخلق حباً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ يكون أكثر الناس مخالفة له باجتهاده طبعاً؟

فممر كان يفتي الناس بأن من أجنب ولم يجد الماء؛ فلا يصلي، وهو كان لا يصلي، وعمر هو الذي يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا أنهي عنهما، وعمر كان يضرب الناس على كتابة حديث رسول الله، حتى كان هذا سبباً في ضياع كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً في العهد المكي، فلا أدري كيف سيواجه هؤلاء الوعاظ الله تعالى؟

رضي الله عن أبي بكر وعن عمر وعن عثمان وعن عليّ، وعن سائر العشرة وعن سائر الصحابة الكرام البررة. لكن لماذا الكذب على الله وعلى رسوله في تشكيل ثقافة المسلمين المعاصرة؟

ألا هل بلغت.. ألا هل بلغت.. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، وأبرأ إليك مما يصنعه هؤلاء الوعاظ الكذّابون، سواء كانوا يعلمون أن ما يقولونه كذب، أم كانوا به جاهلين، وحسبنا الله ونعم الوكيل! انتهي.

وهذا أوان: «صبّ الحديد المذاب» على رأس الجاهل المرتاب الذي سبّ «الأصحاب»!

أما عنوان (عذاب): فأقول: بل درسٌ خبيث!!! يا دكتور (عذاب)!!

ما هذا التناقض؟ أيها الدكتور!! تطعن وتجرح ثم تجبر! أهكذا هو التحقيق العلمي أيها الناقد؟!

هذه المقالة هي طعن في أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ولا يدفع ذلك ترضيك عنهما في آخرها!! وما أثرته حولهما وكذبتة هو ما يثيره الروافض!

وطريقتك في الحكم والتقييم ليست مبنية

على أدلة واضحة وإنما هي انطباعات شخصية!!

واستنتاجات ذاتية تفتقر إلى الأدلة، وغالب ما قلته دعاوى في دعاوى، وهي متهافة لا تصمد أمام الدليل العلمي، بل هي مجازفات وتعميمات نابغة عن شيء في النفس!! وإلا فإن كانت صحيحة قد وصلت لها بأدلة علمية مقنعة فلم لم تذكرها!!؟

أولاً: أما كلامه عن التساهل في أحاديث الفضائل فهذا منهج عند بعض أهل العلم وما قاله فيه مبالغة كبيرة جداً. وأنت يا شيخ عذاب قد خلطت بين أحاديث «الفضائل» وبين أحاديث «المغازي والسير»!! فالذي ذكرته هو من الباب الثاني وليس من الفضائل.

ومنهج أهل العلم في قبول أخبار المغازي والسير يختلف عن قبول أحاديث الحلال والحرام؛ لأن معظم ما وصلنا منها إنما وصلنا مرسلاً، فلا نستطيع إهداره هكذا، ولهذا المنهج أدلة وضوابط ليس هذا مكان تفصيلها.

وقد روى أصحاب المغازي قصة رقود عليّ - رضي الله عنه - في فراشه ﷺ كحادثة من سيرته، وهذا لا يُنكر أبداً. وقد ذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: «فرقد عليّ على فراش رسول الله ﷺ يوري عنه، وباتت قريش تختلف وتأتُم أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه حتى أصبحوا، فإذا هم بعلي، فسألوه، فقال: لا علم لي فعلموا أنه فر منهم». وذكر ابن إسحاق نحوه، وزاد: «إن جبريل أمره لا يبيت على فراشه فدعا علياً فأمره أن يبيت على فراشه ويسجى ببرده الأخضر، ففعل ثم خرج النبي ﷺ على القوم ومعه حفنة من تراب فجعل ينثرها على رؤوسهم». فهذا مما يقبله أهل المغازي والسير.

ثانياً: أما قولك: «والأحاديث التي تتحدث عن عظمة صحبة أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة؛ كلها غير صحيحة! فقد كان معهما دليلٌ مشركٌ، وكان معرضاً لما كان معرضاً إليه أبو بكر.

والحقيقة هي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يثق به ويأنس إليه فاصطحبه معه».

انظر إلى هذا الكلام المتهافت الذي يريد به (عذاب) أن يجرد أبا بكر - رضي الله عنه - من عظم صحبته للنبي ﷺ، ويكفيه أن الله عز وجل عظم هذه الصحبة بقوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

فأي حديث بعد قول الله عز وجل هذا؟!؟

وقول عذاب فيه تجني على رسول الله ﷺ، لتهوينه من الهجرة وكأنه يقول بلسان حاله بأن ما لقيه نبينا ﷺ - بله أن نخوض في أبي بكر رضي الله عنه - ليس بشيء فهذا دليلهما المشرك لقي ما لقياه فلا فضل للدخان على النار غير الاعتلاء!! وما شأن الدليل المشرك في عظم هذه الصحبة؟!؟

وأي أحاديث هذه التي كلها غير صحيحة؟!؟ هكذا بإطلاق! وما شأن وجود الدليل المشرك معها وشأن هذه الأحاديث؟

يا شيخ عذاب: أنت عشت في مكة مدة طويلة، وأنت تعلم غار ثور الذي اختبأ فيه النبي ﷺ وصاحبه، وهو على مسافة قريبة من الحرم، ولما خرج النبي ﷺ وصاحبه إلى الغار لم يكن معهما الدليل المشرك، والآية واضحة في هذا - ومن هنا أدخل على الروافض المجانين حيث أنهم لبغضهم لأبي بكر قالوا بأن المقصود بهذا الآية ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ هو هذا الدليل المشرك: عبدالله بن أريقط - !!

فالنبي ﷺ لما خرج مع صاحبه ولحقهم كفار قريش لم يكن معهما الدليل فاخترتوا في الغار، وهم لا يحتاجون للدليل داخل مكة فهم أدرى الناس بها، وإنما احتاجوا الدليل ليوصلهم إلى المدينة، وهذا الدليل لحقهم مع عامر بن فهيرة وعبدالله بن أبي بكر بعد ثلاث ليال كما سيأتي

ذكره.

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (١٧٢/٤) في ترجمة أبي بكر - رضي الله عنه - : «ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا

نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ
أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠] فإن المراد بصاحبه «أبو

بكر» بلا نزاع إذ لا يعترض لأنه لم يتعين لأنه كان مع النبي ﷺ في الهجرة عامر بن فهيرة وعبدالله بن أبي بكر وعبدالله بن أريقط الدليل لأننا نقول لم يصحبه في الغار سوى أبي بكر لأن عبدالله بن أبي بكر استمر بمكة وكذا عامر بن فهيرة وإن كان ترددهم إليهما مدة لبثهما في الغار استمرت لعبدالله من أجل الإخبار بما وقع بعدهما وعامر بسبب ما يقوم بغذائهما من الشياه والدليل لم يصحبهما إلا من الغار، وكان على دين قومه مع ذلك كما في نفس الخبر وقد قيل: إنه أسلم بعد ذلك وثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وهما في الغار: ما ظنك باثنين الله ثالثهما والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ولم يشركه في هذه المنقبة غيره».

وأما تهوينك من هذه الصحبة بأن هذا الدليل
المشرك كان معرضاً لما كان معرضاً إليه أبو
بكر فهذا غير صحيح؛ لأن التعريض للأذى كان أشاء وجودهم بغار ثور، ولم يكن هذا الدليل معهم حينها، ثم إن هذا الدليل هذه مهنته وهو يأخذ الأجر المادي على ذلك، ولو أن قريشاً أمسكته لربما لم تفعل له شيئاً لأنهم يعرفون أن هذا عمله... بل كان حليفاً لآل العاص بن وائل...

روى البخاري في «صحيحه» عن عُرْوَةَ بْنِ
الزُّبَيْرِ، عن عائشة رضي الله عنها: «وَأَسْتَأْجَرَ
النبي ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدَّيْلِ ثُمَّ مِنْ بَنِي
عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًّا خَرِيَّتًا - الْخَرِيَّتُ الْمَاهِرُ
بِالْهَدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حُلْفٍ فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ
وَأَيْلٍ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارٍ قُرَيْشٍ فَأَمْنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ

رَاحِلَتَيْهِمَا، ووعداه غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ فَأَرْتَحَلَا وَأَنْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ وَالِدَيْلِيُّ الدَّيْلِيُّ فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ».

وانظر إلى الحقيقة التي اكتشفها (عذاب)

بقوله: «والحقيقة هي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يثق به ويأنس إليه فاصطحبه معه». ما شاء الله!!

هل هذه هي الحقيقة؟ كان النبي ﷺ يريد ونيساً في رحلته!!

هل هذا كلام علمي؟ أم أنه الخبث والمكر لسلب الصديق هذه الصحبة التي أرادها الله لنبيه ﷺ، بل ومدحها الله عز وجل في كتابه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾.

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتُ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ التَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِّنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرْعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهُرًا فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرِ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ - يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدِي ثَاقَتَيْنِ أَعَدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا بِالنَّعْمَنِ».

فهذا يدل على أن أبا بكر كان ينتظر الإذن بالهجرة مع حبيبه ﷺ، نعم هو يثق به ويأنس به، وهو كذلك يثق بغيره ويأنس بهم ممن أسلم غير أبي بكر، ولكن الحقيقة ليست كما توهمها الـ (عذاب)!!

ثالثاً: وأما قولك: «وجميع الأحاديث التي تتحدث عن شجاعة عمر في الجاهلية فهي باطلة، فهو لم يقاتل ولم يبارز أحداً لا في الجاهلية ولا في الإسلام» فاذاً لنا هذه الأحاديث حتى ندرسها؟!؟

فهذا القول إما صادر منك عن جهل! أو كذب سببه الحقد!! والذي يريده (العذاب) بيان أن عمر كان جباناً!! فما هو مقياس الشجاعة الذي تتكلم عنه أيها الناقد الفذ؟!

فعمر - رضي الله عنه - لم يتخلف عن أي غزوة من الغزوات مع رسول الله ﷺ ، فالذي يخرج للقتال هل يكون شجاعاً أم جباناً؟ والذي يخرج للقتال لا بد أن يقاتل وإلا لماذا خرج؟!

قال ابن سعد: «شهد عمر بن الخطاب بداراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وخرج في عدة سرايا فكان أمير بعضها». وهل المبارزة التي كانت تحدث قبل التحام الجيوش كانت على نطاق واسع حتى يخرج عمر ليارز؟!

وعمر - لا شك - أنه من أشجع فرسان قريش، وإلا لم تكن له هذه الهبة التي كان يفرض منه الشيطان بسببها! ولا كذلك يهابه المسلمون والكافرون!! وحتى ثبت شجاعته لا نريد أن نأتيك بنصوص من الكتب؛ لأنه لو كان الحال كذلك، لقلنا لك: عن كل من لم يأتنا عنه أنه لم يبارز في جاهلية ولا في إسلام فهذا ليس بشجاع!!

ونبينا ﷺ كان أشجع الناس ولم يثبت عنه أنه بارز أو قاتل أحداً في الجاهلية، ولم يبارز أحداً في الإسلام.

وكم من حادثة حصلت كان يرفع فيها عمر سيفه فلا ينزله حتى يأمره بذلك النبي ﷺ. وقد اتفق أهل العلم على أن عمر - رضي الله عنه - قد قتل العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي - وهو جد عكرمة بن خالد الحافظ الثقة - والعاصي هو

أخو أبي جهل، قتله عمر رضي الله عنه ببدر كافراً وهو خال عمر.

روى ابن شهاب قال: قال عمر لابنه سعيد يوماً: لم أقتل أباك، وإنما قتلت خالي العاص بن هشام، وما بي أن أكون أعتذر من قتل مشرك، فقال له سعيد: «لو قتلتك كنت على الحق وكان على الباطل»، فتعجب عمر من قوله وقال: «قريش أفضل الناس أحلاماً».

رابعاً: وأما قولك: «وجميع الأحاديث الواردة في عزة الاسلام بعمر؛ فهي باطلة، فهو نفسه كان جاراً للعاص بن وائل ليحميه من قريش بعد إسلامه كما في الصحيحين وغيرهما! وحديث هجرته كذب!». فالأحاديث التي جاءت في عزة الإسلام بعمر صححها الترمذي وابن حبان وابن حجر (الفتح: ٤٨/٧)، وربما ضعفها بعضهم لكنها لا تصل إلى درجة البطلان المزعوم!!

وكأنني بالشيخ (عذاب) يريد أن يقرر: طالما أن هذه الأحاديث باطلة وعمر كان يستجير بغيره، فأين هذه الشجاعة؟ وبنى على هذا أن حديث هجرته كذب!! يا شيخ (عذاب): الشمس لا تغطي بغريال..

فهما حاولت من نشر لهذه الضلالات فلن تستطيع أن تحجب شجاعة عمر في الجاهلية ولا في الإسلام، فهذا أمر متواتر عند الأمة... وكان عمر شديداً على من أسلم حتى على أخته إلى أن شرح الله صدره للإسلام فقوي الإسلام حينها بإسلامه...

وها هو عبد الله بن مسعود يقول: «ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر» - أخرجه البخاري في «صحيحه»، ثم ما قتله من أن عمر كان جاراً للعاص بن وائل ليحميه من قريش بعد إسلامه كما في الصحيحين وغيرهما!! فهذا تدليس على القراء، بل هو كذب مقصود، تتحمل وزره!! وتعال معنا لنقرأ عليك القصة الصحيحة حول ذلك كما هي في الصحيحين: أخرج البخاري في «صحيحه» عن

عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ، وَقَالُوا: صَبَا عُمَرُ، وَأَنَا غُلَامٌ، فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ، فَقَالَ: قَدْ صَبَا عُمَرُ فَمَا ذَاكَ، فَأَنَا لَهُ جَارٌ، قَالَ: فَرَأَيْتَ النَّاسَ تَصَدَّعُوا عَنْهُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ».

وفي رواية ابن وهب، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَدِّي زَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ فِي الدَّارِ خَائِضًا إِذْ جَاءَهُ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَبَرَةٌ وَفَمِصٌّ مَكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ، وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ لَهُ: مَا بِكَ؟ قَالَ: زَعَمَ قَوْمُكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَنِي إِنْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَيْكَ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا آمَنْتُ، فَخَرَجَ الْعَاصِ فَالْقِيَ النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي فَقَالَ: أَيَنْ تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي صَبَا، قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَكَرَّ النَّاسُ. وفي رواية عند غير البخاري: «فَقَالَ: صَبَا عُمَرُ، صَبَا عُمَرُ، أَنَا لَهُ جَارٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَتَعَجَّبْتُ مِنْ عِزِّهِ».

وفي مرسل الزهري من «مغازيه» قَالَ: «فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - انْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ: أَيُّ خَالِي أَشْهَدُ أَبِي أَوْ مِنْ بَالِهِ وَرَسُولُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ قَوْمَكَ فَقَالَ الْوَلِيدُ: ابْنُ أُخْتِي تَبَّتْ فِي أَمْرِكَ، فَأَنْتَ عَلَى حَالٍ تُعْرِفُ بِالنَّاسِ يُصْبِحُ الْمَرْءُ فِيهَا عَلَى حَالٍ، وَيُمْسِي عَلَى حَالٍ فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ قَدْ تَبَيَّنَ لِي الْأَمْرُ، فَأَخْبَرَ قَوْمَكَ بِإِسْلَامِي، فَقَالَ الْوَلِيدُ: لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْكَ، فَلَمَّا عَلِمَ عُمَرُ أَنَّ الْوَلِيدَ لَمْ يَذْكُرْ شَيْئاً مِنْ شَأْنِهِ، دَخَلَ عَلَى جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْجُمَحِيِّ، فَقَالَ: أَخْبِرْ أَبِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ: فَقَامَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ يَجُرُّ رِدَاءَهُ مِنَ الْعَجَلَةِ جَرًّا، حَتَّى تَتَّبَعَ مَجَالِسَ قُرَيْشٍ يَقُولُ: صَبَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ تُرْجَعْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ شَيْئاً، وَكَانَ عُمَرُ سَيِّدَ قَوْمِهِ، فَهَابُوا الْإِبْكَارَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ لَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ

عَلَيْهِ مَشَى، حَتَّى أَتَى مَجَالِسَهُمْ أَكْمَلَ مَا كَانَتْ فَدَخَلَ الْحَجَرَ فَاسْتَدَّ ظَهْرَهُ إِلَى الْكُعْبَةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَتَعْلَمُونَ أَبِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتَارُوا فَقَاتَلَهُ رِجَالٌ مِنْهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا وَضَرَبَهُمْ عَامَّةً يَوْمَهُ حَتَّى تَرَكَوْهُ، وَاسْتَعْلَنَ بِإِسْلَامِهِ وَجَعَلَ يَغْدُو عَلَيْهِمْ وَيَرْوَحُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَتَرَكَوْهُ، فَلَمْ يَتَرَكَوْهُ بَعْدَ ثَوَرَتِهِمْ الْأُولَى، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى كِفَارِ قُرَيْشٍ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ أَسْلَمَ فَعَدَبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَفْرًا».

قلت: من خلال هذه الروايات يتبين لنا أن عمر لم يطلب من العاص بن وائل أن يجيره وإنما هو الذي أجاره من تلقاء نفسه لأنه من حلفائه.

وما جاء في بعض الروايات من خوف عمر من الناس فأمر لأنه ثار على القوم وأشهر إسلامه، وقد فعلوا ببينا ﷺ أكثر من ذلك. وأذكرك بأن نبياً من أنبيائه قد دخل المدينة خائفاً يترقب! لقتله ذاك الرجل. قال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ (١٨) القصص: ١٨، وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ

خِيفَةً مُوسَى﴾ (٢٧) قلنا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) طه: ٦٧-٦٨، و قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لَوْطٍ﴾ (٧) هود: ٧٠.

فإن أبى (العذاب) إلا الطعن في عمر بسبب هذا (الجوار) من العاص بن وائل، فأقول له: وما رأيك بدخول النبي ﷺ في جوار (المطعم بن عدي) عند رجوعه من الطائف؟! فهل هذا يدل على الخوف وعدم الشجاعة؟!

حاشاه ﷺ من ذلك، ولكن الأمر الطبيعي أن يدخل الإنسان في تلك الحال في جوار من يحميه؛ لأن المشركين قد جن جنونهم بما جاء به محمد ﷺ من نقض عبادتهم لتلك الأصنام.

بل إن النبي ﷺ نفسه قد ذكر الأمة بذلك

الجوار عندما قال في أسارى بدر: «لو كان المُطعمُ بن عدي حياً ثم كَلَمَني في هؤلاء النتنى لتركتهُم له»، يريد ﷺ أن يجزيه على ما فعل معه في ذلك اليوم العصيب.

وأما حديث الهجرة وأنه رضي الله عنه هاجر علناً وتوعد من يلحقه، فنعم لم يثبت، وهي قصة لم تصح!! وهجرته سرّاً كغيره ليس فيها معنى (الجبين) كما أراد (العذاب) أن يعرض به في ذلك وفي حكمه على هجرته العلنية بأنها باطلة! فالرسول ﷺ قد هاجر سرّاً، واختبئ من الكفار لما لحقوه.. وهذا من باب الأخذ بالأسباب، وليس فيه معنى الجبن الذي رسخ في قلب كل مريض متربص بأمير المؤمنين رضي الله عنه.

خامساً: ثم يواصل (العذاب) افتراءً على عمر - رضي الله عنه - بقوله: «وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر صحابي اجتهد في مخالفة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فلا يؤثر عن صحابي ما أثر عنه من مخالفة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم باجتهاده طبعاً، وكثير من هذه الاجتهادات لم يستطع العلماء تسويغها، لكنهم سكتوا، وخالفوه! فهل الذي يكون أعلى الخلق حباً للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم؛ يكون أكثر الناس مخالفة له باجتهاده طبعاً؟ فعمر كان يفتي الناس بأن من أجنب ولم يجد الماء؛ فلا يصلي، وهو كان لا يصلي، وعمر هو الذي يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهما، وعمر كان يضرب الناس على كتابة حديث رسول الله، حتى كان هذا سبباً في ضياع كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وخصوصاً في العهد المكي، فلا أدري كيف سيواجه هؤلاء الوعاظ الله تعالى؟ رضي الله عن أبي بكر وعن عمر وعن عثمان وعن عليّ، وعن سائر العشرة وعن سائر الصحابة الكرام البررة!!! انتهى. قلت: انظروا إلى خبث الطوية وسوء النية!!!

من قال بأن عمر كان أكثر الصحابة مخالفة

لأحاديث رسول الله ﷺ إلا الروافض عليهم من الله ما يستحقون!!

وهل أراد عمر مخالفة أحاديث النبي ﷺ حقيقة أو أن ذلك يرجع إلى أسباب أخرى في واقعة واحدة أو تنتين!! - وليس بهذه الكثرة التي يصورها هذا الحاقد - ! وهل لو صحت مخالفته لحديثين أو ثلاثة هل نقول بأنه كان يحرص على مخالفة أحاديث النبي ﷺ وننفخ في هذا للطعن فيه!!

ونحن نطلب من (عذاب) أن يأتينا بهذه الكثرة التي ادّعاها في مخالفة عمر لأحاديث الرسول ﷺ؟ وإلا كان كاذباً متعمداً لذلك. وانظروا إلى عباراته: «أكثر صحابي اجتهد في مخالفة النبي»!! وكأنه كان يتعمد مخالفته للنبي ﷺ!! - ولا ينفعه قوله: «باجتهاده طبعاً» - !! لأنه لو كان معتقداً أن هذه المخالفات باجتهاده فلم يضخم مسائلها هكذا!!

وقوله: «وكثير من هذه الاجتهادات لم يستطع العلماء تسويغها، لكنهم سكتوا، وخالفوه»!، وهذا كذب واضح! فقد أجاب عنها العلماء بحمد الله ولم يسكتوا، ولم يخالفوه كلهم، بل إن بعضهم قد وافقه، بل قد وافقه من قبل الصحابة أيضاً.

ثم يوجه العذاب الطعن لعمر بأسلوبه: «فهل الذي يكون أعلى الخلق حباً للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم؛ يكون أكثر الناس مخالفة له باجتهاده طبعاً؟!! يعني بمفهوم المخالفة: لو كان عمر يحب النبي ﷺ لما كان من أكثر الناس مخالفة له!!! وهذا خبث ما بعده خبث!!

ومع هذا سنجيبك أيها (العذاب) عما لم تستطع استيعابه لا حديثياً ولا عقلياً!! فأقول مستعيناً بالله:

١ - أما قولك: «فعمر كان يفتي الناس بأن من أجنب ولم يجد الماء؛ فلا يصلي، وهو كان لا

يُصلي!»، فهل هذه الفتوى مخالفة للحديث؟!

وهل هذا يحصل مع عمر أو غيره دائماً؟ نعم، قد يجنب المرء ولكن هل ذلك دائماً بحيث نصفه ونقول: «كان لا يصلي» لتضخيم المسألة!!! هو لم يصلي عند فقد الماء، وهل الماء دائماً يكون مفقوداً؟

أما الحديث الذي اعتمدت عليه في أن عمراً خالف النبي ﷺ، فهو ما رواه الشيخان في «صحيحيهما» من طريق سَعِيد بن عبد الرحمن بن أَبَرْزَى، عن أبيه قال: جاء رَجُلٌ إلى عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ فقال: إني أَجُنُبْتُ فلم أَصِبْ الْمَاءَ، فقال عَمَرُ بنُ يَاسِرٍ لِعُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا - فَضَرَبَ النبي ﷺ بِكَفِّهِ الْأَرْضَ، وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ»، وفي رواية لمسلم: «فقال عمر: نُؤْيِيكَ مَا تَوَلَّيْتُ»، وفي رواية لأبي داود: «فقال عمر: يَا عَمَرُ، اتَّقِ اللَّهَ! فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شِئْتَ وَاللَّهِ لَمْ أَذْكُرْهُ أَبَدًا. فقال عمر: كَلَّا وَاللَّهِ لَتَوَلَّيْتُكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَوَلَّيْتُ».

قلت: فعمر رضي الله عنه لم يتذكر هذه القصة التي ذكرها له عمر وأنها حصلت معهما - والإنسان ينسى - فهو لم يكن يتذكرها، فكيف نصفه بأنه قد خالف رسول الله ﷺ؟!

قال العيني في «صحيحه» (٣٧/٤): «قوله (لم يقنع بقول عمار) ووجه عدم قناعته بقول عمار هو أنه كان معه في تلك القضية ولم يتذكر عمر ذلك أصلاً، ولهذا قال لعمار فيما رواه مسلم عن عبد الرحمن بن أبزى: اتق الله يا عمار فيما ترويه وتثبت فيه، فلعلك نسيت أو اشتبه عليك، فإني كنت معك ولا أتذكر شيئاً من هذا، ومعنى قول عمار إني رأيت المصلحة في الإمساك عن التحديث به راجحة على التحديث وافقتك وأمسكت، فإني قد بلغت ولم يبق عليّ حرج، فقال له عمر رضي الله

تعالى عنه: إنا نؤليك ما توليت، أي لا يلزم من كوني لا أتذكره أن لا يكون حقاً في نفس الأمر فليس لي منعك من التحديث به». قلت: فعمر لم ينهه عن التحديث به، ولو أراد عمر مخالفة رسول الله ﷺ لمنعه من التحديث به.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٧٣/١٩): «فإن قال قائل: إن في بعض الأحاديث عن عمار في هذا الخبر أن عمر لم يقنع بقول عمار، فالجواب: إن عمر كان يذهب إلى أن الجنب لا يجزيه إلا الغسل بالماء، فلما أخبره عمر عن النبي ﷺ بأن التيمم يكفيه سكت عنه، ولم ينهه، فلما لم ينهه علمنا أنه قد وقع بقلبه تصديق عمار؛ لأن عماراً قال له: إن شئت لم أذكره، ولو وقع في قلبه تكذيب عمار لنهاه لما كان الله قد جعل في قلبه من تعظيم حرمان الله، ولا شيء أعظم من الصلاة وغير متوهم على عمر أن يسكت على صلاة تصلى عنده بغير طهارة وهو الخليفة المسؤول عن العامة، وكان أتقى الناس لربه وأنصحهم لهم في دينهم في ذلك الوقت رحمة الله عليه».

قلت: وقد ذهب مذهب عمر هذا الإمام الفقيه عبد الله بن مسعود أيضاً، فهل هو أيضاً كان يخالف حديث رسول الله ﷺ؟!

روى الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٨٠/١) من طريق الأعمش، عن شقيق، قال: «كنت جالساً مع عبد الله وأبي موسى، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا، كَيْفَ يَصْنَعُ بِالصَّلَاةِ؟ فقال عبد الله: لَا يَتَيَمَّمُ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا. فقال أبو موسى: فَكَيْفَ يَهْدِيهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ

﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ﴿٦﴾ ﴿المائدة: ٦﴾، فقال عبد الله: لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَأَوْشَكَ إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا بِالصَّعِيدِ! فقال أبو موسى لعبد الله: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَارٍ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَأَجُنُبْتُ فَلَمْ أَجِدْ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا، ثُمَّ ضَرَبَ

بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ مَسَحَ الشِّمَالَ عَلَى الْيَمِينِ وَظَاهِرَ كَفِّهِ وَوَجْهَهُ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَوْ لَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ!.

قلت: فهذا ابن مسعود قد احتج بقول عمر في عدم قناعته بما ذكره عمار في هذه المسألة، ولم يفهم لا هو ولا أبو موسى ما فهمه (عذاب) ومن لفت لفه من أن عمر أراد مخالفة حديث رسول الله ﷺ، والمعروف أن عمر كان يتثبت ممن يروي حديث رسول الله ﷺ، والمسألة أن عماراً يقول بأنه كان معه في هذه القصة، وهذا ما استغربه عمر، ومع هذا لم يمنعه من التحديث به. فأين مخالفة عمر لحديث النبي ﷺ!

٢- وأما قولك: «وعمر هو الذي يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهما». فأقول: أما هذا القول المنسوب لعمر بهذا اللفظ فغير صحيح! وقد رواه مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْهَى عَنْهُمَا وَأَعَاقِبُ عَلَيْهِمَا، مُتْعَةُ النِّسَاءِ وَمُتْعَةُ الْحَجِّ». قَالَ النَّسَائِيُّ: «هذا حديث مُعْضَلٌ، لَا أَعْلَمُ رَوَاهُ غَيْرُ مَكِّي، وَهُوَ لَا بَأْسَ بِهِ، لَا أَدرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى عَنْ مَكِّي» لتذكرة الحفاظ: ١/٣٦٦. وروى أيضاً مراسلاً، رواه حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا وَأَعَاقِبُ عَلَيْهِمَا». وهاتان المتعتان اختلف فيهما الصحابة، وعمر إنما أظهر حكم رسول الله ﷺ فيهما، ولم يخالفه.

روى مسلم في «صحيحه» من حديث أَبِي نُضْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَاهُ أَتٍ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ الزُّبَيْرِ اخْتَلَفَا فِي الْمُتَعَتَيْنِ، فَقَالَ جَابِرٌ: «فَعَلْنَاهُمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَهَانَا عَنْهُمَا عُمَرُ، فَلَمْ نُعِدْ لَهُمَا»، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السنن الكبرى» (٢٠٦/٧): «ونحن لا نشك في كونها على

عهد رسول الله ﷺ لكنا وجدناه نهى عن نكاح المتعة عام الفتح بعد الإذن فيه، ثم لم نجد أذن فيه بعد النهي عنه حتى مضى لسبيله ﷺ فكان نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نكاح المتعة موافقاً لسنة رسول الله ﷺ فأخذنا به، ولم نجد نهى عن متعة الحج في رواية صحيحة عنه، ووجدنا في قول عمر رضي الله عنه ما دل على أنه أحب أن يفصل بين الحج والعمرة ليكون أتم لهما فحملنا نهيه عن متعة الحج عن التنزيه وعلى اختيار الأفراد على غيره، لا على التحريم، وبالله التوفيق».

وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٩٥/٤): «والصحيح عندي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم ينه عن التمتع المذكور في هذا الباب؛ لأنه كان أعلم بالله ورسوله من أن ينهي عما أباحه الله في كتابه وأباحه رسول الله ﷺ، وأمر به وأذن فيه، وإنما نهى عمر عند أكثر العلماء عن فسخ الحج في العمرة فهذه العمرة التي تواعد عليها عمر، وفيها روي الحديث عنه أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج، يعني فسخ الحج في العمرة، وعلى أن فسخ الحج في العمرة لا يجوز عند أكثر علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم لقول الله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، يعني لمن دخل فيه، ولا أعرف من الصحابة من يجيز فسخ الحج في العمرة بل خص به أصحاب رسول الله ﷺ، روي عن عثمان بن عفان أنه قال: متعة الحج كانت لنا ليست لكم، يعني أمر رسول الله ﷺ عام حجة بفسخ الحج في العمرة، وقال أبو ذر: ما كان لأحد بعدنا أن يحرم بالحج ثم يفسخ بعمرة، وروى ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن الحارث بن بلال بن الحارث المزني عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، أفسخ الحج لنا خاصة أم لمن بعدنا، فقال: بل لنا خاصة».

وقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث زُبَيْرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو

ذَرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَصْلُحُ الْمُتَعَتَانِ، إِلَّا لَنَا خَاصَّةً» يَعْنِي مُتَعَةَ النِّسَاءِ وَمُتَعَةَ الْحَجِّ.

وقد أنكر ابن عمر أن يكون عمر - رضي الله عنه - خالف ما قاله رسول الله ﷺ ، وإنما لم يفهم قوله.

فروى عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم قال: سئل ابن عمر عن متعة الحج، فأمر بها، فقليل له: إنك تخالف أباك! فقال: إن عمر لم يقل الذي تقولون، إنما قال عمر: أفردوا الحج من العمرة؛ فإنه أتم للحج وأتم للعمرة، أي أن العمرة لا تتم في شهور الحج إلا بهدي، وأراد أن يزار البيت في غير شهور الحج، فجعلتموها أنتم حراماً، وعاقبتهم الناس عليها، وقد أحلها الله تعالى، وعمل بها رسول الله ﷺ ، فإذا أكثروا عليه قال: كتاب الله أحق أن يتبع أو عمر؟ قلت: يعني إذ لم يقتنعوا بكلامه أن أباه لم يقل الذي ينتشر عنه، يقول لهم: إذن اتبعوا كتاب الله واتركوا قول عمر.

فعمر - رضي الله عنه - لم يخالف ما كان عليه ﷺ ، بل هو تبع النبي فيها، ومع ذلك، فهناك خلاف للصحابة في هذه المسألة كما مر.

والخلاصة أن (العذاب) لم يأت إلا بهذين الحديثين في أن عمر كان يخالف رسول الله ﷺ! وقد أجاب العلماء عن ذلك.

وعمر كان كغيره من أصحاب رسول الله ﷺ يتبعون ما سمعوه من رسول الله ، فكيف يخالفه وهو يسمع قول الله - جلّ وعلا - : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ولو كان عمر يحب مخالفة النبي ﷺ لما وجدناه يحدث عنه، فهذه أحاديثه في دواوين الإسلام.

نعم، كان عمر - رضي الله عنه - ربما اجتهد في بعض المسائل في زمن النبي ﷺ كما في أسارى بدر، والصلاة عند المقام، وغيرها، وهذا لا علاقة

له بالمخالفة، بل ينزل الوحي لتسديد رأيه، وها هو ينشرح صدره لقتال المرتدين بعد أن خالف رأي أبي بكر في ذلك، وكان دائماً ينصاع للحق، فكيف لا ينصاع لأمر رسول الله ﷺ ، وما قصة الاستئذان مع أبي موسى الأشعري عتاً ببعيدة حفاظاً على حديث رسول الله ﷺ.

وماذا يقول (العذاب) عن امتناع عليّ - رضي الله عنه - من محو اسم رسول الله في صلح الحديبية حتى محاها ﷺ بنفسه!

وماذا يقول عن امتناع الصحابة عن حلق رؤوسهم في عمرة القضاء! هم رضي الله عنهم كانوا يجتهدون، ثم ينصاعون لأمر رسول الله ﷺ ، ولا يخالفونه.

ثم أين إنكار الصحابة على عمر لو كان فعلاً يخالف حديث رسول الله ﷺ؟! فلا يعقل أن يروه يخالف رسول الله وهم ساكتون! ولو حصلت هذه المخالفات التي يفترها عذاب وغيره لنقلت إلينا عن واحد مثلاً من الصحابة يستكر ذلك كما هو معروف من منهجهم في الحفاظ على أوامر رسول الله ﷺ.

٣- وأما قولك: «وعمر كان يضرب الناس على كتابة حديث رسول الله ، حتى كان هذا سبباً في ضياع كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً في العهد المكي». فأقول: هذه شبهة رافضية! وعليك أن تثبت لنا بالأسانيد الصحيحة - وأنت دكتور في الحديث - صحة هذه الفرية! وأتحداك في إثباتها! فأنت كاذب في دعواك، تتقل عن الروافض وتدعي أنك من أهل السنة! وقد كان عبد الله بن عمرو يكتب كما صرح أبو هريرة فلم نجد أن عمر ضربه أو نهاه.

وانظر إلى تهويل الأمر: «ضياع كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً في العهد المكي»! فهل يُعقل أن يتخلى

اللَّهُ عن دينه، وتضيق أحاديث رسوله وخاصة في الفترة المكية!! أين عقلك يا (عذاب)؟
ولعلي أصحح هذه الفرية التي أتى بها (عذاب) وهي أن أمير المؤمنين اتهم أنه حبس بعض الصحابة لمنعهم من التحديث حتى لا يكتب حديثهم. وهذه الشبهة التقفها الشيعة من كتاب الذهبي «تذكرة الحفاظ» (٧/١)، وهو ما أورده - رحمه الله - قال: قال أبو حاتم البستي: حدثنا الهيثم بن خلف والحسين بن عبد الله القطان، قالا: حدثنا إسحاق بن موسى، حدثنا معن القزاز، عن مالك، عن عبد الله بن إدريس، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه: «أن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري، فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله».

وهذه القصة أخرجها الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٧٨/٢)، قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَيْلٍ الْأَنْطَاكِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْنٌ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ الْأَوْدِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُكْثِرُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَحَبَسَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى اسْتُشْهِدَ». قال الطبراني: «لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيِّ». وقال الإمام الخطيب في كتاب «شرف أصحاب الحديث» (ص ٨٨): «لم يرو مالك عن عبد الله بن إدريس غير هذا الحديث، ولم يحدث عن الكوفيين إلا عنه؛ لأنه كان على مذهبه في تحريم النبيذ، وليس في موطأ معن». وقال أيضاً: «تفرد بروايته معن بن عيسى عن مالك، ولم يروه فيما نعلم غير إسحاق بن موسى عن معن».

قلت: أشار الطبراني إلى أن إسحاق بن موسى تفرد بهذه القصة، ولو صح أن معنأ رواها عن مالك لكانت في موطأه!! وقد استنكرها الذهبي في ترجمته من «السير» (٥٥٤/١١) فقال: «وله حديث

ينفرد به!!»، ثم ذكره، فقال: وقال النسائي: حدثنا إسحاق بن موسى: حدثنا معن: حدثنا مالك.. وساقه، ثم قال: «هذا حديث غريب! وكذلك رواه عبد الله بن ناجية وغيره عن إسحاق الخطمي». قلت: وقد رويت هذه القصة عن شعبة من طريق آخر! رواها أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير الكرماني، قال: حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه: «أن عمر قال لعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وأبي ذر ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب».

قلت: تفرد به الرمادي عن يحيى بن أبي بكير! ولم يروه أحد من أصحاب شعبه عنه! ومثل هذا التفرد عن هؤلاء الثقات (مثل شعبة ويحيى بن أبي بكير) لا يقبله أهل النقد.

ورويت هذه القصة من طريق آخر: قال عبد الله بن أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٢٥٨/١): حدثني أبي قال: حدثنا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: قال عمر لأبي ذر ولعبد الله ولأبي الدرداء - رضي الله عنهم - : «ما هذا الحديث الذي تحدثون عن محمد ﷺ - وأحسبه قال: حبسهم عنده».

قلت: إنما ذكرها أحمد في العلل لأنها منكرة. وقد ردها أهل العلم من ناحية سندها ومتنها. أما من ناحية السند، فقال الهيثمي في «المجمع» (١٣٩/١): «هذا أثر منقطع، وإبراهيم ولد سنة عشرين، ولم يدرك من حياة عمر إلا ثلاث سنين، وابن مسعود كان بالكوفة، ولا يصح هذا عن عمر»، وقال ابن حزم في «الإحكام» (١٣٩/٢): «هذا مرسل ومشكوك فيه من شعبة فلا يصح، ولا يجوز الاحتجاج به».

وأما من ناحية المتن، فقال ابن حزم: «ثم هو في نفسه - أي هذا الأثر - ظاهر الكذب والتوليد؛ لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة، وفي

هذا ما فيه، أو يكون نهى عن نفس الحديث، وعن تبليغ سنن رسول الله ﷺ إلى المسلمين، وألزمهم كتمانها وجحدها وأن لا يذكروها لأحد، فهذا خروج عن الإسلام، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك، ولئن كان سائر الصحابة متهمين بالكذب على النبي ﷺ، فما عمر إلا واحد منهم، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم، فليختر المحتج لمذهبه الفاسد يمثل هذه الروايات الملعونة أي الطريقتين الخبيثتين شاء، ولا بد له من أحدهما» ثم قال: «وقد حدثت عمر بحديث كثير، فإنه قد روى خمس مئة حديث ونيفاً على قرب موته من موت النبي ﷺ، فهو كثير الرواية، وليس في الصحابة أكثر رواية منه إلا بضعة عشر منهم».

ومراد ابن حزم هو بيان أن هؤلاء الثلاثة الذين جاءت الرواية بحبسهم هم أقل رواية من الذي حبسهم، فكيف يحبسهم لكثرة روايتهم؟! فابن مسعود روى عن النبي ﷺ ثمان مئة وثمانية وأربعين حديثاً، وروى أبو الدرداء مئة وتسعة وسبعون حديثاً، أي أقل من عمر! وأبو مسعود روايته قليلة جداً.

وعلى فرض ثبوت الرواية فإن لها معنيان: الأول: أن معنى الحبس هنا هو المنع لا الحبس المعروف عندنا، فقد أخرج الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» هذه الرواية من طريق شيخه ابن البري، ثم قال: قال أبو عبد الله بن البري: «يعني منهم الحديث ولم يكن لعمر حبس».

الثاني: ما رآه الخطيب: أن عمر فعل ذلك احتياطاً للدين، وحسن نظر للمسلمين، مخافة أن ينكلوا عن الأعمال ويتكلوا على ظاهر الأخبار، وليس حكم جميع الأحاديث على ظاهرها، ولا كل من سمعها عرف فقهاها، فقد يرد الحديث مجملاً، ويستتبط معناه وتفسيره من غيره، فخشي عمر - رضي الله عنه - أن يُحمل حديث على غير وجهه، أو يؤخذ بظاهر لفظه، والحكم بخلاف ما

أخذ به. وقال الخطيب: «نهى عمر الصحابة أن يكثرُوا رواية الحديث إشفافاً على الناس أن ينكلوا عن العمل اتكالاً على الحديث، وفي تشديد عمر أيضاً على الصحابة وروايتهم حفظ لحديث رسول الله ﷺ وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل في السنن ما ليس منها؛ لأنه إذا رأى الصحابي المقبول القول المشهور بصحة النبي ﷺ قد تشدد عليه في روايته كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب، ولما يلقي الشيطان في النفس من تحسين الكذب أرهب». لشرف أصحاب الحديث: ص ٨٨ - ٩١.

ويكفي عمر فضلاً ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صعد أهداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «أثبت أحد فائماً عليك نبي، وصديق، وشهيدان».

وبعد، فهذا هو حال (عذاب) يكذب ويفتري، ويبغض الصحابة، وأمام بعض الناس لا يظهر هذا، واغتربه كثير من طلبة العلم، فيقولون بأنه لا يسبّ الشيخين وهو يحبهما، لكنه يقدم علياً عليهما!!! ويصرّح بسبّ معاوية وعمر بن العاص وغيرهما! والرجل صوفي محترق! يمدح الطريقة التجانية ويرى أنها مدرسة تصحيحية!!

ومن حقه على عمر - رضي الله عنه - يريد أن يسلبه علمه أيضاً بقوله: «ومن الثابت المتواتر قول عمر: «قضية ولا أبا حسن لها» ونحوها من العبارات.

بل أنا أجزم أن معظم ما ينسب إلى عمر من علم في الدقائق؛ إنما هو من علم عليّ والتهويل الذي يذكره أهل السنة في علمه؛ فيه نظر بالغ! **أسأل الله عز وجل أن ينتقم من كل من يؤذي أصحاب رسول الله ﷺ.**

الإحصائيات أن ملحمدي العالم: باتت الصين موطنهم وفي الشرق الأوسط أقلهم.

كما كشفت الإحصاءات عن وجود ٥٨ مليون نسمة، أي أقل من ١٪ من سكان العالم، ممن يمكن اعتبارهم «حيارى» في أي دين ينتمون، ومنهم البهائيون والسيخ والزرادشت المجوس و«الويكا» وهي ديانة تأسست في بريطانيا بخمسينات القرن الماضي، كما منهم «الجانيين» المنتشرة اعتقاداتهم في الهند بشكل خاص، وكذلك أتباع «الطاوية» المنتشرين في الصين وما جاورها، وأيضا أشباههم من أتباع معتقد «التريكيو» المستمد فلسفته من امرأة اسمها ميكى عاشت في القرن ١٩ ويكتبون أنها كانت «تتلقى وحياً من السماء» بحسب ما يزعمون.

لكن علينا أولاً وقبل أن نخوض في هذه القضية هي أن نحدد ماهية الملحد.. أو من يطلق على نفسه بأنه لاديني.. لكي نتعرف على أبعاد هذه القضية، ونستلمس السبيل إلى تحديد الأطر التي يمكن الوثوق بها نحو تفنيد الأساس العقيدي الذي يدينون به.

(٢) نشأ الإلحاد منذ وقت مبكر في مختلف الحضارات القديمة، لكنه أخذ بالتبلور كاتجاه فلسفي في بداية الفلسفة اليونانية.

ومن ثم ترجع الجذور الفلسفية للإلحاد إلى الفلسفة اليونانية التي بدأت في القرن السادس قبل الميلاد، حيث اعتنق مجموعة من الفلاسفة اليونانيين الإلحاد، نتيجة البيئة التي نشأوا فيها وهي بيئة مليئة بالأديان الوثنية الشعبية وكانت حافلة بالشرك والمادية والخرافة، والتصورات اللامعقولة عن الألوهية، مما أوجد رد فعل عكسي وهو الإلحاد. فضلاً عن طريقة التفكير المادية في الوجود، خصوصاً عند المدرسة الأيونية التي فسرت الوجود تفسيراً طبيعياً مادياً. وفي العصر الهيلينستي (يقع بين وفاة الاسكندر المقدوني عام ٣٢٣ ق.م وسقوط الاسكندرية على أيدي الرومان في عام ٣٠

سفينة نوح الجديدة...

في مواجهة طوفان الإلحاد المعاصر؟

طه محمد كسبه - موقع الألوكة ٢٨/١١/٢٠١٣

النبي نوح.. أين أنت.. نداءات كثيرة أطلقتها وأنا نائم.. لم يخرجني من حلمي أو كابوسي سوى صوت قادم من أعماق التاريخ.. أولاً تتأدب في حضرة النبي نوح عليه السلام..

حين استيقظت - وفي الحقيقة لم أكن نائماً.. أدركت أنني كنت أحلم حلم اليقظة.. باستدعاء نوح النبي عليه السلام.. كي يصنع لنا فلكا جديدا لينقذ به المؤمنين من طوفان الإلحاد الذي بات باديا في الأفق القريب..

ترى هل يقدر الفلك الجديد على مواجهة طوفان الألحاد المعاصر.. لعلني أراها الآن واحدة من أهم الإشكاليات التي تواجه الإنسان المعاصر.. لكن ما هو ذاك الخطر الذي أفزعني إلى هذه الدرجة .. يستحسن أن نبدأ الحلم من أوله.. أو إن شئت هذا الكابوس المريع..

(١) الأرقام التي أعلنت، والتي يتم تداولها الآن حول أعداد الملحدين أو الذين اتفق على تسميتهم بال« لا دينيين » أو ال« لا أدريين » جد مفزع، وتدعو إلى القلق والخشية من انتشار موجات الإلحاد في الأجيال القادمة. فقد صدرت أحدث الإحصائيات والتي تقول بأن فيلق الملحدين بلغ أكثر من مليار ومئة مليون ملحد حول العالم.

الأرقام تقول بأن الإلحاد أصبح «الديانة» الثالثة بالعدد في العالم بعد المسيحية والإسلام. وهذا يعني أن واحدا بين كل ٦ أشخاص ملحد لا يؤمن بشيء.. وأن أكثر من ٨٤٪ من سكان العالم هم من أتباع الأديان السماوية، أو من المؤمنين باعتقاد ما أو بشيء ما. أما الباقي فلا يؤمنون بشيء على الإطلاق، ومنها اتضح أن سكان الشرق الأوسط هم أكثر شعوب الأرض إيمانا. كما أظهرت

ق. م) ظهر ملحدون آخرون من أمثال أبيقور.

وفي الحضارة الإسلامية تم استخدام وصف

الإلحاد على كل من أنكر النبوة، حتى ولو لم ينكر وجود الله، مثل ابن الرواندي، ومحمد بن زكريا الرازي.

وفي الفلسفة الحديثة، خاصة في القرن الثامن

عشر، ظهر ديفيد هيوم. الذي اشتهر كمؤرخ وكان أول فيلسوف في العصر الحديث يطرح فلسفة طبيعية شاملة تألفت جزئياً من رفض الفكرة السائدة تاريخياً بأن العقول البشرية نسخ مصغرة عن «العقل الإلهي».. بدأ تشكيك ديفيد هيوم برفضه هذه «البصيرة المثالية» والثقة المشتقة منها بأن العالم هو كما يمثلها البشر. كانت حجج وجود الإله كالحجة من التعقيد والحجة من المحرك الأول، كما رفض الديانات كالإسلام والمسيحية وكتبها كدليل على وجود خالق.. وفي القرن التاسع عشر ذهب أوكست كونت إلى أن العلم قد تجاوز الدين، حسب ما يعرف بقانون المراحل الثلاث. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أعلن نيتشه موت الإله، فليس الإله غير موجود فقط، بل أنه مات. ولقب نيتشه بعدو المسيح.

وقد سار الإلحاد في اتجاه المذهب المادي

المنكر لوجود الله، مثلما هو الحال عند الكثير من فلاسفة العصر آنذاك أمثال جاسندي ولامترى ودولباخ وهيغل وماركس ولينين، وفويرباخ وباور سبنسر وهكسلي وداروين. وفي القرن العشرين اتخذ الإلحاد بعداً نفسياً عند مدرسة التحليل النفسي بزعامة فرويد. وظهر شكل جديد من أشكال الإلحاد وهو عدم الاهتمام بما إذا كان الله موجوداً أو غير موجود، وظهر هذا الشكل أيضاً عند كروتشه وهيدجر.

ويرى الملحدون من الماديين أن جوهر العالم

مادي، وأن حقيقة الوجود أو الكون أو العالم هي المادة، فالمادة هي الأصل الأول الذي يشكل وجود الكون. ولا يوجد فيه روح أو شيء إلا ما هو مادي. والمادية ترى أن المادة هي منبع المعارف والوعي

والعقل. ولا تؤمن المادية بالله ولا بالنفس ولا بالنبوة ولا باليوم الآخر، فالحياة الدنيا هي الحياة الوحيدة الحقيقية. وبشكل عام لا تؤمن المادية بأي عقيدة غيبية أو دينية. ويرفض الملحدون الأدلة التقليدية على وجود الله. وهي الدليل الوجودي والدليل الكوني والدليل الغائي. وقدمون حججاً مضادة، وهي في مجملها لا تخرج عن التي قدمها هيوم.

(٣) يصف الملحدون أنفسهم بأنهم لادينيين، ولا يؤمنون بأي معتقد، أي «عدميين» بلا أي ارتباط مع الماورائيات وعليه يمكن القول بأن الإلحاد مذهب فلسفي يقوم على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، ويعد أتباع العقلانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد الذي ينكر الحياة الآخرة، ويرى - المذهب - أن المادة أزلية أبدية، وأنه لا يوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء فذلك مما لا يقبله العلم في زعم الملحدين، الذين لا يعترفون أيضاً بأية مفاهيم أخلاقية ولا بقيم الحق والعدل ولا بفكرة الروح. ولذا فإن التاريخ عند الملحدين هو صورة للجرائم والحماقات وخيبة الأمل وسرد قصته أمر لا يعني شيئاً، والإنسان مجرد مادة تطبق عليه كافة القوانين الطبيعية.

ويشير غير نضر من الباحثين إلى أن أتباع

العلمانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد، ومن هؤلاء: أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية (نسبة إلى داروين في مؤلفه أصل الأنواع). كما يشير الباحثون إلى أن الحركة الصهيونية حين أرادت نشر الإلحاد في الأرض عمدت إلى نشر العلمانية لإفساد أمة الأرض بالإلحاد والمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية كي تهدم هذه الأمة نفسها بنفسها، كما أسهمت نظريات كارل ماركس في الإقتصاد والتفسير المادي للتاريخ والتي بشرت بالفكر الشيوعي في أعقاب الثورة الروسية في العام ١٩١٧م ونظريات فرويد في علم النفس ونظريات دور كايم في علم الاجتماع، وقد عملت جميعها على تأصيل وترسيخ أسس الإلحاد في العالم..

ونخلص من ذلك إلى القول بأن فكر

الملحدين يقوم على إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارئ، المصور، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. مع النظرة الغائبة للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم. فضلاً عن إنكار معجزات الأنبياء لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون. ومن العجب أن الملحدين الماديين يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول بها الداروينية ولا سند لها إلا الهوس والخيال. والنظر باعتبار أن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت. وإن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. مع عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال. والمعرفة الدينية تختلف اختلافاً جذرياً وكلياً عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي، ناهيك عن أن الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية. كما أن الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات. وأخيراً فإن الملاحدة ينظرون للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً.

وقد ساهم في نشأة الإلحاد الحديث

نظريات ومذاهب وأفكار العقلانية والشيوعية والوجودية. وقد كانت أوروبا مرتعاً خصباً لنشأة الإلحاد بمعناه المعروف الآن. ثم انتقل بعد ذلك إلى أمريكا ومن بعد انتشر إلى بقاع الأرض، لتحل الصين القائمة في أعداد الملحدين وسرعة انتشار الإلحاد على أراضيها.

(٤) وفيما يخلو مؤشر الإلحاد - المستوحى من عدد من الدراسات الميدانية - في البلدان العربية من مصر، فإن المفاجأة أن ٤٪ من الفلسطينيين من سكان الضفة الغربية قطاع غزة الذي انتخب حكومة إسلامية في ٢٠٠٧ يصفون أنفسهم بالملحدين وكذلك، ذلك بالمقارنة بـ ٢٪ في كل من

باكستان وكينا ولبنان وتركيا. فمن أصل ٦٢٦ من الفلسطينيين شملتهم الدراسة أعرب ٤٪ عن إيمانهم بالإلحاد، ورفض ٢٪ الرد وقال ٢٩٪ إنهم لا دينيون.

وفى تونس حيث شارك ٥٠٣ أشخاص في

الدراسة قال ٢٢٪ إنهم لا دينيون ورفض ٢٪ الرد

ولم يبد أحد إلحاده، ومن بين ١٠٥٠٥ ينتمون للطوائف المسلمة شملهم المؤشر فإن ٧٤٪ قالوا إنهم يمارسون ديانة فيما قال ٢٠٪ إنهم لا دينيون و٣٪ اعترفوا بإلحادهم و٣٪ رفضوا الرد. بينما يظهر مؤشر التدين أن ٨٨٪ من العراقيين يصفون أنفسهم بالمتدينين مقابل ٧٥٪ من التونسيين والسعوديين، ثم الفلسطينيين بنسبة ٦٥٪ واللبنانيين بنسبة ٦٤٪.

وبمقارنة نسب الإلحاد في ٢٠٠٥ و ٢٠١٢ في

الدول المسلمة التي شملها المؤشر، فإن نسبة الإلحاد ارتفعت في باكستان بنسبة ١٪ وكينيا بنسبة ٢٪ استقرت في تركيا ونيجيريا فيما انخفضت بنسبة ٤٪ في ماليزيا.

(٥) ويكشف كتاب «من تاريخ الإلحاد» للفيلسوف الوجودي عبدالرحمن بدوي (١٩١٧م - ٢٠٠٢م) وهو أحد أهم الدراسات التي تناولت واحدة من أخطر الظواهر في تطور الحياة الروحية الملزمة لكل حضارة حين تكون في دور المدنية «ظاهرة الإلحاد» والتي هي ثمرة ونتيجة لازمة النفس التي استنفذت كل إمكانياتها الدينية والروحية، فلم يعد بإمكانها أن تؤمن بعد وقد حرص على الكشف عن المناطق الغامضة والمغمومة في وعينا وتاريخنا العربي حول «تاريخ الإيمان» كاشفاً الأستار عن كثير من حقائقه، وأهم المواقف التي شكلته، وكيف أثر في تشكيل المذاهب الفكرية الكبرى في الإسلام - فيشير إلى مذهب المعتزلة الذي يحتوي الخصومات الكثيرة والعنيفة التي كانت تقوم بين كبار المعتزلة وبين الزنادقة، والتي كان يثيرها هؤلاء الأخيرون فيضطر أصحاب الاعتزال إلى أن يتخذوا موقفاً خاصاً بإزائها كما

تأثرت بغيرها من الحضارات، وكيف أثرت تلك العوامل بشكل ما في تنامي مثل تلك الظاهرة الخطيرة.

فلم تكن الحضارة العربية حضارة مقفلة

على نفسها، بل اشتركت مع غيرها من الحضارات من خلال التراث المشترك (الشرق القديم/ الحضارة اليونانية الرومانية/ المسيحية بما لها من عقائد وتصوف) والجغرافيا أيضا (البحر المتوسط/ رحلات الفرسان/ الغزو الإسلامي/ اتساع الحضارة اليونانية الرومانية). إلا أن الحضارة العربية اختلفت في تأثرها بالحضارة اليونانية عن غيرها بسبب اختلاف «العقلية العربية» وموقفها من التراث اليوناني، فهي لم تأخذ إلا ما كان ذو نزعة عقلية منطقية تتفق مع روح الحضارة العربية، بينما العالم الأوروبي قد تعلق بما يعبر عن الروح اليونانية، وهو ما أدى إلى اختلاف التأثير للتراث اليوناني في تشكيل الحضارتين.

وقد كان اتساع الرقعة التي امتدت عليها

الحضارة العربية - تلك التربة التي صبغها الإسكندر بالصبغة الهيلينية - وبلوغها الذروة الحضارية في السنوات الخمسمائة الأولى من ميلاد المسيح والتي عصفت فيها التيارات الدينية والروحية والفلسفية بالمنطقة كنبوء بمصير جديد للعالم ولتلك الحضارة؛ كان لذلك تأثيرا عميقا على الخصائص الرئيسية للروح العربية؛ أهمها: التفرقة الواضحة التي تضعها بين الروح والنفس، وكذلك سيادة الإرادة ثم العاطفة وقيام العقل في المرتبة الأخيرة للملكات النفسية. وتلك الخاصيتان كاشفتان للمظاهر الحضارية المختلفة في الفن والعلوم والدين والسياسة.

(٦)لعلنا هنا نشير إلى أن مشكلة الإلحاد ليست مشكلة دولة أو دين أو نظام، كما أنها ليست نتاج أجواء الانفتاح الفكري والثقافي، إنما هي في حقيقة الأمر مشكلة نفسية تتعلق في الأصل بوجود حالة خواء ديني ومعرفي تتراكم آثاره عبر السنين حتى تنتهي بصاحبه إلى الإلحاد، ساهم في

يكشف الكاتب عن المناخ الفكري والثقافي الخصب والمتسامح الذي هيأته الحضارة الإسلامية لتلك الأفكار على الرغم من مصادمتها للعقائد والآراء السائدة فيها، متمنيا في آخر كتابه أن تعود تلك الروح المتسامحة لتعم أقطار عالمنا العربي. ويفرد الكتاب الكثير من الصفحات للحديث عن الإلحاد العربي، باعتبار أن ظاهرة الإلحاد هي من أخطر الظواهر في تطور حياة العرب الروحية، بل واحدة من أخطر النزاعات التوجيهية في الإسلام، ويعقب على ذلك بقوله أن تلك الظاهرة اختلفت عن غيرها وفقا لروح الحضارة التي انبثقت عنها. فإذا كان إلحاد الحضارات الأخرى (اليوناني والغربي عموما) توجه مباشرة إلى «إنكار الإله»، فإن الإلحاد العربي قد تقيّد بما تضعه الروح العربية من صلة في تدينها الخاص بين المخلوق والخالق، فاتجه الملاحدة العرب جميعا إلى فكرة «إنكار النبوة والأنبياء» وتركوا فكرة الألوهية. ولا فرق في الواقع بين كلا الموقفين لأن كليهما سيؤدي في النهاية إلى «إنكار الدين».

أما العوامل الثانوية الأخرى التي ساعدت

على تنامي تلك الظاهرة فأهمها: الانتقام

الشعوبي من جانب المغلوبين وما يستتبعه من تعصب لدينهم القديم أمام الدين والثقافة الوافدة. وكذلك تعاطم النزعة التويرية كنتيجة لانتشار الثقافة اليونانية في تلك الأصقاع، وكان شأنها شأن كل نزعة تويرية تقوم على أساس: تمجيد العقل، وعلى فكرة التقدم المستمر للإنسانية بغض النظر عن القرب أو البعد من الرسل والأنبياء، وأخيرا على النزعة الإنسانية التي ترمي إلى الارتقاء بالقيم الإنسانية الخالصة في مقابل القيم الإلهية والنبوية.

بعد أن مهد الكاتب بذكر السبب الرئيسي

في تكون «الظاهرة الإلحادية» في الحضارة

العربية كأثر ضروري «للتطور العضوي للحضارة» منطلقا من التصور الخلدوني لقانون الميلاد والنمو والفناء الحضاري. كان لا بد من بيان ماهية «الحضارة العربية»، وما لها من خصائص، وكيف

صنعها وتهيئة المناخ لظهورها الجهل والخرافة والتعنت والموروثات الأسطورية، لذلك كان العالم الإسلامي هو الأقل من بين سكان العالم إصابة بهذه الظاهرة المخيفة.

وقد كان من أهم النتائج التي خلص اليها الباحثون هو أن الإلحاد كان وما يزال مشكلة و ظاهرة أوروبية بامتياز، لم يكن للعالم الإسلامي فيها دخل أو نصيب، فقبل ثلاثة قرون لم يكن الإلحاد معروفاً أو ظاهراً بحيث يصل لأن يكون قرابة الـ ١٦ ٪ من سكان العالم مصنفيين تحت خانته، وكان من الطبيعي أن تعنون كل الدراسات الميدانية في تأصيل ظاهرة الإلحاد إلى أن الكنيسة الأوروبية هي السبب الرئيسي في ظهور هذه المشكلة وتضخمها حتى وصلت لهذا المستوى المخيف.

فكانت سبباً مباشراً وغير مباشر في نشر الإلحاد والزندقة والكفر الكامل بوجود الله، وذلك لأن القائلين على هذه الكنيسة من الرهبان والقساوسة أدخلوا في دينهم كثيراً من الخرافات والخرعبلات، وجعلوها عقائد دينية، كرفعهم عيسى - عليه السلام - من مرتبة البشرية إلى الألوهية، ومزجوا الحقائق العلمية الثابتة بالخرافات الدينية الرائجة، بل واحتكروا هذه العلوم والنظريات، فصارت هناك العلوم الكنسية والعلوم الدنيوية، وعندما بدأ عصر النهضة الأوروبية واكتشف بعض العلماء حقائق جديدة عن الأرض والكون والحياة تخالف ما عند الكنيسة من خرافات علمية، هب الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك، ويتهمون من يعتقد بالحقائق الجديدة ويصدق بها بالكفر والزندقة ويوعزون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقتهم بالنار، ولقد لقي كثير من العلماء هذا المصير المؤلم جزاء مخالفتهم لآراء الكنيسة.

ولكن حركة العلم لم تتوقف واستطاع العلماء أن يقدموا كل يوم براهين جديدة على

نظرياتهم العلمية وابتدأت آراء الكنيسة ومعتقداتها تُهزم كل يوم هزيمة جديدة وكانت الجولة في النهاية لعلماء المادة على رجال الكهنوت فاندفع الناس نحو الإيمان بالعلم المادي باعتبار أنه سوف يحمل الرخاء والقوة والرفاهية للناس، ونبذ الكنيسة التي أرهقتهم بالخرافات والأساطير وكبلتهم بالإتاوات والغرامات والكفارات.

وعلى إثر ذلك ظهرت فكرة العلمانية التي بدأت بضرورة منع تدخل الدين في السياسة وشؤون الحكم، وقصره على المعاملات الخاصة فقط، وبدأ الناس ينصرفون عن الدين شيئاً فشيئاً مع دخول الثورة الصناعية وتكشف كثير من المعارف والعلوم، وانزوى سلطان الكنيسة على عتبات أبوابها.

ثم بدأت العلمانية في الانتشار والرواج بين أوساط الأوروبيين، وانتقلت عدواها إلى المستعمرات التابعة لها، وصارت هناك تربة خصبة مواتية لظهور أفكار أشد تطرفاً من العلمانية الأولى، وظهرت لأول مرة الأفكار الإلحادية ممزوجة بصيغة البحث العلمي والنظري، فظهرت أفكار نيتشه وإنجلز، ثم ظهرت المذاهب الاقتصادية الإلحادية وخاصة الشيوعية التي بشر بها كارل ماركس وعلى الرغم من أن هذا المذهب ينطلق من منطلق اقتصادي ويستهدف معالجة المظالم الرأسمالية الفردية، إلا أن القائمين على هذا المذهب الاقتصادي صبغوه بالصيغة العقائدية وأعطوه أبعاداً أخرى غير اقتصادية فزعموا أن الحياة التي يعيشها الناس حياة مادية فقط وأنه لا يوجد روح ولا بعث ولا إله، وأن ظهور الأديان إنما كان من فعل الأغنياء ليدلسوا على الفقراء ويستغلوهم، وبهذا أصبح هذا المذهب الاقتصادي بفلسفته التي أطلقها على الأديان موجة جديدة من موجات الإلحاد والزندقة.

ولعل هذه الموجة الجديدة التي جاءت بها الشيوعية كانت أعتى موجات الإلحاد جميعاً،

فانتشر الإلحاد سريعاً مع هذا المذهب الاقتصادي الجديد وكان النجاح الهائل الذي لاقته الدعوة الشيوعية بتفجير الثورة البلشفية في روسيا والاستيلاء على الحكم عاملاً كاسحاً في هدم الأديان ونشر الإلحاد وانتقاله ليصبح عقيدة عالمية حين تم انشاء الاحلاف العسكرية (وارسو والاطلسي).

ومن الأمور التي ساعدت على ظهور الإلحاد وتفشيه ظاهرة الانحطاط الذي أصبح عليه العالم الإسلامي الذي كان معقل الدين الصحيح في العالم، وتراجعته أمام الغزو الأوروبي والغربي على كل الأصعدة وفي كل المجالات، وكانت النهاية التي تزامنت مع سقوط الخلافة العثمانية المسلمة العريقة والتي تحولت من اتحاد واسع ممتد في ثلاث قارات إلى دولة مذعورة قابعة في أقل من ٥ ٪ من مساحتها الأصلية، مما أوجد مقارنة ومقاربة ذهنية تربط بين التقدم والإلحاد، والتخلف والدين عند كثير من المهزمين والضعفاء والمفتونين.

فالإلحاد إذن صنيعة أوروبية تسبب في وجودها طغيان الكنيسة الذي أوجد العلمانية التي أوجدت الإلحاد، وهو محصلة تراكمية من الجهل والتعنّت والطغيان أدى في النهاية لهذا العدد المخيف من البشر في خانة الإلحاد والضياغ.

بين الشيطان والولي

د. محمد جميح - القدس العربي ٢٧/١١/٢٠١٣

توالت الأحداث بشكل متسارع خلال الأيام الماضية، الوقت مهم بالنسبة للجميع، كيري ينظر إلى ساعته، ننتيا هو يذرع مكتبه جيئة وذهاباً، ينتظر شيئاً ما، يطير إلى موسكو، يتحدث هنا وهناك، وعين ظريف على جنيف، وفابيو يطلق التصريحات هنا وهناك، ورئيسه يطير إلى تل أبيب، ويعطي تلميحات لنتيا هو بشأن الاتفاق

النووي مع إيران، وننتيا هو يتوعد، ويحذر من «الذئب الذي يلبس ثياب الحمل في طهران»، وبندر بن سلطان ما يزال يبحث عن قصر له في عمان، كي يراقب عدوه اللدود بشار الأسد، ويطمئن على سير أمور صديقه الطموح جنرال مصر عبدالفتاح السيسي، حركة طيران مسؤولي المنطقة، واتجاهات السير تشي بالطبخة التي نضجت في جنيف.

وقع ما كانت تخشاه إسرائيل إذن، حليفها الأمريكي لم يلتفت إليها، فضل أن يفضيها قليلاً هذه المرة، ولكن ليس لصالح الفلسطينيين، وإنما لصالح «الذئب الذي يلبس ثياب الحمل في طهران»، وحمل طهران يحاول أن يخفي انحناؤه، وتنازله عن برنامجيه النووي العسكري، ومشاريعه الامبراطورية بابتسامات باهتة، الإيرانيون يجيدون الابتسام، ويجيدون تحويل الانحناء إلى «حركة مقاومة وممانعة» كذلك.

وقع الشيطان الأكبر الاتفاق النووي مع الولي الفقيه، ولم يستمع لنصائح ومخاوف وتهديدات الإسرائيليين المرتبكين بين خطاب بيريز وتشنغ ننتيا هو. يضرب إسرائيلي عجوز يسكن في إحدى المستوطنات بالضفة كفاً بكف: «لم يعد لدى إسرائيل قادة عظام من أمثال بن غوريون ومائير، حتى شارون رحل عن المشهد السياسي»، يتحسس الإسرائيلي العجوز جيب سترته، لا قلق إذن، جواز السفر ما يزال في مكانه، مزدوجو الجنسية ليس عليهم أن يقلقوا، لديهم وطنان: واحد يعيشون فيه، والآخر احتياطي يسافرون إليه إذا غامت سماء الأول.

بعد توقيع الاتفاق في جنيف بيوم واحد ظهر بان كي مون على الشاشة بيتسم ويقول «جنيف اثنين ينعقد يوم ٢٢ من يناير»، كي مون كان ينتظر الضوء الأخضر من لافروف وكيري إذن، تم الاتفاق مع إيران في جنيف فلنذهب إذن إلى جنيف مرة أخرى، ولكن من دون ضجيج نووي، هذه المرة الدماء السورية ستكون موضوع النقاش، والولي

الفقيه سيحضر إلى جنيف مرة أخرى، يريد أن يقول للعالم إن المفاتيح في يده.

وبعد التوقيع على الاتفاق النووي بيوم واحد كذلك سرب شخص ما في واشنطن أن الشيطان الأكبر والولي الفقيه كانا يمارسان عادتيهما المفضلة في الاجتماعات السرية، من دون علم بندير بن سلطان وننتياهو وفاببوس وهيغ وبقية الأصدقاء، أخذت فاببوس الغيرة والغيط معاً فادعى أنه كان على علم بلقاءات الغرام بين الولي الفقيه والشيطان الأكبر.

هكذا هم الأمريكيون، عندما تكون الأمور جدية يفلقون كل النوافذ والأبواب ويجلسون إلى الطاولة، ذهبوا للقاء الشاه المعمر في مكان قصي من جزيرة العرب، مكان يتسم بالهدوء والغموض والبعد عن الأضواء، لا شبهة عليه، سلطنة عمان إذن كانت المكان المناسب، وقابوس الذي طار إلى طهران قبل فترة غطى على مهمة تسهيل اللقاءات السرية بمهمة أخرى هي «بحث العلاقات الثنائية بين البلدين الشقيقين»، وهي اللازمة الإخبارية التي تصدر عناوين أخبار وكالات الأنباء الرسمية العربية، والتي تغطي بها صخب اجتماعات الأشقاء.

لا غضاضة إذن في أن ينحني الولي الفقيه للشيطان الأكبر، قليلاً وهو يتنازل عن طموحه النووي، ويفتح مواقعه النووية السرية للتفتيش، ويفرح بسبعة مليارات دولار بعد أن أنفق مئة وسبعين مليار دولار على برنامجيه النووي، وبسبب الحصار الذي فرض عليه على خلفية هذا البرنامج، لكن الولي الفقيه يقول مبتسماً إنه انتصر، تماماً كما ابتسم حليفه بشار عندما سلم سلاحه لكيري ولافروف، وادعى انتصار الممانعة، وما علينا إلا أن نضع حصاة تحت اللسان ونصدق، ولي طهران ومقاوم دمشق.

الذي يعجب في الإيرانيين أنهم استفادوا من تاريخ طويل من «التقية الدينية»، في تطویر

«التقية السياسية»، يغطون انحناءاتهم بالبسمات، تماماً كما غطوا على لقاءاتهم بالشيطان الأكبر، وعلى علاقاتهم الاقتصادية مع «الكيان اللقيط» بالتهاف الشهير «الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل». وبالمناسبة فقد ظهر الولي الفقيه يتحدث الأسبوع الماضي إلى بعض مؤيديه، وأبدى رغبته في تحسين العلاقات مع الشيطان الأكبر، ومن شدة إعجاب مؤيديه بحديثه هتفوا، من دون وعي ربما، «الموت لأمريكا».

ومع كل ذلك تنفست إيران أخيراً الصعداء، كانت في سباق مع عدد من الخصوم لإفساد الطبخة، ولكن العمامة السوداء باركت أخيراً للعمامة البيضاء نجاحها في لعبة شد الحبل التي صرعت بموجبها ننتياهو وغيره، ولا يهم بعد ذلك ضياع الأحلام النووية، والطموح الإمبراطوري، أو تأجيل ذلك لحين الخروج من الرمال السورية.

في صورة تذكارية جمعت وزراء الخارجية الذين وقعوا على اتفاق جنيف النووي، سرت عدوى الابتسام في الكل حتى لافروف، الرجل «الجلمود»، مكفهر الوجه، ظهر في الصورة مبتسماً، ترى لو التقطت الكاميرا صورة ننتياهو كيف سيكون شكل ابتسامته؟ ما علينا، نحن عادة لا ينبغي أن نصدق ابتسامات الساسة، ومضيفات الطيران.

وماذا بعد؟

بعد التوقيع على الاتفاق، رحب به معظم معارضيه الذين سعوا لإفشاله، عدا ننتياهو الذي قال عنه إنه ليس اتفاقاً تاريخياً، بل خطأ تاريخي، وأمر طائراته بالتحليق في مناورة مكشوفة في اليوم التالي فوق صحراء النقب، لم تستطع طائراته وصول صحراء بلاد ما وراء النهر، فليخلق إذن بالقرب من البحر الميت.

العرب على عادتهم، بعد فشلهم في اقناع أصدقائهم الأمريكيين في وقف الاتفاق/الصفقة ركبوا موجة الترحيب به. مدهشون وعظماء هم

حزب الله اللبناني يسعى للسيطرة على الإعلام اليمني

سفيان جبران - يمن برس ٢٠١٣/١٢/١

من جنوب لبنان تبث ثلاث قنوات يمنية، وإلى جنوب لبنان يسافر شباب يمني عن طريق جماعة الحوثيين للتدريب الإعلامي، وإلى هناك أيضا يسافر شباب وشابات يعودون إلى اليمن كناشطين يقومون بتأسيس منظمات حقوقية وصحف وحركات سياسية.

أول القنوات تأسيسا هي قناة المسيرة،

ويديرها أحد إعلاميي حزب الله وهو لبناني الجنسية، وبقية الطاقم نصفه يمنيون تحديدا من أبناء المذهب الشيعي، وهذه القناة تمتلك ميزانية ضخمة ومبنى واسعا كان مقرا لقناة المنار، ومهمة قناة المسيرة عرض فكر ورأي وأخبار جماعة الحوثيين وتمتلك مكتبا في صعدة وأجهزة بث في صنعاء وصعدة، وتكثف جهودها في المناطق الشمالية.

أيضا، قناة عدن لايف، وخصصت هذه القناة لنشر أخبار الحراك الجنوبي والزعيم الجنوبي الذي يقيم حاليا في جنوب لبنان، علي سالم البيض - كان رئيس جنوب اليمن قبل الوحدة - وتركز «عدن لايف» في تغطياتها الاخبارية على المحافظات الجنوبية والحراك الجنوبي المطالب بانفصال شمال اليمن عن جنوبه، وطاقم القناة من أبناء المحافظات الجنوبية لكن المدير الفعلي للقناة، أحد كوادر حزب الله الاعلامية.

ومن نفس المكان تبث قناة الساحات،

ويديرها بالظاهر شاب يمني اسمه ريدان المقدم، وهو ملتزم بحضور اجتماع، للاستماع من المدير الفعلي للقناة وهو لبناني الجنسية، وتركز هذه القناة على اخبار المناطق الوسطى ومحافظه تعز.

العرب، لديهم القدرة دائما على الترحيب بما لا يرغبون فيه، ولكنهم في الوقت نفسه مساكين يسعون كالكائنات الضعيفة للاحتواء بلعبة تناقض الكبار، طالما أنهم لا يطمحون الى أن يكونوا كبارا، بل يرغبون دائما في الجلوس على المقاعد الامامية المخصصة لكبار الضيوف ويتفرجون. فإذا ما انتهت المباراة، وهي تنتهي عادة لصالح غيرهم، قاموا يصفقون على مفض.

مشكلة العرب أنهم ليسوا أقوياء، وعدم

قوتهم يكمن في عدم اعتمادهم على أنفسهم. تمتلئ ساحاتهم دائما بغيرهم، ويدخل ملاعبهم لاعبون من كل مكان إلا فريقهم، بينما يذهبون هم بعيدا بحثا عن ملاعب أخرى لا علاقة لهم بها. خلافات العرب البينية تنهكهم دائما، فلا يصلون إلى ساحة اللعب إلا بعد أن يكونوا قد استنفدوا كل طاقتهم في تحريك طواحين الهواء.

يقول لك مسؤول عربي «إن المنطقة تتعرض

للصراع بين مشروعين: المشروع الإيراني المتخفي وراء الشعارات الرنانة، والمشروع الأمريكي الإسرائيلي المتخفي وراء الديمقراطية والشرق الأوسط الجديد»، وعندما تسأل هذا المسؤول عن المشروع العربي المفترض وجوده، يلوذ بالصمت.

يلزم العرب أن يتعلموا من إيران حتى إن

كانوا لا يكونون لها مودة، يمكنهم أن يقتربوا منها لا لتملقها، ولكن لفهمها أكثر، كي يسهل التعامل معها، ويواجهوها بأساليبها ذاتها، يلزمهم الكثير من الصمت والقليل من العمل، ويلزمهم المشروع الذي لا يدعي أحد وجوده، كان أحد المجانين يردد يوما: اقترب من أصدقائك كثيرا، واقترب من أعدائك أكثر، هذه هي النصيحة التي ينبغي للعرب الإصغاء إليها، وخذوا الحكمة من أفواه المجانين.

إلى ذلك يرى الصحفي أحمد عبد المولى أن تلك القنوات تبث من جنوب لبنان لأنها مدعومة من إيران، مضيفاً بأن حزب الله يريد من اليمن أن يصبح فيها حزب عسكري سياسي مسيطر على جهة معينة من البلد عسكرياً وسياسياً وينفذ اجندات إيرانية».

أردوغان وفتح الله كولن، نهاية الشراكة

نون بوست - ٢٠١٣/١١/٢٢

أكثر الأسئلة التي طرحت في الصحافة التركية في الأيام القليلة الماضية: «لماذا يختار أردوغان بالتصادم مع جماعة فتح الله كولن وهو على أبواب انتخابات بلدية تليها انتخابات تشريعية ثم أخرى رئاسية؟»، وتتقسم الإجابة ما بين ملفات عديدة، من بينها سفينة مرمرة ورئيس الاستخبارات التركية هاكان فيدان والملف الكردي والجيش والمدارس التحضيرية الخاصة وكذلك صراع النفوذ.

أردوغان لم يكن يوماً ذراعاً سياسياً لجماعة فتح الله كولن، ولكنه ومنذ تأسيس حزب العدالة والتنمية ورغم تفضيله لعدم الحديث عن علاقته مع كولن فإنه كان معلوماً لدى الجميع أن الجماعة تدعم أردوغان وحزبه بالأصوات في الانتخابات وبالتسويق له عبر مؤسساتها المتشعبة والمنتشرة في كل مكان، من أمريكا إلى إفريقيا كما في آسيا وأوروبا وفي كل مكان في تركيا، حتى بدأ الخلاف العلني على إثر اعتداء القوات الإسرائيلية على سفينة مرمرة.

سفينة مرمرة:

بعد قيام قوات الجيش الإسرائيلي بالهجوم على سفينة مرمرة التركية المتجهة لكسر الحصار على قطاع غزة، وقتلها لتسعة مواطنين أتراك، وفي حين قام رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بطرد السفير الإسرائيلي في أنقرة وخطى خطوات

موقع إرم استطلع آراء عدد من السياسيين والاعلاميين اليمنيين لمعرفة أغراض حزب الله من سعيه نحو السيطرة على الاعلام اليمني، والبدائية كانت مع ادم الجماعي الذي قال إن جنوب لبنان أصبح ملاذاً لاستقطاب أناس مادياً وسياسياً لصنع علاقة تحالف سياسي لوجستي لضرب القوى الوطنية داخل اليمن وهذا يساهم في تهيئة الجو للتمدد الشيعي كقوة بديلة على الأرض على غرار حزب الله عن طريق النسخة اليمنية الممثلة بالحوثيين بشمال البلاد».

وأضاف الجماعي أن منطقة جنوب لبنان تُعد البوابة العربية لتوطيد العلاقة السياسية مع إيران كقوة ثورية مناهضة لدول الخليج الراحية للمبادرة الخليجية، ومن جنوب لبنان تسعى إيران لإفشال خارطة التحول السياسي في اليمن.

وزاد عدد المسافرين من وإلى صنعاء وببيروت في الآونة الأخيرة بشكل مضطرد.

ويعتقد أحمد الشميري الإعلامي أن هناك شيئاً خفياً ومخططات تخريبية تعلم بها الجهة الداعمة والممثلة بإيران والتي ترى أن جنوب لبنان هي البقعة الوحيدة التي ستحظى بها بأمان وما تخفيه لليمن من مخططات تخريبية وفوضوية، وتنفيذ المخطط الإيراني الطائفي لما يسمى بالهلال الشيعي المزعوم، وذلك يجعلها تصر على عدم انتقال القنوات التي تمولها إلى اليمن».

وقال الشميري إن هناك إجراءات رقابية في اليمن لا تمكن تلك القنوات الممولة من تنفيذ خططها البرمجية الهادفة لتشجيع الفوضى خاصة وأن السلطات اليمنية كانت قد كشفت في الأيام الماضية عن ضبطها خلايا إيرانية وأسلحة ورايات.

وتوفر تلك القنوات رواتباً سخية للاعلاميين اليمنيين إلى جانب توفيرها للسكن وبعض المنح الدراسية لهم في الجامعات التي يسيطر عليها حزب الله.

محاكمة قادة الجيش:

رغم أن قائد أركان الجيش السابق إيلكر باشبوغ، والذي قضت المحكمة بسجنه انفراديا مدى الحياة بتهمة تزعم شبكة أرغينيكون السرية والتآمر ووضع خطط لإثارة الفوضى وللإطاحة بالحكومة التركية، كان باشبوغ - قد هاجم الجماعة مرارا، فإن فتح الله كولن صرح لصحيفة أمريكية، قبل المحاكمة، قائلا: «لو كان الأمر بيدي لأطلقت سراحه»، متهما أردوغان بتصفية الحسابات وبمحاولة «ضرب عصفورين بحجر واحد»، واصفا ذلك بالنفاق.

أحداث تقسيم:

بعد اندلاع احتجاجات ميدان تقسيم في وسط مدينة اسطنبول، وبعد قيام المتظاهرين بغلق أكثر الميادين حيوية في تركيا، وأهمها بالنسبة لقطاع السياحة، وبينما كان أردوغان يتحدث عن مؤامرة دولية لإدخال تركيا في حالة من الفوضى والفراغ، ندد فتح الله كولن بوصف أردوغان للمتظاهرين بالفوضويين، وقامت وسائل الإعلام التابعة للجماعة بمهاجمة أردوغان وبالتدبير بطريقة تعامل حكومته مع الأحداث.

السكن الجامعي المختلط:

مرة أخرى، قامت وسائل إعلام تابعة لجماعة فتح الله كولن بكشف أسرار أردوغان، حيث قامت صحيفة زمان التابعة لكولن بنشر تفاصيل اجتماع داخلي مغلق لحكومة أردوغان، أعرب خلاله أردوغان عن انزعاجه من السكن الجامعي المختلط وعن رغبته في منع السكنات الجامعية المختلطة، وهو الأمر الذي أثار ضجة كبيرة في تركيا، ونتج عنه خلاف حاد بين أردوغان وأقرب مستشاريه، بولنت أرينتش.

المدارس التحضيرية الخاصة:

قرار الحكومة التركية بغلق ما يسمى بالمدارس التحضيرية الخاصة، وهو ما قال عنه محللون أتراك بأنه الوتر الذي يوجع الجماعة والذي لا يمكن لفتح الله كولن أن يسكت عنه، حيث

جادة نحو قطع العلاقات التركية الإسرائيلية، صرح فتح الله كولن لصحيفة وال ستريت جنرال الأمريكية بأن الجانب التركي هو المخطئ لأن السفينة مرمرة لم تحصل على إذن إسرائيلي لدخول غزة، واصفا ذلك بالتعدي على الشرعية.

هاكان فيدان:

مباشرة بعد وقوع أحداث سفينة مرمرة، قام أردوغان بتعيين هاكان فيدان، الذي تصفه وسائل الإعلام بأنه رجل المهمات الصعبة، ورجل الظل وأكثر المقرين إلى أردوغان، على رأس جهاز الاستخبارات خلفا لسلفه الذي كان متهما بالتعاون مع الموساد الإسرائيلي، ولكن جماعة فتح الله كولن، ولأسباب غير معلنة، رفضت هاكان فيدان، ووظفت كل قوتها للإطاحة به.

مفاوضات السلام مع الأكراد:

خلال فترة خدمته في مكتب أحمد داوود في وزارة الخارجية، وكذلك بعد ترأسه لجهاز الاستخبارات التركي، أجرى هاكان فيدان مفاوضات سرية، في العاصمة النروجية أوسلو، مع قيادات حزب العمال الكردستاني تهدف إلى إحلال السلام وإنهاء الصراع المسلح بين الدولة التركية والحزب الكردي، غير أن مدعين عامين ومسؤولين رفيعي المستوى، محسوبين على جماعة فتح الله كولن، قاموا بكشف هذه المفاوضات للعلن، وفتحوا تحقيقات في حق فيدان ووجهوا له تهما بالتفاوض مع أعداء الوطن وتجاوز صلاحياته.

أردوغان تدخل بقوة في تلك الواقعة، وأنقذ فيدان من المحاكمة ومن إمكانية السجن، حيث أصدر تصريحات قاسية، قال فيها: «فيدان هو كاتم سري، وهو يتحرك بتعليمات مباشرة مني»، كما قام بتحسينه من المحاكمة إلا بإذن منه، وقام بعد ذلك بعزل عدد كبير من الأمنيين والمدعين العامين وبنقل عدد آخر إلى خارج المحافظات الرئيسية، كان معظمهم محسوبين على جماعة فتح الله كولن.

كانت هذه الجماعة من « علمانيين وليبراليين ويساريين » تنادي بتوحيد الفصائل وتوجيه البندقية للأسد ، فلما توحدت أكبر الفصائل المقاتلة مع بعضها جن جنونها وظهرت عنصريتها « وفلوليتها » نسبة إلى الفلول الذين يتربصون بالثورة.

المصيبة ، أن هؤلاء الذين لا يريدون للثورة السورية أن يخطفها الإسلاميون ، لم يشاركوا في الثورة يوماً وهم يقطنون هناك في باريس أو إستنبول أو كندا أو غيرها ، لم يستخدموا السلاح ضد الأسد بل لا يعرفون كيفية استخدامه ، ومع ذلك يريدون أن يمثلوا الثوار في الداخل.

هم يقبلون بل يصفقون لديموقراطية فرنسا مثلاً ، مع أنها تمنع الأذان وتمنع الحجاب في المدارس ، بل ولا تسمح للمسلمين بالعطلة يوم عيد الفطر أو عيد الأضحى ، ولكنهم يدعون الخوف على الأقليات في سورية ، ولا يعرفون أن اليهود والمسيحيين عاشوا أكثر من ألف عام في ظل الدولة الإسلامية بكل حرية ودون أي اعتداء.

هؤلاء المعارضون الذين يكن لهم كثير من الشعب السوري الكره بسبب ابتعادهم عن هموم الثورة واتجاههم لبناء الأمجاد الشخصية ، لا يتورعون عن الإساءة إلى الثوار كل يوم وإلى كل من يدعمهم ، حتى ذهب هيثم مناع مثلاً إلى تقديم شكوى للمنظمات الدولية ضد طيب رجب أردوغان لأنه كما قال يساعد في إدخال المقاتلين الأجانب إلى سورية.

هيثم مناع وهو معارض مرفوض - مكروه في سورية وليس له شعبية في مدينته ولا حتى في قريته لم يقدم شكوى بحق موسكو التي ترسل المقاتلين بعلمه ، ولا بحق طهران التي تكاد تحتل سورية بكامل ترابها.

يصرحون بجمل هي أقرب إلى الحماققة منها إلى العقل مثل: الإسلاميون يختطفون الثورة

تمتلك الجماعة ما لا يقل عن ربع مراكز الامتحان الخاصة والتي تعتمد عليها فئة كبيرة من الأتراك في تعليمها الثانوي عوضاً عن المعاهد الحكومية ، وذلك لأنها لا تجبر التلميذ على دراسة كامل المناهج الدراسية الحكومية وتكتفي بإجراء اختبارات نهاية السنة وتوفير قاعات للمذاكرة.

ويرى أردوغان بأن هذه المراكز مضرّة من ناحيتين ، فمن جهة هي مكلفة جداً وتستحوذ على الأموال التي يفترض أن تذهب إلى قطاع التعليم الحكومي ، ومن جهة أخرى - حسب رأي أردوغان - تؤدي إلى إضعاف المستوى التعليمي للتلميذ التركي ، فهي تعد الطالب فقط لاجتياز الامتحانات ، ولا تمتلك مناهج تعليمية متكاملة مما أدى إلى تواجد تركيا متأخرة في التصنيفات الدولية.

كولن علق على القرار قائلاً: «إنهم يريدون غلق كل شيء ، حتى أبواب الجنة يريدون غلقها.. على الأقل أتركونا نحن ندخل» ، مشبهاً أردوغان بمن قاموا بالانقلابات في سنة ١٩٨٠ و١٩٩٧ ، في حين رد أردوغان قائلاً: «يريدوننا أن نتراجع عن هذا القرار.. فليعلموا أننا لن نتراجع».

ويذكر بأن إحصاءات أجراها حزب العدالة والتنمية أكدت أن نسبة الناضحين التابعين لجماعة فتح الله كولن من إجمالي الناضحين الأتراك لا تتجاوز ٣ بالمائة ، في حين تشير إحصاءات أخرى إلى أنها قد تصل إلى نسبة ٨ بالمائة.

الجهة الإسلامية والجهة العلمانية

د. عوض السليمان - موقع أرقلون نت ٢٠١٣/١١/٢٦

بينما رحب كثير من السوريين بتشكيل جبهة إسلامية في سورية تضم سبعة من أكبر الفصائل المقاتلة على الأرض ، أظهرت مجموعة منهم غضباً عارماً من هذه الجبهة وبدأت محاربتها فور الإعلان عن تشكيلها.

**الإسلاميون يقاتلون بدمائهم ويذيقون العدو
الويلات ثم يأتي هؤلاء للقفز في مركب الثورة،
ليس فحسب بل ويدعون أنها ثورتهم، وهي منهم
براء.**

**نحن وبمنتهى الوضوح مع الجبهة الإسلامية،
ونطالب الفصائل الأخرى كافة بالانضمام إليها
والعمل تحت رايتها. كما نطالب الائتلاف الوطني
بالاعتراف بها رسمياً وبالاعتراف بجناحها السياسي
وتمثيله في مؤتمر جنيف في حال انعقاده.**

حكومات الخليج تدخل عصر الحيرة

مدونة عمر خليفة راشد - ٢٠١٣/١٢/١ م

**دخل الشيعة (عصر الحيرة) بعد وفاة الإمام
الحسن العسكري من دون عَقَب، أي حدث
انقطاع في تسلسل الإمامة، فكانت فترة حيرة
وذهول وارتباك لهم، حتى خرج بعض أباستهم
بنظرية الإمام الثاني عشر، الذي وُلد بزعمهم، ثم
اختفى بعد وفاة الإمام العسكري عام ٢٦٠هـ، ولا
يزال الشيعة ينتظرون خروجه بعد مرور (١١٧٥)
عاماً على اختفائه !**

**أما حكوماتنا الموقرة في الخليج العربي فقد
دخلت (عصر الحيرة) منذ أسابيع معدودة فقط،
أي منذ أن انتقل التحالف الأمريكي الإيراني من
مرحلة (التحالف من تحت الطاولة) إلى مرحلة
التحالف العلني، ويتم تكريس هذا التحالف عملياً
بالتفاهات المعروفة -الآن- حول بعض الملفات
الشائكة مثل ملف النووي الإيراني وملفات العراق
وسوريا والبحرين.**

**كانت مظاهر هذا التحالف بادية منذ عدة
سنوات، وتمثلت في عدة مواقف أمريكية تصب في
مصلحة نظام ولاية الفقيه، مثل السماح للشيعة
بالاستحواذ على العراق، والوقوف إلى جانب شيعة
البحرين في ثورتهم المزعومة في ١٤ فبراير ٢٠١١م،
والسكوت عن الدعم الإيراني السافر للحوثيين في**

السورية النبيلة، بمعنى أن المسلمين غير نبلاء وأنهم
هم النبلاء الذين لم يرفعوا راية ضد الأسد. وعندما
يقول أحدهم أن الإسلاميين يختطفون الثورة، فلا
بد أنهم يختطفونها من أحد، فليت هؤلاء
«الأذكياء» يخبرونا عن أولئك الذين اختطفوا منهم
الثورة، وأي فصيل من الجيش الحر ادعى أمامهم
أن الثورة خطفت منه. وهل هناك فصيل يمثل هيثم
مناع وهيثم حقي أو غيره على الأرض السورية
وتعرض للأذى من قبل الجبهة الإسلامية التي
بالكاد بدأت منذ ثلاثة أيام.

**هل للعلمانيين أي فصيل يقاتل الأسد أو
انتفض ضده، فممن اختطف الإسلاميون الثورة
إذاً. يحاولون إيهامنا أن الشعب السوري بوذي أو
مجوسي ثم جاء الإسلاميون واختطفوا ثورته،
متناسين أن من أوائل شعارات الثورة التي رفعت
«هي لله هي لله»، «وقائدنا للأبد سيدنا محمد».
كل هذا لم يره هؤلاء ويدعون أنهم أصحاب الثورة
وهم لا ناقة لهم فيها ولا جمل، تركوا الإسلاميين
في الميدان وحدهم يدافعون عن شرفهم وعرضهم
ونسائهم، ثم يأتون بعد ذلك ليدعوا امتلاك الثورة
وحق التحدث باسمها.**

**طالبنا هؤلاء العلمانيين ونطالبهم اليوم، أن
يدخلوا أرض سورية ويحاربوا الأسد ويشكلوا
الفصائل التي يحبونها وليسمونها ما شاءوا من لينين
وانتهاء بفيديل كاسترو وسنصفق لهم. ليتهم يأتون
إلى سورية ويقاتلون الأسد ويختطفون الثورة
وسنبارك لهم اختطافها.**

**على الأقل نريد منهم أن يتوقفوا عن تلقي
الأموال والاستمتاع بها على حساب الدم
السوري، وأن يرحمونا قليلاً من صورههم وفلسفتهم
الفارغة على الفضائيات العربية.**

**ألا يرى هؤلاء المنظرون أنهم في الوقت الذين
يقدمون أنفسهم على الشاشات بربطة العنق
وبكامل أناقتهم، يكون المجاهدون في ساحات
القتال وقد عفرّت ملامحهم بالتراب، بتراب سورية
طبعاً.**

اليمن، والتآمر السري والعلني ضد الثورة السورية.

ماذا تفعل قياداتنا الرشيدة في الخليج إزاء

هذا التغير الخطير. لقد أصبح لسان حالهم يقول:

إيران تهددنا..

وأمریکا تخلّت عنّا..

وبريطانيا، بوجهين، تتعامل معنا..

وروسيا متحالفة مع إيران ضدنا..

ومصر، بدعمنا للانقلاب، دمرناها..

والحركات الإسلامية السنيّة حاربناها..

ووسائلنا الدفاعية الذاتية، في وقت الشدة، لا

تففعنا !

ومما يعكس بعضا من صور الحيرة

والفوضى العارمة التي انتابت قيادات دولنا في

المنظومة الخليجية، ذلك التناقض المذهل والمحير

في سياسات الدول الست، تناقض يجعل الحلیم

حيران.. والتقيّ سكران !

لقد أعربت السعودية، إحدى دول مجلس

التعاون، ومن خلال عدة مناسبات وتصريحات، عن

قلقها الشديد حول التفاهات الأمريكية الإيرانية،

ومن حقها ذلك، ولكن أليس من المذهل أي يقف

وراء هذه التفاهات دولة خليجية عضو في المجلس،

وهي سلطنة عُمان ؟!

أكد الكاتب المعروف فهمي هويدي أن

عُمان قد لعبت دور الوسيط الذي ساعد على

تواصل الطرفين.. قال في مقال له بعنوان (ماذا بعد

اتفاق الشيطان الأكبر مع الولي الفقيه):

«التواصل بين الخصمين مستمر منذ ثمانية

أشهر تقريبا، وأنه أحيط بستار كثيف من السرية

حجبته عن أقرب الأقربين، كما أنه خضع للتمويه

وعمليات الخداع، التي جعلت الاجتماعات تعقد في

سلطنة عمان، وفي بعضها كانت الوفود تدخل من

الأبواب الخلفية للفنادق، وتستخدم المصاعد

المخصصة لخدمات الغرف، كي لا تلفت أنظار

الصحفيين والنزلاء». (جريدة الشروق المصرية،

بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠١٣م).

يا ناس.. أهذا مجلس تعاون ! دولة خليجية

تتوسط في ترتيبات تهدد الأمن الجماعي الخليجي !

وما زالت مظاهر التخبط مستمرة..

قبل أيام، كان وزير الخارجية الإماراتي في

زيارة رسمية (للشقيقة) إيران. قال وزير الخارجية

الإماراتي خلال اللقاء:

«لنا علاقات جوار مع الجمهورية الإسلامية

الإيرانية ولن نكتفي بهذا المستوى من العلاقات بل

نتطلع إلى تعزيزها.. لقد كنا على الدوام شريكا

لإيران ونعتزم اليوم أيضا أن نكون شريكا أقوى

من ذي قبل.. نقدر المساعي التي بذلت لإنجاح

المفاوضات النووية الأخيرة في جنيف.. إن هذه

القضية تركت أثرا إيجابيا على كل دول المنطقة

ونأمل أن تنعكس تأثيراتها الإيجابية على إيران

والمنطقة». (جريدة أخبار الخليج البحرينية، بتاريخ

٢٩ نوفمبر ٢٠١٣م).

فعلا.. لقد دخلت قياداتنا الخليجية عصر

الحيرة!

حالة من عدم الرضا تسود مجتمعاتنا

الخليجية إزاء هذا التخبط وهذه الكيفية في

التعاطي مع الأخطار التي تحيق بنا..

قال الكاتب البحريني إبراهيم الشيخ: «بعد

التقارب الإيراني الأمريكي الأوروبي حول ملف

إيران النووي، وجدنا لهجة دولنا الخليجية تجاه

إيران تتغير، فبعد أن كانت شيطانا رجيما،

أصبحت وليا حميما ؟! بعد أن رأينا منها ما رأينا في

العراق ولبنان والبحرين واليمن وأخيرا سوريا، رأينا

بعض دولنا الخليجية تتراكم لتعميق التعاون

الاقتصادي معها، وهي التي مازالت تتبجح باحتلال

الجزر الإماراتية الثلاث». (جريدة أخبار الخليج،

بتاريخ ١ ديسمبر ٢٠١٣م).

وقالت الكاتبة البحرينية طفلة الخليفة: «ما

الذي تغير في إيران لكي نزورها وتزورنا، مازالت

تبيد السوريين بكل سلاح ومازالت تمول

الانقلابيين في البحرين واليمن ومازالت تشعل الفتنة

المتحدة، وفرنسا، والصين، وبريطانيا، وإسرائيل، وباكستان، والهند، وكوريا الشمالية. لكنها رغم ذلك، لا تكاد تتقدم على أي من تلك الدول، باستثناء باكستان وكوريا الشمالية، على الصعيد الاقتصادي والتموي؛ أفقاً ومستقبلاً إن لم يكن واقعاً فعلياً حالياً. وهو الأمر الذي لا بد وأن يُترجم قريباً، وكما هو متوقع، بمزيد من تراجع النفوذ الروسي، لصالح الصين والهند خصوصاً. كذلك، فإن السلاح النووي لم يزد كوريا الشمالية إلا عزلة وفقر، فيما لم ينهض بباكستان قيد أنملة وفق أفضل التقديرات وعلى كل صعيد؛ وذلك بخلاف الهند التي فرضت نفسها لاعباً عالمياً بفضل نهضتها التعليمية والعلمية، قبل سنوات طويلة من تجربتها النووية الأولى. هكذا يكون صحيحاً أن قلق العرب لا يجب أن يكون من إيران الممثلة سلاحاً نووياً، خلال سنوات قليلة بحسب أغلب التوقعات. إنما القلق الحقيقي والمؤثر فعلاً فمن إيران ذات القدرات النووية التي تمنحها ميزة تنافسية على الصعيد الاقتصادي التتموي تحديداً؛ من قبيل تنويع مصادر الطاقة، كما الاستثمار العلمي الأمثل لهذه القدرات في مجالات متعددة. وإذا صح ذلك، يكون التوازن المنشود عربياً مع إيران النووية ليس توازن سلاح أبداً بكل أشكاله، بقدر ما هو أساساً توازن نهضوي، يقوم على الاستثمار العلمي المعرفي، والذي قد يكون من بينه، وليس عماده، برامج نووية عربية، للأغراض السلمية خصوصاً قبل أي هدف آخر في ذات السياق، تبدو الحقيقة في أن الخشية العربية من إيران النووية، سلاحاً أو قدرات فقط، يرتبط أساساً بالدور السلبي، بل والتدميري أحياناً، الذي تقوم به إيران على أساس مذهبي طائفي في غير بلد عربي، من خلال تقديم نفسها حامية للطائفة الشيعية في المنطقة. وهو الدور المرشح حتماً للتفاقم مع تزايد القدرة الإيرانية الاقتصادية قبل العسكرية. لكن لا بد لنا من الإقرار هنا بأن هذه الخشية إنما هي اعتراف رسمي صريح (بما هو معروف تماماً في الواقع) بوجود خلل

في كل مكان. ما الذي تغير وهي لم تصدر كلمة واحدة في اتفاقها مع الغرب عن تدخلاتها في الخليج وسوريا واليمن والبحرين ولا يبدو أنها ستوقف هذه التدخلات ولا مجازرها في سوريا المستمرة منذ ثلاث سنوات، والتي لم تدع أخضر ولا يابس ولا طفلاً ولا حاملاً ولا شيخاً إلا دمرته وأحرقته ومازالت تواصل حربها الضروس ضد الأمة العربية، وتقود حربها الوحشية الثانية في العراق والتي مزقت البلاد والعباد. ماذا تغير لنزورها وتزورنا بعد اتفاق السلاح النووي الذي لا نعلم هل هو اتفاق هدنة أم اتفاق تم فيه مراعاة مصالح أمريكا وأوروبا وإسرائيل على حسابنا أم ماذا؟ ولماذا تبقى الشعوب الخليجية (مثل الأطرش في الزفة)». (جريدة أخبار الخليج، بتاريخ ١ ديسمبر ٢٠١٣م).

حيرة الشيعة أجازت لهم أن ينتظروا المهدي

لآلاف السنين..

فهل ستنتظر شعوب الخليج أيضاً آلاف

السنين بانتظار زوال حيرة حكوماتها؟

موازنة إيران النووية... إصلاحاً

منار الرشواني - العدد ٢/١٢/٢٠١٣

الغد - عدا عن حقيقة أن السلاح النووي لم يُستخدم إلا مرة واحدة في التاريخ، من قبل الولايات المتحدة ضد مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين مع نهاية الحرب العالمية الثانية؛ فإن امتلاك مثل هذا السلاح لم يعد الآن على الأقل ضماناً لنفوذ وحضور إقليميين وعالميين. إذ كما يعرف الجميع، فإن الاتحاد السوفيتي لم يتفكك في العام ١٩٩١ بسبب نقص سلاح، نووي أو حتى تقليدي؛ بل ربما يكون السبب هو العكس تماماً. فبحسب التقديرات الموثوقة، امتلك السوفييت عشية تحللهم قرابة ٣٠ ألف رأس نووية. واليوم أيضاً، وكما تؤكد المعلومات المتاحة حتى العام ٢٠١٠، فإن روسيا ما تزال تصدر العالم بمخزونات السلاح النووي، متقدمة، بالترتيب، على كل من الولايات

عدم تمتع هؤلاء بحقوق المواطنة يحول بينهم وبين الدخول إلى المستشفيات أو أي مؤسسة رسمية أخرى، ولا يتسنى لهم السفر أو الزواج أو دفن موتاهم. هل هناك الأمن الاجتماعي؟ ليس في مثل هذا النوع من الأماكن.

لقد مكثنا في منطقة الشرق الأوسط لفترة طويلة بما فيه الكفاية لإدراك أن الصراعات دائماً ما يكون لها اتصال خارجي. ونظراً لأن الشرق الأوسط منطقة ضعيفة ومنقسمة، فالمؤكد أن تتحول إلى ملعب للقوى الحاكمة. فالأراضي الغنية والدول غير المستقرة والشعوب التي لا مثل لها، تشكل بيئة مثالية لخلق حالة من العنف والاضطراب. وإذا ما ألقينا نظرة، عن كثب، على أفريقيا أيضاً، كما هو الحال بالنسبة لـ«الشرق الأوسط»، فستجد شعوباً فقيرة تعيش في دول غنية تسودها حالات من الاضطراب والنزاع والعنف.. تُرى ما السبب وراء ذلك؟!

كل الدولة الفقيرة التي تمتلك وفرة في الغاز الطبيعي أو النفط أو الموارد المعدنية تشكل صيدا ثميناً للاستغلال. ومن ثم تتدخل القوى العظمى، بشكل مباشر عبر تأليب الأطراف. فإذا أطلقت إحدى القوى العظمى العنان لقوة أخرى لوضع يدها على تلك الموارد، تصير الأمور أكثر حدة وسوءاً، مثلما هو الحال، بالتأكيد، مع العنف.

لذا ما الذي يجري في ميانمار، تلك الدولة الآسيوية؟ للإجابة عن هذا السؤال نحتاج إلى الرجوع بالذاكرة للسواء بعض الشيء.. ففي عام ٢٠٠٤، اكتُشِف وجود ١,٢ تريليون متر مكعب من احتياطي الغاز، بالإضافة إلى ما يماثل ١,٢ مليار برميل من احتياطي النفط في شمال ميانمار، في أراضي راخين التي يقطنها المسلمون. يمر سبع مائة وثلاثة وتسعون كيلو متراً من خط أنابيب الغاز الطبيعي، البالغ طوله ٢٥٠٠ كيلو متر، الذي بُني

جوهري يمس المواطنة، مفهوماً وممارسة، في العالم العربي. وهو الخلل الذي تعتمده إيران، أسوة بغيرها من دول العالم، منفذاً للتدخل في شؤون البلدان العربية. لكن هل يمكن المجادلة بأن مواجهة هذا التحدي/ التهديد لا يكون أيضاً بغير الإصلاح؟ رغم السوداوية التي تسود الواقع العربي، فإن الخيارات لم تكن يوماً بهذا الوضوح: إما الإصلاح الشامل الذي يرتقي بالجميع، أو الخسارة الشاملة التي تذهب بالجميع.

ميانمار.. ماذا نتوقع من القوى العظمى؟

آلين كوجامان – الشرق الأوسط ٢٠١٣/١١/١٣

«تعرض قارب آخر للغرق في ميانمار، أسفر عن وفاة ٧٠ شخصاً وفقدان العشرات»، كان هذا تقريراً منشوراً في الهوامش الجانبية في بعض الصحف اليومية الأسبوع الماضي. كان هذا خبراً مألوفاً، وربما لا يُعتبر خبراً ذا أهمية، فالقوارب دائماً ما تغرق في ميانمار. وكم عدد الأشخاص الذين يعرفون السبب الذي يهرب منه هؤلاء الناس، والمكان الذي سيتوجهون إليه، ولماذا تهيمن عليهم هذه الحالة من البؤس والشقاء وهم على متن تلك القوارب البدائية؟

يتعرض مسلمو ميانمار للنسيان والتهميش، للاضطهاد على يد الحكم العسكري منذ عام ١٩٦٢. ويتعرضون لسياسة ممنهجة للتطهير العرقي منذ عام ٢٠١٢، عبر القتل أو التهجير القسري خارج البلاد. ولذا يبحثون عن أي بلد ليهربوا إليه في أي قوارب يجدونها، بصرف النظر عن كون هذه القوارب قديمة أو بالية ومتأكلة. الأقسى من ذلك أنهم بعد أيام من الجوع والمعاناة خلال هذه الرحلة لا تسمح لهم البلاد التي وصلوا إليها بدخولها، ويجري ترحيلهم إلى بلادهم مرة أخرى، كما لو كان أمامهم مكان آخر ليذهبوا إليه.

وبدأ ضحكه هذا العام، عبر ميانمار، ولا سيما المناطق التي يقطنها المسلمون، ويصل في النهاية إلى الصين. تواصلت عملية ارتكاب المذابح ضد المسلمين بقوة ودون انقطاع خلال العامين الأولين من بدء تأسيس خط الأنابيب.

في واقع الأمر، لم يتبقّ تقريباً أي مسلم على الإطلاق في المناطق التي استقر فيها المسلمون، بسبب التطهير العرقي. إن ما نراه الآن هو عبارة عن صراع مستمر بين ماردين عملاقين، وهما الصين، التي تسعى للبحث عن سوق وعمالة رخيصة وتحقيق ربحية ضخمة من خلال خطوط الأنابيب، والولايات المتحدة الأميركية، التي تركت الصين، ظاهرياً وبصورة جلية، تستحوذ على المنطقة، وخسرت تلك الفرصة.

عندما تتصارع قوتان عملاقان، فدائماً ما تتدخل القوة «العميقة» التي تسعى لحل القضية باتباع طرق غامضة. لنضع في الاعتبار أننا لا نشير هنا إلى الحكومات، بل القوى العميقة التي تعمل مستقلة عن الحكومات. وقد تكون هذه القوى العميقة في بعض الأحيان جزءاً مباشراً من أجهزة الدولة، كما كان الحال مع تركيا في الماضي وإيران في الوقت الراهن، وأحياناً في المؤسسات البحثية التي تضم الأعضاء العاملين الذين اكتسبوا السياسات الاحتكارية عبر كثير من مجالات الصناعات الخاصة، كما هو الحال في أميركا. تبدأ تلك القوى في الدخول إلى المجتمع من أبرز نقاط ضعفه؛ لم يكن من الصعب إثارة حفيظة أصحاب المذهب المادي والحكم العسكري الفاشي في ميانمار، من خلال الدعاية والشعارات العنصرية وعبر الدعم المادي، يشاركون في ارتكاب مذابح ضد المسلمين. ولتذكر أن ذلك الأمر لم يكن صعباً كذلك في زمن هتلر النازي.

يمكننا فهم الوضع بصورة أفضل إذا نظرنا إلى خطوط الأنابيب الهائلة في الأجزاء الأخرى من الشرق؛ فيأتي من بين اللاعبين الثلاثة

الرئيسيين في خطوط أنابيب الغاز الطبيعي العملاقة في عام ٢٠١٢: مصر التي تعيش حالة من الاضطراب، وتركيا، الدولة المستقرة والمتطورة التي تجري محاولة تقويضها عن طريق الاحتجاجات، وأخيراً العراق، الذي يعيش وضعاً صعباً كدولة منقسمة وغير مستقرة.

من خلال إلقاء نظرة متفحصية، يمكننا إدراك أن المشكلات الداخلية في الدول النامية ليست منفصلة عن «المشكلات الخارجية». ولكن من ارتكب هذا الخطأ؟ أرى من وجهة نظري أن المسؤول الوحيد عن هذا الخطأ هو المجتمع الإسلامي بأراضيهِ الغنية وشعبهِ الأصيل وعقيدته التوحيدية الموحدة التي تعد مصدراً من مصادر التنوير والحكمة. يخالف بعض المسلمين أوامر ربهم (عز وجل)، فلم يتمكنوا من الاجتماع معاً، ويعادون بعضهم بعضاً في أضيق الفرص، ويعتبرون الانقسامات المذهبية قاعدة أساسية وسبباً للكراهية، وعلى الرغم من أمر الله (سبحانه وتعالى) لهم في القرآن الكريم ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وكلما زادت مخالفتهم لذلك، ازداد ضعفهم، وانتهى بهم الحال لأن يصيروا دمية في أيدي جماعات المصالح. وكل ما يحصل عليه المجتمع الإسلامي هو الشرارة التي تطلقها بعض الجماعات الشريرة المشؤومة، ليبداًوا على الفور في التناحر والمحاربة. ويصبح المجتمع الإسلامي غير قادر على حماية الشعب المسلم الذي يعاني من الجوع والفقر والبؤس والشقاء والاضطهاد في ميانمار. والأدهى والأمر من ذلك، هو وقوف المجتمع الإسلامي على هامش الأحداث، والاكتفاء بمجرد المشاهدة في انتظار حل الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة للصراع.

من العبث غير المبرر أن نتوقع قدوم المنقذين البطوليين من الخارج للوقوف في وجه الاضطهاد والقمع المرتكب في تلك المنطقة، في الوقت الذي تقع فيه المسؤولية على عاتقنا نحن كمسلمين في مقاومة هذا الأمر. إننا نتحمل المسؤولية عن كل بيت أضرم فيه النيران في راخين، وكل مسلم من

المسلحة إلى مد نفوذهم إلى أجزاء متفرقة من محافظات الجمهورية بعد أن أصبحت محافظة صعدة، دويلة مستقلة داخل الجمهورية اليمنية.

فقد أصبح الحوثي هو الحاكم الفعلي لمحافظة صعدة، وخاض ضد الدولة ست حروب حتى تمكن في الأخير من فرض سيطرته على المحافظة، وقد كان المواطنون في أرجاء البلاد يبدون تضامنا مع الحوثي خلال حروبه مع الدولة.

وما أن عرف البسطاء من عامة الشعب ما ينوي له الحوثي وأهدافه التي بدت متعارضة مع عادات وتقاليد وتشريعات المجتمع المدني، وانقلبت رؤيتهم تجاه الحوثي، وأصبحوا يناشدون السلطات باستخدام القوة العسكرية لإنهاء تمردهم، واستعادة هيبة الدولة في صعدة، وفك الحصار عن الأقليات المضطهدة في صعدة.

عمل الحوثيون - خلال السنوات الأخيرة - على تطوير مليشياتهم المسلحة، ومحاولة الارتقاء بها من حيث التنظيم والتسليح إلى مستويات مضاهية للجيش النظامية، الأمر الذي دفع البعض إلى الجزم بأن الحوثيين أصبحوا يمتلكون جيشا شبه نظامي من حيث التنظيم ومستوى التسليح.

ويتراوح إجمالي العدد التقديري للمقاتلين الأساسيين بين ٣ آلاف إلى ٥ آلاف مقاتل، وقد يتضاعف عدد المقاتلين الحوثيين في بعض الأوقات، وخصوصاً في مناطق المواجهات إلى أكثر من ذلك بكثير جراء التحاق مقاتلين من مناطق مختلفة بجبهات القتال والتوسع العسكري - حسب دراسة استقصائية أجرتها شبكة "مأرب برس" الإعلامية، تحت عنوان (الحوثيون من الدفاع التكتيكي إلى السيطرة والتوسع الاستراتيجي).

وأوضحت الدراسة أن العدد الإجمالي

جماعة الروهينغيا قُتل أو أُجبر على الخروج من بيته، وكذلك كل رجل أو امرأة أو طفل بائس وتعيس. يجب أن لا ننسى أنه طالما أن المسلمين لم يتخلصوا من الخرافات التي لا قيمة لها في الإسلام، ويعودوا إلى القرآن الكريم، وطالما أخفقوا في إدراك وجوب أن يكونوا إخواناً لا أعداء، فسيظل المسلمون هدفاً وعرضة للمذابح. إذا كنا لا نريد ذلك، فيجب علينا أن نرجع إلى أوامر الله، بدلاً من السعي إلى تصعيد دائرة الكراهية والاضطهاد وزيادة حدتها، مع وجوب الاعتصام والاتحاد. وحينئذ لن يضيع الله دعاءنا هباءً منثوراً.

حروب أنصار الله.. من حيدان إلى دماج

نايف الجبراني - صحيفة مأرب برس ٢٠١٣/١١/١٧ (باختصار)

خاض مسلحو الحوثي (١٠) حروب ضروس تشبه في تسلسلها الحروب العالمية الشهيرة، فقبل أعوام من الآن عمدت الجماعة إلى التلويح بقوتها، وما تملكه من عتاد وعدة وأنصار لا يهابون الموت.

ومع انطلاق مؤتمر الحوار ومشاركة الحوثي فيه - كأحد مكوناته - لم تتخل الجماعة عن سلاحها، بل إن مواجهات عنيفة مع قبائل العصيمات شهدتها عمران واشتباكات مسلحة مع قبائل الرضمة وهجومًا وحصارًا على دماج تشط من حين لآخر.

واليوم ونحن نقرب من حسم قضايا وطنية شائكة من خلال مخرجات فرق الحوار يتمترس الحوثي خلف معتقداته فقد شهدت جلسات الحوار منذ انطلاقه فوضى حوثية وتحالف مضحك مع انصار النظام السابق بهدف عرقلة المؤتمر والانحراف بمساره.

ويسعى الحوثيون من خلال مليشياتهم

دولار، وبلغ عدد القتلى نتيجة الحروب التي افتعلها الحوثي هنا وهناك أكثر من ٢٧,٦٥٠ قتيلاً من الطرفين، فيما بلغ عدد الجرحى أكثر من ٦٠,٠٠٠ جريح، ووصل عدد النازحين في كل من صعدة وحجة إلى أكثر من ٧٢٠,٠٠٠ نازح.

(التقرير طويل جداً، ويستعرض تفاصيل كل جولة حرب وعدوان قام بها الحوثيون، واقتصرننا على خلاصته. الراصد)

الصحابة والسنة النبوية

أسامة شحادة - الغد ٢٠١٣/١١/٢٢

تشرفت جامعة العلوم الإسلامية العالمية وجمعية الحديث الشريف بعقد مؤتمر (الصحابة والسنة النبوية)، في العاصمة الأردنية في يومي ٩ - ١٠ محرم ١٤٣٥هـ الموافق ١٣ - ١٤/١١/٢٠١٣م، وذلك لما للصحابة رضوان الله عليهم والسنة النبوية من مقام عال ومنزلة رفيعة، فبهما وصلنا الإسلام وبنورهما فهمنا القرآن الكريم وأكرمنا الله بالرفعة والعز والتمكين.

فالصحابة الكرام الذين تربوا في المدرسة النبوية وعلى مائدة القرآن المجيد، هم الذين حرروا أجدادنا من ظلم الرومان وطفغيان الملوك والغزاة، فعمّ بهم السلام والأمان وانتشر الإيمان، فازدهرت حياتهم وحلّت البركة في ديارهم وربوعهم، وها هي قبور الصحابة في الأردن وفلسطين شاهدة على جهدهم وجهادهم.

ومن هنا فإن الحديث عنهم والبحث في سيرتهم أمر مهم وواجب تجاه ما قاموا به لسعادتنا في الدين والدنيا، خاصة وأننا اليوم نشهد هجمة شرسة على الصحابة من جهات متعددة في الداخل والخارج، وهذه الهجمة الجديدة ليس فيها جديد بل هي تكرار للشبهات الساقطة السابقة التي بثتها ولا تزال فرق باطنية، أو

الكلي للمقاتلين الحوثيين يقدر بحوالي ١٥ إلى ٢٠ ألف مقاتل، على اعتبار أن جميع المنتسبين إلى جماعة الحوثي يُعتبرون مقاتلين، حتى وإن لم ينخرطوا في جبهات القتال بشكل دائم.

ومنذ منتصف ٢٠٠٤ وصوت الحرب هو الأكثر صخباً في شمال البلاد، ويتبادل الحوثيون والدولة أو أي طرف آخر الاتهامات حول المتسبب في انفجار الوضع على هذا النحو الذي يثير القلق والخوف معاً.

وتطورت حروب الحوثي في أرجاء البلاد من من تمرد إلى تحدي وطني، لأن الحكومة المركزية لم تبد اهتماماً يُذكر معالجات التظلمات الأساسية للحوثيين، ونتيجةً للتغنت داخل حركة التمرد.

ومن دون جهد دولي في الوساطة، فإن المزيد من القتال أمر لا مفر منه، وهو ما يشكل تهديداً خطيراً للاستقرار في اليمن.

وفي حين يبدي الحوثيون قدرة فائقة في الانتقال من حالة الكمون إلى التمدد وبسط النفوذ على مزيد من المناطق، معتمدين على استراتيجية واضحة في تحركاتهم وخطابهم السياسي، فإن الدولة بدت بلا رؤية تجاه ما يحصل، وعاجزة عن اقتراح الحلول، فضلاً عن فرضها، وهو الأمر الذي أدى إلى فشل خياراتها العسكرية في مواجهة التمرد الحوثي، بعد ستة حروب خاضتها الدولة في جبال مران وحوث.

ويرى الحوثيون بالرغم من خوضهم ست حروب مع الدولة حتى عام ٢٠٠٩م، أنهم يدافعون عن أنفسهم وحسب، وهو الأمر الذي لا يجد قبولاً لدى خصومهم الذين يرون في ذلك مجرد إدعاءات إلى حد كبير.

ومن خلال الإحصائيات، التي حصلت "مأرب برس" عليها، قدر إجمالي الخسائر المادية نتيجة حروب الحوثيين في أرجاء البلاد بنحو ملياري

الحاقدون على عظمة الإسلام من بعض المستشرقين وتلاميذهم.

وقد تميز المؤتمر، والذي تشكر عليه جامعة العلوم الإسلامية وجمعية الحديث بعامة، ولجنة المؤتمر بخاصة، بمشاركة أكثر من أربعين عالماً وباحثاً في السنة النبوية المطهرة من الأردن وفلسطين وسوريا والعراق ومصر والسعودية والكويت والإمارات والمغرب والجزائر والسودان وتركيا، عرضوا أبحاثهم على مدار يومين، من خلال عدد من المحاور مثل: الصحابة ومكانتهم رضي الله عنهم، وآل البيت في السنة النبوية، وأصول الرواية عند الصحابة ونقد الحديث وفقه الحديث عندهم.

ومن أهم التوصيات التي خرج بها

المشاركون: الإجماع على عدالة الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم في نقل الوحي (الكتاب والسنة)، وأن الطعن فيهم هو طعن في أسس هذا الدين لأنهم هم من نقل الوحي وحفظه. والصلة القوية والطيبة التي كانت تربط بين الصحابة الكرام وآل بيت النبي ﷺ الأطهار وإن الخصومة بين الصحابة وآل البيت فريضة مفتعلة وضعت لأغراض مشبوهة.

وفيما يلي إشارة لبعض الفوائد من الأبحاث

المقدمة للمؤتمر:

❖ ورقة د. قاسم صالح أحمد من الجزائر، وكانت بعنوان (أثر اعتماد الروايات غير الموثوقة في القدر في عدالة الصحابة)، حيث ناقش فيها خداع أعداء الصحابة والسنة من الكتاب المعاصرين، في الطعن بالصحابة من خلال روايات لم تصح أصلاً! وقد اعتمد كتاب عبد الرزاق عيد (سدنة هياكل الوهم، نقد العقل الفقهي)، كنموذج للدراسة، فإذا كل اتهاماته تقوم على نقد أحداث لم تقع أصلاً! ولذلك من الأسس المهمة في صد عدوان الباطنية والعلمانية على السنة والصحابة الوثوق من

صحة الروايات أولاً، فليس من المعقول تضييع الجهود والأوقات في دحض الأكاذيب.

❖ وببحث د. أمين عمر من الأردن، يواصل التأكيد على أن الكذب والروايات غير الصحيحة هي عمدة أعداء السنة والصحابة، ولذلك قام بدراسة حول الصحابي الجليل (معاوية بن أبي سفيان في كتابات المعاصرين)، فدرس وفحص مواقف العقاد، وأحمد حسين يعقوب المتشيع الأردني، وحسن السقاف وهو على دربه يسير، وحسن فرحان المالكي السعودي، وكانت النتيجة أنه لم يثبت ذم معاوية في حديث صحيح وصريح، بل هي روايات لا تصح، وما صح ليس فيه ذم إلا بحسب تفسيراتهم الجائرة، وهذا لا يعني عدم خطأ معاوية رضي الله عنه كبقية الناس.

❖ أما الباحث محمد رمضان من الجزائر فقد تناول (نقض شبهات معاصرة حول عدالة أبي هريرة)، وهي في الحقيقة اجترار للشبهات القديمة التي طرحها محمود أبو رية وعبد الحسين كاشف الغطاء قبل عشرات السنين، ولكن للأسف بسبب الضعف العلمي عند الأجيال الجديدة من جهة، وبسبب أن المنابر الإعلامية والثقافية العامة تفسح للطاعنين - وهذه جريمة لا ينبغي السكوت عنها - ولا تفسح المجال للمدافعين إلا بشق الأنفس.

وفي رده على تهويل كثير من المتعاملين بأن أبا هريرة كثير الرواية وأنه ينفرد بروايات عجيبة، وأن هذا يثير الشكوك حول أمانته ودقته، ذكرت نتائج دراسة د. عبده يمانى وعدد من المتخصصين بالحديث، الذين قاموا وبواسطة الحاسب الآلى بإحصاء روايات أبي هريرة في الكتب التسعة فبلغت ٨٩٦٥ رواية، إلا أنها في الحقيقة لا تحتوي إلا على ١٤٧٥ حديثاً، والباقي تكرار لنفس الأحاديث، وبعد مقارنة هذه الأحاديث مع بقية الصحابة،

وجدوا أن أبا هريرة والصحابة اشتركوا في ١٤٣٣ حديثاً، ولم ينفرد أبو هريرة لوحده إلا برواية ٤٢ حديثاً فقط، وبهذا تسقط هذه الفرية الكبرى.

❖ وتناولت عدة أوراق مناقشة بعض الشبهات حول مدى دقة تدوين السنة النبوية، وهل فعلاً سلّمت السنة من العبث وأنها لم تدون إلا بعد القرن الأول الهجري؟

فكانت ورقة د. فتح الدين البيانوني من سوريا، لتكشف عن (أحوال الرواية في عهد الصحابة)، وأن الصحابة كانوا يهتمون ويحرصون على السماع والتعلم من النبي ﷺ، وكان بعض الصحابة يتوثق من النبي ﷺ عما لم يسمعه منه، وأنهم كانوا يصرحون للتابعين بأن الحديث النبوي لا بد من الدقة في التعامل معه، وكلمتهم في ذلك مشهورة "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه".

أما د. محمد عيد الصاحب من الأردن، فكانت ورقته (كتابة الحديث عند الصحابة)، ذكر فيها أن الصحابة كتبوا الحديث مبكراً في عهد النبي ﷺ، وبعد وفاته، إذ كان بعض الصحابة يكتب ما سمع من النبي ﷺ، وبعد وفاته كتب بعضهم عن بعض، كما في طلب معاوية من عائشة أن تكتب له بعض ما سمعت من النبي ﷺ، وكما كان يكتب الخلفاء الراشدون للقضاة والولاة في الأمصار ببعض التوجيهات من السنة النبوية، وكما كتب بعض الصحابة للتابعين لما طلبوا منهم ذلك، وينبه د. الصاحب أن عصر الصحابة امتد لعام ١١٠ هـ، أي بعد القرن الأول الهجري، وبذلك تكون كتابة الصحابة للحديث اتصلت بتدوين الحديث الذي أمر به الخليفة عمر بن عبد العزيز، وهو جمعه في كتب سواء على أبواب فقهية أو على أسماء الرواة.

أما ورقته د. خالد الحايك من الأردن، ود. عبد الله المغلاج فقد استعرضتا عدداً من الصحف

والنسخ التي عرفت بين الصحابة والتابعين، كنماذج مؤكدة لوجود الكتابة المبكرة للسنة النبوية.

❖ وتناولت أوراق عدد من الباحثين دراسة منهج الصحابة في التوثيق من صحة الأحاديث، وأن أسس علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل عرفت من زمن الصحابة الكرام، وأن الصحابة الكرام عنوا أيضاً بنقد المتن، من خلال مراجعتهم للنبي ﷺ في حال حياته، وعرضه على القرآن الكريم، وعرضه على الأخبار الثابتة الأخرى، وبهذا يتبين لنا عظم هذا الجيل الفريد وأن الله عز وجل اصطفاه وميزه وشرفه لصحة نبويه عليه الصلاة والسلام لما فيهم من الأهلية والقابلية لتلقي الإيمان والحفاظ عليه.

❖ وجاء بحث الأستاذ عبد الكريم فرحات (هل كذب الصحابة على رسول الله ﷺ)، في مناقشة علمية رصينة لكتاب آية الله جعفر سبحاني، في كتابه (عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان)، حيث فنّد في بحثه كل الشبهات التي أوردها سبحاني على عدالة الصحابة الكرام، وأثبت أن منهج أهل السنة والمحدثين منهم منهج علمي رصين يتفرد بين كل أمم الأرض.

وبعد فإن تعريف الجيل الجديد من ناشئتنا بالصحابة الكرام وفضلهم وجهدهم وريادتهم، لهو شرط أساس في سبيل الوصول لما وصلوا إليه من نهضة ومعرفرة وتقدم وحضارة، قدمت النموذج الرشيد الذي تتشده البشرية منذ ضعفت دولة الإسلام.

الوجه الآخر .. علي شريعتي

وفد شعبي مصري لإيران..
اللاعب على الأحبال

إهمال القضية
السنية العراقية لماذا؟

رُصد السنّة

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٩ ربيع أول ١٤٣٥ هـ

أهل السنة..
علّتنا في تفرقنا!



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٩)

ربيع الأول - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ❖ أهل السنة.. علقتنا في تفرقنا! ٢

فرق ومذاهب

- ❖ من رموز الإصلاح (٢١) العالم العامل المجاهد د. عمر سليمان الأشقر... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

- ❖ الوجه الآخر: ٢. علي شريعتي هيثم الكسواني ١٧

دراسات

- ❖ طلاس العلاقات الإخوانية الإيرانية بوزيدي يحيى ٢٣
❖ وفد شعبي مصري لإيران... اللعب على الحبال أسامة الهتمي ٢٧
❖ الحالة الأمنية في المناطق السنية في العراق خاص بالراصد ٣١
❖ السياسات الشيعية الإقصائية في العراق وإيران تجاه سنة العراق صباح العجاج ٣٦
❖ الحركة النسوية المغربية على مفترق الطرق فاطمة عبد الرؤوف ٤٠
❖ إهمال القضية السنة العراقية لماذا؟ عبد الهادي علي ٤٢

كتاب الشهر

- ❖ الحراك الشيعي في السعودية تسييس المذهب ومذهبة السياسة أسامة شحادة ٤٥

قالوا

- ٤٨

جولة الصحافة

- ❖ تركيا.. صراع بين الحكومة والجماعة إسماعيل باشا ٥٠
❖ كيف سيؤثر الخلاف بين أردوغان وغولن في المشهد السياسي التركي؟ المركز العربي للأبحاث ٥٣
❖ خارطة القوى التي تدفع بجماعة كولن للتصادم مع أردوغان بتركيا هيثم الكحيلي ٥٦
❖ جريمة اغتيال شطح لا تنفصل عن سياق الأزمة السياسية معروف الداعوق ٥٩
❖ تهجير الفلسطينيين من دول الطوق هدف يهودي ياسر البعلبكي ٦٠
❖ من يجرو على التفكير؟ حسام عيتاني ٦٤
❖ عبقرية القاتل إذ لا تكمن في فن القتل، بل في ابتذاله حازم الأمين ٦٥
❖ دماج بين الحقيقة والفسطحة عبد الوهاب الحميقاني ٦٦
❖ الدور الأمريكي - الإيراني في تأجيج الطائفية بالمنطقة علي حسين باكير ٦٨
❖ مستقبل إيران على ضوء صراع النظريات صباح الموسوي ٦٩
❖ ماذا سينتظر المنطقة في العام ٢٠١٤؟ علي حسين باكير ٧١

أهل السنة.. علتنا في تفرقنا!

لم يعد هناك مجال للنقاش حول قيام محور إيران/ الشيعة بشن حرب عسكرية طائفية شيعية مع تورط جيش المالكي بالهجوم على الأنبار وأهل السنة فيها، وهذه الحرب الطائفية تشتعل في أربع دول بالمنطقة العربية (سوريا، لبنان، اليمن، العراق)، فضلاً عن احتلال إيران للجزر الإماراتية، وتحريضها الدائم لشيعة البحرين للتحرك العسكري ضد الدولة، عبر تقديم السلاح والمال، وقد قبضت السلطات البحرينية في ٢٨/١٢/٢٠١٣ على سفينة عراقية محملة بالأسلحة الإيرانية والسورية.

ورغم مئات ألوف القتلى، وملايين المصابين والمفقودين والمشردين، لا يزال أهل السنة مختلفين متنازعين متفرقين، سواء على مستوى الدول والأنظمة، أو على مستوى المعارضة والحركات الإسلامية، وهذه الفرقة هي أضخم نقطة قوة يستفيد منها المحور الإيراني، ومن قبله العدو الإسرائيلي.

فإسرائيل اليوم تعمل بكل قوة على تعميق الشرخ في المجتمعات العربية التي شهدت ثورات الربيع العربي، بتحريض القوى القديمة على قوى الثورة من جهة، والوقية بين قوى الثورة الإسلامية وغير الإسلامية، وزرع العراقيل أمام الجماهير العربية حتى لا تكمل مشوار بناء مؤسساتها الرسمية، فضلاً عن دعمها اللامحدود لبقاء المجرم بشار الأسد على حكم سوريا، فمهما حاولت إسرائيل فلن تجد مثله، فبينما سماء سوريا تعج بطائراته التي تلقي براميل المتفجرات على رؤوس السوريين، تمخر الطائرات الإسرائيلية بكل ثقة وأمان لتقصف مواقع في دمشق دون أن تشك لحظة بإمكانية الغدر بها أو محاولة التصدي لها.

ولا يقتصر ذلك على قوات بشار بل يشمل قوات حزب الله والمليشيات الشيعية العراقية والحرس الثوري

الإيراني، الذي يزعم أنه يقاتل في سوريا عملاء إسرائيل وأمريكا، لكن إسرائيل تقصف دمشق وهم ينظرون ولا يعبأون، ومن ثم تجتهد إسرائيل في حماية بشار والتدبير بالخطر الأصولي بين الثوار، وهي مطمئنة تمام الاطمئنان للمليشيات الشيعية الوافدة من أنها ستلتزم بكلمة الشرف حول سلامة أمن إسرائيل!!

وهكذا يمضي المشروع الإسرائيلي الصهيوني والمشروع الإيراني في طريقهما للعدوان على حقوقنا وأرواحنا مستغلين حالة الانقسام والفرقة والصدام الداخلية بين أهل السنة، فها هي إسرائيل تواصل العدوان على المسجد الأقصى، وتدعم الاستيطان، وأخيراً تعمل على ابتلاع منطقة الغور من الدولة الفلسطينية الخداج، وإجبار الفلسطينيين على قبول حرية حركتها العسكرية في داخل الدولة الفلسطينية المنتظرة!

وتسعى إسرائيل للحصول على أكبر المكاسب من مسار المفاوضات في هذه الفترة، التي ظهر الفلسطينيون فيها مكشوف، بينما العرب مشغولون عن نصرتهم فضلاً عن عجزهم عن نصرتهم، وإيران باسم فلسطين تهدم أربع دول عربية، والفلسطينيون منقسمون، بين من يلجأ إلى أمريكا ومن يلجأ إلى إيران، فأصبح حالهم كالمستجير بعمرو عند كربته.. كالمستجير من الرمضاء بالنار!!

وهذا أيضاً ما يحدث تجاه المشروع الإيراني الذي يشن علينا حرباً طائفية وأهلية في أربع دول، حيث انقسم العرب إلى قسمين رئيسين: الأنظمة وما والاها من قوى علمانية مختلفة، والإسلاميين، ثم انقسم كل محور إلى ثلاثة أقسام!

فمحور الأنظمة والقوى العلمانية ينقسم إلى: المحافظين ذوي الميول الدينية العامة الذين عندهم رفض للأطماع الإيرانية والشيعة بالجملة من منطلق سياسي، لكنهم عاجزون عن مقاومة المشروع الإيراني الطائفي

من إيران والشيعة، يعمّق الشرخ والفرقة في البلاد العربية، في الوقت الذي يجتهد الإخوان فيه للوحدة مع إيران والشيعة!!

القسم الثاني هم السلفيون المشاركون بالعمل السياسي، وهؤلاء أعرف الناس بخط المشروع الإيراني والشيعة، وهم الذين يقودون مقاومته على الأرض في أوساط المجتمعات العربية السنية، لكن الليبراليين واليساريين يناصبونهم أشد العدا بـسبب ما يسمونه تشدد السلفيين وتعصبهم الديني، وجاءت علاقاتهم بالإخوان وتعاونهم مع الإخوان خاصة بعد الانقلاب في مصر، لتزيد من الفجوة بينهم وبين أهل القسم الأول بعامّة، مما جعل مقاومتهم للمشروع الإيراني لا تجد سنداً من الدول، بل في حالة تصادم مع مشروع الليبراليين لمقاومة التمدد الشيعي بثقافة الانفتاح والانبطاح الأخلاقي! ويجد هؤلاء السلفيون أنفسهم في زاوية ضيقة بين ضرورة نصرته الإخوان بصفتهم يحملون راية إسلامية أمام الغزو العلماني المدعوم غربياً وإسرائيلياً ووقع عليهم ظلم بالانقلاب وتحطيم المسار الديمقراطي السلمي، وبين الخوف والقلق من براغماتية الإخوان الشرعية التي تتناغم مع الليبراليين كثيراً، أو براغماتيتهم السياسية التي لا تمنع في التحالف مع إيران برغم عدائهما الذي يوازي العدا الإسرائيلي!!

وأخيراً هناك السلفيون غير السياسيين، الذين هم بعكس الإخوان على علاقة جيدة بالدول والأنظمة وعداء لإيران والشيعة، لكن تأثيرهم محدود، وأيضاً هم غير مرحّب بهم من الليبراليين واليساريين، والسكوت عنهم غالباً ما يكون لدوافع انتهازية لضرب الإسلاميين بعضهم ببعض.

الخلاصة:

إن بقاء مقاومة المشروع الإسرائيلي والإيراني رهينة الصراعات الداخلية مؤذن بالفشل والهزيمة، ولا بد من الوصول لمشاركات حقيقية لنصرة المصلحة العامة، خاصة أن جميع الأطراف تقوم بعقد تحالفات مع خصومها أو مع أطراف لا تقل خطورة عمّن ترفض التعاون معهم. إن المشروع الإسرائيلي والإيراني لا يقاومه مشروع يسحق شباب الأمة تحت وطأة الشهوات، ولا مشروع يُضلل شباب الأمة بسيل من الشبهات، وإن التنازلات التي تقدم للأمريكان أو الإسرائيليين أو الإيرانيين، لو قدمت وبذلت في ما بيننا لكان النجاح حليفنا والفوز من نصيبنا.

بسبب غياب البعد الديني عن رؤيتهم، وهناك الليبراليون الذين هم أشد رفضاً للمشروع الإيراني من منطلق سياسي وفكري ليبرالي، لكنهم أيضاً يفتقرون للقناعة بقدرة المشروع الديني على مقاومة المشروع الإيراني، وأخيراً عندنا العلمانيون اليساريون المتماهون مع المشروع الإيراني بدرجات مختلفة، بحجة مقاومة الصهيونية والممانعة للقوى الاستكبارية، وغالباً ما ينجح هؤلاء في إفشال الجهود الضعيفة أصلاً للقسمين الأولين تجاه مقاومة المشروع الإيراني، من خلال سيطرتهم على المنابر الإعلامية والثقافية.

والمشكلة الأهم هنا أن هؤلاء الأقسام الثلاثة هم على خصام حاد مع التيار الإسلامي بالجملة، ويرفضون التواصل معه والتفاهم، إما لموقف فكري يرفض الدين كالشيوعيين، أو يرفض حضور الدين في السياسة كالليبراليين، أو بسبب اتهامه للإسلاميين - وخاصة جماعة الإخوان المسلمين - بكونهم أداة لإيران في دولهم! وقد تفاقم الخصام بعد سنوات الربيع العربي، لكنه بلغ الذروة مع تأييد الأنظمة والقوى العلمانية للانقلاب العسكري على الرئيس المصري محمد مرسي المنتمي للإخوان.

في المقابل نجد التيار الإسلامي ينقسم لثلاثة أقسام رئيسية:

الإخوان المسلمين، وعلاقتهم بالأنظمة غالباً متوترة لأنهم يعدون المنافس الأكبر للأنظمة، وأيضاً براغماتيتهم التي تمكنهم من فتح علاقات وثيقة بالأمريكان والإيرانيين مما يزيد من توجس الأنظمة منهم، لذلك نجد أن مواقف الإخوان رمادية من العدوان الإيراني على الدول العربية، ويتميز بالمعالجة الجزئية لكل بلد بما يحقق مصلحة الإخوان/ التنظيم فيه، وليس الالتزام بمصلحة الأمة، ولذلك تجيش جماعة الإخوان الأمة ضد انقلاب السيسي، ولكن لا مانع لديها من إبقاء حركة حماس للعلاقات أو إعادتها مع إيران والنظام السوري وحزب الله، للتملص من الحصار الدنيء لغزة.

وأيضاً في سوريا يكاد ينحصر دور الإخوان كالقوى العلمانية في اللعبة السياسية، وفي العراق هناك اتهامات للحزب الإسلامي بعقده صفقة مع المالكي لمصلحته الإخوانية بعيداً عن مصلحة السنة، وفي اليمن يتفرج حزب الإصلاح على عدوان الحوثيين على دماج حفاظاً على مصلحته لا مصلحة اليمن، وهذا الموقف الرمادي للإخوان

يفتك بالأعداء وهو يبتسم بهدوء.

ولذلك كم صُدم كثير من معارف الشيخ وأصدقائه وجيرانه وطلابه عندما علموا أنه أحد أربعة أسسوا حركة حماس! وكم صدم الناس وهم يرون ويسمعون شهادات الفضلاء في الشيخ ودوره ومواقفه المجهولة، والتي زادها قوة وتأثيراً صدورها من الشيخ الهادئ والصامت.

مسيرة الشيخ امتدت عبر ما يزيد عن نصف قرن من الزمان، ولم تقتصر على بلد دون بلد، وإن تركزت في فلسطين والكويت، وتنوعت في كافة مجالات الخير والمعروف والإصلاح، وأحيا في الناس سيرة العلماء المجاهدين والمجتهدين الباذلين والأتقياء الأخفياء كما نحسبه والله حسيبه.

مولده:

وُلد العلامة عمر الأشقر سنة ١٩٤٠م في قرية برقة، قضاء نابلس، بفلسطين، إبان الانتداب البريطاني، والذي كان يجتهد في ظلم الفلسطينيين وتهيئة الأمور لقيام دولة إسرائيل، وقد تعرض الشيخ لظلم الإنجليز وهو رضيع في حضن والدته، إذ داهم الجنود منزلهم وعاثوا فيه فساداً لكن الله

نجاه من أذاهم الذي قضى على كثير من الأطفال.

في هذا الجو ولد عمر الأشقر، وكبر على رؤية الظلم والاحتلال يجتاح قريته وبلده، ثم رأى والده يشارك في المعارك ضد الإنجليز، ولما خسر الفلسطينيون، رأى والده يخبئ بندقيته في الحقل



٢١- العالم العامل المجاهد

د. عمر سليمان الأشقر

(١٣٥٩/١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢/١٩٤٠ م)

أسامة شهادة^(١) - خاص بالرائد

(وبهذه الحلقة نختم هذه السلسلة المباركة،
ولعل الله أن ييسر استكمالها في المستقبل القريب)

تمهيد:

لعل العلامة العامل المجاهد الشيخ عمر الأشقر رحمه الله من آخر من فقدناه من العلماء الريانيين الذين كانوا قدوة للناس ونموذجاً يضرب بهم المثل، في علمهم وأخلاقهم وعملهم ودعوتهم

وإصلاحهم وجهادهم، وهو برغم كل هذا الدور الكبير كان زاهداً في الشهرة، بعيداً عن الأضواء، لا يعرف كثير من الناس موقعه المركزي في قلب الأحداث الجارية ملء السمع والبصر!

الشيخ عمر زهد فيه كثير من الناس والشباب وحسبوه عالماً تقليدياً كبقية العلماء، وذلك لما يرونه من هدوئه وتواضعه وسكينته، ولم

يكونوا يعلمون أن خلف هذا كله نفساً وثابة للمعالي وقلب أسد لا يهاب المخاطر وعقلاً راجح

(❖) كاتب أردني.

صعباً، فسلكه، وفرح بها فرحاً عظيماً، وقد فسر لها بعد ذلك بسلوك طريق العلم الشرعي.

هذه كانت طفولة عمر في فلسطين، والتي سيغادرها طفلاً للسعودية، ثم يزورها عدة مرات لكنه سيُحرم منها بعد نكسة عام ٦٧، ويتجذر وجوده في الكويت حتى احتلال صدام لها، فيعود للأردن ويبقى محروماً من قريته حتى وفاته.

رحلته للرياض:

في صيف سنة ١٩٥٣م، رافق عمر والده ووالدته لزيارة أخويه، عبد القادر، ومحمد (العلامة الأصولي محمد الأشقر)، والذي كان رحل للرياض سنة ١٩٤٩م، وكان سفرهم في ذلك الجو اللاهب عبر الصحراء على ظهور شاحنات البضائع، وكم عانوا من تعطل الشاحنات بسبب انغراس العجلات في الرمال، وهذه المعاناة في الانتقال والهجرة لقي منها الشعب الفلسطيني الشيء الكثير، نتيجة احتلال فلسطين من اليهود وقياهم بترويع الفلسطينيين للهجرة خارجها.

بقي عمر في الرياض في رعاية أخويه، وعاد والداه لفلسطين، فأدخله أخوه محمد المعهد الديني الابتدائي، ثم المعهد الثانوي، فدرس به خمس سنوات، وكعادة الطلاب في تلك السن مر بفترة لم يكن يرى جدوى من الدراسة، وأن العمل أو السفر لدول أمريكا اللاتينية - كحال كثير من أهل فلسطين في ذلك الزمان - أنفع وأجدي له، فترك الرياض وعاد لفلسطين لكن الله عز وجل لم ييسر له ذلك، وعاد من جديد للرياض فأكمل دراسة السنة الثانوية النهائية، وسخر الله له رفقة صالحة أخذت بيده، ثم سخر الله له التعرف على الشيخ مناع القطان، الذي اهتم بأمره وخصه بنصحه وتوجيهه، وبقي عمر يحفظ للقطان هذا الفضل.

هنا تغيرت نظرة عمر للدراسة فأقبل عليها ودخل كلية الشريعة، بشهادة المعهد الشرعي، ولم يكتف بذلك بل تقدم سنة ١٩٦٢م للحصول على شهادة الثانوية العامة التابعة لوزارة المعارف، من أجل أن يدرس مادة أخرى غير الشريعة في جامعة

ليوم قادم، ونشأ يسمع القصص عن فلسطين وكيف غزاها الإنجليز ومن ثم اليهود، ورأى تدفق اللاجئين من فلسطين على قريته في نكبة سنة ١٩٤٨، وكيف كانوا يصطفون طوابير لاستلام المعونات الغذائية، هذه هي طفولة عمر الأشقر في فلسطين، فهو قد غادرها سنة ١٩٥٣م وعمره ١٣ عاماً، للرياض بالسعودية حيث سبقه إخوته الكبار.

كان عمر هو أصغر إخوته الذكور، وقد ولد مريضاً به نقص خلقي في الرئتين، مما حدّ من لعبه ومشاركته أقرانه، ولكن الأطباء قالوا إنه بعد سن ١٨ يتخلص من مرضه، وقد كان.

كان والده محباً للخير يدعو الأئمة والمشايخ الذين يتجولون على القرى لبيته فيكرمهم ويضيفهم، أما والدته فقد كانت أمماً صالحة تعاهدت عمر بالتوجيه والنصح، ويحكي الشيخ عن والدته أنها كانت تحدثه عن بعض التوجيهات التي تلقاها وهي شابة من حضور دروس من الشيخ محمود ابن الشيخ عبد الغني اللبدي الذي زار قريتهم، وقد كان الشيخ عبد الغني اللبدي أحد علماء الحنابلة في فلسطين. وقد كان عمر كسائر إخوته وأولاد جيله يعمل بالحقل مع والده بعد انتهاء دوام المدرسة، حيث أنهى دراسة الابتدائية في مدينة نابلس.

وفي قريته برقة، تعرف الطفل عمر الأشقر على حزب التحرير الإسلامي، إذ كان في قريتهم بعض أعضائه، لكنه لم يرتح لهم، ولم تكن له علاقة بهم، لكنه سيهتم لاحقاً ظمناً بكونه منهم!

وهو في عمر العاشرة يرى الأشقر رؤيا، رأى أنه يتجول بين حقول القرية، وبينما هو يمشي، إذ بالطريق ينقسم إلى قسمين: طريق فيه ارتفاع وصعود إلى أعلى الجبل، وهو صعب وشاق، وطريق إلى أسفل الوادي، وهو سهل ويسير، فاحتار أيهما يسلك، فرأى النبي ﷺ وأبا بكر الصديق، فأشارا إليه أن اسلك الطريق العالي المرتفع ولو كان

الملك سعود، وتم له الحصول على شهادة الثانوية.

سافر عمر لفلسطين وتزوج بها سنة ١٩٦٠م، وكان في زيارته لفلسطين يقوم بالدعوة إلى الله ونشر العلم في قريته وما جاورها وفي مدينة نابلس والمسجد الأقصى أحياناً.

في هذه السنوات العشر (١٩٥٣ - ١٩٦٢م) كان عمر الأشقر بصحبة أخويه عبد القادر ومحمد يتردد على مجالس العلماء في الرياض، وخاصة الشيخ ابن باز الذي كان له أثر بارز في حياة عمر، إذ كان عمر في الثالثة عشرة من عمره وكان ابن باز في الثانية والأربعين، ولذلك كان يعامله معاملة أبنائه، وكم حكي لي الشيخ عمر عن ذكرياته مع ابن باز في تلك السن المبكرة فمرة يجيئهم الشيخ إلى بيت أخيه محمد ومرة هم يذهبون إليه، ومرة يخرجون معاً في نزهة أو لإحدى المزارع، وهكذا تربى عمر على يد ابن باز، ولذلك حين جاءت سنة ١٩٦١م عرض عليه الشيخ ابن باز أن يوظفه في الجامعة الإسلامية التي أسندت إليه رئاستها - في البداية كان الشيخ ابن إبراهيم رئيس الجامعة، وابن باز نائب الرئيس، لكن فعلياً كان ابن باز هو الرئيس - فطلب عمر منه أن يكون أمين المكتبة بالجامعة فوافق ابن باز، وهذا يدل على مدى العلاقة القوية بين عمر (٢٢ سنة) وهو طالب في السنة الأولى بكلية الشريعة بالرياض وبين الشيخ ابن باز نائب رئيس الجامعة الإسلامية!

والتقى الأشقر هناك أيضاً بالشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ صالح بن حسين العلي العراقي، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، وقد صحبت الشيخ د. عبدالله شاكر في زيارة للشيخ عمر في منزله بعمّان، فلما عرف الشيخ عمر أن الشيخ عبدالله شاكر هو رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، أخذ يسرد عليه من قصص وأخبار الشيخ عبد الرزاق عفيفي الذي كان أحد شيوخها الكبار ورئيساً سابقاً لها، فاستغرب الشيخ شاكر، فأخبره الشيخ عمر أنه يعرفه منذ الخمسينيات الميلادية.

في الرياض كان محمد الأشقر شيخاً وأباً وصديقاً لأخيه عمر، فقد كان يسكن عنده في بيته ويطالع في مكتبته، ويصحبه في زيارته للعلماء، بل ودرّسه في المعهد العلمي بشقراء وفي كلية الشريعة بالرياض، وكان أيضاً يتردد على المكتبة العامة بالرياض والتي كان محمد الأشقر أميناً عاماً لها، وهذا ما جعله يطلب هذه الوظيفة في الجامعة الإسلامية من الشيخ ابن باز.

وهنا يخطئ البعض فيظن أن عمر الأشقر كان طالباً بالجامعة الإسلامية، والصحيح أنه كان أمين المكتبة، وأكمل دراسته انتساباً بكلية الشريعة بالرياض، وأيضاً كان قديم الصلة بابن باز عند نشأة الجامعة الإسلامية كحال كثير من الطلاب الذين لم يعرفوا ابن باز إلا في الجامعة الإسلامية.

الانتقال للمدينة المنورة:

أقام عمر الأشقر بالمدينة ٤ سنوات (١٩٦١ - ١٩٦٥م)، لكنها كانت عن ٤٠ سنة، ففي المدينة كان قد بدأ شبابه وعطاؤه، وفيها خالط العلماء والشيوخ والرموز، وتعرف على الأمم والشعوب، وخاصة الشيخين الألباني والشنقيطي، وفي المدينة مارس الدعوة تطبيقاً، وفيها التقى برفيق الدرب في طريق الدعوة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق. عمل الأشقر أميناً لمكتبة الجامعة الإسلامية من ١٩٦١ إلى ١٩٦٤، ثم أصبح بعد تخرجه من كلية الشريعة بالرياض، مدرّساً بالمعهد الثانوي التابع للجامعة لسنة واحدة ١٩٦٤ - ١٩٦٥.

يقول الشيخ عمر عن حياته في المدينة: «كنت أتردد في كل يوم من أيامي بين المدينة والجامعة، وكثيراً ما كنت أصلي الصبح في المسجد النبوي، ثم أجلس إلى عالم من علمائها في درسه بعد الفجر، ثم أجلس أقرأ القرآن أو أحفظ منه إلى أن يأتي وقت الانطلاق إلى الجامعة، ... وأبقى هناك إلى أن ينتهي الدوام، فأعود إلى منزلي، ثم أخرج إلى المسجد النبوي لأصلي العصر والمغرب والعشاء، وكنا في هذه الأوقات نحضر بعض حلقات العلم،

أو نقوم بزيارة عالم من العلماء، أو ندرس في بعض العلوم المقررة علينا في كلية الشريعة بالرياض، .. وكنت أقوم بإلقاء بعض الدروس بالمسجد النبوي».

وفي الجامعة كان مكتبه قريباً من مكتب الشيخ ابن باز فكان كثيراً ما يرافقه لصلاة الظهر في مسجد الجامعة، وأحياناً يحضر بعض لقاءاته مع الوفود الزائرة، كما كان أحياناً يذهب له قبل الفجر ليرافقه للمسجد النبوي ويعود معه لمنزله حيث كان يجلس لطلبة العلم.

كما أنه رافق الشيخ في العديد من الرحلات التي ضمت عدداً من العلماء والطلبة لقرى المدينة للدعوة والنصح والتعليم، وبهذه العلاقة الوطيدة زرع ابن باز في الأشقر حب العلم والبذل في التعليم والدعوة والاهتمام بتزكية القلب.

ومن خلال قربه من الشيخ ابن باز تعرف الأشقر على كثير من العلماء والدعاة من أقطار عديدة، وهؤلاء إما كانوا ضيوفاً على الجامعة يقدمون بعض المحاضرات أو أعضاء بمجلس أمنائها، ومن هنا أصبحت للأشقر صلات بكثير من البارزين والمشهورين برغم حداثة سنه، مثل الشيخ أبي الحسن

الندوي، والشيخ أبي الأعلى المودودي، والشيخ محمد الصواف، والحاج أمين الحسيني، وهذه اللقاءات فتحت عقله وذهنه لتتوعد التحديات التي يعيشها العالم الإسلامي، وكونت لديه رؤية واضحة عن تباين شخصيات وطرائق واهتمامات العلماء والدعاة بحسب بيئاتهم ومناهجهم، فضلاً عن أنها قدمت له النموذج العملي للتعامل الأخلاقي الراقي بين الكبار مما أكسبه هيبة ووقاراً وسمتاً كان علامة مميزة له عن أقرانه وأصدقائه.

وفي المدينة تعرف الأشقر على الشيخ الألباني الذي كان جاراً له في السكن، وقد حدثت بينهما ألفة عميقة، تعدت علاقة الطالب بالشيخ، فقد كان الألباني ينبذ بطبيعته المتحررة قيود المشيخة وكان الأشقر عنده أكبر من تلميذ، وقد بقيت للأشقر مكانة عند الشيخ الألباني حتى نقل عنه في مدح الأشقر قوله: «عليه سميت العلماء».

اكتسب الأشقر من الألباني روح التحرر في البحث والتدريس بطريقة المناقشة والبحث، وعدم التكبر على العلم وسرعة الاعتراف بالخطأ، من قصص الأشقر مع شيخه الألباني، أنه راجع الشيخ بخصوص موقفه من استعمال الكحول، حيث كان الشيخ الألباني يرى أن نجاسته معنوية ويجوز استعماله، فاعترض الأشقر معتبراً أن الكحول خمر يحرم استعماله، لأن الخمر لا يجوز بيعه ولا شراؤه، فقال الشيخ الألباني هذا صحيح وامتنع عن استخدام العطور المصنعة من الكحول.

أما الشيخ الشنقيطي (صاحب أضواء البيان) فقد كانت دروسه في شهر رمضان فقط فكان يحرص عليها الأشقر، ومع



صورة نادرة للشيخ عمر الأشقر في شبابه

قلة هذه الدروس إلا أنه توفي وهو معظّم للشنقيطي خاصة وأنه أعاد مطالعة أضواء البيان في سنواته الأخيرة من أجل كتابة تفسيره للقرآن الكريم، فكان كثير الثناء والترحم عليه.

جاء الأشقر للمدينة المنورة فوجد فيها «مجموعة من طلبة العلم كانوا يخرجون بأنفسهم في كل أسبوع مرة لزيارة مسجد من مساجد المدينة، فكانوا يلتقون، ويدرسون، ويدرسون، ويعلمون أهل المسجد، ... وكان عدد هؤلاء لا يزيد على

ثلاثين من طلبة العلم .. كان أبرزهم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق» فانضم إليه الأشقر، وأصبح هو وعبد الرحمن قادة المجموعة، وقامت بينهما محبة عظيمة وتعاون وثيق، في تكرار للقاء عبد الحميد بن باديس مع البشير الإبراهيمي بالمدينة المنورة قبل ٤٠ سنة!!

وتطور هذا النشاط إلى طلب مساعدة الشيخ ابن باز من أجل القيام برحلة شهرية للمدن بين المدينة ومكة، وفعلاً ساعدهم الشيخ ابن باز، بل وخرج معهم عدة مرات وخرج عدد من العلماء كالألباني - وكان أكثر العلماء مشاركة بالرحلات - والشيخ عطية سالم، والشيخ محمد عبد الوهاب البنا المصري، وقد عقدت في تلك الرحلات مجالس علمية مشتركة بين ابن باز والألباني كانت من أروع مجالس العلم، وأكثرها تأثيراً في طلبة العلم، لما فيها من علم كبير وخلق رفيع وتعامل راق.

ثم تطورت الفكرة للذهاب في سفرة دعوية خارج السعودية فوقع الاختيار على السودان، وفعلاً في عام ١٩٦٣ سافر الأشقر وعبد الرحمن عبد الخالق والشيخ محمد عبد الوهاب البنا وأحمد صالح من فلسطين وربيعة مزمل والسر كمال الدين من السودان، فتجولوا في ربوع السودان بالدعوة والتعليم، وزاروا جماعة أنصار السنة المحمدية، وقد كانت هذه الرحلات بمثابة تدريب عملي على الدعوة إلى الله بالتخطيط والتنفيذ وفهم واقع المجتمعات، والتعرف على نشاط الدعاة والعلماء، وفي السنة التالية تعذر على الأشقر مرافقة المجموعة بسبب إجراءات الإقامة، فحزن كثيراً على حرمانه من تلك الرحلة.

وقد كان للأشقر وعبد الرحمن تأملات في مسيرة الدعوة ومحاولات لوضع تصور علمي وتربوي، فوجد عبد الرحمن يرسل للأشقر تقريراً من السودان عن الرحلة ومَن قابلوا وتقييم للدعاة السلفيين ومن يصلح منهم لقيادة أنصار السنة المحمدية، ووجد تركيزاً على توفر القدرات التدريسية عند الشخصيات موضع التقييم، ثم نجد

في رسالة ثانية بعد ترحيل الأشقر من المدينة - سيأتي الحديث عن ذلك - أن ردود الفعل الفاترة والغائرة من الطلبة والأساتذة والعلماء على سجن الأشقر وعبد الرحمن تحتاج إلى دراسة وتقييم لمستقبل المسار الدعوي الذي يسعى له الأشقر وعبد الرحمن.

هذا النشاط في المدينة جعل من الأشقر وعبد الرحمن علمين بين الشباب والعلماء، ومع هذا النشاط كان تفوقهما العلمي واضحاً بين أقرانهما، وهنا جاءت حادثة أنهت هذه المرحلة الجميلة الرائقة من حياتهما في المدينة لتبدأ لهما قصة أكثر تشويقاً وخيراً وبركة.

ففي عام ١٩٦٥ ظهرت في المدينة ظاهرة مستترة وهي وضع المحلات التجارية مجسمات توضع عليها الملابس على واجهة المحلات، فأنكرها الشيخ ابن باز، لكن بعض الشباب المتعجل قرر الخروج للسوق وتكسير هذه المجسمات، ولما علم الأشقر وعبد الرحمن بذلك ذهبوا إليهم ونهوههم، واتفقوا على أن يقوم عبد الرحمن بالتدريس في المسجد عن حرمة هذه المجسمات ومن ثم يخرجون ينصحون الباعة، ولكن أولئك الشباب كانوا قرروا الغدر بهم، وفعلاً ما أن أنهى الدرس وخرجوا لنصح الباعة، حتى هجم أولئك الشباب على المجسمات والمحلات وكسروها، وأحدثوا بلبلة، فقدمت الشرطة واعتقلت البعض، ولكن عمر لم يرض أن يبق بعيداً، فلحق بالشرطة وذهب معهم.

وهناك وجد الأشقر أن هناك وشايات عنه بأنه ينتمي لحزب التحرير، وهي وشاية كاذبة، وأبى عليه خلقه أن يذكر حقيقة الأمر وكيف أنهم نصحو للشباب بعدم مشروعية ذلك الأمر، فتم الإفراج عن الجناة وعوقب ظلماً الأشقر وعبد الرحمن عبد الخالق ومصطفى زربول وعبد الرحمن عبد الصمد، في هذه القضية، فسحبت جنسية الشيخ عبد الرحمن ورُحل مع البقية، وذلك بعد أن قضوا عدة أشهر في السجن

بالمدينة، وقد زارهم بالسجن الشيخ ابن باز - وهذا من مكارم الشيخ - وسعى في خلاصهم لكن الله لم يقدر ذلك، لكنه بقي يحاول حتى رفع المنع عنهم للقدوم للحج والعمرة سنة ١٩٨٦، مما يؤكد متانة العلاقة مع الشيخ ابن باز برغم الغياب عنه ٢٠ سنة.

في المطار يجد الأشقر أستاذه الشيخ محمد المجذوب جاء يودعه وكتب له قصيدة قال فيها:
نودعكم والقلب يعصره الأسى

وليس لنا حول سوى الزفرات

وأوجع ما في محنة اليوم أننا

نرى أبرياء عوقبوا كجناة

على أن في الأحداث لله حكمة

تفجر أنواراً من الظلمات

وهكذا تنتهي رحلة الأشقر بالسعودية وعمره حينها ٢٥ عاماً، قضى منها ١٢ عاماً بصحبة العلماء وعلى رأسهم الشيخ ابن باز، لتبدأ صفحة جديدة.

العودة لفلسطين:

عاد الأشقر لفلسطين، وبعد الراحة خرج يبحث عن أذن بالتدريس والخطابة في المساجد من الأوقاف، وهناك قابل الشيخ عبد الحميد السائح، فلما سمع طلبه عرض عليه أن يعينه في محكمة الاستئناف بالقدس، وبراتب أعلى، لكن الأشقر قال له: إذا تعينت في القضاء فسأحرم التدريس في المدارس، وطلب معونته في التعيين بوزارة المعارف، فأبى الشيخ السائح، وهذا يكشف عن أن التعليم عند الأشقر أصبح رسالة وغاية وهدفاً، لم يتخل عنه طيلة ٤٠ سنة (١٩٦٥ - ٢٠٠٥).

سافر الأشقر لعمّان وقابل الأستاذ الشاعر يوسف العظم الذي وافق على تعيينه مدرساً بمدارسه (مدارس الأقصى).

في هذه الفترة كان الشيخ عبدالرحمن قد رُحل من السعودية بعد أن سُحبت جنسيته، وسافر برفقة شيخه محمد عبد الوهاب البنا متجهاً للشام عند شيخه الألباني، لكن إرادة الله شاءت أن تنزل الطائرة بالكويت، وهناك يطلب منه بعض جهاتها

البقاء فيها، وفعلاً مكث عبدالرحمن في الكويت، وأرسل للأشقر يعلمه بذلك، ويحثه على المجيء، فالوضع خصب للدعوة الإسلامية التي يحملون بها.

وفعلاً عزم الأشقر على السفر للكويت واستكشاف الأحوال، فوقتها كانت عطلة، والمدارس لم تبدأ بعد، وهنا بدأت حياة جديدة للأشقر، لعلها من أخصب أيام حياته.

الاستقرار بالكويت:

وصل الأشقر الكويت في ٢٧/٨/١٩٦٥، وتهيأت أموره برعاية الله، فعُين في وزارة التعليم بمدرسة المتنبي في ١٥/٩/١٩٦٥، واستاجر شقة مشتركة مع عبدالرحمن، وكان الأشقر حين وصل الكويت ذهب لزيارة عبدالرحمن فلما وصل السائق لمسجد في المنطقة التي بها العنوان، قال له الأشقر: ليس هذا المسجد، فمشى حتى جاء مسجداً آخر فقال له: هذا المطلوب! وذلك أن عبد الرحمن رأى رؤية في السجن أنه يؤم في مسجد له صفة معينة، فلما رآه الأشقر عرفه من الرؤيا!!

حين استقر الأشقر وعبدالرحمن بالكويت كانت الحالة الدعوية خاملة برغم وجود عدة جماعات إسلامية بالكويت، فقد كانت جماعة الإخوان موجودة ولها جمعية الإرشاد، وكان عدد من التحريريين موجوداً بالكويت، لكن بسبب الموجة الناصرية كان عندهم أنفسهم تخوف من العمل الإسلامي.

ولكن الوافدين كانوا شبابين متحمسين وجاء من السعودية التي ليس بها سطوة للناصرية، وليس لهما ارتباط بتنظيم أو جماعة تقيد حركتهما، فانطلقا في مجال الدعوة، يقول الأشقر: «انطلقت أنا والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق نعمل في مسارين: الأول، في تعليم الناشئة الإسلام في المدارس؛ والثاني، التدريس في المساجد... ولم تكن لنا خلفية حزبية تأمرنا وتنهانا.. وأتانا بعض القيادات الإسلامية تناقشنا تجاه ما نقوم به من عمل، وطلبت منا التوقف عن العمل في المساجد».

لكنهما مضيا ، ثم لحق بهما الجميع ، وقد كان للشيخ رؤية رآها في المنام أنه يمشي في حقول متفاوتة هو الشيخ عبد الرحمن ، وقد أولها الشيخ عمر بأنها ثمرات الدعوة الإسلامية في الكويت. يمكن تلخيص حياة الأشقر وأدواره الدعوية والإصلاحية بالكويت والتي تعاون مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق فيها والتي امتدت ٢٥ عاماً ، بالنقاط التالية:

١- العمل بالتدريس كرسالة وهدف ورعاية الشباب ونشر الدعوة الإسلامية ، فهو بدأ بتعليم الطلاب سنة ١٩٦٥ في مدرسة المتنبي المتوسطة نحو ست سنوات ، ثم انتقل إلى مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة لمدة سنتين ، ثم انتقل إلى مدرسة عبد الله السالم الثانوية عام ١٩٧٢م ، ثم انتقل إلى معهد المعلمات عام ١٩٧٧م ، ثم مدرسا في كلية الشريعة بجامعة الكويت ١٩٨٠ - ١٩٩٠م.

ولم يقتصر نشاطه على التعليم في الفصل ، بل امتد للأنشطة اللامنهجية ، فأسس الجماعة الدينية في مدرسة المتنبي ، التي رعت الطلاب بالدروس والرحلات والترفيه الهادف والتوجيه الراقى ، وأثمرت هذه الجماعات المدرسية أجيالا ضخمة من الشباب قادت مسيرة العمل الإسلامي في الكويت وخارج الكويت ، كان منهم قادة حركة حماس كخالد مشعل وزملائه بالمكتب السياسي ، وسنعود لتفصيل ذلك.

وأيضاً حين دخل الشيخ معهد المعلمات سنة ١٩٧٧ لعله لم يكن هناك طالبة محجبة واحدة في المعهد ، لكن بفضل الله لم يخرج الشيخ إلا وقد انتشر الحجاب في المعهد بشكل ظاهر ، برغم ما لقي الشيخ من عنت من الإدارة والتيارات العلمانية.

وأيضاً في الجامعة كان للشيخ دور كبير في نصرة التيار الإسلامي وترسيخ العمل الطلابي الإسلامي ، والتصدي للتيار العلماني في جامعة الكويت ، وكل هذا بالعلم والرفق والهدوء مع الصراحة وقوة الحجّة.

وأيضاً شارك الشيخ الأشقر والشيخ عبدالرحمن

بوضع مناهج التربية الإسلامية للطلبة في المدارس ، وللشيخ الأشقر عدة كتب تدرس كمقررات في الجامعات حول العالم ، ككتابه: نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، والمدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي ، والواضح في شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني ، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، وغيرها من الكتب المشتركة.

توجه الأشقر خلال تلك الفترة لإكمال الدراسات العليا بالقاهرة فحصل على الماجستير من الأزهر عام ١٩٧٤ ، وتأخر بالحصول على الدكتوراه بسبب كثرة الأشغال الدعوية لكنه تفرغ لرسالة الدكتوراه سنة ١٩٨٠ وحصل عليها بتفوق من الأزهر وكانت في موضوع (الإخلاص) ، وهو من أهم القضايا المركزية في حياته ودعوته.

٢- الدعوة في المساجد بالتدريس والخطابة ، فكان يدرس الصغار والكبار في المساجد حتى ربي جيلا كاملا ، وأسّس للعمل الدعوي بالمساجد ، من دروس ومسابقات ورحلات ، ثم لما كبر هؤلاء الشباب بقي يرعاهم في مؤتمراتهم وملتقياتهم في الكويت وخارج الكويت.

وأصبح ضيفاً دائماً على الملتقيات الشبابية والمؤتمرات العلمية والدعوية ، فشارك في مؤتمر طلبة أمريكا الشمالية عام ١٩٧٨ ، وطلبة بريطانيا عام ١٩٨٠ ، وطلبة الباكستان عام ١٩٨٢ ، وتواصلت المسيرة. وزار دولا كثيرة للقاء الجاليات ودعوة المسلمين في أوروبا وآسيا وأفريقيا.

٣- تأليف الكتب ، ذكر الشيخ أنه كتب في مطلع حياته بعض القصص ، لكنه أتلّفها بعدما تبين درب الهداية والعلم الشرعي ، وكتب بعض المقالات في مجلة الحائط في المعهد الشرعي وكلية الشريعة بالرياض لما كان طالباً ، وأخبرني الشيخ مرة أنه جمع قصص ونوادر المدرسين في كتاب ، ثم أتلّفه لأنه خشي أن يكون الكتاب الذي يُعرف به عمر الأشقر ، وأنه صاحب كتاب نكت المدرسين والمعلمين! وهذا يدل على بصيرة وتأمل للعواقب ،

وهو مما يحسن بالشباب الاقتداء به من الشيخ.

لم يكن تأليف الشيخ عمر للكتب غرضاً وغاية، بل جاء هذا التأليف كأداة للدعوة، فأول كتاب ألفه هو كتابه «الصوم في ضوء الكتاب والسنة»، حيث طلب منه مدير المدرسة كتابة شيء عن الصيام للطلبة، فكتب هذا الكتاب، وطُبِعَ بكمية قليلة لأن المدير كان يرغب ببضعة أوراق فحسب.

وأيضاً كتبه الأشهر، وهي سلسلة العقيدة، هي في الأصل مسودات تحضير دروس للشباب في العقيدة، ثم طلب أحد الناشئين من الأشقر أن يزوده بما عنده للطباعة، وكتب الله لها القبول.

وهكذا أغلب مؤلفاته التي جاوزت ٥٠ كتاباً، لم تؤلف إلا لحاجة أو سبب وقد وضع الله فيها البركة فلقى القبول والذیوع عند الناس، وتعددت طباعتها وترجم كثير منها للغات عديدة، وقُرِرَ بعضها في الجامعات ودروس العلماء والدعاة، وقد تربى على فكر الشيخ وكتبه أضعاف أضعاف ممن التقوا بالشيخ بشكل مباشر.

ولعل من أجمل ما قيل في الثناء على كتب الشيخ عمر قول الشيخ محمد إسماعيل المقدم: «إذا رأيت اسم عمر الأشقر على كتاب فاشتره مهما كان موضوعه». وهو يميل في كتبه لبساطة العبارة والطريقة المنهجية التدريسية مع ذكر الأدلة ومناقشة الاعتراضات بإنصاف.

ومن آخر مشاريع الشيخ العلمية تفسير القرآن الكريم، وقد أتم منه تفسير ١٨ جزءاً، ولعله يصدر قريباً إن شاء الله.

وللشيخ مقالات في عدد من المجالات كمجلة الشهاب البيروتية والمجتمع الكويتية وغيرهما، وقد جمعت بعض هذه المقالات في كتب.

٤- في منتصف السبعينيات الميلادية بدأت الدعوة تنمو وتظهر نتائجها الطيبة، وكان للشيخ عمر والشيخ عبد الرحمن دور كبير في نشوء التيار السلفي في الكويت وانتشاره، فتابع الشيخ عبد الرحمن نشاطه مع التيار السلفي، وبقي الشيخ عمر

مرجعاً شرعياً في مسائل العقيدة وغيرها، ولكنه اختلط خطأً مع الإخوان المسلمين، خاصة الفلسطينيين، وساعد على ذلك كثافة الوجود الفلسطيني في الكويت.

والشيخ عمر حين انضم لجماعة الإخوان دخلها كعالم سلفي وليس كشخص عادي، يقول الأشقر عن نفسه حين وصل الكويت قبل دخوله الإخوان بعشر سنوات: «فقد حططت رحالي بها وأنا في مطلع مرحلة الشباب، وكنت حصلت على بعض العلم والعمل في الفترة التي كنت فيها في المدينة المنورة.. عملت عدة سنوات في الجامعة الإسلامية، صحبت فيها علماء أعلاماً، منهم فضيلة شيخنا الشيخ ابن باز، ومنهم الشيخ الألباني والعلامة الشنقيطي.. وقد عملت في مجال الدعوة إلى الله في مساجد المدينة، وكان لي شرف الإشراف، مع إخوة، على الرحلات التي تقوم بها الجامعة إلى المدن ورحلات الحج والعمرة. وسافرت إلى السودان، وتعرفت على عدد كبير من العلماء والدعاة الذين يردون المدينة، أمثال الشيخ أبو الأعلى المودودي، والشيخ الندوي، والشيخ أمين الحسيني. لذا، فإنني لم أبدأ العمل من الصفر عند حلولي في الكويت، بل تابعت مسيرة سابقة حافلة بالعطاء، وكان لي من الخبرة ما يمكنني من الانطلاق بالدعوة».

ومما يدل على سعة علاقات الشيخ عمر مع العلماء والفضلاء والشخصيات العامة قبل مجيئه للكويت، أن الشيخ محمد ناصيف والذي كان من أشهر أعيان جدة والذي توفى عام ١٩٧١ عن ٨٥ عاماً، كان يرسل الشاب عمر الأشقر سنة ١٩٦٩ (عمر الأشقر آنذاك ٢٩ سنة) يطلب منه تزويده ببعض مطبوعات الكويت، ذلك أن الأشقر كان يتردد على منزله بجدة كلما حج أو اعتمر.

يقول د. محسن الصالح وهو أحد المقربين من الشيخ: «دُعي الشيخ لدخول جماعة الإخوان بطريقة فجأة حيث زاره أحد الإخوان، مؤكداً على استفادتهم واستفادة شباب الإخوان من علمه، ولكنه عرض عليه الدخول في «حلقة مفتوحة» لمدة

ثلاث سنوات... ثم يرون بعد ذلك إن كانوا سيقبلونه في عضوية الإخوان أم لا!!! فرفض الشيخ عمر.

غضبت قيادة الإخوان من أسلوب الأخ الذي دعاه، فأرسلت إليه الأستاذ سليمان عبد القادر الذي دعاه للقاء العم سليمان حمد الرئيس الجديد للإخوان الفلسطينيين في الكويت. وعندما زاره دعاه أبو محمد للإخوان دون شروط قائلًا له: «أنت شيخنا»... وافق الشيخ عمر لكنه اشترط ألا يستلم مسؤولية إدارية. وقد وافقوا مبدئيًا على ذلك، لكنهم انتخبوه في عضوية المكتب الإداري سنة ١٩٧٨، من موقع التقدير ومن موقع الحاجة إلى خبرته وحكمته، فوافق لكن ظل معروفًا عن الشيخ حتى نهاية حياته رحمه الله عزوفه الشديد عن المناصب الإدارية، مع موافقته على المشاركة من مواقع الرأي والمشورة. وكان الشيخ يمثل الكويت في مجلس الشورى لتتظيم بلاد الشام في الأردن».

ولقد أصاب الشيخ محمد عبدالعزيز - وهو من أخص طلبة الفقيه - الحقيقة حين وصف الشيخ رحمه الله بأنه «لم يكن حزبياً بالمعنى المقيت»، وهذا مهم لفهم طبيعة دور الأشقر في الإخوان، فهو بقي على سلفيته وعمل على نشرها وبثها في الإخوان، ولذلك نجد الشيخ الأشقر ينبّه في كتابه العقيدة في الله على مخالفة الأستاذ البنا للصواب في باب الأسماء والصفات، برغم أن الكتاب مقرر في كثير من حلقات أسر الإخوان المسلمين في عدة دول، ونجد الشيخ الأشقر قد أنتج خطأ سلفياً في داخل الإخوان. وهذا يجربنا للحديث عن دور الأشقر من الثورة الإيرانية في داخل الإخوان.

٥- بعد انضمام الأشقر للإخوان بعدة سنوات وصل الخميني لحكم إيران بعد الإطاحة بحكم الشاه، وانخدع به فثام عديدة من الناس من العامة والخاصة ومنهم قيادات وأفراد بجماعة الإخوان، فكان للأشقر دور بارز في توعية الناس بخطر الخميني والتشيع وإيران.

أول جهوده في هذا الباب أنه لما كان في القاهرة من أجل دراسة الدكتوراه، وظهر الخميني قام الأشقر بتوعية أعضاء الإخوان من قطاع غزة والأردن الذين يدرسون بالقاهرة بحقيقة التشيع والخميني من خلال جلسات متعددة كانت تضم قرابة ١٥ شخصا، وكان لهذه الجلسات أثر بارز في وقاية الإخوان في هذين البلدين من التشيع العقدي الذي تورط فيه بعض الإخوان المسلمين في دول أخرى كالسودان وتونس.

وثانياً كتب الشيخ رسالة صغيرة عن حقيقة موقف الخميني من العقائد الشيعية وأنه يؤمن بكل طوائفهم وكفرياتهم، فعقب الثورة الإيرانية مباشرة، نشرها بين القيادات الإسلامية في الكويت، وأرسل نسخة منها لاجتماع للحركة الإسلامية بالقاهرة لكنهم لم يهتموا بالاطلاع عليها!

وثالثاً حين كان الشيخ مشاركا بمؤتمر إسلامي لشباب الإخوان بلندن في بداية الثورة، فوجئ باستضافة عالم شيعي عراقي مؤيد للخميني ونظريته ولاية الفقيه، رغم أن المؤتمر ليس فيه حضور شيعي، فطلب التعقيب عليه، فلم يقبل المنظمون أن يعقب عليه الشيخ، فقرر مغادرة المؤتمر، فعاد المنظمون وقرروا أن يعقب عليه شخص آخر غير الأشقر، ولكنه لم يكف ولم يشف غليل الأشقر!

ورابعاً بعد هذا المؤتمر مباشرة دعي الشيخ لمؤتمر في أمريكا، وكان منظمو المؤتمر هم طلاب الشيخ في الكويت وقد أخبرهم بما جرى في لندن، فطلب منه المنظمون أن لا يخصص حديثه عن الشيعة، وذلك بسبب وجود تعميم على جميع المراكز الإسلامية بعدم مهاجمة الشيعة! فألقى محاضرة عن (تصويب المسار)، تعرض فيها لخطر الشيعة وانحرافاتهم العقديّة، وقد أثارت المحاضرة كثيرا من الحضور المخدوع بإيران والخميني، فانهاالت الأسئلة والتعقيبات المعترضة، لكن الله سخر له أن يصرح أحد شبان الشيعة الحاضرين

بأنهم لا يسبون أبا بكر وعمر لكنهم يسبون عائشة فقط! فظهر للجمهور صدق حديث الشيخ وكانت محاضرة نافعة وعت لها قلوب كثيرة خاصة وأن شريط المحاضرة تناقلته الأيدي في بلاد كثيرة.

وقد وصف الشيخ محمد عبدالعزيز هذا الدور الرائد للشيخ الأشقر بقوله: كان الشيخ الأشقر صمام أمان للشعب الفلسطيني من التشيع.

٦- انضمام الشيخ للإخوان كان بشكل رئيسي لإكمال مشوار تربية الشباب الفلسطيني الذي رباه الشيخ في المدارس والمساجد، وقد أثمر ذلك الجيل عن تكوين حركة حماس، إذ كان شباب الأشقر هم غالب قادة المكتب السياسي لحركة حماس لاحقاً.

يقول د. محسن الصالح: « شكل الشيخ عمر وسليمان حمد ثانياً متاغماً ومتكاملاً، ومكنت القدرات الاستيعابية المتميزة للعم أبو محمد من الاستفادة القصوى من الشيخ عمر في إطار التنظيم الإخواني، وجمعهما الاهتمام بالشباب، وبالعامل الفلسطيني، وبالانفتاح على الوسائل المختلفة والمتجددة للدعوة...»

في سنة ١٩٧٨ اتحد التنظيم الفلسطيني مع تنظيم الإخوان في الأردن وشكلا تنظيم بلاد الشام على أمل أن يلتحق بهما السوريون واللبنانيون، وهو ما لم يحصل. غير أن ذلك مثل قفزة في العمل الإسلامي الفلسطيني، تكلل بتشكيل جهاز فلسطين سنة ١٩٨٥ والذي تولى متابعة العمل لفلسطين، وإنشاء حماس، وقيادتها ودعمها لوجستياً؛ وكان الشيخ عمر من رواد هذا العمل ومنظريه ومن العاملين بشكل حثيث على إنجاحه.

استفاد الشيخ عمر وخالد مشعل من زيارتهما للسودان سنة ١٩٨٠ بشكل كبير، إذ اطلعوا على تجربة الحركة الإسلامية التي يقودها حسن الترابي هناك، وفتح ذلك لهم آفاقاً جديدة في العمل الإسلامي لفلسطين. كما التقى الشيخ عمر

بتكليف من إخوانه بمنير شفيق، ثم بعلي الحسن للاطلاع على تجربة منظمة التحرير والمقاومة الفلسطينية، للاستفادة منها في العمل الذي يجري إعداده لما سيعرف مستقبلاً بحركة حماس.

وفي تلك الأثناء اهتم الشيخ عمر وإخوانه بالمنحى الجهادي للعمل الإسلامي الفلسطيني في الداخل والخارج، وأخذوا يسبرون آفاقه، ومجالات الإعداد والتدريب. غير أنه كان هناك حرص شديد على السرية وعلى حسن الإعداد، ليتم إنشاء عمل قوي ومتجذر يستطيع الاستمرار والتوسع، حتى لو تعرض للضغوط والضربات. وتعود بدايات التدريب العسكري في الخارج إلى سنة ١٩٨٠. كما كان يجري التواصل مع الداخل ورفد عمله بما يحتاج من دعم وخصوصاً تلك الجهود التي كان يقوم بها الشيخ أحمد ياسين رحمه الله ورفاقه.

وفي مطلع الثمانينات كتب الأشقر رؤية لقضية فلسطين لتكون نواة انطلاق حماس في المستقبل، ولما قام الشيخ أحمد ياسين بتأسيس تنظيم جهادي في غزة سنة ١٩٨٣ كان الأشقر هو واسطة تدبير الدعم المالي لهم.

وحين يعلن عن قيام حركة حماس وتتكون هيئاتها المؤسسية يتم اختيار الشيخ عمر ليكون أول رئيس لمجلس الشورى العام لها ويبقى في ذلك المكان ١٠ أعوام (١٩٨٩ - ١٩٩٩)، ولم تنقطع هذه الصلة بحماس وإن أصبحت في إطار الاستشارة والفتوى، فهو المفتي الأول لحماس، ولخص خالد مشعل دور الشيخ الأشقر في حماس بقوله في جنازته: كان الشيخ عمر الأشقر أحد أربع مؤسسين لحركة حماس، وذكر منهم الأستاذ سليمان الحمد (أبو محمد) في الكويت حفظه الله، والمهندس حسن القيق (أبو سليمان) في القدس رحمه الله، وأمسك عن ذكر الرابع. حيث التقت بذرة «حماس» في الخارج برعاية الأشقر والحمد، مع ما بذره الأستاذ حسن القيق وإخوانه في الضفة، وما زرعه ورعاه الشيخ أحمد ياسين في غزة رحمهم الله جميعاً.

كان الشيخ الأشقر يتمتع بالبصيرة الثاقبة «في المواقف خاصة في القضايا الحاسمة والحساسة كانت أحد العوامل التي عصمت الحركة وجعلت مواقفها متوازنة دائماً»، كما يقول خالد مشعل.

وهذا الدور الجهادي العريق للأشقر فاجأ الكثيرين من الحمساويين والإخوان والسلفيين والإعلاميين، وذلك بسبب زهد الشيخ في الأضواء وبساطته وهدوئه وتواضعه، بحيث لا يظن أن خلف هذا كله مؤسس حركة حماس التي نازلت العدو الإسرائيلي وواصلت حمل راية الجهاد في فلسطين.

لكنه الطفل الذي رأى بلده تُحتل وأهله يشردون، ورأى احتفاء علمائه وشيوخه بالجهاد كما يقول عن رحلة مع الشيخ ابن باز قبل ٤٠ سنة: «وقد حضرت شيخنا الشيخ عبدالعزيز رحمه الله في إحدى رحلاتنا مع الطلبة، فأحضر أحدهم بندقيّة، فأخذها الشيخ بيديه، وأخذ يتلمسها، ويذكر مقاطعها، ويتغنّى بها كأنما هي عروس!!»

وجاءت سنة ١٩٩٠ وكان الشيخ الأشقر في رحلة دعوية في إيطاليا، فجاءه الخبر باحتلال الكويت، وهنا تنتهي رحلته مع الكويت، ذلك البلد الذي أحبه بعد أن فقد بلده فلسطين واعتبره وطنه لما لقي فيه من تكريم ومحبة ولما لقيت دعوته من قبول وانتشار، ولكن إرادة الله غالبية ولعل له حكمة في انتقال جديد للشيخ إلى عمان.

الانتقال إلى الأردن:

الذي دعا الشيخ لترك الكويت وعدم البقاء بها، مطاردة البعثيين له، لأنهم كانوا حانقين على الشيخ لعدم تلبية دعواتهم لزيارة العراق أو قبول حضور مؤتمرات دعم صدام حسين، ومن هنا لما كثر بحث القوات العراقية عنه في الكويت والسؤال عنه قرر مغادرة الكويت، بعد أن عاد لها من إيطاليا - إذ كان في مؤتمر إسلامي هناك - عبر الأردن وبغداد، فقفّل راجعاً بزوجته وأصغر أولاده إلى عمان.

في الأردن عاد الشيخ لرسالته الرئيسية وهي التعليم، فعين أستاذاً بالجامعة الأردنية مباشرة (١٩٩٢ - ٢٠٠٢)، وفي الجامعة الأردنية كان للشيخ بصمات واضحة فقد قام بإكمال بعض النواقص، مثل: شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني، وإنقاذ مادة الأسماء والصفات ومادة القضاء والقدر، من الحذف لعدم إقبال الطلبة عليهما، فأصبحت شعبة الشيخ مليئة بالطلبة، وصنف لها كتابه (أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة)، وقد كان الشيخ يحب تدريس العقيدة برغم تخصصه في الفقه وأصوله، وكان تأثير الشيخ عمر على الطلبة ونشر معتقد أهل السنة تأثيراً واضحاً وبيناً، وأشرف الشيخ على عدد من رسائل الدكتوراه والمجستير فيها.

تم إبعاد الشيخ من الجامعة الأردنية مع عدد من الأساتذة ذوي الخلفيات السلفية، ثم عاد جميع المفصولين باستثناء الأشقر، وكل هذا كان بتحريض من المتشيع حسن السقاف الذي ألب الأمير غازي على السلفيين، وكان السقاف قد رد على الشيخ عمر بمذكرة تافهة بعنوان (تنبيه أهل الشريعة إلى ما في كتب الأشقر من الأخطاء الشنيعة)، وقام السقاف من غبائه بإرسال نسخة منها للشيخ ابن باز! والذي أرسل خطاباً بتاريخ ١٤١١/١١/٣٠ هـ للشيخ عمر يطلب منه الرد عليه بما يناسب، مما يكشف لنا عن عمق الصلة ودوام التواصل بين الشيخين، وقد أهمل الشيخ الكتاب وكتبه فلم يرد عليه، وقد كان هذا الإهمال أشد عليه من الرد! ومن إنصاف الشيخ أنه قرأ الكتاب بحثاً عن الصواب، فلم يجد فيه إلا تنبيهاً على خطأ في عزو حديثين فصوبهما الشيخ في الطبعة اللاحقة.

بعد ذلك قرر الشيخ التفرغ للتأليف، لكن الدكتور إسحاق الفرحان أرسل للشيخ من يطلب منه إنقاذ كلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية من الإغلاق بتولي عمادة الكلية التي شغرت وليس

هناك من يتولاهما، فرفض الشيخ في البداية ثم وافق على أن يكون ذلك لعام دراسي واحد تتدبر الجامعة بها أمرها، ثم مدد الشيخ سنة أخرى، وكان للشيخ تأثير كبير على الكلية والطلبة، بعلمه وخلقه، ولعل القصة التالية تلخص تأثير الشيخ في طلابه، إذ بينما بعض الشيوخ والدكاترة في مكتب الشيخ عمر الأشقر بكلية الشريعة، فوجئوا بدخول فتاة غير محجبة وهي تحمل وردة وتقدمها للشيخ!

وقد تبين أن هذه الفتاة قطفت هذه الوردة من حديقة الكلية لتعبر بها عن شكرها وتقديرها لإنصاف وعدل الشيخ الأشقر حين أعطاها ما تستحقه من درجة مرتفعة في مساق مادة الثقافة الإسلامية بغض النظر عن مدى التزامها بالحجاب الشرعي. هذه الحادثة تكشف عن منهجية الشيخ في دعوته إلى الله عز وجل، والتي تقوم على ركني العلم والرفق، وهذا يعلمه كل المحيطين بالشيخ أو المتابعين لكاتبه ونشاطه.

ترك الشيخ جامعة الزرقاء بعد أن قضى فيها سنتين (٢٠٠٣ - ٢٠٠٥) وتفرغ للتأليف، وفعلاً أصدر عدداً من الكتب والأبحاث المهمة من أبرزها كتابه في التفسير والذي سيطبع قريباً، حيث فسر فيه ١٨ جزءاً من القرآن.

أيضاً كان الشيخ عضواً بمجلس الإفتاء الأردني لمدة عشر سنوات خلال الفترة ١٩٩٠ - ٢٠٠١م، وكان له دور علمي مع قيادة الإخوان المسلمين، إذ كانت فتواه بجواز المشاركة في الحكومة الأردنية هي المستند لحسم الخلاف في الجماعة حول ذلك، وقد تخفف من مسؤولياته في حركة حماس حين استقر بالأردن وبقي مفتياً لها ومستشاراً.

وقد كانت للشيخ مشاركات على بعض القنوات الفضائية ولم يكن مكثراً منها، لأن الشيخ كان يحب الحوار المباشر مع الناس، ولا ينسجم بالحديث مع نفسه والميكرفون، ولذلك قلت مشاركاته بالإذاعة، وكان أول برنامج له على القنوات برنامج (متن وسند) على قناة المجد،

وهذا يدلنا على سعة علم الشيخ وأنه ليس منحصراً في باب من أبواب العلم، فكتبه في العقيدة من أقوى الكتب، وكتبه في الإخلاص والتزكية في المرتبة العليا، ودراساته الفقهية والأصولية مشهود لها، وكتاباته في المنهج والتنظير للدعوة في غاية المتانة، وهذا برنامج في الحديث وهكذا في أبواب متعددة أخرى.

في الأردن لم يأخذ الشيخ بعداً جماهيرياً كالكويت، بسبب قلة معرفة الناس به، وطبيعته المحبة للهدوء والبعد عن الأضواء، لكنه كان لا يرد أحداً يرغب بمقابلته أو دعوة لإلقاء محاضرة أو درس.

الشيخ في بيته:

يحدثنا ابنه الدكتور أسامة عمر الأشقر فيقول: «على مستوى العائلة تجد الوالد رحمه الله متسقاً مع أخلاقه وصفاته الكريمة في خارج البيت، والد حنون، وصديق وفي، أحبناه من شغاف قلوبنا، إليه ترجع العائلة في أمورها، يتجاوز إن أسأنا بغير قصد، الجلوس معه متعة من متع الدنيا، يبيت فينا أطايب الحديث، كذلك يمدنا دوماً بتجاربه وخبراته، يلاطف أحفاده الصغار كأنه واحد منهم يعطف عليهم ويحنو، ويزورهم حين المرض ويتابع حالتهم عبر الهاتف بشكل مستمر، أما الكبار فأحلامهم أحلام له، مشاكلهم تضاف إلى مشاكله، رحمه الله لم يكن يرضن عليهم لا بمال ولا بنصح، ولا يتبرم من تصرفاتهم إن أخطأوا، لقد أثر على نفسه كثير، يجمع العائلة من أطرافها ولم يكن يوماً سبباً في فراقها، وهكذا دواليك تجده المرجع على مستوى العائلة الأكبر في حل مشاكلها، حقاً ودون مبالغة طراز فريد من الآباء قلما تجده هذه الأيام وليس هذا المكان لبيان المواقف والتفاصيل الخاصة.

في البيت تجده رحمه الله حريصاً جداً على استغلال وقته، إلا أن القراءة والكتابة أخذت الجزء الأكبر من وقته من دون أن يؤثر ذلك على التزاماته الأخرى، ذلك أنه رحمه كان يحسن

توزيع وقته بطريقة غريبة، فقد يقضي في قراءة الكتب وتأليفها ما يزيد عن عشر ساعات يومياً، لكن ذلك لا يصدده عن الجلوس مع أبنائه وأحفاده، وإن جلس مع العائلة تجده شخصاً آخر انقطع عن مشاغله وهمومه، وانشغل بهموم العائلة وأفرادها واحداً واحداً، وينال الأحفاد الصغار من اهتمامه ما للكبار، ولزواره - وهم كثير - كذلك وقت خاص، ولزيارة الأقارب والأصدقاء وقت عنده رحمه الله، وكان رحمه الله يحب اللقاء بالناس في مجالسهم، لكن هذه المجالس تتحول في وجوده من مجالس دنيا لمجالس تأنس فيها بالقصص والمواظع والعبير والطرائف، أما المكالمات الهاتفية للمستفتين فكانت دائماً تقاطع أوقاته أثناء التأليف أو النوم أو الأكل وكانت المكالمات كثيرة جداً وتصل أحياناً لدرجة الإزعاج، وكان رحمه الله يحاول أن يجيب على كثير منها، ولكثرتها كان رحمه الله يختصر الإجابة ويجعلها مركزة، للاستفادة من الوقت ولإتاحة المجال لباقي المستفتين فيما يتيسر له من وقت.

أيضاً كان رحمه الله يخصص وقتاً للنزهة والاستجمام لساعات محددة خاصة في يوم الجمعة، لكن ليس للابتعاد عن الناس وإنما كان يحب أن يجتمع فيها مع مجموعة من أصدقائه وعائلاتهم ولا يخلو ذلك من الاستفادة العلمية والدعوية في مثل هذه اللقاءات. اهـ.

وقد رافقتُ الشيخ في نزهة قبل وفاته بأقل من سنة لمزرعته، حيث دعاني الشيخ والأستاذ إياد القيسي من العراق والدكتور فاروق الشمري من البحرين، وكم ألححت عليه أن نذهب بسيارتي فرفض، فعرضت عليه أن أقود السيارة بدلاً منه فرفض، وكان يرى هذا من إكرام الضيف، وهناك أيضاً كان بشق النفس يقبل أن أخدمهم وأنا أصغرهم، رحم الله الشيخ رحمة واسعة.

مرضه ووفاته:

تعب الشيخ في آخر سنتين من حياته وبعد عدة فحوصات تبين أنه مصاب بالسرطان، فتقبل ذلك راضياً شاكراً، وقد عُرض عليه العلاج بالخارج فرفض، وعُرض عليه العلاج بالأنووي والكيماوي فرفض في البداية، وتعالج بالطب البديل، ثم تعالج بالكيماوي.

وكنْتُ كلما زرتُه صَبْرًا ورضًا بقضاء الله وقدره بدلاً من أن نكون نحن من يفعل هذا، وقد زرتُه قبل وفاته وكان لا يستطيع مغادرة السرير، فوجدته حريضاً على السؤال عن أحوال إخواننا من اللاجئين السوريين ويتابع بهمة قضايا المسلمين، وقد تبرع للاجئين السوريين عدة مرات وكلفني بتوصيلها من خلال جمعية الكتاب والسنة.

قُبِض رحمه الله يوم الجمعة الموافق ٢٢ رمضان عام ١٤٢٣هـ في عمّان في العشر الأواخر المباركة عن عمر يناهز ٧٢ عاماً، وغُسل بماء زمزم، ولعل ذلك فآل خير بحسن الخاتمة إن شاء الله، وقد شهد جنازته أئوف المسلمين واجتمع فيها كافة التيارات الإسلامية فقد كان نقطة التقاء في حياته ومماته رحمه الله.

مراجع للتوسع:

- صفحات من حياتي، د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، ط ١، ٢٠٠٩.
- الأستاذ الدكتور الشيخ عمر الأشقر، د. أسامة عمر الأشقر، منشورات رابطة علماء الأردن، ط ١، ٢٠١٣.
- قراءة في الدور الدعوي والحركي للعلامة الأشقر، د. محسن صالح، مقال بشبكة الإنترنت.
- كلمة الأستاذ خالد مشعل، والشيخ أبو قتيبة محمد عبد العزيز، والشيخ أبو العالية، في تأبين الشيخ الأشقر، موقع يوتيوب.

يقولها بحق بعض الصحابة أو الدول الإسلامية أو علماء أهل السنة وقادتهم بخلاف ما عليه معتقد الشيعة.

٤- دعوته إلى الوحدة الإسلامية، والتقريب بين السنة والشيعة.

وفي هذا المقال اقتراب أكثر من شخصية شريعتي، ودراسة لموقفه من الدين، ومنطلقاته الفكرية في نقد التشيع، والزاوية التي كان ينظر إليها إلى التشيع وطقوسه وعلمائه. أولاً: حياته ونشأته

ولد المفكر وأستاذ علم الاجتماع علي محمد تقوي شريعتي في إحدى قرى منطقة خراسان في إيران، في العام ١٩٣٣م، وعلى الدوام كان شريعتي معارضا لنظام الشاه محمد رضا بهلوي، فقد انضم وهو صغير إلى جناح الشباب في الجبهة الوطنية المعارضة برئاسة محمد مصدق، وسُجن مدة ستة أشهر بعد فشل حركة المقاومة ضد نظام الشاه، ولم يكن



شريعتي آنذاك قد تخرج من الجامعة. وفي عام ١٩٥٨م، تخرج علي شريعتي من كلية الآداب بالجامعة، وفي العام التالي، أرسل في بعثة إلى فرنسا لإكمال دراسته العليا، فحصل فيها على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع الديني، كما حصل على

الوجه الآخر

١- علي شريعتي

هينم الكسواني (*) - خاص به «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبتت حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر الدكتور علي شريعتي أحد الشخصيات الشيعية المعاصرة التي التبتت

حقيقتها على أهل السنة، (وعلى الشيعة كذلك) والسبب الرئيس في ذلك يعود إلى:

١- الانتقادات الشديدة التي وجهها شريعتي إلى التشيع وما فيه من خرافات، وإلى رجال الدين الشيعة، وما هم عليه من انحراف واستغلال للدين.

٢- السخط الذي كان يبديه تجاه الصفويين الذين جعلوا من إيران دولة شيعية في بدايات القرن العاشر الهجري (١٦م)،

والدعوة إلى إزالة ما أضافوه على التشيع من أفكار ضالة ومتطرفة.

٣- بعض العبارات الإيجابية التي كان

(*) كاتب أردني.

دكتوراه أخرى في تاريخ الإسلام. وهناك استمر في نشاطه المعارض لنظام الشاه، وأسس فرع أوروبا لـ (حركة تحرير إيران).

وفي منتصف الستينيات من القرن الماضي عاد شريعتي إلى إيران، فاعتُقل فور وصوله، لكن أُفرج عنه بعد فترة، وعُيّن مدرسا في جامعة مشهد، وإزاء انتقاداته المتكررة لنظام الشاه ونشاطه السياسي والفكري تم نقله إلى منطقة نائية في إيران معلما في المدارس الابتدائية، لكن سرعان ما تم إعادته، لكن إلى العاصمة للعمل في جامعة طهران، ليكون قريبا من سمع السلطة وبصرها.

وفي سنة ١٩٧٣ أغلقت السلطات الإيرانية (حسينية الإرشاد) التي ساهم شريعتي في تأسيسها سنة ١٩٦٩م، واتخذها منطلقا لمحاضراته ونشاطه، وقامت باعتقاله، هو ووالده، لمدة عام ونصف، ثم أفرجت عنه بعد وساطة جزائرية، وسُمح له في مايو/ أيار من العام ١٩٧٧م، بالسفر إلى لندن، لكن بعد أقل من شهر عُثر عليه ميتا في شقته هناك، ولم يُسمح لجثمانه بأن يُدفن في إيران، فوافقت السلطات السورية - التي كانت على خلاف مع نظام الشاه - على أن يُدفن فيها، ودُفن - كما تمنى - بجانب ضريح السيدة زينب في دمشق^(١).

ثانيا: توجهاته ونشاطه

يوصف شريعتي بأنه «ملهم الثورة الإيرانية» رغم أنه لم يشهد قيامها في شباط/ فبراير من سنة ١٩٧٩م، إلا أن أفكاره ومحاضراته وكتاباتهِ الثورية كان لها الأثر الكبير في إلهاب حماس الجماهير الرافضة لنظام الشاه، الأمر الذي حقق لشريعتي شعبية كبيرة داخل إيران، خاصة بين الشباب، ما جلب عليه نقمة نظام الشاه، الذي قام في فترات مختلفة بسجن شريعتي وتعذيبه ونقله من عمله ووضعه تحت المراقبة ومنعه من ممارسة العمل

السياسي، ثم اغتياله (كما يُعتقد) في لندن. وفي المقابل، وبحكم ثقافته الماركسية (وهو ما سنفصل فيه بعد قليل) فإن شريعتي ناصب رجال الدين الشيعة العداء، وبيّن ما هم فيه من ضلال وانحراف واستغلال للدين، ما أدى إلى نقمتهم عليه أيضا، فأصدروا (مثل مرتضى مطهري) الفتاوى بضلاله وتكفيره ولعنه، حتى امتد التكفير إلى حسينية الإرشاد التي أطلقوا عليها وصف (كفرستان) أي: معقل الكفر^(٢).

إلا أن بعض رجال الدين (مثل الخميني) كان يتحاشى انتقاد شريعتي لمعرفتهم بشعبيته الواسعة، ودوره في معارضة نظام الشاه، في حين أن مجموعة أخرى منهم (وإن كانوا قلة) كانت تؤيد شريعتي، وتدافع عن أفكاره، وترى أن ما يوجهه للدين من انتقاد في حقيقته موجّه ضد الممارسات الخاطئة التي تُرتكب باسم الدين، وليس للدين نفسه.

ومن أبرز هؤلاء الذين دافعوا عن شريعتي: محمود الطالقاني، الذي يُعتبر من رموز الثورة الإيرانية، والذي يقول: «كل يوم... كنّا نشهد معركة ضد شريعتي في أحد أحياء العاصمة. لقد شنّوا عليه حملات ظالمة مستمرة. كنّا نقول لأولئك المتحاملين: ماذا حدث؟ اذهبوا واسمعوا آراءه وناقشوه، وقدّموا له الردّ الذي تريدون. لكن الأمر كان يجري على نحو آخر، إذ كان البعض يقطع جملة أو فقرة من كتاب له، ويسخدمها لتشويه فكر شريعتي والتحريض ضده»^(٣).

ويقول الطالقاني أيضا: «... إن المرحوم شريعتي تميز بروح مستقصية شكّاكة منذ بداية شبابه وأوائل عهده بالدراسة والتحصيل العلمي. كان يشكّ بكل شيء، حتى بدينه؛ فقد كان يشكّ بالدين السائد بين الناس، أي بذلك الإسلام الممسوخ، ذلك الإسلام الذي حُوّل إلى دكان للارتزاق، ووسيلة للاحتراف وتربية (المريدين).

(٢) ريم نجيب، مقال «علي شريعتي: الإسلام والماركسية، هل هذا ممكن؟»، موقع أخبار الأدب، ٢٠١٢/٨/٣.

(٣) د. علي شريعتي، مصدر سابق، فصل: قالوا في شريعتي، ص ١١.

(١) د. علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة حيدر مجيد، دار الأمير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ومعظم المعلومات السابقة عن شريعتي مستقاة من تقديم للكتاب بقلم د. إبراهيم دسوقي شتا.

كان لابد لشاب واعٍ مثل شريعتي أن يبدأ بالشك، لكنه لم يبقَ أسير الشك... بدأ بالدراسة، بحث في الأصول، قرأ في المناهل الأولى... فتوسعت آفاق فكره، حتى بلور مفهومه عن إسلام ثوري حي...^(١).

ثالثاً: وجهه الآخر

والحقيقة فإن موقف شريعتي من الدين لم يلتبس على أهل السنة فقط، بل إن الشيعة وعلماءهم أنفسهم اختلفوا في أمره، لأنه - من جانب - كان يدعو إلى الإسلام ويحث الناس على التمسك به ويؤلف فيه الكتب، ويطالب بتقية التشيع مما فيه من انحطاط وغلو وخرافة، ومن جانب آخر يتبنى الاشتراكية والماركسية ومناهجها وأدواتها في التحليل والفهم.

ثمة من يجيب على هذا التناقض بالقول بأن شريعتي «لم يرقط تناقضاً بين كونه مسلماً مؤمناً، وكونه اشتراكياً»^(٢)، وبأن الإسلام الذي يرغب شريعتي العودة إليه هو إسلام تقدمي واحتجاجي^(٣)، وبأنه «كرس حياته لمهمة إدماج الاشتراكية مع المبادئ التقدمية الموجودة في المذهب الشيعي»^(٤).

اشتراكيته

أما بداية اعتناق شريعتي للاشتراكية فيعتقد أنها جاءت نتيجة للتأثر بجماعة (نهضة الموحدين الاشتراكيين) «نهضت خدابستان سوسياليست»، التي أسسها الدكتور محمد نخشب (١٩٢٣ - ١٩٧٦) بمعية حسين راضي، وهم شباب متدينون ذوو نزعة اشتراكية، وانصب اهتمام نخشب وجماعته على الأبعاد الأخلاقية والإنسانية في الدين، وعمل على إنتاج قراءة إسقاطية للنص والماضي والتراث، فخلع عليه صورة اشتراكية،

وكان يحسب أن الاشتراكية الانسانية العملية تجسدت في صدر الإسلام.

ونتيجة للصراعات الداخلية وضغوطات السلطة اضطرت الجماعة إلى تغيير اسمها إلى: جمعية حرية الشعب الإيراني «جمعية آزادي مردم إيران»، وقد أسس كاظم سامي وعلي شريعتي في مدينة مشهد فرعاً للجمعية^(٥).

وتزوج شريعتي أخت قائد طلابي معروف، وعضو في حزب «توده» الشيوعي كان قد قُتل في مظاهرات جامعة طهران سنة ١٩٥٣^(٦).

وعندما انتقل شريعتي للدراسة في فرنسا، راح يتردد على الأوساط اليسارية^(٧) ويُصادق الاشتراكيين الجزائريين أمثال الرئيس الجزائري السابق هواري بومدين، ويتابع صحف اليسار أو تلك التي تدعم القضايا اليسارية، ويترجم كتب اليساريين مثل «حرب العصابات» لإرنستو تشي جيفارا، ومن هنا جاءت الوساطة الجزائرية لتتقذه من السجن لاحقاً.

وبعد عودته من فرنسا، تعرف شريعتي على أعضاء حركة «مجاهدي خلق»، وهي حركة ماركسية مسلحة مناهضة للشاه. وقد أبدى شريعتي إعجابه بفكرهم رغم اختلافه معهم في بعض النقاط. وفي المقابل كانت محاضرات شريعتي تصب في صالح نشاط وأفكار الحركة وساهمت في توسيع عضويتها^(٨).

وبدأ شريعتي ينظر إلى الإسلام وفق منهجه الماركسي، ويفسره حسب مفاهيم الماركسية من صراع وطبقات وثنائيات، وبحسب تعبير د. الرفاعي: «استلهم شريعتي القواعد الأساسية للماركسية، وأقام عليها بناء

(٥) عبد الجبار الرفاعي، مقال: اختزال الدين في الأيديولوجيا، صحيفة المثقف الإلكترونية.

(٦) ريم نجيب، مصدر سابق.

(٧) ولي نصر، صحوة الشيعة، وأيضاً: مقتطفات من الكتاب بموقع الراصد نت (نافذة: من بطون الكتب)، على الرابط التالي: http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5587

(٨) ريم نجيب، مصدر سابق.

(١) المصدر السابق، ص ٩.

(٢) ريم نجيب، مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) د. وليد محمود عبد الناصر، الإسلاميون التقدميون .. عن وجه آخر للفكر والسياسة في إيران، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بصحيفة الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٨م، وأيضاً: عرض للكتاب في مجلة السياسة الدولية - يوليو ٢٠٠٨.

إسلامياً. كل أولياته ومبادئه ماركسية، ولا يمكن العثور لديه على رؤية إسلامية عميقة»^(١).

ويؤكد نصرولي على الفكرة السابقة، ويقول: «كان شريعتي جيد الإمام باللاهوت والتاريخ الشيعي، لكن نظرتة إلى العالم كانت من صياغة العقيدة الماركسية والنظرية العالم الثالثية اللتين تعرّف إليهما في باريس. لقد اقتنع بالأفكار الماركسية وآمن بالصراع الطبقي والثورة واليو توبيا الشيوعية. كتب عن الإسلام بمصطلحات ماركسية واضحة: «ألف وأربع مئة سنة خلت، تبع نفر قليل من العبيد وباعة التمر ومربّي البعير والشغال دين محمد. أما اليوم، فهم العمال والفلاحون والتجار والموظفون والطلاب من يجب عليهم أن يُحبوا هذا الدين من جديد»^(٢).

بدأ نَفَسُ شريعتي الاشتراكي مبكراً، وذلك من خلال روايته التي ترجمها عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، فعندما كان شريعتي في العشرين من عمره بدأ رحلته الفكرية بترجمة رواية مصرية للكاتب عبد الحميد جودة السحار عن أبي ذر إلى الفارسية ونشرها عام ١٩٥٦ بعنوان «أبو ذر الغفاري: الاشتراكي المؤمن». أو «أبو ذر الموحد الاشتراكي» «أبو ذر، خدابرست سوسياليست».

حيث رأى شريعتي في أبي ذر اشتراكياً منتقداً للخلفاء لإسرافهم في ملذات الدنيا. وظلت (اشتراكية) أبي ذر - كما رآها شريعتي - مثلاً أعلى له، بشهادة والده بعد مماته. ووصفه مريدوه فيما بعد بأنه «أبو ذر إيران الحديثة»^(٣).

وأكثر شريعتي من استخدامه للأدوات الماركسية في تحليل التراث الإسلامي بما لا يمت إلى النص بصلة، وامتد منهجه (الماركسي الاشتراكي) إلى تفسير آيات القرآن، فأسقط المادية التاريخية على القصص القرآني، كما فعل عندما حلل قصة ابني آدم بأنها صراع بين

النظام الزراعي، والملكية الخاصة والفردية متمثلة بقبائل، ضد رعوية اشتراكية يمثلها هابيل، وأن هذا الصراع الطبقي يتكرر في كل المجتمعات بنتيجة حتمية تاريخية واحدة هي انتصار العدل^(٤).

وكذلك نظر إلى الآيات القرآنية المتعلقة بقصاص الأنبياء، إذ فسرهما تفسيراً ماركسياً طبقياً، إذ يقول: «إن الله وهو يروي لنا قصص الأنبياء، فإنه يقسم المجتمعات التي حدثت فيها ثورات الأنبياء إلى طبقات حاكمة ومستغلة من جهة، والناس من جهة أخرى. أما الله فهو يصطف دائماً مع الناس في هذا الصراع»^(٥).

يمكن القول بعد كل ذلك بأن شريعتي لم يكن يفهم الدين فهماً ماركسياً فقط، أو أنه استعمل الماركسية لتحليل الدين، بل إن هناك من يشير إلى ما هو أخطر من ذلك وهو أنه استعمل الدين والتشيع لتمير الأفكار الماركسية كي تكون مقبولة عند الناس «بالنسبة إلى شريعتي، التحدي هو كيف السبيل إلى ترجمة الأفكار الماركسية إلى رموز ثقافية يمكن للجماهير الشعبية أن تلتصق بها. بعبارة أخرى: كيف نجعل نزول ماركس إلى تحت أكثر سهولة من خلال إعطائه صبغة شيعية»^(٦).

نظرتة للسنة

لا يرى شريعتي - بدايةً - صواب منهج أهل السنة، بل يعتقد بصواب مذهب الشيعة وأحقيقته بالاتباع، كما يتضح من قوله: «إن الخلاف بين الشيعة والسنة هو في الأساس خلاف فكري وعلمي وتاريخي يرتبط بطريقة فهم حقيقة الإسلام، وكل ما يدعيه الشيعة في هذا المجال - وهو ادعاء وجيه - أنه ينبغي لمعرفة حقيقة الإسلام الاقتداء بأهل بيت النبي وعلي (ع) لأجل أن تكون المعرفة مباشرة ومن دون واسطة، وهذا بحد ذاته كلام معقول، كما يدعي الشيعة أن مواصلة طريق

(٤) وليد الشهران، مقال «علي شريعتي واللغة الصفوية»، مجلة المجلة، ٢٠١٣/٤/٣٠.

(٥) فاضل رسول، هكذا تكلم علي شريعتي، دار الكلمة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧، ص ٣٧.

(٦) نصرولي، مصدر سابق.

(١) عبد الجبار الرفاعي، مصدر سابق.

(٢) نصرولي، مصدر سابق.

(٣) ريم نجيب، مصدر سابق.

الرسالة وروحها بعد النبي مرهونة باتباع علي (ع) والاعتراف به خليفة بعد النبي دون غيره ممن عجزوا عن مواصلة الرسالة بروحها حتى آل أمر المسلمين إلى ما آل إليه مما يعرفه الجميع»^(١).

موقفه من الصحابة

أما موقفه من صحابة النبي ﷺ فلا يكاد يختلف عن بقية الشيعة، فهو لا يرى في الصحابة (الذين رضي الله عنهم وأثنى عليهم وارتضاهم لصحبة نبيه) إلا مجرد مجموعة من ذوي المصالح، المنحرفين والبعيدين عن الدين والمبادئ، والمتآمرين على الإسلام، والغاصبين لحق علي في الخلافة، ولذلك نجدده يردد أكاذيب الشيعة بحق الصحابة كما في قوله:

«الفارق الجوهرى بين خط علي وخط أبي بكر يتمثل في هذه النقطة: مراعاة المصالح أم المبادئ. في منهج أبي بكر لا بدّ من إعطاء شيء لعبد الرحمن بن عوف لكبح جماح شغفه العارم بالأموال! وهو بلا شك شخصية ذات نفوذ ومن قبيلة فيها رجال أصحاب وزن وتاريخ من أمثال سعد بن أبي وقاص، لذا يجب العمل على إرضائه لكي لا يتسبب في إيقاع بلبلة ومشاكل...»

أما خالد القائد الذي قتل مالك بن نويرة وضاجع زوجته الفاتنة في نفس الليلة، فلا بدّ أيضاً من كسبه أو تحييده على الأقل، فهو قائد عسكري مرموق ومقاتل بطل، ولا ضرورة لإقامة الحدّ عليه، بل في ذلك خطورة، والفرق كبير جداً بين أن يكون خالد معنا أو أن يكون ضدنا!»^(٢).

وعلى الرغم من موقفه هذا تجاه الصحابة، الذي يوافق معتقد الشيعة، إلا أن شريعتي ينكر على الشيعة سبّ الصحابة ولعنهم، لأنّ علياً كره لأصحابه أن يكونوا لعانين، ونجد شريعتي في بعض كتبه يورد ثناء علي على الفاروق عمر رضي الله عنهما (مع خلط ذلك بالمعتقد الشيعي إزاء الصحابة والإمامة)، يقول شريعتي:

«إن منطق علي لم يسوغ له الإساءة إلى عمر والتقليل من شأنه، بالرغم من إهدار حقوقه وجعله حبيس الدار بتواطؤ سياسي بين عمر وأبي بكر، بل إنه لم يتنكر للخدمات التي قدّمها عمر للدولة الإسلامية لأنه لا يريد أن يغمط حق الرجل على خلفية أخذ الخلافة منه بغير حق»^(٣).

موقفه من علماء السنة

يثني شريعتي أحياناً على بعض أئمة أهل السنة أو علمائهم، وعند العودة لهذه الأسماء يتبين أنها تتركز غالباً في العلماء الذين تساهلوا تجاه التشيع أو الناشطين في مؤتمرات التقريب بين السنة والشيعة أمثال: شيخ الأزهر السابق عبد المجيد سليم، وشيخ الأزهر السابق محمود شلتوت الذي أفتى بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، وأنه كسائر المذاهب السنية الأربعة.

وفي هذا الصدد يثني شريعتي على الخطوات التي اتخذها الشيخ شلتوت تجاه مذهب الشيعة، ويقول: «كان الشيخ شلتوت قد أصدر فتوى بجواز العمل بالمذهب الجعفري أو العدول من المذاهب الأربعة إليه! مضافاً إلى دوره في إدخال الكثير من الأحكام والفتاوى الشيعية في القانون المدني المصري مثل عدم قبول الطلقات الثلاث بلفظ واحد، ... هذا هو أنموذج من المنطق المعتدل المنصف الذي يعدّ من سمات التسنن المحمدي كما هو سمة بارزة من سمات التشيع العلوي...»^(٤). كذلك يثني شريعتي أحياناً على بعض علماء أهل السنة الذين يمدحون أهل البيت.

موقفه من الدول الإسلامية

يعتقد شريعتي، كالشيعة، أن الدول الإسلامية السنية كلها دول ظالمة وفاسدة ما دامت لم تقم على مفهوم الإمامة الشيعي، إذ يرى أنها قامت باغتصاب حق علي وبنيه في الحكم، فيقول: «تمكّن جميع المستكبرين وطواغيت الزمان وأصحاب البيوتات من

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، مصدر سابق، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٦ - ١١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٦.

العرب والعجم والترك والمغول والتتار من بلوغ سدة الحكم والاستواء على مسند خلافة النبي ما عدا آل النبي وأهل بيته من أئمة الحق والهدى»^(١).

ويقول مثلاً عن الدولة الأموية: «أما بنو أمية فصحيح أنهم يكتون عداً تاريخياً للإسلام، وكل المصائب التي جرت على الدين كان لهم فيها اليد الطولى..»^(٢)، وعن الدولة العثمانية: «لا ينبغي الشك هنا في أن الحكومة العثمانية كانت حكومة فاسدة، ولم تكن تليق بحمل وسام الحكومة الإسلامية»^(٣).

لكن شريعتي - ومن منطلق سياسي - كان يثني على الدولة العثمانية أن تمكنت من توحيد مختلف الأقوام والأجناس تحت راية الإسلام (بالتأكيد لا يعتقد شريعتي هنا أنه الإسلام الصحيح) وشكلت منها كيانا سياسياً عسكرياً منسجماً، لمواجهة الخطر الأوروبي، وحماية أراضي المسلمين.

كذلك - ومن منطلق سياسي كذلك - تمنى شريعتي لو يظهر صلاح الدين مرة أخرى في فلسطين، رغم عداوته للشيعة وأن يجرد خالد بن الوليد (البಾಗಿ) سيفه للهجوم على عساكر الروم^(٤).

موقفه من الصفويين

يكاد شريعتي يتميز عن بقية الشيعة بنقده الشديد للدولة الصفوية التي نشرت التشيع في إيران بالقوة في بدايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، ودعوته إلى إزالة ما أضافته على التشيع من أفكار ضالة ومتطرفة.

إن شريعتي من منطلق فكره الماركسي الثوري، يرى أن الصفويين أسأؤوا إلى التشيع إساءة بالغة وتأمروا عليه عندما حوّلوه من مذهب ثوري معارض يرفض الظلم والخنوع إلى مذهب رسمي يحظى بأقصى درجات دعم الدولة والحاكم، ويقول: «والى العهد الصفوي، ظلت

كلمة الرفض (لا) هي المعلم الرئيس الذي يميز بين الموالين لأهل البيت وأنصار علي وأتباعه وبين غيرهم»^(٥). ويقول في موضع آخر: «للتشيع حقتان تاريخيتان، بينهما تمام الاختلاف، تبدأ الأولى من القرن الأول الهجري حيث كان التشيع معبراً عن الإسلام الحركي في مقابل الإسلام الرسمي والحكومي الذي كان يتمثل في المذهب السني، وتمتد هذه الحقبة إلى أوائل العهد الصفوي، حيث تبدأ الحقبة الثانية والتي تحول فيها المذهب الشيعي من تشيع حركة ونهضة إلى تشيع حكومة ونظام»^(٦).

كما يعتقد شريعتي بأن الصفويين أسأؤوا إلى التشيع بما أدخلوه عليه من خرافات وغلو، أدت إلى إضعافه، ومنعت الناس من اعتناقه وتقبّله، إذ يرى أنه لا تشابه بين التشيع العلوي (الذي ينسبه الشيعة لعلّي) والتشيع في نسخته الصفوية، لكأن شريعتي يقف هنا موقف الداعي إلى التشيع، وهو ما يكرره كثيراً، ويفتخر به بأنه من المنافحين عن التشيع والداعين إليه دائماً، ومن الذين يعتقدون بصوابه، يقول شريعتي: «... أما أنا فتشهد جميع آثاري المطبوعة والمسموعة والتي هي الآن في متناول الجميع بأنها كانت تدور في الغالب على محور واحد هو الدفاع عن هذا المذهب. ويعزز ذلك أن أساس نظرتي الفلسفية والاجتماعية تبتني على رؤية شيعية واضحة، وكان أول كتاباتي صدر قبل ثمانية عشر عاماً حول (أبي ذر) وآخرها كتاب (الشهادة رسالة الحسين) و(الدعوة رسالة زينب)، وإن ميولي الشيعية واضحة جداً، سواء في هذه الكتب أو في غيرها من القضايا الاجتماعية..»^(٧).

(١) المصدر السابق، ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٦) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٧) المصدر السابق، ص ٨١.

الإسلامية خلال هذه المرحلة وبشكل خاص في العقود الثلاثة الأخيرة ولا زالت حتى الآن تعاني منها، موقفها من الطائفة الشيعية التي لم تتب لها إلا مؤخرا عقب الثورة السورية، ولكن بعدما مكنتها من نفسها لعقود طويلة.

ومن بين أسوأ آثار هذا التمكين استمرار بعض الزمر داخل الحركة الإسلامية في المناقشة عن إيران وحزب الله ليس في مواجهة إسرائيل وإنما فيما تقوم به إيران والشيعية وحزب الله بحق الشعب السوري على مدار أكثر من ألف يوم، فضلا عن المتشيعين الذين خرجوا من صلب الحركة الإسلامية ويناصبونها العداء الآن، وهذه إشكالية تستحق الكثير من التأمل لفهم أسبابها واستخلاص الدروس منها.

إيران والإخوان: ثنائية الغاية والوسيلة

تكشف مواقف جل الحركات الإسلامية من نجاح الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩ والوفود التي زارت الخميني في منفاه بفرنسا، وبعد نزوله طهران مباشرة عن رؤية مبدئية تنظر للثورة على أنها انتصار للإسلام والمسلمين، وتبجل الخميني وتعتبره من المصلحين المجددين للإسلام.

أهم ما يدل عليه هذا أن القيادات الإسلامية لم تلتفت في قراراتها ومواقفها للجانب العقدي إطلاقا، وقد يتفهم مثل هكذا موقف من اتجاهات قومية أو يسارية، ولكن عندما تصدر من رموز إسلامية فإنه يدل على اختلالات كبيرة في فهم أبجديات العلاقة بين الديني والسياسي، رغم أن

طلائع العلاقات الإخوانية الإيرانية

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالراصد

تأثرت الاتجاهات الإسلامية بمختلف مشاربها والتي شكلت إرهاصات الصحوة بالكثير من مخلفات المرحلة السابقة، وتجلت ذلك في العديد من المظاهر على غرار التطرف والتكفير والانقسامات الكثيرة، وسوء إدارة الخلافات الداخلية، فضلا عن تضارب المواقف من النوازل رغم وجود سوابق تاريخية. هذه العلل داخل جسم الصحوة الإسلامية يمكن فهمها في سياق النمو والتطور الذي لا يخلو من كبوات، إذ لا يمكنها أن تقف على ساقيها وتتقدم دون أن تتعثر بشيء من عوائق المرحلة السابقة، وترتكب أخطاء بمستويات وأشكال مختلفة للعبور إلى أهدافها.

ولعل التطرف والتكفير من بين أبرز تجليات

تلك العثرات التي واجهت الصحوة الإسلامية، وقد دخلت في ذلك تأثير عوامل اجتماعية وسياسية، سواء من طرف الحركات الإسلامية أو الأنظمة السياسية فضلا عن مخلفات الاستعمار ومؤامرات الخارج، وإن كانت هذه العوامل تفسر ولا تبرر هذه الظواهر، التي بذلت الكثير من الجهود لاحتوائها وتصفية المجتمعات منها.

وأكبر الأخطاء التي وقعت فيها الحركة

(♦) كاتب جزائري.

هذا الموضوع هو أحد أهم القضايا التي يفترض أن يتميز بها الإخوان المسلمون بشكل خاص عن غيرهم، حيث أولوا أهمية كبيرة للعمل السياسي وضرورة قيام دولة إسلامية.

كما أنهم في إطار دفاعهم عن فلسطين يركزون على محورية البعد الديني في تأسيس الكيان الصهيوني وتأثيره على السياسات الخارجية الأمريكية والغربية عامة، غير أنهم في الحالة الإيرانية جرى تحييد هذا العامل والنظر إليه في إطار كلي دون الالتفات للحقائق الموضوعية والفوارق الشاسعة والعميقة بين أهل السنة والجماعة، والشيعة.

ورغم أن الخميني كانت له مواقف مبكرة كشفت هذه الحقائق ولم يصنع فيها لتمنيات قيادات الحركة الإسلامية إلا أن الأخيرة استمرت في نفس النهج، ولم تلتفت لذلك حتى لما طال إخوانهم «الإخوان» في سوريا الذين نعتهم الخميني «بإخوان الشيطان».

بقدر ما تنسف سياسات الخميني ومواقفه من الإخوان المسلمين قبل غيرهم «الرؤية الغائبة» من الأساس، فإنها تطرح في الوقت نفسه تساؤلات حول تناقض المواقف الإخوانية. فتبعاً لتعدد العلاقات «العربية - الإيرانية» وتقلبها تعددت أيضاً العلاقات «الإخوانية - الإيرانية»، إذ لا تختلف عنها كثيراً، فكل تنظيم إخواني في قطر ما له علاقة خاصة معها، وتتراوح كما عند الأنظمة بين التحالف والعدوانية، وإذا كانت الصراعات والخلافات بين الأنظمة العربية مبرراً لفهم طبيعة العلاقة مع طهران غير أن تناقض المواقف الإخوانية - التي تحمل نفس الأفكار - مفارقة لا أساس منطقياً لها.

بل حتى إيران نفسها ربما لا تستطيع أن تفهم السبب الذي يجعل قادة الإخوان في المنطقة رقم (٢) لا يتعاطفون مع إخوانهم في المنطقة رقم (١)، فلا يوجد أي مبرر شرعي أو أخلاقي أو سياسي لهذه الحالة الشاذة والغريبة، فجماعة واحدة نصفها يُقتل ويعذب ويشرد، ونصفها الآخر يبارك القاتل ويتبادل

معه التهاني والتبريكات.

بل إن رجلاً مثل طارق الهاشمي يُستقبل في قطر والسعودية وتركيا، ولا يُستقبل في مصر وتونس (خلال حكم الإخوان) بل على العكس تقوم تونس باستقبال حزب الله وممثلي الولي الفقيه وأيديهم تقطر من دماء أهل السنة في دمشق وبغداد^(١). وهو نفس سلوك إخوان الجزائر.

ولا نجد غير الحسابات الداخلية كعامل يؤثر ويوجه هذه العلاقات، فالقضية الفلسطينية لم تكن السبب الوحيد الذي يجمع إيران بالحركة الإسلامية، والتأسيس عليه لتحديد كل الخلافات، ففي التفاصيل هناك قضية أخرى تجمع الطرفين تتمثل في معارضة الكثير من هذه الحركات للأنظمة السياسية في أوطانها، وكانت تستثمر في المواقف الإيرانية المؤيدة للقضية الفلسطينية وتوظفها في معركتها الداخلية، على حساب القضية نفسها والتنظيمات المشابهة لها كما سبق الإشارة، ولا يعني هذا بالضرورة أنه كان عن سوء نية أو قصد، ولكن التركيز على تغيير الأنظمة واستغلال كل الطرق لتحقيق ذلك الهدف جعل الإخوان لا يلتفتون لمآسي أقرانهم، ويقللون من أهميتها ودلالاتها، أو يعتبرونها مخطئين وأن المصلحة تقتضي التحالف مع إيران على الأقل.

سياسة النأي بالنفس عن التشيع

دافع الإخوان عن موقفهم هذا بأن القضايا الخلافية قديمة ولا يمكن بأي حال من الأحوال إنهاءها، ولذلك بدل الانشغال بمواضيع عقدية كل ما سينتج عنها المزيد من الشقاق فإن الأولى من ذلك محاولة احتواءها من خلال الحوار بين المذاهب والتقريب، وبالموازاة مع ذلك العمل والتعاون سياسياً لمجابهة الخطر الصهيوني الذي يقضم فلسطين قطعة قطعة.

(١) محمد عياش الكبيسي، إيران وربيع الإخوان ٢، صحيفة العرب القطرية، ٢٠١٢/٠٩/٠٤، على الرابط:
<http://www.alarab.qa/details.php?issueId=1728&artid=206168>

من إيران والمحاولات والجهود المضنية التي بذلتها في سبيل مشروعها الطوباوي حول التقريب بين السنة والشيعة، وموافقها المتشجعة من الاتجاهات السنية الأخرى والمعارك الفكرية معها، وتركيزها على الجوانب السياسية التي كانت تعتقد أنها أساس يمكن الاستناد عليه للتعاون في مواجهة العدو المشترك القابع في تل أبيب وبرعاية واشنطن، أدت في النهاية إلى ترسيخ هذا التصور عند الكثير من أبنائها وفصائلها التي لم تستوعب صدمة الثورة السورية وحقيقة المشروع الإيراني في المنطقة، والشواجح الطائفية التي تكشف عن حزب الله.

وفي ظل الجهود المقابلة التي تقوم بها طهران والقوى الشيعية والحملة الدعائية زاد اضطراب القيادات الإسلامية التي استعصى عليها قبول الحقيقة، وراحت تتخذ مواقف فجأة في تأييد إيران، وهذا ما تجلّى في مبادرات بعض الأحزاب المحسوبة على الحركة الإسلامية على غرار حزب جبهة الجزائر الجديدة الذي يتزعمه جمال بن عبد السلام، فقد ترأس الأخير الوفد الجزائري الذي زار الرئيس السوري بشار الأسد، وكان من ضمنه العديد من المتشيعين بعضهم كانوا ينتمون لحركتي الإصلاح ومجتمع السلم، وهو سلوك ليس حكراً على هؤلاء فقط وإنما أشباههم متواجدين في كل الدول العربية بأشكال ومسميات مختلفة سواء في تنظيمات أو أفراد كعلماء دين ودعاة، أو مثقفين وإعلاميين، أمثال الصادق سلايمية أبرز الكتاب الجزائريين المتشيعين الذي أصبح لا يجد حرجاً في المجاهرة بتشيعه، وجل كتاباته ضد الحركة الإسلامية الجزائرية، وهذا الموقف نفسه الذي تتبناه حالياً الرموز المتشيعية في مصر^(٢).

مفارقة التكفير والتشيع

يعتبر التكفير والتشيع من بواكير الظواهر

والأساس الفكري الذي انطلق منه الإخوان في هذا النهج هو ذلك المبدأ الذي ما فتأت قياداتهم يرددونه منذ زمن مؤسس الجماعة حسن البنا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، فقد فسّر يوسف ندا، أحد قادة التنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين، صمود العلاقة بين إيران والإخوان مستشهداً بمقولة حسن البنا الشهيرة السابقة الذكر^(١).

والحقيقة أن هذا المبدأ الذي يعبر عن سعة صدر أو هكذا يفترض طُبق على الشيعة رغم الاختلاف الكبير معهم، ولم يُعمل به بين أطراف الصحوة الإسلامية رغم العناصر المشتركة الكبيرة، بل كان هناك تحالف شيعي- إخواني في مواجهة الاتجاه السلفي بسبب مواقف الأخير من العمل السياسي الحزبي والشيعة على حد سواء.

وبغض النظر عن الجدل حول المواضيع الخلافية ضمن الدائرة السنية إلا أنه لا يمكن مقارنته إطلاقاً بتاريخ الشيعة المدون بالدم، وعقائدهم المتراكمة عبر أربعة عشر قرناً، ظلمات بعضها فوق بعض، غير أن المفاهيم مقلوبة تماماً عند الاتجاه الموالي لإيران، فهم أشداء على السنة رحماء على الشيعة.

وفي هذا السياق حاول الإخوان النأي بأنفسهم عن موضوع التشيع، وتوهمت الحركة الإسلامية أنها بابتعادها عن النقاش حول القضايا العقدية الخلافية بين السنة والشيعة، تسدي بذلك خدمة جليلة للمشروع الإسلامي وتضيف لبنة للصحوة، فراحت تقلل من أهمية الظاهرة وتشنع على كل من يفتحها.

ترتب عن ذلك الكثير من النتائج السلبية التي لم تتوقف عند فشل مشاريع التقريب والوحدة أو تحرير فلسطين، فتناقض المواقف الإخوانية وتباينها

(٢) أسامة الهتمي، شيعة مصر والخداغ.. هل يعي الإخوان الدرس؟، مجلة الراصد، العدد ١٢٨، ٢٠١٣/١٢/٠٤، على الرابط: http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6457

(١) عبد الله الرشيد، الإخوان والخليفة الخميني، مجلة المجلة، ٢٠١٣/٠٢/١٦، على الرابط: <http://www.majalla.com/arb/2013/02/article55242602>

السلبية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي. وبينما أولت الحركة الإسلامية الكثير من الاهتمام بالقضية الأولى في عصرنا الحاضر، وعادت بسرعة للتاريخ مستحضرة تجربة الخوارج والتقاطعات بينهم وبين الاتجاه التكفيري المعاصر، فإنها على العكس من ذلك لم تعالج الموضوع الشيعي من نفس الزاوية، وراحت تبحث عن المشتركات الوهمية مع الشيعة.

صحيح أن ظاهرة التكفير في تاريخنا اضمحلت بشكل سريع ولم تستمر وتنتشر وتتمأسس مقارنة بالشيعة، ولكن الأخيرة تؤكد كل تجاربها السابقة أنها كانت عنصر هدم لا بناء، فما الذي يجعلها تختلف الآن؟ خاصة وأن دموية ملالي قم وأتباعهم في المنطقة العربية وخياناتهم بدأت من اليوم الأول لمباشرتهم الحكم في طهران، بمحاولتهم تصدير الثورة وسيادة العالم الإسلامي نيابة عن مهديهم المنتظر.

ومجرد التصنيف على مبدأ «ولاية الفقيه» في الدستور وما يحمله من معانٍ يكفي لمن ألقى السمع وهو شهيد بيان ما الذي يريده القوم ويخططون له، ولكن «المكابرة الفكرية» والمنطلقات التي ارتكن إليها الإخوان في تصورهم للعلاقة مع الشيعة لا نجد لها أي أساس سليم كما سبق الإشارة.

وما يؤكد هذا، تناقض آخر يقع فيه الاتجاه المؤيد لإيران من الحركة الإسلامية بدفاعه عنها من منطلق ديني، ودعوته للتقريب من نفس المنظور، ولكن لما تناقض القضايا الدينية عند الشيعة يركز على المجال السياسي الذي يشغل عليه ويحاول تحييد الجانب الديني، ومن يفتح موضوع الخطر الشيعي لا توجه له تهمة سياسية بالعمالة فحسب، بل يعود الدين مرة أخرى ويسارع لاتهامه بالتكفير.

وبينما حاولت كل الاتجاهات الإسلامية نفي تهمة التطرف عن نفسها، وتقاذفت التهم بين بعضها البعض، بالمقابل لم تجد مسألة التشيع إنكاراً لها

من كثير من الأسماء البارزة في الإخوان، بل بعضها تشيع فعلاً ويفتخر بذلك، وبعضها يفتخر بعلاقاته الجيدة مع الشيعة وإيران وحزب الله حيث تتباهى باستضافته في ملتقيات ومؤتمراتها.

ومع ذلك كله يزايد البعض بنفي وجود ظاهرة التشيع من الأصل ولم يبذل أي جهود في محاربتها، بل وأكثر من ذلك لم يلتفت حتى لدعوات الشيخ القرضاوي حين حذر من المد الشيعي الإيراني، وهو الذي يؤخذ برأيه، ويتمسك به، ويتعصب له، لما يتعلق باتجاه إسلامي سني، حيث شن البعض منهم هجوماً عليه، بردود من شخصيات مقربة من الإخوان هوّنت من ذلك أو نفتته تماماً (سليم العوا، أمانة نصير، أحمد كمال أبو المجد... إلخ). وكان ذلك مؤشراً على مدى الاختراق الذي حققه الإيرانيون داخل المنظومة الفكرية للجماعة، ومدى النفوذ الذي أضحت طهران تمتلكه داخلها، خصوصاً في مصر وتونس والأردن وفلسطين^(١).

وكانت الحركة الإسلامية الإخوانية تتقرب من الغرب وإيران على حد سواء بنعت التيار المعارض للشيعة بالتكفير والتطرف والغلو، وأنها مختلفة عنه تماماً بتبنيها شعار التسامح والعقلانية. وها هي إيران الآن تقدم نفسها كمواجه ومحارب للتكفيريين غير أن السلة التكفيرية الإيرانية واسعة وبإمكانها حمل كل من يعترض على سياساتها في المنطقة وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون السوريون وغيرهم، ولا تتوانى في التضحية بالإخوان إذا تضاربت مصالحها معهم، وقد تجلى ذلك بعد الانقلاب العسكري على الرئيس محمد مرسي حيث بينت الوقائع التالية كيف أن إيران وبسبب مواقف الأخير المؤيدة للثورة السورية استحسنّت الانقلاب العسكري عليه، وهو نفس موقف حزب الله الذي بات لا يفوت أمينه العام غمز ولمز حركة المقاومة الإسلامية حماس في خطابه.

(١) محمد قواص، إيران والإخوان المسلمون أصول الطلاق، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/١٢/٢٨، على الرابط: <http://middle-east-online.com/?id=146220>

يدل مصطلح «الصحة الإسلامية» على غفلة أو نوم أو تنويم، ولربما الحالات الثلاث مجتمعة مرت بها الأمة الإسلامية، ثم صحت من غفوتها وعادت تبحث عن موقعها بين الأمم وتؤدي الرسالة المنوط بها القيام بها. ولكن في حالة العلاقات الإخوانية - الإيرانية فإن ما جرى يتعدى ذلك إلى حالة الإدمان والغيوبية الدائمة التي لم تنفع مع البعض منها صدمات بحجم الثورة السورية وعشرات الآلاف من الضحايا الذين يُقتلون يوميا بأيدي شيعية طائفية يشرف عليها ملالي قم والنجف.

والموقف الإخواني الذي لا يأخذ بعين الاعتبار الرؤية الفقهية الشيعية وتأثيرها على مواقف وقرارات القوى الشيعية سواء في إيران أو المنطقة العربية، لم يفلح في أي مجال، فدينياً ذهبت كل جهود التقريب هباء منثورا واستغلت لنشر التشيع فقط الذي أصبح رموزه أشد أعدائهم.

وفي الجانب السياسي الذي ضحت من أجله الحركة الإسلامية بالدين وجعلته في مرتبة تالية له تبين أن إيران لا يهملها إلا التوسع والنفوذ وتمكين القوى الشيعية في المنطقة خدمة لأغراضها، وجعلت من الحركة الإسلامية أيضا مطية لها في ذلك، وكما جرت العادة كانت إيران تسارع بالتضحية بعلاقاتها مع الإخوان عندما تتعارض مصالحها معهم.

فحصاد الإخوان مع إيران والشيعية خيبات وخيانات متتالية لا تختلف عن السوابق التاريخية من أول يوم نشأت فيه هذه الفرقة، وإذا كان مؤسسوها لم يراعوا للصحابة وأزواج النبي المصطفى ﷺ عهدا ولم يخافوا الله فيهم وتجرؤوا عليهم وحاربوهم، ويتعبدون الله بلعنهم وسبهم، ويستعدون لظهور مهديهم وإمامهم الثاني عشر للانتقام منهم مرة أخرى، فماذا ينتظر من يتحالف معهم غير هذا الحصاد؟!

وقد توالى الخيانات الشيعية للإخوان بداية من

مجازر حافظ الأسد في حماة مروراً بالاحتلال الأمريكي للعراق والدعم الإيراني للقوى الشيعية المساندة له، وجرائم الأخيرة بحق الفلسطينيين هناك، ثم موقف إيران وحزب الله من الثورة السورية ومحاولته جر حركة حماس لتبرير جرائمها، وانتهاء بالانقلاب العسكري على الرئيس مرسي، وما تخلل هذه الفترات من خيانات كثيرة.

وفد شعبي مصري لإيران...

اللاعب على الأحبال

أسامة الهتمي^(١) - خاص بالراصد

ليس من الصواب دائما أن يتم توصيف العلاقات بين الدول في إطار اللونين الأبيض أو الأسود بمعنى إما أن تكون العلاقة بين دولة وأخرى على أفضل ما يرام أو أنها على أسوأ حال، إذ تقع هذه العلاقات في الكثير من الأحيان داخل ما يعرف بالمساحة الرمادية التي تصيب الكثير من المحللين والمراقبين بالحيرة فيصعب عليهم تقييم هذه العلاقة التي تكون محدداتها في الغالب خفية أكثر منها علنية ومن ثم فهي تسير وفق المصالح الخاصة بكل دولة والتي تبقى ورغم كل شيء أمرا لا يدرك كنهه الحقيقي إلا المؤسسات القائمة على إدارة هذه الدولة أو تلك.

ويفسر ذلك مرور علاقات بعض الدول ببعضها بالكثير من المنحنىات إيجابا أو سلبا حيث تختلف وتتبدل الارتباطات الدولية من مرحلة إلى أخرى بل ربما من حدث لآخر ليصبح عدو الأمس صديق اليوم، وصديق اليوم عدو الغد وهكذا.

كما تكشف هذه الفلسفة التي تكاد

(١) كاتب مصري.

تكون الإطار الغالب والحاكم للعلاقات

الدولية عن التناقضات الظاهرة التي تقع فيها الممارسات السياسية الخارجية حيث تحاور بعض أطرافها التظاهر بالتمسك ببعض القيم والمبادئ غير أنه سرعان ما تتهاوى هذه الدعاوى مع أقل اختبار يمكن أن يمس حسابات المصلحة.

وتعد الدولة الإيرانية نموذجاً فذا بامتياز

يجسد هذه الفلسفة ليس لكونها تدافع فقط عن مصالحها الخاصة فهذا أمر ربما تشاركها فيه الكثير من بلدان العالم ولكن لأنها لا تفتأ تردد أيضاً عبر تصريحات مسؤوليها ووسائل إعلامها وطبورها المنتشرة في البلدان العربية والإسلامية أنها المدافع عن حق الأمة والمقاومة وأنها الحصن الحصين الذي يواجه أعداء الإسلام في كل مكان، في الوقت الذي لم يعد خافياً على أحد تلك الممارسات السياسية التي تتال من قوة الأمة ووحدتها ذلك أنها غلبت حساباتها الطائفية والقومية لتصبح دعاوى الدفاع مجرد آلية من الآليات التي تستخدمها لتحقيق أهدافها الانتهازية.

أمثلة فجّة

وتتعدد النماذج والأمثلة التي تكشف عن هذا النهج الإيراني الطائفي والتي كان أبرزها ما يشهده العالم يومياً ولنحو ثلاثة أعوام من انحياز ودعم مقبطين للنظام السوري بقيادة بشار الأسد الذي لم يكف للحظة طيلة هذه الفترة عن ممارسة القتل والتشريد بحق أبناء الشعب السوري ليس إلا لكون الأسد وأركان نظامه ينتمون للطائفة العلوية التي باركها قائد الثورة الخمينية معتبراً إياها إحدى الطوائف الشيعية ومن ثم فإنه وجب على إيران أن لا تتخلى عنها وتدافع عنها مهما كانت أخطاء قياداتها وزلاتهم بل وجرائمهم أيضاً ولتذهب دعاوى الدفاع عن حق الشعوب في تحقيق حريتها ومبادئ حقوق الإنسان ودعوات التقريب بين المذاهب إلى الجحيم إذ ليست هذه الشعارات سوى «اسطوانة مشروخة» تعملها وتفعلها فقط وقتما تستدعي الحاجة إلى ذلك لممارسة المزيد من الخداع

للذين غاب الحق عن عقولهم.

ولا يختلف موقف إيران من الأحداث في مصر كثيراً عن سوريا فالمحاولات التي بذلتها إدارتها وخارجيتها من أجل التقرب لجماعة الإخوان المسلمين خلال الفترة التي قدر لهم فيها أن يكونوا على رأس السلطة في مصر «من يونيو ٢٠١٢ وحتى يونيو ٢٠١٣» كانت مجرد وسيلة للنفاذ لاختراق مصر التي ظلت طيلة السنوات السابقة على حكمهم عصية على الاختراق، وعليه فالإخوان لم يكونوا بالنسبة للإيرانيين سوى أحد الأطراف المخدوعة فيهم حيث لم تقدر الأقدار لهم أن تضعهم على المحك مباشرة مع الإيرانيين فيدركون حقيقة تهتم ويعون خبث أهدافهم ولهذا وبمجرد أن دارت عليهم الدائرة وتدخل المجلس العسكري المصري بقيادة الفريق أول عبد الفتاح السيسي لإقالة الرئيس المصري الدكتور محمد مرسي لم تتردد طهران في أن تبيع مرسي وجماعته في أقرب سوق سعياً وراء كسب ود النظام الجديد الذي رأت أن المؤشرات الأولية تؤكد إحكام سيطرته على البلاد وقدرته على إزاحة الإخوان من الحكم.

العودة للأعيب

في المقابل فإن النظام المصري الجديد بعد الثالث من يوليو الماضي لم يكن بأفضل حال من نظيره الإيراني إذ عاد هو الآخر ليمارس نفس منهج اللعب على الأحوال السياسية التي كان يمارسها خلال الفترات السابقة على حكم الإخوان الذين وعلى الرغم من الاعتراض الشديد على نهجهم في التعاطي مع إيران إلا أن الحق يفرض علينا القول بأنه كان تعاطياً ينبع من رؤية مبدئية لديهم حيث الاعتقاد بأن ذلك يمثل جهداً لتوحيد الصف الإسلامي في مواجهة التحالف الدولي ضد الإسلام. ولعل مكمناً الخطأ الذي وقع فيه الإخوان فضلاً عن حسن الظن بالشريعة والدولة الإيرانية يتمثل في أنهم ولطول الممارسة السياسية غلبوا السياسي على العقدي، ما كان سبباً لأن يغضوا الطرف أولاً عن الكثير مما تكشف من طائفية

الرؤية كاملة.

وكان لهذا الموقف المتردد أثره السلبي على استتباب الأمر بمصر حيث كان دافعا للعديد من البلدان والقوى الإقليمية والدولية لأن تتراجع هي الأخرى عن دعم النظام الجديد على الرغم من أن أغلبها كان غير راض عن وصول الإخوان للسلطة خشية أن تكون هذه هي البداية لوصول إسلاميين آخرين للحكم في بلدان مجاورة.

كما مثل الموقف الأمريكي غير المحسوم استفزازا للقيادة المصرية الجديدة التي رأت أن ذلك يعد تخلياً عنها في وقت عصيب، فسارعت إلى اتخاذ عدة مواقف مضادة كان أوضحها أنها شنت حملة من النقد الشديد عبر وسائل الإعلام لترويج الادعاء بأن الإخوان المسلمين عملاء لأمريكا، وأن أمريكا ما زالت تدعمهم غير أن ذلك لم يكن له نتائج الإيجابية وفق ما كانت تريد الإدارة المصرية الجديدة ومن هنا فقد بدأت بالتفكير في وسيلة أخرى للضغط على واشنطن ليس فقط لانتزاع دعم وتأييد أمريكي كاملين للوضع السياسي في مصر ولكن أيضا لتتحرك واشنطن من أجل ممارسة دورها لإقناع بقية القوى الدولية بما آلت إليه أوضاع البلاد.

وعلى الفور اتجهت أنظار القائمين على الوضع إلى ممارسة لعبة الابتزاز السياسي لأمريكا عبر التقرب من المحور المقابل للولايات المتحدة والمتمثل في روسيا والصين باعتبارهما قوتين دوليتين منافستين، وإلى إيران باعتبارها القوة الإقليمية الكبرى المتنازعة مع أمريكا والغرب.

الدبلوماسية الشعبية

لم يكن من الحكمة بأي حال أن تتحرك القيادة المصرية الجديدة باتجاه إيران من خلال القنوات الرسمية المتمثلة في رئاسة الجمهورية أو وزارة الخارجية إذ من الممكن أن يكون ذلك استفزازا قويا لواشنطن لا تحمد عواقبه كما يمكن أن يكون سببا لإثارة غضب واستياء البلدان الخليجية التي تعد الداعم المالي الأساسي للنظام

إيران وعنصريتها في العراق وفي أفغانستان وفي سوريا بل وعلى أراضيها حيث الانتهاكات الحقوقية الفجة بحق السنة من عرب الأحواز وأن يتجاهلوا ثانيا النصائح التي بح صوت الإسلاميين الآخرين في أن يسمعوها للإخوان حول حقيقة إيران وأهدافها.

وتسجل الأحداث أنه لم تكد تمر خمسة أشهر كاملة على أحداث يوليو وإقالة مرسي حتى سارعت القيادة المصرية الجديدة إلى التودد للنظام الإيراني على الرغم من أن أحد أهم سهام النقد التي كان يوجهها الكثيرون من المشاركين في الحراك المضاد للرئيس مرسي هو تقاربه مع إيران والتشكيك في نواياه بل والتهام الصريح له ولجماعته بالاستعانة بها وبأجهزتها الأمنية في تشكيل وتكوين ما يسمى بالحرس الثوري المصري بمساعدة الحرس الثوري الإيراني.

خلفيات الانطلاق

ظن القائمون على إقالة مرسي أن أمر تحقيق الاستقرار في مصر لن يتجاوز أياما حيث بمقدور الأجهزة الأمنية بمساعدة القوات المسلحة أن تجهض الحراك السياسي المحتمل من قبل الإخوان والإسلاميين المحتجين على هذا التصرف إلا أن هذا لم يحدث وظلت تتواصل عمليات الرفض بأشكال متعددة كان أبرزها التظاهرات والمسيرات التي لم تتوقف للحظة واحدة وهو ما كان من أهم تداعياته التردد الدولي في دعم الانقلابيين وتأييد ما حدث بعد ٣ يوليو.

وبطبيعة الحال فقد كانت أعين الجميع سواء في الداخل المصري - جميع الأطراف - أو في الخارج على الموقف الأمريكي من هذه الأحداث وهو ما أدركت أمريكا خطورته حيث لم يعد يسيرا عليها أن تحسم موقفها إزاء تطورات الأحداث في مصر خاصة وأنها كانت عاجزة بكل أجهزتها الاستخباراتية عن التنبؤ بأحداث ثورة الخامس والعشرين من يناير لتمارس هي الأخرى سياسة اللعب على الحبال وإرجاء قرار الحسم حتى تتضح

الجديد في مواجهة الحالة الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد منذ الإطاحة بالرئيس مرسي، بالإضافة إلى عدم تجاوز الموقف الجماهيري العارم الرافض لإيران وسياساتها ومن ثم فإن الإدارة المصرية اكتفت بالتلويح بإمكانية التقارب مع إيران عبر إرسال ما أسمته «وفود الدبلوماسية الشعبية المصرية».

والحقيقة أن زيارة وفد شعبي لإيران تحت مسمى «الدبلوماسية الشعبية» ليست الأولى فقد سبق وأن زار وفد مماثل طهران في مايو من عام ٢٠١٢ غير أن الفارق الجوهرى بين الوفدين أن الوفد الأول ضم عددا من الشخصيات بلغ نحو ٤٥ شخصية من مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية ومن بينها التيار الإسلامى وهو الأمر الذي لم يتحقق بشأن الوفد الذي قام بزيارة طهران في الفترة من ٥ إلى ١٥ ديسمبر ٢٠١٣م حيث اقتصر تكوينه على الشخصيات المؤيدة للانقلاب ومن ثم فإن المهمة التي استهدفها اختلفت بشكل جذري حيث كانت تركز زيارة مايو على تطوير العلاقات بين القاهرة وطهران بعد فترة طويلة من القطيعة استمرت لأكثر من ثلاثين عاما وهو الهدف الذي جاء استجابة لمطالب شعبية بضرورة الانقلاب على سياسات الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك.

في المقابل فإن طبيعة تكوين الوفد الأخير الذي ضم نحو ٣٥ شخصية استمر اختيارهم لشهرين بينهم «الدكتور صلاح الدين الدسوقي والدكتور جمال زهران والدكتور أحمد دراج وأحمد طه النقر وأحمد السعيد ورشاد خليل وعلاء أبوزيد وفاروق العشري وعلي عبد الحميد وعمرو علي وعمر عز وطارق الخولي - ممثل حركة ٦ إبريل «الجهة الديمقراطية» - وغيرهم» تكشف عن حقيقة الهدف منها حيث تسعى القيادة المصرية الجديدة إلى كسب تعاطف إيران معها وإقناعها بأن ما حدث من قبل القوات المسلحة وإقالة مرسي لم يكن انقلابا بل هو استجابة لإرادة الشعب المصري الذي ثار على رئيسه لفشله في إدارة البلاد.

وقد كشف الدكتور جمال زهران في إحدى مقابلاته التلفزيونية عن ذلك صراحة حين تحدث عن أن زيارة إيران تأتي انطلاقا من أهمية وجود غطاء سياسي للنظام الحالي في ظل التفاعلات والتشابكات الدولية والإقليمية.

وقد حمل الوفد الشعبي الذي تم اختياره عبر ما يسمى بـ«التجمع العربي لدعم خيار المقاومة» - الذي تأسس في الثالث والعشرين من يوليو ٢٠١١ بالعاصمة اللبنانية «بيروت» - مجموعة من الرسائل التي رأى أنها يمكن أن تسهل مهمته فحرص على التأكيد على استقلال القرار المصري وأن ما يسميه بـ«ثورة ٣٠ يونيو» كانت تخلصا من التبعية التي أراد مرسي أن يفرضها على مصر لصالح بعض الأطراف الدولية والإقليمية، وأن مرسي لم يكن منحازا كما يتصور الإيرانيون للمقاومة إذ كان هو من قدّم لأمريكا و«إسرائيل» ما لم يقدمه مبارك بتعهد حماس بعدم إطلاق صاروخ واحد تجاه «إسرائيل» وبضمانة مصرية.

وهو ما أكدّه الكاتب طه النقر الذي قال إن الهدف الرئيسي من زيارة إيران هو شرح حقائق الوضع في مصر بعد ٣٠ يونيو وأن ما حدث ثورة شعبية وليس انقلاباً على «الصحة الإسلامية» مؤكداً أن الوفد المصري هاجم الموقف الإيراني «المتروك» في الانحياز للثورة المصرية واتهم الجانب الإيراني بالانحياز لمعسكر الإخوان.

وحرص الوفد على أن يلتقي بمن يمكن اعتبارهم الشخصيات النافذة في الإدارة الإيرانية من أمثال «رئيس مجلس الشورى الإسلامى الإيراني علي لاريجاني والمستشار السياسي للمرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية الدكتور علي أكبر ولاياتي ومساعد وزير الخارجية للشئون العربية والإسلامية حسين أمير عبد اللهيان ووكيل وزارة الخارجية مدير معهد الدراسات السياسية والدولية الدكتور هادي سليمان بور ومدير إدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الإيرانية مجتبى فردوسي بور والأمين العام للمجمع العالمي الإيراني للتقريب بين

الحالة الأمنية في المناطق السنية في العراق بعد عام من الحراك الشعبي

خاص بالرائد

كان عام ٢٠١٣ حافلاً بالأحداث المتسارعة

بعد أن دخل العمل السني العراقي منعطفا نوعيا إثر انطلاق حركة التظاهر الشعبي (الحراك) أواخر عام ٢٠١٢ فالمواجهة أخذت طابعاً مختلفاً عن السنوات العشر الماضية (٢٠٠٣ - ٢٠١٢) فقد أصبحت بين الجمهور السني والدكتاتورية الشيعية الناشئة بقيادة حزب الدعوة، بعد أن كانت محصورة بين حركة المقاومة المدعومة شعبياً والجمبهة الشيعية بمختلف مكوناتها (أحزاب، مليشيات، حكومة).

كانت ردة الفعل الشيعية على الانتفاضة

السنية متوقعة لأنها هددت مصالح المذهب وقيادته التي عملت على تثبيت حكمها وقمع معارضيها بمختلف الطرق والوسائل، كما أن حركة الاحتجاج السني تزامنت مع استمرار الثورة السورية وتساعد نفوذ الإسلاميين السنة فيها (معتدلين ومتطرفين).

كانت بعض أجواء هذا العام شبيهة بأجواء

عام ٢٠٠٦ «أيام اجتثاث وإبادة السنة» التي يسمونها الحرب الأهلية: حيث الاغتيالات، واستهداف أئمة المساجد ومصلحيها، والقتل الجماعي، والجثث المجهولة في الشوارع، والتهجير، والحمولات المركزة على المناطق التي لم ينقطع عنها الاستهداف منذ عام ٢٠٠٥، هذا كله بالتزامن مع استمرار الإعدامات، والاعتقالات تحت بند المادة الرابعة من قانون مكافحة الإرهاب.

سنُجمل الحديث عن أهم ما جرى خلال عام

من الحراك حسب المحافظات:

١- العاصمة «بغداد»:

الحديث عن بغداد بعد ١٠ سنوات من قيام

المذاهب الإسلامية آية الله محسن الأراكي» حيث امتدت الحوارات معهم لتوضيح وجهة النظر في الكثير من القضايا.

وكان أطرف ما صرح به أعضاء الوفد المصري عند عودتهم من إيران أن الحالة التي كان عليها من التقوهم من الشخصيات الإيرانية تبدلت من الجفاء والفتور إلى الود والترحيب بعد الدور الذي لعبه أعضاء الوفد طبعاً في إقناع هؤلاء المسؤولين، وهو أمر يثير الضحك والسخرية إذ ليس من المتصور منطقياً أن تحديد موقف الدولة الإيرانية كان متوقفاً على ما أوضحه أعضاء هذا الوفد لكن المنطقي هو أن المسؤولين الإيرانيين كان يجب أن يتظاهروا بما بدوا عليه من ضيق كشكل من أشكال حفظ الوجه واتساقاً مع ما كانوا قد أعربوا عنه سابقاً من رفض تدخل الجيش في الحياة السياسية فضلاً عن إبداء بعض مشاعر الاستياء كاحترام لجماعة الإخوان التي كثيراً ما جاملت إيران والإيرانيين لهذا فإنهم ووفق ما صرح به الدكتور دراج متفهمون لما يجري في مصر حيث يرون أن ٣٠ يونيو تصحيح لـ «٢٥ يناير» بعد أن تم اختطافها ومضيفاً أن إيران على استعداد لمساعدة مصر في المجال العلمي لأنها بالنسبة لهم دولة مركزية لا يمكن الاستغناء عنها.

وهو نفس ما أكدته ممثل ٦ إبريل طارق الخولي الذي لفت إلى أن المسؤولين الإيرانيين أكدوا أنهم يباركون تحرك ٣٠ يونيو، ويعتبرونه موجة ثانية من الثورة وأنهم على استعداد للتواصل مع مصر وبدء حوار استراتيجي يضع أسساً لعلاقات قوية.

ولم ينس الوفد أن يبعث برسالة تطمينية لبلدان الخليج خشية أن تكون هذه الخطوة سبباً لتأزيم العلاقة مع مصر في وقت هي أحوج ما تكون فيه للدعم الخليجي، لهذا فقد حرص الوفد على أن يعلن أنه أكدته خلال لقاءاته على أن أمن الخليج العربي من الخطوط الحمراء لدى مصر لأنه يعتبر من أمن مصر القومي وأن تعزيز العلاقات بين القاهرة وطهران يبدأ من أمن الخليج.

الحكم الشيعي، حديث عن مدينة سنية أصبحت شيعية «سكانياً ودينياً»، وهي معقل الحكومة والمليشيات، الظهير القوي لقوات المالكي وأبرزها (عصائب أهل الحق، كتائب حزب الله في العراق، المليشيات المرتبطة مباشرة بمقتدى الصدر، جيش المختار) ولهذه المليشيات حضور ونفوذ واسع وملحوظ فهي تملك مكاتب ومراكز وتقيم استعراضات ومؤتمرات.

- تنتشر في بغداد الأجهزة الأمنية التي يسيطر على معظمها حزب الدعوة، وبعض فرق الجيش، فضلاً عن التشكيلات الخاصة بمكتب رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة كـ لقوات عمليات بغداد، ولواء ٥٦ «لواء بغداد»، والقوات الخاصة swat - اليد الضاربة للمالكي، جهاز مكافحة الإرهاب.

- تضم بغداد عدداً من السجون التابعة لوزارات الداخلية والعدل والدفاع، التي يتكسد فيها الآلاف من السنة، وبين الحين والآخر يتم الإعلان عن إعدام معتقلين أو وفاة بعضهم تحت التعذيب، وقد رصدت المنظمات الحقوقية العراقية والدولية (هيومن رايتس ووتش، العفو الدولية «أمнести») بعض هذه الحالات ووثقتها في تقارير وبيانات.

- يتركز وجود السنة في جانب الكرخ (غرب بغداد) والأعظمية (شرق بغداد)، ومعظم المناطق السنية مطوقة بجدران وكُتل إسمنتية تعيق الحركة وتضعها تحت المراقبة، وتسهل عمليات الدهم والتفتيش والاعتقال عند حدوث أي تفجير.

- خلال عام ٢٠١٣ زاد استهداف الأئمة والخطباء والمصلين، خاصة أيام الجمعة بعد خروج المصلين من المساجد حيث تنوعت الهجمات بين اغتالات وتفجير عبوات ناسفة، وقرر «المجمع الفقهي العراقي» إغلاق المساجد احتجاجاً على استهداف الأئمة والمصلين ابتداء من يوم الجمعة ١١ / ٢٢، لكن القرار سرعان ما ألغي من قبل «ديوان الوقف السني».

- وثقت مؤسسة «حياة بغداد» أكثر من ١٧ حالة اغتيال تعرض لها مصلو المساجد (خلال شهر رمضان) في منطقة الشعب شرق بغداد^(١).
- ذكر رئيس ديوان الوقف السني أحمد السامرائي في مؤتمر صحفي عقده في ١٨ أيلول أنه خاطب بكتب رسمية الجهات المختصة لحماية المساجد بأكثر من ٣٧ كتاباً، وخلال شهرين ونصف تعرض أكثر من ٨٠ مسجداً للاستهداف، وقد بلغ عدد الشهداء ٢٤٢ شهيداً من منتسبي الديوان أو المصلين^(٢).

محيط بغداد السني: وهي ضواح زراعية في الغالب تشكل ما يُعرف بحزام بغداد كالتاجي وأبو غريب والمشاهدة والطارمية والمحمودية واليوسفية واللطفية والرضوانية وسبع البور والمدائن، كانت في السابق من أكبر معاقل المقاومة (والقاعدة تبعاً) وظلت تحت ضغط الحكومة والمليشيات لأنها طوق سني محيط بمركز الحكم الشيعي (العاصمة).

في منتصف آب / أغسطس ٢٠١٣ أعلنت الحكومة عن بدء حملة أطلقت عليها «ثأر الشهداء» أسفرت عن اعتقال الآلاف، مما دفع بعض العوائل للنزوح.

- تتعرض الضواحي الشمالية لبغداد (الطارمية والتاجي والراشدية) إلى عمليات «دهم واعتقال» مستمرة فضلاً عن تكرار حوادث الاغتيال.

جنوب بغداد (مثلث الموت سابقاً) وهي مناطق اللطفية واليوسفية والمحمودية، وتعد من أكبر بؤر الانفجار الطائفي في العراق، فهي معقل المقاومة (والقاعدة تبعاً)، وتقع على طريق زوار كربلاء.

دفع السنة فيها ثمن شرastهم ضد الأميركيين والحكومة، كما دفعوا ثمن أعمال القاعدة المحرصة للشيعية، وهي بالأصل على رأس قائمة

(١) صحيفة العرب اليوم (٢٠١٣/٨/٨).

(٢) الموقع الرسمي لديوان الوقف السني <http://sunniaffairs.gov.iq>

الاستهداف عند الحكومة والمليشيات لموقعها الاستراتيجي.

تعاني هذه المناطق السننية من قوات الجيش العراقي (الفرقة ١٧) بقيادة اللواء الركن ناصر غنام، حيث تكثر الاعتقالات وعمليات التعذيب داخل سجون الفرقة، وقد صرح حامد المطلك القيادي في ائتلاف العراقية بأن أكثر من ٢٠ معتقلاً قُضوا تحت التعذيب في سجون الفرقة ١٧ خلال العام ٢٠١٢^(١).

بعض حوادث الاغتيال ضد السنة:

حسين علي حسين الحديثي	إمام مسجد الرشيد - سبع البور
عامر محمود الجنابي	إمام مسجد المشي - حي القاهرة
قاسم حبيب المشهداني	إمام مسجد الصديق في الغزالية، ومن أبرز ناشطي الحراك في بغداد
حسين لفته	إمام مسجد الرحمن - الدورة
أحمد نصيف جاسم محمد العبيدي	شيخ عشيرة، وناشط سني في مناطق جنوب بغداد - المحمودية
محمود محمد طه السامرائي ^(٢)	شخصية دينية معروفة - المحمودية
مؤذن جامع النور المحمدي	قضاء المحمودية جنوب بغداد
ثامر حبيب جلوي	من شيوخ عشيرة العبيد - جنوب بغداد

٢- محافظة الأنبار

تصدرت الأنبار المشهد السني منذ الاحتلال، فكانت دائماً في المقدمة عند انطلاق المقاومة، والأكثر تضرراً من تنظيم القاعدة، والأسرع الى محاربته، ومنها انطلق الحراك الشعبي.

(١) تصريح لمدي برس (صحيفة المدى) ٢٠١٣/٢/٤.

(٢) قُتل والده رحمه الله على يد المتمردين الشيعة في أحداث الغوغاء عام ١٩٩١.

أبرز قوى التآزيم الأمني:

- ١- قوات سوات، وقوات الشرطة الاتحادية المرتبطة بحكومة بغداد.
- ٢- تنظيم القاعدة الذي يستهدف أبناء المحافظة من جهة (اغتيالات وتفجيرات انتحارية)، ويستهدف القوات الحكومية من جهة أخرى لجرها إلى مواجهة تؤدي إلى مدامات واعتقالات في صفوف المواطنين.
- ٣- قوى عشائرية مسلحة موالية لنوري المالكي كوسام الحردان، وحמיד الهايس وغيرهما.

حاولت الحكومة الاصطدام بالمتظاهرين واستفزازهم فاعتقلت بعض رموز الحراك، وتعرض بعضهم لعمليات اغتيال، ولوحق آخرون بمذكرات اعتقال وإلقاء قبض.

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

كاظم عبد الباسط	إمام مسجد الحامضية - ناحية حصيبة
ماجد العيساوي	إمام مسجد معاوية - الفلوجة
طالب يوسف زويد العيساوي	إمام مسجد البراء بن عازب، ومن قادة التظاهرات
سعد عامر عباس الدليمي	خطيب مسجد
أحمد جمعة كريم	إمام مسجد البراء بن مالك - القرية العصرية
حاتم موسى حمد الحلبوسي	إمام مسجد الكرمة الكبير
خالد حمود الجميلي	أبرز قادة التظاهرات في المحافظة
سعدون عيفان العيساوي	قيادي في الصحوة ^(٣)

٣- محافظة صلاح الدين

- تعتبر مدينة سامراء (جنوب المحافظة) من أهم مدن الحراك بعد الأنبار، وأظهرت منصات

(٣) قُتل بعد تصريحاته بشأن إغلاق منفذ طريبيل الحدودي، واصفاً القرار بأنه إعلان حرب على السنة وعلى أهل الأنبار.

الاعتصام فيها (ميدان الحق) شخصيات سنية ذات وعي متميز كالشيخ محمد طه حمدون السامرائي والأستاذ ناجح عباس الميزان.

- في ٦ تموز ٢٠١٣ تعرض «ميدان الحق» لتفجير أسفر عن قتل ١٢ متظاهراً.

أبرز قوى التآزيم الأمني

- قوات الحكومة (قيادة عمليات سامراء، مغاوير الداخلية، قوات سوات المنطوقة من بغداد).

- تنظيم القاعدة الذي ينشط فيها وبيتز التجار والموظفين لتمويل عملياته (لاسيما مصفاة بيجي ومحطة الكهرباء فيها)، ويستهدف معارضيه بالتصفية الجسدية.

٤- دياي (شمال شرق بغداد)

السيادة في هذه المحافظة للاضطراب الأمني والتوتر التام، فهي محاذية لإيران وتعتبر من أهم مداخل مسلحي الشيعة والقاعدة. وشهدت في السابح حركة مقاومة عنيفة للاحتلال، واحتراباً شديداً بين السنة والشيعة، ونفوذاً كبيراً للقاعدة.

- قوى التآزيم

أ- القوات الحكومية: الشرطة والجيش (الفرقة الخامسة)، قوات عمليات دجلة بقيادة عبد الأمير الزبيدي.

ب- المليشيات الشيعية المختلفة

ج- تنظيم القاعدة

التحقت مدن دياي بالحراك الشعبي فنانها نصيبها من الاستهداف، حيث تعرضت مساجدها وأئمتها لتفجيرات واغتيالات حصدت العشرات من المصلين

- أبرز التفجيرات التي استهدفت المساجد

تفجير مسجد الصديق - الوجيهية (١٩ تموز)	مقتل أكثر من ٢٠ مصلياً
تفجير مسجد سارية - بعقوبة (١٧ أيار)	مقتل أكثر من ٤٠ مصلياً
تفجير مسجد أبو القاسم محمد - بعقوبة (١٣ أيلول)	مقتل أكثر من ٣٠ مصلياً
تفجير مسجد القدس - المقدادية (٣١ أيار)	مقتل شخصين

وقد دفعت هذه الأعمال الوقف السني في المحافظة إلى إعلان إغلاق المساجد احتجاجاً، وذلك في منتصف شهر تشرين الثاني الماضي.

- تكثر في محافظة دياي الاعتقالات العشوائية، وحالات الوفاة تحت التعذيب في سجون الحكومة (مديرية مكافحة الجرائم الكبرى وغيرها).

- شهدت القرى السنية الواقعة جنوب قضاء المقدادية (الخيلائية، الكف، عكيدات، جميلات، التويم) وغيرها حالات نزوح جماعي بسبب قصف بالهاونات وذلك في شهر تموز^(١)، ووثق تقرير صادر من وزارة الهجرة والمهجرين تهجير أكثر من ٢٣٥ عائلة سنية^(٢).

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

عبدالرحمن أحمد البديري السامرائي	إمام مسجد الخضر - بعقوبة
شوقي خضير أحمد	إمام مسجد خديجة الكبرى
مهند علي النعيمي - قتل معه ابن عمه (عبد الوهاب)	إمام مسجد الأبرار - الخالص
ثابت حسين مظلوم الخزرجي	استاذ الحديث بجامعة دياي وإمام مسجد
فاروق سليمان كاظم الجوراني	إمام مسجد محمد رسول الله - المقدادية
فحطان محمود الرجب المهادوي	من شيوخ عشيرة المهديّة (السنية)
عمار إسماعيل عبد الله	عضو مجلس علماء العراق - طوزخورماتو
نجم الحربي	عضو مجلس المحافظة

٥- جنوب العراق

شهدت محافظات الجنوب (البصرة، الناصرية) موجة عنف ضد السنة شملت اغتيالات، وتهجير أكثر من ١٠٠ عائلة من عشيرة السعدون في

(١) صحيفتا الحياة اللندنية، والمدى العراقية (٢٠١٣/٧/١٦).

(٢) صحيفة المستقبل العراقية (٢٠١٣/٧/١٥).

محافظة الناصرية (صحيفة المدى ١٥ أيلول) (١).

فقد أصبحت الاغتيالات المستهدفة لأبناء السنة ظاهرة ملحوظة لكثرة تكرارها خاصة خلال شهري آب وأيلول، وبلغ الحال أن أعلنت وزارة الداخلية تشكيلها لجنة تحقيقية عليا في حوادث الاغتيالات في محافظتي البصرة وذي قار (صحيفة المدى، ٢٣ أيلول) وكما جرى في بغداد وديالى فقد أغلقت المساجد احتجاجاً.

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

أسعد ناصر	إمام مسجد فجة النعمة - قضاء أبو الخصيب
علي حسن علي	عضو الحزب الإسلامي
عدنان مجيد الغانم	شيخ عشائر الغانم، من أشهر شيوخ السنة في الجنوب، قتل معه مرافقه (كاظم الجبوري)
جمال محسن الفارس	شيخ عشيرة الرفيع السنية في محافظة الناصرية (ناحية الفجر)
عبد الكريم مصطفى	إمام مسجد التقوى - منطقة المشرق
عبد الحميد العثمان	من شيوخ عشيرة الدليم في البصرة
أحمد فؤاد	مؤذن جامع حمدان - قضاء أبو الخصيب
عبد الحافظ فاروق عبد الحافظ	مؤذن جامع بلد سلامة - قضاء أبو الخطيب
نجم الخويطر (٧٠ عاماً)	من مصلي جامع الخضير - قضاء الزبير
ناطق ياسين عبد الخضر	إمام مسجد السبيليات في قضاء أبو الخصيب

٦- الموصل

يكثُر التوتر الأمني في الموصل لأنها مدينة تتنازعها مختلف الأطراف (الحكومة، الأكراد، السلطة المحلية «العرب») ويعتبر تنظيم القاعدة لاعباً فاعلاً يمكن أن يقدم خدماته لأي جهة تطلبها،

(١) صحيفة الشرق الأوسط (١٦ أيلول ٢٠١٣) العدد (١٢٧١١).

بالإضافة إلى عمله التقليدي في فرض الأتوات والقيام بالتفجيرات وتنفيذ الاغتيالات ضد أبناء المدينة.

قوى التأزيم الأمني

- قوات الشرطة الاتحادية (الفرقة الثالثة) المرتبطة بالمالكي
- الفرقة الثانية - الجيش العراقي
- تنظيم القاعدة، والذي اشتكى منه حتى المتطرفون في جماعة أنصار الإسلام الناشطة في الموصل وكركوك ووجهوا نداءً إلى أيمن الظواهري بخصوص اعتداءات القاعدة على عناصرهم!

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

إياد عبد الكريم الحمداني	إمام مسجد الصفا - حي تموز
عبد المجيد الجبوري	إمام مسجد الخشاب - حي العربي
محمد إبراهيم حمادي	إمام مسجد الشهيدين - رأس الجادة
ثروي كوزر الشمري	من قادة التظاهرات - عميد ركن سابق
محمد جاسم الجبوري	أستاذ جامعي وإمام مسجد الأغوات
برزان حازم البدراني	شيخ عشيرة، وناشط في التظاهرات
ويس حسين المرير	من شيوخ عشيرة اللهب
علي نافع عزيز الشماع	إمام مسجد محمد النوري
أحمد خير الدين إبراهيم	إمام مسجد الحجار
ماهر سالم محمود	إمام مسجد الحاج إياد

٧- كركوك (محافظة التأميم)

تشهد المحافظة توتراً مستمراً بين العرب والأكراد الذين يطمعون بضمها إلى إقليم كردستان، وتصاعد الخلاف مؤخراً بين الأكراد والحكومة التي وسعت نفوذها الأمني فيها من خلال تشكيل «قوات عمليات دجلة» التي تسعى لفرض قوتها على حساب السلطة الكردية.

- في تموز تم اغتيال عبد الله سامي العاصي العبيدي رئيس المجموعة العربية في مجلس محافظة كركوك.

- أبرز حوادث العام في كركوك، حادثة اقتحام ساحة الاعتصام في مدينة الحويجة (جنوب غرب كركوك) بتاريخ ٢٣ نيسان وتنفيذ مجزرة راح ضحيتها أكثر من ٥٠ شخصاً، حيث كان لهذه المجزرة أصداء وتداعيات واسعة لاسيما مع تسرب بعض التسجيلات المصورة، والروايات التي أكدت أنها كانت عملية إعدام جماعي بشكل طائفي بحث.

السياسات الشيعية الإقصائية في العراق وإيران تجاه سنة العراق

صباح العجاج^(١) - خاص بالرائد

شهدت محافظة الأنبار، يوم السبت ٢٠١٣/١٢/٢١ مقتل قائد الفرقة السابعة في الجيش العراقي، العميد الركن محمد الكروي، ومجموعة من مرافقيه السنة، بتفجير عبوة ناسفة خلال قيامه بمطاردة عناصر تنظيم القاعدة، بعدها بيوم طالب رئيس الحكومة نوري المالكي معتصمي الأنبار «بالانسحاب من خيم الاعتصام لتبقى عناصر القاعدة فيها فقط»، وشدد على أنه «لن يسمح ببقاء مقرات الاعتصام مقرات للقاعدة» بعدها بيومين أطلق نوري المالكي عملية كبيرة أمهل فيها الجيش أسبوعاً كي يقضي على تنظيم داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، في هذا المقال سنحاول البحث عن دوافع وأسباب هذه العملية وعلاقة الحكومة العراقية بملف الإرهاب في العراق وكيف أن القاعدة متورطة بتنفيذ مخططات إيران والشيعية ؟

منذ أكثر من سنتين وتنظيم القاعدة ينخر

(*) كاتب عراقي.

في جسم المناطق السنية؛ فهو ليلاً المسيطر الأول والأخير عليها؛ فمحافظة نينوى أصبحت السيطرة فيها لعناصره برغم وجود جيش شيعي كبير^(١)، وأصبحت الصحراء والحدود السورية العراقية مستباحة لتحركات القاعدة بشقيها (النصرة قديماً وداعش حالياً)، والمناطق السنية هناك مُستباحة لهم فمعدل ما تفرضه القاعدة هناك من أتوات شهرية ٧ ملايين دولار، وامتدت هذه الجباية إلى محافظة صلاح الدين التي غدت هي الأخرى مسرحاً للقاعدة، وهوجمت محافظة صلاح الدين إلى درجة أصبحت الرؤوس المقطعة في كل صباح تنتشر في الساحات الرئيسية في بلدات المحافظة، وكل المقتولين سنة؛ ولأسباب شتى، أما محافظة الأنبار فهي ليلاً بيد القاعدة ونهاراً بيد الجيش العراقي؛ هذه هي المحافظات السنية الثلاث التي لها حدود مع سوريا.

ومن المعلوم أن تنظيم القاعدة في العراق مخترق منذ سنين، أدركنا ذلك منذ سنة ٢٠٠٤، صحيح أن كثيراً من المجاهدين السنة لم يدرك ذلك إلا بعد مضي سنين، لكنهم جميعاً أدركوا خطره الآن، والجديد هو اعتراف أحد منظري القاعدة الدوليين (عبد الله محمد)^(٢) بذلك^(٣)، الذي اعترف كذلك أن أصل وجود القاعدة في سوريا هو من صناعة عراقية، وأن القيادات المختركة هي من أسس داعش في سوريا.

مرحلة التأسيس نعرفها أكثر من عبد الله محمد فقد كان السيناريو واضحاً منذ البداية في العراق؛ فقد تم تهريب سُجّاء القاعدة من سجون متعددة، ولم يتم التحقيق في ذلك، ثم تم تهريب المسؤول عن تهريبهم لخارج العراق وهكذا،

(١) يبلغ تعداد الجيش والشرطة الشيعية أكثر من مليون مجند.

(٢) هو أحد منظري القاعدة، خاصة بالشؤون الجزائرية، له مدونة شؤون استراتيجية.

(٣) في مقاله الذي نشره بتاريخ الجمعة ٠٢ جمادى الثانية ١٤٣٤هـ، في (شؤون استراتيجية): هل «دولة العراق الإسلامية» مختركة؟

وهذه الدولة الجديدة للقاعدة وجودها من مصلحة إيران وشيعة العراق، إذ ستبقى مناطق السنة في المحافظات السننية الخالصة المحاذية لسوريا (نينوى، وصلاح الدين، والأنبار) قلقة ومسيطر عليها من قبل القاعدة ومنبوذة دولياً (بسبب ربط العرب السنة بالتطرف والإرهاب) كي تبقى هيمنة الجيش الشيعي على مناطق أهل السنة في العراق.

أما سوريا فستبقى في احتراب داخلي بعد نهاية حكم بشار الأسد، في حالة تشبه حرب فصائل الأفغان بعد خروج الروس، وهذه قضية تم الاتفاق عليها في صفقة سان بطرسبرغ وتوافق بشأنها أركانها الأربعة (تل أبيب وواشنطن وطهران وموسكو) لتصفية الثورة السورية بعد عدة محاولات باءت بالفشل مع مجموعة خطط إيرانية وإسرائيلية^(١).

لكن العامل الجديد هو قدرة إيران على الإمساك بزمام الأمور بمساعدة روسيا أكثر من قدرة الأمريكان والإسرائيليين على ذلك، مما أخاف الجانب الأمريكي أن تتولد بؤرة من القاعدة غير مسيطر عليها، وتخوفت أكثر عندما بدأ تراجع السياسة الأمريكية في المنطقة على حساب سياسة روسيا، وتولدت عدة بؤر من الصراعات تشبه صراعات الحرب الباردة، فأمريكا تضغط على روسيا في أوكرانيا، مما أدى لرد روسي بالتعاون مع إيران وحليفها في جنوب السودان لتفجر انقلاباً بدعم روسي ضد حليف أمريكا هناك سلفاكير، ومن ضمن هذا الصراع الساحة العراقية والسورية.

لا تزال ورقة المالكي ورقة أمريكية إيرانية، والمالكي لا يستطيع أن يستمر بولاية ثالثة إلا بموافقة الدولتين، والانتخابات العراقية على الأبواب (نيسان/ أبريل ٢٠١٤)، والمالكي في زيارته

(١) مقال «الثورة السورية تواجه داعش» والمخابرات العالمية» مهنا الحبيب، الجزيرة نت، ٢٤/١٠/٢٠١٣.

والقاعدة بأفعالها تؤدي خدمات جلييلة لإيران من جهة وحكومة المالكي في العراق، وحكومة بشار في سوريا، حتى لو لم تكن مخترقة فكيف مع الاختراق؟

والقاعدة لم تُخترق إيرانياً فقط، بل أختُرقت

من عدة جهات، نذكر منها ما يخص العراق فالقوات الكردية ومخابراتها (الآسايش) كانت مسيطرة عليهم في نينوى، وتوجههم ضد العرب السنة بشكل واضح، لكن بعد تفجيرات أربيل في (٢٠١٣/١٠/٧) تضررت العلاقة بينهما؛ والقائد عمر حديد كانت له منذ الأشهر الأولى صلات مع المخابرات الروسية وتم تجهيزه بصواريخ ستريلا المضادة للطائرات والتي تحوي على كاميرات بواسطة إيرانيين في العراق، والزرقاوي كانت له صلات بالمخابرات الإيرانية، وتملك أجهزة المخابرات في الدول العربية وثائق خطيرة وكثيرة عن هذه العلاقات لكن الجميع لا يريد كشفها الآن.

مخطط داعش في سوريا والعراق مع إيران

ومصلحة الطرفين:

تعمل (داعش) اليوم وفق مخطط كبير، فهي تعمل على تكوين قوس كبير يمتد بين العراق (المناطق السننية الحدودية) وسوريا، ويشمل مناطق البوكمال والرقعة والحسكة صعوداً إلى مناطق حلب وإدلب، والغاية هي السيطرة على مداخل الحدود العراقية والتركية وتكوين دولتهم وهي مصلحة مشتركة بينها وبين إيران، فإيران تريد إرسال رسائل إلى أمريكا وأوروبا مفادها ما يلي:

أ - إن الإرهاب في حال سقوط بشار الأسد يكون قد وصل إلى الساحل الآخر من البحر المتوسط.

ب - إن القاعدة إذا ما سيطرت على سوريا فإن أمن إسرائيل والدول العربية الحليفة لأمريكا والغرب والمجاورة لسوريا لن تكون بمأمن من خطر الإرهاب.

الأمريكية واجهه عدّة مشاكل ووجهت له انتقادات بشكل واضح، وقد استعرض موقع (CFR) الأمريكي بعض التحليلات عن مستقبل المالكي، ولفت الموقع إلى أن رئيس الوزراء الحالي يضع عينه على فترة ثالثة من الحكم، كما أشار إلى أنّ احتمالية فوز المالكي بالانتخابات القادمة قليلة جداً؛ وأن وضع حزبه (حزب الدعوة) في انتخابات مجالس المحافظات كان صعباً جداً في ٢٠١٣، حيث أصبح ممثلو بقية الأحزاب الشيعية (الصدر+ الحكيم) هم الأغلبية المسيطرة على مجالس المحافظات في المناطق الشيعية وبغداد.

والغرب يريد المالكي بشكل مختلف، فنظام المالكي يشكل مصدر قلق واضطراب أمني في العراق لكونه يرعى مجموعات إرهابية ويمدها، ولكنه يضبطها أيضاً ويساوم واشنطن وحلفاءها عليها، والثمن الذي يطلبه مقبول أحياناً وغالٍ أحياناً أخرى (كما يعبرون)، وهم قد لا يريدون تغييره كما يظن البعض، لكن المطلوب هو ترويضه وتحسين سلوكه عربياً وإقليمياً.

واليوم ومع الضغط الأمريكي على المالكي لضرب القاعدة والمليشيات، وضغط إيران التي زارها بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٤، والتي أخبرها بالمطلب الأمريكي، أصبح المالكي في وضع لا يحسد عليه، ولكي يبقى عليه أن ينفذ أوامر الدولتين، فكانت عملية صحراء الأنبار بالسيناريو الآتي:

قامت القوات الإيرانية^(١) بتسهيل اغتيال العميد الركن السنّي محمد الكروي للتخلص منه كعسكري سنّي^(٢)، والأمر الآخر هو: التمهيد لشنّ عملية واسعة في الأنبار تقضي على القاعدة (داعش) في الظاهر إرضاء لأمريكا التي زوّدت من خلال الأقمار الصناعية بمواقع تواجد داعش ومعسكراتها في الصحراء، والأمر الثالث هو أن

(١) عناصر الاستخبارات والجنود الإيرانيون متواجدون في صحراء الأنبار منذ أشهر عديدة.

(٢) وإن كان عمل للحكومة العراقية ضد الإرهاب، فهذا مصير كل سني أياً كان ولاؤه للحكومة العراقية.

العملية دعاية انتخابية فأصبحت داعش الدعاية الجديدة للمالكي في الانتخابات، التي ترضي الأمريكيان عليه، وترضي ما ستفعله إيران من خلال العملية، ولكن السؤال، هل هذه العملية مفيدة للمخطط الإيراني؟

والجواب: إنّ إيران لا تصنع الأحداث وإنما تحاول توظيف الحدث لصالحها، إيران تشعر يوماً بعد يوم أن الثورة السورية تُفقد حليفها في المنطقة (بشار الأسد) وأنّ ثمة حديثاً من وراء الكواليس الدولية كمقدمات لمؤتمر جنيف ٢ أن لا مكان للأسد في حكم سوريا، وأن انتخابات سورية في ٢٠١٤ اقتربت، ولا بدّ من أن تملك إيران بيدها أوراقاً جديدة قوية، وما تريده إيران هو أن تُسيطر على منطقة حلب التجارية؛ لأنها منطقة استراتيجية اقتصادية أكثر من دمشق؛ لذلك ركّزت منذ فترة على منطقتين:

الأولى: (الساحل) لتأمين الدولة العلوية إن وجد سيناريو التقسيم.
الثانية: على منطقة فعالة في سوريا فكانت حلب هي المنطقة القادمة.

ولتطبيق هذا السيناريو ركّز النظام في الأيام السابقة على ضرب ريف حلب بالبراميل لتحطيم معنويات المقاومة السورية هناك، في ذات الوقت يريد أن يتقدم ليسيّطر على تلك المناطق دون أن يخفف وجوده في جبهته في دمشق وريفها، إذاً هو لا يريد سحب قوات من حزب الله ولا قوات أبي الفضل العباس العراقية؛ لذا كانت هذه العملية في صحراء العراق الغربية (الأنبار) لتأمين دخول كم كبير من الجنود والمليشيات من الحدود السورية العراقية تحت غطاء العملية العسكرية ولكي تبدو التحركات العسكرية في الأقمار الأمريكية المراقبة للحدود العراقية السورية وكأنها عمليات لقوات عراقية تلاحق داعش في الصحراء وصولاً إلى الحدود، وهذا ما تمّ عملياً في الأيام الماضية وتمّ إدخال عدد كبير من الرجال الشيعة والإيرانيين والجنود العراقيين.

الانتخابات يزداد تشنجاً خوفاً من فقدان المنصب؛ لذلك هدد المالكي - أثناء كتابة هذا المقال - بحرق خيم المعتصمين إذا لم يغادروا ساحات الاعتصام، والحديث موجه لأهل الأنبار وسبب ذلك أنه يخشى الأنبار وسنتها أكثر من غيرها، رغم أن مناطق الأنبار مناطق عشائرية ورؤوس العشائر - في الغالب - قوم يلهثون وراء المناصب والمال والنساء، ولا يهمهم الوطن، لكن في العشائرية ميزة اجتماعية تحسب لها وهي العصبية والعصبية العشائرية؛ لذلك تفنن المالكي في طرق محاربتها؛ مرة بالوعود الكاذبة، ومرة بالتفريق بين شيوخ العشائر، ومرة بإيواء القاعدة، فاستطاع شراء ذمم الكثير منهم.

التحرش الطائفي:

تدعم إيران تكوين الميليشيات وعمليات التفجير من أجل اعتقال المزيد من السنة، وهي تخطط للسيطرة على كل من محافظتي بغداد وديالى وإفراغهما من السنة بمخطط مدروس، وتسعى لإقصاء السنة فتهينهم وتستفزهم بشتى ألوان الاستفزاز.

ولأنه لا حل لتحسين وضع أهل السنة في العملية السياسية ولا في الحراك فكأنما يقال لأهل السنة لا حل لكم إلا بالثورة والسلاح، وبما أن حركات المقاومة ما وجدت للاحتراب الطائفي وإنما لمقاومة المحتل، فهي قد ابتعدت وذهبت إلى رفض الصراع الطائفي، وهذا ما يحسب لها، ولكن سلوك الحكومة المستفز يدفع الناس إلى الفصل الجاهز لهذه المشاكل وهو القاعدة فكان حال أهل السنة كما قال الشاعر: «فما حيلة المضطر إلا ركوبها» وهو مركب دفعوا إليه قصداً، ليكون فخا ومقتلاً لهم وقد حصل شيء من ذلك.

يراد لمناطق السنة أن تنشط فيها القاعدة ليصح تبرير الحكومة للاعتقالات، بزعم أن مناطق السنة حاضنة القاعدة، وبحجة محاربة الإرهاب سيُصفى السنة، إنها خطة يراد لها أن تبقى، ولإلنصاف فقد مارس الأكراد في شمال العراق

أما الداخلون لسوريا فهم متطوعون من شيعية الخليج قَدِمُوا قبل أسابيع لزيارة كربلاء بمناسبة عاشوراء وغيرها من مناسبات الشيعة عبر مطار النجف بصحبة عوائل شيعية، مع قوات شيعية عراقية من الجيش والشرطة؛ ففي العراق تم تسجيل هروب أعداد كبيرة من الجيش والشرطة (بلغ عدد الهاربين أكثر من ٨٧ ألف جندي وشرطي) ولكن حقيقة هؤلاء أنهم في أداء الواجب في سوريا أو بانتظار دوره، وهؤلاء هم وقود المعارك في الشام بإشراف، قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، قاسم سليمانى، المتواجد حالياً في سوريا ليدبر العمليات هناك^(١).

السنة في العراق والقاعدة:

فضحت مأساة أهل السنة في العراق على يد القاعدة وتجربة المقاومة حقيقة فكر القاعدة ومفاسده، فالسنة هم أول من حاربه فكربا، وعلى أرض الواقع كذلك من خلال الصحوات، وخف بشكل كبير احتضان البيئة السنية لهم، لكن الذي أدى إلى رجوعهم في المناطق السنية هو الإقصاء الطائفي التي تمارسه الدولة على السنة متبعة عدة أساليب:

سياسة (فرق تسد):

مارست إيران بواسطة أتباعها (المالكي وغيره) تجاه السنة والنخب السنية سياسة التفريق، وهذا ليس تجنياً على المالكي بل طرحه تقرير مجموعة الأزمات الدولية الصادر في آب ٢٠١٣م بعنوان: «سنة العراق والدولة: فرصة كبرى أو خسارة فادحة»، فقد زرع المالكي صراعاً بين خصومه السنة حتى استمال بعضهم وترك البعض الآخر، مستخدماً النفوذ والمال، وهذا مارسه في أماكن متعددة وفي المنظمات السياسية والمدنية والدينية، وهو ناجح نوعاً ما في هذه السياسة، لكنه مع اقتراب موعد

(١) ولكى يمؤه على تواجد قاسم سليمانى بدأ مقتدى الصدر يصرح بأنه أقوى رجل في العراق، وصرح آخر بأن قاسم يشرف على تدريبات في مناطق إيرانية، والغاية من ذلك كله التموية على وجوده في سوريا.

بواسطة أجهزتهم الأمنية ذلك في محافظة نينوى فمكنوا القاعدة واستعملوها ، ضد العرب في نينوى وكذلك في كركوك ، وهكذا اضطر العرب في هاتين المحافظتين للاستعانة بالقاعدة ثم استعانوا بالحكومة المركزية (الشيوعية) ضد الأكراد.

الحركة النسوية المغربية على مفترق الطرق

فاطمة عبد الرؤوف(*) - خاص بالرائد

تقف المرأة المغربية اليوم على مفترق طرق بين

فكر الحداثة الغربي بفلسفته الفكرية المتكاملة التي تقوم على العلمانية في إدارة الحياة والليبرالية والحرية المطلقة في إدارة حياة الأفراد ، وبين منهج إسلامي حضاري يقوم على مرجعية الدين الخاتم حيث أحد أوجه إعجازه صلاحيته لكل زمان ومكان وتوازنه وتكامله ، فعلى الرغم من قوة الحركة الإسلامية المغربية بدليل اكتساحها للانتخابات إلا أنه ثمة مؤشرات متعددة لانتصارات جزئية للعلمانية هناك خاصة على صعيد قضايا المرأة والأسرة.

فمدونة الأسرة المغربية الصادرة عام ٢٠٠٤م

احتوت على عدد من المخالفات الشرعية المتوافقة مع الرؤية العلمانية واتفاقية سيداو ، ومن ذلك:

- منحت المرأة حق تزويج نفسها دون العودة للولي حيث نصت المادة ٢٥ من المدونة على أن: (للاشدة أن تعقد زواجها بنفسها أو تفوض ذلك لأبيها أو لأحد أقاربها).

- كما رفعت المدونة سن الزواج لثمانية عشرة سنة حيث نصت المادة ١٩ على أنه: (تكتمل أهلية الزواج بإتمام الفتى والفتاة المتمتعين بقواهما العقلية ثمانى عشرة سنة شمسية).

- كذلك وقفت المدونة موقفاً بالغ التشدد إزاء قضية تعدد الزوجات حيث لا يمكن للرجل أن يتزوج مرة ثانية إلا بعد الحصول على إذن من المحكمة ، وقد نصت المادة ٤١ من المدونة على أن

(*) كاتبة مصرية.

(لا تأذن المحكمة بالتعدد: إذا لم يثبت لها المبرر الموضوعي الاستثنائي. إذا لم تكن لطالبه الموارد الكافية لإعالة الأسرتين وضمان جميع الحقوق من نفقة وإسكان ومساواة في جميع أوجه الحياة).

- ومن القضايا اللافتة للانتباه موقف المدونة من الطلاق فقد جعلت الطلاق حقاً لكل من الزوجين فقد نصت المادة ٧٨ من المدونة على أن: (الطلاق حل ميثاق الزوجية يمارسه الزوج والزوجة كل بحسب شروطه تحت مراقبة القضاء وطبقاً لأحكام هذه المدونة).

- والطلاق لا يمكن أن يقع إلا بقرار من المحكمة فقد نصت المادة ٧٩ من المدونة على أنه (يجب على من يريد الطلاق أن يطلب الإذن من المحكمة)، فإذا ما قبلت المحكمة بالطلاق وكان الطالب هو الزوج وجب عليه أن يقوم خلال ثلاثين يوماً بإيداع جميع مستحقات الزوجة والأطفال في خزانة المحكمة دفعة واحدة وإلا اعتبر متراجعا عن طلبه الطلاق فقد نصت المادة ٨٢ من المدونة على أنه: (إذا تعذر الإصلاح بين الزوجين حددت المحكمة مبلغاً من المال يودعه الزوج بكتابة الضبط بالمحكمة داخل أجل أقصاه ثلاثون يوماً لأداء مستحقات الزوجة والأطفال)، أما المادة ٨٣ فقد نصت على أنه: (إذا لم يودع الزوج المبلغ المنصوص عليه في المادة ٨٣ أعلاه داخل الأجل المحدد له اعتبر متراجعا عن رغبته في الطلاق).

وعلى الرغم من أن جميع هذه المواد أدخلت على مدونة الأسرة المغربية بحيث تتماشى مع اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) يتم الادعاء في ديباجتها على احترام أحكام الإسلام حيث يرى واضعوها أنها (متطابقة مع أحكام الإسلام السمحة ومقاصده المثلى وأضعة حلولاً متوازنة ومنصفة وعملية تنم عن الاجتهاد المستنير المتفتح).

تشويه الاجتهاد

ولعله لا توجد كلمة شُوّهت أكثر من كلمة الاجتهاد ، التي أصبحت مرادفاً للتغيير والتبديل والتحريف وتتبع الآراء الشاذة والساقطة من أجل

التوافق مع المقررات الأممية التي هي المثل الأعلى بالنسبة لهؤلاء غير أن صاحبات التوجه النسوي وحلفاءهن من العلمانيين الاشتراكيين أو العلمانيين الليبراليين يطمحون في المزيد، ويريدون إسقاط حتى ورقة التوت ويبدلون جهودا وحركة دؤوبة من أجل تلك التيارات التي تجاهر بمرجعيتها اللادينية لتغيير معالم المغرب الحضارية، هذه التيارات العلمانية هي في حلف وائتلاف واحد مع أنصار الحركة النسوية في المغرب.

إنهم يجتمعون ويعلنون بصراحة مطلقة أن الفكر النسوي وما يتعلق به من تغيير لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة لا يمكن أن يتأتى إلا عن طريق العلمانية الشاملة واعتبار أن التيار الإسلامي هو العدو الذي ينبغي أن يحطموا مكتسباته وليس العادات والتقاليد الظالمة.

تقول نجاة الرازي: (من القضايا الأساسية، التي تمحورت حولها النقاشات السياسية النسائية، تلك المرتبطة بالعلاقة بين النسائية «Féminism» والديمقراطية والحداثة والعلمانية، والدفاع عن الحريات الفردية، فبرزت تساؤلات تتعلق بدور الحركة النسائية في التغيير الاجتماعي، وبالضمانات السياسية المتاحة اليوم، لتفعيل المساواة بين النساء والرجال، في ظل وصول التيارات الإسلامية إلى الحكم، وما يشكله ذلك من تهديد للمكتسبات الحقوقية، ومن تقييد للحريات الفردية)^(١).

إنهم يدعون صراحة لفصل الدين عن الحياة العامة حتى تكون الأرض ممهدة لغرس الأفكار النسوية فيها فتضيف الرازي: (هل تحمل الحركة النسائية اليوم، مطلب فصل الدين عن السياسة والتشريع، لتحسين المكتسبات، وانتزاع الحقوق وفق قيمة المساواة بين الجنسين، وهل يمكن للحركة النسائية، في ظرفية الصعود السياسي

والامتداد المجتمعي للتيارات المعادية للمساواة، أن تلعب دورا تنويريا في مواجهتها للتقليد والانغلاق، وهل تستند الحركة النسائية إلى قاعدة اجتماعية تدعم الاختيار الحداثي، أم أنها تعمل ضمن سياق اجتماعي محافظ يناهض مشروعها، وهل النخبة المثقفة العلمانية قادرة على المساهمة في تعبيد هذه الطريق مع الحركة النسائية، وما هي الأحزاب التي قد تتحالف حول مشروع مجتمعي علماني صريح، ووفق أي أجندة سياسية ممكنة؟).

في هذا المناخ أصبح المغرب بلا أي خطوط حمراء فأصبحت قضية كميرات المرأة التي هي من المعلوم من الدين بالضرورة محل جدل، بل إذا شئنا الدقة محل استنكار ورفض، (فقد تعهد إدريس لشكر، الأمين العام لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية المغربي المعارض بحماية حقوق النساء ومكتسباتهن السياسية والاجتماعية، وإلغاء جميع القوانين التمييزية ضدهن).

وطالب لشكر بفتح نقاش بشأن المساواة في الإرث، وهو المطلب الذي تتبناه المنظمات النسائية ذات التوجه اليساري. وقال لشكر: «بكل جرأة لا بد من فتح حوار جاد حول مطلب النساء بخصوص المساواة في الإرث» كما طالب بإلغاء جميع القوانين التمييزية ضد المرأة، مشيرا إلى أنه حان الوقت «لتجريم تعدد الزوجات بمنعه من مدونة (قانون) الأسرة، وتجريم تزويج القاصرات، وجميع أشكال العنف ضد النساء»^(٢).

قلو أخذنا قضية تعدد الزوجات كمثال سنجد أن كل التضيق الذي مارسته المدونة لا يكفيهم وكأن نشر الأسرار الخاصة في قاعات المحاكم لا يشبع تطلعاتهم للقضاء على كل آثار هذا التشريع فهم يريدونه زواجا كاثوليكيًا حتى يكون حقوقيا بامتياز، إنهم ببساطة يدعون لـ (تجميع النخبة النسائية والحداثية للتصدي لتهديدات الفكر الظلامي والنكوصي، ووضع استراتيجية

(٢) (قيادي حزبي مغربي يدعو إلى المساواة في الإرث وإلغاء القوانين التمييزية ضد النساء)، جريدة الشرق الأوسط ٢٢/١٢/٢٠١٣.

(١) نجاة الرازي، الحركة النسائية المغربية تبحث صيفا وحدوية تتصدي للفكر النكوصي.

أهداف ووسائل

النجاحات التي حققتها الحركة النسوية في المغرب فتحت شهيتها للمزيد من النجاحات والطموحات التي يرفعن من سقفها حتى الدرجة القصوى فهن يطالبن بـ :

❖ (رفع التحفظات على الفقرة ٢ من المادة ٩ وعلى المادة ١٦ من اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة «سيداو» وإعلان الانضمام إلى البروتوكول الاختياري الملحق بها خاصة حظر ومناهضة جميع أشكال التمييز المبني على النوع الاجتماعي، والمساواة بين الرجال والنساء في الحقوق المدنية، وتكريس المناصفة وإنشاء هيئة المناصفة ومجلس الأسرة والطفولة.

❖ اعتماد كوتا تمكن من الوصول إلى نتيجة الثلث على الأقل للنساء في جميع الوظائف والانتخابات المنتخبة انسجاماً مع الدستور ومع العتبة الضرورية المخصصة للنساء من قبل الأمم المتحدة.

❖ سحب المغرب لإعلاناته التفسيرية على المادة ٢ والفقرة ٤ من المادة ١٥ من اتفاقية سيداو والتي لم يعد لها أي مبرر بالنظر لمقتضيات الدستور^(٢).

وهذه الأهداف المعلنة والمدعومة سواء من الدولة أو من الجهات المانحة تترجم لوسائل كثيرة كالندوات والمقالات بل وحتى التعليم، فمنذ عام ٢٠٠٤، تركز الرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة نشاطها على التعليم.

وأطلقت مجموعة من النشاطات برنامجاً ينتقل فيه بواسطة قافلة في المناطق الريفية في المغرب لتقديم دورات محو أمية ونشر المدونة المعدلة واستثمار التطور الذي طرأ على بعض مقتضيات الدستور المغربي في ما يتعلق بالحقوق والحريات والمساواة بين الجنسين، لمنحه محتوى واقعيًا وتطبيقاً في صالح حقوق النساء كأفراد وكمواطنات.

فحتى برامج محو الأمية للنساء تعمل بمضامين نسوية حتى تصل الأفكار للقاعدة الشعبية من النساء اللاتي يتم تحريضهن من أجل هذا التغيير وبمنهجية تتناقض تماماً مع المقررات الدينية التي لا يشار إليها ولو حتى من باب الاجتهاد المشوه (يعتبر التغيير في موقع النساء في المجتمع، سواء بالتوافق أو بانتزاع هذا التغيير من الجهات الوصية، إنما يدل إن دل على شيء على تغير نظرة المجتمع. و بالتوازي مع هذا التغيير، فإن علاقات القوة التي بقيت لصالح الرجل الذي احتفظ بالسلطة على المرأة، سواء أكان ذلك إرادياً أو لا، سمحت بإثارة تشكيل الأدوار التي تؤطر فكرة إعادة تشكيل النظام المجتمعي في عمومها.

وفي هذا الصدد لا يمكن فصل ما هو عام عن ما هو خاص، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع على مستوى التأطير بدءاً من الميدان السياسي وصولاً إلى علاقات إعادة الإنتاج وحقوق تصرف المرأة في جسدها^(٣).

«حق تصرف المرأة في جسدها» هذا الذي يدندنون حوله فينفونه أحياناً ويؤلونه أخرى ويعلنونه في أحيان كثيرة فهل تعي ذلك المرأة المغربية في أن معركتها على مفترق الطرق؟

إهمال القضية السنّة العراقية لماذا؟ اعتقال النائب السني الدكتور أحمد العلواني نموذجاً

عبد الهادي علي^(٤) - خاص بالرائد

أُعتقل قبل أيام النائب الدكتور أحمد العلواني وقُتل شقيقه بعد مدهمة قوات (سوات) وعدد كبير من عناصر الجيش العراقي (الشيوعي) لمنزله، ومراً أكثر من يوم ولم نجد صدى لذلك العدوان باستتكار من صديق أو دولة خليجية أو

(٣) خنساء بكير، ترجمة يسين العمري، الحركة النسائية المغربية ما بين المطالب السياسية والنضال الحقوقي.
(❖) كاتب عراقي.

(١) نجاة الرازي، مصدر سابق.
(٢) نقلاً عن بيان الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب بمناسبة اليوم الوطني للمرأة.

الناس من حكوماته ومن شعبه، وفي العقود الأخيرة كان لحزب البعث العربي الاشتراكي (الذي حكم ٣٥ سنة) دور في ذلك؛ فالفكر القومي والبعثي فكري يصدر الثورة للمجاورين، ويستطيع البعثيون بنفط العراق شراء شخصيات كثيرة.

وجاءت حادثة دخول العراق الكويت لتثبت المخاوف، لذا تكالبت دول الخليج على إسقاط العراق ومساندة الأمريكان على ذلك، ولا أريد أن أسترسل لأبين خطأ هذا الفعل وأنه كان يمكن معالجة ذلك بطريقة أخرى؛ لأن الواقع يتكلم وكذلك الاعتراف والحسرات، حتى من الكويتيين الذين يملأ الندم نفوسهم على ما فعلوا، فقد حطموا مارد العراق ليخرج لهم المارد الشيعي من قمقمه، وليومنا هذا.

بعد احتلال العراق واتفاق الإيرانيين والشيعية مع الأمريكان على بيع العراق لهم، أصبحت إيران والعراق مع سوريا وحزب الله هلالا شيعيا يهدد المنطقة السنية بأسرها، وتعرض سنة العراق لما تعرضوا، من ذبح وتهجير وإقصاء، ولم يتحرك العرب إلا مصة الوشل، بل تأمر بعضهم برغبة ورهبة من الأمريكان في تثبيت الحكم للشيعية، ولم يستخدموا سنة العراق حتى لمصالحهم هم، ولم يتخذوا من رجال العراق ورقة يساومون بها أمريكا التي اتفقت مع إيران ضدهم، فضيقوا على المقاومة العراقية أولا، وأهملوا سنة العراق، بل فرضت السعودية على سنة العراق شخصيات هشة من أمثال (غازي عجيل الياور) شخصيات لا تاريخ لها ولا هم لها إلا النساء والمال.

وقد كان من المستغرب أن السعودية رشحت وزير الدفاع بالوكالة الحالي سعدون الدليمي (المتشيع أكثر من الشيعية)، وبلد آخر يرشح عبد الستار أبو ريشة (مهرب وقاطع طريق) للصحة ومن ثم أخاه أحمد أبو ريشة (نائب ضابط في الأمن العراقي السابق) بعد مقتل عبد الستار، وتركيا أيديولوجياً منحازة للإخوان (الحزب الإسلامي)، وغير ذلك من الشخصيات؛ وكأن العراق عقم أن يلد رجالا غير هؤلاء، فلا أدري هل تعرف هذه

عربية أو منظمة حقوقية، أما الدول الغربية فسكوت مطبق، وقبل ذلك بيومين أغتيل في لبنان وزير سني سابق هو محمد شطح، فعجّت وسائل الإعلام بالاستتكرات والاعتراضات، والعالم أجمع يعلم أن قاتل الوزير السني اللبناني هذا ومعتقل النائب السني العراقي وقاتل شقيقه جهة واحدة، وهي الأحزاب والحكومات الشيعية في المنطقة.

هذه الحادثة تطرح سؤالاً تردّد كثيراً في

أذهان العراقيين: لماذا تهمل القضية العراقية دائماً من قبل أشقائنا العرب والمسلمين، وهذا الإهمال لا يقتصر على الحكومات، بل يمتد إلى النخب الدينية والفكرية والإعلامية، فهل الناس على دين ملوكهم، أم أن هناك شيئاً آخر؟!

لا أستطيع الجواب بشكل كامل على هذا

السؤال وأمثاله لوحدي، فمن الصعب أن ينفرّد مثلي بالجواب عليها، ولكن بدايةً أشكر مجلة الرائد التي كانت خلافاً لما نتكلم، فقد وعت للقضية العراقية منذ أن صدرت المجلة، والعراق وقضاياها يأخذان حيزاً طيباً بين موضوعاتها.

لكن مساهمةً مني في الجواب على هذا

السؤال، أعتقد أن السبب يتعلق بجهتين: الدولة العراقية، وأهل السنة بالعراق أنفسهم.

أما من جهة الدولة:

فالعراق بلد تضرب الحضارة في أطنابه وأعماقه، وعاصمته بغداد عاصمة خلافة العباسيين، وهو بلد يعرف العدو قيمته أكثر من الصديق، وتكاد الدول العربية الأساسية هي مصر والعراق والشام وهي مرتكزات الحضارة الثلاثة، فالدول الصغيرة تخشى العراق سياسة، والعدو - على الأخص اليهود - يخشون العراق وأهله ديانة، وفي العراق خيرات يُطمع فيها، والعراق في بداية القرن العشرين نهض نهضة متميزة بين جيرانه؛ لذلك وضع التنافس بين الإخوة العرب، والخوف منه غداً واضحاً، وأمتنا تشبه دول الطوائف في الأندلس، أضف إلى ذلك أن صعوبة أهل العراق وقوتهم جعل الدول العربية تخشاه أكثر وأكثر، وساهم في ذلك تهويل المستعمر فهو يخوف

الدول مصالحها إذ لم تعرف مصلحة العراق؟

لقد كان وما زال في العراق رجال من كل الأصناف؛ مقاتلون، ومفكرون وكفاءات، تستطيع هذه الدول أن تتخذ منهم شجاء في حلق إيران وشيعتها، تخرج بها الاتفاق الأمريكي الإيراني وتفرض وضعا جديدا للمنطقة؛ لأن الدول الكبرى من جانب (روسيا وأمريكا)، والدول الكبرى بالإقليم (تركيا وإيران) تقسم الكعكة في المنطقة ولا تحسب لدولنا أي حساب.

واليوم وبعد أن دخلت الثورة السورية عامها الثالث وأحدثت تغييرا في المنطقة وفي الحسابات الغربية، نتساءل: لماذا لا تفتح دولنا العربية وتركيا جبهة العراق لتخرج إيران وأمريكا وروسيا، وأقصد بفتح الجبهة هنا، إثارة مظلومية سنة العراق العرب في المحافل الدولية، وتستخدم مفكرين وعقول العراقيين لصالح أمنها القومي؟ سؤال ينتظر الجواب.

أما من جهة أهل السنة بالعراق: فلا شك أنهم قصروا في التعريف بقضيتهم، وإخوانهم من أهل فلسطين وأهل سوريا بعد الثورة لم يكونوا مثلهم ونجحوا في التعريف بقضيتهم بشكل جيد، وهناك خمول إعلامي واضح وتضييع وتأخر، وهم يعتبون على غيرهم ولا يقدمون هم لأنفسهم شيئا؛ وأضرب لذلك أمثلة:

أين هي مراكز حقوق الإنسان التي تقدم شكاوى على الحكومة العراقية الشيعية؟ كم هو عدد الكتب التي كتبها العراقيون ونخبهم لبيان قضيتهم؟ أين دعم أثرياء سنة العراق للقضية ولماذا ترتهن النخب العراقية لأموال دول الخليج وغيرها!!

لقد ساهم نخب السنة في تضييع قضيتهم؛ بخلافاتهم السياسية كخلافهم حول مشروع الإقليم السني قبولا ورفضاً، والتي وصلت لحد التخوين والتصادم مع بعضهم البعض، وأيضا كانت محاولات البعض لنصرة القضية السننية العراقية عبر طرح إعلامي مستفز ومليء بالشتائم غير المقبولة إعلاميا، مع التأخر في الطرح والتحريك بعد الأحداث وليس قبلها، هو نوع آخر من تضييع القضية السننية العراقية.

الخلاصة: إن الدول العربية كانت تخشى

العراق بسبب تحركات حزب البعث وتآمره على دولهم، فكانت غالبا سلبية تجاه العراق.

أما اليوم وقد سقط حزب البعث، أصبح أكبر عنوان يمثل السنة العراقيين هم جماعة الإخوان المسلمين، وبسبب العلاقات غير الجيدة بين الإخوان وسائر الأنظمة العربية تضررت القضية السننية العراقية ولم تحظَ باهتمام دول الجوار.

لا نريد اليوم أن نقيم صحة هذه المواقف لأن الوقت لا يتسع لذلك، ولأن العلاقة بين الإخوان والأنظمة العربية أصبحت أكثر تنمنا بسبب الثورات العربية والانقلاب في مصر، وبسبب علاقات الإخوان مع إيران والشيعية (بعد الانقلاب في مصر).

وبذلك أصبحت القضية السننية العراقية ضحية تقصير الجمهور السني العراقي، وضحية الإرث التاريخي لحزب البعث، وضحية علاقات الإخوان المسلمين السيئة بالدول العربية، والجيدة بإيران والشيعية، عدوة سنة العراق!!

المطلوب من سنة العراق أن يكثروا من التعريف بقضيتهم ولا يكثروا من لوم الدول وإن قصرت أو تقاعست أو تأمرت؛ لأن مصيرنا جميعا واحد، وإذا بعثنا بريدا فلنبعثه حسن الوجه وممن يرضونه هم، ولا وقت للتلاوم وفتح الحسابات القديمة، فالعدو الإيراني والشيوعي لن يرحم أحدا، لا سنة العراق ولا سنة الخليج ولا الأتراك.

إن سلوك العرب يوحي بأنهم ينتظرون من الذي باع العراق أن يفتح ملفه من جديد، وهذا ك (عشم إبليس في الجنة)، فالحقوق لا تستجدي من عدو وإنما تؤخذ الدنيا غالبا، ولا ننس حادثة البحرين وكيف بتحريك بسيط من السعودية أوقفت المؤامرة الأمريكية مع إيران ضد البحرين.

وكلمة أخيرة لأهل العراق أقول: لا تيأسوا من إخوتكم العرب السنة وتفننوا في عرض قضيتكم لهم واسلكوا كل السبل لذلك، وليس في طلب الأخ من أخيه ذلة فنحن أذلة مع بعضنا البعض، وفي مركب واحد، وقديما قال الشاعر:

أَخْلَقَ بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

التوتر والظلم الواقع على الشيعة وبقية (الأقليات) بالملكة العربية السعودية من قبل الوهابية / نجد!!

وقد بدأ الكتاب وانتهى بهذه القضية، عبر تقديم المؤلفين رؤية تحليلية لواقع المملكة تستند على نظرة عبدالله العروي حول هوية الدولة، والتي تقوم على تاريخ مشترك ومصحة مشتركة، ومن هنا يبدأ المؤلفان بناء رؤيتهما وهي أن (المذهبية الوهابية) لا تشكل تاريخاً مشتركاً ولا مصلحة مشتركة لمكونات المملكة، والحل عندهما هو اعتماد العروبة كرابطة ثقافية لمكونات المجتمع السعودي، لبناء دولة المواطنة، في إزاحة واضحة للإسلام كهوية مشتركة لأبناء المملكة! وقد يكون هذا لفتح المجال لغير المسلمين في الدخول تحت رابطة العروبة!!

طبعاً في هذا كله يجعل المؤلفان أن الدولة والعلماء (الوهابيين كليهما) هما المسؤولان عن التوتر

الطائفي، وأن تصرفات الشيعة الطائفية هي ردة فعل، زاد من حدتها الثورة الخمينية وانتصار شيعة العراق بعد الاحتلال الأمريكي له!!

القضية الثانية: وهي التي تعطي الكتاب

الحراك الشيعي في السعودية تسييس المذهب ومذهبة السياسة

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالرائد

صدر هذا الكتاب سنة ٢٠١٣ عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر، وهو من تأليف بدر

الإبراهيم ومحمد الصادق، وهما من الشباب الشيعي المثقف ذوي الخلفية العلمانية الليبرالية، وقد أحدث الكتاب ضجة في الأوساط الثقافية السعودية الشيعية والسنية على حد سواء، ويقال إنه بيع منه ٥٠٠٠ نسخة في معرض الرياض لسنة ٢٠١٣.

الكتاب يقع في ٣١١ صفحة من القطع الكبير، وقد تناول قضيتين:

الأولى: الترويج للحل العلماني (المواطنة) لإنهاء



(*) كاتب أردني.

أهميته ومكانته، من خلال استعراض التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي لشعبة القطيف بين سنتي (١٩٧٩ - ٢٠١١م).

ومن المآخذ على الكتاب أن عنوانه يحمل اسماً عاماً (شعبة السعودية) لكن مضمونه اقتصر على شعبة القطيف بشكل مكثف، وأيضاً اعتمد المؤلفان على الشهادات الحية لكثير من الفاعلين دون التصريح بأسماء بعضهم، فأعطى ذلك قيمة للكتاب من ناحية، وفتح الباب للطعن فيه من ناحية أخرى.

لكن الكتاب يقدم خريطة واضحة لأول مرة لتنوعات وتباينات وتحولات القوى الشيعية في القطيف في تلك المرحلة، وهو ما يحتاج إلى مزيد من الدراسات والأبحاث حتى تظهر الصورة الكاملة من خلال فحص عدة رؤى لتلك الأحداث فيثبت الصحيح منها بالأدلة ويسقط الزائف منها والقائم على الدعاية وترويج الأكاذيب وتصفية الحسابات بين الفرقاء.

يقسم المؤلفان شعبة القطيف إلى:

- تيار تقليدي مرتبط بالنجف، ويقتصر على المسار الفقهي ويرفض العمل السياسي، ويسميه تيار الخوئي، لكونه المرجع الأعلى في تلك المرحلة وأكثر المراجع تقليداً في منطقة القطيف والإحساء، وهؤلاء يميلون لعدم التصادم مع الدولة.
- وتيار الشيرازيين، ويقدم الكتاب معلومات مهمة عن نشأة هذا التيار وتطوراتهِ وتحولاتهِ، فالسيد محمد الشيرازي كان من مؤسسي فكرة حزب الدعوة العراقي، لكنه رفض اسم (حزب) لأنه اسم غربي، وكان يؤمن بولاية الفقيه قبل الخميني، وقام طلابه بزعامة ابن أخته محمد تقي المدرسي وأخيه هادي المدرسي بإنشاء تنظيم سياسي باسم (حركة الطلائع الرساليين) عام

١٩٦٨، ولما انتقل الشيرازي للكويت عام ١٩٧٠، شملت مظلته مجموعة من الدعاة التقليديين بقيادة أخويه حسن وصادق، وضمت أشخاصاً من عائلتي الفالي والقزويني ركزت على التبشير الشيعي، والمجموعة الحركية (الرساليين).

دخل تيار الشيرازي للسعودية من خلال بعض الطلبة السعوديين الذين درسوا في حسينية الرسول الأعظم بالكويت التي أسسها الشيرازي، مثل: توفيق السيف، وحسن الصفار، وأصبح لهم نشاط ملموس بالقطيف مما جعلهم يصطدمون بالتيار التقليدي، ثم تم إرسال الصفار للتبليغ بعمّان، كما أرسل توفيق السيف للبنان للتدريب على السلاح في معسكرات حركة فتح.

بعد نجاح الثورة في إيران، تحمس الشيرازيون كثيراً لها، خاصة أن الشيرازي كان على علاقة قوية بالخميني، وكان يظن نفسه شريكا للخميني في الثورة، ولذلك ذهبت قيادة الرساليين ل طهران وأصبح لها معسكر خاص بها تستقبل فيه الشباب الخليجي التابع لها.

قام الصفار بالإشادة بالثورة الخمينية في مجالس عاشوراء بشكل تحريضي على الدولة، ما أدى إلى صدامات مع الشرطة، فغادر الصفار إلى إيران هرباً من الاعتقال، وهناك طلبت منه الحركة تأسيس منظمة الثورة الإسلامية بالجزيرة العربية.

بقي الصفار والمنظمة يقودان المعارضة ضد المملكة حتى عام ١٩٨٦، حيث تم عزل منتظري الداعم لهما، وصعود خامنئي / رفسنجاني، اللذين قلصا نشاط الحركة، وجاء تورط الحركة بفضح صفقة إيران غيت ليسرع من إجبارها على الرحيل من طهران، وكان تفرد الخميني بالقرار وإهمال الشيرازي الدافع له ليطور نظرية ولاية الفقيه إلى

في سنة ٢٠٠٨ تفجر الخلاف المكبوت بين

الصفار وبين معارضة لندن (فؤاد الإبراهيم وحمزة الحسن) وطالبوا بالانفصال، وهو المطلب الذي وافقهم عليه نمر النمر ودعا إليه.

- التيار الثالث هو تيار حزب الله الحجاز، وهو يتبع فكراً لتجمع للعلماء الشيعة المقلدين للخميني مثل حسين الراضي وهاشم الشخص وعبدالكريم الحبيب، وأطلق عليه (خط الإمام)، وأصبح لهم نشاط سياسي يزاحم التيارين التقليدي والشيروازي من عام ١٩٨٩، ولم ينخرط هؤلاء مباشرة في العمل العسكري.

أما الجناح العسكري فقد تكون بعد فشل

اضطرابات حج عام ١٩٨٧م، فأراد الحرس الثوري الانتقام، فعرض على منظمة الثورة (الشيروازية) تسليحها لهذه الغاية، لكنهم كانوا قد نبذوا العمل الثوري، فلجأ الحرس الثوري لبعض المنشقين عن منظمة الثورة والرافضين للمسار السياسي الجديد، فنفذوا بعض العمليات الصغيرة ثم كانت عملياته الكبيرة والوحيدة تقريباً تفجير الخبر سنة ١٩٩٦، بقيادة أحمد المغسل، والتي تفكك الحزب بعدها.

هذه أبرز ملامح الخريطة الشيعية بحسب

الكتاب الذي في دفتيه الكثير من التفاصيل والمعلومات المهمة للباحثين عن الحراك الشيعي بالقطيف.

بعد الهجرة القسرية عن إيران حدثت

مراجعات في التيار الشيروازي السعودي،

فانفصلت عن حركة الطلائع الرساليين، وتحولت عن العمل الثوري إلى العمل السياسي في لندن وتغير اسمها للحركة الإصلاحية، بقيادة توفيق السيف بدلاً من الصفار صاحب النزعة الفردية.

نشطت الحركة في الجانب الإعلامي

والحقوقي، مما أضر بالملكة، وجاء احتلال

الكويت وبروز معارضة سنية ضد الاستعانة بالقوات الدولية، لتسرع من إنضاج الحوار بين الشيعة والدولة ويصل للعضو الملكي سنة ١٩٩٣، والعودة للوطن. اندمج الصفار وتوفيق السيف في المصالحة وأصبح هذا خيارهما، وخاضا سلسلة طويلة من الحوارات واللقاءات الرسمية والشعبية والدينية، لكن فؤاد الإبراهيم وحمزة الحسن سرعان ما عادا للندن وواصلوا المعارضة بسقف أقل من السابق.

بعد وفاة المرجع الشيروازي، طرح محمد تقى

المدرسي وصادق الشيروازي نفسيهما مرجعين، لكن الصفار أعلن تقليده للسيستاني، وبذلك قطع الصفار علاقته الدينية بالشيروازيين كما سبق أن قطع العلاقة السياسية بالانسحاب من حركة الرساليين، وتبعه غالب التيار. ومَن بقي من الشيروازيين انقسموا بين تقليد المدرسي وصادق، وبهذا أصبح ثقل الشيروازيين محصوراً في الكويت.

والذين قلدوا صادق الشيروازي بقوا في الخط

التبشيري والغلو المذهبي، والذين قلدوا المدرسي

أصبحوا يمثلون الخط الرافض للحوار والمصالحة مثل نمر النمر ومحمد حسن الحبيب، الذين يتبنون الضغط على الدولة من خلال تهيج الشارع ضدها.

والفضل ما شهدت به الأعداء

قالوا: الكاتب الصحافي أحمد طاشغيتيران يشير في مقاله الأخير الذي ودّع به قراء صحيفة «بوغون» التابعة لجماعة كولن، إلى أنه لا يرى القضايا الأخيرة مجرد قضايا فساد بل يعتقد أنها امتداد لمعركة أخرى، في إشارة إلى الصراع على السلطة. وأما الكاتبة الليبرالية غولاي غوكتورك فتلفت إلى البعد السياسي للقضايا وأن العملية تم التخطيط لها بعناية من حيث التوقيت والأهداف، وتشدد على ضرورة تصفية المنظمة التي تغلغت في المؤسسات الحكومية وأجهزة الدولة كدولة داخل الدولة، وتصفها بـ «الخطر الذي يهدد الجميع»، وتشير إلى أنه لا يرى أحد نفسه في الأمان قبل تصفية تلك المنظمة.

الكاتبان نديم شينير وأحمد شيك، هما صحافيان معارضان للحكومة التركية، وتم اعتقالهما في قضية أرغينيكون، وأطلق سراحهما في ربيع ٢٠١٢. وكانت الحكومة التركية تعرضت لانتقادات واسعة آنذاك واتُهمت بالتضييق على حرية الرأي والصحافة، إلا أن الكاتبين الصحافيين يتهمان الآن جماعة كولن بالوقوف وراء اعتقالهما وليست حكومة أردوغان، بسبب كتاباتهما لكشف التنظيم السري للجماعة في أجهزة الشرطة.

إسماعيل باشا،

العرب القطرية ٢٠١٣/١٢/٢١

من يفهم؟

قالوا: لكي يكون تقارب وانفراج، حوار وتطبيع، بين دول الخليج وإيران، لا بد للجانب العربي من أن يعرف

أولاً مع أي إيران يتعامل. فإيران «الجديدة» لم تتضح معالمها بعد، أما التي اختُبرت طوال الخمسة والثلاثين عاماً الماضية فتثير الشكوك والمخاوف بهيائها المنهجي، المنفلت أحياناً كثيرة، خصوصاً في ممارسات ميليشياتها في لبنان والعراق.

- عبد الوهاب بدرخان -

الحياة ٢٠١٣/١٢/١٢

هل كسبت السعودية فعلاً؟

قالوا: هناك من يظن، ويقول، إن السعودية خسرت إقليمياً، وباتت في أسوأ حالاتها. طبعاً هذه وجهة نظر. ولي وجهة نظر أخرى ترى الواقع بصورته الأشمل، لا معركة القلمون السورية، أو مناورات إيران التفاوضية مع الأميركيين. رأيي أن حصاد السنوات الثلاث الماضية جاء بنتائج أكبر مما كان يرجوه السعوديون. ونحن نتحدث عن اليوم، كما هو عليه، أما المستقبل فالله به عليم، لأننا نسكن منطقة رمال متحركة....

اليوم، الصورة مختلفة.. إيران وصلت إلى حد التخلي عن سلاحها النووي، والقبول بالتفاوض مع الأميركيين نتيجة محاصرة صادراتها البترولية ومبادلاتها التجارية، وقد عبر عن الحالة الإيرانية البائسة هاشمي رفسنجاني قائلاً: «لقد بلغت إيران حد الاستسلام أو الهزيمة».

خذوا حزب الله، الذي كان تنظيمًا حديدياً لا يُقهر، وكان بطلاً لا يجوز حتى انتقاده، وأمينه العام الذي انتشرت صورته في البقالات وعلى زجاج سيارات الأجرة في الدول السنية، لا الشيعة فقط.. اليوم، أصبح الحزب عدواً مكروهاً من غالبية العرب، نتيجة مساندته للأسد، ومشاركة ميليشياته حمام الدم ضد الشعب السوري. أما النظام السوري، الذي عجز المجتمع الدولي

كفاعل! فيما تتكفل «القاعدة» بملء الفراغ وتقديم مشروعاتها السنوية، الذي نختلف معه بالضرورة.

د. محمد أبو رمان

– الغد الأردنية ٢٠١٣/١٢/١٣

جريدة حساب

قالوا: لا شك في أن الإسلاميين كسبوا من «السياسة» وخسروا من الانفراد بـ «السلطة».. وهي قسمة مرضية نسبيا، وربما تخفف من مرارة التجربة، صحيح أن الإسلاميين لم ينصتوا جيدا، للنصائح التي أوصت بالتخلي لسنوات، عن طلب الحكم، لأسباب تتعلق بثقل التركة، التي خلفتها الأنظمة القومية القمعية التي تأسست عقب الاستقلال في خمسينيات وستينيات القرن الماضي «العشرين»، وأزعم أن الاستقواء بـ «العدد» وليس بـ «العقل» والمقاربات السياسية الرصينة والحكيمة، ربما ورط الإسلاميين في واحدة من أخطر «المحن» التي مروا بها، وربما علقت إلى أجل غير مسمى، على الأقل، صوغ رأي عام من خارج الحالة الإسلامية، يتعاطف مع «المشروع الإسلامي» ورسالة الإسلاميين إلى العالم....

غير أن ثمة مكاسب حصدها الإسلاميون بلا شك، على رأسها انتظامهم في تجليات الحداثة السياسية، وتراجع إلى حد كبير وبشكل غير مسبوق «فقه العزلة» – إذا جاز التعبير – وقبولهم بالتحول إلى أحزاب سياسية، والمشاركة في الانتخابات البرلمانية والرئاسية وما شابه، وهي خبرة جديدة، تلقي وراء ظهرها مرحلة التشرنق داخل «الخبرات الأمنية» ورؤية العالم بشكل مختلف، جعل الإسلاميين جزءا منه، بعد أن أمضوا عقودا طويلة خارجه.

محمود سلطان

المصريون ٢٠١٤/١/١

عن وقف جرائمه في العقد الماضي، فعملية تهوى، اليوم هو جنازة تنتظر الدفن. قد لا تولد بدائل جيدة للقذافي والأسد، إنما صارت أعتى الأنظمة وأشرسها من الماضي. وبضعف إيران، والأسد، وحزب الله، ضعف حلفاؤهم، مثل حركتي «حماس» و«الجهاد».

اليمن، هو الآخر، جاء إسقاط رئيسه علي عبد الله صالح خبرا مريحا للسعودية. لم يكن عدوا بل كان شوكة في خاصرتها. فقد ظل يتكسب من الخصوم، ويقوم بدور الأجير لكل من اختلف مع الرياض.. صدام العراق، والقذافي، والدوحة، وطهران، بل وحتى «القاعدة» التي تساهل معها ضد السعودية، لولا العصا الأميركية التي رُفعت ضده.

عبدالرحمن الراشد

– الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٢/٢١

من يخذع من؟

قالوا: خلال زيارته للفاتيكان، التقطت صورة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى جانب البابا فرنسيس، منحيا يقبل أيقونة العذراء مريم. مشهد يستحق التوقف: أيهما بوتين الحقيقي؟ ضابط الـ «كي جي بي» الشيوعي في برلين الشرقية أم الرجل الذي ينحني مقبلا الأيقونة؟ إلحادي ما قبل سقوط السوفييات أم أرثوذكسي ما بعد سقوطهم؟

سمير عطا

الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٢/٩

حين نكون كرجل طاولة!

قالوا: إذا تجاوزنا المربعات الصغيرة ونظرنا إلى القوى الإقليمية وأجنداتها وحالة المنطقة اليوم، فسندرج أننا أمام مشروع إيراني قومي توسعي، وآخر إسرائيلي، وثالث تركي، وكتل سنية، بالمعنى الاجتماعي الديمغرافي السياسي، في كل من سورية والعراق ولبنان، تفتقد إلى المعنى والحماية والمجال الاستراتيجي، بينما القوى السنية العربية في حالة من التخبیط والغيوبية. وإلى حين قيام رؤية عربية عقلانية واقعية، تمكنا من الجلوس إلى الطاولة، فإننا سنبقى على الطاولة، كموضوع، لا

قضية اللقاءات مع قادة حزب العمال الكردستاني، أدى لأزمة مفاجئة بين حزب العدالة والتنمية وجماعة كولن، حيث رأى رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أن هذه الخطوة تستهدفه مباشرة، وقامت الحكومة بتمرير قانون من البرلمان يشترط موافقة رئيس الوزراء قبل استدعاء رجال الاستخبارات.

العلاقات بين الحزب الحاكم في تركيا وجماعة كولن لم تعد بعد تلك الأزمة كما كانت قبلها، حيث صعد الكُتَّاب المنتمون إلى الجماعة لهجتهم في انتقاد الحكومة، متهمين أردوغان بـ«السلطوية» و«الدكتاتورية».

ومع إعلان الحكومة قبل أسابيع خطتها لإغلاق مراكز الدروس الخاصة، ارتفع مستوى التوتر بين الحكومة والجماعة وتفاقت الأزمة، واندلعت حرب إعلامية غير مسبقة.

مآخذ الجماعة على الحكومة

جماعة فتح الله كولن هي إحدى الجماعات النورية التي تتبع مدرسة العالم الشهير سعيد النورسي الملقب بـ«بديع الزمان»، ويطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى زعيمها المقيم في ولاية بنسلفانيا الأميركية، وتتمتع بنفوذ واسع داخل تركيا وخارجها، وتشتهر بأنشطتها التعليمية والثقافية ومدارسها المنتشرة في جميع أنحاء العالم. وتسمى أيضا «حركة كولن» أو «حركة الخدمة» كما تحب الجماعة أن تطلق على نفسها.

الأزمة الأخيرة بين الحكومة والجماعة قد تبدو في الوهلة الأولى متعلقة بمصير مراكز الدروس الخاصة، التي تقوم بتهيئة الطلاب للاختبارات العامة لقبول

تركيا.. صراع بين الحكومة والجماعة

إسماعيل باشا - الجزيرة نت ٢٠١٣/١٢/٢١

ظل حزب العدالة والتنمية برئاسة رجب طيب أردوغان منذ تأسيسه واستلامه للسلطة بعد أول انتخابات خاضها في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٢، متحالفا مع القوى الليبرالية وجماعة فتح الله كولن ذات النفوذ الواسع.

وهذا التحالف حارب خلال عشر سنوات تسلط القوى العلمانية المتشددة، وشبكة أرغينيكون الإجرامية المعروفة بـ«الدولة العميقة»، وسعى لتعزيز الديمقراطية والحريات، ولكنه انهار بعد تراجع نفوذ العسكر ومحكمة الانقلابيين، وزوال «العدو المشترك» الذي كان يجمع هذه الأطراف الثلاثة.

أول تصدع لافلت في التحالف المذكور كان انشقاق بعض الليبراليين وانضمامهم إلى صفوف المعارضين للحكومة، بعد اتهامها بـ«التلصق» في إنجاز الإصلاحات المطلوبة، ومساعي الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

بيد أن الحكومة دافعت عن نفسها قائلة، إن هؤلاء الليبراليين يريدون الوصاية على الحكومة وتوجيهها وفقا لأرائهم، ولو كانت تلك الآراء تتعارض مع توجهات القاعدة الشعبية المحافظة للحزب الحاكم.

استدعاء المدعي العام التركي صدر الدين صاريقيا،

في فبراير/ شباط ٢٠١٢، رئيس الاستخبارات هاكان فيدان، لإدلاء بأقواله بصفته مشتبه به في

الجامعات، إلا أنها أعمق من ذلك بكثير، ولها أبعاد أخرى تتعلق بالآراء السياسية والخلفيات الفكرية ودور الجماعات وعلاقاتها مع الأحزاب. ويلاحظ هذا بوضوح في مجمل الانتقادات والانتهاكات التي يوجهها كل طرف ضد الآخر.

وإذا أردنا أن نذكر أبرز مآخذ الجماعة على حكومة أردوغان يمكن أن نلخصها في النقاط التالية: أولاً: حكومة أردوغان انحرفت في السنوات الأخيرة عن مسار الإصلاح وتعزيز الديمقراطية ولم تنجح في صياغة دستور جديد للبلاد، واتجهت نحو الشرق الأوسط وتراجعت مساعي الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

ثانياً: خلق المشاكل مع إسرائيل يبعد تركيا عن المعسكر الغربي ويقربها من إيران وروسيا والشرق الأوسط، ويجب على الحكومة التركية الابتعاد عن إثارة المشاكل مع تل أبيب في الوقت الراهن، لأنها ليست في صالح تركيا ولا داعي لها.

ثالثاً: أردوغان الذي انشق عن تيار أربكان وأعلن تخليه عن «شعاراته الفارغة» قائلاً، إنه «خلع ذلك القميص»، كأنه لبس مجدداً القميص نفسه وابتعد عن الواقعية في السياسة الخارجية، وتبنى أسلوب المغامرة في سوريا ومصر، ما أدى إلى التخبیط وخسارة تركيا حلفاءها.

رابعاً: جماعة كولن تؤيد سياسة الانفتاح على الأكراد وتدعم المصالحة، ولكن لديها بعض التحفظات حول تعاطي حكومة أردوغان مع هذا الملف، وترى أنها تقدم تنازلات لحزب العمال الكردستاني، الذي يستغل أجواء المصالحة لتكثيف دعايته، وإعادة انتشار عناصره دون أن ينسحب من الأراضي التركية أو يلقي السلاح.

خامساً: موقف حكومة أردوغان من إيران يتسم بالعاطفية وحسن الظن المبالغ فيه، وليس المطلوب من الحكومة معاداة إيران، ولكنه يجب الحذر من سياسة طهران الطائفية وأهدافها التوسعية، وكذلك من محاولات الاختراق.

وهناك كثير من المواليين لإيران ومدرسة الخميني الفكرية في حزب العدالة والتنمية وحول أردوغان، ما

يلقي بظلاله على توجهات الحكومة.

سادساً: حكومة أردوغان تستهدف الجماعة وتحاول التضيق عليها، من خلال إبعاد المنتمين إليها عن المناصب الهامة، وإغلاق مراكز الدروس الخاصة التي تعد من أبرز أنشطة الجماعة التعليمية والاقتصادية.

وأما اتهام الجماعة بمحاولة السيطرة على مفاصل الدولة، فهو اتهام باطل لا أصل له، ومن الطبيعي تعيين أعضاء الجماعة المؤهلين في مناصب حكومية مرموقة ليعملوا بلادهم.

سابعاً: جماعة كولن تقف سداً منيعاً أمام انتشار التوجهات الانفصالية والاختراق الإيراني، خاصة في المناطق ذات الأغلبية الكردية، ولصالح من يتم استهدافها؟

رد الحكومة على الاتهامات

وفي المقابل، ترفض الأوساط الحكومية والمقربة منها هذه الانتقادات والاتهامات التي توجهها جماعة كولن إلى حكومة أردوغان، وترد عليها بما يلي:-

أولاً: جماعة كولن تريد المشاركة في الحكم دون أن تتحمل مسؤوليتها السياسية، ولا يمكن للحكومة تسليم الحكم الذي منحه لها الشعب التركي عبر صناديق الاقتراع أو جزء منه، إلى جماعة لم تخض الانتخابات، لأنه يعتبر وصاية على الإرادة الشعبية.

وليس بوسع الحكومة أن تتخلى عن الأمانة التي حملها الشعب، وأن تسلم إلى الجماعة جميع المناصب التي تطلبها، مثل رئاسة الاستخبارات وغيرها من المناصب الحساسة.

ومن غير المقبول في النظام الديمقراطي أن تكون هناك دولة داخل الدولة، وإن كانت الجماعة تسعى إلى حكم البلاد، فعليها تأسيس حزب سياسي لتخوض به الانتخابات، وتطلب من الشعب أن يمكنها من تشكيل الحكومة وحدها، أو المشاركة فيها.

ثانياً: الجماعة عاشت أفضل أيامها خلال السنوات العشر الأخيرة في عهد حكومات حزب العدالة والتنمية، وكانت القوى العلمانية تسعى لتصنيف جماعة كولن كمنظمة إرهابية، ولكن حكومة أردوغان حالت دون

ذلك بتغيير قانون مكافحة الإرهاب.

وبالتالي، اتهام الحكومة بالتضييق على الجماعة لا أصل له، بل أردوغان نفسه تدخل لمنع إغلاق مدارس الجماعة في روسيا، محذرا بوتين من أن خطوة من هذا القبيل قد تفسد العلاقات التجارية بين البلدين.

ثالثا: قرار إغلاق مراكز التعليم الخاصة لا يستهدف الجماعة، بل هو جزء من برنامج متكامل يرمي إلى إصلاح نظام التعليم الحالي، الذي يحمل الطلاب أعباء إضافية ويثقل كاهل الأسر.

وكان الأستاذ فتح الله كولن قد اقترح على الانقلابيين أيام التدخل العسكري في ١٩٩٧ أن يسلم إليهم مدارس الجماعة ومراكزها، فلماذا الجماعة الآن تدافع عنها بشراسة وكأنها مسألة حياة أو موت؟

رابعا: منهج الجماعة عدم الخروج على «ولي الأمر» و«السلطة»، وعندما عارض الأستاذ فتح الله كولن انطلاق أسطول الحرية لكسر حصار غزة، قال: «كان عليهم أن ينسحبوا أولا مع السلطة»، في إشارة إلى الحكومة الإسرائيلية.

واعتبر كولن قرارات مجلس الأمن القومي في ٢٨ فبراير/ شباط ١٩٩٧، اجتهدا للمجلس «إن أصاب فيه فله أجران وإن أخطأ فله أجر»، فلماذا الآن اختار منهج الخروج على الحكومة؟

خامسا: مبادرة الحل النهائي للمشكلة الكردية بالغة الأهمية لحاضر تركيا ومستقبلها، وربما الجماعة تشعر بأنها أصبحت خارج المعادلة أو تفضل الحلول العسكرية والأمنية على الحلول السياسية والتفاوضية، ولكن ليس من الوطنية استهداف المبادرة وخطواتها، بالرغم من تصريحات كولن المؤيدة للمصالحة.

سادسا: الأحزاب السياسية أكثر شفافية وديمقراطية من الجماعات الدينية التي تقدس زعماءها وتطيعهم طاعة عمياء، وليس من العدل والإنصاف اتهام رئيس حكومة منتخبة بـ«الدكتاتورية» و«السلطوية».

وكثاب الجماعة يتهمون الحكومة بالضغط على وسائل الإعلام، ولكننا نجد حتى في وسائل الإعلام المقربة من الحكومة من ينتقد سياساتها، بخلاف وسائل الإعلام التابعة للجماعة التي لا يمكن أن تنشر أي خبر أو

مقال ينتقد أنشطة الجماعة أو زعيمها.

سابعا: اتهام الحكومة بمحاباة إيران لا أساس له، والتباين في موقفى البلدين من الثورة السورية خير دليل على ذلك، ولكن في المقابل هناك علامات استفهام كثيرة حول علاقة الجماعة مع الولايات المتحدة، فلماذا يقيم زعيم الجماعة فتح الله كولن في ولاية بنسلفانيا الأميركية ولا يعود إلى أرض الوطن؟

تداعيات الصراع

وسط انتقادات واتهامات متبادلة، يجب أن لا ننسى أن لب المشكلة هو الخلل في العلاقات بين الجماعات والحكومات، وحاجة الأحزاب السياسية إلى تأييد الجماعات، وغير ذلك من العناوين المتعلقة بدور الجماعات في الحياة السياسية وحدوده، لأن الاختلافات الأخرى غالبا ما تدور حوله.

وبدون مناقشة هذا الموضوع والاتفاق على أرضية مشتركة يلتزم الجميع بحدوده، فلن تنتهي الصراعات بين الجماعات والحكومات.

ومن المتوقع أن تلقي المعركة الإعلامية التي تدور حاليا في تركيا بين جماعة كولن وحكومة أردوغان بظلالها على الانتخابات المحلية، التي ستجري في نهاية مارس/ آذار القادم.

وثُقدّر الأصوات التي تتحكم فيها الجماعة ما بين اثنين وخمسة بالمائة، ولكنه ليس من المؤكد أن يلتزم جميع أعضائها بقرار عدم تأييد حزب العدالة والتنمية.

جماعة كولن حرصت دائما على الابتعاد عن «الإسلام السياسي»، ولذلك كانت متحالفة قبل أردوغان مع تورغوت أوزال وبولنت أجاويد، وأكبر مشكلة أمامها الآن عدم وجود منافس يمكن أن تتحالف معه.

ولذا فقد تتجه إلى تأييد حزب الشعب الجمهوري أو الأحزاب الأخرى في الدوائر الانتخابية المختلفة حسب أسماء المرشحين، بدلا من تأييد حزب واحد في جميع أنحاء تركيا.

الجماعة التي تمتلك وسائل إعلام عديدة من القنوات والصحف والمجلات بالإضافة إلى وكالة الأنباء، قد تنال من شعبية أردوغان وحزبه بحملات إعلامية مكثفة، إلا أن الجماعة نفسها هي أيضا لن تتجو من التداعيات

السياسات الخارجية التركية من مختلف القضايا الإقليمية والدولية.

وكانت جماعة غولن تُعدُّ حتى وقت قريب حليفاً وثيقاً لحكومة حزب العدالة والتنمية التي يقودها

أردوغان، وكانت قد صوّتت لها في جميع الانتخابات التي جرت منذ عام ٢٠٠٢. فما الذي أدّى إلى تحوّل الجماعة ضدّ الحكومة وأدخل تركيا في واحدة من أخطر أزماتها السياسية منذ الانقلاب الذي أطاح حكومة نجم الدين أربكان عام ١٩٩٧ وكيف ستؤثر هذه المواجهة في المشهد السياسي التركي مع اقتراب موعد الانتخابات البلدية المقرر في ٣٠ آذار / مارس المقبل، وخصوصاً أنّ جماعة غولن تملك وسائل إعلام نافذة ولديها أتباع ومؤيّدون في أوساط الأعمال والوظائف العامّة.

من التحالف إلى العداء

نتيجة تشدد النظام العلماني التركي في التعامل مع الأحزاب والتيارات ذات التوجهات الإسلامية، بخاصة خلال العقود الأولى من نشأة الجمهورية، عملت معظم التيارات الدينية تحت قانون الجمعيات الخيرية، أو الحركات الصوفية التي سُمح لها بالنشاط في عهد حكومة عدنان مندريس التي فازت بانتخابات عام ١٩٥٠، لتتهدّى سيطرة حزب الشعب الجمهوري العلماني المتطرف الذي أنشأه أتاتورك وانفرد بالسلطة منذ تأسيس الجمهورية عام ١٩٢٣. بيد أنّ نشاط الجمعيات الخيرية والدينية لم يعد يقتصر، بمرور الوقت، على النشاطات الخدمية والتربوية. بل امتدّ إلى المجال السياسي عبر إنشاء تحالفات مع الأحزاب والقوى السياسية، وخصوصاً في مواسم الانتخابات؛ إذ تحثّ هذه الجمعيات أعضائها والمتعاطفين معها على التصويت لأحزاب معينة، مقابل حصولها على تسهيلات وخدمات مختلفة في حال وصول هذه الأحزاب إلى الحكم.

وكان من أبرز هذه التحالفات ما قام بين حزب العدالة والتنمية وحركة «خدمة». فعندما قام أردوغان ورفاقه بتأسيس العدالة والتنمية، بعد إطاحة حكم أستاذهم أربكان، وفق برنامج سياسي يحترم الدستور

السلبية لهذا التصعيد، لأن جماعة كولن التي طالما رفعت شعار «التسامح»، لأول مرة تخوض معركة بهذه الشراسة وهذه اللهجة، ضد حكومة منتخبة حازت على ما يقارب ٥٠٪ من أصوات الناخبين.

كيف سيؤثر الخلاف بين أردوغان وغولن

في المشهد السياسي التركي؟

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي للأبحاث والدراسات

السياسية - ٢٠١٣/١٢/٣٠

تتكوّن وحدة تحليل السياسات في المركز العربي

للأبحاث ودراسة السياسات من مجموعة من الباحثين

الذين يعملون بشكلٍ جماعيٍّ، ويلتقون دورياً، لتدارس المواضيع السياسيّة والإستراتيجيّة الرّاهنة ذات الأهميّة العالية، ومناقشتها، ورصدها، ومتابعة تطوّراتها، وتوقع تأثيراتها المحتملة. تعمل الوحدة تحت إشراف الدكتور عزمي بشارة، وبتوجيهه، ويقوم باحث بتتسيق الاجتماعات والمواضيع والموادّ المقترحة للنقاش. يكلف باحث أو أكثر بصياغة ورقة، ويقدمها لتخضع للمناقشة في جلسة، ثمّ يعاد تحريرها في ضوء الملاحظات التي يبيدها أعضاء فريق الوحدة. وتخضع قبل نشرها على الموقع الإلكتروني كورقة «تقدير موقف» أو ورقة «تحليل سياسات» لمراجعةٍ أخيرة.

أجرى رئيس الحكومة التركية رجب طيب

أردوغان تعديلاً وزارياً طال عدداً كبيراً من وزراء

حكومته، بعد أن وردت أسماء أربعة منهم في التحقيقات

في قضايا فساد، منها ما هو مرتبط ببنك «خلق» الذي يجري من خلاله تسديد قيمة مشتريات تركيا من النفط والغاز الإيراني، والذي تنتقده الإدارة الأميركية منذ فترة وتعدّه حالةً من كسر الحصار على إيران. ويتهم أردوغان رجل الدين فتح الله غولن، المقيم في الولايات المتحدة والمعروف بعلاقاته المتشعبة هناك، رئيس حركة «خدمة» التي يناهز عدد أتباعها المليون، بينهم مسؤولون كبار في الشرطة والقضاء، بتدبير هذه «المؤامرة» لإسقاط حكومته، بالتنسيق مع قوى أجنبية غيرراضية عن

العلماني ويتجنّب الصدام مع المؤسسة العسكرية، كان فتح الله غولن وتلامذته من المباركين لهذه الخطوة، وخصوصاً أنّ استطلاعات الرأي حينها كانت تشير إلى أنّ حزب العدالة والتنمية سوف يفوز في الانتخابات في ظلّ وضع سياسي واقتصادي معقّد، ثبت خلاله فشل الأحزاب العلمانية وانكشف فسادها.

ويمكن القول إنّ جماعة غولن عاشت عصرها الذهبي في ظلّ حكومة أردوغان التي فتحت لها آفاق العمل والنشاط في جميع قطاعات الدولة، بما فيها تلك التي لم يكن ممكناً لها العمل فيها من قبل، ولا سيما وزارات التربية والتعليم، والداخلية ومديريات الأمن والاستخبارات، ووزاراتي الخارجية والعدل. كما ذهب أردوغان إلى حدّ الترويج للجماعة في الخارج، عندما توسّط بينها وبين مختلف الزعماء والرؤساء؛ للحصول على أراضٍ في بلدانهم تقيم الجماعة عليها مدرسة، أو رخص تقيم بموجبها مشروعاً. وفي المقابل دعمت الحركة الحزب في جميع الانتخابات التي فاز بها منذ وصوله إلى السلطة.

وقد ساعد النجاح الداخلي والخارجي الذي حقّقه حزب العدالة والتنمية بين عامي ٢٠٠٢ و ٢٠١٠ في استمرار هذا التحالف. بيد أنّ التحديات التي بدأت تواجهها تركيا، سواء على صعيد علاقاتها الخارجية نتيجة التحولات الكبيرة التي حصلت في محيطها الإقليمي ودفعتها إلى الاصطدام بالعديد من دول الجوار الفاعلة، أو على صعيد مشاكلها الداخلية المرتبطة ببعض القضايا؛ مثل المسألة الكردية، جعلت بعض المتحالفين مع حزب العدالة والتنمية يختلفون معه، وكان من بين هؤلاء حركة فتح الله غولن.

خلافات على المستوى الخارجي والداخلي

بدأت الخلافات بين جماعة غولن وحزب العدالة والتنمية نتيجة اختلافات في تحديد المصالح الخارجية التركية وقراءتها أساساً. فمنذ حادثة سفينة «ماي في مرمره»، في أيار / مايو ٢٠١٠، بدأ فتح الله غولن يوجّه انتقاداً لاذعاً إلى الحكومة التركية، مدّعياً أنها سمحت للسفينة بالإبحار من دون أخذ إذن من الحكومة الإسرائيلية. وفي مفارقة أثارت استغراب الكثيرين، حمل

غولن رئيس الحكومة أردوغان مسؤولية الهجوم الإسرائيلي على السفينة التركية الذي أدّى إلى مقتل تسعة أترك. وقد مثّلت هذه التصريحات حينئذٍ صدمة داخل تركيا وخارجها. ولم يكن الخلاف المتعلق بقضية سفينة مرمره، التي لم تبادر حكومة أردوغان أصلاً إلى إرسالها إلا مؤشراً على رفض غولن سياسات أردوغان المنحازة إلى العرب في نقدها للسياسة الإسرائيلية؛ إذ يمثّل غولن في هذا الموضوع تحديداً وجهة نظر مختلفة كلياً، فهو لا يُبدي حرصاً شديداً على بناء علاقات ممتازة بالولايات المتحدة فحسب، بل إنه حريص على ذلك مع إسرائيل أيضاً. وهكذا ظهر غولن معارضاً لسياسات حزب العدالة والتنمية في الخارج، قبل أن يظهر معارضاً لها في الداخل.

لقد ظهر الخلاف المتعلّق بقضايا داخلية بين غولن وأردوغان، أوّل ما ظهر، عندما أسست حكومة العدالة والتنمية المحاكم الخاصة للنظر في قضية الأرغينيكون، وهي قضية اتهمت فيها الحكومة عشرات الضباط من المؤسسة العسكرية بالتدبير لانقلاب عليها عام ٢٠٠٧^(١). لكنّ أمد المحاكمات طال من دون حسم، كما أخذت الاتهامات تمسّ قيادات عسكرية عملت حتى وقت قريب بجانب أردوغان الذي جعل يُبدي استياءً واضحاً من بطء سير المحاكمات، ومن اقترابها من قيادات عسكرية تعدّ قريبة إليه؛ ما أشعر أردوغان بأنّ جهازَي الشرطة والقضاء اللذين أمسيا في

(١) أرغينيكون هو اسم واد أسطوري في آسيا الوسطى تعود أصول الأتراك العرقية إليه، وهي منظمة سرّية، تأسست عام ١٩٩٩، تقول إنّ هدفها المحافظة على العلمانية في تركيا، وتُتهم بالقيام باغتيالات وتفجيرات في عدد من المدن التركية، ومحاولة الانقلاب على الحكومة. استُهلّت القضية عام ٢٠٠٧ مع اكتشاف مخابر للأسلحة في إسطنبول، جرى على إثره اعتقال عشرات المتهمين بينهم جنرالات وصحافيون وزعماء عصابات إجرامية يحاكمون منذ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٨. وقد باتت القضية رمزاً للصراع بين الحكومة الإسلامية المحافظة وبين المؤسسات العلمانية في البلاد. وضمن أخطر القضايا التي يتأمر فيها الجنرالات الأتراك في تاريخ الجمهورية التركية وأكبرها، قضت محكمة إسطنبول بقبول النظر في قضية باليوز؛ وهي اسم المخطط الذي وضعه الجنرالات الأتراك للانقلاب على الحكومة، ومن بين المتهمين قائد الأركان السابق الجنرال إيلكر باشبوغ الذي قاد الجيش التركي بين عام ٢٠٠٨ وعام ٢٠١٠. وبلغ عدد المتهمين في هذه القضية ثلاثمئة منهم.

قبضة جماعة غولن باتا يشكلان تحدياً كبيراً له.

أما الخلاف الداخلي الثاني فقد ظهر عندما جرى الكشف عن تسجيلات صوتية لمفاوضات سرية في أوصلو مع حزب العمال الكردستاني، تحت إشراف رئيس جهاز الاستخبارات، في إطار مسعى الحكومة لحل القضية الكردية. غير أن جماعة غولن التي لها امتداد ونفوذ في المناطق الكردية كان لها رأي في الحل يختلف في التفاصيل مع رأي أردوغان؛ ما جعل المدعي العام «صدر الدين صاريقيا» المحسوب على جماعة غولن يقوم في فبراير / شباط ٢٠١٢ باستدعاء رئيس جهاز الاستخبارات «هاكان فيدان» للمساءلة القانونية، إذ وجه إليه تهماً بالتفاوض مع أعداء الوطن وتجاوز صلاحياته، فترتب على ذلك تدخل من رئيس الوزراء أردوغان الذي عدّ المسألة خارجة عن نطاق الخلاف السياسي إلى الاستهداف الشخصي له، عبر استدعاء صديقه فيدان للتحقيق.

وقد ذهبت الشكوك إلى أن جماعة غولن هي التي قامت بتسريب التسجيلات الصوتية لرئيس جهاز الاستخبارات في أوصلو. وأشارت بعض الصحف إلى أن عناصر من جماعة غولن في جهاز الشرطة هي التي كانت وراء التقاعس الأمني الذي أدّى إلى تفجيرات الرياحانية في شهر أيار / مايو ٢٠١٣؛ ما أوقع الحكومة في حرج داخلي وخارجي كبير^(١).

وبلغ الخلاف بين الحكومة والجماعة أوجّه عندما أيد غولن - ضمناً - الاحتجاجات التي جرت في ساحة تقسيم، في حزيران / يونيو ٢٠١٣، على خلفية قضية حديقة غازي^(٢). وقامت، من جهة، وسائل إعلام تابعة للجماعة بتوجيه انتقاد حاد لأردوغان، ولطريقة تعامل حكومته مع الأحداث. وتولّت، من جهة أخرى،

(١) حول تفجيرات الرياحانية وموقف الحكومة التركية انظر: «أردوغان: منفذي تفجيرات الرياحانية ساعدوا وفد المعارضة التركية في لقاء الأسد»، الحياة، ٢٤ أيار / مايو ٢٠١٣، على الرابط: <http://alhayat.com/Details/٥١٦٩٥٠>

(٢) بشأن هذا الموضوع، انظر «ميدان تقسيم... اقتلاع شجرة يولد احتجاجات»، الجزيرة نت، ٣ حزيران / يونيو ٢٠١٣، <http://www.aljazeera.net/news/pages/cac٢٣٣fa٦٩٩١٠٤٨f٤٨١c-ff٤ef٤٢d١fe>

صحيفة تودايز زمان الناطقة بالإنكليزية مهمّة «تشويه» صورة حزب العدالة والتنمية على المستوى الدولي. أما القضية التي فجّرت الخلاف على نحو علني ومفتوح، فكانت قيام عناصر في الشرطة تدين بالولاء لغولن بحملة اعتقالات طالت أبناء وزراء في حكومة أردوغان بتهم فساد - من دون علم السلطات العليا - بمن فيهم وزير الداخلية؛ وذلك بهدف إحراج الحكومة عبر رميها بتهم الفساد المالي والأخلاقي، قبل ثلاثة أشهر من الانتخابات البلدية؛ ما اضطر رئيس الحكومة أردوغان إلى أن يطلب من ثلاثة وزراء - وهم وزراء الداخلية والاقتصاد والبيئة - تقديم استقالاتهم، بعد سجن أبنائهم على ذمة قضايا فساد، حتى يتسنى للقضاء التركي التحقيق في التهم من دون التأثير بمناصب آبائهم، أو مكانتهم السياسية في الحكومة.

وفي مقابل كلّ خطوة عدائية كانت تقوم بها جماعة غولن، كانت الحكومة تردّ بإجراء عقابي، فتمّ إغلاق المدارس التحضيرية الخاصة التي كانت جماعة غولن تملك ٢٥٪ منها في البلاد، ردّاً على موقف الجماعة من أحداث ساحة تقسيم. وتذهب بعض القراءات إلى أن الحملة الأخيرة من الشرطة ضدّ الفساد لم تكن إلا ردّاً من حركة غولن على قيام الحكومة بإغلاق مدارسها. لكنّ الحكومة قامت بالردّ على الردّ عبر طرد العشرات من ضباط الشرطة والموظفين العموميين المحسوبين على الجماعة، من بينهم رئيس شرطة إسطنبول^(٣).

معارضة من داخل التيار الإسلامي

هذه المواقف المتعارضة بين حزب العدالة والتنمية وحركة فتح الله غولن جعلت المعارضة الرئيسية للحكومة التركية تأتي من داخل شبكة مصالح تجمع بين الصوفية والبراغماتية السياسية، وقد عدّت بحق، أو بغير حق، محسوبة على التيار الإسلامي، لا على المعارضة العلمانية، ليبرالية كانت أو قومية. وهذا تطور في ساحة الإسلام السياسي التركي لافت للنظر. بل إن غولن أخذ

(٣) انظر: «حملة تطهير جديدة في صفوف الشرطة التركية بسبب فضيحة فساد»، الحياة، ٢٣ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٣، على الرابط: <http://alhayat.com/Details/٥٨٥١٠١>

يُنشُد تحالفاتٍ مع الأحزاب العلمانية المعارضة لحكومة العدالة والتنمية، وكأنه يسير على النهج نفسه الذي تعامل به مع نجم الدين أربكان عندما ترأس الحكومة خلال العام الممتد بين ١٩٩٦ و١٩٩٧؛ إذ جعل من نفسه خصماً عنيداً لأربكان ولحركته ملّي غروش «رأي الأمة»، من داخل تيار الإسلام السياسي التركي. وهذا يعني أن غولن أخذ يتبنّى برنامجاً واضحاً لمعارضة حكومة العدالة والتنمية، وأن الأمر ليس اختلافاً مع مواقفها من القضايا الداخلية والخارجية فحسب. وقد يشير قيامه بمغازلة المؤسسة العسكرية وادعاء استعداده للتخلي عن كل ممتلكات الجماعة للعسكر التركي، إلى أن كولن ربما يسعى لإسقاط حكومة العدالة والتنمية، لكن من دون أن يقدم نفسه بديلاً منها.

هذا التحول الكبير في موقف فتح الله غولن من حلفاء الأمس يثير تساؤلاتٍ عديدة متعلقة بالأسباب التي دعت إليه، فهل يشي ذلك بأن الجماعة أصبحت من القوة والتأثير والنفوذ ما يجعلها في غنى عن الاستمرار في التحالف مع حكومة العدالة والتنمية التي فتحت لها كل الأبواب؟ أم هل أن غولن يشعر بأن نجم أردوغان بدأ بالأفول وأن حظوظه في الاستمرار في الحكم بدأت تقل نتيجة الصعوبات التي أخذ يواجهها في السنتين الأخيرتين سواء داخلياً أو خارجياً، ولذلك بدأ يعمل منذ الآن على بناء جسور مع من سيخلف حكم العدالة والتنمية، بخاصة أن غولن معروف بحسن قراءته للمتغيرات الدولية وقدرته على استثمار المعادلات السياسية الداخلية، وأنه يريد أن يكرر تجربته مع حزب العدالة والتنمية، ولكن مع أحزاب أخرى؟

لا شك في أن الانتخابات البلدية المقبلة سوف تكون الامتحان الأبرز لحزب العدالة والتنمية، كما أنها ستعطي مؤشراتٍ متعلقة بهذه الأزمة إن كانت أثّرت فعلاً في شعبيته بين الناخبين الأتراك. ويبدو حتى الآن أن الحزب مطمئن إلى غياب معارضة سياسية حزبية قوية له، فجميع الأحزاب العلمانية ثبت فشلها، وعدم قدرتها حتى على استثمار متابعه كما حصل في أحداث تقسيم وغيرها.

إضافةً إلى ذلك يبدو أن حزب العدالة والتنمية مطمئن

إلى أن الأتراك، خلال الانتخابات البلدية المقبلة، لن يصوّتوا لأجندة سياسية، بل لمصلحة أجندة خدمية. وفي هذا المجال يدرك الحزب الحاكم أن الآخرين غير قادرين على منافسته؛ فمنذ وصوله إلى السلطة عام ٢٠٠٢ لم يستطع حزب سياسي تركي منافسة العدالة والتنمية في المحليات، ولا حتى في الانتخابات البرلمانية. وعلى الرغم من ذلك فإن حركةً اجتماعيةً وجمعيةً خدميةً خيرية ذات علاقات متشعبة بما فيها الولايات المتحدة، مثل جماعة غولن، قد تُلحق بالحزب الحاكم ضرراً أكبر ممّا تستطيع أن تلحقه به أحزاب المعارضة العلمانية مجتمعةً. فهذه المعارضة لن تستطيع أبداً أن تُقدّم نفسها بديلاً من حزب العدالة والتنمية الذي خاض الانتخابات بكل أنواعها، والذي يعرف كيف يديرها ببرنامج له وزنه في الشارع التركي.

خارطة القوى التي تدفع بجماعة «كولن»

للتصادم مع أردوغان بتركي

هيثم الكحيلي – موقع الإسلاميون ٢٠١٣/١٢/٢٣

تحالف دولي يحركه المحافظون الجدد في

أمريكا وتموله مجموعة كوتش ويستفيد منه حزب الشعب الجمهوري وتتقدم الجماعة لتنفيذه

أكثر التساؤلات المطروحة عربياً حول ما يحدث

في تركيا في الأيام الأخيرة، وحول ما يسمى بصراع أردوغان كولن، تدور حول مآلات هذا الصراع وإلى من سترجح الكفة، وإن كان التوقع في السياسة مستحيلاً، فإن التأمّل في خطاب أردوغان الذي قال فيه «سنكسر الأيدي التي تحاول المساس باستقلاليتنا» وختمه بالقول: «انتظروا منا الكثير»، ومقارنته بالدعاء الهستيرى الذي أطلقه فتح الله كولن، كاف لتقدير مدى سلامة مواضع الأقدام لدى الطرفين.

وتطرح كذلك تساؤلات كثيرة حول الأسباب

التي تدفع الجماعة «الإسلامية» إلى التصادم مع

حكومة أردوغان، وهو ما يمكن التخمين فيه بأن الجماعة لم تختار المواجهة مع أردوغان، وإنما من اختار

المواجهة، ودفع بالجماعة لتكون واجهة، هي قوى داخلية وخارجية لا تقبل بالدور الإقليمي الذي تقوم به تركيا، ولا تريد السماح لتركيا بالمضي في طريقها الحالي، وهو ما أشار إليه أردوغان في خطابه الأخيرة.

وعبر تاريخها، ومنذ الستينات، كانت الجماعة منحازة دائما للمنقليين، وبينما يدعو فتح الله كولن اليوم أنصاره لبذل كل السبل لمنع الحكومة من إغلاق مراكز التدريس الخاصة بالجماعة، فإنه قد عرض على انقلابيين سابقا أن يسلم المراكز طواعية للدولة، ووضع يده في يدي من منعوا الحجاب وحاربوا الإسلام، وكما رضخت الجماعة للانقلابيين في السابق فإنها ترضخ اليوم وتتقدم لتقود حربا لا مصلحة لها فيها.

مجموعة كوتش:

عبر العقود التي سبقت وصول أردوغان إلى الحكم، تحكمت في دنيا الإعلام والسياسة والمال بشكل كبير ٣ أسماء، خسر أولها المعركة في وجه حكومة أردوغان وهو مقيم الآن في فرنسا ومحكوم عليه غيابيا بالسجن لمدة ٢٣ سنة، وهو جيم أوزان، وأما الثاني، وهو إمبراطور الإعلام التركي، أيدين دوغان، فقد نجحت حكومة العدالة والتنمية في إضعافه عبر إجباره على تسديد ديونه للدولة ودفعه إلى بيع عدد من مؤسساته الإعلامية والتحقيق معه في تهم التورط في الدعوة إلى الانقلابات ودعمها.

وأما الاسم الثالث، فيتعلق بأثرى العائلات التركية، والتي تعمل في كل قطاعات الاقتصاد التركي، من التغذية وصولا إلى الصناعات العسكرية، وهي عائلة كوتش ورئيس المجموعة الحالي مصطفى كوتش، والذي بدأت المواجهة العلنية بينه وبين حكومة أردوغان عندما اتهمه مقربون من الحكومة بدعم أحداث ميدان تقسيم (جيزي بارك) في الصيف الماضي، عبر التمويل وعبر التحريض على ذلك في «جامعة كوتش» الخاصة المملوكة للمجموعة، والتي أرسل عميدها رسالة إلى كل الطلاب قال فيها بأنه سيتيح لكل الطلاب المتغيبين عن الامتحانات إعادة الامتحان في وقت لاحق، وقد علق أردوغان بنفسه على هذه الرسالة في تلك الأيام.

وقبل ثلاثة أشهر، أعلن عن اجتماع رباعي حضره رئيس الجمهورية الأسبق سليمان ديميرال، والذي شغل منصب رئيس الوزراء سبع مرات خلال عقود الانقلابات العسكرية في تركيا، وحضره أيضا رحمي كوتش، وهو والد مصطفى كوتش والرئيس السابق لمجموعة كوتش، وكذلك تايلان بيلغان عضو مجلس إدارة مجموعة دوغان المملوكة لأيدين دوغان، حيث أجمع المعلقون على هذا الاجتماع على أنه انتهى إلى اختيار الشخص الرابع وهو مصطفى ساري غول، ليكون رجل المرحلة القادمة، وممثل حزب الشعب الجمهوري لرئاسة بلدية اسطنبول أولا، ولرئاسة الوزراء ثانيا.

حزب الشعب الجمهوري:

كما كان متوقعا، وعملا بالعرف السياسي القائل بأن الطريق إلى قصر الحكومة في تركيا يبدأ من رئاسة بلدية اسطنبول، أعلن حزب الشعب الجمهوري يوم أمس أن مرشحه في الانتخابات البلدية القادمة، والتي ستعقد في ٣٠ آذار/مارس من سنة ٢٠١٤، سيكون السياسي الشهير مصطفى ساري غول.

واللافت للأنظار، هو أن ساري غول وبعد زيارة وفد عن حزب الشعب الجمهوري إلى أمريكا ولقائه بعدد من الشخصيات النافذة داخل جماعة فتح الله كولن، أبدى في خطابه شيئا من التودد للجماعة، فبعد أن كانت الجماعات الإسلامية تمثل الخطر الأكبر على تركيا، منذ تأسيس الحزب ذو التوجهات العلمانية الراديكالية، أصبح ساري غول، وهو الرجل الثاني في الحزب، يدافع عن مواقف الجماعة وعن مراكز التدريس التابعة لها، ويصفها بأنها مهمة للحفاظ على المعتقدات الدينية.

وقبل ساعات من اختيار ساري غول مرشحا لحزب الشعب الجمهوري في الانتخابات البلدية القادمة، قالت الإعلامية التركية الشهيرة، سيفيلاي يوكسالير، أن ساري غول بنفسه أخبرها بأنه عقد اتفاقا مع جماعة كولن وبأن الجماعة تدعمه وستدعمه في الانتخابات القادمة، مضيفة: «إذا كنت كاذبة فليخرج ويكذبني، لماذا يخجل من قول الحقيقة؟»، مؤكدة كلامها: «ساري غول يمثل مشروعا، وتقف خلف هذا المشروع مجموعة

كوتش وجماعة كولن ولوبيات في الولايات المتحدة الأمريكية».

المحافظون الجدد في أمريكا:

خلال زيارته الأولى لأمريكا منذ توليه رئاسة حزب الشعب الجمهوري، وخلال افتتاحه لمقر الحزب في واشنطن، قبل أسابيع، قال كمال كيليتشار أوغلو: «سنأتي كثيرا لأمريكا في المرحلة القادمة»، وهي الكلمة التي دفعت أقلما كثيرة للحديث عن مخطط أمريكي للإطاحة بحكومة رجب طيب أردوغان، وعن انزعاج أمريكي وغربي من حجم تركيا الإقليمي المتنامي وعن مخاوف دولية من أن تصبح اسطنبول مدينة عالمية تتنافس عواصم أخرى مثل لندن ونيويورك من حيث الثقل السياسي والاقتصادي وتفوقهم بموقعها الجغرافي وإرثها الحضاري.

والمحافظون الجدد هم حملة مشروع القرن الأمريكي الجديد، وورثة الليبرالية الستراوسية أو المحافظين ذوي التوجه اليميني المتدين ولكن بنفَس ليبرالي، وسيسيطر هذا التحالف بشكل كبير على وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية وعلى لوبيات اقتصادية ضخمة، ويحظى كذلك بنفوذ سياسي كبير داخل أمريكا وخارجها.

ويرى محللون، من بينهم الإعلامية سيفيلاي يوكسالير، أن تحالف المحافظين الجدد مع حزب الشعب الجمهوري وجماعة فتح الله كولن يهدف بالأساس وتحديدا إلى الإطاحة بشخص رجب طيب أردوغان وبرئيس جهاز الاستخبارات التركية، هاكان فيدان، والذين أبديا عنادا كبيرا في تعاملهم مع القوى الدولية، سواء من خلال مواقف أردوغان من القضايا الإقليمية، أو تحركات هاكان فيدان التي أخرج من خلالها جهاز الاستخبارات التركية من تحت عباءة الموساد الإسرائيلي.

وفي السنة الأخيرة استخدم الإعلام الأمريكي وحلفاؤه بقوة لتنفيذ هذه الغاية، سواء من خلال التركيز على استخدام مصطلح «السلطان أردوغان» و«حلم أردوغان بإقامة الخلافة»، أو من خلال التغطية المكثفة لأحداث تقسيم في الصيف الماضي، بالإضافة إلى تقارير كانت تنشر بصفة روتينية، كان آخرها يتهم هاكان

فيدان بتسليم إيران معلومات استخبارية عن عملاء للموساد الإسرائيلي مما أدى إلى اعتقالهم هناك.

ما خلف قضية الفساد المالي:

بالإضافة إلى المصلحة الانتخابية التي حققها حزب الشعب الجمهوري، والمعنوية التي حققتها الجماعة، حققت أمريكا أهم أهدافها من خلال ضرب رجل الأعمال التركي الإيراني الأصل، رضا زراب، والذي كان وسيطا ما بين الحكومة التركية والإيرانية، فبسبب العقوبات المفروضة على إيران، ومنع تركيا من دفع ثمن النفط الإيراني عبر الطرق التقليدية، قامت الحكومة التركية طيلة السنوات الماضية بإيداع أثمان النفط المستورد من إيران في حسابات بنكية إيرانية في تركيا، لتقوم إيران في ما بعد بشراء الذهب من تركيا من عند رضا زراب وغيره من رجال الأعمال المقربين منها في تركيا عبر تلك الأموال.

وفي حديث له مع الصحافة مباشرة بعد إخلاء سبيله، نفى زراب التهم الموجهة له وقال: «أنا أقوم يوميا باستيراد وتصدير طن من الذهب، بصفة قانونية، ولا ضرائب تفرض على تجارة الذهب في تركيا، فلماذا أقدم رشوة؟»، ثم أضاف: «ذات مرة علقت شحنة ذهب قادمة من إفريقيا بسبب نقص في الأوراق القادمة من عند البائع الإفريقي، وعندما حاولت معالجة الأمر ابتزني مساعد مدير بجهاز الأمن وطلب مني رشوة بمليون دولار ونصف، وقد رفعت الشكوى وتسجيلات الصوت لوزير الداخلية».

وأضاف رضا زراب، «بعد فترة اتصل بي صحفي وقال لي بأن لديه ملف عن تهم بالفساد موجهة لي، فحولته إلى أحد المحامين العاملين معي، فإذا به يبتزني ويطلب مني مليون دولار مقابل عدم نشر تلك الملفات، وكل هذا مسجل عندي، وقد أخبرت قاضي التحقيق بأن بإمكانني إعطاؤه تسجيلات هذه المكالمات»، مع العلم بأن زراب قام في الأيام الأخيرة بنشر بعض هذه التسجيلات على موقع يوتيوب، وقال زراب: «لقد قدمت كل هذه المعلومات لوزير الداخلية منذ أشهر، وبدأت في تقديم شكوى ضد مساعد مدير الأمن وضد الصحفي الذي ابتزني، ولكن الغريب أنهم هم يحاكمونني اليوم!!».

ومن جهة أخرى حققت أمريكا أو المحافظون الجدد

في أمريكا مصلحة اقتصادية أخرى، من خلال ضرب مؤسسة «هالك بنك» والذي اتهم رئيسه بالفساد، حيث كان هذا البنك يمثل شريان الحياة بالنسبة للعلاقات الاقتصادية التركية الإيرانية، وفي حال نجاح هذه الضربة في ردع البنك عن تعامله مع الإيرانيين، فإن أمريكا ستجج في تضيق الحصار على إيران وإبقاء كل مفاتيح رفع الحصار حصرياً بين أيديها.

جريمة اغتيال شطح لا تنفصل عن سياق الأزمة السياسية والتهديدات المرفقة

معروف الداموق - اللواء اللبنانية ٢٠١٣/١٢/٣١

لم تقع جريمة اغتيال الدكتور محمد شطح،

مستشار الرئيس سعد الحريري خارج سياق الأزمة السياسية والأمنية التي تسبب بنشوتها «حزب الله» ونظام الأسد الدموي لحظة إسقاط حكومة الوحدة الوطنية السابقة بلا مبرر منطقي مقبول ومحاولة حشر لبنان في صف المحور البعثي الإيراني بالقوة في المواجهة مع دول الخليج العربي بزعماء المملكة العربية السعودية خلافاً لرغبة وتوجهات معظم أبناء الشعب اللبناني، وأذكى نار هذه الأزمة مشاركة الحزب الواسعة في الحرب الى جانب نظام الأسد ضد أبناء الشعب السوري الشائرين ضده والمطالبين بالحرية والمساواة والديمقراطية.

وعندما لاحت بواذر التفاهات الإقليمية والدولية

مع النظام الإيراني في خصوص الملف النووي الإيراني والأزمة السورية مع «الشیطان» الأميركي والدول العظمى، وبدأت مرحلة سقوط شعارات المواجهة والعداء الكاذبة وانكشاف كذب وخداع النظام الإيراني، أطلق الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله شخصياً صافرة تصوير ما حصل وكأنه بمثابة إنتصار لمحوره على خصومه الداخليين وحلفائهم العرب الخليجيين، في محاولة مكشوفة لإرغامهم على الخضوع لشروطه وإملاءاته الترهيبية لصياغة نظام سياسي جديد يضمن تسلط سلاحه وإمساكه بالواقع السياسي والسلطوي بمعزل عن أي مساس بهذا السلاح وتحت أي صيغة

كانت.

وعندما لم ينصاع خصومه السياسيين بالداخل

اللبناني لمواقفه التهديدية والترهيبية، تناوب رئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمد رعد على توجيه سيل جديد من التهديدات أكثر حدة وانزلاقاً لمستويات خطيرة أقل ما يقال فيها بأنها تعبر عن فقدان للصواب جراء استخفاف هؤلاء الخصوم بكل التهديدات السابقة، عندما تلفظ بعبارات غريبة كلياً عن لغة التخاطب والاختلاف السياسي في تاريخ لبنان، حتى في حمأة الحرب الأهلية التي شهدتها لسنوات وسنوات في منتصف السبعينات وحتى أواخر الثمانينات في القرن الماضي عندما قال «سنقطع ايدي من يتناول على المقاومة» ثم اردف قائلاً بوضوح انه لا يريد لبنان بنظامه الحالي، بل يريده حراً مستقلاً ولكنه لم يوضح للبنانيين كيف يكون البلد حراً وحزبه يتعامل مع إيران ويزود منها بالسلاح والمال خلافاً للدستور ولرغبات معظم اللبنانيين وعلى حساب مصلحة الدولة كلها.

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، فما وصفه نصر

الله بانتصار حزبه في سوريا، لم يتبلور عملياً على الارض، بل اظهرت الوقائع عكس ذلك تماماً مع توارد الاخبار عن تهقير الحزب والنظام في المعارك الدائرة هناك وعدم قدرتهما على الانتصار على الثوار السوريين في مختلف مواقع القتال، بالتزامن مع تباطؤ المحادثات الجارية لانجاز اتفاق الملف النووي مع الدول العظمى بصيغته النهائية مع بروز خلافات واضحة بين مراكز نفوذ القوى التقليدية والحكام الجدد في إيران حول الاتفاق المذكور، في حين بدأت بواذر تفاهات وتحالفات بين دول الخليج العربي ومصر مع دول كبرى تعيد خلط الأوراق وموازن القوى في المنطقة من جديد في مواجهة نتائج ومؤثرات الاتفاق الإيراني مع الغرب.

ازاء هذه الوقائع المتسارعة، لم يكن امام الامين

العام لحزب الله الا تصعيد لهجة تهديداته اكثر من السابق ضد خصومه السياسيين، وتلفظ خلالها بعبارات عكست ما يخالج حزبه من نوايا وتوجهات اظهرت بوضوح انه لن يتوانى عن ترجمة هذه التهديدات الى وقائع

تهجير الفلسطينيين من دول الطوق هدف يهودي نفذه الشيعة

ياسر البعلبكي - موقع الحقيقة

(لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة في فلسطين) ٢٠١٣/١٢/٢٨

إن هدف تهجير الفلسطينيين من دول الطوق وخاصة من لبنان والعراق وسوريا من أهم الأهداف التي يحرص الكيان اليهودي في فلسطين على إتمامها وتنفيذها لأسباب سوف نأتي على ذكرها بإذن الله . ولم نذكر الأردن في هذا السياق لأن معظم الفلسطينيين في الأردن قد تنسوا بجنسية هذا البلد أي الأردن .

يأتي حرص قادة اليهود على تهجير الفلسطينيين من دول الطوق لأن معظم الفلسطينيين أو الكثير منهم هم من مناطق ما يعرف بال٤٨ أي من سكان يافا وحيفا وعكا وصفد وغيرها من المناطق التي يُطلق عليها الآن (دولة اليهود).

وسبب قلق قادة اليهود من فلسطيني دول الطوق أنه في أي تسوية مزعومة يجب أن يكون هنالك حلاً لأصحاب الأرض الأصليين والتي تقام عليها دولة اليهود الآن فيكون الثمن باهضاً ومكلفاً على قادة الكيان خاصة إذا طالب فلسطيني ٤٨ الرجوع إلى ممتلكاتهم ، ثم إنهم يشكلون عنصراً بشرياً مهدداً للدولة اليهودية خاصة أنهم قابعون على حدودها وعددهم لا يستهان به كما أنهم كانوا وقود مقاومة المحتل على مدى سنوات الصراع معه ...

كما ذكرنا أن وجود الفلسطينيين على مقربة من دولة اليهود كان يشكلهما وهاجسا عند اليهود يجب التخلص منه وتفكيك نسيجه ..

فأوكلت تلك المهمة إلى صنيعة اليهود الفرق الباطنية الرافضية فكان أول من قام بهذه المهمة وبدأ بسحق هذا المكون الفلسطيني في دول

ملموسة لاختضاعهم وإرغامهم على الانصياع لشروطه في أي تركيبة سلطوية جديدة ، ولم تكد تمضي أيام معدودة على هذه المواقف التهديدية التي جوبهت بالرفض كسابقاتها ، وقعت جريمة اغتيال الدكتور شطح الإرهابية ، بنفس الأساليب والطرق التي استهدفت شخصيات وطنية وسياسية وإعلامية من خط سياسي واحد يناهض الحزب وحليفه نظام الأسد طوال السنوات الماضية.

ولذلك ، لا يمكن فصل هذه الجريمة الإرهابية عن مجرى الصراع السياسي الدائر في لبنان والمنطقة ، مهما حاول البعض تجهيل الفاعل أو تحميل المسؤولية لأطراف آخرين خارج اللعبة.

فالجريمة الإرهابية الجديدة التي استهدفت الدكتور شطح ، حصلت في مرحلة حساسة وخطيرة جداً ، تشهد تحولات كبيرة وأتت موقعة بسيل التهديدات التي أطلقت سلفاً وفي مغزاها أكثر من رسالة ، وهي حصلت فيما الاستعدادات جارية لبدء المحاكمات الدولية في جريمة اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري وهناك خمسة متهمين من «حزب الله» بارتكابها ، وبالتزامن مع التحضيرات الجارية لتأليف الحكومة الجديدة التي تشهد مخاضاً صعباً ومعقداً بسبب الشروط التعجيرية والتهديدات التي يطلقها الحزب ضد رئيس الجمهورية والرئيس المكلف ، بينما التجاذب على أشده لعقد مؤتمر جنيف ٢ لحل الأزمة السورية.

لا شك أن الجريمة الجديدة ستكون لها تداعيات سلبية على العملية السياسية وهي تبشر بمعاودة اللجوء إلى أساليب الاغتيال السياسي في هذا الوقت الضائع ، ولكن هل تحقق هدفها باختضاع الخصوم وجلبهم إلى طاولة التنازلات بشروط «حزب الله» قبل حصول اتفاقات وتفاهات المنطقة؟

يبدو أن الوقت قد فات لتحقيق مثل هذه المطالب التعجيزية وبالتالي فإن هذه الجريمة قد تزيد من التعقيدات وتدخل لبنان في مرحلة أمنية مترججة وتداعيات سياسية خطيرة.

الطوق هو النصيري الباطني حافظ الأسد خدمه للمشروع اليهودي .

وكانت الخطة المتبعة هي ضرب المخيمات والتجمعات الفلسطينية وحصار أهلها ومن ثم لن يكون أمام الفلسطيني غير هجرة جديدة من مكان الخطر الذي يحرق فيه ليهيم على وجهه في الأرض. حيث تتلقفه ما تسمى المنظمات الإنسانية وفي حقيقتها هي منظمات تعمل لصالح الكيان اليهودي لتقذفه بعيداً عن أهله وأرضه وتدمجه بعد ذلك في مجتمع غربي منحل لا مكان فيه للقيم والأخلاق ليدوب الفلسطيني به شيئاً فشيئاً .

قال وزير الاقتصاد الإسرائيلي دان ميردور: (إن هدف إسرائيل الدائم هو إزالة المخيمات الفلسطينية نهائياً من الوجود ، فنحن نريد أن يغادر جميع اللاجئين لبنان وتذويهم في المجتمعات العربية التي سيذهبون إليها) ^(١)

ففي لبنان :

وفقاً لإحصاءات الأونروا في عام ١٩٥٠ ، استقبل لبنان ١٢٧,٦٠٠ لاجئ من أصل أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني هُجروا من ديارهم في فلسطين .

مذابح مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا

وغيرها :

زحفت حشود الباطنية النصيرية بقيادة الباطني حافظ الأسد من سوريا متجهة إلى لبنان لضرب وتدمير المخيمات الفلسطينية هنالك فسحقت مخيم تل الزعتر وجسر الباشا والكرنتينا بالإضافة إلى مخيمات البداوي ونهر البارد ..

وكانت أعنف الهجمات على مخيم تل الزعتر بعد سقوط مخيمي الكرنتينا وجسر الباشا حيث تقدر عدد القذائف التي سقطت عليه بـ ٥٥٠٠٠ قذيفة وارتكبت فيه أبشع الجرائم من هتك للأعراض وبقر بطون الحوامل وذبح للأطفال والشيوخ والنساء وكان ذلك على يد القوات

(١) السفير اللبنانية ، ٣ أغسطس ١٩٨٢م عن أمل والمخيمات الفلسطينية

النصيرية المتحالفة مع القوات المارونية .

إضافة إلى اعتقال الآلاف على يد النظام النصيري السوري .

أعلن إسحاق رابين رئيس وزراء العدو الصهيوني السابق في تصريح نقلته أجهزة إعلامهم: (إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان ، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين وتدخلنا عندئذٍ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة!! بالنسبة لنا) ^(٢).

حصار مخيمي صبرا وشاتيلا على يد حركة أمل :

حاصرت حركة أمل عام ١٩٨٥م مخيمات صبرا وشاتيلا حتى أكل أهلها العشب والقطط والكلاب .

بعد ذلك اقتحمت تلك المليشيات مخيمي صبرا وشاتيلا واعتقلوا معظم العاملين في مستشفى غزة وقصف المخيمات بمدافع الهاون وساند اللواء السادس في الجيش اللبناني المهاجمين بعد تلقيه أوامر من الباطني نبيه بري.

وذكرت وكالة (اسوشيتدبرس) : «عن اثنين من الشهود أن مليشيات أمل جمع العشرات من الجرحى والمدنيين خلال ثمانية أيام من القتال في المخيمات الثلاثة وقتلتهم.. وكان من بينهم نحو ٤٥ من الجرحى في مستشفى غزة.. وذكرت صحيفة (ريبوبليك) الإيطالية أن فلسطينياً من المعاقين لم يكن يستطيع السير منذ سنوات رفع يديه مستغيثاً في شتيلاً أمام عناصر حركة أمل طالباً الرحمة.. وكان الرد عليه قتله بالرصاص.. وقالت الصحيفة في تعليقها على الحادث: إنها الفظاعة بعينها» ^(٣) وهنالك كلام جيد نشر في مجلة العودة عن

(٢) وجاء دور المجوس ص ٤١٨

(٣) عن متديات شبكة الاسهم القطرية

أسباب هجرة الفلسطينيين في لبنان إلى الدول الأوربية يؤيد ما ذهبنا إليه.. جاء في المجلة :

وقد بلغ عدد اللاجئين المهجرين حتى نهاية عام ١٩٨٧ وضمن إحصاء أجرته وكالة الأنروا مع «تجمع المؤسسات الأهلية العاملة في الوسط الفلسطيني في لبنان» نحو سبعة آلاف عائلة (٤٢٠٠٠) مهجر تقريباً، معظمهم في دول الدنمارك والسويد والنرويج وألمانيا وبريطانيا وهولندا وكندا. وتشير تقديرات اللجان الشعبية للمخيمات والتجمعات وعدد من المؤسسات الأهلية في لبنان إلى وجود أكثر من ٨٠٠٠ عائلة مهجرة، أي حوالى خمسين ألف مهجر فلسطيني. هذا بالإضافة إلى وجود أكثر من خمسة آلاف شاب فلسطيني، معظمهم غادر خلال فترة حرب المخيمات، بين عامين ١٩٨٤ و١٩٩١، منتشرين في دول أوروبا. ولن يكون هذا العدد غريباً إذا علمنا أن مخيم برج البراجنة وحده قد هاجر منه حوالى ألف عائلة، بالإضافة إلى وجود أكثر من ١٥٠ شاباً في المهجر وفقاً للجنة الشعبية للمخيم.

لا توجد معطيات كاملة بشأن الهجرة الكبيرة التي عرفها اللاجئون إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، والخوف من تكرار مجازر صبرا وشاتيلا التي نعيش هذه الأيام ذكراها السابعة والعشرين، حيث كانت تُبث الشائعات بانتظام في بقية المخيمات، الأمر الذي دفع العائلات، وخصوصاً الشباب، إلى مغادرة لبنان.

هناك موجات أخرى من الهجرة برزت بين مرحلة اندلاع حرب المخيمات التي بدأت مع حصار مخيم برج البراجنة من قبل حركة أمل في أيار (مايو) من عام ١٩٨٥، وما رافق ذلك من عمليات قتل واعتقال على الهوية، الأمر الذي دفع الكثير من الشباب وحتى أولياء الأمور لتسهيل هجرة أبنائهم مخافة القتل أو التتكيل أو الاعتقال، وقد بلغت الهجرة ذروتها بين عامي ١٩٨٧ و١٩٨٩ (خاصة بين الشباب) عندما توسعت حرب المخيمات لتشمل بقية مخيمات بيروت والجنوب والمدن والتجمعات

عموماً، في واحدة من أسوأ صفحات التاريخ في حياة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان^(١).

فلسطينيو العراق :

عاش فلسطينيو العراق منذ مجيئهم الى العراق عام ١٩٤٨ م بصورة هادئة دون أن يتعرض لهم أحد على مدى توالي الحكومات العراقية المتعاقبة والتي كان يتقلدها رجل ينتمي إلى السنة ، لكن بعد دخول الأمريكان الى هذا البلد عام ٢٠٠٣م ودخول جحافل الميليشيات الشيعية مع المحتل الأمريكي بدأت حملات تصفية واغتيالات للمكون الفلسطيني في العراق على يد جيش المهدي وفيلق بدر الشيعيين رافق ذلك هجومات على المجمع الفلسطيني الأكبر في منطقة البلدات في بغداد وكانت تلك الهجومات إما بقذائف الهاون أو الهجوم على مسجد الحي والمسمى جامع القدس بواسطة الميليشيات ، حيث تعرض إلى قصف بقذائف الهاون في إحدى ليالي رمضان بتاريخ ١٩ \ ١٠ \ ٢٠٠٦ والمصلين خارجين من المسجد أسفر عن مقتل ثلاثة من الفلسطينيين وجرح ١٣ ، كما كان الفلسطيني في العراق مستهدف اذا خرج إلى عمله أو وظيفته ليختطف ويقتل بعد تشويه جسده وتعذيبه. وتوجد عشرات الصور التي تتحدث عن أبشع عمليات القتل السادية على يد الميليشيات الشيعية للفلسطينيين في العراق نقلها موقع فلسطينيو العراق ، حتى إن الفلسطيني لا يستطيع الذهاب إلى المستشفى لأن جيش المهدي المسيطر على تلك المستشفيات ، كما إن عمليات الاعتقال التعسفية للفلسطينيين التي كانت تفعلها ما تسمى القوات النظامية لا تقل إجراما عما فعلته الميليشيات حيث طورد واعتقل أئمة مسجد القدس في البلدات وهوجم المسجد من تلك القوات كما قامت تلك القوات بعمليات اعتقال منسقة ومنظمة للفلسطينيين ومن ثم اخراج قسم منهم على شاشات

(١) (مجلة العودة العدد الثاني والسبعون - السنة السادسة أيلول (سبتمبر) ٢٠١٣ م - ذو القعدة ١٤٣٤ هـ)

التلفاز مدعية بأنهم إرهابيين. لقد قتل من فلسطيني العراق قرابة ٤٥٠ شخص وهذا العدد يعتبر كبيراً إذا عرفنا أن عددهم يقارب الثلاثين الفا . كل هذا جعل حياة الفلسطيني في العراق لا تطاق فهاجر معظمهم إلى سوريا ومن ثم جاءت المنظمات الصليبية لتتلقفهم وتقتلهم إلى شتات جديد لتذويهم في بلاد الغرب. كما لا يفوتنا أن نذكر ما فعله المجرم بشار بحق فلسطيني العراق فكان يعتقلهم في سوريا ويقذف بهم في الصحراء في وضع مزري لايفعله إلا أسياده اليهود .

فلسطينيو سوريا :

من قبل سيطرة الفرقة النصيرية على الحكم في سوريا وفي عام ١٩٥٦ صدر قانون رقم ٢٦٠ والذي ينص على معاملة السوري معاملة الفلسطيني أي في عهد (شكري القوتلي) وهذا قبل النصيري حافظ الأسد والبعث ..

ولكن ماذا حصل بعد خروج الشعب السوري على النظام النصيري..؟ لقد بدأ النظام النصيري بحصار وقصف المخيمات الفلسطينية بأشد أنواع الأسلحة فتكا وتدميرا ، مثل مخيم اليرموك ومخيم فلسطين ومخيم السبينة وبقية المخيمات في درعا واللاذقية وحلب وغيرها من المدن السورية لقد قصفت هذه المخيمات وحوصرت حتى سمعنا مؤخرا بوفاة خمسة أشخاص من الجوع في مخيم اليرموك، وحتى وصل الأمر بأهله إلى أكل القلط والكلاب كل هذا حصل من النظام انصيري الممانع والمقاوم. لكن هذا النظام لو كان عنده ذرة شعور بالمقاومة لتجنب ضرب المخيمات في سوريا وتهديمها على رؤوس ساكنيها ، مؤخرا سمعنا بعدة قرارات هدفها التضييق على الفلسطيني في سوريا ومن ثم تهجيرهم حسب السيناريو السابق والقرار هو منع الفلسطيني في سوريا من استلام الحوالات المالية المرسلة من الخارج كذلك استتشت وزارة التربية التابعة للنظام النصيري الفلسطينيين من التعيين في الوظائف العامة وربما نسمع بعد فترة قرارات

جديدة تصب في عملية التضييق على الفلسطيني لتهجيرهم من سوريا .

وكمثال ننقل بعض ماتعرض له الفلسطينيون في سوريا من انتهاكات ذكرها (موقع مجموعة العمل من اجل فلسطيني سوريا على الفيس بوك) وهذا ليوم الجمعة الموافق ٢٧ \ ١٢ \ ٢٠١٣ «خمس ضحايا في مخيم اليرموك يموتون جوعاً، وإغلاق لمنافذ مخيم العائدين بحمص»

- ست ضحايا فلسطينيين سقطوا في سورية.
- قصف على مخيم درعا.
- ناشطوا مخيم خان الشيخ يطالبون بتحسين المخيمات الفلسطينية.
- اشتباكات عنيفة على أطراف مخيم العائدين بحماة.

لقد بلغ عدد القتلى الفلسطينيين على يد الفرقة النصيرية في سوريا قرابة ال ١٨١٧ وبلغ عدد المعتقلين ٤١٦ لم يعرف مصيرهم أما عدد الذين تم قتلهم تحت التعذيب ١١٩ ..

وبدأنا نسمع عن هجرة جديدة للفلسطينيين في سوريا إلى بلدان شتى ومنها الدول الأوروبية عن طريق التهريب وغيرها من الطرق وطبعاً سوف يعود سيناريو تهجير الفلسطينيين إلى تلك الدول عن طريق ما تسمى المنظمات الإنسانية كما هي العادة..

من خلال هذا المختصر يتبين أن معظم عمليات القتل والتهجير التي تصب لصالح الكيان اليهودي والتي عانى منها الفلسطينيون في لبنان وسوريا والعراق كانت على يد الميليشيات والمنظمات والفرق الشيعية وهذا ليس بغريب فلطالما وقفت وساندت الفرق الشيعية كل عدو كان يغزو بلاد المسلمين وسلمت الدولة الفاطمية فلسطين للعدو الصليبي وحالف الصفويون البرتغال ضد الدولة العثمانية ودخلت القوات الامريكية العراق على رؤوس الشيعة وهذا غيض من فيض خيانات الشيعة وعدائهم لثوابت الأمة الاسلامية كيف لا

من يجرؤ على التفكير؟

حسام ميتاني - الحياة اللندنية ٢٠١٣/١٢/١٣

بعد كل اغتيال يظهر من يقول إن «ما بعد هذه الجريمة ليس كما قبلها». وهذا صحيح لكن بمعان ربما لم يقصدها قائلها.

ولا يخرج تطلّب الرد على اغتيال الوزير السابق محمد شطح عن يوميات الجماعات اللبنانية المتناحرة. وتبدو الكلمات المشددة على سلمية كل التحركات الرامية إلى نزع السلاح غير الشرعي من البلاد المسؤول عن اغتيال شطح وغيره من السياسيين والصحافيين كانعكاس لآمال وتمنيات أكثر من تمثيلها حقيقة المشاعر عند جمهور لبناني عريض.

المنافخ في لبنان اليوم مناص صراع سني-

شيوعي مفتوح. مسلح وسياسي سيمتد ليشمل حتى التبادلات الاقتصادية والخدمية. ومن المفيد التذكير أن عمق العداء بين هاتين الطائفتين لم يشهد له لبنان مثيلاً منذ تأسيسه في ١٩٢٠ حتى في ذروة الحرب الأهلية. وتجاوز في حدته الصراع الإسلامي المسيحي القديم. ولا تلوح في الأفق بارقة أمل واحدة لتحول دون انفجار الصراع. من نافل القول إن الحلفين السياسيين ٨ و١٤ آذار (مارس) قابلان للاختزال في المواجهة هذه إلى القوتين الأبرز بينهما: «حزب الله» و«تيار المستقبل». وتؤدي الأطراف المنضوية في إطار التحالفين أدواراً ثانوية إلى جانب هاتين الجهتين.

لكن ثمة اختلافاً كبيراً في فهم الصراع

وإدارته وخوضه بين الجانبين. ف«حزب الله» يأتي إلى ساحة الصراع محاطاً بتأييد يداني الإجماع من طائفته، بالتعاطف والتفهم إن لم يكن بالمساندة المادية والعملائية، بعدما انتزعت قيادة الحزب الموقع الأول، وتركت «الثائفة الشيعية» التي

تضمها إلى جانب حركة «أمل»، شكلاً من دون مضمون. يضاف إلى ذلك أن الحزب أكثر «لبنانية» بمعنى القدرة على التعبئة والحشد الطائفيين وتسليح الأنصار سيراً على عادات الأقليات الشرقية منذ زمن سحيق، من خصومه في «المستقبل».

في المقابل، فشلت كل محاولات عسكرة الطائفة السنية أو زج كتلتها الرئيسية في أي جولة من جولات القتال منذ ما قبل الاستقلال لأسباب تتعلق بنياتها وهيمنة الزعامات المدينية عليها وشعورها الدائم أنها «حصّة الدولة» ونوع من الطمأنينة إلى الحاضر والمستقبل والإرث الراسخ في السلطة. البؤر المحاربة في حارات طرابلس وتجربة الشيخ أحمد الأسير في صيدا تبدو استثناءات من النوع الذي يؤكد القاعدة. الانتشار الجغرافي على امتداد الخريطة اللبنانية والتركيز في المدن من السمات المانعة لتشكّل عصبية الجماعة المقاتلة. لهذه الأسباب ولغيرها يبدو انتظار تبلور القيادة المحاربة للسنة اللبنانيين يجافي الصواب تمام المجافاة.

لا يعدم ذلك ظهور ردود فعل عنيفة موضعية

وآنية قدم التفجيران الانتحاريان قرب السفارة الإيرانية عينة عنها. لكن هذه الأعمال لا تمثل المزاج السني العام.

هل يعني ذلك التسليم بنهاية الصراع

السني - الشيوعي في لبنان بتحقيق الشيعة انتصاراً جديداً؟ اختصار الجواب بنعم أو لا، يبتسر تعقيد الوضع المحلي وما يجري في سورية وفي المنطقة عموماً. ويجوز الاعتقاد أن أي صدام مسلح واسع النطاق سيسجل فيه «حزب الله» تقدماً ميدانياً لا يُبَارَى آخذاً في الاعتبار غياب البنية العسكرية والتنظيمية عند كل الأطراف المواجهة له مجتمعة.

يبدو أن اقتصار الحساب على الجوانب

العسكرية في الصراع يبدو قصير النظر وطفولياً. ذلك أن «اليوم التالي» لأي مواجهة سيحمل السؤال عن الترجمة السياسية لها. مع من

والخوف، وهي إذ تُحسن توظيف القتل في الإمعان في الصمت، تُضاعف كل يوم عنفها مدركة أن حدود المعادلة صارت مفتوحة.

والحال أن ابتذال القتل لا يجعل منه فعلاً عادياً. النظام نفسه لا يريد من القتل أن يُصبح فعلاً عادياً، فهو يُدرك أن ذلك يُفقد قوة الإبداع وسلطة الموت. يريد أن يُمارسه بصفته أفقاً وعلاقة تربطه برعاياه ومواطنيه. هذا دأبه أصلاً منذ أكثر من أربعين عاماً.

قد تُحدث مقولة إن النظام أبدع في القتل استياءً وزهولاً، وقد تُخلف شعوراً بأننا نعترف له بقوته وبقدرته، وهو أيضاً يطلب اعترافنا بشرعيته مستعيناً بهذه المقولة. ولكن، لا بد لنا من أن نعترف له. فهو اخترع القتل الجزئي والنخبوي ليكتسب شرعية القتل الجماعي. إعدامات «داعش» تُجيز إعدامات جماعية، وحرق كنيسة يجيز حرق المساجد كلها، وخطف رزان زيتونة أنساناً سجوناً تمتد من صيدنايا إلى تدمر.

لنكاشف أنفسنا بهذه الحقيقة. فعندما أقدم «لواء الإسلام» على خطف ناشطي مركز مراقبة الانتهاكات، أصابنا ضعف في انشغالنا بسجن صيدنايا وبفرع فلسطين وغيرهما من مراكز الاعتقال. هذا إنجاز جوهرى للنظام. وعندما تقدمت «كتائب إسلامية» نحو سجن حلب صار هم الناشطين سلامة المساجين لا ظلامة سجنهم. **إذاً،** اخترع النظام الموت الجزئي في مواجهة الموت العام. الصورة المجتزأة لوجه القتل في مواجهة صورة الموت الجماعي. موت الفرد الواحد أقوى إذا ما كان صورة. هو موت أقرب إلينا وأكثر فعالية وقدرة على أن يتفشى في المخيلة وفي الضمير.

وبينما دفعنا النظام إلى ذلك حول موتنا إلى رقم عادي ومبتذل. ممّتا قتل في حلب. إنه مجرد رقم، بينما تلك الراهبة التي خطفتها «داعش» وربما قتلتها أو سقتها، فهي وجه واسم وسبحة وإيمان، وهي مظلومة حقاً، انتهك حقها في أن تعيش وأن

سيتفق «حزب الله» من سيمثل الطائفة السنية في أية تسوية؟ ما هو تصوره للعلاقات بين الجماعات اللبنانية؟ غني عن البيان أن من يسمون «الاختراقات» بين السنة يكادون لا يمثلون أنفسهم. وفي ظل الفراغ الميثاقي بعد الوفاة السريرية لاتفاق الطائف وبعد اضمحلال مفاعيل اتفاق الدوحة، تتسم الأسئلة أعلاه بأهمية استثنائية. وانتخابات ٢٠٠٩ التي خسرها الحزب بعد عام واحد من اقتحامه بيروت في أيار (مايو) ٢٠٠٨، نموذج للتفكير، عند من يجرؤ عليه.

عبقرية القاتل إذ لا تكمن في فن القتل، بل في ابتذاله

هازم الأمين - الحياة اللبنانية ٢٩/١٢/٢٠١٣

راجت مقولة في أعقاب قصف النظام السوري الغوطة الشرقية في ريف دمشق بأسلحة كيماوية قبل أشهر، ونجاته من العقاب الدولي، مؤداها أن النظام نجح في رفع سقف عدد القتلى في اليوم الواحد إلى حدود الألف، وأخذ تفويضاً دولياً بذلك، شرط أن يكون القتل «غير كيماوي». وما جرى قبل أيام في حلب يُثبت صحة هذه المقولة، ذلك أن أكثر من مئتي قتيل سقطوا نتيجة قصف المدينة بالبراميل المتفجرة لم يُحركوا أحداً.

إنها إحدى قصص نجاح نظام «البعث». استدراج الصمت في أعقاب المجزرة. عبقرية القاتل هنا لا تكمن في فن القتل، بل في ابتذال القتل، وفي جعله عادياً وفي استنفاد صورته في أقل من لحظات سريعة.

أن تقتل «داعش» رجلاً في حلب حدث أقوى من أن يقتل النظام مئتين في المدينة. دعك من الإجرام الواحد الذي يقف خلف الواقعتين، فهذا لا يُلغي أن عبقرية مجرمة ومبدعة جعلت من هذا أمراً ممكناً. عبقرية لا تستدرج الإعجاب، إنما الدهول

الاستكثار جاء باهتاً، هزلاً وروتينياً، وما ترتب على ليلة البراميل لم يعد كونه تشاؤب ضمير. وثمة من يدعون للإعجاب بذلك، والاقتناع بأن النظام باقٍ، لأن العالم قبل به على رغم ذلك.

لا يمكن أن يصح ذلك. لا سابقة له في التاريخ الحديث. أن يُقنع نظام العالم بأنه ضرورة، بدليل تمكنه من قتل كل هؤلاء، فهذا يدفع إلى الشك بكل شيء. صحيح أنه جهّز لهذه المهمة فريقاً إعلامياً هائلاً، واستثمر في ميل العالم لعدم غفران أخطائنا، وفي معرفته القوية بمكان من ضعفنا وخوائنا، ولكن يبقى أن من المستحيل أن يستقيم القتل في ضمير البشرية.

لا خيار لنا سوى أن نذهب إلى «جنيف» -

٢، وأن لا نستجيب لنداء البراميل. من القسوة أن نُقر بذلك، ولكن من السياسة أيضاً أن نذهب.

دماج بين الحقيقة والفسطة

الشيخ عبد الوهاب المحمدي - صفحته على الفيس بوك

الفسطة أو السفسطائية نوع من أنواع الفلسفة أو حالة فلسفية تعتري الإنسان يجحد بها وجود المحسوسات أو العلم بها أو يغالط نفسه بجحد الحقائق بل قد يتصور في ذهنه مالا وجود له في الواقع ويريد أن يعيشه واقعا ويريد أن يقتنع به الآخرون تبعا لتصوره.

وقضية دماج ترتكز على حقائق واقعية محسوسة لا يجحدها أحد إلا السفسطائيين الذين يريدون أن تقر قضية دماج من الأسفل أو تنظر من العاكس أو تأخذ من أذهانهم لا من واقعها أو تقرر من المغالطات المموجة لا من الحقائق المنشورة و من هذه الحقائق :

- أن الحوثي يسعى لإقامة دولته القائمة على ولاية الحكم المقصورة على نسل علي رضي الله عنه من بطني الحسن والحسين رضي الله عنهما، بناء على وصية غدير خم المزعومة والنص من رسول

تُصلي وان تكون. ولكن، ماذا فعلنا نحن لقتلنا؟ وماذا عن نجاح النظام في تصوير «قتيله» وفشلنا في ضخ حياة في رقم قتلنا؟ ناهيك عن أن الراهبة قتيلتا وليست قتييته، لكننا مرشحون أيضاً لمصير مشابه لمصيره، أي أن يسرق النظام ظلامتنا، وأن نُقدمنا «داعش» هدية له. أليس هذا تماماً ما جرى للأب باولو، فقد سرق النظام ظلامته بعد أن كان طرده من كنيسة في القلمون.

يجب الكف عن ندب الحظ واتهام العالم

بانعدام الضمير. هذا لا يُفيد بشيء الآن. ليس العالم وحده من أنتج «داعش»، نحن أيضاً لم نملك المناعة الكافية، ولم نُصدق حين قال النظام إن في جعبته أسلحة لا تنتهي. صحيح أن العالم لم يعد مكترباً لعدد قتلنا، وأن السياسة عمل لا أخلاقي في كثير من الأحيان، لكن جهلنا بذلك يُشبه جهلنا بقوة وجه القتل في مقابل رتبة الرقم.

من غير العادل فعلاً أن ينتصر قتل على

آلاف القتلى، ولكن من الجهل أيضاً أن نهدي للنظام قتلنا. أن نشك للحظة في أن «داعش» و «النصرة» وألوية الأمراء الإسلاميين المفرج عنهم من سجن النظام لكي يدخلوا في بطوننا، يمكن أن يُقاتلوا إلى جانبنا. ومن غير العادل أيضاً أن تذوي قضية على هذا المقدار من العدالة ومن السطوع، وأن يكون القاتل سافراً إلى هذا الحد. أن يقول جهاراً نهاراً: هذا أنا، وهذا ما أفعله وما سأفعله، وأن يكون الجواب نصيحة بأن نذهب إلى «جنيف» - ٢، ولا خيار أمامنا سوى أن نذهب. فمن غير السياسة أن نقول إننا لن نذهب.

المشهد مقفل فعلاً. الصواب هو أن يذهب

الجميع للقاء القاتل هناك في جنيف. هذه حقيقة لا راد لها. ولن يكون ما يرتكبه النظام ذخيرة له على تلك الطاولة، لا بل إنه يلقي بالبراميل مستقباً الطاولة بهدف إطاحتها. لكن ذلك لا يلغي أننا مدعوون إلى وليمة واحدة معه.

نجاح النظام في رفع سقف عدد القتلى. في

حلب قتل قبل أيام أكثر من مئتين في ليلة واحدة.

الله ﷻ فيها بزعمهم بأن ولاية الحكم لعللي وذريته، وحفاوة واحتفال الحوثيين بعيد الغدير هو لإظهار هذه الوصية المزعومة وترسيخ تلك الولاية المتوهمة.

- أن الحوثي يسعى لإقامة دولته تلك بالحديد والنار والجاء والمال والترغيب والترهيب وفي سبيل ذلك قتل وجرح الآلاف من أبناء القوات المسلحة والأمن وسيطر على كثير من معسكراتها وعتادها وقتل وجرح آلاف المواطنين الأبرياء ودمر البيوت والمزارع ومؤسسات الدولة وسيطر على ما بقي منها وهجر وشرد مئات الآلاف من المواطنين ممن يخالفونه اعتقاده وتصوره وبسط نفوذه على محافظة صعدة وما جاورها وسيطر على مقاليد السلطة التنفيذية فيها وفرض الأتاوات على الناس وأخذ أموالهم وصادر ممتلكاتهم وفتح المعتقلات وطارد المخالفين واعتقل المعارضين ومنع أي نشاط فكري بل يمنع قيام أي نشاط ولو تظاهرة سياسية داخل صعدة إلا لدعوته وووو.

- أن الحوثي لم يكتف باختطاف صعدة من حاضرة الدولة اليمنية بل سعى ويسعى لتوسيع نفوذ سيطرته على مناطق اليمن لبناء دولته فأطلق الزمام للمليشيات بشن الحروب على أبناء الشعب اليمني خارج صعدة في الجوف وفي عمران وحجة وتهامة وصنعاء والمحويت والرضمة ومازال.

- أن الحوثي مدعوم سياسيا ومعنويا وماديا من حلفائه في الخارج والداخل حتى غدا متمردا على الدولة وسلطاتها غير معترف بشرعيتها في كل أحواله وتصرفاته.

- أن الحوثي رغم قبوله بالحوار رفض تسليم الأسلحة الثقيلة التي أخذها أو سلمت له من الجيش وأصبح معيقا للحوار الوطني ومخرجاته بتعنته وكثرة اعتراضاته ومعارضاته وانسحاباته.

- إن الحوثي مصر في الحوار الوطني على فيدرالية تحقق له حكم ذاتي لإقليم الشمال - ولذا يريد أن ينتهي من دماج - ، وقرر في خطابه

لمؤتمر الحوار بأنه لن يقبل بحل في قضية صعدة وشكل الدولة إلا بما يرضي أنصار الله، فلا قيمة عند الحوثي لرضى أبناء صعدة بل لا قيمة لرضى أبناء الشعب اليمني المهم ما يرضاه ويرضيه.

- أن الحوثي سعى ويسعى لدخول دماج والسيطرة عليها وتقويض مركز دار الحديث فيها وتهجير طلابه ورواده ومنع التعليم فيه والهجرة إليه وشن لذلك حروبا عدة على دماج وفرض عليها حصارات طويلة، يقوده في ذلك بغضه للسنة وأهلها ويحركه لذلك طمعه السياسي ويتجلى فيه حقه الطائفي المقيت ويتدثر لذلك بمحاربة التكفيريين والإرهابيين.

- أن أبناء دماج وطلابها لم يهاجموا الحوثي قط في موقع من مواقعه ولم يشاركوا أحدا في الاعتداء عليه بل لما كانت الدولة تقاتلهم وطلبت عون أهل دماج ودار الحديث في ذلك أبوا وامتنعوا الدخول في الحرب وعكفوا على دراستهم وأقلامهم وكتبهم.

- أن المعركة الأخيرة تدور رحاها في قرية دماج وبين بيوتها بل داخل دورها والحصار مفروض عليها من كل جانب والقصف ينزل عليها من كل صوب ويمنع الدخول إليها من كل أحد ورغم لجان الرئاسة ووساطات القبائل والتحريك السياسي والضغط الإعلامي ومناشدة المنظمات الدولية وحضور الصليب الأحمر لم يسمح لهم الحوثي إلا لساعات ولنقل بعض الجرحى بعد تلكأ ومنع وقبول ورفض لعدة أيام ومازال يمنع دخول الحقوقيين ونشطاء الإعلام ومنظمات الإغاثة والغذاء والدواء والماء إلى دماج وإلى الآن، والساذج اليوم يدرك في قضية دماج من المعتدي من المعتدى عليه من المهاجم من المدافع من المحاصر - بالكسر - من المحاصر - بالفتح - إلا أهل السفسطة فلم يظهر لهم الأمر إلى الآن.

إننا طالبنا الدولة أن تقوم بواجبها لحماية أبناء دماج وطالبنا المسؤولين من وزير الدفاع إلى

الدور الأمريكي - الإيراني في تأجيج الطائفية بالمنطقة

علي حسين باكير - صحيفة العرب القطرية ٢٠١٣/١٢/١٧

على عكس ما يبشّر به كثيرون من أنّ الاتفاق النووي بين واشنطن وطهران سيأتي بالخير والبركات للمنطقة، وسيخفف من التوترات والفتن المشتعلة في كل مكان في الشرق الأوسط، فمن المتوقع أن يترك الاتفاق انعكاسات سلبية جدا ليس أقلها تأجيج الفتن الطائفية في العالم العربي.

إحدى أهم الأسباب التي تدفعنا إلى ترجيح ذلك هو أنّ نظام الملالي في طهران وعلى مدى أكثر من ثلاثين عاماً عبأ أدمغة أتباعه ومريديه بشعارات مثل «الموت لأميركا» و«أميركا الشيطان الأكبر».. إلخ من هذه الشعارات. ومع الانعطافة الحادة والمفاجئة والتي انتهت بتوقيع اتفاق، أصاب المشهد هؤلاء الرعية بنوع من الصدمة، ولاستيعاب هذه الصدمة سريعا، شرع النظام الإيراني في إيجاد بديل يكمن في ما يسمّيه «التكفيريون»!

ولأنّ التهجم على الولايات المتحدة الآن قد يخرب الاتفاق الأخير، وكذلك مهاجمة إسرائيل قد تؤدي إلى نفس النتائج، فإنّ مهاجمة ما يسمى «بالتكفيريين» أو «بالإرهابيين» ستكون له منافع كثيرة بالنسبة لنظام الملالي ليس أقلها دفع عجلة التعاون بين طهران وواشنطن خطوة إلى الأمام على اعتبار أن طرح موضوع محاربة الإرهاب يعدّ دائما ورقة جيّدة للولوج إلى عقل وقلب الغرب!

في شهر أكتوبر الماضي، قامت طهران بحملة لإزالة اللوحات التي تعبّر عن العداء لأميركا من شوارع العاصمة، كما طلب عدد من الأئمة المصلّين بعدم رفع شعار المعتاد الموت لأميركا، وقام النظام الإيراني بإلغاء المؤتمر الدولي السنوي لمكافحة الصهيونية كبادرة على حسن سيرتها وسلوكها.

الحكومة إلى الرئاسة إلى مؤتمر الحوار الوطني إلى الأمم المتحدة بالقيام بواجبهم ومسؤولياتهم في حماية المواطنين ومنع الحرب وضبط المعتدين وطالبناهم بتشكيل لجنة تقصي حقائق تنزل لدمج معززة بوحدات الجيش لضبط المعتدي من أي جهة كانت.

فكانت اللامبالاة هي الرد والصمت هو السيد والتواطؤ هو الحقيقة وما زالت المطالبة قائمة والعجز قائم.

والأيام تمضي والحوثي يقصف ويحاصر ويعبث ودماء وأنفس أبناء دماج تنزف وتزهق ولا مجيب ولا مغيث، ثم بعد ذلك يأتي سفسطائي بلسان الاعتدال ودثار العقلانية وشعار المنطق وقلم الفيلسوف يخذل عن نصرة المظلوميين في دماج بل ويستهجن وينكر ويحرم ويجرم قتال أهل دماج دفاعا عن أنفسهم، مغالطا نفسه وضميره قبل الآخرين بأن أهل دماج ماهم إلا حجوريين متشددين متطرفين وفي أحسن أحواله يعد دفاع أهل دماج كيف ما كانوا عن أنفسهم مشاركة في حرب طائفية يستوي فيها الضحية والجلاد القاتل والمقتول، سبحانه ربي هذا بهتان عظيم.

ولهؤلاء السفسطائيين أقول مالكم كيف تحكمون. أختصروا المعركة وأطفئوا نار الفتنة الطائفية بدل التخلي عن نصرة المظلوميين بأحد أمرين:

- بإقناع الحوثي بأن يكف عن بغيه وتمرده ووطنيتيه وأن يرجع صعدة إلى حاضنة الدولة وأن يخرط في العمل السياسي بعيدا عن السلاح والدماء والدمار.

- أو بإقناع الدولة وسلطاتها بأن تقوم بواجبها في حماية أبناء اليمن و صعدة ودماج وأن تعيد سلطاتها إلى حاضرة صعدة وأن تنزع سلاح الطرفين وأن تضبط المعتدي من أي جهة كانت.

والى أن يقتنع أحدهما بما خاطبتموه به إن خاطبتموه ويقوم بما يجب عليه ويحققه واقعا إن قدرتم على ذلك فدعوا المذبوح يصرخ في وجه ذابحه

لكن في المقابل، قام الملالي بعقد مؤتمر تحت عنوان «المؤتمر الدولي لبحث مخاطر الحركات التكفيرية»، وقد تزامنت هذه الخطوات المختلفة مع سيمفونية شيعية حول الحركات «التكفيرية» من كل من لبنان والعراق وسوريا، ولم يشذ عن هذا النشار أحد ممن يعرفون بأنهم أبواق لنظام الملالي في المنطقة العربية.

منذ ذلك الحين، لا يخلو أي خطاب مهم لأمين حزب الله حسن نصر الله ولرئيس الحكومة العراقية نوري المالكي وصديقهم الأسد وباقي الملالي في طهران من إشارة مباشرة إلى «التكفيريين» ومخاطر «التكفيريين» ومحاربة «التكفيريين». ومن الواضح أن المعني بالتكفيريين لدى هؤلاء الذين يصادف أنهم شيعة الولي الفقيه، هم في حقيقة الأمر عامة السنة ممكن هم ليسوا معهم، فكل من يعارض الأسد من السنة هو «تكفيري» حتى وإن كان علمانيا، وكل من يعارض المالكي من السنة هو «تكفيري» أيضا، وكل من يعارض حزب الله ونفوذ إيران في المنطقة العربية من السنة هو «تكفيري» أيضاً.

هذه القراءة وهذا السلوك من المحور الإيراني

يشعل الطائفية في المنطقة ويعزز من رؤية بعض الجماعات التي تقول بوجود محور أميركي - إيراني ضد السنة بهدف إلى بناء هلال شيعي، وهو مشروع تم البدء به منذ الإطاحة بنظام صدام حسين في عام ٢٠٠٣، وصعود الشيعة إقليمياً. بالنسبة إلى عدد من المتابعين، فإن ما كان يوماً يسمى «أسطورة» الهلال الشيعي، أصبح أمراً واقعاً وحقيقياً اليوم خاصة بعد اندلاع الثورة السورية، والاتفاق الأخير بين واشنطن وطهران هو لتشريع هذه الحقيقة، فحزب الله كان قد أعلن أنه سيبقى في سوريا مهما كلفت الأمر ومهما كانت التداعيات، وكان منذ بدء حملته العلنية داخل سوريا يسوق تدخله للغرب ولإسرائيل على أنه تدخل لمحاربة «التكفيريين».

أما المالكي فهو يقوم منذ أشهر طويلة بمحاربة السنة تحت عنوان محاربة «التكفيريين»، وآخر تصريح له حول ضرورة العمل على محاربة «التكفيريين» في العراق وسوريا من العاصمة الإيرانية طهران، بل وحتى

من يوصف بالرئيس المعتدل الذي يقود عملية التصالح مع واشنطن أشار في تصريح له مؤخراً إلى أن أخطر «إرهابيي» العالم يقاتلون اليوم في سوريا في إشارة واضحة إلى أن محاربة السنة تحت عنوان «التكفيريين» أو «الإرهابيين» أو «المتطرفين» أصبح أجندة مشتركة للمحور الإيراني مع أميركا والغرب، وهو ما يعني أننا مقبلون على نزاعات أكثر دموية وموجات من التحريض الطائفي الإيراني في المنطقة والذي سيستجلب معه بالضرورة ردود فعل مدمرة بدأنا نرى بعض أشكالها مؤخراً في لبنان، حيث قام -ولأول مرة- لبناني من منطقة صيدا التي شن حزب الله حرباً فيها قبل عدة أشهر ضد الشيخ الأسير وأتباعه والمدنيين في بعض أحيائها، بتفجير نفسه في السفارة الإيرانية.

باختصار، لم يثبت مطلقاً أن مكافأة اللاعب السيئ السلوك من خلال إدماجه في المعادلة الإقليمية أو من خلال إشراكه في الترتيبات الأمنية أو من خلال الاعتراف بـ «شرعية» مصالحه ونفوذه هو عامل إيجابي. على العكس، فإن مكافأة اللاعب سيئ السلوك يشجعه على الأسوأ، هو ما سنراه على الأرجح في المنطقة، وخير دليل مكافأة إيران على سلوكها السيئ سابقاً في العراق وبعدها في لبنان، والنتيجة ما تشاهدون اليوم لا ما تسمعون.

مستقبل إيران على ضوء صراع النظريات

صباح الموسوي - المصريون ٢٩/١٢/٢٠١٣

تشهد إيران صراعاً بالغ الخطورة بين تيارات النظام الكثير من جوانبه غير ظاهرة للعيان، ام الجوانب الظاهرة منه فان اطراف الصراع تحاول ان تخفف من حدته في سبيل عدم حرق المراحل قبل تحقيق الهدف . ولكن ما هي طبيعة هذا الصراع وما هي اهدافه؟ عندما احس قادة الحركة الشعبية و بعض مراجع الحوزة الدينية الإيرانية ان نظرية «الإمام المهدي الغائب» اخذت تفقد بريقها ولم يعد استخدامها ممكناً في ادارة الدولة والنظام

الجديدين اللذين تشكلا عقب الثورة التي اطلحت بالنظام العلماني وأسست لبناء نظام ديني هدفه الدفع بالمشروع الشعبي والطائفي الإيراني الى اقصى مدى ممكن، وذلك اعتمادا على خطاب ثوري يرفع شعار «نصرة المستضعفين». لذلك وجدوا ان الاعتماد فقط على نظرية «الإمام المهدي الغائب» كقائد و موجه ومدير للثورة والمشروع الذي يسعون في تحقيقه، لا يصلح في هذه المهمة، خصوصا ان تصدير المشروع لا يعتمد على الشيعة المؤمنين بنظرية الإمام المهدي الغائب فقط وانما يعتمد على اشراك منهم من غير الشيعة وغير المسلمين ايضا. لذا لجأوا الى تطبيق نظرية «الولي الفقيه» ليكون هو القائد للدولة والموجه للمشروع المراد تحقيقه. ولكن مع السنين اخذ «الولي الفقيه» الذي كان من المفترض ان يكون وكلي لا بالنيابة عن الإمام الغائب، صار يحل محل الإمام المهدي الغائب ويتصرف بكامل صلاحيات الإمام، وقد بلغ الأمر درجة اصبح فيها الولي الفقيه يعمل على سحق كل من يتحدث عن قرب ظهور الإمام الغائب. وهذا ما شاهدناه في السنوات الأخيرة حيث دب الصراع بين التيار القائل بنظرية «عصر الظهور» والذي يقف على رأسه الرئيس الإيراني السابق محمود احمدي نجاد و مجموعة من كبار رجال الدين ومرجعيات الحوزة الدينية من ابرزهم محمد تقي مصباح يزدي وبعض قيادات الحرس الثوري و كبار تجار سوق طهران من جهة، و بين التيار الرافض لنظرية «عصر الظهور». وهذا التيار الذي يضم قادة من الحرس الثوري ومراجع دينية وقادة سياسيون، و يقف على رأسه «الولي الفقيه» ذاته، الذي طور منصب الولاية لتصبح امامة واصبح بموجب هذا التطور يسمى «امام المسلمين السيد علي خامنئي». ان نظرية ولاية الفقيه التي جاءت كمخرج لمأزق نظرية الإمام الغائب، تحولت هي ذاتها الى مأزق آخر بعد ان اصبحت محور صراع سياسي بين تيارين في النظام و السلطة الإيرانية كل منهما يرى في نفسه الأحرس والأقدر على

تحقيق المشروع الإيراني. من هنا يرى المراقب لشأن الإيراني ان الصراع بين تيارات النظام ليس صراعا عابرا كما يتصوره البعض، و انما هو صراع ذات طبيعة فكرية وهذا ما يؤكد اهميته. فمن المعروف ان الصراعات الفكرية لا مكان للمصالحة بينها، و لا تتوقف الا بهزيمة احد طرفي الصراع، كما ان هزيمة هذا الطرف لا تتم الا على ركام من الخراب الذي يحل بالارضية التي قام عليها الصراع. وهذا ما يتوقعه المراقب لمستقبل الصراع لذلك وجد القادة الإيرانيون ان الاعتماد فقط على نظرية «الإمام المهدي الغائب» كقائد وموجه ومدير للثورة والمشروع الذي يسعون لتحقيقه، لا يصلح في هذه المهمة، خصوصا ان تصدير المشروع لا يعتمد على الشيعة المؤمنين بنظرية الإمام المهدي الغائب فقط و انما يعتمد على اشراك من هم من غير الشيعة وغير المسلمين ايضا. لذا لجأوا الى تطبيق نظرية «الولي الفقيه» ليكون هو القائد للدولة والموجه للمشروع المراد تحقيقه. ولكن مع السنين اخذ «الولي الفقيه» الذي كان من المفترض ان يكون وكيل بالنيابة عن الإمام الغائب، صار يحل محل الإمام ويتصرف بكامل صلاحياته، وقد بلغ الأمر درجة اصبح فيها الولي الفقيه يعمل على سحق كل من يتحدث عن قرب ظهور الإمام الغائب. وهذا ما شاهدناه في السنوات الأخيرة حيث دب الصراع بين التيار القائل بنظرية «عصر الظهور» والذي يقف على رأسه الرئيس الإيراني السابق محمود احمدي نجاد و مجموعة من كبار رجال الدين ومرجعيات الحوزة الدينية من ابرزهم محمد تقي مصباح يزدي وبعض قيادات الحرس الثوري و كبار تجار سوق طهران من جهة، و بين التيار الرافض لنظرية «عصر الظهور». وهذا التيار الذي يضم قادة من الحرس الثوري ومراجع دينية وقادة سياسيين، و يقف على رأسه «الولي الفقيه» ذاته، الذي طور منصب الولاية لتصبح امامة و اصبح بموجب هذا التطور يسمى «امام المسلمين السيد علي خامنئي». ان

العقد الماضي.

في العام ٢٠١٤، يستعد الأتراك للمشاركة في انتخابات بلدية ومن ثمّ رئاسيّة وبعدها في بداية عام ٢٠١٥ (أو نهاية عام ٢٠١٤ حال تم تقريب الموعد) انتخابات برلمانيّة، وكلها استحقاقات صعبة للغاية، وتأتي في ظل الاستقطاب الداخلي الحاد من جهة واحتدام الصراع بين حزب العدالة والتنمية وبين جماعة فتح الله غولن التي تمتلك نفوذا وتأثيرا واسعا داخل تركيا وخارجها من جهة أخرى.

كما تأتي هذه الاستحقاقات في ظل أوضاع إقليمية مضطربة وشرق أوسط ملتهب في ظل استمرار تمسك النظام الانقلابي في مصر بالسلطة ولو على حساب تدمير مصر كدولة، وفي ظل استمرار سفّاح الأطفال في دمشق، وفي ظل تراجع واشنطن إقليميّا ودوليا وتخصيصها لبعض المساحات للاعبين الآخرين إقليميا ودوليا.

ودخول تركيا في هذه المرحلة، يعني أنها لن تكون قادرة على اتخاذ قرارات إقليمية جريئة خلال العام القادم، وهي أخبار ليست بالسارة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ إيران ستكون الدولة الوحيدة ربما المتحررة من قيود استحقاقات داخلية مماثلة، الأمر الذي سيّتيح لها بالتأكيد هامش مناورة أوسع على المستوى الإقليمي.

في سوريا، تنتهي فترة الأسد في منصب الرئاسة في شهر يوليو من العام ٢٠١٤، ورغم عدم شرعيته بحكم الواقع الذي خلقه بنفسه والجرائم التي ارتكبها بحق البشريّة والإنسانيّة جمعا، إلا أنّ هناك من يصنّ إقليميّا ودوليا على إعادة تأهيله، والسماح له باستكمال ولايته بشكل تام، لا بل ومنهم من يذهب ضمنا إلى تهيئة المناخ اللازم لبقائه في السلطة سواء تحت ذريعة عدم التمكن من إجراء الانتخابات أو تحت ذريعة أنّه الشيطان الذي نعرفه، وهي ذرائع واهية لكنّها قد تصبح مقبولة في ظل نظام دولي غير أخلاقي ولا يعترف إلا بالمصالح الضيقة لبعض أعضائه، بدليل الصفة

نظرية ولاية الفقيه التي جاءت كمخرج لمأزق نظرية الإمام الغائب، تحولت هي ذاتها الى مأزق آخر بعد ان أصبحت محور صراع سياسي بين تيارين في النظام و السلطة الإيرانية كل منهما يرى في نفسه الأحرص والأقدر على تحقيق المشروع الإيراني. من هنا يرى المراقب لشأن الإيراني ان الصراع بين تيارات النظام ليس صراعا عابرا كما يتصوره البعض، و انما هو صراع ذات طبيعة فكرية وهذا ما يؤكد خطورته. فمن المعروف ان الصراعات الفكرية لا مكان للمصالحة فيها، و هي لا تتوقف الا بهزيمة احد طرفي هذا الصراع، كما ان هزيمة هذا الطرف او ذاك لا تتم الا على ركام من الخراب الذي يحل بالأرضية التي قام عليها الصراع. وهذا ما يتوقعه المراقب لمستقبل الصراع في إيران.

ماذا سينتظر المنطقة في العام ٢٠١٤؟

علي حسين باكير - صحيفة العرب القطرية ٢٤/١٢/٢٠١٣

في الوقت الذي تمر فيه المنطقة بمنعطفات خطيرة تتطلب اتخاذ قرارات نافذة وأعمال حاسمة، ستتدخل عدّة دول في حالة من الشلل السياسي الذي من شأنه أن يزيد الأمور تعقيدا في ظل تحيّن بعض اللاعبين على المستوى الإقليمي والدولي لمثل هذه الفرصة لعقد صفقات تكرّس الاعتراف بما يعتبرونه «شرعية مصالحهم ونفوذهم الإقليمي»، وقطف الثمار السياسيّة لهذه الصفقات على حساب المنطقة وشعوبها.

في تركيا، سيكون العام ٢٠١٤ عاما صعبا جدا بالنسبة لحزب العدالة والتنمية الحاكم، إذ سيشهد هذا العام استحقاقات متعددة قد تغيّر وجه تركيا على صعيد استكمال مسيرتها الإصلاحية والانفتاحية التي انطلقت منذ العام ٢٠٠٢، أو التقهقر والتراجع إلى وضع يذكر بالمرحلة التي سبقت مجيء حزب العدالة والتنمية إلى الحكم قبل

كامل لكل معالم الدولة وشلل لأجهزتها الرسمية وتآكل ما تبقى من هيبتها وهيبة مؤسساتها لصالح حزب الله، الذي صادر كل أشكال السيادة السياسية والاقتصادية والمالية والعسكرية للدولة اللبنانية لصالحه في مسعى لإحكام سيطرته بالقوة على البلاد وأخذها كرهينة لتوظيفها في حسابات إيران الإقليمية.

صحيح أن شرعية حزب الله انهارت في العالم العربي والإسلامي منذ العام ٢٠٠٦ خصوصاً بعد الثورة السورية عام ٢٠١١، لكن الأمور على الأرض تدار بموازن القوى أيضاً. فهو يضغط لتطويع كافة مؤسسات الدولة اللبنانية تارة لاتخاذها كدرع شرعي لحمايته من الملاحقات القانونية والعقابية الإقليمية والدولية، وطوراً من أجل اتخاذ مؤسساتها كأداة لتنفيذ مخططاته. وهو في هذا المجال لن يرتدع عن دعم من يخدم مصالحه ليكون في موقع الرئاسة، فإن لم يستطع فسيبقى يمتلك قدرة التعطيل، وهو إن عطّل مؤسسات الدولة سابقاً ومن ضمنها الحكومة اللبنانية والبرلمان اللبناني، فإن أي محاولة لتعطيل الموقع المؤسساتي الأخير في لبنان يعني خطوة أخرى باتجاه انهيار النظام السياسي اللبناني بأكمله والذهاب إلى المجهول.

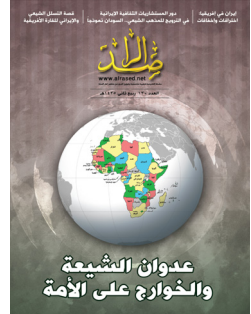
والوضع في مصر لا ينفصل عن باقي المنطقة، إذ سيحاول النظام الانقلابي في عام ٢٠١٤ إجراء بعض المبادرات الشكلية لاكتساب شرعية مفقودة، وسيتركز همه الأساسي على الحصول على مثل هذه الشرعية المصطنعة في عملية تشبيه المراحل التي تمر بها عملية تبييض الأموال أو ما يسمى أيضاً غسيل الأموال، ما سيفتح الباب واسعاً أمام استنزاف قدرات البلاد الاستراتيجية في صراع داخلي على السلطة قد ينتهي إلى نتائج كارثية، ما لم يتراجع الانقلابيون عن توجهاتهم هذه.

الأميركية الروسية مع محور الممانعة حول الكيماوي السوري، والتي أتت على حساب الملايين بين قتيل وجريح ومشرّد ولاجئ ویتيم، وكذلك الصفقة الأميركية الإيرانية على حساب شعوب المنطقة خصوصاً الدول التي نشرت طهران فيها الدمار والخراب طيلة عقود طويلة لتأمين مثل هذه الصفقة بالذات.

السماح للأسد بممارسة سلطات حتى ذلك التاريخ يعد جريمة بحد ذاته، فما بالكم بالسماح له بالاستمرار لما بعد ذلك التاريخ؟ سوريا تحوّلت إلى دولة فاشلة اليوم بسبب هذا النظام الفاشل، والعام ٢٠١٤ سيكون حاسماً باتجاه إما وقف نزيف سوريا وإعادة بناء الدولة أو إطالة عمر السلطة الموجودة في دمشق، وهو ما لا يعني شيئاً سوى الاستعداد لتقسيم سوريا كواقع ميداني.

في العراق، سيكون العام ٢٠١٤ عاماً في غاية الأهمية لناحية تحديد مصير العراق خلال المرحلة القادمة، فإمّا الاستمرار في تبعيّة العراق سياسياً واقتصادياً وأمنياً لإيران، وازدياد تدهور الأوضاع الداخلية وصعود الطائفية وازدياد عمليات القتل العشوائية والمنهجة وتهميش السنّة وعزلهم وتفتيت مقومات البلاد ونهب ثرواتها ومقدراتها لسنوات طويلة قادمة، أو البدء في العمل جدياً على تعديل هذا النهج. المفتاح لتحديد أي من الاتجاهين سيسلك العراق خلال المرحلة القادمة سيكون من خلال الانتخابات القادمة في العام ٢٠١٤، علماً أنّ شبح الصفقات الإقليمية سيلقي بظلاله بشكل ثقیل على هذا السيناريو. إذ من غير المستبعد أبداً أن يؤدي التوافق الأميركي الإيراني الجاري حالياً إلى إعادة إنتاج اتفاق على التمديد لرجلهم في العراق بغض النظر عن النتائج التي ستفرزها الانتخابات القادمة في العراق، وهو سيناريو كارثي يعني في حال تم أن العراق سيبقى في مساره السلبي نفسه الذي شهده خلال العقد الماضي.

في لبنان، من المفترض أن يشهد العام ٢٠١٤ انتخاب رئيس جديد للبلاد في ظل شبه انهيار



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٣٠)**

ربيع الثاني - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ عدوان الشيعة والخوارج على الأمة

فرق ومذاهب

- ٤ الحرس الثوري الإيراني.. من درع الثورة لمهرب مخدرات.. معتز بالله محمد

سطور من الذاكرة

- ١٠ الوجه الآخر: ٣- محمد مهدي الخالصي هيثم الكسواني

دراسات

- ١٣ إيران في إفريقيا: اختراقات وإخفاقات بوزيدي يحيى
٢٠ إيران والدولة الإسلامية بين الحقيقة والخداع أسامة الهتمي
٢٤ قصة التسلسل الشيعي والإيراني للقارة الأفريقية أسامة شحادة
٢٨ دور المستشاريات الثقافية الإيرانية في الترويج للمذهب الشيعي.. السودان نموذجاً محمد خليفة الصديق
٣٤ هل سيتحول العراق إلى خطر يزعم استقرار دول المنطقة عبد الهادي علي
٣٧ الحركة النسوية اليمنية... الزحف نحو المجهول فاطمة عبد الرؤوف

كتاب الشهر

- ٤١ السياسة الخارجية الإيرانية في أفريقيا أسامة شحادة

قالوا

- ٤٣ جولة الصحافة

جولة الصحافة

- ٤٥ دقات عن شبكات التجسس الإيرانية في دول الخليج العربي محمد السلمي
٤٩ على خطى إيران! طارق الحميد
٥٠ مؤتمر الصحابة وأفريقيا أسامة شحادة
٥٢ قواعد تاريخية تربط داعش بأصولها الخارجية موسى الغنامي
٥٨ يوم في حياة الأيزيدية في إقليم كردستان العراق علي المخلافي
٦٠ انتفاضة الأنبار.. والعقدة الطائفية د. محمد عياش الكبيسي
٦٢ القصة الغريبة لمقال ديني في إيران عطاء الله مهاجراني
٦٤ الغارديان: أدركت طهران أن حماس ليست ضد إيران موقع العصر
٦٦ أثر صراع النظريات بقاء التشيع في إيران صباح الموسوي
٦٧ الحوثيون.. رجل في الحوار ويد على الزناد محمد جميع
٦٩ الطرق الصوفية وطقوس الشعوذة تلتقي في مهرجانات بالمغرب.. جريدة عمان
٧٠ القضاء البحريني يقرر حل المجلس «العلماني الشيعي» رضوى عبد الله
٧١ مصادر: الحوثيون يحاولون توسيع نفوذهم إلى مطار صنعاء شبكة محيط

علياً وهم السبئية أصل الرافضة والشيعة!!
ومنذ ذلك الوقت والشيعة والخوارج مصدر
للشُرور والفتن والكوارث على أمة الإسلام،
وهذا أمر معروف ومقرر بين العلماء، قال ابن حزم
فيهم:

«واعلموا رحمكم الله أن جميع فرق الضلالة
لم يجر الله على أيديهم خيراً، ولا فتح بهم من بلاد
الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا
يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة
المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون
في الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمرهم
في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره»، (الفصل في
الأهواء والملل ٩٨/٥).

وقال ابن تيمية حول عدوان الشيعة والخوارج
على أمة الإسلام:

«وأن أصل كل فتنة وبليته هم الشيعة ومن
انضوى إليهم وكثير من السيوف التي سلت في
الإسلام إنما كانت من جهتهم، وعلم أن أصلهم
وماداتهم منافقون اختلقوا أكاذيب وابتدعوا آراء
فاسدة ليفسدوا بها دين الإسلام ويستزلوا بها من
ليس من أولى الأحلام، فسعوا في قتل عثمان وهو
أول الفتن ثم انزروا إلى علي لا حبا فيه ولا في أهل
البيت لكن ليقيموا سوق الفتنة بين المسلمين، ثم
هؤلاء الذين سعوا معه منهم من كفره بعد ذلك
وقاتله كما فعلت الخوارج، وسيفهم (سيف
الخوارج) أول سيف سل على الجماعة ومنهم من
أظهر الطعن على الخلفاء الثلاثة، كما فعلت
الرافضة وبهم تسترت الزنادقة كالفالية من
النصيرية»، (منهاج السنة ٢/٢٤٣).

وكانت سياسة اليهودي ابن سبأ لأتباعه

عدوان الشيعة والخوارج على الأمة

منذ ظهور الإسلام وانتصاره، بدأت
المؤامرات تحاك ضده، فقد حاول اليهود اغتيال
النبي ﷺ، وحاولوا خيانتته مع كفار قريش يوم
الأحزاب، كما ظهر النفاق في المدينة المنورة عقب
تأسيس نواة دولة الإسلام، لكن الله عز وجل أبطل
كيدهم.

وعقب وفاة النبي ﷺ ارتدت بعض القبائل،
وظن المرجفون والمنافقون أن دولة الإسلام زالت،
لكن الله عز وجل ثبت قلب الصديق رضي الله
عنه، فتصدى لها حتى أعادها إلى الإسلام.

أما الفاروق عمر رضي الله عنه، فقد واصل
نشر الإسلام فهدم إمبراطورتي فارس والروم
الظالمتين، ولم يقبل بالهزيمة بعض قادة فارس
وكهانها، فدبروا اغتيال الفاروق على يد أبي لؤلؤة
المجوسي.

وفي عهد عثمان ذي النورين رضي الله عنه،
تحرك أحد أحبار اليهود في اليمن ويدعى عبد الله
بن سبأ، فادّعى الإسلام وتجول بين أهل مصر
والشام والعراق، وبث فيهم النقرة على الخليفة
عثمان، وجمع حوله الغوغاء وقدم بهم على المدينة
المنورة، فاحتلوها وأصروا على عزله من الخلافة،
ولما رفض عثمان نزع الخلافة امتثالاً لأمر النبي ﷺ
أن لا ينزع قميص الخلافة، قتلوه وهو يقرأ القرآن.

ثم واصل ابن سبأ اللعب بهؤلاء الغوغاء، حتى
قسمهم إلى شطرين، شطر قاتل أبا الحسن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخوارج، وشطّر آلّه

تتلخص في قوله: «ابدؤوا في الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا قلوب الناس وادعوهم إلى هذا الأمر»، وهي نفس السياسة التي يسير عليها لليوم الشيعة والخوارج، إبداء المعارضة للأنظمة الحاكمة بالحق والباطل، ورفع الشعارات الإسلامية البراقة (الجهاد، الولاء والبراء، تحكيم الشريعة، محاربة المنكرات،...)، فينخدع بها البسطاء والشباب المتحمس!!

لا يزال الحال كما هو، فيوماً بعد يوم تتكشف الأصول والصلوات العجيبة واليهودية لقادة التشيع والخوارج في واقعنا المعاصر، ولا يزال المستفيد الحقيقي من أنشطة الشيعة والخوارج هم أعداء الأمة، ولاحظ أن الشيعة (إيران، حزب الله، الميليشيات الشيعية العراقية، ..)، والخوارج (داعش)، يزعمون أنهم متخاصمون متحاربون في الثورة السورية، لكن الحقيقة هي أنهم (شيعة وخوارج) يتوافقون مع موقف إسرائيل بحماية نظام بشار الأسد من السقوط، وفعلياً الذي يتلقى ضرباتهم العسكرية ومؤامراتهم السياسية هي قوى الثورة السورية من الكتائب الإسلامية والوطنية!!

فالיום تعيش الأمة عدوان الشيعة الراضية المتواصل على دينها ودمائها وأعراضها وأموالها، في إيران والعراق ولبنان وسوريا والبحرين واليمن وغيرها من البلاد، وهذا العدوان يتم جهاراً نهاراً، وبكل الأسلحة والأدوات، والثورة السورية أكبر دليل على هذا العدوان البشع والحققد الدفين، ولعل ما تسرب مؤخراً من صور تعذيب وقتل لأكثر من ١١ ألف مواطن سوري، تلك الصور التي تصور كل أشكال الحققد والكره الأسود الذي تعتمل عليه صدور الشيعة تجاه أمة الإسلام، دون ذنب أو سبب، سوى أننا مسلمون.

أما الدمار والتخريب الذي طال سوريا نتيجة قصفهم الهمجى وبراميلهم الفتاكة على الأبرياء من الأطفال والنساء والمسنين فهذا يؤكد عظم خطرهم وفداحة مكربهم، إن تمكنوا من بلد من بلاد الإسلام.

وبالمقابل نجد الخوارج (داعش) التي رفعت

رايات الجهاد وتحكيم الشريعة، فنجحت في التسلل للمناطق المحررة التي عجز النظام السوري وحلفائه الشيعة من استعادتها، فاستغلت داعش انشغال الثوار والمجاهدين في الصراع مع قوات النظام، لتتحكم سيطرتها على المناطق المحررة، فتسيطر على مفارق الطرق، ومحطات الوقود، ومستودعات الطحين والأغذية، وعقب ذلك استدارت للمحاكم والهيئات الشرعية فهاجمتها وكفرتها، ولمقررات الفصائل فاستولت عليها، ونصبت من نفسها وصية على الشعب السوري، ففتحت له السجون بدلاً من الحرية، ومن جاء يحاول إصلاح الأمور والنصح لهم قتلوه غدراً.

حتى ضاقت الأمور والأحوال بالناس، وحتى زاد شرهم فلم يعد فصيل يأمن على نفسه منهم، بعد أن قتلوا الإعلاميين والأطباء وأهل الإغاثة ومن سعى في الصلح، فضلاً عن قادة ومجاهدين، وذلك كله بعد أن كفروهم وعدوهم مرتدين، لأنهم لم يعترفوا بأمرهم المجهول، ولا بدولتهم الخيالية.

وعندها أذرتهم الفصائل أنها لن تسكت عن تجاوزاتهم بعد اليوم، فركبت داعش رأسها واستمرت في غيها، فحصل القتال بينها وبين الفصائل، فانهاالت على الفصائل السيارات المفخخة التي سلم منها النظام طيلة الأشهر الماضية!

ثم رأينا طائرات النظام تقصف المحاربين لداعش، فردت داعش التحية بأحسن منها إذ سلمت بعض المناطق للنظام، وبعض الأسرى!

وهكذا أصبح الثوار بين مطرقة الشيعة الراضية وبين سندان الخوارج داعش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكما أن صنيع الشيعة لا ينحصر في سوريا، إلا أن الثورة السورية عرت حقيقة قصفهم، فكذلك الخوارج لا ينحسرون في داعش، لكن الثورة السورية عرتهم وستعريهم أكثر إن شاء الله، وكما كنا نشتكى من طيبي القلب من الجماعات والقيادات الإسلامية التي تحسن الظن بالشيعة، فإننا اليوم نعاني أيضاً من جماعات وقيادات إسلامية أخرى تحسن الظن بداعش أو أخوات داعش، والله المستعان.

التتظيم والتدريب خصصت لمساعدة الخميني وأتباعه في توطيد سلطتهم في طهران.

وبذلك تتميز إيران عن دول العالم بوجود الحرس الثوري، حيث جرت العادة أن يكون لكل دولة جيش نظامي تقليدي يتولى مهام حفظ الحدود والحرب وحماية البلاد من أي خطر خارجي، لذلك يطلق المراقبون على الحرس الثوري «الجيش الموازي» الذي يتمتع بفضو واسع في البلاد.

تطور ومهام

بيد أن الطفرة التي حدثت للحرس الثوري الإيراني جاءت مع اندلاع حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، حيث حولته هذه الحرب من مليشيا مهلهلة إلى قوات عسكرية كاملة العتاد، وقاد الحرس الكثير من المعارك ضد نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين.

وتتباين التقديرات حول عدد عناصره، ففي حين يرى المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية في لندن أنه يتألف من ٣٥٠ ألف عنصر، قدر معهد الدراسات الإستراتيجية والدولية في واشنطن أن قوامه لا يتجاوز ١٢٠ ألفاً.

ويضم الحرس الثوري ١٠٠ ألف جندي وضابط تابعين للقوات البرية والجوية، في وقت يصل فيه عدد عناصر القوات البحرية إلى أكثر من ٢٠ ألفاً.

وللجهاز استخبارات خاصة به وقوات خاصة على مستوى عال من الحرفية، ويرجع مراقبون العدد الكبير لأعضاء الحرس إلى ما يمنحه من مزايا تدفع الكثير من الإيرانيين إلى التطوع والانخراط به، حيث يكون بإمكانهم بعد ذلك الحصول

الحرس الثوري الإيراني.. من درع للثورة لمهرب مخدرات

معتز بالله محمد^(*) - خاص بالرائد

يعرف بالفارسية باسم «باسدران»، ويعمد الجيش العقائدي للمرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية في إيران. ورغم كونه أحد أركان القوة لإيران إلا أنه يتمتع بقيادة مستقلة وتبعية مطلقة لمرشد الثورة علي خامنئي، حيث يتلقى أوامره منه بشكل مباشر.

تأسس الحرس الثوري الإيراني عبر مرسوم من قائد الثورة آية الله الخميني في بداية الثورة الإيرانية، وكان أول ظهور له في مايو ١٩٧٩م، وقائده اليوم هو الفريق محمد علي جعفري الذي خلف الفريق يحيى رحيم صفوي.

الأهداف

وكان الهدف الرئيس من تأسيسه هو إقامة توازن مع الجيش التقليدي الذي لم يشارك في الثورة وظل بعض ضباطه أوفياء لحكم الشاه، كذلك جمع القوات العسكرية المختلفة التي نشأت بعد الثورة في بنية واحدة موالية للنظام لحمايته.

وجرى تجميع عناصر هذا الجهاز بطريقة عشوائية، حيث كان في أول عهده مليشيا ضعيفة

(*) كاتب مصري.

بالأضواء، و١٠ زوارق دورية مزودة بصواريخ موجهة مضادة للسفن «C-802»، إضافة إلى قذائف (HY 2 -) البرية المضادة للسفن، وبعض هذه النظم يمكن أن يعدل ليحمل رؤوساً نووية صغيرة، بالإضافة للأسلحة التقليدية والقنابل والألغام والأسلحة البيولوجية.

الباسيج

أحد أهم فروع الحرس الثوري وتعني «التعبئة» أو «قوات التعبئة الشعبية» وهي قوات شبه عسكرية تتكون من متطوعين من المدنيين ذكورا وإناثا، أسسها مصطفى أحمد الموسوي الخميني في نوفمبر ١٩٧٩. وشكلت رأس الحربة في عمليات قمع مظاهرات المعارضة منذ إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية التي فاز بها الرئيس السابق محمود أحمد نجاد، وقد وضعت هذه القوات التي هي بمثابة موجات بشرية للدفاع عن إيران وقيم الجمهورية الإسلامية - كما يقول الإيرانيون - تحت قيادة الحرس الثوري في يناير ١٩٨١م.

ويصل عدد المتطوعين في الباسيج إلى ١١ مليوناً (٩٠ ألفاً منهم فقط جنود نظاميون ثابتون)، وتقوم حالياً بالعمل على ضمان تطبيق الالتزام بالزي الإسلامي في الشوارع والأماكن العامة، حيث تقيم نقاط تفتيش في الشوارع، خاصة يومي الخميس والجمعة، منعاً لشرب الكحول والمخدرات، وقد تم توسيع نطاق مهماتها لتزويد الحرس الثوري الإيراني بالاحتياطي والعناصر الصغيرة.

ويصف معارضون إيرانيون (الباسيج) بأنه دولة داخل دولة فهو معزول تماماً عن السلطة الحكومية في البلاد، فلا رقيب على تصرفات أعضائه ولا شيء يعرف عن ميزانيته التي يقرها الخامنئي، ومن واجبات الباسيج المتعددة الحفاظ على الأمن الوطني

بسهولة على وظائف حكومية، كما يسهل عليهم دخول الجامعات وفقاً لكوته مخصصة لهم.

ويقول الإيرانيون إنه منذ نهاية النزاع العراقي الإيراني عام ١٩٨٨م، اختار الحرس الثوري لنفسه دوراً عسكرياً دفاعياً، مع قيامه ببعض المهام المدنية في مجال إعادة الإعمار، كذلك يلعب دوراً كبيراً في التصدي للمجموعات المسلحة التابعة للمعارضة عبر جهاز استخباراتي مستقل.

ويشارك الباسيدان جنباً مع جنب مع الجيش في مراقبة الحدود، وحماية مضيق هرمز ومنع التهريب عبر الحدود، وتطوير نظم الصواريخ الإيرانية، كما يتولى الحرس الثوري حصرياً مسؤولية البرنامج النووي الإيراني، لكن تجهيزاته تتفوق بكثير عن الجيش النظامي، لا سيما فيما يتعلق ببطاريات الصواريخ بعيدة المدى.

القدرات العسكرية

يملك الحرس الثوري ترسانة متنوعة من الأسلحة ما بين صواريخ ودبابات وطائرات مقاتلة معظمها روسية الصنع.

وتعد الصواريخ القوة الضاربة له وتتنوع بين قصيرة إلى متوسطة وبعيدة المدى، أغلبها مصنع داخل إيران في حين تم تطوير بعضها عن صواريخ أمريكية وروسية على رأسها (عائلة شهاب، رعد، النازعات، خيبر).

ويملك الحرس أيضاً

قدرات دفاعية رادعة، كأنظمة صواريخ بإمكانها حمل رؤوس عنقودية، يمكنها رمي ١٤٠٠ قنبلة صغيرة على الهدف، ويصرح مسؤولون فيه بأن لديه الآلاف من الجنود المدربين على القيام بعمليات انتحارية.

وفي الخليج، وتحديدًا قرب مضيق هرمز، تتركز قواعد القوات البحرية للحرس الثوري، وتمتلك هذه القوات ٤٠ زورقاً دورية مزوداً



والتجسس وقمع المظاهرات ومحاسبة الشعب.

الخطير أنه ليس من الضرورة أن يكون عنصر الباسيج إيرانيا أو فارسي الأصل، فهناك متطوعون من المذهب الشيعي يحملون نفس المعتقد سواء من لبنان وعدد من دول الخليج ومستعدون للموت فقط في سبيل المرشد.

فيلق القدس

تتبع قوات هذا الفيلق أيضا الحرس الثوري، وهو جناح عسكري يقوم بعمليات خارج الحدود خاصة مع حزب الله في لبنان، والمليشيات الشيعية في العراق والشيعية في أفغانستان، وعلى الرغم من أن عدد عناصره غير معروف، إلا أنه يقدر بنحو ٥٠ ألف عنصر، ويقوده حالياً العميد قاسم سليمان.

وتقود هذه القوات ما يسمى إيرانيا بـ«تصدير الثورة» وباعتراف حسين حميداني نائب قائد ميليشيا الباسيج فإن إيران تقوم عبر فيلق القدس بتسليح «جيوش الحرية في الشرق الأوسط وتمدها بالسلاح».

أنشئت تلك القوة خلال الحرب العراقية الإيرانية، وكانت تدعم الأكراد ضد جيش صدام حسين، وتحالفت مع «أحمد شاه مسعود» في أفغانستان ضد السوفييت، ثم واصلت دعمها له ضد نظام طالبان، وشاركت في حروب البوسنة والهرسك مع يوغسلافيا، ودعمت الحوثيين في اليمن.

كما يعمل الفيلق على تدريب مقاتلي حزب الله وينشط في لبنان ووسط آسيا وأوروبا وأمريكا وشمال أفريقيا، ويتهم بتشكيل وتدريب وتسليح المليشيات الشيعية التي قادت الحرب الطائفية ضد سنة العراق منذ عام ٢٠٠٦.

وتقدر قوة ذلك الفيلق بحوالي ٨ آلاف ضابط و١٢٠ ألف جندي، وفي عام ٢٠٠٧ صنفته وزارة الخزانة الأمريكية فيلق القدس على أنه منظمة إرهابية عالمية، وجمدت أرصده وفرضت حظرا على تعامل الأطراف الأمريكية معه، كما فرض الاتحاد الأوروبي في عام ٢٠١١ عقوبات ضد الفيلق

لدعمه نظام بشار الأسد في سوريا.

ولعب الفيلق دورا بارزا في محاولة اغتيال السفير السعودي في أمريكا في مطعم في واشنطن في عام ٢٠١١، وهدد بـ«شن عمليات ضد المصالح الأمريكية في المنطقة إذا قام التحالف الدولي بهجوم عسكري ضد النظام البعثي النصيري الحاكم في دمشق».

ويعترف رئيس فيلق القدس الذي يعد قوة النخبة في الحرس الثوري الفارسي بالتواجد العسكري على الأراضي السورية والضلوع في قمع المعارضين لنظام بشار الأسد.

الحرس والسلطة

نظرا لما يعرف عن أعضاء الباسدران من حماسة دينية وولاء أعمى للمرشد واستعدادهم للتضحية من أجله، فقد أصبحوا موضع تكريم القيادة، وتمتعوا بنفوذ كبير داخل أجهزة الدولة على الصعيدين السياسي والاقتصادي. وربما أكبر دليل على ذلك وصول أحد أعضائه إلى رئاسة الجمهورية، وهو الرئيس السابق محمود أحمددي نجاد.

وقام نجاد لدى انتخابه بتعيين عدد من الوزراء من كوادر الحرس، بالإضافة إلى أن العشرات من النواب في البرلمان هم أعضاء سابقون في الحرس.

كذلك سيطر العديد من تلك الكوادر على مفاصل الدولة الحساسة من بينهم السكرتير السابق لمجلس الأمن القومي علي لاريجاني ورئيس بلدية طهران محمد باقر قاليباف (قائد الشرطة السابق)، كما أصبح عدد منهم ناشطين في قطاعات البناء والنفط.

إمبراطورية المال

يسيطر الحرس الثوري على مفاصل الاقتصاد الإيراني في وقت يواجه فيه الإيرانيون مشاكل معيشية عويصة، حيث ينخرط في كثير من المشاريع الاقتصادية، التي تقدر بمليارات الدولارات في مجالات النفط والغاز والبنية التحتية.

وبحسب تقارير صحفية فإنه من الصعب الوقوف على نسبة حصة الحرس من الناتج القومي المحلي

الإيراني ولكن التقديرات تشير إلى ما يتراوح بين الثلث والثلثين.

وقد بدأت قصة الحرس والمال في أعقاب الحرب الإيرانية- العراقية حين شرع الرئيس هاشمي رفسنجاني في عملية إعادة البناء التي سعى في إطارها إلى توجيه طاقات قوات الحرس الثوري الإيراني نحو العمل في القطاعات المدنية وتجديد البنى التحتية التي تضررت بسبب الحرب.

وبمرور الوقت تحول الحرس الثوري تدريجياً إلى إمبراطورية اقتصادية في مجالات البناء والنقل وقطاع الطاقة. وبحلول عام ١٩٩٢ أصبح ٤٥ ألف موظف يعمل في المجمعات الصناعية والتجارية التابعة للحرس الثوري الإيراني.

وقد عمل الرئيس السابق أحمددي نجاد (٢٠٠٥ - ٢٠١٣) على تمكين سلطة رفاقه وذلك في كافة مفاصل الدولة لتطهيرها من النخب الإصلاحية التي تمكنت من الانتشار في عهد الرئيس خاتمي، فانخرط الحرس الثوري والباسيج بشكل موسع في المزيد من الصفقات التجارية والصناعية خاصة في قطاع الطاقة، لاسيما مع العقوبات الغربية المتزايدة التي أدت إلى انسحاب المزيد من الشركات الاستثمارية الغربية ما دفع الدولة إلى سد الفراغ من خلال المؤسسات التجارية والصناعية التي يديرها الحرس.

ومع إغلاق العقوبات الباب في وجه نشاطات الحرس في مجالات التصدير التي كان يتم الحصول من خلالها على عملة صعبة فإن جماعات الضغط داخل الحرس الثوري بدأت في الانخراط في نشاطات تهريبية (وخاصة الوقود المدعوم) لتعويض ما فقدته من منافذ رسمية كانت تستخدمها في الحصول على العملة الصعبة التي تعظم من خلالها نشاطاتها ومشروعاتها التجارية الداخلية بالإضافة إلى معداتها العسكرية ونشاطاتها الاستخباراتية، وذلك تحت غطاء «الحفاظ على الأمن القومي».

يشار إلى أن أحمددي نجاد نفسه أبدى انزعاجه من توغل الحرس في عملية التهريب، إلى الدرجة

التي دفعته في عام ٢٠١١ إلى وصف الدوائر التي تمارس نشاطات التهريب داخل الحرس بـ «الأخوة المهربين» في مؤتمر شهير لمكافحة تهريب السلع، مطالباً بإغلاق جميع المنافذ الحدودية والمرافئ البحرية غير الخاضعة لمراقبة هيئة الجمارك.

ويدير الحرس أيضاً مطار الإمام الخميني الرئيسي على الرغم من منح عقد لشركة نمساوية - تركية عام ٢٠٠٤، إلا أن الحرس منذ انتهاء الأعمال سيطر بالقوة على المطار بذريعة أن تشغيله من قبل أجنب «يعرض البلاد للخطر».

وبخلاف قيامه بإدارة شركات مالية ونفطية وإعمارية وتجارية تعنى بالاستيراد والتصدير بالإضافة إلى المواصلات ومطارات عدة في جميع أنحاء البلاد، أكد محسن سازيجارا وهو من مؤسسي الحرس الثوري ولكنه الآن معارض يعيش في المنفى - في تحقيق لصحيفة الجارديان البريطانية - أن أجنحة الحرس «تقوم بعمليات تهريب كحول ومخدرات، وهذا المزيج في مجالات عدة هو الذي يجعلها فريدة إلى هذا الحد».

فيما اعتبر علي أنصاري خبير الشؤون الإيرانية في جامعة سانت أندروز البريطانية أن «انخراط هذه المؤسسة في مجال الأعمال بهذا الحجم قد غير صورتها التي لم تعد تقارن بما كانت عليه خلال الأعوام الأولى للثورة الإيرانية».

الحرس والإرهاب

التعريف المتفق عليه للإرهاب هو (تلك الأفعال العنيفة التي تهدف إلى خلق أجواء من الخوف، ويكون موجهاً ضد أهداف دينية وأخرى سياسية معينة، أو هدف أيديولوجي، وفيه استهداف متعمد أو تجاهل سلامة غير المدنيين).

وبإسقاط هذا التعريف يتضح أن الحرس الثوري الإيراني عبر فروعته المختلفة ليس سوى منظمة إرهابية كاملة الأركان، فمنذ تأسيس الجهاز قام بعدة عمليات ونشاطات في المنطقة هدفت إلى فرض الأيدولوجية الخمينية على المنطقة بالعنف وقوة السلاح والتخريب ونشر الفوضى والقلق في الدول

المستهدفة، ومحاولة تصدير ما يسمى بالثورة، وذلك إحياء للطموحات التوسعية للإمبراطورية الفارسية قديماً.

ففي عام ١٩٨٠م بدأت عمليات الحرس تتخذ منحى خارجياً فتحت مسمى تصدير الثورة للخليج أوحى الحرس لشيعة السعودية لبدء التمرد في بلاد الحرمين من خلال إعلان الثورة وبداية المظاهرات الغوغائية والشغب والتكسير والتخريب في القطيف ورفعوا شعارات وهتافات طائفية معادية للدين والدولة مثل: «مبدأنا حسيني وقائدنا خميني» و«يسقط النظام السعودي».

وحملوا لافتات كتب عليها «يسقط فهد وخالد» ويقصدون بذلك الملك خالد والملك فهد رحمهما الله، مما دفع الحرس الوطني السعودي إلى التدخل، وانتهت الأحداث بقتل ٢٠ شخصاً وجرح أكثر من ١٠٠، وجعلت من قبور من قُتلوا من الشيعة مزاراً حتى اليوم باعتبارهم أبطالاً.

وفي عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، حاول الحرس الثوري تنفيذ تفجيرات في موسم الحج، حيث حاول الحرس الثوري تهريب المتفجرات عبر حقائب الحجاج الإيرانيين، وأظهرت التحقيقات أنهم كانوا يريدون تنفيذ تفجيرات بمكة وبالحجاج لترويع الأمنين وإظهار المملكة بأنها لا تستطيع إدارة المشاعر، ولم يتم الكشف عن هذا المخطط إلا بعد أحداث ١٤٠٧هـ.

وفي عام ١٤٠٧هـ، قام أفراد من الحرس الثوري الإيراني وبالتسسيق مع الحجاج الإيرانيين بالقيام بمظاهرات في موسم الحج، وقاموا بتكسير وتخريب وإحراق العديد من المحلات والسيارات في الأماكن المقدسة وسد الطرقات مما أدى إلى تعطيل الآلاف من الحجاج عن أداء مناسكهم وأدى إلى الازدحام والفوضى، الأمر الذي أدى إلى سقوط العشرات من النساء والأطفال والعجزة تحت أقدام المتظاهرين، وبعد تدخل الأمن ونتيجة للاشتباكات والمدافع قُتل أكثر من ٤٠٠ شخص من بينهم ٢٧٥ إيرانيًا و ٨٥ من السعوديين ورجال أمن، و ٤٥

حاجاً من بلدان أخرى، إضافة إلى إصابة المئات. بعد هذه الأحداث مباشرة قام أتباع الحرس الثوري بمهاجمة مقر سفارة المملكة في طهران واحتجاز الدبلوماسيين السعوديين بداخلها والاعتداء عليهم وإصابة القنصل السعودي في طهران رضا عبد المحسن النزهة.

وفي عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، قامت مجموعة من شيعة الكويت، تنسب إلى منظمة تسمى «الساثرون على خط الإمام الخميني» والمتفرعة من (حزب الله)، بتفجيرات بمكة المكرمة في موسم الحج بجوار بيت الله الحرام، بعد أن تم تسليم المواد المتفجرة لهؤلاء الجناة بمعرفة الحرس الثوري وفيلق القدس عبر السفارة الإيرانية في دولة الكويت.

ففي الساعة العاشرة مساءً، وقع انفجاران، الأول في أحد الطرق المؤدية للحرم المكي، والآخر فوق الجسر المجاور للحرم المكي، ونتج عن ذلك وفاة شخص واحد وإصابة ستة عشر آخرين. وتم إلقاء القبض عليهم جميعاً وتنفيذ القصاص فيهم.

في أكتوبر من عام ٢٠١١ أحبطت السلطات الأمريكية محاولة لاغتيال السفير السعودي في واشنطن، عادل الجبير، كما أعلنت إفشالها محاولة تفجير السفارة السعودية في العاصمة الأمريكية.

وقضت محكمة مانهاتن الفيدرالية في نيويورك في مايو ٢٠١٣ بالسجن لمدة ٢٥ عاماً ضد الأمريكي من أصل إيراني منصور أربابسيار الذي أقر بمحاولته اغتيال السفير السعودي بالتسسيق مع جهات عسكرية إيرانية في إشارة لفيلق القدس.

ولا يخفى على أحد الدور الذي قام به الحرس الثوري في إشعال الفتن والتمرد في البحرين تزامناً مع اندلاع الثورات العربية عام ٢٠١١.

وأعلنت المنامة بداية يناير ٢٠١٤ نتائج التحقيق في حادثة تهريب شحنة أسلحة كانت في طريقها إلى البحرين، وأبرزت النيابة العامة اعترافات المتهمين في القضية بالدور الإيراني، حيث خضعت الجماعة التي شكلها مواطن بحريني مقيم في

إيران للتدريب من قبل أفراد في الحرس الثوري الإيراني لتنفيذ عمليات إرهابية تستهدف شخصيات ومنشآت سيادية وأمنية وحيوية في البحرين.

ونفذ فيلق القدس العديد من عمليات الاغتيال لمسؤولين عرب وأجانب، حيث تشير أصابع الاتهام إلى فيلق القدس في مقتل رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في ١٤ فبراير ٢٠٠٥ بمتفجرة تزن أكثر من ١٠٠٠ كيلو جرام لدى مرور موكبه بجانب فندق سانت جورج في العاصمة اللبنانية بيروت.

وفي إفريقيا سعى الحرس الثوري إلى بسط سيطرته على القارة السمراء وتحويلها إلى قاعدة لنشاطاته، ففي فبراير ٢٠١٣ تم اعتقال ٣ مشبتهين ضمن خلية إيرانية بنيجيريا، جمعوا معلومات عن أهداف إسرائيلية وأمريكية.

وتبلورت الاستراتيجية الإفريقية الجديدة للحرس الثوري، بعد سلسلة جلسات عقدتها وحدة شؤون إفريقيا في قوات القدس وبناء على توجيهات خامنئي.

حيث أقر قائد قوات القدس قاسم سليمان تقسيمات إدارية جديدة في وحدة إفريقيا بقوات القدس بهدف إحكام سيطرته على عملياته في إفريقيا تشمل وحدة شمال إفريقيا، وحدة القرن الإفريقي، وحدة إفريقيا الوسطى، وحدة غرب إفريقيا، وحدة جنوب إفريقيا، وحدة شرق إفريقيا.

ويقود فيلق القدس نشاطات في مجال تهريب الأسلحة والمخدرات لا سيما في نيجيريا حيث تم اكتشاف ١٣ حاوية مليئة بالأسلحة، كذلك اضطر اثنان من كوادر الفيلق للجوء إلى السفارة الإيرانية في العاصمة النيجيرية أبوجا، بعد تورطهم في محاولة تهريب ١٣٠ كيلوجراماً من الهروين كانت مخبأة في حاوية إيرانية وصلت إلى موانئ نيجيريا على أنها تنقل قطع غيار للسيارات.

ويستثمر الحرس الثوري المليارات في مشاريع اقتصادية بدول إفريقية مختلفة كمدغشقر والسودان ونيجيريا والسنغال، وإن كانت غطاء

لتسهيل العمليات التي تتعلق بتهريب السلاح والمخدرات وتجنييد عملاء وتنفيذ عمليات تشييع جماعي لمواطني تلك الدول.

ويشارك الحرس الثوري جنباً إلى جنب مع «حزب الله» اللبناني في الحرب الدائرة في سوريا حيث يقوم خبراء فيلق القدس بالتخطيط للعمليات واغتيال ناشطين في المعارضة المسلحة.

وفي لبنان تم تنفيذ العديد من عمليات الاغتيال من قبل الحرس من بينها عملية أبريل ١٩٨٢ حيث قام باغتيال الشيخ أحمد عساف رئيس اتحاد الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في لبنان، بعد ذلك بعام واحد فجّر السفارة الأمريكية ببيروت بعين المريسة، وقتل ١٤ شخصاً، وجرح ٥٣.

وفي ١٩٨٤ نفذ عملية اغتيال رئيس الجامعة الأميركية في لبنان دكتور مالكولم كير، كما قتل الحرس الثوري الشيخ صبحي الصالح، رئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى عام ١٩٨٦. ونفذ عمليات اغتيال عام ١٩٩٢ أدت إلى قتل قادة ومفكري الحزب الشيوعي اللبناني حسين مروة، ومهدي عامل، و خليل عويس.

وبقيت العراق مسرحاً مفتوحاً منذ الغزو الأمريكي في مارس ٢٠٠٣ لنشاط فيلق القدس الذي نفذ مئات الاغتيالات استهدفت ضباط وكوادر في الجيش العراقي السابق، ورجال دين سنة ومعارضين سياسيين للنهج الخميني وعلماء كبار في المجالات والتخصصات النادرة.

كما قام بتشكيل العديد من المجاميع والمليشيات المسلحة التي قادت الحرب الطائفية ضد أهل السنة، وتفجير المساجد.

والده محمد مهدي الخالصي، وعلى عالم آخر من علماء الشيعة هو محمد تقي الشيرازي.

وفي شبابه، شهد محمد الخالصي الاحتلال البريطاني للعراق على أنقاض الحكم العثماني، وقد وقف الخالصي ضد هذا الاحتلال، كما وقف ضد الحكم الملكي للعراق الذي قام في أوائل العشرينيات من القرن الماضي، فقررت سلطات الاحتلال إبعاده إلى إيران، وكان ذلك في سنة ١٩٢٢م.

وفي العام التالي تم إبعاد والده مع مجموعة من كبار رجال الدين الشيعة إلى إيران أيضا، من أبرزهم: شيخ الشريعة الأصفهاني، ومحمد حسين النائيني، حيث كانت السلطات في العراق (سواء البريطانية أو الملكية) ترى أنه لا يجوز للمراجع الشيعة الإيرانيين التدخل في شؤون العراق.

وفيما يتعلق بأسرة الخالصي، فالمعروف أنها أسرة عربية، لكن أفرادها حصلوا على الجنسية الإيرانية خلال العهد العثماني لتجنب التجنيد^(١).

وفي سنة ١٩٢٤م، سُمح للمراجع الشيعة بالعودة إلى العراق شريطة التعهد بعدم التدخل في شؤونه السياسية، حينها كان



الوجه الآخر

٣- محمد مهدي الخالصي

هينم الكسواني^(٢) - خاص به «الرائد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبت حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالصي من الشخصيات الشيعية المعاصرة التي التبت حقيقتها على أهل السنة، والسبب

الرئيس في ذلك يعود إلى محاربة الخالصي لبعض البدع ومظاهر الشرك والغلو الموجودة في التشيع إضافة إلى سعيه للتقريب بين السنة والشيعة.

وفي هذا المقال اقتراب أكثر من شخصية الخالصي، وعقائده، ونظرته إلى السنة والصحابة.

أولا: حياته وتوجهاته

ولد الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالصي في مدينة الكاظمية في العراق، في سنة

١٣٠٦ هـ (١٨٨٨م)، وبدأ بطلب العلم في فترة مبكرة من حياته، وتعلم بشكل رئيسي على يد

(١) شيعة العراق، إسحاق نقاش، دار المدى، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، ص ١٥٥.

(٢) كاتب أردني.

الخالصي (الأب) قد توفى، أما الخالصي (الابن) فقد بقي في إيران مدة ٢٧ سنة تقريباً لرفضه التوقيع على التعهد.

وفي إيران، انتقل الخالصي من نفي إلى نفي، وسجن إلى سجن، نتيجة نشاطه السياسي، لكن في نهاية الأربعينيات سُمح له بالعودة إلى العراق لقيام بدور في مقاومة الشيوعية التي كانت تسري في العراق كالحشيم، وتشكل تهديداً للحكم الملكي للعراق، حيث اشتهر عن الخالصي بأنه عدو لدود للشيوعية^(١).

وظل محمد الخالصي في العراق، واتخذ من الكاظمية مقراً له إلى أن توفى في سنة ١٩٦٣م.

ثانياً: موقفه من انحرافات الشيعة

رفض محمد الخالصي الكثير من انحرافات الشيعة، مثل الاعتقاد بمعرفة الأئمة للغيب، وقدرتهم على التصرف في الكون، وأنكر الالتجاء إلى غير الله، والاستغاثة بالأولياء والأئمة، والقول بتحريف القرآن، والاحتفال بعيد النيروز كما يحتفل به المجوس، وتعطيل صلاة الجمعة، والشهادة الثالثة في الأذان^(٢). إلخ، ما جرّ عليه سخط فئات كثيرة من الشيعة اتهمته بالجنون والعمالة والتسنن والوهابية وحب الزعامة ومخالفة ضروريات الدين^(٣)، وليس ذلك بمستغرب على الشيعة إذ أنهم دائماً ما يقفون بوجه أي تصحيح داخل طائفتهم.

ويعزو خالد البديوي هذه التحولات عند الخالصي ورفضه لبعض انحرافات قومه إلى سببين رئيسيين:

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٢) يستغرب الأستاذ محمود الملاح (في كتابه: تاريخنا القومي بين السلب والإيجاب، ص ١٥٨) كيف أن الخالصي يرفض الشهادة الثالثة في الأذان (إضافة عبارة: أشهد أن علياً ولي الله بعد الشهادتين) ويصلي على أذانهما! ويقول: «والخالصي مع تنديده بالشهادة الثالثة ولعنة مبتدعيها من فرقة (المفوضة) كان يصلي عليها! فأيهما التقية؟ نهيها عنها أم صلاته عليها؟» (ص ٥٨).

(٣) أعلام التصحيح والاعتدال، خالد بن محمد البديوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م)، ص ٣٢٤ - ٣٢٦.

الأول: أثر والده، الذي كان لديه بعض الأفكار الإصلاحية، مثل رفض ما يقوم به الشيعة في مواكب العزاء الحسينية في عاشوراء.

الثاني: رغبته بتخطي إطار الطائفة، وتبني دعوة عالمية، لذا لا بد هنا للخالصي من أن يتبنى «تشيعاً بعيداً عن الغلو والخرافة الظاهرة، حتى يقدم مذهبا مقنعا للبشرية التي دخلت في مرحلة جديدة تتسم بالتقدم الذي لا يقبل التخلف والخرافة والغلو»^(٤).

ويرى الخالصي أن الغلو دخل إلى التشيع من ثلاث جهات:

- بعض الرواة الكذابين المتقدمين.
- طوائف كالشيخية والبهاية والصوفية.
- الخطباء الجهلة الذين ينشرون أحاديث الغلاة، والذين يتخذون المنبر وسيلة للارتزاق. ومن الملاحظ أنه تغافل عن دور علماء الشيعة الكبار وأعلام المذهب مثل محمد باقر المجلسي^(٥)، شيخ الدولة الصفوية، وغيره الكثير ممن كان لهم دور في زيادة نسبة الغلو والخرافة في التشيع.

ثالثاً: وجهه الآخر

لكن صورة رفض الخالصي لانحرافات الشيعة ليست بتلك «الوردية»، إذ أنه - في المقابل - حمل عدداً من لوثات الشيعة وعقائدهم ودافع عنها، ومنها على سبيل المثال:

١- موقفه من السنة

يرى الخالصي - بدايةً - بأن التشيع هو الإسلام، ويقول: «عرّفني أبي الإسلام في كتاب الله والسنة الصحيحة من طريق آل البيت عليهم السلام، ولم أجد الإسلام مجموعاً عند غيره إلا في رجل واحد وهو (محمد تقي الشيرازي) وقد درست عليه شيئاً قليلاً»^(٦).

ويعتقد بأن التشيع القائم على الإمامة هو الذي

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

يجب اتّباعه، لأن الإمامة -عنده- من العقائد الثابتة والبدهيات التي لا تحتاج إلى دليل، ويقول: «والعقائد الخمس هي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، كلها ثابتة بالبدهة...»^(١)، واعتبر الإمامة الإثني عشر من أركان الإيمان، وبناء على ذلك أفتى بكفر من لم يعتقد بإمامتهم، كما يتضح من قوله: «الإثمة الإثنا عشر أركان الإيمان، ولا يقبل الله تعالى الأعمال من العباد إلا بولايتهم»^(٢).

٢- موقفه من الصحابة وأمّهات المؤمنين

لا يكاد الخالصي يختلف في نظريته إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معتقد الشيعة، إذ يرى أن الصحابة (الذين رضي الله عنهم وأثنى عليهم وارتضاهم لصحبة نبيه) غصبوا الإمامة من علي رضي الله عنه، مع علمهم بالنصّ الإلهي على إمامته، وأن عائشة رضي الله عنها خرجت على علي رضي الله عنه لتسقط ولايته الواجبة، ولذا فإن الخالصي لم يتردد في القول بأن الصحابة يستحقون اللعن لأنهم (يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) وأدخلهم في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقد كان للخالصي مراسلات مع علامة الشام آنذاك محمد بهجت البيطار رحمه الله حول موضوع الصحابة، وعلى الرغم من أن البيطار ذكر للخالصي الفضائل التي ذكرها القرآن للصحابة، إلا أن الخالصي لم يقتنع، وكان يجد تأويلات يخرج بها من إثبات الفضائل للصحابة في القرآن^(٣).

وكان الخالصي يرى أن على رأس المطعون فيهم من الصحابة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، كما كان يشكك بدخول الصحابة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ﴾

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٦، نقلا عن (الإسلام سبيل السعادة والسلام) للخالصي.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٥، نقلا عن مسألة التقريب للشيخ ناصر القفاري.

(٣) أعلام التصحيح والاعتدال، ص ٣٣١.

اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨]، ويقول: «وإن قالوا إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نصّ على الرضى عنهم القرآن في قوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قلنا: لو أنه قال: لقد رضي عن الذين يبايعونك تحت الشجرة لكان في الآية دلالة على الرضى عن كل من بايع، ولكن لما قال (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) فلا دلالة فيها إلا على الرضى عمن محض الإيمان»^(٤).

كما وقف الخالصي موقفا سلبيا من قصة الغار، وصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ في رحلة الهجرة، فرأى أن رفيق النبي في الرحلة يمكن أن يكون كافرا، وأن حزن أبي بكر دليل على الوهن في العقيدة^(٥) إلى غير ذلك من الأباطيل.

وطالت نظريته السلبية أيضا أمّهات المؤمنين رضي الله عنهن، إذ جعل قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠] مثلا مضروبا لعائشة وحفصة رضي الله عنهما^(٦)، ووصف حفصة بأنها امرأة (مهتوكة الستر)^(٧).

(٤) أصول مذهب الشيعة، الشيخ الدكتور ناصر القفاري، دار الرضا، الجيزة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ١٣٣٦، نقلا عن (إحياء الشريعة في مذهب الشيعة) للخالصي.

(٥) تاريخنا القومي بين السلب والإيجاب، محمود الملاح، ص ١٩، نقلا عن كتاب إحياء الشريعة للخالصي.

(٦) في معرض رده على الخالصي في هذه النقطة، يقول الأستاذ الملاح: «فإن كانت امرأة نوح وامرأة لوط مثليين مضروبين لامرأتين هما زوجا النبي ﷺ، فمن المرأتان المضروب لهما مثلا امرأة فرعون وابنة عمران؟ نعرض هذا السؤال على من زعموا أن المثل الأول تعريض بأمي المؤمنين! فمن المعرض به في المثل الثاني على التعيين؟».

(٧) تاريخنا القومي، ص ٢٩.

لذلك الزخم الأيديولوجي الذي أحدثه سلفه، غير أنه لا يمكنه الخروج عن الخطوط العريضة للسياسة الخارجية الإيرانية، وإن كانت الاتفاقية مع الغرب حول البرنامج النووي قد تعطي دفعة جديدة لإيران في القارة باعتباره أحد أبرز أسباب توجهها نحوها، وفي نفس الوقت أهم معوق. فما هي أهم الاختراقات التي حققتها إيران في إفريقيا؟ وهل كان ذلك دون أي إخفاقات؟

الانتشار الإيراني في إفريقيا

يدلل النشاط الدبلوماسي على أولوية القارة السمراء في الأجندة الإيرانية، وانتشارها فيها، إذ تمتلك سفارات في أكثر من ٣٠ دولة. وعقدت العديد من القمم الإفريقية الإيرانية المشتركة، كما تتمتع بصفة العضو المراقب في الاتحاد الأفريقي. وما فتئت القيادات الإيرانية على مستوى الرئاسة وكبار المسؤولين تزور العواصم الإفريقية بشكل دوري. فعلى سبيل المثال قام الرئيس السابق أحمد نجاد بأكثر من ست جولات لدول غرب أفريقيا. كما قام كبار المسؤولين الإيرانيين عام ٢٠٠٩ بما يقارب من ٢٠ زيارة لعدد من الدول الإفريقية^(١)، ونظمت إيران ما بين عامي ٢٠٠٢ - ٢٠٠٦ حوالي ٣٢ معرضاً تجارياً في إفريقيا^(٢).

(١) عمر كوش، إفريقيا.. صراع دولي ومسرح لتنافس قوى إقليمية صاعدة، جريدة الاقتصادية، ١٦/٠٧/٢٠١٠، على الرابط: http://www.alecf.com/2010/07/16/article_419329.html

(٢) عبد الله ولد محمد بمب، الحضور الإيراني في غرب إفريقيا: استثمار أسواق تشيع، موقع الميادين، ٢٠١١/١١/٥

إيران في إفريقيا: اختراقات وإخفاقات

بوزيدي يحيى^(*) - خاص بالراصد

أولت إيران أهمية كبيرة للقارة الإفريقية باعتبارها قارة المستضعفين الذين كان من مبادئ الخميني الوقوف إلى جانبهم ودعمهم في وجه الاستكبار العالمي، ونظرا لفتوة النظام الجديد وتحديات الحرب مع العراق التي كانت تواجهه تأخرت الانطلاقة الإيرانية نحو إفريقيا حتى بداية تسعينيات القرن الماضي، حيث كانت القارة ضمن أجندة كل من تعاقبوا على الرئاسة في إيران، متبنين رسالة الجمهورية الإسلامية التي خطها المرشد الأعلى الأول آية الله الخميني بداية من رفسنجاني الذي كانت زيارته للسودان سنة ١٩٩١ إيذانا بعصر جديد من العلاقات الإيرانية الإفريقية، كما قام بعده خاتمي بإعطاء دفعة جديدة للعلاقات بين الطرفين من خلال تأسيس أطروهاكل مشتركة ألقى على عاتقها تجسيد ومتابعة المشاريع البينية، وبعده أحمد نجاد الذي أعاد الشحنة الأيديولوجية للواجهة.

أما حسن روحاني فإن المؤشرات الأولية بعد عدة شهور على رئاسته تميل إلى تحييد كبير

(*) كاتب جزائري.

بينها ، وتسعى لتعويض تهميشها فيه بتنسيق جهودها مع الدول الضعيفة التي قد تكون علاقتها مجتمعة مساوية ولربما أكبر من العلاقة مع القوى العظمى، لذلك تطور علاقاتها مع كل دول آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية، إضافة لعلاقاتها الجيدة مع روسيا والصين. والساحة الإفريقية تتجلى فيها التغيرات الهيكلية في النظام الدولي.

فبانتشارها في كل أرجاء القارة الإفريقية تزاخم إيران القوى الدولية والإقليمية على حد سواء، حيث يمكنها تواجدها في منطقة القرن الإفريقي من تسهيل تواصلها مع أتباعها الحوثيين في اليمن ودعمهم بالأسلحة، وما يترتب عليه من ضغط على دول مجلس التعاون الخليجي وبشكل خاص المملكة العربية السعودية. كما تتيح لنفسها المساومة مع القوى المنافسة لها وتحديد الولاءات المتحدة وإسرائيل.

فمنطقة شرق أفريقيا تشكل إحدى المحطات الإستراتيجية المهمة لإيران في مواجهتها للقوى الغربية، ففي أعقاب زيارة الرئيس الإريتري أسياسي أفورقي لتهران في ديسمبر ٢٠٠٨ تردد أن إيران حصلت على تسهيلات في ميناء عصب على البحر الأحمر، وهو ما يعطيها نقطة ارتكاز تمكنها من القيام بمهام جهادية وقاتلية ضد القوى الغربية إذا ما قررت الأخيرة تدمير قدراتها النووية. ولعل سعي إيران لتطوير علاقاتها مع دول شرق أفريقيا الأخرى مثل كينيا وتنزانيا وجزر القمر يؤكد هذا المنحى الإستراتيجي في الاختراق الإيراني لإفريقيا^(٢).

وفي الغرب الذي يعتبر منطقة نفوذ أمريكي-إسرائيلي- فرنسي استطاعت إيران إيجاد موطئ قدم لها فيها حيث كثفت من جهودها الدبلوماسية

ورغم أن المنظور الجيوسياسي يجعل من شرق القارة وتحديدًا منطقة القرن الإفريقي في مقدمة الاهتمامات الإيرانية، نظرا لعبور جل الصادرات الإيرانية البحر الأحمر إلى قناة السويس فالمتوسط، وقربها من الخليج العربي الذي يقع في صلب إستراتيجيتها الإقليمية، إلا أن الإيرانيين لا يتوقفون عند هذا المستوى، وتتوزع اهتماماتهم على كل القارة، وتمتد من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها، ما يعكس نظرة شاملة في التصور الإستراتيجي الإيراني تتعدد أهدافها وتنوع.

ونظرا لمعاناة القارة من سياسات القوى الاستعمارية التي غيرت من أساليبها القديمة حاولت إيران كسب الأفارقة إلى صفها من خلال تبني خطاب المواجهة مع الغرب، وقد حرصت على تقديم نفسها كنموذج مناهض للقوى الغربية من خلال مشاركتها في العديد من أطر التعاون الدولي التي تضم دولاً نامية أو دولاً مناهضة للغرب، ومن هذه الأطر حركة عدم الانحياز، التي استضافت قماتها السنوية في عام ٢٠١٢، ومجموعة الدول النامية الثمانية (D-8)، وتخدم المجموعتان الرؤية الإيرانية في قيادة الدول النامية في مواجهة الدول المتقدمة حيث تتكون مجموعة الدول النامية الثمانية من دول ذات أغلبية مسلمة^(١).

المزاحمة والمساومة:

تحاول طهران التوضع في مكانة تتواءم مع إمكانياتها وتاريخها وفق إدراكها الإستراتيجي، خاصة وأنها تقرأ التحولات الجارية في النظام الدولي والتي تؤثر إلى تراجع للولايات المتحدة وصعود قوى دولية وإقليمية يجب أن تكون هي من

على الرابط:

<http://meyadin.net/9876545678/4333-2012-11-05-20-51-16.html>

(١) أميرة محمد عبد الحليم، أحمدى نجاد في غرب أفريقيا، الأهرام الرقمي، ٢٠١١/٠٢/٠١، على الرابط:

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=485862&eid=122>

(٢) حمدي عبد الرحمن، الاختراق الإيراني الناعم لأفريقيا، الجزيرة نت، ٢٠١٦/٠٥/٠٦، على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/opinions/pages/5efc2775-dd89-4d7b-90c7-beb59aaa0dfe>

وتحظى إيران عموماً بتأييد من الأنظمة المضطربة عليها أمريكياً بشكل خاص مثل زيمبابوي التي تعد ضمن البلدان الإفريقية المعارضة للسياسة الأمريكية، والتي وضعتها وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايس، إلى جانب إيران على قائمة وصفتها بمواقع متقدمة للطغيان^(٤). فضلاً عن السودان الحليف الإستراتيجي لإيران منذ الانقلاب العسكري سنة ١٩٨٩، وجامبيا التي تطورت العلاقات معها منذ نجاح الانقلاب العسكري عام ١٩٩٤ حيث يعتبر النظام نفسه مضطهداً دولياً بسبب ملف انتهاكات حقوق الإنسان، ونفس الشيء ينطبق على موريتانيا التي تحسنت علاقاتها مع طهران بعد الانقلاب العسكري الذي أطاح بالرئيس معاوية ولد سيد أحمد الطايع سنة ٢٠٠٥ وتجميد العلاقات بين نواكشوط وتل أبيب ثم قطعها نهائياً سنة ٢٠١٠^(٥).

الأبواب الخلفية

رغم المخاوف الأمريكية والإسرائيلية من التمدد الإيراني في القارة إلا أنه لم يسجل أي سلوك يضر بالمصالح الأمريكية مباشرة، وإن كانت تقديرات الأمنيين الإسرائيليين أن هذا الاحتمال يبقى وارداً إذا ما تعرضت المنشآت النووية الإيرانية لهجوم عسكري، وأي مكسب إيراني في القارة لا شك ستوظفه لصالحها حينها، ولكن يبدو أن الحسابات الحالية تتوقف عند المكاسب الدبلوماسية، والاقتصادية ومحاولة تمكين مؤيديها أو حتى أتباع جدد.

تجاهها بالزيارات المتكررة للرؤساء الإيرانيين للمنطقة كما سبقت الإشارة، وساهم تواجد جالية لبنانية كبيرة جداً من تسهيل تغلغلها، إذ تشير تقارير إلى أن الشيعة في غرب أفريقيا يقدمون دعماً سنوياً لحزب الله اللبناني يقدر بنحو ٢٠٠ مليون دولار^(١). وتجلى النفوذ الإيراني لاحقاً في تطور التعاون الاقتصادي بين الطرفين، والدعم الذي حظيت به من طرف دول غرب إفريقيا في المحافل الدولية بتأييد حقها في امتلاك برنامج نووي سلمي.

كما استطاعت إيران إقامة علاقات جيدة مع جنوب إفريقيا بسبب موقف إيران من نظام الفصل العنصري الذي كان متحالفاً مع إسرائيل، ووصول حزب المؤتمر الديمقراطي للسلطة والذي دعمته إيران في السابق أدى إلى أن اتخذت جنوب إفريقيا دوراً محايداً في المنافسة والحالة الاستقطابية بين إيران والغرب، فبالرغم من أنه لا يمكن اعتبارها حليفاً لطهران فإن مسؤولي جنوب إفريقيا انتقدوا التوجّه الأمريكي في القضية النووية الإيرانية، ووصفوه بأنه منافق (بسبب دعمها الضمني للنشاطات النووية الإسرائيلية)، ودعوا كل الأطراف إلى إيجاد حلول من خلال التعامل الدبلوماسي^(٢).

كما حثت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون جنوب إفريقيا البلد الأول الذي اختار طواعية التخلي عن الأسلحة النووية على أن يقوم بدور في كبح المسعى الإيراني لحيازة أسلحة نووية وإبقاء المواد النووية بعيدة عن أيدي الإرهابيين^(٣).

الأهرام الرقمي، ٢٠١٢/٠٨/١٠، على الرابط:
<http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=990284>
(٤) شريف شعبان مبروك، جولة خاتمة وتشغيل العلاقات الإيرانية - الإفريقية، مختارات إيرانية، على الرابط:
<http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/C2RN92.HTM>
(٥) لتفاصيل أكثر انظر: رضا عبد الودود، وسط صمت عربي قطع العلاقات مع إسرائيل وتحالف مع إيران، موقع المسلم، ١٤٣٢/٠٥/٠٨، على الرابط:
<http://almoslim.net/node/126987>

(١) شريف شعبان مبروك، العلاقات الإيرانية - الإفريقية: في دائرة الصراع الأمريكي - الإيراني، الأهرام الرقمي، ٢٠١٠/٠٦/٠١، على الرابط:
<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=161106&eid=457>
(٢) محمد سليمان الزواوي، إيران في إفريقيا.. البحث عن موطئ قدم، ٢٠١٣/٠٥/٠٨، قراءات إفريقية، على الرابط:
<http://www.africaafrican.com/view/?a=1028>
(٣) كلينتون: على جنوب إفريقيا إقتاع إيران بالتخلي عن «النووي»، =

فقد وجدت إيران في المشاكل والاضطرابات التي تعيشها دول القارة منفذا للتغلغل متبعة في ذلك نفس سلوكيات القوى الأخرى التي يفترض أن أفريقيا تعاني من سياساتها وستتحالف إيران مع الأفارقة ضدها. إذ لم تكتفِ إيران بالعلاقات الرسمية مع الحكومات الإفريقية رغم كل المزايا الممنوحة لها من قبلها، وإنما لجأت إلى نفس الأساليب والطرق التي تستعملها في مناطق أخرى، وما اعتادت عليه في سياستها الخارجية من خلال فتح قنوات غير رسمية مع حركات معارضة لضمان ولائها أو توظيفها في مراحل مختلفة عندما تقتضي الحاجة، إذ كشف تقرير ميداني أعده مركز بحوث تسليح الصراع بالتعاون مع العديد من المؤسسات بين سنتي (٢٠٠٦ و ٢٠١٢) عن أنه من بين ١٤ حالة كشف فيها عن وجود أسلحة إيرانية هناك فقط ٤ حالات كانت مع الحكومات والعشر الباقية مع جماعات غير نظامية^(١)، حيث كانت تدعم الانفصاليين في منطقة «كاسامانس» في السنغال وتمردي ساحل العاج، وجامبيا، وحركة إبراهيم الزكزاكي في نيجيريا^(٢)، الأمر الذي تسبب لاحقا بقطع حكومات هذه الدول علاقاتها مع إيران.

الاقتصاد : بطعم النووي ونكهة اليورانيوم

تعتبر إيران من الدول المصدرة للنفط لبعض دول القارة، فقد بلغ حجم صادراتها النفطية إلى إفريقيا

جنوب الصحراء سنة ٢٠١٠ ما قيمته ٣,٦٠ مليار دولار بالمقارنة مع ١,٣٦ مليار دولار عام ٢٠٠٣^(٣). لكن العلاقات الاقتصادية الإفريقية الإيرانية تشمل مجالات أخرى وهي كلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشروعها النووي بأشكال مختلفة.

فمن جهة تتطلع للحصول على اليورانيوم الذي تعد القارة من أكبر منتجيها، إذ تسهم بحصة ٢٠٪ تقريبا من الإنتاج العالمي. والنيجر منفردة تملك سادس أكبر احتياطات منه، لذلك تقترن القارة السمراء دائما مع مقولة «فتش عن اليورانيوم». ويعتقد بعض المحللين أن طهران في سعيها وراء داخل إفريقيا انتهجت سبلا متنوعة، منها سياسة النفط مقابل اليورانيوم^(٤). ومنذ اكتشافه في غينيا عام ٢٠٠٧ توطدت علاقات طهران بها، حتى إن التبادل التجاري بين البلدين في العام ٢٠١٠ زاد بنسبة ١٤٠٪^(٥).

ومن جهة ثانية إضافة إلى الدخول في العديد من المشاريع الاقتصادية مع الدول الإفريقية، مثل فتح فروع لشركة خودرو الإيرانية لإنتاج السيارات وتكثيف الاستثمار في قطاعات الزراعة أو تطوير التعاون في مجالات المياه والصحة والهندسة والطرق. فضلا عن السلاح الذي تعد إيران أكبر مصدريه إلى السودان^(٦). تحاول أيضا توظيف خبراتها في المجال النووي لكسب الأفارقة إلى صفها في البرنامج النووي، وذلك من خلال إقامة مشاريع في مجال الطاقة الكهربائية مع بعض دول مثل نيجيريا والسنغال وسيراليون، وبنين، ومالي، لنقل خبراتها في هذا المجال وحثها لتسير على خطاها.

ومن جهة ثالثة ممارسة نوع من التخويف من

(١) The distribution of Iranian ammunition in Africa, Conflict Armament Research, December 2012.

(٢) درس إبراهيم الزكزاكي في «حوزة قم» وتلقى تمويلا إيرانيا ليحول جماعته بعد ذلك إلى جماعة جهادية تحارب الحكومة العلمانية وتسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وفقا للنموذج الإيراني، وتنتشر جماعته في ولايات الشمال ولا سيما في «كانو» و«كادونا» و«زاريا». وتعتمد هذه الجماعة في تجنيد أعضائها على خريجي بعض جامعات الشمال النيجيري المسلم مثل جامعة أحمدو بللو وعثمان دان فوديو. والرؤية الإيرانية ترمي إلى خلق قواعد محلية موالية لإيران باعتبار مرجعية حوزتها الدينية من أجل الضغط على الحكومات الوطنية والعمل في مواجهة المصالح الغربية في أفريقيا. انظر: حمدي عبد الرحمن، مرجع سابق.

(٣) عبد الله ولد محمد بمب، مرجع سابق.

(٤) مروى صبرى، إيران وأفريقيا.. اليورانيوم رأس الدوافع، الشرق الأوسط، العدد ١١٦٥١، ٢٢/١٠/٢٠١٠، على الرابط: <http://www.aawsat.com/details.asp?section=45&article=591928&issueno=11651#.Ut->

(٥) حمدي عبد الرحمن، مرجع سابق.

(٦) عمر كوش، مرجع سابق.

القارة ثلاث ممثلين غير دائمين لها فيه، والوكالة الدولية للطاقة الذرية، فالصوت الإفريقي إن لم يكن مساندا لإيران فهو على الأقل في كثير من الأحيان ليس معاديا لها، حيث تميل بعض الدول الإفريقية إلى الامتناع عن التصويت عند مناقشة الملف الإيراني^(٣). وهو يساعد في التصدي أو التخفيف من أي قرارات دولية ضد طهران، إلى جانب نيل تأييد برنامجها النووي، وذلك ما أعلنته الكثير من الدول الإفريقية بالفعل، مثل السودان والسنگال وساحل العاج وجيبوتي وإريتريا^(٤).

وقد نجحت الدبلوماسية الإيرانية من خلال الزيارات الرئاسية في كسب العديد من الدول الإفريقية لصفها في أزماتها الدولية، وتجنيد الأفارقة للدفاع عنها أو على الأقل تحييدهم، وأبرز النجاحات تلك المتعلقة بأزمة الانتخابات الرئاسية سنة ٢٠٠٩ والعنف الذي مارسه النظام الإيراني ضد أنصار الحركة الخضراء، حيث صوتت الأمم المتحدة في نوفمبر من نفس السنة على حالة حقوق الإنسان في إيران، وتحفظت جميع دول غرب أفريقيا ما عدا ليبيا وتوغو على قرار الأمم المتحدة ضد إيران. والدول الإفريقية الأخرى أيضا باستثناء المغرب وجنوب أفريقيا اللتين اتخذتا مواقف قوية ضدها^(٥).

وتأييد الدول الإفريقية منفردة امتلاك إيران لبرنامج نووي سلمي والذي يصرح به مسؤولوها في أي مناسبة تجمعهم بنظرائهم الإيرانيين، وأيضا رفض ممثلي القارة في الوكالة الدولية للطاقة الذرية نقل الملف إلى مجلس الأمن، وحتى بعد ذلك كان ممثلوها فيه يرفضون إقرار العقوبات الدولية على إيران.

المخاطر التي تلحق بالدول الأخرى في حال تعرض إيران لعقوبات، فهي حتى الآن الموفر الأساسي للنفط الخام لجنوب إفريقيا، وهذا الاعتماد أدى إلى حياديتها تجاه القضية النووية الإيرانية، كما امتنعت عن التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة على انتهاك إيران لحقوق الإنسان، مما أغضب كلاً من حكومة إيران التي كانت تأمل أن تدعمها، وكذلك الحكومات الغربية التي كانت تأمل في إدانتها^(١). أو حتى شكل من الابتزاز السياسي بربط الصفقات التجارية بصفقات سياسية حيث تشير بعض التقارير إلى أن الصفقة بين إيران وجنوب أفريقيا التي صوتت في الوكالة الدولية للطاقة الذرية ضد إحالة البرنامج النووي الإيراني على مجلس الأمن كانت مقابل صفقة هاتف خلوي استفادت منها شركة «أم.تي.إن» التي تربطها علاقة بحزب «المؤتمر الوطني الأفريقي» الحاكم. وبينما صوتت سابقاً مع أوروبا والأميركيتين للجم برنامج إيران النووي، في سبتمبر ونوفمبر ٢٠٠٥، وفي فبراير ٢٠٠٦، فقد صوتت ضد العقوبات، ثم امتنعت عن التصويت على إحالة المسألة إلى مجلس الأمن الدولي. ولاحقاً في سنة ٢٠٠٦، بعد توقيع رخصة «MTN» وختماها، عادت مرة أخرى إلى موقعها الافتراضي، من خلال مساندة فرض قيود على الطموحات النووية الإيرانية^(٢).

أصوات المستضعفين

غير بعيد عن اليورانيوم وفي الشق السياسي من البرنامج النووي حاولت طهران كسب الأصوات الإفريقية في هيئة الأمم المتحدة وفي مجلس حقوق الإنسان، وأيضا ضمن مجلس الأمن الذي تملك

(١) محمد سليمان الزواوي، مرجع سابق.

(٢) جنوب أفريقيا تقر رسمياً بموازرة إيران نووياً مقابل عقد «MTN»، جريدة المستقبل، ٢٩/٠٨/٢٠١٢، على الرابط:

<http://www.almustaqbal.com/storiesv4.aspx?storyid=536365>

(٣) حمدي عبد الرحمن، مرجع سابق.

(٤) مروى صبري، مرجع سابق.

(٥) أميرة محمد عبد الحليم، مرجع سابق.

النجاحات التي حققتها إيران في القارة السمراء لم تكن دون إخفاقات، ولعل أهمها تلك التي كانت سياساتها هي المتسبب فيها، فبتورطها في الصراعات الداخلية وتغذيتها للنزاعات بشكل مباشر خسرت ما حققته من إنجازات، فالجهود الإيرانية في السنغال مُنيت بانتكاسة كبيرة مع اكتشاف شحنة الأسلحة القادمة من إيران باتجاه غامبيا، بهدف تزويد متمردى الجنوب السنغالي بالسلاح. حيث قطعت كل من السنغال وغامبيا علاقاتها مع إيران سنة ٢٠١١^(١). وقبلها في أكتوبر ٢٠١٠م رصدت السلطات النيجيرية عملية نقل أسلحة قادمة من إيران في طريقها إلى غامبيا، ورداً على هذا الاكتشاف قامت السلطات النيجيرية والغامبية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران وطردت دبلوماسيها^(٢).

كما يتجلى الفشل الإيراني أيضاً في استجابة الكثير من الدول للضغوطات الأمريكية والإسرائيلية بالتصويت ضد البرنامج النووي الإيراني على غرار وقف تعاون نيجيري إيراني في مجال التكنولوجيا النووية سنة ٢٠٠٨، ووقف جنوب إفريقيا ل وارداتها النفطية من إيران في ٢٠١٢ استجابة للعقوبات الدولية على إيران^(٣)، وفي نفس السياق إيقاف شركات جنوب إفريقية استثماراتها في إيران بسبب الضغوط الدولية، مثل شركة Sasol، وهي واحدة من أكبر الشركات المنتجة لوقود السيارات من الفحم في العالم، وجمّدت توسّعها في الدولة الفارسية، وتقوم الآن بمراجعة مشاريعها الحالية^(٤).

(١) عبد الله ولد محمد بمب، مرجع سابق.

(٢) محمد سليمان الزواوي، مرجع سابق.

(٣) السلطات الجنوب أفريقية توقف استيراد النفط من إيران، موقع محيط، ٢٠١٢/٠٨/٠١، على الرابط: <http://moheet.com/News/Print?nid=405373>

(٤) محمد سليمان الزواوي، مرجع سابق.

كما استمرت موريتانيا ومالي ودول أخرى في العمل مع الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية لمكافحة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي. وتعتبر نيجيريا مورداً رئيسياً لإمدادات النفط الأمريكية، كما واجهت إيران صعوبات في الوفاء بالتزاماتها الاقتصادية تجاه الإقليم. فعلى سبيل المثال، مالي لم يتم إنجاز مشروع بناء السد في حتى الآن^(٥).

انعكاسات الصفقة النووية والأزمة السورية

تطرح محورية البرنامج النووي الإيراني في توجه طهران نحو إفريقيا تساؤلات حول مستقبله بعد الاتفاق الأخير بين إيران والغرب، إذا ما كان سيسر من تمدها في القارة أم سيحول دون ذلك خاصة في ظل ما يعانيه النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط، فالانفراجة في العلاقات الإيرانية الأمريكية بشكل خاص والغربية بشكل عام لا تعني بالضرورة تغيراً في نظرة إيران لعلاقاتها مع القارة الإفريقية، فالتوجهات الاقتصادية عامل ثابت دائماً، أما سياسياً فإن ذلك قد يمكنها بشكل أو آخر من توسيع نفوذها الذي يبقى أيضاً بعيداً عن تهديد المصالح الأمريكية والتي لم تمس بشكل مباشر رغم النشاط الكبير جداً لحزب الله وإسرائيل على حد سواء في القارة، كما أن الدول الإفريقية قد تجد في الاتفاقية مبرراً لتطوير علاقاتها مع إيران، ولكن حتى الآن لا زالت هذه الأنظمة - لعوامل عديدة - غير قادرة على صياغة إستراتيجيات مستقلة في سياستها الخارجية. فالاتفاق الدولي قد يزيح العراقيل التي كانت تحول دون تمدد إيران في القارة. ولكن حالة عدم اليقين والشك تبقى دائماً تتحكم في سياسات الطرفين.

وفي اتجاه موازٍ فإن المتضرر الأكبر من هذا

(٥) أميرة محمد عبد الحليم، مرجع سابق.

بعض الدول الإفريقية بسبب تدخلها في شؤونها الداخلية.

ولكن الاختراقات التي حققتها إيران في إفريقيا لا تقارن بأي حال من الأحوال بالدول العربية مجتمعة أو منفردة، حيث لا تمتلك أي دولة عربية مشروعا وإستراتيجية واضحة في القارة، بل أكثر من ذلك حتى على المستوى الإقليمي والبيئة المحاذية التي تشكل تهديدا لأمنها القومي، خاصة في منطقة القرن الإفريقي بالنسبة لدول مجلس التعاون الخليجي ومصر، أو غرب إفريقيا الذي يشكل عمقا إستراتيجيا للدول المغاربية.

والمواقف الغربية من إيران في سورية والصفقة غير المعلنة حول الكيماوي السوري، وتطور العلاقات الإيرانية الغربية البطيء بعد البدء في تنفيذ بنود اتفاق جنيف النووي، لا شك أنها ستساهم في تمديد إيران في القارة، والعرب سيكونون هم الخاسر الأكبر من ذلك، لأن التنافس الإيراني والأمريكي الإسرائيلي لم يرتق لمستوى تهديد المصالح المباشرة لكل طرف، كما أن طهران اشتغلت على تهديد المصالح العربية أكثر من الغربية في أحلك الأوقات، وهو ما يتوقع أن يتضاعف في المرحلة التالية، خاصة في ظل المنعرج الخطير الذي تمر به سياساتها في الشرق الأوسط، إذ تحاول المحافظة على نفوذها في سوريا بشتى الوسائل.

تأسيسا على هذا فإنه ينتظر الدول العربية مجتمعة أو منفردة صياغة إستراتيجية عاجلة لتدارك المخاطر التي تحقق بها والقادمة من حدودها الإفريقية. فقد استطاعت إسرائيل تحقيق أهدافها في إفريقيا بإبعاد القارة عن الصراع العربي الإسرائيلي، وتوطيد علاقتها معها على حساب الدول العربية، ولعل سعي دول نهر النيل لبناء سدود وحرمان مصر من جزء من نسبتها وتآزم العلاقات بين الطرفين وتقسيم السودان يدل على ذلك، فهل

سيكون العرب فقد كشفت مصادر سياسية ودبلوماسية يمنية أن مجلس الأمن القومي الإيراني أقر الإستراتيجية الإيرانية الجديدة المتمثلة في نقل ثقل المعركة من الشمال في سوريا ولبنان إلى جنوب الجزيرة العربية في اليمن، بعد تيقن إيران أن استمرار نظام حليفها بشار الأسد في دمشق يستحيل أن يستمر، وأن إيران تشعر أن «نفوذها على سوريا، ونفوذ حليفها حزب الله في لبنان، لن يستمر طويلا، ولذا تفكر بجدية لنقل ثقل هذا النفوذ إلى مناطق الشمال اليمني، والبحر الأحمر والقرن الإفريقي مستغلة العلاقات القوية التي تربطها بالنظام الإيراني»^(١). كما أنه من جهة أخرى ضغط مباشر على المملكة العربية السعودية لشيها عن دعم الثورة السورية، وهناك الكثير من الإشارات التي تدلل على ذلك أبرزها استهداف مناطق حدودية مع العراق من طرف عصائب أهل الحق المرتبطة بإيران.

الخلاصة:

استطاعت إيران أن تحقق الكثير من الإنجازات في إفريقيا على مختلف الأصعدة، وأثبتت قدرتها على منافسة القوى الإقليمية والدولية بفرض أخذ مصالحها بعين الاعتبار، وهذا راجع لامتلاكها رؤية إستراتيجية متكاملة، ولكن تبقى الأهداف الإيرانية في القارة الإفريقية أكبر من إمكانيات دولها، خاصة في الشق المتعلق بالملف النووي، فالدعم الإفريقي لم يثن القوى الغربية من فرض العقوبات على طهران ونقل ملفها لمجلس الأمن، وهو ما فشلت فيه قوى دولية وإقليمية أخرى مثل الصين وروسيا أو تركيا والبرازيل، كما تتحمل إيران نفسها جزءا من المسؤولية في تدهور علاقاتها مع

(١) الحرس الثوري الإيراني يدرب الحوثيين في جزر إريتية، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٣/٠١/٢١، على الرابط: <http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12473&article=713915#.Ut-3L9JKHrc>

خاصة مع بعضهم - خاصة الشباب - وهو ما سيكون له أثره على المستوى الفكري لدى هذه المجموعات خلال الفترة المقبلة، الأمر الذي سيفقد طهران بكل تأكيد جزءا كبيرا من نفوذها الشعبي في المنطقة العربية حيث فقدت الكثير من مصداقيتها لدى هذا القطاع.

إيران المخادعة

حديثا في دراسة موقف إيران من «الوضع في مصر» ليس حديثا عن الجانب العقدي لدى الشيعة بمختلف فرقهم ومن بينهم الإمامية الإثني عشرية وهو مذهب إيران، فلذلك مقام آخر، غير أن ما يشغلنا بالأساس هو فضح السياسات الإيرانية التي تتناقض تماما مع الشعارات التي ترفعها وتستميل بها الجماهير لدعمها وتأييدها، في حين تتقدم هي خطوات للأمام باتجاه تحقيق مشروعها التوسعي.

وكان لنجاح إيران في انتهاج هذا الأسلوب الذي طالما انطلى على الكثيرين وأوجد للدفاع عنها طابورا مواليا لها ولسياساتها، إغراء لقادتها وصناع القرار بها للاستمرار في تبنيه في إطار الرهان على افتقاد القدرة على النظر للأمور بشكل أعمق عبر تجميع المعلومات وإمعان النظر للاستنتاج والفهم للواقع الذي يجري، وهي آفة ربما غلبت على أكثر الإسلاميين والعرب بكل أسف.

ولعل أخطر ما في هذا النهج الإيراني هو انسحابه على الموقف من الشريعة الإسلامية التي تعد العمود الفقري للحكم الإسلامي أو ما يسمى بالدولة الإسلامية التي يعتقد الكثيرون أن الجمهورية الإيرانية الإسلامية إحدى أهم أشكاله في الوقت الراهن إذ هي لا تقتأ تردد أنها تطبق الحدود وتلتزم بما شرع الله في كل أمورهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الوقت الذي دعمت وأكدت الانطباع السائد حول أنها تسعى لتصدير ثورتها الإسلامية في محيطها العربي والإسلامي ومن ثم فإنها لا تألو جهدا لتحكيم هذه

ستنتج إيران بدورها في تحقيق أهدافها أيضا بجعلها قاعدة خلفية لسياساتها التخريبية للدول العربية كما تفعل في اليمن أو ساحة لتصفية حساباتها مع القوى الإقليمية والدولية؟

إيران والدولة الإسلامية بين الحقيقة والخداع

أسامة الهتمي^(*) - خاص بالرائد

يفترض أن الانقلاب على الرئيس المصري الدكتور محمد مرسي كشف إيران على حقيقتها أمام أعين جماعة الإخوان المسلمين، التي تعد أهم فصيل إسلامي منظم، ليس في مصر وحدها، بل في أغلب البلدان العربية والتي كانت وحتى وقت قريب تدافع عما تسميه تقاربا مع الدولة الإيرانية انطلاقا من سعيها لتوحيد الصف الإسلامي في مواجهة التحالف الأمريكي الصهيوني مدفوعة لذلك من اعتقادها أن إيران تقف بالفعل كحائط صد للدفاع عن الأمة وهويتها ومستجيبة في الوقت ذاته لدعاوى القادة الإيرانيين الذين روجوا وأوهموا الكثير من المخدوعين بأن علو شأن إيران هو انتقاص من قوة المعسكر المناهض لنهضة الأمة الإسلامية.

والمحصلة أنه لم يعد يوجد الآن مجال للجدل

أو النقاش بعد موقف طهران العجيب والمثير من تطور الأحداث في مصر - بعيدا عن تقييم هذه التطورات سلبا أو إيجابا - في أن إيران مثلها مثل باقي القوى الإقليمية والدولية التي لا تحترم مبدأ أو تدافع عن حق إلا إذا كان هذا المبدأ أو ذاك الحق مجرد وسيلة لتحقيق مصلحة أو منفعة لها، وهو ما انتبه إليه الكثيرون من المنحازين لمدرسة الإخوان المسلمين مؤخرا وفقا لما لاحظته من خلال حوارات

(*) كاتب مصري.

الشريعة في كل البلدان العربية والإسلامية وهو ما كان سبباً كذلك في كسب تعاطف الكثيرين من أبناء الحركات الإسلامية وخاصة الجهادية والذين كانت تتوق أنفسهم إلى تطبيق الشريعة وتحكيمها في البلدان العربية.

لكن الأيام والأحداث أثبتت عكس ما كانت ترنو إليه طهران تماماً إذ بدت الأمور بالنسبة للبعض أن إيران ليست إلا دولة مجوسية لا علاقة لها بالإسلام أو الشريعة من قريب أو بعيد وهو ما أشار إليه عدد من علماء المسلمين أمثال الدكتور ناصر بن سليمان العمر والذي وصف إيران بأنها دولة مجوسية وليست شيعية لكنها تستخدم التشيع في خداع الناس كما يستخدم الشيعة حب آل البيت لنشر معتقداتهم.

وأشار العمر في طور حديثه عن الثورة الإيرانية إلى أن الكثير من المتدينين والجماعات الإسلامية انخدعوا في هذه الثورة حيث ذهبت بعض وفودهم لطهران للتهنئة بها في بدايتها متسائلاً «هل يمكن أن تزرع حنظلة وترتجي منها السكر»؟

والحقيقة أن ما ذهب إليه الدكتور العمر يحاول أن يدل على صحته البعض مستدلاً في ذلك على العديد من الشواهد التي تشير إلى كون إيران دولة بعيدة عن الإسلام وأنه بالنسبة لها ليس سوى مجرد أداة تستغلها لتحقيق مطامعها في منطقة يعد الإسلام دين أغليتها ومن بين هذه الشواهد أن حكومة الثورة الإيرانية التي يفترض أنها توصف بالإسلامية تواصل بناء معابد النار ولو كان ذلك على أنقاض المساجد وهو ما حدث عدة مرات في مدينة الأحواز التي ينتمي أغلب سكانها للمذهب السني في الوقت الذي يشكو سكان المنطقة من أن الدولة لا تسمح لهم ببناء مساجد يؤدون فيها صلواتهم وفق المذهب السني حيث تفرض عليهم الدولة الالتزام بالمذهب الشيعي.

وقد أكدت إحدى المؤسسات السنية بالأحواز

وتدعى «المنظمة الإسلامية السننية الأحوازية» أن الدولة الإيرانية قامت ببناء أحد معابد النار على أنقاض صخور متناثرة قريباً من مدينة مسجد سليمان الأحوازية فيما وضعت المكان على قائمة الأماكن التاريخية الوطنية.

وأشارت المنظمة إلى أن إيران افتتحت المعبد وقامت بالترويج له كمكان سياحي وديني وقامت بالفعل بإشغال النيران ما دفع الكثيرين للتوافد عليه ومن بينهم الزردشتيون «المجوس».

وأفادت المنظمة بأن وزارة الثقافة الإيرانية رفعت مستوى الرعاية لهذا المعبد ليتساوى مع (تخت جمشيد) عاصمة إيران قبل الإسلام، وأقامت على المكان حراسة مشددة على مدار اليوم كما تم نصب كاميرات مراقبة للمكان فيما طالب أعضاء مؤسسة الميراث الثقافي الإيرانية بوضع المعبد تحت حماية اليونيسكو وذلك في محاولة لخلق حق تاريخي لإيران في الأحواز المحتلة.

ولا يعد ذلك المعبد الوحيد الذي أعادت دولة الثورة الخمينية بناء فقد تم بناء معبد آخر واختارت له اسم «جهار طاقي سيم بند» الأمر الذي يطرح العديد من التساؤلات حول الأسباب الدافعة لذلك وهل هي متعلقة بمحاولتها أن تبعث برسالة للعالم وللمجتمع الدولي يؤكد على كونها دولة متسامحة مع المعتقدات الأخرى المخالفة حتى ولو كان ذلك على حساب العقيدة الإسلامية؟

الحقيقة أن الكثير من المبهم فيما يخص هذه القضية ربما يتضح بعد استعراض الشاهد الثاني والذي يتمثل في حرص الحكومة الخمينية على الاحتفال بعيد النيروز - رأس السنة الفارسية - والذي ما زالت تعتبره عيد الدولة الرسمي، بل إنها تمنح فيه أبناء الشعب الإيراني إجازة رسمية لمدة أحد عشر يوماً في حين أنها تواصل هذه الاحتفالات حتى لو تزامن النيروز مع يوم عاشوراء الذي يقيمون فيه المآتم على الرغم من انتقادهم لأهل السنة

كونهم يصومون يوم عاشوراء احتفالاً بانتصار موسى عليه السلام على فرعون.

ولعل في ذلك دلالة قوية على أن اعتزاز الدولة الإيرانية الخمينية بموروثها الفارسي يفوق اعتزازها بالموروث الإسلامي الذي وصل لدرجة كبيرة دفعها لأن تستمر في صراعها مع البلدان العربية حول تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي حيث لا تتردد في أن تثير المسألة بين الحين والآخر وعبر مناسبات متعددة على الرغم من أن الأمر لا يعدو عن كونه مجرد قضية شكلية على المستوى السياسي إذا ما خلصت نواياها بالفعل تجاه شعارات الوحدة الإسلامية.

وفي هذا الصدد تحضرني قصة حكاها لي أحد الزملاء من الكتاب الصحفيين المنتمين لمدرسة الإخوان المسلمين على المستوى الفكري والتي تتحاز كما أشرنا آنفاً إلى فكرة التقارب بين السنة والشيعة إذ ذكر هذا الزميل أنه تم تكليفه من قبل الصحيفة التي يكتب لها - وهي على نفس النهج فيما يخص التقارب - بالسفر إلى إيران على أن يقوم بإجراء عدد من الحوارات الصحفية مع بعض المسؤولين والقادة الإيرانيين في مختلف المجالات السياسية والثقافية بهدف تعريف المجتمع المصري بالمجتمع الإيراني الشيعي وقد كان من بينهم الكاهن المسئول عن عبادة الزرادشتية - عبدة النار - في إيران.

ويضيف الزميل الصحفي أنه ولعدم معرفته بالفارسية طلب من المعنيين بإيران اصطحاب مترجم يتقن العربية حتى ينقل له إجابات الكاهن وهو ما تم بالفعل حيث اصطحبه مترجم تبدو عليه علامات التدين.

واستطرد الزميل قائلًا : إنه وخلال الحوار تحدث الكاهن مقارنا بين الإسلام والزرادشتية فيما يخص نظرة كليهما للإسلام حيث زعم الكاهن أن الزرادشتية رفعت من قدر المرأة لدرجة

كبيرة فاقت كل الأديان بما فيها الإسلام مستشهدا على ذلك بأن عبدة النار ولوا أمرهم امرأة وهو ما استفز صاحبنا الصحفي فأطلق عبارات بالعربية تستتكر ما قاله الكاهن وتقال منه كون أن الكاهن لا يفهم العربية فما كان من المترجم الإيراني الذي يفترض أنه متدين إلا أن غضب غضبا شديدا تعصبا لبني جلدته دون أن يغضب لما قاله هذا الكاهن في حق الإسلام.

إيران والعلمانية

من الطبيعي أن تثير محاولة الربط بين العلمانية وإيران بعض الدهشة والتعجب لدى القارئ إذ كيف يمكن قبول ذلك بالنسبة لدولة تُتهم من الخارج بأنها تحاول أن تصدر ثورتها التي ترفع الشعارات الإسلامية؟ لكن الحقيقة التي يجب أن ننتبه إليها أن ذلك أيضا ليس إلا جزء من عمليات الخداع الإيرانية في إيران ورجالها دعموا وبشكل أساسي العلمانية والعلمانيين في مصر بدلا من أن يكونوا ووفق التصور السائد دعما للإسلاميين وهو ما تجلى بوضوح في الكثير من المواقف التي تم رصدها مؤخرا.

ويأتي في مقدمة هذه المواقف الواضحة ذلك الدعم المعلن وغير المعلن من قبل الدولة الإيرانية لمرشحين علمانيين لموقع الرئاسة المصرية أعلنوا مرارا أنهم مع الدولة العلمانية من أمثال المرشح الناصري حمدين صباحي الذي أفادت بعض مواقع الإنترنت بأنه قام برفقة أعضاء حملته الانتخابية عند ترشحه بزيارة مفاجئة إلى طهران لتمويل حملته.

ووفق بعض المواقع فإن صباحي حصل على ما قيمته ٢٨٦ مليون دولار عبر حزب الله اللبناني في مقابل أن دافع صباحي عن الرئيس السوري بشار الأسد كما أيد الاحتجاجات الشيعية في البحرين رغم علمه اليقيني بأنها مدعومة من الدولة الإيرانية. وبعيدا عن مدى صدقية المعلومات حول تلقي

صباحي لهذه الأموال الإيرانية من عدمه فذلك مما لا يشغلنا كثيرا فضلا عن احتمال أن يكون جزءا من حملة مضادة إلا أن الأهم في القضية أن ثمة علاقة وطيدة تربط بين صباحي الناصري مع الدولة الإيرانية التي كان من المفترض منطقا وعقلا أن تكون داعمة لأحد المرشحين الإسلاميين إن جازت هنا مسألة الدعم المالي من أساسه خاصة وأن السياق الطبيعي يقول بأن العلاقة بين حمدين صباحي وإيران كان يجب أن لا تكون على ما يرام فالرجل معروف بمواقفه الداعمة والمؤيدة للرئيس العراقي الراحل صدام حسين وهو من هو بالنسبة لإيران ولإيرانيين.

والحقيقة أن علاقة حمدين صباحي - ممثلا للتيار الناصري - ربما هي امتداد لعلاقة قوية تربط بين إيران وأبناء هذا التيار والتي توثقت عبر طرفين رئيسيين أحدهما يتمثل في حزب الله اللبناني والآخر يتمثل في الأب الروحي على المستوى الفكري للتيار الناصري في مصر وهو الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل، الذي توجه له هو الآخر العديد من الاتهامات كونه على علاقة مع إيران تدفعه للتكرار للقضية العربية والقومية التي هي أحد الأعمدة الأساسية للفكر الناصري كان آخرها التصريحات التي أدلى بها أحد البرلمانيين البحرينيين والتي اتهم فيها هيكل بقبول المال الإيراني على خلفية حديث تلفزيوني تناول خلاله قضية الجزر المتنازع حولها «طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى» بين إيران والإمارات وقوله إن العرب قبلوا التنازل عنها مقابل بقاء البحرين عريية، وأنه شخصا شارك في مفاوضات في عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر حول هذه القضية معتبرا أن المطالبات الحالية للإمارات بالجزر لديها دوافع سياسية وأن القضية لم تشر خلال حكم الشاه لإيران.

كما اتهم عضو مجلس الشورى البحريني

عبدالجليل العويناتي، في مقال نشره بصحيفة «الوطن» البحرينية تحت عنوان «عندما يكذب محمد حسنين هيكل.. من أجل حفنة تومانات!» هيكل بـ «العيش على أوهام النفوذ والنجومية عندما كان يكتب عن الوحدة العربية نهائياً ويتأمر عليها ليلاً».

وقال: «ثمة أنظمة عربية تتكفل بمصروفات تدليله كثرمن لإعادة استخدام شبح السيد هيكل..!» مضيفاً أن ما قاله حول البحرين والإمارات «يكفي للتأكيد على أن الرجل لم يبلغ فقط من العمر عتياً، بل بلغ أيضاً من الخرف عتياً،» وتوجه إليه بالقول: «معروف لصالح من تكتب اليوم فالتومانات كالدراهم.. تأبى إلا أن تظهر أعناقها!».

كما استفزت تصريحات هيكل وزير الخارجية البحريني الشيخ خالد آل خليفة فرد على هيكل عبر تغريدة له على حسابه الرسمي بتويتر قال فيها: «حسنيين هيكل لا يستطلق الا الموتى وأصحاب الآخرة... إن كانت لديه وثيقة واحدة تثبت مزاعمه عن البحرين وجزر الإمارات فليبرزها. وإلا فليصمت».

أيضا لم يعد خافيا على أحد أن إيران كانت داعما بشكل مباشر أو غير مباشر لما يسمى بحركة (تمرد) التي كانت الغطاء السياسي الشعبي لإسقاط الرئيس المصري الدكتور محمد مرسي وهي المعلومات التي أكدها القيادي الشيعي بهاء أنور محمد مدير مركز مصر الفاطمية لحقوق الإنسان والمتحدث السابق باسم الشيعة المصريين حيث قال إن محمود بدر مؤسس حركة تمرد شيعي عاشق لإيران حتى النخاع وأن مقر مولد حركة تمرد كان مركز مصر الفاطمية لحقوق الإنسان وأن ذلك ليس مجرد مصادفة.

وأوضح أنور محمد - وفق ما نقلت صحيفة المصريون المستقلة في نهاية ديسمبر الماضي - أن

ذلك يؤكد وجود مؤامرة وصفقة قذرة تمت بين النظام المصري والإيراني ومليارات دفعت من أجل إظهار أن الشيعة المصريين لهم دور كبير ونفوذ ومؤثرون لدرجة أطاحت بالإخوان المسلمين في حين أنه في حقيقة الأمر عدد الشيعة المصريين لا يكاد يذكر.

وأضاف القيادي الشيعي أن إيران أصبحت تمتلك (كروت) لعب كثيرة في المنطقة بدءاً من حزب الله في لبنان إلى بشار الأسد في سوريا إلى الحوثيين في اليمن إلى العراق ونفط العراق وأخيراً حركة تمرد التي أطاحت برئيس أكبر دولة عربية سنية.

ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر إلى أن المدعو بدر هو أيضاً من الشباب المحسوبين على التيار الناصري في مصر وكان وفق بعض المعلومات عضواً بحزب الكرامة الناصري الذي أسسه حمدين صباحي.

كذلك لا يمكننا أن نغض الطرف عن ذكر مسألة نعلها في غاية الأهمية إذ أن القيادي الشيعي سابق الذكر محمد بهاء أنور محمد يعد أول مصري سعى إلى تأسيس حزب يحمل لفظة العلمانية وهو حزب «الفجر العلماني» وهو الأمر الذي لم يجزؤ على فعله أي قيادي سياسي مصري من قبل وفق علمنا.

ولم ينس أنور أن يبرر دعوته هذه بالتأكيد على أن الحل الوحيد للخروج من الأزمة الراهنة في مصر هو العلمانية التي ترفض الفاشية الدينية والعسكرية.

بل إن الأمر وصل بالمدعو أنور محمد أن يكون حزبه هو من نظم فعاليات ما يسمى باليوم العالمي لخلع الحجاب لأول مرة في مصر والشرق الأوسط في نهاية شهر سبتمبر الماضي بميدان طلعت حرب، حيث أكد أنه سوف يقدم المساعدة النفسية والنصائح للفتيات اللاتي زعم أنه يتم إجبارهن على ارتداء الحجاب.

والدعوة التي يتبناها بهاء أنور محمد يتبناها أيضاً الدكتور أحمد راسم النفيس، أحد كبار قيادات الشيعة المصريين، إذ في حوار له مع صحيفة اليوم السابع المصرية يوم ١٤ أغسطس عام ٢٠٠٨ قال بالنص: «أنا كشيوعي مصري أطالب بفصل الدين عن السياسة، وأعتقد أن تطبيق ذلك كفيل بالقضاء على المذهب السني لأن المؤسسات السنية ظهرت منذ أبو هريرة ومالك بن أنس وهؤلاء عاشوا في كنف النظم السياسية وهم الذين أدخلوا الدين في السياسة ولكننا للأسف الشديد لا نفترب من هؤلاء، ونعمل لهم مجداً ويصبحون لدينا أشخاصاً مقدسين. انظر مثلاً لابن خلدون قاضى قضاة المذهب المالكي كان يعمل لدى ملك الشنوذ «زاد القطر». أئمة السنة عاشوا طوال أعمارهم في خدمة السلطان ولا يعرفون حرية فكر أو عقيدة».

وفي الختام ليس إلا تساؤل مهم يطرح نفسه: هل بالفعل تعد إيران دولة إسلامية تدعو وتهدف لتطبيق الشريعة الإسلامية أم أن هذه الدعوة وكما نؤكد مراراً ليست إلا إحدى وسائل الخداع؟

قصة التسلل الشيعي والإيراني للقارة الأفريقية

أسامة شحادة^(١) - خاص بالرائد

اليوم وبعد ٣٥ عاماً على الثورة الإيرانية نجحت إيران والشيعة بالتسلل إلى أفريقيا، فظهرت بؤر شيعية هنا وهناك، وأقيمت مؤسسات ثقافية واقتصادية تتبع قوى إيرانية وشيعية، وأصبح لإيران نفوذ وحلفاء بين دول القارة، ولكن أيضاً هناك مقاومة كبيرة لهذا التسلل وهناك حالة سخط شعبية ورسمية على كثير من نتائج هذا التسلل.

(♦) كاتب أردني.

فقد قطعت بعض الدول علاقاتها بإيران

كالمغرب ونيجيريا وغامبيا، وجرّمت بعض الدول التشيع كجزر القمر مؤخراً، فضلاً عن الغضب الشعبي لما تقوم به المؤسسات والشخصيات الشيعية من تعكير حالة السلم المجتمعي عبر استثارة الغالبية الساحقة بالسب والطعن في رموزها ومقدساتها، ولعل أبلغ مثال على ذلك ما حصل للمتشيّع المصري حسن شحاته الذي تمادى كثيراً في الإساءة للنبي ﷺ بالطعن في زوجته أم المؤمنين عاشة رضي الله عنها، وبالطعن في أصحاب النبي ﷺ، مما أدى لقيام الجماهير الغاضبة بضربه حتى الموت، أثناء محاولته التبشير بالتشيّع في إحدى القرى السنية بمصر.

في هذا المقال سأطوف سريعاً حول المنافذ التي سلكها هذا التسلسل الشيعي للقارة الأفريقية في العصر الحاضر بحسب التسلسل الزمني، إذ لم أجد من قدّم رؤية كلية لذلك على مستوى القارة، وإنما الذي وجدته إشارات جيدة لكن لمناطق محددة من القارة، والغاية من هذا وضع تصور كلي بداية لهذا التسلسل وإطاره الزمني والجهات الراعية له، ومن ثمّ يمكن دراسة كل منفذ على حدة في دراسات قادمة، قد ينشط لها الباحثون.

١- جهود مراجع شيعة العراق للتسلسل لمصر

لعل مصر شهدت أولى محاولات التسلسل الشيعية للقارة الأفريقية، فمنذ مطلع القرن العشرين قام المرجع الشيعي العراقي حسين البروجردى بإرسال دعاة شيعة لمصر لغزوها ونشر التشيع بين أهلها^(١)، فأرسل في أواخر سنة ١٣٥٣هـ وأوائل سنة ١٣٥٤هـ أبا عبد الله الزنجاني، ثم عبد الكريم الزنجاني، وقد فشلوا في مهمتهما، وكشف العلماء المحققون

(١) مجلة الفتح التي كان يديرها محب الدين الخطيب، ج ١٧، ص ٧٠٩.

كالعلامتين محب الدين الخطيب ومحمد الخضر حسين حقيقة تعصبهما الشيعي وكرههما للصحابة، ثم أتبعهما البروجردى بثالث هو الشيخ محمد تقى القمي الذي نجح بتأسيس دار التقريب في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٦م، ثم أصدر من خلالها مجلة «رسالة الإسلام»، واستقطب لها بعض العلماء والفضلاء، وخدعهم بفكرة التقريب ثم انتبه البعض ونفض يده منها مثل: الدكتور محمد البهي، والشيخ محمد عرفة - عضو هيئة كبار العلماء في الأزهر -، والشيخ طه محمد الساكت؛ وأهم ما نتج عن تسلسل القمي شيئاً:

الأول: فتوى شيخ الأزهر شلتوت بجواز التعبد على المذهب الشيعي^(٢)، والتي اتخذها الشيعة مطية للرواج بين البسطاء.

والثاني: هو استمالة حسن البنا لقبول فكرة التقريب برغم اعتراض واستتكار أستاذه العلامة رشيد رضا، والعلامة محب الدين الخطيب^(٣)، على التقريب والغزو الشيعي، وقد نتج عن هذا أن سهلت جماعة الإخوان للشيعة اختراق الجسم السني في كل الدول التي تواجدوا فيها، والأخطر هو تشيع بعض أفرادها في أكثر من بلد وتحولهم لرموز شيعية تقود الغزو الشيعي، ومنهم أحمد راسم النفيس، وكمال الهلباوي من مصر، ومبارك بعداش من تونس، وإدريس هاني بالمغرب، وغيرهم.

وبعد القمي جاء للقاهرة السيد مرتضى الرضوي صاحب مكتبة النجاح في النجف الأشرف، والذي تردد على مصر ٣٠ مرة، وكان يحرص على اللقاء بالأدباء والعلماء وإهدائهم

(٢) لفهم ملابسات هذه الفتوى راجع: الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، التجمعات الشيعية في أفريقيا العربية، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، ص ٢١.

(٣) انظر: مجلة الفتح التي كان يصدرها محب الدين الخطيب، عدد ٨٦٢، مقال (كلام صريح وكلام مبهم حول خرافة التقريب بين المذاهب)، وهو رد على حسن البنا شخصياً.

٢- الجاليات اللبنانية في أفريقيا:

عرفت أفريقيا قدوم المهاجرين اللبنانيين وخاصة النصاري منهم قبل بداية القرن العشرين، وتوالت موجات الهجرة اللبنانية، وكان السبب في ذلك البحث عن فرص عمل أو هرباً من التجنيد الإجباري في الجيش العثماني، ثم أصبح للاستبداد السياسي دور في الهجرة، وكذلك كان لصراعات الطوائف ومن ثم الحرب الأهلية دور أيضاً في هذه الهجرات، كانت مصر هي الوجهة الأولى، وقد استوطنتها النخب اللبنانية مثل العلامة رشيد رضا من التيار الإسلامي، أو روز اليوسف صاحبة المجلة المعروفة لليوم.

ثم تعدت الهجرة لدول أفريقيا الأخرى، وكان منهم لبنانيون شيعة، ولم يعرف لهم دور شيوعي إلا قبيل الثورة الإيرانية بعقد تقريباً، وكان يهدف للحفاظ عليهم بداية.

وكان القائم على ذلك موسى الصدر اللبناني مؤسس حركة أمل، والذي زار أفريقيا عدة مرات، لكن زيارته لدول غرب أفريقيا سنة ١٩٦٧ تعد أهمها، إذ عمل على زيارة الدول التي بها جاليات شيعية لبنانية، وحثها على التمسك بالتشيع والحرص عليه، وأرسل سنة ١٩٦٩ مندوباً عنه ليقود شؤون الشيعة في السنغال، وهو الشيخ عبد المنعم الزين، الذي أسس سنة ١٩٧٨ المؤسسة الإسلامية الاجتماعية، وقد نتج عن جهوده نشر التشيع في بعض دول أفريقيا المجاورة كموريتانيا، ولكن عمله في نشر التشيع بين السنغاليين كان عقب نجاح الثورة الإيرانية.

وأيضاً قام اللبنانيون الشيعة في ساحل العاج سنة ١٩٧٧ بإقامة (الجمعية الإسلامية الثقافية) بشاطئ ساحل العاج، وهذا بتأثير موسى الصدر قبل قيام الثورة الإيرانية، لكن عقب نجاح الثورة أصبحت

في العالم، التجمعات الشيعية في أفريقيا العربية، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي.

الكتب الشيعية، وكان القمي يعده من دعاة التقريب، وقد طبع ٢٥ كتاباً شيعياً في مصر وجعل بعض المصريين يكتب لها مقدمات نظيراً لأجرة مالية! وقد دوّن الرضوي لقاءاته مع المصريين في كتاب ضخّم بعنوان «مع رجال الفكر في القاهرة»، وقد أثنى على جهده السيد محمد باقر الصدر مرجع حزب الدعوة العراقي بسبب نجاح الرضوي بتخصيص جناح لكتب الشيعة في دار الكتب المصرية.

ثم واصل قيادة التسلسل الشيعي لمصر السيد طالب الرفاعي^(١)، الذي استوطن مصر بطلب من المرجع العراقي محسن الحكيم والذي عينه وكيلاً عنه فيها سنة ١٩٦٩، فأسس جمعية آل البيت سنة ١٩٧٢م، والتي لجأ إليها د. فتحي الشقاقي - قائد حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية - ليبشر بالوحدة بين السنة والشيعة عقب الثورة الإيرانية^(٢).

وطالب الرفاعي أصلاً جاء لمصر سنة ١٩٦٧ من أجل إكمال دراسته الجامعية، فحصل على الماجستير سنة ١٩٧٦م ومن ثم حصل على الدكتوراه سنة ١٩٨١م!

وأيضاً كان للمتشيّع العراقي علي البدري جهود في نشر التشيع بالمناقشات وطباعة الكتب وتوزيعها، وهو جاء لمصر عام ١٩٦٧ وبقي عدة أعوام فيها^(٣).

ثم كان للطلبة العراقيين والخليجيين في مصر دور في هذا التسلسل، ولما قامت الثورة الإيرانية فرح بها الإخوان والجماعة الإسلامية، وبعدها أصبح التشيع ينتشر قليلاً قليلاً في مصر^(٤).

(١) انظر مقال: آمالي السيد طالب الرفاعي، بالراصد عدد ١١٨، http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6045

(٢) انظر مقال: حركة الجهاد الإسلامي والهوى الشيعي الإيراني، الراصد عدد ٥١، http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4888

(٣) المتحولون حقائق ووثائق، هشام قطيط، دار المحجة البيضاء، ص ٧٩.

(٤) لمعرفة واقع التشيع في مصر، راجع الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة

الجاليات اللبنانية في أفريقيا هي أداة السفارات الإيرانية لاختراق المجتمعات الأفريقية، باستغلال علاقاتها مع النخب الحاكمة وسيطرتها الاقتصادية.

٣- المدرسون والتجار العراقيون والسوريون

واللبنانيون الشيعة:

منذ فترة الثمانينات سافر عدد من المدرسين العراقيين، ثم قدم سوريون ولبنانيون للعمل والتجارة في دول أفريقية مثل ليبيا والجزائر، وقد كان لهؤلاء المدرسين دور في تسليح التشيع لتلك البلاد من خلال احتكاكهم بالطلبة والناس.

٤- المتعاطفون مع نجاح الثورة الإيرانية من

أبناء الحركة الإسلامية - الإخوان المسلمون:

عقب سقوط نظام الشاه وتسلم الخميني للحكم في إيران عمت الفرحة كثيرا من قادة وأبناء الحركة الإسلامية، وبسبب الموقف السابق للأستاذ حسن البنا الداعم للتقريب بين السنة والشيعة، فقد تصاعدت النداءات للوحدة بين السنة والشيعة، وقامت قيادة جماعة الإخوان من دول متعددة بالسفر معاً ل طهران لتهنئة الخميني بالنصر. وقد كانوا يعدّون الخميني وحركته مساوية لهم تماماً، يقول حسن الترابي وراشد الغنوشي حول مفهوم الحركة الإسلامية: إنه «الاتجاه الذي ينطلق من مفهوم الإسلام الشامل، مستهدفاً إقامة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية على أساس ذلك التصور الشامل، وهذا المفهوم ينطبق على ثلاثة اتجاهات كبرى: (الإخوان المسلمون، الجماعة الإسلامية بباكستان، وحركة الإمام الخميني في إيران)»^(١).

ومن ثم توالى بعض الوفود الطلابية من الحركة الإسلامية من دول أفريقيا وخاصة من

السودان على زيارة طهران أو سفاراتها، وكان من هتافات طلبة الجامعات في السودان سنة ١٩٨١: «يا خميني رفعت الراية! أنت المشعل أنت هداية!»، ثم بدأ هذا التعاطف العام يتحول لدى البعض إلى تشيع عقدي في عدد من الدول الأفريقية.

٥- نشاط تيار الشيرازيين في أفريقيا:

عقب سقوط نظام النيميري في السودان سنة ١٩٨٥، أرسل تقي المدرسي زعيم حركة الطلاب الرسالية التابعة للتيار الشيرازي ومرجعية محمد الشيرازي، أحمد الكاتب - الباحث المعروف - للتبشير بالتشيع في السودان، وذلك استغلالاً للقبالية العالية لدى أبناء الحركة الإسلامية بقيادة حسن الترابي للتشيع، بسبب التعاطف الكبير مع دعاوى الوحدة والتقريب من جهة ومنهج الترابي العقلاني والمتميع في قضايا العقيدة والصحابة وأمثالها.

حيث قام أحمد الكاتب بتأسيس فرع لحركة الطلاب الشيرازية من بين المتشيعين، تحت غطاء حسينية الإمام القائم^(٢)، ومن ذلك الزمن وللشيرازيين نشاط كبير في أفريقيا.

ثم أكمل المسيرة علي البدري المتشيع العراقي، والذي بعد أن مكث في سوريا عدة سنوات عقب تركه مصر، عاد سنة ١٩٨٦ لأفريقيا والسودان تحديداً، فطبع عددا من الكتب الشيعة فيها.

٦- السفارات الإيرانية والمستشاريات

الثقافية:

عملت السفارات الإيرانية في المرحلة الأولى على توزيع بعض المطبوعات والمجلات على المترددين عليها، وأيضاً عملت على تقديم المنح للطلبة الأفارقة للدراسة في الجامعات الإيرانية والحوارات، وقد تشيع عدد كبير من هؤلاء الطلبة وأصبح

(١) الحركة الإسلامية والتحديث، حسن الترابي وراشد الغنوشي، ص ١٧.

(٢) أحمد الكاتب، سيرتي الفكرية والسياسية، على موقعه الشخصي.

بعضهم رأساً في نشر التشيع بين قومه.

ثم تطور عمل هذه السفارات والمستشاريات في التسعينيات وأصبح يقوم بدور رعاية الشيعة من الجاليات اللبنانية والمتشيعين وإقامة المؤسسات لهم، وذلك بعد الانفتاح السياسي لإيران على أفريقيا، والتي دشنتها زيارة الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني للسودان سنة ١٩٩١ ثم زيارة أخرى سنة ١٩٩٦ لعدد من الدول الأفريقية، ثم تالتت زيارات الرئيسين السابقين خاتمي ونجاد لدول أفريقيا.

وأثمرت هذه الزيارات عن إقامة مصانع ومصافي بترول وعلاقات تجارية وسياسية وقواعد عسكرية، وهذا كله دفع عجلة التسلل الشيعي قدماً للأمام.

٧- المتشيعين من الجاليات الأفريقية في الخارج وخاصة أوروبا:

كان للنشاط الشيعي في أوروبا مستغلاً جهل هذه الجاليات بدينها دور في التسلل الشيعي لأفريقيا، وخاصة عند رجوعهم لبلادهم للزيارة أو الاستقرار، فضلاً عن تأثيرهم على عائلاتهم، وهذه الظاهرة موجودة في المغرب بشكل خاص.

خاتمة:

هذه هي المنافذ التي تسلل منها التشيع لقارة أفريقيا، ثم تمكن من تكوين بؤر انطلاق وعمل، فأُسست عدد من المؤسسات الاجتماعية والثقافية، وأصبح لها مجلات وصحف ومدارس ومعاهد وجامعات، فضلاً عن نفوذ وعلاقات اقتصادية وسياسية مع حكومات الدول الأفريقية.

ولكن مع كل هذا لا يزال التسلل الشيعي طارئاً على القارة الأفريقية وليس له جذور راسخة، وهو قائم بشكل كبير على جهل العامة به واستغلاله لفقرهم وحاجتهم.

ولذلك إن بقاء هذا التسلل واستمراره شبه مستحيل، لكن الركيزة في ذلك هو وجود وعي بهذا التسلل بداية، ثم وجود عمل فاعل للتحذير منه وإبطال خداعه، وهو

ميسور للمخلصين، لأن الله عز وجل علّمنا ﴿فَأَمَّا الزُّبَيُّ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿١٧﴾
[الرعد: ١٧].

دور المستشاريات الثقافية الإيرانية

في الترويج للمذهب الشيعي..

السودان نموذجاً

محمد خليفة الصديق^(١) - خاص بالرائد

مقدمة:

منذ بواكير انتشار الإسلام في العالم، ووصوله إلى السودان، في عهد الصحابي عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه، لم يعرف السودان غير مذهب أهل السنة والجماعة، بل إن أول دولة إسلامية في السودان وهي دولة (سينار) التي قامت بالتزامن مع سقوط الأندلس كانت دولة سنية، ومنذ ذلك التاريخ ظل السودان يدين لأهل السنة والجماعة، وانتشر فيه المذهب المالكي وقراءة أبي عمرو بن العلاء برواية الدوري في قراءة القرآن الكريم، لكن التشيع بدأ يتسلل إلى البلاد عن طريق نشاط منظم تشرف عليه وتموله دولة إيران، واتخذت في ذلك كل السبل الممكنة لاختراق هذا البلد السني.

وبدايات دخول التشيع إلى السودان كانت عبر زياراتهم لشيخو الطرق الصوفية وتوثيق العلاقة بهم؛ وخصوصاً من يدعي منهم أنه من آل البيت، والتظاهر لهؤلاء الشيوخ بأنهم يجتمعون وإياهم في محبة آل البيت ومناصرتهم، وادعائهم أن أساس اعتقادهم واحد، ثم توالى الزيارات لهؤلاء مع الإغراءات المادية لهم، فتكونت علاقات وثيقة وصلت إلى تنظيم زيارات لهم إلى إيران؛ ومن خلال

(١) كاتب سوداني.

هؤلاء الشيوخ تم الوصول إلى مريديهم وأتباع طرقتهم، وسُمح لهم بإلقاء المحاضرات في مساجدهم وقراهم وتوزيع الكتب والرسائل والمنشورات.

وقد حذر من ذلك عدد من العلماء منهم: د. عصام أحمد البشير رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالسودان والأمين العام المساعد للإتحاد العالمي لعلماء المسلمين، حيث قال إن السودان ظل تاريخياً سنياً في عقيدته وأصوله وفروعه وإن الحفاظ على ذلك من فرائض الوقت وواجبات الساعة بعد أن تبين بروز الفكر الشيعي المنحرف، وطالب وزارة الإرشاد والأوقاف السودانية بإغلاق الحسينيات التي يتعبد فيها الرافضة أينما وجدت، كما حث وزارة التربية والتعليم على مراجعة جميع المدارس الخاصة المدعومة من إيران، وفحص مناهجها لتطهيرها من الفكر الرافضي، ومحاسبة من وضعوا تلك المناهج، داعياً إدارة المصنفات الأدبية المسؤولة عن الفسح للكتب والمطبوعات لفتح أعينها ومراقبة ما يدخل عبر المنافذ حتى لا تنتشر كتب ومطبوعات تؤثر سلباً على العقيدة السمحة.

ومن أهم ما طالب به الدكتور البشير الجهات المختصة أن تقوم بفحص تصاريح المراكز الثقافية التي تقام تحت إدارة المستشاريات الثقافية الإيرانية، والتي تتخذ كمطلق لنشر الفكر الرافضي، محذراً من الوقوع في المزالق التي يحاول أن يتخذها الفكر الشيعي المنحرف ذريعة لصرف الأمة عن مخاطر تمدده في مجتمعاتنا مثل ادعائهم أنهم يواجهون دول الاستكبار، ويقاومون المشروع الصهيوني، بجانب إقامة مؤتمرات عاطفية مثل مؤتمر الصحوة الإسلامية أو نصرة القضية الإسلامية، منبهاً إلى أن صحوة الإسلام لا تتأسس على العواطف المشبوهة وإنما الفكر الصحيح، وأشار إلى ما يفعله الحوثيون الشيعة في اليمن وما يجري في البحرين بالإضافة إلى العراق ولبنان، مُقراً بأن الرافضة اخترقوا المجتمعات السنية في

مصر والسودان إلى جانب المغرب العربي وأفريقيا جنوب الصحراء، مشدداً على عدم الانخداع بدعاوى نصرة القضية الفلسطينية أو التقارب وقال: «القوم لهم مشروع استراتيجي قومي لنشر المذهب، ولكن للأسف أهل السنة ليس لهم مشروع قومي لمواجهة الخطر»، واسترسل: «نحن نتعاطى كجزر معزولة مع الموضوع، وهم لهم دولة ترعى نشر المذهب ونحن ليس لدينا دول، وهم يتحركون متفقون ولديهم إعلام يخدم، ونحن نتحرك متفرقون ولدينا إعلام يهدم القضية».

فالملاحظ أن المستشاريات الثقافية الإيرانية في عدد من البلدان الإسلامية تمثل القاسم المشترك الأكبر في بث الفكر الشيعي وسط أبناء البلد المعين، وهي تعمل تحت غطاء ثقافي ودبلوماسي، وتتخذ عدداً من الأساليب غير المباشرة لنشر التشيع، نرجو أن نتعرض لها في متن هذه الدراسة.

ما هي المستشاريات الثقافية:

هي عبارة عن مكتب أو ملحقة ثقافية تتبع للسفارة الإيرانية في البلد المعين، ومعروف أن الملحقات الثقافية تهتم بمجالات الآداب والفنون، والتعريف بالبلد المعين وثقافته وموروثاته ومعالمه السياحية والحضارية، ورعاية الطلاب المبتعثين من ذلك البلد في البلد المستضيف، ولكن دولة إيران انحرفت بهذه المستشاريات عن غرضها الدبلوماسي والثقافي المعلن، فصارت منصات لانطلاق التبشير بالمذهب الشيعي والترويج للكتب والرسائل المحملة بالفكر الشيعي ونشر اللغة الفارسية، وغيرها من المناشط ذات الصلة بنشر المذهب.

وتخصص إيران ميزانيات خرافية للأعمال الثقافية خارج حدودها، فقد بلغت موازنة إيران الثقافية عام ٢٠٠٨م حوالي ٢٥٠٠ مليار تومان، ذهب منها ٣٨٦ مليار تومان إلى وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، والباقي صرف على النشاطات الدعائية والترويجية الثقافية الإيرانية.

وفي السودان على سبيل المثال نشطت السفارة الإيرانية في مجال تطوير العلاقات السودانية الإيرانية، وحرصت على إنشاء المراكز الثقافية من قبل المستشارية الثقافية الإيرانية ورعايتها بعناية، وساهمت مع مجلس الصداقة الشعبية العالمية بالخرطوم لإقامة جمعية الصداقة السودانية الإيرانية، وربطت هذه الجمعية بالسفارة الإيرانية مباشرة، وقد أسهمت هذه الجمعية في تنشيط المراكز الثقافية الإيرانية وغيرها من الأنشطة.

وعبر العمل المؤسسي الذي ترى إيران أنه من أشد الأنشطة تأثيراً على الفرد والمجتمع؛ استوعبوا أكبر قدر ممكن من الموظفين سواء في المستشارية أو المراكز الثقافية التابعة لها أو المعاهد الدينية التابعة لهم في شكل حراس ومستخدمين وسكرتاريين وسائقين و مترجمين وغير ذلك، وهذا التوظيف بهذه الكثرة ليس سببه كثرة العمل وضغوطه بقدر ما هو استيعاب أكبر قدر ممكن من الناس للتأثير المباشر عليهم عقدياً، وهذا ما حصل مع الأسف، إذ يجد الفرد نفسه عضواً في العمل بالتدريج، ولا بد أن يتشرب أثناء عمله شاء أم أبى أفكار صاحب العمل، بالإضافة إلى ذلك اتجه اهتمام الشيعة إلى الأساليب التي تمس المجتمع مباشرة، مثل إنشاء المدارس والمعاهد، والجمعيات.

أنشطة المستشاريات الثقافية:

تنشط المستشاريات الثقافية في كافة دول العالم في أنشطة متعددة ومتنوعة، لكنها تلتقي في النهاية في الترويج للثقافة الفارسية والمذهب الشيعي، فهي تهتم مثلاً باللغة الفارسية وآدابها، رغم أنها لغة محدودة التأثير عالمياً، وتجتهد في تعميق العلاقات الثقافية مع كل الجهات ذات الصلة، مثل الصحف والجامعات والمكتبات العامة ووزارة الإرشاد والأوقاف، واتحادات المرأة والشباب والطلاب، وتنظم احتفالات ذات طابع شيعي مثل الاحتفال بمولد الإمام الرضا، وذكرى إحياء العالم

ذكرى بن محمد الرازي عالم الطب الإيراني كما يقولون، والاحتفال بيوم القدس العالمي وميلاد فاطمة الزهراء وذكرى كربلاء وغيرها. ومن أبرز ما تقوم به المستشارية الثقافية الإيرانية بالخرطوم ما يلي:

أولاً : إنشاء ورعاية المراكز الثقافية الإيرانية

تعتبر هذه المراكز آليات لتنفيذ الأنشطة في مجال نشر التشيع بين المثقفين، وهي في الوقت نفسه تمثل واجهات يتستر خلفها دعاة التشيع لتشجيع المجتمعات المستهدفة في السودان ومن أبرزها:

أ - المركز الثقافي الإيراني بالخرطوم: يقع هذا المركز في شارع المطار، وهو العقل المدبر لنشر الفكر الشيعي في السودان؛ ولهذا المركز عدة أقسام:

١- قسم الإعلام والثقافة: يحتوي على مكتبة مرئية ومسموعة وصحف إيرانية، ويتم في هذا القسم نشر أشرطة فيها سببُ للصحابه رضي الله عنهم، كما يوزع الكتب الشيعية للزوار وخاصة الطلاب.

ومن أخطر أنشطة هذا القسم تقديم المنح الدراسية للجامعات الإيرانية، وأكثر المنح تكون لجامعة الإمام الخميني؛ وقد تم خلال السنوات التسع الأخيرة إرسال عدد كبير جداً من الطلاب إلى تلك الجامعة، وخاصة الطالبات، وتم تعيين أغلب الخريجين في المراكز الثقافية الإيرانية، وبعضهم في السفارة الإيرانية بالخرطوم، وتعطى تلك المنح للطلاب الذين سبق التحاقهم بإحدى الدورات التي ينظمها المركز، والذين يبدو عليهم الاستعداد لمناقشة العقيدة، أو يظهر أن لديهم رغبة في المال مقابل التنازل عن عقيدتهم، ويقوم بمهمة مراقبة الطلاب مشرف مكلف رسمياً بتدوين ملاحظاته عن مدى تأثير الدارسين، وظهرت مؤخراً

بعثات للدراسات العليا الى إيران في تخصصات مختلفة بينها الطب.

٢- قسم الدورات: يقدم هذا القسم عدداً من الدورات في اللغة الفارسية، والخط الفارسي، والفقه المقارن، وعلم المنطق، وأصول الفقه، وفي كل هذه الدورات يتم الدعاية للتشيع والتركيـز على طلبة الجامعات.

يحكي الصحفي السوداني معاوية أبو قرون أنه في النصف الثاني من عام ١٩٩٦م ذهب إلى المركز الثقافي التابع للمستشارية الإيرانية - فرع أم درمان- للالتحاق بإحدى دورات تعليم اللغة الفارسية، وقام بتعبئة الاستمارة الخاصة بالدورة، وذكر فيها اسمه، وعندما اطلع موظف الاستقبال السوداني على اسمه، بادره باعتذار لطيف مفاده أن اسمك هذا سيسبب لك مشكلة، وقال له: «أرجو أن تصرف النظر عن هذا الأمر» وبالفعل ذهب لحاله، ولكن ظل في ذهنه خاطر ما زال يراوده، هل مجرد تسميته باسم (معاوية) يشكل إشكالاً لدى الشيعة؟!.

٣- قسم المناسبات: ويختص بإقامة المناسبات الدينية والسياسية، مثل إقامة ذكرى ميلاد الأئمة الإثني عشر، وذكرى ميلاد السيدة فاطمة الزهراء، وذكرى الإسراء والمعراج، ويوم عاشوراء، وكذلك الاحتفالات السياسية كذكرى تولى الحكم، وميلاد الخميني وموته، وعيد النيروز؛ كما يتعمدون إقامة مناسبات تلائم الصوفية من جهة ويدرجون فيها مناسباتهم منها: الاحتفال بمولد النبي ﷺ، واحتفالات ذكرى مولد الأئمة الإثني عشر، واحتفالات سياسية كذكرى انتصار الثورة وذكرى موت الخميني .. إلخ، ويدعون أصنافاً من الناس للتأثير عليهم، ويتم أثناء تلك الاحتفالات عرض أفلام تبشر بالتشيع وتهاجم أهل السنة.

ومن أنشطة هذا القسم كذلك استقطاب

المسؤولين والوجهاء وشيوخ الطرق الصوفية وأساتذة الجامعات بتوجيه بطاقات الدعوة في المناسبات، ودفع مبالغ لهم باسم الهدية، وتوجيه دعوات لهم لزيارة الجمهورية الإيرانية، وخلال السنوات الخمس الماضية قام مجموعة من أهم رجالات الحكومة بزيارة طهران، بالإضافة إلى زيارات على مستوى قيادات الجيش والطلاب وحفظة القرآن، إلى جانب أفراد من أساتذة الجامعات ومشايخ الطرق الصوفية.

ويوجه هذا القسم دعوته للطلاب الأفارقة خاصة في جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم، (المركز الإسلامي الإفريقي سابقاً)، وكان مركزاً مهماً من مراكز نشر السنة في إفريقيا عموماً، ولأن هناك محاولات جادة بل مثمرة لكسب هذه الجامعة والتأثير عليها مباشرة أو غير مباشرة؛ ويأتي التركيز على هذه الجامعة؛ لأنها على غرار جامعة الأزهر في مصر والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في السعودية؛ حيث يدرس بها طلاب من أكثر من ٣٠ جنسية من قارة إفريقيا وغيرها.

ب- المركز الثقافي الإيراني بمدينة أم درمان: تم إنشاء هذا المركز بإيحاء من الشيعة الذين يقطنون هذه المنطقة، وله نفس أنشطة المركز الثقافي الإيراني بالخرطوم، ويستعين المركز في أنشطته بالذين سبق لهم أن نالوا دراسات في إيران ممن يتقنون اللغة الفارسية، ويقوم هذا المركز بعقد لقاءات جماعية أسبوعية كل يوم أربعاء، ويتوافد إلى هذه اللقاءات جم غفير من الطلاب، ويحضر بعض تلك اللقاءات زائرون من إيران، ويقومون بندوات لنشر فكر الشيعة، يتميز مدير مركز أم درمان (وهو سوداني) بالمبادرة إلى الأعمال، وله خبرة في أساليب استدراج الطلاب إلى الفكر الشيعي.

ثانياً: المكتبات العامة والمشاركة في

معارض الكتاب

نسبة للاهتمام الكبير الذي يوليه الإيرانيون لأنشطة التشييع حرصوا على المشاركة في كل معارض الكتاب التي تنظم بالسودان، وقد تنبه بعض الخيرين لهذا الخطر، فتم منعهم من المشاركة في هذه المعارض، وأبرزها معرض الخرطوم الدولي للكتاب، حيث تم إغلاق ستة أجنحة لكتب إيرانية ولبنانية شيعية في معرض الخرطوم الدولي للكتاب الذي أقيم في ديسمبر من عام (٢٠٠٦)، ومن بين الكتب التي عرضت في تلك المعارض كتب تسبب السيدة عائشة رضي الله عنها وتقبح في صحابة رسول الله ﷺ، ما أثار حملة انتقادات عارمة انتهت بإغلاق هذه الأجنحة، وتم سحب الكتب الشيعية من المعرض، ولم يتم السماح بدخول أي كتب شيعية في المعارض المقبلة.

كما تجتهد المستشفيات الثقافية الإيرانية في إنشاء المكتبات العامة، وتغذيتها بكتب المذهب الشيعي، وهذه المكتبات تمثل في السودان مأوى للطلاب، سيما لطلاب الجامعات لاعتبارات عدة، ومن أبرز تلك المكتبات التي أنشأتها المستشفيات الثقافية الإيرانية:

- ١ - مكتبة المركز الثقافي الإيراني بالخرطوم، شارع المطار.
- ٢ - مكتبة المركز الثقافي الإيراني بأم درمان.
- ٣ - مكتبة الكوثر بحي السجانة (وسط الخرطوم).
- ٤ - مكتبة مركز فاطمة الزهراء بحي العمارات (وسط الخرطوم).
- ٥ - مكتبة مدرسة الجيل الإسلامي بحي مايو (جنوب الخرطوم).
- ٦ - مكتبة معهد الإمام جعفر الصادق بحي العمارات (وسط الخرطوم).

واستطاعوا أن يحققوا نجاحاً في استخراج إعفاءات جمركية عبر الاتفاقيات بين السودان وإيران وللأنظمة والأعراف الدبلوماسية بين الدول لإدخال الكتب والأشرطة المسموعة والمرئية، وقد أدخلوا بحسب بعض الإحصائيات شبه الرسمية ٨ ملايين نسخة من الكتب المختلفة التي تدعو إلى فكر الرفض، وقد نشرت منها كميات ووزعت على المتصوفة والطلاب والمعاهد الدينية بالسودان، سيما في منطقة شرق النيل بالخرطوم، عبر مشرف المعهد الإيراني بالخرطوم.

كما وزعت مليون نسخة من المصحف الشريف في مساجد العاصمة الخرطوم، وبعض القرى، وهي نسخة مزخرفة جميلة، واسم الجلالة مكتوب فيها بالأحمر، وعليها اسم الجمهورية الإيرانية، وهذه النسخ جاءت بعد أن قام أحد دعاةهم بصلاة الجمعة في أحد مساجد ولاية الجزيرة، حيث سمع الخطيب يخطب عن الرفض ويذكر من عقائدهم أنهم يعتقدون أن القرآن ناقص.

فقام هذا الرفض برفع برقية لمرجه، فعمدت إحدى دور النشر في الشام بطباعة مليون نسخة مصحف طباعة فاخرة، تم توزيع كميات كبيرة منها في هذا الجامع بالذات، وفي السودان عموماً حتى تلغي هذه النظرة عن الرفض من العامة، وحتى لا ينفضحوا في بداية مشوارهم التشيعي في السودان مع المكاسب التي حققوها.

كما تقوم المستشفيات الإيرانية وضمن وسائلها للتبشير بالتشيع في السودان بإقامة الندوات حول بعض المناسبات التي ترتبط بالطائفة الشيعية، وتنظم مسابقات كذلك في مختلف مجالات الحياة في البلاد منها مسابقة الإمام الخميني للقصة القصيرة، وتوزع الكتب والمطويات الشيعية بصورة واضحة على السكان مجاناً، خصوصاً في الأحياء النائية.

ثالثاً: الروابط والجمعيات: ومن أبرزها:

١- رابطة أصدقاء المركز الثقافي الإيراني: وفي الحقيقة كل الذين ينتمون إلى هذه الرابطة من الشيعة ويحاضرهم مدير المركز وغيره، وفيهم مثقفون وصحفيون سودانيون، ومشاهير من زعماء الطرق الصوفية وأبنائهم.

٢- روابط طلابية، مثل: (أ) رابطة آل البيت. (ب) رابطة الثقلين. (ج) رابطة الزهراء .. إلخ، وتتولى الأخيرة إحدى مشاهير النساء في البلد.

٣- جمعية الصداقة السودانية الإيرانية، وهي تضم فيها أساتذة وقضاة وغيرهم.

خاتمة:

من خلال الدراسة تبين خطر هذه المستشاريات الثقافية الإيرانية، ودورها المحوري في التبشير بالمذهب الشيعي، ورغم ازدياد معرفة السودانيين بخطورة الفكر الشيعي على البلاد، تواصل إيران عبر مستشاريتها الثقافية، وعبر وسائلها الأخرى غزو السودان من كل مكان، مستغلة الفقر وحاجة السكان، وغيرها من الأمور.

أحد الشيعة الكويتيين، والذي زار السودان لكتابة تقرير عن حجم الوجود الشيعي في السودان، حيث عمد من خلال تقريره للتقليل من حجم الشيعة في السودان، ورغم ذلك رأى: «أن الوضع السوداني مشجع رغم ما فيه من عثرات، والشعب مشدود إلى كل ما يرتبط بأهل البيت مع تعزيز الفكر الصوفي لمفاهيم التوسل والارتباط بالعترة الطاهرة كوسيلة للوصول إلى الله ومناخ الحرية الثقافية متاح وإن تعرض أحيانا لموجات جزر حادة، والشعب الفقير يرحب بأي مؤسسة خيرية واجتماعية تساهم في التخفيف من معاناته، والكتاب له قيمة والقراء متعطشون، والفضاء مفتوح على مصراعيه والكوادر الشيعية جاهزة للعمل وما ينقصها إلا المال والنصرة الحقيقية لصناعة التأثير».

ويواصل قائلًا: «لا نرغب في استغلال حاجة الناس وفقيرهم، حتى نتسلل إلى قلوبهم وأدمغتهم، علينا أن نكون دعاة سلام نعرض حججنا الدامغة، وخدماتنا خالصة لوجه الله وننتظر من الله المدد والفتح، وشيعة السودان يمتلكون الرجاحة العقلية لإدارة دفة التأثير بمهنية وكفاءة بدون الاستجداء بالكذب والتدليس والغباء والميكافيلية الدينية لتحقيق أهدافهم، ولا ينقصنا إلا النصرة المادية والمعنوية وتوجيه أنظار الناس إلى السودان كأرض عذراء خصبة لنشر مذهب الحق. فدعوة صادقة من قلب متورم بالحزن إلى شحذ الهمم في نصرة شيعة السودان، حتى يأتي اليوم الذي نجرع هؤلاء الكذابين غصص المرارة وهم يشاهدون خطى التشيع تشق طريقها بتسارع. ويعلم الله كم يفرح هذا العمل قلب صاحب الأمر وكم يمهّد الطريق إلى دولة الحق المنتظرة. فهل من مدكر؟» انتهى كلامه.

ولا ينسى أن يضع في ختام التقرير بعض الأنشطة والمشروعات التي تحتاج إلى الدعم مثل:

دعم المجالس الحسينية، ودعم حقيبة مدرسية، ودعم حجاب إسلامي، وإرسال مبلغين إلى القرى، وإرسال طلاب إلى الحوزة العلمية، وبناء مكتبة إسلامية، وبناء حسينية، وبناء مدرسة وبناء مركز إسلامي، وغيرها.

المراجع:

- ١- مدثر أحمد إسماعيل، مستقبل السودان بعد الانفصال، الخرطوم: سلسلة كتاب صحيفة المحرر، ٢٠١٠م.
- ٢- موقع المستشارية الثقافية الإيرانية بالخرطوم على الإنترنت.
- ٣- خالد عبد اللطيف محمد، الخصائص الثقافية والدينية المؤثرة في الدعوة الإسلامية في أفريقيا (الوثية _ التصير _ العلمانية _ الفرق المنحرفة)، بحث موجود على الرابط:

٥- تقرير كتبه حسين القلاف، بعنوان: «خرافة المد الشيعي في السودان.. رحلة مثيرة لاستكشاف الغول الشيعي كما صورته التكفيريون والتعرف على آفاق العمل الإنساني في الدلتا السودانية»، لصالح: هيئة الإمام الحسين الخيرية.

هل سيتحول العراق إلى خطر يزعزع استقرار دول المنطقة

عبد الهادي علي^(١) - خاص بالرائد

تمر بسنة العراق أيام عصيبة جداً، حيث تدور رحى معارك قوية مع الجيش العراقي الطائفي في محافظة الأنبار، وبدأ أهالي مدينة الفلوجة بمغادرتها والنزوح إلى الضواحي والمدن الآمنة في المحافظة هرباً من القصف العشوائي.

ومن جانب آخر يبدو أن رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي في حالة من التشنج والانفعال كما يظهر من تصريحاته الطائفية، حيث أعلن أن أنصار الحسين سيقفون ضد أنصار يزيد!

ثم نسمع قبل أيام أن مجلس الوزراء وافق على تحويل أربعة أقضية إلى محافظات جديدة، هي تلعفر وسهل نينوى في محافظة نينوى، وطوزخرماتو في محافظة صلاح الدين، والفلوجة في محافظة الأنبار.

إنها معركة إحماء للانتخابات في شهر نيسان/ أبريل القادم بعد أن فشل المالكي في كسب قوائم سنية، فتحول لافتعال معركة طائفية

(♦) كاتب عراقي.

قد تتسبب في إدخال البلاد في وضع أمني قد يؤجل الانتخابات، لأن وضع المالكي الانتخابي لا يسر.

ربما يقال: ما شأن هذا الوضع الداخلي العراقي بعنوان المقال؟ ونقول جواباً على هذا السؤال: إن الشأن العراقي لم يكن يوماً شأنًا داخلياً محلياً؛ فالعراق بلد محوري في المنطقة العربية والإقليم ومَن يسيطر عليه أو يحكمه يمتلك مكانة في المنطقة يحسب حسابها الجميع.

وعراق ما بعد الاحتلال ليس عراقاً شيعياً وحسب، بل عراقاً بيد الأحزاب الدينية الشيعية، وبلد تتربع إيران في أحضانه؛ بلد به أكثر من ١٥ مليون شيعي، وأحزاب راديكالية شيعية طائفية، وموارد العراق النفطية الهائلة ستكون في خدمة العراق الشيعي الجديد وهو ما يعني أيضاً أن يكون في خدمة إيران، فالعراق الشيعي سيحارب بالنيابة عن إيران، وسيكون مدخلا إلى كثير من الدول العربية، وهذا سيزعزع كل المنظومة الإقليمية من حوله، وهذه حقيقة بدأت بعض الدول العربية تشعر بنتائجها، لكن للأسف لا تزال الدول العربية تتصرف على اعتبار أن شأن العراق أمراً داخلياً يخصه وحده!

وحتى تتضح صورة المخاطر المتوقعة والقادمة على المنطقة من تحول العراق ليكون عراقاً شيعياً يتربع في حوض إيران، سنفصل الحديث في الدول التالية:

الأردن:

يوماً بعد يوم تحاول الحكومة العراقية انتزاع قطعة كبيرة ومهمة من محافظة الأنبار السنية لضمها إلى محافظة كربلاء الشيعية لأهداف داخلية وخارجية، وهو ما يشكل تهديداً للأردن، أن تكون الحدود العراقية الأردنية هي حدود مع محافظات شيعية، وليست مع محافظة سنية (الأنبار)، والمعنى الحقيقي لهذا التغيير على تركيبة المحافظات، هو أن الأردن سيصبح جاراَ حدودياً

لإيران!! وذلك لأن إيران تسيطر على المحافظات الشيعية الممتدة من حدودها إلى حدود الأردن، عندها سيكون الأردن عرضة لعدد من المشاكل كتصدير المخدرات والسلاح والإرهاب، وهذا يهدد الأمن القومي للأردن.

ومعلوم الحرص الإيراني على اختراق الأردن^(١)، عبر إغراء الأردن بصفقات نفطية وتبادل تجاري، مقابل فتح السياحة الدينية (مدخل للتشيع الديني والسياسي، وإيجاد موطئ قدم)، وفتح مكاتب تجارية وشركات، واستثمارات.

السعودية:

أيضاً السعودية مهددة بوصول إيران لحدودها عبر تغيير تبعية مناطق المحافظات، عبر إلحاق قضاء النخيب بمحافظة شيعية.

وبواسطة الزيارات الشيعية إلى النجف وكربلاء ستتولد علاقة سهلة بين شيعة السعودية وإيران من خلال العراق، مما يزيد من مخاطر تهريب المخدرات والسلاح، وتزويد الخلايا الشيعية داخل السعودية بالمال العراقي.

الكويت:

تشعر الكويت اليوم بقلق حقيقي من العراق الشيعي^(٢) لا سيما أن ٢٠٪ من سكانها الكويتيين من الشيعة، وسيكون العراق الشيعي التابع لإيران عنصر ضغط عليها على جميع الأصعدة، ويفتح الباب مستقبلاً لتحقيق الحلم الإيراني/ العراقي باحتلال الكويت، مع تولد علاقات قوية بين

الأحزاب الشيعية العراقية والشيعة الكويتية، بواسطة الزيارات الشيعية إلى النجف وكربلاء مما يسهل بناء خلايا إيرانية نائمة جديدة في الكويت، وعملها حصل جزء من هذا.

القضية الفلسطينية:

تسعى إيران إلى أن تملك القضية الفلسطينية كورقة تفاوض بها إسرائيل مباشرة أو تلوح بها في وجه أمريكا لتكون طرفاً في ماراثون عملية السلام.

ومع سيطرة إيران على مقدرات العراق فستحاول احتواء الفصائل الفلسطينية الإسلامية والعلمانية واليسارية، من خلال العراق كدعم عربي!

وربما يستخدم الجانب السني كوسيط مطمئن في البداية، إذ أن كثيراً من سنة العراق - بسبب اليأس من تحسن أحوال السنة - تحول إلى ألوية بيد الشيعة، وأصبح عميلاً أو تابعاً للحكومة الشيعية، وقد كان النظام السوري هو من يقوم بهذا الدور سابقاً، لكن مع بداية الثورة السورية تغيرت المعادلة واحترقت هذه الورقة بيد إيران.

لبنان:

تتحكم في لبنان قوى شيعية متمثلة بالدرجة الأولى بحزب الله وبشكل أقل حركة أمل، وقد بنى حزب الله علاقات خاصة واستراتيجية مع السياسة الشيعية في العراق، وكان مصدراً لتهريب المال المزور (الدولار) وبيع المخدرات وغسيل الأموال، ولا يستبعد أن يتولى العراق الشيعي عبأ تمويل حزب الله، خاصة مع وجود فساد مالي في العراق بمئات المليارات، ومستقبلاً سيكون العراق مركز جذب للشركات اللبنانية الشيعية للمقاولات والتصدير والاستيراد والمصانع.

سوريا:

سوريا (بشار الأسد) هي حليف استراتيجي

(١) يحتل الأردن أولوية بالنسبة لمحاولات إيران في اختراق الدول، لتكامل سيطرتها على الشام، ولمحاصرة السعودية.

(٢) شعر بعض الكويتيين بالخطر فقد طالب عضو لجنة الداخلية والدفاع البرلمانية محمد طنا الحكومة بالإعلان عن استعداداتها لمواجهة أي تطور قد يطرأ على الأحداث في العراق، خصوصاً وأن الأحداث تجري في منطقة لا تبعد كثيراً عن الكويت، داعياً الحكومة إلى الاستعداد التام تحسباً لأي تصعيد مفاجئ، لافتاً إلى أن أخذ الحيطة والحذر أفضل من الانتظار حتى وقوع ما لا تحمد عقباه، وعلينا توقع غير المتوقع.

تركيا:

تركيا بلد إقليمي كبير ومنافس لإيران في المنطقة بحجمه وسكانه وتاريخه، والعراق يشكل لها شريكا اقتصاديا جيدا، ولذا تقيم تركيا علاقات جيدة مع شمال العراق (إقليم كردستان)، وبمرور الوقت سيتمكن العراق من أن يكون ضاغطا قويا على الأتراك بواسطة هذه الحكومة الشيعية، وسيكون العراق ورقة ضغط إيرانية ضد تركيا، وربما حتى في دعم حزب العمال الكردستاني ضدها.

دول الخليج بصورة عامة:

سيشكل العراق مع إيران في السوق النفطية ضغطا في منظمة الأوبك أو الأوبك للتحكم في السياسة النفطية، وسيكون العراق ممرا إلى أجنادات الصين وروسيا (المعسكر الشيوعي) للوصول إلى المياه الدافئة في الخليج.

خاتمة

ضيقت الدول العربية - مع الأسف - كثيرا من الفرص وساهمت بشكل أو بآخر في ضياع العراق، لكنها لا تزال تستطيع أن تستدرك بعضا من ذلك، فلا يزال سُنَّة العراق العرب، مع السنة الكرد قوة لا يستهان بها، وقادرة على قلب المعادلة لفائدة كل الدول، ومنع العراق الشيعي من أن يكون خطراً على بقية الدول في المنطقة.

إن سياسة إيران وإسرائيل كلاهما تركز على عدم استقرار الدول العربية، وشكلت سوريا وإيران بؤر زعزعة للمنطقة، اليوم سيكون العراق هو العامل الاقتصادي البشري مع إيران ليشكل عامل عدم استقرار للمنطقة.

المطلوب:

مساندة حقيقة لسنة العراق، فكما قاتل العراق إيران ٨ سنوات، فسنة العراق قادرون على منع العراق من أن يكون عامل هدم وقلق لهذه الدول، إذا وجدوا الدعم والمساندة.

نظام المالكي، وفي معركتها الحالية كان العراق (الشيعي) داعما لبشار بالمال والنفط والسلاح والرجال (كتائب أبي الفضل العباس)، كما أن العراق الشيعي ساند وأسس المنظمات المتطرفة كـ(داعش)؛ حيث سهلت الأجهزة الأمنية في العراق هروب قيادات القاعدة من السجون العراقية لتأسيس داعش، ومناطق العراق المحاذية للحدود مع سوريا تمثل ملاذا آمنا لداعش وللمتطرفين^(١)، إضافة للموقف السياسي العراقي الداعم للحكومة السورية.

وفي حالة إزاحة بشار الأسد وتشكيل حكومة انتقالية فهناك مخاطر على سوريا من العراق الشيعي:

وذلك بتأمين مأوى للمتطرفين (داعش والقاعدة) في أراضيه، لزعزعة المرحلة الانتقالية وفرض حالة عدم الاستقرار، وأيضاً إيواء أعضاء النظام السابق كمعارضة ضد سوريا مدعومة من العراق، فضلاً عن مخاطر إغراء التجار السوريين بصفقات لشراء ذممهم، لا سيما وأن سوريا بعد التحرر أو الحكومة الانتقالية سيكون البناء الاقتصادي هو الأساس لدى الشعب السوري.

البحرين:

لا نحتاج إلى جهد كبير لدراسة تأثير العراق الشيعي على البحرين فقد بدأ التأثير واضحاً على كل المستويات ودعم الحكومة والأحزاب الشيعية العراقية لشيعية البحرين واضح.

وترغب إيران في زج العراق في الشأن البحريني، بسبب الجذور العميقة للأحزاب العراقية في التاريخ البحريني فهم المؤسسون لحركة التشيع السياسي في البحرين.

(١) ولا يتناقض هذا مع حملة الحكومة العراقية العسكرية في الأنبار ضد داعش، ففي الحالتين يتم تأسيس ودعم بؤرة تطرف، تمرر السياسات الطائفية الإقصائية بحق الشعب السوري والعراقي من قبل النظام الطائفي.

ولابد من إشغال الشيعة العراقيين والأحزاب بمعركة داخلية تمنعهم من التمكن، والتوجه إلى غيره من الدول السننية لزعزعة الدول لحسابات دول أخرى كإيران وإسرائيل أو الغرب.

الحركة النسوية اليمنية.. الزحف نحو المجهول

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالراصد

لاشك أن الحركة النسوية اليمنية تختلف بشكل واضح عن باقي الحركات النسوية في البلدان العربية، فهذه الحركة تسير باستحياء في المجتمع اليمني المحافظ، ولا تجاهر بجميع الأفكار النسوية الأممية ولا بمعظمها فهي تسير بحذر شديد متبعة سياسة النفس الطويل، تبذر بذورها بكثير من الصمت والهدوء وتتجنب التصادم بقيم المجتمع وعاداته وتراهن على مشكلاته وأزماته التي طال أمدها دون أن يتصدى لها أهل التقى والصلاح.

الحركة النسوية اليمنية تسير على طريق معروف خاضته قبلها الحركات النسوية في الكثير من البلاد العربية وأثبت نجاحه وأصبح طريقاً معبداً معروفاً، فالحركة النسوية اليمنية اليوم تعيش أجواء الحركة النسوية المصرية أيام هدى شعراوي ورفيقاتها، وتبدو مطالبها إلى حد ما متواضعة حتى تستطيع أن تشق طريقها بدافعية وقوة أكبر ولكنها لن تنتظر سنوات طويلة كما حدث للحركة النسوية المصرية مثلاً لأن هناك اتفاقات دولية وقعتها اليمن ولأن جماعات التمويل والضغط تلعب دوراً بالغ النشاط في اليمن.

مواجهة الحركة النسوية اليمنية أسهل

(١) كاتبة مصرية.

كثيراً من مواجهة الحركات النسوية في البلاد العربية الأخرى شريطة الانتباه لها وتقييمها جيداً ووضع تصور لما يمكن أن تكون عليه مستقبلاً، والأهم من ذلك كله مجابهة المشكلات والعقبات التي تمثل البيئة الخصبة التي ستتعرع فيها البذور المسمومة التي تلقيها الحركة النسوية في التربة اليمنية.

نظرة تاريخية

يختلف مسار الحركة النسوية في شمال اليمن عن جنوبه، فقبل الوحدة عام ١٩٩٠م، إذ تعرض الجزء الجنوبي للاحتلال البريطاني قرابة القرن والربع وعلى الرغم من عدم التدخل المباشر في الحياة الاجتماعية لليمنيين إلا أن لهذا التواجد الطويل أثر ولاشك في نمو النزعة النسوية في الجنوب وتكوين جمعيات نسوية، حيث خرجت مجموعة من النساء في خمسينيات القرن الماضي سافرات ومطالبات بالسفور وكان هناك علاقة وثيقة مع اتحاد نساء مصر ورئيسه هدى شعراوي، وعندما ثار اليمن الجنوبي ضد الاحتلال البريطاني واستولى التيار اليساري على مقاليد السلطة بالجنوب عام ١٩٧٤، حيث تسلم السلطة الحزب اليمني الاشتراكي الذي بشر بالشيوعية في اليمن وحارب الدين والعادات والقيم الدينية واضطهد العلماء، لقد كان وجود الحزب الاشتراكي يمثل البيئة الخصبة لنمو وترعرع الأفكار النسوية في اليمن الجنوبي.

جاء في برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ما يلي: (الدفع بجرأة بقطاع المرأة لكي يأخذ دوره في الحياة السياسية والاقتصادية أمر ضروري وهام ليس فقط في إشعار هذا القطاع بأن زمن الإذلال له قد انتهى ولا بد من مساواته بالرجل بل - أيضاً - في إشعاره بأنه يمكن

أن يلعب دوراً تاريخياً جنباً إلى جنب مع الرجل)، ونلاحظ الكلمات التي تشبه الطلقات النارية الصادرة من البيان. وعلى الرغم من ذلك لم تصل كلماته للقاعدة الشعبية العريضة من النساء، هذا الحزب الذي وصف نفسه في أحد أدبياته بأنه نموذج ثوري في المنطقة العربية على صعيد تحرير المرأة من قيود التخلف الاجتماعي.

بينما اليمن الشمالي لكونه بلداً محافظاً، اقتصر العمل النسوي فيه على إنشاء مدارس للبنات ولم تحاول النسويات فيه التصادم مع قيم المجتمع وتوجهاته إلا بعد الوحدة، حيث تم الإعلان عن دستور يحمل مسحة علمانية فرض الاشتراكيون وقوى أخرى في اليمن الشمالي صياغته على هذا النحو فيما عرف إعلامياً بمعركة الدستور، وفي هذا العام (١٩٩٠م) تم دمج اتحاد نساء اليمن في المحافظات الجنوبية والشمالية تحت اسم «اتحاد نساء اليمن» وكان معظم عضواته من الحزب الاشتراكي والاتجاه اليساري الماركسي.

الفقر والجهل

لا يمكن الحديث عن الحركة النسوية اليمنية بمعزل عن الظروف التي تعايشها المرأة اليمنية المستهدفة من قبل هذه الحركة حيث تعيش ٧٦٪ من النساء في ظل الأمية، أي أن هناك ثلاث نساء لا يستطعن القراءة والكتابة مقابل سيدة واحدة تستطيع.. ولعل الأكثر قسوة أن ما يقارب ٤٠٪ من الإناث في الفئة العمرية ٦ - ١٤ سنة غير ملتحقات بالتعليم الأساسي وأكثر من ٨٠٪ منهن في الفئة العمرية ١٥ - ١٧ سنة غير ملتحقات بالتعليم الثانوي، حسب إحصائية للعام الدراسي ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥.

ظاهرة تسرب الفتيات من التعليم في المدن وبنسبة أكبر في الأرياف وتزداد بين فئات النساء المهمشات (الأخدام) التي تصل نسبة الأمية بينهن حسب الجمعيات التي تعنى بهذه الفئة إلى ٩٥٪،

وهي نسبة بالغة السوء فالجهل هو التربة الخصبة التي يسهل فيها عمل غسيل للمخ ولا تستطيع المرأة الجاهلة أن تمتلك العقلية الناقدة التي تميز فيها بين السمين والغث.

وعندما يضاف الفقر للجهل تصبح المرأة هشّة قابلة للكسر تبحث عن أي يد تمتد لها كي تتشالها من حالتها المتردية التي تعيشها (يتجاوز عدد النساء تحت خط الفقر أكثر من ٤٠٪).

بل إن الأمر تجاوز حدود الجهل والفقر، فالمرأة اليمنية تعاني الكثير من الظلم والتهميش باسم العادات والتقاليد مرة، وباسم الدين مرة أخرى، حيث انتشرت أفكار ظالمة للمرأة على أنها من أوامر الله وما هي بذلك، بل مجرد عادات قبلية وتقاليد جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان تم تغليفها بغلاف ديني واستخدمت كأداة لقمع المرأة اليمنية.

وإذا كنا نريد حقاً أن نواجه الحركة النسوية ونمنع توغلها السرطاني في المجتمع اليمني فعلياً مواجهة هذا الظلم الذي تتعرض له المرأة اليمنية بكل وضوح وصدق دون أن نجمل من الواقع أو نتهاون مع الظلم للمحافظة على وحدة الصف وعدم التصادم مع العادات الراسخة القديمة.

الحركة الإسلامية مطالبة أن تكون لها اليد الأولى في محاربة الجهل ونشر التعليم ووضع الخطط لمواجهة الفقر، والعمل وسط النساء المهمشات والمشرذات والسجينات اللاتي بحاجة ماسة لمن يحدثهن عن التوبة وييسر لهن أمرهن، لا من يغذي فيهن العداء للمجتمع والرغبة في تحطيمه.

مكتسبات النسوية اليمنية

هناك الكثير من المكتسبات التي استطاعت الحركة النسوية اليمنية تحقيقها دون كثير من الجلبة والضوضاء وعلى الرغم من ذلك تبدو كتأثيرات عميقة ومهمة لوضع حجر أساس متين

وقوي تبني عليه المرحلة اللاحقة.

فعلى المستوى الثقافي وقعت جمهوريتا اليمن قبل الوحدة على اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة «سيداو» هذا التوقيع الذي أصبح ملزماً للجمهورية اليمنية بعد الوحدة. والقضية بعيداً عن السياق القانوني ثقافية من الدرجة الأولى حيث تلزم الاتفاقية الدول الموقعة على تفعيل مواد الاتفاقية من خلال وسائل الإعلام ومناهج التعليم حتى تصبح مواد الاتفاقية واقعا ثقافيا معاشا وليس مجرد نصوص قانونية، والحركة النسوية اليمنية هي من تتحمل عبء التبشير بها (الحركة اليوم تمتلك كادرا من الباحثين والباحثات والصحفيين والكتّاب المجندين لإشاعة المفاهيم من خلال الرسائل والبحوث والكتابات الصحفية في الجرائد والمجلات المحلية)^(١).

الجانب القانوني

الحركة النسوية اليمنية استفادت بعمق من الوثائق الأممية المرتبطة بالمرأة خاصة اتفاقية السيداو وشاركت في المؤتمرات الدولية التي تتابع مسار الاتفاقية على الأرض الواقعية ما الذي تحقق وما الذي لم يتحقق بعد وماهي المعوقات التي منعت تحقيقها، وكيف يمكن إزاحتها؟ وهكذا فالحركة النسوية العالمية لا تكتفي بمجرد إصدار وثيقة كما يحدث في مؤتمراتنا وإنما هي تتابع بدأب تفعيلها الواقعي وتحويلها لدستور ثقافي ملزم، وفي هذا السياق تتحرك الحركة النسوية اليمنية فقد (أصدرت اللجنة الوطنية للمرأة عدة كتيبات بهذا الشأن تهدف إلى توعية المرأة بالمكاسب التي تحققت لها - على حد تعبيرها - كإعطائها حق الحرية الشخصية والمساواة مع الرجل في الحقوق

(١) الحركة النسوية في اليمن تاريخها وواقعها .. أنور قاسم الخضري، ص ١٥٧.

والواجبات وفتح آفاق فرص التعليم والعمل والدور الوظيفي في الحياة العامة.

ورغم النتائج التي حققتها الحركة في هذا الجانب إلا أن الشهية لا تزال قائمة لالتهام المزيد كما تعلن وثائق المؤتمرات والأدبيات المعلنة للجنة والمنظمات المدنية.

فقد أوضح تقرير حول وضع المرأة اليمنية بعد خمس سنوات من مؤتمر بكين أن النساء يخضعن لأشكال أخرى من العنف الذي يمارس ضدهن عن طريق تطبيق القوانين التمييزية بحقهن^(٢).

إنهن يهدفن لإجراء تعديلات على الدستور حيث يرين أنه لم يُحدث عن المساواة المطلقة بين الجنسين كما يسعى لتعديل قانون الأحوال الشخصية خاصة ما يتعلق منه بالعقوبات على الفعل الفاضح حيث تنص المادة (٢٧٣) من قانون العقوبات على أن: (الفعل الفاضح المخل بالحياء هو كل فعل يناقض الآداب العامة أو يחדش الحياء ومن ذلك التعري وكشف العورة المتعمد والقول والإشارة المخل بالحياء والمنافي للآداب)، بينما تنص المادة (٢٧٤) على أنه: (يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر أو بالغرامة كل من أتى فعلاً فاضحاً علانية بحيث يراه أو يسمعه الآخرون)، حيث يرين أن الفعل الفاضح غير منضبط وأن السلطات تتوسع في مفهومه بحيث تعتبر أشياء عادية في عرفهم بأنها فعل فاضح كخلوة رجل وامرأة معا غير متزوجين مادام لم يتم ضبطهما متلبسين بفعل الفاحشة.

التمويل المشبوه

لا يمكن الحديث عن الحركة النسوية في اليمن دون التطرق لدور التمويل المشبوه لتثبيت جذور الفكر النسوي العفن في التربة اليمنية،

(٢) السابق، ص ١٦٠.

وتتمثل في الجهات التالية:

١- الحكومات الغربية (وعلى رأسها هولندا والدنمارك) التي تقدم إعانات مباشرة عبر سفاراتها أو حكوماتها عن طريق منح وقروض للحكومة اليمنية الفقيرة التي تعتمد على الهبات والمساعدات لتسيير اقتصادها المهترئ.. هذه المنح والقروض لها شروط، ومصحوبة بضغوط تصب معظمها لصالح التيار النسوي وما لم ترضخ الحكومة اليمنية لتنفيذ هذه المطالب فإن هذه المساعدات سوف تتوقف.

٢- هيئات الأمم المتحدة العاملة في اليمن وأخطرها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

٣- المنظمات الدولية المتعددة حيث تهتم كل منظمة بجزئية معينة كال تعليم.. العمل.. المشاركة السياسية.. الصحة الإنجابية.. تنظيم الأسرة. وفي اليمن يتم التعامل مع هذه المنظمات بدون خطوط حمراء حيث تكالبت الجمعيات النسوية الكثيرة على الحصول على منح من هذه المنظمات الدولية.

مشكلات صادقة

على الرغم من كثرة الجمعيات النسوية اليمنية في الآونة الأخيرة إلا أنها تتحرك غالباً وفق البوصلة الغربية فتضخم مشكلات ربما تكون حقيقية ولكنها ليست ملحة بالنسبة للمرأة اليمنية وتتجاهل أخرى حتى كأنها غير موجودة، ولو ضربنا مثالا لذلك كمية البرامج الموجهة للمرأة لتمكينها من شغل مواقع سياسية قيادية سنجد أنها ضخمة على الرغم من كونها قضية لا تهتم بها غير النخبة بينما تشغل ظاهرة مثل العنوسة قطاعا كبيرا من نساء اليمن (وكانت دراسة يمنية قد كشفت خلال العامين الماضيين عن وجود أكثر من نصف مليون امرأة يمنية تجاوزن سن الثلاثين دون زواج، فضلا عن تفشي العنوسة بمعدلات عالية، خصوصا بين

حملة الشهادات الجامعية والعليا في المدن الرئيسية، بشكل لافت للنظر.

وأرجعت الدراسة التي أعدتها الباحثة شروق با مقبل الأمر إلى غلاء المهور ونظرة المجتمع السيئة إلى المرأة العاملة.

ويعزو مختصون انتشار ظاهرة العنوسة في المجتمع اليمني إلى عوامل مختلفة، ترتبط بمسألة الفقر والعادات والتقاليد والقيم القبلية وتردي الوضع الاقتصادي، الذي يجبر الشباب على التفكير مليا قبل الإقدام على الزواج^(١).

مشكلة العنوسة التي أصبحت تؤرق الفتاة اليمنية خاصة الفتاة المثقفة المتعلمة لا تعني الحركة النسوية ولا تأبه بها فهي مشكلة لم تقرر لها بعد لجنة المرأة في الأمم المتحدة، هذا إذا أحسنا النوايا ولم نقل إن الحركة النسوية فرحة بهذه المشكلة التي قالت عنها إحدها: إن العنوسة صنو الكرامة، والزواج الطريق إلى الإذلال، ولعل المطلوب على المدى البعيد استبدال نمط الزواج الشرعي الطبيعي لعلاقات مفتوحة على الطريقة الغربية وربما علاقات غير نمطية «شاذة» من تلك التي تتحدث عنها الاتفاقات الدولية وتروج لها. فهل تحمل السنوات القادمة تلك الرياح الأممية المشؤمة أم تستطيع الحركة الإسلامية مواجهة نذير الشؤم وعلاج مشكلات المرأة اليمنية وفقا للكتاب والسنة دون تهاون أو تقصير؟

(١) التقرير، نقلا عن موقع الجزيرة نت.

مدخلات السياسة الإيرانية وهي الاقتصاد والسياسة والتشيع ومخارجاتها في أفريقيا، مع مقارنة ذلك بسياسة قوى دولية كأمريكا والصين والهند، وقوى إقليمية كإسرائيل وتركيا.

يقسم الباحث السياسة الإيرانية تجاه أفريقيا لأربع مراحل:

١- مرحلة الثورة (١٩٧٩ - ١٩٨٩)، حيث سادت الشعارات الثورية وضعفت علاقات إيران الثورة مع أفريقيا، تلك العلاقات التي أقامها نظام الشاه السابق، وذلك بسبب الأوضاع الداخلية والحرب مع العراق.

٢- مرحلة إعادة النظر بالسياسة الخارجية (١٩٨٩ - ١٩٩٧)، حيث تبينت إيران حاجتها للتواصل مع الخارج بعد القطيعة، ورفعت شعار إعادة البناء، فأفريقيا تمثل ثلث مقاعد الأمم المتحدة، ونصف مقاعد حركة عدم الانحياز، ولذلك قام الرئيس الإيراني آنذاك، هاشمي رفسنجاني بزيارة السودان سنة ١٩٩١ على رأس وفد كبير، باعتبار السودان مفتاح إيران لأفريقيا العربية وأفريقيا الأفريقية، وكانت الظروف

مواتية لإيران فهي تبحث عن موطئ قدم في أفريقيا، وفيما كان السودان يعاني نظامه الإسلامي الناشئ فيه من مصاعب جمة، ودول

السياسة الخارجية الإيرانية في أفريقيا

شريف شعبان مبروك

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالرائد

صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة (دراسات استراتيجية) عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، عام ٢٠١١، ويقع في ٩٠ صفحة من القطع المتوسط.

يرى الباحث أن إيران منذ انتهاء عصر الحرب الباردة تسعى لتكثيف وجودها في العديد من الدول الأفريقية خاصة جنوب الصحراء لتحقيق العديد من المصالح وكسب حلفاء جدد لها، وأنها تتوسل لذلك بوسائل عديدة، وأن السياسة الإيرانية تشابه لحد كبير السياسة الإسرائيلية في تلك المنطقة!

ولفهم حقيقة هذه السياسة سيقوم الباحث باتباع منهج التحليل النظمي عبر دراسة



(*) كاتب أردني.

الخليج مشغولة بآثار حرب الخليج الأولى، فتحرك إيران في الفراغ السياسي!

وفي سنة ١٩٩٦ كرر رفسنجاني زيارته لأفريقيا فزار ٦ دول، هي: كينيا، أوغندا، تنزانيا، زيمبابوي، جنوب أفريقيا.

٣- مرحلة إزالة التوتر في السياسة الخارجية (١٩٩٧- ٢٠٠٥)، وهي مرحلة رئاسة محمد خاتمي وقد رفعت شعار التنمية الشاملة، وهو يشير لبعد خارجي إقليمي ودولي.

فرفع خاتمي شعار إزالة التوتر، وتبنى مشروع حوار الحضارات، ومن أجل ذلك زار خاتمي الجزائر والسودان سنة ٢٠٠٤، وفي سنة ٢٠٠٥ زار عددا من دول أفريقيا، هي: نيجيريا، السنغال، سيراليون، مالي، بنين، زيمبابوي، أوغندا.

٤- العودة للثورية في السياسة الخارجية (٢٠٠٥ ولآن)، وذلك مع وصول أحمد نجاد للرئاسة، حيث جعل أفريقيا في قائمة أولوياته، فتأسست منظمة تطوير التجارة مع الدول العربية والأفريقية)، وعقدت مؤتمرات اقتصادية في سنتي ٢٠٠٧ و٢٠٠٩، وزار نجاد سنة ٢٠٠٩ كلا من جزر القمر وجيبوتي وكينيا، وبعد أشهر زار أيضاً: السنغال وزامبيا، وفي سنة ٢٠١٠ زار زيمبابوي وأوغندا، ثم حضر قمة مجموعة الدول النامية الثماني لسنة ٢٠١٠.

هذه هي مراحل السياسة الإيرانية في

أفريقيا، ويتضح منها الإصرار على التعاطي السياسي مع أفريقيا، وجعلها بوابة إيران للعالم، كما أنها سعت لكسب حلفاء لها في حقها بامتلاك تكنولوجيا نووية سلمية، كما أن إيران سعت من خلال هذه العلاقات مع أفريقيا للحفاظ على سعر جيد وثابت للبترول لتقوي اقتصادها المنهار بسبب الثورة والحرب العراقية، فضلا عن فتح باب للتبادل التجاري للتخفيف من العقوبات التجارية المفروضة عليها، كما سعت إيران للاستفادة من الجالية اللبنانية القديمة التواجد في أفريقيا بما لها من ثقل تجاري لدعم حركة التشيع من جهة ودعم تغلغلها

السياسي في الدول الأفريقية.

ولإيران أهداف متنوعة من هذه العلاقات

منها مثلاً: تعزيز وجودها العسكري في منطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر، ويمكن ربط هذا الأمر اليوم بتسهيل دعمها للحوثيين في اليمن في مشروعهم الانفصالي، ولذلك تطورت فكرة مصفاة البترول الإيرانية في أرتيريا لتصبح قاعدة عسكرية بحرية.

ومن هنا الحصول على اليورانيوم لمشروعها

النووي، ومنها كسب حلفاء في تصويتات الأمم المتحدة أو تحييدهم.

وتعتمد السياسة الإيرانية في اختراق أفريقيا

على الترغيب فقط، بينما تملك السياسة الأمريكية الترغيب والترهيب، وتستخدم إيران في أفريقيا عددا من الأدوات، تختلف عما تستخدمه في مناطق أخرى كالشرق الأوسط أو أمريكا اللاتينية.

ونجد أنها ركزت على دبلوماسية القوة

الناعمة، وخاصة المساعدات التنموية للدول الفقيرة، حيث يقول الباحث أن إيران استوعبت خلاصات الخبرة الإسرائيلية في أفريقيا، فدعمت قطاعات التكنولوجيا والطاقة والزراعة والصحة والدفاع، فضلا عن ضخ البترول بأسعار زهيدة، وإنشاء المصانع، وشركات خارج إيران.

وقد أفرد الباحث مساحة جيدة لاستعراض

سريع لعلاقات إيران القائمة مع دول أفريقيا، بحيث يكون القارئ صورة شاملة لنتائج السياسات الإيرانية المتواصلة، ثم يختتم بخلاصة نتائج البحث، وهي أن لإيران فرص للتمكن في أفريقيا خاصة مع الغياب العربي، ولكن هناك تحديات تواجهها، وقد يكون هذا في صالح تركيا التي تسعى لمنافسة إيران في هذه القارة.

الرسول الكريم والمحشدة بالدلالات الدينية والإيمانية.

تفاعل الحضور مع الفقرات الإنشادية والمدائح النبوية والتي تمازج فيها الإيقاع مع نغمات آلة القانون والأصوات الصافية مع الرقصات الموحية والمعبرة عن متانة العلاقة والروابط بين الإنسان والله سبحانه وتعالى.

وعبر مدير المركز الثقافي الفرنسي شارل غرو عن ترحيبه بالشراكة بين المركز الثقافي الفرنسي ووزارة الثقافة، مشيراً إلى أهمية مشاركة الأردن بهذه النشاطات التي ينظمها المركز باعتباره يضم العديد من الأماكن المقدسة.

وبين أن مثل هذه الأنشطة تسهم في تعزيز السلام، وتقرب بين الشعوب وتعزز الثقافات، مشيراً إلى أن المهرجان الذي تشارك فيه ست فرق فنية متنوعة سيقدم عروضه في عمان ومادبا والزرقاء.

موقع المدينة نيوز ٢٠١٤/١/١٧

هل مات إله/ سلطان البهرة؟

قالوا: التقى رئيس الجمعية البحرينية للتسامح وتعايش الأديان يوسف بوزبون صباح أمس في الهند بسلطان البهرة الجديد السلطان مفضل سيف الدين بعد وفاة والده السلطان محمد برهان الدين. وأشاد سلطان طائفة البهرة بما يحظى به البهرة في مملكة البحرين من احترام وتقدير وتعاون.

الأيام البحرينية ٢٠١٤/١/٢٧

صدقك وهو كذوب

قالوا: أما وليد جنبلاط، فعلق - بذعر - بأن لبنان دخل حلقة جنون، وأضاف: «التحليل لا ينفع، يجب إعادة النظر في أساس التربية والتوجيه الإسلامي في الجوامع والمدارس».

أتفق مع جنبلاط حول وجوب إصلاح التربية الدينية، وله العذر في أن يشعر بالذعر وهو يرى نيران الحرب «الدينية» تشتعل حوله. غير أن المراجعة المطلوبة، من الجانب الإسلامي السني، مطلوبة أيضاً من الجانب الشيعي.

ما يتقف به حزب الله شبابه لا يختلف كثيراً عما يؤدب به قادة النصرة و«القاعدة»، الاختلاف في التفاصيل والدرجات فقط.

الكل يشعل هذه النار، ونصر الله وخامنئي جزء موجد لثقافة القتال الديني، مثل قطب والظواهري وابن لادن، وأتباعهم هم من يتقاتلون في سوريا ولبنان الآن.

مشاري الذابدي الشرق الأوسط

٢٠١٤/١/٢٢

الإسلام الفرنسي!

قالوا: عرضت فرقة دروايش قونية من تركيا على مسرح مركز الملك عبد الله الثاني الثقافي في الزرقاء فقرات من الموسيقى والغناء والرقص الصوفي ضمن فعاليات المهرجان الثالث للموسيقى الروحانية التي تنظمها السفارة الفرنسية.

قدمت الفرقة فقرات جميلة من الغناء والرقص والموسيقى النابعة من الروح والتي تعتمد على مديح

تخبط في الضلال

قالوا: مبررات المبيحين لحياسة وتعاطي وبيع مخدر الماريوانا في كلورادو هي مبررات هولندا والأورغواي وكل من ينافح لإخماد الحملة العالمية لمكافحة المخدرات، يقولون بأن قوانين الحظر والسجون والعقوبات والملاحقات لم تغير في أرض الواقع شيئاً، فبيع الحشيشة وتعاطيها في فلوريدا التي تحظر بيع الماريوانا مثل سهولة بيعها وتعاطيها في كلورادو التي تسمح بها، فالسماح بها وتقنين بيعها وضبطها ووضعها تحت مراقبة الدولة وملاحظتها كفيل بكسر الشعور بتحديه والنشوة بتجاوزه، فكل ممنوع مرغوب، طبعاً ولا يمكن أن نغفل الجانب الاقتصادي في الموضوع والذي يتمثل في تلهف الحكومات المعنية في دعم اقتصاداتها المهترئة بمصادر دخل ضرائب عالية من مبيعات الحشيشة كانت تصب في جيوب مهربي المخدرات ومروجيها.

هذه الحجج في تقديرنا تتهافت أمام حقيقة ازدياد نسبة متعاطي الحشيشة في هولندا بعد تقنينها والسماح ببيعها وتعاطيها مقارنة بالحال قبل الحظر، كما أن هولندا صارت بعد تقنين بيع الماريوانا قبلة للسياحة التحشيشية من أنحاء القارة الأوروبية مما جعل دولها تضج بالشكوى ضد هولندا حتى لجأت مؤخراً إلى سن قانون باعث على التندر، حيث يسمح للمواطن بتعاطي الحشيشة ويحظرها على الأجنبي، وأمر آخر باعث على السخرية في دولة الكيف والترفيه، حين حظرت هولندا تدخين السجائر في الحانات التي تسمح فيها بتدخين الحشيش المخدر، أما حكاية أن حظر الحشيشة لم يمنع من ترويجها أو تعاطيها فبالتالي لا بد من تقنينه وإباحته فيعني أن من لازمه تقنين البغاء أقدم مهنة في التاريخ البشري والذي لا يسلم منها تجمع بشري مهما بلغ من النقاء والطهر والحظر والملاحقات القانونية.

حمد الماجد - الشرق الأوسط

٢٠١٤/١/٥

عادي!

قالوا: إن حزب الله يعاني من مشكلة التناقض بين ما يعلنه من فكر وعقائد... وبين ما يمارسه من أفعال وما يطلقه من تصريحات... وآخر هذه المشاكل هو ما أطلقه من مواقف نائبه علي عمار مطلع الشهر هذا العام من اتهامات بحق قوى ١٤ آذار وسائر من لا يدور في فلكه من قوى... حين قال: (إن «هناك دواعش وجبهة نصر» في السياسة اللبنانية، وهناك من هو مصرّ على تبرير منطق الإرهاب وفتح موطئ قدم للإرهاب.. وتابع: «هناك خطاب تبريري برر للعدوان الإسرائيلي ويبرر الآن للوجه الآخر لهذا العدوان الإرهابي وعلى أصحاب هذا الخطاب مراجعة حساباتهم»... وفي خطابه يوم أمس ٢٠١٤/١/١٨ قال عمار: (إن حزب الله يريد من اللبنانيين الآن أن يتلاقوا بعضهم بعضاً في الإسراع بتشكيل حكومة وطنية جامعة لا تستثني أحداً)... تغيير جذري... كيف يرضى حزب الله بالجلوس والتفاهم مع من أيد وشجع إسرائيل على العدوان ويغطي الإرهاب والقتل...؟ إلا إذا كان يكذب على جمهوره حين يطلق اتهامات من هذا النوع...؟؟؟

حسان القطب

- المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات

٢٠١٤/١/١٩

كذبة صلعاء!

قالوا: فجّر القس سامح مورييس - القس بكنيسة الدوارة - مفاجأة مدوية، بإعلانه أن الكنيسة نجحت في تنصير ما يقرب من نصف مليون مواطن مصري خلال الفترة من ١ يناير ٢٠١٣ إلى ١ أكتوبر من العام ذاته. وقال مورييس في مقطع فيديو على «يوتيوب» إن النشاط المسيحيين استخدموا في ذلك وسائل الاتصال الحديثة والتفاعلية في إقناع المواطنين المصريين بأن يسلموا حياتهم للمسيح، مؤكداً أن هؤلاء المواطنين يحتاجون إلى من يرعاهم ويسأل عنهم.

المصريون ٢٠١٤/١/٥

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا كان هذا العدد الضخم كان قبل أربع سنوات، فكيف أصبح عدد هؤلاء الجواسيس في الوقت الراهن؟ وبعيداً عن هذه الأرقام المخيفة، سيتطرق هذا التقرير إلى شبكات التجسس الإيرانية التي نجحت السلطات الأمنية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي في اكتشافها وتفكيكها، وهو مسح سريع للسنوات الست الماضية فقط.

فالتدخلات الإيرانية في الشأن الداخلي لدول الخليج العربي حقيقة مرة وخطر يحتاج إلى وقفة جادة من كافة دول المجلس تجاه هذه التصرفات المتكررة من الجانب الإيراني الذي ضرب بعرض الحائط كل الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، متجاهلاً حق الجوار واحترامه في محاولات للهروب من المشاكل التي يواجهها النظام على المستوى الداخلي وتصدير الإرهاب وزرع الخلايا التجسسية في كافة دول المنطقة العربية.

وما لم تتخذ دول مجلس التعاون الخليجي خطوات ملموسة لوقف هذه التدخلات الإيرانية فإن طهران سستمدادى ولا شك في ذلك، معتبرة أن هذه الدول لا يمكنها الوقوف في وجه تصرفاتها مما يقودها إلى مزيد من الصلف السياسي والتدخل في شؤون هذه الدول.

من جانب آخر، يظهر هذا التقرير أن طهران تركّز في اختيار عناصرها الإستخباراتية في الدول الخليجية على العنصر المحلي العربي من ضعاف

دقائق عن شبكات التجسس الإيرانية في دول الخليج العربي

محمد السلمي - جريدة مكة المكرمة ٢٠١٤/١/٢٢

لم يعد يخفى على المواطن الخليجي العادي مدى التدخلات الإيرانية في الشأن الداخلي لدول مجلس التعاون، بدءاً من مملكة البحرين التي أصبحت ميداناً يشهد على هذه التدخلات، مروراً بالكويت والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وصولاً إلى دولة الإمارات العربية المتحدة

بل إن النظام الحاكم في طهران أصبح يتفنن ويتوسع في عنجهيته، وما انفك يهدد دول المنطقة بلغة عدائية يطلقها المسؤولون هناك، بداية من قيادات الحرس الثوري وأعضاء البرلمان، وانتهاءً بالقيادات البسيجية والطلابية

ولقد قدرت مصادر استخبارية غربية في العاصمة الألمانية عدد عملاء إيران في دول مجلس التعاون الخليجي الست وحدها بما يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠، غالبيتهم من «حزب الله» اللبناني، فيما يمتلك النظام في طهران نحو ٨٠٠ عميل إيراني، معظمهم يعمل في السفارات والقنصليات الإيرانية في الخليج تحت حصانات دبلوماسية، وفقاً لتقرير نشر عام ٢٠٠٩.

مختلفة، وتم العثور بحوزته على بعض المستندات التي تحتوي على معلومات عن القوات المسلحة الإماراتية، وأماكن وجودها وتمركزها.

السعودية: تفكيك متقن

تمكنت السعودية من تفكيك خليتين تجسسييتين تعملان لصالح الاستخبارات الإيرانية، إذ نجحت الأجهزة الأمنية السعودية في اكتشاف هاتين الخليتين والقبض على أعضائهما في شهري مارس ومايو ٢٠١٣، فبتاريخ ٢٨ مارس ٢٠١٣، أعلنت السلطات السعودية القبض على ١٨ جاسوساً، منهم ١٦ سعودياً، وإيراني ولبناني، تورطوا في أعمال تجسسية لصالح طهران.

وأكدت وزارة الداخلية السعودية أن التحقيقات الأولية وإفادات المتهمين تفصح عن ارتباطات مباشرة بأجهزة الاستخبارات الإيرانية، وأن هذه العناصر دأبت على تسلم أموال على فترات مقابل وثائق عن مواقع مهمة بعملية تجسس لصالح أجهزة الاستخبارات الإيرانية.

وأضافت أن تفكيك هذه الشبكات قد تم في عمليات أمنية منسقة ومتزامنة في أربع مناطق من المملكة، وهي مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، والمنطقة الشرقية.

وبعد أقل من شهرين من كشف الشبكة الأولى أعلن المتحدث باسم وزارة الداخلية السعودية اللواء منصور التركي بتاريخ ٢١ مايو ٢٠١٣ عن تمكن الأجهزة الأمنية من كشف خلية تجسس إيرانية أخرى تضم ١٠ أشخاص، موضحاً أن المجموعة الجديدة تضم ٨ سعوديين ولبنانياً واحداً وتركياً واحداً، وبالتالي يكون إجمالي عدد الأشخاص الموقوفين في الخليتين المذكورتين قد بلغ ٢٧، بينهم ٢٤ مواطناً، وثلاثة مقيمين من الجنسيات الإيرانية والتركية واللبنانية.

يذكر أنه تم إخلاء سبيل المقيم اللبناني

النفوس من المواطنين الخليجيين أو بعض اللبنانيين والسوريين المحسوبين على أذرعة إيران في الوطن العربي، مثل حزب الله والنظام السوري، وهذا العنصر الأخير يشكل قاسماً مشتركاً في معظم الشبكات التجسسية الإيرانية التي تم تفكيكها حتى الآن.

وأخيراً، من شبه المؤكد أن دول الخليج العربي لن تتمكن من كشف جميع خلايا إيران التجسسية النشطة أو النائمة داخل حدودها، وأن ما تم تفكيكه قد يكون جزءاً صغيراً من كيان أكبر زرعه إيران في هذه الدول، خاصة في ظل الظروف السياسية الساخنة في المنطقة.

الإمارات: قنصلية التجسس

لم تسلم الإمارات العربية المتحدة من شبكات إيران التجسسية أيضاً، ففي ١٥ يناير ٢٠١٣ أصدرت المحكمة الاتحادية العليا في الإمارات حكماً بالسجن سبع سنوات على المتهم سالم موسى فيروز خميس، إماراتي الجنسية، بتهمة التخاطب مع دولة أجنبية (إيران)، وذكر وكالة أنباء الإمارات أن الحكم جاء بعد اعتراف المتهم بما نسب إليه.

وفي تفاصيل التحقيقات ذكر خميس أنه تعرف على شخصين من القنصلية الإيرانية في عام ٢٠٠٨ لمساعدته في قضية خاصة تتعلق بزواجه الإيرانية، وبعد عدة لقاءات مع الشخصين المذكورين طلبا منه معلومات عن القوات المسلحة، كونه كان أحد منتسبها قبل تقاعده وذلك مقابل مبالغ مالية، الحكم جاء بعد اعتراف المتهم بما نسب إليه، وعلمه بأن الجرم الذي ارتكبه بتزويد دولة أجنبية بمعلومات يضر بالأمن الوطني، ومنشآت الدولة، وعلاقاتها مع الدول الصديقة الاتهام الذي وجه للمواطن الإماراتي جاء بعد العلاقات المستمرة مع ضباط استخبارات في قنصلية لإحدى الدول الأجنبية (إيران)، يعملون تحت اسم وظائف قنصلية

الجنسية الذي تم القبض عليه ضمن المجموعة الأولى لعدم ثبوت ارتباطه بعناصر تلك الخلية.

اليمن: حضور قديم

الأوضاع في اليمن ليست بأفضل حالا منها في بقية دول الخليج، فبالإضافة إلى إحباط كميات كبيرة من الأسلحة تم نقلها إلى اليمن بواسطة سفن إيرانية ونشاط الحرس الثوري في المناطق التي تسيطر عليها المجموعات الحوثية في شمال البلاد، كان النشاط الاستخباراتي الإيراني حاضرا بقوة على الأراضي اليمنية.

ففي عام ٢٠١٢ كشفت اليمن عن ست خلايا تجسس إيرانية في العاصمة صنعاء وعدن، ومدن يمنية أخرى، تضم عناصر إيرانية وسورية ويمينية وجميعها مرتبطة بمركز قيادة ويشرف عليها ضابط في الحرس الثوري، وبعض هذه الخلايا التجسسية تعمل باليمن منذ سبع سنوات كما أفادت وزارة الدفاع اليمنية.

ويفيد الخبر بأن أعضاء هذه الشبكة كانوا قدموا إلى اليمن باعتبارهم مستثمرين إيرانيين ولتدشين مصانع في اليمن، من جانب آخر، كشف مصدر أممي رفيع المستوى في اليمن أن التحقيقات التي أجرتها أجهزة الأمن مع عناصر خلية التجسس الإيرانية أثبتت تورط موظفي سفارة عربية بصنعاء، لافتاً إلى أن هذه الخلايا تمكنت من استقطاب نحو ٥٠ أستاذا جامعيا وأكاديميا من محافظة تعز للعمل لصالح النظام الإيراني والترويج للسياسة الإيرانية بشكل عام في المنطقة، وفقا لما نشرته صحيفة السياسة الكويتية بتاريخ ٢٢ يوليو ٢٠١٢.

معاناة البحرين مزدوجة

تمكنت مملكة البحرين، إضافة إلى اتهاماتها المتكررة لإيران بتورطها في أعمال الشغب التي تشهدها، من كشف أو تفكيك خليتي تجسس إيرانيتين وضبط طائفة تجسس إيرانية في مياه الخليج العربي.

وبدأ كشف الشبكات التجسسية بالبحرين في مايو ٢٠١٠، عندما أعلنت المنامة اعتقالها بحرينيا على صلة بشبكة تجسس في الكويت تعمل لحساب طهران، مشيرة إلى أنها اعتقلته بعد ظهور اسمه في التحقيقات التي أجرتها الكويت مع متهمين والقبض على شخصين إيرانيين على علاقة بهذه القضية، وأحالت النيابة العامة البحرينية المتهمين إلى المحكمة في أبريل ٢٠١١، بعد أن وجهت لهم تهمة التجسس «منذ ٢٠٠٢ وحتى أبريل ٢٠١٠ في مملكة البحرين وخارجها».

وأشارت النيابة إلى أن المتهمين الثلاثة «تخابروا مع الحرس الثوري الإيراني بغرض إمداده بمعلومات عسكرية واقتصادية بقصد الإضرار بالمصالح القومية للبلاد»، وعلى خلفية هذا التدخل الإيراني في الشأن البحريني، استدعت المنامة سفيرها من طهران كما طلبت وزارة الخارجية البحرينية من حاج الله رحمانى السكرتير الثانى في سفارة إيران بالبحرين مغادرة البلاد خلال ٧٢ ساعة لانتماؤه إلى شبكة تجسس إيرانية في البلاد.

وفي شهر نوفمبر ٢٠١١، أعلنت قطر القبض على ٤ بحرينيين ضمن خلية تابعة لإيران كانت تخطط للقيام بأعمال إرهابية ضد منشآت حيوية في البحرين واستهداف عدة مواقع مثل السفارة السعودية وجسر الملك فهد الذي يربط بين البحرين والسعودية كما عُثر بحوزة المجموعة على مستندات وحاسوب وحجوزات طيران إلى سوريا، إضافة إلى مبالغ نقدية بالدولار الأمريكى والتومان الإيرانى، وقامت السلطات القطرية بتسليم هؤلاء الأربعة إلى السلطات في مملكة البحرين في إطار اتفاقات التعاون الأمني وتبادل المعلومات بين البلدين.

وفي مايو ٢٠١٣ أعلن وزير الداخلية البحريني ضبط طائفة من دون طيار إيرانية لغرض التجسس في مياه الخليج بين بلاده والسعودية، معلنا استنكاره الشديد لـ«مثل هذه الأعمال العدائية التي

تعكس إصرار إيران على التدخل في شؤون الأمن الداخلي لدول المنطقة بهدف زعزعة أمنها واستقرارها»، وقال الشيخ راشد بن عبد الله آل خليفة وزير الداخلية في تصريحه إن «أجهزة الأمن البحرينية عثرت على طائفة استطلاع إيرانية من دون طيار»، مشيراً إلى أن «أعمال التجسس والتخريب هذه تعد تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية لدول المنطقة».

أما فيما يتعلق بتهريب المتفجرات من إيران إلى البحرين فقد تكرر ذلك كثيرا خلال السنوات القليلة الماضية ولعل آخرها ما أعلنت عنه وزارة الداخلية البحرينية في ٣٠ ديسمبر ٢٠١٣، حيث تم إحباط أربعة مخططات وصفتها أجهزة الأمن في المنامة بالإرهابية، منها محاولة إدخال متفجرات وأسلحة إيرانية، وشحنة أسلحة عبر البحر آتية من العراق، إضافة إلى إحباط محاولة تهريب مطلوبين إلى إيران.

وأكد رئيس وزراء البحرين، الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة، أن الحكومة ستتعامل بحزم مع الجماعات الإرهابية وستحبط محاولاتها الإخلال بالأمن والاستقرار.

من جانب آخر، كشف رئيس الأمن العام البحريني اللواء طارق الحسن، في مؤتمر صحفي، أن الجهات الأمنية استطاعت أن تحبط أربع عمليات نوعية ورصد أكثر من مؤشر يكشف الصلة بينها، وقال رئيس الأمن العام إنه استنادا إلى أعمال البحث والتحري تم الكشف عن مخططات لتنفيذ أعمال إرهابية، حيث تم تكثيف الانتشار الأمني في جميع ربوع المملكة، في البر أو المياه الإقليمية للمملكة، بهدف تعزيز حفظ الأمن وبسط النظام، وفقا لما نشرته وكالة الأنباء البحرينية.

الكويت: نشاط زائد

يشكل النشاط الاستخباراتي الإيراني في الكويت خطرا حقيقيا، ويعد ظاهرة ملفتة، ووفقا لما توصل إليه الباحث من معلومات متاحة، فإن

السلطات الكويتية تمكنت خلال ثلاث سنوات فقط من كشف تسع خلايا تجسسية في البلاد (بعضها مسلحة) تعمل لصالح إيران، تضم كويتيين وعددا من الدبلوماسيين الإيرانيين الذين يعملون في سفارة طهران في الكويت، وكذلك بعض السوريين واللبنانيين والدومينيكانيين الذين يقيمون في البلاد بشكل دائم.

وكان بعض أعضاء هذه الشبكات التجسسية، يقومون منذ ٢٠٠٣ بجمع المعلومات، وتصوير بعض المواقع والأهداف العسكرية والأمنية الحساسة على الأراضي الكويتية، والقواعد العسكرية الأمريكية، ويعود تاريخ أول شبكة تجسس إيرانية يتم تفكيكها في الكويت إلى شهر مايو ٢٠١٠، حيث نجحت الأجهزة الأمنية الكويتية في تفكيك شبكة تخابر وتجسس لمصلحة الحرس الثوري الإيراني تعمل على رصد المنشآت الحيوية والعسكرية الكويتية، ومواقع القوات الأمريكية في البلاد، وأن سبعة أشخاص على الأقل اعتقلوا في حين نجح ستة أو سبعة آخرون في الهرب.

وقد اعترف السبعة المقبوض عليهم بأنهم كانوا يترددون على إيران بشكل مستمر، وتحت حجج متعددة، منها تلقي العلاج أو السياحة أو زيارة الأماكن الدينية هناك، يذكر أن بعض أعضاء هذه الخلية تم الحكم عليهم بالإعدام، بينما تمت تبرئة آخرين (بعض أحكام الإعدام تم تخفيفها لاحقا إلى المؤبد).

من جانب آخر، ذكرت مصادر كويتية أن اثنتين من الشبكات التجسسية التي تم تفكيكها كانتا مسلحتين، وأن الملحق السياحي في السفارة الإيرانية، علي ظهراي، كان المسؤول الاستخباراتي للحرس الثوري الإيراني في الكويت ومنطقة الخليج العربي.

وفي سبتمبر ٢٠١٢، تحدثت بعض وسائل الإعلام الكويتية عن تمكن أجهزة الأمن الكويتية من

تفكيك خلية تجسسية إيرانية أخرى، في إحدى الحسينيات في منطقة بنيدالقار، وتم إلقاء القبض على أكبر تشكيل جاسوسي عرفته الكويت، عدد أعضائه ٣٩ من ضباط الحرس الثوري الإيراني، و٥٨ آخرون من رتب مختلفة، كما تم ضبط أجهزة تنصت وتجسس عالية الجودة، مع أجهزة كمبيوتر محمولة (لاب توب) للتواصل مع الاستخبارات الإيرانية، وعدد كبير من الأسلحة والقنابل العنقودية في السرداب.

والتهديدات الإيرانية وأعمالها التجسسية في الدول الخليجية متنوعة أيضا، ويعد التجسس البحري أحد وسائلها إذ ضبطت أجهزة لاسلكية على متن قوارب (لنجات) إيرانية، يمكنها «اختراق الاتصالات العسكرية اللاسلكية، وتسجيل تفاصيلها».

على خطى إيران!

طارق الحميد - الشرق الأوسط ٢٨/١/٢٠١٤

من الواضح أن المعارضة البحرينية، وتحديدًا «الوفاق» وزعيمها علي سلمان، تريد البقاء في الأضواء، ولكن ليس برغبة التوافق والحوار الجاد مع الحكومة التي ما فتئت تحاول إطلاق هذا الحوار، وإنما من خلال استمرار حالة اللاحل في البحرين الآن، ولذا نجد «الوفاق» تسير على خطى النهج الإيراني بمنطقتنا حيث المراوغة، وقول أمر وفعل عكسه!

فبعد محاولات جادة لإطلاق الحوار الوطني في البحرين من قبل الحكومة، كانت المعارضة تتلصق في التجاوب مع تلك الدعوات، وتطلق تصريحات «ملغمة» تغازل الخارج، ولا تطمئن الداخل. ومع وفاة الشاب البحريني المتهم بتهريب السلاح، وحدث حالات عنف وشغب على أثر ذلك،

نجد تصريحات للمعارضة تثبت أنها ليست لديها الرغبة في الحوار بقدر ما أنها تريد تسجيل نقاط ضد الحكومة، وإحراجها خارجيا. والقصة ليست تحليلا انطباعيا، بل هي وفق قراءة متأنية لتصريحات علي سلمان نفسه حيث قال، مثلا، قبل أحداث العنف الأخيرة بالبحرين ومع الاستعداد لبدء الحوار الوطني، إن «الوفاق»، والمعارضة، لن ترضى بحل يظلم السنة، مؤكدا أنها، أي المعارضة الشيعية، مسؤولة عن حقوق السنة كما حقوق الشيعة وحقوق كل مواطن، كما أنها تبحث عن حل يحفظ حقوق الأقلية المسيحية واليهودية وغير المسلمين كافة!

هنا قد يقول قائل إن تصريحات سلمان هذه

إيجابية، ومنفتحة، والحقيقة أنها العكس تماما، حيث إن فيها محاولة واضحة للقول، وتحديدًا للغرب، بأن السنة أقلية في البحرين، وأن الشيعة سيقومون بالحفاظ على حقوقهم، وهو نفس النهج الإيراني الآن بمنطقتنا، خصوصا بعد مفاوضات «١+٥» بين طهران والغرب حول ملف إيران النووي، بل إن تصريح سلمان هذا يثبت أن المعارضة تتحدث بنفس طائفي، وهو ما تتهم به الحكومة، حيث إن مفاد هذا التصريح هو أن «الوفاق» لا تتحدث عن حل وطني، وإنما مطلب طائفي تتعهد في حال الحصول عليه بمراعاة السنة!.. فهل من طائفية أكثر من هذه؟

والأمر لا يقف عند هذا الحد، بل إن ما يثبت طائفية مطالب المعارضة، وتحديدًا «الوفاق»، هو قول سلمان إن إيقاف التعذيب بالبحرين لا يحتاج إلى مفاوضات، كما أن إيقاف المحاكمات التي لا تتوفر على العدالة لا يحتاج إلى مفاوضات، هو أيضا كلام حق يراد به باطل؛ فوفق نفس هذا المنطق، أي منطق زعيم «الوفاق»، فإن وقف العنف وتهريب الأسلحة، واستهداف رجال الشرطة، والأمن البحريني عموما، لا يتطلب مفاوضات، ولا

تصريحات تطمينية كتصريحات سلمان عن مراعاة حقوق من يعتبرهم أقليات، فحقوق الوطن فوق حقوق الجميع، وحقوق الوطن لا تتطلب طاولة حوار لنبيذ العنف، والتوقف عن تهريب الأسلحة، والكف عن استخدام الشباب كحطب لنار الطائفية في منطقتنا، والبحرين جزء مهم منها! فمتى تدرك «الوفاق» ذلك، وتدرک أن كل محاولاتها مكشوفة، خصوصاً وقد رأينا مثلها في لبنان من قبل حزب الله، وآخرين؟

مؤتمر الصحابة وأفريقيا

أسامة شحادة - الغد الأردنية ٢٠١٤/١/٢٤

أحسنّت جامعة الخرطوم حين دعت أكثر من ١٢٠ شخصية أفريقية من العلماء والمشايخ والدعاة والباحثين، جاءوا من ٣٥ دولة أفريقية، للمشاركة والاستفادة من مؤتمر «جهود الصحابة رضوان الله عليهم في نشر الإسلام في أفريقيا»، وذلك في ١٠ - ١٢/١/٢٠١٤، وقد رعى هذا المؤتمر المبارك كل من: منظمة ذي النورين الخيرية بالسودان، واتحاد علماء أفريقيا، وهيئة السنة العالمية.

أما أهمية عقد هذا المؤتمر فلأنه يأتي في وقت تشهد فيه أفريقيا مخططاً مدروساً وبرنامجاً مرسومًا، يسعى لقطع علاقة أفريقيا بالصحابة الكرام الذين كانوا السبب في دخول الأفارقة في دين الله أفواجا، حتى أصبح الإسلام هو الدين الأول بين سكان أفريقيا بنسبة تفوق ٥٠٪، وأنه بين كل ١٠ أفارقة يتركون دينهم الوثني فإن ٩ منهم يدخلون الإسلام.

فالقارة الأفريقية تشهد غزوا لفكر وافد يدعو للطعن بالصحابة وشتهم والطعن فيهم وتكفيرهم بكل وقاحة وجرأة، في المحاضرات والصحف والمجلات والفضائيات، ومن رموز هؤلاء

الشتامين للصحابة حسن شحاته المصري، والتيجاني السماوي التونسي، والنيل أبو قرون السوداني، الذي حكمت عليه محكمة أردنية سنة ٢٠١٠ بالغرامة لطبعه كتاباً بالأردن فيه إساءة للصحابة رضوان الله عليهم.

ولذلك جاء هذا المؤتمر بمبادرة إيجابية من قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الخرطوم، لترسيخ مكانة الصحابة في قلوب الأفارقة وتؤكد على وجوب محبتهم شرعاً لكونهم حملة القرآن والإسلام، واعتبار الطعن فيهم طعناً بالقرآن والسنة والإسلام وقطعاً للصلة بالوحي الإلهي، والتثقيف بالدور الرائد والحضاري للصحابة على القارة الأفريقية، حيث حرر الصحابة عقول الأفارقة من الوثنية والكفر والخرافة، كما حرروا أجسادهم من ظلم الطغاة كالرومان وغيرهم، من الذين استعبدوهم وسرقوا خيراتهم ولا تزال لليوم قوى الشرق والغرب تنهب ثرواتهم وتسرق خيراتهم باسم الديمقراطية والحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية!

كشفت أبحاث المؤتمر أن علاقة الصحابة رضوان الله عليهم بأفريقيا علاقة قديمة تعود للسنوات الأولى من تاريخ الإسلام، فهي علاقة قديمة، تسبق حتى علاقة الإسلام مع كثير من المدن والقرى والقبائل العربية في جزيرة العرب كالمدينة المنورة والأوس والخزرج.

ورقة د. عمر بخيت محمد من جامعة الخرطوم، والتي كانت بعنوان «جهود الصحابة رضى الله عنهم في نشر الإسلام في الحبشة»، تناولت تفاصيل علاقة أفريقيا مع الصحابة وأنها تعود إلى السنة الخامسة للبعثة حين هاجر بعض الصحابة بقيادة جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه للحبشة بأمر من النبي ﷺ فراراً من بطش قريش، وهناك وجدوا الأمن والأمان والعدل والإحسان تحت حكم الملك الصالح أصحمة النجاشي، وقد بقي الصحابة في الحبشة حوالي ١٥ سنة، وقد كان

مولي رسول الله الذي عرف بحمل الأثقال خدمة لرسول الله، وهو صاحبة القصة الشهيرة في مخاطبة الأسد.

١١- شقران الحبشي رضي الله عنه، شهد بدرا وتولى حراسة الأسرى، وتشرف بوضع القطيفة تحت رسول الله في قبره.

١٢- سعيمة الأسدية رضي الله عنها، ويقال سعيمة.

١٣- نبعة الحبشية جارية أم هاني.

١٤- وحشي الحبشي رضي الله عنه قاتل حمزة رضي الله عنه ومسيلمة الكذاب.

أما د. سعيد محمد بابا سيلا، أمين عام اتحاد علماء إفريقيا، فقد تناول الأثر العلمي والفكري لجهود الصحابة على مجتمعات إفريقيا، فبين دور الصحابة في تعليم الأفارقة للإسلام حتى أصبح في أفريقيا لاحقاً مراكز علمية شرعية بمثابة منارات هداية، مثل: الأزهر، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وجامع سنكوري في تمبكتو بدولة مالي. وأيضاً دور الصحابة في ترسيخ منهج التفكير السليم وحرب الخرافات والأساطير التي كانت رائجة في أفريقيا بسبب الوثنية، ومن ذلك إبطال الصحابة لعادة القرابين البشرية التي كانت تقدم لنهر النيل أو لبعض الحيوانات في بعض أنحاء أفريقيا، كما أن جهود الصحابة جعلت من شعوب القارة الأفريقية شعباً واحداً ينعم بالسلام والأمان.

وفي ورقة د. حسن عباس من المغرب بيان لجهود الصحابة في فتح أفريقيا، وكيف أن هذا الفتح قام على إشاعة العمران، فأرأينا عمرو بن العاص يشيد مدينة الفسطاط، وجهود عقبة بن نافع في بناء مدينة القيروان سنة ٥٠ هجرية، وكان في جيشه ١٤ صحابياً مكثوا معه ٥ سنوات يعلمون البربر الإسلام حتى أصبح الإسلام هو دين هذه البلاد.

لبقائهم هناك أثر في نشر الإسلام بين الأحباش، فقد أسلم الملك النجاشي نفسه، ثم أرسل وفداً من عشرين رجلاً للنبي ﷺ فأسلموا، ثم أرسل ابنه وستين رجلاً للنبي ﷺ لكن سفينتهم غرقت في الطريق، وقد دخل بعض الأحباش في الإسلام، إذ تبلغ نسبة المسلمين اليوم في الحبشة ٦٠ ٪ برغم كل محاولات الدول الاستعمارية وما خلفته من أنظمة ماركسية أو ليبرالية فضلاً عن حملات التنصير.

كما بينت أن هناك عدداً من الصحابة الكرام من أصول أفريقية وخاصة من الحبشة، هم:

- ١- أبو بكرة بن نفيح بن مسروح (صاحب الحديث الشهير: زادك الله حرصاً ولا تعد).
- ٢- يسار أو أسلم الحبشي الشهيد الأمين رضي الله عنه، أسلم يوم خيبر واستشهد بها.
- ٣- أم أيمن بركة الحبشية حاضنة رسول الله وخادمتها، زوجة زيد بن حارثة، ووالدة أسامة بن زيد رضي الله عن الجميع.
- ٤- أنجشة الحادي رضي الله عنه صاحب الحديث الشهير (رفقا بالقوارير).
- ٥- أنسة أبو مسروح رضي الله عنه، شهد بدراً وأحداً، كان يؤذن على رسول الله ﷺ، مات في خلافة أبي بكر الصديق ولم تعرف له رواية.
- ٦- أيمن بن نابل أبو عمران مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. روى حديث التشهد الشهير.
- ٧- بلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله .
- ٨- ذو مخمر الحبشي رضي الله عنه ابن أخي النجاشي.
- ٩- رباح بن زيد الحبشي رضي الله عنه كان يؤذن على رسول الله ﷺ.
- ١٠- سفينة أبو عبد الرحمن رضي الله عنه

قواعد تاريخية تربط داعش بأصولها الخارجية

موسى الغنامي - موقع المختصر ٢٠١٤/١/١٩

في معامع الأحداث ، وتلبّد سماء الأمة بسحائب الفتن، وتسَلَط الأعداء من داخل الأمة وخارجها، تتمايز الصفوف! وتتصَفّى المياه من عثاريبها، وتظهر الشعارات على حقيقتها في أوضح الصور وأجلالها! وإن مما أبتليت به الأمة في هذه الاعصار، بعض من يدّعي ذروة السنام من الإسلام، وهم والله معول هدم في أصل الإسلام.

كنت قد جمعت فيما مضى بعض الأصول والمرتكزات التي ينطلق منها تنظيم دولة العراق والشام كي أقف على حقيقة إدعاء «الجهاد السلفي» الذي يدعونه، وبذرة هذا الجمع نقاش دار بيني وبين أحد طلبة العلم في مسألة «خارجية دولة العراق والشام» فكان يقول: هم «خوارج» لأن من وافق الخوارج في أعظم أصولهم صار منهم، وكنت أقول له: «بأنهم يسировون على خطى الخوارج لكنهم لا يصلون إلى درجتهم لأن النصوص النبوية تنصّ على بعض أصول الخوارج وهي لا توجد عند هؤلاء»! وكنت أقول له: «إن طال بك الوقت ستجد هؤلاء القوم يحذون حذو الخوارج فعلا بفعل إن لم يتوبوا إلى الله لأن طريقهم سيؤدي بالضرورة إلى مذهب الخوارج»!

وفي كل فترة نجد أن علامات هذا الحدس تظهر شيئاً فشيئاً في الساحة الشامية المباركة، فأول أمرهم قتال للنصيرية، ثم توسّع الأمر إلى قتال من يصفونه بأنهم عملاء للنصيرية، ثم توسّع إلى قتال من يقول بجواز المصالحة مع النصيرية، ثم هاهم يكفرون ويختطفون ويعذبون ويقتلون من لا دخل له إلا عمله مع من يخالفهم من المجاهدين!!

إن مكانة الصحابة ودورهم لا يكفيه مؤتمر ولا عشرة مؤتمرات، إذ يجب أن يكون هناك اتجاه علمي عام لدراسة فضل الصحابة على البشرية إذ حملوا لها الرسالة الإلهية الخاتمة وشيدوا الحضارة البشرية النموذجية التي شهد لها القاضي والداني، ومن العناوين المقترحة لأبحاث ودراسات هامة في مجال الصحابة الكرام ما يلي:

كيف عالج الصحابة شؤون الدولة والسياسة، دراسة الفتوحات في أفريقيا عسكرياً وإدارياً، الصحابة وإنشاء المدن/ العمران (الفسطاط، الكوفة، القيروان...)، الصحابة والإدارة، الصحابة والحرب (أخلاق، ومفاهيم)، الصحابة والمفاوضات، الصحابة والتجارة، الصحابة والزراعة، الصحابة والصناعة، الصحابة والبحر، الصحابة والمياه (سدود، قنوات، أنهار...)، الصحابة وأوروبا، الصحابة والثقافة والفن (مسارح الرومان، فلكلور الشعوب،...)، الصحابة والمجتمعات، الصحابة والبلديات، الصحابة والطب والصحة، الصحابة والعلوم الدنيوية، الصحابة وتأسيس المدارس الفقهية والمدارس المادية، الصحابة ولغات الشعوب/ الترجمة، الصحابة وأولويات دعوة الشعوب، الصحابة وآليات تغيير المجتمعات، الصحابة والشعر والأدب، الصحابة والأسرة (تربية الأبناء - علاقات اجتماعية)، الصحابة ومصاهرة القبائل، عوائل وقبائل تنسب للصحابة، علماء/ قادة من أحفاد الصحابة، أماكن قبور الصحابة خريطة لكل قارة.

هذه بعض الأفكار لأبحاث وندوات تكشف عن ضخامة الدور الذي قام به الصحابة في تاريخ البشرية، والذي يتم اختزاله بطيبنية- بدورهم الشرعي في نقل الإسلام فحسب.

إن أي نابذة فكرية أو عقديّة في التاريخ لابد

أن يكون لها جذور، تستمد فكرتها من جذورها، ونموها من أصولها، فتأخذ هذه الفكرة بالتوسّع حتى تكوّن لنفسها منهجاً ترتكز عليه؛ وهنا يجب على الدارس لأي فكرة عقديّة (خصوصاً) أن يُلحَقْ فرع دراسته بأصلها ومصادق هذا ما ساستعرضه بكم أيها السادة الكرام في عدة قواعد تاريخية تدلّ دلالة واضحة لمن أنار الله بصيرته

أن «تنظيم دولة العراق والشام» ليس ببدع من الفرق، ولا حادث من الأفكار، بل أصوله ضاربة في عمق تاريخنا الإسلامي، يتروّى فرعه من عروقه الممتدة عبر القرون؛ وإن استطاع في أول أمره أن يذرّ الرماد في العيون، ويتوارى خلف ستارٍ مموّه، يُعجب اليائس من النصر، والقانط من الظفر، لكن يَأْبَى الله إلا أن يُظهر الحق ولو بعد حين.

لا يخفى على باحث أن نشأة فكر الخوارج

كان مبدؤه في عهد الخليفة الراشد عثمان بن

عفان رضي الله عنه، عندما خرج عليه بعض الفوغاء في أمور دلتهم عقولهم الضعيفة أنها من المنكرات والموبقات التي لا يُزيلها إلا السيف، فنَفَخَ في روعهم الشيطان أنهم وحدهم القائلون لله بالحق وهم الذين لا يخافون في الله لومة لائم؛ فانتشوا بطرا، وأظهروا منكرا، وقالوا زورا، وناتج هذا أن قُتِلَ خليفة المسلمين وإمام المؤمنين وخيرة الله في أرضه في تلك الحقبة، في واقعة يجفّ فيها مداد المؤرخين، فيجري بدماء القلوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فما إن تمّ لهم ذلك حتى بدأ مذهبهم الوليد

يتلفّت يمنة ويسرة، بحثا عن زعيم يبني أصوله، ويقعد قواعده، ليُردّ ما تشابه منه لمُحكمه، ثم يُجرى عليه الاقيسة، ويُرجّح فيه المسائل؛ وما بُني على باطل فهو باطل وكان تاريخ بني أميّة هو

الميدان الحقيقي لتشكّل هذا المذهب، وبروز منعطقاته الخطيرة التي لا زال أتباعه إلى اليوم يستلهمون فكرته بل حتى بعض ألفاظه في مذهبهم؛ كما سيُبيّن فيما يأتي، لذا سأشير إشارات وأضع قواعد تدل على أن ما يجري تنظيم دولة العراق والشام في فلكه اليوم هو رملك^(١) الخوارج علموا ذلك أو جهلوه.

بعد هذه المقدمة التي لابد منها سأضع بين

أيديكم بعض القواعد التاريخية المهمة التي

انطلق منها الخوارج ثم سأورد بعدها نظيرها عند تنظيم دولة العراق والشام وسيكون استدلالني بإذن الله من كلام رموزهم في بياناتهم حصرا حتى لا يكون في ذلك عذرا لاتباعهم.

القاعدة الأولى: عدم رجوعهم للعلماء

ففي مسند الدارمي (٧٩/١) أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وجد في مسجد الكوفة حلقا وعلى رأس كل حلقة رجل يأمرهم بأن يكبروا مئة ثم يأمرهم أن يهللوا مئة فانطلق لابن مسعود رضي الله عنه يخبره فجاء ابن مسعود فقال: ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون ... والذي نفسي بيده إنكم لعلي ملة هي أهدي من ملة محمد

أو مفتتحوا باب ضلالة قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال : وكم من مرید للخير لن يصيبه إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج والآن أأتوني بعالم لتنظيم دولة العراق والشام يقبلون قوله أو حتى يرجعون إليه ولا يحدون عن رأيه الشرعي ؟

(١) هي أنثى البراذين، والمقصود أنهم من نسل فكر الخوارج !

لآبائهم ولم يأبهاوا بعدم رضاهم في خروجهم والله المستعان .

القاعدة الرابعة: الاستخلاف دون مشورة المسلمين

ففي الكامل في التاريخ (٨٢/٢) أن الخوارج اجتمعوا في منزل زيد بن حصن الطائي ثم بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي، فقام زيد خطيباً فيهم ثم تلا قول الله تعالى ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٢٦].

والآن نجد أن تنظيم دولة العراق والشام قد استخلف أميراً خلع عليه لقب «أمير المؤمنين» وطلب له البيعة على الخلافة وكان أول أمرهم يوهمون الناس بأن بيعته ليست بيعة إمامة ثم فضحتهم اصداراتهم (نوافذ على أرض الملاحم) عندما يلقتون المبايع صيغة البيعة العامة وهي: «أبايع أمير المؤمنين أبي بكر البغدادي على السمع والطاعة في المنشط والمكره وألا أنزع الأمر أهله»، وهذه الصيغة من صيغ بيعة الإمامة باتفاق العلماء !!

القاعدة الخامسة: التكفير بالمعاصي

والاستتابة على ذلك

ففي تاريخ ابن خلدون (١٧٩/٢) أن علياً رضي الله عنه أرسل للخوارج يطلبهم الرجوع إلى عسكره فقالوا: «إنك غضبت لنفسك ولم تغضب لربك فإن شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على السواء».

والآن يقول العدناني متحدث تنظيم دولة العراق والشام في تسجيل له بعنوان (الرائد لا يكذب أهله): «يا من تعرفون بجيش المجاهدين وجبهة ثوار سوريا ومن دفعهم وأعانهم أو قاتل معهم يا من وقعتم على قتال المجاهدين ، توبوا ولكم منا الامان وإلا فاعلموا أن لنا جيوشا في العراق وجيشا في الشام من الأسود الجياع ، شرابهم الدماء وأنيسهم الاشلاء».

بل جميع علماء الأمة عندهم بين عميل للطواغيت أو بائع لدينه أو عالم سلطان مأجور أو سروري مؤيد للبرلمانات !! فإن لم يجدوا ما يطعنون به عليه ، قالوا: لا يعرف الواقع وإنما يُفتي بحسب ما يُنقل له .

القاعدة الثانية: ليس فيهم عالم شرعي

ففي سنن النسائي (١٦٥/٥) أن ابن عباس رضي الله عنهما لما جاء للخوارج وناقشهم قال لهم : أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار ... وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم منهم أحد!

والآن قلب ناظريك في تنظيم دولة العراق والشام هل تجد بينهم عالم يُرجع له في نوازل الأمة؟ بل نجد في شرعيتهم من الجهل المركب والخبط العلمي في مسائل يسيرة يعرفها من قرأ ابجديات العلم الشرعي!!

القاعدة الثالثة: مفارقة جماعة المسلمين

تقربا إلى الله

ففي البداية والنهاية (٢٨٧/٧) وصف ابن كثير رحمه الله حال الخوارج عندما تواعدوا لمفارقة جماعة المسلمين بقوله: خرجوا يتسللون وحدانا لئلا يعلم أحد بهم فيمنعهم من الخروج فخرجوا من بين الأباء والأمهات والأخوال والخالات وفارقوا سائر القربات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضى رب الأرض والسموات ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظائم والخطيئات وأنه مما زينه لهم إبليس ... وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخرس إلى يوم القيامة .»

والآن انظر لحال غالب جنود تنظيم دولة العراق والشام تجد هذا الوصف منطبقا عليهم تماما بل ويفاضون بأنهم تركوا أهلهم وديارهم ولم يسمعوا

القاعدة السادسة: تكفير عموم المسلمين

ممن لا يرى رأيهم

ففي البداية والنهاية (٢٨٦/٧) أن زيد بن حصن الطائي خطب الخوارج قائلًا: «فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب وجاروا في القول والأعمال وأن جهادهم حق على المؤمنين» والآن يقول العدناني متحدث تنظيم دولة العراق والشام في تسجيل له بعنوان (السلمية دين من): إن جيوش الطواغيت من حكام ديار المسلمين هي بعمومها جيوش ردة وكفر، وإن القول اليوم بكفر هذه الجيوش وردتها وخروجها من الدين بل بوجوب قتالها وفي مقدمتها الجيش المصري لهو القول الذي لا يصح في دين الله خلافه.

القاعدة السابعة: التقرب إلى الله بقتل قادة

الأمة وخيرة علماءها

ففي تاريخ الأمم والملوك (١١٤/٢) أن الخارجي زرة بن البرج الطائي قال لعلي رضي الله عنه: «أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل لاقاتلنك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له علي: بؤسا لك ما أشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الريح» قال: وددت أن قد كان ذلك.

والآن يقول العدناني متحدث تنظيم دولة العراق والشام في تسجيل بعنوان (الرائد لا يكذب أهله)

يا أجناد الشام إنها الصحوات لا شك عندنا ولا لبس كنا نتوقع ظهورها ولا نشك في ذلك إلا أنهم فاجأونا واستعجلوا الخروج قبل أوانهم .. احملوا عليهم حملة كحملة (أبو بكر) الصديق واسحقوهم سحقا وإدوا المؤامرة في مهدها وتيقنوا من نصر الله، ويقصد بالصحوات من خالفهم من المجاهدين وأصحاب المؤامرة هم قادة الجهاد في الجبهة الإسلامية.

القاعدة الثامنة: المبالغة في النكير والتعرض

لمن خالفهم بالسب والشتم والتعريض بآيات الله

ففي وجيز المستفيد (٦٤/١) أن الخوارج قاموا على علي رضي الله عنه وهو يخطب الناس وبالغوا في النكير عليه وصرخوا بكفره، وتعرضوا له في خطبه وسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن، وذلك أن علياً قام خطيباً فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه.

وهذه القاعدة عند أتباع تنظيم دولة العراق والشام من أوضح ما يكون حتى أصبحت علامة تدل عليهم فما إن يخالفهم أحد حتى يزجروه منكبين ويسبوه ويشتموه ويعرضوا له بالآيات كقوله تعالى: ﴿قُلْ مُؤْتُوا

يَعِظُكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ

فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ

أَقْمِدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] وغيرها من الآيات التي نزلت في المنافقين والمشركين.

القاعدة التاسعة: قتل رسل مخالفهم

ففي سنن النسائي (١٦٥/٥) أن عليا قال لابن عباس رضي الله عنهما عندما سأله أن يبعثه ليحاور الخوارج: «إني أخافهم عليك»، وفي الكامل في التاريخ (١٨١/٢) أن عليا رضي الله عنه بعث الحارث بن مرة العبيدي ليسألهم عن سبب خروجهم فقتلوه.

والآن رأينا تنظيم دولة العراق والشام كيف قتل الشيخ جلال بايرلي وهو رسول صلح بينهم وبين كتائب الهجرة إلى الله، وكذا قتلهم للطبيب حسين السلیمان وهو رسول صلح في أحداث مسكنة.

القاعدة العاشرة: قتلهم لأهل الإسلام

وتركهم لأهل الأوثان

ففي الصحيحين (البخاري ١٢١٩/٣، مسلم

١١٠/٣) أن النبي ﷺ قال عن الخوارج: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان».

وقد قال أبو عمر البغدادي أمير دولة العراق مخاطباً رجال المقاومة العراقية في تسجيل بعنوان (وعد الله): «إن أبيت التوبة قبل القدرة عليكم، فوالله لقتل المرتد أحب إلي من مئة رأس صليبية، وقد علمت قوة بأسنا وطول ذراعنا»، ولقد شاهدنا تنظيم دولة العراق والشام قبل أيام كيف انسحب من جبهات القتال مع النصيرية في حلب بحجة تعزيز مواقعهم في قتال المجاهدين الذين يسمونهم بـ «الصحات».

القاعدة الحادية عشر: اتهام من دفع صائلهم

بالكفر

في تاريخ الأمم والملوك (٥٨٢/٣) أن الخارجي شبيب بن يزيد قام خطيباً عندما قتل قبيصة بن والق رضي الله عنه فقال: يا معشر المسلمين قتلتم قبيصة بن والق التغلبي قال الله: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين)، هذا مثل ابن عمكم قبيصة بن والق أتى رسول الله ﷺ فأسلم ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين.

والآن يقول العدناني متحدث تنظيم دولة العراق والشام في تسجيل بعنوان (الرائد لا يكذب أهله): الائتلاف والمجلس الوطني مع هيئة الأركان والمجلس العسكري، طائفة ردة وكفر، وقد أعلنوا حرباً ضد الدولة وبدأوها، وإن كل من ينتمي لهذا الكيان هو هدف مشروع لنا في كل مكان.

القاعدة الثانية عشر: الغلظة والشدة على

مخالفهم وتوعده بالقتل

في تاريخ الأمم والملوك (١١٤/٣) قال الخارجي يزيد بن عاصم المحاربي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي: أباقتل تخوفنا؟ أما والله إنني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم

لتعلمن أينأ أولى بها صلياً».

والآن يقول العدناني متحدث تنظيم دولة العراق والشام في تسجيل بعنوان (الرائد لا يكذب أهله): «لدينا جيوشا في العراق وجيشا في الشام كالأسود الجياع شرابهم الدماء وأنيسهم الأشلاء ولم يجدوا أشهى مما شربوا من دماء الصحات».

القاعدة الثالثة عشر: حصر الحق فيهم دون غيرهم

ففي الكامل في التاريخ (٨٢/٢) أن عبد الله بن وهب الراسبي قام خطيباً في الخوارج فقال: اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة.

الآن يقول العدناني متحدث تنظيم دولة العراق والشام في تسجيل بعنوان (العراق العراق يا أهل السنة): إن الدولة الإسلامية هي أملككم الوحيد الصادق بعد الله عز وجل للخروج من النفق المظلم الذي أدخلكم فيه زعماءكم وممثلوكم بتحالفهم مع الرافضة.

القاعدة الرابعة عشر: تصلبهم على آرائهم

لاعتقادهم بأنهم من أهل الجنة

ففي البداية والنهاية (٢٨٩/٧) أن الخوارج لما التقوا بجيش علي رضي الله عنه وطلب تكليم قادتهم تبادوا فيما بينهم، ألا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الرب عز وجل وهتفوا: الرواح الرواح إلى الجنة.

والآن يقول العدناني متحدث دولة العراق والشام في تسجيل بعنوان (الرائد لا يكذب أهله): أما أنتم يا جنود الدولة الإسلامية في العراق والشام امضوا في ثبات ويقين، فإنكم والله على الحق المبين ودونكم خيرى الدنيا والآخرة.

القاعدة الخامسة عشر: الاستعراض وهو :

القتل الجماعي دون تفريق

ففي تاريخ الأمم والملوك (١٢١/٣) أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه لما التقى بالخوارج حمل

القاعدة الثامنة عشر: الانتداب لقتل

المخالفين

ففي تاريخ الأمم والملوك (٥٨٣/٣) أن الخارجي شبيب بن يزيد الشيباني انتدب اتباعه قائلاً: أيكم يأتيني برأس عامل سورا؟

والآن نشاهد كيف ينتدب قادة تنظيم دولة العراق والشام اتباعهم في قتل المجاهدين وتفجير مقراتهم بالعمليات الانتحارية.

القاعدة التاسعة عشر: نبز مخالفهم بقلب

ألقابهم

ففي مرآة الجنان (٥٥/١) أن أحد الخوارج دخل على الحسن بن علي رضي الله عنهما عندما بايع

معاوية رضي الله عنه فناداه بـ «يا مدل المؤمنين» فقال الحسن: لست بمدل للمؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك، وجاء في طبقات الحنابلة أن الإمام أحمد رحمه الله قال: وأما الخوارج فإنهم يسمون أهل السنة والجماعة مرجئة.

والآن نجد تنظيم دولة العراق والشام قد تفنن في هذه المسميات حتى أصبح لكل مخالف لهم لقباً ينبزونه به فمثلاً: أحرار الشام يسمونهم أشرار الشام، ولواء التوحيد: لواء الشرك، وأحفاد الرسول: أحفاد الرئيس، والهيئة الشرعية: الهيئة الشركية وهكذا.

وبعد هذه الجولة في كتب التاريخ ومواقف الخوارج نقول بأن تنظيم دولة العراق والشام ما هم إلا امتداد لفكر قديم جاء التحذير منه على لسان رسول الله ﷺ، ولعلي قريباً بإذن الله أفرد بحثاً لدراسة أحاديث الخوارج التي جاء التنصيص عليها ممن لا ينطق عن الهوى بما لا يدع مجالاً للشك في أن هؤلاء القوم ما هم إلا امتداد حقيقي للخوارج وإن اختلفت التسميات، نسأل الله الرشاد والسداد والعصمة من الأهواء والفتن.

راية ثم ناداهم: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن.

والآن قد رأينا ما فعله تنظيم دولة العراق والشام بعد خروجه من مقراته في الشام - حلب وحارم والدانا وغيرها - من قتل جميع المعتقلين الذين احتجزهم بلا جريمة أو ذنب.

القاعدة السادسة عشر: عدم اقامة الحدود

على اتباعهم والاعتذار لهم بالتأويل أو الخطأ

ففي تاريخ ابن خلدون (١٦٠/٣) أن المقعطر الضبي وكان عاملاً للخارجي قطري بن الفجاءة على بعض نواحي كرمات قتل بعض الخوارج فطلبوا القود منه فمنعه قطري وقال: تأول فأخطأ وهو من ذوى السابقة.

والآن يشاهد الجميع كيف يجني أتباع تنظيم دولة العراق والشام على المجاهدين والدعاة وعوام المسلمين بالقتل ثم لا يقيمون عليهم الحد بحجة: تأول فأخطأ؛ وما حادثة الشيخ جلال بايرلي، والمجاهد أبو عبيدة البنشي والمجاهد محمد فارس إلا أمثلة على هذا الأمر.

القاعدة السابعة عشر: وضع مكافأة على

قتل مخالفهم

ففي المعجم الكبير (٩٧/١) أن الخارجي عبد الرحمن بن ملجم خطب الخارجية قطام بنت الشحنة فقال: لا أتزوج حتى تشتفي لي؟ فقال: وما تشائين؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب.

والآن يقول العدناني متحدث تنظيم دولة العراق والشام في تسجيل بعنوان (الرائد لا يكذب أهله):

اعلموا يا جنود الدولة الإسلامية أننا قد رصدنا مكافأة لكل من يقطع رأساً من رؤوسهم وقادتهم -الإئتلاف والمجلس العسكري والقيادة المشتركة للجيش الحر - فاقلنهم حيث وجدتموهم ولا كرامة.

يوم في حياة الأيزيدية في إقليم كردستان العراق

تعريب: علي الخلافي - موقع قنطرة ٢٠١٤/١/٣

بين الجبال بيوتهم، وفي وديان عين سفني شرق

الموصل في العراق يقع معبدتهم المقدس لالش. هم أكراد، ديانتهم تحدرت في الغالب عن الزرادشتية. ملهم الملائكة زار قراهم ودخل بيوتهم ومدارسهم فأزاح في الريبورتاج التالي لموقع قنطرة الضباب عن بعض أسرار حياتهم اليومية.

لعل أشهر ما شاع عن أسرار الأيزيدية بين

أهل العراق وأهل غرب الشام هو أنهم يقتلون خصومهم سرا خنقا، لذا سماهم البعض

الخناقون، لكن هذا بعيد تمام البعد عن

الحقيقة، وإنما شاع ما شاع عنهم لأنهم يمارسون طقوس عبادتهم في مكان واحد وحيد بعيدا عن عيون الناس من أتباع الديانات الأخرى، وبعيدا عن فضول وسائل الإعلام. فوق ذلك، فإن ديانتهم غير تبشيرية، أي أن الأيزيدي يكتب ديانتهم بالولادة. كما أن الأيزيدية لا تمتلك كتابا يؤثق أحكامها وتأملاتها وأفكارها الميتافيزيقية.

كسر للتأبؤ بإقرار حق الوجود

حكومة إقليم كردستان العراق، كسرت التأبؤ المفروض على هذه الديانة، حين أقرت رسميا حق هذه الديانة في الوجود وعيّنت مديرا عاما لشؤونها في وزارة أوقاف الإقليم بأربيل عاصمة الإقليم. ومنه بدأت رحلتي، فكان حقا عونا كريما للصحافة.

في اليوم التالي انتظرني أحد أعيان مجمّع شاريا للأيزيدية قرب محافظة دهوك شرق كردستان العراق، ليقلني بسيارته الخاصة إلى المجمع، فبدأت مسيرة كشف الأسرار من بيوت الأيزيدية.

مجمّع شاريا هو جزء من خطة نظام صدام حسين في تغيير ديموغرافيا المناطق الكردية، وقد

أنشئ عام ١٩٨٨، مع بدء عمليات الإبادة الجماعية بحق الكرد والموسومة بعمليات الأنفال.

المجمع ضم سكان سبع قرى أيزيدية، أزيلت قراهم وبيوتهم بالجرافات، ونقلوا مع خفيف أشياءهم بالقوة إلى هذا المجمع. وهو يشبه إلى حد ما معسكرات الاعتقال النازية، وكان أصعب تحد واجهه سكان شاريا هو العثور على عمل، بعد أن فقدوا أراضيهم الزراعية.

مجتمع طبقي غير محافظ

اليوم، يعمل أغلب سكان المجمع البالغ عددهم ١٢ ألف نسمة في دهوك أو في المدن القريبة منه. جولتنا بدأت في قاعة المناسبات بالمجمع، واسمها «هولا لالش». في القاعة المؤثثة بشكل أنيق أقيم مجلس عزاء جلس فيه الرجال يتبادلون التعزية بوفاة أحد سكان المجمع. البعض يرتدي ملابس أوروبية، فيما يرتدي قلة من الحضور اللباس الكردي التقليدي.

تحدث إلينا بتحفظ «بير» المجمع (وهو رجل الدين، حيث يقسم رجال الدين عندهم إلى ٣ مراتب: بيروشيخ ومريد)، كاشفا أنه يقوم بواجب الحضور العبادي في مجالس العزاء في العادة، ولا دور له في الأعراس وحفلات الزفاف، لاسيما أن تقاليد الزواج عندهم لا توجب إجراء عقد زواج ديني، فالجميع يتزوجون بعقود زواج مدنية تتم في المحاكم.

أحد الحاضرين كشف أن هذا التصنيف الاجتماعي يشمل كل الأيزيدية، فهم يقعون ضمن واحدة من هذه الطبقات، والرجل من طبقة البيير لا يتزوج إلا امرأة من طبقة البيير، وهكذا يكون الأمر مع الشيخ ومع المريد.

يختن الأيزيدية أبناءهم الذكور كما يفعل المسلمون واليهود، ولا تستوجب المناسبة حضور رجل دين، كما أن يوم الأربعاء مخصص لعبادتهم لأنه في عقيدتهم يوم خلق الكون، وهو يستوجب أن يعطّل الناس أشغالهم، لكن هذا ليس بالأمر

الحتمي.

أحد الحاضرين أضاف معلومة بالقول: «لو أتيح للأيزيدية أن يختاروا يوماً لعطلتهم لاختاروا الأربعاء وقعدوا فيه عن الشغل».

طعام لذيذ في بيت أمين إسماعيل الأيزيدي

يتبع الأيزيدية طريقة طريفة غير معلنة لتمييز أصدقاءهم الحقيقيين عن من يكفرونهم، فهم يقدمون للضيف طعاماً طبخوه بأنفسهم، فإذا أكل الضيف من هذا الطعام، فهو صديق صدوق لهم، وإن لم يفعل، فهو ممن يكفرونهم ويرون طعامهم حراماً. وهكذا فقد أصرّ الأيزيدي الكريم الذي ينقلني ويرافقني بسيارته الخاصة على أن نتناول الطعام في بيته.

في البيت استقبلتنا زوجته بوجهه باسم، وصافحتني بحرارة وهي تدعوني إلى بيتها. نساء الأيزيدية لا يرتدين أي حجاب. ثم جاء أبنائهم وأخوه، وجالسونا على مائدة عامرة بلذيذ الطعام، بيتهم جميل بسيط أنيق التأثيث، يشبه بيوت العراقيين من الطبقة الوسطى في كل شيء.

على الجدار صورة للزعيم الكردي الراحل الملا مصطفى البارزاني، وصورة لجد مضيبي بملابس البيشمركة (مقاتلو الكرد الثائرون). جلسنا نأكل دون أن تأتي زوجة مضيبي لتشاركنا الطعام، سألت أمين إسماعيل، هل تمتنع نساءهم عن مشاركة الرجال مائدة الطعام، فنفي ذلك، مؤكداً لي بأن زوجته كان يمكن أن تجالسنا، لكنها تناولت طعامها مع الصغار في وقت مبكر.

في غرفة الضيوف جلسنا نشرب الشاي فيما أخذ الأبناء يروون لي قصصاً عن مدرستهم. قصصهم فتحت شهيتي لزيارة المدرسة.

بطلة أولمبية في مدرسة مزكين

لم أتخيل أن تكون مدرسة مجمع شاريا الأيزيدي المتخفي بين الوديان في أقصى شمال شرق العراق مدرسة مختلطة. المدرسة تتدرج من الصف

الأول إلى الصف التاسع بموجب نظام التدريس الأساسي في إقليم كردستان والذي يختلف عن نظام التدريس في المدن العراقية خارج الإقليم.

ما إن وطأت قدماي عتبة مدرسة «مزكين» حتى تغير انطباعي عن الأيزيدية باعتبارهم شعباً بدائياً، فالمدرسة فسيحة واسعة، وفيها ملاعب عدة، وتضم مباني عدة، كما أن طرق التدريس فيها تتبع نظاماً حديثة ومتقدمة عن المدارس خارج الإقليم.

أهم ما لفت نظري أنّ الدراسة مختلطة، وتستمر كذلك في المدرسة الإعدادية للصفوف العاشر والحادي عشر والثاني عشر، واللغة المستعملة في التدريس هي الكردية، باستثناء درس اللغة العربية. دخلت أحد الصفوف ليحدثني معلم اللغة العربية في المدرسة والذي يمارس التعليم من ٤٣ عاماً عن التعليم الإلزامي الذي تخضع له المدرسة الأساسية. ويقول المعلم إنه نظام يلزم التلميذ بالتعلم حتى الصف التاسع، مشيراً إلى أن نظام التعليم الإلزامي يطبق في باقي مدن العراق حتى الصف السادس ابتدائي.

أما السيدة غزال إسماعيل التي تدرّس الفنون، فذهبت إلى أنّ الطلبة إناثاً وذكوراً، يميلون إلى درس الرسم، وترى أنّ بعضهم يمتلكون موهبة ليكونوا فنانين.

إلهام صالح حسين، البالغة الثامنة عشرة من العمر والتلميذة في الصف التاسع، فصلت من المدرسة لتغيّبها ورسوبها المتكرر، وهي تحضر كتلميذة خارجية. اهتمام إلهام بالرياضة صرف انتباهها عن باقي الدروس، وقد أحرزت كأس إقليم كردستان في بطولة الطفر العريض لبطولة حلبجة. تتحدث إلهام بهمس خجول عن طموحها بأن تشارك في بطولة على مستوى كل البلد، مؤكدة أنّ ظروفها العائلية لا تسمح لها، ومشيرة إلى أنها تحضر إلى المدرسية بعد أن فصلت منها ليتاح لها أن تمارس الرياضة فيها.

تفرض العقدة الطائفية نفسها في كل ورقة من أوراق الملف العراقي منذ سقوط بغداد على يد الغزاة الأميركيين وإلى اليوم، حيث حصل انقسام حاد بين المكونات العراقية الرئيسية، فالشيعة تعاونوا مع الاحتلال واعتبروه فرصتهم التاريخية للانطلاق بمشروعهم الكبير والعابر للحدود القطرية والقومية، والكرد انحازوا لقوميتهم وإقليمهم وقد نجحوا ببناء تجربتهم الخاصة على مختلف الصعد، أما السنة العرب فقد تحملوا وحدهم مقاومة الاحتلال حتى تمكنوا من طرده، في منازل لم تكن متكافئة ولا متوازنة بكل المقاييس. ومع أن هذا الواقع لا يكاد يختلف عليه اثنان، غير أن الخطاب السياسي للسنة كان مرتبكا، فمنهم من يرى تسمية الوقائع بأسمائها فيقول: إنها مقاومة سنية، ومنهم من يصر على تجاوز الوقائع المموسة والمشاهدة ليقول: إنها مقاومة شعبية أو وطنية عامة! ثم يذهب ليلتقط حادثة من هنا وتصريحا من هناك ليعزز به موقفه، مع أن الشيعة لم يكتفوا بالوقوف على التل في تلك المنازل، بل دخلت ميليشياتهم جنبا إلى جنب مع المارينز في الفلوجة والرمادي وكل المناطق السنية، وبمباركة مراجعهم وقيادتهم المعتبرة.

بعد ملف المقاومة جاء ملف آخر وهو ملف الحراك، حيث انتفضت المحافظات السنية الست (بغداد والأنبار وديالى والموصل وصلاح الدين وكركوك)، ورغم كل الجهود الاستثنائية التي بذلها بعض السنة الحاملون بالوحدة الوطنية لتحريك شيء ما في الجسد الشيعي إلا أن محاولاتهم انتهت إلى لا شيء، وتبين للقاصي والداني أن الاتصالات والوعود من قبل بعض المراجع أو شيوخ القبائل من الشيعة (العرويين) أو (الوطنيين) لم تكن سوى دعاية مضللة لا وزن لها على الأرض، أو أن المجتمع

في نهاية يومي الطويل مع الأيزيدية وفي طريق العودة، لفت نظري محل أنيق الواجهة، توقفت عنده فدعاني صديقي الذي يرافقني إلى أن أنزل لأرى ما في المحل، نزلنا فاذا هو محل لبيع الخمر، وقد اصطفت زجاجات المشروبات الكحولية من مختلف المناشئ على الرفوف.

وخطر لي أن أسأل صديقي، ما هو موقف الديانة اليهودية من الخمر. فأجابني دون تردد: «الخمر محرمة، لكن من شاء أن يشربها، فذنبه على جنبه، سيحاسبه الرب على ما فعل، أما الناس فلا يتدخلون في علاقته بربه، من هنا لا أحد يمنع بيع المشروبات الكحولية».

الخمر محرمة عند اليزيديين، لكن من شاء أن يشربها، فذنبه على جنبه، سيحاسبه الرب على ما فعل، أما الناس فلا يتدخلون في علاقته بربه، من هنا لا أحد يمنع بيع المشروبات الكحولية»، كما قال أحد الأيزيديين. يشار إلى أن مسؤول ملف الأقليات في المفوضية العليا لحقوق الإنسان أوضح أن «تسعة عمال كرد من الأقلية الأيزيدية قتلوا يوم الثلاثاء (١٤ مايو / أيار ٢٠١٣) باستهداف محلاتهم (التي تباع الكحول) في مناطق شرق بغداد»، مناشداً المرجعيات الدينية بـ«الإفتاء بحرمة الدم العراقي دون تمييز بسبب الدين أو العرق أو اللون أو الطائفة». إذ شهدت محلات بيع المشروبات الكحولية في العاصمة بغداد، خلال تلك الفترة استهدافا دائما من قبل جماعات متشددة في مناسبات عديدة، إلى جانب دعوات بإقفالها ومنعها.

أمام محل بيع الكحوليات وقف «نادر خمو» وهو ناشط مدني ومؤسس منظمة الصداقة للتعايش في دهوك، وحدثنا بإسهاب عن طقوس الختان شارحا فكرة «كريف دم» المتعلقة بالختان وما يرافقها من احتفالات وأفراح، كما شرح طقوس ذبح الحيوانات في أوساط الأيزيدية مبينا أن من لم يختن لا يحل له أن يذبح أي حيوان

الشيوعي قد لفظهم وانحاز بقوة إلى مراجعته وقياداته الطائفية المعروفة.

استمر الحراك ما يزيد على السنة والموقف

هو الموقف، حتى قرر المالكي إنهاء هذا الملف بالقوة، وهدد ببحر من الدم بين من وصفهم بمعسكر الحسين ومن وصفهم بمعسكر يزيد! وجاء تصريحه هذا في أربعينية الحسين في كربلاء وأمام مرأى ومسمع الشيعة بمراجعهم وسياسيهم ومتقفيهم دون نكير.

تجدد الإشارة هنا إلى أن الحراك في الأصل

لم ينطلق في المحافظات الست من أجل رفع الظلم العام والفساد الحكومي في الخدمات ونحوها، حيث كانت مصيبة السنة أكثر بكثير، فهم يشعرون بأنهم مستهدفون في عقيدتهم وتاريخهم وكراماتهم وأعراضهم وفي أصل وجودهم، وهذا هو الذي دفعهم لهذا الثبات والإصرار ومواجهة كل التهديدات التي يطلقها المالكي بمناسبة وغير مناسبة، وقد دفعوا دما غاليا في الحويجة وديالى والفلوجة وغيرها، ومع كل هذا تجد بعض العلماء والسياسيين السنة يصرون على تسمية الحراك بالحراك الشعبي الوطني الذي لا يفرق بين السنّي والشيوعي، وأن المشكلة كلها منحصرة في شخص اسمه (نوري المالكي) وبعض الميليشيات والانتهازيين من الساسة!

نقذ المالكي وعيده بحق من أسماهم

(معسكر يزيد) وبدأت منازل جديدة بين جيش المالكي وميليشياته من جهة وبين أهالي الأنبار من ناحية أخرى، وكالعادة صدرت البيانات التقليدية من بعض علماء السنة بمناشدة مراجع الشيعة وشيوخ القبائل الشيعية (العروبية والوطنية) بضرورة الوقوف مع أهل الأنبار وكل الشعب العراقي) ضد (حكومة المالكي الفاسدة)، وهو ذات الخطاب الذي يكرره هؤلاء دون ملل من ٢٠٠٣/٤/٩ وإلى اليوم، رغم أن الطرف الآخر

كأنه مصاب بالصمم، والحقيقة أن اللغة بين الطرفين لم تعد مفهومة، فأولئك لهم مشروعهم الزاحف من طهران إلى لبنان مروراً بالعراق وسوريا والبحرين، ويشعرون أن الوقت وقتهم والعصر عصرهم، وهؤلاء يخاطبونهم بمفردات (التربية الوطنية) ومفاهيم (سايكس بيكو).

إن عقدة الخوف من الطائفية ما زالت

تتحكم في بعض الخطاب السنّي حتى تحولت إلى حالة مَرَضِيَّة تصيب صاحبها بالعمى والصمم عن كل من حوله وما حوله، فهذه العقدة غدت عند هؤلاء هي وحدها مقياس الحق والباطل والخير والشر والصواب والخطأ والمصلحة والمفسدة، فالهم عندهم ألا يتهمهم أحد بالطائفية حتى لو كان بسبب توصيفهم للواقع لا أكثر، ويا حبّذا لو قدموا لنا تعريفا علميا لمصطلح (الطائفية) خاصة بعد أن أصبح الحاكم على كل القيم والمبادئ والسلوكيات.

إن الأمر قد تجاوز إشكالية المصطلحات

وأبعادها المعرفية والثقافية وحتى السياسية إلى حالة من الضياع والتضييع لكل ما يمكن أن نجمعه من أسباب الحل وأدوات الخروج من هذا المأزق التاريخي الخطير الذي نمر به، ومن ذلك:

أولا: فقدان السنة العرب لأي مشروع جامع وقادر على توحيد كلمتهم، حيث إن مجرد التفكير بهذا لا يخلو من شبهة الطائفية، وفي المقابل تجد الشيعة يتجمعون تحت اسم (البيت الشيعي)، والكرد يتجمعون تحت اسم (إقليم كردستان)، والسنة حرام عليهم أن يفكروا لا بالبيت السني ولا بالإقليم السني، ولا ندري ما الاسم الذي يمكن أن يجمعهم؟ وهذا معناه أن السنة سيقعون في هذا الشتات عن رغبة منهم، على أمل انبثاق حكومة وطنية عادلة تجمعهم من جديد مع الشيعة والكرد من دون تفاضل أو تمايز!

ثانيا: ضياع الجهد المقاوم الذي قدم فيه السنة الدماء والجراح والخراب والدمار لهم ولناطقهم من

يكون في نظرهم عميلاً أجنبياً مندساً باسم التشيع لإثارة الفتنة بين مكونات الشعب الواحد، أو لركزوا على خائن سنّي مغمور وهزيل بحيث لا يذكرون ابن العلقمي إلا ويذكرون هذا معه حتى لا يقال عنهم إنهم مؤرخون طائفيون.

القصة الغريبة لمقال ديني في إيران

عطاء الله مهاجراني - الشرق الأوسط ٢٠١٤/١/٢٠

حقاً إن إيران بلد غريب! في السابع من يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٧٨، نشرت صحيفة «اطلاعات» مقالا يُقال إنه هو الذي تسبب في إشعال الثورة الإسلامية في إيران! وقد جرى نشر ذلك المقال بناء على أوامر الحكومة الإيرانية، وبالأحرى بناء على أوامر الشاه نفسه، الذي قرر نشر ذلك المقال تحت اسم مستعار للتشهير بالخميني الذي جرى وصفه على أنه «عميل بريطاني» و«شاعر هندي مجنون» يريد تسليم إيران للقوى الاستعمارية.

بعد يومين من نشر المقال، انطلقت مظاهرة حاشدة في مدينة «قُم»، قُتل فيها اثنان من رجال الدين الشباب في التاسع من يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٨، وكان ذلك الحدث هو الذي شكل البداية الحقيقية لتنظيم سلسلة من أحداث ذكرى «الأربعين» لتأبين من قتلوا خلال الاحتجاجات والمظاهرات.

والآن، وبعد مرور ٢٤ عاماً، تلقت إيران صدمة أخرى بعد المقال الذي جرى نشره أخيراً على الرغم من أنه لم يكن يهاجم الحكومة الإيرانية، بل كان يعرض نقاشاً متزناً ومتعقلاً لقضية الخلافة والإمامة. وبعد نشر المقال، جرى حظر إصدار صحيفة «بهار»، كما اعتُقل كاتب المقال، دكتور علي أصغر غروي، الذي أُطلق سراحه بعد شهرين قضاهما في السجن، خرج على أثرهما في حالة شديدة من المرض.

لكن السؤال: ما الرسالة التي كان دكتور غروي يريد إيصالها من خلال ذلك المقال؟ كتب

أجل طرد الغزاة، وقد قدموا على مدار سنّي المقاومة العصبية ما تنوء به الجبال، وقد كان بإمكانهم أن يستثمروا هذا الجهد الاستثنائي في فرض شروطهم لتحقيق التوازن والمشاركة الفاعلة في بناء النظام السياسي وأجهزة الدولة المختلفة، لكن هذا يتطلب أن تتكلم المقاومة بالهم السنّي وشروط السنّة في المشاركة والبناء، وهذا من شأنه في نظر البعض أن يشوّه سمعة المقاومة ويحوّلها من (مقاومة وطنية) إلى (مقاومة طائفية)! وبالتالي من الأفضل التركيز على تحرير البلاد من الاحتلال ولو خرجنا صفر اليدين، وهذا لا أقوله على سبيل التحليل والافتراض، بل هي حقائق ومعلومات وحوارات ومجاذلات استنزفت الكثير من الجهد والوقت، وما يقال عن المقاومة يقال أيضاً عن الحراك وربما سيقال عن ثورة الأنبار أيضاً.

ثالثاً: خسارة السنّة لمجدهم وتاريخهم، حيث قام هؤلاء بتضخيم الجانب السلبي عند السنّة كإخفاقات السياسة وجرائم الصحوات وهفوات بعض الرموز العلمية أو العشائرية، وفي الوقت ذاته يقومون بتضخيم إيجابيات الشيعة وغيض الطرف عن سلبياتهم أو التهوين منها، حتى لو كان هذا بالكذب الصريح والتزوير العمد، فمثلاً يتم التركيز على إدانة السياسيين السنّة لمشاركتهم في العملية السياسية بينما التيار الصدري يغض الطرف عنه مع مشاركته المبكرة في هذه العملية نفسها، وقد جمع إلى هذا حرقه لمساجد السنّة في بغداد وغيرها، وشتمه المتكرر لأبي بكر وعمر، كل هذا لصناعة صورة من نسج الخيال مفادها أن السنّة فيهم الحسن والقبيح والوطني والعميل، وكذلك الشيعة سواء بسواء، وحتى الظلم الذين يتعرضون له من قبل حكومات الاحتلال المتعاقبة هو ظلم واحد وموزع على الفريقين بالعدل! وبهذا ضاعت مظلومية السنّة الحقيقية التي تهدد هويتهم وعقيدتهم وأصل وجودهم.

ربما لو كان هؤلاء في عصر هولاء

لكتبوا التاريخ بطريقة أخرى، فابن العلقمي قد

دكتور غروي بوضوح في مقاله أن نبينا محمد (ﷺ) لم يسم أحدًا خليفة له. فقضية الخلافة تعتمد بالأساس على حق الناس في اختيار الشخص الذي يريدونه خليفة لهم. أما الإمامة فهي قضية أخرى مختلفة تمامًا، فقد اختار الرسول (ﷺ) سيدنا علي (كرم الله وجهه) ليكون إمامًا. وحسب معتقدات الشيعة، يُعد الإمام زعيمًا روحياً.

وفي مقاله، فسّر دكتور غروي نظرية والده الراحل آية الله العظمى جواد غروي عن قضيتي الخلافة والإمامة، حيث بيّن الوالد الكثير من الفروق بين القضيتين، في كتابه الشهير «أحاديث».

وبعد الكتاب الذي أصدره آية الله العظمى

جواد غروي، أصدر آية الله حائري يزدي، ابن مؤسس الحوزة العلمية في قم، كتاباً حمل عنوان «الحكمة والحكومة» في عام ١٩٩٥، الذي أوضح فيه الفارق بين النبوة والإمامة والخلافة. وقد جرى حظر ذلك الكتاب في إيران، لكنه نُشر في دول أجنبية كثيرة. ويتميز كتاب «الحكمة والحكومة» بتركيب قوي وثري، حيث تقوم فكرته الأساسية على مقارنة فلسفية ودينية متميزة.

ويبدو لي أنه إذا ما أردنا أن نأخذ خطوة مهمة وفعالة لبناء الجسور بين السنة والشيعة، وكذلك إنهاء الكوارث التي نشهدها في منطقتنا في الوقت الحالي، فإن تلك النظرية ستكون مفيدة في ذلك المسعى.

والآن، دعوني أشرح لكم بإيجاز مختصر ذلك المقال الذي كتبه دكتور غروي:

١ - لم يرد في القرآن الكريم آية صريحة تشير إلى تسمية الإمام علي (كرم الله وجهه) خليفة للنبي (ﷺ).

٢ - لم يرد أيضاً حديث صريح يقول فيه النبي (ﷺ) أنه اختار الإمام علي خليفة له.

٣ - في كتابه الشهير «نهج البلاغة»، لم يدع

الإمام علي حقه السماوي في أن يكون خليفة، كما لم يذكر أي شيء عن أن النبي (ﷺ) اختاره ليكون خليفته بعد موته.

٤ - أقر الإمام علي بكل صراحة بأحقية الناس في اختيار الخليفة الذي يريدونه، ولهذا كتب في خطابه لمعاوية يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه.. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى. («نهج البلاغة» مكتوب رقم ٦).

في واقع الأمر، يركز الإمام علي دائماً في أحاديثه وخطاباته ومقولاته على حق الناس في الشورى والبيعة، ولا يدعي أبداً حقه السماوي كزعيم سماه النبي (ﷺ) خليفة له.

ويدعو القرآن الكريم جميع أهل الكتاب للاتفاق والاتحاد مع المسلمين على كلمة سواء.

ويثير ذلك تساؤلاً مهماً: لماذا يجري اعتقال وإسكات مفكر مسلم وباحث شيعي لمجرد أنه يدعو جميع المسلمين الشيعة، بدافع نيته الإنسانية الحسنة، لإمعان التفكير في قضية حساسة وعلى قدر كبيرة من الأهمية؟

لحسن الحظ أننا نعيش في عصر لم يعد بإمكان الحكومات استخدام القبضة الحديدية التقليدية لإسكات الأصوات التي تسعى لنشر أفكار معارضة للسلطة. وكلما حاولت تلك الحكومات إسكات مفكر أو كاتب أو باحث، فإن ذلك لا يؤدي إلا إلى جذب المزيد من اهتمام الناس تجاه أولئك المفكرين.

منذ عام ٢٠٠٠، صدر العديد من الأحكام القضائية التي أوقفت بسببها أكثر من ١٢٠ صحيفة تنادي بالإصلاح في إيران، كما جرى الزج بعشرات المحررين والكتاب في غياهب السجون. فماذا كانت النتيجة؟

عندما قام صدر الدين الشيرازي بعرض

«الغارديان»: أدركت طهران أن حماس ليست ضد إيران أو النظام السوري

نقلا عن موقع العصر ٢٠١٤/١/٩

كشف تقرير نشرته اليوم صحيفة الغارديان من إعداد مراسلتها في غزة، أن التقارب بين حماس وطهران وشيك بعد حالة التصدع لما يقرب من ثلاث سنوات بسبب رفض الطرف الفلسطيني دعم الحكومة السورية في حربها ضد الثورة الشعبية، ووسط عزلتها السياسية الراهنة في أعقاب انقلاب العسكر على حكم الإخوان في مصر.

«العلاقات بيننا الآن تعود تقريبا إلى ما كانت عليه من قبل الصراع في سوريا»، ونحن نعتقد أننا سوف نعود قريبا إلى تلك المرحلة»، كما صرح طاهر النونو، أحد مساعدي رئيس الوزراء في غزة إسماعيل هنية لصحيفة الغارديان، وأضاف أن الاتصالات بين مسؤولين رفيعي المستوى من كلا الجانبين قد استؤنفت.

وأفاد التقرير أن خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحماس، ومقره حاليا في قطر، التقى ممثلين عن إيران في أنقرة والدوحة خلال الأشهر الأخيرة، وربما قد يزور طهران في الأشهر المقبلة.

وفقا للقيادي في حماس «نونو»، فقد زار وفد من مسؤولي حماس خارج غزة طهران قبل شهرين، في وقت تعذر فيه لقيادات حماس داخل غزة غير مغادرة القطاع المحاصر منذ الانقلاب العسكري الذي وقع في مصر في يوليو الماضي.

أفكاره عن الوحدة والتناغم بين القرآن الكريم والعقل والحكمة في حوزة أصفهان، جرى طرده من حوزة أصفهان، وأعلن أنه «مرتد». أما في عصرنا الحالي، فيُعدّ كتابه واحدا من أهم المصادر العلمية في الحوزات الشيعية في قم وأصفهان وغيرهما من المدن.

أعتقد أن هناك سببا خفيا وراء رد الفعل الشديد والمتوتر من القضاء الإيراني تجاه مقال دكتور غروي، الذي يزعم معظمهم أنه ضد الإمام علي (كرم الله وجهه) وفكرة الإمامة في العقيدة الشيعية بشكل عام. ولكن لنكون صادقين، أعتقد أن ما يقلق القضاء الإيراني في ذلك المقال هو أنه يخلص إلى أن المرشد الأعلى الإيراني لا يستطيع أن يزعم أن الإمام المهدي هو الذي عيّنه، أو أن الله هو الذي اختاره لذلك المنصب. كما أن اختيار الناس للإمام علي يعني بكل وضوح أن ولاية الفقيه ينبغي أن تأتي باختيار الناس أيضا.

قال الراحل آية الله مشكيني الرئيس السابق لمجلس خبراء القيادة الإيراني، ذات مرة، إن الله يختار المرشد الأعلى الإيراني، ومهمتها الرئيسية، نحن أعضاء مجلس خبراء القيادة، هي أن نعمل على اكتشاف والتعرف على ذلك الرجل الذي يشغل هذا المنصب.

لقد أصاب مقال دكتور غروي كبد الحقيقة في تلك القضية المهمة. وليس لدي أدنى فكرة لماذا لم يردّ أحد على كتاب آية الله حائري يزدي. وهذا يعني في رأيي الشخصي أن نظريته مبنية على أساس قوي، والأكثر أهمية من ذلك، أنها أفضل جسر وأفضل شرح تفصيلي يمكن الاعتماد عليه في حل الخلافات التاريخية بين الطائفتين الرئيسيتين في الإسلام.

وقال التقرير إن مسؤول بارز آخر مقرب من

حماس، باسم نعيم، أكد تجديد الاتصالات بين منظمته وطهران، موضحاً أن «العلاقات لم تنقطع أبداً بشكل كلي، غير أنه في الآونة الأخيرة كان هناك عدد من الاجتماعات التي ضخّت دماء جديدة مرة أخرى في علاقتنا مع إيران».

واستطرد قائلاً: «كانت هناك العديد من

الزيارات واللقاءات، كما في الفترة السابقة. ولكن هذه المرة تم عقد اجتماعات على مستوى عالٍ من جانب حماس وإيران، مما أدى إلى تحسن ملحوظ و تطور في العلاقة».

ويقول التقرير إن التحالف بينهما تضرر

كثيراً جراء موقف حماس عندما بدأت الانتفاضة ضد بشار الأسد في سوريا منذ ما يقرب من ثلاث سنوات، إذ إن قيادة حماس في المنفى، ورغم استضافتها من قبل نظام دمشق لمدة عشر سنوات، رفضت دعم الحكومة ضد الثورة الشعبية وغادرت دمشق، مما أدى إلى غضب أبرز سوريا، طهران.

وذكرت الصحيفة أن إيران، تبعا لهذا

التدهور في العلاقات، خفضت من التمويل الموجه لـ حماس، والذي كانت قيمته تقارب ٢٣ مليون دولار شهرياً، وفقاً للتقرير، مما تسبّب في أزمة مالية خطيرة لحكام غزة. وقد تفاقم هذا بشدة في الأشهر الستة الماضية بعد إغلاق أنفاق التهريب بين غزة ومصر من قبل النظام العسكري الجديد في القاهرة.

ويرى التقرير أن الإطاحة بالرئيس المصري

المنتخب السابق، محمد مرسي، والقمع الدموي ضد الإخوان المسلمين، الجماعة الأم لـ حماس، قد ترك الحركة الفلسطينية معزولة سياسياً ونفسياً. «لقد تبدّد حلم حماس كبير بوصول التيار السياسي الإسلامي إلى السلطة»، كما نقلت الصحيفة عن المحلل السياسي في غزة عمر شعبان.

ووفقاً للقيادي في حماس «طاهر النونو»،

الذي وصف العلاقات بين حماس وإيران بأنها «مسألة حساسة للغاية»، فإن العلاقات بين الطرفين ضعفت بسبب الحرب في سوريا، ولكنها لم تنقطع. وأضاف: «لقد أبقينا على بعض القنوات مفتوحة». وأوضح قائلاً: «أدركت إيران مؤخراً أن حماس ليست ضد إيران أو النظام السوري. لقد فهموا أننا نريد أن نكون محايدين، كان ثمة سوء فهم».

وسئل عما إذا استأنفت طهران دعمها

المالي، أجاب النونو: «نحن لا نعلن هذه الأشياء، لأنه قد تكون هناك مساعي لوقفه».

ويقول التقرير إنه منذ إغلاق الأنفاق (من

انقلابي مصري)، واجهت حماس صعوبات لوجستية في نقل مساعدات مالية إلى غزة، حيث كانت تُحمل في حقائب عبر الأنفاق قبل الحملة العسكرية المصرية.

وأفادت الصحيفة أن محمود الزهار، أحد

قادة حماس في غزة، رفض التعليق على سؤال: ما إذا كانت طهران قد استأنفت دعمها بالمال أو الأسلحة، قائلاً: «من الصعب مناقشة الأمور السرية، لأنها لا تخدم سوى الإسرائيليين».

وقال الزهار الذي زار طهران العام الماضي،

إنه كان على اتصال دائم بالإيرانيين، وإن أي مصالحة بين طهران والغرب بشأن القضية النووية لن تؤثر في دعمها لـ حماس.

وأصر مفنداً: التقارب لم يكن مرتبطاً

بالأحداث في مصر. وأوضح: «حماس ليست معزولة سياسياً. لا تبالغوا في الصعوبات مع مصر. الإخوان المسلمون لم ينتهوا».

أثر صراع النظريات بقاء التشيع في إيران

صباح الموسوي - المصريون ٢٠١٤/١/٣٠

عندما اراد الخميني تطبيق نظرية ولاية الفقيه واجه معارضة واسعة من قبل الكثير من مراجع الحوزة التقليديين في حوزتي قم والنجف معتبرين نظرية الخميني نظرية تكرس هيمنة مرجع واحد على حساب تعدد المرجعيات ومن هنا طالب المرجع محمد الشيرازي بتطبيق نظرية شورى الفقهاء وقد ايدته في ذلك المرجع محمد طاهر الخاقاني فيما رفضت حوزة النجف وعدد من مراجع حوزة قم كلتا النظريتين.

وقد جاءت نظرية ولاية الفقيه في الوقت الذي كانت الساحة الإيرانية تشهد صراعا بين تنظيم جماعة الحجية الرافضة لقيام اي ثورة او دولة دينية قبل ظهور المهدي المنتظر (شبيهة بنظرية حركة ناطوري كاتيا اليهودية التي ترفض قيام اي دولة يهودية قبل ظهور المسيح)، غير ان الخميني استطاع بسبب الظروف التي هيئتها الحرب مع العراق من فرض نظريته بقوة القمع ودحر القوى السياسية والدينية المعارضة له. وبقيت جماعة الحجية منعزلة تعمل في الخفاء وتتمدد في مفاصل الدولة سرا وتدعم التيار الاصلاحي وتدفع به للواجهة لاضعاف سلطة الولي الفقيه و بنفس الوقت كانت تظهر للولي الفقيه (خامنئي) التقرب حتى تمكنت من اقناعه بتأييد ترشيح رئيس بلدية طهران الجنرال احمدي نجاد إلى رئاسة الجمهورية وهو الذي كان ينتمي سرا لجماعة الحجية. فقبول خامنئي بهذا الخيار كان نتيجة تخوفه الشديد من التيار الاصلاحي الذي كان يعمل ليس فقط على الغاء منصب الولي الفقيه ، بل كان يعمل ايضا على الغاء الدولة الدينية وتحويل إيران إلى دولة مدنية .

هذا ما كانت تحاول الحجية تخويف

خامنئي منه. وعندما وصل احمدي نجاد إلى رئاسة الجمهورية بالغ في اظهار الولاء والطاعة إلى الولي الفقيه حتى يتمكن من ازالة الاصلاحيين من امامه . وحين تحقق له ذلك في الدورة الاولى فقد قام في الدورة الثانية من رئاسته بالتقليل من مظاهر الولاء لخامنئي و اخذ يتجه إلى ابراز ولائه لرجال الدين المحسوبون على جماعة الحجية والمعارضين لنظرية ولاية الفقيه ، وهنا اخذ نشاط الجماعة يظهر إلى السطح وفجأة طرحت نظريتها التي سميت (بعصر الظهور) والتي تعني ان العالم يعيش مرحلة ظهور المهدي المنتظر. وهي من الناحية العملية تعني الغاء دور الولي الفقيه لعدم وجود مبرر لبقاءه طالما ان ظهور الامام المعصوم الغائب اصبح على الاعتاب. وقد اصبح الرئيس احمدي نجاد المروج الابرز لهذا الامر .

لقد تمكنت الحجية من خلال طرح نظرية

عصر الظهور من احداث زلازل كبير في نظرية ولاية الفقيه و اضعاف موقع الولي مما أثار حفيظة خامنئي واتباع نظرية ولاية الفقيه ودفعه إلى التخلي عن نجاد واطلاق حملة ضده والعودة إلى التحالف مع الاصلاحيين الذين كان قد انقلب عليهم.

ان هذا الصراع الذي ادى إلى حصول تقلب

في مواقف الولي الفقيه من جبهة إلى أخرى ، لم يكن النظام الديني الإيراني خاصة و العقيدة الدينية عامة بمنأى من الاصابة بشظاياها. و ما يفسر ذلك هروب النظام للامام ، سواء ذلك من خلال التخلي عن المشروع النووي او من خلال الدخول في مفاوضات لاعادة العلاقات مع من كان يعده الشيطان الاكبر (امريكا).

اما على الصعيد العقيدة الدينية فيكفي

النظر إلى الاحصائيات التي تقدمها مواقع الاقليات الدينية الإيرانية من بهائية ونصرانية ومجوسية وغيرها والتي تشير إلى تصاعد اعداد اتبعها نتيجة

ترك الإيرانيون الشيعة لدينهم واعتناق هذه الديانات.

ولمن اراد التأكد من حقيقة هذا الامر ما عليه سوى الاستماع لخطب كبار رجال الدين الشيعة و قراءة المقالات والتقارير المدونة في الصحف والمواقع الاعلامية الرسمية التي تحذر من خطر انقراض التشيع في إيران على مدى العقود الثلاثة القادمة.

الحوثيون.. رجل في الحوار ويد على الزناد

محمد جميح - القدس العربي ٢٠١٤/١/٢٤

دأب الحوثيون منذ اندلاع ثورة الشباب في اليمن على توسيع مناطق تواجدهم وإحكام السيطرة على مناطق نفوذهم في ظل انتهاز سياسة مستنسخة من سياسة «حزب الله» اللبناني الذي يتحكم في مفاصل الدولة اللبنانية من وراء ستارة التشكيكة السياسية في البلاد.

لم يصل الحوثيون بالطبع إلى المستوى نفسه الذي عليه حزب الله، غير أنهم في سعي حثيث لتحقيق ذلك غير مدركين لاختلاف الظروف السياسية والتعقيدات الاجتماعية والمذهبية بين لبنان واليمن.

ومع اقتراب مؤتمر الحوار الوطني من نهايته، كشف الحوثيون بشكل واضح عن نواياهم في قضم المزيد من الارض، وضمها لمحمية صعدة التي أحكموا السيطرة عليها بعيد اندلاع ثورة الشباب في اليمن، حيث فجروا العديد من الجبهات في صعدة (منطقة دماج ذات التوجه السلفي التي قام الحوثيون بتهجير أهلها)، وحجة وعمران والجوف، ثم محاولات الظهور بمظهر التيار ذي القواعد الشعبية الواسعة بركوب موجة المناسبات الدينية

التي يحضرها جمهور واسع من الناس لا متابعة لمنظمتها، ولكن تقديراً للمناسبة في مجتمع متدين بالطبع.

ولم تكن المعارك الاخيرة التي فجرها الحوثيون بمعزل عن الهدف البعيد لهم في فرض سياسة أمر واقع عندما تأتي مرحلة تحديد الاقاليم بعد الفراغ من الحوار الوطني في البلاد.

وقد حاول الحوثيون أكثر من مرة تعطيل جلسات الحوار الوطني بافتعال الازمات داخل قاعة الحوار، تارة بالانسحاب، وأخرى بالاعتصام، وثالثة بافتعال الفوضى لارباك سير العمل.

ولا شك أن هناك تشابكات وتقاطعات محددة بين العوامل الخارجية والداخلية في الحروب التي يثيرها الحوثيون هنا وهناك في البلاد لنيل اعتراف بوجودهم قوة عسكرية في صعدة وسياسية في صنعاء.

يرى الكاتب السفير عبدالوهاب العمراني أن حروب الحوثيين وغيرهم ما هي إلا إفراز من إفرازات الربيع العربي، يقول العمراني لـ«القدس العربي» «الحروب التي تجري في اليمن لاشك بأنها تدخل في سياق افرازات الربيع العربي في نسخته اليمنية». ولا شك أن ثورة الشباب في اليمن فتحت الباب واسعاً أمام طموحات الحوثي بالتوسع، وإحياء حلم التيار الذي ينتمي إليه في العودة للسلطة بشكل أو بآخر. ويضيف العمراني مشيراً إلى تعقيدات المشهد أن القبيلة في اليمن لعبت دوراً في إذكاء الصراع، يقول «ولعل ما يزيد المشهد اليمني السياسي والامني سخونة بأن القبيلة تداخلت مع الاطماع السياسية والمذهبية».

وحول حروب الحوثيين التي فجروها في الفترة الاخيرة يضيف العمراني أن الامر لا يخلو بالطبع من تدخلات خارجية، ويقول «يبدو ان الحوثيين في الوقت الذي يشاركون فيه في الحوار

والمرحلة الانتقالية التي وقعت البلاد في ظلها بمصيدة الوصاية الأجنبية وتحولت الدولة إلى ساحة من دون بواب تزرع وتدعم الجهات الدولية المعادية فيها مختلف الخلايا الارهابية والجماعات المسلحة».

ويرى الاحمدي أن توسع الحوثي هو أحد مخرجات الحوار الوطني، يقول «يمكن اعتبار توسع الحوثي أحد مخرجات مؤتمر الحوار الذي أريد له أن يفكك ما تبقى من المؤسسات الدستورية ويوصل الدولة إلى الصفر. فمنذ استدعائهم للحوار ومنحهم الشرعية السياسية، قطع الحوثيون أشواطاً طويلة في الجانبين، السياسي والميداني، في مقابل تشجيع فتنة مستمرة بين الاطراف السياسية الوطنية وتغيب وتهميش للقبيلة والتيار الديني الذي يقف على النقيض من الحوثي».

ويرى الاحمدي أن «هناك خوفاً من أن تكون أطراف دولية تمارس مع قيادات في الدولة لعبة خبيثة بتهيئة الطريق لسيطرته (الحوثي) على أجزاء من العاصمة لتفجير الاوضاع فيها».

وعن الدور السعودي، يقول «السعودية هي أقل اللاعبين في المشهد السياسي في اليمن حالياً بسبب إحكام الولايات المتحدة وأطراف أجنبية القبضة على النفوذ داخل الدولة»، ويضيف أن الرياض «متضررة إزاء تعقد الوضع الذي يصب لصالح أطراف إقليمية ودولية أخرى، فايران تتبعها جماعة مسلحة وأحزاب ومنظمات عديدة، والولايات المتحدة لها تواجد ونفوذ في الملف الامني والعسكري وتدخل في سياسات الدولة».

وينفي الاحمدي أن يكون الرئيس السابق يدعم الحوثيين بشكل مباشر ويقول «اتهام الرئيس السابق علي عبدالله صالح بدعم الحوثيين - في الفترة الاخيرة خصوصاً - مزيدة سياسية، ولكن هناك قيادات في حزبه أو شخصيات محسوبة عليه وجهت ولاءها شطر الحوثي، بعد أن تقوى وحصل على مشروعية

وهذا معناه الاقرار بسلمية الاختلاف، الا انهم للاسف يفتعلون صراعاً مع اخوانهم ممن عرفوا بالسلفيين وكأن منطقة شمال اليمن ساحة لهم وعليه فتمددهم في محافظات شمالية في حجة والجوف وعمران ما هو الا ضمن اجندة خارجية للاسف ، وهم يعترفون بدعم ايراني»، ويحمل العمراني النظام السابق مسؤولية ما يجري حالياً من صراع، يقول «النظام السابق هو الذي اوجد مثل هذه الخلافات بسياسة فرق تسد فزرع في تلك المناطق النقيضين ليشغل احدهما بالآخر ويستمر حكمة او يأتي في نهاية المطاف بصفة المنقذ (الوطني)».

ويضيف العمراني مشيراً إلى العامل الخارجي في الصراعات بين الحوثيين والسلفيين أن أيادي خارجية تذكي هذا الصراع ويذكر تحديداً إيران التي تدعم الحوثيين، غير أنه ينفي أن تكون السعودية قد تخلت نهائياً عن دعم السلفيين الذين يشتبكون مع الحوثيين في أكثر من منطقة في البلاد، يقول «أما عن ما يردد عن تخلي السعودية عن دعمها للسلفيين ودعمها للحوثيين كمرحلة تكتيكية ، فلم يتم التأكد من صحة ذلك ولكن ما تجدر الإشارة اليه هنا ان توجهاتها (السعودية) لم تعد حسب ايديولوجيتها المذهبية كما كان في الماضي، بل سياسية والا فماذا يعني وقوفها ضد الاسلاميين في مصر وتحالفها مع العسكر».

أما الكاتب رياض الاحمدي فيرى أن توسع الحوثيين هو ثمرة لعامين من ترك الحبل على الغارب له يفعل ما يشاء، يقول الاحمدي لـ«القدس العربي» «التوسع الحوثي في المحافظات الشمالية هو ثمرة أكثر من عامين من ترك الدولة الحبل على الغارب للجماعة بالتسلح والتدرب والسيطرة على محافظة وأكثر، مساحتها تفوق مساحة لبنان، مستغلة الصراع السياسي بين القوى الرئيسية

سياسية» ويضيف الاحمدي عن ما يقال عن التحالف بين صالح والحوثيين «من الممكن أن يكون هناك خط تواصل لا يرقى إلى الدعم أو التحالف، لأن أياً منهما لا يأمن الآخر».

وبين انشغال الدولة بملف الحوار،

ومحاولاتها إطفاء الحرائق الملتهبة هنا وهناك في أكثر من بقعة في البلاد، يستغل الحوثيون فترة الانشغال هذه بمزيد من الازمات التي يفتعلونها تارة مع القبائل، وأخرى مع السلفيين، وثالثة مع حزب الإصلاح من أجل استمرار جو الفوضى، لأن هذا الجو هو البيئة المناسبة لهم للتوسع والانتشار، وذلك ما جعلهم يحاولون إرباك الحوار بشتى الوسائل الممكنة لاستمرار الخلافات السياسية بين الفرقاء السياسيين في صنعاء، تلك الخلافات التي يحاول الحوثيون من خلالها التوسع عسكرياً وسياسياً.

الطرق الصوفية وطقوس الشعوذة

تلتقي في مهرجان بالمغرب

جريدة عمان - ٢٠١٤/١/٣٠

تشارك «مدام خياط» في مهرجان سيدي علي في مدينة مكناس المغربية، وتقول «نحن هنا لنظهر انفسنا من الارواح الشريرة» في حدث تتعايش فيه الشعائر الاسلامية والممارسات والمعتقدات الشعبية والشعوذة.

على بعد عشرات الكيلومترات من

مكناس، وفي قلب الريف المغربي، تقع بلدة مغرسين حيث يقام سنوياً هذا المهرجان «موسم سيدي علي بن حمدوش» ذو الطابع الصوفي. ويأتي المريدون الصوفيون لآحياء ذكرى هذا الشيخ الذي كان من اعلام التصوف في القرن التاسع عشر، والذي يتناقل الناس اخبار كراماته وعجائبه.

واضافة الى هذا الشيخ القادم من سوريا،

بحسب الروايات، يكرم المريدون الصوفيون ذكرى لالا عائشة، التي يقال انها كانت ابنة ملك السودان قبل ان تصبح «ولية من اولياء الله». وتقول سيدة ستينية من مدينة فاس تعرف عن نفسها باسم «مدام خياط» ان هذا المهرجان «نوع من انواع الحج». وتوضح قائلة «يقصد المسلمون مدينة مكة حيث الحج السنوي الذي يطهرهم من خطاياهم، اما هنا فانهم يأتون للتطهر من الارواح الشريرة». لكن هذا الرأي يلقي معارضة في صفوف الكثير من المسلمين الذين يرفضون ان يكون للانسان واسطة بينه وبين الله لتطهيره. وتقول مدام خياط «كثير من الناس يرون ان هذا الامر همجي..حتى ان زوجي لا يحبذ ان آتي الى هنا، لكنني اغافله وآتي».

ويتضمن المهرجان ممارسات وطقوس غريبة

الاطوار، تتطوي على شعوذة وذبح حيوانات ورقص صوفي. ويقول عالم الاجتماع عزيز حلاوة ان طقوس المهرجان تتضمن ذبح ثور وديكة سوداء بهدف «تهدة الارواح الغاضبة». في وسط حلقة من المريدين، يكسر رجل صحن من الفخار على رأسه، بينما تشعل النساء الشموع وعيدان البخور في مغارة لالا عائشة، طلباً للمدد منها. وفي المساء، يجتمع المريدون بأعداد كبيرة في جلسات للتأمل، وبعد ساعات من الانشاد الصوفي، يهز أحد المريدين رأسه بقوة ثم يسقط مغشياً عليه على الارض، بينما يتردد بعض رواد المهرجان على قارئات الطالع لاستشارتهن حول مستقبلهم العاطفي، مقابل بعض القطع النقدية.

في السنوات الاخيرة، اثار مهرجان سيدي علي

الكثير من الجدل في المجتمع المغربي، ولا سيما بسبب جذبه للكثير من المثليين الجنسيين في المغرب. ويساهم في ذلك ما تدرده القصص الشعبية من ان لالا عائشة تحولت الى رجل عندما اثناء

- بحل المجلس العلمائي وتصفيته إثر دعوى رفعها الشيخ خالد آل خليفة وزير العدل البحريني، جاء في لائحته: «إن المجلس يمارس نشاطا سياسيا بغطاء ديني طائفي، وتصريحاته تهدد أمن وسلامة المملكة والسلم الاهلي، وتشجع روح العنصرية المذهبية، ما يؤدي إلى تمزيق الوحدة الوطنية ويذكى نار الفتنة الطائفية، كما أن مبادئ المجلس وأهدافه وبرامجه ووسائله تتعارض مع الثوابت الوطنية التي يقوم عليها نظام الحكم في المملكة».

وتعود تفاصيل القضية التي رفعها وزارة العدل إلى ١٦ سبتمبر من عام ٢٠١٣، والتي أعلنت حينها أنها بدأت في خطوات قضائية لوقف أنشطة «المجلس الاسلامي العلمائي» وتصفية أمواله وإغلاق مقره، ووصفه البيان الصادر عن الوزارة حينها بالتنظيم غير المشروع، وأنه تأسس خلافا لاحكام الدستور والقانون، وقد أكدت وزارة العدل - عندما رفعت القضية - أن الخطوة التي اتخذتها جاءت في إطار تنفيذ توصيات «المجلس الوطني» - البرلمان البحريني بغرفتيه النواب والشورى - بعد الاضطلاع بمسؤوليتها في تطبيق القانون.

ووصف بيان صادر عن «جمعية الوفاق الاسلامية» - كبرى جمعيات المعارضة السياسية - الحكم بأنه سياسي، ويستهدف مكونا رئيسيا من مكونات الشعب البحريني، كما تساءلت «الوفاق» في بيانها عن الهدف من الحكم، وهل هل هذا القرار السياسي يأتي لتهيئة الاجواء من أجل إنجاح الحوار؟، وهل يأتي ضمن ما يفترض بالسلطة القيام به لانجاح فرص الحل؟، أم يمثل مؤشرا على توجه النظام الحقيقي نحو المزيد من التآزيم للموقف؟.

وبدورها أشارت الحكومة البحرينية - على لسان المتحدث باسمها سميرة رجب - إلى

محاولة أحد الرجال اغتصابها. في المغرب ينتشر الايمان بقدرات «الارواح» بين الكثير من الناس، ولا يقتصر ذلك على الطبقات الفقيرة منهم فقط. ففي دراسة اعدتها مجموعة من الخبراء الاميركيين في العام ٢٠١٢، تبين ان ٨٦ ٪ من السكان يؤمنون بتأثير الارواح. وبموازاة ذلك، تنتشر الطرق الصوفية في المغرب منذ مئات السنين، لكنها شهدت ازدهارا بتشجيع من الملك محمد السادس، بحسب حلاوة. وفي العام ٢٠٠٢ عين أحمد توفيق وزيرا للشؤون الدينية، وهو معروف بقربه من الطرق الصوفية. ويقول الصوفيون بشكل عام إنهم يدعون الى اسلام «معتدل ومتسامح»، وينتقدون التشدد الديني.

القضاء البحريني يقرر حل المجلس «العلمائي الشيعي»

رضوى عبد الله - موقع البوابة نيوز ٢٠١٤/١/٣٠

أصدر القضاء البحريني حكما بحل المجلس «العلمائي الشيعي» وتصفية أمواله وإغلاق مقره، بعد دعوى قضائية رفعها وزير العدل ضد المجلس باعتباره تنظيما مخالفا للقانون والدستور في المملكة.

وفي الوقت الذي اعتبرت فيه الحكومة، المجلس منبرا دينيا خارجا عن التقاليد، يعمل على توفير الدعم لحزب سياسي طائفي للمساهمة في بث الكراهية بين طوائف المجتمع البحريني، قالت «جمعية الوفاق الاسلامية» المعارضة إن الحكم سياسي، وضرب لمبادرة ولي العهد الامير سلمان بن حمد آل خليفة، الساعية لبدء جولة جديدة من حوار التوافق الوطني.

وقضت المحكمة الكبرى الادارية - وفقا لما نشرته جريدة الشرق الاوسط، اليوم الخميس

أن «الاستهداف الحقيقي للشعب البحريني يأتي عبر العنف والارهاب وإغلاق الشوارع وتعطيل الحياة، كما يأتي عبر تهريب الاسلحة إلى البحرين، وعبر التحريض الطائفي وتقسيم المجتمع وفق أجندات التيارات العقائدية، وهذا ما لم تدركه جمعية الوفاق في جميع بياناتها ولم ترفضه حتى الان».

وأضافت «رجب» أن الاحزاب السياسية الطائفية التي يتم دعمها من المنابر الدينية تريد أن تجعل من البحرين دولتين بمذهبين مختلفين، كما تعمل على بث الكراهية بين طوائف المجتمع، وقالت إن هذا هو الدور الذي جاء من أجله المجلس العلمائي ليكون غطاء دينيا مذهبيا تمارس من خلاله الوفاق التحريض الطائفي، وأشارت المتحدثة باسم الحكومة البحرينية إلى أن البحرين - وعبر تاريخها - لديها مجلس أعلى للشؤون الاسلامية يمثل الشيعة والسنة، وينظر إليه البحرينيون كمرجعية مؤسسية شرعية موحدة للطوائف والشعب، كما اعتبرت سميرة رجب ما وصفته بـ «تقليعة» المجالس العلمائية مع الاحزاب السياسية الطائفية، خطوة تؤسس لمشروع تفتيتي خطير للشعب والمجتمع، وأضافت أن «الشيعة - على مدى تاريخهم - كانت لهم مرجعيات فردية ولهم طقوس في ذلك، وليست المجالس العلمائية إلا واحدة من هذه الطقوس».

وفي معرض رد المتحدثة باسم الحكومة البحرينية عن تأثر حوار التوافق الوطني - الذي أطلق في صيفته الاخيرة التي أعلنت منتصف يناير الحالي - بهذا الحكم، قالت إن «المعارضة في كل يوم تخرج بذريعة جديدة للتملص من الحوار»، وأضافت: «بالامس كانت الذريعة هي التعاطي الامني مع العنف وإرهاب وتهريب الاسلحة، وبأن ذلك لا يهيئ الأجواء للحوار، واليوم مع المنابر التي تحث على الكراهية وتقسّم مكونات المجتمع البحريني»، وأشارت إلى أن التصعيد الاعلامي الذي تمارسه المعارضة في مقابل دعوة صريحة

وجادة للحوار من قبل القيادة البحرينية، هي خطابات مستهلكة ومحاولة لاثبات قوة غير موجودة على الارض، وزادت المتحدثة باسم الحكومة البحرينية بالقول: «هناك من يتوهم أن الدعوة إلى الحوار كانت من موقف ضعف من الدولة، وهذا ينم عن أزمة فكرية يعاني منها هؤلاء، فالاقوياء هم من يطرحون الحوار دون الدخول في مهاترات وإعلام استهلاكي»، بحسب تعبيرها.

بدورها أشارت «الوفاق» - على لسان عبد الجليل خليل القيادي في الجمعية - إلى أن توقيت الحكم بحل المجلس غريب ويعقد المشهد السياسي، كما أشارت إلى أن اللقاءات الثنائية التي جرت بعد إعلان ولي العهد البحريني لاطلاق حوار التوافق الوطني في صيفته الجديدة، كان عن إجراءات بناء الثقة بين الطرفين واتباع الخيار السياسي في التعاطي مع الازمة البحرينية وليس الخيار الامني.

وفي ردّه على اللغة التصعيدية التي تتضمنها بيانات «جمعية الوفاق» - كما ترى الحكومة البحرينية - قال إن «توقيت الاحداث التي جرت في البحرين خلال الاسبوع الحالي، كأنما يراد بها ضرب مبادرة ولي العهد التي أعلنها في لقاءه مع المعارضة، وتسميم أجواء الحوار والاستمرار في الخيار الامني».

مصادر: الحوثيون يحاولون توسيع نفوذهم إلى مطار صنعاء

شبكة محيط - ٢٠١٤/١/٢٩

استمرت الاشتباكات بين الحوثيين وقبائل موالية لهم من جهة، وقبائل موالية لال الاحمر ولحزب «الاصلاح الاسلامي» في محافظة عمران وفي منطقة أرحب القريبة من مطار صنعاء. من جهة أخرى، ذكر الرئيس اليمني أن

الحوثيين يحاولون توسيع نفوذهم والتمدد إلى مشارف مطار صنعاء، وليكونوا القوة المسيطرة على الاقليم الشمالي الغربي.

ونقلت صحيفة «الحياة» اللندنية عن مصادر محلية قولهم إن الحوثيين يحاولون توسيع نفوذهم والتمدد إلى مشارف مطار صنعاء، ليكونوا القوة المسيطرة على الاقليم الشمالي الغربي.

ويتواجه الحوثيون وأنصارهم في عمران منذ أسابيع مع أجنحة من قبائل حاشد النافذة بزعامة آل الأحمر، وأكدت مصادر قبلية أن معارك كروفر تدور في عمران في منطقتي عشة وحوث القريبة من بيت الشيخ عبدالله الأحمر، الزعيم الراحل لقبائل حاشد.

وذكر شهود عيان أن الطرق مقطوعة في المنطقة فيما أشارت المصادر القبلية إلى أن لجنة الوساطة الرئاسية التي يرأسها اللواء فاضل القوسي قائد قوات الامن الخاصة، موجودة في الجبل الاسود الذي يبعد حوالي ١٢ كيلومتراً عن مناطق المواجهات.

وذكر شهود عيان أن الطرفين يستقدمان تعزيزات من مناطق أخرى، لا سيما من صنعاء، ما يوحي بأن المعارك مرشحة للتصاعد.

في المقابل، تستهدف هذه المعارك التي يتواجه فيها الحوثيون مع قبائل موالية لحزب التجمع اليمني للإصلاح، المقرب من «الاحوان المسلمين»، السيطرة على ثلاثة جبال مطلة على مطار صنعاء.

ووفق مصادر قبلية، فإن الجيش في المنطقة لا يتدخل في المعارك الدائرة التي أسفرت الاثنين عن مقتل أحد القياديين في صفوف الحوثيين.

من جهة ثانية ذكرت وكالة الانباء اليمنية «سبأ» أن اللجنة المكلفة تحديد عدد الاقاليم مؤلفة

من ٢٣ عضواً ويرأسها هادي شخصياً.

وستحاول اللجنة حسم المسألة الخلافية الشائكة المتعلقة بعدد الاقاليم في الدولة الاتحادية، وهي مسألة لم يتوصل الحوار الوطني إلى حلها. وستختار بين صيغتي الاقليمين، شمالي وجنوبي، التي يطالب بها الجنوبيون، وصيغة الاقاليم الستة التي تلقى دعماً بين الشماليين الراضين صيغة الاقليمين بحجة أنها تستعيد في الشكل حدود دولتي اليمن السابقتين. كما يمكن أن تعتمد اللجنة أي صيغة مناسبة بين الصيغتين؛ ووضع الحوار الوطني اليمني خريطة طريق لتحويل البلاد الغارقة في العنف والفقر إلى دولة اتحادية.

وفي نيويورك، بدأ مجلس الامن البحث في فرض عقوبات على الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح ونائب الرئيس السابق علي سالم البيض «باعتبارهما من المعيقين الرئيسيين للعملية السياسية في البلاد».

واستمع المجلس أمس إلى إحاطة من المبعوث الخاص الى اليمن جمال بن عمر عن المستجدات المترتبة عن إنجاز مؤتمر الحوار الوطني «والتحديات التي يواجهها تطبيق نتائج المؤتمر».

وأوضحت المصادر أن بن عمر يسعى للحصول على موقف قوي من مجلس الامن يدين معرقلي العملية السياسية وتطبيق نتائج مؤتمر الحوار الوطني من دون أن تستبعد أن «يطلب من المجلس فرض عقوبات على صالح والبيض باعتبارهما المعيقين الرئيسيين والمسؤولين عن العرقلة ودعم الحركة الانفصالية في جنوب اليمن».